




ذيلي شرح شفاء شريف

٩٨٥

و
۲۲۸
۱
۲۲۹
۱
۲۲۸

علاوه بر یکی دو [illegible]
[illegible] (۱۵۱)

[illegible]

عدد اوراق ٢٢٨

عدد سطر ٢٣

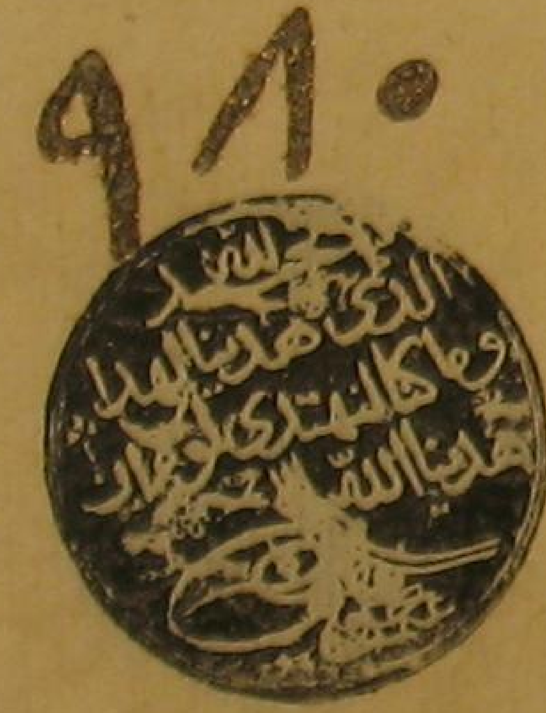
[illegible]

[illegible]

هو الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الدلجي الشافعي
العثماني وشرحه هذا مسمى بالاصطفاء
لبيان معاني الشفاء أوله نحمدك
يا من شرح صدورنا

الحمد لله هذه الفائدة لمنع اكل الارضة من الكتب
يا حفيظ يا كبيكج احفظ ... يا كبيكج

قرأت في ديوان ابن المقري اليمني الشافعي رحمه الله ان كتاب الشفا ثمانات ... وبركاته
حتى لا يقع ... فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قرأه مريض
شفاه الله وهو مما جرب وكان ابتلي بمرض فقرأه فعافاه الله منه في ديباجة
شهاب شرح الشفا للقاضي عياض



وقف هذه ... عمدة ملوك الدوران وسلسلة آل عثمان محيي السنة امام الامة
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن
السلطان مصطفى خان لازال ... مصابيح الاقبال ومساعيه
الجميلة مفاتح ابواب الآمال وانا الداعي لدولته الحالية
ابراهيم حنيف المفتش باوقاف الحرمين
المحترمين
...



بسم الله الرحمن الرحيم • اللهم صل على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا •
نحمدك يا من شرح صدورنا بعلامات شفا • لمرضى الاذهان من اسبابها دوا • ولعطشى الافهام
من مشارعها روا • موردة من اياته ما هو اقرب امتزاجا بالافهام • وابعد انتزاحا عن الابهام
منبهة على ادراك رموزه الخفية • موقظة لنيل كنوزه الجلية • كاشفة عن مخزون غرره استارها
واصفة من مكنون درره اسرارها • ناظرا بعضها الى بعض في نظم فرائده متناصره • اخذا بعضها بيد
بعض في جمع فوائده متخاصره • مع تسهيل ما وعر من موارده • وتذليل ما جمح من شوارده • وتحرير
تنزاح به عن دقائقه شبه الارتياب • وتقرير ترتاح في فهم حقائقه الالباب • ولقد سبب تمامك
لتلاوته اعطاف الاسماع • وترقص لورود ارداف الطباع • بتراكيب رشيقه • تنشرح لها الخاطر
واساليب انيقه • ينفتح لها الناظر وان الشفا ستعريف حقوق المصطفى • صلى الله عليه وسلم • وعلى من
امن به • وانتمى اليه • لكتاب عزيز لا يهتدي الى حسن تاليفه الافكار • ولا تهتدي حوالي ترصيفه رياح
الانظار • قد تعتني صدق الهمة الى فتح كنوزه • ومنح الايام بيان خفي رموزه • وابراز غوامض
تتبختر وضوحا • واحراز نفائس يميس صريحا • وايراد نتائج ابرزتها امهات الانظار • وسوانح
اسرار ميزتها عوامل الافكار • وبوارح استار تبهر الالباب الفوادح • وسوارح نكت تملا القوادح
هذا مع ما الزمان عليه من تفاقم الاحوال • وتراكم الاهوال • وفرط الارذا بالعلما والاعتدا
والجاهلون لاهل العلم اعدا • على اني بطوارق النوائب مهين • وبوارق النوايب لا اكاد ابين •
وتوالي كرب اغرقت بالقلب قلقا • وتواتر نوب اورثت بالكبد حرقا • وتراجم منايا اورثت الذهن
فتورا • وتراجم رزايا اعقبت الفهم قصورا • لا للعزم من نصير • ولا في الحزم من تدبير • فباله من دهر
لا يبقيا له على ذي فضيلة • ولا تعمى الا على ذي نقيصة ورذيلة • فلقد سطى في تحكماته بمرد حسم
النكبات • واسا في تكريراته بمعترك البليات • فاعتورتني الهموم • متشابها وغير متشابه
فادرعت له احمالا لا طويلا • وصبرت عليه صبرا جميلا • صارفا عنان الهمة لنشر محاسن عباراته
وبث احاسن اشاراته • موثرا لما هو اوفق بالمقام • واليق بالمرام • وكانت معانيه ابكارا • فافترعها
الفهم بصائب ادراكه • وثاقب اشراقه • ولم ادرمن انفق من عمره في بيان لطايفها اونه • ولا صرف
في تبيان شرايفها ازمنه • وكنت اود لو رايت لي سابقا اكون وراه مصليا • وفي حلبه رهانه مجليا
اذ لم ار لي له كفوا بالامترا • والفهم المقصوره يقدم رجلا ويؤخر اخرى • لكن امدني الله بوارف لطفه
ووافر عطفه • فشرعت لواردته من عباب معانيه مشرعا رويا • ولراسيه من جناب مثانيه
صراطا سويا • واوردت ما يمتاز من حقائقه الافهام • ويمتاز من دقائقه المرام • واذا وعيت
ما لم تسمع به فلا تبادر بالانكار • وتامل لعلك تونس من جانب التامل جذوة نار • فيضي بها لك بانها
ايات بينات لقوم يومنون • وما يعقلها الا العالمون • ومن كان في ريب مما اوردناه من بدايع
اللطايف • وروايع العوارف • فلياتي بحديث مثله ان شا • فان الفضل بيد الله يوتيه من يشا • والله
اسال هداية للمرام • وعصمة يوم تزل الاقدام بسم الله في كل مقام يبدى به متعلق بفعل نحوي
لعينه فعل حسي بحسب المقام اذ هو الذي يتلوه في الوجود • وتقديره موخرا اولى لاقتضا المقام
اختصاصه بتقديم اسمه تعالى لانه اوفق للوجود وادخل في التعظيم • وادل على اختصاصه بان
مقام يبدي به بجعله من بين الاسما منفردا به لا يشاركه غيره منها فيه كاسم اللات والعزى فهو المقصود

قصر

قصر صفته على موصوفها قصر افراد قطعا لشركتها اذ كان مشركوها يبدون باسمائها لمجرد الاهتمام
ولا يرد اقرا باسم ربك لكونه مقام امر يجعل الفعل مقدما وما باسم الله فتقديمه اعني فعل الامر بايجاد
القراة هنا اهم لكونها اول سورة نزلت على ان في الكشاف ان معناه اقرا مفتتحا باسم ربك اي قل
بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا فوجوب الابتدا بذكر الله لا بغيره حاصل وان قدم عليه فعل الامر اعني
اقرا ويكون معناه مفتتحا بسم الله اقرا وكفى به شاهدا بان البسملة مامور بها في ابتدا كل قراة
اذ هو امر بايجاد القراة مطلقا بدون تعلقه بمقرو ودون مقرو فتكون مامورا بها في ابتدا
هذه السورة ايضا هذا وما ذكر من وجوب تقديم الاسم انما هو عند عدم الداعي الى رعاية الاصل
الذي هو تقديم العامل وكسرت البا وان كان من حق الحروف المفردة الفتح للزومها الحرفية والجر
ولتشابه حركتها عاملها وحذفت الفها دون باسم ربك لكثرة الاستعمال وعوض عنها تطويل البا كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على مظهر فرقا بينها وبين لام الابتدا وقد وقعت التسمية قيدا للابتدا
حالا عنه اي ملتبسا ومتبركا بسم الله ابتدات والله اصله اله من اسما الاجناس حذفت همزته وعوض
عنها اللام وكان بالاحد فيها قد وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب على مفهوم كلي هو المعبود بحق وهو
بحذفها علم خاص لذات معين هو المعبود بالحق اذ لم يستعمل في غيره تعالى ومن ثم كان لا اله الا الله
كلمة توحيد اي لا معبود بحق الا ذلك الواحد الحق فهو من الاعلام الخاصة من حيث انه لم يسم غيره ومن
الاعلام الغالبة من حيث ان اصله اله فالخصوص انما عرض له من حيث استعماله فيه دون غيره والا
فقضية القياس صحة اطلاقه على المعبود بحق مطلقا كاصله الا انه كما مر لم يطلق الا على الواحد الحق
ولم يستعمل بمعنى المفهوم الكلي فهو علم خاص من حيث الاستعمال وغالب من حيث الاستدلال فغلبته
انتهت الى حد الاختصاص فاختص بالمعبود بالحق وغلبة اصله لم تنته اليه فمفهومه عام غلب على
المعبود بحق ولم يختص به وقد اشار في الكشاف الى كون غلبته الى حد العلمية وغلبة اصله لا الى حد
بتعريف الحق وتنكيره بقوله واما الله بالحذف فمختص بالمعبود بالحق والاله غلب على المعبود بحق فحكمه
بالاختصاص انما هو عليه بالحذف في مقابلة اصله بالاحذف ولا دلالة لقوله مختص بالمعبود بالحق
على انه من الاعلام الخاصة بمعنى انه ليس من الاعلام الغالبة لشهادة قوله في سورة ابراهيم ان لفظ الله
اجري مجرى الاسما الاعلام واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة فكونه ماخوذا منه مشتقا من
اله او غيره لا ينافي كونه علما ولا يقتضي كونه صفة اذ لم يوضع له تعالى باعتبار صفة بخصوصية الذات
بل وضع للذات بدون ملاحظة صفة اذ ما وضع ان وضع لشي باعتبار بعض معانيه واوصافه بدون
ملاحظة لخصوصية الذات فهو صفة كالمعبود ومن ثم قالوا الصفة ما دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود
او ما دل على ذات مبهم ومعنى معين مع وجوب ذكر الموصوف معه لفظا او تقديرا لتعرف الذات وان
وضع له بدون ملاحظة ما فيه من المعاني كرجل وفرس او مع ملاحظة بعضها كالكتاب للمكتوب والنبات
للجسم النابت واسما الزمان والمكان والالة فهو اسم وان استدل على ان المقصود هو الذات او المعنى
بان الاول يوصف ولا يوصف به والثاني عكسه فهو ايضا اسم كالاله فهو من قبيل الاول اذ قد ثبت استعماله
الها واحدا ولم يثبت شي اله الرحمن خاص لفظا اذ لم يسم به غيره تعالى وما شذ فلا يعتد به عام معنى
اذ كان صفة بمعنى كثير الرحمة ثم غلب على البالغ في الرحمة والانعام بجلايل النعم في الدنيا والاخرة ثم
لوقوعه صفة لا موصوفا ولكونه باذا المعنى دون الذات من الصفات الغالبة اذ معنى الغلبة

ان يكون الاسم عاما فيعرض له بحسب الاستعمال خصوص اما الى حد العلمية فيصير علما كالنجم للثريا والصعق
للكوكب بعد استعمالهما في غيرهما اولا الى حدها فيصير اسما غالبا كالاله او صفة غالبة كالرحمن
الرحيم عام لفظا اذ قد يسمى به غير الله خاص معنى اذ لا يرحم يوم القيمة الا المؤمنين اي ذي الرحمة ومن
ثم كان الرحمن ابلغ من الرحيم لكون معناه كثير الرحمة جدا لان زيادة البنا تفيد زيادة المعنى لانه
قد يوخذ كما مر باعتبار الكمية فيقال يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه
يخص المؤمن او باعتبار الكيفية فيقال يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية
كلها جسام والدنيوية جليله وحقيره ولا ينقض بحذر لا ابلغ من حاذر لكونه اكثريا او لكونه
فيما اذا كان اللفظان المتلاقيان اشتقاقا متحدي النوع في المعنى كغرث وغرثان وصدي وصديان
لا كحذر وحاذر لاختلافهما نوعا فيه ومنع صرفه انما هو بالرجوع الى اصله وهو الحاقه باخواته
فانها غير منصرفة اذ اصل فعلان صفة من فعل بالكسر هو عدم الصرف وان كان الاصل في
مطلق الاسم الصرف وليس منعه مع كون شرطه الذي هو وجود فعلى منتفيا باختصاصه بالله وزنه
اذ شرطه الذي هو وجود فعلانة كذلك منتف به فلا عبرة بالغاء الشرط بهذا الاختصاص العارض
لان معنى الاشتراط انه اذا اطلق على مؤنث فان كان فعلى ففعلان غير منصرف او فعلانة فمنصرف
وهنا لم يطلق اصلا فلم يعلم ان مؤنثه فعلى ليمنع او فعلانة لينصرف فانتفا شرط المنع اعني وجود
رحمى وشرط الصرف اعني وجود رحمانة لم يعتبرا فرجع الى الاصل الحاقا له باخواته قيل وقد
يقال لو اعتبرا لزم اجتماع الصرف وعدمه فتعين تساقطهما والرجوع اليه واجيب جمعا
بينهما بجواز الصرف وعدمه اذ الاعمال اولى من الاهمال وكلاهما صفة مشبهة من رحم بجعله
لازما بنقله الى باب فعل بضم ثانيه اذ لا يشتق منه متعديا ذلك والرحمة عطف اي تعطف
وشفقه وميل روحاني لا جسماني ومن ثم جعل الانعام مسببا عن العطف والرقة لا عن الانحنا
الجسماني وكلاهما في حقه تعالى محال فهي مجاز اما عن نفس الانعام فتكون صفة فعل او عن ارادته
فتكون صفة ذات واما تمثيل للغايب اعني تمكنه تعالى من الانعام بالشاهد اعني تمكن الملك من
ملكه فتفرض حاله تعالى على سبيل التمكن منه بحال ملك عطف على رعيته فرق لهم فعمهم معروفه
فاطلقا عليه تعالى واريد غايتهما التي هي فعل او ارادة لا مبدأهما الذي هو انفعال فهو استعارة
تمثيلية هذا وقد جعل الحمد قيدا لابتدا التاليف حالا منه كما جعل التسمية كذلك وكانه قال
ابتدات متلبسا ومتبركا باسم الله قايلا الحمد لله احمده تسوية بينهما في الوجود والابتدا بهما
معا رعاية لمناسبة بينهما فقد ورد كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر وفي رواية
بحمد الله فهو اجذم وقدمنا عليه عملا بالكتاب والاجماع فوقع الابتدا بها حقيقة وبه بالنسبة
الى ما بعده اذ الابتدا امر عرفي يعتبر ممتدا من الاخذ في التاليف الى الشروع في المقصود فلا تعارض
بين خبريهما واصله النصب لانه من مصادر شاع استعمالها منصوبة باضمار افعالها وعدل الى
رفعه كما في سلام عليكم للدلالة على دوامهما وثباتهما فالنايب عن الفعل انما هو المصدر النكرة
ولامه كما في الكشاف للاشارة الى معنى الحمد وتعيين ماهيته اذ الاسم نكرة انما يدل على مسماه مبهما نسخة
من غير تميزه وحضوره وتعيين ماهيته واللام انما تفيد التعريف اي التعيين والاشارة فلا احاطة ولا
شمول بمعنى الاستغراق وقد يفيده المصدر المعرفة الواقع موقع النايب عنه بان يكون تعريفه لها

الزيادة

الزيادة معنى هو الاستغراق بشهادة ما في الكشاف من انها للاشارة الى الجنس مع خلو الفعل عن ذلك
فكونها للتعريف اي التعيين والاشارة لا ينافي القصد بها الى تلك الزيادة ثم هي ان اشير بها الى نفس
المسمى فلام الجنس او الى حصة منه فلام العهد ومثله علم الشخص والاول ان قصد به الماهية من
حيث هي كالانسان حيوان ناطق والرجل خير من المراة فلام الحقيقة والطبيعة ومثله علم الجنس
كاسامة او الماهية من حيث وجودها في ضمن الافراد فان وجدت قرينة البعضية كما في واخاف
ان ياكله الذيب فلام العهد الذهني ومثله النكرة في الاثبات فذوها والمجرد عنها بالنظر الى القرينة سوا
ومن ثم قالوا هو في المعنى كالنكرة واما بالنظر الى مدلول اللفظ فلا استوا لما في المعرف من اعتبار
الاشارة والحضور ذهنا بخلاف المنكر ولا يلزم من عدم اعتبار ذلك فيه خلوه عنه وان لم توجد
قرينة البعضية ففي المقام الخطابي يحمل على الاستغراق حذرا من ترجيح احد متساويين بلا مرجح
ومثله لفظة كل مضافا الى نكرة وفي الاستدلالي يحمل على الاقل لانه المتيقن وهو لغة الوصف
بالجميل الاختياري ذاتا او بواسطة ليدخل وصفه تعالى بصفاته فان اثارها اختيارية وهو من
شعب المدح اذ قد لا يكون بالاختياري تقول مدحته على صباحة خده ورشاقة قده ولا تقول حمدته
فهو اعم منه والوصف انما يكون باللسان فمورده خاص ثم ان كان بازاء نعمة او غيرها فمتعلقه عام
والشكر عكسه اذ هو لغة فعل ينبي عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر فعلا او قولا او نية
بان يديب جوارحه في طاعته او يثني عليه بلسانه او يعتقد انه ذو النعمة اي الانعام فمورده اللسان
والجوارح والجنان ومتعلقه النعمة فهو اعم منهما من حيث مورده واخص من حيث متعلقه وربما اجتمعا
في ثنا باللسان بازا نعمة والحمد عرفا فعل يشعر بتعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره والشكر عرفا
صرف العبد جميع ما انعم الله عليه من سمع وبصر وغيرهما الى ما خلق له فبينهما عرفا عموم وخصوص مطلق
كما بين الشكر لغة وعرفا وكما بينه عرفا والحمد لغة وبين حمديهما عموم وخصوص من وجه المنفرد
باسمه الاسما من السمو اي العلو لانه تنويه ورفعة لمسماه وشعار له اي الذي استاثر وانفرد باسمه
الاعلى المنزه عن ان يسمى به غيره ويشاركه فيه كما انفرد في الهيته باتصافه بصفات لم يشاركه فيها
غيره واستحق ان يكون منفردا وتسمى خواص الالهية كالايجاد من العدم وتدبير العالم والغنى المطلق
فهو تعالى متصف بانه فرد بدون موجب ومؤثر هذا وقد يجوز ان يريد باسمه الاسما لفظ الله فقط
لدلالته على ذاته تعالى بدون اعتبار معنى زايد قايم بها او اسمه الاعظم ان كان هو الحي القيوم او
ذا الجلال والاكرام او الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت فانه اشرف اسمائه وارفعها او
جميع اسمائه المختصه به تعالى على ما افادته اضافة المفرد من العموم لدلالتها على اشرف المعاني وهو
تعالى متصف بها ومسمى بالاسما حقيقة فهي اعلا وارفع واطلاق المنفرد عليه تعالى مع كون اسمائه
توقيفية وعدم ورود سمع به وان ورد اصله اعني الفرد جايز على قول القاضي والامام بجواز اطلاق
لفظ ما يصح وصفه تعالى به وان لم يرد به سمع ولم يوهم نقصا قال الامام الغزالي بخلاف الاسم
فان في وضع ما لم يرد به توقيف له تعالى نوع تصرف ولا كذلك وصفه تعالى بما معناه ثابت له وفي
في نسخة نسخة المتفرد بتا فوقيه وترا مشدده اي المتوحد المختص يجري فيه ما ذكر في المنفرد ولا صلة رحم بينهما في
المعنى اورده رعاية للمقام اذ هو مقام مدح يحسن فيه الاطناب ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
لمن قال بحضرته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بيس الخطيب انت

حث او خر في مقام الاطناب بجمعهما ثانيا في ضمير واحد وكان اللائق ابرازهما كالاول لاقتضا
المقام ذلك اي الذي انفرد **بالملك** لشهادة تقديم الظرف في له الملك وله الحمد لا بد انه
باختصاصه تعالى بهما لانه المبدي لكل شي والقائم به ومنه اصول النعم وفروعها فالملك
في الحقيقة له وكذا الحمد واما ملك غيره فتسليط منه تعالى واسترعا له واما حمد غيره فباذنه
لجري نعمته تعالى على يده فهو المتصرف فيه حقيقة بالاستيلا **الاعز** من عزه اذا غلبه اي
الاقوي البالغ في العزة والمنع ما لا يدرك ولا يرام لقوة سلطانه ونفاذ حكمه بواضح برهانه اذ هو
القاهر فوق عباده اي الغالب المقتدر الذي لا يغالب على ملكه **الاحمى** من حماه اي منعه ودفع عنه
فهو حمي اي محظور لا يقرب اي الامنع الذي لا يعتري سرادق عزه تغلب فهو منيع لا يستباح وحصين
لا يرتاح وفي الحديث لا حمى الا لله ولرسوله ومن ثم منع الشافعي ان يحمي احد لنفسه سواه صلى
الله صلى الله عليه وسلم **الذي ليس دونه** اي ليس قرب منه **منتهى** ينتهي اليه من اراد منه قربا
اذ ليس في جهة وحيز ومسافة وامتداد ولو كان سبحانه في جهة ومسافة لكان بالضرورة
للقرب منه منتهى لكن ليس له تعالى منه منتهى فليس في جهة فهو من قبيل نفي الملزوم بنفي لازمه فدون
هنا متضمنة لمعنى القرب **ولا وراه مرمى** مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم ليس وراء الله مرمي
فاليه انتهت الهمة لعقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية يكون مطرح بصر
احد او مطمح نظره فاستعار لغاية الرؤية اسم المرمي الذي هو في الاصل منتهى السهم من الغرض
استعارة تحقيقية بجامع ان كلا منهما منتهى ويوخذ منه تشبيه البصر بالسهم لذلك بجامع
ان كلا ينفذ الى غاية **الظاهر** وجوده لكثرة دلايله واياته المنبثة في الافاق والانفس مما
تدركه البصاير والابصار وتشاهد منه اسرارا تعتنق بها نطاق الاظهار المرشده الى ان من كان
هذا من اياته ودلايل اتصافه بكمالاته فجدير ان يكون جامعا لجهات الظهور لا تغشى شرف عزه
خفا او انه تعالى ظاهر ظهورا معنويا يعرفه كل احد بصفاته وتصرفه في مصنوعاته الشاهدة بانها
حادثة وكل حادث لا بد له من محدث في نفسه ظاهر **لا تخيلا** بالقوة الخيالية الحافظة لما يرتسم في
الحس المشترك من صور المحسوسات **ولا وهما** بالقوة الوهمية المدركة للجزئيات وصرفه عن ان
يقول توهما ليطابق تخيلا مراعاة الفواصل اورده على طريقة الاحتراس البديعي دفعا لما عسى يتوهم
من كونه تعالى ظاهرا انه يدرك بهما فهو تعالى مع كونه ظاهرا لا يتخيل ولا يتوهم **الباطن** حقيقة
ذاته لاستحالة ادراكها **مقدسا** تمييز او تعليل لكونه باطنا اي تنزها وتبعدا له عن ان تكتنه حقيقة
ذاته فهما او يدركها وهما اذ الادراك هو الاحاطة بجوانب المري وحدوده وذلك تعالى عليه محال
وان كان مريا في الاخرة لكن بلا احاطة ومقابلة اذ لا يحاط به علما تعاليا وتقدسا **لا عدما** بضم اوله وسكون
ثانيه لغة في العدم ورد احتراسا عما عسى يتوهم من ان كونه باطنا يقتضي عدمه او عدم العلم به
اذ قد ثبت بالبرهان القاطع قدمه فامتنع عدمه هذا ونفي الاحاطة بحقيقته تعالى لا يقتضي
نفي العلم به وقد وهم من زعم انه تعالى لو ظهر للعيون لزم محذورات كثيرة تعالى عنها كالمقابلة
والحيز وانطباع الجرم الكبير في الجرم الصغير مما هو من شروط الرؤية ولواحق الاجسام غافلا عن كونه
من تمسكات المعتزلة في منعهم رؤيته تعالى في الاخرة وعن انه لا مانع من ان يرى سبحانه لا في حيز
ومقابلة ولا بتاثير حاسة اذ الرؤية عندنا امر يخلقه الله في الحي غير مشروط بضوء ومقابلة ونحوهما

مما يشترطه فيها المعتزلة كالفلاسفة وقد راعى هنا جانب الطباق بين لفظي الظاهر والباطن تزيينا
للكلام **وسع كل شي رحمة وعلما** مميزان حولا عن كونهما فاعلين للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم
مع المبالغة في عمومهما وكثيرا ما يحول عن المفعول كما في وفجرنا الارض عيونا اي فجرنا عيونها فحول
عنه مبالغة وتمثيلا لكثرة عيونها فكانها كلها عيون وقدم الرحمة لانها المقصود بالذات اي وسعت
رحمته وعلمه كل شي على حسب حاله بمعنى عماه وشملاه اذ لا يتاتى هنا ان تعلقا بمعنى اثبات الانتهاء في
تعلقهما بالفعل ولا ذاتا بمعنى سلب التناهي وقد شبههما بمكان رحب على طريقة الاستعارة المكنية
واثبت لهما السعة تخييلا او شبه شمولهما كل شي بسعة الظرف لمظروفه متمكنا فيه ثم اشتق منها
وسع كما شبه تمكن المصلوب بالجذع في ولاصلبنكم في جذوع النخل بتمكن المظروف بالظرف فاستعير له
في الظرفية فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل والحرف تبعية وهذا وارد على وتيرة الاقتباس
من قوله تعالى ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما وهو ان يضمن الكلام شيا من القران والحديث على وجه لا يكون
فيه اشعار بانه منه **واسبغ على اوليائه** اي اتم لهم **نعما** وافية ليكونوا وصلة للفوز ففي الدنيا بتزكية انفسهم
عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق المرضية وتزيين ابدانهم بالهيات المطبوعة والحلل الحسنة وفي الاخرة
بمغفرة ما فرط والرضى والتبوء مع الملا الاعلى هذا هو المراد هنا وما عدا ذلك كنفخ الروح واشراقه
بالعقل مع الفهم والفكر والنطق وكتخليق البدن وقواه مع ما يعرض له من كمال وصحة فالمومن والكافر
فيه سوا والنعم جمع نعمة بمعنى انعام لانه ابلغ في الوصف من النعمة والانعام ايصالها وهي في الاصل حالة
يستلذ بها الانسان فاطلقت على ما يلتذ به من نعم **عما** بضم اوله وتشديد ثانيه جمع عميمة بمعنى عامة
اي شاملة تامة بالهداية والتوفيق وفي نصب هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ما قبلها مع ان
اجزا الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعر به بينها تلويح بزيادة جمعية وارتباط وهو معنى
المعية فيعتبران بالنسبة الى المتعلق اعني اولياءه وانه يسبغ عليهم نعمه العميمة صونا للكلمة عن الالغا
بمجرد كونه مسبغا حاصل من مجرد الاجزا او بنوع مغايرة زايدة على مجرد التعاقب ليست في الموصوف
فيعتبر في التعلق اي هو تعالى سابغ نعمه على من شاء من اوليائه **وبعث فيهم** اي في المؤمنين اذ هم المراد بالاوليا
فيما مر لشهادة لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم **رسولا من انفسهم** اي منهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه ويسهل
اخذ ما يجب عليهم عنه ويكونوا واقفين في احواله في الصدق والامانة وذلك اقرب لهم الى تصديقه والتحريض
به لكونه منهم **انفسهم** بفتح الفا منصوب صفة رسولا اي اشرفهم وفصل بينهما بما قبله لترد الصفات
متناسقة معطوفا بعضها على بعض على نهج واحد ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا محذوف اي هو انفسهم
من نفس بالضم صار مرغوبا فيه لشرفه وفضله وفي الحديث اي الرقاب افضل قال انفسها عند اهله فهو صلى
الله صلى الله عليه وسلم اشرف بني هاشم اشرف قريش اشرف بني كنانة اشرف بني اسمعيل اشرف العرب اشرف
الناس **عربا وعجما** بضم اولهما وسكون ثانيهما لغة في العرب والعجم وهما حالان لازمان من ضمير انفسهم وردا
بيانا للنوعي المنفوسين **وازكاهم** اي اطهرهم **محتدا** بفتح اوله وكسر ثالثه اي مكان اقامته من حتد بالمكان
اقام به ويقال بالفا اي محفدا **ومنمى** بفتح الميم وسكون النون اي مكان نموه وفي مزيل الخفا انه مصدر
بمعنى النمو اي الزيادة وليس مرادا هنا اذ المراد بهما مكة فان للامكنة مدخلا في شرف الاخلاق وطهارتها
وكرم الاوصاف ووسامتها وحسن الافعال ونجابتها وهي ازكى البلاد واكرمها عند الله واحبها اليه والى رسوله
لشهادة حديث ما اطيبك من بلد واحبك الي وحديث انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله

ومما مميزان نحولا عن كونهما فاعلين اي محتده ومنماه ازكى **وارجحهم عقلا وحلما** مميزان حولا عن اصلهما مبالغة
في وصفه صلى الله عليه وسلم بالعقل والحلم وهو ملكة تحمل على الصفح عن العثرات والعفو عن الزلات
وقد فسر بالاناة وفي قوله صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله
الحلم والاناة اشعار بتغايرهما **واوفرهم علما** اي ازيدهم يقينا بمعلوماته لمشاهدته اياها بحيث لا
يغيب عنه منها شي وهذا يسمى عقلا مستفادا من العقل الفعال المفيض للمعلومات على النفس في عالمنا
هذا واللايق بمقامه صلى الله عليه وسلم ان يفسر بان تصير النفس مشاهدة لجميعها دفعة واحدة مستمرة
لا يغيب عنها شي منها لصفا باطنه وتجرده عن جلباب البدن وعلايقه وهذا هو الغاية القصوى في
الكمالات العلمية لانه تعالى كمله صلى الله عليه وسلم ورباه عن العلايق البشرية واطلعه على اسرار
الملكوت واما غيره فهو انما يرتقي من الصور ودركات الى استحضار النظريات متى اراد بلا تجشم كسب
جديد بعد اكتسابها منه ويسمى عقلا بالفعل لان النظريات وان كانت حينئذ بالقوة فهي قريبة من
الفعل جدا فكانها حاصلة لها بالفعل **وا**وفرهم **فهما** اي ادراكا لما خصه الله به من كرم الذكا وشرف
الفطنة من ثم كان صلى الله عليه وسلم **اقوامهم يقينا وعزما** بتصميم راي وقوة ثبات على شدايد الامور
وعظايمها مما يقتضيه تحمل اعبا النبوة وتلقي الوحي وتبليغه اياه ودعوى الخلق الى الحق مع تثبيته بالعصمة
وتاييده بالحكمة ويقينا وعزما كعلما وفهما وردت مميزة للنسبة فيما قبلها **واشدهم** اي اقوامهم **لهم
رافة ورحما** بضم الرا اي رحمة وعطفا اي ميلا وحنانا يتسبب عنه الانعام وقد كان صلى الله عليه
وسلم من الرحمة بقومه في مجاهدة لنفسه ومبالغة في ان يومنوا كلهم حذرا من توليهم عن الايمان حتى عتبه
الله بقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين اي اشفق عليها ان تقتلها حسرة وحزنا خيفة ان
لا يومنوا فتشبيه لما ياخذه من الوجد لعدم ايمانهم على طريقة الاستعارة المكنية بمن فارقته احبته
وبادت عنه اعزته فهو يتحسر عليهم وجلا وبخعا ان لا يكونوا بقربه ويهتدون بهديه واثبات لهم
البخع تخييلا وقدم الابلغ من مميزي نسبة اشد اذ هو اشد الرحمة محافظة على الفواصل **زكاه
روحا وجسما** مميزان حولا عن كونهما مفعولين اي طهر روحه وجسمه وفي الصحيح ان جبريل شق
قلبه وغسله بما زمزم واخرج منه علقة سودا وقال هذا حظ الشيطان منك فكان او الله
اعلم محل قبول وسوسته وفي غسله كما قال البلقيني بما زمزم دون ما الجنة اشعار بانه افضل
منه ولك ان تقول ما الجنة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم لقاب قوس احدكم في الجنة خير
من الدنيا وما فيها وانما غسل به دون ما ئها لكونه الفه ونشا عليه كجده اسمعيل اذ هو اول
ما نبع بمكة لاجله وايراد هذه الفقرة بلا عاطف دون ما قبلها لكمال انقطاع بينهما لاختلافهما
ثبوتا وسلبا اذ ما قبلها موذن بصفات ثبوتية له صلى الله عليه وسلم وهذه منزهة له عما لا
يليق بجنابه **وحاشاه عيبا ووصما** اي هو منزه عنهما اذ الحاشاه التنزيه ونصبهما بنزع الخافض
او على التمييز والوصم العيب والعار فعطفه عليه عطف تفسير كما في قوله فالفى قولها كذبا ومينا
اي كذبا للتوكيد مع ان المقام مقام تنزيه ومدح **واتاه** بالمد اي اعطاه **حكمة** اي نبوة او تحقيق
العلم بالمعلومات كما هي واتقان العمل بالامور على ما ينبغي واطلاقها على الشرايع وكل كلام وافق
الحق اي الثابت في نفسه لاشتمالها عليها **وحكما** لفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل بحيث يعلمه
كل احد ولا يلتبس عليه **وفتح به** صلى الله عليه وسلم **اعينا عميا** لا تبصر بنور هداية ولا يستضي

بضيا

بضيا توفيق تمنحهم به سطوع الحجج والايات فعرفوا ان دينه الحق وقوله هو الصدق فاستجابوا
له ودخلوا في دينه افواجا واثر جمع القلة على جمع الكثرة تاسيا بقوله التوريه ويفتح به
اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وكثيرا ما يرد احدهما مورد الاخر كجنات عدن وثلاثة قرو
نوجا فوجا **و**فتح به **قلوبا غلفا** كانما اغشيت غلافا فلا تعي رشادا ولا يصل اليها هدي مستعار من
الاغلف وهو من لم يختتن **و**فتح به **اذانا صما** كان بها لا تسمع مع انه لا عمي ولا غلف ولا صمم فاطلاق
ذلك عليها مع كونها سليمة مجاز علاقته المشابهة لتشبيه لها باعين وقلوب ايفت مشاعرها
على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها العمى والغلف والصمم تخييلا لمجيئهم بواضح ايات
وباهر معجزات فاجتلت ابصارهم ووعت قلوبهم وقبلت مسامعهم **فامن به** اي صدقه فيما
جا به **وعزره** بزاي فرا اي عظمه ووقره او منعه من عدوه اذ اصل العزر المنع ومنه التعذير
لانه كالحد يمنع من معاودة القبيح **ونصره** اي اعانه على اعدائه **من جعل الله له في مغنم** من اضافة
المشبه الى المشبه به كما في لجين الماء من التشبيه المؤكد اي جعل له في **السعادة** التي هي لحسنها في نفسها
وحصول الفوز بها كالمغنم اي الغنيمة **قسما** اي نصيبا مقسوما **وكذب به** اي كفر بشهادته البادئ ذكره في
مقابلة امن به وان كان نوعا من الكفر الذي هو عدم الايمان عما من شانه لانه اعم منه لشموله الكفر الخالي
عن التصديق والتكذيب ممن جا في حقه فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ومن ثم
عرفه الباقلاني بالجحد مريدا به الجحد في شي مما علم قطعا انه من احكامه وهو احسن من تعريفه بعدم
تصديقه او تكذيبه لتناوله الكفر بالله بدون توسط نبي ككفر ابليس **وصدف** اي اعرض **عن اياته**
التي جا بها شاهدة له بالرسالة واعظمها القران **من كتب الله عليه الشقا حتما** اي واجبا كاينا وهو في
الاصل مصدر حتم الامر بمعنى وجب ثم استعمل بمعنى محتوم وقد اعاد ضمير عليه هنا وضمير له فيما
مر على لفظ من كما في ومنهم من ينظر اليك وقد يعود على معناه كما في ومنهم من يستمعون اليك
ومن كان في هذه الدنيا اعمى البصيرة لا يهتدي الى رشد **فهو في الاخرة اعمى** واضل سبيلا لا يرى
طريق النجاة هذه الاية اقتباس من غير اشعار بانها من القران اذ هو شرطه وشبه فيها الملتبس في
الدنيا فلاح ولا ينهج في طريق نجاح على وتيرة الاستعارة المكنية بمن لا يبصر لفساد حاسة بصره
مثبتا له العمى تخييلا او شبه فيها على طريقة التمثيل حال البصير بحال شي خلق للانتفاع به مع المنع
منه بفساد الحاسة ثم استعمل اللفظ الدال على المشبه به في المشبه بجامع عدم الانتفاع بما خلق
له بنا على مانع عارض يلزمه فهو امر عقلي مركب من امور على ما هو شان التمثيل قيل والثاني اسم تفضيل
من عمي كاجهل وابله بشهادة عطف واضل سبيلا عليه ومن ثم لم يمله ابو عمرو ولان تمامه استعماله بمن فصارت
الفه في حكم المتوسطة فلم تقبل امالة بخلاف الاول فان الفه وقعت طرفا فقبلتها فعلى هذا ابدر شبه
فيها عدم اجتلا البصر الايات والادلة بعدم البصر عما من شانه بجامع الاشتمال على انتفا القبول المانع
ثم استعمل لفظ المشبه به في المشبه واشتق منه اسم التفضيل اعني اعمى فتكون الاستعارة فيه تبعية
وفي عدم البصر اصلية **صلى الله عليه** هو كالحمد لله جملة خبرية لفظا انشايية معنى او خبرية لفظا
ومعنى تشابههما الصلاة والحمد وردت هنا بصيغة الماضي رجا تحقق حصول المسول اعني الرحمة عليه
الماموز بها في يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا اي ادعوا له بها ولما كان نيل ما يتصف به دين
الاسلام وكان بواسطته صلى الله عليه وسلم جعل الدعا له تلوا للثنا على الله ولم يعطف هذه الجملة

الدعائية على ما قبلها لانقطاع بينهما باختلافهما ثناء ودعاء ولا يعزب عنك ان الاية حاكمة بوجوب
الصلاة والسلام عليه كلما ذكر واستوضح حديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده
الله وحديث رغم انف من ذكر عنده فلم يصل علي تجده مشعرا به وبه قال الحليمي من الشافعية
والطحاوي من الحنفية واللخمي من المالكية وابن بطة من الحنابلة **صلاة تنمو** اي تزيد متضاعفة اذ النما
الزيادة وهي هنا مجاز عنها في اقطار الجسم على تناسب طبعي ومراده بذلك تكريرها تكثيرا لها
عليه وفي نسخة تنمي وهي اللغة الكثيرة قال الجوهري نمى المال ينمي وربما قال ينمو وعن الكسائي
لم اسمعه بالواو الا من اخوين من بني سليم ثم سالت بني سليم فلم يعرفوه **وتنمي** اي ترتفع الى الله فتضاعفها
اضعافا كثيرة اذ هي مما يرتفع الى الله من الكلم الطيب **وعلى اله وسلم تسليما** هم مؤمنو بني هاشم
والمطلب ابني عبد مناف لشهادة قسمه صلى الله عليه وسلم بينهم سهم ذوي القربى اعني خمس الخمس
دون بني عميهم عبد شمس ونوفل فقال له عثمان بن عفان وجبير بن مطعم لم خصصتهم به دوننا
فقال نحن وبني المطلب شيء واحد لم نتفرق جاهلية ولا اسلاما واصل آل اهل ابدلت الهاء همزة والهمزة
الفا خص استعماله بذي الشرف والخطر واضافته الى مضمر كما هنا جائزة وقيل هم كل مؤمن تقي وفي
نسخة وصحبه فيكون من عطف العام على الخاص لتشمل الصلاة باقيهم وعلى الثاني العطف لزيادة
الشرف والفضل **اما بعد** ظرف زماني غالبي قطع عن مضاف اليه منوي فبني على الضم وعامله
اما لنيابتها عن فعل شرط والاصل مهما يكن من شيء بعد ما ذكر فوقعت اما موقع اسم هو مبتدا
اعني مهما وفعل هو شرط اعني يكن متعلقا ما عم الالفاظ وهو شيء وتضمنت معناهما فلتضمنها
معنى الابتداء لزمتها لصوق الاسم اللازم للمبتدا ولتضمنها معنى الشرط لزمتها الفاء اللازمة له
غالبا اقامة للازم اعني الاسم والفاء مقام ملزومه اعني مهما ويكن وابقاء لاثره في الجملة ولهذا
مزيد بيان ذكرته في شرح المنفرجة واصل مهما ما ما الشرطية وما المزيدة لتاكيد الجزاء في
نحو متما واينما فاماندهين فقلبت الفها ها استثقالا للتكرير وبعد يؤتى به للانتقال من
اسلوب الى اخر ويسمى اقتضابا ومنه هذا وان للطاغين لشر ماب وقد يذكر الخبر كهذا
ذكر وان للمتقين لحسن ماب ومنه التخلص الى المدح واحسنه ما كان في بيت واحد والمتنبي
ابو عذرته ومنه قوله في سيف الدولة بن حمدان. نودعهم والبين فينا كانه. قنا ابن ابي الهيجا
في قلب فيلق. ولي من بديع مدحته صلى الله عليه وسلم مما ضمنتها انواع البديع موريا باسمائها.
راعي التطير طوي نشرا لفلا عجلا. سعي التخلص للمختار ذي الكرم **اشرق الله قلبي وقلبك**
بنور اليقين اي شرحه وملاه باليقين الذي هو لوضوحه وخلوصه من شوائب الاوهام وبه
استيقان المعارف وتحقق الحقايق كالنور الثاقب لظلمة الجهل لقوة تلالؤه فهو من التشبيه
المؤكد او شبهه بمصباح مضي استعارة مكنية ثم اثبت له النور تخييلا **ولطف لي ولك** اي
وفقنا وعصمنا بخلق قدرة الطاعة فينا او رفق بنا ومن اسمائه اللطيف اي الرفيق في افعاله
والعالم بدقايق الحكمة المصالح وايصالها والمراد من لطف بالفتح اي رفق واما بالضم فمعناه دق
وصغر **بما لطف به لاوليائه المتقين** جمع متقي من وقاه اي حفظه فاتقى اصله اوتقى قلبت واوه
يا لكسر ما قبلها ثم ابدلت تاء وادغمت في التاء والوقاية فرط الصيانة وهو شرعا من يقي نفسه من
العذاب ببراءته من الشرك والزمهم كلمة التقوى او يتجنبه كل ما يوثمه من فعل او ترك ولو ان اهل

القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم او يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه تبتيلا وهو التقى
الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته وقد عدي لطف اولا باللام كما في ان ربي
لطيف لما يشاء وثانيا بالباء كما في الله لطيف بعباده **الذين شرفهم بنزل** حضيرة **قدسه**
وهي الجنة اذ يقال لها حضيرة القدس لتنزاهتها عن كدر وآفات الدنيا وثاني الاضافتين
لتشريفية ويجوز ان يريد به ما هيئ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل اهل الجنة
زيادة كبد الحوت واما هو في ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون تلويحا بان
ما يتمنونه بدعائهم بالنسبة الى ما يعطونه مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف **واوحشهم** اي
جعلهم ذوي وحشة غيرا نسين باحد **من الخليقة** فعيلة من الخلق بمعنى مخلوقه **وآنسهم بالانسه**
في امن حرمه وحرز عزه وظل كنفه فهم به انسون ومن غيره ايسون **وحجبهم من معرفته**
بصفاته لامتناع معرفة كنه ذاته وخصهم من **مشاهدة عجايب ملكوته** من الملك وتاؤه
للمبالغة **واثار قدرته** الشاهدة بابرازها في معرض الاتقان محكمة كتصوير الاجنة في الارحام
كيف يشا واخراجها من منافذ ضيقة وخلق السموات ورفعها بغير عمد ووضع كواكبها مختلفة
اوضاعا واشكالا وحركات مما يشهد بكمال قدرته ونفاذ امره وتفرده بالالهية **بما ملا قلوبهم**
حبرة اي سرورا واظهر حبره اي اثره على وجوههم فكساها بهاء وجمالا وفي الحديث يخرج من النار
رجل قد ذهب حبره وسبره بكسرهما وقد تفتحان اي بهاؤه وجماله قال تعالى فهم في روضة
يحبرون اي يسرون وينعمون بانواع المسار **وولهت عقولهم** بتدبرها وتفكرها **في عظمته**
حيرة بان جعل عقولهم ذوات تحير ودهش مما ارهقها من هيبة جلاله وبهاء جماله وحبرة
وحيرة تجنيس تصحيف **فجعل همهم به واحدا** قايمين بحقوق الهيته ووظايف عبوديته لا
يلهيهم عنه مال ولا بنون **ولم يروا** اي يعتقدوا ان **في الدارين** الدنيا والاخرة **غيره** يلجا اليه
ويعول في الملمات عليه **فهم بمشاهدة** اثار قدرته الشاهدة باتصافه بصفات **كماله** في
ذاته وصفاته وافعاله **وجلالته** اي عظمته **يتنعمون** ويتلذذون فعلى ما قدرنا تكون المشاهدة
بصرية ويجوز ان تكون قلبية فهم بادراكها يتنعمون **وهم بين اثار قدرته** علويات وسفليات
متفقه الجهة بانه تعالى غني مطلقا **وبين عجايب عظمته** من وحدانية وكبرياء وجبروت وقوة
سلطان ونفاذ تصرف **يترددون** متحيرين فيها اذ التردد دين المتحير كان الثبات دين
المطمئن او يرددون التفكر فيها وان عجزوا عن ادراك حقيقتها **وبالانقطاع اليه والتوكل عليه**
يتعززون اما من عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا اي اتخذوا المعز له العز او يعز بالفتح اذا اشتد وقوي
ومن اسمائه العزيز اي القوي الغالب وفي الحديث قال لعائشة هل تدرين لم رفع قومك باب
الكعبة قالت لا قال تعززا ان لم يدخلها الا من ارادوا اي تكبرا وتشددا على الناس فهم به تعززوا
اعزة لا يحتاجون لغيره **لهجين** حال من ضمير يتعززون اي ناطقين **بصادق قوله** اي بقوله
الصادق **قل الله ثم ذرهم في خوضهم** مقتبس من قوله تعالى الزاما لليهود او لقريش اذ قالوا ما
انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قل الله اي قل انزله الله ثم
ذرهم في اباطيلهم **يلعبون** حال من ضمير ذرهم او من ضمير خوضهم اراد به هنا انه لا احد يانسون
به وينقطعون اليه ويعتمدون عليه سواه ولتشبيه تفاوضهم في الكذب بهم في الاية بالخوض

في الما استعارة تحقيقية قرنت بما يلايم المشبه وهو اللعب تجريدا واليه وعليه جناس مضارع لتقارب حرفيهما المختلفين مخرجا ثم الاختلاف اما في الاول كما هنا وفي طامس ودامس او الوسط كينهون وينأون او الاخر كالخيل بنواصيها الخير **فانك** جواب اما وقبلها اعتراض للتنبيه على اولياء الله وعلى ما منحهم من كريم فضله ومزيد بره ورحيق هديه ولمدعاه ولمن ساله تاليف هذا الكتاب قوله **كررت علي السوال في** تاليف **مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى** اي المختار المعد صفيا من الصفوة اي خالصة الشي فهو صلى الله عليه وسلم صفوة الله من خلقه بشهادة حديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وحديث الترمذي ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبايل فجعلني في خيرها قبيلة ثم بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا **و**يتضمن بيان **ما يجب له** صلى الله عليه وسلم **من توقير** اي تعظيم **واكرام** ويتضمن بيان **ما حكم من لم يوف واجب تعظيم ذلك القدر** اي واجب ذلك القدر العظيم فالاضافة بيانيه **او** ما حكم **من قصر في حق منصبه** الشريف وقدره المنيف **قلامة ظفر** مثل يضرب للشي الحقير يقال هو احقر من قلامه وهي ما سقط من الظفر وهذا وان شمله ما قبله فقد ورد مبالغة في الحث على اجتناب التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم ولو احقر ما يكون **وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك من مقال** تخصيص بعد تعميم فان ما جمعه فيه اما من مقال اسلافه المالكية وايمته الاعلام منهم او اسلافه مطلقا وايمته المالكية **وابينه** اي المقال **بتنزيل صور** ايضاحا للمعنى وايصالا له الى الذهن في معرضها **و**بضرب **امثال** لكشف المعنى الممثل له برفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويوافقه عليه اذ المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة الوهم له اذ من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكات **اعلم** خطاب لكل من يتاتي توجيهه اليه سد مسد مفعولي ادانه **انك حملتني من ذلك** الذي سالتنيه **امرا امرا** اي عظيما شاقا **وارهقتني فيما ندبتني اليه** اي اغشيتني فيما دعوتني له **عسرا** من عسر الامر اذا التاث وتعسر الاتيان به **وارقيتني** اي اصعدتني **بما كلفتني مرتقا صعبا ملا قلبي رعبا** اي خوفا وفزعا **فان** ما ندبتني اليه انما **الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول** يبني عليها ما يجب له صلى الله عليه وسلم ويجوز ويمتنع **و**يستدعي **تحرير فصول** لبيان ذلك في تقرير وتحرير واصول وفصول جناس لاحق **و**يستدعي **الكشف عن غوامض ودقايق** من غمض الامر ودق اي خفي ولطف استعير لما يفتقر من المعاني الى اعمال فكر وعطف دقايق على ما هو اشد منه غموضا **من علم الحقايق** بيان لما قبله **وههنا** اي فيما قصد سلوكه لجمع ما طلب منه مما يليق بكريم منصبه صلى الله عليه وسلم من مطامح بصر نازحه ومطارح نظر فاسحه تضل فيها الادلا ما لم تهتد في الاستكشاف عنه بنور بصيره فهمي ونفس يقظي وخاطر مستطلع معوان وفهم متسارع نهمان ومن ثم شبهها بمفاوز واسعة ضل الاعلام فيها ومداحض فاستعار لها اسم المهامه والمجاهل والمداحض استعارة تحقيقية دشحها بالحيرة والضلال والزلل تزيينا للمجاز وتناسيا للتشبيه قضاء لحق البلاغة فقوله **مهامه** جمع مهمه اي مفاوز **فيح** اي واسعة **تحار فيها** الافهام لاكتساب ما اغدقت اسافله وامرت اعاليه لتعريف حقوقه كما تحار فيها محسوسة **القطا** اذا سلكها جمع

قطاه طاير معروف سمي بصوته يضرب به المثل في الهداية لمعرفته في المجاهل مظان الما فاذا راه قال قطا قطا فتعرف العرب قرب الما **وتقصر بها الخطا** من الاعيا لاتساعها مع فقد ما يهتدي به فيها الى المقصود وفيه **مجاهل** جمع مجهل اي مفازة لاعلم فيها **تضل** اي تضيع **بها الاحلام** اي العقول **ان لم تهتد بعلم علم** من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد اي بعلم كالعلم **و**نظر **سديد** يدرك السداد اي الصواب وفيه **مداحض** جمع مدحضة اي مزلقة وفي حديث الصراط انه دحض مزلة **تزل فيها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد** واعانة على نيل المراد ولقد افرط في وصف ما سلكه لغرضه ان يه مهامه ومجاهل ومداحض لعسر فيها اقتحام مظان شواهده واقتناص شوارده **لكني** اصله لكن انا حذفت همزته فاعتنق النونان ولم يفترقا فكان الادغام ثم كسر ما قبل الالف فقلبت يا يجي به استدراكا لرفع ما توهم من افراطه في الوصف انه لا ياتي بالمسول اي قد احسنت **لما رجوته لي ولك** من ذي النعم الفايضه **في هذا السوال والجواب من نوال وثواب** عطف خاص على عام ومن بيانيه وفي سببية جعل مدخولها لكونهما سببين لما رجاه له ولسايله كانهما ظرفان لهما **بتعريف** اي بسبب تعريف **قدره الجسيم** من جسم الرجل اي عظم **وخلقه العظيم** مقتبس من قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مع ما منحه من جزيل المكارم وجميل الكرايم بشهادة ما وصفته به خديجة من اصول المكارم مما زينه الله به انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق **وما يدان** اي يطاع **الله به** ويتخذ دينا **من حقه** صلى الله عليه وسلم **الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن** متعلق بتعريف او علة لمحذوف اي عرفت قدره ليستيقن **الذين اوتوا الكتاب** ثبوته وما اعطي مما لم يخطر ببال **ويزداد** بذلك **الذين امنوا ايمانا ولما** اي ومن اجل ما **اخذ الله** من الميثاق **على الذين اوتوا الكتاب** وهم العلما **ليبيننه للناس ولا يكتمونه** اقتباس حسن اورده في كلامه من غير اشعار انه قران فكفى به شاهدا على ايجاب بيان الحق على العلماء ولا يكتمون منه شيا مع ما اسنده هنا الى ابي داود وحسنه الترمذي وصححه الحاكم **من سيل علما فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة** والمراد العلم الشرعي بشهادة حديث ابن ماجة من كتم علما مما ينفع الله به الناس في الدين الجمه الله بلجام من نار لكن ظاهرهما عام في كل علم شرعيا او غيره كعلم العقايد الحقه والحديث والقران والفقه واصوله ومقدماته كالبيان والنحو لا الفلسفي كالالاهي والرياضي والمنطق الا ان يراد بمعرفته الرد على اصحابه ودفع شبههم وشرهم عن الشرعيه وقد عد المنطق من الشرعي لكونه من مواد الاصول وكون الاحكام الشرعية لا بد من اثباتها او نفيها تصورا او تصديقا ولا كافل لبيان التصور والتصديق غيره فوجب كونه شرعيا اذ المراد بالشرعي ما اخذ من الشرع او توقف هو عليه توقف وجود كعلم الكلام او كمال كعلم النحو والمنطق والحديثان موذنان بالحث على تعلم العلم وتعليمه والارشاد به وتحريم كتمه هذا وقد شبه فيهما فيما جعل من النار في فم الكاتم باللجام تشبيها بليغا بشهادة بيان كونه من نار وهو الذي اخرجه من باب الاستعارة والنمري في سنده اولهما بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر ميمه هو ابو قبيلة وانما فتحت في النسبة تفاديا من توالي كسرتين مع يا النسبة فيما فاوه مفتوحة او مضمومة او مكسورة كنمر ودول وابل فيقال نمري ودولي وابلي بفتح الميم والواو والبا **فبادرت** من المبادرة وهي الاسراع والفا سببية اي بسبب ما رجوته وما اخذ الله من الميثاق على العلما وحديث من كتم علما اي اسرعت **الى** بيان **نكت** جمع نكتة

بمثناه فوقية وهي نقطة بياض في سواد او عكسه استعير للطايف الكلام ودقايقه مما يفتقر في فهمه
الى امعان نظر واتعاب قريحة من نكت بالارض اثر فيها **مسفرة** وفي نسخة سافرة اي كاشفة **عن وجه الغرض**
المقصود بيانه من التعريف بقدره صلى الله عليه وسلم وما يجب له ويجوز ويمتنع والغرض في الاصل
مرمى السهم استعير اسمه للمقصود المشبه هو به استعارة تحقيقية رشحها بالوجه الذي هو
صفحة الغرض تزيينا واسناد الاسفار الى النكت مجاز عقلي وفي المفتاح ان مثل هذا استعارة مكنية
تشبيها للنكت بالفاعل الحقيقي بقرينة نسبة الاسفار اليها لدلالتها عليه كما اسندت الهداية التي
هي خلق الاهتداء الى القران وذلك لانكاره المجاز العقلي **مؤديا** حال من ضمير بادرت **من ذلك الحق**
المفترض له صلى الله عليه وسلم **اختلستها** استلبتها واختطفتها **على استعجال لما المرء بصدده** علة لاختلاس
النكت مستعجلا واراد بالمرء نفسه بقرينة المقام **من شغل البدن والبال بما طوقه** بالبنا للمفعول
اي بسبب ما الزمه كالطوق في عنقه **من مقالد المحنة** جمع مقلد او مقلاد من قلده فتقلد وهو
من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد اي من المحنة التي هي لتعلقها بالمرء واعتوارها عليه
كالمقالد في عنقه كالطوق وفي البخاري من ظلم قيد شبر من ارض طوقه الله من سبع ارضين **التي ابتلى بها**
فكادت تشغل عن كل فرض ونفل بتراكم غموم اودت القلب قلقا وتراجم هموم اوعزت الكبد حرقا **وكادت**
ترد بعد حسن التقويم اي بعد اعتدال الحال وخلو البال **الى اسفل سفل** بضم اوله وكسره **ولو اراد الله**
بعبد خيرا لجعل شغله وهمه كله في فعل مامور وترك منهي **فيما يحمد غدا** محله **او** جعل شغله وهمه **فيما**
يذم محله غدا محله ظرف ليحمد ويذم رفع لنيابته عن فاعلها لحذف مفعوله اي لجعل الله شغل العبد الذي
اراد خيره فعل ما يحمد الله فاعله غدا في محله وجعل شغله ترك ما يذم فاعله غدا في محله فالشغل هنا
اعم من ان يكون بفعل ما يحمد او بترك ما يذم وما قاله ظاهره مؤذن بان من شغله الله بما يذم محله غدا
يكون قد اراد خيره وليس مرادا فصرفناه عنه الى تركه ويجوز ان يكون محله هو المفعول به القايم مقام
الفاعل اريد به العبد اذ هو المحل المحمود عليه فعلا او تركا لصدوره عنه وفي نسخة ولا يذم محله وهو
غني عن البيان **فليس ثم** اي في محل ما يحمد او يذم **سوى نضرة النعيم** اي بهجة التنعم ولمعانها في وجوه اهله
وفي نسخة حضرة النعيم **او عذاب الجحيم** اعاذنا الله منه **ولكان عليه بخويصته** عطف على الجعل اي
وللزم اصلاح نفسه او الامر الذي يختص به وحفظها والجار والمجرور اسم للزم ومن ثم كان بخويصة
في محل نصب والبا مزيدة وفي نسخة بخويصة نفسه وفي تصغيرها ارشاد الى حث لزوم اصلاحها واستعمالها
فيما يقربها الى الله زلفى **واستنقاذ مهجته** هو وما بعده معطوف على خويصته اي وللزم خلاص روحه
ونجاتها مما يرديها **وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده** غيره تعليما وافتاء وارشادا **او يستفيده** من غيره
جبر الله صدع قلوبنا اي كسرها بما اعتراها من طوارق محن وبوارق احن وهذه جملة خبرية لفظا
دعائية معنى او خبرية لفظا ومعنى انشائها الدعاء ومن ثم فصلها عما قبلها وشبه فيها القلوب بانا
صدع استعارة مكنية واثبت لها الصدع تخييلا **وغفر عظيم ذنوبنا** اي ذنوبنا العظيمة اي كبايرها
اللهم صغايرها **وجعل جميع استعدادنا** اي ما نعده ونتحمله **لمعادنا** الجسماني الذي هو رجوعنا
الى الحياة بالارواح الى ابدانها موجودة بعد عدمها او مجموعة بعد تفرق اجزائها هذا واما
المعاد الروحاني المحض على ما تراه الفلاسفة فهو رجوع الارواح الى ما كانت عليه من التجرد والتبري
من ظلمات تعلقها بابدانها متصلة بعالم المجردات ملتذة بجمالها بفضايلها مبتهجة بادراكها باقية

ابدا

ابدا او متالمة بنقصها بفارقها كمالها لميلها الى شهواتها لما عظيم اشتياقه الى مشتهياتها اشتياق
عاشق اله رجاء الى الوصول لكن ذلك يزول على التدريج بطول عهدها ببدنها لانها انما اخرجتها
بركونها اليه فينقطع تالمها كعقوبة الفاسق عندنا واما الارواح الساذجة التي غلب عليها
سلامة الصدور وقلة الاهتمام بامور الدنيا فلا تالم لها لاستفادة اشتياقها الى الكمالات لعدم
شعورها بها كغير المكلف عندنا هذا والغزالي وان قال بالمعاد الروحاني مبالغا في تحقيقه
وبيان ثواب الارواح وعقابها لا ينكر المعاد الجسماني لتصريحه به في مواضع من الاحيا وغيره ولا
تغتر بما افتري عليه من انكاره له **وجعل توفر دواعينا** اي كثرة بواعثنا **فيما** يكون سببا **ينجينا**
ويقربنا اليه زلفى اسم مصدر اي ازدلافا ودنوا **و**فيما يكون سببا **يحظينا** اي يفضلنا ويجعلنا
ذوي حظوة ومنزلة عنده واصله المراة تفضل عند زوجها **ولما نويت** اي عزمت واردت **تقريبه**
اي دنو ما يسئل جمعه الى الافهام وتسهيله عليها **ودرجت** بزا مشددة اي رتبت **تبويبه** اولا
فاولا كل باب في مرتبته على التدريج ابهج ترتيب وانق تقريب **ومهدت** اي وطئت وسويت
وثبت **تاصيله** باوثق واحكم **وخلصت تفصيله** اقساما وابوابا ومسايل وغيرها من شوايب الاشكال
وغياهب الاحتمال بافصح عبارة واوضح اشارة بحيث تسبق الى الفهم معانيها الفاظها **وانتحيت** اي
قصدت **حصره وتحصيله** في اقسامه وابوابه وفصوله **ترجمته** جواب لما من الرجم استعير للتلفظ
بمعنى رميت لتشبيه اللفظ بالرجم ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي
الفعل تبعية اي سميته **با**لكلمات المنتظمة مما تلفظت به من الحروف وهي **الشفا بتعريف حقوق**
المصطفى وقصر الشفا لمناسبة قرينه اذ يجوز للكاتب ما يجوز للشاعر وهو من شفا الطبيب
المريض شبه ما يترتب على تعريف حقوقه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بها لانها تشفي من الجهل
واخرجه من باب الاستعارة الى باب التشبيه بقوله بتعريف حقوق المصطفى ويجوز ان يكون
استعارة تحقيقية قرينه انما تلايم المشبه تجريدا وتاصيل وتفصيل وتحصيل من جناس اللاحق
وحصرت الكلام فيه اي في الشفا **في اقسام اربعة** حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته لعدم صدق
اسم الكل على كل واحد منها **وتوجه الكلام** من التوجه بمعنى صار على جهة واحدة ونسق واحد لا يختلف
او بمعنى انقضى واسند الى الكلام مجازا عقليا اي تم الكلام **فيه** اي في القسم الاول **في اربعة ابواب** مرتبه
وهي جمع باب ويقال ابوبة للمشاكلة اي اذا وقع في صحبة مشاكل كالوبه واخبيه وابنيه **والهادي عظيم**
قدره لديه لغة في لدن بمنزلة عند يختص بالحضرة فعند اعم منه قال تعالى والفيا سيدها لدى الباب
قلبت الفه يا لاتصاله بالضمير كالف على متصلا بضمير قال تعالى ان لدينا انكالا ان علينا جمعه وقد
اغرى به ذو الرمة في قوله فدع عنك الصبي ولديك همه توقش في فوادك واختبالا **في تكميله**
تعالى له صلى الله عليه وسلم **المحاسن** جمع حسن على قياس وكانه جمع محسن **خلقا** بفتح اوله وسكون ثانيه
وخلقا بضمهما ويجوز اسكان ثانيه اي في جمعه له محاسن خلقه وخلقه لا انها كانت ناقصة فكملها له
لانه صلى الله عليه وسلم كان منهما بمحل اسنى مع ما مدحه الله به على خلق عظيم وقد سئلت عايشة
عن خلقه القران يأتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه ومع ما اتاه الله من
جوامع الخير وملاك الامر وكان صلى الله عليه وسلم يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعين
على نوائب الحق بطلاقة وجه وسماحة نفس وكف اذى وبذل ندى وغير ذلك مما اوتيه من مكارم الاخلاق

وكرايم الشيم **وقرانه** من قرن بين البعيرين جمعهما في قرن اي حبل استعارة هنا للجمع اي وجمعه **جميع**
الفضايل الدينيه والدنيويه فيه صلى الله عليه وسلم **نسقا** مناسبا بعضها بعضا مستوية في
كمالها كالجواهر منتظمة في نظام واحد فتشبيه الفضايل بها استعارة مكنية واثبات النسق
لها تخييل **وهذا القسم** اي الثالث **اكرمك الله** جملة اعتراضية بين المبتدا وخبره وردت دعا لمن
خوطب كما في قول الشاعر ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعي الى ترجمان • وقد يرد الاعتراض
للتنزيه في نحو ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون او للتنبيه في مثل واعلم فعلم المرء ينفعه
ان سوف ياتي كلما قدرا **هو سر الكتاب** خبر المبتدا من سر النسب اي محضه وافضله تقال هو في
سر قومه اي في اوسطهم استعير اسمه هنا لسر الكتاب بمعنى احسنه واشرفه اذ هو الكافل ببيان
ما يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم ويجوز وما يصح ان يضاف اليه من الامور البشريه وافصاحه
بتعظيم الله له وثنائه عليه وتكميله له محاسن خلقه وخلقه و بما ورد مخبرا بعظيم قدره ورفيع
منزلته عند ربه وما شرفه به من خصايص وكرامات وسوابق لطف وايات وتثبيته بالعصمة
وتاييده بالحكمة وما يجب علينا من حقوقه والايمان به ومحبته وطاعته ومناصحته ولزوم
توقيره وغير ذلك مما يقضي بكماله من كل وجه ومن كان هذا شانه فجدير ان يوفي بلغ التوقير
والتكريم فهو المقصود بالذات وغيره بالعرض لانه الباعث على تاليفه **وما قبله** مما ذكر **فهو له**
لا لغيره من الاقسام **كالقواعد** جمع قاعدة وهي اجمالا قانون مشتمل بالقوة على جزئيات موضوعة
تعرف احكام جزئياتها منه وتفصيلا مقدمة كلية تصلح كبرى لصغرى عند الاستدلال بالشكل
الاول او مقدما في قياس استثنائي لاخراج الجزئيات وتسمى فروعا واخراجها من القوة الى الفعل
تفريعا بان يجعل في الشكل موضوع القانون الذي هو مثلا كل من اظهر معجزة دعواه الرسالة فهو
صادق محمولا على جزئيه ويجعل صغرى هكذا محمد اظهر معجزة دعواه الرسالة وكل من اظهر معجزة فهو
صادق وفي القياس يجعل الاخرى مقدما في نحو كلما كانت دعوى الرسالة صادقة كانت الرسالة
ثابتة فما قبله له كالقواعد **والتمهيدات والدلايل على ما نورده** في حقه مما يجب ويستحب ويباح
ويحرم وغير ذلك **من البينات** اي الواضحة التي لم يطمثها اشكال ولم يفتر عنها احتمال **وهو** اي
القسم الثالث **المنجز** اي الموفي **من غرض هذا التاليف وعده** وهو مما يليق بكريم قدره الشريف وعظيم
جنابه المنيف مع ما اضيف الى ذلك من منح الهية خارجة عن طوق البشر **وعند التقصي** بقاف
وصاد مهملة اي التتبع الى بلوغ الغرض المقصود القاصي اي البعيد **لموعدته** بفتح ميمه وكسر
عينه اي ما وعد به ونسبة الحكم والانجاز والوعد وكذا الموعدة الى القسم مجاز عقلي اي لاجل ما
وعد نا به **وعند التفصي** بفا وصاد مهملة اي التخلص **عن عهدته** بايراد ما التزمه فيه مما هو مقصود
بالذات وما يتبعه من ملايم ومناسب وبين التقصي والتفصي جناس لاحق **يشرق** بفتح اوله وثالثه
اي يشجى ويغص بريقه ويضيق بالتخلص عن عهدته **صدر العدو اللعين** حسدا منه كما يضيق صدر
من شرق بريقه عند الموت وفي الحديث يوخرون الصلاة الى شرق الموتى اي الى ان يبقى من الوقت
مقدار ما بقي من حياة من شرق بريقه عند الموت واللعين ان اراد ابليس فلانه عدو به او مع غيره
فجنسيه فاسناد الشرق الى الصدر مجاز عقلي **ويشرق** من اشرقت الشمس اي اضات لا من شرقت
اي طلعت كذا في الصحاح وقول المصنف في مشارقه شرقت واشرقت اي اضات مخالفه اي يضيء ويتلالا

قلب المومن ويستنير **باليقين** اي العلم بما اذاتنا الفهم في جمعه وترصيفه وانعبت الفكر في تاليفه
ليمتاز من معرفة ما اوتيه صلى الله عليه وسلم كل رايد ويروي من مشارعه كل وارد وتشبيه اليقين
بالنور استعارة بالكناية واثبات الاشراق له تخييل وفي يشرق ويشرق جناس من التحريف **ويملا**
انواره اي اليقين الهادي للتي هي اقوم **جوانح صدره** اي الاضلاع التي تحت الترايب مما يلي الصدر
واحدها جانحة والترايب عظم الصدر ما بين الترقوة والثندوة واحدها تربة **ويقدر** بفتح اوله وضم
ثالثه **العاقل النبي حق قدره** اي يعظمه حق تعظيمه ويعرفه حق معرفته وهيهات لا يقدره عاقل حق
قدره اذ مبلغ العلم فيه انه بشر • وانه خير خلق الله كلهم • ويخفى عنه ما وراء ذلك **ويتثبت به القول**
اي يتعلق القول بالباب الاول من التعلق بشي حسي تشبيها للباب به استعارة مكنية واثبت له
التشبث تخييلا واسند الى القول مجازا عقليا او استعير اولا لفظ التشبث الحسي للملايمة والمناسبة
هنا تشبيها لها به بجامع الوجود ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل
تبعية **في العصمة** هي عندنا على ما حكم به اصلنا من استناد الحوادث ابتدا الى الله ان لا يخلق في معصوم
ذنبا وعند الفلاسفة على ما ذهبوا اليه من قولهم بالايجاب واعتبار استعداد القابل ملكة نفسانية
تمنع من الفجور وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات فانه الزاجر عن المعصية والداعي
الى الطاعة وتتاكد وتترسخ بتتابع الوحي الى الانبيا بالاوامر والنواهي اذ الصفات النفسانية تكون
في ابتدا حصولها احوالا اي غير راسخة ثم تصير ملكات راسخة في محالها على التدريج وقيل هي خاصة
تمنع بسببها صدور ذنب عنه وكذب بانه لو كان صدوره عنه ممتنعا لما استحق بتركه مدحا اذ لا
مدح ولا ثواب بترك ممتنع لانه غير مقدور ولا داخل تحت نطاق الاختيار وبانعقاد الاجماع على انه
مكلف بتركه مثاب به اذ لا تكليف بترك ممتنع ولا ثواب واما هي في قوله تعالى والله يعصمك من الناس
فبمعنى الحفظ والحراسة وربما شملها الحد عندنا اذ هي عبارة عن ان لا يخلق الله فيه قتلا **وفيه** اي في
الباب الاول **ستة عشر فصلا** تمييز للنسبة العددية جعل الباب الذي هو عبارة عن مجموع الفصول
ظرفا لجميعها توسعا فالظرفية هنا مجازية ثم قد يجوز ان يكون قد شبه الباب بالظرف بجامع
الحصول فيهما فيكون استعارة مكنية ثم اثبت له ما هو من خواص الظرف وهو في تخييلا او شبه
استقرار الفصول فيه باستقرار المظروف بالظرف ثم اثبت له في تخييلا ومنه لاصلبنكم في
جذوع النخل ولهذا التركيب نظاير سابقه ولاحقه يجري فيها ما قلناه هنا **وما يجوز طروه عليه**
من طرا بهمز اخره ويجوز ابدالها واوا وادغامها في الواو قبلها اي حدوثه له **من الاعراض البشرية** من
مرض ونسيان وسهو ونحوها **في تصرف وجوه الاحكام** جمع حكم وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف
وقوله وقد يقع صفة لهما من حيث اطلاق المصدر اعني الحكم على المفعول به اعني المحكوم عليه في
الحمل هكذا الفعل او القول مباح او واجب او مندوب او حرام او مكروه فاطلاق الحكم عليه تسامح
وليس لمتعلقه من فعل او قول منه صفة حقيقة لوجوب قيام الصفة الحقيقية بموصوفها لانه
حال الامر به معدوم واراد بوجوهها انواعها المختلفة من ايجاب وتحريم ونحوهما واسند التصرف
اليها مجازا عقليا لقيامها مقام المسند اليه وبتصرفها حكمها **على من تنقصه او سبه** او غيره من الانبيا
بعظيم نكال واليم عذاب هذا او لتشبيه الوجوه بمن له تصرف استعارة مكنية واثبات الوجوه لها
استعارة تخييلية وذكر التصرف ترشيح وعلى الجارة متعلقة بالاحكام اي في بيان ما يستحقه

من انواعها من نسب اليه ما لا يليق به مما وردت به الادلة كوجوب قتل او ضرب او تعزير او حبس
من تعريض ونص بيان لما قبله والتعريض لفظ استعمل في معنى دل على معنى اخر لم يوضع له وكانه
امالة الكلام الى عرض اي جانب يدل على مقصوده ويسمى تلويحا اذ منه يلوح ما يريده مثل
ان يذكر المجي للتسليم بلفظه ليدل على طلب العطا فالتسليم مقصود وطلب العطا غرض وقد
اميل الكلام اليه من عرض اي جانب تجنبك لا سأ عليك كناية وتعريض ومنه اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شي فانه تعريض بتكذيبه صلى الله عليه وسلم حين قال لمالك بن الصيف اليهودي
اليس في التورية ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فغضب وقال
ذلك والنص ما دل صريحا على معناه **وبتمامها** اي فصول الباب الثالث من القسم الرابع **ينجز**
الكتاب اي يتم وينقضي **وتلوح** اي تلمع الخمسة فصول في الباب الذي ختم به الكتاب **في غرة**
الايمان هي في الاصل بياض فوق الدرهم في جبهة الفرس استعير لكل واضح معروف شبه
الايمان بالفرس استعارة بالكناية مثبتا له الغرة تخييلا بعد ان جعل كتابه كانه **لمعة منيرة**
اي مضيئة في غرته لشبهها بليغا **ويلوح في تاج التراجم** هي الاقسام الاربعة وابوابها وفصولها
والتاج الاكليل شبه عصابة كانت الاعاجم تجعله على رؤوسها مرصعا بالجواهر كالعمامة للعرب
ومن ثم قيل العمايم تيجان العرب شبه التراجم بذوي تيجان استعارة مكنية واثبت لها التاج تخييلا
بعد ان جعلها كانها **درة خطيرة** ذات خطر اي عظم ونفاسة تلوح في تاجها لشبهها بليغا **تزيح**
اي تزيل وتذهب **كل لبس** اي اشتباه من التبس لغيره اي اشتبه وفصل هذه عما قبلها لشبه
انقطاع بينهما اذ ذلك مؤذن بوصف وجودي حسي وهذه بوصف عدمي معنوي **وتوضح كل**
تخمين وحدس اي تبين كل قول قيل بظن وتكشفه انكشافا تاما بازالة قناع الحدس اي الظن
عنه اذ التخمين القول بالحدس **وتشفي صدور قوم مومنين** بما تورث من سب الله او رسله او
ملائكته او كتبه من منال اذى وتذيقه من وبال ردى وعبر بالصدور عن القلوب
لكونها محالها وتعبيرا بلفظ الاية المقتبس منها واسناد تزيح وتوضح وتشفي للفصول مجاز عقلي
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلا رفعة ورتبة لا حسا اذ هو القاهر فوق عباده تمثيلا
وتصويرا للمعاني وابرازها في معرض المحسوسات لشبهها للحالة المعنوية بالحالة الحسية فهو
استعارة تمثيلية قرنت بالعلو والفوقية ترشيحا وجعل التعظيم ظرفا للقسم توسعا لشبهه ان
يكون من القلب وهو كما في المفتاح شعبة من البلاغة لشهادة وكم من قرية اهلكناها فجاها باسنا
اي جاها باسنا فاهلكناها في احد قولين وقس عليه نظايره سابقا ولاحقا اي القسم الاول
الذي يذكر فيه تعظيم العلي الاعلى او كلمة في على تشبيه ملابسة ما بين اللفظ ومعناه بملابسة
الظرف للظرف يقال هذه المسالة في كتاب كذا وهذا الكتاب في علم كذا وهذه الاية في تحريم الخمر وهذه
القصيدة في مدح فلان **لقدر المصطفي** صلى الله عليه وسلم **قولا** ورد به قرانه الكريم وفرقانه القديم
وفعلا من معجزات باهرة وايات ظاهرة ونصبهما بنزع الخافض **لا خفا على من مارس** اي عالج وعانا
شيا قليلا بقرينة السياق **من العلم وخص** مبنيا للمفعول ترك فاعله للعلم به اي خصه الله **بادنى**
لمحة من فهم من لمح البصر اي رجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها لشبهها اللمحة به ومن فهم بيان
لكونها منه وبه خرج من باب الاستعارة الى كونه تشبيها بليغا كما في حتى يتبين لكم الخيط الابيض

من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من بياض الفجر مع ما يمتد معه من غبش الليل بخيطين
ابيض واسود وصرفه بقوله من الفجر عن كونه استعارة الى كونه تشبيها بليغا **بتعظيم الله** متعلق
بخفا والبا بمعنى في اي لا خفا في تعظيمه تعالى **قدر نبينا** صلى الله عليه وسلم **وخصوصه اياه** بعد
تكميله بما ينوع الانسان وهي القوة النطقية كمالا اولا **بفضائل ومحاسن ومناقب** تخصه قايمة به
لا تنفك عنه وتسمى كمالا ثانيا مما يتفاضل به افراد الانسان بعضها على بعض من الكمالات الثانية واشرفها
الكمالات العلمية التي اسناها معرفته تعالى **لا ينضبط لزمام** اي لا تحصى كثرة لضابط تدخل تحته بعد
وحصر استعير من زمام البعير وهو خيط يجعل في برة وهي حلقة تجعل في انفه **وتنويهه** من نوهت باسمه
رفعت ذكره اي رفعه الله **من عظيم قدره** اي قدره العظيم ومن زايدة **بما تكل** اي تعيا وتعجز **عنه**
الالسنة والاقلام اسند الكل اليهما مجازا عقليا تنزيلا لهما منزلة الفاعل حقيقة **فمنها ما صرح به**
اي نص عليه **في كتابه ونبه به** اي بما صرح به في كتابه **على جليل نصابه** اي منصبه الجليل **واثنى به** اي
بما صرح به في كتابه **عليه من** ذكر اوصافه الجميلة **واخلاقه** الجليلة جمع خلق وهو السجية **وحض العباد**
اي حثهم وحرضهم وحملهم **على التزامه** اي التزام ما صرح به في كتابه من تعزيره وتوقيره والاذعان
لاوامره ونواهيه امتثالا واجتنابا عملا بمثل فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم او التزامه صلى الله عليه وسلم واتباعه فيما جا به من الدين وعلى كل فقوله
وتقلد ايجابه من عطف بعض افراد العام عليه تلويحا بفضله وامتيازه عنها بما له من اوصاف شريفة
حتى كانه لم يشمله لفظه ولم يعرف حكمه منه تنزيلا للتغاير في الصفة منزلة التغاير في الذات كما في
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى اي الفضلى من قولهم للافضل اوسط شبه الايجاب لا التزام المكلف
ما فيه كلفة من واجب فعلا وتركا بشي يجعل في العنق استعارة مكنية مثبتا لها التقلد تخييلا اي
وحثهم على لزوم ما اوجبه صلى الله عليه وسلم عليهم لان ايجابه من ايجابه وهذا حدث اجمالي يجي تفصيله
فكان اي الله **جل جلاله** اي عظمت عظمته اذ جلال الله عظمته **هو الذي تفضل واولى** اي انعم **ثم طهره**
من عبادة الاصنام والتباعد عما يورث الاثام **وزكى** مبالغة في التطهير وزيادة فيه لشرفه صلى الله
عليه وسلم **ثم مدح بذلك** اي ما مر مما منحه به وكاد يخرج عن ان يدركه حد او يحصي بعد **وا** ثنى من عطف
شامل لما عطف عليه اذ كل ثنا مدح ولا عكس لان الثناء الاصل يكون على جميل اختياري من نعمة وغيرها
والمدح يكون عليه مطلقا تقول اثنيت على علمه وكرمه ومدحته ولا تقول اثنيت على صباحة
وجهه ورشاقة قده بل مدحته وهما باعتبار غايتهما كما سياتي **ثم اثاب عليه الجزا الاوفى** اي الاوفر وثم
هنا للترتيب الذكري **فله الفضل** على ما منحه به من صفات شاهدة برفعة قدره وسمو محله
بدا وعودا نصبا بنزع الخافض اي في بديه وعوده بتفضلاته تعالى عليه قال مالك بن نويرة
جزينا بني شيبان امس بقرضهم ۞ وعدنا بمثل البدا والعود احمد
ويقال رجع عوده على بديه اذا رجع في طريق جا منها **وله على ذلك الحمد اولى واخرى** من قوله تعالى له الحمد في
الاولى والاخرة ونصبهما بنزع الخافض اي في الدنيا والاخرة ويجوز ان يكونا اسم تفضيل اي وله اولى الحمد
واحراه وقول بعضهم ان اسما التفضيل لا تستعمل الا مضافة او موصولة بمن او معرفة باللام
يكذبه قوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى كما توهم اظلم واطغى ونحوه مما يوذن بجواز استعمالها
بدون ما ذكر اختصارا او ليذهب النفس كل مذهب ممكن **ومنها** اي ومما خصه تعالى به **مما**

ابرزه للعيان اي اخرجه للمعاينة والمشاهدة من خلقه ببيان لما على اتم وجوه الكمال والجلال
في ذاته وصفاته وافعاله والجلال العظمة واراد بالوجوه انواع الكمالات من تناسب اعضائه
واعتدال قامته وحسن طلعته ونباهته وفصاحته وحسن هديه ودله وسمته وسكينته
ووقاره مع بشاشة وجهه وطلاقته وغيره مما اورده رواة شمائله عن ابن ابي هالة وغيره
ويأتي في هذا ما مر من التشبيه في قوله بصرف وجوه الاحكام الجميلة الحسنة البالغة في الحسن
الحميدة فعيلة بمعنى مفعوله اي محموده الكريمة الشريفة المرضية مما يذهب اليه من افعال
عميمة البر واقوال كثيرة النفع وتاييده اي اعانته بالمعجزات جمع معجزة من خوارق
العادات مقرونة بالتحدي مع عدم المعارضة مما يصدق الله به انبياءه في دعوى النبوة
سميت معجزة لاعجازها عن الاتيان بمثلها وتسمى ايضا اية اي علامة دالة على تصديق الله لهم
الباهرة اي الغالبة من بهر القمر اضاء حتى غلب ضوءه ضوء الكواكب هذا وما ذكر سابقا ولاحقا
وان اذن بتكرار يحسن لكونه مقام مدح يذم فيه الايجاز ويحمد الاطناب سيما في خطاب
الاحبة ومن ثم قال موسى جوابا لقوله وما تلك بيمينك قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش
بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى وكان يكفيه ان يقول عصاي قراءة نصب بنزع الخافض او
تمييز او حالا اي حدثنا بقراءة او من جهة قراءة او حال قراءة مني عليه لا بقراءته ولا قراءة غيره
ولا اجازة وهذا على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبأنا فرقا كالبخاري وقيدها بكونه
منه عليه اخراجا لما ذكر ويسمى احترازا سابريا كما في تخرج بيضاء من غير سوء اتي مبني للمفعول
اي جاء جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل تضع
حافره عند منتهى طرفه سمي براقا للسرعة سيره لشدة يضع حافره عند منتهى طرفه او لشدة
صفائه او لكونه ابيض وعن المصنف لكونه ذا اللونين من قولهم شاة برقاء اذا كان في خلال
بياضها طاقات سواد وفي الاحتفال الان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه
كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى فاستصعب عليه اما لبعد عهده بالانبياء
لطول الفترة بينه وبين عيسى او لانه لم يذلل اذ لم يركبه احد قبله ويرده ما يلوح به قول
جبريل له ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه وفي رواية فوالله ما ركبك ملك مقرب
ولا نبي مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة
واني احب ان اكون في شفاعته فقال انت في شفاعتي ركوبه لو ان لم يكن لازما من نفسها
ركوب الافضل منه فيؤيده انه اتي بدابة هي اشبه الدواب بالبغل وهو البراق الذي
كانت الانبياء تركبه وفيه ثم اتيت المسجد الاقصى فاوثقته بالحلقة التي كانت الانبياء
توثقه وروى مغلطاي ان ابراهيم كان يزور هاجر كل يوم من الشام على البراق لشغفه
بها وقلة صبره عنها فارفض عرقا تمييز محول عن كونه فاعلا اي سال عرقه وجرى لما غشيه
من الهيبة والخشية ولا يخفى مناسبة ما اسنده هنا من طريق الترمذي للمقام لافصاحه
بالرمته عند الله كالرواية الثانية الباب الاول من القسم الاول في ثناء
الله عليه الثناء هنا باعتبار غايته فهو اما انعام بانواعه من تكريم وتشريف وتعظيم فيرجع
الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع الى صفات الذات والا فهو في الاصل اما بمعنى

الحمد

الحمد او الشكر او المدح او عام فيها ومورد ذلك كله الجوارح وهو في حقه محال فيكون مجازا مرسلا
لكون العلاقة غير المشابهة وفي اظهار عظيم قدره لديه اي عنده في اللوح المحفوظ لتعلم الملائكة
زيادة شرفه وتميزه على غيره اذ هي المرادة هنا فيلتزموا توقيره وتعظيمه اعلم خطاب لكل
من يتأتى توجيه الخطاب اليه ولم يرد به مخاطبا معينا ويجوز ان يكون اراد به من ساله
تاليف هذا الكتاب ان في كتاب الله العزيز اي المنيع الذي لا يتأتى ابطاله وتحريفه مع كثرة
شنعه وعدم نظيره ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى اي بذكره الجميل اي الحسن قالت
الخنساء ترثي اخاها صخرا ۞ اذا قبح البكاء على قتيل ۞ رايت بكاك الحسن الجميلا ۞
واسناد الافصاح الى الايات مجاز عقلي وعد محاسنه وتعظيم امره اي شانه وحاله
ذاتا وصفة وفعلا اذ قد جمع له علو الحال ونباهة الشان وتنويه اي رفعة قدره
يقال نوه باسمه اي رفع ذكره واعتمدنا على ما ظهر معناه منطوقه وعلى ما بان فحواه ولحنه
اي مفهومه مما يلوح خلال تركيبها يقال عرفت ذلك من فحوى كلامه وانه ليفهي ولحن
كلامه اي بميله وبزيله عن جهته الى تورية او تعريض ليفهمه مخاطبه دون غيره قال
تعالى ولتعرفنهم في لحن القول الفصل الاول اصله ان يوصل بين اذ هو لغة الحجز
وكثيرا ما يجري مجرى الابواب فيوصل بفي كما قال هنا فيما جاء في كتابه العزيز من ذلك اي
من الايات مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول بهذه الاية
لاشتمالها على ابلغ تعظيم واشرف تكريم لجمعه له فيها اسمين من اسمائه مع ما تضمنته من رافته
ورحمته بقومه وحرصه على ان يؤمنوا كلهم ولا يتخلف منهم احد بشهادة لعلك باخع
نفسك ان لا يكونوا مؤمنين من انفسكم اي من جنسكم ونسبكم عربي قرشي مثلكم عزيز
عليه ما عنتم اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه حذرا وقوعكم في العذاب
حريص عليكم ان تؤمنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الرؤوف لكونه
ابلغ اذ الرافة اشد الرحمة وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفا اي اشرفكم واجملكم عنصرا
هو ابن عباس وفاطمة وعائشة والضحاك وابو العالية وابن قسيط وفي المستدرك
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قراها كذلك وقراءة الجمهور بالضم قال اي المصنف
اعلم الله بفتح اوله ماضيا المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف
المفسرين من المواجهة بهذا الخطاب انه بعث ثاني مفعولي اعلم فيهم رسولا من انفسهم يعرفون
حليته ونعته في الكتابين ويتحققون مكانه بكرم نسب وشرف وكفرهم به انما كان
عنادا مع محبته لهم بايات ظاهرة ومعجزات باهرة شاهدة بانه رسول الله وكانوا يعلمون
صدقه اذ لم يتهموه بكذب قط ويعلمون امانته اذ كان يدعى قبل ارساله بالامين فلا يتهمونه
الفا اما سببية او فصيحة اي فبسبب انه منهم ومعرفتهم ذلك فيه او فاذا كان الامر
كما ذكر فجدير ان لا يتهمونه بالكذب في دعواه الرسالة ولا يتهمونه في ترك النصيحة لهم
فيما ينفعهم في دنياهم واخراهم لكونه منهم اذ هو انفى للتهمة وفيه تعريض ذم او توبيخ
لمن كذبه مع معرفته ذلك لقبح تكذيب من علم صدقه وامانته مع مشاهدتهم ما اتى
به من معجزات خارجة عن طوق البشر ففي كونه صلى الله عليه وسلم ممن لم يعجز عن الاتيان نقصا

مع اتيانه بها تحريض على تصديقه وحث على المسارعة الى اتباعه اذ ما ياتي به من هو
منهم مع عجزهم شاهد صدق بصحة دعواه لكن الحسد والانفة سلكا بهم اودية العناد
بشهادة قول ابي جهل للعباس اذا ذهبتم يا بني عبد المطلب بالنبوة والسدانة
والسقاية فما تبقى لسائر قريش هذا وظاهر صنيع المصنف ان المواجه به هم العرب
ويجوز ان يكون جميع الناس لان النوع الى النوع اميل ولما ياتي به اقبل فاذا اتاهم
بما يعجزهم عن معارضته علموا انه ليس مما يقدر عليه البشر فيؤمنوا ولو كان ملكا
لما علموا ذلك بل ربما اعتقد انه في وسعه ولما قدر احد منهم ان يسمع تبليغه
لضعف القوى البشرية عن سماعه بشهادة ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي امر
هلاكهم اذ بمجرد مشاهدة صورته تزهق ارواحهم ويزكيها ان رجلا سمع يوم
بدر ملكا يقول اقدم حيزوم فتفطرت كبده فكونه بشرا منهم ارفق بهم وانه
عطف على انه بعث وهو مؤذن بان بعثه لم يكن في العرب بمجرد كونه من انفسهم
بل مع كونه ما فيهم قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة
والمستثنى صفة قبيلة والاصل عدم دخول الواو عليها كما في وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون لكن لما شابهت الحال صورة دخلتها لتوكد لصوقها بموصوفها ويجوز
ان تكون حالا من قبيلة لكونها في حكم الموصوف كانه قال لم يكن في العرب قبيلة من القبايل
وفي نسخة وهو اي ما ذكر انه ليس فيهم قبيلة الا لها عليه ولادة او قرابة عند ابن عباس
معنى قوله الا المودة في القربى كما رواه البخاري عنه لم يكن بطن من قريش الا له فيهم
قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة والطبراني نحوه عنه وقال به كثير
من المفسرين اراد صلى الله عليه وسلم به استعطافهم ليكفوا شرهم واذاهم عنه حتى
يبلغهم وغيرهم ما ارسل به ثم نسخ باية الجهاد وكونه علة ثانية لنفي اتهامه بكذب
او غيره فهو معطوف على كونه منهم ومن اشرفهم نسبا وحسبا وارفعهم محلا وقدرا
وانفسهم محلا وكرما على قراءة الفتح من النفاسة بمعنى الاكرمية وهذه اي ما ذكر من
انه اشرف واكرم وافضل نهاية المدح واث اسم الاشارة باعتبار ما بعده ثم وصفه
بعد اي بعد مدحه بما ذكر باوصاف حميدة مبالغة من الحمد اي محمود بها كثيرا واثنى
عليه بمحامد جمع محمدة بمعنى الحمد كثيرة من اي بسبب ولاجل ما باخذه من شفقته ورقة
قلبه وحرصه على هدايتهم ورشدهم الى طريق النجاح ليفوزوا بالفلاح وحرصه على
اسلامهم اي انقيادهم واذعانهم لما جا به وشدة عطف على حرصه اي ومن شدة سعيه
في ازالة ما يعنتهم بضم اوله وسكون ثانيه مخففا من اعنته اي اوقعه في العنت
ويضرهم ويكسبهم التوبيخ والذم في دنياهم والنار ابده ويورثهم الخزي والنار في
اخراهم لكراهته ذلك لهم وعزته اي وشدة ما يعنتهم ومشقته عليه صلى الله عليه
وسلم حذرا منه عليهم من وقوعهم في مكروه يوذيهم ورافته ورحمته بمؤمنيهم اذ كانت
شفقته بهم الى ما لا بد لهم منه ولا يتحملها وهم قال بعضهم اعطاه ومثله اي مثل لقد جاكم
رسول من انفسكم مما جا في المدح والثنا لقد من الله على المومنين اي انعم على من امن به

وتخصيصهم مع عموم نعمه ببعثته لزيادة انتفاعهم بها اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من
نسبهم ففي كونه نعمة ممتنا بها عليهم من فخامة امره ورفعة قدره وعظم محله ما لا مزيد
عليه وقوله هو الذي بعث في الاميين من العرب وان كانت بعثته عامة لانه منهم واكثرهم
لا يكتبون ولا يقرؤن بشهادة حديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب قيل هي نسبة
الى الام اما بمعنى انهم على الحالة التي كانوا عليها في بطون امهاتهم او الى ام القرى مكة رسولا منهم
اي اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا لا يقرا ولا يكتب ويزكيهم من خبائث العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي الشريعة او معالم الدين والمنقول والمعقول
وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في امر
الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم
بارسال رسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم اي يحملكم
على ما تصيرون به ازكيا وروي عن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن ابي
عمر العدني في مسنده في قوله من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا اي شرفا وكرما مما يعد
من مفاخر الاباء ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها نكاح اي تزوج قال الكلبي كتبت للنبي صلى
الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان عليه الجاهلية بشهادة حديث
ابن عدي والطبراني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح وما ذكره الزبير بن بكار وغيره ان
ابن كنانة تزوج زوجة والده خزيمة بعد موته وهي برة بنت اد بن طابخة فولدت له النضر
فمردود بما ذكره الجاحظ من ان النضر ليس منها بل من بنت اختها برة بنت مرة بن اد ومن ثم اشتبه
ذلك على الناس وعلى تقدير صحته فقد كان ذلك مباحا قبل الاسلام بشهادة الا ما قد سلف
هذا وان التاريخ قاض باستحالة ان يكون بينهما خمس مائة ام اذ بينه صلى الله عليه وسلم وبين
عدنان احد وعشرون ابا اجماعا وبين عدنان وادم عند ابن اسحاق وغيره ستة وعشرون ابا فيكون
بينه صلى الله عليه وسلم وبين ادم سبعة واربعون ابا بسبع واربعين اما فبين هذا وما ذكره
الكلبي تفاوت كثير الا ان يكون قد اعد امهاته وامهات اعمامه او امهات اعمام ابائه الى ادم
وعن ابن عباس في قوله وتقلبك قال كما رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم في دلائله بسند
صحيح من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا اي في الجملة اذ ظاهر هذا انه لم يعتبر من تخلل ابائه
من الانبيا ممن لم يكن نبيا كمن شيث الى نوح الى هود الى ابراهيم والا فاكثرهم من ادم الى
اسمعيل الله لم يكن نبيا وروي عنه ان المراد بالساجدين المصلون اي الذي يراك حين تقوم
الى تهجدك وحدك وحين تقلبك فيهم اذا اممتهم اي تصرفك فيهم بالركوع والسجود والقيام
والقعود ولعله فسر الاية بهما او تردد كنه في تصفح احوال المتهجدين اذ قد ورد انه صلى
الله عليه وسلم لما نسخ فرض قيام الليل طاف ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على
كثرة عباداتهم فوجدها كبيوت النحل لما سمعه من ذكر الله وتلاوة كتابه او تقلب بصرك
فيمن خلفك من المصلين بشهادة اترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي سجودكم ولا ركوعكم
اني لاراكم من وراء ظهري وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر علم الله عجز خلقه عن معرفته
ما طلب منهم من طاعته فعلا وتركا اذ ما خلق الانس والجن الا ليعبدون فعرفهم عجزهم عن معرفته

بدون رسول بينهم ذلك لكي يعلموا انهم لا يناولون الصفو اي الخالص من خدمته الا بارسال رسول يرشدهم اليه فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم بشرا مثلهم في الصورة البشرية ويفارقهم بما اوتيه من الصفات الملكية بشهادة حديث الوصال اني لست كهيئتكم البسه الله من نعمته اي من صفته الرافة والرحمة اي خلقهما فيه فصار رؤفا رحيما شبه اولا الباسهما اياه بخلقهما فيه وادخاله في جنسه ثم اشتق الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا مشبها النعت باعتبار غايته بثوب استعارة مكنية مثبتا له اللبس تخييلا واخرجه صلى الله عليه وسلم الى الخلق سفيرا اي رسولا صادقا وجمعه سفرا ككفرة وفقها وجعل طاعته صلى الله عليه وسلم طاعته اي مثلها في وجوب انقيادهم واذعانهم له امتثالا وجعل موافقته صلى الله عليه وسلم في جميع احواله واقواله امرا ونهيا ونحوهما موافقته فلا يجوز مخالفته في شيء منها فليحذر الذين يخالفون عن امره ومثل ما ذكر من التركيب خليق باطلاق اسم التشبيه عليه نظرا الى ان المشبه به معرفة يحسن دخول اداته عليه والى الظاهر جعل المشبه نفس المشبه به وفردا من افراد حقيقته يصلح له لفظه كما يصلح لافراده لفظ حقيقته وليس استعارة لانها مبنية على طي ذكر احد طرفيه ومن ثم تراهم يتناسون التشبيه فاذا طوي ذكر احدهما امكن تناسيه وقد يتناسى مع ذكرهما كما في قوله

هي الشمس مسكنها في السما فعز الفواد عزا جميلا • فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع عليك
حيث استعار الصعود للعلو الرتبي وبنى عليه ما بني على العلو المكاني من الحاجة الى السما فليس المراد بطي ذكر احدهما ان يكون الكلام خلوا عنه بل ان لا يذكر مع الاخر بطريق ينبي عن التشبيه ومن ثم اطلقوا على ان القمر في لا تعجبوا من بلا غلالته • قد زر ازراره على القمر فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه مبلغ والله هو الامر فكانت طاعته في اوامره ونواهيه طاعة الله روي انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله ومن عصاني فقد عصى الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى فنزلت وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اطلاقا لاسم الحال على محله مبالغة في كونه ذا الرحمة الذي هو سبب لاسعادهم واصلاح معاشهم ومعادهم وللكافرين امن من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال والعالمين جمع عالم جمع يشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وبالياء والنون تغليبا لعقلائهم والعالم مشتق من العلم وهو اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به غلب في كل جنس يعلم به الخالق اي يستدل به عليه اذ هو لامكانه وافتقاره الى موجد واجب لذاته يدل على وجوده يقال عالم الانس وعالم الملك وعالم الجن وكذا عالم الحيوان وعالم الافلاك وعالم النبات وقيل هو اسم لذوي العلم من انس وملائكة وجن وليس لمجموع ما سوى الله بحيث لا يكون له افراد بل اجزا فيمتنع جمعه وسابقا اي يجعله لها احزا متقدما حتى ترد عليه ومثله حديث انا فرطكم على الحوض لكن الفرط في الاصل هو الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الارسان والدلاء ويملا الحياض ويستقي لهم وقال ابو الليث امام الهدى السمرقندي

بسكون

بسكون الرا الحنفي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب عنه حتى يموت قال ابن عباس فيما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيرهما والطبراني والبيهقي في دلائله هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء اشارة الى موجود في الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون قال اي جبريل نعم كنت اخشى العاقبة اي سوء خاتمتها فامنت لثناء الله علي بقوله ذي قوة اي صاحب قوة شديد كما في علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه هو جبريل فقد ورد انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين عند ذي العرش مكين اي عند الله ذي مكانة مطاع في الملائكة تطيعه ثم امين على الوحي وهذا المحكي لم اعرف من رواه وروي عن جعفر بن محمد في قوله فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم اي فبسببك يا محمد انما وقعت سلامة اصحاب اليمين من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم اي اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر ومن على هذا زايدة ويجوز ان تكون بمعنى لام التعليل اي بسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من اجل اكرام الله اياك وما قاله تكلف بعيد ومعنى الاية فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي يقال له سلام لك اي مسلم لك انك منهم او يا محمد انك لا ترى فيهم الا ما تحب من سلامتهم من العذاب او ان من كان منهم يقول يوم القيمة سلام عليكم وقال تعالى الله نور السموات والارض اي منورهما وقرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وبما افاض عليهما من الانوار او بالملايكة والانبيا اذ النور في الاصل كيفية يدركها الباصرة وبواسطتها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما يستحيل اطلاقه عليه تعالى الا بتقدير مضاف او بكونه مجازا مرسلا من اطلاق اسم المسبب على سببه المفيض له على الباصرة لتدرك به غيره قال كعب الاحبار وسعيد بن جبير المراد بالنور الثاني هنا اي في هذه الاية من قوله مثل نوره محمد صلى الله عليه وسلم فضميره لله تعالى اي مثل محمد وقوله مثل نوره اي نور محمد ان كان قوله فهو مناقض لما قبله الا ان يقال الاضافة بيانية اي مثل محمد الذي هو نور وهو بعيد او لغيره فلا تناقض وقال سهل بن عبد الله التستري لابن عباس المعنى الله هادي السموات والارض فهم بنوره يهتدون واضا فيه الهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى اضاءتا به اولاشتما على انوار حسية وعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى ما يتعلق بهما وعلى مدلولهما ثم قال مثل نور محمد اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة اذ كان مستودعا في الاصلاب يختار له الامهات والاباء اذ قد جمع الله له شرف الذات بتحليتها بجميع صفات الكمال وشرف النسب فلم يكن من ابائه من ادم وحوا الى عبد الله وامنه الا من هو مختار بشهادة حديث لما خلق الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ومن ثم قال عمه العباس

مزاجها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء وفي نور الهدى والرشاد نخترق وخندف ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة امراة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فنوره صلى الله عليه وسلم في كل صلب انتقل اليه **كمشكاة صفتها كذا** اي كصفة كوة غير نافذة موصوفه بكونها **فيها مصباح** اي سراج ضخم ثاقب كانه ينقب الجو بضوئه امتلات منه **واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره كانه** اي صدره **كوكب دري** اي مضيء يتلالا نورا **لما فيه من الايمان والحكمة** التي هي كمال العلم واتقان العمل **توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم** اذ هو اصل النبوة صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا مثل قلبه المشبه بالمصباح في صدره المشبه بالزجاجة متوقدا من نور ابراهيم كانه كوكب دري يتلالا كالزهرة في صفائه كنور مشكاة فيها مصباح في قنديل من زجاج صاف كانه كوكب مشرق لصفائه **وضرب المثل بالشجرة المباركة** لجعل ابراهيم لكونه معدن عوارف الخيرات والمنافع ومقتبس شرايف انوار الشرايع الذين هم الانبياء اذ غالبهم من ذريته شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفع زيتونها اذ هو فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف نفعه كثير فايض على كل احد **وقوله يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم** المقتبسة من شجرة النبوة **تبين للناس** لما ظهر لهم من العلامات الشاهدة بها **قبل كلامه** ودعواه الرسالة **لهذا الزيت** وهذا تاويل حسن لولا ما فيه من التكلف ونبوه عن ظاهر الاية فان معناها **مثل نوره** اي صفته العجيبة الشان في اضاءته واضافته الى ضميره تعالى شاهد صدق بان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره **كمشكاة** اي كصفة مشكاة **فيها مصباح** ثاقب نوره **المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد** ذلك المصباح **من شجرة مباركة زيتونة** اي ابتدا ثقوبه من شجر الزيتون المتكاثر نفعه تروى ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشانها **لا شرقية ولا غربية** تقع عليها الشمس وقتا بعد وقت بل بحيث تقع عليها جميع النهار بان تكون مرتفعة او بصحرا فان زيتونها يكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهي الشام اذ زيتونها اجود الزيتون ولا في مقناة تغيب عنها دايما فيترك زيتونها نيا ولا في مضحاة تشرق عليها دايما وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحاة **يكاد زيتها يضيء** بنفسه **ولو لم تمسسه نار** لشدة تلالؤه وفرط بريقه **نور على نور** اي هذا النور الذي شبه به الحق متضاعف تناصر في تضاعفه زيادة صفاء الزيت وزهرة القنديل في انارة نور المصباح وضبط المشكاة لاشعته حتى لم يبق مما هو اعون على تقويته شي **يهدي الله لنوره** الثاقب المشبه بالحق اي يوفق لاصابة الحق **من يشا** بالهام او بنظر في الدليل **ويضرب الله الامثال للناس** تقريبا لافهامهم ليعتبروا فيومنوا **والله بكل شي** محسوسا او معقولا ظاهرا او خفيا **عليم** فيبين كل شي مما يمكن ان يعلم به ويبقى فيها احتمالات بعيدة اكتفوا فيها بادنى مناسبة اعرضنا عنها **وقد سماه** صلى الله عليه وسلم **الله تعالى نورا وسراجا منيرا فقال**

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لوضوح اعجازه وكشفه ظلمات الشك والشرك وابانته ما خفي علينا لجعله صلى الله عليه وسلم نورا مشبها له بجامع ان كلا يهتدى به وان كان صلى الله عليه وسلم اقوى هداية واكثر نورا ونفعا استعارة تحقيقية قرينتها الهداية اما ترشيحا او تجريدا او هو اولى لان هدايته صلى الله عليه وسلم اقوى هذا ان كان الضمير في يهدي به الله له صلى الله عليه وسلم اما ان كان للقران وهو الظاهر فهو المشبه بالنور وعطفه تفسيري اي قد جاءكم نور هو كتاب مبين فيجوز ان يكون استعارة تحقيقية مجردة لاقترانه بكونه يهدي به الله من اتبع منهم رضوانه اي رضاه بالايمان اذ لا يحسن دخول اداة التشبيه عليه وان يكون تشبيها بليغا **وقال يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا** وما بعده احوال مقدرة وردت مخبرة بحيازته جميع جهات الشرف والمدح اي مقدرا ان تشهد على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم **ومبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين وداعيا الى الله** اي الى دينه وما يجب الايمان به من توحيده وصفاته **باذنه** اي بتيسيره وقيد الدعوة به تلويحا بصعوبتها لا تسهل الا بمعونة من جناب قدسه **وسراجا منيرا** وهاجا اوضح بانارته الحق سبل الحجاج فرايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فتشبيهه بالسراج استعارة تحقيقية رشحها بمرادف المشبه به بصيغة مبالغة تلويحا بقوة انارته وتقويه ظلمات الضلال بضوئه **ومن هذا** اي من ما جاء في المدح والثناء كونه نورا وسراجا منيرا بجامع كشف ظلمات العماية عن نور بصيرته **قوله تعالى الم نشرح لك صدرك** استفهام افاد انكار نفي الشرح مبالغة في اثباته اذ انكار النفي نفي له ونفي النفي اثبات اي شرحناه لك ومن ثم عطف عليه ما بعده رعاية للمعنى ومعنى شرح وسع اي الم نوسعه بما اودعناه من الحكم وازلنا عنه ضيق العمى والجهالة او الم نوسعه حتى وسع مناجاة الحق ودعوى الخلق **قال ابن عباس** كما رواه ابن ابي حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر في تفسيرهما عن ابن عباس **شرحه بالاسلام** لانه امر حق ينفسح له وييسر بمخالطة بشاشته اياه كمن بش اي تهلل وجهه فرحا وسرورا ان شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه **وقال سهل** هو ابن عبد الله التستري شرحه **بنور الرسالة** التي هي لوضوح تباشيرها وظهور دلالتها كالنور تشبيها مؤكدا باضافة المشبه به الى المشبه او المشبه به لكونها مشرقة الهداية بذي نور استعارة مكنية تخييلها بالنور **وقال الحسن** بن ابي الحسن البصري **ملاه حكما وعلما** وهذا وغيره مما ذكر سابقا ولاحقا كيفيات نفسانية واعراض لا تقوم بنفسها بل تحتاج الى محل يقوم بها فهي قايمة به صلى الله عليه وسلم متعلقة بمعلوماتها مشاهدها له دفعة واحدة دايما لا يغيب عنه منهما شي وهذا كما هو الغاية القصوى في الكمالات العلمية **وقيل معناه** اي معنى الم نشرح لك صدرك **الم نطهر قلبك** من قبول الوسوسة **حتى لا تقبل الوسواس** بشهادة حديث البخاري ان جبريل اخرج من قلبه صلى الله عليه وسلم علقة سودا وقال هذا حظ الشيطان منك **ووضعنا عنك وزرك** اي عباك الثقيل **الذي انقض ظهرك** من انقض الحمل ظهره اي اثقله واصله صوت الرحل من ثقل الحمل **قبل ما سلف من ذنبك** وما ثقل عليك من فرطاتك يعني ما سلف منه كان **قبل النبوة** مما ليس بذنب حقيقة كترك الافضل اذ الانبياء يعاتبون بمثله ومما رواه البخاري ان عمه العباس قال له وهو ينقل الحجارة لبناء الكعبة لو جعلت ثوبك على عاتقك يقيك الحجارة ففعل فخر مغشيا

عليه فما رئي بعد عريانا وقيل اراد اي الله تعالى به ثقل ايام الجاهلية بعدم علمه بالحكمة والاحكام
قبل الوحي بشهادة وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
اي قبله وهو دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن قبله متعبدا بشرع وقيل اراد ما اثقل
ظهره من الرسالة اذ قد تحمل بها من المشقة بما راى من ضلال قومه وعجزه عن ارشادهم
باصرارهم على الكفر عنادا وتجاوزهم في اذاته وتنكبهم عن الحق حين دعاهم اليه ما لا مزيد
عليه حتى بلغها حكاه ابو الحسن علي بن حبيب الماوردي الشافعي وابو عبد الرحمن السلمي
احد اعلام الصوفية وقيل عصمناك اي حفظناك من كل ما يوهمك فلم تخلفه فيك ولولا
ذلك اي حفظنا اياك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه ابو الليث السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن ادم وغيره رفعه بالنبوة واعظم بها رفعا له ان خاطبه بالالقاب
كيا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر النبي الامي وصلى عليه في ملائكته
وامرنا بالصلاة عليه مما افادنا عظم قدره عند ربه وقيل رفعه اذا ذكرت ذكرت معي
واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في قول لا اله الا الله محمد رسول الله ومن يطع الله
ورسوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل في الاذان والاقامة والتشهد وذكر لك فيهما وعنك
ابهاما قبل ايضاح افادة للمبالغة قال القاضي هذا اي ما افاده اذكار الشرح من اثبات الشرح
ووضع الوزر ورفع الذكر تقرير من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه اي
نعمه العظيمة حال كونها لديه واثبات منه تعالى له صلى الله عليه وسلم عليها لشهادة
المبالغة في اثبات ما انكر بالهمزة نفيه وما عطف عليه له صلى الله عليه وسلم ووضع
الظاهر موضع المضمر لشمول غير ما ذكر من النعم وصحة وصفها معه بالعظم هذا ويجوز
ان يريد بتقريره له حمله على الاقرار بما دخله النفي وهو الشرح مع غيره مما افاضه عليه
من جميل الكرم وجزيل النعم لا بالنفي اعني لم نشرح اذ التقرير لا يجب ان يكون بالحكم الذي دخله
الهمزة بل بما يعرفه المخاطب من ذلك الحكم اثباتا كما مر او نفيا كما في ا انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله فان الهمزة فيه لعيسى صلى الله عليه وسلم بما لا بانه قد قال ذلك والاول
اوجه وبتصره ما افاده قوله وعلى شريف منزلته من استعلائه
واستقراره وثباته صلى الله عليه وسلم على منزلته الشريفة عنده تعالى المشبه على طريقة
الاستعارة المكنية بمرتفع كريم عال حتى خيل لها بالاستعلاء المفاد بحرفه مقدرا وكرامته
عليه صلى الله عليه وسلم بان شرح قلبه للايمان اذعانا وانقيادا وقبولا للحق والهدى وهي هنا
من هداه بمعنى خلقها فيه اي لقبولهما ووسعه لوعي العلم بما يوحى اليه من الاحكام وبذاته تعالى
وصفاته وغير ذلك وحمل الحكمة بما وافق الحق ورفع عنه صلى الله عليه وسلم ثقل امور الجاهلية
من عبادة اصنام وعبيد وتعبد ووأد مما ليس بمرضي عند الله فلم يقترب منها شيا لعصمته
وبغضه اما مصدر مضاف الى فاعله مجرور بعطفه على وعي العلم اي وسعه لكراهته كبيرها
اي ما ابغضها فلم يلتفت اليها لاشتغاله بما حبب اليه من الخلا بتحنث بحراء اي بتعبد به قبل
وكان تعبده التفكر وما كانت عليه مما لا يليق بجنابه الشريف وقدره المنيف او فعل ماض
واللام بمعنى في اي كرهه فيها بظهور دينه اي منحه ذلك مع ظهوره فيه على الدين كله اي على

كل دين وحط عنه عهدة اعبا جمع عبا بكسر اوله اي ثقل الرسالة والنبوة لتبليغه مصدر
مضاف الى فاعله ولامه تعليلية متعلقة بحط اي ازال عنه ذلك ليسهل تبليغه للناس ما
نزل اليهم متلوا كان وغيره من امر ونهي ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وانزلنا
اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم والتبليغ هنا كالتبيين في الاية اعم من ان يكون نصا
على المقصود وارشادا الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل وتنويهه عطف على تقرير
يعني ان ما افادته الهمزة وما بعده شهود صدق بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره
يعني انه صلى الله عليه وسلم عند الله بمكان عظيم ورتبة جليلة وذكر رفيع وتكرير هذا وامثاله
تصريحا وتلويحا لكونه في مقام يحسن فيه الاطناب وقرانه مع اسمه اسمه عطف على تنويهه
من قرنته باخر اذا جعلته مصاحبه فاسمه تعالى مصاحب لاسمه صلى الله عليه وسلم كلما
ذكر قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة في مواطن كثيرة فليس خطيب ولا متشهد ولا
صاحب صلاة ولا غيرهم الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد
الخدري كما في صحيح ابن حبان ومسند ابي يعلى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال
ان ربي وربك يقول تدري مستفهم عنه حذفت همزته تخفيفا لكثرة وقوعها في الاستفهام
اي اتدري كيف رفعت اسمك اي على اي حال رفعته اذ كيف اسم مبهم يستفهم به عن الحال
قلت الله ورسوله اعلم اراد بالرسول هنا جبريل لانه ارسله الله اليه قال اي الله تعالى اذا
ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا معنى رفعنا لك ذكرك جعلت تمام الايمان بذكرك معي فلا يصح
ولا يعتد به شرعا ما لم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى
الله عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما في صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان
اشتراطه مع الطهارة انما هو لاجراء احكام الاسلام في الدنيا من عصمة دمه وماله ونكاحه
مسلمة والصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابرنا ونحو ذلك لشهادة انه صلى الله عليه وسلم
رتب فيما ورد عنه على التلفظ بهما الكف عن الدم والمال لا النجاة في الاخرة فمن امن بقلبه
ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله وكان تاركا للافضل وقال ابن عطا ايضا جعلتك
ذكرا من ذكري مبالغة في جعله بعضا منه من حيث انه لما كان في غالب مواطن الخير لا يذكر
الا مقرونا بذكره جعله كانه بعضه مبالغة في التشبيه ومن ثم قال فمن ذكرك ذكرني واعظم
برفع في غاية الجلال ونهاية الكمال قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني
بالربوبية من حيث ان الرسالة تستدعي ارسال رسول بمقتضى دليلي العقل والنقل بانه
ذو الربوبية واشار بعضهم كالماوردي بذلك الى الشفاعة يعني رفع الله ذكره صلى الله عليه
وسلم في الموقف بين الاشهاد باشتهاره بانه صاحب الشفاعة والمقام المحمود ومن ذكره صلى الله
عليه وسلم معه تعالى اي مع ذكر الله ان قرن طاعته صلى الله عليه وسلم بطاعته تعالى واسمه باسمه
الاعلى اي صاحب بينهما اذا القران كما مر المصاحبة فقال اطيعوا الله والرسول وامنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة بجهة جامعة هي شرط للعطف بها وهي هنا اتحاد
المسند وقد شرك بينهما هنا في الطاعة لهما والايمان بهما ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق
احد غيره صلى الله عليه وسلم اذ هو الحقيق بذلك لما منحه من عظيم قدر وشريف فخر

وكان ينبغي له اذا اراد ان هذا النظم لم يرد به التنزيل في حق غيره ان يعبر به بل لا يجوز وان
اراد جمعه لغيره معنى كقوله تعالى حكاية عن رسله فاتقوا الله واطيعون اذ معناه طاعتي
طاعته فمعارض بما ذكر وان اراد انه لم يرد فيه لغيره مثله فممنوع لشهادة من كان عدوا
لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ونحو ذلك وحديث
حذيفة اسنده المصنف هنا من طريق ابي داود ورواه ايضا النسائي وابن ابي شيبة
لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان نهي اكد بالنون الثقيلة مبالغة في تاكيد النهي عن
التشريك في الحكم بين الله وبين غير نبيه صلى الله عليه وسلم في مقام العطف المشركة هنا
بينهما بجهة اتحاد المسند اورده مؤيدا لما منعه من التشريك بينهما في غير حقه صلى الله عليه
وسلم ولكن يجوز له ان يقول ما شاء الله ثم شاء فلان لافادة ثم معنى محصلا غير التشريك
والجمعية هو التراخي وهو هنا المقصود بالذات دونهما هذا وتلك ان تقول ليس في الحديث
دلالة على ما زعمه من المنع لانه انما ورد مؤذنا بان مشيئة العبد لما كانت مرتبة على مشيئة
الله لا توجد الا بعدها فاذا شاءها الله له شاءها العبد نهاهم صلى الله عليه وسلم ادبا عن
العطف بواو الجمع دفعا لتوهم حصولها معا ومن ثم قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم
الى الادب في تقديم مشيئة الله على مشيئة سواه واختارها ان تكون في تقدمها مقترنة
بثم التي للنسق اي الترتيب والتراخي بخلاف الواو التي للاشتراك فانه يمتنع ايرادها عاطفة
فيما يصد ومرتبا ومثله اي الحديث المتقدم في النهي الحديث الاخر اذ هو في ذلك عن
التشريك بواو العطف في غير حقه صلى الله عليه وسلم وفي هذا عن الجمع بينهما في ضمير واحد
فيما رواه مسلم ان خطيبا قيل هو ثابت بن قيس بن شماس خطب عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما في وقف المصنف عليه اشعار
بخلاف هل وقف الخطيب عليه ام لا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت
ايضاح بعد ابهام قال ابو سليمان يعني الخطابي كره منه اي من الخطيب الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية اي لفظها اطلاقا للبعض على الكل اي بضميرها واراد بالكناية هنا اللغوية
لا البيانية التي هي ذكر لازم وارادة ملزومه مع جواز ارادة اللازم لما فيه اي في الجمع بينهما
من التسوية وذهب غيره اي غير الخطابي الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما والاول يتجه
فيجب قولهم ذلك مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وقوله للانصار فان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم وقوله في تشهد
في حديث ابي داود من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه
ولا يضر الله شيئا مما جمع صلى الله عليه وسلم فيه بين اسمه واسم ربه تعالى في ضمير واحد وفي
شهود صدق برد ما قالوا ومن ثم كان الصواب كما قال النووي ان سبب النهي ان الخطبة شانها
الايضاح لابتنائها على مواعظ وزواجر وتذكير بايام الله فلا يليق بها رمز وتعقيد ولهذا كانت
كراهته صلى الله عليه وسلم له كراهة ارشاد بتركه الاولى وقد اختلف المفسرون واصحاب
المعاني والبيان في قوله تعالى ان الله وملائكته الاكثر على النصب عطفا على اسم ان يصلون على

النبي هل جملة يصلون راجعة على الله والملائكة معا وخبر عنهم مشتركة بينهم في ضمير واحد
ام لا تكون كذلك بل راجعة الى الملائكة فقط لتغاير الصلاتين وخبر عنهم غير مشتركة
بينهم دالة على خبر الجلالة فاجازه اي اجاز رجوع جملة يصلون الى الله وملائكته بعضهم ولم ير في
التشريك بما تعالى احد ورفيه وبنهي الخطيب انما كان لتركه الاولى الذي هو كما مر شان الخطبة
من الايضاح واجتناب الرمز ومنعه اي منع رجوعها اليهم اخرون لعلة التشريك بينهم في ضمير
واحد وخصوا الضمير في يصلون بالملائكة وقدروا الاية هكذا ان الله يصلي والملائكة يصلون
فجعلوا خبر الثاني دليلا على خبر الاول كما في نحن بما وانت بما عندك راض والراي مختلف ولم يجعلوا
يصلون خبرا عن الاول مع كونه اقيس من حيث جعل السابق قرينة للاحقه كما في فاني وقيار بها
لصرف الواو اياهم عن ذلك لصراحتها في الجمعية وقراءة ابن عباس رويت عن ابي عمرو وملائكته
بالرفع اما عطفا على محل اسم ان او مبتدا خبره محذوف وهو مذهب البصريين وعورض بقولهم
اذا اختلف مدلولا خبرين فلا يجوز حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وان كان لفظهما واحدا وقد
روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ولم ادر من رواه من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته
تقدم معناه وقد قال الله الظاهر انه ليس من قول عمر وعطفه عليه لقربه منه معنى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله المحبة ميل نفسي الى ما فيه كمال ~~محلها على ما فيه كمال محلها على حاملها~~
اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل كمال في نفسه او غيره انما هو من الله وبه
واليه لم يكن حبه الا له وفيه وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله ولكونها
بالارادات اشبه منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى
لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم في الدنيا وحسن ثوابهم في الاخرة وعبر عنها بالمحبة على طريقة
الاستعارة التحقيقية فاستعير اسمها لها او المشاكلة لوقوعها في صحبة محبتهم وروي عن جماعة
كابن المنذر عن مجاهد وقتادة انه لما نزلت هذه الاية قل ان كنتم تحبون الله قالوا اي عبد الله بن
ابي وشيعته ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا اي رحمة وعطفا والمراد بهم على وجه الانكار استهزاء
يريد ان نتخذه منسكا اي متعبدا نعبده ونتمسح ونتبرك به ونتقرب به الى الله تعالى
قال ابن الاثير ومنه قول ورقة وقد مر ببلال وهو يعذب في الله والله ان قتلتموه لاتخذنه
حنانا اي اتخذ قبره منسكا اعظمه كما اتخذت النصارى عيسى حنانا اذ قد افضى بهم تعاليهم فيه
الى ان اعتقدوا انه ابن الله بل اعتقدوا اكثر من ذلك جهلا وكفرا وقد ذكرناه في شرح كتابنا
مقاصد المقاصد فانزل الله قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته تعظيما لقدره ورغما
بفتح الراء وسكون المعجمة اي غيظا لهم من ارغم الله انفه الصقه بالرغام وفي حديث عايشة في
الخضاب اسلتيه وارغميه من سلتت المراة خضابها عن يدها اي القت عنها العضم اي بقيته
وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب وفاتحته فهو فاضافته اليه سيما
المجموع الشخصي المفتتح بالتحميد المختتم اذ فاتحة كل شيء اوله بالاستعاذة بمعنى اللام دون من
كما في خاتم حديد مما هو مفهوم كلي يصدق على بعضه انما كانت امه لاشتمالها على كليات معانيه
من ثنا على الله وتعبد بالامر في اياك نعبد اي في جميع ما امرتنا به وبالنهي في اياك نستعين
اي في اجتناب كل ما نهيتنا عنه ووعد في انعمت ووعيد في غير المغضوب وانما كانت الثلاثة

اصول مقاصده لان الغرض الاصلي منه الارشاد الى المعارف الالهية ومعرفة المبدا والمعاد
ليشتغلوا بما ينتفعون به فيه فلابد لذلك الاشتغال من باعث هو الوعد ولذلك الاجتناب
من زاجر هو الوعيد ولا يرد ان كثيرا من السور كذلك لانها فاتحته وسابقة السور فقد
قصر مضمونها على ما ذكر مرتبا على وجه اجمالي اذ اولها ثنا واوسطها تعبد واخرها وعد ووعيد
ثم فصل ذلك في سائر السور فالحق بها ان تسمى ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية هو ابو رفيع بن مهران الرياحي براء ثم ياء من تحت البصري
او زيادة الراء ثم الرا مشددة البصري والحسن بن ابي الحسن البصري الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه بشهادة حديث خير القرون
قرني اي اهل زمانه وحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فكلهم خيار فالاضافة
بيانية ورد كاشفة عن اوصافهم الحسنة لا للاحتراز اي واهل بيته واصحابه الخيار
لخيارتهم جامع ط المكارم وشرايف المكارم حكاه عنهما اي عن ابي العالية والحسن
ابو الحسن الماوردي الشافعي ورواه في المستدرك عن ابي العالية وصححه وحكى مكي عنهما
نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله اي مثل قول مكي رواية له عن ابي العالية في تفسير قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم انه رسول الله وصاحباه قال اي الليث فبلغ ذلك اي ما قاله ابو العالية
الحسن من عاصم فقال صدق والله ونصح فطابت الهداية على هذا الاجل ان يوسنوا به صلى الله
عليه وسلم اذ به الفوز في المبدا والمعاد كما ان الصراط في الاصل الجادة بسلوكه يحصل الفوز
بالمطلوب ومن ثم شبه صلى الله عليه وسلم به فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية لتحقق
معناها حسا وقرنت بما يلايم المستعار منه وهي الاستقامة ترشيحا وتناسيا للتشبيه
قصدا لحق البلاغة وابدل منه صراط الذين انعمت عليهم بدل كل توكيدا لما فيه من التكرار وتوضيحا
لما فيه من البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال نصا على ان طريق المومنين المنعم عليهم هو
الذي شهد له بالاستقامة على ابلغ وجه واكده وكان من البين الذي لا خفا فيه ان الطريق
المستقيم هو طريق المومنين وعن بعضهم في تفسير فقد استمسك اي تمسك بالعروة الوثقى انه
اي المشبه بها في الوثاقة هو محمد صلى الله عليه وسلم اذ من وثق به نجا ومن اتبعه اهتدى شبهه
صلى الله عليه وسلم بها من حيث انه مامون الانقطاع والثبات على دعوة الخلق الى الحق بعروة
وثيقة من حبل محكم مامون قطعه فاستعير له اسمها استعارة تحقيقية وذكر التمسك ترشيحا
للمجاز وشبه الثبات على الايمان به وعلى دينه الحق على با لتمسك بها بجامع الوثاقة وامن القطع
ثم اشتق منه استمسك فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية ولذلك على القول بانه
الاسلام الذي هو اذعان وقبول وانقياد لما علم مجيئه به من الدين ضرورة او شهادة التوحيد التي
بها النجاة في الدارين وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال اي سهل بن عبد الله التستري هي نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم بمعنى انعامه به علينا
اذ انعامه اصل النعم لضده ورهاعية فايضة علينا لا نحصي على كلها انواعها فضلا عن عد افرادها
تفصيلا وجعل النعمة هنا بمعنى الانعام لان وصفه تعالى به ابلغ منه بها لكونه من صفات

الافعال التي اسماؤه تعالى المشتقة منها قديمة من حيث رجوعها الى القدرة لا الفعل فالمنعم
مثلا من شانه الانعام الذي هو الصفة التي بها يكون الانعام هي هنا القدرة ولهذا مزيد بيان في
كتابنا مقاصد المقاصد وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اي جاء بالحق وامن به
هو ومن تبعه لشهادة اولئك هم المتقون اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق وصدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم اراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه ومن تبعه في ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة وقال غيرهم الذي صدق به هم
المومنون وقيل ابو بكر وقيل علي وذلك يقتضي اضمار الذي مع وجود صلته وهو لا يجوز
الفصل الثاني يا ايها النبي انا ارسلناك تقدم مع بيانه مع بيان ما لاجله ذكر من تسميته
بذلك وذكر هنا تلويحا بانه صلى الله عليه وسلم جمع الله له ضروبا اي اصنافا من رتب الاثرة
بضم اوله وكسره مع سكون ثانيه وبفتحهما من آثره بكذا خصه به ومنه استاثر الله بكذا اي
انفرد به وجمع له جملة من اوصاف المدحة بكسر اوله اي الثنا الحسن وهذا حديث اجمالي فصله بقوله
فجعله شاهدا على امته لنفسه اي وقت تحمل الشهادة او وقت ادائها اذ لا يكون شاهدا عليهم وقت
الارسال فهي على هذا حال مقدرة بابلاغهم مصدر مضاف الى مفعوله الاول اي بسبب بلاغه اياهم
الرسالة مفعوله الثاني وهي اي شهادته عليهم لنفسه من خصائصه لقبولها منه وقت ادايها
بدون طلب بينة بخلاف غيره من الانبيا اذا جحدت اممهم تبليغهم اياهم فيشهد والانفسهم به فان
الله يطالبهم بالبينة وهو اعلم فتشهد لهم به فتقول اممهم لنا بما عرفتم ذلك فنقول باخبار الله
لنا في كتابه فلينا ان الله نبينا عنا فيزكينا الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكفى بك حاكما بكون الاجماع حجة لان الله وصفنا فيها بالعدالة
والعدل هو الحقيق بالشهادة وقبولها فاذا شهد واجمعوا على شي وجب قبوله هذا ولا تغتر بقول
من رد قول المصنف وهي من خصائصه بان كل نبي يشهد على امته لنفسه تشبثا بقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وهم انبياهم غافلا عن طلب البينة منهم على ذلك دونه
ومبشرا لاهل طاعته بما يسرهم كالجنة ونذيرا لاهل معصيته بما يسوءهم كالنار وداعيا
الى الله باذنه لم يرد به حقيقة الاذن لفهمه من ارساله داعيا بل استعير للتسهيل والتيسير الا
اذ باذن المالك يسهل الدخول تلويحا بان الدعا الى توحيده وعبادته صعب لا يستطاع
اذا سهله الله ويسره وسراجا منيرا يجلى به ظلمات الشرك ويهتدي به للحق كما يجلى ظلام
الليل بسراج منير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج
نور الابصار وفي وصفه بالانارة اشعار بان من السراج ما لا انارة له لقلة زيته ودقة
فتيلته قال اي عطا ابن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي باليا قال النووي تبعا
للاكثر وقال ابن الصلاح اثبتها كثير في الوصل جريا على العادة والمشهور حذفها قال
وقد يشكل على من لم يتوغل في العربية وربما انكره ولا وجه لانكاره فانه لغة لاهل العرب
قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر انما يتعدى بعن اذا لم يكن بمعنى
العلم فيتعدى به هنا دون الباء نظرا للفظه قال اي عبد الله بن عمرو اجل حرف جواب
وتصديق كما قال ابن الحاجب للمخبر اي المتكلم بخبر كقام زيد وطلب كما هنا وجواب بهما اجل

والله قسم ورد مكذبا لليهود اذ زعموا انه صلى الله عليه وسلم ليس موصوفا في التورية ومؤذنا بجواز مثل هذا في الامر المهم انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة من الكاف او من الفاعل اي مقدرا او مقدرين شهادتك على من بعثت اليهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم ومبشرا ونذيرا وحرزا اي حفظا بمعنى حافظا الا ان الوصف بالمصدر ابلغ لافادته جعل نفس الذات هي الحفظ والحرز مبالغة في تشبيهه به وتناسيا له فصار حقا لبلاغة للاميين بمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الايه والامي من لا يحسن الكتابة نسبة الى الامة العرب اذ كانوا لا يحسنونها غالبا او الى الام كانه مثل ما ولدته امه وخصوا بكونه حرزا لهم مع كونه حرزا لمن تبعه ايضا تشريفا لهم انت عبدي ورسولي اضافة تشريف وكان صلى الله عليه وسلم احب اسمائه اليه عبد الله تواضعا وتذللا لاجمل رسول الله وانه لما قام عبد الله سميتك المتوكل اي على الله تعالى وكفى به مفوضا اليه اذ من توكل عليه كفاه ليس بفظ ولا غليظ التفات من الخطاب الى الغيبة تفننا في الكلام وتصرفا فيه بما يورثه حسنا وقبولا للاسماع ونشاطا للسامع وايقاظا للاصغا اليه اي ليس جافيا ولا قاسي القلب شديد القول ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا سخاب بسين مهمله وخاء معجمة مشدده مبالغة من السخب وهو رفع الصوت لغة في الصخب بالصاد اي ولا كثير رفعه بل ولا قليله اذ المراد نفيه مطلقا في الاسواق وفي غيرها وخصها بالذكر لانها محال كثرة اجتماع الناس فيها من عاكف وباد والدين لا يسلخهم الصوت عادة الا بقوة رفعه ولا يدفع بالسيئة منه السيئة الواصلة اليه من غيره ولكن يدفعها بالتي هي احسن فكان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم ويتجاوز عن الذنب ولا يواخذ به اذ كان بالحلم مشتملا بالبر متسما ولن يقبضه الله اي يميته حتى يقيم به الملة العوجا اي ملة ابراهيم المامور هو باتباعها في قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ووصفها بالعوج مع كونها مستقيمة لان العرب عوجتها بتغييرها اماملة عن الاستقامة متنافية في المعنى منحرفة عن الحق وهذه في المعاني كالعوج في الاعيان بان يقولوا لا اله الا الله اذ بها استقامة كل شي وهي منجى النجاة ومنبع الحسنات ويفتح به اعينا عميا واذانا صما المعنى فيهما على المجاز الذي علاقته المشابهة المجوز كونه استعارة او تمثيلا اذ لا عمى ولا صمم لكنهم لما لم ينظروا ويتبصروا ولم يستمعوا ويعوا جعلوا كانما عميت اعينهم عن اجتلاء ادلة الحق وصمت اذانهم عن استماعه ثم به صلى الله عليه وسلم من عليهم بفتحها كناية عن هدايتهم الى قبوله ولاينافي هذا قوله تعالى وما انت بهادي العمي بشهادة تقديم المسند اليه وايلائه حرف النفي بان الله هو المختص بخلق الهداية فيهم وهو صلى الله عليه وسلم انما يهديهم باذن الله وتيسيره ويكشف به قلوبا غلفا اي عنها غلافها كانها في مغطاة بها ولا يفقه حتى يمن بكشفها عنها فوجه كونه استعارة ان يشبه عدم اجتلاء اعينهم للايات وادلة الحق وعدم نفوذها في الاذان والقلوب بالعمى والصمم والجامع الاشتمال على انتفا القبول لمانع ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه واشتق من الفتح والكشف المجازيين صيغة المضارع فتكون الاستعارة في عميا وصما وغلفا اصليه وفي يفتح ويكشف تبعية ووجه كونه تمثيلا وهو ما يكون وجه الشبه فيه منتزعا من عدة امور ان

يشبه حال الاعين والاذان والقلوب حال الاشيا مخلوقة للانتفاع بجامع المنع منه بطرق العمى والصمم والغلف والاذان ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه والجامع عدم الانتفاع بما خلق للانتفاع لمانع عارض لازم له مع التكليف بالانتفاع فهو كما ترى امر عقلي مركب من عدة امور وذكر مثله كما في البخاري تعليقا عن عبد الله بن سلام واسنده الدارمي وذكر مثله ايضا عن كعب الاحبار فيما رواه الدارمي من طريق ابي واقد الليثي الصحابي عن ابن سلام وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق كما رواه ابن ابي حاتم في تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه ولا صخب الابلغ من صاحب اي ولا كثير الصخب في الاسواق ولا متزين بالفحش وهو في الاصل كل سوء جاوز الحد في الاقوال والاحوال والامور والافعال ونفى تزينه به عنه مع كونه لا يراه زينة انما هو باعتبار كون اهله يرونه زينة وفخرا لشهادة لمن زين له سوء عمله فراه حسنا فزين الشيطان اعمالهم ولا قوال مبالغة من القول للخنا من عطف الخاص على العام اذ هو الفحش في القول وقد تفاحش وفحش بالضم فحشا اسدده لكل جميل اي اوفقه لكل حسن من القول والعمل يقال رجل مسدد اذا كان يعمل بالسداد اي الصواب والقصد واهب له كل خلق كريم صفة لكل ما يحمد ويرضى اي كل خلق محمود مرضي فيما يتعلق به من المنافع فهو صلى الله عليه وسلم عام النفع كثيره لشهادة دلالة كل على الاحاطة بجميع الاخلاق الكريمة وجمعها له لتخالق الناس كلا بخلق كريم يليق به واجعل السكينة اي الطمانينة والوقار لباسه شبهها بجامع كونها وصفا قائما به باللباس فهو تشبيه معقول بمحسوس واجعل البر اسم لكل فعل مرضي شعاره اي علامة كونه محمود السيرة مرضي السريرة واصل الشعار ما ولي الجسد من الثياب وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار وهو ما فوق الشعار من الثياب فشبهه بجامع كونه وصفا قائما به بالشعار كذلك واجعل التقوى ضميره اي سره فهي امر معنوي لا يعرف الا بظهور اثاره وقد زين باطنه صلى الله عليه وسلم به كما زين ظاهره بانواع المحاسن والحكمة علمية وعملية معقوله اي ما يعقله ليضع الامور بها في محالها على قانون الحق ويبلغها على منهاج الصدق وهو تحقيق العلم النافع واتقان العمل فالاولى هي العلم بالاشيا كما هي اي على الوجه الذي هي عليه في نفس الامر بقدر الطاقة البشرية وتسمى حكمة نظرية والثانية هي القيام بالامور على ما ينبغي على طريقة العدل وتسمى حكمة عملية وبهما كمال النفس بترقيها في مراتب قوتيها العاقلة والعاملة المبينة في كتابنا مقاصد المقاصد وشرحه وناهيك بكمال المؤيد من ربه بالحكمة المثبت بالعصمة واجعل الصدق والوفا طبيعته وقد طبع عليهما وجبل فكان فيهما بغاية لم يدع فيها شاو المستبق ولا مرقا المستنم واجعل العفو وهو عدم المواخذة بالذنب والمعروف وهو جماع مكارم الافعال خلقه المامور به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين اي عامل الناس بالعفو وامرهم بمحمود الافعال واغض عما يسوءك منهم وهذه اجمع اية لمكارم الاخلاق له ومن ثم استعظم خلقه في قوله انك لعلى خلق عظيم لفرط احتماله الممارضة من قومه ومخالفته ومن ثم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران اي ما فيه من مكارم الاخلاق فكان لا يواخذ بذنب ويقبل من المحسن ويعفو عن المسي ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه مما منحه من الاوصاف

الحمده ومكارم الاخلاق المجيده واجعل العدل سيرته اي طريقته ليؤتسى به اي يقتدى اذ هو المؤتسى
به اي المقتدى به قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي فيه خصلة حسنة من
حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه واجعل الحق شريعته ناسخة جميع الشرايع
والشريعة في الاصل طريق الماء شبه بها ما شرعه لنا من الدين وسنه لانه طريق الى ما هو
سبب للحياة الابدية وجعله الحق بطريق الحصر المفاد بتعريف الجزئين مع ان الشرايع
قبله كانت ايضا الحق لبقائه دائما لا يعتريه نسخ وابطال الى فناء الدنيا بخلاف شرايعهم
فقد عراها النسخ فابطلها وازال احكامها ورفعها واجعل الهدى امامه فهو لكونه
مهتديا به موردا له مشارع الحق بخلقه فيه كالامام له فيه يقتدى والى الصدق
يهتدى واجعل الاسلام ملته اي دينه قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام اي لا دين
مرضيا سوى الاسلام وهو التوحيد واجعل احمد اسمه علم منقول من اسم تفضيل مشتق من الحمد
تلويحا بانه احمد الناس لربه اهدي به بعد الضلالة فصله عما قبله لشبه انقطاع بينهما لان ذلك
مزايا مخصوصة به قاصرة عليه وهذه مزايا جارية على يديه الى غيره اي ادل به الخلق على الحق والملة
او الدين مع نصب الحجة وايضاح المحجة او اخلق فيهم الاهتداء الاتباع ذلك على لسانه لان الهدى
المضاف اليه تعالى يكون بمعنى الدلالة وبمعنى التوفيق وفي ابهام المحذوف من الفخامة ما لا يوجد
معه لا يوجد مع ايضاحه لانه اوقع في النفس باحتماله امورا جمة لتذهب النفس كل مذهب ممكن
وقد طابق بين الهدى والضلالة واعلم بهمزه مضمومة ولام مشددة به بعد الجهالة من اردت تعليمه
ممن النسم بها وارفع به بعد الخمالة بخا معجمة مفتوحة من اريد رفع قدره وظهور ذكره ممن هو خامل
النباهة ساقط الذكر واسمي به بعد النكرة اي اعرف به من هو في حكم النكرة غير معروف ولا مشهور
موصوف واكثر به بعد القلة بالدخول في الاسلام بتتابع الناس في دينه افواجا واغني به بعد العيلة
اي الفقر مما تفي عليه وعلى اصحابه من الغنايم واجمع به بعد الفرقة ممن كان في جاهليته ابيا الوداد
نابيا في قطيعته عن السداد كالاوس والخزرج اذ كانا لاب وام فتعاديا وطالت بينهما الحروب
الى ان اطفاها بالاسلام وقد قال لهم الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي فجمع شملهم والم شعثهم
واولف به بين قلوب مختلفة نافرا بعضهم عن بعض متدابرين لا يتالفون واولف به بين
اهوا متشتته في الاحوال متعاندة في الاقوال وامم متفرقه في الاديان فجعلهم امة واحدة
في دين واحد ولا يذهب عنك ان الحذف فيما ذكروا مما له لا تجد ذوق البلاغة الذي تجد معه
مع الذكر لما في الحذف من الفخامة تفقد معه واجعل امته خير امة اخرجت للناس بشهادة
كنتم خير امة اخرجت للناس اي وجدتم خير امة او كنتم في علم الله خير امة او كنتم في الامم
قبلكم مذكورين موصوفين بكونكم خير امة اخرجت للناس اي اظهرت وخيريتهم بخيرية
نبيهم وكماله وبما وصفوا به مما استونف مبينا كونهم خير امة من قوله تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهو متضمن للايمان بكل ما يجب الايمان به وانما اخر وكان
حقه ان يقدم لانه قصد بذكر كونهم امروا ونهوا ايمانا به واظهارا لدينه وكفاك هذه
الاية شاهدا لكون الاجماع حجة لحكمها بانهم امرون بكل معروف ناهون عن كل منكر لشهادة لام
الاستغراق وفي حديث اخر رواه الدارمي عن كعب موقوفا والطبراني وابو نعيم في دلايله

عن

عن ابن مسعود اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد اضافة
تشريف وتعظيم واحمد عطف بيان مثله اقسم بالله ابو حفص عمر المختار اصله مختير اعل بقلب
يايه الفا لانفتاح ما قبلها اي المصطفى مولده اي مكان ولادته بمكة ومهاجره اي مكان هجرته
بالمدينة او قال طيبة امته من حيث المجموع هم الحمادون اي الكثير والحمد لا غيرهم بشهادة
تعريف الجزئين اذ هو من طريق الحصر ومثله دينه الحق وقوله الصدق لله على كل حال من احوالهم
من قيام وقعود واضطجاع وفي سرا وضرا وهذا من الله غاية المدح لهذه الامة وقال تعالى
اورد هذه الايات تصديقا لفظا او معنى لما جاءت به هذه الاحاديث من كونه صلى الله عليه
وسلم مذكورا هو وامته في التورية اسما وصفة منها الذين من بني اسرايل يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اي كل من تبعه منهم وصفه
يامرهم خبر المبتدا اعني الذين يتبعون بالمعروف وينهاهم عن المنكر كعبادة الاصنام وقطيعة
الارحام ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم وكل ذي ظفر ويحرم عليهم الخبائث اي ما
خبث اكلا كالميتة والدم ولحم الخنزير او حكما كالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم كتعيين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع
النجاسة واحراق الغنايم وظهور الذنوب على ابواب فاعليها شبهت بالاغلال للزومها
لهم لزوم الغل للعنق والاصر في الاصل الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحراك لثقله
فالذين امنوا به وعزروه اي عظموه ومنعوه من عدوه اذ اصل العزر المنع ومنه التعزير
لانه يمنع من العود الى القبيح واتبعوا النور الذي انزل معه اي اتبعوا القران مع اتباع
النبي والعمل بسنته اولئك هم المفلحون اي الفائزون بالرحمة الابدية ومنها قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم كل رسول ارسل الى قومه خاصة ونبينا ارسل الى كافة الانس
والجن جميعا حال من الكاف وامره بتبليغ ما ذكر حتى لا يقوم لاحد عذر بعد ذلك الذي له
ملك السموات والارض صفة لله وان فصل بينهما بمتعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه
او مدح منصوبا او مرفوعا او مبتدا خبره لا اله الا هو وعلى الوجه الاول هو بيان للجملة
قبله اذ من ملك العالم كان هو الاله وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالهية اذ لا
يقدر على الاحيا والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
مما انزل عليه وعلى غيره من الرسل من كتبه ووحيه ولم يقل بالله وبي ملتفتا من التكلم الى الغيبة
لتجري هذه الصفات الامرة بالايمان به وبالاتباع له ولما في الالتفات من مزية البلاغة
وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله
وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتحاميا عن العصبية لنفسه واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجا الاهتدا اثرا له ولاتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يلتزم شرعه لم ينفك عن ربقة
الضلالة ومنها فبما رحمة اي فبرحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتاكيد وللدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله وهي ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك جواب لو اي لتفرقوا عنك فامتناعه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو
شان لو فالشرطية في الاية ينتج فيها استثنا نقيض التالي لزوم نقيض مقدمها اي لم ينفضوا

من حوله فلم يكن فظا غليظا فانتفا كونه فظا غليظا اللازم لانتفا الانفضاض ثابت المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف اذ هو ما قصد به اثبات مطلوب بابطال نقيضه

قال السمرقندي ذكرهم الله منته المؤذن بها قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وهي انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكنهم لم يتفرقوا فهو ليس بفظ بل جعله الله سمحا بفتح اوله وسكون ثانيه اي جوادا سهلا طلقا بسكون لامه اي متهلل الوجه منبسطه برا اي بارا محسنا لطيفا اي رفيقا بامته شفيقا في دعوته فاعف عنهم بعدم مواخذتهم بما فرط منهم مما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي امر الحرب او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت على ما اطمانت عليه نفسك بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الاصلح لك اذ لا يعلمه الا الله ان الله يحب المتوكلين فيهديهم الى الصلاح وينصرهم بالنجاح ومنها وكذلك اسم اشارة مجرور بكاف التشبيه واللام فيه كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الاية قبلها اي وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا وعدولا فهو وصف باسم ما هو بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض اذ هو في الاصل اسم لمكان يستوي اليه المساحة من كل جانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين افراط وتفريط كالشجاعة بين التهور والجبن والكرم بين الاسراف والبخل ثم اطلق على من اتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا علة للجعل اي لاجل ان تكونوا شهداء على الناس قبلكم وبعدكم ومعاصريكم ويكون الرسول عليكم شهيدا اي مزكيا لكم وجي بحرف الاستعلاء تلويحا بان الرسول كالرقيب والمهيمن على امته قال تعالى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شي شهيد وقدمت الصلة لاختصاصهم بتزكيته لهم روي ان الامم يوم يجحدون تبليغ انبيائهم فيطالب الله منهم بينة عليه مع علمه به اقامة للحجة على المنكرين فيوتى بامة محمد فيسال عن حالهم فيزكيهم وهذا غاية الشرف والكمال كما قال ابو الحسن القابسي ابان الله فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية اي فيها بشهادة قوله وفي قوله اي وابان فضله وفضلهم في الاية الاخرى هو سماكم وفي هذا اي سماكم الله في هذا القران المسلمين كما سماكم به من قبل في كتبه المتقدمة متعلق بسماكم ليكون الرسول شهيدا عليكم يوم القيمة انه بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ رسلهم اياهم وكذلك اي وكاباتته ذلك فيما ذكرنا بانه في قوله فكيف اسم مبهم غير متمكن يستفهم به عن حال الشي اي كيف حال هؤلاء الكفرة اذا جئنا من كل امة بشهيد هو نبيهم يشهد عليهم بقبيح عقايدهم واعمالهم وجئنا بك على هؤلاء على امتك شهيدا على من آمن منهم بايمانه وعلى من كفر بكفره وعلى من نافق بنفاقه وقوله وسطا اي كما مر عدولا خيارا ومعنى هذه الاية اي وكذلك جعلناكم على نحو ما ذكرنا وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم يوم القيامة اذا انكروا تبليغهم اياهم رسالة ربهم ويشهد لكم الرسول بالصدق تزكية لكم واكرم بفضيلة ذوها شهود للانبياء على اممهم عند ربهم ومزكيهم سيد ولد ادم ما اعظمها فقد قيل كما رواه البخاري وتقدم ان الله اذا سال الانبياء هل بلغتم اممكم ما ارسلتم به اليهم فيقولون نعم بلغتهم فتقول اممهم

ما جاءنا

ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على من خالفكم يتسكع في ظلمات الاوهام ويتلفع بشبهات الاسفاه والرسول صلى الله عليه وسلم حجة عليكم فيما اقترفتموه وقال تعالى مما الزمه به واثنى عليه وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق اي سابقة رحمة ومنزلة رفيعة ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم اذ لم ينالوه الا باتباعهم اياه عند ربهم وسميت قدما من حيث ان بها السبق كما سميت اليد نعمة من حيث ان بها العطاء وفي اضافته الى الصدق تلويح بزيادة فضل هو كونه من السوابق العظيمة هذا ومعنى ما ذكره المصنف من الاقوال عن من ذكر ان القدم الصدق فلهم عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم او وفاته فهو سابقة خير وشفيع صدق لعموم نفعه وعموم فضله كالغيث ان جئته وافاك ريقه وان رحلت عنه لج في الطلب

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة بقدم له نظاير والمراد ذكر فيه ما خوطب به صلى الله عليه وسلم من تنزيله على وجه الشفقة والرفق به والمبرة اي الاكرام والتوقير له واسناد الورود الى ما خوطب به مجاز عقلي وتشبيه الملاطفة والمبرة بشريعة الماء جامع الانتفاع استعارة مكنية واثبات الورود لها استعارة تخييلية من ذلك اي مما خوطب به على ذلك الوجه الحسن قوله تعالى عفا الله عنك عتاب على وجه الملاطفة والاكرام ورد كناية عن عدم مواخذته بالاذن لان العفو يراد لها لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو وبالمعاتبة عليه اي لاي شي اذنت للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك حين استاذنوك واعتلوا باكاذيبهم وهلا تانيت حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وكفى بهذا دليلا على جواز الاجتهاد للانبياء وانما عوتب لتركه الافضل ومثلهم يعاتب عليه اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وقال ابو محمد مكي هذا اي عفا الله عنك افتتاح كلام اي على طريقة مجاري العادات في مقام التعظيم والتبجيل في مخاطبة الكرام رفعا لشانهم توقيرا لهم وتكريما وان لم يكن ثم ذنب فهو بمنزلة اصلحك الله هل لا شرفتني بزيارتك لي وفي الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب ولا ذنب اذ قد يقع العتاب بلطف بدون ذنب استيناسا ورفعا للحشمة في الخطاب كما يقع بين الاحبة بملاطفة ومؤانسة استلافا واستجلابا للمودة وعن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب من جميع آفات القلوب خاشعا مخلصا لله لم اذنت لهم فبداه بالعفو عما لحقه من اذنه لهم من غير ان يامره الله به رفقا وشفقة وابقاء عليه قيل لم يفعل شيئا لم يؤمر به غير هذا واخذه فداء اسارى بدر ولو بداه بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه ويتصدع من هيبة هذا الكلام وعظمته وتاثير وقعه في القلوب لكن الله برحمته وشفقته ورافته اخبره مبتديا بالعفو حتى سكن قلبه وسلم من الدهش لنبيه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف عن غزوة تبوك حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وهذا اي ابتداؤه صلى الله عليه وسلم بالعفو من عظيم منزلته وكريم ما نزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب اي عقل سليم من شوائب الوهم ومن اكرامه اياه

وبره ما من جوامع الكلم لدلالة لفظها مع قلتها على معان كثيرة اي اكرمه وبره بانواع المكارم
والمبرات بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بحيث ينقطع في توجه النفس
الى معرفة غاية شي هي دون معرفة غايته نياط القلب فاعظم بغاية ينقطع في معرفة
غاية هي دون معرفتها عرق القلب المعلق به من الوتين فيموت صاحبه ونياط بكسر
اوله وتخفيف ثانيه اعل بقلب واوه يا لكسر ما قبلها ويقال مناط قال نفطويه بكسر
اوله افصح من فتحه وهو وامثاله عند النحاة بوا ومفتوحة كما قبلها ساكن ما بعدها
وبالفارسية واوه ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها ثم ها والتا خطاب وعليه
اهل الحديث بفاديا من وقوع وبه اخر الكلام ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك اي هو منزه من ان يعاتب او ينسب اليه ذنب
بل كان مخيرا بين اذنه لهم وعدمه اذ لم يتقدم له نهي فلما اذن اعلمه الله بما اضمروه
مما هو من دابهم ودينهم انه لو لم ياذن لهم لم يقعدوا النفاقهم وانه لا حرج عليه في
الاذن لهم فعفى هنا ليس بمعنى غفر بل بمعنى لم يلزمك ذنب كما في حديث عفى الله لكم عن
صدقة الخيل والرقيق اي لم نوجبها عليكم ولا يقول العفو لا يكون الا عن ذنب الا من لا يعرف
اساليب كلام تجنب المسلم المجاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعات وكفها عن الشهوات
الرائض قلبت واوه يا مناسبة لكسرها من رضت الدابة جعلتها طوع ارادتي بزمام
الشريعة خلقه بتدريبه وتمرينه بما شرعه الله لنا وبينه من الاحكام فانقاد باوامرها
وتكف عن نواهيها واراد بالزمام الاحكام الشرعية التي هي عبارة عن الشريعة فاستعار
اسمه لها استعارة تحقيقية بجامع ان كلا منهما يمنع من مجاوزة الحد ثم شبه الخلق بدابة
صعبة ريضت استعارة مكنية قرينتها تلك التحقيقية وهذا معتمد لقولهم ان قرينتها
تخييلية بالغالبية لشهادة الذين يقصون عمدا لله ان يتادب فاعل يجب باداب القران
مصدر بمعنى المفعول اي بما يتادب به منه في قوله وفعله ومعاطاته فيتسم بالعدل
والصدق ويتصف بالبر والحق ويأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين ويقول
للناس حسنا بما فيه تخلق وارشاد ويؤتي كل ذي فضل فضله اذ الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى اي وغيرهم وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ومحاوراته بمهملة جمع محاورة
اي مراجعة من حار اذا رجع فيذيب فيها الانصاف ويجتنب الاعتساف ولا يكن كمن قال
لاخيه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا مفتخرا بذلك متعززا به كافرا النعمة ربه موطنا
نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا في غفلته تاركا نظره في عاقبة امره ولعمري
ان اكثر الاغنيا وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة احوالهم انطق بذلك فهو عنصر بضم اوله وثالثه
وحوزوا فتحه اي القران اصل المعارف الحقيقية علميه وعمليه فهي لدلالته عليها وفهمها منه
كانها ركبت منه وفي وصفها بكونها حقيقية تنبيه على ان المقصود به بيان انها في نفس الامر
كذلك لا للاحتراز وروضة الاداب هي في الاصل ارض ذات مياه وازهار فهي اطيب بقعة
وازهرها شبهه بها بجامع الانتفاع بجموم منافع اداته الدينيه والدنيويه وعمومها ونوعها
خبرا عن المشبه بها خرج من باب الاستعارة الى باب التشبيه وليتامل عطف على يتادب امر

من التامل اي ولينظر مستدينا هذه الملاطفة العجيبة الكائنة في السؤال من رب الارباب
اي مالك الملوك متنبها لجهة كونها عجيبة وما هي الا انه تعالى غني بذاته عما سواه فاختصاصا
تعالى من شا بقربه سيما من صار بحيث كان قاب قوسين او ادنى امر عجيب يعجز عن ادراكه والى
ذلك اشار المصنف بقوله المنعم على الكل المستغني عن الجميع واطلق الانعام والاستغنا ليعم
كل انعام واستغنا فالعموم مستفاد من الاطلاق مع عدم قرينة التقييد وامتناع الترجيح
بلا مرجح اذ حذف المعمول يفيد التعميم كما في والله يدعوا الى دار السلام اي جميع عباده
ويتبين مجزوم عطفا على مدخول لام الامر اي يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه عطفا عليهما اشبهها
نسخة اخرى مرفوعة هي ويستنبط من اثاره عجيبة واسهنه وهنا بمعنى بحث ويستخرج ما فيه
اي في الملاطفة العجيبة من الفوايد بيان لما كنحو ما مر مما ان تامله اورثك مجهدا التعجب من
منعه تعالى به صلى الله عليه وسلم ولكون الملاطفة سببا دالا على الفوايد جعلها ظرفا لها
فكانها منبعها وليتامل اي يتبين في هذا المقام الشريف كيف ابتدا بالاكرام اللطيف قبل
العتب وانس بالعفو فذكره قبل ذكر الذنب ليانس ويطمئن على تقدير ان كان ثم ذنب
وقد قدمنا ان لا ذنب من حيث ان عفا الله عنك يقال عند ترك الاولى بل في مقام التعظيم
والتبجيل هذا مع مراعاته تعالى معه تقديم العفو وذكر الاذن المنبي عن علو الرتبة
ونفاذ التصرف وقوته وايراد الكلام في صورة الاستفهام وقال تعالى ولولا ان ثبتناك
اي تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم اي لقاربت ان تميل الى اتباعهم لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن تداركناك بعصمتنا عن الركون اليهم شيا اي ركونا قليلا وهذا حاكم على ابانة صلى
الله عليه وسلم لم يهم باجابتهم مع قوة الداعي اليها بان العصمة بتوفيق الله وحفظه قال بعض
المتكلمين عاتب الله الانبيا صلواته وسلامه عليهم عتاب رافة ورحمة لطفا بهم ورفقا بعد
الزلات مما ليس لها حقيقة لعصمتهم كما سياتي وقد اجبناك عنها في شرح كتابنا مقاصد المقام
وعاتب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه اي الذنب وليس هذا العتاب بل ايقاظ وتنبيه
له على انه تعالى ثبته بالعصمة ليكون بذلك اي بعتابه اشد انتباها عن الركون الى اتباعهم ويكون بذلك
اشد محافظة لشرايط المحبة من انقياده وادامه لطاعة ربه اذ المحب لمن يحب مطيع وهذه اي
عتابه قبل وقوع الذنب وانث اسم الاشارة باعتبار ما بعده هو غاية العناية منه تعالى به صلى الله
عليه وسلم ثم انظر امام كلام المصنف او من تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب
ايقاظا للمامور وحثا له على التامل كيف بدا بثباته وبما لوح به من سلامته قبل ذكر ما عابه عليه
من قرب ميله اليهم وخيف ان تركن اليه اي الى ما عابه عليه من القرب ففي اثنا عتبه براءته منه
فكانه لافادته اياها ظرف لها وفي طي تخويفه اي تخويفه المطوي فيما ذكر اذ لم يفهم منه صريحا
تامينه وكرامته فكانهما مجاز في باطنه مطويا بهما هذا وقد اعلمناك ان لا عتب ولا ذنب
بل بمجرد تنبيه بالعصمة حذرا من ركونه اليهم ورحمة له وشفقة عليه ومن ثم قال المصنف
ومثله اي مثل ولولا ان ثبتناك في الشفقة والرحمة تقوية وتسلية لحزنه قد نعلم انه هو ضمير
الشان ومعنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في ولكنه قد يهلك المال نائله ليحزنك الذي يقولون
كساحر كذاب فانهم لا يكذبونك في الحقيقة قال علي كما رواه الترمذي وصححه الحاكم قال ابو جهل

للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فنزلت وحديث جبريل اعني انهم يعلمون انك صادق هنا اورده بصيغة روي ولم اعرف من رواه ففي هذه الاية منزع بفتح ميمه وزايه مصدر ميمي بمعنى مفعول اي منتزع لطيف المأخذ مستعار من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة اي دقيق الادراك من تسليته صلى الله عليه وسلم بيان للمنزع ومن اللطافة مصدر بمعنى التلطف اي منزوع هو تسليته وتلطف له في القول بما ان قرر عنده ما اثلج صدره واطمأنت به نفسه انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له مؤكدا له بان والجملة الاسمية معترفون بصدقه قولا واعتقادا اذ قد ورد ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فقال والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع اي الله تعالى بهذا التقرير ارتماض نفسه براء ساكنة ثم مثناة فوق مكسورة وضاد معجمة مصدر ارتمض من الرمضا اي شدة الحر شبه بها ما اشتد عليه واقلقه من وهج باطنه بسمة الكذب اي بسبب وصفهم اياه به ثم جعل اي الله تعالى الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين كاذبين بشهادة البا فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم يجحدون باياته ويكذبونه فوضع المظهر موضع المضمر تلويحا بانهم ظلموا بجحدهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والبا لتضمن الجحد معنى التكذيب فحاشاه من الوصم اي نزهه الله من العيب وطوقهم بالمعاندة اي بسببها بتكذيب الايات متعلق بالمعاندة حقيقة الظلم ثاني مفعولي طوق جعل حقيقته لاتصافهم به وتماديهم فيه كالطوق في اعناقهم فاستعار اسمه لها مشبهة لها به استعارة مكنية مثبتا لها التطويق تخييلا لجحدهم مع علمهم به انما كان حسدا وعنادا اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها اي كذبوا لشهادة البا ن واستيقنتها باضمار قد بعد الواو وهي للحال اي جحدوا بالسنتهم مستيقنة بها انفسهم وضمايرهم ظلما واي ظلم افحش من ظلم من تيقن الايات من عند الله ثم سماها سحرا مبينا تكبرا وعلوا اي ترفعا عن الايمان ونصبا على العلة لجحد هذا ودعواه ان الجحد لا يكون الا ممن علم بعيد فقد يكون ممن جهل ثم عزاه ربه اي صبره وحمله عليه وانسه فانس واطمأن بما ذكره عمن قبله من الانبيا ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وهو مؤذن بان قوله فانهم لا يكذبونك ليس نفيا لتكذيبه بل هو كقولك وقد اهانوا غلامك لم يهينوك وانما اهانوني فصبروا اي حبسوا انفسهم على ما كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم فاصبر متأسيا بهم حتى اتاهم نصرنا فيه تلويح بوعد النصر لمن صبر ولا مبدل لكلمات الله اي مواعيده مثل قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وانا لننصر رسلنا ثم من قرا فانهم لا يكذبونك بالتخفيف وهو نافع والكسائي فمعناه لا يجدونك كاذبا من اكذبه اذا وجده كاذبا وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك بشبهة فضلا عن حجة ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد وهو الباقون فمعنى لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه التي خص بها دون غيره وبر الله به اي احسانه اليه او ارادته هو ان الله خاطب جميع انبيائه صلوات الله وسلامه عليهم باسمايهم كلا باسمه فقال

يا ادم

يا ادم انبئهم باسمائهم يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي يا يحيى خذ الكتاب بقوة يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وهذا شرف لهم مع ما خصوا به من شريف المناقب ولطيف المواهب ولم يخاطب هو صلى الله عليه وسلم الا بالقابه مما خص به في الندا ودل على مبالغة في تعظيمه ورفعة منزلته عند ربه مثل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا يا ايها المدثر قم فانذر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره اي قدره العظيم قال الله تعالى لعمرك مبتدا خبره محذوف اي لعمرك يا محمد قسمي انهم اي قوم لوط لفي سكرتهم الناشية عن تمادي ابتدعوها ومساوي ابتكروها المشبهة بما هم فيه من غفلة وشدة غلمة وغواية وعدم تمييز بين خطايهم وصواب ما اشير به عليهم الى البنات استعارة تحقيقية مقرونة بما يلايم المشبه به اعني العمه المفاد بقوله يعمهون ترشيحا للمجاز اي يتحيرون فكيف يصغون لقولك وينجع فيهم نصحك واضيفت اليهم تلويحا بخسة انفسهم ودناءة همتهم وملايمة طباعهم وخبث ضمايرهم وشبه تمكنهم منها باحاطتها بهم فيها ولزومها لهم بتمكن المظروف بظرفه واثبت لهم في الظرفية فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعية قال المصنف اتفق اهل التفسير في هذا اي في لعمرك انه قسم من الله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم تعظيما له اذ لم يقسم بحياة احد غيره وعن الطبري ان ضمير يعمهون لقريش والجملة بين الاخبار بقبايح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دابه لجدير ان لا ينفعه تاديب ولا يوثر فيه تانيب وتنفير للسامع عن هذه القبايح المورثة للفضايح ودعوى المصنف الاتفاق على ذلك دعوى بينتها غير مقبولة لقول جمع منهم انه قسم بمدة حياة لوط اي قالت الملايكة له ذلك لشهادة سوق قصته واصله اي لعمرك بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال بل هو بهما وخص القسم بالفتح تخفيفا لكثرة دوره على السنتهم ولامه للابتدا وقد يستعمل بدونه فينتصب نصب المصادر كما في عمرك الله كيف يجتمعان ومعناه كما رواه ابو الجوزا عن ابن عباس وبقايك يا محمد وقيل وعيشك رواه ابن ابي طلحة عنه ايضا وعزي الى الاخفش وقيل وحياتك وكلها بمعنى واحد وذكرها لاختلاف الفاظها وهذه انث اسم الاشارة نظرا الى ما بعده اي وقسمه تعالى بما ذكر نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف له صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في دلايله وابو نعيم وابو يعلى ما خلق الله وما ذرا من الذرا وهو الخلق وفي الحديث ذرا للنار اي انهم خلقوا لها ولا برا اي خلق وفي الحديث نعوذ بالذي يمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه من شر ما خلق وذرا وبرا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله بمعنى علمت اطلاقا للسبب على مسببه اذ السماع قد يفيد العلم اي ما علمته اقسم بحياة احد غيره واحد عام مفيد له كما قال ابو علي وغيره بحسب وضعه له لكونه كما في الصحاح اسما لمن يصلح ان يخاطب واصله وحد بمعنى الواحد ثم وضع له مستويا فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث فلستن كاحد من النسا مثلا ليس معناه كامرأة منهن بل معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النسا اي اذا استقصيت النسا جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة تساويكن في الفضل ان اتقيتن واستعماله اما مع كل او في كلام غير موجب كما هنا

اعتراض

وقال ابو الجوزا ما اقسم الله بحياة احد غير محمد لانه اكبر البرية عنده فعيلة بمعنى مفعوله
نقلت من الوصفية الى الاسمية فثبتت الهاء ثم هي اما اخذت من البري وهو التراب فلا همز
او من برا فالهمز والافصح تركه تخفيفا وقال تعالى يس الله اعلم بما اراد به وتسمى المعمة لانها
تعم صاحبها خيرا الدارين والدافعة لدفعها عنه كل سي والقاضية لقضا يها له جميع حاجاته
والقران الحكيم عطف على يس ان جعل مقسما به والا فواو للقسم واسند اليه الحكمة
اما بمعنى انه ذو ها ونا طقا وانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين
جواب القسم موكدا بان واللام واسمية الجملة ردا على من قال له لست مرسلا على صراط مستقيم
اي لمن الذين ارسلوا على الاستقامة في الامور والتوحيد وهو خبر بعد خبر او حال من المستكن
في المجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما هذا وقد
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه كما في دلايل ابي نعيم وتفسير
ابن مردويه من طريق ابي يحيى التيمي قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي
الطفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لي عند ربي عشرة اسما ذكر ان منها اسمين
طه ويس واياه عنى الشريف الحميري في شعره • يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة ∴
على المودة الا آل يسينا • اي لا آل محمد صلى الله عليه وسلم فهما اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر بن محمد انه اراد بقوله يس يا سيد مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فياؤه للندا وسينه لسيد اكتفا ببعض الكلمة لدلالتها على باقيها وقد كثر ذلك في كلام العرب
وعن سيبويه كان منهم من يقول لصاحبه الا تا اي الا تفعل فيقول بلى سا اي بلى سافعل
وانشد ابن جني • كانت منا ها بارض لا يبلغها • لصاحب الهم الا الناقة الاجد ∴
اراد منايا ها جمع منية والاجد القويه ولا يقال للبعير الاجد وقال علقمة بن عبدة
• كان ابريقهم ظبي على شرف • مقدم بسبا الكتان ملثوم • اراد بسبايب الكتان جمع سبيبة
اي سقة رقيقة منه وقال لبيد • درس المنا بمتالع فابان • فتقادمت في الحبس فالسوبان
اراد درس المنازل ومتالع وابان اسما جبلين والحبس اسم موضع وسيد اصله عند البصرية
سويد اعل بقلب واوه يا ثم ادغمت في اليا لاجتماعهما معها وسكون احداهما وعن ابن عباس
ايضا ان معنى يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم رواه ابن ابي حاتم وفي الكشاف
عن ابن عباس انها لغة طي فان صح فهو بمعنى يا انيسين فكثر النداء به فاقتصر على بعضه وعن
الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل انها لغة حبشية اي يا الانسان يس وقال اي ابن عباس كما
رواه ابن جرير هو قسم من اطلاق المصدر على المقسم به وهو اي يس اسم من اسما الله تعالى
رواه ابن ابي طلحة عنه ايضا وقال ابن الحنفية محمد بن علي بن ابي طالب امه من بني حنيفة
يس يا محمد رواه البيهقي في دلايله وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السما والارض
بالفي عام واستشكل بانه كلام الله وهو قديم لا يوصف بقبلية ولا بعدية وقد يجاب بان
المراد به ابرزه في ام الكتاب اي اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال اي الله والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان تقرر انه من اسمايه وصح
القول فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم اذ هو نهاية الشرف والتكريم وغاية البر

والتعظيم

والتعظيم ويؤكد فيه القسم جعل يس لكونه مقسما به ظرفا للقسم توسعا اي ويؤكد كونه قسما
عطفا القسم الاخر عليه وهو والقران الحكيم وان كان يعني يس بمعنى الندا اي المنادي فقد
جا قسم اخر ذكر بعده لتحقق رسالته وتكذيب من انكرها ولتحقق الشهادة بهدايته مصدر
مضاف اما الى الفاعل اي بهداية الله من ارسل اليهم اي دعوتهم الى الاسلام واياكان اي من
اسمايه او بمعنى الندا فقد اقسم تعالى باسمه على القول بانه من اسمايه وكتابه انه من
المرسلين بوحيه مصدر بمعنى الموحى اي هو مرسل الى عباده بما اوحى اليه على صراط
مستقيم من ايمانه اي هو من الثابتين على طريق ثابت لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق
اذ هي اوسط الشرايع واكرمها واعدلها واعظمها قال النقاش لم يقسم الله لاحد من انبيايه
باسم من اسمايه على الرسالة انها ثابتة بسبب انكارهم اياها قسما موكدا في كتابه الا له لشدة
انكارهم لها وفيه اي في تخصيصه بالقسم دون غيره من الانبيا من تعظيمه وتمجيده اي
تكريمه وتشريفه على تاويل من قال انه اي يس يا سيد ما فيه من مبالغة الوجازة اي فيه
ما سمعته ولا يعلم كنهه الا الله وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم اورده عاضدا
لقول من قال ان معناه يا سيد واكثر واياته بما في مسلم والترمذي انا سيد ولد ادم يوم القيمة
اشار والله اعلم الى ان جميع الخلايق يلجاون اليه ذلك اليوم وانه لا منازع له في سيادته وشرفه
كما لا منازع لله في ملكه فيه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وان نازعهما فيهما في الدنيا زعما
الكفرة تكبرا وعتوا كبيرا ويوخذ منه جواز التحدث بالنعمة حيث لا فخر ولا عجب وقد يقال
التحدث بها من خصايصه الواجبة عليه لوجوب تبليغه ما يجب ان يعتقده امته في حقه وقال
تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لانا فيه للقسم اي لا اقسم به اذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زايدة • وقد كثر ادخالها على فعل القسم توكيدا للقسم كما في
لئلا يعلم اهل الكتاب اي اقسم به وانت به يا محمد فعلا ماحكاه مكي من انها نافية الا اقسم به وانت
لست حالا بها بعد خروجك منه او لا اقسم به وانت به على عظيم حرمتك حل اي حلال تستحل
التعرض لك بالاذى والاخراج عما لا يستحل التعرض للصيد في غيره وعلى الثاني وهو كونها زايدة
اقسم به وانت به حل او حلال لك ما فعلت فيه وتريد ان تفعله فيه ساعة من نهار فهو وعد بما
احله له فيه يوم فتح مكة كقتل ابن خطل متعلقا باستار الكعبة ومقيس بن صبابة او امن من
دخل دار ابي سفيان فما فعله فيه يومه حل له على التفسيرين اي تفسيري كونها نافية وزايدة
وقد احلها له يومه بشهادة حديث ان مكة حرمها الله يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي
ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس
وقيل الالف زايدة لعدمها في الامام اي لا قسم وقرئ به واللام للابتدا دخلت على جملة من مبتدا
وخبر اي انا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة اللام فظهرت الالف وقال الواسطي في لا اقسم بهذا البلد
اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك اي بكونك باقامتك فيه حيا وببركتك ميتا
يعني المدينة اظهارا لمزيد فضله وتلويحا بان شرف المكان بشرف اهله وهو غريب ولعل قايله
ممن قال السورة مدنية والاول من قولي البلد اهي مكة ام المدينة اصح لان السورة مكية
لنزولها فيها وما بعده يصححه مبتدا وخبر اي والذي بعد القسم اعني وانت حل بهذا البلد

بصحح كونه مكة وليس بلازم لجواز ان يكون المراد بقوله وانت حل بها اي بالمدينة بعد
الهجرة ويجوز ان يريد بالاول القول الحاكم بان لا نافية للقسم وبما بعده اي بعد الاول
وهو الثاني الحاكم بانها زايدة يصحح قوله وانت حل بهذا البلد اذ في كونه خلابه اشعار
بثبوته مع كونه زايده ونحوه اي نحو القول الحاكم بان البلد مكة قول ابن عطا في تفسيره
وقوله تعالى وهذا البلد الامين اي المامون فيه او الامن من امن الرجل امانة فهو امين
يامن من دخله ومن ثم قال اي ابن عطا امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه اي وجوده
امان حيث كان ثم قال اي الله تعالى ووالد عطف على هذا البلد اي ولا اقسم بوالد هو ادم
او ابراهيم وما ولد من قال اراد ادم كمجاهد فهو عام في جميع ولده ومن قال هو ابراهيم
وما ولده لي اعتراض بين المبتدا وخبره للتبرك وانث الضمير باعتبار خبره وهو قوله
اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فهو المراد بقوله وما ولد فتتضمن السورة القسم به
صلى الله عليه وسلم في موضعين من حيث كونه ولدا لابراهيم وكونه والدا الشهادة ما في الكشاف
ونقله ابن الجوزي عن ابي عمران الجوني انه صلى الله عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبي
بقوله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد ونكره في الاية مبهما تعظيما لكماله واتى
ما على من لمعنى التعجب اي باي شيء اقسم اي بوالد عظيم حاز جهات الشرف والكمال وبمولود
عجيب الشان والحال وخص بكونه المشار اليه على القول بان الوالد ابراهيم ولانه المجاب به
دعوته حال بنائه البيت ان يبعثه من الامة المسلمة فيهم لشهادة قوله صلى الله عليه
وسلم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وقال تعالى الم ذلك الكتاب اشاره
الى الكم ان جعل طايفة من الحروف او اسما للسورة او للقران تنزيلا له منزلة المحسوس
لتعدد رحته ورفعة محله مبالغة في وصفه بنفي الريب عنه وكونه هدى او لانه لما تكلم
به وانقضى او وصل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد قال ابن
عباس فيما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم هذه الحروف اي في اوايل السور اقسام جمع قسم
بمعنى مقسم به اقسم الله بها فهي اما منصوبة بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه كما في
الله لافعلن اي التزمت اي الله اي اليمين به او مجرورة باضماره والفتح في موضع الجر فيما
لا ينصرف منها كص وق لانه علم للسورة وعنه اي ابن عباس ان معنى الم الله اعلم وعنه الالف
الا الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه الر وحم ون مجموعها الرحمن وعن غيره فيها اي عن
غير ابن عباس في معنى هذه الحروف قيل هي اسما الله الشهادة علي يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد
يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من
طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفه وهو اخرها فجمع بينهما تلويحا بان العبد ينبغي
ان يكون اول كلامه ووسطه واخره ذكر الله وقيل هي مما استاثر الله بعلمه وروي عن الخلفا
الاربعه وغيرهم ما يقرب منه قيل ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم
يرد بها افهام غيره اذ يبعد ان يخاطبه بما لا يفيد وقال سهل بن عبد الله التستري وروي
عن ابن عباس الالف هو الله واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا
القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران

قول ٧ وقيل اسماء للقران لشهادة الاخبار عنها به وبالكتاب ١٢

الذي لا ريب فيه من حيث انه لوضوح شانه وسطوع برهانه لا يرتاب عاقل بعد النظر الصحيح
في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا من حيث انه لا يرتاب فيه احد لكثرة المرتابين بشهادة وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه لم ينفه عنهم بل عرفه بما يزيله وهو
ان يبذلوا قواهم في معارضة سورة منه غاية جهدهم فاذا عجزوا تيقنوا ان لا شبهة فيه
ولا ريبة وعلى الوجه الاول الذي رواه ابن عباس يحتمل القسم ان هذا الكتاب يعني
القران كله على القول بان المقسم به اسمه هو لا ريب فيه لما اشتمل عليه مما يقضي بانه
مما يجب ان لا يرتاب فيه ثم فيه اي في القسم او الكتاب من فضيلة قرانه اسمه باسمه اما من
اضافة المصدر الى اسم الله او اسم نبيه نحو ما تقدم وقال ابن عطا في قوله تعالى ق
والقران المجيد اقسم اي الله تعالى بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم التي هو من حروفها
اكتفا به عنها وهي من حيث انه صلى الله عليه وسلم حمل الخطاب من ربه والمشاهدة له
ليلة الاسرا اذ قد راه وكلمه او من جبريل ومشاهدة تلك الاعباء الشاقة من امر ونهي
وغيرهما من ما هي مضادة للطبع منابذة للنفس تحملها وحملها امته ولم يؤثر ذلك فيه اي
لم يعتره بسببه جزع ولم يغشه هلع لعلو حاله وثبات جنانه وقوة يقينه كالليث في عرينه
وقيل هو اي ق اسم للقران وقيل هو اسم لله فينصرف عليهما لعقد تمام مانع صرفه ويجر باضمار
حرف القسم وقرئ بالجر والتنوين وقيل جبل محيط بالارض من زمرد خضر منها خضرة البحر
وقيل غير هذا كالقول بانه من بعض اسمائه تعالى كالقاهر والقادر والقريب او هو امر بالوقوف
عندا وامره او هو اعلام بقهر الكفرة او بانقضا امر رسالته صلى الله عليه وسلم او تنبيه على
قيام الموتى من قبورهم مما اكتفي به عن ذكر ما بقي والقران المجيد واوه للقسم ان جعل ق اسما
لحرف او ذكر للتحدي اي هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او للرمز بكلام كقف
يا محمد عند امرنا ونهينا ٦ واسما للسورة خبر مبتدا محذوف اي هذه ق اي هذه السورة التي
اعجزت البلغا او لفظ الامر واما للعطف حال ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه
ما في معنى ق من الدلالة على التحدي والامر اي انه لمعجز او الواجب العمل به والمجيد ذو المجد
والشرف على غيره من الكتب ٢ ولانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل باحكامه مجد وقال
جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال اي جعفر بن محمد والنجم
قلب محمد هوى انشرح اي اتسع وانفسح بما افيض عليه من الانوار العلمية والحكم النبوية فهو
الهداية ودونق التوفيق اقسم به مشبها بما منحه من اشراق نور الجلال ورونق الكمال بالنجم اي
الثريا او الزهرة او غيرهما من النجوم مرادا بالهوي الذي هو النزول للغرب او الانتثار يوم
القيامة الانشراح مشبها به فاستعير له اسمه ثم اشتق منه الشرح فوقعت الاستعارة
في المصدر اصالة وفي الفعل تبعية وقال اي جعفر بن محمد هوى انقطع صلى الله عليه وسلم عن غير الله
من الثقلين فكان معهم بظاهره لدعوتهم وتعليمهم احكام شريعته مشتغلا بالجناب الاعلى وتفسير
الهوى بالانشراح للحكم وبصرف في اللغة والمشهور عنه انه انما فسره هنا بالنزول ليلة الاسرا
وهو المناسب لاشتمالها ولهذه الاية مزيد بيان ياتي وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر
وليال عشر الفجر محمد فهو على هذا المقسم به والفجر بمعنى متفجر لما استعير له صلى الله عليه وسلم

غاية

ف

نتا

لتشبيه له به لان منه تنفجر الايمان المشبه بالماء على سبيل الاستعارة المكنية ثم خيل له بالتفجر
وهو تفسير غريب بعيد والذي قاله المفسرون انه الصبح او فرقه بشهادة والصبح اذا تنفس
او المشار اليه بقوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر او بصلاته
والليالي العشر عشر ذي الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاول من المحرم
او الاواخر من رمضان ونكرت لزيادة فضلها **الفصل الخامس في** ذكر ما ورد به القران
قسمه تعالى جده بفتح اوله مقتبس من قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا اي عظمته وجلاله
وفي الحديث كان الرجل منا اذا قرا البقرة وال عمران جد بدال مهملة في انفسنا اي عظم وجل
وعن انس والحسن غناؤه بشهادة حديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى منك
غناؤه وانما ينفعه ايمانه وطاعته مستعار من الجد الذي هو البخت ووصفه تعالى بالغني
المطلق عما لا يليق به لعظمته او لغناه **له** صلى الله عليه وسلم بما هو لايق بالغرض هنا **بتحقيق**
مكانته عنده ويظهر شرفه وبدا بسورة الضحى لما تضمنته من كريم خطابه له وعميم نعمه عليه
تشريفا له وتكريما **قال جل اسمه والضحى** اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله ضحاها او بوقته
حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى والقى السحرة فيه سجدا وان يحشر الناس
ضحى او بالنهار كله بشهادة ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا او مقابلة **والليل اذا سجى** اي ركد
ظلامه او سكن اهله من سجى البحر اي سكنت امواجه وقدم الليل في السورة قبلها لانه الاصل والنهار
هنا لشرفه وقوله **السورة** منصوب بفعل محذوف كاعني والسورة طايفة من القران مترجمة اقلها
ثلاث ايات ثم هي ان كانت واوها اصلية فمنقولة من سور المدينة لانها محيطة بطايفة منه
مفرزة محوذة على حدة او محتوية على انواع من العلم كاحتوا سور المدينة على ما فيها او من السورة
التي هي الرتبة لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري من سورة الى اخرى او لها مراتب
طولا وقصرا رفعة وشرفا وثوابا وان كانت مبدلة من همزة لكونها قطعة وطايفة من القران
فمن السورة التي هي بقية الشي **اختلف في سبب نزول هذه السورة** اي سورة والضحى **فقيل**
كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام
وينصره ما رواه البخاري اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فقالت
له امراة اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لما رايت من عدم قيامك فانزل الله والضحى
وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبي انه صلى الله عليه وسلم اصيب في اصبعه فدميت فقال
هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين او ثلاثا لا يقوم الليل فقالت
له ام جميل امراة ابي لهب ما ارى شيطانك الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فنزلت
وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله عليه وسلم ويويد الاول رواية الحاكم انها امراة ابي
لهب ولعلهما قالتا له ذلك **وقيل بل تكلم المشركون** عند فترة الوحي وكانت سنتين ونصف
وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما **فنزلت السورة** ويدل عليه حديث مسلم والترمذي ابطا
جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله سبحانه ما ودعك ربك
وما قلى **تضمنت هذه السورة** يعني سورة والضحى **من كرامات الله تعالى له** صلى الله عليه وسلم
ومن مزيدها وللتعظيم اي تضمنت شيا عظيما اكرمه الله به **وتنويهه به** من نوه بالشي اي رفعه

بشهادة

الى والضحى

وبوهت باسمه تعالى اي رفعت ذكره **وتعظيمه اياه** بما خصه به **ستة وجوه** جمع كثرة في موضع
جمع قلة توسعا وقد يكثر استعمال احدهما فيوثر استعماله لاحدهما في الاخر كفلوس جمع فلس او ثر
على افلس لقلة استعماله له **الوجه الاول القسم له** صلى الله عليه وسلم **عما اخبره به** في هذه السورة
من ما دل على كريم كماله وعظيم **حاله** فمن بيان لما اقسم له على نفيه **بقوله والضحى والليل اذا سجى**
مما يحتمل في هذا المقام واختاره هنا لكن الظاهر انه تعالى اقسم بها من تنبيها منه تعالى على
شرفه **وهذا** اي القسم له على ذلك **من اعظم درجات المبرة** من البر وهو اسم للخير ولكل فعل مرضي
اذ قد اوتي صلى الله عليه وسلم ما لم يوت احد من مراتب متباعدة ودعوة عامة وحجج متظاهرة
وايات متكاثرة ومعجزات مستمرة باهرة وبينات متعاقبة بتعاقب الدهر وفضايل علمية وعملية
تفوت الحصر هذا وقد شبه المبرة لكونها ارفع شي ذي درجات في غاية الرفعة على طريقة الاستعارة
المكنية ثم اثبتها لها تخييلا **الوجه الثاني بيان مكانته عنده** اشارة الى اعتنائه صلى الله
عليه وسلم **ومنزلته لديه** بظا معجمة وحا مهملة مثلثة لانه على وزن فعلة ولامه واو بعدها
تا تانيث من حظي عنده اذا كان ذا منزلة واحظاه على فلان اي فضله عليه **بقوله ما ودعك ربك**
وما قلى اي ما تركك وما قطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة في الودع اي الترك اذ من ودعك
وفي الحديث غير مودع ربي اي غير قاطع طاعته ولا مفارق لها وقرا عروة وابنه هشام ودعك
مخففا مع استغنا العرب عنه بترك فلم تنطق به ماضيا وقد جا في الحديث شر الناس من ودعه
الناس اتقا فحشه وفي الشعر من نحو قوله ٭ وكان ما قدموا لانفسهم ٭ اعظم نفعا من الذي ودعوا ٭
وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك وحذف مفعوله ومفعول فاوى فاغنى فهدى
اكتفا بذكره سابقا كما حذف من الذاكرات في والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي والذاكراته
ومراعاة الفواصل **الوجه الثالث قوله** عز قايلا **وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق**
اي ما لك في مرجعك اي ما توول اليه فيها بالوحي والكرامة وكونك حبيبه ونصرك على اعدايك
وغيره لك من الانعامات وهذا معنى ما **قال سهل اي ما ادخرته لك من الشفاعة والمقام**
المحمود هذا ظاهر في انه مقام الشفاعة الذي يحمده فيه الاولين والاخرين وبه قال الاكثرون
بشهادة حديث هو المقام الذي اشفع لامتي ويجوز ان يريد به كما هو ظاهر الاية كل مقام يتضمن
كرامة او مقام الحمد **خير لك مما اعطيتك في الدنيا** من كمال النفس ونفاذ الامر او لنهاية امرك
خير من بدايته بتصاعدك في مدارج الرفعة ومعارج الكمال **الوجه الرابع قوله ولسوف**
خبر مبتدا محذوف دخله بعد حذفه لام الابتدا لتاكيد مضمون الجملة اي ولانت سوف
يعطيك ربك فترضى ما تقربه عينا لا للقسم اذ لامه لا تدخل المضارع الا مع نون التاكيد
وجمع بين حرفي التاكيد والتاخير تلويحا بان العطا كاين لا محالة **وهذه الاية** اي ولسوف **جامعة**
لما اعطيه وما وعد من وجوه **الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين** مما لا
يعلم كنهه سواه ففي ابهامه من التفخيم والتعظيم لتذهب النفس كل مذهب ممكن مما لا يكون في بيانه
والزيادة بالجر عطف على وجوه اي وجامعة للزيادة على ما اعطاه في الدنيا ووعده في الاخرة
ولتشبيه الكرامة بصور حسية استعارة مكنية واثباتا لوجوه لها استعارة تخييلية وجمعها
لاختلاف انواع الكرامة **قال ابن اسحق** في سيرته **يرضيه بالفلج** بموحدة على ما في الصحاح بفتح الفا واللام

وبالجيم والاسم بضم الفا وسكون اللام اي الفوز والظفر باعدائه في الدنيا كيوم بدر وقريظة
والنضير وفتح مكة والثواب في الاخرة مما اخفي له من قرة اعين وقيل يعطيه الحوض وفسر بعطا
لعطا بالخير الكثير المفرط كثرة وتمسكا بما في البخاري ومسلم بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد اغفا اغفاة ثم رفع راسه فقال نزلت علي آنفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر
هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيمة آنيته عدد
نجوم السما قيل وانما يصح التمسك به اذا جعل قوله عليه الى النهر والظاهر انه خبر
عن الخير الكثير فهو الحوض بشهادة رواتهما الاخرى الكوثر نهر في الجنة عليه حوض اي يمد
فاوه منه وفي مسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه
من الجنة احدهما من ذهب والاخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة فمثناة فوقية
معناه يجري جريا متتابعا له صوت ويعطيه الشفاعة يحتمل ان يريد بها الشفاعة العظمى لفصل
القضا بين اهل الموقف اذا فزعوا اليه بعد الانبيا ويحتمل ان تكون لامه للاستغراق فجميع شفاعاته
وشمولها وروي عن بعض ال النبي صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب قال ليس اية في
القران ارجى منها يعني ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل احد من امته النار رواه عنه ابو نعيم في الحلية موقوفا والديلمي في مسند
الفردوس مرفوعا وروي انه لما نزلت قال اذا لا ارضى ان يكون واحد من امتي في النار وهذا ان
صح فيشكل بما ورد متواترا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز
الدعا لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لا بد من دخول بعض منهم فيها وبمعارضة رب اغفر
لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الوجه الخامس ما عده الله عليه
من نعمه جمع نعمة بمعنى انعام وقرره من الائه اي نعمائه واحدها الا بالفتح وقد يكسر ويكتب
بالياكامعي ومعا وذكره وان كان بمعنى نعمائه تفننا وتاكيدا لعدها وتقريرا قبله بكسر اوله
وفتح ثانيه اي له وعنده لوروده في مقام يحسن فيه الامتنان بها وتعديدها في بقية السورة
من الم يجدك يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما احسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا فيما عد
وقرر موردا له على خلاف ترتيب السورة ما اشار اليه بقوله من هدايته مصدر مضاف الى
فاعله اي من هداية الله اياه الى ما هداه له من تعليمه بالوحي القران والاحكام التي تعبده
بها وكلفه بتبليغها او ارشاده الى ما تميز به عن قومه ورفضه ما لا يليق بجنابه الشريف او
الى الطريق اذ قد ضل في شعاب مكة صغيرا فرده ورقة الى جده ومن بيانه لما عد وقرره
وعطف على مدخولها قوله او هداية الناس به على اختلاف التفاسير في فهدى فهو اما بمعنى
هداه الله او بمعنى هدى به الناس ولا مال له عطف على مدخولها ايضا اي ومن انه وجده عائلا
فقيرا فاغناه بما اتاه واغناه به من الرزق او بما جعله في قلبه من القناعة والغنا اي غنا
النفس بشهادة حديث ليس الغنا بكثرة العرض انما الغنا غنى النفس وحديث القناعة مال
لا ينفد وقد رفعه الله عن رتبة الغنى بكثرة المال اذ قد خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فكان غناؤه بما اعطاه وقنعه به ومن انه وجده يتيما مات ابوه

الاصاه

قبل

قبل ولادته فاواه الى عمه يحدب بفتح اوله وكسر ثانيه اي رق له ورحمه وعطف عليه عمه ابو طالب
واسمه عبد مناف واواه اليه واحسن تربيته وقيل اواه الله ملحوظا بعين عنايته محفوظا في
كنف رعايته بمراى منه ومستمع وقيل يتيما لا مثال اي لا نظير لك يماثلك وهذا مراد من قال
هو درة يتيمة عصما اي محفوظة ممنوعة معصومة عن ان يكون لها نظير وفي الكشاف انه من
بدع التفاسير ومعناه الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك الله وانما جعله بدعة
لنبوه عن معنى الاية وصرفها عنه بلا داع شرعي وعلاك ووجدك في موضعه من الوجود اما بمعنى
العلم نبيا او نبيا لا اوعا بلا مفاعيل او انه او المصادفة فاحوال وقيل المعنى الم يجدك والناس في
ضلال فهدى بك ضالا ووجدك فيهم عيلة فاغنى بك عائلا ووجدك فيهم ايتام فاوى بك يتيما
والحق لهذا الحاقا ببدع التفاسير لصرفه الايات عن معناه بلا دليل شرعي ذكره صلى الله عليه
وسلم ربه تذكيرا امتنانا للانسان بهذه المنن جمع منة اي عطية واحسان وانه اي الشان او هو
صلى الله عليه وسلم على المعلوم من التفسير لم يهمله ربه تعالى هذا وما بعد ضمير انه حال منه اي
انه حال استعلا شانه على ما علم من تفسير الايات مراعى بعين العناية في حال صغره وعيلته ويتمه
تشبيه للمعلوم منه بمرتفع عال قد تسنمه فصار بحيث لم يخف ان ربه لم يهمله في وقت منها ويجوز
ان يكون ضميرا انه له تعالى وعلى للمصاحبة كهي كما في واتى المال على حبه اي وانه تعالى مع ما علمناه
من تفسيرها لم يتركه فيما ذكر ولا قبل معرفته صلى الله عليه وسلم به تعالى وهذا من عطف عام الاوقات
على ما شملته القبلية وغيره ولا ودعه ولا قلاه اي ما تركه ولا ابغضه كل ذلك مجاز عن تربيته
الحسنة بما يصلحه في جميع احواله واذا كان هذا حاله الكريم قبل بعثته ومعرفته ربه فكيف حاله
بعد اختصاصه بالكرامات السنية واصطفائه اي بعد ارساله واعلامه انه تعالى اصطفاه
على جميع العالمين لكرامته ومنزلته عنده والا فقد كان اصطفاؤه في الازل بشهادة كنت نبيا
وادم بين الما والطين وفي رواية وادم منجدل في طينته اي وادم مراد ايجاده منهما في
وقته فلا بينية ولا اتحاد الحد رامن توهم كونه من غيرهما والظرفية مجازيه والا لزم فساد
تقييد الكونية بالحال الوجه السادس ان مما انعم عليه ارشاده الى الاقتدا به تعالى في الرفق
ومكارم الاخلاق كما كان له فانه كان يتيما فاواه وضالا فهداه وعائلا فاغناه فنبهه بقوله فاما
اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر اي مهما يكن من شي فلا تنس نعمتي عليك فلا تقهر يتيما بل
تعطف عليه واوه كما عطفت عليك واويتك ولا تنهر سائلا بل تلطف به وبره بمعروفك كما
لطفت بك وبررتك بمعروفي وقدم مفعولاها لتضمن اما بمعنى الشرط اللازم له الفا غالبا
المانع من تقدير فعله مقدما لالتزامهم فاصلا بين الفا واما القائمة مقام فعله حذرا من دخول
فعل على فعل وبين تقهر وتنهر جناس لاحق ومنه امره باظهار نعمته عليه مصدر مضاف الى الفاعل
عام في جميع ما انعم به عليه اذ اضافة المفرد تفيد العموم وشكر ما شرفه به عطف تفسيري اذ
اظهارها شكرها بنشره واشادة ذكره مصدر اشاد بذكره اي رفع من قدره بقوله واما بنعمة
ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها لحديث التحدث بالنعمة شكر ومن التحدث بها اظهارها
في الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر نعمته عليه وهذا اي امره
باظهارها خاص له صلى الله عليه وسلم عام لامته لانه امامهم فامره كامرهم او لانه المامور

والحكم بعيهم لاستوائه ايامهم فيه وقال تعالى حال لازمة من ضمير قال اي متعاليا عما لا يليق بجنابه
الكريم والنجم اذا هوى الى لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون في النجم اختلافا
مصحوبا باقاويل او متفصحا عن اقاويل معروفة منها النجم على ظاهره فالمراد به اما جنس النجوم
كما في قوله احسن النجم في السما الثريا والثريا في الارض زين النساء اوهو الثريا لغلبته
عليها اوهو الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبهوا على افولها او الذي يرجم به وهويه غروبه او
انتثاره يوم القيمة او انقضاضه او طلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب
وبالضم اذا علا وصعد ومنها انه هو القران لانه نزل حصصا متوزعة دفعات من نجم الدية
اداها حصصا ومنه نجوم الدية لحصصها المؤداة واصله من النجم للكوكب الطالع لان النجوم
معالم للاوقات وعن جعفر بن محمد انه اي النجم المقسم به محمد عليه الصلاة والسلام وكثيرا ما
يذكر المصنف السلام بدون صلاة مع كون افراد احدهما عن الاخر مكروها وقال اي جعفر
هو اي النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم ففي تسميته به من التعظيم ما لا يخفى وقد قيل في قوله
والسما والطارق اي البادي ليلا واصله لسالك الطريق خص عرفا بالاتي ليلا ثم استعمل
في البادي فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب اي المضي كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ
فيه ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه اولا بوصف عام ثم بين بما خصه تفخيما
لشانه وتشبيها له به بجامع ان كلا يهتدي به لكنه صلى الله عليه وسلم اعظم من هذا واتم من يهتدي
نجم به ظلام كفر انجلا ودكت دونه دجنة الردي وقد تضمنت هذه الايات من اولها
الى قوله لقد راي من ايات ربه الكبرى من شرفه وفضله العد بكسر مهملته اي الكثير الذي
لا ينقطع مادته ومنه ماء عد اي دايم لا انقطاع له ما نكرة موصوفة محلها نصب بتضمنت
وردت مخبرة بالتعظيم والتكثير اي بالغ فضله وشرفه عظما وكثرة الى حيث يقف في احصائها
دونه اي دون كل منهما العد بفتح مهملته فاعل يقف وشرف تعجز عن احصائه مادونها العد
ما احزله واكثره هذا ولما نسبوه الى الضلال والغي وان ما ينطق به عن الهوى ورايه اقسم
جل اسمه تكذيبا لهم على هداية المصطفى تبرئة لساحته عن الضلال فلم يعدل عن القصد واقسم
تنزيهه عن الهوى فيما اخبر به من الحق اذ لم ينطق به عن هواه ورايه واقسم على صدقه فيما
تلى من القران الكريم واقسم انه وحي يوحي اوصله اليه عن الله جبريل وهو اي جبريل الشديد
القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي شديد قواه اذ هو الواسطة في ابدا
الخوارق منها انه اقتلع قرى قوم لوط ورفعها الى السما ثم قلبها وصاح صيحة بثمود
فاصبحوا جاثمين ثم بعد قسمه وبراة جنابه اخبر عن تفصيله بقصة الاسرا اذ قد
منحه في تلك الليلة من شرف الكرامة ورفع المكانة ما لا يعلمه غيره واخبر عن تصديق
بصره فيما راى بقوله ما كذب الفواد ما راى ببصره من صورة جبريل والله تعالى اي
ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم بالبصر او قال
فؤاد لما راه لم اعرفك ولو قال له لكذب لانه عرفه بفؤاده كما راه ببصره يقينا لا تخيلا
اذ قد سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادي واخبر انه راي من ايات ربه الكبرى
بقوله لقد راي من ايات ربه الكبرى اي والله لقد راي ليلة الاسرا الكبرى من اياته

وعجائبه

وعجائبه الملكية والملكوتية او الكبرى صفة للايات والمفعول محذوف اي شيئا منها او
من مزيدة وقد نبه على مثل هذا اي رؤيته من ايات ربه في سورة الاسرا بقوله لنريه من اياتنا
ولما كان ما كاشفه اي بادأه عليه الصلاة والسلام برؤيته بمعنى اطلع عليه ورأه ابتدا
لا بمعنى دفع غطاه وان زعم لعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال دفع غطا ما هناك من ملكوت
الجبروت فعلوت مبالغة من الجبر اي القهر كالعظموت من العظمة والمراد راي ما يدل عليه اذ
هو معنى والمعنى لا يشاهد ببصر وشاهده من عجائب الملكوت مبالغة من الملك كالرهبوت
من الرهبة لا تحيط خبر كان به العبارة لقصور الافهام عن احصائه ادراكا ولا تستقل بحمل
سماع ادناه اي اقله العقول لعجزها عن حمله فضلا عن حمل اكثره رمز جواب لما اي رمز الله عنه
اي عن ما كاشفه صلى الله عليه وسلم واطلع عليه بالايما متعلق برمز والكناية عطف على الايما
وكلاهما اسما لمعنى واحد هنا ترك التصريح لشهادة قوله الدالة على التعظيم لعدم استقلال
العقول بسماع ادناه وقد تتفاوت بالاعتبار جلا وخفا اي رمز وايما وكنى عنه بما تفخيما له
وتعظيما فقال فاوحى اي شيئا عظيما لا يعلم كنهه سواه ففي ابهامه من التفخيم ما ليس في ايضاحه
وهذا النوع اي الرمز بالايما والكناية من الكلام اي من انواعه يسميه اهل النقد والبلاغة
العارفون بجيد الكلام وبهرجه لشبههم بصيارف ذهب وفضة تميز ونه الجيد عن البهرج
استعارة تحقيقية مجردة بالوحي والاشارة هنا لعدم الصراحة بالموحى به اسماء لمعنى واحد
اذ هي احد ماصدقاته كالكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وقد تتفاوت وضوحا وخفا
وهو اي النوع المسمى بهما ابلغ ابواب الايجاز من حيث انه من جوامع الكلم يشير مع قلته
الى معان كثيرة مبهمة يذهب فيها الفكر كل مذهب ممكن متصرفا فيه هذا ولا يعزب عنك
ان كل كلام اما ناقص عن معناه او مساو له او زايد عليه ايجاز والمساواة والاطناب واعلاها
الاول من حيث ان المعاني هي المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك
كالقرب في الطريق وكان احق بالسلوك ويليه المساواة في الاستحسان لانتفا بطالة في
القرب واكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالطريق البعيد فتراه مرفوضا
غالبا وانت خبير بان لكل منها في الخطاب مقام يستعمل فيه بحسب افهام المخاطبين فيخاطب
كل بما يناسبه من لطايف العبارات ودقايق المعاني ما لا يناسب الثاني وقال تعالى لقد
راى اي ابصر من ايات ربه الكبرى الدالة على عظمة جلاله انحسرت الافهام اي عييت وكلت
عن تفصيل ما اوحى اليه اذ لا تحيط به ولا تحصيه عدا وتاهت الاحلام اي ذهبت متحيرة
في تعيين تلك الايات الكبرى فلم تهتد الى معرفة شي منها لكثرتها على القول بعدم
زيادة من او لسعة الملكوت على القول بزيادتها قال المصنف اشتملت هذه الايات على
اعلام الله مصدر مضاف الى فاعله اي اخباره بتزكية جملته اي بتطهير ذاته عليه الصلاة
والسلام وعصمتها اي حفظها من الافات في هذا المسرى اي مكان السرى او هو مصدر ميمي
بمعنى السرى فزكى فؤاده اي قلبه ولسانه وجوارحه اي اعضاءه التي يكتسب بها فزكى قلبه
بقوله ما كذب الفواد ما راى بل صدقه متحققا له اوما فتر عن المشاهدة ولا كل وزكى
لسانه بقوله وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر نطقه عن هواه ورايه وقد حجبه من لا

بجوزله الاجتهاد واجيب بما لا يرضي وزكى بصره بقوله ما زاغ البصر اي ما مال بصره صلى الله
عليه وسلم عما رآه وما طغى اي وما تجاوزه بل وقع عليه وقوعا مستيقنا وما عدل عن
رؤيته ما امر برؤيته من العجايب وقال تعالى فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع
من خنس اذا تاخر وهي ما عدي النيرين من السيارات ومن ثم وصفها بقوله الجوار الكنس
اي السيارات تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اي دخل كناسه اي بيته لا اقسم
اي اقسم على القول بزيادة لا انه اي القران لقول رسول قاله عن ربه كريم عند مرسله
ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي اي ما اوحي اليه من الحق الى الخلق مكين اي متمكن المنزلة
والجاه ولكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش تلويحا بعظم مكانته ومنزلته
من وجه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء اذ قد بلغ فيها ليلة الاسرا فاطاعوه اجمع امين
على ما اوحي اليه وثم يحتمل وصله بما قبله وما بعده قال علي بن عيسى الرماني وغيره الرسول
الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم لجميع ما ذكرها من الاوصاف بعد اي بعد ذكره على هذا
القول له صلى الله عليه وسلم وقال غيره اي غير علي بن عيسى وهم الاكثرون هو اي الرسول الكريم
جبريل فترجع الاوصاف اليه وما صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون تكذيب للكفرة
فيما افتروه عليه اذ قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقد تمسك به من نكب
عن الحق وفضل جبريل عليه لعدة فضايله واقتصاره على نفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم وضعف بان
المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا عد فضلهما والموازنة بينهما
ولقد رآه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قيل عن ابن مسعود وغيره راى ربه وقدمه لانه اوفى
بفرضه وقيل راى جبريل في صورته التي خلق عليها وما هو صلى الله عليه وسلم على ما يخبر به
مما اوحي اليه وغيره من الغيب بظنين اي بمتهم من الظنة اي التهمة ومن قرا بالضاد فمعناه
ما هو ببخيل من الضن وهو البخل بالدعاية الى الله تعالى والتذكير بحكمه مصدر مضاف الى
فاعله نعم اذا اضافة المفرد تفيده اي ولا يبخل بتذكيرهم باحكام الله وبعلمه يحتمل عود ضميره
الى الحكم اي ولا يبخل بعلم كونه واجبا او مندوبا او حراما او مكروها او مباحا لهم ويحتمل عوده اليه
صلى الله عليه وسلم اي ولا يبخل ان يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم منه شيا ورجح ابو عبيده قراءة
الظا لانه لم ينسب اليه بخل بما ذكر بل اتهم وكذب فرد عليهم بالاية ما زعموا وهذه اشارة
الى ما دل عليه قوله وما هو على الغيب بظنين من انه ليس بمتهم ولا بخيل على قراتي الظا والضاد
وانث اسم الاشارة نظرا الى انه صفة لمحمد باتفاق من المفسرين اذ لم يقل احد منهم بعود الضمير
اعني هو الى جبريل وقال تعالى ن اسم للحرف او للحوت واريد به الجنس او للحوت الذي عليه الارض
او للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه اشد سوادا من الحبر يكتب به وينصر الاول سكونه
وكتبه بصورة مسماه والقلم هو ما كتب به اللوح المحفوظ او ما يكتب به اقسم الله تعالى بما
اقسم به مما لا يعلمه غيره او هو ما ذكرا وغيره من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى اي تبعيده
عما لا يليق بجنابه الكريم ما غمصه بمعجمة ومهملة بينهما ميم اي عابه واحتقره الكفرة وتكذيبهم
له فقالوا هذا ساحر كذاب وانسه وبسط له امله صلى الله عليه وسلم بقوله مخبتا حال من
ضمير ما قبله خطابه مفعوله ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم ومقول القول وبنعمة ربك

حال

حال من اسم ما ورد اعتراضا بين اسمها وخبرها اعني بمجنون للاستنان اي ما انت بمجنون منعما عليك
بالنبوة وغيرها والعامل فيها معنى النفي ردا لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
وهذه اي ما انسه وبسط امله به وانث اسم الاشارة نظرا الى لفظ المبرة في قوله نهاية
المبرة في المخاطبة واعلاه رجات الاداب في المحاورة ثم بعد ان نزهه وبراه مما نسبوه اليه
اعلمه بما له عنده من نعيم دائم ابد الاباد وثواب غير منقطع لا ياخذه لا يضبطه ولا يحيط به
العد ولا يمتن به اي ولا يعد عليه فقال وان لك على احتمالك اذاهم لاجرا غير ممنون اي غير
منقطع او غير ممنون به عليك فانه يعطيك بلا واسطة ثم اثنى عليه بما منحه اي اعطاه
من هباته وهداه اليه واكد ذلك الذي يدل على ما منحه به تتميما للتمجيد من المجد
وهو الكرم اي تتميما لنسبته اليه بحرفي التاكيد ان واللام مع اسمية الجملة فقال وانك
لعلى خلق عظيم استعظمه لفرط احتماله اذا قومه ومبالغتهم فيه فكان يقول اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون يرحم الله اخي موسى لقد اوذي اكثر من هذا فصبر ثم قيل عن عايشه
انها سئلت عن خلقه فقالت خلقه القران اي ما فيه من جماع مكارم الاخلاق ومن ثم قيل
هو ما امر الله به بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل عن ابن عباس انه
الاسلام اي التوحيد والانقياد لامر الله وقيل عن الماوردي انه الطبع الكريم ومن ثم كان
تخالق الناس بمكارم اخلاقه ولطفه بهم وارفاقه وقيل عن الجنيد انما كان خلقك عظيما
لانك لم يكن لك همة الا الله فكان مع الخلق بجسمه مباينا لهم بقلبه قال الواسطي اثنى اي الله
تعالى عليه صلى الله عليه وسلم بحسن قبوله اي بقبوله الحسن لما اسداه اليه اي انعم به عليه
من نعمه بيان لما اسداه اليه وفضله بذلك على غيره من خلقه لانه جبله اي طبعه على ذلك
الخلق فسبحان اسم للتسبيح اي التنزيه وقد يجعل علما له فينقطع عن الاضافة ويمنع الصرف
ونصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء وقد يتعجب به فيؤتى بمن كما
في قول الاعشى اقول لما جاني فخره سبحان من علقمة الفاخر اي التعجب منه اذ يتفخر
اللطيف اي ذي اللطف والرفق والرافه الكريم المحسن الذي عم بره ولطفه الجواد بتخفيف
جيمه اي كثير الجود وفي حديث رواه الترمذي في جامعه والبيهقي في الاسما والصفات عن
ربنا تعالى انه قال وذلك اني جواد ماجد المجيد ذي المجد والكرم الذي يسر الخير وهدى اليه
اي دل عليه او خلق الاهتدا فيمن اراد هدايته له ثم اثنى على فاعله اي فاعل الخير وجازاه عليه
بنحو قوله وما تفعلوا من خير يوف اليكم ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله
شكور حليم سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله تعجب من حاله تعالى في اتصافه بما يقتضي
اضافة الاية وفصله عما قبله لانه بدل منه لكونه تعجبا وافيا بتادية ما افاده وصفه
تعالى بما ذكر قبل الافصاحة بعموم نعمه وعموم كرمه وما تامه مرفوعه بالابتدا او سوغه ما
افاده تنكيرها كتنكير شر اهر ذا ناب وخبرها ما بعدها او استفهامية خبرها ما بعدها
او موصوله صلتها ما بعدها وخبرها محذوف وقد شبه نواله تعالى اي اعطاه لكثرته على طريقة
الاستعارة المكنية بما غمر واثبت له الغمرية تخييلا او شبه كثرته بغمر الماء ثم اشتق منه اسم
التفضيل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسمه تبعية وما عطف عليه كذلك

ثم سلاه عن قولهم اي ازال عنه ما حزنه من الغم وكربه من الهم بعد هذا متعلق بسلاه اي بعد
ما قالوه بما وعداه من عقابهم بيان لما وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون بايكم المفتون
اي ايكم الذي فتن بالجنون والبا مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر وهو الفتنة
او باي الفريقين الجنون بفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا
الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل اي بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
مجازيهم كمال العقل ثم بعد ان مدحه وسلاه متوعدا اياهم عطف اي التفت وله المثل الاعلى
بعد مدحه صلى الله عليه وسلم على ذم عدوه وذكر سو خلقه وعد معايبه جمع معيبة من العيب
اي القبيح متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه احوال من ضمير عطف وردت مؤذنة بانه
تعالى لم يكل ذلك الى احد بل تولاه بنفسه تعظيما ونصرة له صلى الله عليه وسلم فذكر بضع
عشر خصلة من خصال الذم فيه اي صفة قبيحة والبضع بمعجمة وكسر اوله ما بين الثلاث الى التسع
اي في عدوه بقوله فلا تطع المكذبين تهييج لتصميمه على معاصاتهم ودوا لو تدهن اي لو
تلين فتدع نهيهم عن الشرك وتوافقهم احيانا فيه ولا تطع كل حلاف كثير الحلف حقا وباطلا وكفى
به زاجرا لمن اعتاد الحلف مهين اي حقير من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مغتاب مشاء بنميم نقال
للحديث على وجه السعاية مناع للخير اي كثير المنع عنه معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام
عتل جاف غليظ من عتله اي قاده بعنف وغلظة بعد ذلك اي بعد ما عد من مثالبه زنيم
اي دعي كالوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثمانية عشر سنة من مولده ان كان ذا مال وبنين علة لما بعده
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حين تتلى عليه لكونه متمولا مستعززا
ببنيه من فرط غروره والعامل فيه ما دل عليه قال من معنى التكذيب لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله اي لا تطع من هذه مثالبه لاجل كونه ذا مال وبنين ثم ختم ذلك اي ما ذكره من
مثالب ذلك الشقي بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره اي هلاكه بقوله سنسمه على
الخرطوم اي سنكويه على انفه اهانة له وخص الانف لان السمة عليه ابشع وقد اصاب انف الوليد
جراحة يوم بدر فبقيت سمة عليه فكانت نصرة الله له على عدوه اتم من نصرته صلى الله عليه وسلم
لنفسه ورده تعالى على عدوه ما افتراه عليه ورماه به من جنون وغيره ابلغ من رده صلى الله
عليه وسلم واثبت في ديوان مجده اي كرمه وشرفه واصل ديوان دوان قلب اولى واويه يا لكسر ما
قبلها محمده لكثرته وصفا في اباته مما يضبط في ديوان استعارة مكنية واثبت له الديوان تخييلا
الفصل السادس في ذكر ما ورد من قوله تعالى في قرانه الكريم في جهته اي في حقه صلى
الله عليه وسلم مورد الشفقة والاكرام جعلهما موردا كالما للعموم نفعهما سيما من اكرم
بما لم يكرم به غيره طه مبتدا ان جعل اسما للسورة او للقران ما انزلنا عليك القران لتشقى
خبره ووضع القران فيه موضع العائد وجواب ان جعل مقسما به واستئناف ان كان جملة فعلية
او اسمية باضمار مبتدا ثم قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام لحديث تقدم لي عنك
ذي عشرة اسما ذكر منها طه وقيل هو اسم لله تعالى قاله ابن عباس وقيل معناه يا رجل في لغة عك
ولعل اصله يا هذا قلبوا الياء طا واقتصروا على ها وقيل معناه يا انسان فقلبوا واتوا بهاء السكت
وقيل هو حروف مقطعة لمعان كما قال الواسطي اراد بالطا طاهر وبالهاء افتتاح

دقيل

وقيل هو امر من الوطي بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه واصله
طا قلبت همزته ها او طاها قلبت همزته الفا والها كناية عن الارض واورد عليه كتابتهما
على صورة الحرف وكذا على تفسيرها يا رجل وقد يجاب بانه اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما
باسميهما اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو
اي النهي عن اتعابه نفسه الذي لوح به النفي الذي افاده قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى
اي لتتعب بفرط تاسفك على كفر قومك او بكثرة رياضتك وتهجدك وقيامك على ساق وقد
نزلت الاية اي اول سورة طه ردا وتكذيبا لمن قال له وقد راى كثرة عبادته كابي جهل انك
شقيت بتركك ديننا وانزل عليك القران لتشقى او انزلت فيما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل وقد اسنده هنا من تفسير عبد بن حميد
عن الربيع بن انس مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ورواه ابن مردويه
موصولا عن علي بلفظ لما نزل يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا فقامه كله حتى تورمت قدماه
فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فهبط عليه جبريل فقال طه اي طا الارض بقدميك ما انزلنا
عليك القران لتشقى وكثيرا ما يعبر بالشقا عن التعب كاشقى من رائض مهر وسيد القوم
اشقاهم وعدل اليه اشعارا بانه انزل عليه ليسعد ولا خفا بان في هذا البابع في عدل
اليه حذرا التكرار اي فيما في الاية والحديث من الاكرام وحسن المعاملة له صلى الله عليه وسلم
وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل وتقدم او جعلت قسما اقسم الله به لحق
هذا الفصل بما اي بالفصل قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته عنده وبما افاد
نهاية المبرة في مخاطبته واعلا درجات الاداب في محاورته ومثل هذا اي كون طه من اسمائه
صلى الله عليه وسلم او مقسما به او هما وما قبلهما من نمط الشفقة والمبرة لمناسبة بينهما
اذ النمط في الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط
يلحقهم التالي ويرجع اليهم الغالي قوله تعالى فلعلك لفرط اعراضهم وتباعدهم عن الايمان
باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث المحل دان الله اسفا اي قاتل نفسك لذلك
اي لعدم ايمانهم غضبا وغيظا او جزعا شبهه صلى الله عليه وسلم لما يداخله من الوجد اسفا
على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق اعزته فذهبت نفسه حسرات على اثارهم باخعها
وجدا عليهم متلهفا على فراقهم ومثله اي مثل فلعلك باخع نفسك مما ورد مورد الشفقة
والاكرام بشهادة لعل اذ هي للاشفاق قوله تعالى لعلك باخع نفسك وقرئ بالاضافة
ان اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين اي لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا والبخع
اصله ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح ثم قال ان نشا
ننزل عليهم من السماء اية اي دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم
لها خاضعين عطف على الجزاء اعني ننزل اذ لو قيل انزلنا مكانه لصح واصله فظلوا لها
منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك على اصله او لما وصفت الاعناق
بما هو من صفات العقلاء اعني الخضوع جعلت كهم او اريد الرؤسا والجماعات من قولهم

جاني عنق من الناس لفوج منهم ومن هذا الباب اي باب الشفقه والاكرام قوله فاصدع بما تؤمر
اي فاجهر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانه والتمييز
وما مصدرية او موصولة وعايدها محذوف اي بما تؤمر به واعرض عن المشركين اهانة لهم ولا
تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم روي انهم كانوا خمسة من اشراف
قريش يبالغون في ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزا به فقال له جبريل امرت ان اكفيكهم فاشار
الى ساق الوليد بن المغيرة فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف لاخذه تكبرا فاصاب عرقا في
عقبه فقطعه فمات والى اخمص العاص بن وايل فدخلت فيه شوكة فورمت رجله حتى صارت
كالرحى ثم مات والى انف الحارث بن قيس عدي او الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث
وهو في اصل شجرة فطفق ينطح بها راسه ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود
ابن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون لطعنهم فيك وفي القران وفي الله فسبح بحمد ربك اي فافزع اليه
بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف عنك غمك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق
وكن من الساجدين اي المصلين وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه لاحق لكل حي ملحوق ومنه ايضا ولقد استهزئ برسل
من قبلك تسلية له عما كان يرى من قومه ليتاسى بالانبياء فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزءون اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث هلكوا لاجله او فنزل بهم وبال
استهزائهم قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك وهون عليه
ما يلقى من المشركين من فرط الايذا واعلمه ان من تمادى اي استمر منهم كما على ذلك حل به ما
اي شيء عظيم حل بمن قبله من اعداء الانبيا ومثل هذه التسلية بما ذكر قوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك اي وان يكذبك قومك فلا يحزنك تكذيبهم اياك وقد كذبت الامم
انبياءهم قبلك ومن هذا قوله كذلك اي مثل تكذيب قومك لك وقولهم افتراء عليك معلم مجنون
ما اتى الذين من قبلهم الا قالوا افترا عليه ساحر او مجنون اتواصوا به اي بقولهم ساحر او مجنون
وورد على جهة التعجب من توارد نفوسهم عليه تكذيبا لهم مع تباين ازمانهم اي اوصى بعضهم بعضا
به حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اي متجاوزون الحد في العناد وهو اضراب عن ان
التواصي جامعهم لتباعد ازمانهم الى ان الجامع لهم علته اشتراكهم في الطغيان الكامل عليه
اي حمله على الصبر عزاه الله بما اخبره عن الامم السالفة ومقالتهم لانبيائهم قبله ومحنتهم
بهم وسلاه بذلك الذي اخبره عنهم تسلية له عن محنته صلى الله عليه وسلم بمثله من كفار
مكة وانه صلى الله عليه وسلم لقي ما لقي من لقي ذلك من قومه ثم بعد ان سلاه طيب نفسه
ورضاه وابان اي اظهر عذره بقوله فتول عنهم اي اعرض عنهم اشفاقا عليه مترك معالجتهم
بعد ما بذلت في الدعوة جهدك وافرغت فيها وسعك ووفيت بما امرت بابلاغه اباهم فابوا
الا الاصرار والعناد فما انت بملوم اي في اعراضك بعد ما كررت عليهم مبالغا في اداء
ما بلغت وابلاغ ما جئت من الاحكام واصل ملوم ملووم اعل اعلال نعله نقلت ضمة عينه
الى فائه فاجتمع ساكنان فحذف احدهما وابقيه ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك

فيه التفات من الخطاب الى الغيبة فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم وبقاءك في عنائهم وما
يلحقك من المشقة ولا تجزع فانك منا بمراى ومسمع حيث نراك ونحفظك وجمع العين لجمع
الضمير مبالغة في كثرة اسباب الحفظ سلاه بهذا الذي ذكر في اي كثيرة من هذا المعنى مثل ما
يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا
واوذوا حتى اتاهم نصرنا الفصل السابع في بيان ما ورد في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته مما يشهد بفضله على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وحظوة
رتبته بحا مهملة تضم وتكسر من حظي على ما مر فيه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
هو كما اختاره المصنف على ظاهره من اخذ الميثاق عليهم بما ذكر او ميثاقهم الذي وثقوه
على اممهم او ميثاق ذريتهم بني اسرائيل على حذف مضاف او ميثاق اهل الكتاب وسماهم نبيين
تهكما اذ كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب ومنا النبيون لما اتيتكم
من كتاب وحكمة اللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية او موصولة
صلتها ما بعدها اي الذي اتيتكموه ثم جاءكم عطف على صلتها وعايدها محذوف اي جاءكم به
رسول مصدق وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
والحكمة ثم مجي رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال اي الله للنبيين ااقررتم
واخذتم على ذلكم اصري اي قبلتم عهدي سمي اصرا لانه يوصر اي يشد قالوا اقررنا قال فاشهدوا
بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم على اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين توكيد عظيم مع ما
اذنت به الاية من اعلام الله انبياءه بنبوته سوكها بعظم شانه واظهار الشرف قدره
لعلمه تعالى بانهم لا يدركون زمانه واعل ميثاق بقلب واوه يا لكسر ما قبلها قال القابسي
استخص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه به اي اظهره الله بما اتاه
من الفضل وهو ما ذكره في الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي الى انبيائه فلم يبعث
نبيا الا ذكر له محمدا ونعته وذكر له صفته كما في التوريه على ما مر واخذ عليه ان ادركه
ليومنن به بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لاجل
اخذ الميثاق بذلك وقيل اخذه عليه ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم
وهكذا الى ان بعث فيؤمنوا به وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين محمدا صلى الله
عليه وسلم هذا لا يصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قال به لا يجعل الخطا
بقوله ثم جاءكم الا لهم وانما يصح عند من قال اخذ ميثاق معاصريه واضافته في الاية للنبيين
نظرا الى انهم هم الاخذوه على اممهم وانهم ياخذونه على من بعدهم وهكذا الى ان يبعث او
سموا نبيين تهكما على ما مر قال علي بن ابي طالب كما رواه ابن جرير في تفسيره لم يبعث الله
نبيا من ادم فمن بعده نبيا بعد نبي الا اخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليومنن به
ولينصرنه وياخذ عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مرادة كما ادخلها في لا تهين الفقير
علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها ساكن اي وليا خذ
العهد بذلك على قومه قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة
والدعوة الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيص بعد تعميم

تلو كما بيان فضلهم لانهم اولوا العزم ومشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له وتكريما
واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عظيما شانه او موكدا باليمين وكرر البيان وصفه تعظيما له
وقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم عليه ان ينزل
عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كنوح والنبيين من بعده وفي هذا وما بعده
الى وكلا تلويح بفضله صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر بعض خبر هنا ذكره الرشاطي كله
في اقتباس الانوار وقال اي عمر في كلام يبكي به النبي بعد موته من بكيته مخففا ومشددا
اي بكيت عليه قال جرير يبكي عمر بن عبد العزيز الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
فقال بابي انت متعلق بمقدر وحذفه ابدل من ضميره المتصل ضمير منفصل اي افديك بابي
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم
اي في اول بعضهم بعد ذكرهم اجمالا فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية بقدم الكلام عليها بابي انت وامي اي افديك بهما يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
اي عند الله ان اهل النار يودون اي يتمنون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فلم يصبنا هذا العذاب تمنوا حيث لم ينفعهم
التمني قال قتادة كابن ابي حاتم في تفسيره وابن لال في مكارم الاخلاق وابي نعيم في دلايله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق اي خلق روحه قبل ارواحهم
او في عالم الذر او كتابته في اللوح او ظهوره للملائكة واخرهم في البعث فلذلك اي فلاجل
كونه اولهم خلقا وقع ذكره مقدما في الاية السابقة ها قبل نوح وغيره من اولي العزم
قال السمرقندي في هذا اي في وقوع ذكره مقدما تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم بعثا المعنى المراد من الاية هو انه اخذ الله عليهم
الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال لهم اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم فلا
تشركوا بي شيا فاني سانتقم ممن اشرك بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي
وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك
مواثيقهم ثم كتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم فراى منهم الغني والحسن وغيرهما
فقال رب لو سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم
على بعض اعادهم الى صلب ادم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه فذلك
قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم اي اخرج ذريته بعضا من
صلب بعض على ما يتوالدون فاكتفي بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه واخرجوا من
ظهره واشهدهم على انفسهم اي اشهد بعضهم على بعض وقوله الست بربكم قالوا بلى
شهدنا تخييل وتصوير للمعنى اي نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم ما يدعوهم
الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل تمكينهم من
العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل وقال تعالى تلك
الرسل اشارة الى من ذكرت قصصهم في السورة او الى كلهم واللام استغراقية فضلنا
بعضهم على بعض ثم فصله بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى قيل ومحمد فكلم

موسى

وكلم

موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وقرئ كلم الله بالنصب
وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن ثم قيل كليم الله بمعنى مكالمه قال اهل التفسير اراد به
ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم اي رفعه على ساير الانبيا من وجوه متعدده
او بمراتب متباعده اذ قد خص بالدعوة العامة لانه بعث الى الاحمر والاسود اي العرب
والعجم لغلبة الحمرة والبياض على هولا والادمة والسمرة على اولئك وقيل الجن والانس
بالحجج المتكاثره والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضايل العلمية والعملية الفايتة للحصر
واحلت له الغنايم ولم تحل لاحد قبله وظهرت على يديه المعجزات فبهرت كل مضاد ومعاند
وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها
جنسا لا نوعا كانشقاق القمر في مقابلة انفلاق البحر لموسى وفي الطعام بركات تعظيم لشانه اذ
هو العلم المعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين عن ابن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته
لابراهيم انها عايدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه
ومنهاجه اي طريقه الواضح في دينه من نهج الامر اذا وضح واختاره الفرا وحكاه عنه مكي
فكان الله اخبر ابراهيم بمحمد فامن به وشايعه في دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شايع
قال تعالى حتى توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة الشاهد بهما حديث
كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وحديث متى وجبت لك النبوة قال وادم منجدل
في طينته وفي رواية وادم بين الروح والجسد وقيل المراد به نوح فابراهيم ممن شايعه في
دينه لاتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستماية واربعون سنة ونبيا
هود وصالح الفصل الثامن في اعلام الله خلقه بصلاته عليه وولايته له بفتح الواو
اذ هي هنا بمعنى الموالاة والنصرة ورفعه بالدال مصدر مضاف الى فاعله اي ورفع الله
العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم قال تعالى وما كان الله ليعذبهم جواب سوالهم انزال الحجارة
او العذاب الاليم وانت فيهم بيان لما كان موجبا لامهالهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان
تعذيبهم وانت بين اظهرهم اي ما كنت بمكة اي مدة كونك فيها غير مستقيم وقد جرت سنته تعالى
ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم ومن ثم كان العذاب اذا نزل بقوم
امر نبيهم بالخروج بمن امن وفيه تلويح بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر فلما خرج من مكة
مهاجرا الى المدينة وبقي من فيها من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما
بمعنى وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المومنين ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المستضعفين او بمعنى نفي الاستغفار اي ولو كانوا ممن يومن ويستغفر من الكفر لما عذبهم
وعن الحسن ان الاية منسوخة بقوله وما لهم الا يعذبهم الله الاية وهذا اي ما ذكر مما دل على امهال
وارجا العذاب عنهم لاجل من فيها من المومنين مثل قوله تعالى لو تزيلوا اي لو تفرقوا وتميز المومنون
من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم اي من اهل مكة عذابا اليما بالقتل والسبي ومثل قوله
ولولا رجال مومنون ونسا مومنات بمكة لم تعلموهم باعيانهم لاختلاطهم بمشركيها ان تطاوهم
بدل اشتمال من رجال ونسا او من ضميرهم في تعلموهم اي ان تدوسوهم فتهلكوهم وفي الحديث
اخر وطاة وطاها الله بوج وادٍ بالطايف فتصيبكم منهم معرة من عراه اذا غشيه ما يكرهه

اي فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار
لكم به والاثم بتقصيركم في البحث عنهم بغير علم اي ان تطاوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين اظهر
الكفار جاهلين بهم فيصيبكم باهلاككم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته
علة لما دل عليه كف الايدي عنهم صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك لاجل ان يدخل
الله ان يدخل الله في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشا من مؤمنيهم او مشركيهم او منهما
فلما هاجر المؤمنون من مكة نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله اي وما يمنع من تعذيبهم بعد
ان فارقهم المؤمنون وكيف لا يعذبون وهذا اي ما ذكر مما دل على ارجا العذاب عنهم
وهو فيهم من ابين ما ظهر مكانته صلى الله عليه وسلم عند ربه لكل احد ومن ابين ما يظهر
دراه اي دفعه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم لانه
بعث رحمة للعالمين فلما خلت مكة منهم عذبهم الله بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين عليهم ايامهم وحكم فيهم سيوفهم حدا وصفحا قتلا وقطعا واسرا واورثهم ارضهم عليهم
اي مزارعهم وديارهم بيوتا وحصونا ومعاقل واموالهم نقدا ومواشي واثاثا روي انه
صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم انكم في منازلكم وقال
عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وربما لوح هذا بان مكة فتحت
عنوة وعليه اكثرهم وعن الشافعي فتحت صلحا ومن ثم كان يجيز اجارة دورها وبيعها بشهادة
حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع وقيل فتح اعلاها صلحا واسفلها عنوة وفي الاية اي اية
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ايضا تاويل آخر هو ان الضمير عايد على الكفار
فيحتمل ان يكون وهم يستغفرون في موضع الحال بتقدير ان لو كان اي وما كان الله معذبهم
ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويؤمن به وهم بحال توبة واستغفار عن كفرهم لو وقع
منهم واختاره الطبري وان يكون اشارة الى من سبق في علم الله انه يؤمن منهم او من ذريتهم
اي وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويؤمن به واختاره الزجاج وان تكون
اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب الدنيا
هذا وحديث انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار اسنده هنا من طريق الترمذي
وفي سنده ابن مهاجر ضعيف ورواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس موقوفا وابو الشيخ نحوه عن
ابي هريرة ايضا موقوفا ونحو منه اي من هذا الحديث في المعنى قوله تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وكونه
رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قال عليه الصلاة والسلام
انا امان لاصحابي وفي لفظ انا امنة لاصحابي رواه مسلم عن ابي موسى قال صلينا المغرب مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشا فخرج علينا فقال ما زلتم
هاهنا قلنا نعم فقال احسنتم او اصبتم قال فرفع راسه الى السما وكان كثيرا ما يرفعها اليها فقال
النجوم امنة للسما فاذا ذهبت النجوم اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي

امتي

امتي ما يوعدون اراد والله اعلم بذهاب النجوم انتثارها للشهادة واذا الكواكب انتثرت
وباتيان السما ما توعد انفطارها وتبديلها المؤذن به اذا السما انفطرت يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وباتيان اصحابه ما يوعدون ما انذرهم به من الفتن والارتداد وباتيان
امته ما يوعدون ما اخبرهم به من ظهور البدع واختلاف الاراء والهرج وتخريب الكعبة وغير
ذلك مما وقع اكثره وبقي ما لا بد من وقوعه وبكونه امانا لاصحابه قيل من البدع فلم يكن حدث
منهم من ارتكب بدعة بشهادة اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقيل من الاختلاف
والفتن وفيه ما فيه لكن يلزمنا الكف عما جرى بينهم لصدوره عنهم اجتهادا ابتداء وثبات
صحيحة للمصيب اجران على اجتهاده واصابته وللمخطي اجر على اجتهاده بشهادة حديث
الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطا فله اجر قال بعضهم
الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم لا غيره بشهادة تعريف جزئي الجملة الصغرى
ما عاش وما دامت سنته باقية قيد كونه امانا اعظم بمدة حياته وبقاء سنته فهو باق
امانا اعظم بهما فاذا اميتت سنته بموت اهلها فانتظروا البلا والفتن بشهادة حديث
ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلما حتى اذا لم يبق عالما
او لم يبق عالم اتخذ الناس روسا جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا قال الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي تقدم الكلام عليه وقد ابان الله فضل نبيه صلى الله
عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما عباده بالصلاة عليه والتسليم بان يقولوا السلام عليك ايها النبي او ينقادوا
لاوامره وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة كلما ذكر لحديث رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي وحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وتجوز
الصلاة منا على غير ملك ونبي تبعا وتكره استقلالا لانها في العرف شعار لذكر الانبيا ومن ثم
كره محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا والصلاة من الملائكة استغفار لسعيهم فيما
يستدعي المغفرة من شفاعة والهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة
يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع خللا متوقعا يعم الحيوان بل الجماد
وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة وحيث خص به صلى الله عليه وسلم فالمراد به
السعي فيما يليق بجنابه والصلاة منا بني ادم دعا لحديث اذا دعي احدكم الى الطعام فليجب
فان كان صايما فليصل اي فليدع وان كان مفطرا فليطعم ومنه قول الاعشى

• تقول بنتي وقد قربت مرتحلا • يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا •
• عليك مثل الذي صليت فاغتمضي • نوما فان لجنب المرء مضطجعا •

ومن الله رحمة
مقرونة بتعظيم اي احسانا وارادته لاستحالة معناها الذي هو العطف والحنو في حقه تعالى
على ما مر قيل ومعنى صلى ابلغ من معنى رحم لتضمنه معنى العطف ومن ثم عدي بعلى ولم يتعد
بنفسه كرحم وفيه نظر اذ رحم كذلك وقيل يصلون يباركون من البركة وهي كثرة الخير
اي يكاثرونه ويزايدونه عليه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم اصحابه الصلاة
بين لفظ الصلاة والبركة في حديث قد امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا

اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وذكر بعض المتكلمين
في تفسير حروف كهيعص انها ماخوذة من كفاية الله وهدايته وتاييده وعصمته
وصلاته عليه فزعم ان الكاف من كاف اي كفايته الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال اليس
الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في اثبات كفايته له او لانبيائه ان اريد
بالعبد الجنس وينصره قراة حمزة والكسائي عباده والها هدايته قال ويهديك
صراطا مستقيما اي يدلك بلطف الى دينه الحق او الى تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرسالة والياء تاييده قال وايدك بنصره بالمظاهرة على اعدائك والعين عصمته
قال والله يعصمك من الناس اي يحفظك منهم وهو عدة وضمان من الله لعصمته من
تعرض الاعادي له وازاحة لمعاذيره والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون
على النبي اي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه وقال تعالى وان تظاهرا بالتشديد
والتخفيف والخطاب لعايشه وحفصه اي تتظاهرا عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوءه
فلن يعدم من يظاهره فان الله هو مولاه اي وليه وناصره اي يتولاه بذاته وجبريل بعينه
وصالح المومنين اي ومن صلح منهم اتباعه وانصاره وقيل صالحهم الانبيا وقيل الملائكة
الشهادة والملائكة بعد ذلك ظهير اي متظاهرون له وخص جبريل تعظيما له واريد
بالصالح الجنس ومن ثم عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرتهم اذهي من
جملة ما نصره الله به واما القول بانه الانبيا وقيل ابو بكر وقيل عمر وقيل علي فلا دليل
بينه نعم ان صح حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم ابو بكر وعمر كان
بينة صدق لكونهما المراد به الفصل التاسع في بيان ما تضمنته سورة الفتح
من كراماته صلى الله عليه وسلم بما اتى مما يفوت الحصر قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا أناه
الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثنا عليه وكريم منزلته عند
الله ونعمته لديه ما اي الذي او شيا يقصر الوصف عن الانتها اليه لقصور الاحاطة به علما
فابتدا جلاله باعلامه مصدر مضاف الى فاعله او مفعوله اي اعلام نبيه او اعلامه
بما قضاه له من القضاء البين بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا اي انا قضينا لك على اهل
مكة ان تدخلها من قابل عام الحديبية اي بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته
بعد صده عنها اي هو وعد بفتحها وعبر بالماضي لتحققه او بما اتفق له بعد نزولها
سنة ست كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وسمي صلحا لانه كان بعد ظهوره
على عدوه حتى سالوه الصلح فكان سببا لفتح مكة وبه تفرغ صلى الله عليه وسلم لسائر
العرب فغزاهم وفتح بلادهم حتى دخل الناس في دين الله افواجا وظهر له في الحديبية اية
عظيمة هي ان ماءها نضب فلم يبق فيها قطرة فتمضمض ثم مج فيها فدرت ماء حتى رووا كلهم
او فتح الروم فانهم غلبوا فارس تلك السنة وعلم كونه فتحا له صلى الله عليه وسلم من سورة الروم
وانه عطف على باعلامه اي وبانه صلى الله عليه وسلم مغفور له غير مؤاخذ تاكيد لما قبله
لتضمنه معناه بما كان ويكون لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر

قاله

قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما يقع مما يصح ان يعاتب عليه كما في لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مومنين لعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث عبس وتولى
ان جاءه الاعمى وهو علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء دينه
وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا او تخليص
الضعفة من ايدي الظلمة وقال مكي جعل الله المنة بالفتح او بالهداية الى الاسلام سببا
للمغفرة وكل من المنة او الهداية والمغفرة من عنده لا اله غيره منه حالا او مفعول لاجله
بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك بجمعه لك النبوة والملك وظهور
دينك وفتح البلاد عليك وقيل بخضوع من تكبر لك قيل بفتح مكة والطايف وقيل برفع
ذكرك في الدنيا اقوال ثنا ولها عموم الاية ولا مرجح فالاولى حملها على العموم فاعلمه بتمام
نعمته عليه بخضوع متعلق بنعمته او بدل من بتمام او الباقية بمعنى من البيانية له ولما
بعده اي من خضوع متكبري عدوه له وفتح امهات البلاد يعني مكة عليه واجلاله ورفع ذكره
مما نشا عليه كله من نصره اياه على عدوه بعمومها شامل له هذا وانما كانت مكة ام البلاد
عليه فتحا لانها كانت منبع الكفار والعرب تبع لهم ينتظرون بالاسلام ما يكون منهم فان
اسلموا اسلموا او كان اهلها ينتظرون ما يكون من نبي الله في نصره عليهم وفتحه لها فكانت
بذلك امهم لتوقف اكثر العرب على اسلامهم ومن ثم دخل الناس في دين الله افواجا بعد فتحها
وكانت احبها اليه لشهادة حديث والله انك لاحب ارض الله الي واحب ارض الله الى الله
ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت وحديث ما اطيبك من بلد واحبك الي ولولا ان
قومك اخرجوني منك ما سكنت في غيرك وكفاك بهما شاهدا بفضل مكة على المدينة
وتامل حديث ورقة يظهر لك شدة حبه صلى الله عليه وسلم فانه اخبر بانهم يكذبونه فلم
يهتم له ثم بانهم يوذونه فلم يتحرك لنفسه ثم بانهم يخرجونه فاهتمت له وتحركت ثم قال
او مخرجي هم بفتح الواو وتشديد الياء عطف اما على ما قبله وقدمت الهمزة على العاطف وان كان
الاصل تقديمه لان الاستفهام له صدر الكلام وخصت بذلك دون اخواتها مرادوا انه حيث لم تقدم
نحو وكيف تكفرون فانى تؤفكون فاين تذهبون لانها اصلها فقدمت تنبيها على اصالتها واما على
مقدر بعدها اي امعادي ومخرجي هم لشهادة ما في الكشاف من تقديره بعدها في افلم يسيروا واي
امكثوا ومخرجي بكسر الخاء جمع مخرج ومصرخي جمع سلامة بواو ونون وما فيه لياء المتكلم حذفت نون
الجمع فاجتمعت الواو والياء وسبقتها بالسكون فقلبت ياء وادغمت فيها وفتحت تخفيفا لاجل الفرار من
اجتماع كسرتين وياءين وكسر ما قبل المنقلبة على الاصل التقاء الساكنين لان ياء المتكلم ساكنة
الاصل وهو خبر مقدم وهم مبتدا موخر ولا يجوز عكسه اذ لا يجوز ان يخبر عن نكرة بمعرفة لان
اضافته لفظية فانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال هذا ولك ان تجعله مبتدا لانه صفة اعتمدت
استفهاما وهم فاعله سد مسد الخبر وان كان ضمير الجريه مجرى الظاهر لكونه منفصلا وانما
احتلا السوال عن نفس اخراجه بالجر عطفا على تمام وكذا ما بعده او اعلمه بهدايته الى
الصراط المستقيم بقوله ويهديك صراطا مستقيما المبلغ الى الجنه والسعادة بنصره
النصر العزيز بقوله وينصرك الله نصرا عزيزا اي نصرا يعزبه المنصور فوصف بوصفه مبالغة

او نصرا فيه عز ومنعة ومنته اي اعلمه بمنه على امته المؤمنين بالسكينة التي جعلها في قلوبهم
بقوله هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي انزل فيها
الطمانينة ليثبتوا حيث تعلق النفوس وتزل الاقدام ويزدادوا ايقانا مع ايقانهم برسوخ
العقيدة وطمانينة النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء صلى الله عليه وسلم به ليزدادوا
ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر وبشارتهم اي واعلمه ببشارة امته بما لهم عند
ربهم وفوزهم العظيم لانه غاية ما يطلب والعفو عنهم والستر لذنوبهم بقوله ليدخل
المؤمنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيأتهم وكان ذلك
عند الله فوزا عظيما علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من انه دبر اي دبر
ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة وهلاك عدوهم
في الدنيا والاخرة وبعدهم عن رحمته وسوء منقلبهم بمعنى انقلابهم اي اعلمه ذلك بقوله
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دايرة
السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله والمؤمنين
عليهم دايرة ما ظنوه وتربصوه بالمؤمنين لا يتجاوزهم وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السوء لغتان
الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يذم والمضموم جرى مجرى الشر ووضع الواو في لعن
واعد موضع الفاء مع ان الغضب سبب اللعن وهو سبب الاعداد لاستقلال كل بالوعيد بدون
اعتبار سببيته ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا احوال مقدرة وردت مخبرة
ببعض ما اوتيه فعدد بذلك محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغ
الرسالة لهم وقيل شاهدا اي ليشهد يوم القيمة لهم بالتوحيد ومبشرا لهم اي يبشرهم
بالثواب في دار النجاة وقيل يبشرهم بالمغفرة ومنذرا اي ينذر عدوه بالعذاب
وقيل محذرا اي ويحذر امته من الضلالات ليومنوا بالله ثم به صلى الله عليه وسلم من
سبقت لهم من الله الحسنى اي المثوبة الحسنى او الجنة للشهادة ليومنوا بالله ورسوله ويعزروه
اي يجلوه وقيل ينصروه على عدوه وقيل تبالغوا في تعظيمه ويوقروه اي يعظموه وقرا
بعضهم ويعززوه بزاءين من العز اي ويعزوه والاكثر من المفسرين والاظهر وفاقا لهم
ان هذا اي يعزروه ويوقروه انزل في حق محمد صلى الله عليه وسلم لانه اقرب ذكرا فيرجع ضمير اليهما
اليه وينصره قوله فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ثم قال
وتسبحوه اي ينزهوه ويصلوا له بكرة واصيلا اي غدوة وعشيا فهذا اي ضمير يسبحوه راجع
الى الله تعالى وقيل الضماير الثلاثة لله واريد بتعزيره تعالى تقوية دينه ورسوله ومن فرق الضماير
فقد ابعد والخطاب في الاية على قراءة الافعال الاربعة بتاء له ولامته او لهم تنزيلا له
لخطابه منزلة خطابهم قال ابن عطاء جمع بالبناء للمفعول وترك فاعله لانه لا يكون الا من الله
للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة يعني سورة الفتح نعم مختلفة من حيث ذواتها من
بيانيته لا فرادا البانية عن الفاعل بعدها الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة من الله له صلى
الله عليه وسلم اذ قد ساله النصر في مواطن كثيرة والمغفرة وهي من اعلام المحبة التي هي
منه تعالى اما ارادة او فعل لتنزهه عن الميل النفسي وتمام النعمة وهو من اعلام الاختصاص

منه

منه له بما لم يؤته احدا غيره والهداية وهي من اعلام الولاية له منه بالنصر والتاييد
فالمغفرة تبرئته منه له من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الله له الى اعلا الدرجة الكاملة
التي لا درجة فوقها والهداية هي الدعوة الى المشاهدة في مقعد صدق مقربا قرب منزلة
وكرامة لا قرب مماسة ومسافة وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن طالب
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه اي اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الحبيب
عند محبه والا فالمحبة اصفى ود ولا يقال من حبة القلب بخلاف الخلة فانها ود تخلل النفس
وخالطها واقسم بحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم اي وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك
قسمي وهي لغة في العمر بالضم خص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دوره في القسم على السنتهم ونسخ به
شرايع غيره بشهادة وما ارسلناك الا كافة للناس وقوله بعثت الى الاحمر والاسود وعرج
به الى المحل الاعلى فكان قاب قوسين او ادنى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وقد تلي عليك بيانه وبعثه الى الاسود والاحمر اقتباس من الحديث لا على وجه انه منه قال
تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم
فقد كفتهم عن ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة
كتاء علامة اذ الاسم الذي لحقته قد بلغ الغاية في الوصف الذي يدل عليه ولا يجوز جعلها
حالا من الناس واحل له ولامته الغنايم اقتباس من حديث احلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي
وفي رواية لنا الغنايم وجعله شفيعا ومشفعا يوم القيمة في مقام محمود يحمده فيه كما
روي عن ابن عباس الاولون والاخرون ويشرف فيه على جميع الخلايق يسأل فيعطى ويشفع
فيشفع ليس احد الا تحت لوائه وسيسمع لهذا زيادة بيان وجعله سيد ولد ادم اقتباس
من قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وفي البخاري انا سيد الاولين والاخرين
ولا فخر حال مؤكدا اي اقول هذا ولا فخر وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه بشهادة والله ورسوله
احق ان يرضوه مع ما تقدم وجعله احد ركني التوحيد ظاهره انه لابد في اثباته من الاتيان بهما
وليس مرادا لحصوله بالاول فقط بل مراده انهما جعلا علما على التصديق به تعالى وبما جاء به صلى الله
عليه وسلم به من الدين ثم قال ان الذين يبايعونك اي يعقدون الميثاق معك على القتال انما
يبايعون الله لانه المقصود بالبيعة يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم
اياك يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد لما قبله على التخييل وهو ان يطلق اسم صورة
حقيقية على صورة وهمية مع قرينة مانعة من ارادة الحقيقة كان يشبه المنية بسبع له اظفار
فيأخذ الوهم في الاختراع لها ما هو من لوازمه من الاظفار فيصورها ثم يطلق عليها اسم الاظفار الحقيقية
ويثبتها للمنية قائلا اظفار المنية نشبت بفلان وكاليد هنا فانها لما توهمت له تعالى اطلق عليها
الوهم اسم الصورة الحقيقية في المبايع تمثيلا امتثالها الفوقية قائلا يد الله فوق ايديهم غير مريد
حقيقتها لتعاليه سبحانه عن الجوارح وصفات الاجسام قيل المراد بيد الله قوة الله اي قوته
في نصر رسوله فوق قواهم فاستعمال اليد الموضوعة للجارحة فيها لكون اكثر ظهور سلطانها في اليد
ولها تكون الافعال الدالة على القوة من اخذ ومنع وضرب وغير ذلك فهو مجاز مرسل لكون علاقتهما غير
المشابهة وقيل المراد بها ثوابه المترتب على مبايعتهم باذعانهم وانقيادهم لله ورسوله وقيل

اي نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز في الدنيا والثواب في الاخرة فوق منتهم عليك بمتابعتهم
لك ان يبذلوا انفسهم واموالهم فاستعملها فيهما لكونهما بمنزلة العلة الفاعلية لهما الصادرتين
عنهما وقيل المراد عقده بمعنى انه تعالى هو الذي اوجد البيعة وتمم عقدها فاستعار لايجادها
اسم اليد لكونه نشأ عنهما فهو من اطلاق اسم السبب على المسبب كذا قيل وانت خبير بانه لا علاقة
بين ايجاد عقدها وبين اليد سوى انه صدر عنها فالعلاقة بينهما هي السببية فهو مجاز مرسل
لا استعارة وان زعم لانتفاء علاقة المشابهة التي هي شرطها ولك ان تقول شبه عقدها بقبض
اليد فيه ثم خيل باثبات اليد له فعلى هذا يكون استعارة مكنية قرينتها استعارة تخييلية قوله
وتجنيس في الكلام لم يرد به التجنيس الصناعي بل اللغوي بمعنى المناسبة لان العقد اذا
اطلق عليه اسم اليد فانما يراد التي بمعنى الجارحة فبينهما وبين الايدي في الاية مناسبة
وتاكيد لعقد بيعتهم اياه من حيث ان بيعتهم معه صلى الله عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا
تفاوت بينهما فيده التي تعلو ايديهم هي يد الله تخييلا على ما مر وعظم بكسر اوله وفتح ثانيه
عطف على ما قبله اي وتاكيد لعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له بيعتهم
لله تعالى لجعل طاعته طاعته كما مر وقد يكون من هذا اي من قوله ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله قوله فلم تقتلوهم يعني قريشا بنصركم وتسليطكم عليهم ولكن الله قتلهم بما اذ
هو الخالق للقتل وهم المباشرون له وما رميت رميا توصل التراب الى اعينهم ولم تقدر عليه
اذ رميت يوم بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا او اخذا وارسالا ولكن الله رمى حقيقة
وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغه رميك من ايصاله التراب الى اعينهم جميعا فلم
يبق منهم مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا واسرا وان كان الاول يعني ان الذين
يبايعونك من باب المجاز على ما مر وهذا اي فلم تقتلوهم من باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة
كما مر هو الله وهو خالق فعله اي فعل المباشر ورميه وقدرته ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة
واكتسابا ومن ثم اسند الفعل اليه حقيقة ايضا وهو اي الله مسببه ولانه الضمير للشان
ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت فاعمت ابصارهم حتى لم يبق منهم من لم تملا
تلك الرمية عينيه ترابا ولذلك قتل الملائكة حقيقة وما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة
ايضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرتهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة
واكتسابا فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة هذا ولم يظهر
لي جهة كون فلم تقتلوهم الاية مثل اية ان الذين يبايعونك نعم يجوز ان يكون منه من حيث ان
اللفظ يطلق على معناه وعلى ما هو كماله والمقصود منه فهنا قد اطلق اولا على ما وضع له من نفي
القتل والرمي مع صدوره صورة فلم تقتلوهم وما رميت اذ رميت ثم اطلق ثانيا على ما هو المقصود
منه من قذف الرعب في قلوبهم ومنفعة الرمي وتاثيره في قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من
اطلاق السبب الذي هو القتل والرمي على مسببه الذي هو الرعب والمنفعة والتاثير وهذا مراده
بقوله ايضا اي اية فلم تقتلوهم على المجاز العرفي اي اللغوي اعني استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة
بين المعنى المجازي والحقيقي هي هنا السببية وعلى مقابلة اللفظ للمعنى ومناسبته له لما بينهما من
العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ في مسببه اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت

او من عقدها

في قوله

اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله القى في قلوبهم الرعب ورمى قلوبهم بالجزع
اي ان منفعة القتل ومنفعة الرمي كانت من الله فهو القاتل والرامي بالمعنى الذي هو ابتلاؤهم
بالرعب وادخال التراب في اعينهم حتى انهزموا وانت القاتل والرامي بالاسم من حيث مباشرتهما
الفصل العاشر في ذكر ما اظهره الله في كتابه العزيز اي المنيع الذي لا يعتري ساحة
عزه ابطال وتحريف والكثير النفع العديم النظير من كرامته عليه عنده وفي بيان ما خصه به من
ذلك الذي اظهره من كرامته ومكانته سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل متعلق بانتظم اي سوى
ما اكرم به فشبه على طريقة الاستعارة المكنية ذلك السوى بخرزات متقوبة وما ذكره بسلك
نظمت فيه واثبت لها النظم تخييلا من ذلك الذي اكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل ما نصه الله من
قصة الاسرا في سورة سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما نصه
منه في سورة النجم وقد تقدم الكلام عليه ومن ذلك ما انطوت عليه القصة من عظم منزلته
وقربه اذ كان قاب قوسين او ادنى ومشاهدته ما شاهد من العجائب كرؤيته الانبياء وتمثلهم
له ووقوفه على مقاماتهم ورؤيته ربه وذهابه واتيانه في برهة من الليل مسيرة ما لا يعلمه الا
الله وقد تعجب قريش من ذلك واحالوه ولا استحالة لشهادة ما ثبت في الهندسة من ان ما بين
طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد حكم علماء الكلام بان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله عليه وسلم
او في البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك من تعرض اعدائك لك روى
الترمذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله ولا
تعارض بينها وبين ما في البخاري وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم احد لخصوص العصمة
بالقتل او انها بعد وقعته وقوله اي ومنه عصمته بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا اذكره بعد الفتح
مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به اي واذكر اذ يمكرون بك في
دار الندوة متشاورين في امرك بحضرة عدو الله ابليس وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم
فجئت ولن تعدموا مني رايا ونصحا ليثبتوك يوثقوا ويحبس اشارة الى قول البختري اي ان
تحبسوه وتسدوا منافذه الا كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس
الراي ياتيكم من قومه من يخلصه او يقتلوك اشارة الى قول ابي جهل اري ان تاخذوا من كل بطن
غلاما مع كل واحد سيفا يضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى او يخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو
ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فتفرقوا على راي ابي جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لا تنم الليلة في مكان نومك
فامر عليا ان ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله واخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم
يقرا يس والقران الحكيم الى قوله لا يبصرون وقوله اي ومنه عصمته بقوله الا تنصروه فقد
نصره الله اي ان لم تنصروه فينصره من نصره اذ اخرجه الذين كفروا وليس معه الا ابو بكر

هم

فيه

بحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه اوان لم تنصروه فقد اوجب له النصر من نصره في ذلك
الوقت فلن يخذله بعده واسند اليهم الاخراج لتسببهم اذ اذن الله له في الخروج عن همهم به فكانهم اخرجوه
ثاني اثنين حال من ضمير اخرجه اي احد اثنين ومنه ما دفع الله به عنه في هذه القصة اي قصة
مكرهم به ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فحفظ الله له من اذاهم ليلة عزموا على قتله بعد تحزبهم
اي تجمعهم لهلكه بضم اوله وسكون ثانيه اي هلاكه وبعد خلوصهم اي انفرادهم واعتزالهم خالصين
من مخالطة غيرهم نجيا مصدر روزنته وصفوا به كما في جاؤا صديقا وجمعه انجية كندي واندية
اي متناجين في امره على اي صفة يؤذونه ليفوزوا بارائهم منه فطوقوا ابا الحنيبه ومن الاخذ
على ابصارهم عند خروجه عليهم مع ابي بكر الى الغار ليلة راموا قتله كما مر ومن ذهولهم عن
طلبه في الغار مع ترددهم حوله فلم يهتدوا اليه والغار نقب باعلا ثور جبل عن يمنى مكة مسيرة
ساعة وما ظهر لهم فوق ذلك اذ خرج عليهم وهم ببابه صلى الله عليه وسلم فلم يروه ونثروا
التراب على رؤسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الايات ونزول السكينة عليه
اي امنه الذي يسكن عنده القلوب اي على النبي صلى الله عليه وسلم او على ابي بكر وهو الحق لانه الذي
كان منزعجا بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم له لا تحزن ان الله معنا وقوله له ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وفي مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما ومن قصة سراقة بن مالك جعشم
بفتح ثانيه وقد يسكن اي على قدره وعدد ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة فانه تبعهما حين توجها منه مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما فرده الله خاسئا
ثم اسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف ومنه قوله انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك التفات من التكلم الى الغيبة ومقتضى الظاهر فصل لنا اي قدم على الصلاة
او على صلاة العيد خالصا لوجهه شكر الانعامه فانها جامعة لانواع الشكر وانحر اي ضح
بالبدن التي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج ولا تدعهم ولا تمنعهم الماعون وهذه
السورة كالمقابلة للتي قبلها ان شانئك هو الابتر اعلمه صلى الله عليه وسلم في هذه السورة
بما اي ببعض ما اعطاه والا فقد اعطاه ما لا كثره والكوثر حوضه بشهادة حديث اتدرون
ما الكوثر قلت الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي
يوم القيمة وهذا انما يصلح شاهدا اذا كان قوله هو حوض بيانا لقوله خير كثير فلا وقيل نهر في
الجنة بشهادة حديث الترمذي رايت في الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل
قال الكوثر الذي اعطاكه الله وحديثه ايضا اعطاني الله الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي
وقيل الخير الكثير ولعل هذا هو الحق لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط فيها ويؤيده خبر ابن
عباس في البخاري الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاكه الله قيل لسعيد بن جبير ان ناسا
يزعمون انه نهر في الجنة قال هو الخير الكثير الذي اعطاه مع ان سبب انزالها ان بعض
سفهاء قريش او كعب بن الاشرف قال ان محمدا قد اصبح ابتر قليل العدد مقطوعا من الولد
فاعطيه عوضا عن مصيبته بابنه القاسم وجيء باسم معنى الكثرة المفرطة المضاده لمعنى
البتر اعني القلة ردا لقوله مع تضمنه جميع ما قيل فيه مما مر او الشفاعة او المعجزات
الكثيرة او النبوة او المعرفة اقوال وهي مع حسنها وافصاحها باثبات اكرامه صلى الله عليه

وسلم

وسلم بمعانيها لمرافقة على دليل لها ثم اجاب اي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم عدوه ورد عليه
قوله ان محمدا قد اصبح ابتر فقال ان شانئك هو الابتر اي ان عدوك ومبغضك وقد قيل
الابتر الحقير الذليل الذي لا ذكر له حسن ولا ثناء جميل او المنفرد الوحيد الذي لا ولد له
ولا عقب او الذي لا خير فيه واما هو صلى الله عليه وسلم فذكره الحسن وعقبه واثار فضله
باقية الى يوم القيمة وله في الاخرة ما لا يدخل تحت وصف قال تعالى ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال بكسر الطاء جمع طويلة واما
بضمها فمفرد كرجل طوال الاول البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال
مع براءة لانها في حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بتسمية والقران العظيم ام القران
لاشتمالها على كليات معانيه اذ اولها ثناء واوسطها تعبد بالامر والنهي واخرها وعد
ووعيد فكانها هو ولهذا مزيد بيان تقدم وقيل السبع ام القران لحديث نادى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابي بن كعب وهو يصلي فلما فرغ لحقه فوضع يده صلى الله عليه وسلم
على يده ثم قال اني لارجوا ان لا اخرج من المسجد حتى اعلمك سورة ما انزل في التورية والانجيل
مثلها ثم قال كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة قال فقرات الفاتحة فقال هي هذه السورة هي
السبع المثاني وحديث ام القران هي السبع المثاني والقران العظيم سائره اي باقي القران
وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ايجابا كاقيموا الصلاة او ندبا كافعلوا الخير او نهي
تحريما كلا تقربوا الزنا او كراهة نحو ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون روي انهم كانوا
يتصدقون بردي التمر فنزلت اي ولا تقصدوا الردي تتصدقون به وبشرى للمؤمنين
وانذار للكافرين وضرب مثل نحو ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل هل يستويان واعداد نعم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة واتيناك نبا
القران العظيم اي اعطيناك علم ما اشتمل عليه مما ذكر ومن قصص ومواعظ وبلاغة واعجاز
وثناء على الله بما هو اهله وغير ذلك وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثني اي تكرر في كل
ركعة اي صلاة تسمية للكل باسم جزئه او في كل ركعة باعتبار الركعة بعدها وفي الفائق
انها تثنى اي تكرر في قومات الصلاة اي في كل قومة او في مجموع القومات وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبيا وهذا الاخص الفاتحة بل جميع السور كذلك
وسمي القران مثاني لان القصص تثنى اي تكرر فيه والمثاني جمع مثناه او مثنى من التثنية
بمعنى التكرير لما فيه ايضا من تكرير امثال الوعد والوعيد واخبار وغير ذلك او من الثناء لما
فيه من ثناء عليه تعالى بصفاته العظمى واسمائه الحسنى وقيل عن جعفر بن محمد السبع المثاني
هي انا اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم
والسكينة فيجوز جرها على البدلية ورفعها على الخبرية وهي سبع مقابلة لابواب جهنم
السبعة فمن اكرم بها امن منها وانزلنا اليك الذكر اي القران سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه
لتبين للناس اي الانس والجن كما في الصحاح ولعله بطريق التغليب ما نزل اليهم فيه مما امروا
به ونهوا عنه وتشابه عليهم والتبيين اعم من ان يكون بنص على المراد او مرشد الى ما يدل عليه
كالقياس ودليل العقل وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا للمؤمنين ونذيرا

للكافرين تكفهم لشرعك عن الظلم والكفر وقد تقدم له فضل بيان وقال قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم امره ربه ان يعلمهم انه رسوله اليهم جميعا حال من اليكم فهذه اي الاية من خصائصه
جمع خصيصة لم يشاركه فيها احد لورودها شاهدة باختصاصه بعموم رسالته ومشعرة
بان كل رسول بعث الى قومه خاصة لشهادة وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغة
قومه الذين هو منهم وبعث اليهم ليبين لهم ما امروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر تخصهم
بقومهم ارسالا ودعوة وانذارا وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق مصدر بمعنى المخلوق
كافة من الكف لكفهم بدعوته عن ان يخرج منها احد منهم لاحاطتها بهم كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود اي العرب والعجم كما مر مع اختلاف لغتهم وكان
يخاطب كلا بلغته الا ان اولاها لغة قومه لانهم اولى الناس بالدعوة والانذار اليه ومن ثم
امر اولا بانذار عشيرته ثم دعى وانذر من دعاه وانذره بلغته ثم اصحابه دعوا وانذروا
بما فهموه منه وترجموه لهم وقال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم جمع ام
اصلها امهة لشهادة امهتي خندف والياس ابي ومن ثم جمع على امهات ومنهم من خصه
بالآدميات والامات بالبهائم وخندف لقب ليلى امرأة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان وكان الياس على مقدمة سليمان لما عدى الى بلقيس قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم في جميع الامور اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده
اذ لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس فيجب
عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه عليهم انفذ من حكمها واتباع امره ونهيه دون
امرها ونهيها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه صلى الله عليه وسلم ندب الى غزوة
تبوك فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
تنزيلا لهن منزلتهن حرم نكاحهن عليهم بعده صلى الله عليه وسلم تكرمة له وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ولانهن له ازواج في الاخرة ثم الهن فيما
عدا ذلك كالاجنبيات وامهات الرجال في الحرمة عليهم لحرمة امهاتهم عليهم وقد قرئ وهو
اب لهم اذ كل نبي اب لامته من حيث انه سبب حياتهم الابدية ومن ثم صاروا اخوة في الدين من
حيث انتسابهم الى اصل واحد هو الايمان الناشي عنه صلى الله عليه وسلم ولا يقرأ به الان
لمخالفته المصحف الامام الذي نسخه عثمان وعليه الناس وقراءة الناس وقراه ابن عباس
قبل قوله وازواجه امهاتهم وابي بن كعب بعده وقال وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
فيما علمك وانعم عليك وقيل فضله العظيم النبوة اذ لا فضل اعظم منها وقيل ما سبق له في الازل
من صلات المكارم وهبات الكريم واشار الواسطي الى انها اي هذه الاية اشارة الى احتمال الرؤية
اي رؤية ربه تعالى ليلة الاسرا التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم لشهادة ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فانه استدراك اريد به بيان كونه لا يطيقها مع ما افاده
من جوازها بتعليقها على ممكن هو استقرار الجبل ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والله اعلم
الباب الثاني من القسم الاول في تكميل الله له صلى الله عليه وسلم المحاسن

جمع

جمع حسن على غير قياس خلقا وخلقا اي محاسن خلقه وخلقه والثاني السجية والطبيعة وهو لصورة
الانسان الباطنة التي هي نفسه وصفاتها حسنة وقبيحة بمنزلة الاول لصورته الظاهرة
واوصافها حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يترتبان على اوصاف الباطنة اكثر من ترتبهما على
اوصاف الظاهرة وقرانه عطف على تكميل وتقدم بيانه جميع الفضائل الدينية نسبة الى دين
الاسلام وهو توحيد الله تعالى وما يجب الايمان به والدنيوية نسبة الى الدنيا والافصح كنظائرها
مما اخره الف زيدت للتانيث رابعة اذا الحقها ياء النسبة حذف الفها فيقال في دنيا دني بياءين
اولهما مكسورة وفي حبلى حبلي ويجوز جعلها كالفاصلة فتقلب واوا فيقال دنيوي كما مر وفي
اخرى اخروي كما تجعل المنقلبة كالزائدة فتحذف فيقال في موسى موسي وكذا موسوي
على الاصل ويجوز بلا حذف وقلب فيقال دنياوي وهي اضعفها اعلم خطاب لكل من يتاتى توجيه الخطاب
اليه اولمن ساله تاليف هذا الكتاب او جرد من نفسه من خاطبه حثا له على الاصغاء الى ما
يلقيه اليه ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم اعتراض بين
الخطاب وما خوطب به ورد شاهدا بتخصيص الخطاب بمن جرى هو عليه ان خصال الجلال والكمال
من الكيفيات النفسانية وغيرها سواء كانت النفس النفسانية في النفس باعيانها وتسمى وجودا
متاصلا او بصورها وتسمى وجودا غير متاصل كالكرم يتصف به الكريم وان لم يتصوره وقد
يتصوره البخيل وان لم يتصف به والجلال العظمة وفي نسخة الجمال والاول اكثر وجودا
في النسخ المعتمدة ولا يغرب عنك ما نقل عن الاصمعي انه كان ينكر على من يصف به احدا من البشر
اذ لا يوصف به لغة الا الله وقد رد بقول هدبة بن خشرم • فلا ذا جلال هبنه لجلاله
• ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد • في البشر نوعان احدهما ضروري دنيوي اقتضته جبلته
اي طبيعته التي جبل عليها وصورته التي خلق عليها واقتضته ايضا ضرورة الحياة الدنيا مما
ليس اختياريا ثم اقتضاؤهما بمعنى ايجاده فيه لشهادة قوله بعد مثل ما كان في جبلته من كمال
وثانيهما مكتسب ديني وهو ما توقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلمية التي اعظمها معرفة
الله تعالى مما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى اي قربة اسم مصدر لازدلف ثم هي اي خصال الجلال
على فنين ايضا اي نوعين منها ما يتخلص اي يتمحض لاحد الوصفين الضروري والمكتسب من غير
امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق عليه اسم الاخر ضروريا او كسبيا ومنها ما يتمازج ويتداخل
بان يكون ضروريا او كسبيا كما سياتي فاما الضروري المحض اي الذي لا يكون مكتسبا فما
ليس للمرء فيه اختيار في حصوله ولا اكتساب له مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
فيه جناس لاحق بين كمال وجمال وقوة عقله من اضافة الصفة الى موصوفها اي عقل بمعنى تعقل
هو قوة بها يبدا القلب مما ينتهي به اليه درك الحواس فيهتدي الى المبادي ويتمكن من ترتيبها
فيهتدي له المطلوب فيدركه بتامله اي التفاته وتوجهه اليه بتوفيق الله والهامه اذ الافكار
معدات للقلب اي الروح المسمى قوة عاقلة ونفسا ناطقة وفيض المطلوب انما هو بالالهام
وتوفيق الملك العلام فحاصل معناه حصول شرائط التوصل الى المطلوب وانكشاف الحجب عنه
والتهدي الى طريق يوصل اليه وقد يقال هو قوة للنفس الناطقة بها تتهيا لاكتساب العلوم اذ
الموجود ان كان لاختيارنا في وجوده اثر فالعلم به يسمى نظريا والا فعليا ومن ثم حصل للنفس

قوتان علمية هي مبدأ الادراك وباعتبار تأثرها عما فوقها هي مستكملة في ذاتها مكملة للنفس
ويسمى عقلا نظريا وباعتبار تصرفها في الضروري لحصول النظري كان للنفس اربع عقول هيولاني
كاستعداد الطفل ثم بالملكة كاستعداد الامي بادراك الضروري ليحصل به النظري ثم
بالفعل كالقدرة بادراك النظري على استحضاره متى اريد ثم مستفاد ان استحضره مشاهدا
له وعملية هي مبدأ العمل وتسمى عقلا عمليا وللنفس باعتبار تكميلها لها وللبدن اربع مراتب
تهذيبها ظاهرا ثم باطنا ثم ما يتحلى به من المعارف ثم ما يتجلى لها من جلال الله وجماله ولهذا
مزيد بيان وشرح نأتي به في كتابنا مقاصد المقاصد **وصحة فهمه** من اضافة الصفة الى موصوفها
وهي قوة ادراكية لمعاني الاشياء وكثيرا ما يعبر عنه بالنفس الناطقة **وفصاحة لسانه**
اي طلاقته بتراكيب جارية على قانون العربية مع رعاية المطابقة ووضوح الدلالة
وقوة حواسه سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا وهي قوى يدرك بها ما جعلت آلة له الا ان
المرتسم في الباصرة هو صورة المحسوس في الخارج ومعنى محسوسيته حصول صورته فيها لا نفسه
وتمامه هذه الحواس ارتسام المحسوس في الحواس الباطنة والمشهور انها ايضا خمس ذكرناها في [هامش: خمس]
كتابنا مقاصد المقاصد **وقوة اعضائه واعتدال حركاته** لسلامتها من الآفة والحركة اما امر
متوهم هو حصولات متعاقبة مستمرة في احياز متلاصقة في متصل ممتد ومن ثم لا توجد في
الاعيان لفقد تمامها ما دام المتحرك لم يصل الى منتهى فاذا وصل انقطعت وبطلت بل في الاذهان
لان للمتحرك نسبة الى المكان الذي تركه والى الذي ادركه فاذا ارتسم في الخيال صورة كونه في الاول
ثم ارتسم فيه قبل زوالها صورة كونه في الثاني فقد اجتمعتا فيدركهما الذهن على انهما شيء واحد
واما امر موجود محقق وهو الحصول في حيز بعد الحصول في آخر ثم لا بد له مما منه وهو المبدأ والى ما اليه
وهو المنتهى وفيه كالاين والوضع والكم وبه وهو علته الفاعلية اعني المحرك وله وهو علته المادية
بمعنى المحل اعني المتحرك اذ لكونها عرضا لا بد لها من محل تقوم به **وشرف نسبه** اذ في الغالب من
تحلى به زكى بنفسه عن سفساف الامور الى عاليها وذميم الصفات الى معاليها **وعزة قومه وكرم ارضه** [هامش: ارباع]
اي طيب مكانه الذي نشأ فيه واعتداله **ويلحق بها** اي بالضروري المحض **ما تدعوه ضرورة حياته اليه**
ما نكرة موصوفة بما بعدها وضميره للمرء وضمير اليه لما اي يلحق به شيء من الامور العادية تدعو
المرء شدة احتياج حياته اليه **من غذائه** اما بفتح اوله وبدال مهملة فهو الطعام بعينه واما
بكسره وبذال معجمة ما يتغذى به من طعام وشراب وهو الاليق هنا اذ كل منهما تدعو الضرورة
الحياة اليه **ونومه** هو عرض يحدث من استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات الابخرة المتصاعدة
اليها بحيث يقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس **وملبسه ومسكنه ومنكحه** اسما لما يلبس
ويسكن وينكح **وماله وجاهه** اي قدره ومنزلته **وقد يلحق هذه الخصال الاخرة** اي التي تدعوه [هامش: الاخرة]
ضرورة حياته اليها بالخصال **اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها**
اي طريق الخصال الاخروية **وكانت** تلك الخصال الملحقة بها **على حد الضرورة**
وداعية الحاجة من غير اسراف وزيادة فوقها **وكانت ايضا على قوانين الشريعة** مما ابيح
وجوز وهذا معنى قول الغزالي وغيره قد تصير العادات عبادات بالنية اذ الامور بمقاصدها
واما الخصال المكتسبة الاخروية فسائر اي جميع **الاخلاق العلية والآداب الشرعية**

نسبة

نسبة الى الشرع مما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم واستعمال سائر بمعنى جميع كثير شائع وان [هامش: الكثرة]
كان بمعنى الباقي اكثر لشاهد له امر غيلان في حديث البخاري وقد اسلم على عشر نسوة اختر
اربعا وفارق سائرهن اي باقيهن **من الدين** اي الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله
والعلم بما للنفس وما عليها مما به نظام المعاش والفوز بنجاة المعاد **والحلم** هو ملكة يقتدر
بها على الصبر على الاذى **والصبر** هو حبس النفس عند الجزع بمصيبة بان يتصور ما خلق لاجله
ورجوعه الى ربه وتذكره نعمته عليه فيرى ان ما ابقى له اضعاف ما استرده منه فيهون
على نفسه والمصيبة كلما اصابه من مكروه لشهادة خبر انطفى سراج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كلما يؤذي المؤمن فهو له مصيبة
وقال من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
والشكر اي الثناء على المنعم بما اولاكه من معروف بان تصرف جميع ما انعم الله به عليك من سمع
وبصر وغيرهما الى ما خلقت لاجله **والعدل** هو ملكة يقتدر بها على اجتناب ما لا يجمل فعله
والزهد فيما عدا الضروريات من المباح وقد يقال هو ترك الحرام ولا ريب في وجوبه او ترك
الشبهات والاشبه وجوبه لكونه ذريعة الى اجتناب الوقوع في الحرام لشهادة حديث ومن وقع
في الشبهات وقع في الحرام واجتناب الوقوع فيه واجب فالزهد مثله او ترك ما سوى الله مريدا به
وجه الله وهو زهد المقربين **والتواضع** اي الخضوع والتذلل ولين الجانب **والعفو** هو الصفح والتجافي
وعدم المؤاخذة **والعفة** هي قمع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي **والجود** صفة مدح بين طرفي افراط
يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا هي بذل ما ينبغي فيما ينبغي **والشجاعة** ملكة بين طرفي افراط يسمى تهورا
واقداما على ما لا ينبغي وتفريط يسمى جبنا وحذرا عما ينبغي هي استعمال قوة غضبية فيما ينبغي [هامش: على ما ينبغي]
والحيا هو انقباض عن القبيح حذرا من الذم بين طرفي افراط يسمى وقاحة وجراءة على القبائح
وعدم المبالاة بها وتفريط يسمى خجلا وانحصارا عن الفعل مطلقا فهو انكسار يعتري القوة الحيوانية
فيردها عن افعالها **والمروة** صفة مدح تحمل على التعاون والتعاضد مما يورث تآلفا وتحاببا
الا انها قد تنفع وقد تضر لعدم العلم بسلامة العاقبة **والصمت** مما يورث السلامة من آفات
اللسان وفلتاته لشهادة حديث فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا فقيل اونؤاخذ بما نتكلم
يا رسول الله فقال وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم **والتؤدة** مما يورث
الحفظ من الوقوع في ندامة الاستعجال قال صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك لخصلتين
يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة ومن ثم قيل قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
والوقار اي الحلم والرزانة **والرحمة** اي الرقة والتعطف على مأمور **وحسن الادب والمعاشرة واخواتها**
كالنجدة والمعونة والنصر والسخا **وهي** اي هذه الملكات النفسانية المكتسبة **التي جماعها**
بكسر اوله اي مجمع تلك الملكات بمعنى انه يصدق على كل جزء جزء من جزئياته كما يقال جماع الحق
اخبية اي مجمعة **حسن الخلق** وهو سجية حميدة تورث الاتصاف بما ذكر من الملكات مع طلاقة وجه
وانبعاث نفس وملاطفة اذ به ائتلاف القلوب واتفاق الكلمة وانتظام الاحوال وملاك
الامر وفي حديث وخالق الناس بخلق حسن تلويح بانه يمكن اكتسابه والا لما صح الامر به ومثله
حديث يا معاذ حسن خلقك مع الناس انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن الخلق

وحديث ان الله اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن الخلق والسخا وقد ورد خياركم احاسنكم
اخلاقا وورد اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وورد ان العبد ليدرك بحسن الخلق درجة
الصايم القايم ولما نزل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال له جبريل ان تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقالت عايشة كان خلقه القرآن يأتمر
باوامره وينزجر بزواجره ويرضي لرضاه ويسخط لسخطه وبالجملة لحسن الخلق خير كله
وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو مخلوق مودع في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس
طبع عليه في اول خلقته ونشأ عليه وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ويقتدي بغيره فيها
فتصير له كالغريزة ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة خلق عليها
يرجع فيما يكتسبه اليها بجذب طبعه الاول اليها قال كل امرء راجع يوما لشيمته
ان التخلق يأبى دونه الخلق وتكون هذه الاخلاق دنيويه على ما مر قريبا اذا لم يرد بها
وجه الله والدار الاخرة اما اذا اريد به ذلك صارت مما يتقرب به فيثاب عليها ثواب القرب
ولكنها اي الغريزيه وان لم يرد بها ذلك كلها محاسن وفضايل اي ملكات محموده مختصة بذويها
لا يتجاوزهم الى غيرهم باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب اي سبب
حسنها وتفضيلها على غيرها او بعضها على بعض اهو ذاتي اقتضته ذواتها وطبايعها ام
خلق الله له في ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكائنات اليه تعالى ابتدا اذ
هو الخالق وحده وهي ملكات محموده مكمله للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة
في الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن اعدل كانت النفس الفايضة
اكمل والى الخيرات اميل وللكمالات اقبل وعكسه عكسه ثم لا نزاع في انها من واجبات العقل
لحكمة تقام من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع في
ان العاقل قبل وروده او بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال ويحرم بعضها بمعنى
استحقاق الثواب والعقاب في الاخرة ام لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب
قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسالة الحسن والقبح ولهذا فضل بيان وشحنا به شرح
نظمنا درر القلايد وشرح كتابنا مقاصد المقاصد فصل في تعداد خصال محموده
خصها صلى الله عليه وسلم ونذكر فيما بعده من الفصول مقتبسة من الكتاب والسنه اذا كانت
خصال الكمال والجلال ما ذكرناه في الفصل السابق ووجدنا الواحد منا يشرف بهم
اي يصير شريفا رفيعا بواحدة منها واثنتين ان اتفقتا له في كل عصر متعلق بيشرف
او باتفقتا وفي نسخه واوان من عطف الخاص على العام اذ العصر الدهر اي الزمان والاوان
زمن مخصوص كزمن الربيع والداعي الى عطفه الخطابه في ان كل وقت لا يخلو من احد يشرف
بذلك ثم ما يشرف به اما ان يكون من نسب او جمال اي حسن او قوة هي مقوله بالاشتراك على
ما يكون بالفعل كالشجاعة وعلى ما يكون بالشان كالانسان كاتب بالقوة اي من شانه ذلك
وعلى ما في النفس من ابصار وادراك وفكر وتمييز وغضب وعلى ما في الحديد ونحوه من صلابة
وامتناع من الثني والكسر وعلى ما يتمكن به من مزاولة افعال شاقه لاعتدال في الاعصاب
بين افراط وتفريط من يبوسة ورطوبة وهي المرادة هنا والقدرة اخص منها لاشتراط الارادة

فيها

فيها اذ هي التمكن من اظهار القوة مع الارادة او سماحة اي جود وعطا والمسامحة المساهلة حتي
يعظم قدره غاية لوصفه بما ذكر اي يصير معظما مبجلا ويضرب باسمه الامثال مبالغة في تعظيمه
بجعل اسمه مثلا يضرب به الامثال التي يضرب اي يوصف بها للبيان اذ المثل انما يصار اليه
لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في معرض المحسوس ويتقرر له بالوصف
بذلك اي بما ذكر من الصفات في القلوب اثره بكسر همزته وضمها وسكون المثلثه وبفتحهما
اي خلاصه مكرمة وعظمة ينفرد بهما وهو منذ عصور خوال اي دهور مواض عظامه
رمم بوال بيان لرمم كافي جمع ومنذ مبني على الضم يصلح كما في الصحاح ان يكون حرف جر فيجر
ما بعده كفي فلا يدخل الا على زمان كما هنا وان يكون اسما فيرتفع ما بعده منذ ما يدل على
التدرج في مثل ما رايته منذ يوم الجمعة اي اول انقطاع رؤيته يومها وعلى التوقيت ولا يكون
ما بعده الا نكرة في نحو ما رايته منذ سنة اي امد انقطاع رؤيته سنة وفيما هنا اي امد بلا
عظامه عصور خوال فما ظنك بعظيم قدر من استفهام عما يورث تعجبا من عظيم قدره اذ قد
اجتمعت فيه هذه الخصال الحميده والملكات النفيسة الي ما لا ياخذه عد اي احصا منها ولا يعبر
عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال اي العظيم الشان المستعلي
على كل شي بقدرته او الكبير من نعت المخلوقين المتعالي عنه من بيانيه لما بعدها فضيلة النبوة
هي كونه نبيا مبعوثا من الحق الى الخلق ثم هو ان كان هو من النباوة اي الرفعة لشرفه اي من النبي
بمعنى الطريق لكونه وسيلة الى الله فهي على الاصل بلا همز كالابوه او من النبا بمعنى الخبر لانبايه
اي اخباره عن الله فعلى قلب همزتها واوا ثم الادغام كالمروه والرسالة هي كونه واسطة بين
الله وبين عباده وقد مضت معناهما فيما مر والخلة هي صفا موده توجب الاختصاص وتخلل
النفس وتخالطها والمحبه هي صفا موده تشق شغاف القلب وتصل الى الفواد وستاتي
لما فصل بيان والاصطفا بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية لشهادة ان الله
اصطفي من ولد اسماعيل كنانه واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني في
من بني هاشم واصله اصتفا افتعال من الصفوة اي الخلاصة اعل بقلب تائه طا لوقوعها
بعد فاء الافتعال صادا وكذا اذا كانت فاؤه ضادا او طا فانها تقلب طا ثم يجوز ذلك ان
يظهرها مع فانه في افتعل من الصيد اصطاد ومن الضرب اضطرب ومن الظلم اظطلم وان
تدغمها في الفا فتقول اصاد واضرب واظلم ولك في الثالث خاصة ان تدغم الفا فيها فتقول
اطلم وزعم ابن السراج انها فصحا لغاته واما اذا كانت الفا طا لزم الادغام وجها واحدا
فتقول في افتعل من الطرد اطرد والاسري قد مر بيانه والرؤيه يحتمل ان يريد بها مصحح
رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه فيكون منه ذهابا الى ما هو اشهر القولين وهو غير ما
اختاره فيما ياتي ويحتمل ان يريد بها رؤيته صلى الله عليه وسلم من ايات ربه الكبرى كما مر
لشهادة حديث البخاري راى رفرفا اخضر في الجنة قد سد الافق وحديث مسلم راي
جبريل في صورته له ستمائة جناح والقرب والدنو لشهادة ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى على القول بانه صلى الله عليه وسلم هو المراد لا جبريل والوحي مصدر وحي واوحي
للانبيا وربا عيا ومصدرا للثلاثي وفعل الرباعي اكثر استعمالا وهو شرعا اعلام الله انبياءه الشي

الشي بحوكتاب اوملك اوالهام ويجوز ان يراد به الموحى والشفاعة يجوز ان يريد بها التي
لفصل القضاحين يفزع الناس من هول الموقف اليه بعد فزعهم الى الانبيا فيقول صلى الله
عليه وسلم انا لها فلامها عهدية وان يريد بها ما خص به من الشفاعات الخمس او الشفاعة
مطلقا فلامها استغراقية وسياتي له مزيد بيان والوسيلة هي في الاصل ما يتوصل
ويتقرب به واراد بها هنا القرب من الله ومن المراجعة في الشفاعة والواسل الراغب
الى الله تعالى قال لبيد ✿ اري الناس لا يدرون ما قدر امرهم ✿ بلى كل ذي دين الى الله واسل
او هي منزلة في الجنة كما ورد به الحديث والفضيلة لعلها صفة خاصة خصه الله بها
او شاملة لجميع ما منحه الله به والدرجة واحدة الدرجات اي الطبقات من المراتب
الرفيعة والمقام المحمود لحديث ابي حاتم يبعث الله الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي
على تل فيكسوني ربي حلة خضرا فاقول ما شا الله ان اقول فذلك المقام المحمود وكفاك به
شاهدا بانه غير الشفاعة وقد تكون هو هي لا شعار قوله فاقول ما شا الله ان اقول
في مراجعة ربي في الشفاعة بذلك هو المقام المحمود فلا تغاير بينهما وسياتي القولان
والبراق والمعراج ظاهر العطف مغايرته للاسرا ويمكن ان يقال الاسرا من المسجد الحرام
بجسده يقظة ليلة سبع وعشرين من رجب وجزم به النووي في السير من الروضة وفي فتاويه
من ربيع الاول وفي شرحه لمسلم من ربيع الاخر الى المسجد الاقصى نصا والمعراج من الصخرة
الى السما استفاضة فالى الجنة او العرش او طرف العالم احادا هذا ولا يعزب عنك ان
البراق قد ركبه الانبيا قبله كما ورد من طرق كثيرة وفي سيرة ابن هشام عن ابن الزبير ان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يحج كل سنة على البراق وروى البيهقي انه احتمل هاجر عليه وسباني
عن حل بقية فما زايلا يعني نبينا وجبريل ظهر البراق حتى رجعا وايهما كان رديفا للاخر قيل
جبريل الاحاديث وردت فيه بعضها معضل وبعضها مرسل وبعضها محتمل لحديث ابن حبان
ان جبريل حمله على البراق رديفا له اذ الجملة الحالية يحتمل ان تكون منه صلى الله عليه وسلم
فيكون هو الرديف وان تكون من جبريل فيكون هو الرديف ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه
وسلم لابي ذر وقد راه يمشي امام ابي بكر تمشي امامه وهو خير منك لصراحته بان من كان
خيرا يكون امام والبعث الى الاحمر والاسود اي العرب والعجم والصلاة بالانبيا ببيت المقدس
عند الصخرة والشهادة بين الانبيا والامم يوم القيامة كما مر وسيادة ولد ادم وتقدم
حديثه مع حديث انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر ولوا الحمد هو والله اعلم ما يكون له صلى
الله عليه وسلم سئل عنه فقال ثلاث شقق ما بين السما والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن
الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة ابو بكر
الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين علي المرتضى والبشارة والنذارة بشهادة انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة
بشهادة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين والمفسرون على
ان الموصوف في الاية هو جبريل وبها استدل من فضله على الانبيا اذ قد عدد فضائله
واقتصر على نفي الجنون عن نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون ورد بان

المقصود

المقصود من تعدادها نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضله
والموازنة بينهما والهداية بشهادة وتهديك صراطا مستقيما ورحمة للعالمين بشهادة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واعطا الرضى بشهادة ولسوف يعطيك ربك فترضى والسول
فعل بمعنى مفعول اي المطلوب لانه افضل الخلق فهو لها احق والكوثر تقدم بيانه واسما
القول كما في حديث الشفاعة وقل يسمع واتمام النعمة بشهادة ويتم نعمته عليك والعفو
عما تقدم وما تاخر بشهادة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وشرح الصدر ووضع
الوزر ورفع الذكر بشهادة الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك وعزة النصر بشهادة وينصرك الله نصرا عزيزا ونزول السكينة والتاييد
بالملائكة بشهادة فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها اي بملائكة يوم بدر وحنين
والاحزاب وايتاء الكتاب والحكمة بشهادة وانزل الله عليك الكتاب والحكمة والسبع المثاني
بشهادة ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وتزكية امته بشهادة هو الذي بعث
في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم يوم القيمة اذا شهد وا للانبيا اذا انكرت
اممهم والدعا الى الله بشهادة قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة وداعيا الى الله باذنه على
ما مر اي بامره وصلاة الله وملائكته عليه بشهادة ان الله وملائكته يصلون على النبي والحكم
بين الناس بما اراه الله بشهادة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ووضع
الاصر والاغلال عنهم بشهادة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم والقسم باسمه
في لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واجابة دعوته في مواطن كثيرة كبدر اذ قال اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم وتكليم الجمادات بشهادة حديث البخاري
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل هو الحجر الاسود ومنه تسبيح الطعام والحصى وتكليم
الحيوانات العجم كنطق الضب والظبي والجمل واحياء الموتى اذ قد ورد انه صلى الله عليه وسلم
قفل من غزاة فمات بعير بعض اصحابه فدعا الله فاحياه الله حتى ركبه الى المدينة ثم مات واسماع
الاصم كامره صلى الله عليه وسلم الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتبعا فقال حتى صرن ركاما
ونبع الماء من بين اصابعه بشهادة قول جابر في البخاري فرايت الماء ينبع من بين اصابعه وتكثير
القليل بشهادة حديثي انس في قصة ابي طلحة والزاد في البخاري فانه امر بما بقي منه فجيء
بقليل منه فدعى وبرك فيه فكثر حتى ملؤا اكل وعاء معهم وانشقاق القمر من معجزاته صلى الله
عليه وسلم قال انس ساله قريش اية فانشق مرتين وعن ابن عباس انفلق فلقتين ذهبت فلقة
وبقيت فلقة وعن ابن مسعود رايت حرا عليه فلقتي القمر ورد الشمس في الخندق وفي صبيحة
الاسرا وسياتي له مزيد بيان وقلب الاعيان من اياته صلى الله عليه وسلم يوم بدر عصى فعاد
بيده سيفا صارما ولا يصح ذلك الا على يد نبي والله تعالى هو القادر عليه والنصر بالرعب
بشهادة حديث نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا نصرت
بالرعب واهلكت عاد بالدبور والاطلاع على الغيب بشهادة حديث خروج الدجال والا
وثلاث خسوفات وولاية العبيد والاراذل ولاثاني ولاية العبيد قوله صلى الله عليه
وسلم لا يزال هذا العبد في قريش ما بقي في الناس اثنان الايمة من قريش الناس تبع لقريش

لان ولاتهم قد تكون ناشئة عن امام قرشي بشهادة حديث الحاكم الايمة من قريش ابرارها
ولجارها امرا ولكل حق فاتوا كل ذي حق حقه وان امرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا
فاسمعوا واطيعوا وظل الغمام وتسبيح الحصى وابرا الالام لاحاديث وردت في ذلك الى ما
اي فضل عظيم كثير لا يحويه محتفل اي مهتم بجمعه لكثرة تكاد تخرج عن طوق من يهتم لذلك
ولا يحيط بعلمه الا مانحه اي معطيه صلى الله عليه وسلم ذلك ولا يحيط بعلمه الا مفضله
على غيره به لا اله غيره الى ما اعد له فصله عما قبله لشبه انقطاع بينهما لان تلك فضايل
شرف بقا في الدنيا وهذا فواضل هيئت له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس اي الجنة ومراتب السعادة والمثوبة الحسنى مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والزيادة التي يقف دونها العقل ولا ينتهي اليها ادراكا ولعله اراد بها رؤية
ربه وناهيك بها رؤية بجاري في توجيهه الى تخييل ما دون ادانيها الوهم فما ظنك باد انيها فضلا
عن اعاليها فصـــل في جمل من اوصافه صلى الله عليه وسلم ان قلت اكرمك الله اعتراض بين
القول الشرطي ومقوله دعا للمخاطب بالاكرام تعظيما له لا خفا على القطع بالجملة فضلا عن
القطع بالتفصيل انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا واعظمهم محلا الاحسن ان يقال
اعظمهم قدرا واعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر اليق والعلو بالمحل اوفق واكملهم محاسن وفضلا
المنصوبات كلها مميزات للنسب فيما قبلها حولت عن اصلها للاعزا و في نعته صلى الله عليه وسلم
بسمات الجلال وصفات الكمال وقد ذهبت هذا مع ما بعده جمل حالية اعتراضية بين
مقول القول الشرطي وجزايه لطلب الوقوف على اوصافه صلى الله عليه وسلم مفصلة في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا اي حسنا شوقني الى ان اقف عليها اي على خصال الكمال من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم خطاب خاص او عام لمن يصلح توجيهه اليه على ما مر نور الله
قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك اعتراض دعاي بين فعل الامر ومعموله
السّاد مفعوليه الذي هو انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة في جبلة الخلقة
وجدته صلى الله عليه وسلم حايزا لجميعها محيطا بشتات اي بمتفرقات محاسنها دون اي بلا
خلاف بين نقلة الاخبار لذلك اي لحيازته جميع الخصال لما ذكر بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع اما الصورة اي صورته صلى الله عليه وسلم وجمالها وتناسب اعضايه في حسنها مما لم
يكن مكتسبا بل في جبلة الخلقة فقد جات الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك
من حديث من ذكرها هنا من الصحابة من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون اي منيره
او حسنه ادعج اي شديد سواد الحدقة انجل اي ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين اشكل
اي في بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب ففسره في مسلم بانه طويل شق العينين
والشهلة بالهاء حمرة في سوادها اهدب الاشفار اي كثير شعر حروف اجفان عينيه وهو
ابلج اراد ابلج الوجه اي مشرقه ولم يرد ابلج الحاجبين اي انقى ما بينهما بشهادة حديث
ام معبد في دلايل البيهقي وغيره انها وصفته فيه بانه ابلج الوجه اقرن ازج اي دقيق شعر
الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس اقنى اي مرتفع قصبة الانف مع احديداب
يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله عليه وسلم كان اشم الانف اي مرتفع قصبته مع استوا اعلاه

قال

قال في الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا
فمن راه متاملا عرفه اشم ومن لم يتامله ظنه اقنى افلج اي متباعد ما بين ثناياه مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية اي كثير شعرها بحيث تملا صدره مع قصر فيه وعدم انبساط
سوا البطن والصدر اي مستويهما تلويح باعتدالهما خلقا وبان خروجهما او احدهما عن
الاعتدال بروزا او ثخنا مما ليس بمحمود واسع الصدر حسا ومعنى اذ قد وسع كل احد
شفقة وحلما عظيم المنكبين مثنى منكب وهو مجمع عظم العضد والكتف اي ضخمهما ضخم
العظام اي عظيمها عبل العضدين مثنى عضد وهو الساعد من المرفق الى الكتف اي ضخمهما
وعبل الذراعين مثنى ذراع وهو ما بين مفصل الكف والمرفق وعبل الاسافل اي
الفخذين والساقين وذلك كله مما يؤذن بكمال قوته وشدتها بشهادة حديث البخاري
انه اعطي قوة ثلاثين رجلا رحب الكفين اي واسعهما حسا ومعنى اذ قد وسع كل احد عطا
وفي ذلك اقول في نوع الترشيح من بديعية مدحته صلى الله عليه وسلم بها ضمنتها انواع البد
مع اسمايها مؤذنا بها * عم الورى بيد سحايب سحبها * عطاوه ليس يخشى الفقر من عدم *
ورحب القدمين اي واسعهما طولا وعرضا سايل الاطراف اي تام الاصابع طويلها انور
المتجرد بجيم فرا مشددة مفتوحة اسم مفعول اي كان ما يتجرد من بدنه عن ثيابه اشرق النور
دقيق المسربة بفتح ميمه وضم رايه اي دقيق خط الشعر الذي بين صدره وسرته
ربعة القد اي مربوع القامة رواه البيهقي وابن ابي خيثمة في تاريخه ليس بالطويل البا
اي المفرط في الطول ولا بالقصير المتردد اي ليست اجزاوه كان بعضها داخل في بعض قصرا
ومع ذلك اي ومع كونه ربعة لم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله مزية
خص بها تلويحا بانه لم يكن عند ربه افضل منه رجل الشعر بكسر جيمه وفتحها اي بصفة
بين الجعودة والسبوطة فالشعر الذي اذا مشط فتكسر يسيرا ليس بجعد ولا سبط اذا افتر
ضاحكا اي اذا ابدى اسنانه حال ضحكه افتر عن مثل سنا البرق اي ضويه وعن مثل حب
الغمام اي قطراته او برده شبه بياض ثغره في صفايه ونقايه بضو البرق وما يطفو
على ثناياه من ريقه بقطرات الغمام تشبيها بليغا اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه
لصفايها وشدة بياضها رواه الترمذي في شمايله والدارمي والبيهقي احسن الناس عنقا
لاعتداله ليس بمطهم اي لم يكن كما في الصحاح مدور الوجه بجتمعه ولا بمكلثم اي ولا بمجتمع
لحم الوجه ولا كثير لحم خديه بل مسنون الوجه اي فيه وفي انفه طول هذا ولا يخفى بانك
ان هذا مخالف لما مر من كونه مدور الوجه الماخوذ من وصف علي له لان المراد بتدويره
هنا كونه مفرطا في الاستدارة وليس بمحمود وهناك بخلافه واياه اراد علي في وصفه له وهو
المحمود متماسك البدن اي ليس برهل ولا مسترخ ضرب اللحم اي خفيفه قال البرا بن عازب
كما رواه البخاري ومسلم ما رايت من ذي لمة هي ما يكون من شعر الراس يجاوز شحمة الاذن
فان لم يجاوزها فوفرة فان بلغ المنكب فجمة فهي فوق الوفرة ودون الجمة سميت جمة لالمامها
بالمنكبين في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهره انها ثوب واحد
بشهادة وصفها بحمرا مع اتفاق اهل اللغة انها تطلق الا على ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة

انتزر باحداهما وارتدى بالاخرى ولك ان تجيب بان وصفهما باعتبار لفظهما لا باعتبار معناهما وفي
به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بالكراهة كالشافعي ومالك وقال ابو هريرة علم اضافي جزءه
الثاني غير منصرف تنزيلا له منزلة كلمة واجرى عليها احكام الاعلام ما رايت احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه لحسنه وبهاء رونقه واذا ضحك
من صفا ثغره ورونق ثناياه يتلالا اي يضيء في الجدر جمع جدار وهو الحائط رواه احمد
والترمذي وابن حبان وقال جابر بن سمرة كما رواه الشيخان والحاكم انه قال له رجل كان
وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف لا بل مثل الشمس والقمر تلويح بانه لا ينبغي ان
يشبه وجهه به بل بهما اما في استدارتهما فيكون قوله وكان اي وجهه مستديرا بيانا
له اولان وجهه اتم اشراقا وابهج رونقا من رونق السيف ولمعانه فيكون مثلهما استنارة
وضياء ويكون قوله وكان مستديرا ماخوذا بزيادة دلت على المعنى الاول وعلى كل فهو تشبيه
بليغ وقالت ام معبد عاتكة بنت خالد من رواية البيهقي في دلائله عن اخيها حبيش بن خالد عنها
فيما وصفته به من اجمل الناس اي اتمهم حسنا من بعيد واحلاه اي احلا الناس واحسنه
فوحدت الضمير حملا على لفظه او على الجنس كما في حديث خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش
احناه على ولد في صغره وارعاه على زوج في ذات يده اي احلا واحسن هذا الجنس واحناه وارعاه
هذا الجنس اذ الناس والنساء من اسماء الاجناس وفي حديث ابي هالة الاتي يتلالا يضيء
نور وجهه تلالا القمر ليلة البدر فانها ليلة كماله وشرفه وقال علي في رواية الترمذي
في جامعه وشمائله في اخر وصفه له صلى الله عليه وسلم من راه بديهة اي مفاجاة كناية
عن اول اللقا هابه ومن خالطه معرفة اي وعرف ما كان عليه من خفض الجناح ولين الجانب
وحسن العشرة ودوام البشر احبه يقول ناعته اي واصفه لم ار من الناس احدا قبله ولا
بعده مثله لكرم شمايله وشرف فضايله وعموم فواضله وحسن خلقه وطلاقة وجهه
والاحاديث في بسط صفته كثيرة مشهورة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا اي
اوردنا على وجه الاختصار في وصفه نكت اي لطايف ودقايق مما جاء فيها اي في تلك
الاحاديث واوردنا جملة مما فيه الكفاية يجوز ان تكون ما هنا بيانية اي جملة هي الكفاية
في وصفه او تبعيضية اي جملة هي بعض ما فيه كفاية فيه لكنه لكونه نكت لطايف وملح
دقايق صار له مزية على البعض الاخر اوجبت ايراده هنا دونه في القصد الى المطلوب
من وصفه صلى الله عليه وسلم وختمنا هذه الفصول الكافلة بابراز ما ورد في وصفه بحديث
جامع لذلك فصل من تلك الفصول واما لطافة جسمه وطيب ريحه وعرقه
ونزاهته اي براءته وتباعده عن الاقذار جمع قذر بذال معجمة اي الاوساخ والادناس حسية
ومعنوية ونزاهته عن عورات الجسد مما يعيبه ويشينه كنقص فيه وخلل في عضو منه
فكان صلى الله عليه وسلم قد خصه الله في ذلك بخصايص لم توجد في غيره واني لغيره ذلك
هيهات واين الثريا من يد المتناول ثم تممها اي تلك الخصايص بنظافة الشرع من الاصار
والاغلال التي كانت عليهم مما الزموه لزوم الطوق للعنق على ما مر وخصال الفطرة
اي الخلقة فان الله خلق عباده قابلين للحق متمكنين من ادراكه غير نائين عنه حتى لو خلوا

وما خلقوا عليه لاخذ بهم اليه بشهادة حديث ان الله اخرج من ظهر ادم ذريته كالذر واشهدهم
على انفسهم بانه ربهم قالوا بلى فمعنى الفطرة هنا دين الاسلام اي خصال دينه العشر في
حديث مسلم قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل
البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب بن شيبة راويه ونسيت
العاشرة الا ان تكون المضمضة وروى ابو داود نحوه الا انه قال بدل انتقاص انتضاح
وفي رواية انتفاص بفاء وصاد معجمة وكلها كناية عن الاستنجاء وقال صلى الله عليه وسلم
بني الدين على النظافة اي الطهارة ومباعدة الادناس ظاهرة وباطنه وهذا الحديث
وان قال العراقي في تخريج احاديث الاحياء لم اجده هكذا فقد رواه الرافعي في تاريخه بسند
عن ابي هريرة بعض حديث مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على
النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف ويعضده حديث الترمذي ان الله نظيف يحب
النظافة فنظفوا افنيتكم قال انس ما شممت بكسر ثانيه وقد يفتح عنبرا قط ولا مسكا
ولا شيئا عطف عام على خاص اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم اسنده هنا
بطريق مسلم الى انس وتتمته ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيئا الين مسا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة النبي صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن سمرة فيما رواه مسلم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح
خدي فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم او ريحا بالف وكثيرا
ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه ولهذا رواه بلفظ انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجد
ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار وكفاك هذا الحديث شاهدا بحسن عشرته
صلى الله عليه وسلم للصغير والكبير قد وسع الناس رافة ورحمة وعمهم فضلا ونعمة والجونة
كما في الصحاح بالضم بلا همز وربما همزت وعن غيره همزتها اصلية وقد تخفف وهي سفط مغشي
جلدا يجعل فيه العطار طيبه وعن غيره اي غير جابر بن سمرة مسها بطيب او لم يمسها يصافح صلى
الله عليه وسلم المصافح له فيظل ذلك المصافح له يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم في دار انس على
فراش امه ام سليم بنت ملحان فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها عن ذلك
اي عن جمعها اياه المفاد من الفعل فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب بل الطيب الطيب
وان اعدنا الضمير الى طيبنا اذ بانضمامه اليه صار اطيبه وفي رواية نرجوا بركته
لصبياننا زاد البخاري فاوصى انس ان يجعل منه في حنوطه وانما نام على فراشها لانها واختها
ام حرام بنت ملحان كما في اكمال المصنف خالتاه من الرضاعة وانكر فان صح ففي الحديث جواز الخلوة
بمن بينها وبينه محرمية والنوم عندهن لعصمته صلى الله عليه وسلم وذكر البخاري في تاريخه الكبير
عن جابر والدارمي والبيهقي من طريق ابي الزبير عنه ايضا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه الا عرف انه سلكه وروى البزار وابو يعلى بسند جيد عن انس كان اذا مر في الطريق احد
من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق

وروي المزني عن جابر اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة فكان ينم
بكسر نونه من نمت الريح اي جلبت الرائحة على مسكا تمييز للنسبة من ينم محولا عن كونه
مفعولا اي يجلب على رائحته وفي رواية ينج بضم مثلثته وقد تكسر اي يسيل الشبيه له بنج
دما الهدي اي سيلانها بسرعة وفي الحديث افضل الحج العج والثج هذا وقد جمع بعضهم
من ردفه النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين ولم يذكر منهم جابرا وحكى بعض المعتنين
باخباره صلى الله عليه وسلم وشمايله هو البيهقي عن عايشة انه كان اذا اراد ان يتغوط
انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت له رايحة طيبة وقال انه موضوع واسند
ابن سعد كاتب الواقدي في هذا اي في ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رايحة طيبة
خبرا عن عايشة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا يرى منك من الاذى
فقال وما عطف على مقدر اي اجهلت وما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبيا
وروي الدارقطني في افراده قالت قلت يا رسول الله اراك تدخل الخلا ثم يجي الذي يدخل بعدك
فما يري لما منك اثرا فقال اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع ما يخرج من الانبيا وهذا الخبر
الذي اسنده ابن سعد وان لم يكن مشهورا فقال ابن دحيه بعد ان اورده هذا اسند ثابت
قيل وهو اقوي ما في الباب وقال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
عبر بهما عن الخارجين استهجانا للتصريح باسمهما وهو قول بعض اصحاب الشافعي كالبغوي
لشهادة الاستشفا ببوله ودمه واحاديث سترد عليك حكاه اي القول بطهارتهما الامام ابو نصر
عبد السيد بن محمد بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلما في ذلك اي في كونهما
طاهرين ام نجسين ابو بكر بن سابق في كتابه البديع في فروع المالكية وخرج ما لم يقع لهم
اي حكى تخريج ما لم يقع للمالكية على مذهبهم من الاقوال بطهارتهما من تفاريع الشافعية
احيي الله بهم الاسلام فان لهم في كل عصر قدم صدق في استنباط الاحكام وتخريج الاقوال من
وقايع الاحوال لدقة افهامهم وجودة احلامهم لا مزقت لهم ايدي الادوار قلبا سليما ولا
دنفعت لهم فهما قويما والتخريج في اصطلاحهم ان ينص الشافعي على حكمين مختلفين في صورتين رفعت ٤
متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه في كل صورة منهما الى الاخرى
كمسالتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ قد منع في الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوزه في
الثانية فنقلوا منعه في تلك الى هذه وتجويزه في هذه الى تلك فصار في كل قولان منصوص
ومخرج المنصوص في كل هو المخرج في الاخري وشاهد هذا القول بطهارة ما ذكر انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن منه شي يكره ولم يكن منه شي غير طيب ومنه اي ومن الشاهد بانه لم
يكن منه شي يكره ولا غير طيب حديث علي فيما رواه ابو داود في مراسيله وابن ماجة غسلت
النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت مجاز عن اردت شبه الذهاب اي المرور بالارادة بجامع
التلازم بينهما غالبا ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية
انظر ما يكون اي يوجد من الميت فلم اجد شيا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت
اي ارتفعت منه ريح طيبة لم نر مثلها قط تاكيد لنفي رؤية وصف مثلها وكفاك به حاكما
بانه من اعلام النبوة بعد موته اذ لم يخرج منه ما يخرج من الموتي ولم تتغير رايحته مع مكثه

قبل

قبل دفنه يومين وليلة لانكار اصحابه موته تعظيما له وتبعيد الموت عن ان ينزل بساحته حتى
قال العباس لعلي ان ابن اخي قد مات لا شك وهو من بني ادم يأسن كما يأسنون فذهبوا اليه
فوجدوه كما كان لم يتغير وما تحقق عنده موته الا انه راي قبله بيسير ان العمرة فتح من
الارض باسطان فقصها عليه صلى الله عليه وسلم فقال هو ابن اخيك وروي ابن سعد
في سيرته ان ام سلمة وضعت يدها على صدره صلى الله عليه وسلم فمكثت جمعا لا اكل ولا
اتوضا الا وجدت ريح المسك بين يديها ومثله اي مثل قول علي طبت حيا وميتا
قال ابو بكر حين قبله بعد موته بعد مجيئه من السنح طبت حيا وميتا رواه البزار عن
ابن عمر باسناد صحيح وهو بعض خبر في البخاري والسنح بضم اوله وسكون ثانيه وقد يضم
من منازل بني الحارث بن الخزرج عن المدينة بنحو ميل ومنه اي من الشاهد بما ذكر ما رواه
الطبراني في الاوسط بترجمه عن ابي سعيد الخدري شرب والده مالك بن سنان دمه
يوم احد ومصه اياه وتسويغه اي تجويزه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه
النار رواه البيهقي عن عمر بن السايب ومنه اي من الشاهد بما ذكر ما رواه الحاكم والبزار
والبيهقي والطبراني وغيرهم شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له ويل لك
من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وروي الزبير بن بكار انه لما ولدته امه راه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فسمعته امه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو
عينيك كبش بين ذياب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات اذ قد بويع له بالخلافه سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية واطاعه
اهل الحجاز واليمن والعراقين وحج بالناس ثمان سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعيد على المدينة
نايبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث اليه منها الى مكة حتى ارسل له عبد الملك الحجاج
فابتدا حصاره غرة ذي الحجة سنة اثنين وسبعين وحج تلك السنة الحجاج ووقف بعرفة عليه
درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت في تلك الحجة فحاصره ستة اشهر وسبعة عشر يوما ثم قتل
نصف جمادي الاخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنين وسبعين سنة وايام وسيمر كيفية
قتله وروي نحو من هذا عنه صلى الله عليه وسلم في امراة شربت بوله فقال لها في رواية اي على
لن تشتكي وجع بطنك ابدا وهاك هذا وما قبله من الاحاديث شهود صدق بطهارة الخارج
منه صلى الله عليه وسلم وعليه كثير من ايمتنا الخراسانيين فانه لم يامر واحدا منهم اي ممن شربه
بغسل فم ولا نهاه عن عوده الى شربه لكن المعتمد في المذهب ان الخارج منه صلى الله عليه وسلم
كغيره من غيره بشهادة ما رواه ابن عبد البر ان سالم بن ابي الحجاج حجمه صلى الله عليه وسلم ثم
ازدرد دمه فقال له اما علمت ان الدم كله حرام قيل ولا يعرف له اسناد وحديث هذه
المراة التي شربت بوله صحيح وتصحيحه الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح
من جامعيهما وانما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه
واسم هذه المراة بركة وقيل هي ام ايمن الحبشية مولاته وحاضنته ورثها من ابيه ثم اعتقها
لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث فولدت له ايمن وبه كنيت ثم تزوجها
بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله عليه وسلم واختلف في نسبها

اي في نسب بركة فقال ابن عبد البر وغيره هي مولاته ام ايمن وام اسامة بنت ثعلبة وقيل هي بركة
بنت يسار مولاة ابي سفيان بن حرب بن امية كانت هي وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا
مع ام حبيبة بنت مولاها ابي سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج ام حبيبة
وبقيت على الاسلام خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها له النجاشي واصدقها عنه
اربعمائة دينار او فيه ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت
تخدمها وتخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان له قدح من عيدان بعين مهملة مفتوحة
جمع عيدانة وهي النخلة الطويلة وعن الاصمعي اذا صار للنخلة جذع يتناول منه فهي عضيد
فاذا فاتت الايدي فجبارة فاذا ارتفعت فرقلة وعند اهل نجد عيدانة يوضع تحت سريره
يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه اي عن بوله
الذي كان في القدح فقالت قمت وانا عطشانة وانا لا اعلم انه بول فشربته الجملتان
الاسميتان في موضع الحال الاولى من ضمير قمت والثانية من ضمير شربته اي انتبهت عطشة
فشربته جاهلة انه بول وقولها عطشانة كذا ورد وصوابه عطشى لانه مونث عطشان
الا ان تكون لغة وروي حديثها بكماله ابن جريج عن حكيمة بنت اميمة بنت ابي صيفي عن
امها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من
الليل فيه فبال فيه ليلة ووضعه تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال لامراة يقال
لها بركة كانت تخدمه ما فعل البول الذي كان في هذا القدح فقالت يا رسول الله اني شربته
وروايه عبد الرزاق عنه قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من
عيدان ثم يوضع تحت سريره فجا فاذا هو ليس فيه شي فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم
ام حبيبة جات معها من ارض الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة
يا ام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت قط حتى ماتت ورواه ايضا غيره اي غير ابن
جريج كابي داود وابن حبان والحاكم عن اميمة عن امها وروى الحاكم والدارقطني عن ام ايمن قالت
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا
عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة
قلت والله شربته فضحك ثم قال اما والله انه لا يتجعن بطنك ابدا وهذا قاض بانهما واقعتان
وقعتا كما قال ابن دحية لبركة ام يوسف وبركة ام ايمن وبنصره ما في خصايص تدريب البلقيني
انهما شربتاه وكان صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو نعيم والطبراني في الاوسط قد ولد مختونا
مقطوع السرة وفي دلايل البيهقي بسند ضعيف عن ابن عباس عن ابيه انه ولد معذورا
مسرورا من عذره واعذره اي ختنه واما حديث الخطيب عن انس مرفوعا وصححه الضيا
في المختارة من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سواتي فلا يعارضه حديث البخاري
ان العباس قال له وهو ينقل الحجارة لبنا الكعبة لو جعلت ازارك على عاتقك من الحجارة ففعل
فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السما ثم قام فقال ازاري فما روي بعد عريانا اذ ليس فيه
ما يدل على ان عورته انكشفت لجواز ان يكون سترها بعض وجعل بعضه على عاتقه سلمنا
انكشافها لكن ليس فيه ما يدل على ان احدا ابصرها سقوطه اول تعريه قبل ان يراها احد

لاحتمال

بشهادة

بشهادة قوله لم يطلع لي احد على عورة وزعم الحاكم تواتر الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبي
بقوله ما اعلم صحته فكيف يكون متواترا وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة
وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مادبة وسماه محمدا وعن كعب الاحبار ثلاثة عشر
نبيا ولد وامختونين ادم وشيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب
وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد وعن ابن حبيب الهاشمي اربعة عشر اسقط ممن ذكر ادريس
وسام ويحيى وزاد هودا وصالحا وزكريا وحنظلة نبي اصحاب الرس وروى كما في طبقات ابن
سعد عن امه امنة قالت ولدته نظيفا ما به قذر وروى الترمذي في شمائله وابن ماجة
عن عائشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط تاكيد لنفي رؤيتها فرجه وروى
البيهقي والبزار عن علي اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم الا اي بان لا يغسله غيري فانه
لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه علة لترك غسله لغير علي وتحذير من اقدام غيره عليه
وخصه بذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره وفي السيرة عن يونس بن بكير
انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السما وعن ابن اسحق لما اختلفوا هل يغسلونه في
ثوبه ام لا نودوا ان غسلوه في ثوبه وروى الشيخان عن ابن عباس انه قال بت عند خالتي
ميمونة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فتوضا وضوا خفيفا فصنعت مثله ثم
قمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى ثم نام حتى سمع بالبنا للمفعول غطيطه نايب الفاعل وهو
صوت يخرجه النائم مع نفسه فقام صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضا لانه صلى الله عليه وسلم
كان محفوظا من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه لشهادة حديث انا معاشر الانبيا
تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا وحديث لتنم عينك وليعقل قلبك ولتع اذنك ومن ثم كانت رؤيا
الانبيا وحيا بشهادة يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ووضوه صلى الله عليه وسلم بعد نومه عن
صلاة الصبح في الوادي يجوز ان يكون عن نقض قبل النوم او بعده او عن مخامرته قلبه مع ندرته
ليبين لامته وفيه بعد او تجديدا له فصل فيما خص به صلى الله عليه وسلم من زيادة قوة
ملكاته النفسانية فمنها ما اشار اليه بقوله واما وفور عقله اي زيادته على عقل غيره وذكا لبه
اي حدة عقله وقوة حواسه سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا مما به تجلب النفس العلوم الى ذاتها
وفصاحة لسانه اذ كان من قوم نشات فيهم الفصاحة ومنهم ارتضع الناس ثديها واعتدال
حركاته حسية وغير حسية وحسن شمائله على ما مر فلا مرية اي لا شك انه صلى الله عليه وسلم
كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره اي نظره امر بواطن الخلق وظواهرهم الى ما تؤول
اليه عاقبتهم وسياسته من ساس مشددا مبنيا للمفعول اذا ملك امر العامة والخاصة
قال لقد سوست الخطبة امر بنيك حتى تركتهم ادق من الطحين مع عجيب شمايله وبديع
سيره اي شمائله العجيبة وسيره البديعة التي لم ينله غيره فضلا عما افاضه اي ابداه وبثه
شبهه ببحر عذب زاخر عم نفعه لشبيهها بليغا من العلم نظريا وعمليا وقرره من الشرع بيانا لما
افاضه وقرره ولولاهما لكانا استعارة وذلك كله دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة
تقدمت فيه لشي من ذلك ولا مطالعة لشي من الكتب منه لم يمتر خواطر السر اي لم يشك
في رجحان عقله صلى الله عليه وسلم على عقل غيره ولا في ثقوب فهمه ادراكا للطايف العلوم

ومهمات الامور ومشكلات الاحوال لاول وهلة بدون مهلة وتروّ فكانه يثقبها بقوة فهمه كما يثقب
النجم الظلام بقوة ضوئه وقوله فضلا مصدر فعل محذوف قد يقع متوسطا بين نفي واثبات
لفظا هكذا لا يلتفت لزيد فضلا عن ان يكرمه او معنى كتقاصرت همته عن كذا فضلا عن
ان يترقاه اي لم يبلغه فضلا عن الترقي فهو لاستبعاد وقوع الادنى اعني ما دخله النفي بمعنى
عده بعيدا عن الوقوع واستحالة ما فوقه اعني ما دخله عن بمعنى عده بمنزلة المحال الذي لا
يمكن وقوعه فتامله هنا وان كان مثبتا فقد نزل منزلة المنفي استبعادا بمعنى عد وقوعه
من غيره بعيدا واريد استحالة ما بعده بمعنى عد صدوره عن غيره محالا اي لم ينل احد
عقله تفضل فضلا عما افاضه وهذا اي ما ذكر ما لا حاجة الى تقديره لتحققه حتى كاد لا يخفى
على احد وليشهد لذلك كله ما قد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا من كتب
الله المنزلة وفي معارف ابن قتيبة قرات من كتب الله اثنين وسبعين كتابا فوجدت في
جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا تمييزان لنسبة ارجح
وافضل هذا ولا يقادح في كون رايه افضل رجوعه في بدر الى راي الحباب بن المنذر اذ قال له وقد
نزل صلى الله عليه وسلم ادنى ماء من مياه بدر ارايت منزلك هذا يا رسول الله امنزلا انزلكه
الله لا نتجاوزه ام هو الراي والمكيدة فقال بل هو الراي والمكيدة فقال الراي ان ناتي ادنى
ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا ثم نملاه ماء ثم نقاتل
ونشرب ولا يشربون فقال لقد اشرت بالراي اذ رايه صلى الله عليه وسلم اولا كان هو
الراي من حيث ان بينه وبينهم رحما فراي الابقاء والشفقة عليهم وان لا يعدموا رحمته ولا
يحرموا من الماء رجاء ان يفطنوا لذلك فيكفوا او يؤمنوا او بعضهم فرجوعه للحباب كان لبيان
جواز رجوع الافضل للمفضول ولا انفة في ذلك وبعد ان عرض له ما اوجب حرمانهم واخذهم
بلا شفقة عليهم قهرا وغلبة وهو مجيئهم محاربين لله ورسوله لا لكون رايه كان افضل من
رايه صلى الله عليه وسلم وقد يقال كان صلى الله عليه وسلم افضل رايا في الامور الدينية
مما شرعه بيانا واجتهادا واما الدنيوية فكان هو المصيب فيها غالبا وقد يظهر الراي غالبا
وقد يظهر الراي لغيره فيرجع اليه غير انف بشهادة حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم
راى اهل المدينة يابرون النخل فسالهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال انما انا بشر مثلكم
فاذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من راي فانما انا بشر مثلكم اخطي
واصيب وحاشاه من الخطا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها اي جميع الاحد والاثنين
وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب
عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة اي لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة
رمل بين رمال الدنيا الى رمال الدنيا وليشهد له ايضا ما قال مجاهد فيما رواه عنه ابن
المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى
من خلفه كما يرى من بين يديه من فيهما يجوز ان تكون جارة وان تكون موصولة وكذا ما ورد
مثلها وبه اي وبما ذكر من انه يرى من خلفه كمن بين يديه فسر مجاهد قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين بترديدك بصرك فيمن وراءك من المصلين وتصفح احوالهم وفي الموطا عن ابي هريرة

عنه

عنه صلى الله عليه وسلم اترون قبلتي هذه فوالله لا يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء
ظهري ونحوه اي نحو حديث الموطا في الصحيحين عن انس اقيموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم
من بعدي وربما قال من بعد ظهري اذا ركعتم وسجدتم وعن عائشة مثله قالت ورؤيته صلى الله
عليه وسلم مما اكرمه الله به دون غيره زيادة زادها الله اياها في حجته على من كذبه وعلى صحة
نبوته اذ هي من جملة معجزاته التي وردت شاهدة بصدقه وفي بعض الروايات لعبد الرزاق
والحاكم لاني لانظر من ورائي كما انظر من بين يدي وفي رواية اخرى لمسلم لاني لابصر من قفاي
كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء وفي رواية كما يرى في النور قال ابن دحية في الايات البينات ضعفه ابن
بشكوال وقال البيهقي اسناده ضعيف كما رواه ايضا من حديث ابن عباس كان يرى بالليل في
الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وقال ليس بالقوي وقال ابن الجوزي لا يصح وقال الذهبي فيه
من جملة احاديث هذه وفي روضة المحبرة انه صلى الله عليه وسلم لما تزوج ام سلمة دخل عليها
في ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم في ليلة اخرى دخل في ظلمة ايضا فقال انظروا زيانبكم
لا امشي عليها والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة كخبر البخاري
وغيره انه راى جبريل في صورته له ستمائة جناح على كرسي بين السماء والارض قد سد الافق
وفي ليلة الاسرا وربما قيل امر فيهم ونهى وجاءت ايضا في رؤيته فيهم ونهي وجاءت ايضا في رؤية
الشياطين كخبر البخاري ان عفريتا تفلت علي البارحة في صلاة المغرب وبيده شعلة من
نار ليحرق بها وجهي فامكنني الله منه فذعته ثم اردت ان اربطه بسارية من سواري
المسجد فذكرت دعوة اخي سليمان وفي رواية لولا دعوة اخي سليمان لاصبح يلعب به ولدان
المدينة وجاءت ايضا في رفع النجاشي له لقب لملك الحبشة واسمه كما في البخاري اصحمة اي عطية
ابن ابجر حتى صلى عليه يوم مات في رجب سنة تسع من الهجرة اما حديث صلاته عليه فرواه
الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعي وانصاره على جواز الصلاة على الغائب واما حديث
رفعه له فظاهره ان المرفوع هو على نعشه حتى قيل انه احضر بين يديه او روحه وعلى كل
فلم يقع الصلاة كما زعم الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب او طويت له الارض حتى راه هذا
وجميع ما ذكر وان كان ممكنا وقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة ومن ثم انكره
ابن جرير لعدم وجوده في خبر ورواية عالم وانما الوارد في رواية ابي علي والبيهقي ان معاوية
ابن معاوية المزني رفع له وهو صلى الله عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه هذا وقد ورد ان النجاشي
لما بلغه وقعة بدر لبس مسحا وقعد على التراب ثم ارسل الى من قبله من المسلمين فلما راوه قالوا
ما هذا ايها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله اذا احدث لعبد نعمة وجب عليه ان يحدث
له تواضعا وانه احدث لنا ولكم نعمة عظيمة هي نصرة الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على اعدائه
بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى به غنما لسيدي وروى البيهقي ان سبب رجوع
ملك ابيه اليه انه لم يكن لابيه ولد غيره وكان لعمه اثنا عشر ولدا فقالت الحبشة لو
قتلنا الملك وملكنا اخاه اذ لا ولد له غير هذا الغلام ولاخيه اثنا عشر ولدا يتوارثون ملكه
فقتلوه وملكوا اخاه ونشا النجاشي مع عمه وغلب على عقله لحذقه ونجابته فقالوا لقد غلب

موضوعة

انّ ملكه

هذا الفتى على امر وانا نخاف علينا فيقتلنا بابيه فقالوا لعمه اما ان تقتله او تخرجه عنا
فقال ويلكم قتلتم اباه واقتله اليوم فباعوه بستمائة درهم فقذف به في سفينة ثم عشية
يوم بيع طلعت سحابة فخرج عمه يستمطر فاصابته صاعقة فمات فذهبوا يولون ولده
فاذا هو محمق فمرجوا في امرهم فضاق بهم ذرعا فقالوا والله ان ملككم الذي لا يقيم امركم غيره
هو الذي بعتموه غدوة فادركوه لجاوا به وتوجوه واجلسوه على سرير ملكه فقال الذي
اشتراه اما ان تعطوني دراهمي او اكلمه فقالوا لا نعطيك فقال لها الملك ابتعت من
قومك غلاما بستمائة درهم فاسلموه لي ثم ادركوني فاخذوه مني ومنعوني دراهمي فقال اما
ان تعطوه دراهمه او ليضعن غلامه يده في يده فيذهبن فاعطوه فكان ذلك اول عدله هذا
ولا يذهب عنك ان قوله كنت ادعى به عنها للسيدي مؤذن بانه ذهب به الى بلاده واستخدمه
ويؤيده قوله فمرجوا في امرهم لاستدعائه وان قولهم هو الذي بعتموه غدوة مؤذن بانه لم
يذهب به وروى ابو داود انه لم يزل يرى على قبره النور وجاءت ايضا في رفع **بيت المقدس**
له كما في الصحيحين **حين وصفه لقريش** فكذبوه في اخباره انه اسرى به الليلة ثم الى ما شاء الله
ثم رجع الى مكة في ليلة وارتد كثير ممن اسلم واخبروا بذلك ابا بكر فقال لهم والله لقد صدق
انه ليخبرني ان الخبر ياتيه من السما في ساعة واحدة من ليل او نهار فاصدقه وهو ابعد
مما تعجبون منه ثم قال يا نبي الله صفه لي فرفع له حتى نظر اليه فطفق يصفه له ويصفه
وفي مسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا من بيت المقدس
فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سالوني عن شي منه الا انباتهم به وجاءت ايضا
في رفع **الكعبة** له حتى راها **حين بنى مسجده** بالمدينة ليجعل محرابه اليها ورواه الزبير بن
بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا وهو غريب والمعروف ان
جبريل هو الذي اعلمه بها واراه سمتها لا انها رفعت له حتى راها بشاهدة كما في جامع العتبية
من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذي اقام له قبلة مسجده اي اراه سمتها وبين له
جهتها ولا عليك ان تقول كيف يبين له جهتها ليجعل محرابه اليها قبل النسخ توجهه الى بيت
المقدس اذ ذاك كان حال بنائه وقبل وبعد فراغه منه يصلي نحو خمسة عشر او ستة عشر شهرا
الا ان يقال لعله صلى الله عليه وسلم كان يتوقع نسخه وتوجهه الى الكعبة لشاهدة قد نرى
تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام بل قد قويت
رغبته فيه فتصوره واقعا او اخبره جبريل بانه سيوجه اليها هذا واشكل منه خبر بعض النسا
الا انصا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده يومه جبريل الى الكعبة ويقيم
له القبلة والصواب ان ذلك كان حين حولت لا حين بنائه اذ لا خلاف في انه اول قدومه
المدينة كان يصلي الى بيت المقدس الى ان حولت بعد بنائه مسجده بما ذكر **وحكي عنه** صلى الله
عليه وسلم **انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما** وفي التعريف والاعلام انها اثنى عشر وكان
يراها كلها وورد بذلك حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لا تزيد على تسعة فيما ذكر
وبالجملة فذلك لحدة بصره وقوة نظره **وهذه الاخبار كلها محمولة على رؤية العين وهو**
ذكره نظرا الى ما بعده **قول احمد بن حنبل وغيره** في رؤية حقيقة وورد الشرع بظاهرها

فيجب

تعالى

وطنه بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لا يحجبهما الثياب

فيجب القول به واغرب مختار بن محمود شارح القدوري فكان ذلك بين كتفيه عينان مثل سم الخياط
لا يحجب بصرهما الثياب **وذهب بعضهم** كالنووي في شرح مسلم **الى ردها الى العلم** فهي رؤية علم
اي خلق الله له في قفاه قوة ادراكية يدرك بها من وراه وذلك مما لا ينكره عادة وعقل وشرع اذ
قد انخرقت له العادة كثيرا **والظواهر تخالفه** اي وظواهر هذه الاخبار تخالف ما ذهب اليه
البعض وفي مشارق الانوار عن بعضهم انما هي بالتفاته يسيرا الى من وراه فكانه قال لا يخفى علي
ركوعكم ولا سجودكم فاني التفت في اثنا صلاتي التفاته انظر الي ما تفعلون واياك ان تتم به فهما
فانه قاض بتركه خشوعه فيها مع انه كان فيها على اكمل خشوع واتم خضوع لشاهدة حديث وجعلت
قرة عيني في الصلاة وما قدره اهل الزيغ حق قدره اذ قالوا لو كان يرى من خلفه لما قال ايكم
الذي ركع دون الصف فقال ابو بكرة انا يا رسول الله فقال زادك الله حرصا ولا تعد فلو كان
يرى من خلفه لما سال عنه قلنا الحديث لشهادة اخباره انه يرى من وراه حاكم بانه راى رجلا
ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه من هو اما لكثرة الصفوف او لبعده عنه او نحو ذلك وقال
ابن عبد البر هذا قبل ان يمنحه الله هذه الفضيلة فقد كانت خصايصه تتزايد في كل وقت **ولا احالة في**
العقل وعادة وشرع **في ذلك** اي في كونه رؤية عين **وهي من خواص الانبيا وخصالهم** هذا صريح
انهم كلهم يرون من ورائهم كما يرون من بين ايديهم **قال** النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني
في الصغير وابو بكر بن يعقوب في فوايد الاخبار **لما تجلى الله لموسى** اي ظهر له بلا كيف ولا
يعزب عنك ان المتجلى له كما في الاية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل سوال موسى ان يراه
كان يرى النملة على الصفا اي الصخرة الملسا **في الليلة الظلما عشرة فراسخ** بريدان ونصف لحدة
بصره وقوة النور ونفيه الظلام وقال الماتريدي تبعا للاشعري معنى تجليه للجبل هو انه
خلق فيه حياة حتى راه وهو نص على ان رؤيته ممكنة ومؤذن بجهل منكريها وعوامهم ان موسى
مع علمه بانه تعالى لا يرى انما طلبها لقومه اذ قالوا ارنا الله جهرة تبكيتا لهم بمنعهم منها كونه
لم يقل ارهم ينظرون اليك وكونه لم ينكر عليهم كما انكر عليهم اذ قالوا اجعل لنا الها فهما شاهدا صدق
بانه لم يسال لهم وبان رؤيته تعالى جايزة **ولا يبعد ان يختص بها نبينا** محمدا صلى الله عليه وسلم
بما ذكرناه من المزايا التي لم يمنحها غيره كالرؤية والدنو والقرب **في هذا الباب** اي الثاني **بعد**
الاسرا والحظوة بضم واوله وكسره **بما راى من ايات ربه الكبرى** كما تقدم **وقد جاءت الاخبار**
كخبر ابي داود والترمذي مرسلا **بانه صرع ركانة** بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف
اشد اهل وقته قال الترمذي اسناده ليس بالقايم وقال البيهقي مرسل جيد وروي باسناد
موصولا الا انه ضعيف والمطلب هذا هو عم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وفي سيرة ابن
اسحاق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال يا ركانة
الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو اعلم ان ما تقول حق لاتبعتك فقال ارايت ان
صرعتك اتعلم ان ما اقول حق قال نعم فلما بطش صلى الله عليه وسلم به اضجعه لا يملك من امره شيا
ثم قال عد يا محمد فصرعه ايضا فقال يا محمد ان ذا العجب اتصرعني فقال صلى الله عليه وسلم واعجب
من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت امري قال ما هو قال ادعو لك هذه الشجرة
فدعاها فاقبلت حتى وقعت بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال لها ارجعي مكانك فرجع ركانة

فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله ما رايت اسحر منه ثم اخبرهم بما
راى ثم من الله عليه فاسلم واما اخبرانه صارع ابا ركانة لعله عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن
عبد مناف في الجاهلية اي قبل بعثته وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك اي في
كل مرة يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبر انه صارع ابا جهل فصرعه فلم يصححا بل
لا اصل لهما وقال ابو هريرة كما رواه الترمذي في شمايله والبيهقي في دلايله ما رايت احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو
صلى الله عليه وسلم غير مكترث اي غير مبال ولا متاثر بمشي هونا ورفقا ومع ذلك لسبق ما شاه من
كرامة خص بها اذ قد اعطي قوة زايدة على قوة البشر بشهادة حديث كما تحدث انه اعطي قوة
ثلاثين رجلا وكان يطوف على نسائه في غسل واحد وكن تسعا وفي صفته صلى الله عليه وسلم
ان ضحكه كان تبسما بشهادة حديث البخاري قالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم هذا وقد وردت احاديث كثيرة
بعضها بانه كان يضحك لحديث الذي جامع في رمضان وربما يجمع بينهما بانه كان في اكثر احواله يتبسم
وفي بعضها يضحك ضحكا اعلا من التبسم ودون الذي يبدو واتيه اللهوات وربما افرط تعجبه فيضحك
حتى تبدو نواجذه تلويحا بان مثله جايز وان الاقتصاد في الضحك هو الذي ينبغي وعن عبد
الرزاق سئل ابن عمر اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم وان ايمانهم لاعظم من اصحاب
الجبال وفي رسول الله واصحابه الاسوة الحسنة وانما يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك
وكثرة الضحك فانها تميت القلب واذا التفت التفت معا وفي رواية جميعا اي بجميع بدنه ينبغي
ان يخص هذا بالتفاته وراءه اما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه واذا مشى تقلعا
اي يرفع رجله رفعا بقوة لا احتيالا لا يتقارب الخطا لشدة عزمه كانما ينحط من صبب بفتح المهملة
والموحدتين اي كانما ينحدر من مرتفع فصل في بيان اساليب كلامه صلى الله عليه وسلم
اختلافها باختلاف مخاطبيه اما فصاحة اللسان اي طلاقته وبلاغة القول اي الكلام لاشتماله
على مفردات فصيحة مطابقا لمقتضى الحال وقد راعى هنا اصطلاح علماء البيان تخص الفصاحة
باللسان لنطقه بالمفرد والمركب وهما يوصفان بها كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما
ذا اسناد وهو دون المفرد يوصف بها كالمتكلم وقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك اي من فصاحة
اللسان وبلاغة القول بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل اذ كان من اشرف قريش ارومة
واوسطهم جرثومة سلاسة طبع نصب بنزع خافض اي مع او بسهولة تجلية وانقياد طبيعة
وبراعة منزع اي ومنزعا بارعا من برع الرجل بفتح رائه وضمها اي فاق اقرانه والمنزع بفتح
اوله وثالثه الماخذ ووصفه بصفة ذيها للمبالغة ونسبها اليه مجازا عقليا للملابسة بينهما
وايجاز مقطع اي ومقطعا موجزا وجيزا اي بكلام قل لفظه وكثرت معانيه والمقطع بفتح
ميمه وطائه تمام الكلام ونصاعة لفظ اي ولفظا ناصعا اي خالصا من شوايب تنافر الحروف
وغرابة الالفاظ ومخالفة القياس وجزالة قول اي وقولا جزلا سالما من شوايب الركاكة وضعف
التاليف قد نسجت حبره على منوال تراكيب العربية وصحة معان اي ومعان صحيحة لا تتطرق
الى الفاظها احتمال غير لايق وقلة تكلف فيما يورده من اساليب الكلام وتراكيبه ولو قال وعدم

تكلف

تكلف لكان احسن واليق اوتي جوامع الكلم كالمؤكد لما قبله او المبدل منه ومن ثم فصله عنه لان
من جبلت طبيعته على ما ذكر من الملكات فجدير ان يجوز جهات الكلم الجوامع جمع جامعة لمعان
الكثيرة وخص ببدايع الحكم جمع حكمة وهي هنا كمال العلم واتقان العمل اي بالحكمة البديعة
من ابدع اذا اتى بشيء بديع مخترع غير مسبوق بمادة وزمان ومقابله التكوين لكونه مسبوقا
بمادة والاحداث لكونه مسبوقا بزمان وعلم اي وخص بمعرفة السنة العرب فكان يخاطب
كل امة منها بلسانها ويحاورها اي يجاوبها بلغاتها ويبارعها اي يعارضها في منزع اي ماخذ
بلاغتها يقال هو يباريه اي يعارضه ويفعل مثل فعله وهما يتباريان حتى حرف يكون جارة
كالى في الغاية وعاطفة كالواو وقد تكون حرف ابتدا يستانف بها الكلام بعدها كما هنا كان كثير اشتهر
من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره
جمع سيرة وفي نسخة وسيره بياء موحدة اي نظر في صناعة اساليبه وصياغة تراكيبه علم
انه منح ذلك وتحققه بازالة ريب الابهام وازاحة غيهب الاوهام وليس فعل ماض للنفي واصله
بكسر ثانيه فسكن استثقالا ولم يقلب الفا لعدم تصرفه من حيث استعماله بلفظ الماضي للحال
فيوافق الحاكم بانه فعل وان لم يتصرف تصرف الافعال قولهم لست لستما لستم كقولهم ضربت
مه ضربتما ضربتم اي لم يكن كلامه صلى الله عليه وسلم مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد كلا
مع ذي المشعار بكسر ميمه ومعجمة ساكنة فمهملة او معجمة الهمداني بميم ساكنة فمهملة نسبة
الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك مع كثير من قومه
مسلمين فقال هذا وفد همدان ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد وطهفة بكسر اوله
وفتحه وثالثه فا النهدي قدم عليه بعد فتح مكة وقطن بن حارثة كما قال ابن سعد وغيره
العليمي قدم عليه فسال له الدعا له ولقومه في غيث السما في حديث فصيح كثير الحديث الغريب
رواه ابن شهاب عن عروة والاشعث بن قيس الكندي قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات
قد كففوها بالحرير فقال لهم الم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في اعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم ثم رجع به الى الاسلام جيء به الى ابي بكر اسيرا فعدد الاسير فعلاته فلم ينكرها
ثم قال يا ابا بكر استبقني وزوجني اختك فزوجه فخرج فلم يلق ذات اربع يوكل الا عقرها ثم قال
يا قوم انحروا وكلوا هذه وليمتي ولو كنت في بلادي لاولمت كما يولم مثلي اعذروا علي فخذوا اثمان ما عقرت
لكم ووايل بن حجر الكندي كذا هنا ولعله تاخر من تقديم اذ هي نسبة الاشعث ونسبة وايل هي
الحضرمي بشر صلى الله عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فدعا له بالبركة ولولده
ولولد ولده ولا على اقيال حضرموت خرج يوما من عند زياد بن ابيه بالكوفة واميرها
ينعق المغيرة بن شعبة فراى غرابا ينعق فرجع الى زياد فقال له هذا غراب يبعثك الى خير فجا اليه
في يومه رسول معاوية ان يسير الى البصرة واليا انفرد مسلم برواية ستة احاديث عنه
وغيرهم اي وليس كلامه مع من ذكر او لا كهو مع من ذكر ثانيا من اقيال حضرموت بفتح همزه
وسكون قافه وبيا تحتيه جمع قيل بفتح اوله وسكون ثانيه هم بلغة حمير صغار الملوك
دون الملك الاعظم من ملوك اليمن وفي الصحاح ان اصله بتشديد اليا اي الذي ينفذ قوله
ويجمع ايضا على اقوال ومن جمعه اقيال لم يجعل واحده مشددا هنا وربما وقع في هذه الاسما

وامثالها تصحيف من ناقليها لقلة اشتعمال الالسنة لها وغرابتها وتوغلها في الاعراب حتى ظهرت
فيها عنجهية اربابها وعظمتهم وكبرهم او حمقهم وجهلهم وقد قيل
عش بجد فلن يضرك نوك • انما عيش من ترى بجدود • رب ذي اربة مقل من المال • وذي عنجهية مجدود
وان لي كتابه الذي بعث به ذا المشعار بعد قدومه عليه على ما ذكر ابو عبيدة وغيرهما الى
همدان بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارف ويام واهل جناب الهضب
وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه ان لهم فراعها
اي ما ارتفع من الارض من قولهم جبل فارع اي عال وفلان فرع قومه اي علاهم ووهاطها
بكسر اوله وبطا مهملة اي المواضع المطمئنة من الارض واحدها وهط وبه سمي الوهط كان كرما
لعمرو بن العاص بالطائف او قرية به كان بها وعزازها بمهملة مفتوحة فزاين اي ما صلب من الارض
وخشن من قولهم تعزز لحم الناقة اي اشتد وصلب وفي الحديث نهى عن البول في العزاز اي حذرا من
الرشاش ياكلون علافها جمع علف وهو ما تاكله الماشية ويرعون عفاءها اي ما ليس لاحد فيه ملك
ولا اثر من عفا الشيء اي خلص وصفا وفي الحديث اقطعهم من ارض المدينة ما كان عفا لنا من دفئهم
فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذلك مما خصهم به من اصلهم
وما يخرج منها وهذا مما خص به نفسه او من معه من مواشيهم اي من ابلهم وغنمهم ضانا ومعزا
وما ينتفع به منها سميت دفا لانه يتخذ منها ما يستدفا به وصرامهم بمهملة مكسورة اي نخيلهم
سميت صراما لانها تصرم اي تقطع واحدها صرمة بمهملة مكسورة وراء ساكنة او من ثمرتهم
وعليها يجوز فتح الصاد ايضا لان الاسم عليهما مصدر يقول صرمت النخل والثمرة صراما
بالكسر والفتح ما سلموا اي اعطونا الميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب
بمثلثة مكسورة فلام ساكنة اي لهم مما وجبت عليهم فيه الزكاة من نعمهم الهرم من ذكور الابل
الذي سقطت اسنانه بمعنى لا يوجد فيها والناب اي ولهم الهرمة من اناثها التي قد طال نابها
والفصيل اكثر ما يطلق على اولاد الابل وقد يطلق على اولاد البقر اذ هو ما فصل عن اللبن والفارض
اي المسنة من الابل وقيل من البقر وشهادة لا فارض ولا بكر والداجن اي ما يالف البيوت ولا
يرسل الى المرعى والكبش والحوري منسوب الى الحور وهو جلود الضان وقيل ما دبغ من الجلود
بغير قرظ وهو مما ورد على اصله ولم يعل كما اعل ناب وعليهم فيها اي في نعمهم المدلول عليها بما ذكر
او في الصدقة الصالغ بمهملة ومعجمة بينهما الف فلام ويقال بالسين وهو من البقر والغنم ما
كمل ست سنين والقارح اي ما دخل من الخيل في خامس سنة وفي القاموس هو من ذي الحافر
بمنزلة البازل من الابل وانظر كتابه صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو نعيم في معرفة الصحابة والديلمي
في مسند الفردوس لنهد اللهم اصله يا الله حذف حرف النداء وعوض عنه الميم بارك لهم في محضها
بفتح اوله وبمهملة فمعجمة اي لبنها الخالص ومخضها بفتح اوله وبمعجمتين اي ما تمخض من لبنها واخذ
زبده وهو مما سمي بالمصدر ويسمى مخيضا ايضا وهما تجنيس تصحيف ومذقها بفتح اوله فمعجمة ساكنة
وهو مما سمي بالمصدر ايضا اي ما خلط من لبنها بماء ويسمى مذيقا ايضا وابعث راعيها اي مالكها
لانها رعيته في الدثر بمهملة مفتوحة فمثلثة ساكنة اي المال الكثير وقيل اراد به هنا الخصب
والنبات وافجر له الثمد بمثلثة فميم مفتوحتين اي اكثر له الماء القليل وبارك له في المال والولد

من

من اقام الصلاة فصله عما قبله لكمال الانقطاع بينهما انشاء وخبرا اي من واظبت عليها لوقتها كان مسلما
ومؤمنا ايضا اذ هما لما شرعا وان اختلفا مفهوما واحد هو الاذعان والانقياد واعل اقام
بقلب واوه الفا ومن اتى الزكاة اي اعطاها مستحقيها او الامام عادل ليدفعها لهم وهو افضل كان محسنا
اليهم ببذلها لهم ومن شهد ان مخففة من المثقلة اي انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله كان مخلصا
في ايمانه واقتصر احد ركنيه لانهم كانوا عبدة اصنام فقصد به نفي الهية ما سوى الله مع اشتهاره
عندهم بانه رسول الله واستيناسه منهم الايمان به بشهادة قدوم كبرائهم عليه مؤمنين لكم يا بني نهد
بفتح اوله وسكون ثانيه قبيلة من اليمن ودايع الشرك جمع وديع من اعطيته ودايعا اي عهدا وميثاقا
اي قرر لكم على العهود والمواثيق التي كنتم تتعاهدون بها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام قيل ويحتمل
ان يريد بها ما استودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا
عهد وشرط بشهادة رواية ما لم يكن عهد ولا موعد ولم يذكر ههنا ووضايع الملك بكسر ميمه مع
سكون لامه جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تلزم المسلمين في املاكهم من صدقة وزكاة اي ولكم
الوظايف التي تلزمهم لا يتجاوزها ولا يزيد عليكم فيها شيئا وقيل بضمها والمعنى ولكم ما وظفه
ملوككم في الجاهلية عليكم وما استاثروا به دونكم من مغنم وغيره لا ناخذه منكم ولا تلطط
بمثناة فوق مضمومة فلام ساكنة فمهملتين نهي لم يرد به واحدا معينا كما رواه القتيبي بل لكل من
يتاتى توجيهه اليه من لط ولط اذا منع في الزكاة اي لا تمنعها وربما قيل تلطى بابدال الاخير يا حذرا
من توالي ثلاث طاات ثم اعل بقلبها الفا او نهي اراد به المخاطبين كما رواه غيره وكذا ولا تلحد وما
بعده اي لا تظلم ولا تعدل عن الحق في الحياة ولا تتثاقل اي لا تتكاسل عن الصلوات بل واظب على ايقاعها
في اوقاتها وكتب لهم في الوظيفة الفريضة اي الهرمة المسنة اي هي لكم لا توخذ منكم في الزكاة و
رواية عليكم في الوظيفة الفريضة اي عليكم في كل نصاب ما فرض عليكم والفارض اي ولكم المريض
التي عرض لها افة لا يوخذ منكم في الزكاة من قولهم بنو فلان اكالون للعوارض تعييرا لهم اي انهم
لا ياكلون الا ما عرض له مرض خذ رموته والفريش بفاء وشين معجمة اي الحديثة العهد بالنتاج
كالنفساء من النساء وقيل ما لا يطيق من الابل حمل الاثقال وهذا هو المعروف في فرش بشهادة ومن
الانعام حمولة وفرشا نعم وردانه يقال فرش وفريش وقيل ما انبسط على الارض من نبات لا ساق له
وذو العنان الركوب اي الفرس الذلول لا يوخذ منكم فيها والفلو بفتح فائه مع ضم لامه وتشديد
واوه او بكسرها مع سكون لامه وتخفيف واوه سمي فلوا لانه يفلى اي يعظم ويعزل عن امه
الضبيس بمعجمة فموحدة فمثناة تحت فمهملة اي المهر الصعب العسر الاخلاق الذي لم يرض لا يوخذ
منكم فيه وقيد الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب احوال الخيل الصعوبة لا يمنع بني للمفعول كما
بعده وفصله عما قبله لفقد مناسبة بينهما اذ هو خبر بمعنى النهي سرحكم من سرحت الماشية
مخففا وسرحت هي يتعدى ولا يتعدى واذا رجعت قلت راحت تريح واراحتها انا ومنه ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون اي حين ترد ونمام من مرعاها الى منازلكم وحين تخرجونها الله
اي لا يمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح تريده ولا تعدل عنه ولا يعضد طلحكم هو شجر عظام
من شجر العضاه رقيق اي زهر نظر له انوار طيبة الرائحة ولكون العرب يستحسنونه لخضرته
وحسن لونه نهى صلى الله عليه وسلم جبرا لخواطرهم عن قطع ما الفوه وعدا لهم ببقاء ما يحبون وهو المراد
بقوله تعالى وطلح منضود او هو في الاية الموز وقرئ بالعين ولا تحبس دركم بمهملة مفتوحة

ق
اي لا يمنع ما شيتكم ذوات الدر اي اللبن من الخروج الي المرعى ليجتمع بموضع لبعدها فيه المصد
لما فيه من الاضرار بها بعدم رعيها وفي رواية لا تحشر دركم اي المصدق لبعدها بل انما يعدها
عند اصحابها ما لم تضمروا الرماق بكسر الراء مكسورة اي النفاق من رامقته رماقا اذا انظرت اليه
شزرا نظر العداوة او الضيق اي ما لم يضق قلوبكم عن الحق من قولهم عيش رماق اي ضيق ورمق
اي يمسك الروح والنفس وتاكلوا الرباق جمع ربقه وهي في الاصل او اخي اي عري يجعل في
حبل يربط بها ما خيف ضياعه من البهم واراد بها هنا عهود الاسلام ومواثيقه فشبه ما يلزم عنق
المكلف من العهد بالربقة فاستعار لها استعارة تحقيقية مجردة مشبها نقضه بالاكل كذلك
فان البهيمة اذا اكلت الربقة فقد خلصت من الربط اي ما لم تنقضوا عهود الاسلام التي الزمها
اعناقكم وتخلعوها منها بشهادة حديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه ومن اقر منا منقادا فله الوفا بالعهد اي بما عوهد عليه فعليه الربوة
بكسر رائه اي الزيادة في الفريضة الواجبة عليه عقوبة له ومثله حديث الشيخين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصدقة فقيل له قد منعها خالد وفلان وفلان فقال اما خالد
فانكم تظلمونه فانه قد احتبس ادرعه واعتده في سبيل الله واما فلان فما ينقم منا الا ان كان
فقيرا فاغناه الله ورسوله واما فلان فانها عليه ومثلها معها وفي رواية من اقر بالجزية فعليه الربوه
اي من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة كان عليه من الزكاة ومن كتابه لوايل بن حجر الذي رواه الطبراني
في الصغير والخطابي في الغريب الى الاقيال جمع قيل ملوك دون الملك الاعظم وزاد العباهلة
جمع عبهل هم الملوك الذين اقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه وكذا كل شي لا يمنع عما يريد ولا يوخذ على يديه
فيما قصده عبهل وقد عبهلت الابل اذا تركتها ترد متى شاءت والتا فيه لتاكيد الجمع كقشاعمه
جمع قشعم والارواع جمع رائع اي الحسان الوجوه والصباحات اوالذين يروعون الناس اي يفزعونهم
بجمالهم ومنظرهم هيبة لهم وهذا الجمع كانصار واشهاد قليل في كلامهم جدا المشابيب جمع
مشبوب اي الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كانما وجوههم تلالا نورا وفيه اي
في كتابه لوايل في التيعة بفوقيه مكسورة وتحتيه ساكنة بعدهما مهملة اي في الاربعين من
الغنم او في ادنى ما يجب فيه الزكاة كالاربعين منها والخمس من الابل شاة لا مقورة الالياط
جمع ليط وهو في الاصل القشر اللازق بعوده اي اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من
الهزال اي لا مسترخية الجلد لهزالها ولا ضناك بكسر المعجمة يستوي فيه المذكر والمونث
اي ولا كثيرة اللحم لكرمها وانطوا الثبجة بمثلثة مفتوحة فموحدة مكسورة وثبج كل شي وسطه
اي اعطوا في الزكاة الشاة الوسطى التي ليست ردية ولا خيارا والحق بها التا لانتقالها من الاسمية
الى الوصفية وفي السيوب الخمس جمع سيب وهو الركاز قال ابو عبيد ولا اراه الا اخذ
من معنى العطية اذ السيب لغة العطا والركاز عطا من الله وقيل هي عروق الذهب والفضة
تسيب في الارض اي تكون فيها وتظهر وقال الزمخشري هي المعدن والمال المدفون في الجاهلية
لانه من فضل الله وعطائه لمن اصابه ومن زنى مم بكر نكره عامة لوقوعها في سياق الشرط فزاؤها
منونة وابدلت فيه نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا في مثل من ما نزلنا من ما اخرجنا
مما كانا فيه سيما اذا كان بعدها با كما هنا ولو كان معرفة لقال بلغتهم ومن زنى من ام بكر
كما قال ليس من امبر امصيام في امسفر ومن الجاره تبعيضيه او بيانيه مفسرة للاسم المبهم الشرطي

فترجمه

وترجمة عنه اي ومن زنى من الابكار فاصقعوه بهمزة وصل ومهملتين بينهما قاف مفتوحة واصله ق
الضرب على الراس وقيل ببطن الكف اي اضربوه مائة واستوفضوه من استوفضت الابل اذا تفرقت
في رعيها اي اطردوه وانفوه او غربوه عاما ومن زنى مم ثيب بجري فيه ما مر في مم بكر اي ومن
زنى من ذوي الاحصان فضرجوه بالاضاميم جمع اضمامه لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من في
الناس اي ارجموه بالحجارة حتى تدموه وتضرجوه اي تلطخوه بدمائه ولا توصيم في الدين اي ولا توانى
ولا محاباة في اقامة الحد وهو معنى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولا غمة بمعجمة مضمومة
فميم مشددة وفي رواية ولا عمه بمهملة فميم مفتوحتين فهاء وفي رواية ولا غمد بمعجمة فميم ساكنة
فدال اي لا ستر ولا خفا ولا الباس في فرائض الله بل هي ظاهرة بينة تلالا كنور علم يضي وكل
مسكر خمرا او غيره حرام اي شربه ووايل بن حجر يترفل بفا مشددة اي يامر ويترأس
على الاقيال لشبهها لامرته بالثوب فهي لتلبسه لها ترفيله وهو اطالته واسباله فكانه يرفل فيه
اي يجر ذيلها عليهم زهوا اين كلامه هذا مع من ذكر من الاقيال وكتابه لهم من كتابه لانس في الصدقة
الذي رواه ابو داود والترمذي والدارقطني وحسنه ولم يدفعه له فدفعه ابو بكر له حين وجهه
الى البحرين مصدقا فان ذاك محل من جزالة الفاظ ما لوفة وسلاسة تراكيب مانوسة وذاك
بمحل من غلاقة الفاظ غريبة وقلاقة اساليب في النطق عسرة لانه لما كان كلام هولاء على هذا الحد
غريبا غير مالوف وكانت ملاغتهم على هذا النمط وحشيا غير مانوسة استعمل لها معهم جواب لما
ليبين للناس ما نزل اليهم مما امروا به ونهوا عنه وما لسابه عليهم بنص او ارشاد الى ما يدل على
ذلك كالقياس ودليل العقل ولتحدثهم بما يعلمون ليفهموه بيسر وكقوله في حديث عطية السعدي
الذي رواه الحاكم وصححه البيهقي قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ما اغناك الله فلا
تسال الناس شيا فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاه وان مال الله مسول ومنطى
قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وهو قاض بان العليا هي المعطاه ومثله حديث
مالك والشيخين وابي داود والنساي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو
يذكر الصدقة والتعفف عن المسالة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هي المنفقة والسفلى
هي السائلة قال ابو داود وقد اختلف على ايوب عن نافع في هذا الحديث فقال عبد الوارث اليد
العليا هي المتعففة وكذا قال عن حماد بن زيد عن ايوب وقال اكثرهم عن حماد هي المنفقة قال الخطابي
رواية المتعففة اشبه واصح في المعنى لان ابن عمر ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا
الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف منها فعطف الكلام على سببه الذي خرج عليه وعلى ما يطابقه
في معناه اولى وقد توهم بعضهم ان معنى العليا هو كون يد المعطي مستعلية فوق يد الاخذ من علو الشي
الى فوق وليس ذلك عندي بالوجه وانما هو من علا المجد والكرم يريد التعفف عن المسالة والترفع
عنها وفي غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هي الاخذة والسفلى هي المعطية قال وما ارى
هولا الا انهم استطابوا السوال فاحتجوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه في المشارق للمتصوفة وكقوله
كما في دلايل ابي نعيم في حديث العامري مخاطبا له بلغته حين ساله سل عنك اي سل عما شيت وهو لغة
بني عامر واما كلامه المعتاد اي المانوس الاستعمال الجاري على الالسنة كثيرا وفصاحته المعلومة
المخرجة على قوانين العربية وجوامع كلمه لمعان كثيرة بالفاظ قليلة وحكمه الماثورة عنه الدالة على

بقد

كمال علمه واتقان عمله فعدا لنا الناس فيها الدواوين جمع ديوان بكسر داله وقد تفتح وهو فارسي
معرب واصله دووان عوضت احدي واويه ياء بشهادة جمعه دواوين ولو كانت الياء اصلية
لجمع دياوين واول من وضعه في الاسلام عمر لحفظ ما يتعلق بالناس وجمعت في الفاظها الرشيقة
ومعانيها الانيقة الكتب ومنها اي من جوامع كلمه ما لا يوازي اي لا يماثل ولا يقابل فصاحة
تمييز للنسبة يوازي ولا يباري اي لا يعارض بلاغة تمييز لنسبة يباري كقوله فيما رواه ابو
داود والنسائي المسلمون تتكافأ اي تتساوي دماؤهم في العصمة والحرمة فكل مسلم شريفا
او وضيعا كبيرا او صغيرا حرا او عبدا في ذلك سواء وفي القصاص والدية الافضل فيهما
لمسلم فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية
فيخص منه العبد اذ لا يكافئ حرا ويسعى بذمتهم اي بعهدهم وامانهم ادناهم كعبد وامراة فاذا
اعطي احدهما امانا فليس لاحد منا احقاره اي نقض امانه بشهادة حديث البخاري ذمة المسلمين
واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس وهو مثله عام بشهادة
نصه فيهما على الادنى ووقوع مسلما في الثاني نكرة في سياق الشرط وقد اجاز عمر امان عبد على
جميع الجيش والنبي صلى الله عليه وسلم امان ام هاني يوم الفتح مع حديث للترمذي ان المراة
لتاخذ على القوم اي تجير على المسلمين ولابي داود وان كانت المراة لتجير على المومنين بامان
الاحاد ولو فاسقا ومحجورا عليه لسفه وفقيرا ومريضا وظاهرهما انما تجوز لكافر وكفره محصور
كمائة لا امان بلدا وناحية [illegible] باب الجهاد قال امام الحرمين ولو امن مائة الف
فكل واحد لم يؤمن الا واحدا لكن اذا ظهر الخلل رد الجميع قال الرافعي وهو ظاهر ان امنوهم دفعة
فان صدر مرتبا فينبغي صحة الاول فالاول الى ظهور الخلل واختاره النووي ثم قال وهو مراد
الامام وهم يد على من سواهم اي هم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم في وجوب الاتفاق
بينهم تعاونا وتعاضدا وتناصرا على من ناواهم وعاداهم كيد واحدة لا يسعهم ان يخذل بعضهم
بعضا بل يجب ان ينصر كل اخاه قال تعالى انما المومنون اخوة فهو من باب التشبيه وقوله فيما
رواه ابن لال في مكارم الاخلاق الناس كاسنان المشط تماثلا وتساويا كميا اي هم متساوون
في اجراء الاحكام عليهم وفيما رواه الشيخان المرء مع من احب في الجنة او في كل موطن خير وهي معية
نسبية مجازية بعضنا ببعض ان لا مخالفة فيما يرضي الله ورسوله ومحبتنا لهما انقيادنا لاوامرهما
واجتنابنا لنواهيهما ومحبتهما لنا توفيق الله لنا ورضاه عنا وارشاد رسوله لنا وفيه حث على
المحبة في الله وان الله يتفضل على من احب قوما ان يلحقه بهم في منازلهم وان لم يكن له كاعمالهم
وفيما رواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له
كجاهل قدمه المال وبذله للرشوة في وظايف دينية لناظر ظالم منعها اهلها العلماء واعطاه
مكافاة لرشوته فترأس وتصدر وتكبر ان يري لاحد مثل ما يري له وتشبه بالظلمة في
تبسطهم وملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا فما ابعده عن قوله تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وفيما رواه الشيخان الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف
ومعدن كل شيء اصله اي ان اصول بيوتهم الشريفة تعقب امثالها وتسري كرم اعراقها الى فروعها

لكن

لكن لا يكون فيه خيار بمجرد ذلك ومن ثم قيده بقوله اذا فقهوا اي مارسوا الفقه وتعاطوه
فارشد الى انه لا خيار فيه الا بالفضل والتقوى فمن اتفق له ذلك مع اصل حميد شريف الاباء
كملت فضيلته وربا بفضله عن غيره وفيما رواه ابن السمعاني في تاريخه بسند فيه من لا يعرف حاله
ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه لملازمته كيف رتبته وكتب عمر بن عبد العزيز الى ولده
وقد بلغه انه اتخذ له خاتما من فضة ممن ليس الا الى من لا قيمة له اما بعد فانه بلغني انك
اتخذت لك خاتما من فضة فاذا وصلك كتابي فبعه واشتر به طعاما واطعمه المساكين
واتخذ لك خاتما من حديد واكتب عليه رحم الله من عرف نفسه فاستراح وفيما رواه الاربعة
والحاكم المستشار مؤتمن على ما استشير فيه استظهارا برايه وهو بالخيار بين ان يشير بالصلاح
وان لا يشير به بشهادة رواية احمد وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رايه
فهما شاهدا صدق بان الاشارة به بمجرد الاستشارة غير واجبة ما لم يتكلم اي ما لم يعزم المستشار
على الاشارة به فاذا عزم وجب ان يجتهد رايه فان اخطا فلا غرم عليه هذا وحديث ابي الهيثم
ابن التيهان انه صلى الله عليه وسلم وهبه احد عبدين فقال اختر لي يا رسول الله فقال ان المستشار
مؤتمن خذ هذا فاني رايته يصلي واستوص به معروفا وغيره مما ظاهره الوجوب بلا اختيار محمول
على انه صلى الله عليه وسلم عزم على ان يشير عليه فوجبت بشهادة قوله في رواية احمد فان تكلم اي
عزم على التكلم فليجتهد رايه وفيما رواه ابو الشيخ في الثواب والديلمي رحم الله عبدا قال خيرا فغنم
بسبب قوله الخير او سكت عما لا خير فيه فسلم بسبب سكوته عن ذلك وقوله فيما رواه الشيخان
في كتابه لهرقل اسلم بفتح همزته من الرباعي تسلم بفتح اوله من الثلاثي جواب الامر او شرط مقدر
مع ان ما بعده اذ يجوز تقديره معها بعد كل كلام طلبي كالتمني والاستفهام والامر والنهي اي ان اسلمت
وفيه تجنيس التحريف باختلاف حركة اللام كحركة با البرد والبرد في قوله جبة البرد جنة البرد وفيه
تلويح بانه ينبغي سلوك منهج البلاغة على مجانب الفصاحة والمسلم واسلم يؤتك جواب الامر او شرط مقدر
بعده وللبخاري في الجهاد اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين مرة لايمانه بنبيه عيسى ومرة لايمانه به
صلى الله عليه وسلم وفيما رواه الترمذي ان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم جمع
احسن اخلاقا الموطؤون من التوطئة بمعنى لين الجانب اكنافا جمع كنف اي جانب واخلاقا واكنافا تمييزا
نسبة احاسن وموطؤون نحولا عن اصلهما للاغراق في وصفهم بالاحسنية ولين الجانب اي احبكم الي واقربكم
مني يومها ذوو الاخلاق الاحاسن والجوانب الوطية الذين يالفون ويؤلفون لحسن اخلاقهم
وسهولة طباعهم ورقة قلوبهم ولين جوانبهم بحيث يتمكن باكنافهم من يالفهم لا يسومه لومة ضيم ولا يتبعه
لوم زاد الطبراني في مكارم الاخلاق وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون
المتفيهقون اي المكثرون كلاما المتشدقون قولا حتى بما لا يناسبهم به زاد الترمذي قالوا يا رسول الله
قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون ولا ينافي هذا ما تحته اذ المعجب
بنفسه يدعوه اعجابه الى ان يتكبر وقوله فيما رواه البيهقي في شعبه اصيب رجل يوم احد فقالت
امه يا بني لتهنك الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه
بفتح اوله من عناه الامر اذا تعلقت به عنايته وكان من غرضه وارادته بانبعاث هوى نفسه اليه
موثرا له على ما يهمه مما لم ينقصه ويبخل بما لا يغنيه من امر دينه ودنياه من اقوال وافعال وتوسع

في الدنيا وطلب رياسة وحب محمدة وغير ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب عنه ضرا بل قد يكون سببا
لاعراض الله عنه بشهادة قول الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه
وهذا الحديث مما اعطيه من الجوامع ولم يسبق اليه وان كان في صحف ابراهيم من حسب كلامه من عمله
يوشك ان يقل كلامه فيما لا يعنيه فانه خاص بالكلام وفي هذا المقام مزيد بيان ذكرته في شرح الاربعين
فلم يصرفه مصارفه ففيه حث على الاقتصاد في الكلام وعلى الصدق فهو المواساة والاحسان الى ذوي
الخلات والاعتنا بمصالحهم والسعي في قضا حوائجهم وله ايضا كالترمذي توفي رجل فقال رجل ابشر
بالجنة فقال لا تدرون فعله فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال وهذا هو المحفوظ
وبين يعنيه ويغنيه جناس تحريف لاختلاف حركة او لمما ولاحق لاختلاف المهملة والمعجمة مخرجا
اذ تلك من اقصى الحلق وهذه من اعلاه **وقوله** فيما رواه الشيخان **ذو الوجهين** هو من ياتي كلا بما
يحب من خير او شر **لا يكون عند الله وجيها** اي لا يكون عنده ذا قدر ومنزلة ولا خفا في ذمامة هذا
فانه قبيح مرغوب عنه دون ما كان مداراة واصلاحا بين الناس كاتيانه كلا بجميل معتذرا لكل عن
الآخر فانه حسن مرغوب فيه قال تعالى او اصلاح بين الناس **ونهيه** فيما رواه الشيخان **عن قيل وقال**
اي عما يتحدث به في المجالس كقيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما مفعولان ماضيان وفي كل منهما
ضمير ويجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسما ولا ضمير فيهما وعن ابي عبيد انهما مصدران تقول قلت
قيلا وقالا وفيه ارشاد الى حفظ اللسان من كثرة الكلام مما لا يجدي نفعا وقيل اراد النهي عن كثرته
ابتدا وجوابا وقيل عن حكاية اقوال الناس والبحث عما لا خير فيه **وكثرة السؤال** عن ما بايدي الناس
او عن اخبارهم او عن المشابهات والتكلف في تخريجها او عن سؤاله صلى الله عليه وسلم عما لم ينزل ولم
يؤذن فيه لشهادة وسكت اي الله عن اشيا رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها **واضاعة المال**
بصرفه فيما نهى الله ورسوله عنه او باهماله وترك القيام عليه وتنميته او نحو ذلك كدفع ماله للسفيه
ومنع وهات اي منع ما يجب اعطاؤه من البر ماله **وعقوق** اي عصيان **الامهات** جمع امهة وخصهن
لان عقوقهن اقبح من عقوق الآبا لا يخفى اكثر حنوا واعظم حقا بشهادة من احق الناس بحسن صحابتي
يا رسول الله قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك **ووأد البنات**
بهمزة ساكنة بعد واو ومفتوحة اي دفنهن حيات انفة وغيرة ومنهم من وأد تخفيفا لمؤنتهن وخشية
الاملاق **وقوله** فيما رواه احمد والترمذي والحاكم **اتق الله حيث ما كنت** امر لراويه او لكل من
يتوجه الامر اليه ليعم كل مأمور وافراد الضمير باعتبار كل فرد اي اتقه بامتثال اوامره واجتناب
نواهيه في كل مكان واوان فانه معك اين كنت وما زايده لشهادة رواية حذفها وتقواه
متضمنة لما دل عليه حديث ان الله كتب الاحسان على كل شي ولما دل عليه حديث جبريل من
الايمان والاسلام والاحسان فاذا اتيت بما امرك به واجتنبت ما نهاك عنه فقد اتيت بجميع
احكام التكليف **واتبع السيئة** الصادرة منك صغيرة او كبيرة على ما يشهد به ظاهر الحديث
اي الحق **الحسنة** اياها صلاة او صدقة او استغفارا او تسبيحا **تمحها** مجزوم بحذف واوه جوابا للامر
او جزا الشرط مقدر مع ان بعده اي ان تتبعها الحسنة تمحها بشهادة قوله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيات وحديث ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله
له بكل خطوة يخطوها حسنة ورفعه بها درجة وحط عنه بها سيئة هذا ثم ظاهره انها تمحوها

حقيقة

حقيقة بعد كتبها لانه المتبادر الى الفهم اذ الاصل الحقيقة ويجوز ان يكون محوها كناية عن ترك واحدة
المؤاخذة فلا تمحى ليوم القيامة ثم ظاهره ايضا انها لا تمحو الا سيئة والتضعيف لا يمحو اشيا
من السيات وليس مرادا بل هي تمحو اعشر سيات بشهادة حديث تكبرون دبر كل صلاة عشرا
وتحمدون عشرا وتسبحون عشرا فذلك مائة وخمسون باللسان والف وخمسماية في الميزان ثم
قال ايكم يعمل في اليوم الواحد الفا وخمسماية سيئة فانه شاهد صدق بان التضعيف يمحوها ثم
وخص من عمومه السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة
ان امكن والا فقد قال الايمة ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعا له وان يكثر من الحسنات لشهادة
حديث اذا اغتاب احدكم اخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وفي هذا المقام مزيد
فوايد ذكرته في شرح الاربعين النواوية **وخالق الناس** اي عاشرهم وعاملهم بما تحب ان يعاملوك به
بخلق حسن بطلاقة وجه وكف اذى اذ بذلك اجتماع القلوب واتفاق الكلمة وانتظام الاحوال وذلك
جماع الخير وملاك الامر والخلق الحسن وان كان سجية حميدة طبع عليها الانسان ففي الحديث تلويح
بانه يمكن اكتسابه والا لما صح الامر به كما هنا وفي حديث يا معاذ حسن خلقك مع الناس على ما عهد
فيما رواه ابن السمعاني في تاريخه **خير الامور اوساطها** لانها ملكات محمودة كل منها بين طرفي افراط
وتفريط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن **وقوله** فيما رواه البخاري في الادب
المفرد والترمذي عن ابي هريرة **احبب حبيبك هونا ما** هو في الاصل السكينة نصب على المصدر لان
معناه اعني قليلا صفة لما اشتق منه احبب وما مزيده لتاكيد معنى القلة اي احببه حبا قليلا او
على الظرف لانه من صفات الاحيان اي احببه في حين قليل ولا تسرف في حبه فانه **عسى ان يكون**
بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما اذ ربما انقلب ذلك
بتغير الاحوال بعضا فلا تكون قد اسرفت في حبه فتندم عليه اذا ابغضته او حبا فلا تكون قد اسرفت
في بغضه فتستحي منه اذا احببته **وقوله** فيما رواه الشيخان **الظلم ظلمات يوم القيامة** على اصحابه
فلا يهتدون بسببه يوم يسعى نور المؤمنين بين ايديهم وبايمانهم ويحتمل ان يراد بها الشدايد ت
كما اريدت بها في اية قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدايدهما وان يراد بها الانكال والعقوبات
في النار وجعله نفسها حملا عليه مبالغة لكونه سببا لها ثم ظاهره عموم ظلم النفس وغيرها لكن
ذاك اقرب للعموم هذا اذا كان مبنيا على المسامحة **وقوله** فيما رواه الترمذي وغيره **اللهم**
حذف حرف النداء وعوض عنه الميم **اني اسالك رحمة من عندك تهدي** اي ترشد **بها قلبي** اليك
وتقربه لديك او توفيقا يثبته على الحق والا فقد كان صلى الله عليه وسلم من الهدى على اتم حال
وافهم بال وكفاك به شاهدا بان الهدى والضلال من الله وان ما ينعم به على عباده ولو في مقابلة
طاعة محض فضل منه اذ له ان لا يثيب عليها فان الثواب ليس حقا لازما عليه لم يقبح تركه ورتبه
عليها انما هو في مجاري العادات من غير وجوب عليه وبهذا ظهر ان قوله من عندك ليس معناه رحمة
لا في مقابلة طاعة وان زعم لاشعاره بان ما كان في مقابلتها ليس بمحض العندية والفضل بل ذلك
لنسبة تشريف وتعظيم وتنويه وتكريم **وتجمع بها امري** اي تجعل بها حالي وشاني جميعا لا تشتت فيه
وتلم مضارع لم ثلاثيا **بها شعثي** اي تجمع بها ما تفرق من امري **وتصلح بها غايبي** اي باطني بالايمان والاخلاق ق
الرضية والملكات المرضية **وترفع بها شاهدي** اي ظاهري بالاعمال الصالحة والهيئات المطبوعة والحلي

الحسنه او اراد بهما في الاخرة بالرضى والتوسع الملأ الاعلى وفي الدنيا بالفوز والنصر على الاعدا
وتزكي بها عملي اي تزيد ثوابه وتنميه او تنزهه وتبعده عن شوائب الريا وتلهمني بها رشدي
الى ما يرضيك عني ويقربني اليك زلفى وترد بها الفتي بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى مفعول
اي البغي او ما لوفي اي ما كنت آلفه وتعصمني بها من كل سو بصوني عنه وصرفه عني اللهم
اني اسالك الفوز في القضا اي النجاة مما قدرته علي وامضيته في الازل واسالك نزل الشهدا
بضم النون والزاي وقد تسكن وهو في الاصل ما يعد للضعيف اراد به ما للشهدا من جزيل الثواب
وجميل الماب وقد قال صلى الله عليه وسلم اذ هو منهم مع ما منحه من فضايل لا تحصى وفواضل لا
تستقصى واسالك عيش السعدا هنيا مريا في الدنيا والاخرة واسالك النصر على الاعدا
بالقهر والغلبة هذا وكراهة ابن عباس وغيره السجع في الدعا محمول على ما اذا تكلفه واشتغل به
عن الخشوع وصرف القلب عن قصده الى ما دونه الكافة عن الكافة اي جميع الرواة عن جميعهم
وعن سيبويه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحال كقاطبة مما لا خلاف انه
صلى الله عليه وسلم نزل من ذلك اي مما ذكر مرقبة بقاف بعد را بمعنى مرتبة بتا بعد ها
وقد وجدت نسخة لا يقاس بها اي بتلك المرقبة غيره عليه فبينهما كما بين الثريا من يد
المتناول وحاز بها سبقا بفتح سينه وسكون با به مصدر سبق وبفتحهما ما يجعل من المال
رهنا في المسابقة لا يقدر مبني للمفعول هو قدره النايب عن فاعله وقد جمعت بتا تانيث
ساكنة مبنيا للمفعول من كلماته من تبعيضيه او زايده وانث الضمير نظرا الى الكلمات التي لم
تسبق اليها لاصابتها محز البلاغه وموجب حسن الفصاحة ولا قدر احد ان يفرغ اي يصب
في قالبه عليها لبروزها منه في ابريز تراكيب انيقه وتمييزا اساليب رشيقه مناخيه كالاوجاله
متناسبه لخامه وسلاسه لا تهف حواليها رياح الافكار ولا يرف لديها نعام الانظار
والقالب بفتح اللام اكثر من كسره مثال يعمل عليه الشي ليحاكيه كقوله يوم حنين في رواية مسلم
والبيهقي حمي الوطيس هو في الاصل التنور وشبه به الحرب لاستعار نارها وشدة وقدها
فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا وقرنها بالحمي ترشيحا للمجاز وفيما
رواه البيهقي في شعب الايمان مات حتف انفه اي بلا مباشرة قيل قال ابن عتيك راويه والله
انها لكلمة ما سمعتها من احد من العرب قبله هذا ولا يلزم من كونه لم يسمعها من احد قبله انها لم تقل
قبله اذ قد وردت في قول السموال * وما مات منا سيد حتف انفه * ولا طل منا حيث كان قتيل *
وقيل هي لعبد الملك الحارثي وفيما رواه البخاري وغيره لا يلدغ المومن من جحر مرتين
هو اما خبر معناه ان المومن الفطن هو اليقظ الحافظ الذي لا يوتى من جهة الغفلة فيخادع
مرة بعد مرة وهو لا يشعر او نهي معناه لا تخدعن المومن ولا يوتين من جهة الغفلة فيقع في مكروه
وهو لا يعلم فليكن حذرا يقظا في امر دنياه واخرته وسبب الحديث ان ابا عزة الجمحي اسر ببدر
فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه فغدر ثم اسر باحد فقال يا رسول
الله غلبت اقلني فقال لا ادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المومن لا يلدغ
من جحر مرتين ثم امر بضرب عنقه قيل وهذا السبب يضعف الثاني ويقويه انه صلى الله عليه وسلم
لما راى في نفسه ميلا الى الحلم والعفو عنه جرد منه مومنا يقظا حازما ونهاه عنهما تانيبا اذ ليس

من

من شيمة المومن الحازم الذي يغضب لله ويذب عن دينه ان ينخدع لغادر متمرد مخدوعا مرة بعد
اخرى فانتقم من عدو الله ولا تعف عنه فان مقام التجربة والغضب لله يابى الحلم والعفو ومن ثم قال
ذو الرمة * ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه ان تكدرا *
* ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا * وقد شبه فيه
جهة الغفلة بالجحر فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية ثم قرنها بما يلايمه وهو اللدغ ترشيحا
للمجاز وفيما رواه الديلمي السعيد من وعظ بغيره اي من نصحه النواكب اللاحقه وذكرته عواقب
الامور فاتعظ اي قبل الموعظة والشقي من وعظ به غيره لانهماكه فيما يرديه معرضا عما ينجيه
في اخواتها اي اخوات هذه الكلمات الثلاث اي جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات ويا خيل
ك الله اركبي والحرب خدعه واياكم وخضرا الدمن مما يدرك الناظر يحتمل ان يكون هو الفاعل ان جعل الادرا
بمعنى التصور والعجب مفعوله وان يكون هو المفعول والعجب فاعله ان جعل الادراك بمعنى اللحوق
اي تلحقه العجب اذا نظر في ضمنها من المعاني البديعة ويذهب به اي بالناظر الفكر واللام بدل
من الضمير اي يذهب به فكره ناظرا في اداني حكمها جمع حكمة فيتعجب بتامله فيها هذا شان ادانيها
فما الظن باقاصيها وقد قال له اصحابه كما رواه البيهقي في شعب الايمان ما راينا الذي هو افصح منك
مبتدا وخبرها صلة الموصول وعايده ضميرا فصح وما يمنعني ان اكون افصح او ان تروني وان لا تروا
افصح مني وانما انزل القران الذي هو في اعلا طبقات البلاغة بلساني لسان عربي مبين اي واضح
وقال مرة اخرى كما رواه اصحاب الغريب ولم يعرف له سند انا افصح العرب بيد اي كما في مشارق
الانوار لاجل او كما في المغني من اجل او كما في النهاية وغيرها غير اني من قريش ونشات من بني سعد بن
بكر وللطبراني انا اعرب العرب ولدت في قريش ونشات في بني سعد فاني ياتيني اللحن فجمع له بذلك قوة
عارضه اي حدة وصرامة كلام اهل البادية وجزالتها هي ضد الركاكه ونصاعه اي خلوص الفاظ
الحاضرة من شوايب الركة ورونق اي حسن كلامها متضمنا ذلك الى التاييد الالهي الذي مدده
اي زيادته المتواليه الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري لقصور افهامهم عنه وقالت ام معبد في
وصفها له حلو المنطق شبهت كلامه لحسن رونقه ورقته وعذوبته وسلاسته على وتيرة
الاستعارة المكنية بذي حلاوة واثبتها له تخييلا فصل اي مفصول بين بتبيينه من خوطب به
من غير التباس عليه بمراعاته فيه مظان خواصه من وقف ووصل وفصل واستيناف وحذف ونحوها
لا نزر اي لا قليل يلوح بخلل كان نطقه اي منطوقه خرزات نظمن لضد ور كلماته في محالها متتابعة ولا هذر [illegible]
متناسقة متتالية متوافقة ومن ثم شبهته بخرزات منظومة تشبيها بليغا وكان جهير الصوت
لم تزل العرب تتمدح به وتذم ضالة الصوت حسن النغمة اي الصوت بكلام تقبله الاسماع
ومالت اليه الطباع فصل واما شرف نسبه ابا وامهات وشرف بلده مكة وشرف منشا ئه
في بني سعد مما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه فانه نخبة اي خيار بني هاشم سلالة قريش صميمها
اي خالصهم سلالة من خالصهم افضل العرب صفة لقريش واعزهم نفرا تمييز للنسبة اعز
اي قرابة من قبل اي من جهة ابيه وامه ومن اهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده
وكفاك بعمومه شاهدا بان المدينة من مفضولاتها الا ما حوى بدنه الشريف هذا وعن
المحب الطبري ان بيت خديجة يلي البيت الحرام في الفضل وقد اورد هنا حديث البخاري مسندا ونحو

بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا اي من خير طبقاتهم كاينين طبقة بعد طبقة حتى كنت
من القرن الذي كنت منه اذ القرن اهل كل زمان من الاقتران لانهم يقترنون في اعمارهم
واحوالهم في زمان واحد قال اذا ذهب القرن الذي انت منهم وخلفت في قرن فانت غريب
وحتى هنا غاية لبعثت واراد به تقلبه في اصلاب ابائه ابا فابا حتى ظهر في القرن الذي وجد
فيه كانتقاله من نابت بالنون ابن اسماعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بني النضر ثم من
عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فالفا في قوله فقرنا للترتيب في الفضل ترقيا من الابعد ابائه
الى اقربهم كما في خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا فالصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات اكمل فضلا
وقوله • كم من اب قد علا بابن ذوي شرف • كما علا برسول الله عدنان • والكافل بذلك
ما رواه البيهقي في دلايل النبوه والترمذي وحسنه ان الله خلق الخلق انسا وملايكة وجنا
فجعلني من خيرهم ومن الانس من خير قرونهم بدل مما قبله ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة
من العرب وهم قريش ثم تخير البيوت اي البطون فجعلني من خير بيوتهم فانا بفضل الله علي
ولطفه بي في سابق علمه خيرهم نفسا اذ خلقني نبيا رسولا خاتما للرسل تمم بي دايرة الرسالة
وجعلني نقطتها وخيرهم بيتا اذ جئت من طيب الى طيب الى صلب عبد الله بالنكاح من اشرف
القبايل والبطون والافخاذ والعصايل فقوله ثم تخير القبايل بعد قوله فجعلني من خيرهم
اشارة الى الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ
والفصيلة فكل طبقة تجمع ما بعدها فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن
وهاشم فخذ والعباس فصيلة وما رواه مسلم والترمذي واللفظ له ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
وكانوا ثلاثة عشر اسماعيل اذ كان نبيا رسولا الى جرهم وعماليق الحجاز واصطفى من ولد
اسماعيل كنانة قريشا من النضر واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
من عبد المطلب وما رواه محمد بن جرير الطبري والطبراني في معجميه الكبير والاوسط ان الله
اختار خلقه اي اختار منهم طايفة فحذف الجار واوصل الفعل اليه ثم بين المختار بقوله فاختار
منهم بني ادم لان البيان بعد الابهام اوقع في النفس لا النفا ها الله ثم اختار بني ادم اي منهم
ثم بينه بقوله فاختار منهم العرب ثم اختار العرب الجيل المعروف سوا اقام بالبادية ام
بالحاضرة ولا واحد له من لفظه والنسبة اليه اعرابي وعربي منهم ثم بينه بقوله فاختار منهم قريشا
هم ولد النضر بن كنانة سموا قريشا لان قصيا قرشهم اي جمعهم في الحرم اذ كانوا متفرقين ثم اختار
قريشا اي منهم ثم بينه بقوله فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم اي منهم ثم بينه بقوله
فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار ويجوز ان يكون اختار خلقه بمعنى تخيرهم فاختار منهم
بني ادم وهكذا الا حرف استفتاح وتنبيه على تحقيق ما بعده من احب العرب فبحبي اي فبسبب
حبه اياي احبهم ومن ابغضهم فببغضي اي فبسبب بغضه اياي ابغضهم اي انما احبهم لانه
احبني وانما ابغضهم لانه ابغضني لحق لذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب قتله وروى
ابن عمر العدني في مسنده عن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله مستعار مما
بين الجبهتين المتناسبتين لجيد الانسان تفخيما لشانهم وتلويحا بانهم من الله بمكان يوجب اجلالهم

قبل

من نابت واصطفى من كنانة

قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه اي بما يقوله من التسبيح
او بسببه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه ظاهر الحديث انهم كانوا من كتب مؤمنا وكافرا
ولعله عام اريد به من كتب مؤمنا اذ لا تفخيم ولا اجلال لكافر او اريد به من قذف في اصلابهم من
ابايه منهم لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الى الارض في صلب ادم الى قوله حتى اخرجني
من ابوي لم يلتقيا من ادم وحوا الى عبد الله وامنة على سفاح قط تاكيد النفي التقا كل ابوين من ابايه
على زنى في زمن من الازمان ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المتقدم وسياتي في مدحه
صلى الله عليه وسلم فصل واما ما يدعوا ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فيما تقدم
فعلى ثلاثة اضرب اي اصناف وفي اكثر النسخ ثلاثة ضروب استعمالا لجمع الكثرة مكان جمع القلة
وكثيرا ما يقام كل منهما مقام الاخر كما في يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ضرب الفضل في قلته اورده هنا
وضرب الفضل في كثرته اورده هنا في فصل ثان وضرب تختلف الاحوال فيه اورده في فصل ثالث
فاما ما اورده هنا وهو ما المدح والكمال في قلته اتفاقا من العرب وغيرهم وفي قلته على كل حال
باصل الخلقة والمجاهدة عادة وشريعة كالغذا تقدم كونه بمعجمتين وبمعجمة فمهملة والنوم ولم
تزل العرب والحكما تتمادح وتتفاخر بقلتهما وتذم كثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم
بفتحتين اي الافراط في الشهوة في الطعام والحرص والشره بفتحتين اي غلبة الحرص وغلبة الشهوة
عطف على ما قبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لان او مبتدا فيكون خبرا له وذكره دليلا اما لان كثرة بمعنى
كثير وغلبة بمعنى غلب اولانه صفة لمحذوف اي امر مسبب لمضار الدنيا مما يضر تعاطيه فيها ويترتب
عليه مضار الاخرة جالب عطف على دليل او على مسبب لادوا الجسد كالمرض وخثارة النفس اي ثقلها
بلا طيب ونشاط وامتلا الدماغ من رطوبات ابخرة متصاعدة تورث باسترخا اعصابه نقا النوم المفوت
لخير كثيرة وقلته عطف على كثرة الاكل او على ان واسمها اي قليل الاكل دليل على القناعة وملك النفس
اي وعلى قدر ربها او حكمها على المنع من ميلها الى الشهوات وقمع الشهوة عطف على ما قبله فيكون مسبب
خبرا ثانيا لقلته او مبتدا خبره مسبب للصحة من الالام والاسقام وصفا الخاطر من الكدورات المتولدة
من كثرته بانهماك النفس في الملاذ وحدة الذهن اي ذكايه وهي شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الارا
كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة اي الرذالة والضعف وعدم الذكا عطف على ما قبله والفطنة
عطف عليه مسبب خبر ثان لان او عدم الذكاة مبتدا خبره مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع
العمر لان النفس اذا توجهت الى معرفة ومزاولة عمل ولم تجد له الة من صدق تخيل وصحة فكر وجودة
حفظ لفقد اعتدال المزاج فترت عنه واعتادت الكسل مع العجز واضاعة العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته عما يجدي نفعا ويحيي ذكرا وموته بفقد موافاة مزاجه وعدم غاية ميلا الى الراحة
والهوينا واشتغالا بما يعني والشاهد على هذا اي على ان كثرة الاكل والنوم يورثان ما ذكر
ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة منا ومن امثالنا وينقل الينا متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكما السالفين كقول الحارث بن كلدة افضل الدوا الازم اي قلة الاكل وقول بعض الحكما خصلتان
يقسيان القلب كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان اياك وكثرة النوم فانه
يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم واشعار العرب واخبارها كقول الاعشى من ابيات يرثي المنتشر
ابن وهب • تكفيه حزة فلذ ان الم بها • من الشوا ويروي شربه الغمر • وقول قس بن ساعدة

وقد قال له قيصر ما افضل الاكل قال ترك الاكثار منه قال فما افضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره
قال فما افضل العقل قال وقوف الانسان عند علمه وصحيح الحديث مثل ابغضكم الى الله كل نؤوم
اكول شروب مما لا يخفى لاشتهار العلم به وكان صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين ٢ الفنين
اي الاكل والنوم بالاقل لما يورثه من الملكات الرضية والسمات المرضية وهذين من هذين الفنين
للتحقير كما في ماذا اراد الله بهذا مثلا وما هذه الحياة الدنيا تحقيرا وتبعيدا لها عن ساحة النظر
ومن ثم اكتفى بادنى ما هو منهما لذا انقاد هي شهواتها هوانا وعدم مبالاة بها هذا الذي اخذه منهما
مما لا يدفع من سيرته بيان لما حال من ضمير لا يدفع لشهرته بتواتره وتوفر نقلته وهو الذي امر به
وحض عليه لما ينشأ من خفة القلب وصفاء البصيرة ونشاط البدن وانقياد القريحة لا سيما
بارتباط اي لا سيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما بالاخر من حيث ان النفس
اذا اشبعت وكملت شهوتها تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام حتى تتحسر كثيرا
وتندم عند الموت كثيرا القلة زادها تشهد ما اسنده هنا من طريق الطبراني واللفظ له ورواه
النسائي والترمذي والحاكم وصححاه ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه لما به من خور كثيره
جعله اولا وعاء كاوعية البيت تحقيرا له وتوهينا لشانه ثم جعله شر الاوعية لانها استعملت
فيما هي له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب بالطعام فامتلاؤه يفضي الى فساد الدين والدنيا
فيكون شرا منها حسب ابن آدم اي يكفيه اكلات بضم الهمزة مع ضم الكاف وفتحها جمع اكلة بالضم
لما يجعل في الفم واما بالفتح فهي المرة من الاكل يقمن صلبه اي ظهره تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شيء
من الظهر فيه فقار فهو صلب كناية عن انه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط ما يتقوى به على طاعة
ربه فان كان لا محالة من التجاوز عما ذكر فثلث مستقرا اي ثلث منه لطعامك التفات عن الغيبة
الى الخطاب اعتناء بشان المرشد اليه وانه الذي لا ينبغي لمن هو طب بدان يتجاوزه ولم يرد به مخاطبا
معينا بل كل من يتاتى توجيهه اليه وثلث لشرابك وثلث لنفسك ليحصل لك نوع صفاء ورقة
وكسر شهوة واستيلاء على نفسك الامارة بالسوء وتيسر مواظبة على العبادة وصحة بدنك وتخلص
من قسوة قلبك وبلادة طبعك وتشويش خاطرك وضياع عمرك بكثرة النوم ولان كثرة النوم من
كثرة الشرب والاكل اذ هما مع ما يتولد منهما من كثرة البخار الى الدماغ يثقل القلب ويفتر الفطنة
ويكسل البدن قال سفيان الثوري بقلة الطعام تملك سهر الليل لما قد علمت وقد شبه
القدرة على السهر بالملك ثم ادخله في جنسه بجامع التمكن منه ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة
في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا فتخسروا كثيرا لنقص العمر الذي هو انفس الجواهر وترك العبادة والصدقة من فضل
طعامك اذ ما تصدق به خزانته فضل الله وما يوكل خزانته الكنف وقد روي عن جمع كابي يعلى
عنه صلى الله عليه وسلم ان احب الطعام اليه ما كان على ضفف بمعجمة وفاء مفتوحتين ثم فاء اخرى
اي كثرة الايدي وفيه حث على ان الاولى ان لا ياكل احد وحده وعلى كرم النفس وسماحة الطبع
والمواساة في الطعام وان المقصود منه وان قل حصول الكفاية مع توقع بركة تعم الحاضرين
لشهادة حديث مسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة
يكفي الثمانية حملا للاكل على الاكتفاء بنصف الشبع وقال ابن راهويه عن جرير مراده شبع الواحد

فوت

امتلائه لكن

فوت الاثنين وهكذا وعن عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط تمييز وتاكيد
شبعا في وقت ما وهذا الحديث لم اعرف من رواه ولا يعارضه ما افهم شبعه في الجملة كحديث مسلم
عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا حتى من خبز بر حتى مضى لسبيله ودواية
من خبز شعير يومين متواليين اذ قد جمع بينهما بان دلالة المفهوم ضعيفة فليست بحجة وبان
الامتلاء صفة زائدة على الشبع وفيهما نظر لان مفهوم الصفة حجة والامتلاء مقيد بتمييزه اعني الشبع
فليس زائدا عليه والاولى ان يجمع بينهما بحمل حديثها الاول على ما كانت تعلمه منه دون ما لم
تعلمه اذ قد ورد انه شبع عند بعض اصحابه لحديث مسلم انه صلى الله عليه وسلم اتى رجلا هو
هو ابو الهيثم مالك بن التيهان من الانصار ومعه ابو بكر وعمر فقدم لهم عذقا فيه بسر ورطب
وتمر ثم ذبح لهم شاة فاكلوا منها وشربوا حتى شبعوا ورووا وان انسا رآه محتفزا يقسم تمرا
وهو ياكل منه اكلا ذريعا اي كثيرا وليس تمر صدقة وفي رواية اكلا حثيثا اي مستعجلا وكان
صلى الله عليه وسلم في اهله لا يسألهم طعاما قط لعدم اهتمامه به والتفاته الى ما هو اهم منه
ولا يعترض على قولها لا يسألهم طعاما ما في حديث بريرة فيما رواه الشيخان الم ار البرمة فيها لحم
اذ لعل سبب سؤاله ظنه اعتقادهم انه لا يحل له ولو بعد ان ملكته فاراد بيان سنته اي
كانت اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له اكلها هدية ويؤكد ظنه جعلهم حله له بعد ملكها
اياه انه راهم ولم يقدموا اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق بتخفيف داله وتشديد
وقرئ به عليهم ظنه اي فصدق في ظنه جعلهم ذلك لحذف الجار واوصل اليه الفعل ويجوز
تعديته بنفسه اليه كما في صدق وعده او تحقق ظنه او وجده صادقا في جعلهم ذلك وبين
لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات
المعدة طعاما وشرابا نامت الفكرة مجاز عن غفلتها عما يهمها فشبه الغفلة عنه بالنوم بجامع
فواته بهما ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية كما في
لا تمتلئوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وخرست الحكمة هي عرفا كمال النفس باقتباس
العلوم النظرية واكتساب الملكات التامة على الافعال الفاضلة بقدر طاقتها لحرسها مجاز
عن ترك الاقتباس والاكتساب فشبه تركها بالخرس كذلك فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وقعدت الاعضاء مجاز عن فتورها عن العبادة بما يعتري
بالنوم من استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات ابخرة متصاعدة عن محالها اليه فشبه الفتور
عنها بالقعود لذلك وفي صحيح البخاري اما انا فلا آكل متكئا كثير من الناس يحسب ان المتكئ
هو المائل المعتمد على احد شقيه وليس كما زعم بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته اذ كل من
استوى قاعدا على وطاء فهو متكئ والاتكاء هو التمكن على الوطاء للاكل والتقعدد في الجلوس
كالتربع وشبهه على هيئة من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته من الاوطئة
والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه لبشره نفس ونهمة شهوة والنبي صلى الله
عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز منتصبا غير مطمئن فكان ياكل كما رواه مسلم
مقعيا اي ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه ويقول كما رواه البزار عن ابن عمر بسند
ضعيف وابو بكر الشافعي في فوائده من حديث البراء انما انا عبد تواضعا منه وارشادا اليه

ها

أكل كما يأكل العبد لا كما تأكل الملوك والمترفهين زاد ابن سعيد وابو يعلى بسند حسن الى عائشة واجلس
كما يجلس العبد لا يمد رجليه عند جليسه تكريما وتعظيما وارشادا له الى ان يكرم مجالسه ولا يعبأ بمترفع
ذوي الوجاهة والرعونة عن الافعال العادلة تكبرا وزاد الديلمي وابن ابي شيبة وابن عدي واشرب
كما يشرب العبد وكذلك اي ومثل كون اكله كان قليلا نومه كان قليلا لصرف نفسه اوقاته في
طاعة ربه تقربا اليه شهد بذلك الاثار الصحيحة التي اغنت شهرتها كما مر عن بيانها ولا عليك
ان تقول هذا كان اكثر حالاته اذ قد ورد ما يؤذن بانه كان ينام كثيرا ومساويا ليقظته تقريبا
لحديث النسائي قال انس ما كنا نشا ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل مصليا الا رايناه
ولا نشا ان نراه نائما الا رايناه وحديث ابي داود والترمذي قالت ام سلمة كان يصلي ثم ينام والنسائي
قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ومع ذلك اي مع كون نومه قليلا
فقد قال كما رواه الشيخان ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فنومه كله يقظة ليعي الوحي اذا
اوحي اليه فيه اذ رؤيا الانبيا وحي بشهادة اني ارى في المنام اني اذبحك وكان نومه على جانبه
الايمن استظهارا اي استعانة بذلك على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنى لهدوء القلب
والجنان واهنى لهدو ما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ اي حين اذ ينام على الايسر
لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي جزاء شرط محذوف اي اذا كان النوم عليه اهنى لهدوه او بسببه
اي بسبب ذلك فيستدعي ذلك الاستغراق فيه اي في النوم والطول واذا نام النائم على الايمن
تعلق القلب وقلق غير مستقر ولا مطمئن فاسرع لذلك الافاقة ولم يغمره الاستغراق في النوم
لوضع القلب مائلا بطرفه الاسفل الى الايسر لتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم اذ الحرارة كلها
مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه فصل والضرب الثاني مما تدعو ضرورة الحياة اليه وهو
ما يتفق التمدح بين الناس بكثرته والفخر بوفوره والتميز باثرته مما حاز صلى الله عليه وسلم
منه الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاوفى كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا كما سياتي الاصفى
وعادة كما لا يكاد يخفى فانه اي النكاح دليل الكمال وصحة الذكورة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة لا تجد الى انكاره دليلا والتمدح به سيرة ماضية لا تقيم على جحده دليلا واما
التفاخر بكثرته والتمادح به في الشرع فسنة مأثورة بشهادة حديث ابن عباس في البخاري
افضل هذه الامة اكثرها نسا حيث حث على النكاح والاكثار من النسا بقدر ما يباح فهو في الظاهر
اخبار بان من كانت اكثر نسائه اكثر فهو افضل مؤذنا به مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم بعد جعله
من الامة اذ من شرط اضافة اسم التفضيل ان يكون الى بعضه وقد تزوج صلى الله عليه وسلم احدى
عشرة توفي قبله ثنتان خديجة وزينب بنت خزيمة والباقيات بعده وحديث ابن عمر في تفسير
ابن مردويه تناكحوا فاني مباه تعليل للامر بالتناكح لكثرة النسل اي مفاخر بكم الامم السالفة
وللطبراني في الاوسط تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم اي اغالبهم بكم كثرة هذا والثلاثة مؤذنة
باستحباب النكاح وفضيلة كثرة الاولاد لما فيها من حصول ما قصده صلى الله عليه وسلم من المباهاة
والمغالبة وظهور فاين الخلق كالعبادة ونهى كما رواه الشيخان عن التبتل اي عن انقطاع الرجال عن
النسا وعكسه وترك النكاح ارشادا لكثرة النسل ودوام الجهاد وكان التبتل من شريعة
النصارى فنهى عنه امته مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذين نبه عليهما بقوله

فيما رواه الطبراني من كان ذا طول والشيخان من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج لتسببهما عما يترتب على التزوج من الوطي كما انهما يتسببان عن التبتل حتى لم يره
العلما اي لم يروا النكاح مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين
فكيف نزهد فيهن وقال سفيان الثوري ليس في النسا سرف والله اني مشتاق الى العرس وكان
زهاد الصحابة كعلي وابنه الحسن وابن عمر كثير الزوجات والسراري والنكاح قال عمر
اني اتزوج المرأة وما لي فيها من ارب واطوها وما لي فيها من شهوة فقيل له في ذلك فقال حتى يخرج
مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم وكان لعلي اربع نسوة وتسع عشرة وليدة غير من الوليمة
مات او طلقن وكان ابنه الحسن اشد الناس حبا للنسا قيل انه ارخى ستره على مايتي حرة لانه كان
مطلاقا ولما خطب بنت المسيب الفزاري وخطبها اخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاور
عليا فقال له اما الحسن فمطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له وكره
غير واحد من العلما ان يلقى الله عزبا تفاديا من لقياه بغير اعفاف لنفسه بنكاح اذ العزب من لا
اهل له فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته فضيلة وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه بكونه
حصورا مع قول كثير ان معناه هيوب للنسا او لا ذكر له فكيف يثني عليه بالعجز عما نعده فضيلة
يتمدح بكثرتها شرعا وعادة وهذا عيسى يتبتل من النسا منقطعا الى ربه ومنه وتبتل اليه تبتيلا
اي انفرد له بالطاعة ولو كان النكاح مما يتمدح به كثرة كما قررته لنكح قلنا اعلم ان ثنا الله عليه بكونه
حصورا ليس كما قالوا انه كان هيوبا من الهيبة اي جبانا عن النكاح او لا ذكر له قد انكر هذا
حذاق المفسرين ونقاد العلما بانه نقيصة وعيب لا يليق بالانبيا لشرف جنابهم وكرم مآبهم
وانما معناه اي معنى كونه حصورا انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها لحصورا بمعنى محصور
كركوب بمعنى مركوب بشهادة قوله كانه حصر اي منع عنها عنها فوصفه بمعنى هذا متعلق
بالذنوب لا بالنكاح وقيل هو الذي لا يقرب النسا مع القدرة مانعا نفسه من الشهوات فهو
اسم فاعل كضروب بمعنى ضارب ووصفه بمعنى هذا متعلق بالنكاح وقيل هو الذي ليست
له شهوة في النسا والجواب الثاني احسنها فقد بان لك من هذا الذي ذكرناه ان عدم القدرة
على النكاح نقص وعيب غير لائق وانما الفضل في كونها اي القدرة موجودة قائمة بمحلها
ثم قمعها مبتدا اي قمع القدرة عن النكاح مجاز عن قمع النفس لملابسة بينهما اما بمجاهدة
كعيسى او كفاية من الله كيحيى فضيلة خبر المبتدا زائدة على فضيلة القدرة على قمعها لكونها
شاغلة في كثير من الاوقات عما يورث منازل الابرار في دار القرار حاطة اي مرغبة مميلة
الى الدنيا ثم هي اي الفضيلة الزائدة في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم
تشغله عن طاعة ربه امتثالا لا واجتنابا درجة عليا في غاية قصوى وهي درجة نبينا صلى الله
عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك اي ما ذكر من كثرتهن عبادة
ثم علله بقوله لتحصينهن مصدر اضيف لمفعوله اي تحصينه اياهن وقيامه بحقوقهن واكتسا به
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها اي كثرتهن ليست من حظوظ دنياه هو صلى الله عليه وسلم
وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم النسا والطيب اضافها اليهم اشارة
الى احتقارها وتقلله منها وعدم مبالاته بها والتفاته اليها ومن ثم اورد الفعل مجهولا تلويحا بان حبه

لما لم يكن من جبلته وطبيعته وانه كالمجبول عليه فحبه واستعماله لهما وهما من دنيا غيره انما هو
لاخرته للفوايد التي ذكرناها في التزوج وللقاء الملائكة في الطيب لمحبتهم اياه ولانه اي الطيب
مما يحض ويحرض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه اي مقدماته كالقبلة والشهوه وكان حبه لهما
اي النسا والطيب لاجل غيره كمباهاته بالكثرة ولقايه الملايكة مطيبا ولاجل قمع شهوتيه
وان كان قادرا على قمعها بمجاهدة او بكفاية من الله وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة
جبروت اي عظموت مولاه بمشاهدة ملكوته ومناجاته ولذلك اي ولاجل كون حبه الحقيقي فيما ذكر
ميز بين الحبين عرضا وذاتيا وفصل بين الحالين محبة ومناجاة فقال مورد لها جملة معطوفة
على ما قبلها تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها محبوبة لذاتها وجعلت قرة عيني في الصلاة من القرة
وهي البرد لان دمعة الفرح باردة اي وبلغت فيها امنيتي ففرحت نفسي وقرت عيني فلا استشرف لغيرها وعيني
فقد ساوى يحيى في كفايته الله له وامنه من فتنتهن وزاد عليهما اذ لم يتزوجا فضيلة بالقيام بهن
ولم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه بافاضة سحايب توفيق ونجايب تاييد وتوثيق وكان
صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة اي مكن من اظهار قوته على وفق ارادته اذ القدرة هي
التمكن من اظهار القوة وفق الارادة فهي مختصة بالحيوان لاشتراط الشعور فيها والقوة اعم منها اذ
يقال على ما في الحيوان وغيره كالفضة والنحاس والحديد فاقدر صلى الله عليه وسلم عليها في هذا
الذي منحه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه وكان ممن اعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عداد
الحراير ما لم يبح لغيره من امته ثم حرم عليه التزوج على نسايه لما خيرهن بامر الله فاخترنه
مكافاة لهن ثم نسخ لتكون المنة له وقد اسند هنا من طريق النساي وهو عند البخاري كان يدور على
نسايه اي يجامعهن في ساعة وهن احدى عشرة وفي رواية وهن تسع ولا يذهب عنك انه صلى الله
عليه وسلم لم يجتمع عنده احدى عشرة في وقت واحد لوفاة خديجة قبل ان يتزوج غيرها ثم تزوج
سودة بنت زمعة ثم عايشة ثم حفصة ثم زينب بنت خزيمة فتوفيت بعد شهرين او ثلاثة ثم ام
سلمة ثم زينب بنت جحش ثم ام حبيبة زوجها له النجاشي ثم جويرية ثم ميمونة ثم صفية فما اجتمع
عنده الا تسع كما افادته الرواية الثانية ولا عليك ان تجمع بينهما بان من روى احدى عشرة قد عد
منهن مارية وريحانة سريتاه تغليبا للمتصف بالزوجية على غير المتصف بها دون من روى
تسعا واياك ان تقول كيف يدور عليهن في ساعة مع وجوب القسم عليه لهن لجواز ان يكون في
حالة يبتدوه فيها كقدوم من سفر وتمام نوباتهن او باذن ذات النوبة ولا يعتبر بقول ابن التين
انما فعله لعدم وجوبه عليه لضعفه وقد يستانس لوجوبه عليه بما رواه الترمذي عن
عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فيعدل فيقول اللهم هذه قسمتي
فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك وقال انس تاييدا لقوله كان يدور عليهن في ساعة
كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا لصحة بدنه وكمال همته وعن طاوس وغيره
قوة اربعين في الجماع قيدها به مع وجودها فيه مطلقا لكونه سببا لظهورها لانها
من الملكات التي لا تظهر الا بتعلقها بفعل وهي كما مر اعم من القدرة لاشتراط القصد فيها
وقالت سلمى مولاته في رواية ابن سعد وابي داود عنها عن زوجها ابي رافع عن رافع
ولاه منه طاف من الطواف او الاطافة بمعنى الدوران فهو طايف ومطيف ومن ثم ورد

لاطيفن

وقد قال سليمان عليه السلام

لاطيفن وهو هنا كناية عن الجماع على نسايه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب وفي رواية احد ازكى واطيب اشارة الى ان التطهير للظاهر والتزكية
والطيب للباطن فاولاهما لازالة الاخلاق الذميمة واخراهما للتحلي بالشيم الحميدة وتلويحا
بان غسل الجنابة لا يجب على الفور وان غسله من كل واحدة انما كان على وجه الاستحباب للنوع ن
به الطهر والطيب وحدث مسلم فيما رواه الشيخان لاطوفن الليلة على ماية امراة او تسع وتسعين
وفي رواية على ستين وفي اخرى على تسعين وللمسلم على سبعين امراة كلهن ياتين بغلام نقاتل
في سبيل الله فقال له صاحبه او الملك قل ان شا الله فلم يقل ونسي فلم تات واحدة منهن الا واحدة
جات بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال ان شا الله لم يحنث اي لم يفته متمناه وكان له
دركا لحاجته فانه نعل فدل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس في اثبات
قليلها نفي لكثيرها ثم اجتماعهن في عصمته انما من خصايصه كنبينا صلى الله عليه وسلم او كان لا حصر
تعدد في شريعته وانما هو في شريعتنا لضعف ابداننا وقصر اعمارنا ويوخذ من هذا جواز
تعليق نعل عند الاخبار بصدوره بمشية الله والقسم عليه كما هنا اذ اللام فيه موطية له
قال ابن عباس رواه ابن جرير في تفسيره موقوفا كان في ظهر سليمان صلى الله عليه وسلم ماء ماية
رجل تمييز لما ابهم من العدد وكان له ثلاثماية امراة وثلاثماية سرية تمييزان لما ابهم منه ايضا
وحكى النقاش ورواه الحاكم عن محمد بن كعب بلغني انه كان له سبعماية امراة وثلاثماية سرية
وكان لداود صلى الله عليه وسلم على زهده واكله حال منه اي زاهدا له واكلا من عمل يده شبهت
حاله لتمكنه من الزهد واستقراره عليه وتمسكه به بحال من اعتلا شيا وركبه تمثيلا وابرازا
للمعقول في معرض المحسوس تسع وتسعون امراة وتمت بزوجته اوريا ماية اما تزوجه
اياها بعد نزول اوريا له عنها بسواله على ما كان عادتهم في زمانه او بعد ان خطبها اوريا
فارسل الله اليه ملكين اختبارا لبليته حيث لم يكتف بزوجاته فلما تنبه استغفر ربه وخر
راكعا واناب اي رجع الى ذكر الله هذا غاية ما يقال في شريف جنابه لنزاهته وبراءته مما حة
نسبه اليه الحشوية وغيرهم من انه راها فعشقها ثم تحيل في تزوجها فولدت له سليمان
وقد نبه على ذلك اي على انه كان لداود ما ذكر في الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخي في الدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان كنى بها عن المراة اذ الكناية
والتمثيل فيما يورد تعريضا ابلغ في المقصود ومن ثم سلكا بقصتهما محجة التمثيل والتعريض دون
التصريح لكونه ابلغ في المعاتبة من حيث ان تامله اذا اخل به الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد
تمكنا من قلبه مع مراعاتهما حسن الادب معه وترك المجاهرة بما عرضا به له وقد بالغ في تضرعه وتحرزه
وبكايه واستغفاره اعظاما لما فرط منه نظرا الى ما له من كريم المناقب وعظيم المراتب وفي حديث
الطبراني في الاوسط بسند جيد عن انس فضلت على الناس باربع بالسخا اي الجود فانه صلى الله عليه
وسلم كان بالخير اجود من الريح المرسلة والشجاعة هي على ما مر خلق غضبي بين افراط يسمى تهورا وتفريط
يسمى جبنا يصدر فيما ينبغي على ما ينبغي وكثرة الجماع لكمال قوته وتمام نجدته وقوة البطش فيما ينبغي على
ما ينبغي واما الجاه فهو ان استقر صاحبه واخذ به الى ما يضر باخرته فمذموم لاستدعايه العلو في الارض
والفساد المذمومين شرعا والا فمحمود لا مطلقا بل عند العقلا في محل نصب على الحال اي في حال كونه عند

من لا يأخذ به الى ما يبصر باخرته وفي حال كونه عادة ولا عليك ان لا تجعله حالا بل تعلقه بحال مقدرة
دل عليها اسم المفعول اي جاريا عندهم في العادة وبقد رجاهه صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالنبوة
وفي الاخرة بالمواهب والشفاعة تكون عظمته في القلوب وقد كان ذا عظم لم يحزه كريم ومها بة لم يفزها
عظيم لشهادة اخذه من ابي جهل للاراشي ثمن ابله التي اشتراها ابو جهل منه ومطله فقالت قريش
لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذاك له وعداوتك اياه فقال
ويحكم والله ما هو الا ان ضرب بابي وسمعت صوته فملئت رعبا وقد قال الله تعالى مدحا للجاه
في صفة عيسى صلى الله عليه وسلم وجيها اي عظيما في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة لما يترتب
عليه من التنشط اشرا وبطرا فهو مضر ببعض الناس لعقبى الاخرة اي في الاخرة التي هي عقبى اذ
اللام في مثل هذا تفيد التاقيت والتخصيص بالوقت فلذلك اي فلكون الجاه مضرا ببعضهم
ذمه من ذمه ومدح ضده ومن ثم ورد في الشرع مدح الخمول لشهادة قوله في القران ما لك
رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وقوله ان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين
اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا وورد فيه ذم العلو في الارض قال تعالى تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال صلى الله عليه وسلم ما ذيبان جايعان
ارسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفي رواية من حب الشرف والمال
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة اي الحيا مع الهيبة والوقار والمكانة اي التمكن
في القلوب محبة وتبجيلا والعظمة مهابة واجلالا قبل النبوة عند الجاهلية لشهادة ما مر عن ابي
جهل وما روي انه ساوم رجلا من بني زبيد ثلاثة ابعرة من خيرة ابله تلك ثمنها فامتنع الناس
من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضي فاشتراها منه ثم باع
منها بعيرين بالثمن ثم باع بالثالث واعطى ثمنه ارامل بني عبد المطلب وابو جهل مخزي بنظره ثم قال
صلى الله عليه وسلم له اياك ان تعود لما صنعت بهذا الاعرابي فترى مني ما تكره فقال لا اعود يا محمد
فقال له امية بن خلف ذللت في يد محمد فقال ان الذي رايتم مني لما رايت معه لقد رايت رجالا عن يمينه
ويساره يشرعون الي لو خالفته لكانت اياها اي لاتوا على وقد رويت ايضا ما ذكر بعدها اي بعد النبوة
وهم يكذبونه حال من الجاهلية اي وحالهم انهم كانوا مكذبين له ويؤذون اصحابه ويقصدون
اذاه في نفسه خفية لما يمكن من هيبته وعظمته في قلوبهم حتى اذا واجهوه اعظموا امره وقضوا
حاجته ولعل هذا كان في بعض الاوقات فقد كانوا كثيرا ما يكذبونه ويؤذونه في نفسه جهرة
لشهادة وضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد في الحجر وقول ابي جهل حين قال لعمه ابي طالب
عند موته قل لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله لا تطعه اترغب عن ملة عبد المطلب
وتكذيبهم اياه صبيحة الاسرا واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها ان شا الله تعالى
وقد كان يبهت بالبنا للمفعول صورة مع ذكر فاعله كما في فبهت الذي كفر افصح من بنائه له اي يدهش
ويتحير ويفرق اي يفزع من رؤيته من لم يره لما القي عليه من الهيبة والعظمة في قلوبهم
كما روي عن قيلة بقاف مفتوحة ثم يا مثناه تحت انها لما راته ارتعدت من الفرق وروايه
ابي داود والترمذي في الشمائل عن عبد الله بن حسان عن جدته عنها انها رأته في المسجد وهو قاعد
القرفصا قالت فلما رايته المتخشع في الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد فقال يا مسكينة

عليك السكينة اي الزمي الطمانينة والوقار وفي حديث ابي مسعود عقبة بن عمرو الذي رواه البيهقي
عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم موصولا وصححه ان رجلا قام بين يديه صلى
الله عليه وسلم فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك تفزع مني هذا فاما العظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة اي رفعة مرتبته بالاصطفا واكرامه في الدنيا بذلك كله
فامر هو مبلغ النهاية ليس فوقه غاية ثم هو صلى الله عليه وسلم في الاخرة سيد ولد ادم مقتبس
من حديث البخاري انا سيد ولد ادم ولا فخر وهو لا يفيد سيادته على ادم منطوقا وحديثه ايضا
انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل الذي اشتمل عليه من اوصاف يمدح بكثرتها
ويفتخر بالتمييز باثرها نظمنا هذا القسم يعني الاول باسره اي جميعه في سلك مدحه بصفات
شريفة وسمات منيفة فشبهها لكونها عبارة عنه من جميعها لا مجموعها اذ هو طرف له بلالي
منظومة على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها النظم تخييلا فصل واما الضرب الثاني
مما تدعو اضرورة الحياة اليه فهو ما ليست فضيلته ذاتيه ومن ثم تختلف الحالات في التمدح به
والتفاخر بسببه والتفضيل من الناس لصاحبه لاجله ككثرة المال فانه لا يتمدح ولا يتفاخر به
ولا يفضل لاجله بشهادة ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة فصاحبه على الجملة لا في كل حال
معظم عند العامة لا نهم وقلوبهم بيد حبه عناه باعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه
عطف على توصله او على حاجاته بسببه والا اي ولو لم يكن المال موصولا بما ذكر لكان صاحبه
معظما عند كل احد لكنه ليس كذلك فليس معظما عند كل احد اذ ليس فضيله في نفسه
فمتى كان المال لصاحب الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من
اعتراه اي غشيه ودخله واملّه فضلا وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثنا
الحسن والمنزلة في القلوب كان بسبب ذلك فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا الوادد فيهم
تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ان اعطي رضي وان لم
يعط سخط واذا صرفه في وجوه البر اي انواعه اذ هو كل فعل مرضي فشبهه باعتبارها بذوي وجوه فاستعار
لها اسماءها استعارة مكنية واثبت لها الوجوه تخييلا وانفقه في سبيل الخير الذي ينبغي ان يصرف به
وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل اي العامة والخاصة ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه مما تقدم كصرفه في مهماته او مهمات اهله او الاكتساب محمدة او
حسن ثنا او محبة حريصا على جمعه عاد كثره بضم اوله اي كثيره كالعدم لانه لم ينتفع به ولم يتوصل
به الى غرض كمن لا مال له وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة اي طريقها جمع
جدة كمدة شبهها بارض صلبة يؤمن فيها العثار استعارة بالكناية ثم اثبت لها الجدد استعارة تخييلية
بل اخذ به حتى اوقعه في هوة رذيلة البخل اي في وهدة دناءته وخسته شبه تمكنه في الرذيلة التي
هي كالهوة المسببة عن بخله بتمكن المظروف من ظرفه ثم اثبت له ما هو من خواص الظرف اعني في واوقعه
في مذمة النذاله اي السفاله والخسه شبه تمكنه في المذمة المسببة عن نذالته بتمكن المظروف
من ظرفه كذلك فاذا القاهنا مفصحه عن شرط مقدر اي ومتى كان المال كما وصف كان التمدح
بالمال وفضيلته عند مفضله اسم فاعل اي مفضل المال ليست لنفسه وذاته وانما هو اي التمدح
او المال بالتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه

كمهماته ومهمات من اماه ولا وجيه وجوهه من انواع البر وسبل الخيرات غير ملي اي غير ثقه
بالحقيقه وفي نفس الامر ولا غني بالمعروف فكانه فاقد غير واجد اذ ماله لبخله كالمعدوم
ولا ممتدح اي ولا ممدوح عند احد من العقلا الذين ليست همتهم جمعه من اي وجه كان
بل هو فقير ابدا غير واصل لخسته وبخله الي غرض من الاغراض اذ ما بيده من المال الموصل الا
اي الذي من شانه ان يوصل الي الاغراض لم يسلط عليه فاشبه خازنا مال غيره ولا مال
له فكانه ليس في يده منه شي والمنفق ملي غني اي ثقه واجد غير فاقد تحصيله فوايد المال
كصدقه وعتق وشرا وصله رحم ونكاح وان لم ياتي بيده من المال شي فانظر سيرة نبينا صلي الله
عليه وسلم وخلقه اي تامل ما بلغك من طريقته وسجيته في المال قد اوتي ما لم يوت احد
مما فات الحصر وجاوز العد فاعطي خزاين الارض ومفاتيح البلاد كناية عن فتحها عليه وعلي
امته بعده وجباية اموالها اليهم واستخراج كنوزها وتلويح بالتواصل اليها كما يتوصل
بالمفاتيح الي ما اغلق عليه بشهادة روايه وبينما انا نايم اوتيت مفاتيح خزاين الارض فوضعت
في يدي واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله بشهادة حديث مسلم غزا نبي من الانبيا فلما فتح
الله جمع ما غنموه فاقبلت النار لتاكله فابت ان تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل
قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك فبايعته
فلصقت بيد رجلين او ثلاثه فقال فيكم الغلول انتم غللتم فاخرجوا له مثل راس بقرة
من ذهب فوضعه في المال فاقبلت النار فاكلته فلم تحل الغنايم لاحد من قبلنا ذلك بان الله
تعالي راي ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز سميت به لحجزها
بين نجد والغور واليمن وجميع جزيرة العرب وهي ما بين اقصي عدن الي ريف العراق طولا
ومن جده وما والاها الي اطراف الشام عرضا وما داني ذلك اي قارب جزيرة العرب من الشام
والعراق وجليت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبي لملوك الا بعضه وهادنه
جماعة من ملوك الاقاليم بهدايا فقبلها منهم واكثرها كان بعد توجيه رسله اليهم يدعوهم
الي الاسلام كالنجاشي وكان في هديته خفان اسودان وقد ورد انه لبسهما ومسح عليهما
والمقوقس ملك مصر اهدي اليه مع حاطب بن ابي بلتعه جاريتين لهما في القبط مكانة
وكسوة فاخره وبغلة بيضا ازدادوا قدي والف مثقال ذهبا واعطي حاطبا لنفسه مايه
دينار وخمسة اثواب فتسري صلي الله عليه وسلم بمارية فولدت له ابراهيم ووهب الاخري
لحسان بن ثابت فولدت عبد الرحمن وذكر ابن عبد البر المهدي ثلاث وانه وهب الثالثة
لابي جهم بن حذيفه وفروة بن عمرو الجذامي عامل هرقل كتب اليه ابتدا بسم الله الرحمن الرحيم
لمحمد رسول الله النبي اني مقر بالاسلام مصدق به اشهد ان لا اله الا الله وان محمد عبده
ورسوله وانه الذي بشر به عيسي بن مريم والسلام عليه ثم ختمه وبعثه مع محمود بن سعد
وبغلة بيضا وفرسا وحمارا وثيابا فاخرة وقباء من سندس مخوصا بالذهب فقبلها واكرم
رسوله ثم كتب له جوابه ولما بلغ هرقل اسلامه حبسه ثم ارسل اليه ان رجعت الي دينك
اعدتك الي ملكك فقال لا افارق دين محمد ابدا اما انك تعلم انه رسول الله الذي بشر به
عيسي بن مريم ولكنك ضننت بملكك واحببت بقاءه فقال صدقت والانجيل ولم يزل محبوسا

حتي مات واكيدر دومه اهدي اليه كما رواه البخاري جبة سندس فعجب الناس فقال صلي
الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذه وممن اهداه وليس
بملك رفاعة بن زيد الجذامي وكان رئيسا وجيها في قومه قدم عليه في هدنة الحديبية مسلما
فعقد له علي قومه وكتب لهم معه كتابا فاسلموا ثم رجع واهدي اليه غلاما اسود يسمي مدعما
قتل بخيبر وعطارد بن حاجب بن زرارة اهدي اليه حلة فقبلها ثم قال فيها كما في الموطا
وغيره انما يلبس هذه من لا خلاق له واشار اليها عمر وقد كساه صلي الله عليه وسلم حلة اتكسونيها
وقد قلت في حلة عطارد ما قلت فقال لم اكسكها لتلبسها فكساها عمر اخا له مشركا وراهب
نجران اهدي له كما قال ابن اسحاق قضيبا وبردا هذا وانما قبل هدية المقوقس وراهب نجران
مع كفرهما تالفا لهما ورجا لاسلامهما او لكونهما من اهل الكتاب وقد احلت لنا ذبايحهم واطعمتهم
ومناكحتهم فلا ينافي رضه بعدم قبوله هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل رفد مم اذ لم يكن
راجيا اسلامهم ولا متالفا لهم ولا كانوا ذوي كتاب فما استاثر بما هادوه به بشي منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه من انواع البر والخير واغني به غيره اذ كان يعطي عطا من لا يخشي الفقر
وقوي به المسلمين علي مهماتهم ونصرا عدايهم وكفاك شاهدا بذلك حديث الشيخين
ما يسرني ان لي احدا ذهبا تمييز لرفع الابهام عن احد يبيت عندي منه درهم الا دينارا
بالنصب علي الاستثنا من عام عبر عنه بالدرهم وبالرفع علي البدلية منه وكانه قال ما
يسر في بيت عندي شي منه الا اما ارصده لدين لبلوغه النهاية في الكرم وتكامل محاسن
الافعال فيه والشيم وفيه تلويح بما كان عليه من التقلل من الدنيا وملازمة الفاقه بشهادة
حديث البخاري انه صلي الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي هو ابو الشحم وقال
بعض الفقها ابو شحمه والمعروف الاول في نفقة عياله ثلاثين صاعا وللترمذي والنسايي وللبزار
اربعين وفي مصنف عبد الرحمن وسق شعير وهو موذن بجواز الشرا نسيئة والرهن بالدين في
الحضر فتعليقه في القران بالسفر حفظا للمال لا لاشتراطه فيه وان زعمه الضحاك ومجاهد بل ارشا
الي اقامة التوثيق به مقام التوثيق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة اعوازها فيه وجواز معاملة
الكفار لم يتحقق حرمة ما معهم ورهن الة الحرب عندهم لا بيع مسلم لهم ولو دقيقا وما يستعينون
به علي اقامة دينهم ومصحف وعدوله الي معاملته اما بيانا للجواز او لقلة الطعام هناك او لكون
اصحابه لا ياخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا او حذرا من ان يضيق عليهم واقتصر من
نفقته وملبسه ومسكنه علي ما موصولة او موصوفه اي علي الذي او شي تدعوه ضرورته
اليه وزهده عطف علي الضمير المجرور بالي او علي ضرورته اي والي زهده او يدعوه زهده فيما سواه
اليه ذهابا الي الاقتصاد المحمود اذ ما قل وكفي خير مما كثر والهي فالزياده عليه لا ينبغي اذ لا خير فيها
ومن ثم قال المتنبي • ومن ينفق الساعات في جمع ماله • مخافة فقر فالذي فعل الفقر •
وكان صلي الله عليه وسلم يلبس ما وجد ميسرا بلا كلفه فيلبس في الغالب الشملة يشتمل بها
والكساء الخشن زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لا خلاق له تفاخرا ويلبس البرد الغليظ
ويقسم علي من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب اي المنسوجة بمثل خوص النخل منه او
المكفوفة به وفي رواية المزرورة بالذهب اي التي لها ازرار منه او المطوقة به او التي زينت ازرارها به

ومنع منها لمن لم يحضره لمخرمة بن نوفل بشهادة حديث الشيخين عن ابيه المسور قال ابي
يا بني بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا
فوجدناه في منزله فقال لي يا بني ادعه لي فاعظمت ذلك فقال لي يا بني انه ليس بجبار فدعوته
فخرج ومعه قبا من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبات لك هذا وجعل يريه
محاسنه ثم اعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال رضي مخرمه زاد البخاري وكان في خلق مخرمة
شدة كان يفعل ذلك ايثارا لغيره وتوقيا لما يتباهى به اذ المباهات في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلاله اي الكرم والعظمه وهي اي الملابس التي يتباهى بها
ويتزين بها من سمات النسا وشعارهن والمحمود الممدوح منها نقاوة الثوب هي بفتح
النون النظافه وبضمها الخيار والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط المروة ابناء
جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين المكتنفين للتوسط افراطا وتفريطا بان يكون بحيث
لا شهرة بكونه اسرافا مطغيا ولا تقتيرا مزريا وغير وما بعده حالان من الثوب وردا متناسقين
بلا حرف نسق لمجيئهما اخذا احدهما بيد الاخر متآخيين في كونهما في المعنى حكما عليه ووصفا له
وقد ذم الشرع ذلك اي ما ذكر من المباهات في الملابس والتزين بها وغاية الفخر فيه اي
ذلك المذموم في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال او ذلك
اي ومثل الفخر بما ذكر التناهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلة وخدمه ومركوباته
مما يلهي عما يعني من امر الدين الذي هو اهم واغنى من كل مهم هذا ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها
من كل زوج كريم فترك ذلك زهدا وتنزها كلاهما علة لترك ما ذكر والزهد عزوب النفس عن
الدنيا مع القدرة عليها رغبة في الاخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد
فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة اما انا ففيم زهدت وكفاك حجة على انه اعلى
المقامات وافضلها حديث ازهد في الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له فهو حائز لفضيلة
الخصلة المالية وللتنعم والتلذذ بالاعراض الدنيويه ومالك للفخر في العادة عند الناس بهذه
اي المالية ان كانت فضيلة لسبب ما مر والا فليست فضيلة في نفسها زايد عليها في الفخر ومعرق
في المدح اي زايد على فضيلة المال باضرابه اي اعراضه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها
من زكاة وصلة رحم ووجه بر فصل واما الخصال المكتسبة وتسمى اخلاقا وملكات نفسية
فهي ما يكون تخلقا عن كسب من الاخلاق الحميدة اي المحمودة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه من اتفقت الدرهم وفضل اي بقي
منه كذا اي ثبت تعظيم المتصف بالواحد منها حال كونه فضل فضلا عن تعظيم المتصف باكثرها
اجمع على حسنها واثنى الشرع على جميعها وامر بها لانها مكارم اخلاق ينبغي التخلق والاتصاف بها
ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة في حديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع
وعشرين جزءا من النبوة وحديث ان الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين
جزءا من النبوة اي هذه الخصال منحها الله انبياءه فهي من شمايلهم وفضايلهم وانه جزء من اجزايها
فاقتدوا بهم فيها لا ان النبوة تتجزا ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هي كرامة
يخص الله بها من يشا وهذه الخصال جزء من خمسة وعشرين جزءا مما جاءت به النبوة ودعت اليها

الانبيا وتانيث اربع وخمس على معنى الخصال او القطعة مع ان الاجزا تجري مجرى الكل في التذكير
والتانيث وهي اي الخصال المكتسبة هي المسماة بحسن الخلق وهو اي حسن الخلق اعتدال في قوى
النفس واوصافها اذ لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفه وغضبية
اعتدالها شجاعه ولكل طرفان فللحكمة طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة فيما لا ينبغي
وتفريط هو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وللعفة طرف افراط هو الفجور كانهماك
في اللذات وتفريط هو الجمود كترك ما رخص شرعا وعقلا من اللذات وللشجاعة طرف افراط
هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغي وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ما ينبغي فما بينهما
وهو التوسط فيها فضايل مجموعها اعتدال يسمى عدالة وحسن خلق دون الميل الى منحرف
اطرافها المايلة عن الاعتدال لانها كلها رذايل تردي بصاحبها ثم الاعتدال المسمى حسن الخلق اذا كان
كغيره من الكيفيات النفسية راسخا بحيث يعسر زواله يسمى ملكة تبعث النفس على افعال حميدة
واكتساب شيم شريفة لجميعها كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتها حال من ضمير
كانت المستتر لتمكنها واستقرارها فيه خلقا له بمنزلة الاشيا وركبه تمثيلا وتصويرا للمعقول
في صورة المحسوس اي كانت خلقه انتهائها في حال كمالها وحال الاعتدال الى غايتها وان عطف
على كمالها ولامه بدل من الضمير اي وفي حال اعتدالها حتى حرف ابتدا استونف به ما بعده
اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم استعظمه لفرط احتماله ممضات الاذى من قومه
ومخالقته ومداراته لهم وقيل هو ما امر به بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
قالت عائشة وقد سالها سعد بن هشام عن خلقه صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن
يجوز رفع احدهما اسما لكان ونصب الاخر خبرا لها زاد البيهقي في دلايله كما مر يرضى لرضاه
ما فعل امتثالا لامره واجبا ومندوبا وكذا المباح وما ترك اجتنابا حراما ومكروها وخلاف الاولى
ويسخط بسخطه ما فعل انتهاكا لحرمته وما ترك اعراضا عن امره وقال صلى الله عليه وسلم
في رواية احمد والبزار بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ورواية مالك في الموطا بلغني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق وفي شرح السنة ان الله بعثني لتمام مكارم
الاخلاق وكمال محاسن الافعال اي الملكات النفسية المحمودة التي جمعها حسن الخلق المترتبة
هي عليه كالحلم والصبر والعطف والعفو والتواضع والعدل والجود والحيا والتؤدة والوفا
والصمت والرافة والصلة مما كادت تفوت الحصر فانها من حيث هي اما انها كانت ناقصة فيهم
بديه وكتابه لا اشتمالها عليها كما في خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ان الله يامر بالعدل
والاحسان بعثت بالحنيفية السمحة او كانت تامة مبثوثة في الانفس فبعث لجمعها بعد تفرقها
لشهادة اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فانه امر له بالاقتدا بهم في جميع اخلاقهم الرضية
وافعالهم المرضية فوجب ان يجتمع فيه كلها وفيما اتفقوا عليه من التوحيد في اصول الدين دون
الفروع فانها لم تبق هدى والى الاول يشير حديث مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر احسن بنيانه
ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت
انا سددت موضع اللبنة ختم بي النبيون قال انس فيما رواه الشيخان كان احسن خلقا لحيازته
جميع المحاسن والمكارم وتكاملها فيه وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا

اي مخلوقا مطبوعا عليها في اصل خلقته واول فطرته التي فطره الله عليها لم يحصل له باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية سبحه الله بها وهكذا لسائر الانبيا اذ كانت
فيهم غريزة جبلوا وطبعوا عليها في اصل خلقتهم واول فطرتهم لم يحصل لهم باكتساب ولا رياضة
بل بجود الهي وخصوصية ربانية واما غيرهم فقيل انها فيه جبلة وطبيعة لهم ومال اليه
الطبراني وقيل مكتسبة لا جبلة وطبيعة وقيل منها ما هو جبلة طبع عليها في اول خلقته
وما هو مكتسب وقد تصير غريزة وملكة قارة فيه على ما مر ويوئيد حديث اشج عبد
القيس ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله اشي من قبل نفسي
او جبلني الله عليه فقال بل جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يرضاهما الله
ورسوله ومن طالع سيرهم الحميدة ومناقبهم المجيدة منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك وعرفه
حق معرفته كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم
بل غرزت فيهم هذه الاخلاق واودعوا العلم والحكمة اي الاصابة في القول والعمل في الفطرة
اي في اول الخلقة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى النبوة او
المعرفة واصابة الحق والعلم بكتاب الله اي التورية في حال صباه اذ قد روي انه نبي وفهم
وهو ابن ثلاث او سبع وقال معمر كما رواه احمد في الزهد وابن ابي حاتم في تفسيره عنه والديلمي
ولم يسنده والحاكم في تاريخه عن ابن عباس بسند واه كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان
لم لا تلعب فقال ما للعب خلقت هذا والذي قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح
وما ذكرهنا فغريب في الرواية عنه لشهادة ما رواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى عبادة واجتهادهم فرجع الى ابويه فمر في طريقه
بصبيان يلعبون فقالوا هلم فلنلعب فقال اني لم اخلق للعب فذلك قوله واتيناه الحكم صبيا
وقيل في قوله تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى مؤمنا به
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وهو اول من امن به سمي كلمة لوجوده
بامره تعالى بلا اب فشابه المخترعات التي هي عالم الامر وقيل كما في تفسير محمد بن جرير الطبري
صدق وهو في بطن امه حال من الضمير اي امن به يحيى حال كونه في بطنها فكانت ام يحيى
وهي حامل به تقول لمريم اختها اذا دخلت عليها وهي حامل بعيسى والله انك لخير النساء
وان ما في بطنك لخير مولود واني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له
وكفاك بظاهره قاضيا بان مريم حملت مدة الحمل وعليه الاكثر عن ابن عباس حملته ووضعته
في ساعة واحدة فتصديقه به انما كان وهو ابن ثلاث كما مر وقيل الكلمة من الله كتابه
اي مصدقا بكتاب من الله وهو خلاف الظاهر بشهادة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى بن مريم وقد نص الله في فرقانه القديم على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه
بقوله الا تحزني على قراة من فتح ميم من تحتها كابن كثير وابي عمرو وابي بكر وعلى قول من قال
ان المنادي من عيسى كابي بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت
ذيلها وعن ابن عباس وعلقمة والضحاك المنادي جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها ولا وجه
لتخصيص القراة الاولى بالخلاف في المنادي مع وقوعه في الثانية ايضا ونص على كلامه في مهد فقال

حكاية عنه اني عبد الله اتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا في سابق قضائه او تنزيلا للمحقق
وقوعه منزلة الواقع كما في اتى امر الله وعن الحسن اكمل الله عقله ونباه طفلا هذا وفي المستدرك
عن ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون
ولفظ مسند احمد وابن ماشطة ابنة فرعون وفي تفسير سورة الانعام من البغوي وابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم وممن تكلم يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة ورضيع المتقاعسة ورضيع التي
قالت اللهم اجعل ابني مثل هذا وقال عز قايلا ففهمناها سليمان اي الحكومة او الفتيا اذ قد تحاكم
الى داود صاحب غنم وصاحب زرع رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستوا قيمتها وقيمة نقصه
فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم
لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها واصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان
عليه ترادا ولعلهما قالاه اجتهادا والاول مثله قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثله قول
الشافعي بالعزم للحيلولة في العبد المغصوب اذا ابق اما في شرعنا فلا ضمان عند ابي حنيفة بشبهها
حديث جرح العجما جبار اي هدر الا ان يكون معها حافظ او ارسلت عمدا واوجبه الشافعي
ليلا لا نهارا لجري العادة في حفظ الدواب بالليل دون النهار ولقوله صلى الله عليه وسلم لما دخلت
ناقة البراء حائطا فافسدته على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل
وكفى به شاهدا بان جرح العجما انما يكون جبارا اذا اتلفت في وقت لا يجب حفظها فيه كالنهار اما
ما يجب حفظها فيه كالليل فجرحها ضامن وكلا من داود وسليمان اتينا حكما وعلما اي نبوة ومعرفة
بموجب الحكم وقد ذكر عن سليمان وهو صبي اي في حال صباه يلعب مع الصبيان في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي فاقتدى به ابوه داود فيهما اما الاولى فروى ابن عساكر في تاريخه بسنده الى ابن
عباس ان امراة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها اربعة من اكابرهم فامتنعت فاتفقوا ان
يشهدوا عليها عند داود انها امكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها برجمها فلما كان عشية
يوم رجمها جلس واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيا اربعة منهم بزي اولئك الاربعة واخر
بزي المراة وشهدوا عليها بانها مكنت من نفسها كلبا فسالهم متفرقين عن كونه فقال لاحدهم اسود
واخر احمر واخر اغبش واخر ابيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسالهم
متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم واما الثانية فروى الشيخان عن ابي هريرة بينما امراتان
معهما ابنان لهما فاخذ ذيب احدهما فتحاكمتا الى داود في الاخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان
فقال هاتوا السكين اشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به لشهادة
شفقتها عليه المفادة بقولها لا تشقه رحمك الله ورضي الكبرى بشقه لتشاركها في المصيبة وحكى
محمد بن جرير الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك اي ومثل ما ذكر عن سليمان
في صباه قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وذلك ان الله من عليه فاوحى الى امه
ان اقذفيه في اليم فقذفته فيه فاخذه فرعون وحرم الله عليه المراضع ورجعه الى امه فلما تم
رضاعه اتت به امراة فرعون فادخلته عليه فاخذ بلحيته فغضب وامر بقتله فقالت قرة
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا فكفاه الى ان شب فكان من امره ما ذكر في تنزيله
وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هداه لوجود الصلاح وحيازة

محاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق وكفاك شاهدا على انه رشد مثله اضافه اليه صغيرا قبل
بلوغه او قبل موسى وهارون او قبل محمد قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اي اصطفاه
اي في سابق قضائه قبل ان اخلقه من العدم الى الوجود وقال بعضهم كالكواشي لما ولد ابراهيم
بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل مبالغة في الامتثال وتنزيلا للمطلوب منه منزلة الحاصل بتخليه حاصلا لتوفر
الرغبات فيه والدواعي الى تحصيله فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته
من نمرود وهو ابن ست عشرة سنة وفي عين المعاني عن ابن جريج ست وعشرين اذ اقسم لنكيدن
اصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما وان ابتلا اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين
او ثلاث عشره وهذا على احد قولي الذبيح من هو والمشهور انه اسماعيل لانه وهبت له اثر الهجرة
ولحديث انا ابن الذبيحين اي اسماعيل وعبد الله ابيه اذ قد نذر عبد المطلب ان يسر الله له حفر زمزم
او بلغ بنوه عشرة ذبح احدهم فتم متمناه فاسهم فخرج على عبد الله ففداه بماية من الابل ومن ثم
شرعت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في فتنة
ابن الزبير ولان بشارته باسحق كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب المنافي للامر بذبحه مراهقا
قيل وهذا هو الصواب عند علما الصحابة والتابعين والقول بانه اسحاق باطل وحسدا من اليهود
للعرب ان يكون ابا لهم هو الذبيح واما حديث سئل صلى الله عليه وسلم اي النسب اشرف فقال
يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالذي قاله
صلى الله عليه وسلم ورواه البخاري وغيره يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وذواته
مدرجه من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح وان استدلال ابراهيم بالكوكب
والقمر والشمس كان في نفسه وكان هو ابن خمسة عشر شهرا فيما حكاه الله عنه والحق انه كان زمان
مراهقته او اول بلوغه تنبيها لقومه على خطائهم بعبادة الاصنام والشمس والقمر والكواكب
وارشادا لهم الى الحق بطريق النظر والاستدلال وتعريفا لهم ان النظر الصحيح مؤذن بان شيئا
منها ليس باله لقيام ما يدل على حدوثها وان لها محدثا دبر طلوعها وسيرها وافولها لشهادة
قوله يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الاجرام المحدثة المحتاجة الى من يحدثها وقيل اوحى الله الى
يوسف وهو صبي او بالغ وعن الحسن وله سبع عشرة سنة عند ما هم اخوته بالقائه في الجب
وهو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل ابيه بقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا ايناسا
وازالة للوحشة وبشارة بما يؤول امره اليه اي لتتخلصن ولتحدثن اخوتك بما فعلوه وهم لا
يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبريا سلطانك وبعد حالك عن ساحة افهامهم بطول العهد
به المغير للهيئات والاشكال وذلك اشارة الى ما قاله لهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون وقيل وهم لا يشعرون متعلق باوحينا اي الاشارة بالوحي وهم لا يشعرون
وروى ابو نعيم في دلايله لما نشات اي شببت وصرت شابا بغضت الي الاوثان اي كرهها الله الي
فكرهها ومقتها اذ لم يكن فوقه احد يكرهها اليه غير الله وبغض الي الشعر وحظرته اي منعه وصار
بحيث لو اراد قرضه لم يتسهل عليه كما حظر الخط بحيث لو اراده لم يهتد اليه تفاديا من الطعن فيه
وفي تنزيله لو امكنه التوصل اليهما ولتكون الحجة اثبت والحجة ادحض ولم اهم بشي مما كان الجاهلية

نفعله

نفعله من المعارف وغيرها مما نهى الله عنه الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد رواه البزار باسناد
صحيح عن علي بلفظ ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشي حتى اكرمني الله برسالته ولفظ المستدرك في التوبة ما هممت
بقبيح مما هم به اهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان
باعلى مكة يرعى غنما لاهله ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان فخرجت ادنى دار
من دور مكة فسمعت غنا وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت
بذلك الغنا وذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال
لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيني فما
ايقظني الا مس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال ما فعلت قلت فعلت ما فعلت شيا والله ما
هممت بعدهما بسو مما يعمله اهل الجاهلية حتى اكرمني الله بنبوته فهم يخلقون على تلك الملكات
ثم تتمكن الامر لهم ويترادف اي يتتابع نفحات الله ومعارف ونعما عليهم وتشرق انوار المعارف في
قلوبهم بما ذريعته فيض الهي وجود رباني حتى يصلوا الغاية التي ما وراها شاو لمستبق ولا
مرقا لمستنم ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة والملكات الكريمة
النهاية التي ما فوقها نهاية دون ممارسة اي معالجة في ارتياده اوته ولا رياضة في ازدياده
ازمنة لشهادة ما قال الله تعالى ولما بلغ اشده اي يبلغ موسى نهاية قوته وتمام عقله من ثلاثين الى
اربعين سنه واستوى اي استحكم شبابه وبلغ اربعين سنة وهو سن بعث الانبيا آتيناه حكما اي نبوة
وعلما بمصالح الدارين او اتيناه قبل نبوته علم الحكما وسمتهم فكان لا يقول ولا يفعل الا حقا وسكر عليهم وهو
اوفق لنظم القصة اذ نبوته كانت بعد هجرته هذا وقد نجد غيرهم اي غير الانبيا مطبوعا مخلوقا على بعض
هذه الاخلاق الشريفة دون بعضها ويولد عليها موجودة فيه وجودا متاصلا فيسهل عليه
بواسطة تخلقه واتصافه بها اكتساب تمامها بعناية نصبه بنزع الخافض اي يسهل بعناية من الله
به كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت اي حسن الطريقة والقصد في تحري الخير
وتحليه بحلية الصالحين وذهم اذا السمت كما في الفايق اخذ النهج ولزوم المحجة او على الشهامة اي الجلادة
وذكاء الفؤاد او على صدق اللسان او على السماحة اي الجود بانبعاث النفس له وقليل ما هم كما نجد
بعضهم اي بعض غير الانبيا يطبع ويولد على ضدها من الاخلاق الردية كما نشاهد من خلقه بعض الصبيان
على لامة الطبع ودناة الهمة وكذب اللسان وخسة النفس وكثير ما هم فبالاكتساب يكمل ناقصها
الذي طبع عليه ذلك الغير وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ممن لم يطبع على شي منها او طبع
على ضدها وبهما يعتدل منحرفها عن الاستقامة الى هذا تقسيم اذ قد ذكر اولا من يطبع على بعضها
ومن يطبع على ضدها ثم اضاف الى الاول ان كماله بالاكتساب والى الثاني ان استجلاب معدومها واعتدال
اعتدال منحرفها بالرياضة والمجاهدة ومعنى الاستعلا في على بعضها وعلى ضدها تمثيل التمكن كل بما
طبع واستقر عليه بحال من استعلا شيا وركبه وباختلاف هذين الحالين اي الجبلي والكسبي قد
يتفاوت الناس فيها قلة وكثرة وتحصيلا وكل ميسر لما خلق له بصرفه تعالى له في افعاله على وفق
ما قدره واجراه عليه مستندا الى سابق علمه بخلق الصوارف والدواعي له وهذا مقتبس من حديث
اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيتيسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل

الشقاوه فييسر لعمل اهل الشقاوه ولهذا اي ولتفاوت الناس فيها قد اختلف السلف فيما
هل هذا الخلق اي الحسن جبلة جبل عليها او مكتسبة فحكى محمد بن جرير الطبري عن بعض
السلف ان الخلق الحسن الذي هو جامعها جبلة غريزه اي طبيعة وخلق في العبد وحكاه عن
عبد الله بن مسعود والحسن البصري وبه قال هو اي ابن جرير والصواب ما اصلناه
فيما مر ان منها ما هو جبلة غريزيه وما هو كسبي وكفاك شاهدا انما قد روى سعد بن ابي وقاص
كما في مقدمة كامل بن عدي ومصنف بن ابي شيبة عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
كل الخلال يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب فلا يطبع عليهما بل قد يحصلان تطبعا وتخلقا
وقال عمر يعني ابن الخطاب في حديثه الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وسعيد بن منصور
والجراه كالجرءة الشجاعة والاقدام على الشيء ويقال جرة وزن كرة والجبن ضدها غرائز
جمع غريزه اي طبيعة وقريحة يضعها الله حيث يشا من خلقه فلا تكتسبان فصل
في بيان اصول هذه الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها
واما اصل فروعها اي افرادها من حيث انبعاثها من العقل وعنصر ينابيعها اي اصلها الذي
كانها تنبع منه اذ العنصر في الاصل ما ينشا عنه الشي فغاير بينهما تفننا ونقطة دائرتها
اي مركزها وقطبها الذي تدور رحى عليه فانه هو العقل الذي يكون ادراك النفس الانسانيه
باشراقه وافاضة نوره ومن ثم كان نسبته اليها كنسبة الشمس الى الابصار وهو كما قال الحكما
العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال الكامل من كل وجه الذي منه ينبعث العلم والمعرفة
بتكامل القوى الجسمانية كالمحركة والمدركة التي هي مراكب له بمعنى انه بها يستفيد العلوم ابتدا
وبمعونتها تظهر اثار الادراك وهي مسخرة مطيعة له بامرها بالاخذ والاعطا واستفادة الذا
والتحرك للادراكات بقدر ما يرى من المصلحة ولاستعمالهم العلم في الكليات والمعرفة في الجزئيات
غاير بينهما والا فمدرك الكل هو النفس لكنها به تدرك الكليات كما مر وبالحواس تدرك الجزئيات
ويتفرع عن هذا اي عن كونه اصلا لما ذكر من حيث انبعاثها عنه وفيضانها منه على النفس الانسانية
اذ هو الذي يعدها للادراك فحالها بالنسبة اليه كحال الابصار بالنسبة الى الشمس فكما ان بافاضة
نور الشمس تدرك المحسوسات كذلك بنوره تدرك المعقولات ثم بكثرة ما يفاض عليه من المبدا الفياض
ينشا عنه جودة الفطنة بتهيئو قوة النفس لتصور ما يرد عليها من المعاني والاصابة للاغراض
ويتفرع عنه صدق الظن بكمال القوة الادراكية ويتفرع عنه النظر للعواقب ليتميز محمودها
عن مذمومها مما يرغب فيه فيقدم عليه او عنه فيحجم عنه ومصالح النفس عطف على العواقب اي
والنظر لما ينفعها وتحمد عاقبته مما لها دون ما عليها ويتفرع عنه مجاهدة النفس اي قمعها عما
يضرها وتذم عاقبته ويتفرع عنه حسن السياسة للناس بقانون العدل وملاحظة الصدق ونهجه
الحق والتدبير لامورهم معاشا ومعادا ويتفرع عنه اقتناء الفضايل اي المزايا الحسنة بتدرج
النفس الانسانية الى كمالها في قوتها اذ كلما ازدادت علما كملت قوتها العلمية وكلما ازدادت تحصيلا
للملكات المحمودة كملت قوتها العملية وبذلك يسهل اقتناؤها وقد منحناك ان لكل منهما اربع مراتب
وتجنب الرذايل اي المزايا الرديه بمخالفة الهوى والميل الى منهج الهدى وقد اشرنا فيما تقدم
من ايراد صفاته الشريفه الى مكانه صلى الله عليه وسلم منه اي من العقل بمعنى انه هو الحايز له

والمالك

والمالك امره لكنه ورد على طريقة التجريد مبالغة لتمكنه منه وهو ان ينتزع من امر ذي صفة
امرا اخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه وهو هنا من اي بلغ العقل من الكمال وعلو الرتبة حدا صح معه
ان ينتزع له صلى الله عليه وسلم منه عقل اخر مثله فيها وقد يكون بالبا التجريدية داخلة على المنتزع
منه كما في لئن سالت فلانا لتسالن به البحر بالغ في وصفه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فيها
وبالباء المعية في المنتزع كما في فلان تعدو به فرسه الى الوغى بمستلئم اي تعدو به ومعه من نفسه
مستعد للحرب بالغ في استعداده للحرب حتى انتزع منه اخر مثله لابس لامة اي درع وبفي في
المنتزع منه كما في لهم فيها دار الخلد اي في جهنم التي هي دار الخلد انتزع منها دارا اخرى وجعلها فيها معدة
للكفار تهويلا لامرها ومبالغة في اتصافها بالشدة وبلا توسط حرف كما في فلئن بقيت لارحلن بغزوة
تحوي الغنائم او يموت كريم انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه واشرنا فيما مر الى بلوغه منه
ومن العلم الغاية التي لم يبلغها ولم يقتعد غاربها ولم يمتط ذروة سنامها بشر سواه واذ جلالة
محله علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه منهما غاية لم يبلغها احد اي من اجل ان جلالة محله من ذلك
اي من العقل والعلم وما يتفرع منه متحقق لا ريب فيه وهذا احد معاني اذ كما في ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم انكم اي لن ينفعكم اليوم تمنيكم بعد شتا طيشكم لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا ولن ينفعكم
لاجل اشتراككم في العذاب كما ينفع ذوي شدة معا وتنعم جميعا في حمل اعبائها دون كل واحد
منهم وحده وذلك عند من تتبع اي من علم ما ذكر من هذه الصفات بطريق تتبع مجاري احواله
الجاريه على سنن الحق ومنهج العدل واطراد سيرته المرضية وفق اخلاقه المرضية وطالع جوامع
كلامه الموجز لفظا الكثير معنى اي علمها بطريق المطالعة وطالع حسن شمائله اي سيره البديعة اي
الحسنة التي لم يسبق اليها ولم تحم طير رغبة احد فيها سواه عليها وحكم حديثه جمع حكمة وهي الاصابة
في القول اي حديثه المصيب غرض الحق وعلمه بما في التورية والانجيل اي وعلم انه عالم بما فيهما وما في الكتب
المنزلة من احكام ومواعظ وغيرهما وعلمه حكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس وسياسات الانام
اي القيام عليهم بما يصلحهم وتقرير الشرايع اي بيان احكامها وتمهيدها وتاصيل الاداب النفيسة
اي تقريرها وتبيينها والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي علمها افاضة عليه من المبدا الفياض مما
اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة اقتدوا به فيها واتخذوا اشاراته بها وبغيرها حجة
كالعبارة مصدر عبر الرؤيا يعبر اي ذكر عاقبتها واخر امرها ومثله اولتها اي ذكرت مالها ومرجعها
والطب مثلث الطا مصدر طبت اي عالج ووصف الدوا وهو اصطلاحا علم يعرف به مقادير احوال البدن
والفرايض جمع فريضة من الفرض بمعنى التقدير او من الحز بمعنى القطع وهو اصطلاحا علم يعرف به احوال
المال الموروث ومن يرثه كله او بعضه ومن لا يرثه من القرابة والنسب من نسبت الرجل عزوته الى
ابيه ورجل نسابة اي بليغ العلم بالانساب وتاؤه كهي في علامة وغير ذلك مما منحه من العلوم دون
تعليم له من بشر ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم لانه امي لا ريب فيه نسبة الى
الام كما مر وفي الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اي نحن على اصل جبلتنا وولادة امنا لم نتعلم
حسابا ولا كتابا وقيل الامي من لا يكتب لا يعرف شيئا من ذلك اي من تعلم ومدارسة ومطالعة ونحوها مما
ذكر حتى شرح الله صدره اي وسعه ونوره بالايمان والعلم والحكمة وابان امره من كونه نبيا بايات ظاهرة

ومعجزات باهرة وعلمه ما لم يكن يعلم واقراه القران على لسان جبريل بشهادة لا تحرك به لسانك لتعجل
به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه وعطفه على عام تناوله
تلويح بفضله حتى كانه ليس من افراده اذ القران منبع كل علم بعلم ذلك اي ما بلغه من العقل والعلم
دون تعليم بالمطالعة في دلائل نبوته وسيره وشمائله والبحث عن حاله ضرورة اي بمجرد
التفات الذهن اليه وبعلم ذلك ايضا بالبرهان القاطع مما قام من الارهاصات قبل بعثته
والمعجزات بعدها على ثبوت نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص مما يفيده بطريق
الضرورة ولا بسرد احاد القضايا مما نفيده بالنظر فيه اذ مجموعها مما لا ياخذه حصر
حصيه عد داولا يحيط به حفظ جامع يضبطه علما وبحسب عقله كانت معارفه في نهاية
لا ترام وغاية لا تسام وشرف لا يشام مرتقيا الى سائر ما اعلمه الله واطلعه عليه من علم ما
في الغيب مما سوف يكون في الشهادة وما كان فيها من الاعيان وعلمه من عجايب قدرته وعظيم
ملكوته مما شاهده ليلة الاسرا وغيرها قال عز قائلا وعلمك ما لم تكن تعلم من الشرايع وخفيات
الامور وضماير القلوب وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك وانعم عليك حارت العقول في
تقرير فضله عليه فلم تدر كيف تهتدي فيه الى بيانه وخرست الالسن دون وصف يحيط به
اي عجزت عن ان تنطق بما يحصي بما من الله عليه به او تنتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال
والعفو مع المقدرة بضم الدال وفتحها اي القدرة والصبر على ما يكره فكان صلى الله عليه وسلم منها
بمحل سام لا يرام وبين هذه الالقاب فرق تميز كلا عن الاخر فان الحلم حالة توقر وثبات في الامور
وتصبر على الاذى لا يستفز صاحبه الغضب ولا يحمله على انتقام وهو
شعار العقلا والاحتمال حبس النفس عند ورود ما يعتريها من الالام والمؤذيات عليها وهذا
من عطف العام على الخاص ومثلها اي المذكورات الصبر اي في كونه حالة ثبات وحبس ومعانيها متقاربة
والظاهر ان الصبر لها كالجنس وهي له كالانواع واما العفو فهو ترك المؤاخذة والتجاوز عن
الذنب واصله المحو والطمس وهو من ابنية المبالغة وهذا اي ما ذكر من الاخلاق الكريمة مما ادب
الله به نبينا صلى الله عليه وسلم فقال مما ادبه به خذ العفو اي المساهلة وترك المؤاخذة والبحث
عن مذام الاخلاق امره صلى الله عليه وسلم باخذ العفو وما سهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير
كلفة ولا طلب ما يشق عليهم حذرا من ان ينفضوا من حوله وامر بالعرف اي المعروف وهو كل جميل
مرضي عقلا وشرعا واعرض عن الجاهلين ممن يعايب وما لا يجدي نفعا ولا تمارهم والاية
ان نزلت امرة بمداراة الكافرين فمنسوخة باية السيف وبمكارم الاخلاق فمعناها لا تقابل جاهلا
سفهه عليك هذا ولا ينس ما مر من ان ليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها وروي عن تفسير
محمد بن جرير وابن ابي حاتم وابي الشيخ ومكارم الاخلاق لابن ابي الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه
لما نزلت عليه هذه الاية يعني خذ العفو سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم
اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
بخ بخ هذا وابيك الشرف والكرم وقال له حكاية عن وصية لقمان لابنه يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك من المحن الموروثة للمنح سيما في امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر
وقال له فاصبر كما صبر اولوا العزم اي الثبات والجد من الرسل اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا

في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعادات من طعن فيها ومشاهيرهم نبينا ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى او هم الصابرون على بلاد الله كنوح صبر على اذى قومه وابراهيم على
النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد ولديه وبصره ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى على عدوه فرعون وقال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين
وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال له وليعفوا اي ما فرط منهم
وليصفحوا بالاغماض عنهم الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم وروى
البخاري لما نزلت قال ابو بكر بلى احب ورجع الى مسطح نفقته التي قطعها عنه لخوضه مع اهل الافك
فيما قالوا وقال له ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر لنفسه ان ذلك الصبر والغفران منه
لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف في نحو السمن منوان بدرهم اي منه للعلم به وامره صلى الله عليه
وسلم بالصبر فيما ذكر ونحوه مع كونه له جبلة وخلقا طلب لدوامه عليه كما في يا ايها الذين امنوا
امنوا اي دوموا على الايمان ولا اختبارا بما يؤثر اي فيما يروى من حلمه واحتماله الاذى من قومه
بشهادة قول ابي سفيان وقد قال له يا عم اما ان لك ان تسلم بابي انت وامي ما احلمك ولا اخفى
ان كل حليم قد عرفت منه زلة من الزلل بمعنى الخطا والذنب وحفظت عنه هفوة اي زلة غاير
بينهما تفننا والكلية صادقة بغير الانبيا اما هم فالمختار عند كثيرين انهم معصومون صغيرا وكبيرا
من الزلات فهم في العصمة كهو فلا تفاضل فيها بينهم وهو لا يزيد مع كثرة الاذى الواصل اليه منهم
الا صبرا وعلى اسراف الجاهل متجاوزا زامنته اليه الا حلما هذا وروى هنا بسند الى مالك في
موطاه كالشيخين وابي داود عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بني خير
لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على نصا القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله او غيره فالله ما جعل
له الخيرة في امرين جائزين الا اختار ايسرهما ارشادا لامته وايثارا لدينه على اليسر يريد الله بكم
اليسر ان هذا الدين يسر كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جمعت عليهم اي على قريش الاخشبين
بقاءهم بقوله دعني انذر قومي رجاء ان يوحدوا او يخرج من اصلابهم من يوحده ما لم يكن اثما اطلاقا
للسبب على مسببه مجازا مرسلا لعلاقة السببية اي ما لم يكن ايسرهما مما يترتب عليه اثم فلا
يخيره الله فيهما لكون احدهما اثما او فلا يختاره والمخير غير الله ومن ثم قالت تاكيدا فان كان اثما كان
ابعد الناس منه لعصمته وفيه تلويح باستحباب الاخذ بالايسر والارفق ما لم يكن حراما او
مكروها وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه اي مما بلغت به الكراهة حدا يورثه
انتقاما من احد على مكروه اتاه من قبله الا ان تنتهك حرمة الله استثناء منقطع اي الا ان
يبالغ احد في خرق حرمة الله التي من اسبابها خرق حرمته صلى الله عليه وسلم اذ هي مما حرم الله
فينتقم لله بها اي بسبب حرمة الله ممن ارتكبه لا بسبب حرمة نفسه والمثل مما نيل منه شي
قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شي من محارم الله به اي ما اصيب من احد باذى وعاقب به انتصارا
لنفسه لكن اذا بالغ في خرق شي من محارم الله التي من جملتها حرمته انتصر لله وعاقب له لا لنفسه فلم
يكن انتقامه الا لله وان كان بانتهاك حرمة نفسه وفي هذا تلويح بالحث على الحلم والعفو واحتمال
الاذى والانتقام لدين الله وكم ورد عنه مما يؤذن بمكارم الاخلاق وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته بتخفيف يائه كسرها عتبة بن ابي وقاص وشج وجهه شجه عبد الله بن شهاب

الزهري كلاهما يوم احد شق ذلك اي كسر رباعيته وشج وجهه على اصحابه شديدا فقالوا لو
لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا حذف مفعوله للتعميم وفاعله
تعظيما وتفخيما للامر اي بعثني الله داعيا لمن يريد الله هدايته او كل احد اليه ورحمة لمن اخرجه من الكفر
الى الايمان وللكافرين بتاخير العذاب في الدنيا عنهم اولاقرب الناس الى الله والى رحمته لا
لابعدهم عنها اذ اللعن البعد عن رحمته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون رواه البيهقي في شعب
الايمان مرسلا ثم اخرجه موصولا وفي الصحيح حكاية عن نبي ضربه قومه زاد ابن هشام في سيرته انها
ثنيته اليمنى السفلى فجرح شفته السفلى وان ابن قمية جرحه في وجنته قال يعقوب بن عاصم
فكان حتف انفه ان سلط الله عليه تيسا فنطحه فقتله او فالقاه من شاهق فمات واما ابن شهاب
فاسلم واما عتبة ففي تهذيب النووي ان ابن منده عده من الصحابة وانكره ابو نعيم اذ لم يذكره
احد قبله قيل الحديث قاض بانه لم يدع عليهم فيعارضه حديث عبد الرزاق في تفسيره انه صلى
الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسرها قلنا لا معارضة اذ لا يلزم من عدم دعائه على الجميع
عدمه على البعض ولا من عدم المبالغة فيه عدم صدوره منه في بعض الاحيان قيل كيف
دعا لهم بالهداية مع علمه بان بعضهم لا يؤمنون نحو ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون قلنا يجوز ان يكون قبل النزول او هو عام اريد به خاص او لان الهداية ممكنة
في نفسها غير ممتنعة لذاتها بل لاخبار الله بعدم وقوعها ولا خلف فيه فيكون طلب الدعاء عليهم غير محصور
في اللعن فكيف يقول لم ابعث لعانا قلنا دعاؤه على الكفرة لعن لهم اذ هو البعد عن الرحمة مع
ان النفي انما توجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم ابعث كثير الدعاء عليهم وقد روى البخاري وغيره
اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن
ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد وروي عن عمر
ولم يعرف بابي انت وامي اي انت مفدي او افديك بهما يا رسول الله لقد دعا نوح فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فيعالا من الدور وربما يستعمل من الاسماء في العام اي احدا يدور
في الارض ولو دعوت علينا مثله لهلكنا لكنا لم تفعل ذلك فلم تدع علينا فانتج رفع التالي رفع مقدمه
فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك بفتح الرا وتخفيف اليا فابيت ان تقول الا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حذف مفعوله ليذهب النفس كل مذهب ممكن انظر لم يرد
به مخاطبا معينا بل كل من يتاتى منه ما في هذا القول اي قول عمر وما اشار فيه من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه
وسلم على السكوت عنهم ولم يتعرض لهم بسوء حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اللهم اهد قومي واغفر لقومي باضافتهم اليه ثم اظهر الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون اي بسببه كل ذلك لكونهم رحمه اذ ما من بيت الا له فيه قرابة وان لم
يكونوا له اولياء بشهادة حديث الشيخين ان آل ابي اوفى ليسوا لي باولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين
ولكن لهم رحم ابلها ببلالها اي لا اوالي من ليس صالحا وان كان قرابتي وانما احب الله لما له من الحق على عباده واجب
صالحي المؤمنين واواليهم وادعي لذوي رحمي حقهم بصلة الرحم فنبه على التبري ممن خالف وعلى موالاة
الصالحين قيل المكني عنه الحكم بن العاصي والكناية من بعض الرواة حذر الفتنة شبه الرحم بارض اذا بلت

حتى

حتى بلالها اثمرت وظهر في ثمارها النضارة واذا تركت يبست ولم تثمر فكذا الرحم بقطعها تظهر العداوة
وقد ورد بلوا ارحامكم اي صلوها وقد روى الشيخان لما قال له الرجل هو ذو الخويصرة حرقوص
ابن زهير التميمي اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يرد في جوابه ان بين له خطا
جهله ووعظ صلى الله عليه وسلم نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك نصب على المصدر ويضاف كما
هنا ولا يضاف نحو ويحا له وتقدير فيح كويحه له وفي الحديث ويح عمار تقتله الفئة الباغية وهي كويل
كلمة ترحم يقال لمن هلكة لا يستحقها فلجهله رحمه مبينا له ما جهله من انه صلى الله عليه وسلم الحري
الحقيق بالعدل بقوله فمن يعدل ان لم اعدل شرط حذف جزاؤه لدلالة ما قبله عليه افاد انكار
ان احدا يعدل دون ان يعدل هو ذاهبا الى معنى ايعدل غيري وانا اجور كلا خبت وخسرت
بضم تائهما على التكلم وروي بفتحهما على الخطاب اي حرمت كل خير وخسرته ان لم اعدل شرط حذف
جزاؤه ودل عليه ما قبله وذلك اي وتسميته جزاء توسعا لدلالته عليه ورد على سبيل الفرض ارشادا
الى ان من لم يعدل فقد باء بالخيبة والخسران وتلويحا بالعدل والحلم والعفو وبراءة ساحته من العرض
واسقاط ما وجب له عليه من قتله رعاية لايمانه الظاهر وصبرا على اذاه اذ كان قد استحق به النكال
ومن ثم نهى من هو خالد بن الوليد او عمر او كلاهما اراد من اصحابه قتله وروى البيهقي لما تصدى له
صلى الله عليه وسلم غورث بن الحارث ليفتك به اي جاءه على حين غفلة منه ليقتله ورسول الله صلى
الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع المضمر اي وهو منتبذ في ناحية بعيدا عن اصحابه تحت شجرة
في ظلها وحده قائلا والناس قائلون في غزاة هي ذات الرقاع في رابع سنة من الهجرة فلم ينتبه
صلى الله عليه وسلم من نومه الا وهو اي غورث قائم والسيف صلتا اي حال كونه مسلولا في يده
فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال لغورث من يمنعك مني قال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه وكان ذلك سببا لاسلامه
فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس غير منازع ولا مدافع ورواه الشيخان بدون سقوط
السيف وقوله صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني وجواب غورث ومن عظيم خبره صلى الله عليه وسلم
في العفو عفوه عن زينب بنت الحارث قال ابو داود وهي اخت مرحب اليهودية التي سمته اي جعلت
له السم في الشاة بعد اعترافها على الصحيح متعلق بعفوه لا باعترافها وان زعم اي عفوه عنها على الصحيح
من الرواية بعد اعترافها رواه الشيخان بشهادة رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وفي شرف
المصطفى قتلها وصلبها وجمع بينهما بانه عفى عنها لحق نفسه اذ كان لا ينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات
من اصحابه باكله منها كبشر بن البراء اذ لم يزل معتلا به حتى مات بعد سنة ومن عظيم خبره في العفو
انه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به اي بانه سحره واوحي اليه بشرح امره كما رواه
احمد والنسائي والبيهقي في دلايله سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاءه
جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بئر كذا او كذا فبعث فاخرجها فجاء بها
فحلها فقام وكانما انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راى في وجهه حتى مات ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته فضلا كما مر مصدر فعل محذوف ووقع هنا بين نفي واثبات لفظا لقصد
استبعاد الادنى اعني ما دخله النفي بمعنى عدم بعيدا عن الوقوع واستحالة ما فوقه اعني ما دخله
عن بمعنى عدم محالا اي انتفت معاقبته والذي فضل اي بقي منها هو عدم عتبه هذا والسير من اوله

نفوس خبيثة اقوالا وافعالا لا يترتب عليها امور خارقة للعادة وتعلمه للعمل به حرام وفعله
كبيرة واعتقاد حله كفر ولتاثيره زيادة بيان تاتي وكذلك لم يؤاخذ كما رواه الشيخان عبد
الله بن ابي راس من باض النفاق وفي افنية ضمائرهم وفرخ الحسد والكذب ولم يواخذ
اشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته من الجرائم قولا وفعلا كقوله تعالى حكاية
عن منبع النفاق ابن ابي يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز
نفسه وبالاذل نبي الله بل قال على المريسيع ماء لبني المصطلق لمن اشار من اصحابه بقتل
بعضهم بعد ان بلغه وقد هزم بني المصطلق قول ابن ابي وقد لطم حليفا له جعال من فقراء
المهاجرين مساعده لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن
كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الاية ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه
فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم
انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره
به فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه قال لا اذن لك يتحدث وفي رواية فكيف اذا
تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه في حكم العلة لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهري وروى
الشيخان عن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد اي شملة مخططة او كساء اسود
مربع فيه صغر غليظ الحاشية فجذبه وفي نسخة فجبذه بتوسط الباء لغة في الاول او مقلوبه
اعرابي جذبة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه هو ما بين العنق والكتف
فلم يتاثر من سوء ادبه ثم قال على عادة اجلاف العرب يا محمد احمل على بعيري هاتين من مال
الله الذي عندك زاد البيهقي فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال صلى الله عليه وسلم ويقاد منك اي يفعل بك
يا اعرابي مثل ما فعلت بي قال لا قال لم لا يقاد منك قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر هذا وابيك هو
الحلم والتجاوز عن جاهل جلف غليظ جاف كسر سوكة غضبه وامتري مراحمه طلبا منه للعفو عنه
كرما بقوله انك لا تكافي بالسيئة السيئة وروى الشيخان قالت عايشة ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط تاكيد لنفي انتصاره لنفسه حلما وكرما وفضلا
وصبرا على الاذى وامتثالا للامر به بأخذ العفو والامر بالعرف والاعراض عن الجاهلين
ما لم تكن المظلمة حرمة من محارم الله ارتكبها احد فينتصر وان كان هو المظلوم لله لا لنفسه
وما ضرب بيده شيئا قط شفقة ورحمة منه عليه الا ان يجاهد في سبيل الله بسيف هندا اذا
صلت ممكنة على الطلى بجد الهامات لهم فما ضرب احدا من اعدائه الا كان حتف انفه وعدا ابا له
لشدة خبر ابي بن خلف وقد خدشه يوم احد في عنقه فجزع جزعا عظيما بالم شديد فقيل له
ما هكذا الجزع فقال والله لو بصق محمد علي لقتلني وبيده احترازا عن ضرب غيره بامره تاديبا او
تعزيرا او حدا ولا ضرب خادما ولا امراة شفقة ورحمة لهم اذ كان منهما يحمل ما اليه سابق او
لمستبق ولا مر قالمستنم وهذا الحديث مؤذن بغاية مدحه مبالغة في تنزيهه وتبرئة ساحة جنابه
عما لا يليق به وبجواز مدح الانسان بما فيه من صفات الكمال وروى احمد والطبراني بسند صحيح انه

جي

جئ اليه برجل حذف فاعله وبني لمفعوله نكرة لعدم العلم بهما فقيل تفاديا عن ان يكتم عنه ما يؤديه
وتنبيها على ارادته به ذلك واخبارا عنها بقرينة ما دل عليها منه اذ هي امر خفي لا يطلع عليه الا
من جهته هذا اراد ان يقتلك فقال له تانيسا لنفسه وتسكينا لقلبه ليذهب عنه ما راعه
مؤكدا له لن تراع لن تراع اي لن تفزع بمكروه علما منه بان قتله محال ومن ثم قال له مترلا اراداته
قتله منزلة عدمها لاستحالته ولو اردت ذلك لم تسلط علي لعصمة الله اياه من الناس وروى
البيهقي معضلا ووصله ابن حبان والطبراني وابو نعيم بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم
جاء زيد بن سعنة بمهملتين فنون او بتحتيه وعن تجريد الذهبي زيد بن سعنة بالنون اصح
واسيد بفتح الهمزة بن سعية بالياء اصح قبل اسلامه يتقاضاه في موضع الحال اي متقاضيا
دينا له عليه وجيء به مضارعا بعد جاء ماضيا قصد الاحضار صورة تقاضيه دينه لان المضارع
مما يدل على الحال الحاضر الذي من شانه ان يشاهد كانه يبصر السامع اياها ويطلب منه مشاهدتها
تعجيبا من جراته لسوء ادبه على اشرف موجود واكرم محمود غير ربه تعالى بشدته قوله فجبذ
ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ اي قال له قولا فظا لم يكتف به حتى قال معمما
انكم يا بني عبد المطلب مطل جمع مطول كفعول بمعنى فاعل وهو الليان بالدين فانتهره عمر
وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم حال مفصحة بكمال حلمه وحسن خلقه
وجميل عفوه ومن ثم قال له انا وهو كنا الى غير هذا الذي صدر منك منتهرا له به مغلظا له في
القول احوج يا عمر اذ كان الاولى بك انك تامرني بحسن القضا لدينه وتامره بحسن التقاضي
مني ويؤخذ من هذا جواز ابتداء الانسان بنفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم مؤكدا بلام القسم لقد
بقي من اجله اي اجل دينه لا عمره ثلاث حذف تاؤه لحذف مميزه الذي هو ايام كما في من صام رمضان
واتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر كله وامر صلى الله عليه وسلم عمر يقضيه ماله ويزيده
عشرين صاعا لما روعه عمر به فكان ذلك اي حلمه وعفوه عنه بما صدر عنه في حقه صلى الله
عليه وسلم من سوء الادب قولا وفعلا سبب اسلامه وكان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء
الا وقد عرفته في محمد الا اثنين لم اخبرهما احدهما انه يسبق حلمه جهله اي غلبة اتصافه
بالحلم على اتصافه بالجهل براه الله من ذلك واتى بالمضارع احضارا للصورة كونه سابقا حلمه جهله
تصبيرا للسامع اياها طالبا منه مشاهدتها تعجيبا من تلك الصورة الحلمية والشيمة الرحيمة
ولا يزيده شدة الجهل عليه من احد الا حلما فاختبرته بهذا اي الذي صدر منه في حقه قولا وفعلا
فوجدته كما وصف فرجع الى ذهنه الصائب وفكره الثاقب وخاطره اليقظان وفطنته العجيبة الشان
ناظرا اعقله وعين بصيرته فاهتدى الى الاسلام وخالط بشاشة قلبه الايمان اذ كان اعلم من اسلم
من احبار يهود واحلمهم واكرمهم ثم استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفي
قافلا من غزوة تبوك الى المدينة والحديث المخبر عن وفور حلمه وحميد صبره وجزيل عفوه عند
المقدرة احتراس عن توهم كون عفوه عن عجز اكثر من ان ناتي عليه للاخبار به عن صفات من مبلغ العلم
فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم وحسبك اي كافيك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة
منتهيا او منضما ما ذكر مما لم يتواتر الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش و
واذى الجاهلية ومصابرة الشدايد اي مغالبته اعداء الله في الصبر عليها الى ان ظفره الله بهم بنصره

عليهم وتاييده وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم جملتان
حاليتان اي حكمه فيهم حال تيقنهم لما حل بهم من الجزع الفادح والهلع الفاضح اذهابه اياهم
جميعا وحال ابعاده جماعتهم فما زاد على ان عفى اي تجاوز ولم يواخذهم واصله المحو والطمس وصفح
عنهم صفحا جميلا وقال تلويحا بلطفه بهم وشفقته عليهم مستدرا منهم بان ما نجم في ضمائرهم وسنح
في خواطرهم مفوضا ذلك اليهم ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا استعطافا له عليهم وطلبا
لرحمته بهم اذ هو اهل الرحمة والمغفرة اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب
اي لا تانيب ولا عتب عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام يغفر الله لكم ما فرط
منكم اذهبوا فانتم الطلقاء من الاسر قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتي باب الكعبة رواه
ابن سعد والنسائي وابن زنجويه وروى مسلم وابو داود والترمذي والنسائي هبط ثمانون رجلا
من التنعيم ادنى بقاع الحل من حرم مكة على ثلاثة اميال او اربعة منها صلاة الصبح اي في وقتها ليقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا قهرا مغلوبا عليهم فاعتقهم كرما وعفوا فانزل وهو الذي
كف ايديهم اي كفار مكة وكف ايديكم عنهم ببطن مكة اي داخلها من بعد ان اظفركم اي اظهركم عليهم
فهزمهم وادخلهم بطنها وذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن ابي جهل خرج في
خمس مائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في جماعة فهزمهم حتى ادخلهم
بطن مكة وقيل كان يوم فتح مكة وبه اخذ ابو حنيفة ان مكة فتحت عنوة وضعف بان السورة نزلت قبله
وقال لابي سفيان وقد سيق اليه جملة حالية مع ما بعدها وردت اعتراضا بين القول ومقوله مفصح
بحال صاحبها اي جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة
بعد ان جلب اليه الاحزاب يوم الخندق في شوال او ذي القعدة سنة اربع او خمس وبعد قتل عمه حمزة
واصحابه ومثل بهم اسند اليه القتل والمثلة مع ان قاتل عمه وحشي والممثلة به زوجته هند بنت
عتبة مجازا عقليا اذ هو السبب كما اسند الذبح في يذبح ابناءهم لفرعون اذ كان السبب الآمر وعفى
عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين مقول قوله صلى الله عليه وسلم ترحما وتوجعا له اذ لم
يؤمن او مدحا له وتعجبا من صنيعه به صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه الم يان لك من انى ياني
جاء اناه اي لم يجئ وقت ان تعلم ان اي تشهد انه لا اله الا الله فقال ابو سفيان مفديا له متعجبا من
سعته الناس حلما وكثرة صلته رحما وقربه عند ربه كرما بابي انت وامي ما احلمك على من جهل عليك
واوصلك لرحمك واكرمك عند ربك وكان صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى
تمييزان للنسبة ابعد واسرع حولا عن كونهما هنا اسمي كان مبالغة في وصفه بهما اي كان غضبه عنهم
ورضاه اسرع اليهم لما منحه من مكارم الاخلاق فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة
فسينجلي عليك تعريفها ومعانيها متقاربة وفرق بعضهم بتخفيف الرا مطلقا وقيل هذا مختص بالمعاني
وبتشديدها بالاجسام ويجوز استعمال كل مكان الاخر مجازا بينها فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره اي قدره وسموه اي الكرم حرية وهو ضد النذالة اي السفالة واللامة وجعل
السماحة التجافي اي الارتفاع والتنحي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
اي صعوبة الخلق وجعل السخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو اي الانفاق مع التجنب
الجود وهو ضد التقتير اي التضييق نقيض الاسراف في الانفاق وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي

اي لا يقاوم ولا يقابل به احد في هذه الاخلاق الكريمة من آزيته اي حاذيته واجاز غير الجوهري وازيته
بقلب همزته واوا ولا يباري اي يعارض وقد مر بهذا اي بما ذكر وصفه كل من عرفه معرفة مشاهدة
ومعاينة او شهرة وتقديم المجرور على عامله انما افاد التقوي دون الحصر اذ له غير ما ذكر صفات جمة
تكاد تفوت الحصر وقد اقام بينة صادقة على دعواه انه صلى الله عليه وسلم لا يوازي ولا يباري فيما
خص به بما اسنده هنا عن البخاري وبما رواه غيره ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيا فقال لا
لان عطاياه كانت قائمة كالغيث ان جئته واتاك ريقه وان ترحلت عنه لج في الطلب وروى
الشيخان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بكل ما ينفع حذف للتعميم او لفوات احصائه
كثرة لان من كان اكملهم شرفا وايقظهم قلبا والطفهم طبعا واعدلهم مزاجا واتمهم بحبة وانورهم بصيرة
واسخاهم نفسا واعدمهم عطا فجدير ان يكون اسمحهم صلة وانداهم يدا واجود ما كان في شهر رمضان
لانه منجح النعم ومعدن الخير وفيه يسبغ الله على عباده نعمه فاثر اتباع سنة ربه في الانعام
عليهم مما احسن الله اليه ولانه كان يناجي جبريل رسول الله اليه فيقدم بين يدي نجواه صدقة
وهذا وان نسخ وجوبه بقوله ااشفقتم فقد بقي جوازه الذي كان في ضمن الوجوب من الاذن في
الفعل بفصله من الاذن في الترك الذي خلفا المنع منه اذ لا قوام للجنس بدونه واجود يجوز ان
يكون اسم كان وما مصدرية وفي شهر رمضان حال سد مسد خبرها اي حاصلا وان يكون اسمها ضمير
الشان اي كان الشان اجود اكوانه حاصلا فيه وان يكون ضميره صلى الله عليه وسلم اسمها واجود
مبتدا مضاف الى المصدر المؤول وفي رمضان خبره او حال سد مسده والجملة خبرها ويجوز
نصبه غير مضاف خبرا لها وما مصدرية وقتية اي كان وقت كونه فيه اجود من غيره وقت كونه في
وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير بجميع انواعه من الريح المرسلة في عموم النفع والاسراع فيه
مطلقا فلامه جنسية او مقيد بالرحمة بقرينة المقام فلامه عهدية كما في وهو الذي يرسل الرياح
نشرا بين يدي رحمته شبه جوده في العباد بنشر الرياح قطر المطر في البلاد لشبهها بليغا وشتان
بينهما هذا وفي الحديث تخصيصا بعد تعميم ترقيا لافصاحه بانه اجود مطلقا ثم في رمضان ثم
عند لقاء جبريل قال النووي وفيه الحث على الجود والزيادة في رمضان وعند لقاء الصالحين ومجالسة
اهل الفضل وزيارتهم وتكريرها ما لم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة سيما في رمضان
ومدارسة القران وغيره من العلوم الشرعية وان القراة افضل من التسبيح والاذكار وروى مسلم عن
انس ان رجلا هو صفوان بن امية ساله حذف مفعوله اختصارا او لتذهب النفس كل مذهب فاعطاه
غنما بين جبلين لسعة جوده وسماحة نفسه ثم هذا الاعطا ان كان بعد اسلامه فذاك به شاهد
بجواز اعطا مؤلفة المسلمين ولو من الزكاة دون مؤلفة الكافرين لعز الاسلام عن التالف او قبله فلا
يرد لحمله على انه كان اول الامر وقد ظهرت ثمرته التي هي قوله لقومه اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا
يخشى فاقة لكرم نفسه وشرف طبعه واعطى غير واحد من المؤلفة مائة من الابل كابي سفيان بن حرب
وابنيه ومع مائة كل واحد منهم اربعين اوقيه وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وروى مسلم انه
اعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة وهذه اشارة الى ما فهم مما قبله او الى مبهم يفسره ما بعدها اي
كانت حالة وشانه وسجيته ودينه قبل ان يبعث الى الناس كافة وقد قال له ورقة بن نوفل
ابن اسد بن عبد العزى بن قصي انك تحمل الكل بفتح اوله وتشديد اللام اي الثقل وكل ما يتكلف كالانفاق

على العيال واليتيم والضعيف وتكسب هنا بضم اوله المعدوم بدون واو اي المحتاج تفيده المعارف
والمال ونعينه على تحصيلها والذي رواه مسلم كالبخاري انه من قول خديجة بزيادة اللام في خبر ان
والواو في مفعول تكسب وردّ على هوازن سباها وكانت ستة الاف من النسا والذرية وردّ
عليهم من الاموال اربعة وعشرين الفا ابلا واكثر من اربعين الفا غنما واربعة الاف اوقية فضة
والاوقية اربعون درهما قيل وقوم ذلك فبلغ الف الف وروى البخاري عن انس تعليقا انه اعطى
العباس من الذهب ما لم يطق حمله وروى ابو الحسن بن الضحاك في شمايله عن الحسن مرسلا انه صلى
الله عليه وسلم حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد احدا جاءه
سايلا حتى فرغ منها غاية لعدم رده سايلا وروى الترمذي في شمايله انه جاءه رجل فساله فقال ما
عندي شي ولكن ابتع بباء موحدة ثم مثناه فوقية او عكسه حذف مفعوله اي اشترا واستلف ما
تختار فاذا جاءنا من عند الله شي قضيناه هذا وابيك اسعد راك اورث ما دحيه العجز عن
احصاء اوصافه الجميله ونبه على اقتعاده غارب كرم لا مرقا اليه لمستنم اذ قد حمل نفسه كل الدين
بصلات وافره وهبات متواتره ومن ثم قلت في نظم درر القلايد • ماذا اقول وقد ضاقت مناقبكم
بحرا بعليا بروح الله مشمول فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك جبرا
لخاطر السايل ودفعا لما اعتراه من توهم رجوعه خايبا وتنبيها لعمر لياخذ به التامل الى ما يثمر انه
واثق من ربه بالنجح في قضايه وان ذلك ليس تكلفا وان تكلف فيما يتوقع عن مثل قوله ذلك فقال له
رجل من الانصار لا اعرفه وقيل هو بلال وهو مهاجري وقد يجمع بينهما بانهما قالا له انفق ولا
تخش من ذي العرش اقلالا نصف بيت من البسيط عري اخره القطع فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لذلك القول وعرف البشر في وجهه بتهلله واشراق اساريره وقال بهذا امرت
حذف فاعله للعلم به اذ لم يكن فوقه احد يامره به غير ربه ذكره الترمذي في شمايله وذكر عن
معوذ بن عفرا اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع رطب يريد طبقا مما ياكل عليه واجر زغب
جمع جرو بريد قثا صغارا عليها زغب اي وبر وفي الفايق بقناع جرز بالزاي وهو الرطب عند اهل
المدينة لاجتزايهم به عن الطعام فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا كذا هنا والذي في مسند احمد
وشمايل الترمذي بسند جيد عن ابنته الربيع مصغر ربيع قالت بعثني ابي معوذ بن عفرا بقناع
من رطب وعليه اجر زغب من قثا وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثا فاتيته بها وعنده حلية قدمت
عليه من البحرين فملا يده فاعطانيه وللترمذي عنها اتيته بقناع من رطب واجر زغب فاعطاني
ملء كفه حليا او ذهبا هذا وابوها معوذ قتل ببدر ولم نعرف له رواية عنه صلى الله عليه وسلم
قال انس فيما رواه الترمذي كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد لسماحة نفسه وقبض
كفه وثقته بربه تعالى وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فساله فاستلف له
نصف وسق لا اعرف من رواه فجاء الرجل اي رب الدين فلامه عمديه بشهادة يتقاضاه اي
يطالبه بوفايه فاعطاه وسقا بفتح اوله وكسره ستين صاعا وقال نصفه قضا اي وفا ونصفه
نايل اي عطا هذا وابيك الكرم فصل واما الشجاعة والنجدة فسترى ما تقر به عينا
واصول الاخلاق الانسانية ثلاث قوى نطقية هي مبدا ادراك الحقايق والشوق الى النظر في العواقب
وتمييز المصالح عن المفاسد واعتدال حركتها حكمة هي معرفة الامور على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية

شهوية

وشهوية هي مبدا جذب المنافع ودفع المضار واعتدال حركتها عفة وغضبية هي مبدا الاقدام على الاهوال
والشوق الى التسلط والترفع واعتدال حركتها شجاعة كل منها بين طرفي افراط وتفريط كما مر فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وملكة يصدر عنها انقيادها للعقل المسمى نفسا ناطقة في اقدامها متروية
على ما ينبغي في زمن ينبغي وقد منحتك لهذا فيما مر مزيد بيان اغنى عن ذكره هنا والنجدة ثقة النفس
عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف اي ثقتها بنفسها عند طلبها الترسل اي
التثبت والاستيناس والطمانينة والسكون الى الموت بلا خوف وكانه اخذ هذا من حديث
ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه فهو كذا اي استانس واطمان ووثق به وحديث غبن المسترسل
ربا ومساواه قوة النفس وشدتها وليست غير الشجاعه ففسر النجده بما ينشا عنها وكان صلى
الله عليه وسلم منهما اي من الشجاعة والنجدة بالمكان اي بالمحل المنيف الذي لا يجهل فهو لاشتهاره
كالعلم مفرد لا يفتقر الى زيادة بيان قد حضر المواقف الصعبة كبدر واحد وفر الكماة جمع كمي
اي شجاع مكمم في سلاحه اذ قد كمى نفسه اي سترها بدرعه وبيضته وفر الابطال جمع بطل
اي شجاع وغاير بينهما من حيث الستر وعدمه او الثاني ابلغ اي ولو عنه مدبرين غير مرة وهو
ثابت لا يبرح ومقبل لا يتزحزح حالان اكد كلا بما بعده اي قرّ واعيه حال ثباته واقباله وما شجاع
نكرة منفية عمت كل من اتصف بالشجاعة الا وقد احصيت له فرة بالرفع نايبة عن الفاعل وحفظت
عنه جولة بفتح اوله وسكون ثانيه وهو نايب الفاعل اي ذهاب ومجي وفي الحديث فاجتالتهم
الشياطين اي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال يقال جال واجتال اي ذهب وجا سواه فلم يحفظ
عنه من ذلك شي لكمال شجاعته ووفور همته وقد اسند هنا من طريق البخاري الى ابي اسحاق انه
سمع البرا ساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي نعم حذف
استهجانا للتصريح به لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر لقوة جنانه وقوة باسه واستحضر
فهمك اليقظان يرشدك الى ان هذا الاسناد راك لهج بدفع توهم فراره بعد فرارهم عنه ولا والله
ما فر قط بل الاجماع قاض بتحريم اعتقاد فراره ثم قال في رواية اخرى ان هوازن كانوا قوما رماة
وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنايم واستقبلونا بالسهام فاما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يفر لقد رايته على بغلته البيضا وفي مسلم انها التي اهداها له فروة بن
نعامة وابو سفين بن عمه الحارث بن عبد المطلب اخذ وللبرقاني والعباس اخذان بلجامها يكفانها
عن اسراع التقدم الى العدو وشفقة منهما عليه على ما يقتضيه الطبع البشري وان علما عصمته
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية وضع فيها مبتدا اذ هو موضع المضمر اي وهو يقول
انا النبي لا كذب ورد على زنة مشطور الرجز وليس بشعر وان كان مقصودا اذ لا يسمى شعرا ما لم
يقصد بوزنه الشعر ومن رواه بفتح البا ليخرج عن الوزن فقد نسب افصح الخلق الى النطق بغير
الفصيح اي انا النبي حقا لا فرار اذا لاقيت وزاد غيره اي غير البرا انا ابن عبد المطلب هذا قاض بان
البرا لم يرو هذه الزيادة والذي في الصحيحين انها من روايته وانتسابه لجده لاشتهاره به لموت ابيه
قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافي هذا نهيه عن الافتخار بالابا اذ لم يقله افتخارا
بل تذكيرا للاصحابه بما اشتهر عن جده انه بشر به مناما ويقظة لتطمين نفوسهم وتقوية قلوبهم
وذكر مسلم عن العباس لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين طال منهم فطفق بكسر الفا

ونحيا اي جعل يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها قدم المسند اليه قصدا الى جعل الواو للحال اكفها
ارادة مفعول لاجله الكف اذ هو علة لاقدامه عليه اي امنعها من اجل ان لا تسرع الى جهة العدو وابو
سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اخذ بركابه ثم قال صلى الله عليه وسلم مستغيثا يا للمسلمين اي
اقبلوا وقيل في حديث ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله اعتراض
بين اذا وجوابها احترازا عن توهم شمول غضبه لغير الله لم يقم لغضبه شيء يعارضه لكونه لله
بارتكابه ما ندب الى تركه وروى الدارمي قال ابن عمر ما رايت انجع ولا انجد من النجدة وقد مر فيها
ولا احوذ بمهملة ومعجمة من حوذ نحو ذا اي اجمع وهو مما استعمل بلا اعلال اي ما رايت احوذ با جمع
لاموره لا يشذ عليه منها شيء متمكنا منها حسن السياق لها منه صلى الله عليه وسلم ومثله حديث
عائشة تصف عمر كان والله احوذيا نسيج وحده اي متمكنا في اموره حسن السياق لها ولا ارضى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم روى احمد والنسائي والطبراني والبيهقي قال انا كنا اذا
حمي الوطيس قدم بيانه ويروى اذا اشتد الباس واحمرت الحدق بغضب ذويها الحاصل
لهم من فوران دم القلب وغليانه وفي الحديث الغضب جمرة توقد في قلب ابن ادم اما ترى الى
انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي اتخذناه وقاية لنا
من العدو واصل اتقى اوتقى بقلب واوه ياء لكسر ما قبلها ثم تاء وادغمت قال علي ولقد رايتني بضم تاء
المتكلم اي رايت نفسي وغيري يوم بدر ونحن نتقي اي نستتر ونحتمي ونلوذ برسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي الحديث اللهم بك اعوذ وبك الوذ وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ
بل اشدهم مطلقا باسا وهذا من علي ثنا صدق بكونه صلى الله عليه وسلم اشجع الناس فسبحان
المانح وفي حديث الشيخين لقد فزع هو في الاصل الخوف ثم استعير للاغاثة والنصر اي استغاث
اهل المدينة ليلا فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا
قد استبرا الخبر اي تعرف حقيقته وسببه على فرس حال من ضمير راجعا اي مستعليا عليها عري
لا سرج عليها والسيف متقلد به في عنقه وهو يقول اي قائلا لن تراعوا بمكروه يصيبكم رواه
ابو الشيخ في الاخلاق قال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة
بمثناة فوقية اي جماعة عظيمة من الجيش وفي حديث السقيفة نحن انصار الله وكتيبة الاسلام
الا كان اول من يضرب فاولية الضرب مقصورة عليه لا تتخطاه الى غيره فهو من قصر الصفة
على موصوفها والا لزم ان لا يتجاوزها هو الى غيرها لعدم انحصار صفاته في الحرب في الضرب
فقط الا ان تخص الاولية بلقاء الكتيبة فيكون من قصر الموصوف على صفته وروى ابن سعد
والبيهقي وعبد الرزاق مرسلا والواقدي موصولا لما راه صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف يوم
احد وهو يقول حال من ابي اي قائلا اين محمد لا نجوت ان نجا دعا على نفسه فاجابه الله فاهلكه
ونجى حبيبه صلى الله عليه وسلم وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى نفسه
باعطائه الفدية عنها يوم بدر متعلق بافتدى وظرف لقوله عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا
بفتح الفاء والراء كيل يسع ثلاثة اصع كل صاع ثلاثة امداد كل مد رطل وثلث من ذرة اقتلك
عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله وقد نال هواه بصدق متمناه
وقال ان شاء الله امتثالا لقول ربه ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وهذا محل

اعتراضيه

اعتراضيه بين لما وما دل على جوابها من افادة صدورها في بدر قبل رؤيته له في احد واورد فيما يقول
مضارعا بعد كان ماضيا ذهابا لاحضاره في ذهن السامع صورة قوله له ذلك طالبا منه مشاهد
ونحيا من تلك الصورة الكاذبة مع الجراة والوقاحة فلما راه يوم احد شد على فرسه جواب
لما الثانية دال الاولى جواب الاولى اي حمل مستعليا عليها بقوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعترضه اي حال بين ابي وبينه صلى الله عليه وسلم رجال من المسلمين يصدونه فقال صلى
الله عليه وسلم هكذا اي خلوا الطريقه اي تنحوا عنها ولا تحولوا بيني وبينه وتناول اي اخذ
الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا من التطاير اي تنحوا عنه
شبه التنحي بالتطاير بمدخلا له في جنسه بجامع الانفصال بسرعة الا انه في الطيران اقوى
منه في التنحي ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية تطاير
الشعر بفتح المعجمة وسكون المهملة وبالمد جمع شعر بضم المعجمة وسكون المهملة اي كتطاير ذباب
احمر او ازرق يقع على الحيوان فيؤذيه اذا اشتد وفي رواية تناوله كعب بن مالك الحربة فلما
اخذها انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعارير عن ظهر البعير اذا انتفض فاستقبله
النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه طعنة تردى اي سقط وفي نسخة تدادا اي تدحرج وقيل مال
منها عن فرسه مرارا لما غشيه من شدة الالم ما غشيه وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى
قريش يقول اي قائلا قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك وفي نسخة عليك والجملة حالية من
ضمير يقولون فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك ان شاء الله تعالى
والله لو بصق علي لقتلني فمات لسرفه في الكفر بسرف بفتح اوله وكسر ثانيه مكان على ستة اميال
من مكة في قفوله اي رجوعه من احد الى مكة وبالجملة فكان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس لشهادة
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين حيث كلفه جهادهم وان استعان باصحابه اذ هو الاصل وهم
تبع له مع ما ورد مؤذنا بكمال قوته من اتقائهم به اذا حمي الوطيس واعطائه قوة ثلاثين رجلا
وصل واما الحيا لغة من الحياة يقال استحيا يستحيي واستحى يستحي واصل استحيت استحييت
نقلت حركة يائه الاولى الى الحاء فحذفت لالتقائهما ساكنين واما الاغضا لغة فهو ادناء الجفن الى
حيث يقارب الانطباق وكان صلى الله عليه وسلم منه بغاية امكن عن لومهم متباعد فالحيا رقة تعتري
اي تغشى وجه الانسان من عراه يعروه اي غشيه عند ارادة فعل ما يتوقع كراهته فهي حالة
وسطى بين افراط هو الوقاحة والجراة على القبائح وتفريط هو عدم المبالاة او هو انقباض يعتري القوة
الحيوانية فيردها الى ما يكون تركه خيرا من فعله واذا وصف به ربنا وله المثل الاعلى كما ورد في السنة
وقرانا فالمراد به الترك اللازم للانقباض والاغضا التغافل عما يكره الانسان بطبيعته
فخرج ما يكره شرعا اذ هو الداعي الى النصح والدين النصيحة وكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس
حيا واكثرهم عن العورات اغضا وحيا واغضا تمييز النسبة اشد واكثر حولا عن كونهما هنا اسم كان
للاغراق والمبالغة في وصفه بهما اي كان حياؤه اشد واغضاؤه اكثر من حيا واغضا غيره وامر
الحياة بالاشدية لكونه سببا للاغضا والسبب اقوى من مسببه لكونه منشاؤه قال الله ان ذلكم
اي مكثكم في بيته مستانسين لحديث بعضكم بعضا كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي من اخراجكم
والله لا يستحيي من الحق اي لا يتركه اذ هو غاية الحيا يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حيا كما لم

يتركه ترك الحيا فامركم بالخروج وكفاك به شاهدا اما دينا للمتثقلا فاذا طعمتم فانتشروا هذا وقد
اسند هنا من طريق البخاري شاهدا لما ذكر كان النبي اشد حيا اي حياؤه اشد من حيا العذرا
هي التي لم تزل عذرتها اي جلدة بكارتها في خدرها حال من العذرا افادت وصفه صلى الله
عليه وسلم بكمال الحيا اذ كونها فيه مؤذنا عادة بانها اشد حيا من غيرها وبذها به عادة بمحا
وكان اذا اكره شيا عرفناه في وجهه اي عرفنا انه كرهه بتغير وجهه من غير ان يتكلم به وكان
لطيف البشرة كالعلة لمعرفتهم كراهته للشي بادي تغيره في وجهه دقيق الظاهر اي لينا سهلا
لا يشافه اي لا يكلم احدا مواجهة بما يكره حيا وكرم نفس مفعول من اجلهما ترك المشافهة لما اودعه
من كمال الحيا ورونق الرقه وناهيك بهذا مدحا للحيا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم هو خير كله ولا
ياتي الا بخير وجعله شعبة من الايمان وعن عايشة فيما رواه ابو داود وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما نكرة موصوفة اي شي يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن
استدراك افاد ان من شانه انه لا يشافه احدا معينا حيا منه بل يقول منكرا عليه ذلك ما بال
اقوام يصنعون او يقولون كذا اشارة الي ما انكره ينهى عنه ولا يسمي فاعله تصرح بالنهي المفهوم
من انكاره الفعل وبعدم التعيين المفهوم من نفي عايشة بال فلان تاكيدا لما وروى انس كما في
ابي داود انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا مشافهة وكان لا يواجه احدا بما يكره
علة لترك قوله شيا لترتبه عليه اذ ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته له فلما خرج الرجل من
عنده قال صلى الله عليه وسلم لو قلتم له يغسل هذا الاثر الذي به فلو هنا للاستدعا الفعل وحذف
جوابها لتذهب النفس كل مذهب ممكن وقالت عايشة في ما رواه الترمذي من الحديث الحسن
الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا اي ليس ذا فحش في كلامه ولا متفحشا اي ولا
متكلفا ومتعمدا له ولا سخابا اي ولا يرفع صوته بكثرة الصياح بالاسواق لحسن خلقه وكرم نفسه
وشرف طبعه ولله درها اذ قد نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا والسخب بما جدير بفرط اجتماع
الناس بحيث لا ينفذ منهم الصوت الا بصياح وان كان المفهوم من المبالغة نفي كثرته الذي لا يلزم
منه نفيه لوروده منافي مقام لا يكون فيه مدحا الا بنفيه من اصله ولا يجزي بالسيئة السيئة
التي اعترضته من غيره امتثالا لامر ربه بقوله ادفع بالتي هي احسن اي بالحسنة فوضع احسن
موضعها للمبالغة ولكن يعفو ويصفح شفع عدم مجازاته بالسيئة السيئة بهذا الاستدراك
رفعا لتوهم لزوم العفو لعدمها وروي عنه صلى الله عليه وسلم كما في الاحيا ولم يعرفه العراقي
انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد ناظرا اليه لشدة ما يعتريه من الحيا ومن
المعلوم من احواله واقواله انه كان يكني عما اضطره اي الجاه الكلام اليه بما يكره استهجانا
للتصريح به وتاسيا بربه في نحو او جا احد من الغايط فاتوا حرثكم اني شيتم ومنه قول عايشة
ما رايت منه ولا راى مني تريد العورة وعن عايشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط تاكيد لنفي رويتها فرجه فصل واما حسن عشرته اي مخالطته وادبه يجوز
رفعه عطفا على المضاف الاول وجره عطفا على المضاف اليه وكذا بسط خلقه مع اصناف
الخلق اي سعته لهم ووفوره ليتوصل به الى انقيادهم اليه من غير عنف ودخولهم في دين الله افواجا
شبه خلقه بذي سعة على جهة الاستعارة بها بالكناية ثم اثبت له ما هو من خواص المشبه به اعني

البسط

البسط تخييلا فبحث جواب اما اي فهو محل الشرف اي كثرت واشتهرت به اي بما ذكر الاخبار الصحيحة
كخبر الترمذي في شمايله قال علي في وصفه بما منحه من الصفات الحميدة كان اجود الناس صدرا
اي قلبا اطلق عليه مجازا مرسلا علاقته المحلية وفي رواية اوسع الناس صدرا لا يمل ولا يضجر
مما يرد عليه من احوالهم واختلافهم افعالا واقوالا واحتمالا لاذاهم واصدق الناس لهجة اي
لسانا من لهج به اي ولع به اراد به الكلام اطلاقا لاسم الالة على ما يصدر عنها مجازا مرسلا ووضع
المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين والينهم عريكة اي اسهلهم طبيعة سلسا هينا منقادا مطواعا
وكفاك به بينة صدق على ذلك ما اسنده هنا من طريق ابي داود عن قيس بن سعد بن عبادة
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان من عادته تعهد اصحابه وحسن العهد من الايمان
فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه قد وطا عليه بقطيفة اي كسا له خمل فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحبه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اركب فابيت حيا منه وتعظيما له فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية
اركب امامي فصاحب الدابة احق بصدرها علة للامر بركوبه امامه وارشاد الى ان الاحب
تقديم صاحبها في الركوب وفي رواية فصاحبها اولى بمقدمها ومن حديث هند بن ابي هالة كان
صلى الله عليه وسلم يؤلفهم اي بالتودد والتحابب ولا ينفرهم اي بالتباغض والتماقت ويكرم
كريم كل قوم من عطف الخاص على العام اذ هو نوع من التاليف افرده بالذكر لفضله وليؤتى كل ذي
فضل فضله ويوليه اي يجعل كريم كل قوم واليا عليهم ويحذر الناس اي يتيقظ ويستعد لهم اذ
الحزم كما قال صلى الله عليه وسلم سوء الظن ويحترس اي يحتفظ منهم من غير ان يطوي عن احد بشره
ولا خلقه اي لا يكف عن احد طلاقة وجهه ولا يستر خلقه فاثبت لهما الطي كناية عما شانهما
شانه ان يطوى وفايدة ادخال لا زايدة على ما تاكيد النفي كما في غيره من معناه ويتفقد اصحابه
بزيارتهم والسوال عنهم تكرمة لهم وتوددا اليهم ويعطي كل جلسائه نصيبه من التفاته اليه
بمحادثة او تعليم بطلاقة وجه او بشارة او نحو ذلك لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
لما يناله من انواع الاكرام وحذرا مما يفضي لو اكرم بعضا دون بعض الى التحاسد والتباغض
والتدابر وقد قال لهم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا من
جالسه او قاربه لحاجة صابره اي انتظره متصبرا حتى يكون هو المنصرف عنه غاية لتصبره
اي الى ان ينصرف ذلك المجالس له من تلقاء نفسه ومن سال له حاجة لم يرده الا بها حيث قدر
او يرده بميسور من القول وعدا او غيره لمانع اقتضاه على طريقة منع الخلو اي لا يخلو حاله
عن احدهما اذا سيل قد وسع الناس بسطه جودا ورحمة وحلما ومغفرة وسلما ووسعهم خلقه
اي طبعه وسجيته كالمكان الرحب وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة اي نفسه
واوصافها ومعانيها المختصة بها كالخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها وقد مر لهذا
مزيد بيان ومن قول عايشة كان خلقه القران اي كان متمسكا بادابه واوامره ونواهيه
وما فيه من مكارم ومحاسن فصار لهم ابا حنوا ورحمة وشفقة وصاروا عنده في الحق سوا
لعصمته من الاغراض النفسية الحاملة على الهوى بهذا الذي ذكر وصفه ربيبه من خديجة هند
ابن ابي هالة قال وكان صلى الله عليه وسلم دايم البشر اي طلق المحيى متهلل الوجه سهل الخلق

فطرة

بمعنى اللاصق به باستقامة وصفا خاطر وسلامة فطرة وعقل وافر لين الجانب بمعنى اللا شديد
ليس بفظ اي اللا سيئ الخلق واللا شرسه ولا غليظ بمعنى اللا الجاف ولا سخاب وروي بالصاد
كلاهما بمعنى اللا صياح ولا فحاش في اقواله وافعاله والفحش كلما اشتد قبحه من الذنوب
والمعاصي ولا عتاب على احد ما يفعله من مباح فان كان حراما او مكروها نهى عنه من غير تعييب
وتانيب ولا مداح لاحد بما يؤدي الى الحرج وقد قال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
هذا وانظر الى كل صيغة مبالغة عن اهانفي في مقام مدح كما هنا تجد الفهم والذوق شاهد
صدق بتوجهه الى اصل الفعل وقلعه من سنخه وان كان الظاهر توجهه الى الزيادة عليه فقط
يتغافل عما لا يشتهي قولا وفعلا مما لا يترتب عليه اثم اذ لا يقر على مثله ولا يوئس منه اما مبني
لمفعوله وضمير منه له صلى الله عليه وسلم اي والحال انه يتغافل عنه لا ييأس احد منه صلى
الله عليه وسلم بحيث لا يؤدي تغافله الى كراهته او لفاعله والضمير لما تغافل عنه اي والحال
انه لا يوئس من نفسه او مما تغافل عنه احدا يتغافل عنه بحيث لا يكون كذلك وقال الله
فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة فما مزيدة للتاكيد وقدمه له فضل بيان اغنى عن اعادته فاعف
اي اصفح عنهم ولا تواخذهم امره بما يورث تالفهم وطواعيتهم له وانقيادهم اليه وشاورهم
في الامر فيه ايذان بجواز مشاورة الاكبر الاصغر استعطافا وتطييبا له وقال ادفع بالتي
هي احسن السيئة اي اصفح عنها وقابلها بالحسنة التي هي احسن مطلقا او بما يمكن ان تقابل به من
الحسنات ما لم يؤد ذلك الى مداهنة في الدين وانما خرج مخرج الاستيناف مع كونه جوابا
لمقدر نحو كيف اصنع للابلغية من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على الافضلية
وهذا من اكمل مزيته بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وروي ابن سعد مرسلا انه
كان يجيب من دعاه تالفا له وجبرا لخاطره وليقتدى به غيره وروى البخاري انه كان يقبل
الهدية تفاديا من التباغض والتقاطع بالتحابب والتواصل ولو كانت اي الهدية كراعا
بضم اوله وهو ما دون الركبة من ساق الانسان وما فوق نحو الخف والظلف والحافر من غيره
ولو هنا كهي في مثل تصدق ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس ولو خاتما من
حديد للتقليل ويكافئ وللبخاري ويثيب عليها ليستن به غيره والمكافاة في الاصل المماثلة
ولعله صلى الله عليه وسلم كان يكافئ باكثر بشهادة ما مر عن بنت معوذ بن عفرا وروى الشيخان
قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين بعد الهجرة فما قال لي اف
اي قبيحا ونتنا متضجرا على اذ هو صوت المتضجر اذا راى ما يكرهه قط تاكيد لنفي التافيف وقدمر
لهذا مزيد بيان وروى ابو نعيم في دلايل النبوة بسند واه عن عايشة ما كان احد احسن خلقا
تمييز لنسبة احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا دعاه احد من
اهل بيته الا قال لبيك لكمال ادبه وحسن تواضعه وقد قال ادبني ربي فاحسن تاديبي
ولبيك لم يستعمل الا بلفظ التثنية بمعنى التكرار اي اجابة بعد اجابة نصب على المصدر بعامل
محذوف وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله البجلي اليمني ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي عنه منذ اسلمت ولا راني الا تبسم تعجبا من زاد عاية وانقياده للاسلام مع كونه سيدا مطاعا
كبير القدر عريض الجاه بديع الجمال وقد بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم له رداءه اكراما له

وكان

وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم تانيسا لهم وتواضعا وجبرا لقلوبهم مع
كمال بشره وطلاقة وجهه ويداعب صبيانهم اي يمازحهم وقد قال لجابر وهلا بكرا تداعبها
وتداعبك ويجلسهم في حجره تالفا لهم وتطييبا لقلوب ابائهم ويجيب دعوة الحر والعبد
والامة والمسكين هذا ابلغ التواضع مع جلالة قدره ورفعة محله وسيادته الاولين
والاخرين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وفي الحديث انه قبل عذر من تخلف
عن غزوة تبوك ووكل سرائرهم الى الله اذ كان من تمام المروة واخذا بالعفو وتركا للمواخذة وروى
ابو داود والترمذي والبيهقي قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما
جعل احد اذنه محاذية كفمه ليحادثه فينحي راسه في حكم المستثنى اي الا فيستمر ملقما له اذنه حتى
يكون الرجل ينحي راسه غاية لتركه تنحي راسه فجعل اذنه كاللقمة لفمه فاستعار لها اسم اللقمة استعارة
تحقيقية ثم قرنها باللقم ترشيحا للمجاز او شبه جعله اذنه محاذيه لفمه باللقم مدخلا له في جنسه
ثم اشتق منه التقم فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وما اخذ
احد بيده فيرسل يده من وضع الظاهر موضع المضمر اي الا استمرت في يد اخذها حتى يرسلها
الاخذ غاية لتركه ارسالها الى ان يرسل هو ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له من جلسائه
تواضعا منه وتادبا وحسن معاشرة لهم ومن حديث ابن ابي هالة كان يبدا من لقيه بالسلام
ويبدا اصحابه بالمصافحة مفاعلة من الصاق صفح الكف بالكف واقبال الوجه على الوجه عند
اللقا وروى ابو داود عن ابي ذر ما لقيته قط الا صافحني اي الصق صفح كفه بكفي وروى الدا
في غرب مالك ووهاه لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حياء منهم وتواضعا واكراما لهم حتى تضيق
كالعلة لتركه مدهما ان يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على احد من جلسائه ويكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه تفضله عما قبله حذرا من توهم كونه مما قبله ويؤثره اي يقدمه على
نفسه ويفرده بالجلوس على الوسادة اي المخدة التي تحته اجلالا له وتكريما ويعزم اي يجد ويؤكد
عليه في الجلوس عليها ان ابى الجلوس عليها ويكني اصحابه من كنى يكني ويكنو عن كذا اذا ورى عنه لما
في كني من اخفا وجه التصريح وكذا مقلوبه تقول نكى عدوه اذا اوصل اليه مضارا من حيث لا يشعر
ومنه نكايات الزمان لجراحاته المولمة بنيه من حيث لا يشعر وزايد يجعل لاصحابه كنى كابي فلان
وابن فلان وام فلان وبنت فلان سميت كنى لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو مؤذن
باستحباب الكنى ولهذا زيادة بيان في شرح كتابنا مقاصد المقاصد ويدعوهم باحب اسمائهم
ولا ينبزهم بما يكرهون تكرمة لهم مفعول لاجله دعاه اياهم باحبها ولا يقطع على احد اي لا يبتدئ يحدث
حديثه حتى يتجوز غاية لترك قطعه حديثه اي الى ان يخرج منه الى ما لا يليق فيقطعه بنهي عنه
زجرا له او قيام اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله ويروى كما في الاحيا انه كان لا
يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته قال العراقي
لم اجد له اصلا وحديث عبد الله بن الحارث بن هشام رواه احمد والترمذي بسند حسن وحديث انس
بعده رواه مسلم

فصل

واما الشفقة اي الخوف وعن عبيدة بفتح عينه اتينا الحسن
فازدحمنا على مدرجة فقال احسنوا ايها المرون وما على البنا شفقا ولكن عليكم اي وما اشفق
عليه شفقا وانما اشفق عليكم والرافة والرحمة لجميع الخلق قدم ابلغهما تاسيا بكلام الله المجيد

فقد قال الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم مدحا له وتكريما لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما
عنتم اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم ايمانا وصلاحا بالمؤمنين منكم
ومن غيركم رؤف رحيم قدم ابلغهما رعاية للفاصلة والمجرور للاختصاص برحمته في الدنيا والاخرة
وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اذ ما ارسل به سبب لاسعادهم وصلاح معاشهم
ومعادهم ان اتبعوه قال بعضهم فصله عما قبله لاختلاف القايل قدما وحد وثنا وصفات من
فضله صلى الله عليه وسلم اي مما فضله به على غيره ان اعطاه الله تخلقه الرافة والرحمة فيه
اسمين اشتقا منهما وسماه بهما فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وقد اسند هنا من طريق مسلم
الى ابن شهاب وفيه انه ذكر حنينا اي شان غزوته قال اي ابن شهاب فاعطى صفوان بن امية
ماية من النعم ثم ماية ثم ماية تالفا وشفقة عليه ورافة به وانقاذا له من النار اذ كان من ذوي
الرحمة قال اي ابن شهاب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اي شيا كثيرا عظيما اعطاني
وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي لعلمه انه دواؤه من داء الكفر
ذلك المنح اسلامه اذ الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الداء وقد راى ان داء المؤلفة حب
المال والاحسان فداواهم باكرم عطا حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام وروى ابو الشيخ
والبزار ان اعرابيا جاءه صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك
استفهام تقريري اي حمله على الاقرار بانه احسن اليه فقال لا ولا اجملت اي ولا اوصلتني جميلا
قال ذلك جلافة وغلظة ازهقت المسلمين غضبا عليه فقاموا اليه ليواقعوه بما استحقه فاشار
اليهم ان كفوا عنه شفقة عليه ورافة ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله وارسل اليه وزاده
ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله بسبب ما احسنت الي به من اهل وعشيرة خيرا
من تبعيضيه والجملة اعتراض بين الفعل ومعموله محلها نصب على الاختصاص او على الحال اي اخصك
من بينهما او حال كونك منهما فقال له صلى الله عليه وسلم انك قلت ما اي شيا عظيما مستهجنا قبيحا
قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شي عظيم او غرض وهم عليك وقد وضع اسم الاشارة موضع
المضمر تلويحا الى سابق غير شاهد بالبصر هو قوله القبيح مع كون القياس فيه الاضمار نعدل له
الى اسم الكمال العناية بتمييزه كانه يبصر سامعيه ان هذا الحاضر المميز المعين هو قوله العجيب
قبحا فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب بقولك ذلك لهم ما في صدورهم
عليك قال نعم اي اقول لهم ذلك فلما كان الغد او العشي جا اي الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما سمعتموه قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك استفهام تقريري اي احق ما
قلت عنك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا
المثل في الاصل النظير ثم استعمل في القول السائر الممثل مضربه بمورده اي موضع ضربه بموضع
وروده فالمورد هو الحالة الاصلية التي ورد فيها الكلام كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة
بها كحالة المستوقد نارا ولا يضرب الا ما فيه غرابة زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في النفس
واقمع للخصم ويريك المخيل محققا محسوسا ثم استعير لما له شان عجيب وفيه غرابة من حال او صفة
او قصة نحو مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ولله المثل الاعلى مثل الجنة التي وعد المتقون اي شبهي
وشبهه العجيب الشان مثل اي شبه رجل له ناقة شردت عليه اي نفرت وذهبت في الارض وسعى

حديث

حديث خوات بن جبير انه صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل شرادك تعريضا له بقصة ذات النحيين
في الجاهلية يعني لما قضى وطره منها شرد خوفا كذا قاله الهروي والمروي عن خوات انه قال نزلت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبنني فاخرجت حلة من عيبتي
فلبستها وجلست اليهن فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبته فقلت يا رسول الله جمل لي شرود
وانا ابتغي له قيدا فمضى وتبعته فالقى الي رداه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضا ثم جا فقال
ابا عبد الله ما فعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير الا قال السلام عليك
ابا عبد الله ما فعل شراد جملك فتعجلت الى المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك علي
فتحينت خلو المسجد ثم دخلته فطفقت اصلي فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت
رجا ان يذهب عني فقال طول ابا عبد الله ما شيت فلست ببارح حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن
اليه فانصرفت فقال السلام عليك ابا عبد الله ما فعل شراد الجمل فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد
ذلك الجمل منذ اسلمت فقال رحمك الله مرتين او ثلاثا ثم لم يعد فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي اي اتركوني وهي فاني ارفق بها منكم او اشفق عليها واعلم
بحالها منكم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض جمع قمامة وهي في الاصل الكناسة اريد
بها هنا ما تقمقمه من المرعى فتاكله شبهه بالكناسات لخسته فاستعار له اسمه فردها حتى جات
واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها اي استقر على ظهرها جالسا واني لو تركتكم حيث
اي حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار عقوبة له باساته عليه صلى الله عليه وسلم اذ ليس
له ان يؤذيه فكانت ملاطفته وزيادته له سببا لتوبته ورضاه فهو ارفق به واعلم بحاله منهم
وروي من طريق ابي داود والترمذي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من
اصحابي شيا مما ينكر فعله من اسم كان اي في وقت كان وهذه النكرات وردت في حيز النفي متوشحة
بنفي فعمت جميع الاصحاب والاوقات والاشيا مكروهة او حراما بشهادة المقام اذ لا يتعلق بمباح
وما ذون فيه نهي فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر مما يوغره كغيبة او نميمة ويورثه
غضبا وتكدرا ومن شفقته على امته تخفيفه عنهم اعبا التكاليف وتسهيله عليهم وكراهته لهم
اشيا مخافة ان تفرض تلك الاشيا عليهم ومخافة مفعول من اجله التخفيف والتسهيل والكراهة وهذه
حدثنا جمالي لكل ما يناسبه جمعا وتقسيما كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان لولا ان اشق
على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضو لكني لم امرهم به فلم اشق عليهم فاستثنا نقيض التالي لزمه
نقيض مقدمه واخذ من الحديث استحبابه في كل حال الا للصائم بعد الزوال ويتاكد في مواطن كتغير
الفم وعند الوضو والصلاة وقراة القراة وخبر صلاة الليل لعله ما رواه الشيخان في قيام الليل
كخبر خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان
احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر الله فيسب نفسه وما روياه في حديث
عبد الله بن عمرو بن العاصي ونهيهم مصدر مضاف لمفعوله اي ونهيه اياهم فيما روياه عن
الوصال في الصوم وكراهته لهم فيما رواه ابو داود وصححه الترمذي دخول الكعبة لئلا يعنت
امته اي حذرا من ان يوقعهم في العنت اي المشقة والضرر واصل العنت انكسار العظم بعد جبره
ثم استعير لكل مشقة وضرر ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه ان صدر منه شي منهما لهم رحمة
ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه كان يسمع بكا الصبي فيتجوز اي يتعجل في صلاته رحمة لهم
وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من والديه ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان ان دعا ربه وعاهده فقال
ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة اي طهرة ورحمة ترحمه بها وصلاة عطف تفسيري اذ هي منه تعالى رحمة

وطهر وانتظره به وقربة تقربه لها اليك يوم القيمة انما اعاده لما فيه من الزيادة ومن شفقته لما كذبه
قومه كما رواه الشيخان اتاه جبريل فقال ان الله قد سمع اي علم بلا جارحة اذ لا يعزب عن علمه مسموع
قول قومك لك وما ردوا عليك من تكذيب وغيره وقد امر ملك الجبال لتامره اي من اجل ان تامره
بما شئت فيطيعك فيهم فناداه ملك الجبال باسمه اوبما اشتق له اسما من النبوة او الرسالة وسلم عليه
وقال مرني بما شئت طلبا لتعجيل المامور به رغبة في طواعيته ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين
جبلان بمكة قيل هما قعيقعان وابو قبيس وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فقال بل ارجوا
ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا تاكيد لما قبله وبل اضرابية عما
خير فيه من اطباقهما وعدمه وروى ابن المنكدر من التابعين لحديثه مرسلا اذ لا مجال للاجتهاد فيه
ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السما والارض ان تطيعك بطاعتك فمرهما
بما شئت حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب ممكن فقال صلى الله عليه وسلم اؤخر عن امتي
العذاب لعل الله ان يتوب عليهم رافة بهم ورحمة ولا منافات بين هذا الحديث وما قبله
وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لعلمه تعالى منه صلى الله عليه وسلم انه لا يختار
ما يهلكهم فلا تعذيب وهو فيهم وفائدة تخييره اظهار شرفه حلما واحتمالا وشفقة وعفوا
ومكانة هذا وتسلطه عليهم انما كان بعد الهجرة والاية مكية فلما هاجر الى المدينة نزل
وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي عن ان يطوف به غيرهم اذ كانوا يقولون
نحن اوليا البيت فنصد من شئنا ونترك من شئنا فنزل وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون
وقدم قول الحسن وما كان الله ليعذبهم الاية منسوخة باية وما لهم ان لا يعذبهم الله فلا اشكال
وقال ابن مسعود فيما رواه الشيخان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
اي يتعهدنا من قولهم فلان خايل مال فلان اي يصلحه ويقوم به وقال ابو عمرو الصواب بالمهملة اي
يتحرى الحال التي ينشطون للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا ورواه الاصمعي يتخوننا بالنون
اي يتعهدنا مخافة السامة اي الملل والضجر علينا مفعول من اجله للتخول ابقا عليهم ورفقا بهم
وحذرا من مللهم موعظته فتفوتهم ورطة العنت فيهلكون فصل واما خلقه صلى الله
عليه وسلم في الوفا اي القيام بمقتضى الوعد وحسن العهد اي الحفاظ ورعاية الحرمة وصلة الرحم
اي الاحسان الى ذوي قرابته واصهاره والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم على ما مر
فكان منه بما اوسع الخلايق رافة وحلما ومرحمة وسلما لشهادة ما اسنده هنا من طريق ابي داود الى
عبد الله بن ابي الحمسا بمهملتين بينهما ميم ساكنة قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع
قبل ان يبعث وبقيت له بقية اما من الثمن او من المثمن فواعدته ان اتيه في مكانه الذي يعد فيه البيع
او غيره فنسيت ان اتيه بها ثم ذكرت بعد ثلاث لم يلحق به التا لحذف مميزه الذي هو ايام فجئته فاذا هو
اي ففاجا مجيئي كونه صلى الله عليه وسلم في مكانه مكان الوعد فقال يا فتى لقد شققت علي انا منذ ثلاث
اي ايام انتظرك لتاتيني فكان صلى الله عليه وسلم هو الموفي بعهده ويكفي به الموفي مدحا قول من علت كلمته
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وروى البخاري في الادب المفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال
اذهبوا بها الى فلانة لا اعرف من هي فانها كانت صديقة لخديجة ظاهرة العموم في الافعال والاقوال والازمان
ولعله كان اكثريا وفيه الحث على البر والصلة وحسن العهد وروى الشيخان ما غرت على امراة ما غرت اي كغيرتي
على خديجة لما كنت اسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها علة لغيرتها وان بالكسر مخففة من الثقيلة مثل وان كانت لكبيرة
اي وانه كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها جمع خليلة اي صديقة واستاذنت عليه اي طلبت الاذن في الاتيان
اليه اختها اي اخت خديجة هالة بنت خويلد ام ابي العاصي بن الربيع زوج زينب بنته صلى الله عليه وسلم فارتاح

لها اي مال اليها بنشاط قلب وطلاقة خاطر وتهلل وجه وطمانينة نفس ودخلت عليه امراة فهش لها اي
فرح واستبشر وارتاح لها واحسن السؤال عنها اذ لم يعرفها اولا فلما خرجت قال انها كانت
تاتينا ايام خديجة لله در عايشة فقد اقامت بينة على عذرها
عذرها في الغيرة على خديجة ثم ذكرت ما انسها وسكن خاطرها اعني قوله صلى الله عليه وسلم وان حسن العهد
من الايمان ايذانا بان ذلك من شعب الايمان ووصفه صلى الله عليه وسلم بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه اي
يحسن الى الاقربين من ذوي نسبه واصهاره ويعطف عليهم ويرفق بهم ويراعي احوالهم وان بعدوا واساءوا
من غير ان يوثرهم اي يفضلهم ويفردهم بشيء على من هو افضل منهم انصافا منه وتنزيلا لكل ذي فضل منزلته اذ
الفضل انما هو بالعلم والتقوى لا بمجرد شرف النسب اذ لا يفضل احاد قريش او احاد بني هاشم او غيرهم على عالم
من علما الدين يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكفاك به حاكما
باستحباب صلة الرحم وان كانوا مفضولين وتقديم الافضل على الاقارب والبر والانصاف وروى الشيخان قال
صلى الله عليه وسلم ان ال ابي فلان كنى به عن ابي العاصي بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوي حذرا
من اله بني امية اذ كانوا خلفا السوال ليسوا باوليا حتى اوليهم انما ولي الله وصالح المومنين غير ان لهم رحما اي قرابة سا
بلاها بفتح بايه الثانية وكسرها جمع بلل اي اندّيها بمعنى اصلها في الدنيا ولا اغني عنهم من الله شيا بصلتها اطلاقا
للنداوة على الصلة كاليبس على القطيعة لان بعض الاشيا لما كان يختلط بالنداوة ويتفرق باليبس استعير البلل
لمعنى الصلة واليبس لمعنى القطيعة فشبه الرحم مفتقرة الى الصلة بارض عطشى محتاجة الى بل الغيث على طريقة
الاستعارة المكنية واثبت لها البل تخييلا وفي الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام وقد روى الشيخان انه صلى الله
عليه وسلم صلى بامامة ابنة ابنته زينب بنت ابي العاصي بن ربيعة بن عبد شمس حملها على عاتقه في موضع الحال من
امامة قال الخطابي واسناد وضعها وحملها في كل خفض ورفع فيها اليه مجاز لانه يشغله عن صلاته وانما كانت قد
الفته وانست به فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد
فعلت كذلك هذا وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها يا باه اذ لا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن بطال كان في
صلاة نافلة ونقله اشهب عن مالك ورده النووي بما رواه ابن عيينة عن ابي قتادة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الناس وامامة بنت ابي العاصي على عاتقه وبنصره رواية ابي داود قال بينا نحن ننتظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلاة الظهر او العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه فقام في مصلاه وقمنا خلفه قال النووي وزعم
بعض المالكية انه منسوخ قال ابن دقيق العيد وروي عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ بتحريم العمل في الصلاة
بقوله صلى الله عليه وسلم ان في الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر وعند قدوم رواية عبد الله بن مسعود من
الحبشة وقدوم زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره عن مالك ان حملها كان لضرورة دعت اليه اذ لم
يكن من يحفظها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد اشق واشغل عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به قال النووي
هذه كلها دعاوي مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك صريحا ليس فيه ما يخالف قواعد
الشرع وما في جوفها من نجاسة معفو عنه لكونه في معدنه وثياب الاطفال واجسادهم على طهارتها وادلة الشرع
شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها هذا وانما فعل ذلك لتشريعا بيانا للجواز وقد افاد ان لمس المحارم لا ينقض
وضوءا والعمل اليسير لا يبطل صلاة وكذا الكثير من تفاصيله وروى البيهقي عن ابي قتادة وفد وفد اي وردوا رسلا
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه تواضعا منه وارشادا لاصحابه فقيل له نكفيك اي خدمتهم
فقالوا انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم اي اجازيهم مثل ما فعلوا معهم احسانا وروى ابن اسحق
والبيهقي لما جي بالبنا للمفعول له باخته من الرضاع الشيما بمعجمة ويقال بزيادة مثناة تحتية بيان لاخته في سبايا
هوازن من بني سعد بن ابي بكر وتعرف له جملة حالية اعتراضية بين لما وجوابها بسط لها رداه اجلالا واكراما
وحسن عهد ومكافاة لها اذ هي التي كانت ترضعه مع امها حليمة وقال مخيرا لها ان شئت اقمت عندي مكرمة محببة

او متعتك متاعا حسنا ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقد فازت هي وابواها واخوها بسعادة الاسلام كذا قيل وروى ابو داود بسند صحيح قال ابو الطفيل تصغير طفل عامر بن واثلة الكناني اخر من مات من الصحابة رايت النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة يقسم لحما اذ اقبلت امراة اذا ما ظرف لاقبالها مفاجاة او بمعنى قد اي رايته وانا غلام وقت اقبالها او مفاجاتها او قد اقبلت حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته صلة لها وازديادا وتواضعا وكفاك به حاكما بقبول الرواية في الصغر وروى ابو داود مرسلا عن عمر بن السائب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل اليه ابوه من الرضاعة هو الحارث بن عبد العزى فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه اي من الرضاعة الظاهر انها حليمة اذ هي اشهر مرضعاته فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام فاجلسه بين يديه احلالا لهم وتكريما وارشادا الاقتفا سنته وروى ابن سعد عن الواقدي عن غير واحد من اهل العلم ومن طريق اخر عن اللهبي مرسلا كان يبعث الى ثويبة مولاة عمه ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة وكفاك بهذا غاية في البر والصلة وحسن العهد هذا وابيك الكرم فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد بقي منهم وفي الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سال عنها وعن ابنها مسروح فقيل ماتا وفي حديث خديجة الذي رواه الشيخان انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله من الخزي اي لا يهينك ولا يفضحك ولمسلم لا يحزنك من الحزن وقد وردما صنيه ثلاثيا ورباعيا اقسمت على ما لاح لها منه من ملابس النجابة وتباشير الاصابة ومكارم السيادة وكرام السعادة بما صحبه من صفات الكمال بانه لا يسام ضيما ولا يلام وصما ابدا انك لتصل الرحم علة لبشارتها اياه اي تحسن الى اقاربك بما امكن من مال وخدمة وزيارة وسلام ونحو ذلك من انواع الصلات والمبرات وتحمل الكل اي الثقل من كل ما يتكلف له كالعيال كالامر وتكسب المعدوم وان كان مما يتعدى الى مفعول واحد مثل كسبت مالا فمرادها انك تعطي الناس الشي المعدوم وتصلهم به وهذا اولى اذ هو من باب الانعام والتفضيل ولا انعام فيما يكسبه الانسان لنفسه بل فيما يوليه غيره فباب الحظ والسعادة في الاكتساب غير باب الانعام والتفضيل وتقري الضيف بفتح التاء تقول قريته قرى بكسر او القصر وبفتحه والمد وتعين على نوائب الحق احتراس عن نوائب الشر قال لبيد ٭ نوايب من خير وشر كلاهما ٭ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب ٭ والمعنى انك لا يصيبك مكروه ابدا لما اودعته من كريم الصفات وهو شاهد صدق بان نوايب الخير تورث السلامة من نوايب الشر والمكارم سبب لدفع المكاره وبجواز مدح الانسان في وجهه ما لم يكن باطلا او يودي اليه وعليه نقصر حديث احثوا في وجوه المداحين التراب وبانه ينبغي تانيس من اوجس في نفسه خيفة وتبشيره باسباب السلامة وبكمال خديجة وجزالة رايها اذ قد وصفته باصول المكارم للاجانب والمحارم فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم مصدر تواضع من باب التفاعل بزيادة التاء والالف وهو هضم النفس من الملكات عليهما جاء لتعالى الاشيا وان تقعد عن رتبة فكان اشد الناس تواضعا لشرف قدره وكرم محله واعدمهم كبرا مبالغة في وصفه بعدم الكبر بصيغة منه اسم تفضيل والا فهو لا يصاغ الا من فعل وجودي اي بلغ من هذا الوصف السلبي مبلغا عظيما لا يشاركه فيه احد وتواضعا وكبرا تمييزا لنسبة اشد واعدم خولا عن كونهما اسمي كان هنا للمبالغة في وصفه بهما لكونه خليقا بذلك وفي نسخة واقلهم كبرا والاول اجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه من اصله لكونه في مقام مدح والا فالنفي في باب اسم التفضيل لا يتوجه الا الى الزيادة على اصله وحسبك مبتدا خبره الجملة بعده اي كافيك انه صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد والبيهقي خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا تباعدا عما هو من شان الملوك من التكبر والتكاثر والترفع

عن

عن الخدمة وذهابا الى ما هو من شان العبيد من التقلل في الدنيا وخدمة السيد والافتقار اليه فقال له اسرافيل ان الله قد اعطاك بما تواضعت اي بسبب تواضعك له انك سيد ولد ادم جملة ان واسمها وخبرها محلها نصب لسد ها مسد ثاني مفعولي اعطى يوم القيمة قيد سيادته به مع كونه سيدا مطلقا لظهورها فيه عيانا لكل احد ولا منازع وهو كقوله لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا لكن لما كان في الدنيا من يدعيه ويسند اليه مجازا قيد كونه له فيه لظهور انقطاع ذلك كله فيه وكفاك به حاكما بافضليته على كل مخلوق منطوقا واولوية وقد اعل سيد بقلب واوه يا لكسر ما قبلها واول من تنشق عنه الارض للبعث فلا متقدم لاحد عليه بعثا لاختصاصه بها وما حديث فان الناس يصعقون اي تغشاهم غشية كالموت يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله فهذه الصعقة كما قال التوربشتي والمصنف صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيمة واول شافع يوم القيمة اولى في الجنة لرفع درجات الناس فيها بشهادة ظاهر حديث مسلم انا اول شفيع في الجنة وقد اقام شاهدا على تواضعه ما اسنده هنا من طريق ابي داود الى ابي امامة ورواه ابن ماجة عنه ايضا قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا حال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي متحاملا على عصا فقمنا له اي كقيام الاعاجم يعظم بعضها بعضا حال مؤكدة لكون قيامهم انما كان للتعظيم والتفخيم فخرج القيام لاهل الخير والعلم احتراما واكراما لا ريا واعظاما فانه مستحب بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم للانصار حين اقبل سعد بن معاذ قوموا لسيدكم وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد الحديث انما اعاده لكونه هنا اليق مما تقدم وروى البخاري وغيره انه كان يركب الحمار ويردف خلفه من اراد من اصحابه كالصديق وذي النورين والمرتضى ومعاوية وعبد الله بن جعفر وزيد واسامة وسهيل وقيس وصفية وخولة ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد جبرا لقلوبهم ومحافظة على فعل الخيرات وارشادا اليه فله في كل خير جهة تحصيل وجهة ارشاد ومن حديث هند ابن ابي هالة كان يجلس بين يدي اصحابه مختلطا بهم لا يتخير مجلسا يترفع عليهم فيه بل حيث ما انتهى به المجلس جلس تواضعا وارشادا وفي حديث عمر من رواية البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني اي لا تجاوزوا الحد في مدحي كما اطرت النصارى المسيح عيسى ابن مريم حتى اخذتهم اطراوهم له الى ان زعموا انه ابن الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين فالنهي انما توجه الى الاطراء المشار به لا طرايهم لا الى اصله اذ المدح على الفعل الحسن والامر والامر المحمود ترغيبا وتحريضا على التخلق بالخصال الحميدة حسن بشهادة اقراره خديجة على مدحها له واما حديث اذا رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب فمحمول على المجاوزة والكذب فيه وروى مسلم عن انس ان امراة في عقلها شي اي جنون جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت له ان لي اليك حاجة قال لها اجلسي يا ام فلان لم يعرف الراوي اسم ابنها فكنى عنه في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك جواب شرط مقدر بعد الامر اي ان تجلسي حتى اقضي حاجتك فجلست فجلس اليها حتى فرغ من حاجتها غاية لجلوسه اليها تواضعا وملاطفة لها ويؤخذ منه استحباب الملاطفة بمن كان به ذلك وروى ابو داود قال انس كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار تواضعا وهضما لنفسه وتعليما وارشادا ويجيب دعوة العبد اي نداءه اذا لا يملك شيا يدعوا اليه باذن سيده وكان يوم اي زمن غزوة بني قريظة عقب غزوة الخندق راكبا على حمار مخطوم على من ليف هو ورق النخل عليه اكاف حال من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة وضمها البردعة او ما يشد فوقها والاصل وكاف اعل بقلب واوه همزة وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة بكسر الهمزة كل ما يوتدم به من الادهان السنخة اي المتغير الرائحة فيجيب من دعاه الى ذلك روى الترمذي وابن ماجة والبيهقي قال اي انس وحج صلى الله

عليه وسلم على رجل حال من ضمير حج اي كور وهو للبعير كالسرج للفرس رث اي خلق بال وعليه قطيفة اي كساء له
خمل ما تساوي اربعة دراهم لان الحج من اعظم شعاير التواضع والافتقار الى الله ومنع النفس من الملابس تجردها
عنها متوجهة الى الموقف لتذكر الموقف الحقيقي الذي هو العرض على الله وذلك من اكرم محاسن التشريع والتعليم
والارشاد والاخلاص بشهادة قوله اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة بل خالصا لوجهك الكريم هذا مبتدا محذوف
الخبر مركب من اسمي فعل امر واشارة يورد كما بعد للانتقال من اسلوب الى اخر وسمي اقتضابا والواو بعده
للحال وقد يذكر خبره كما في هذا ذكرا اي تامل هذا الصنيع الجليل والقصد الجميل يورثك تعجبا من مجيه على تلك
الهيئة تواضعا واستكانة منه الى ربه والحال انه قد فتحت عليه الارض والتفتت اليه افلاذها من ذهب
وغيره وروى مسلم انه اهدى في حجه ذلك مائة بدنة تقربا الى الله وارشادا ليتاسى به في ذلك بما يليق
بجنابه الكريم من انواع القربات والصدقات وروى ابن اسحق والبيهقي عن عايشة والحاكم والبيهقي وابو يعلى عن انس
لما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس راسه قادمته غاية
لطاطاة راسه تواضعا لله مفعول لاجله الطاطاة ومن تواضعه قوله لا تفضلوني اي تفضيل مفاخرة والا فلا
يتاتي نهيه عما في الواقع من كونه افضل بشهادة حديث البخاري انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر على يونس بن متى
لم ادر من رواه بهذا اللفظ والذي في البخاري لا يقولن احدكم اني خير من يونس بن متى وله من قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب وله ولمسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا افضل من يونس بن متى ولابي داود ما ينبغي لنبي
ان يقول انا افضل من يونس بن متى وروى الشيخان لا تفضلوني بين الانبيا ولهما بين انبياء الله اي تفضيل
مفاخرة والا فهو واقع بينهم وروى الشيخان وابو داود والنساي استب مسلم ويهودي قال والذي
اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فسال المسلم عنه فاخبره
فقال لا تخيروني على موسى اي تخيير مفاضلة كما مر وروى الشيخان نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب
ارني كيف تحيي الموتى قاله تواضعا وهضما لنفسه لا اعترافا بانه من واحد منهما فكانه قال اذا لم اشك في احيا
الله الموتى فابراهيم اولى بعدم الشك فاثبته لهما بنفي الشك عنهما ولك ان تجعله قياسا شرطيا هكذا لو شك ابراهيم
في احيا الله الموتى لكنت احق بالشك منه لكني لم اشك فلم يشك هو لاستحالة الشك منه على الانبيا فالشرطية نتيجتها
من استثنا نقيض التالي لزوم نقيض مقدمه وقوله رب ارني كيف تحيي الموتى شاهد صدق بان سواله لم يكن
من قبل الشك بل من قبل روية تلك الكيفية العجيبة المشاهدة بكمال قدرته الباهرة شوقا الى معرفتها احسانا
كاشتياقنا الى روية تلك الكيفية العجيبة المشاهدة الجنة مشاهدة وبهجة وما اعد الله فيها لعباده المومنين
ولو لبثت ما لبث يوسف اي مدة لبثه في السجن لاجبت الداعي مبادرة الى الخلاص والاستراحة منه ولم اقل له
ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن قال ذلك تواضعا ورفعة لشان يوسف وايثارا
للاخبار بكمال فضيلته وتثبته وحسن نظره في بيان نزاهته واظهار براته وحمد الصبر وترك استعجاله
خروجا منه مع استعداد لبثه فيه وتنبيها على ان الانبيا وان كانوا من الله بمكان لا يرام فهم بشر يطرا عليهم من
الاحوال ما يطرا على غيرهم فلا يعد ذلك نقصا وروى مسلم في المناقب وابو داود في السنة والترمذي
والنساي في التفسير انه صلى الله عليه وسلم قال للذي قال له يا خير البرية اي الخلق ذاك ابراهيم صلى الله
عليه وسلم احتراما لابوته وتعليما لامته ودفعا للكبر عن نفسه وروى البخاري وغيره في صفته صلى الله عليه
وسلم كان في بيته في مهنة اهله بفتح الميم وكسره وهو اوفق لزنة معناه اعني خدمة يفلي ثوبه من فلى تلانيا
اي يزيل قمله وكان لا يوذيه تكريما له وتعظيما ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله اي يخرزها يطبق

ق طاقا على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يطبقان ورقة على ورقة
على بدنهما ويخدم نفسه من عطف العام على بعض افراده لبيتناول باقيها ويعلف ناضحه اي جمله الذي
يستقي عليه الما ويقم البيت اي يكنسه والقمامة الكناسة ويعقل البعير اي يربط ركبته بالعقال يقع على الذكر
والانثى وياكل مع الخادم الخادم يقع على الذكر والانثى لاجرايه مجرى الاسما غير ماخوذة من الافعال كالحايض وعاتق
ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق كل ذلك من عطف الخاص على العام تلويحا بانه كان يخدم نفسه احيانا عموما
ب واحيانا خصوصا اذ قد ثبت انه كان له خدم فتارة يخدم بنفسه وتارة بغيره وتارة بمشاركة وارشادا الى استحبا
خدمة الانسان نفسه وروى البخاري في الادب تعليقا ووصله ابن ماجة عن انس ان من المخففة من الثقيلة
كانت الامة تدخل على الجلتين بان كانت فعلية كما هنا وجبها الهامع كون الفعل ماضيا ناسخا كما في وان كانت لكبيرة
م لامها للجنس الصادق ببعض الافراد او للعهد الذهني التي يراد بها وجود الماهية في ضمن بعض افرادها بقرينة المقام
كما في واخاف ان ياكله الذيب فالمعرف بها في المعنى بالنظر الى القرينة كالنكرة لا بالنظر الى مدلول اللفظ لما فيه من
اعتبار الاشارة والحضور ذهنا ولا يلزم من عدم اعتبارهما في المنكر خلوه عنهما فلم يرد امة معينة من اما اهل
المدينة لتاخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها غاية لانطلاقها به ودخل عليه رجل الحديث
اعاده هنا تبرعا على ما فيه من زيادة انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد هو اللحم المملوح المجفف فعيل بمعنى مفعول
ق وتلويحا بانه مفضول وماكول المساكين وروى الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن ابي هريرة انه دخل السو
مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل هو فارسي معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة
ويونث وهذا مؤذن بمشروعيته دخول السوق والشرا منه وقال للوازن زن وارجح فوثب الوازن الى يد
رسول الله يقبلها فجذب يده منه هذا وكان يك وقد قلت قد ورد انهم كانوا يتبركون به وباثاره وقد قال
النووي ان كان تقبيل يد الغير لجاه وغنى وثروة فمكروه او لزهد وصلاح وعلم فمستحب قلت لعل منعه انما كان لما ظهر
له من ان تقبيلها لاجل امره بالرجحان في الوزن او كان تواضعا وارشادا اليه والى انه اللايق الاحب ولا يفوت من
اراده ثم منعه منه ثواب قصده اذ هو كما يترتب على اعمال الجوارح يترتب على اعمال القلوب بشهادة انما الاعمال بالنيات
وقد يترتب على مقدمات الفعل كترتبه على مقدمات ما مور امتنع فعله كذبح ابراهيم ولده واخذه يده ليقبلها
فمنعه ارشادا وتشريعا وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها جمع اعجمي وهو في الاصل من في لسانه عجمة اريد بهم هنا
ابنا فارس ولست بملك انما انا رجل منكم غير متصف بصفات الملوك التي من شانها التعاظم والتكبر بل متصف
باني واحد منكم هذا مع ما قام به من الاوصاف التي لم ينلها غيره ثم اخذ السراويل فذهبت اي اردت وقصدت
لاحمله فقال صلى الله عليه وسلم صاحب الشي احق بشيه ان يحمله هذا ارشاد الى استحباب حمل الانسان متاعه
لانه اعون على التواضع وانفى للكبر ولا يفوت من اراد حمله عنه ثواب قصده كما مر فصل واما عدله صلى
الله عليه وسلم في الامور على قانون الحق ومنهاج الصدق واماناته من الامن ضد الخوف فهو امين لا يخاف منه
وعفته من عف عما لا يليق به وصدق لهجته اي لسانه من لهج بالشي ولع به وفي حديث الترمذي ما اظلت الخضرا ولا
اقلت الغبرا من ذي لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبيه عيسى بن مريم فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل
الناس واعف الناس واصدقهم لهجة اي اعظمهم امانة واجراهم للامور على قانون الحق واصبرهم على النزاهة عما
لا يليق بنبي واكثرهم صدقا والعدل في الاصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل للمبالغة بجعل المسمى نفسه عدلا
قيل قدم العدل على الامانة لظهور اثره في رعيته من بعد له وقدمها عليه في التقسيم لانها من صفات النفس والزم
للانبيا وفيه ما فيه اذ هو ايضا من صفاتها والزم لهم ولا خصوصية لاثره في الظهور لظهور اثرها كذلك منذ كان

قيل منعهم من الحرك بتقبيل يده

مثله في الاصل لا بعد الغاية ولم ترد هنا لبيان ابتدا الاضافة لكونه امين واعدل واعف واصدق اذ كان صلى الله
عليه وسلم قد جبل عليه لبيان ظهوره من حين اعترف له بذلك محادوه اي معادوه ومنازعوه من المحادة مفاعلة
من الحد كان كلا منهما تجاوز حده الى الاخر وفي حديث عبد الله بن سلام ان قومنا حادونا لما صدقنا الله ورسوله
وعداه بكسر عينه مقصورا اي اعاديه المتصفون بمعاداته وكان يسمى قبل نبوته الامين لظهور ملابس الامانة
عليه بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه
وسلم وكثير منهم انه جبريل وعلى كل فهذا الوصف صادق عليه صلى الله عليه وسلم فان كان سياق النظم شاهدا انه
لجبريل وروى احمد والحاكم وصححه والطبراني لما اختلفت قريش وتحازبت اي اجتمعت احزابا عند بنا الكعبة
فيمن يضع الحجر اي الاسود في موضعه حكموا اول داخل عليهم جواب لما فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم اي فاجاهم
دخوله وذلك اي ما ذكر قبل ارساله واظهاره نبوته فقالوا مقترن له بالامانة هذا محمد هذا الامين قد رضينا به
وروى ابن سعد عن الربيع بن خثيم بضم المعجمة وفتح المثلثة كان يتحاكم بالبنا للمفعول الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا من وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التمكن في ذهن السامع وتمييزه اكمل تمييز في الجاهلية
لاشتهاره عندهم بالعدل والانصاف قبل الاسلام وروى ابن ابي شيبة في مسنده قال صلى الله عليه
وسلم والله اني لامين في السما قدمها لعلوها واشتهاره فيها بالامانة عند الملا الاعلى بلا امترا امين في
الارض في نفس الامر وعند من عرف حاله من اهلها لانه منزه عن الخلف والكذب وكفى به دليلا على جواز مدح
الانسان نفسه مؤكدا باليمين وقد اسنده هنا من طريق الترمذي عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك اي لا ننسبك الى كذب اذ انت فينا صادق ولكن نكذب بما جيت به جحدا منهم عنادا
مع علمهم بحقيقته فانزل الله فانهم في الحقيقة لا يكذبونك ولكن الظالمين وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا
عليهم ونداء باستحكام الظلم وتمكنه فيهم فهم بايات الله يجحدون اي يكذبون فتكذيبهم في الحقيقة راجع الى الله
وروى غيره اي غير الترمذي لا نكذبك وما انت فينا بمكذب تاكيد لنفيهم عنه الكذب اللازم منه صدقه فيهم
كما في نفس الامر وقيل كما رواه ابن اسحق والبيهقي عن الزهري وابن جرير عن السدي والطبراني في الاوسط
ان الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة الصحابي لقي ابا جهل يوم بدر وتعيينه اطلاقا فالبعضية عليه مجازا
مرسلا كما نص على الرسالة فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك تخبرني عن محمد صادق ام كاذب
استفهام حذفت همزته تخفيفا كما في بسبع رمين الجمار ام بثمان وسمي هنا لعمرو ابي جهل اي حمله على الاقرار بما يعلمه
من صدقه صلى الله عليه وسلم والجاية اليه فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط اثبت
له الصدق اولا مؤكدا له بشهود ثلاثة القسم وان واسمية الجملة ثم اورد ثانيا ما افاده ازاحة كذبه وتبعيده
عن ساحة لسانه مؤكدا له بقط وما حمله على تكذيبه وانكار رسالته الا سابق شقاوته وسال كما رواه الشيخان
هرقل عنه صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال من
دعواه الرسالة قال لا اي ما كنا نتهمه بكذب بل كان فينا ذا صدق وامانة وهذا منه قبل اسلامه غاية في الشهادة له
به والحق ما شهدت به الاعدا وذلك حاكم بمباهته شان هرقل ووفور عقله ومعرفته بصفات الانبيا
ولم يتوفقه ينفعه اذ قد هلك كافرا بعد فتح عمر بلاده وتوغله في الكفر هربا من الاسلام ولا تغتر بمن
شذ فزعم اسلامه وروى ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس قال النضر بن الحارث العبدري
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما ارضاكم فيكم الظرفان حالان لازمان واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة تمييز النسبة اصدق واعظم حولا عن كونهما فاعلين معنى للاعراق في وصفه بالصدق والامانة

اي

اي حديثه اصدق وامانته اعظم وهذا لكونه من عدوه اصدق شهادة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما اي بشي
عظيم من الحق جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر هذا منه غاية الانصاف لكن سبق عليه الشقا فقتل صبرا بالعفرا
بالصفرا
كافرا منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من بدر وروى الشيخان عن عايشة ما مست يده يد امراة قط تاكيد لنفي لمس
يده بيد امراة لا يملك رقها ولا بضعها وكفاك به شاهدا بكمال نزاهته وعصمته عن مثل ذلك فما ظنك باعظم من ذلك
قوله وفي حديث علي الى قول عايشة كان اسعد الناس منه تقدم لفظا ومعنى وهذا وما ذكر عن المبرد ما حكاه عن
كسرى من تقسيمه ايامه تلويحا بانه ليس فيه كبير نفع بخلاف تجزئة نبينا نهاره ثلاثة اجزا جزا لله لانه تعالى هو الاحق به
بالتقديم وجزا لاهله ايثارا لهم على نفسه وجزا لنفسه ما اخلق هذه الاجزا بمكارم الاخلاق والشيم وكرايم الافعال
والكرم ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فكان يستعين في نفعهم وقضا حوايجهم بالخاصة الذين هم اقرب اليه على قضا
حوايج العامة ونفعهم وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي اي لا يقدر ان يبلغني حاجته وهو يشرع وحث على
نفع الناس ومن ثم قال الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله ثم رغب في ذلك فقال فانه من ابلغ حاجة من
لا يستطيع ابلاغ حاجته امنه الله يوم الفزع الاكبر اي يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار او يوم يطبق عليها او
يوم يذبح الموت وروى ابو داود في مراسيله عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ اي لا يواخذ
احدا ولا يجازيه بقرف بفتح القاف اي بذنب احد لان ما يترتب عليه فرع على ثبوته ولا يصدق احدا على احد
بعد الاشتباه فيهما وذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري رواه ابن راهويه في مسنده والبيهقي في دلايله عن علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ما هممت بشي مما كانت الجاهلية يعملون انما اعاده هنا لزيادة قوله غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك اي مما كانت الجاهلية عليه ثم بعد ذلك الذي هممت به ما هممت بسوء حتى
اكرمني الله برسالته غاية لنفي همه بشي غير مما قبلها قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة
فاسمر بها السمر منه على سبيل العرض اي بكلاها له حتى ادخلها فيسمر لها كما يسمر اي يتحدث الشباب اي اسمر
سمرا مشابها لسمرهم ثم ارجع فخرجت لذلك اي من اجل سمره حتى جيت اول دار من مكة غاية لمجيده من المرعى
سمعت عزفا بمهملة مفتوحة فزاي ساكنة اي لعبا بالمعازف كالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر اي
من اجل ان انظر لعبهم فضرب على اذني مبني لمفعوله وحذف فاعله تعظيما لشانه وعلما بانه ليس فوقه من جعل على
اذنيه مانعا ان يسمع غيره به اي فانامني الله انامة ثقيلة لا توقظني الاصوات فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
اي حرها كانها لما اصابته به مسته فرجعت وكفاك بهذا اقتضيا بعصمته قبل رسالته كالانبيا قبله بشهادة
الغايات الثلاث الاخيرة وقوله ولم اقض شيا ثم عراني اي غشيني واصابني مرة اخرى مثل ذلك الذي عممت
به في المرة الاولى فعصمني الله منه ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره اي حلمه ورزانته وعظمته
وصمته اي سكونه وطمانينته وتؤدته اصلها وودة اعلت بقلب واوها تا استثقالا للضمة على الواو مع
الهمزة بعدها اي تانيه قولا وفعلا وثبوتا بلا عجلة ومروته الحاملة له على كل خير وتجنب كل امر شاق وحسن
هديه اي حسن سيرته السوية وهيئته ومنظره في الدين ومنه قول حذيفة ما نعلم احدا اقرب هديا وسمتا
ودلا بالنبي صلى الله عليه وسلم من ابن ام عبد يعني ابن مسعود فكان صلى الله عليه وسلم بهذه الملكات في غاية
الكمال بشهادة ما اسنده هنا من طريق ابي داود وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر الناس من
الوقار اي الرزانة والحلم اي ارزنهم واحلمهم في مجلسه فكان اعظم المجالس واهيبها لا يكاد يخرج مبالغة في لا يخرج
اي لا يعزب ان يظهر من تحت ثيابه شي من اطرافه فضلا عن ان يظهر منها شي وروى ابو داود والترمذي في
شمايله قال ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجالس احتبى بيده الاحتبا جمع الرجل

لمجالس

ظهره وساقيه بالحبوة وكان اكثر جلوسه محتبيا وروى مسلم وابوداود عن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
جلس في المجلس تربع ولعله كان في بعض الاوقات وربما جلس القرفصا تلوح بعلة جلوسه على هذه الحالة والقرفصا
بضم القاف والفا بمد ويقصر وبكسرهما عن الفرا اذا ضممت مدت واذا كسرت قصرت وعن ابي عبيد هو ان يجلس
على اليته ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه وقال ابو المهدي على ركبتيه منكبا ملصقا بطنه بفخذيه متابطا
كفيه وهو اي جلوسه القرفصا رواه الترمذي في حديث قيلة بقاف مفتوحة فيا تحتية بنت مخرمة العنبرية وكان
السكوت لاشتغاله بجناب الحق وتفكره في ملكوته ومطالعة جبروته لا يتكلم في غير حاجة خاصة او عامة كهداية
ضال وتنبيه غافل وتعليم جاهل وتبليغ حكم يعرض عمن يتكلم بغير جميل حراما او مكروها اذ لا يقر على باطل واعراضه
كاف عن انكاره صريحا لاشعاره بعدم رضاه به وكان ضحكه تبسما بدون قهقهة وكلامه فصلا اي بينا يتبينه
كل من سمعه ولا يشتبه عليه لا فضول ولا تقصير اي لا يصدر عنه كلام لا داعي اليه ولا حاجة ولا كلام غير واف
بمعناه بل كلامه جزل وما هو بالهزل جم الفوايد كثير الفوايد لا يرهقه لغو ولا يعتريه فهاهة ولا سهو وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واحتراما واقتداء به في ضحكه اذ كان التبسم مجلسه مجلس حلم وحيا فصله عما
قبله لاختلافهما مخبرا عنه والحلم ملكة توقف التاني والتثبت عند محرك للغضب والحيا ملكة تمنع مما لا يليق فعله
ومجلس خير وامانة محفوظ من كلما لا ينبغي لا ترفع فيه الاصوات لانه مجلس وقار واحترام وفصله عما قبله لاختلا
ايجابا وسلبا ولا تؤبن اي ترمى فيه الحرم بقبيح لصيانته عن الرفث من ابنته اي رميته بسوء ومنه حديث نهيه صلى الله
عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النسا وحديث الافك اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير مبالغة في وصفهم بالوقار والسكون وليس فيهم خفة ولا حركة لان الطير لا تكاد تحوم او تقع الا على ساكن
شبه رؤوسهم لفرط سكونهم وشدة طمانينتهم بما تقع عليه الطير مما لا ينفر منه وفي صفته صلى الله عليه وسلم في مشيه
خطوا تكفا اي مايلا الى جهة ممشاه ومقصده ومشى هونا صفة لمصدر محذوف اي مشيا هينا ففي جعله صفة له
مبالغة اي متانيا برفق وفي رواية الهوينى تصغير هونى تانيث اهون كانما ينحط من صبب اي من منحدر ويلزم منه
الميل الى قدام والا لتسرعه ردا على من زعم لزوم الهوينى والبطو للهون فكيف يجتمعان وفي حديث الطواف حتى اذا انصبت
قدماه في بطن الوادي اي انحدرت في السعي وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا اي غير متفرق مشيه يعرف في مشيته
انه غير غرض ولا وكل بكسر الكاف بينهما اي غير ضجر وقلق وملل ولا كسلان اي ولا عاجز يكل امره الى غيره معتمدا فيه عليه وقال
ابن مسعود فيما رواه البخاري ان احسن الهدى هدى محمد ان هنا للشك تنزيلا للسامع منزلة سايل متردد كما في ان
النفس لامارة بالسوء كانه قيل هل سيرة محمد وطريقته احسن السير والطرق فقيل نعم وروى احمد وابوداود عن جابر كان في
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل اي تان وتمهل مع تبيين الحروف والحركات بحيث يتمكن السامع من عدها من
قولهم ثغر رتل اي مفلج او ترسيل عطف تفسير او شك من الراوي وفي الحديث ان الناس دخلوا عليه ارسالا يصلون
عليه اي فرقا متقطعة يتبع بعضهم بعضا قال ربيبه هند ابن ابي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع
من الخصال على الحلم والحذر والتقدير وسياتي بيانها قالت عايشة فيما رواه الشيخان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحدث الحديث لو عده العاد احصاه لصدوره عنه بتمهل مبينا حروفه وحركاته بلا عجلة وهذرمة
وكان يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها كثيرا لملاقاته بها الملائكة ولانهما يورثان قوة ونشاطا ومن مروته
صلى الله عليه وسلم نهيه كما رواه احمد عن النفخ في الطعام والشراب ولابي داود وابن ماجة والترمذي وصححه نهى عن
النفخ في الاناء وللترمذي في الاخلانه في الطعام لئلا يوذن بالعجلة وشره النفس وقلة الصبر والثاني في الاناء يورثه رايحة
كرهه ومن مروته كما رواه الشيخان الامر بالاكل مما يلي الاكل ارشادا وتاديبا والامر بالسواك امر ندب لانه من جمال

الفطرة

الفطرة يزيل قلح الاسنان وتغيير الفم ويطيب النفس وانقا البراجم جمع برجمة بالضم وهي من رؤوس سلاميات الابهام من
ظهر الكف اذا قبض الكف ارتفعت يجتمع فيها الوسخ امر بانقايها منه والرواجب جمع راجبة وهي ما بين سلاميات
الكف من باطن وفي الحديث الا تنقون رواجبكم والسلاميات بالتخفيف جمع سلامى جمع سلامية وهي ما بين كل مفصلين
من الاصابع ومن مروته استعمال خصال الفطرة وهي فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد وقص الشارب
وتقليم الاظفار ونتف الابط ولمسلم المضمضة واعفا اللحية والاستنجا ولابي داود من حديث عمار الانتضاح وفي
حديث ابن عباس فرق الراس وتقدم فيه ما اغنى عن اعادته هنا فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم
من الاخبار اثنا هذه السيرة ما يكفي ويغني عن اعادته وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها اي زينتها
وبهجتها وقد سيقت اليه بحذافيرها جمع حذفار او حذفور اي باسرها وترادفت اي تتابعت عليه فتوحها والجملة
في موضع الحال لا اعتراضا بين المبتدا وخبره افادة لكمال زهده فيها لان من سيقت اليه وترادف فتوحها عليه لجدير
ان يكون زهده فيها ابلغ زهد واتم عفاف اي كافيك مما ذكر حال حصول ما ذكر ان توفي خبر المبتدا اي وفاته صلى
الله عليه وسلم ودرعه اي والحال انها مرهونة عند يهودي يعرف بابي الشحم في نفقة عياله وهو يدعو اي يطلب
من ربه ويقول كما رواه الشيخان اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا اي بلغة تسد رمقهم وقد اسند هنا من طريق
مسلم عن عايشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا اي متوالية من خبز بر حتى مضى غاية
لعدم شبعه فيها وفي رواية اخرى رواها الشيخان ما شبع من خبز شعير يومين متواليين ولو شا صلى الله
عليه وسلم لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى لهما ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز بر
حتى لقي الله غاية لعدم شبعه وروى مسلم قالت عايشة ما ترك رسول الله بعد وفاته دينارا ولا درهما ولا
شاة ولا بعيرا بل ترك ما بالتمسك به نجاة الثقلين والفوز بسعادة الدارين وهو كتاب الله والعلم فمن اخذ به
اخذ بحظ وافر وفي البخاري من حديث عمرو بن الحارث بن ضرار اخي جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه
وسلم ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة استثنا مفرغ من عام اي ما ترك شيا يعتد به الا ما
ذكر وخروج الارض عن ملكه بجعلها صدقة لا ينفي كونها مخلفة عنه بطريق تكلمة عليه قالت عايشة فيما رواه
الشيخان ولقد مات اللام ابتدائية ويجوز ان يقدر قبلها قسم اي لهو قد او والله لقد مات والحال انه
ما في بيتي شي ياكله ذو كبد الا شطر شعير لعله نصف صاع في رف لي في جدار البيت وقالت قال لي اني عرض علي
بني للمفعول وحذف فاعله تعظيما له ان يجعل لي بطحا مكة اي حصاها ذهبا فقلت لا يارب اجوع يوما قدمه لانه
مذكور للافتقار اليه واشبع يوما هذا وارد على طريقة التقسيم وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل على التعيين فذكر
اولا جوعه وشبعه في ايام بهايم اضاف الى الاول ما له من التضرع والدعا والى الثاني ما له من الحمد والثنا بقوله فاما اليوم
الذي اجوع فيه فاتضرع اليك بذلة وخضوع لك وادعوك حذف مفعوله الثاني للتعميم واما اليوم الذي اشبع
فيه فاحمدك واثني عليك عطف تفسيري اذ الحمد هو الثنا وما رواه الترمذي بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك
وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك عطفه على ما قبله لما بينهما من عموم الاول موردا وخصوصه متعلقا
وخصوص الثاني موردا وعمومه متعلقا وفي حديث اخر لا ادري من رواه بهذا اللفظ ان جبريل قال له صلى الله
عليه وسلم ان ربك يقريك السلام فقال اقرا فلانا السلام كانه حين تبلغه سلامه حمله على ان يقرا السلام ويرده واذا
قرا على الشيخ يقول اقراني فلان اي حملني على ان اقرا عليه ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال اي اصير لك
جبال مكة ذهبا استفهام تقريري اي حمله على الاقرار بما يحب بحيث مع اسناد فعل المحبة اليه وتعليقها بما يكرهه
ما ياتي اخر الحديث وتكون اي الجبال المجعولة لك ذهبا معك حيث ما سرت به كنت فاطرق اي طاطا راسه ساعة

ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له لغفلته عما يهمه في الآخرة ويراد منه في
الدنيا فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت اي ادامك على قول لا اله الا الله وكان هذا الحديث علاما بامكان جعلها
ذهبا واظهارا لما سبق له صلى الله عليه وسلم من التوفيق بعدم اختياره ما لا دوام له ولا ثبوت هذا ولاحمد الدنيا دار
من لا دار له قد يجمعها من لا عقل له وللبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل يوما ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة
دقيق فاتاه اسرافيل فقال له ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان
اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ولاحمد والله لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة
ولابن سعد وعساكر لو شئت لسارت معي جبال الذهب وللطبراني لو سألت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل وروى
الشيخان عن عائشة ان هي المخففة من الثقيلة وروى انا كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو اي ما قوتنا
الا التمر والماء وروى الترمذي والبزار بسند جيد عن عبد الرحمن بن عوف مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته حال لا فادت ما كان دابه ودينه من التقلل من الدنيا وليس قوله من خبز الشعير قيدا
لاخراج شبعه من غيره لشهادة حديث الشيخان قبل بل يراد انه في اكثر حياته لم يشبع منه ولا من غيره حتى لقي
ربه قوله واهل بيته عطف على الضمير المرفوع المؤكد بالمنفصل بعده وروى ابن ماجة والترمذي وصححه وعن
ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله عطف على الضمير المرفوع المؤكد بالمنفصل الليالي
المتتابعة طرف لبياته طاويا حال من الضمير في اهله او من ضمير يبيت وفصل بينهما بقوله هو واهله اهتماما بشانهم من حيث
ان الغرض من هذا الكلام مدحهم بالتقلل من الدنيا لا يجدون عشاء تاكيد لما قبله وروى البخاري عن انس ما اكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على خوان بكسر اوله هو ما يوكل عليه ولا اكل في سكرجة بضم اوله وثانيه وثالثه مشدد دا
هو اناء صغير يوكل فيه القليل من الادم فارسي معرب واكثر ما يوضع فيه واشباه ما تعاده المترفهون حول ما كولهم من
المخللات ونحوها ولا خبز له مرقق اي ارغفة واسعة رقيقة زهدا وتباعدا عن ساحة الرفاهية ولا راى شاة سميطا
قط فعيلة بمعنى مفعولة اي مسموطة وهو ان ينزع صوفها بالماء الحار للتسوي غالبا وروى الشيخان عن عائشة انما كان
فراشه صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما اي جلدا اسود حشوه ليف هو ورق النخل وصدرته بانما للافادة
القصر انما تعيينا لمن اعتقد ان فراشه ادما او غيره ولم يعلم عينه او قلبا لما في ذهن من اعتقد انه غير ادم وروى
الترمذي في الشمائل عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا بكسر الميم
اي بلاسا من شعر نثنيه له ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع اي المزيد اي اربع طاقات فلما اصبح قال
ما فرشتموا الي الليلة فذكرنا ذلك له اي تثنية اربعا فقال ردوه بحاله اي الى ما كان عليه او مصحوبا بحاله فانه
وطئته من قولهم فراش وطي اي ممهد مذلل لا يوذي جنب النائم منعتني الليلة صلاتي لان وطئة الفراش في العادة
تمنع التجافي عن المضاجع وتخفيفه بعث على التجافي عنها وروى الشيخان والترمذي وابن ماجة كان صلى الله عليه
وسلم ينام احيانا على سرير مرمول بشريط اي منسوج بحبل من سعف دوم او نخل بدون حائل حتى يوثر في جنبه
حتى هنا حرف ابتدا استونفت بها الكلام بعدها فهي حكاية حال ماضية اي حتى يظهر اثره في جنبه هذه حاله كما
في مرض حتى لا يرجونه وحتى مادخلة اشكل وزعم انها المراد فيه لكي وليس بشي وعن عائشة قالت لم يمتلي
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط لعله في غالب احواله او شبعا مفرطا ولم يبث اي يظهر شكوى الى احد
اذ كان غيره هواه وعكس سمناه بشهادة قولها وكانت الفاقة احب اليه من الغنى اي كان فقد الدنيا احب
اليه من وجدانها عنده وان هي المخففة من الثقيلة كما في وان كانت لكبيرة اي وانه كان ليظل جائعا يلتوي
طول ليله من الجوع زهدا في الدنيا وعدم التفات اليها وارشادا لارباب السلوك الى مقام مجاهدة النفس تهذيبا

الطوى
الجوع

ها

لها وقمعا لها عن الشهوات بالجوع فلا يمنعه جوعه صيام يومه ولو سأل ربه جميع كنوز الارض ورغد عيشها
بالنصب عطفا على جميع او بالجر عطفا على كنوز اي سعته وطيبه ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي
على بطنه مما به من الجوع واقول حال من ضمير امسح اي قائلة نفسي لك الفدا لو تبلغت على معنى ليتك تبلغت
من الدنيا بما يقوتك قصدا منها الى حثه وتحريضه على تبلغه منها تفاديا به من الم الجوع ومرارته فيقول
يا عائشة ما لي وللدنيا استفهام بمعنى النفي اي لا ارب لي فيها اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما
هو اي على شي عظيم هو اشد من هذا الذي انا صابر عليه فمضوا على حالهم التي كانوا عليها من الصبر فقدموا
على ربهم فاكرم مآبهم اي مرجعهم اليه واجزل ثوابهم اي منحهم خيرا كثيرا فاجدني استحيي ان ترفهت اي تنعمت كارباب
الدنيا في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شي هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي اي احبائي فما
اقام بعد ظرف زماني بني اي قطع عن مضاف اليه منوي فبني على الضم اي بعد قوله لها ذلك الا شهرا استثنا مفرغ
من عام اي زمنا حتى توفي غاية لاقامته بعد ما قال ذلك هذا ولمراد من روى هذا الحديث هكذا الكن روى
ابن ابي حاتم في تفسيره عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما
قال يا عائشة ان الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروه
والصبر عن محبوبها ولم يرض مني الا ان يكلفني ما يكلفهم فقال اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني
والله لاصبرن كما صبروا واجهدي ولا قوة الا بالله فصل واما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه مصدر مضاف
الى فاعله وطاعته له وشدة عبادته برفعهما عطفا على خوفه فعلى قدر معرفته بربه وناهيك بها
منه به لشهادة ما رواه مسلم واسنده هنا من طريق البخاري لو تعلمون ما اعلم من الاهوال والشدائد مما تؤول
اليه حالكم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا جواب القسم الساد مسد جواب لو فانتفاؤهما لانتفا علمهم بما يعلم كما هو
شان لو فقد انتج استثنا نقيض التالي لزوم نقيض مقدمه اي لم تضحكوا قليلا ولم تبكوا كثيرا فلم تعلموا ما اعلم
نقيض المقدم اللازم لنقيض تاليه ثابت بابطال التالي بطريق قياس الخلف وفيه مقابلة الضحك والقلة
للبكا والكثرة زاد اي ابو هريرة او النبي صلى الله عليه وسلم في رواية عن ابي عيسى الترمذي رفعه
الترمذي الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون مما اطلع عليه من المغيبات حثا وتحريضا لهم على
البكا وترك الضحك فان البكا ثمرته حياة القلب اطت السما وحق لها ان تئط اي صوتت لكثرة ما فيها من الملائكة
فكانهم اثقلوها كثرة حتى اطت كالقتب وهو تمثيل وتلويح بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط فاخرج هذا الكلام مخرج
قال بالاستعارة التمثيلية تقريبا وتقريرا لعظمة الله ومنه حديث العرش على منكب اسرافيل وانه ليئط
اطيط الرحل الجديد لعظمته وعجزه عن حمله اذ من المعلوم ان اطيط الرحل اي الكور براكبه انما يكون لقوة ما
فوقه وثقله وعجزه عن حمله ما فيها موضع اربع اصابع ظرف مستقر لاعتماده على النفي الا وملك حال من فاعل
الظرف اعني موضعا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله حال من الضمير قبله ولخرجتم الى الصعدات بضم مهملتيه
اي الطرقات تجارون اي ترفعون اصواتكم تتضرعون الى الله ولوددت اني وفي رواية ليتني شجرة تعضد اي
تقطع روي هذا الكلام اي قوله وددت اني شجرة تعضد مدرجا في الحديث من قول ابي ذر نفسه وهو واضح
من حيث انه اشبه بكلامه والبق بحاله مع كونه صلى الله عليه وسلم اعلم بمكانته عند ربه وفائزه من ان يتمنى عليه
دون ما اعطاه وفي حديث المغيرة الذي رواه الشيخان وغيرهما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه طاعة لامر ربه وامتثالا لامره فقيل له اتتكلف من تكلف مشددا للام وحذفت احدى تائيه تخفيفا اي
اتتكلف وتتجشم على مشقة او من كلف بكسر لامه ومنه حديث اني اراك كلفت بعلم القران وحديث اكلفوا من

ها

حرف

العمل بما تطيقون اي اتحمل هذا او قد غفر له ما تقدم من ذنبك وما تاخر جملة حالية اعتراضا بين الاستفهام وجوابه للاعلام
بالغفران له وحذف فاعله للعلم به اذ ليس احد يغفر له سواه قال افلا اكون عبدا شكورا اذ انكاره نفي
ونفي النفي اثبات وهذا مراد من قال ان الهمزة في مثله للتقرير بما دخله النفي لا بالنفي اذ لا يجب كما ان يكون التقرير بالحكم الذي
دخلته الهمزة بما يعرفه المخاطب من الحكم اثباتا او نفيا والفا مسببة عن محذوف اي اترك تهجدي من اجل مغفرته لي وهي
سبب له لا لتركه والمعنى كيف لا اشكره وقد انعم علي بما لا يعرفه غيره لشهادة مبالغة شكورا المستدعيه لكون المنعم
به خطير القدر وفي قوله عبدا تلويح لغاية اكرامه وقربه من ربه ومن ثم وصفه به في اشرف مقام سبحان الذي
اسرى بعبده وهذه الاضافة منحته من ربه اعظم شرف واتم تعظيم لقضا العبودية بصحة النسبة وليست الا
بالعبادة وهي عين الشكر وقالت عايشه فيما رواه الشيخان كان عمله ديمة اي دايما متصلا مبالغة في دوامه
ولا يقدح تركه نادرا وايكم يطيق ما كان يطيق استبعادا لاطاقتهم ذلك اي بعدان تطيقوا دوام عمله وقالت
ايضا فيما روياه كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم الرواية بالنون في نقول ويروى بتا
الخطاب اي تقول ايها السامع وبنصبه ومنهم من رفعه حكاية حال ماضية كقراة نافع وزلزلوا حتى يقول الرسول
ولا تشا ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا تشا ان تراه من الليل نايما الا رايته نايما اي ولا زمان
من الليل تشا رايته متهجدا او رؤيته نايما الا رايته نايما يعني كان عمله قصدا ينام حيث ينبغي النوم كاول الليل
ويصلي حيث تنبغي الصلاة كاخره لشهادة قوله ردا على عبد الله بن عمرو واما انا فاصلي وانام واصوم وافطر والحديث
الشافعي رغب عن سنتي فليس مني وقال عوف بن مالك فيما رواه ابو داود والنساي كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا تشريعا للاستحباب تقديم السواك على الوضوء ثم قام يصلي فقمت
معه فبدا فاستفتح البقرة ظاهره انه افتتح بها صلاته دون الفاتحة لشهادة تاكيد بدا بافاستفتح مع فا
التعقيب ولعله افتتاح نسبي اي افتتح بها بالنسبة الى غير الفاتحة من السور لثبوت كونها السند في بها
في الصلاة وتقرره جمعا بين الادلة فلا يمر باية رحمة الا فانه قلما لابسه الذكرية تذكر فيها الرحمة الا وقف فسال
حذف المسؤول للعلم به بقرينة المقام اعني الرحمة اولتذهب النفس كل مذهب ممكن ويوخذ منه استحبابه ولا يمر
باية عذاب الا وقف فتعوذ يجري فيه ما مر في تسميته ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول حال من الضمير قبله
اورده مضارعا بعد ركع ماضيا تصويرا للسامع حالة سجوده وتبصيرا له اياها طالبا منه مشاهدتها
تعجيبا من استكانته وانقياده لربه وخضوعه له وتعظيمه اياه قايلا سبحان ذي الجبروت فعلوت من الجبر
اي القهر والغلبة مبالغة فيه اذ هو القاهر لعباده على ما يريده منهم من مامور ومنهي يقال جبر الخلق واجبرهم
وهو اكثر استعمالا وسبحان ذي العظمة اي الكبريا الذي جاوز الحد عن ان تحيط العقول كنه حقيقته وكانك
به مرشدا الى استحبابه في الركوع ثم سجد وقال مثل ذلك الذي قاله في ركوعه ثم بعد قراة الفاتحة على ما هو
مقرر ثابت قرا ال عمران ثم سورة يفعل ذلك اي ما ذكر من سوال وتعوذ وتسبيح وعن حذيفة مثله اي
مثل حديث عوف كما في مسلم وقال زيادة عليه سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال ايضا
زيادة عليه حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمايده غاية لفعله قراة وصلاه وروى الترمذي عن عايشه انه صلى الله
عليه وسلم قام باية من القران ليلة ورواه احمد والنساي بسند صحيح عن ابي ذر بلفظ قام حتى اصبح باية ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم مكررا لها متدبرا معناها متاملا لانحاو فظايع ما
دلت عليه من كامل قدرة وقاهر عزة ونفاذ تصرف تعذيبا وعفوا وروى ابو داود والترمذي والنساي
عن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز ازيز بينهما مثناة

بلام

الا رايته متهجدا

الا باية

اسبحان ذي الملكوت
والملكوت

بخشيه

تحتيه اي خنين من البكا كازيز المرجل من غليانه وهو قدر من نحاس شبه ما يحدث له في جوفه من الصوت من شدة حرارته
بصوت المرجل لشبهه بليغا قال ربيبه من خديجة هند بن ابي هالة كان متواصل الاحزان لعله يشاهده من العلم بشدا
الاهوال والاهوال له كالا بما لا داية الفكر في العواقب وما ينشا عنها اذ هو سيد ابا الصالحين وشعار المتقين
ليست له راحة لاستغراقه اوقاته فيما كلفه من اعبا الرساله كتبليغ الاحكام والنظر في مصالح امته ومحاربة
عدوه وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم انه لا ستغفر الله اي اطلب منه المغفرة في اليوم من الايام ماية
مرة لم يرد يوما معينا وروى كما في البخاري والترمذي سبعين مرة لاشتغاله بدعوة امته ومحاربة عدوه وتالف
المولفه مع معاشرة الازواج والاكل والشرب والنوم بما يحجزه عن عظيم مقامه ويراه ذنبا بالنسبة الى علو
قدره ومشاهدته ومراقبته فيستغفر بسبب ذلك دع عنك الاصمعي لو صدر هذا عن قلب غيره صلى الله عليه
وسلم لفسرته ولله دره حيث انتهج مناهج الادب واجلال القلب الذي جعله الله مربط وحيه ومنزل تنزيله
اذ هو مشرع سد عن اهل اللسان موارده وفتح لاهل العرفان مسالكه واحق من تعرب عنه من عمر الذكر
اسرارهم ووضع عنهم اوزارهم وحديث علي المعرفة راس مالي كما قال الاية موضوع فلا تتكلف النكرة بيانه
فصل اعلم ان صفات جميع الانبيا والرسل من عطف بعض افراد العام عليه تنويها بشرفه حتى كانه
ليس منه من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة خبر
ان وهي مع اسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم واللام فيه للاستغراق ما بين لانها صفات كمال الكمال
والتمام عطف تفسيري ومن ثم وصفها بمفرد هو قوله البشري والفضل عطف على الموصوف واخره عن الصفة
تلويحا بان موصوفيها بمعنى واحد ولو قدمه عليها وقال البشر يا نلكان احسن الجميع مبتدا خبره لهم والجملة
خبرالمبتدا قبله اي هي من حيث جميعها فيهم لا في غيرهم ممن ليس نبيا اذ رتبتهم اشرف الرتب علة لاختصاصها
لهم دون غيرهم ودرجاتهم ارفع الدرجات كمالا وثوابا بحيث لا يظهر دونه كمال وثواب ولكن استدراك
لرفع ما عسى يتوهم من تساويهم فيها وعموم ل تبعا وتعمم فيها اذ قد فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى
تلك الرسل اشارة الى من تقدم ذكرهم في سورة البقرة او الى من يعلمه نبينا او اليهم كلهم واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب عليه خص بها غير الرسالة لاستوايهم فيها منهم من كلم الله تفضيلا
له كموسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمد ليلة المعراج وخص موسى بكونه كليم الله لتكرر تكليمه اياه واشتهر
به ورفع بعضهم على باقيهم درجات هو نبينا صلى الله عليه وسلم تفضيلا له على غيره خصايص متكاثرة ومرا
تب عديدة متوافرة كالدعوة العامة والبراهين المتكاثرة والمعجزات الباهرة والايات المتعاقبة والفضايل
العلمية والعملية الفايتة للحصر والابهام لتفخيم شانه اذ هو المفرد العلم الغني عن التعيين او هو ابراهيم
صلى الله عليه وسلم خص بالخلة التي هي اعلا المراتب او ادريس رفعه الله مكانا عليا او اولوا العزم
من الرسل هذا وما وقع من التفاوت بين من اشيرا اليهم ولقد اخترناهم على علم هذا على توهم جعل الضمير
للانبيا والحق جعله لبني اسرايل قبله اي اصطفيناهم عالمين بانهم احقا باصطفايناياهم على العالمين
اي عالمي زمانهم لكثرة الانبيا فيهم وقد روى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة اي
طايفة يدخلون الجنة على صورة القمر اي مستعلين على صورة مثل صورته ليلة البدر ليلة اربع عشرة
سمي بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كانه تعجلها المغيب وقيل لتمامه فيها على رجل واحد على صورة ابيهم ادم
اي صورة خلقته طوله ستون ذراعا في السماء وفي بعضها لشهادة رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد وروينا
ايضا في حديث ابي هريرة رايت موسى فاذا رجل ضرب اي خفيف اللحم مستدق في رجل بكسر الجيم اي

بد

مم

ره

تب

ل

علي خلق اوي مع ... رواية لا اختلاف ... [illegible]

شعره بين الجعودة والسبوطة اقنى اي طويل الانف مع ارتفاع وسطه ودقة ارنبته كانه من رجال شنوءة بمعجمة
مفتوحة فنون فواو فهمزة قبيلة من اليمن من قولهم رجل فيه شنوءة اي تقزز وتباعد من الادناس او لطهارة نسبهم
وحسن سيرتهم وافعالهم ورايت عيسى فاذا رجل ربعة بين الطول والقصر كثير خيلان الوجه جمع خال
اي شامات احمر كانما خرج من ديماس بالكسر والفتح الكن اي كانه مخدر لم ير شمسا وتحجا في الحديث مفسرا
انه الحمام وقد اعل بقلب ميمه الاولى ياء لكسر ما قبلها وفي حديث اخر لم اعرف من رواه مبطن اي ضامر مثل
السيف لاستوائهما وانا اشبه ولد ابراهيم به وفي حديث اخر رواه البخاري في صفة موسى كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال بضم الهمزة وسكون الدال جمع ادم شديد السمرة اي من سمرتهم هذا ولعل ارواحهم تشكلت له
في صفة ابدانهم في نوم او يقظة والتشبيهات للبيان مع تعظيم المشبه في مقام المدح وفي حديث ابي هريرة الذي
رواه ابو يعلى وابن جرير عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا من بعد لوط الا في ذروة من قومه هي في
الاصل الشيء المرتفع وذروة الجمل سنامه والجبل راسه اي في رفعة منهم او نسب منهم لشهادة قول هرقل
لابي سفيان وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ولسعيد بن منصور موقوفا على ابن عباس في عزة وفي بعض
في ثروة اي كثرة ومنعة اي قوة من قومه تمنع عنه من يريده بسوء تنصره وتحوطه وقد يشكل بقوله تعالى لليهود
على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلم تقتلون انبياء الله ان كنتم مومنين ولولا نوا في منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس
في يوم واحد ثلاثمائة نبي وفي التقييد ببعدية لوط تلويح بانه لم يكن في منعة لشهادة لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
وحكى الترمذي بل روى في الشمائل عن قتادة مرسلا ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا
الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسن وجها واحسن صوتا من الكل وفي حديث هرقل في
الصحيحين انه قال لابي سفيان وسالتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل في انساب قومها شبه
شدة اتصالهم بها شدة اتصال المظروف بظرفه فاثبت له في توجيه الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية
وقال في ايوب انا وجدناه اي علمناه او صيرناه صابرا اي خلقنا قدرة الصبر فيه نعم العبد اي ايوب خص بالمدح لصبره
على البلاء وهو اما مبتدا خبره ما تقدم او خبر مبتدا محذوف فبني ذلك الخبر على سوال بتقدير بعد نعم العبد اي من هو
فقيل هو ايوب ففيه ايجاز من جهة ترك المبتدا في الجواب انه اواب علة لكونه ممدوحا على صبره اي كثير الرجوع الى
ربه ولا يقدح في مدحه له عليه شكواه ما به من ضر اليه وقال تعالى يا يحيى اي وهبناه له وناديناه ابان فهمه
يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي خذ التوراة بجد واستظهارها بتوفيق وتاييد واتيناه الحكم اي الحكمة وفهم التورية
والفقه في الدين او النبوة صبيا حال من ضمير اتيناه احكم الله عقله في صباه ثم استنباه وحنانا من لدنا اي رحمة
وشفقة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وزكاة اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدق الله به على ابويه
او مكنه ووفقه لتصدق على الناس وكان تقيا اي مطيعا يتجنب المعاصي وبرا بوالديه اي بارا بهما ولم يكن
جبارا اي لم يكن متكبرا عصيا اي عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام من الله عليه يوم ولد من ان يمسه الشيطان
كغيره من بني ادم ويوم يموت من عذاب القبر وفتانيه ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة وقال ان الله
اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وال عمران موسى وهرون ابني عمران بن يصهر او عيسى
وامه بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة على العالمين اي عالمي زمانهم بالرسالة والخصائص
الروحانية والجسمانية ذرية حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اوهم ذرية واحدة بعضها متشعب من بعض
او بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت بقلب همزتها ياء ثم واوها
ياء وادغمت والله سميع عليم باحوال الناس فيصطفي منهم من يصلح وقال في نوح انه كان عبدا شكورا يحمد الله في جميع حالاته

دفيه

وفيه تلويح بان نجاته ومن معه كانت ببركة شكره وحث لذريته على الاقتدا به اذ هي الباقية قال تعالى وجعلنا ذريته هم
يق الباقين وقال تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه مبتدا خبره المسيح وهو لقب تشريف كالصديق
واصله مشيح اي مبارك سمي به لانه مسح بالبركة او مسح الارض بالسياحة عيسى بدل منه ابن مريم خبر مبتدا محذوف
اي هو ابن مريم اعلاما لها بانه يولد بلا اب فلا ينسب الا اليها ويصح جعل الثلاثة متعاقبة خبرا عن المبتدا اذ ليس المراد
به العلم المقابل للقب وان توهم بل المراد ما به الامتياز وهو هنا مجموع الثلاثة لا واحد اذ قد يقع الاشتراك
فيه ولا المراد ان مجموعها علم بمنزلة التسمية ببيت شعر وجيها حال مقدرة لكونها موصوفة وتذكيره للمعنى اي ذا وجاهة
في الدنيا بالنبوة والاخرة بالشفاعة ومن المقربين حال ثانية منها اي من الله مع رفعه الى السما وصحبته الملائكة وعلو
درجته في الجنة ويكلم الناس حال ثالثة منها اي تكلما لهم في المهد وكهلا حال من ضمير تكلم اي يكلمهم فيه طفلا وكهلا كلام
الانبيا من غير تفاوت بين الحالين ومن الصالحين حال منه والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وقال حكاية عن
عيسى قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لكونه اول المقامات وردا على من زعم ربوبيته اتاني الكتاب يعني الانجيل وجعلني
نبيا وجعلني مباركا اي نفاعا معلما للخير وجيء بالماضي اما لما في سابق علمه او جعلا للاتي كالواقع او كمل الله عقله ثم
استنباه اينما كنت واوصاني اي امرني بالصلاة والزكوة اي ملكت مالا او صدقة الفطر او تطهير النفس من الرذائل
او اوصاني ان امركم بهما ما دمت حيا نصب على الظرف اي مدة حياتي وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسى فبراه الله مما قالوا اي اظهر الله براءته من مضمون مقولهم ومؤداه وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه
بنفسها فعصمه الله او اتهمه ناس بقتل اخيه هرون لحملته الملئكة حتى راوه غير مقتول او احياه الله حتى اخبر انه
بريء او قذفوه بعيب في بدنه برصا او ادرة لفرط تستره حيا فاطلعهم الله على براءته منه وكان عند الله وجيها اي ذا
جاهة وقربة من ربه وروى الشيخان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صلى الله عليه وسلم كان رجلا حييا ستيرا لا
يرى من جلده شيء استحيا فاذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة
بالضم نفخ بالخصية وان الله اراد ان يبريه حتى باللام المؤكدة تعظيما لشانه وتبعيدا لذاته عن ساحة العيب فخلا يوما وحده
حال من ضمير خلا احتراس من توهم ان يكون معه احد اي متوحدا ليغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى اي اسرع
نا حيث لا يرده شيء عنه زاد في اثره يقول حال من موسى ورد مضارعا بعد جمح ماضيا تصويرا للسامع حاله اسراعه عريانا
مخاطبا لما لا يعقل وتبصيرا له اياها طالبا منه مشاهدتها تعجيبا له منها قائلا ثوبي يا حجر حتى انتهى الى ملا من
بني اسرائيل فراوه عريانا احسن خلق الله حال من ضمير راوه اذا الرؤية بصرية مفعولها واحد فقالوا والله ما
بموسى من باس فاخذ ثوبه فوالله ان اي انه بالحجر لندبا بفتح النون والدال وهذا موذن بجواز القسم في الامر المهم ويحتمل الا يكون من
تمام الحديث وان يكون مدرجا فيه من كلام الراوي تاكيدا لرفع توهم استبعاد ان يكون به ندبات من اثر ضربه ثلاثا صفة لاسم
ان بينه لعدده وفيه معجزة لموسى مشي الحجر بثوبه وحصول الندب فيه بضربه وفيه وجود التمييز في الجماد وجواز الغسل
ل في الخلوة عريانا وان كان ستر العورة افضل وبه قال الشافعي ومالك واحمد وابتلا الانبيا والصالحين باذى السفهاء والجهال
وصبرهم عليه وانهم منزهون من النقائص خلقا وخلقا ينسب لهم من العاهات والمعايب وقال تعالى عنه ففررت منكم لما
خفتكم فوهب لي ربي حكما اي نبوة وعلما وجعلني من المرسلين اي من جملة رسله وقال في وصف جماعة منهم مدحا لهم كموسى اني لكم
شعيب رسول امين غير متهم لدلالة المعجزة عليه او لايتمان الله اياه على وحيه وقال حكاية لقول بنت فيه يا ابت استاجره ان خير من
استاجرت القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه خليق بالاستيجار وبولغ فيه بجعل خيرا اسما وقد استغنت به عن
جري المثل والحكمة عن ان تقول استاجره لقوته وامانته تلويحا بانه كلام جامع موذن بانه اذا اجتمع فيمن يقوم بامرك الكفاية
والامانة فقد تم مرادك وفرغ بالك وجيء بالفعل ماضيا تلويحا بانه امر مجرب معروف وروي ان شعيبا قال لها وما علمك

بقوته وانا انه قد كرت اقلاله الحجر وغضه البصر حين بلغته الرسالة وامره ايا ها بان تمشي وراه وقال ووهبنا له اسحق
ويعقوب كلا منهما هدينا الى فبهداهم اقتده اي بطريقتهم او بما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع
المختلف اذ ليست هدي مضافا الى الكل ولا يمكن الاقتدا بهم جميعا فليس منه دليل على انه صلى الله عليه وسلم متعبد بشرع
من قبله وها اقتده للوقف واثبتها الحرميان وابو عمرو وعاصم ساكنة في الوصل اجرا له مجرى الوقف وحذفها الكوفيا
وصلا واشبعها ابن عامر على الها كناية عن المصدر وبدون اشباع رواية هشام عنه توصفهم باوصاف حسنة
ومعنوية جمة اي كثيرة من بيانيه لاوصاف الصلاح والهدي والاجتبا اي الاصطفا والحكم اي الحكمة وفصل
الامر على ما يقتضيه الحق والنبوه وقال فبشرناه اي ابراهيم بغلام حليم لا يستفزه غضب بعيد بتانيه عن ساحة
العجلة يبلغ معه اوان الحلم ويكون حليما وبغلام عليم يبلغ معه ويكون كثير العلم وقال ولقد فتنا قبلهم اي قبل
المشركين قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى اليهم واوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم
وجاءهم رسول كريم على الله والمؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله اي بان سلموهم
لي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان واجابة دعوتي يا عباد الله اني لكم رسول امين غير متهم في رسالتي
وقال تبارك وتعالى ستجدني ان شا الله من الصابرين على الذبح او على قضا الله وقال عز قائلا في اسمعيل انه كان صادق
الوعد اذ لم يعد ربه وعدا الا انجزه وخصه بصدق الوعد مع كون غيره من الانبيا كذلك لانه المشهور من مناقبه تشريفا
له وتكريما او لانه بلغ فيه ما لم يبلغه غيره اذ لا شي فوق نفسه وقد وعد بالصبر على ذبحه ووفا به وكان رسولا نبيا تلويح بان
الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته او رسولا الى جرهم وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة
تقديما للاهم بان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب اليه بالتكميل او اهله امته اذ الانبيا ابا اممهم وكان عند ربه مرضيا
اقوالا وافعالا واخلاقا واصله مرضوا اعل بقلب واوه يا للكسر ما قبلها وقرئ به وقال جل من قايل في موسى انه كان مخلصا
لربه في عبادته عن الشرك والريا او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وكان رسولا نبيا قدم رسولا مع كونه اخص
واعلى لانه يخبر عنه وقال في سليمان نعم العبد اي سليمان انه اواب علة للمدح اي رجاع الى ربه بالتوبة او الى التسبيح
مرجع له وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب بيان لعبادنا وقرا ابن كثير عبدنا وضعا للجنس موضع
الجمع على ان ابراهيم لمزيد شرف بيان له ومن بعده عطف عليه اولي الايدي والابصار اي اولي القوة في الطاعة والبصيرة
في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال مجازا مرسلا لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار
عن المعارف لذلك لانها اقوى مبادئها وفيه تعريض بالبطلة الجهلة انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة
اي انا جعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة هي ذكرى الدار الاخرة دايما فان خلوصهم في الطاعة مسبب عنها لان
مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه واضاف نافع وهشام خالصة الى ذكرى للبيان او لانها
مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله اي خلصت لهم ذكراها غير مشوبة بهم وانهم عندنا لمن المصطفين اي المختارين
من امثالهم الاخيار جمع خير كصهر واصهار او اموات مخففا وقال تعالى في داود انه اواب اي رجاع الى مرضات ربه
وكان يصوم يوما ويفطر يوما ثم قال وشددنا ملكه اي قويناه بالهيبة والنصر وكثرة الجنود روي ان رجلا ادعى بقرة
على اخر عنده وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انا قتلت اباه غيلة واخذت البقرة
فعظمت هيبته بذلك واتيناه الحكمة اي النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب اي الخصام بتمييز الحق عن
الباطل او الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب ولا يلتبس عليه فيه مظان الفصل والوصل والاستيناف والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار ونحو ذلك وقال عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اي ولني امر خزاين مصر اني حفيظ
لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله لما راى انه لا بد ان يوليه آثر ما تتم فوايده وهو مود لتجواز طلب

التولية

التولية واظهار استعداده لها وان التولي من الكافر اذ لم يمكن اقامة الحق وسياسة الخلق الا استظهارا به وعن مجاهد ان
الملك اسلم على يديه وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرا معك غير منكر عليك وتعليق الوعد بالمشية اما للتبرك او
لعلمه بصعوبة الامر اذ الصبر على خلاف المعتاد شديد وهو دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله وقال في
شعيب ستجدني ان شا الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفا بالمعاهدة وعلق وعده بالصلاح
بمشية الله اتكالا على توفيقه ومعونته لا لكونه ان شا فعل وان شا لم يفعل وقال فيه ايضا وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه من قولك خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه اي ما اريد ان اتي ما انهيكم عنه لاستبد به فلو
كان صوابا لاثرته ولم اتركه فضلا عن ان انهى عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا ان اصلحكم بامركم
بالمعروف ونهيكم عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح ولو وجدته فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه وما مصدرية وقعت موقع
الظرف او خبرية بدل من الاصلاح اي القدر الذي استطعته او اصلاح ما استطعته بحذف المضاف وقال ولوطا اتيناه
حكما وعلما اي حكمة ونبوة وفصلا بين الخصوم وقال انهم اي ابوي يحيى وهو اول الانبيا المذكورين في سورتهم كانوا يسارعون
في الخيرات اي انما اجيبوا الى ما طلبوا بمبادرتهم الى فعل الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا اي ذوي رغب ورهب
او راغبين في الثواب راجين الاجابة راهبين العقاب وكانوا لنا خاشعين اي خاضعين او دايمي الوجل وهذا
معنى ما قال سفيان الثوري او ابن عيينة هو الحزن الدايم وما ذكر من الاي مما شهد بشرفهم وكمالهم قد
ورد في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم المرضية ومحاسن اخلاقهم المرضية الدالة على كمالهم وجا من ذلك اي
مما دل على كمالهم في احاديث عنه صلى الله عليه وسلم كثير كقوله في يوسف كما رواه البخاري وابن حبان والحاكم
انا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نشر مرتب لما ذكر من اللف وورد مصدرا
بانما ايذانا بحصر الكرم فيه اذ لم يتفق لاحد انه نبي بن نبي بن نبي بن نبي سواه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم فلا يتطرق اليها نوم لمنعه من اشراق الانوار الالهية الموجبة لفيض المطالب السنية عليها وروي من طريق
الطبراني الى ابي هريرة مرفوعا ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك الذي سال لا ينبغي لاحد من بعدي لا يرفع بصره
الى السما تخشعا وتواضعا مفعولان لفعل من اجلهما ترك الرفع اليها لانه كان دايم المراقبة متواصل الفكر ورفعه
اليها ربما فرق الفكر ورفعه اليها ربما فرق الفكر ومزق الخشوع وروى احمد في الزهد عن فرقد السبخي كان اي
سليمان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير رغبة فيه وزهدا فيها وايثارا لهم على نفسه واوحى الله
اليه يا راس العابدين اطلاقا لاسم الجزء على الكل مجازا مرسلا وابن محجة الزاهدين نحو هذا وابيك الشرف شبه
اياه لكونه قدوة لهم يتاسون به ويستنون بسنته في الزهد بالمحجة اي الطريق التي لا عوج فيها ولا امت فاستعار
له اسمها استعارة تحقيقية مطلقة لم تقترن بشي يلايم احد طرفي التشبيه او تشبيها بليغا لشهادة الاضافة وان
هي المخففة من الثقيلة اي وانه كانت العجوز اي الكبيرة من النسا تعترضه وهو على الريح في جنوده حالان من ضمير تعترضه
فيامر الريح فتقف اذ كانت مسخرة له تجري بامره رخاء حيث اصاب فينظر في حاجتها ويمضي رافة بها وشفقة عليها ودنا
لحق رعيته عليه وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزاين الارض حال من ضمير تجوع قال اخاف ان اشبع فانسى الجا
يع رحمة منه على الجايع وانما كل ذي حق حقه وروى ابو هريرة كما في البخاري عنه صلى الله عليه وسلم خفف اي
سهل على داود القران اي تلاوة الزبور اذ هو المراد هنا قيل وانما قال القران لانه قصد به اعجازه من حيث القراءة
تلويحا بان الله يطوي الزمان لمن شا من عباده كما يطوي المكان لهم وهذا لا سبيل الى ادراكه الا بفيض رباني فكان
يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج بيان وتوضيح لما قبله لما بينهما من كمال الاتصال كما في اقسم بالله
ابو حفص عمر وحذف المامور للعلم به ولا ياكل الا من عمل يده كما قال تعالى والنا له الحديد كالشمع يصرفه كيف يشا

بلا احما وطرق وان اعمل سابغات اي دروعا واسعات وقدر في السرد اي في نسجها بحيث يتناسب حلقها وروي انه
كان يسال الناس عن نفسه فيثنون عليه فرا ملكا في صورة ادمي فساله فقال نعم الرجل الا انه يطعم عياله من
بيت المال فمن ثم سال ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وروي الشيخان وابن
ماجة احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود لاتيانه بهما على وجه شاق والمحبة في
الاصل ميل تقتضي الافضال والاحسان فالمحبة بهما الى الله قبولهما والرضى بهما وارادة ذلك اكراما لـه
واستعمالا له في الطاعة وصونا له عن المعاصي ثم بين جهة الاحبية بقوله كان ينام نصف الليل ليتقوى به على
العبادة ويقوم ثلثه من اول النصف الثاني لانه افضل اجزائه وينام سدسه ليستقبل صلاة الصبح واذكار
اول النهار بنشاط وكان يصوم يوما ويفطر يوما ارادة القصد في العمل اليه ومن اذا احب الاعمال الى الله كما رواه
الشيخان ادومها وان قل وروي انه كان يلبس الصوف من الضان ويفترش الشعر من المعز تواضعا لربه وياكل
خبز الشعير بالملح والرماد تركا للتنعم وروى ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه ومجاهد موقوفا انه كان يمزج شرابه
بالدموع من كثرة بكايه ولم ير ضاحكا بعد الخطيه وليست في الحقيقه خطيه وتسميتها بها اي اعتنا بالتشبيه
الى بكاته ورفيع جنابه وبهاية جلاله اذ لم يثبت عنه سوا انه خطب امراة كان اوريا قد خطبها فزوجها اهلها
منه رغبة فيه دون اوريا او ساله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك في زمانه عادة لهم فارسل الله اليه ملكين
تنبيها له على ذلك لاستغنايه بتسع وتسعين امراة فلما تنبه استغفر ربه وخر راكعا واناب وما ورد من كونه ذا
الايد اي القوة في الدين على ادا الواجبات وترك المنكرات وانه اواب اي رجاع وانه سخر له الجبال يسبحن معه
والطير محشورة كل له اواب واتاه الحكمة وفصل الخطاب وجعله خليفة في الارض فهو يصدق بكرامته ونزاهته
عما نسبا اليه الحشويه واليهود وانما اورد الملكان قصتهما على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح لكونه
ابلغ في المعاتبة واوقع واشد تمكنا في النفس اذا اخذتها التامل الى الشعور بالمعرض به مع مراعاتهما معه
حسن الادب بترك المجاهرة له وقد بالغ في تضرعه وبكايه واستغفاره مستعظما ما فرط منه نظرا الى ما له
من عظيم المرتبة وكريم المنزلة ولا روي شاخصا ببصره اي رافعا له مع تحديد نظره مصوبا الى السما حياء
من ربه مفعول من اجله ترك الرفع رواه احمد في الزهد عن عطا بن السايب عن ابي عبد الله الجدلي بلفظ ما رفع
داود راسه الى السما بعد ما اصاب الخطيه حتى مات ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل كما رواه بن ابي حاتم عن انس
مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا انه بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا
اي اثرا كالشق في الارض ونسبة اتخاذه الى الدموع مجاز عقلي وقيل كما في الكشاف وغيره كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا لربه مكافاة لما منحه من كريم المنن وروي احمد في الزهد
وابن ابي شيبه في مصنفه قيل لعيسى لو اتخذت لك حمارا قال انا اكرم على الله من ان اشتغل بحمار عن عبادته
يتعلق قلبي به وبكلفته وخدمته وروي احمد في الزهد عن عبيد الله بن عمر ومجاهد والشعبي وابن عساكر
في تاريخه انه كان يلبس الشعر وياكل الشجر زهدا وتواضعا ولم يكن له بيت ياوي فيه اينما ادركه النوم نام
لعدم اتخاذه مسكنا ياويه وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين رواه احمد في الزهد عن سعد بن عبد
العزيز بلفظ بلغني انه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم احب اليه من ان يقال له كان هذا المسكين وقيل كما
رواه ايضا فيه وابن ابي حاتم عن ابن عباس موقوفا ان موسى لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل الذي كان
ياكله بعد خروجه من منف خايفا يترقب متوجها الى مدين في بطنه من الهزال حال من البقل متعلق بيرى وروي
الحاكم وصححه عن ابي سعيد قال صلى الله عليه وسلم كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك

احب

احب اليهم من العطا الجزيل لعدم التفاتهم الى الدنيا اذ ليست تسوي عند الله جناح بعوضة وما بعده لهم من اوفا المطالب واعلا
المراتب خير وابقى وقال عيسى لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك استعظاما لقوله ذلك مع حقارته فقال
اكره ان اعود لساني النطق بسوء عملا بقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل به وروي ابن ابي حاتم واحمد
في الزهد قال مجاهد كان طعام يحيى العشب زهدا وقناعة ورفضا للتنعم في الدنيا وكان يبكي من خشية الله حتى
اتخذ الدمع مجرا في خده لشدة معرفته بربه انما يخشى الله من عباده العلما وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
ليتبتل الى ربه تبتيلا وحكى الامام محمد بن جرير الطبري عن وهب هو ابن منبه ان موسى كان يستظل بعريش هو
بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها وياكل في نقرة اي حفرة من حجر ويكرع اي ياخذ الما بفيه فيشربه من اذا اراد
ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله مفعول لاجله الكرع وهذا حقيقة الافتقار والانقطاع اليه زهدا في زينة
الحياة الدنيا بما اكرمه الله به من كلامه قال تعالى وكلم الله موسى تكليما واخبارهم اي الانبيا في هذا الذي ذكر
كله مسطورة اي مكتوبة في محالها وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمايل جمع شمال
وهو الخلق والسجية معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في بعض كتب جهلة المورخين والمفسرين
مما لا يليق بكريم جنابهم وعظيم قدرهم مما خالف هذا الذي ذكرنا فصل قد اتينا اكرمك الله اعتراض بين اتينا
ومعموله ودعا لكل من يتاتي توجيه الخطاب اليه او لمن جرده من نفسه ليخاطبه او لمن طلب منه تاليف هذا
الكتاب اي اوردنا جملة من ذكر الاخلاق الحميدة اي المحموده والفضايل المجيده اي الشريفه العظيمه وبعض خصال
الكمال العديدة اي المعدودة الكثيرة الدالة على كمال ذاته صلى الله عليه وسلم واريناك فيما من صحيحها اي كونها
لايقة بجنابه وهو خليق باتصافه بها مناسبة له صلى الله عليه وسلم وحكينا من الاثار ما فيه مقنع اي بقدر مرضي
مكتفى به والامر اي الشان في مناقبه اوسع اي اكثر مما ذكرها هنا شبه كثرة مناقبه بسعة مكان رحب ثم اشتق
منه اسم التفضيل فوقعت الاستعارة في المصدر اصليه وفي اسمه تبعيه لمجال هذا الباب اي سعته مجاز عن
كثرته في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد لا يكاد ينتهي الى حد ينقطع دون نفاده اي فراغه الادلا جمع دلو كانه
مكان ممتد تقصر عن بلوغه كل دليل وبحر علم تشبيه بليغ لخروجه من باب الاستعارة بذكر علم او تشبيه مؤكد اي علم
خصايصه الذي هو لكثرته وسعته كبحر زاخر من زخر البحر اي مد وكثر ماوه وارتفعت امواجه الى حيث لا تكدره
الدلا اي لا تؤثر فيه بنقص يورث صفوه كدرة ولكنا اتينا فيه بالمعروف الذي لا ينكر مما اكثره في الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا في ذلك اي الذي اتينا به من معروف فابتغل من كل بضم القاف وتشديد اللام والبا بمعنى على اي
اقتصرنا على قليل من كثير وعلى غيض من فيض تاكيد لما قبله اذ هو بمعناه تفننا في مقام المدح وتشبيها لكثرة فضايل
وعموم مناقبه بفيض غزير لا يغيض رواه ولا ينضب ماوه ورايا ان نختم هذه الفصول اي الواردة في
هذا الباب بذكر حديث الحسن بن علي بن ابي طالب عن خاله هند بن ابي هاله لجمعه من شمايله اي اخلاقه واوصافه
كثيرا علة داعيه لجعله هذا الحديث ختامها وادماجه اي ادخال هند في حديثه جملة كافية من بيانيه لقوله
سيره وفضايله ورايا ان نصله اي الحديث بتنبيه لطيف على غريب مشكله قال الحسن بن علي سالت خالي
هند ابن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اي هند وصافا اعتراض وردة مخبرا بانه كان
ذا حذق وخبرة ومعرفة كثيرة في الوصف وانا ارجو جملة حالية اي سالته راجيا ان يصف لي منها شيا اتعلق
به معرفة وعملا قال اي هند كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما اي عظيما معظما في القلوب والعيون
لا في خلقته وجسمه وقيل فخامة وجهه نبله وامتلاوه مع الجمال والمهابة به يتلالا وجهه تلالو القمر اي يضي اضاءته
اطول من المربوع اي ليس بطويل ولا قصير واقصر من المشذب بمعجمتين هو البائن الطول مع نحافة اي نقص

في اللحم من قولهم نخله شذبي اي طويلة شذب عنها جريدها اي قطع عنها و فرق عظيم الهامه اي كبير الراس مما يدل علي
الرزانة والوقار رجل الشعر بكسر الجيم كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد ان انفرقت عقيقته فرقه
اي ان صار شعر راسه بنفسه في مفرقه فرقين تركه مفروقا وسمي عقيقه لشبهه له بشعر المولود فاستعير له اسمه
استعارة تحقيقيه وفي رواية عقيصته والا ينفرق ولم يفرقه فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره
اي جعله وفره اذ لا يسمى وفره الا اذا وصل الى شحمتيهما ازهر اللون اي ابيض نيره وهو احسن الالوان واسع
الجبين من كمال حسنه ازج الحواجب اي مدققها مع تقوس وغزارة سوابغ اي تامة طولا من غير قرن اي اجتماع
اي ان طرفي حاجبيه قد سبغا اي طالا حتي كادا يلتقيان ولم يلتقيا وسوابغ حال بما قبله اي دقت حواجبه
حال سبوغها وجمعها لان التثنية جمع بينهما عرق يدره اي يحركه نافرا الغضب تقدم بيانه اقني العرنين
اي طويل الانف مع دقة ارنبته وحدب في وسطه كذا في نهاية ابن الاثير وسياتي عن المصنف ما يخالفه له نور
يعلوه من حسنه وبهاء رونقه يحسبه اي النبي او عرنينه من لم يتامله اشم اي مرتفع وسط قصبة انفه مع استوا
اعلاه واشراف ارنبته قليلا كث اي غزير شعر اللحيه ادعج اي شديد سواد الحدقه مع شدة بياضها سهل
الخدين اي مستويهما غير مرتفع الوجنتين ضليع الفم اي عظيمه او واسعه والعرب تمدح عظمه وتذم صغره
اشنب اي ابيض الاسنان مع بريق وتحديد فيها او هو رونقها وماؤها مفلج الاسنان وفي رواية افلج الفلج
محركا فرجة بين الثنايا والفرق فرجة بين الثنيتين دقيق المسربة بضم الرا ما دق من شعر الصدر كالخيط سائلا
الي السرة كان عنقه جيد دمية بضم المهملة اي عنق صورة او من عاج وانما شبه عنقه بعنقها لانه يتانق في صنعها
مبالغة في تحسينها في صفا الفضة حال مقيده للتشبيه به اي كانه هو حال صفائه كهو معتدل الخلق بفتح المعجمه
اي متناسب الاعضا خلقا وحسنا بادنا اي عظيم البدن ذا لحم متماسكا اي يمسك اعضاؤه بعضها بعضا سوا البطن
والصدر اي مستويان ليس في احدهما ارتفاع علي الاخر مشيح الصدر بضم الميم وبمعجمة ومهملة بينهما تحتيه اي
بادية ليس به تقس اي تطامن والخفاض وروي بفتح الميم ومهملتين اي عريضة لشهادة قوله بعيد ما بين المنكبين
مثني منكب وهو ما بين الكتف والعنق اي واسعه ضخم الكراديس جمع كردوس اي كبير راس العظام او ملتقى كل
عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين انور المتجرد اسم مفعول من التجرد وهو الكشف اي ما جرد عنه ثيابه من
جسده فهو اشرق والانور موصول ما بين اللبة والسرة بشعر متعلق بموصول يجري كالخط هذا معنى ما فسرنا به المسربة
انفا عاري الثديين وروي الثندوتين اي ليس عليهما شعر وقيل لم اذ تقدم زد انه كان اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر اي كثير شعرها وفيه نظر اذ لا يلزم منه ان لا يكون عاريهما طويل الزندين هما موصول طرف الذراع في
الكف اعني الكوع وهو راس الذراع مما يلي الابهام والكرسوع وهو راسه مما يلي الخنصر رحب الراحه اي واسعها
حسا ومعنا شثن الكفين والقدمين اي يميلان الي غلظ وقصر او في اناملهما غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجل
لانه اشد لقبضه ويذم في النسا سائل بالكلام او قال سائن الاطراف بالنون وهما بمعني اي ممتدها بدل اللام نونا
سبط العصب اي ممتد بدون تعقد وتنو وروي القصب بالقاف اي ممتد كل عظم عريض اجوف فيه مخ كالساعد
خمصان الاخمصين مبالغة من الخمص اي شديد تجافي اخمص القدم عن الارض وهو الموضع الذي لا يلصق بها منه عند
الوطي مسيح القدمين اي كانتا ملساوين لينتين لا تنو بهما ولا شقاق ينبو اي يخرج عنهما الما اذا اصابهما لملاستهما
اذا زال صلى الله عليه وسلم تقلعا ويروي اذا مشي تقلع اي رفع رجليه من الارض رفعا قويا كانه يتثبت في مشيه
بحيث لا يظهر منه عجلة وشديد مبادرة ويخطو تكفيا كذا روي بغير همز وروي بالهمز وهو الاصل لانه مصدر تفعل
من الصحيح تفعل بضم عينه كتقدم تقدما وتكفا تكفؤا اي تمايلا الي جهة ممشاه ومقصده ومن المعتل بكسرها كتحفا

تحفيا

تحفيا وتسمي تسميا فاذا خففت همزته التحق بالمعتل وصار تكفيا بالكسر ويمشي هونا عطفه على يخطو الكمال اي بينهما
اي برفق ووقار ذريع المشيه اي سريعها مع سعة الخطوة اذا مشي كانما ينحط من صبب اي من منحدر مع تثبت
بدون عجلة واذا التفت التفت جميعا اي لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنه ويسرة كالخفيف الطائش بل
يقبل جميعا ويدبر جميعا خافض الطرف اي بصره تواضعا وحيا من ربه نظره الي الارض اطول من نظره الي السما
لانه اجمع للفكر جل نظره الملاحظة مفاعلة من اللحظ اي النظر بشق العين مما يلي الصدغ اراد بها هنا كثرة
التفكر يسوق اصحابه اي يقدمهم امامه ويمشي خلفهم تواضعا وارشادا الي استحباب مشي كبير القوم وراءهم ولا
يدع احدا يمشي خلفه ويبدا من لقيه بالسلام لانه الاكمل ومن ثم ندب للاكبر ان يبتدي الاصغر به قال الحسن
قلت اي لخاله هند بن ابي هالة صف لي منطقه صلى الله عليه وسلم قال كان متواصل الاحزان بما يرد عليه
من كرابة الامور وحوازب الخطوب دايم الفكرة فيما يتلقاه من الملمات ويغشاه من المهمات لا الحزن الذي
يورث كمدا بفوات عاجل او بتوقع مكروه اجل اذ لم يكن ذلك من حاله وقد استعاذ بربه منه فقال اللهم اني اعوذ
بك من الهم والحزن الحديث ومطابقة الجواب للسوال في هذا وفيما بعدهما من حيث انه من جملة المسول عنه ليست
له راحة لما كلفه من اعبا التبليغ والدعوة الي الحق وتبيين الاحكام وتنفيذها ولا يتكلم في غير حاجة اذ لا يعنيه
وقد قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه طويل السكوت عما لا يجدي نفعا يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اي جوانب فمه لرحب شدقيه والعرب تمدح به ويتكلم بجوامع الكلم اي بالكلم الجوامع اي الجامعة لاغراض صالحة ومعا
صحيحه فصلا حال من ضمير يتكلم او صفة مصدر محذوف اي كلاما بينا يعرفه كل احد ولا يشتبه عليه ومنه انه
لقول فصل اي بين قاطع لا فضول فيه عريا من الفائده ولا تقصير فيه عن اصل معناه المراد منه وخواصه الزايده
عليه دمثا من الدمث وهو الارض السهلة والرمل الغير المتلبد اي لين الخلق سهلا ليس بالجافي اي الغليظ الخلقه
والطبع او الذي يجفو اصحابه ولا المهين روي بالضم على الفاعلية من اهان اي لا يهين مومنا وبالفتح على المفعولية من
المهانة اي الحقارة ومنه حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين اي حقير يعظم النعمة وان دقت اي
قلت لشرف خلقه وكرم شيمه لا يذم شيا لنزاهته من البذا اي الفحش في القول لم يكن يذم ذواقا من الذوق فعال
اي ما كولا ومشروبا يقع علي المصدر والاسم تقول ذقته ذواقا وذوقا وما ذقت ذواقا اي شيا واعاده مع تناول
ما قبله له ليرد نه ضده بقوله ولا يمدحه لنزاهته من الرغبة في التمتع بمتاع الحياة الدنيا وتوجه نفسه اليه
المشعر بها مدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض بنيا للمفعول فيهما ليعما كل من يتاتي تعرضه للحق اي لا يعارض غضبه
احد لله بشي حتي ينتصر له اي للحق وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها لنزا هته
عن ذلك علي ما مر اذا اشار اشار بكفه كلها قصدا للافهام ورفعا للايهام واذا تعجب من شي عظم وقعه عنده
قلبها تلويحا بان المتعجب ينقلب الي حالة التعجب واذا تحدث اتصل اي قصد من قولهم فصل علينا اي خرج من طريق
او ظهر من حجاب قاصدا بها اي بكفه فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى لانه عادة من يتحدث بهم واذا
غضب اعرض واشاح اي بالغ في اعراضه عن المغضب منه او اقبل الي مقصده ما تعالما وراظهره واذا فرح
غض طرفه اي ارخاه واطرق ليكون ابعد من الاشر والمرح جل ضحكه اي اكثره التبسم كان ويفتر عن اسنانه
مثل حب الغمام اي البرد او قطر المطر شبه به ثغره في صفا بياضه وحسنه لا في الشكل والاستوي قال الحسن
ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتمتها الحسين زمانا حفظا لها وحرصا عليها ثم حدثته عن حليته صلى الله
عليه وسلم فوجدته قد سبقني اليها فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وهي في الاصل مكان الدخول والخروج والجلوس استعيرت اسماؤها هنا لجميع احواله صلى الله عليه وسلم وشكله اي عن

الفاظ قليلة ومعان كثيرة
واصحا جامعة في الحديث
كان يحب الجوامع من الدعاء صح

اذا تعرض الحق

مذهبه وقصده او عما يشاكل افعاله ويجوز ان يكون بكسر اوله اي دله وهديه وسمته ثم يدع منه شيئا قال الحسن
سألت ابي عن دخوله اي عن جميع احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه خاصا بها في ذلك
اي في جميع احواله اذ لم يتوجه لفعل شيء بغير اذن او لنفسه حال وماذون ناخبرها ووضع اسم الاشارة موضع المضمر
لكمال العناية بتمييزه فكان اذا اوى مقصور لكونه لازما تعدى هنا بحرف جر هو الى منزله جزا دخوله اي زمن
ثلاثة اجزاء جزءا لله يعبده ويتفكر في عجائب ملكه وجزءا لاهله يدبر امورهم ويصلح شانهم وجزءا لنفسه يتعهدها في
بعضه بما يليق بكريم جنابه بشهادة قوله ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فيرد صلى الله عليه وسلم في زمن جزء نفسه ذلك
اي نفعه على العامة بالواسطة من الخاصة ولا يدخر عنهم شيئا مما ينفعهم واصل يدخر يذتخر من الذخر قلبت التاء دالا
مهملة لاتحادهما مخرجا فصار يذدخر بمعجمة فمهملة ثم ادغم والاكثر على النطق بالمهملة قلبا للمعجمة لتمام الادغام
وعكسه اقل كما في امثاله كادكر وكان من سيرته اي دابه وطريقته في جزء الامة ايثار اهل الفضل نفعا لهم واكراما
قسمته مصدر مضاف اما الى المفعول او الفاعل اي قسمه الجزء او قسمة النبي اياه على قدر فضلهم الافضل فالافضل
في الدين لشرفهم بالفضل والتقوى وبهما فضل ذووه صلى الله عليه وسلم وكفى به قاضيا بان احد لا يفضل
بمجرد نسبه بشهادة ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم هم متفاوتون في قدر استحقاقهم منهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ثلاثا فاكثر فيتشاغل بهم نفعا وقضاء للحوائج ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح
الامة من مسالته عنهم بيانا لما واخباره بالذي ينبغي لهم ويقول صلى الله عليه وسلم ليبلغ الشاهد اي الحاضر
منكم ما سمعه مني الغائب ولو بالمعنى خلافا لابن سيرين وغيره فرب مبلغ اوعى له من سامع ورب حامل الحلي الى من هو
افقه منه وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي اياها امر ترغيب وحث للنفس على انعاشها لفعل الخيرات فانه
من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة تبشير لمن فعل ذلك ورد في صورة العلة
ترغيبا فيه وارشادا الى استحبابه ومناسبة المترتب لما ترتب عليه ظاهره من حيث احتياج فاعله الى قوة جنان
لا يذكر عنده الا ذلك الذي يشاع عنده نفعهم وقضاء حوائجهم ولا يقبل من احد غيره قال اي علي بن ابي طالب
في حديث سفيان بن وكيع يدخلون رواد اكال من الضمير قبله جمع رائد واصله من يتقدم القوم يرتاد لهم
الكلا ومساقط القطر اي يدخلون عليه طالبين منه العلم ملتمسين الحكم سيما جوامع الطلب من يتقدم القوم
يطلب لهم الكلا ومساقط القطر فاستعمل في الاسم استعارة تحقيقية مطلقة لم يقترن لها بما يلايم واحدا منهما
ولا يفترقون بعد دخولهم رواد الا عن ذواق اي عن علم وحكم يكتسبونها منه او عن مذوق مأكولا ومشروبا
فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر والاسم كما مر ويخرجون من عنده ادلة يعني فقهاء هداة للناس
لانهم لما استهدوا دلوا قال الحسين لابيه فاخبرني عن مخرجه في جميع احواله كيف كان يصنع فيه قال اي
ابوه علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بتمييزه يخزن لسانه الا
بتكلم بما لا يجدي نفعا لتراهته عن فضول الكلام الا فيما يعنيهم اي يهمهم مما ينفعهم من خطابه وجوامع كلمه وجواهر لفظه ووعظه
ويؤلفهم من سحائب نعمه وسواكب كرمه ولا ينفرهم لانه برحمة من الله لان لهم ولو كان فظا غليظ
القلب لانفضوا من حوله يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ترغيبا له في الاسلام ومراعاة للاهلية في الولايات وترهيبا
عن ولايات الاسافل ويحذر الناس ويحترس منهم اذ الحزم كما قال سوء الظن اي ضبط الامر والحذر من فواته
ومنه حديث عمر احترزوا بسوء الظن اي لا تثقوا بكل احد فانه اسلم لكم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
اي طلاقة وجهه وبشاشته وانبعاث نفسه تاليفا لهم وتانيسا شبههما بشيء يطوى ملوخلا لها في جنسه
ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا او شبههما بما من شانه يطوى على طريقة الاستعارة

الكنيه

الكنيه ثم اثبت لها الطي تخييلا ويتفقد اصحابه بسواله عن احوالهم متعرفا لها ويسال الناس عما في الناس من الصفا
مما تمس اليه الحاجة ليعلمه وينزل كلا منزلته بحسب ما فيه ويحسن الحسن ويصوبه اي يقول فيه هو حسن جوا
ترغيبا فيه ويقبح القبيح ويوهنه يجوز ان يكون بالنون او الياء اي يقول فيه هو قبيح ضعيفا وساقط تنفيرا
عنه وتحذيرا منه معتدل الامر اي الحال والشان بما للعين قرة وللنفس فيه راحة غير مختلف حال من ضمير
اي معتدل الامر اي غير مفرط ولا مفرط لا يغفل بما يشغل قلبه عنهم مخافة مفعول من اجله ترك الغفلة
حذرا من ان يغفلوا بضم الفاء فيهما او يميلوا اي يفتروا اذ الملال فتور وانكسار يعرض من كثرة مزاو
العمل فيورث الكلال والاعراض عنه وفي الحديث اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يعرض عنكم ولا ينقص
ثواب اعمالكم ما بقي لكم نشاط وارتحية فاذا فترتم فاقعدوا فانكم ان ملكتم واتيتم بعمل كلال وفتور عاملكم
معاملة الملوك لاستحالة الملال في حقه تعالى فيأول بمنتهاه او بايراده على طريقة المشاكلة والازدواج وهو
ذكر احد لفظين لمشاكلته للاخر وان خالفه معنى كما في تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك من معلوماتك لكل
حال عنده عتاد اي ما يصلح لكل ما يحدث من الامور معد له لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره اي لا يفرط
في اقامته على قانون العدل تقصيرا ولا يفرط متعديا عنه اسرافا الذين يلونه من الناس خيارهم مبتدا وخبر
فصله عما قبله لاختلاف موصوفيهما وافضلهم عنده اعمهم نصيحة لله وكتابه ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم
فنصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانيته واخلاص النية في عبادته ونصيحة كتابه التصديق به والعمل بما فيه
ونصيحة رسوله الايمان به وامتثال اوامره واجتناب نواهيه ونصيحة الائمة طاعتهم في المعروف ولا يخرج
عليهم اذا جاروا الكريم دعوا كما قال امام الحرمين ولو بشهر سلاح ونصيحة العامة ارشادهم الى مصالحهم
ولهذا المقام مزيد بيان ذكرته في شرح مختصر المقاصد والنصح لغة الاخلاص يقال نصحته ونصحت له اي
اخلصت وليس ثم كلمة يعبر بها عن جملة معنى ارادة الخير للمنصوح له سواها واعظمهم عنده منزلة احسنهم مؤازرة
اي معاونة على ما كلف به امام من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي وهو الثقل اي اكثرهم حملا للثقل او من
الوزر بفتحتين وهو الملجا اي اكثرهم التجاء اليه واعتصاما برايه ومواساة اي مشاركة في المعاش والرزق قلبت همزتها
واوا تخفيفا بشهادة حديث ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله قال الحسين فسالته يعني اباه عليا
عن مجلسه صلى الله عليه وسلم ما كان يصنع فيه فقال كان لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر تشريعا وارشادا الى
العمل بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به
وينهى عن ايطانها اي عن اتخاذها معينة وقيل مصلى معينا للصلاة بشهادة حديث الحاكم وغيره نهى النبي صلى الله
عليه وسلم ان يوطن الرجل المكان يصلي فيه وفي رواية نهى عن نقرة الغراب وان يوطن الرجل في المكان بالمسجد
كما يوطن البعير اي نهى ان يالف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصا يصلي فيه كالبعير لا ياوي من العطن الا
الى مبرك دمث قد اوطنه واتخذه مناخا وقيل نهى ان يبرك على يديه اذا اراد السجود كبروك البعير ولعله
عام مخصوص او اريد به خصوص من لم يالف من المسجد مكانا يفتي فيه ويدرس فان له ان يقيم منه من سبقه
اليه واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك تواضعا وتشريعا فعلا وامرا ويعطي كل
جلسائه نصيبه من بشره ومحادثته انصافا لهم وائتلافا لقلوبهم حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه غاية لاعطائه ذلك استجلابا لخواطرهم وجبرا لانفسهم من جالسه او قاومه من الجلوس
او القيام لحاجة صابره اي من قام لقضاء حاجة صبر عليه حتى يقضيها ويكون هو المنصرف عنه صلى الله عليه
وسلم من ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول فلم يرد احدا كيف وقد قال للسائل حق وان

بكى

جاء على فرس نفيته اشعارا بالامر بحسن الظن به فلا يكذب مع امكان تصديقه ولا يرده خائبا وان رابه منظره بحجة
عليها لاحتمال كونه غازيا او غارما او ذا دين وعيال قد وسع الناس بسطه وخلقه اي عمهم ببسط يد
وسماحة نفس يشبه طلاقة يده وحسن خلقه بسعة مكان رحب ثم اشتق منه وسع فوقعت الاستعارة في
المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين من حيث كونهم متفاضلين
في ايصاله اليهم بقدر تفاوتهم بالتقوى هذا وفي الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فاذا تساووا هلكوا
لا يقال ان التساوي بالتنافس في طلب الفضائل ودرك المعالي بخلاف التفاضل فان فيه الرضا بالنقص واما
من حيث الحكم به عليهم فهم فيه سواء لشهادة الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء اي متساوين فيه
فلا تعارض بين الروايتين مجلسه مجلس حلم لا يستفز احدا فيه غضب احد ومجلس حياء يمنعهم ارتكا
ب ما لا ينبغي ومجلس صبر اي حبس لانفسهم فيه على ما كلفوه من ارتكاب مامور واجتناب منهي مما تقضي به
سواطع الاعتصام ولوامع النزاهة عن الاثام ومجلس امانة لا يجري فيه ما لا يليق من قول او فعل لا ترفع
فيه الاصوات احتراما له اذ كان مجلس حلم ووقار وكمال ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن فيه بسوء ولا يرمين
فيه بقبيح ولا تنثى فلتاته بمثناة فوقية ومثلثة بينهما نون والفلتات جمع فلتة وهي الزلة اي لم يكن لمجلسه
فلتات من احد فتشاع وتذاع او تفتح هو من باب نفي الشيء بنفي ما يترتب عليه وفي نسخة تثنى بمثناة فمثلثة اي لا تعاد
فلتات مجلسه لصيانته عما لا يليق متعاطفون من العطف بمعنى الرحمة وهو ميل نفساني اي يتراحمون بالتقوى اي
بسببها لشهادة حديث ابي داود لا تنزع الرحمة الا من شقي اي وهو من لا تقوى له واصلها وقى من الوقاية اذ هي
يتقى بها صاحبها المعاصي ابدلت واوها تاء لكثرة الاستعمال متواضعين بعضهم لبعض يوقرون فيه اي في مجلسه
صلى الله عليه وسلم الكبير احتراما واكراما ويرحمون الصغير شفقة عليه ورافة به ويرفدون اي يعينون ذا الحاجة
على حصولها له وكانت الرفادة لقريش وهو ما كانت في الجاهلية ترافده اي تتعاون فيه فيخرج كل ما يقدر عليه
فيجمعون مالا عظيما فيشترون به طعاما وزبيبا بنبيذ ونحوه فيطعمون الناس ويسقونهم ايام موسم الحج حتى
ينقضي ويرحمون الغريب شفقة عليه وتانيسا له قال الحسين فسالته يعني اباه عليا عن سيرته اي طريقته
في جلسائه فقال كان دائم البشر اي طلاقة الوجه وبشاشته من حاسر ور سهل الخلق اي الطبع والسجية
والدين اذ قد بعث صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وكان خلقه القران اي كان متمسكا
باوامره ونواهيه وادابه وما اشتمل عليه من مكارم ومحاسن لين الجانب اي منقادا متواضعا ليس بفظ اي ليس
سيء الخلق وشرسه ولا خشن الجانب ولا غليظ اي ولا صحيح كريه الخلق ولا سخاب وفي رواية ولا صخوب اي صياح
مضطرب الصوت للخصام وكلاهما للمبالغة والنفي هنا وفيما ياتي متوجه الى اصل معانيها لا الى الزيادة فقط كما
مر وفي حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار وفي رواية بالصاد اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب
فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا شحا وحرصا عليها ولا فحاش اي ولا ذي فحش في اقواله وافعاله ولا مداح اي ولا يبالغ
في مدح احد وقد نهى عن الاطراء فيه فقال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فالنفي فيه متوجه الى الزيادة فقط
يتغافل عما ليس بمنكر مما لا يشتهي والا فهو لا يقر على ما نهي عنه ولا يؤيس منه بالبناء للفاعل او للمفعول على ما مر قد ترك
نفسه ولم يجعل لها حظا من ثلاث ثم بينها بدلا من كل من الرياء فلم يقصد اظهار اخلاصه له المحمود وادائها للناس ليكون
له منزلة وعظم في قلوبهم لشهادة من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به اي من راءى بعمله وسمعه للناس ليكرموه ويطعموه
ويعتقدون خيره سمع الله به يوم القيامة اي اظهر رياءه وفضحه او من سمع بعيوب الناس واذاعها اظهر الله عيوبه
او اسمعه مكروها او اراه ثواب ذلك وحرمه اياه حسرة عليه او من اراد بعمله الناس اسمعه الله اياهم وكان حظه

منه والا فلا جود لشهادة من سمع بعمله سمع الله به اسامع خلقه وحقره وصغره اي سمع الله سامع خلقه مرفوع صفة
لله اي الله سامع خلقه ليسمع به اي يفضحه ومن الاكثار مما لا يعنيه لا تعلق بامور الدنيا غير راغب فيه ممتثلا قوله
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ومن ما لا يعنيه اي ما لا يهمه قولا وفعلا وتوسعا وحب
محمدة وغير ذلك مما يجب الاعراض عنه او لا يليق وقد ذكرنا لهذا مزيد بيان في حديث الترمذي من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه في شرح الاربعين النووية وترك الناس واعدهم عن ساحة ما ينقصهم ويغض عليهم من ثلاث
ابدل منه كان لا يذم احدا بما يصغر شانه ويضع قدره ويعيبه اذ لم يكن عيابا ولا طعانا ولا فحاشا ولا بذيا ولا يعيره
بعيب سالف وقد قال من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله ولا يطلب عورته اي لا يسيء ظنه به فيتجسس ويتتبع ما
ستره الله عليه وقد قال في حديث ابي داود على المنبر يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه
لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته من باب
المشاكلة لوروده في صحبة ما قبله بمعنى كشف الله ستره ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه من ربه كالنصح والتبليغ
وانواع المبرات اذ هو كالرسل لا يسالون على ذلك اجرا لشهادة قل لا اسالكم عليه اجرا اتبعوا من لا يسالكم اجرا
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير اكراما له واحتراما وتوقيرا مع ما مر واذا سكت تكلموا
تادبا معه ومراعاة لعظيم قدره لا يتنازعون عنده الحديث اي لا يتجاذبون بينهم ومنه حديث ما لي انازع
القران في قراءتي كانهم جهروا بالقراءة وراءه في الصلاة فشغلوه لشهادة حديث الحاكم والدارقطني وغيرهما
لعلكم تقرؤون وراءي اي في الصلاة قالوا نعم لا تفعلوا الا بفاتحة الكتاب وفي رواية الا بام القران من تكلم
عنده انصتوا له جوز استعمال انصت لازما ومتعديا يقال انصت انصاتا اذا سكت سكوت مستمع
وانصته اذا اسكته ومع اللام وبدونها يقال انصته وانصت له وقال رجل لطلحة بالبصرة انشدك الله
لا نكن اول من غدر فقال انصتوني انصتوني قال جار الله هو من الانصات يتعدى بالي فحذفه اي استمعوا الي حتى
يفرغ غاية لانصاتهم لمن تكلم حديثهم حديث اولهم تشبيه حذفت اداته ووجه الشبه اي كهو في حسن تاديته
منتظما في سلك البيان تسابق معانيه الى الفهم الفاظها يضحك مما يضحكون منه اذا وقعت بينهم مؤانسة
مشتملين بشروط الادب وهذا لا ينافي قوله كانما على رؤوسهم الطير اذ كان اكثريا ويتعجب مما يتعجبون منه تطييبا
لخواطرهم واستئلافا لهم واستحبابا بالمتابعة الفاضل مفضوله في ذلك ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
الغليظ الجافي الغير اللائق لخطابه حلما منه عليه وتكرما اذ هو صلى الله عليه وسلم حليم اذ اما الحلم زين اهله
مع الحلم في عين العدو مهيب وهذا كان دابه ودينه ويقول اذا رايتم صاحب حاجة يطلبها فارفدوه اي
اعينوه على قضائها ومنه حديث اعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه اي معينة له على ادائها ولا
يطلب الثناء اي لا يقبله وبه وردت الرواية الاخرى الا من مكافئ اي مسلم يعلم حقيقة ايمانه او من مقتصد في
ثنائه غير مجاوز ولا مقصر عن شريف قدره او ممن سبقت منه صلى الله عليه وسلم له نعمة ورد بان احدا لا ينفك
عن رقبة انعامه اذ قد بعث رحمة لكافة الناس ولا يقطع على احد حديثه تفاديا من ان يدخل عليه ما يؤلمه
وينفر خاطره بل ينصت له حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء الحديث او قيام غاية لتركه قطعه وزاد الاخر كان سكوته
على اربع من الملكات على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر في الامور وما يترتب عليها
من مصالح ومفاسد دنيوية واخروية وفي الاستماع بين الناس فيما يتعلق بهم من منازعة ومخاصمة ونحوهما
يترتب عليه امر بوفاق او حكم به او مصالحة او ترك بعض دين كما في حديث البخاري فاشار اي الى ابن ابي حدرد
ان ضع الشطر واما تفكره ففي ما يبقى من فضل عظيم ونعيم مقيم محفوفا بمسرات كرام مما لا عين رات ولا اذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر اعظمها النظر الى وجه الله الكريم وفيما يفنى وبعيد في فضه وائثر الباقي عليه بشهادة حديث
الترمذي عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك
وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وجمع له الحلم والصبر على مضض ما يعتريه ويلقاه من اجلاف الناس وعنادهم
فكان لا يغضبه شي يستفزه اي يستخفه وينزعجه والحلم حبس النفس عن الانتقام والاعراض عن اظهاره وكظم
الغيظ واطفا سورة الغضب ومعنى الصبر حملها على التاني في الفعل وترك المنازعة اليه فيه اشعار بان الصابر
ربما انتقم اخر وان الحليم من يوجد له ظرفا له دفعا للاشعار وجمع له الحذر اي التيقظ والتحرز اخذه منقول
من اجله اي لاجل اخذه بالحسن واجبا ومندوبا ومباحا ليقتدى به فيه علة لاخذه به وتركه القبيح حراما
ومكروها وكذا خلاف الاولى المستفاد من اوامر الندب لينتهى عنه علة لتركه القبيح واجتهاد الراي اي بذل
تمام طاقته بما اي في او بسبب او من اجل ما اصلح امته به اذ لا وصول لهم اليه الا به صلى الله عليه وسلم واما
اجتهاد النظر اي بذل تمام ما فيه في الادلة لتحصيل الظن بالاحكام الشرعية فالصحيح جوازه له صلى الله عليه
وسلم ووقوعه بشهادة ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض عفى الله عنك لم اذنت لهم عوتب على
ابقائه اسارى بدر بالفدا وعلى اذنه لمن تخلف قصرا في تخلفهم عن غزوة تبوك ولا عتاب فيما صدر عن وحي
فيكون عن اجتهاد والصواب ان اجتهاده لا يخطي لنزاهة منصب النبوة عن الخطا في الاجتهاد والقيام لهم
باحوالهم مع القدرة على مراعاة مصالحهم بما جمع لهم من امر الدنيا والاخرة من معاش ومعاد فصل
في تفسير غريب هذا الحديث اي حديث هند وغيره ثم الغريب ما لا يكون على السنة العرب ادور ولا استعماله
بينهم اكثر ولا جاريا على قوانين اللغة وفي تفسير مشكله هو ما لم يتضح معناه فاحتيج في تحصيله الى انبعاث فكر
واتعاب روية المشذب اي البائن الطول اي المفرط فيه قد بعد عن قدر الرجال الطوال في نحافة حال من
ضمير اسم الفاعل وجي بفي لتشبيه ملابسة النحافة للطول بملابسة الطرفيه لغي وهو مثل حديث الترمذي
والبيهقي ليس بالطويل الممغط بتشديد الميم الثانية فمعجمة فمهملة اي المتناهي طولا واصله متمغط والنون
للمطاوعة قلبت ميما وادغمت وانمغط النهار اذا امتد ومغط الحبل مدده والشعر الرجل من الترجيل
وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه هو الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد اي لم يكن
شديد السبوطة والجعودة بل بينهما وروى احمد وابو داود نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الترجل
الا غبا ولعله لما ينشا عنه من كثرته من الترفه والتنعم والعقيقة في الاصل الشعر الذي يولد به يقال
عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه شاه للمساكين وسميت باسمه عقيقة كاسمي به
شعر الراس لانها منبتة اصله ازاد انه صلى الله عليه وسلم لا يفرق شعر راسه الا انه ان انفرقت من ذات كان و
نفسه فرقه والا تركه معقوصا وكان هذا في صدر الاسلام وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة
اهل الكتاب فيما لم يوحى به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم
ناصيته ثم فرق بعد ومن ثم قال النووي المختار جوازهما والفرق افضل وروي ان انفرقت عقيصته فرق
والا تركها على حالها ولم يفرقها والعقيصة فعيلة بمعنى معقوصة اي مضفورة من العقص واصله اللي
وادخال اطراف الشعر في اصوله والمشهور عقيقته ازهر اللون نيره من النور يقال انار فهو منير ونار
فهو نير اي ابيض مشرق بتلالو اذ الازهر والزهرة البياض النير وهو احسن الالوان وقيل ازهر حسن اي
بهج يسرك رويته وتقر عينا ومنه اي من ازهر بمعنى حسن زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وحسنها وبهجتها
وكثرة خيرها وهذا اي كونه ازهر نيرا اي ابيض مشرقا كما قد وصف في الحديث الاخر الذي رواه الشيخان

ليس

ب
بيض

ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع اي الخالص البياض الكريه المنظر كلون الجص والادم الاسمر
اللون سمرة شديدة ومثله اي مثل كون لونه بينهما المفاد بلا ولا في الحديث الاخر الذي رواه الدارقطني والبيهقي
ابيض مشرب اي فيه حمرة ولا معارضة بينه وبين حديث انه كان اسمر اللون لان ما برز منه للشمس كان اسمر
وما سترته ثيابه كان ابيض والحاجب الازج هو المقوس الطويل طرفه مع امتداد الوافر الشعر المحذوف
زوايده والاقنى السايل الانف المرتفع وسطه اي هو الذي انفه ممتد مع ارتفاع وسطه والاشم خلافه اذ هو الطويل
قصبة الانف اي الذي قصبة انفه طويلة مع ارتفاع ارنبته دون وسطه والقرن بالتحريك هو اتصال شعر
طرفي الحاجبين وضده اي القرن البلج اذ هو وضوح ما بينهما ووقع في حديث ام معبد كما مر وصفه صلى الله عليه
وسلم بالقرن والصحيح ما مر عن علي من وصفه بالبلج اذ هو المحمود عند العرب دون القرن وقد يجمع بينهما
بان ام معبد رأته من بعد فظنت انه اقرن لقرب طرفيهما الدقا فوصفته به وعلي حققهما من قرب فراهما كادا
يلتقيان فوصفه بالبلج والادعج من الدعج وهو السواد في العين وغيرهما وقيل هو شدة سواد العين في شدة
بياضها والمراد في الحديث هو الشديد سواد الحدقة اي العين وفي الحديث الاخر الذي رواه مسلم اشكل العين
واسجر العين هما بمعنى واحد وهو الذي في بياضها حمرة يسيرة واصل السجر بمهملة فجيم الكدرة والشكلة محمودة
محبوبة والضليع الفم عظيمه وهو ممدوح كما مر وقيل الواسع الفم والضليع العظيم الخلق الشديد القوة بشهادة
قول عمر لجني انتم ايها الجن كلكم امانت من بينهم فقال له الجني اني منهم لضليع اي الخلق وقيل العظيم الصدر الواسع
الجبين والشنب رونق الاسنان وماوها اي صفاوها وخلوصها من شوايب الكدورة وقيل الشنب في الاسنان
رقتها وتحزيزها مع صفايها كما يوجد في اسنان الشباب لانهم في زمان ازدياد قوامهم النامية واشتغال حرارتهم
الغريزية لابتهاج نضارة الاعضا وحسن رونقها وبريق ما بها والفلج محركا فرق بين الثنايا واحدها ثنية ومن
الموكد اربع ودقيق المسربة خيط الشعر اي الذي هو لدقته بقلته وطوله كالخيط الدقيق الممتد بين الصدر والسرة
فهو من التشبيه باضافة المشبه به الى المشبه بادن هو في الاصل الضخم من البدانة وهي كثرة اللحم ولم يكن صلى
الله عليه وسلم سمينا ومن ثم اردفه بقوله متماسك اي معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا فلم يكن صلى الله
عليه وسلم ضخما مثل قوله بادن متماسك في افادته اعتدال خلقه قوله في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي
والبيهقي لم يكن بالمطهم اي لم يكن بفاحش السمن او بمنتفخ الوجه ولا بمسترخي اللحم ولا بالمكلثم ولا بقصير
الحنك الداني الى الذقن مع استدارة الوجه وخفة لحمه وسوا الصدر والبطن اي مستويهما لا ينبو احدهما
عن الاخر ولا بطنه مفاضا اي ضخما ولا صدره متقاعسا اي منخفضا ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة
اي لفظة مشيح وهو من وضع الظاهر موضع المضمر تمييزا له عن المضاف اليه وانث باعتبار ما وضع موضع
ضميره فيكون من الاقبال اي مقبل الصدر وهو احد معاني اشاح ومنها عرض اي انه كان بادي الصدر ولم
يكن في صدره قعس اي تطامن وانخفاض وبه اي بكونه باديا صدره ليس به قعس يتضح قوله قبل سوا البطن
والصدر اي ليس متقاعس الصدر اي غير منخفضه ولا مفاض البطن اي ضخمه ولعل اللفظ مسيح بالسين
المهملة وفتح الميم بمعنى عريض الصدر كما وقع في الرواية الاخرى ويبصره حديث كان مسيح القدمين اي ممسوح
ظاهرهما ملساوين لينين اذا مسهما الما نبا عنهما والكراديس روس العظام وهو اي قوله والكراديس روس
العظام مثل قوله في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي والبيهقي جليل المشاش اي ضخم روس العظام كما في النهاية
كالركبتين والمرفقين والكتفين وفي الصحاح روس العظام اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتح التا وكسرها وقال
المصنف هنا المشاش روس المناكب جمع منكب وهو ما بين الكتف والعنق والكتد مجمع الكتفين وهو الكاهل

وشثن الكفين والقدمين اي غليظهما خلاف ما مر والزندان عظما الذراعين يحتمل ان يريد راسهما فيكون بمعنى
ما مر او قصبتيهما فيكون لخلافه وسائل الاطراف اي طويل الاصابع من يديه ورجليه وروي بالنون وهما بمعنى
واحد كجبريل وجبرين ثم ذكر اللام بالنون ان صحت الرواية بها واما رواية الراء فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت
الاشارة الى فخامة مفصلة ورحب الراحة اي واسعها كما مر وقيل كنى واصفه صلى الله عليه وسلم به اي بقوله
رحب الراحة عن سعة العطا والجود فاطلقه واراد لازم معناه لينتقل الذهن منه اليه كما في هو كثير الرماد
وليس المراد بالملزوم هنا عدم الانفكاك وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا ينال
الارض من وسط القدم وفي النهاية ان خمصان للمبالغة كما مر قال وسئل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان
اخمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستوي اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا ارتفع جدا فهو ذم
فيكون المعنى ان اخمصه معتدل الخمص ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا اي ولكونه املسهما قال في
الحديث السابق ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي خلاف هذا اي خلاف كون اقدمه
اخمصين اذ قال فيه اذا وطي بقدمه وطي بكلها ليس له اخمص وهذا اي يعني قوله ليس له اخمص يوافق معنى قوله
مسيح القدمين وبه اي بمسيح القدمين قالوا سمي المسيح ابن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل لا لحم عليهما وهذا
اي قوله لا لحم عليها يخالف قوله شثن القدمين عند من فسره بلحمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلها الى غلظ وقصر
وفيه انا ملهما غلظ بلا قصر فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون بلا كثرة لحم والتقلع رفع الرجل بقوة
مع تثبت في المشي بحيث لا تظهر فيه شدة مبادرة والتكفوا الى سنن المشي وقصده اي الى جهته معتدلا بدون
انحراف عنها وفي الحديث القصد القصد تبلغوا اي الزموا الامر الوسط بين الافراط والتفريط قولا وفعلا تبلغوا
مقاصدكم ونصبه على الاغراء وتكراره للتاكيد والهون هو الرفق والوقار وفي رواية كان يمشي الهوينا تصغير
الهونى تانيث الاهون وفي الادب المفرد عنه صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا اي حبا لا افراط فيه بل
قليلا بشهادة ضم ما اليه وقد مر له مزيد بيان والذريع الواسع الخطو من الذرع وهو الوسع والطاقة اي ان
مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة لقوته وشدة قوته ويمد خطوه خلاف نصب صفة لمصدر محذوف اي
يمشي مشية خلاف مشية المختال لعصمته من الاختيال والمشية بكسر الميم لانه مصدر للنوع ويقصد في مشيه
سمته اي قصده في طريقته بدون ميل عنه وكل ذلك المراعي في مشيه كان برفق وتثبت فيه دون عجلة كما قال
واصفه كانما ينحط من صبب اي من منحدر وروي كانما هوى من صبوب يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي جوانب
فمه واحدها شدق اي انما كان ذلك لسعة فمه والعرب تمادح بهذا اي بسعة الفم لكون صاحبه في الغالب
طلق اللسان فصيحه نبيه الشان رجيحه وقد كان صلى الله عليه وسلم في الذروة العليا من ذلك وتذم بصغر
الفم الا زائده او سببيه اي تذم صاحب الفم الصغير بسبب صغره ولا يعارض هذا حديث ابغضكم الي الثرثارون
المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون في الكلام بدون احتياط واحتراز والمستهزؤن بالناس بلي الشدق
وبالجانب والمتمطي تكبرا واشاح احد معانيه كما مر مال اي الى كذا اما تغافلا واظهره وانقبض مما ازعجه
واغضبه اذ المشيح هو الحذر والجاد في الامر والمقبل عليه وفي الحديث ذكر صلى الله عليه وسلم النار ثم اعرض
واشاح اي حذر منها كانه ينظر اليها او جد في الايصا باتقائها او اقبل اي مال في خطابه اليه وحب الغمام البرد
معناه على التشبيه كما مر في صفة اهل الجنة يصير طعامهم الى رشح مثل حباب المسك والحباب بالفتح الطل
الذي يصبح على الثياب ونحوها شبه به رشحهم مضافا الى المسك ليثبت له رائحة طيبة كرائحته فيرد صلى الله
عليه وسلم بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يصيد رسمه صلى الله عليه وسلم فيه نفع فتصل الخاصة اليه

الحديث المار في الفصل قبله صح

الميل صح

لقربهم

لقربهم منه فتوصل الخاصة ذلك الصادر عنه صلى الله عليه وسلم للعامة ويدخلون اي اصحابه عنده روادا اي
محتاجين اليه وطالبين لما عنده من هداية وعلم ومعروف ولا يتصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
منه ثم يكونون ادلة وهداية للناس ويشبه ان يكون ذواقهم الذي يخرجون عنه على ظاهره اي الا عن
مذوق ماكولا ومشروبا فعال بمعنى مفعول من الذوق كما مر والعتاد العدة والشي الحاضر المعد لما يقع
من الامور المهمة وفي خالد بن الوليد انكم تظلمون خالدا وقد احتبس ادراعه واعتده في سبيل الله جمع قلة
لعتاد وهو ما يعد من سلاح وغيره من آلة الحرب وفي رواية وعبيده بدل ادراعه وفي اخرى واعبده
ع جمع قلة لعبد وعن الدارقطني ان ابن حنبل خطا رواية علي بن حفص واعتاده وانما يقال اعتدي والادرا
جمع قلة لدرع وهي الزردية وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك اخبارا بان خالدا لا زكاة عليه اذ طولب
بزكاة الادراع والاعتد ردفعا لظن كونها للتجارة بحبسه اياها في سبيل الله او اعتذارا ودفعا فانه اذا
كان قد حبسها فيه تبرعا وتقربا الى الله فكيف يرتكب منع الزكاة والموازرة المعاونة من الوزر وهو في الاصل
الحمل والثقل وكثيرا ما يراد به في الحديث الذنب والاثم يقال وزر يزر فهو وازر اذا حمل ما يثقل ظهره من ذنوب
وغيرها وجمعه اوزار وفي حديث السقيفة نحن الامرا وانتم الوزرا جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل
عنه ما حمله من الاثقال ويلتجي في الامر اليه راياو تدبيرا لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما
يصلي فيه وقد ورد نهيه عن هذا اي عن ايطان الاماكن في المساجد مفسرا في غير هذا الحديث كحديث
الحاكم وغيره السابق وفي حديث في صفته صلى الله عليه وسلم كان لا يواطن الاماكن وقد نهى ايضا عن
ايطان المساجد اي عن اتخاذها وطنا وصابره اي حبس نفسه صلى الله عليه وسلم على ما يريد صاحبه مما هو
بصدده حتى ينجزه له وفي الحديث لا احد اصبر على الاذى يسمعه من الله اي هو اشد حلما عن فاعله وتركا لمعاقبته
عليه ولا تؤبن فيه اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم الحرم اي لا يذكرون فيه بسوء لصيانة مجلسه عن رفث القول
وفي الحديث انه نهى عن الشعر اذا ابنت فيه النساء وفي حديث الافك اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي اي اتهموها
من الابن وهو التهمة ولا تنثى فلتاته بتقديم النون على المثلثة اي لا تحفظ زلات مجلسه وتحدث بها اي لم تكن
فيه فلتة من احد وان كانت قد صدرت من احد سترت عليه فهو من نفي الشي بنفي لازمه ويرفدون اي يعينون الضعيف
والمحتاج في حصول ما حاجته والسحاب الكثير الصياح فالنفي فيه متوجه الى اصل السخب لا الى الزيادة المفادة
من المبالغة على ما مر ولا يقبل الثناء الا من مكافي استثناء مفرغ من عام اي لا يقبل من احد قيل الا من مقتصد في ثنا
ومدحه غير متجاوز ولا مقتصر وقيل الا من مسلم حقيقي لا ظاهري وقيل الا من مكافي على يد اي نعمة سبقت وكثير
ما تطلق عليها مجازا مرسلا لعلاقة غير المشابهة من صدور هاعنها من النبي صلى الله عليه وسلم ويستفزه اي لا
يستخفه شي لكمال عقله وجودة فطنته وفي حديث اخر رواه مسلم في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب
من النهس وهو اخذ اللحم بالاسنان اي قليل لحمها كانه نهس وفي رواية منهوس الكعبين وفي اخرى القدمين اهدب
الاشفار جمع شفر وهو حرف جفن العين اي طويل شعرها وعن الشعبي كانوا لا يوقتون في الشفر شيا اي لا
يوجبون فيه شيا مقدرا وهو مخالف للاجماع على وجوب الدية في الاجفان الباب الثالث
من القسم الاول فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها صحيحا او غيره فليس من عطف الخاص على العام وان
زعم ودعوي ان كل مشهور صحيح ترد ها قول الا لفيه وكل قد رواه الصحيح والضعيف بعظيم قدره متعلق
بورد والباء للتعدية اذ كل ناصر تعدي لها او بالالفا او التضعيف او هي للحال كما قال الزجاج في تنبت
بالدهن اي ورد متكفلا مستصحبا بيان قدره العظيم عند ربه ورفيع منزلته وفي ما خص به في الدارين

ع

نه

الاولي والاخري من كراماته بيان لما لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر لشهادة حديث الترمذي والدارمي
انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر ولا خلاف انه سيد ولد ادم لشهادة حديث الترمذي انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر
وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يوميذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر ولا
خلاف انه افضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفي الاحاديث وردت بذلك واعلم خطاب عام
لكل من ياتي توجيهه اليه وما بعد اعلم سد مسد مفعوليه ان الاحاديث الواردة في ذلك من عظيم قدره
ورفيع منزلته وخصوصيته في الدارين بكرامته كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها اي من الاحاديث الكثيرة جدا
على صحيحها ومنتشرها من عطف العام على بعض افراده وحصرنا معاني ما ورد منها ضمن الفاظها لكونها اعراضا
لا تقوم بنفسها في اثني عشر فصلا تمييز النوع توهم كونها ابوابا الفصل الاول فيما ورد من الاخبار الجيا
بذكر مكانته وشاهد ابتنو بها له عند ربه والاصطفا اللام فيه بدل من الضمير اي وبذكر اصطفا افتعال
من الصفوة على ما مر ورفعة الذكر اللام فيه كذلك اي رفعة ذكره بقرنه بذكر الله في كلمة الشهادة وغيرها وفي
تسميته كنبي الله ورسول الله وحبيب الله وقد زعم ان المصدر اعني رفعة مضاف الى الفاعل وليس بشي
والتفضيل لانه ايضا كذلك وسيادة ولد ادم اي وفيما ورد موذنا بتفضيله على غيره وبسيادته ولد ادم
وادم ايضا بشهادة انا سيد الاولين والاخرين وفي ما خصه الله تعالى به في الدنيا من مزايا الرتب جمع مزية
تميز بها على غيره وفيما خصه به من بركة اسمه الطيب الفايضة على محبيه وقد اسند هنا حديث ابن عباس الذي
رواه الطبراني والبيهقي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق من الثقلين قسمين فاضلا وافضل
او شقي وسعيد فجعلني من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة بذلك اي جعلهم قسمين يوذن به قوله واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين اي السعادة في انواع من النعيم المقيم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال الشقاوة في انواع
من العذاب فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين لشهادة ما ذكر سابقا ولاحقا بتفضيله على كل خلقه ثم
جعل القسمين اثلاثا متفاوتين شقاوة وسعادة فجعلني في خيرها ثلثا وذلك اي جعلها اثلاثا يوذن به قوله
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اي المنزلة السعيدة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة اي المنزلة الشقية
والسابقون السابقون اي هم الذين عرف حالهم وما لهم لسبقهم الى حيازة الشرف والكمالات هذا والجملتان
الاستفهاميتين في القسمين والثالثة خبران لما قبلهما فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث
قبايل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك اي جعلها قبايل يوذن به قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا علة
لجعلهم ذلك اي من اجل ان يعرف بعضكم بعضا والشعب جمع عظيم ينتسب الى اصل واحد وهو يجمع القبايل والقبايل
تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة
وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة ولما لم يكن في الاية ما يوذن بشرف القبيلة في نفسها وكان
شرف العبد بتقواه بشهادة ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال صلى الله عليه وسلم فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله
ولا فخر حال موكدة اي اقول هذا غير مفتخر بعظم مباهاة وحسن بمدح نفسه اما للامتثال لامر الله بقوله
واما بنعمة ربك فحدث وينصره قوله حكاية عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم او لكونه مما يجب
بيانه لجري على موجبه من توقيره واحترامه واخبارا بما اكرمه به من الفضل والسودد ومن ثم اتبعه بقوله
ولا فخر اي الذي نلته انما هو كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي اي لي ان افتخر بها وذلك لتزاهته
عما يورث كبرا وعجبا فهو الاتقي والاكرم هذا وبالتقوي كمال النفوس وتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا
فليتق الله كما قال عيسى من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال انما الناس رجلان مومن تقي فهو كريم على الله

وفاجر

وفاجر شقي فهو هين على الله ثم جعل القبايل بيوتا متفاوتة في الشرف فجعلني من خيرها اي من اشرفها بيتا فذلك اي
جعله من خيرها بيتا يوذن به على طريقة الاقتباس هنا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لاعراضكم
اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم من المعاصي تطهيرا وقد استعار اسم الرجس للمعصية لشبهها به
استعارة تحقيقية قرنها بالتطهير ترشيحا وتنفيرا عن اقترافها الذنوب الملوثة للاعراض وخصص الشيعة اهل البيت
بفاطمة وعلي وابنيهما بحديث ادخالهم في كسايه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت واحتجاجهم
به على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لمنافاة التخصيص ما قبل الاية وبعدها والحديث قاض بانهم اهل
البيت لا بانه ليس غيرهم وروى الترمذي وصححه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة قال
قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة اي في اي زمان ثبتت لك قال وادم بين الروح والجسد جملة حالية
وردت جوابا لمتى وجبت اي وجبت لي في الحالة التي كان ادم فيها على الارض من اجل تصويره واجرا الروح فيه وهذا
الحديث موذن بان الغايات والكمالات سابقة تقدما لاحقة وجودا وبه ظهر ان القول بان السوال بمتى يقتضي
سبق الوجود اذ بها يسال عن الزمان ويلزم منه سبقه صلى الله عليه وسلم على ادم وجودا ليس بشي اذ المسوول
عنه بها زمان وجوبها له بمعنى تقديرها او كتابتها له بشهادة اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان
ادم لمنجدل في طينته وروى مسلم وغيره عن واثلة بن الاسقع ان الله اصطفى من ولد ادم ابراهيم واصطفى
من ولد ابراهيم اسمعيل الحديث انما اعاده هنا لزيادة صدره ومن حديث انس الذي رواه الترمذي انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا احبسوا وانا
مبشرهم اذا اكرموا الكرامة والمفاتيح بيدي ولوا الحمد يوميذ بيدي وانا اكرم ولد ادم ولا فخر زاد الدارمي
يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لولو منثور ومن حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي والدارمي
جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال
اخر وكلم الله موسى تكليما وقال اخر عيسى كلمة الله وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فقال
قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كلمته وهو كذلك وادم اصطفاه
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المهاجرين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وروى البيهقي وابو نعيم والطبراني عن عايشة
اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها اي فتشتها مجتهدا فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله عليه
وسلم عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة تنبيها على كثرة صفاته الحميدة وسماته المجيدة ولم ار بني
اب افضل من بني هاشم فانهم صفوة قريش صفوة بني اسماعيل صفوة العرب صفوة الخلق الشاهد به ما مر من الاحاديث
وعن انس بن مالك اتي صلى الله عليه وسلم بالبراق ليلة اسري به الحديث تقدم لفظا ومعنى وفيه فقال له جبريل
ابمحمد تفعل هذا استفهام انكاري بمعنى النفي وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة في تعظيمه
صلى الله عليه وسلم فما ركبك احد اكرم على الله منه هذا بظاهره قاض بان غيره ركبه على ما مر فارفض عرقا
مميز للنسبة ارفض اي سال عرقه من شدة ما اعتراه من الهيبة وروى ابن ابي عمر العدني عن ابن عباس لما
خلق الله ادم اهبطني من الجنة في صلبه حال من ضمير اهبطني الى الارض ولم يزل ينقلني من صلب كريم الى رحم طاهر
حتى جعلني في صلب نوح في السفينة ولم يزل ينقلني كذلك حتى قذف بي في النار في صلب ابراهيم حيث القاه
نمرود فيها ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة جمع صلب وهو مقر المني من الرجل الى الارحام الطاهرة جمع
رحم وهو هنا مقر الولد من المراة حتى اخرجني غاية لتنقلته الى ما ذكر من ابوي هما عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم

ابن عبد مناف ابن قصي بن كلاب لم يلتقيا على سفاح اي زنا قط تاكيد لنفي التقائهما على سفاح وَاليه اي الى نفي الالتقا اشار العباس بن عبد المطلب فيما رواه ابو بكر الشافعي وَالطبراني عن خريم بن اوس بن حارثة بقوله من المنسرح وعروضه وضربه مطويان وبعض اجزايه صدرا وعجزا وحشو من قبلها اي الدنيا او النبوة او الولادة لدلالة الكلام عليه حيث لم يجر له ذكر كما في حتى توارت بالحجاب كل من عليها فان انا انزلناه طبت في الظلال في الجنة وطبت في مستودع من صلب ادم حيث اي بمكان فيه خصف الورق اي يضم بعضه الى بعض وتلزق ورقه فوق ورقة وهذا تلميح بقصة آدم وحوى حيث اكلا من الشجرة فبدت لهما سواتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ثم هبطت البلاد اي من الجنة الى الدنيا في صلب ادم لا بشر انت ولا مضغة ولا علق اي لم تكن واحدا منها بل نزلت وانت في صلبه نطفة ثم صرت الى نوح ثم تركب السفين في صلبه وقد الجم نسرا واهله الغرق بما الطوفان ونسر صنم واهله هم الذين كانوا يعبدونه من قوم نوح ثم صار لذي الكلاع من حمير وود لكلب بدومة الكلب وسواع لهذيل بساحل البحر ويعوق لغطيف من مراد ويغوث لهمدان تنقل من صالب بكسر اللام وفتحها وهو قليل الاستعمال اي من صلب كريم الى رحم طاهر اذا مضى عالم بدا طبق اي انقرض قرن ظهر قرن اخر وسمي طبقا لانهم طبق الارض اي ملاوها وفي الحديث قريش الكتبة الحسبة ملح هذه الامة علم عالمها طبق الارض وفي رواية علم عالم قريش طبق الارض وفي اخرى قال علي يوم حنين سمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا تاموا قريشا وائتموا بها ولا تقدموها وقدموها ولا تعلموا قريشا وتعلموا منها فان امانة الامين منهم تعدل امانة الامينين من غيرهم وان علم عالم قريش يسع طباق الارض وكفاك هذه الاحاديث شهودا صدقا لتقدم قريش عموما وللشافعي خصوصا اذ لم ير منهم من ملا علمه طباق الارض بشهادة قول الامام احمد بن حنبل وابي نعيم عبد الملك بن محمد الفقيه قوله صلى الله عليه وسلم عالم قريش يملا الارض علما مؤذن بانه عالم من قريش ظهر علمه وانتشر وكتبت كتبه وقريت في الافاق وحكم به في الحلال والحرام ولا نعلم قرشيا بهذه الصفة وان كان منهم علما الا الشافعي فانه صنف الكتب وشرح الاصول والفروع ووعت القلوب كلامه وما ازداد على مرور الايام الا حسنا وبيانا وبلغ حدا او رث المتولي لهذه الروايات انه المراد بها كيف وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ومن آله الذين حرم عليهم الزكاة بشهادة حديث البخاري نحن وبنو المطلب شيء واحد ان هذه الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد فانه محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السايب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فيه فانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فالمطلب جد الشافعي اخو عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم صغير الموت ابيه واليه نسب وبه عرف ولعبد مناف ابنان اخران عبد شمس منه عثمان ابن عفان وجماعته ونوفل منه جبير بن مطعم وجماعته وكانا فريقا وَاولئك فريقا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب شيء واحد لم نفترق جاهلية ولا اسلاما فالمطلب وهاشم اخذا الفهما الرحلة في الصيف الى الشام وعبد شمس ونوفل اخذا الرحلة في الشتا الى اليمن وما يليها وقد امتن الله عليهم بذلك في لايلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل واهله من اجل ذلك الايلاف حتى غاية لما دل عليه البيت قبله اي منتقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى بيتك مرفوع بالفعل قبله المهيمن صفته من خندف لقب ليلى امراة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان عليا مفعول احتوى تحتها وفي نسخة دونها النطق جمع نطاق وهو اوساط جبال بعضها فوق بعض شبهها بالنطق التي يشد الناس بها اوساطهم وضربه مثلا له في ارتفاعه وشرفه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه اي حتى احتوى شرفه

الشاهد بفضلك اعلا مراتب من عليا شرف نسب خندف التي تحتها النطق وروى ابو ذر وعنه احمد والبيهقي والبزار وابن عمر وعند الطبراني وابو نعيم وابن عباس وعنه احمد وابن ابي شيبة والبزار وابو هريرة وعنه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا اي خصالا او شيئا وتانيثه لكون تذكيره غير حقيقي وفي بعضها ستا رواها مسلم عن ابي هريرة بلفظ فضلت على الانبيا بست وليس باختلاف تضاد بل اختلاف زمان اعطي اولا خمسا فحدث لها ثم زيد السادسة فحدث بست لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب اي الفزع والخوف بقذف الله اياه في قلوب من كان بيني وبينهم مسيرة شهر هابه وفزع منه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا اي ابيح لي ولامتي الصلاة في اي مكان منها وابيح لنا التيمم بترابها تخفيفا وتيسيرا وحرمها اهل الكتاب اذ لم يبح لهم تيمم بترابها ولا صلاة الا في كنايسهم وبيعهم فايما رجل ادركته الصلاة فليصل في اي مكان شاء منها وفي رواية فايما رجل وما مزيدة فيهما واحلت لي الغنايم جمع غنيمة وهي ما حصل من اهل الحرب بقتال وايجاف خيل وركاب ولم تحل لنبي قبلي نبي نكرة وردت في حيز النفي فافادت استغراق كل نبي منهم اذ لا منافاة بينهما لان ما يفيده من نفي وتعريف انما يدخل على المفرد مجردا عن الوحدة فهو بمعنى كل فرد فرد لا بمعنى مجموعها فاستغراقه اشمل من استغراق الجمع بشهادة قيام الجنسية في وحدانه فلا يخرج منه شيء دون الجمع فانها قايمة بما فيه من وحدانه فيخرج منه واحد واثنان ومن ثم صح لا رجال في الدار اذا كان فيها رجل او رجلان الا بقرينة وصحة لا رجال فيها اذا كان فيها ذلك وبعثت الى الناس اي والجن كافة اكتفا باحد ضديه عن الاخر على ما مر واعطيت الشفاعة اي العظمى لفصل القضا بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا وله شفاعات اخرى لم يعطها غيره يانى بعضها وتقدم بعضها وقد اودعتها شرحي كافي مقاصد المقاصد ودرر القلايد وفي رواية في حديث ابي ذر بدل هذه الكلمات اي بدل اعطيت الشفاعة وقيل لي سل تعطه تشريفا وتكريما وحذف همزة اسال تخفيفا وفي رواية اخرى للبزار والبيهقي وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع منهم في الخير والشر من المتبوع وفي رواية في حديث ابي ذر بعثت الى الاحمر والاسود قيل كما تقدم السواد العرب لان الغالب الوانهم الادمة اي السمرة الشديدة فهم من السود والحمر العجم لان الغالب على الوانهم الشقرة مع البياض وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس لظهور ابشارهم والسود الجن لاختفايهم عن العيون وفي الحديث الاخر الذي رواه الشيخان نصرت بالرعب اي بالخوف والفزع على ما مر واوتيت بالبنا للمفعول اي اعطاني الله جوامع الكلم للمعاني الكثيرة في الفاظ قليلة وبينا ظرف كبينما وما في معنى المفاجاة يضاف الى جملة اسمية او فعلية ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى وعن الاصمعي الافصح ان لا يقترن باذ واذا مع وروده بهما كثيرا بشهادة بينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي هي جمع مفتاح وهو في الاصل ما يتوصل به الى اخراج مغلق عليه يتعذر الوصول اليه فاخبر صلى الله عليه وسلم انه اوتي مفاتيحها وهو ما سهل الله له ولامته من فتح البلاد المتعذرة واخراج الكنوز الممتنعة اذ من كان بيده مفاتيح شيء سهل الله تعالى عليه الوصول اليه ومنه حديث اوتيت مفاتيح الكلم وفي رواية مفاتح الكلم جمع مفتح اراد ما يسره الله له من البلاغة والوصول الى غوامض المعاني وبدايع الحكم ومحاسن العبارات والالفاظ مما اغلق على غيره فلم يتنبه له غيره وفي رواية رواها مسلم عنه اي عن ابي هريرة وختم بي النبيون فلم يبعث بعده احد وروى الشيخان عن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم قال انا فرطكم من فرط يفرط اذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الما ويهي لهم الدلا والارشية اي انا متقدمكم فرط صدق لكم وانا شهيد عليكم اي يوم القيمة قال تعالى ويكون الرسول شهيدا عليكم بانه بلغكم فهو يدل على قبول شهادته لنفسه لعصمته او بطاعة من اطاعه وعصيان

دا

من عصاه واني والله لانظر الى حوضي الآن اكد الجملة باسمية وبان والقسم تنبيها على تحقيق نظره اليه وارشا
الى استحباب القسم في الامر المهم سيما الامور الغايبة واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض اشارة الى ما
يسر الله عليه وعلى امته من فتح بلاد العرب والعجم واخراج كنوزهم مع شدة شكيمتهم وكثرة عددهم وعددهم
وفي سيرة الكلاعي ان رستم امير جيش يزدجرد راى في منامه وقد جاسهم سعد ابن ابي وقاص من قبل عمر
لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السما فاخذ جميع سلاحهم واعطاها للنبي صلى الله عليه وسلم فاعطاها لعمر
فكان الفتح والغنيمة التي يكاد تفوت الحصر واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي اكده لانه علما
منه صلى الله عليه وسلم بثبوت ايمانهم وتبشير لهم بانهم لا يرتدون بعده اما بوحي او بما ظهر له من رسوخه
بمخالطة بشاشته قلوبهم ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها اي في الدنيا اذ من شان الانسان وجبلته
حبها والتنافس فرع من المنافسة وهي الرغبة في الشي والانفراد به حتى ينفس به بكسر الفا اي يبخل
واما بضمها فبمعنى صار مرغوبا فيه وحذفت احدى تاي تتنافسوا تخفيفا وروى احمد بسند حسن عن ابن
عمر حديث انا محمد النبي الامي اي على اصل ولادتي وجبلتي الاولى لا اكتب ولا اقرا وكفاك بهذا دليلا على كمال
علمه لا نبي بعدي اذ قد ختم به النبيون اوتيت جميع الكلم وخواتمه اي اعطي ملكة تقتدر بها على ايجاز الكلام مع اتساع
المعنى بنظم لطيف بينا لا تعقيد به يعثر الفكر في طلبه ولا التواء يحير الذهن في فهمه فما من لفظة يسبق نظمها
الى اذنك الا ومعناها اسبق الى فهمك واردا على احسن ختام وابلغ تمام وعلمت خزنة النار وحملة العرش
من الملئكة اذ قد علمه الله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما وروى احمد بسند حسن عن ابن عمر بعثت بين
يدي الساعة مستعار مما بين جهتي يدي الانسان تلويحا بقربها وهي في الاصل تطلق على جزء قليل من نهار
او ليل وعلى جزء من اربعة وعشرين جزءا هو مجموع الليل والنهار ثم استعيرا اسما ليوم القيمة اعني الوقت الذي
تقوم فيه وهو ساعة خفيفة امر عظيم لقلته سمي ساعة ومن حديث سمي في الاسرا رواه البيهقي قال الله — يحدث فيها
سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا لشهادة واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
لشهادة وكلم الله موسى تكليما واصطفيت نوحا لشهادة ان الله اصطفى ادم ونوحا واعطيت سليمان ملكا لا
ينبغي لاحد من بعده لشهادة فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب الاية فقال له صلى الله عليه وسلم
ما اعطيت خير من ذلك سندا وخبرا اعطيتك الكوثر فوعل من الكثرة فواوه زايدة قال في النهاية هو نهر
في الجنة ومعناه الخير الكثير وجا في التفسير انه القران والنبوة ويقال للكثير العطا كوثر وجعلت اسمك مع اسمي
اي في كلمة الشهادة ينادى به في جوف السما في اوقات الاذان وجعلت الارض اي ترابها طهورا لك ولامتك تيمموا
به عند العجز عن استعمال الما واصل التيمم لغة القصد تعمدا وتوخيا ثم كثر استعماله حتى صار علما لمسح الوجه
واليدين بالتراب وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه فانت
تمشي بين الناس مغفورا لك حال من الضمير قبله والمشي والظرف بعده ليسا قيدين لكونه مغفورا له وكانه قيل
فانت مغفور لك ولم اصنع ذلك اي غفران ما تقدم منه وما تاخر لاحد قبلك لعله من غير الانبيا والا فهم
كذلك او غفران لا يشوبه خوف معاتبة بشهادة حديث فياتون نوحا فيقولون الا تشفع لنا فيقول نفسي نفسي
لست لها الحديث وجعلت قلوب امتك مصاحفها المعنى على تشبيه قلوبها بمصاحفها بجامع الحفظ فكما ان المصاحف
مكتوب فيها القران باشكال الكتابة والحروف الدالة عليه حفظا له من النسيان فكذا هو في قلوبها محفوظة
بالفاظه محليه وخبات لك شفاعتك اي ادخرتها عندي وهي الشفاعة العظمى لفصل القضاء حين تفزع الناس
للانبيا فيقول كل نفسي نفسي لست لها فياتونه صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم ولم اعطها نبيا غيرك وقد

خصه

خصه لشفاعات اخر ذكرتها فيما مضى في شرح منظومتي درر الفلايد وفي حديث اخر رواه حذيفة كما في تاريخ ابن
عساكر بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة من امتي سبعون الفا ليس عليهم حساب كرما منه وفضلا فله الحمد عدد خلقه ورضى
نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ومنتهى رحمته ومبلغ رضاه حتى يرضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى
واعطاني ان لا تجوع امتي جوعا شديدا جدا بحيث تهلكوا ولا تغلب بعدو يستاصل شافتهم لشهادة حديث — يستبيح بيضتهم
اني سالت ربي لامتي ان لا تهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليها عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم الحديث واعطا — في
النصر اي الاعانة على الاعدا والعزة اي القوة والشدة والغلبة عليهم من عز يعز بالفتح اي قوي واشتد وبالكسر — بيضتهم
اي صار عزيزا والرعب للاعدا اي الفزع والخوف يسعى بين يدي امتي شهرا حتى يقذفه الله في قلوب اعدايهم
فاذا كان بينهما ذلك هابوهم وفزعوا وطيب لي ولامتي احل لنا المغانم جمع مغنم والغنايم جمع غنيمة وهو ما اخذه
المسلمون من اموال اهل الحرب بايجاف خيل وركاب واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا فلم يكلفنا به كقتل الا — نفس
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال لزكاة وذلك كله تفضل منه تعالى علينا
لعجزنا وضعفنا بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم ذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا وفي قوله لنا تعظيم من حيث
عدوله الى ضمير الجمع وادخال نفسه الزكية في امته ولم يجعل علينا في الدين من حرج اي ضيق اشارة الى الرخصة
في ترك بعض ما كلفنا به لعذر كالتيمم والقصر والافطار لشهادة حديث ما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم او
الى انه لا مانع لنا عن الاتيان به ولا عذر لنا في تركه وروى الشيخان عن ابي هريرة ما من نبي من الانبيا من الاولى زايدة
تزاد بعد النفي والثانية تبعيضية الا وقد اعطي من الايات ما مفعول ثان لاعطي اما موصولة صلته ما بعده
من مبتدا وخبر اعني جملة مثله امن عليه البشر وعايده الضمير في مثله ورابط الجملة ضمير عليه او نكرة موصوفة
بها اي ليس نبي منهم غالبا الا وقد اعطاه الله من المعجزات الشاهدة بنبوته الشي او شيا اذا شوهد اضطر شاهده
الى الايمان به فلكل نبي خص من خوارق العادات بما يثبت دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه
انقطعت معجزته كقلب العصا حية واخراج اليد البيضا في زمن موسى لان الغلبة فيه كانت بالسحرة
فاتاهم بما فوق ذلك وفي زمن سليمان الملك فاتاهم بملك لم ينله غيره وفي زمن عيسى بالطب فاتاهم
بما هو اظهر منه اعني احيا الموتى وابرا الاكمه والاصل عدم دخول الواو بعد الا كما وانما كان الذي اوتيت
اي اعظمه وانفعه اذ كان له معجزات كثيرة وحيا هو البالغ اقصى غاية الاعجاز نظما ومعنى اوحى الله الي فهو
اكثر فايدة واعم نفعا مما سواه من المعجزات لاشتماله على حجج قاطعة وبراهين ساطعة مستمرا في كل زمان ينتفع
به الى يوم القيمة ومن ثم رتب عليه فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة بالاهتدا بهديه والانقياد لامره
ونهيه اذ هو الاية الكبرى والنعمة العظمى معنى هذا اي ما ذكر من انما كان الى نحوه عند المحققين كما اشرنا اليه
بقا معجزته يعني القران ما بقيت الدنيا اي مدة بقايها وساير معجزات الانبيا ذهبت للحين اي عقب وقوعها
ولم يشاهدها الا الحاضر لها حال معاينتها ومعجزة القران الاضافة بيانية اي القران الذي هو معجزة
باقية دون كل معجزة على وجه كل زمان يقف عليها عيانا اي معاينة لاخبار القرون بعد قرن الى يوم القيمة وسيا — تي
لهذا مزيد بيان اخر باب المعجزات وروى ابن ماجه والترمذي وحسنه عن علي كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته
اي فاضلا نفيسا في نوعه واعطي نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار ولفظ التر — مذي
قلنا من هم قال انا وابناي وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وابن مسعود
ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة واباذر والمقداد وروى قال صلى الله عليه وسلم — الشيخان
ان الله قد حبس عن مكة الفيل اسمه محمود جا به ابرهة الحبشي في جيشه لخراب البيت فاهلكهم الله بطير ابابيل

ترميهم بحجارة من سجيل وسلط عليها رسوله والمومنين ففتحوها سنة عشرة من الهجرة وانها لا تحل لاحد من بعدي
التفات من الغيبة الى التكلم وجوزان لا يكون التفاتا بتقدير سلطني عليها فوضع رسوله موضعه تجريدا وانما احلت
لي ساعة من نهار جواب عن مقدر وهو ان يقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم احل القتال لنفسه يوم الفتح
فاجاب بانها لم تحل له الا ساعة مع قوله فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له الحديث
وروى احمد عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عند الله وفي رواية اني
عبد الله مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته الواو مع ما بعدها في محل نصب على الحال من مكتوب اي
كتبت خاتمهم في الحالة التي ادم مطروح فيها على الجدالة اي الارض الصلبة وفي طينته خبر ثان لان من قولهم طانه الله
على طينتك اي خلقتك وليس متعلقا بمنجدل لفساده بان لزوم كون المنجدل مظروفا في طينته وكفاك به شاهدا
بان الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقه في الوجود وساخبركم باول امري اوباول نبوتي وبعثتي هو دعوة
ابراهيم ولهاكم وغيره وسانبئكم بتاويل ذلك هو دعوة ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية وبشارة عيسى بما
حكى الله عنه ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد زاد الحاكم ورويا امي التي رات انه خرج من فرجها نور اضاءت
له قصور الشام من رواية ابي اليمان ثنا ابو بكر بن ابي مريم عن سعيد بن سويد عن العرباض وصححه وقال
الذهبي ابو بكر ضعيف وروى البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم عن ابن عباس ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على اهل السما وعلى الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله قال ومن يقل منهم
اي من اهل السما اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم تهديدا لمن اشرك منهم وتفظيعا لامر الشرك وتعظيما
لشان التوحيد او تهديدا للمشركين بتهديد مدعي النبوه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتكريما
انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد له صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وجي به ماضيا لتحققه على ما مر قالوا فما فضله
على الانبيا قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغه قومه الذين هو منهم وارسل اليهم خاصة
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لا تخرج
منها احد منهم على ما مر وذلك تلويح بفضله عليهم وروى ابن اسحق عن خالد بن معدان ووصله احمد والدارمي
قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال نعم اي اخبركم باول ما ظهر من نبوتي على اللسان انا ابراهيم وغيره
انا دعوة ابراهيم يعني قوله تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة المذكوره
قبل في الاية رسولا منهم ولم يبعث فيها من ذريته غيره صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما وبشرى
عيسى اذ قال يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ورات امي حين حملت بي
وفي رواية حين وضعتني فيكون رويا هاذلك مرتين ثم يحتمل ان يكون رويا منام او يقظه فالمري يحذ وفد له
عليه قوله انه خرج منها نور اضاله قصور بصرى بضم البا مدينة بحوران من ارض الشام وهو اول مدينه
فتحت صلحا به في ربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة وردها صلى الله عليه وسلم مرتين واسترضعت
في بني سعد بن ابي بكر فبينا ظرف لمتوسط في زمان او مكان بحسب المضاف اليه ويقتضي تعدده كحيث بين العشاء
وجلست بين القوم فيمتنع عطف غير المتعدد بالفا كجلست بين زيد فبكر لافادتها جلوسه بين زيد فقط
خلاف الواو ونحوان قصد اضافته الى اوقات مضافة الى الجملة حذفت الاوقات وعوض الالف كبينما انا مع
اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما بهي ولد الضان والمعز مجتمعه والاولاد المعز تسمى سخالا كولد الضان بهما حال الانفراد
كل الكل اذ جانا رجلان اي انا مع اخي بين اوقات كوننا خلف بيوتنا نرعى فاجانا بجيئهما فاذا ظرف للمفاجاة وترجوابا
لبينا لتضمنها معنى الشرط وبين العامل في بينا حذر من بقا بلا عامل ظاهر لاضافتها الى ما بعدها والمضاف اليه

لا يعمل فيما قبله ومن ثم وجب تقديره واذا في جوابهما عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست بفتح
الطا واسكان المهملة اناء معروف من ذهب مملوة ثلجا خصه دون غيره مبالغة في تطهير قلبه لكونه على خلقته لم
يستعمل ولم تتداوله الايدي ولم تخصه الارجل كغيره من المياه المخالطة للتراب وغيره فهو احق ان يطهر به فاخذاني
او اخذ وني فشقا بطني او شقوه وقال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني بفتح ميم مشدده لا واحد له من
لفظه وميمه زايده اي من اعلا صدري الى مارق من بطني ولان ثم استخرجا اي اخرجا او اخرجوا منه قلبي فشقا
فاستخرجا منه علقة اي قطعة دم منعقدة سودا فطرحاها وفي رواية وقالا هذا حظ الشيطان منك لخلق الله
اياها في قلوب النوع البشري قابلة لما يلقيه فيها فازيلت من قلبه فلم يبق فيه قابل لما يلقيه وان لم يكن له فيه صلى الله
عليه وسلم حظ قط ولا له عليه ولا على غيره من الانبيا سبيل وانما قالا ذلك لانه امر جبلي في نوع الانسان لا يلزم من
وجوده قبول الالقا وايجاده فيه صلى الله عليه وسلم مع امكان عدمه لانه من جملة الاجزا الانسانيه فخلقه فيه
تكميل للخلق الانساني ونزعه منه امر رباني طرا بعده ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج المذكور انفا حتى انقياه
غاية لغسلهما قال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر ثم تناول احدهما شيا فاذا بخاتم في يده من نور يحار اي يتحير
الناظر دونه فلا يدري كيف يهتدي الى معرفته حقيقته فختم به قلبي فلا يصل اليه ما لا يليق بجلال جنابه فامتلا
ايمانا وحكمة اي علما وفهما وقضا بالعدل ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق بكسر الميم مع فتح الراو بفتحهما
مع كسرها صدري فالتام وفي رواية رواها الدارمي وابو نعيم في الدلايل ان جبريل قال قلت وكيع اي مشدد به
متين محكم واع فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني
بهم فوزنتهم لما منحه من المزايا السنيه والمنح الالهيه ثم قال زنه بمايه الى ان قال فلو وزنته بامته لوزنها لما قلنا
لا لتقل حينئذ ثم قال في الحديث الاخر لعله حديث ثلاثة رجال بزيادة قوله ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني اي اعلا حاجبيه من الجبهة ثم قالوا يا حبيب لم ترع بضم اوله وفتح ثانيه اي لا تفزع لانك لو تدري
ما يراد بك من الخير الذي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لقرت عيناك اي لطابت نفسك
وسكنت ورفعت عنك ما يحزنك وهو اما من القرار بمعنى ان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه فلا
تنظر غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل قرة العين لما يحب وسخنتها
لما يكره وفي بقية هذا الحديث اي حديث ثم ضموني من بيانه لبقيته قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك معية
حفظ وحراسة وعلم لا معية اجتماع تعالى الله عن ذلك وملايكته معك قال صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر الذي
رواه الدارمي فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر الذي اكرمه الله به مما يتعلق به خاصة وامته عامة
معاينة تنزيلا لما يدرك بالبصيرة منزلة ما يدرك بالبصر والفا ان للتعقيب بلا مهلة وحكى ابو محمد مكي
وابو الليث السمرقندي بسكون الراو غيرهما ان ادم عند معصيته التي اخرج من الجنة الى الدنيا بسببها قال
كما رواه البيهقي والطبراني من حديث عمر بسند ضعيف اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال
له الله من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله الا اله وضع للمعبود بحق ومفهومه
كلي يقتضي كثرة متوهمه استثنى منه المعبود بالحق الجدير بتفرده بالالهية اي لا اله معبود بالحق الا الواحد الذي
يحق له العبادة لتفرده بالوحدانيه وتقدم لهذا مزيد بيان محمد رسول الله ويروى بدلا عن هذه الجملة او زايدا
بعدها محمد عبدي ورسولي اضافة تشريف فقال انه اكرم خلقك عليك فتاب عليه وغفر له اي رجع عليه بالتوبة
والمغفرة وهذا اي لا اله الا الله محمد رسول الله عند قايله اي قايل ان ادم عند معصيته قال تاويل قوله تعالى
فتلقى ادم من ربه كلمات اي قبلها واخذها وعمل بها وعند غيره هي ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا

لنكونن من الخاسرين وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله غيرك او لا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فتاب عليه رجع بقبول التوبة بالفاعل بتلقيه الكلمات لتضمنه معنى التوبة اعني
الاعتراف بالذنب والندم عليه وان لا يعود اليه ولم يذكر حوى لانها تبع له في الحكم وفي رواية الاجري بمد الهمزة
وضم الجيم وتشديد الراء وبالتشبيه فقال آدم لما ظرف بمعنى اذ يليه فعل ماض لفظا او معنا ولا بنا في قول سيبويه هو
لوقوع امر لوقوع غيره اي حين خلقتني رفعت راسي الى عرشك جواب لما فاذا اي فاجات فيه مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم جملة ان واسمها وخبرها في محل نصب بما قبلها لسده مسد مفعوليه قدرا
تمييز للنسبة في خبر ليس اعني اعظم عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك مقرونا به تعظيما له وتكريما فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك اقسم لما مع اسمية الجملة تاكيدا لكونه آخرهم بعثا وارشادا الى الاذن
في القسم لما يعتني به ويوخذ منه انما تقدم الفاضلين يدي فاضل منه عند ورود وراحا ولولاه صلى الله عليه وسلم ما خلقتك ٤ منه
قال اي الاجري وكان آدم يكنى ابا محمد خصوصا رواه البيهقي عن علي مرفوعا وقيل كان يكنى بابي البشر عموما عن
سبيح بن يونس الحافظ بمهملة وجيم بينهما مثناه تحت ومعجمه وحيم بتصحيف انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها
اي زيارتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما مفعول من اجله العبادة منهم احتراس عن توهم كون الاكرام من غيرهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع في معجم الصحابة له والطبراني عن ابي الحمراء لما اسري بي اذا اي فاجات
على العرش مكتوب لا اله الا الله الا اله كاسم غلب على المعبود بحق ولما كان مفهومه كلي يقتضي كثرة متوهمة استثنى
منه المعبود بالحق الجدير بتفرده بالالهية اي لا اله معبود بالحق الا الواحد الحق وتقدم لهذا مزيد بيان كثير محمد
رسول الله ايدته اي قويته ونصرته بعلي لقوة باسه وشدة شكيمته وقد ورد انه حمل باب حصن خيبر
وتترس به ورواه ابن عدي عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابرهيم البابلي عن حميد الطويل عن انس بلفظ لما نفرته لعله
عرج بي رايت على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي قال في الميزان وهذا اختلاق من الحسين
ابن ابراهيم وروى الخطيب في رواة مالك عن ابن عباس في قوله وكان تحته كنز لهما ورواه البزار مرفوعا من حديث
ابي ذر وموقوفا على عمر وعلى ما قاله اي ابن عباس الكنز لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب اي يتعب
وما قدر له ياتيه والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر المختار والايمان به واجب اي يعتقد ان الله
خلق اعمال عباده خيرها وشرها وكتبها عليهم قبل ان يخلقهم قال تعالى والله خلقكم وما تعملون فالايمان والكفر
والطاعه والمعصية بقدر الله وقضائه وارادته ومشيئته الا انه تعالى يرضى الايمان والطاعه ووعد
عليهما الثواب ولا يحبه ولا يرضى الكفر والمعصية واوعد عليهما العقاب ويجوز ان يخلقه قال البغوي وهو
سر من اسرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بل الله خلق خلقه
فمنهم شقي ومنهم سعيد وقال رجل لعلي اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد فقال بحر عميق لا
تلجه فاعاد فقال سر الله قد خفي عليك فلا تبحث عنه عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك غير خائف من شدة
حرها وبرد زمهريرها عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها مرحا لا الى حال كيف تطمئن اليها ويغتر بها ولا يعتبر بمن مضى إهلهام
انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي الى الخلق كافة وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب انا الله لا اله الا
انا محمد رسول الله كذلك سابقا ولاحقا تعظيما لشانه وتنويها بذكره وتلويح لشرفه وايذان بكرمه عنده لا اعذب
من قالها ظاهره وان اقترف ما يترتب عليه العذاب ويلزم منه ان لا يعذب احد امات مسلما وقد قال يغفر لمن يشا
ويعذب من يشا الشاهد لوجوب تعذيب بعض ولو واحدا اذ لا خلف في اخباره تعالى فهو مخصوص بمن لم يقترف
ومن يشا ان يغفر له والله اعلم من رواه عنه ومثله لا يقال من قبل الراي فحكمه الرفع وذكر مبنيا للمفعول انه وجد

كذلك

كذلك والضمير للشان على الحجارة القديمة محمد تقي مصلح ما افسد من الحق زيادة ونقصا تغييرا او تبديلا وسيد
للانبيا لان ارشاده للخلق واخراجهم من الظلمات الى النور كان اكثر تاثيرا من ارشادهم اذ لم يختص ارساله اليهم
بقوم دون قوم وزمان دون زمان ولقد انتشر دينه في الارض مشارقا ومغاربا في كل مكان على وجه كل زمان
زاده الله عزا وشرفا ما لاح شارق ولمع بارق واصله سيود اعل بقلب الواو يا لاجتماعهما وسبق اليا الواو بالسكون
امين لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في الارض امين في السما وذكر اليسطاري انه شاهد في بعض
بلاد خراسان من عراق العجم وراء النهر مولودا ولد على احد جنبيه حال من ضمير ولد مكتوب لا اله الا الله وعلى
الآخر محمد رسول الله وذكر الاحبارون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول
الله كل ذلك اظهار لشرفه وتنويه بقدره وعن الحافظ المزي اخبرني من سافر لبلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط
منها كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة
نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد الكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وتشريفه وهو اسم مفعول مضعف للمبالغة
والتكثير سمي به صلى الله عليه وسلم تفاولا ان يكثر حمد الناس له لبلوغه النهاية مما اكرمه الله به وروى ابن
القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه جميعا عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما
وفي نسخة الا وقد رزقوا ورزقوا وروى ابن سعيد من حديث عثمان العمري مرفوعا عنه صلى الله عليه وسلم ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة يمنا وتبركا وروى المعيطي عن مالك ما كان في بيت اسم محمد الا كثرت
بركته ورزقه وفي رواية الا ورزقوا ورزق جيرانهم وفي مسند الحارث ابن اسامة عنه صلى الله عليه وسلم
من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم احدهم محمد فقد جهل وروى احمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود ان
الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد بعد ان اصلحه وطهره حسا ومعنى فاصطفاه اي اختاره لنفسه
حبيبا ومبلغا عنه فبعثه برسالته لعنايته به في الازل وحكى النقاش لما نزل وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني
عليكم تفضيلا اجلالا لقدره وتشريفا لمحله وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا احتراما له وتكريما ورفعا لشانه
وتعظيما فصل في بيان تفضيله بما تضمنته كرامة الله له بنفس الاسرا من المناجاة بين المحادثة والمكالمة
فقد ورد انه تعالى كلمه تلك الليلة والرؤية لربه تعالى كما ياتي وامامة الانبيا اي امامته اياهم فالمصدر مضاف
للمفعول والعروج به اي الصعود به الى السماء الى سدرة المنتهى ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من
فوقها ويصعد من تحتها وما راى من آيات ربه الكبرى اي الكبرى من آياته وعجائب الملائكة والملكوت ولك ان تجعل
الكبرى صفة للآيات ومن مزيدة او غير مزيدة والمفعول محذوف اي شيا من آيات ربه وهذا حديث اجمالي يرد
عليك تفصيله ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسرا وما انطوت عليه من بلوغه اعلا درجات
الرفعة مما نبه عليك الكتاب العزيز لنبي الممتنع النظير او المنيع الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد وشرحته صحاح الاخبار المروية في الكتب المعتمدة قال الله تعالى سبحان منصوب
على الظرفية وتنكيره شاهد صدق بتقليل مدة الاسرا بجسمه يقظة من المسجد الحرام نفسه لحديث بينا انا
في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه مسجدا لاحاطته به او ليطابق
المبدا المنتهى لحديث انه كان في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فاسري به ورجع من ليلته وقص عليها القصة
وقال مثل لي الانبيا فصليت بهم ثم اخبر به قريش فانكروه وارتد بعض من امن وذهب رجال الى ابي بكر فصدق
به فقالوا اتصدقه فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي صديقا واستنعته طائفة سافروا بيت المقدس

ف

الذي اسرى بعبده ليلا

[illegible]

نحكي له ما اخبرهم بما سالوه فقالوا اصاب فاستخبروه عن عيرهم فاخبرهم بعدده واحواله وقال يقدم يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمه جمل اورق فكان كما اخبرهم لم يومنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة
واستحالته له مردودة بما عرف في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا
وان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية مع ما في الحديث من ان البراق يضع حافره عند
منتهى طرفه وشاهده قول المتكلمين ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض فالله قادر على ان يخلق مثل هذه الحركة
السريعة فيه صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي لبعد المسافة بينه وبين
المسجد الحرام او لانه لم يكن وراءه مسجد الذي باركنا حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا
من لدن موسى الى زمن عيسى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وفي الحديث بارك الله فيما بين العريش
الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس لنريه من اياتنا كذهابه في لحظة من مسيرة اربعين ليلة ورويته بيت
المقدس والانبيا ممثلين له ووقوفه على مقاماتهم والالتفات من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات
وقال تعالى جال لازمه اي متعاليا عما لا يليق بجلاله والنجم اذا هوى اي غرب او طلع او انقض او انتثر يوم
القيمه ما ضل صاحبكم وما غوى اي ما عدل صلى الله عليه وسلم عن الاستقامة وما اعتقد باطلا مما تنسبونه
اليه وما ينطق عن الهوى ما يصدر الموحى اليه عن راي نفسه ان هو اي ما الموحى اليه الا وحي يوحى اليه
من الله على لسان جبريل وظاهر الحصر منع الاجتهاد له واجيب بانه اذا اوحى اليه ان يجتهد كان اجتهاده وحيا
ورد بانه يكون بالوحي لا وحيا علمه شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي ملك شديد
قواه هو جبريل اذ هو الواسطة في اظهار الخوارق روي انه قلع قرى لوط ورفعها الى السما ثم قلبها وصاح
بثمود فاصبحوا في ديارهم جاثمين ذو مرة اي صاحب حصافة في عقله ورايه او صاحب قوة وفي الحديث لا تحل
الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اي ذي قوة وشدة وصحة اعضا فاستوى اي استقام على صورته التي
خلق عليها فراه صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة على كرسي بين السما والارض له ستماية جناح
وهو بالافق الاعلى افق السما ثم دنى فتدلى تمثيل لعروجه بما تعلق به اي تعلق به فكان جبريل منه قاب قوسين اي
مقدار ما بينهما او ادنى منه وهو تمثيل لملكة الاتصال به وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفي البعد فاوحى الله
تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل اليه فاضماره قبل الذكر للعلم به ما اوحى تفخيم للموحى به ما كذب
الفواد ما راى ببصره جبريل او الله اي ما كذب بصره بما حكاه له اذ الامور القدسية يدركها القلب
اولا ثم البصر او ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قال له كان كاذبا لانه عرفه بقلبه فالمعنى لم يكن
تخيلا كاذبا ويشهد له قوله وقد قيل له ارايت ربك رايته بفوادي افتمارونه على ما يرى اي افتجادلونه
عليه من المراء وهو المجادلة من مريت ضرع الناقة للحلب كان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وعدي الفعل بعلى لتضمنه معنى الغلبة اذ المماري يقصد بفعله الغلبة ولقد راه اي الله او جبريل
نزلة اخرى فعلة من النزول بمعنى مرة ثانية اقيمت مقامها ونصبت نصبها اشعارا بان الروية في هذه
المرة كانت ايضا بنزول عند سدرة المنتهى ينتهي اليها الامور عندها جنة الماوى ياوي اليها المتقون
او ارواح الشهدا اذ يغشى السدرة ما يغشى لتعظيم وتكثير لما يغشاها مما لا يكتنفه وصف ولا يحصيه
عد او جم غفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصره صلى الله عليه
وسلم عما راه وما تجاوزه بل اثبته مستيقنا اياه او ما عدل عن روية العجائب التي امر بروءيتها وما
جاوزها لقد راى من ايات ربه الكبرى اي والله لقد راى كبرى ايات ربه على ما امر فلا خلاف الفا هنا

انصحت

انصحت عن شرط حذف لدلالتها عليه اذا كان الامر كذلك فتخيلها لشانه وتهويلها لقدره فلا ريب في صحة الاسرا به
صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد وضع الظاهر
موضع المضمر حذرا من استباه الضماير اذ ما قبله للاسرا فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم من الاحاديث
الواردة في الاسرا اكملها تفصيلا وبيانا ونشير الى زيادة من غيره اي غير اكملها من احاديث الاسرا يجب ذكرها
اعلاما بما خص به من المزايا الفاضلة وقد اسند هنا من رواية مسلم حديث ثابت البناني عن انس اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض سمي براقا لنصوع بياضه وشدة بريقه او لسرعة حركته تشبيها له فيهما بالبرق طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه لسرعة سيره فركبته حتى اتيت بيت المقدس غاية لانه ركوبه
البراق يقال بيت المقدس والبيت المقدس لان فيه يتقدس من الذنوب فربطته بالحلقة بفتح اللام خلاف
الحلقة من الناس بسكونها وفي الحديث الجالس وسط الحلقة ملعون لانه اذا جلس وسطها استدبر بعضهم فيوذيهم
فيلعنونه ويسبونه التي يربط بها الانبيا هذا كامر قاض بالهم ركوبه قبله لشهادة قول جبريل فما ركبك
احد اكرم على الله منه وان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يزور هاجر بمكة عليه ثم دخلت المسجد اي الاقصى
فصليت فيه ركعتين فيه ايذان بمشروعية تحية المسجد ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اي علامة الاسلام والاستقامة وجعله علامة لكونه سهلا طيبا سايغا للشاربين
سليم العاقبة والخمر ام الخبايث جالبة لانواع الشرور حالا وما لا ثم عرج اي صعد بنا النون اما للمتكلم ومن معه
او للتعظيم بتاهيله لهذا المقام المنيف الى السما فاستفتح جبريل ابواب السما استيذانا للملائكة فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه عطف على مقدر بعد همزة الاستفهام مقدره اي قد
الطلب وقد بعث اليه للاسرا وصعود السموات وليس استفهاما عن نفس البعثة لبلوغه من الظهور في الملكوت
الى ما لا يخفى على خزنتها وحرسها ولكونه اوفق للاستفتاح والاستيذان وهذا موذن بان لها ابوابا حقيقة
وحفظة موكلين بها لتستاذن قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم
فرحب بي اي قال لي مرحبا كما في الحديث الاخر مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح اي لقيت رحبا وسعة او رحب
الله بك فجعل مرحبا موضع ترحيبا ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك عطف على مقدر اي انت ومن استفهاما قال محمد قيل وقد بعث اليه يجري فيه
ما مر وقيل كان سوالهم استعجابا بما انعم الله عليه استبشارا بعروجه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا لان ام يحيى ايشاع اخت مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا الى السما الثالثة فذكر مثل ما ذكر في الاول من استفتاح جبريل وما قيل له وما قال لهم ففتح لنا فاذا
انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو اعطي شطر الحسن اي نصفه او بعضه لان شطر الشي قد يراد به
بعضه مطلقا وهو بعد الاستعمال من الاول فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الرابعة فذكر مثله
فاذا انا بادريس صلى الله عليه وسلم واسمه اخنوخ سبط شيث وجد والد نوح اول مرسل بعد ادم واول
من خط بالقلم وخاط الثياب ونظر في علم النجوم والحساب وقولهم ادريس مشتق من الدرس فلقب به لكثرة
درسه اذ قد روي ان الله انزل عليه ثلاثين صحيفة يرده عدم صرفه علميه وعجمة فرحب بي ودعا لي
بخير قال تعالى ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عنده وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت
اذقني الموت ليهون علي ففعل باذن الله ثم حيي فقال له ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلني الجنة
ازدد رغبة ففعل ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج فقال الله باذني دخل

دعه وقيل هو في السما الرابعة كما في الحديث ثم عرج بنا الى الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا منصوب وشرحه
على الحال كما في مسلم وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح مرفوع خبر مبتدا محذوف اي وهو مسند ظهره
الى البيت المعمور ويسمى الضراح بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما را فالف من الضراحة اي المضارعة والمقابلة
اذ هو مقابل للكعبة ومن رواه بصاد مهملة فقد صحف واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه اي يدخلونه ذاهبين غير عايدين اليه ابدا لكثرتهم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاطلع عليها واسبابها
واذا ورقها كاذان الفيلة واذا نبقها كالقلال وفي رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة تعمل بها القلال
تسع الواحدة مزادة من الما سميت قلة لانها تقل اي ترفع وتحمل وليست هجر من البحرين فلما غشيها اي علاها
ولابسها من امر الله ما اي شي عظيم غشي قيل فراش من ذهب وقيل لعله شبه ما غشيها من الانوار التي
تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لصفايه واضاءته لنفسه تغيرت مما غشيها
من امر الله مما اريد اظهاره تعظيما له وتكبيرا بحيث لا يوصف بلسان ولا يحد ببيان ومن ثم قال فما احد
يستطيع ان ينعتها اي يصفها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة بيانا لما اوحي
اليه والابهام للتفخيم والتعظيم او للبعضية والابهام لكثرته وتفخيمه اي اوحى الي اشيا كثيرة منها فرض خمسين
صلاة علي في كل يوم وليلة فنزلت حتى انتهيت الى موسى صلى الله عليه وسلم فقال ما فرض ربك على امتك قلت
خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم
بضعفنا وعجزنا فجزاه الله عنا افضل الجزا فلقد شملتنا رحمته وبركاته وعلل بقوله فاني بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم عطف تفسيري للتاكيد اذ الابتلا الاختبار والامتحان وفي الحديث اللهم لا تبتلينا الا بالتي
هي احسن اي لا تمتحنا اي امتحنتهم وعالجتهم فلقيت منهم شدة فيما اردت منهم من الطاعة فرجعت الى
ربي فقلت رب خفف عن امتي لم يقل خفف عني حيا من ربه بسؤاله التخفيف عنه فحط عني خمسا فرجعت
الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسله التخفيف
فلم ازل ارجع بين ربي وموسى اي بين موضعي مناجاتي له تعالى وملاقاتي موسى حتى قال اي ربنا تعالى يا محمد
انهن الضمير مبهم يفسره خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر اي كل صلاة تحسب عشر صلوات لاعها
وان اوهمت اللام لشاهده قوله فتلك خمسون صلاة هذا ولعل صدور هذه المراجعة عن علم منهما بعدم
وجوب الخمسين قطعا صبرما اذ لو وجب قطعا لما راجعا لان ما وجب قطعا لا يقبل تخفيفا او يقال ان وجوبها
اولا ثم رحمنا فنسخها بخمس كاية الرضاع وعدة المتوفى عنها زوجها وعليه يقال يجوز نسخ وجوب الشي
قبل وقوعه لشهادة نسخ وجوب ذبح اسمعيل ومن هم بحسنة اي ارادها مصمما عليها عازما على فعلها فلم يعملها
لامر عاقه عن عملها كتبت له حسنة اي كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم
سببها وسبب الخير خير فوضع حسنة موضع المصدر فان عملها كتبت له عشرا مضاعفة تفضلا منه
عز من متفضل بشهادة من جا بالحسنة فله عشر امثالها ونصب عشرا على المصدر لوقوعه موقعه ومن
هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب تلك السيئة شيا وفي حديث ان الله كتب الحسنات والسيات كتبها الله عنده
حسنة كاملة توكيد لشدة الاعتنا بها هذا اذا تركها خوفا منه تعالى ومراقبة له بشهادة زيادة مسلم انما تركها
من جراي اي من اجلي اما اذا تركها لامر اخر صده عنها لم تكتب له حسنة وشيا وعشرا منصوبان وفي بعض نسخ

المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ فان عملها كتبت له سيئة واحدة اي كتبت له السيئة كتابة واحدة عملا
بالتخفيف بالفضل في جانبي الخير والشر ولم يقل له موكدا لها بواحدة لعدم الاعتنا بها المفاد من الحصر في
قوله ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته بما قال
ربي من انها خمس صلوات كل يوم وليلة كل صلاة مضاعفة عشرا فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف
فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه غاية لمراجعته ربه هذا وقد ذكر هنا خلاف كبير متعلق بالاسرا
راجع من مظانه وسياتي بعضه قال المصنف وحديث ثابت عن انس اي الذي شرحناه انفا اتقن واجود
احاديث الاسرا كلها ولم يات احد عن انس باصوب منه وقد وقعت في احاديث الاسرا على اختلاف الروايات
زيادات منها حديث ابن شهاب قول كل نبي له صلى الله عليه وسلم مرحبا نصب على المصدر لوقوعه موقعه
اي لقيت رحبا او ترحيبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له صلى الله عليه وسلم والابن
الصالح لانه كان من ذرية اسمعيل وفيه اي في احاديث الاسرا من طريق البخاري الى ابن عباس ثم عرج بي حتى
ظهرت بمستوى اي في مكان مستوي وقال الخطابي المراد به المصعد وعليها فالبا ظرفية وفي رواية باللام
فهي كما قال التوربشتي للعلة اي علوه لاستعلا مستوي او لرويته او لمطالعته وقد تعلق بالمصدر اي ظهرت
ظهور المستوي ويجوز ان تكون بمعنى الى اي بلغت من الرفعة الى مقام اطلعت فيه على الكوائن وظهر لي ما
يراد من امر الله وتدبيره في خلقه وهذا والله هو المقام والمنتهى الذي لا يرام فاللام والى وان كان معناهما
الادراك والانتها ملايما لصحة الغرض فليسا متعاقبين فمعنى ظهرت لمستوى بلغته وانتهيت اليه ومعنى
لمستوى ادركت مستوى اسمع فيه صريف الاقلام اي صوتها جارية بما تكتب من اقضية الله ووحيه وينسخ
من اللوح المحفوظ قوله فغشيها الوان لا ادري ما هي هو مثل قوله فيما مر فلما غشيها من امر الله ما غشي
في ارادة الابهام والتفخيم كما في فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم وغطاهم شي عظيم وفي حديث مالك بن
صعصعة الذي رواه الشيخان وغيرهما فلما جاوزته يعني موسى صلى الله عليه وسلم بكى تاسفا وحزنا
وتحسرا على قومه اذ لم يتبعوه فينتفعوا به انتفاع هذه الامة بنبيهم لا حسدا اذ لا حسد في ذلك العالم
لاحاد المومنين فضلا عن من اختاره الله لرسالته واصطفاه لتكليمه فنودي ما يبكيك قال رب هذا
قبه غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل من امتي سماه غلاما نظرا الى قصر عمره مع عموم منا
وعموم ماثره وكثرة امته ومنها في حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي وغيره وقد رايتني بضم التا حكاية عن
نفسه في جماعة من الانبيا باذواتهم ممثلة بصورهم التي كانوا عليها او باجسامهم فحانت الصلاة لعلها صلاة
الصبح اذ الاسرا لا يكون الا اخر الليل وهي مما فرض على الانبيا قبله فاممتهم اي صليت بهم تلك الصلاة اماما فقال
قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه انما امره بالسلام عليه لانه كالقايم وهو كالقاعد والقايم
يسلم على القاعد وان كان مفضولا فالتفت فبداني بالسلام لانه كان في حكم غايب قدم او بداه به ليزيل
ما استشعره من الخوف منه وفي حديث ابي هريرة المحكي عنه ما تقدم من الزيادة ثم سار صلى الله عليه وسلم
قبل حتى اتى بيت المقدس غاية لسيره من المسجد الحرام فربط فرسه يعني البراق الى صخرة ببيت المقدس فصلى مع الملائكة
ظاهره انه جاء فوجدهم قد نزلوا ليصلوا فيه على عادتهم فصلى معهم فصلى على عروجه ثم عرجوا فراهم في مراتبهم بعد
عروجه فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد عطف
على مقدر اي اطلب وارسل اليه للاسرا او الصعود الى السما وليس استفهاما عن اصل الرسالة كما مر قال نعم
ارسل اليه قالوا حياه الله من الحياة اي ابقاه وملكه وفرحه او من استقبال المحيا اي الوجه او من التحية اي سلم عليه

من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة اي محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو المخصوص بالمدح ثم لقوا ارواح الانبيا
اما ببيت المقدس بعد انقضا الصلاه او بعد العروج في مراتبهم في السموات فاثنوا على ربهم وذكر اي ابو هريرة
كلام كل واحد منهم الذي اثنى به على ربه وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي
صلوات الله وسلامه عليهم فقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه بما هو اهله فقال الحمد لله الذي
ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا علق الحمد بما منحه من اشرف الاوصاف ثم شفعه بانواع
اذنت باعم المنافع واتم الفوايد وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شي من امور الدين اما بالنص تفصيلا
او اجمالا بالاحالة على السنة اذ قد امر الله باتباعه صلى الله عليه وسلم وطاعته او بالحث على الاجماع بقوله
ويتبع غير سبيل المومنين او القياس بقوله فاعتبروا يا اولي الابصار وجعل امتي خير امة اخرجت للناس
يومنون بالله ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتاخير الايمان في الايه مع ان من حقه ان يقدم
لانه قصد به الدلالة على انها امرت ونهت ايمانا بالله وبكل ما يجب الايمان به واظهارا لدينه ثم الايه
شاهد صدق بان الاجماع حجة لاقتضايها كون الامة امرة بكل معروف ناهية عن كل منكر لشهادة اللام اذ
هي فيها للاستغراق ولو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك وجعل امتي امة وسطا اي خيارا عدولا وجعل
امتي هم الاولون وهم الاخرون يوم القيمة قضاء ودخولا الجنة وهم الاخرون وجودا في الدنيا لا غيرهم لشهادة صريح
الفصل فيهما وحديث مسلم نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلايق وعن اول من يدخل
الجنة وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري لشهادة الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك اي الم نفسحه لك حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق او بما اودعناه من
الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرناه لك من تلقي الوحي بعد مشقته عليك وخففنا عنك عبا الثقل اي
ما ثقل عليك من اعبا النبوة والقيام به فلم تثقل عليك واظهرنا ذكرك في الملا العلوي والسفلي بالنبوة وقرن
اسمك باسمنا وطاعتك بطاعتنا وصلاتنا عليك في ملايكتنا وامرنا المومنين بالصلاه عليك وخطابنا لك
بالالقاب وجعلني فاتحا لابواب الايمان والهدى اي صراط مستقيم ولبيان اسباب التوفيق وما استغلق
من العلم او هو من الفتح بمعنى الحكم لجعله حاكما في خلقه فيفتح ما انغلق بين الخصمين باحياء الحق وايضاحه واماتة
الباطل وادحاضه فلهم اضاات شوارع الحجة وصفت مشارع الشريعة وجعلني خاتما للنبيين اي
اخرهم بعثا قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين فقال ابراهيم صلى الله عليه وسلم بهذا اي بسببه
مما ذكر فضلكم ايها الانبيا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر اي ابو هريرة انه اي جبريل عرج به صلى الله
عليه وسلم الى السما الدنيا وهكذا من سما الى سما ومنها ما في حديث ابن مسعود الذي رواه ابن عرفة
في جزءه وابو نعيم في دلايله وانتهى بي يعني جبريل الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة كذا قال
النووي في جميع الاصول عن المصنف الاصح وقول الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها في السما السابعة
وجمع بينهما النووي بان اصلها في السادسة ومعظمها في السابعة اذ قد علم انها في نهاية من العظم قد اظلت الجنة
والسموات قال المصنف وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصلها مؤول بانه في الارض فان
سلم له ذلك حمل على انه فيها ومعظمها في السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها اي تقبضه الكتبة
فتكتبه او غيرهم من الملائكة ثم يوصله اليهم واليها ينتهي ما يهبط من فوقها منها اي يقبضه من اذن له منهم ليوصله
لمن قضي له به اذ يغشى السدرة ما يغشى قال اي ابن مسعود فراش من ذهب ابهام بعد ابهام وقد تقدم
انه ادفع في النفس واشرح للصدر ومنها في رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة

المنتهى

المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلى على سبيلك اي مضى متوشحا بهديك مستنا بسنتك اي بروحه بعد موته وجسده
معها بعد الاذن بدخوله الجنة وهي سدرة المنتهى ما قبل هذه الجملة حكاية قول من اخبره به من الملائكة ما هو زيادة على
حديث ثابت عن انس بن مالك وهذه منه صلى الله عليه وسلم اخبارا عن كونها يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن
اي غير متغير طعما واونا وريحا من اسن بالفتح اي تغير وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يصر قارصا ولا حاذرا وانهار
من خمر لذة تانيث لذ اي لذيذه للشاربين ليس فيها ما يعتري شاربيها مما في خمر الدنيا ووصفه بلذة مبالغة كانها
نفسها وعينها او ذات لذة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه شمع ولا شي من فضلات النحل وغيرها هذا وظاهر الحديث
انها خارجة من اصلها ما ولبن وخمر وعسل انهار ولعله كما في الاية لما يقوم مقام اشربة الجنة بانواع ما يستلذ منها
في الدنيا مجردة عما ينقصها وينغصها موصوفة بما يوذن بغزارتها واستمرارها وهي اي سدرة المنتهى شجرة غاية في
تسميتها ايذانا بفخامة شانها وعظمة امرها لشهادة قوله يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
للخلق من الاطلاء اي ظلها شامل لهم عام عليهم وهذا الاتيان في تشبيه ورقها فيما مر باذان الفيلة عمل التشبيه في
مطلق الكرم مع رعاية الاذان لا في كبرها او حمله على غالب ورقها لشهادة بروز الورقة نكرة في حيز الاثبات فانها لا
تعم الا ان يقال المقام مقام مدح وفخامة فتعم كما في يا اهل ذي المعي وقيتم شرا فيعهما الاول تغشيها نور الهلة نور
الملائكة حين اقبلت عليها اذ قد خلقت من نور وتغشيها الملائكة هو قوله تبارك وتعالى اذ يغشى السدرة اي
فالذي يغشيها من النور والملائكة فهو تفسير لما في قوله ما يغشى وايضاح لها بعد ابهامها تفخيما وتعظيما وتكثيرا
لما يغشاها فقال تبارك من البركة اي تكاثر خيره وتزايد وتنزه عن كل شي وتعالى اجل لازمة اي تعاليا معنويا
لا حسيا له صلى الله عليه وسلم سل فقال موكدا بان واسمية الجملة انك اتخذت ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها روي ان ابراهيم صلى الله عليه
وسلم بعث الى خليل له بمصر يمتار منه لازمة اصابت الناس فقال لو ان ابراهيم اراد ذلك لنفسه لفعلت ولكن
يريد لاضيافه وقد علم ابراهيم ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحا لينة فملوا منها اوعيتهم فوجدوه دقيقا حواري فخبز
منه فشم ابراهيم رايحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقيل من خليلك المصري فقال بل من خليلي الله فسماه خليلا واعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به من بينهم واما قال ذلك مع كونه تعالى قد كلمه بقوله له
سل وقوله قد اتخذتك حبيبا الى سبق تكليمه على تكليمه واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد فكان في يده
كالشمع يصرفه كيف يشا بدون احما وطرق وسخرت معه الجبال يسبحن بالعشي والاشراق واعطيت سليمان ملكا عظيما
اجمال فصله بقوله سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده اعاده
لما فيه من الزيادة تلميحا الى ما حكاه الله عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر ولا يكون له
وانما سال ذلك على ما ذكر ليكون معجزة له خارقة للعادة لا منافسة وحسدا ان لا يعطى لاحد مثله وقدم الاستغفار اهتماما
منه بامر الدين وتقديما لما يجعل الدعا بصدد الاجابة وعلمت عيسى التورية والانجيل تلميحا الى قوله ونعلمه الكتاب والحكمة
والتوريه والانجيل خصا بالذكر لفضلهما وجعلته يبري الاكمه اي من ولد اعمى او هو الممسوح العين والابرص اي من به
بياض ابهق روي انه ربما اجتمع به الالوف فمن اطاق اتاه ومن لم يطق ذهب اليه وما يداوي الا بالدعا واعذته وامه من الشيطان
الرجيم هذا تلميح الى ما حكاه الله من دعا جدته لهما وتقبله منها واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها فلم يكن
له عليهما سبيل لعصمة الله لهما ببركة تلك الاستعاذة فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا في مقابلة ابراهيم خليلا اعلاما بانه اعلا
منه مقاما لانه اخص منه اذ هو من حبة القلب فهو كامل الود يصيب شغافه وحبته ويسمح له بمزيد بيان فهو مكتوب في التورية
محمد حبيب الرحمن هذا مدرج من كلام الراوي اقامه بينه لصحة زيادة رواية ابي هريرة والرحمن فعلان من رحم مبالغة في الرحمة

تمامه
ولا لقيتم ما بقيتم ضرا

نظام

ن

وهي لغة رقة وانعطاف يقتضي تفضلا واحسانا على من رق وذلك على الله محال اذا سماه وصفاته انما توخذ من حيث
غاياتها التي هي افعال لا واراده لامن حيث مباديها التي هي انفعالات فرحمته عباده اما ارادة احسان ودفع سو فتكون صفة
ذات او نفس الاحسان فيرجع الى صفات الافعال وقدم لهذا مزيد بيان وارسلناك للناس كافة اي ارسالة عامة
محيطة بهم لا تخرج منها احد منهم خصه بعموم الارسال دون الكل فهو اعظم ملك بمن اتى ملكا عظيما اذ كان واسطه بينه
وبين جميع خلقه ثم زاد عليه ما افاده قوله وجعلت امتك هم الاولون يوم القيمة قضا لهم ودخول الجنة وهم الاخرون
في الدنيا وجودا وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة اي لا يعتد لها شرعا حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي بشهادة حديث
كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما وجعلتك اول النبيين خلقا اذ قد خلقه قبل ادم نورا كما مر في حديث فلما
خلق ادم قذفه في صلبه فلم يزل في صلب كريم الى رحم طاهر حتى خرج من بين ابويه فكان اولهم خلقا واخرهم بعثا وخلقا وبعثا
تمييز حولا عن كونهما مفعولين واعطيتك سبعا من المثاني تقدم بيانه ولم اعطها نبي قبلك اعلام بانه خصه بذلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة ظاهره ان الاعطا كان حقيقة بانزالها عليه بشهادة قوله من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبي قبلك وقال التوربشتي بل المعنى انه استجيب له ولمن سال له بحقه مضمون غفرانك ربنا الى اخرها ويبصره انه صلى
الله عليه وسلم لما دعى بهن قيل له قد فعلت واوثر لعطا مناسبة للتعبير بكنز تحت عرشي وجعلتك فاتحا لكل خير
وخاتما للنبيين فلا نبي بعده احد فلا يرد عيسى صلى الله عليه وسلم لانه نبي قبله وتغييره بعض الاحكام كعدم قبول
الجزية ليس نسخا لاخبار نبينا صلى الله عليه وسلم بانه انما العمل بذلك الحكم بعد نزوله وفي الرواية الاخرى التي رواها
مسلم قال اي ابن مسعود فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس فرضا في كل يوم وليلة واعطي
خواتيم سورة البقرة استجابة بمعنى استجيبت له مضمونها او انزلت عليه كما مر وغفر لمن لا يشرك بالله شيا من امته المقحمات
اي الذنوب العظام التي تقحم صاحبها في النار اي توقعه فيها هذا قاض بان من اتصف بعدم الشرك بالله تغفر له مقحماته
لشهادة من فارغ للعموم فيلزم ان لا يعذب احد مع اجماع ذوي الحق بنصوص الشرع على تعذيب بعض عصاة المومنين
فهو اما عام مخصوص اريد به خصوص بعض وقيل المراد بغفرانها ان لا يخلد احد منهم في النار لا ان لا يعذب اصلا وقال
اي ابن مسعود ما كذب الفواد ما راى جبريل في صورته التي خلق عليها له ستماية جناح عرفها اما بعدها او اخبارا وامانع
من ظاهر الحديث انها كاجنحة الطير وفي حديث ابي داود وغيره ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم اي تضعها حقيقة
وتكف له وفرشا او تواضعا تعظيما لحقه او بمعنى تكفها عن الطيران لتعد تزولها لمجالس العلم حافة بهم ففي الحديث الا نزلت عليهم
السكينة وحفتهم الملائكة او راى ربه تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له قلبه فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب
ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فواده لم اعرفك ولو كان كاذبا لانه عرفه برؤية بصره يعني راه ببصره فعرفه فواده ولم
تشك فيه ومنها في حديث شريك انه صلى الله عليه وسلم راى موسى صلى الله عليه وسلم في السما السابعة هذا مخالف لما
من روبته له في السادسة وربما حمل على ان الاسرا كان مرتين او مرة فراه بعد عروجه في السادسة ثم صعد الى السا
فراه بعد عروجه فيها قال اي شريك او النبي صلى الله عليه وسلم بتفضيل كلام الله له اي جمله في السابعة بسبب
عن ذلك قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ثم علا به اي جبريل فوق ذلك اي فوق السابعة
بما لا يعلمه الا الله بدل من فوق ذلك وانما للاستعلا كافي ومن اهل الخالق ان نامنه بفنطار اي عليه او بمعنى الى
كما في وقد احسن بي اي الى اي على بي على مكان او الى مكان لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد قيل في
هذه الزيادة ما يقدح في صحتها وهو مخالفة الرواية الصحيحة المشهورة فيما مر انه راه في السما السادسة وقول موسى
ذلك مع علمه بما في التوراة من انه افضل الانبيا وان من صفات الانبيا التواضع وهو مناف لقوله ذلك ومنها انه قد روي
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس اماما ولا حاجة الى حمله على هذا الاسرا بعد الاسرا الذي فرضت فيه

الصلوات

الصلوات اذ الانبيا كانوا يصلون قبل فرضها ومنها ما رواه البزار والبيهقي عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا
انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل بينا اصله بين اشبعت فتحتها فنشا عنه الف وهي ظرف يضاف الى الجملتين ويحتاج الى جواب
لتضمنها معنى الشرط والعامل فيها المفاجاة في اذ لا المضاف اليه اذ لا ان معمول المضاف اليه اعني الجملة بعد اذ لا يتقدم على
المضاف اعني اذ والمعنى وقت قعودي يوما فاجاني دخول جبريل او وقت دخوله في ظرف لهذا المعنى وذات يوم توكيد
دفعا لتوهم التجوز الى مطلق الزمان وقد اورد ابو عمر الزاهد حديث جرير يطلع عليكم رجل من ذي يمن على وجهه مسحة
من ذي ملك قال وذي هنا صلة اي زايدة وفي حديث المهدي قرشي يمان ليس من ذي ولا ذو المشغار اي هو قرشي النسب
يمني المنشا فذات في حديث جبريل زايدة فوكز اي ضرب برفق بكفه مجموعة بين كتفي فقمت معه الى شجرة فيها مثل وكري الطاير
اي عشين شبههن بعشيه في الوضع والهيئة لا في المقدار اذ مقداره لا يسع ادميا الا ان يكون من عوالي الطير كالنسر والعقاب
واللقلق فقعد اي جبريل في واحدة وقعدت في الاخرى انهما باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش واهل مكة يذكرونه ويونثونه
والغالب الان على السنتهم التانيث فنمت اي زادت وارتفعت وفي نسخة فسمت اي ارتفعت حتى سدت الخافقين اي طرفي
السما والارض او المشرق والمغرب وخوافق السما جهاتها التي تهب منها الرياح الاربع ولو شيت لمسست السما كسرا ولي
سينه وفتحها ابو عبيده وقد تحذف وتنقل حركتها الى الميم وقد تترك الميم مفتوحة وانا اقلب طرفي حال من الضمير قبله
اي مقلبا بصري في ايات الله بالافاق ونظرت جبريل كانه حلس بمهملتين اولاهما مكسورة كسا رقيق يلي ظهر البعير تحت قتبه
شبه به لرويته له لاطيا اي لاصقا بالحي من هيبة الله وشدة خوفه منه فعرفت فضل علمه بالله علي قال ذلك تواضعا
والا فهو اعرف خلق الله بالله ورايت النور الاعظم اي نور الحضرة الالهية واذا دني بالرواية ولطي مبنيا للمفعول من لطه دون الحجاب
اي ارخي الستر وهذا ... دون كونه تعالى في جهة وحيز ولا محجوبا بالحاسنا الى ثم اوحى الي ما شا ان يوحي من معروض وغيره مما منحه
فضلا من الله ونعمة وذكر البزار عن علي لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى اي انتهى
بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن فبينا هو كذلك اذ خرج ملك اي فاجاه خروجه من الحجاب فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا
قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا اي من الحجاب لامن ربه اذ ليس ولا زمان وان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت بناه للمفعول لعلمه بخالقه او صونا له عن لسانه تادبا وتعظيما لشانه اي لم اره في ساعة من ليل او نهار وقيل ساعتي هذه
فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له جوابا عن قوله ذلك من ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا
اله الا الله فقيل جوابا عن قوله ذلك من ورا الحجاب صدق عبدي انه لا اله الا انا وذكر اي الراوي مثل هذا الذي ذكر قولا
وجوابا في بقية الاذان الا انه لم يذكر نقيل له من ورا الحجاب جوابا عن قوله حي على الفلاح قال اي الراوي ثم اخذ الملك بيد
محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السما فيهم ادم وابراهيم خصهما بالذكر لانهما ابوا الانبيا ولتقدمهما عليهم وجودا
قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رواية اي روي هذا الحديث عن ابيه عن جد ابيه كمل الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم الشرف على اهل السما والارض بما منحه ربه مما يفوت الحصر ولا يدركه فهم هذا وما في ذكر الحجاب الحجاب لغة المنع والستر
وحقيقته للاجرام المحدوده والله منزه عن ذلك فهو اما تمثيل لما يفهم اعني مجرد المنع من رويته تعالى مشاهدة محسوسه
السامع حتى كانه ينظر اليه متيقنا له او هو في حق المخلوق لانه من خواص الاجسام لا في حق الخالق لنزاهة ساحة عظمته عن
ان يجوز عليه ما يجوز عليها فهم المحجوبون عن رويته في الدنيا والباري تعالى منزه عن الخلق انشاه بريا من تفاوت مخل بنظامه
الكامل بصور تترتب عليها خواصه ونسبها كالة منزه عما يحجبه عن خلقه اذ الحجب انما تحيط بمقدار محسوس داخل تحت
نطاق حاسة البصر ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم مغطية لها فلا روية ولا تصور ولا اكتناه في غير
اناه بما شا متعلق بحرف الجر وفي الحديث حجابه النور وكيف شا ومتى شا اي وحجبه على اي كيفية شا في اي وقت شا كقوله
انهم اي الكفار عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي لممنوعون فلا يرونه ومن منع رويته جعله تمثيلا لاهانتهم كاهانة من منع من الدخول

علي الملوك وقد رفي ايها مضافا فقال رحمته او ثوابه او قربه وكذبوا اذ لولم يره المومنون يوم القيمة لم تعيرا الكافرون بحجبهم عن
رويته فقوله في هذا الحديث الحجاب جوزجره علي الحكاية وقوله واذ خرج الملك من الحجاب بجبان يقال له حجاب حجب به من وراه
اي من جهة ظاهره من ملايكته عن الاطلاع علي ما دونه اي من جهة باطنه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته
نعلوت من الملك والجبر بمعني القهر وله جبر خلقه علي مراده وان كرهه ومن في موضعها بيانية لما بعدها ويدل عليه اي علي ما ذكر
من حمل الحجاب علي ما مر من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه تدل ان هذا لم يختص بالذات الواجب لتقدس جنابه عن ان يحجب بحجاب هذا وقد صح انه صلي الله عليه وسلم راه تلك
الليله وسياتي عليك ويدل عليه اي علي عدم اختصاص الحجاب بالذات قول كعب في تفسير سدرة المنتهي اي في بيان تسميتها به
اليها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم لحجبهم بسرادق كبريايه وعظمته واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل
علي حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او يلي امرا من امور من عظيم اياته وعجايب كبريايه وهذا ايضاح بعد ابهام فهو اوقع في النفس
لحصوله بعد تشوقها اليه ومن فيه بيانية او من مبادي حقايق معارفه مما هو تعالي اعلم به وحمله علي حذف المضاف هو كما قال
تعالي واسال القرية اي اهلها اذ الابنية المجتمعة لا تسال وقوله فقيل له من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه
صلي الله عليه وسلم سمع من هذا كلام الله كما سمعه موسي صلي الله عليه وسلم ولكن من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره
عن رويته لربه في هذا الموطن فان صح القول بانه صلي الله عليه وسلم راي ربه فيحمل علي انه في غير هذا الموطن بعده او قبله
رفع الحجاب عن بصره صلي الله عليه وسلم فراه فصل اختلف السلف والعلما عطف تفسير افاد العام عليه لاختصاصه
بمزيد فضل حتي كانه ليس منه كما في من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال هل كان الاسرا بروحه صلي الله
عليه وسلم او جسده علي ثلاث مقالات فذهبت طايفة الي انه بالروح وانه رويا منام بدل مما قبله او عطف تفسيري
له اذ هولها انما يكون في المنام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا حق ووحي بشهادة يا بني اني اري في المنام اني اذبحك ان الانبيا تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم والي هذا ذهب معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية رواه عنه ابن اسحق وجرير وحكي عن الحسن
البصري والمشهور عنه خلافه من انه كان في اليقظه واليه اشار محمد بن اسحق بن يسار وحجتهم لقوله انه رويا منام قوله تعالي
وما جعلنا الرويا التي اريناك ليلة الاسري الا فتنة للناس اذ قد انكرته قريش وارتد كثير ممن كان اسلم حين بلغهم وقيل راها عام
الحديبية بالتخفيف عن الشافعي وقد تشدد حاذ قد راي نبيه انه واصحابه دخلوا مكة بشهادة لقد صدق الله رسوله الرويا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون فلما صدوا فيه عنه فتنوا فقيل لم يقل في
هذا العام فدخلها من قابل او في وقعة بدر بشهادة اذ يريكهم الله في منامك قليلا وحجتهم ايضا ما حكوه من رواية ابن اسحق
وجرير عن عايشة ما فقدت جسد رسول الله صلي الله عليه وسلم وبطلانه انه لم يدخل بها الا بعد الهجرة والاسرا كان بمكة
بعد البعثة كما قال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمكة والاشبه انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووي عن المصنف
وحجتهم قوله صلي الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر وقول انس في حديثه وهو نايم في المسجد الحرام وذكر القصة
الوارده في ليلة الاسرا ثم قال في اخرها فاستيقظت اي انتبهت من منامي وانا في المسجد الحرام خالف الضمير قبلها مشعرة بان
الاسرا كان مناما ولعله نام وهو راجع اليه فلما دخله استيقظ فانتفا كونه حجة وذهب السلف والمسلمون عطف العام
علي بعض افراده ليفيدان باقيهم في الذهاب الي انه اسري بالجسد وفي اليقظه من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي وهذا
هو الحق اذ لا استحالة فيه فلا بعد ولا عدول عنه من حيث الظاهر وهذا قول ابن عباس ومن ذكره هنا من الصحابة وغيرهم وهو
دليل قول عايشه كيف يكون الاسرا يقظة دليل قولها ما فقدت جسده المتجه انها نفت انه كان مناما وقد سمعت ابطاله ويتعجب
من حكاية المصنف له في المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكون الثاني دليلا له فانه سهو لا ريب فيه من ذي فهم
ثاقب ومستمع انه كان قبل ان يدخل بها بسنين وهو قول محمد بن جرير الطبري والامام احمد بن حنبل وجماعة عظيمة

انفسا او كثيرة او ثمان من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين مع تواتر الاخبار الصحيحة به
وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة الي بيت المقدس والي السما بالروح مناما واحتجوا بقوله سبحان الذي اسري بعبده ليلا
نصب علي الظرفيه وتنكيره موذن بتقليل مدة الاسرا من المسجد الحرام نفسه لحديث بينا انا في المسجد الحرام او في الحجر عند البيت
بين النايم واليقظان اتاني جبريل بالبراق او من الحرام لانه كله مسجد او محيط به لحديث انه كان نايما في بيت ام هاني فاسري به
فجعل الي المسجد الاقصي غاية للاسرا اذ لم يكن وراه مسجد غيره يكون غايته الذي وقع التعجب فيه من حيث انه كان في بعض ليلة
وبينهما ليالي وايام كثيرة ثم الي ما لا يعلمه الا الله ثم رجع والتعجب فيه من لوازم المعجزات وهو من اعدا به تعجب استحالة كما
وقع لقريش حتي ارتد كثير ممن امن به ومن اوليايه تعجب تعظيم القدرة الباهرة الموثرة وفق الارادة ووقع المدح بتشريف
النبي محمد به اي بالاسرا ووقع اظهار الكرامة له صلي الله عليه وسلم بالاسرا اليه اي الي المسجد الاقصي وهو من وضع الظاهر موضع
المضمر لكمال العناية بتمييزه اذ هو من اعظم كراماته وابلغ معجزاته قال هولا اي الذاهبون الي المذهب الثالث ولو كان الاسرا
الي مكان زايد علي الاقصي لذكره الله تعالي في كتابه فيكون ذكره فيه ابلغ في المدح من عدم ذكره ثم اختلفت هذه الفرق الثلاثة
وان اتفقت في انه صلي الله عليه وسلم هل صلي ببيت المقدس ام لا فقيل نعم ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه بالانبيا
وقيل لم يصل فيه بشهادة قوله ثم انكر ذلك اي صلاته فيه حذيفة بن اليمان وقال كما رواه احمد والله ما زالا يعني جبريل
والنبي صلي الله عليه وسلم عن ظهر البراق ظاهره انهما لم ينزلا عنه حتي رجعا وهو بعيد والحق من هذا الذي ذكر اسرا بالجسد
والروح في القصة كلها وعليه اي علي كونه اسرا بهما في كلها تدل الاية من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي نصا وصحيح الاخبار
الي السموات استفاضة ثم الي الجنة او العرش او طرف العالم احادا ولا يعدل عن الظاهر من الاية والاخبار الواردة فيه ولا عن
الحقيقة المتبادره الي الاذهان من الفاظها الي التاويل الا عند الاستحالة ونعذر حمل اللفظ علي حقيقته وليس في الاسرا
بجسده وحال يقظته استحالة توذن بتاويل اذ لو كان مناما لقال سبحان الذي اسري بروح عبده ولم يقل بعبده ويدل
عليه ايضا قوله ما زاغ البصر وما طغي اي ما عدل عن رويته ما امر برويته من عجايب الملكوت وما جاوزها لصراحة ظاهره
في كونه جسده متيقظ بشهادة لقد راي من ايات ربه الكبري ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة خارقة للعادة لورود
صدقه وان كانت رويا الانبيا وحي اذ ليس فيها من الابلغية وخرق العادة ما فيه يقظة وايضا لو كان مناما لما استبعده
الكفار من قريش وغيرهم ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به لبعده عن ساحة العادة ووقوعه في زمن مستبعد
فيه جدا اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان الا وقد علموا
ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته احدا في خبره الي ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا ببيت المقدس علي ما سلف
في رواية انس او في السما علي ما روي غيره فيما تقدم وذكر مجي جبريل له صلي الله عليه وسلم بالبراق وخبر المعراج اسم الة
من العروج كالسلم للصعود واستفتاح السما فيقول ومن انت فيقول جبريل فيقال ومن معك فيقول محمد ولقاهم
الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة خمسين عليه وعلي امته ومراجعته موسي بينه وبين ربه حتي جعلها خمسا
عددا لخمسين ثوابا فضلا منه ونحوه وفي بعض هذه الاخبار من رواية الشيخين عن انس فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بها
الي السما فلما جيت السما الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما فتح علونا السما الدنيا اذا رجل قاعد علي يمينه اسوده وعلي يساره
اسوده الي قوله ثم عرج بي حتي ظهرت لمستوي اسمع فيه صريف الاقلام فهناك فرض عليه خمسين صلاة فرجع الي موسي فلم
يزل بينه وبين ربه حتي قال الله هي خمس وهن خمسون وانه وصل الي سدرة المنتهي وراها قد غشيها الوان قال لا ادري ما هي وانه ادخل
الجنة وراي فيها ما ذكره من جنابذ اللولو وان ترابها المسك ظاهر هذا كله شاهد صدق بانه لم ينزل عن البراق وان انكره حذيفة
قال ابن عباس كما رواه عنه البخاري في الضمير للشان يفسره دويا راها النبي صلي الله عليه وسلم لا رويا منام وروي ابن
اسحق وابن جرير ان عمر ان يفعل به ذلك فاذا بدابة وذكر خبر البراق من كونه فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه

وروى ابن اسحق والطبراني وابن جرير عن ام هاني بنت ابي طالب ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي صلى العشاء
الاخرة ونام ونمنا وفي رواية بينما فلما كان قبيل الفجر اهبنا اي ايقظنا فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم
العشا كما رايت بهذا الوادي يعني مكة لاحاطة الجبال لها ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت معكم الان كما
ترين فهذا ساطع بين بانه بجسمه لو سلم من معارض يرده هو انها انما اسلمت عام الفتح الا ان يقال وصلينا ليس من قولها بل ادرجه
الراوي وسيرد عليك ما يلوح بضعفه وروى البيهقي وابن مردويه عن شداد بن اوس عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة
اسري به طلبتك البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه بقوله له ان جبريل حملني الى المسجد الاقصى وهذا ايضا برهان واضح انه كان يقظة
وروى ابن مردويه من طريق عن عمر قال صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قايم اي
فاجاءت او فاجاني قيامه حال كونه معه آنية ثلاث الحديث وهذه النصريحات ظاهرة في انه يقظة غير مستحيلة شرعا وعقلا
فتحمل على ظاهرها ولا بعد ولعلها حيث الحمل صحيح وروى الشيخان عن ابي ذر فرج عن سقف بيتي وانا بمكة لا ينافي قوله فيما تقدم بينا انا في الحطيم
بينا انا في الحجر وقول ام هاني ما اسري به الا وهو في بيتي نفي شرح السنة انه كان مرتين مناما ويقظة ولعله اما في البيت اليه ثم جيت
انه كان ساكنا فيه واليها من حيث انه ملكها فنزل جبريل ففرج صدري اي شقه ثم غسله بماء زمزم لانه تدالفه صغرا وكبرا ولانه افضل
المياه على ما مر ثم اخذ بيدي فعرج بي الى اخره وهو قاض بان شرح صدره كان عقب نزول جبريل اليه لشهادة الفا وعالفه ما رواه
عن انس انت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري الى اخره وروى مسلم عن ابي هريرة لقد رايتني بضم تا المتكلم عن نفسه
في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها لاشتغاله بالهو اتم منها من امر الاسرا ورؤية
الملايكة وصلاته فيه كاما معهم او بالانبيا او وحده ثم الى قاب قوسين او ادنى فظهر ابهام ما قيل ان قوله لم اثبتها تنبيه على انه كان
مناما لان النايم اقل ضبطا من المستيقظ قلنا لا فرق بين ضبطه مناما ويقظة اذ الانبيا لا تنام قلوبهم ورؤياهم وحي قال يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فكربت كربا ما كربت مثله بضم كاف عن شيء الا انبائهم وقد روي عن عمر في حديث الاسرا انه صلى الله
عليه وسلم ثم رجعت الى خديجة هذا مؤذن بانه اسري به من بيتها لشهادة قوله وما تحولت عن جنبها لظهوره في انه فارقها مضطجعة عليه
فلم تزل كذلك حتى رجع اليها وقدم ما ذن انه كان من بيت ام هاني او من الحطيم او من الحجر وبه يتمسك من زعم انه تكرر اربعا فصل
في ابطال الحجج من قال انها نومات الضمير باعتبار القول انه كان رؤيا منام احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وقلنا
جوابا عما زعموا من انها رؤيا منام قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا يرده لانه لا يقال في النوم اسرى فهي بمعنى الرؤية البصرية لا الرؤيا
النومية مع ظواهر احاديث المشاهدة بانه يقظة ومجي جبريل اليه بالبراق مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل امحمد
تفعل هذا واستفتاح جبريل السموات ولقائه صلى الله عليه وسلم الانبيا فيها وترحيبهم له وسلام مالك خازن النار وصلاته بهم
ورجوعه الى خديجة وما تحولت عن جنبها الذي نام فيها مضطجعة عليه الى غير ذلك مما ظاهره قاض بانه يقظة وقوله الا فتنة للناس
يرده انها رؤيا عين واسرا شخص اذ ليس في الحلم فتنة للناس من تعجبهم لعجب استحالة ادي الى ارتداد كثير ممن امن به اذ كان
ذهابا وايابا في برهة من الليل واذا كان الحلم لا يكذب به احد منهم ولو كان حلما لما كذبوا به لان كل احد يمكن ان يرى مثل ذلك في
منامه من الكون حال من مثل متعلقه بيرى في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان هذا مع ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية
اي اية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية اذ قد راى
صلى الله عليه وسلم انه دخل مكة وصده المشركون وما دخلها في ذلك العام ووقع في نفوس الناس من ذلك فقيل انه لم يقل في
هذا العام وقد دخلها من قابل وقد يقال لا بد مكية الا ان يقال راها بمكة ثم اخبر بها يومئذ وقيل انما اراها يوم بدر لشهادة اذ يريكهم
في منامك قليلا تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم وقوله حين ورد ماء بدر لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان
هذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه وقيل غير هذا الذي تقدم وقولهم انه في ما تقدم من الحديث مناما في حديث انس
بين النايم واليقظان ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فلا حجة فيه لمن زعم انه كان مناما اذ قد علم ان اول وصول الملك اليه

كان

كان وهو نايم بشهادة حديث الحسن بينا انا نايم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي الى ان
قال فخرجني الى باب المسجد فاذا بدابة او ان اول حمله والاسرا به كان وهو نايم لشهادة حديث وهو نايم بالمسجد الحرام وليس
في الحديث انه كان نايما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت لكنه بعيد او استيقظت من نوم اخر عرض له في رجوعه اليه او عرض له بعد وصوله بيته ويدل عليه
اي على كونه نوما اخر ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه ذهابا وايابا بسرعة في ذلك الامد المتباعد المورث بالمشقة
المورثة للنوم فنام لازالة التعب وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما غمره من عجايب ما طالع من ملكوت
السموات والارض شبه ما غمر انديته ناظره وغشي افنية خاطره برؤية تلك العجايب المتقنة والبدايع المحكمة
بما غمر الراي غمر على طريق الاستعارة المكنية ثم اثبت له الغمر تخييلا او شبه ما دلت عليه ما المفسرة بالعجايب تشبيها بليغا بشهادة
من المبنية لها اذ هي التي اخرجته من باب الاستعارة اليه كما في حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر او شبه ما غمره
وغشيه بسبب رؤيتها بالغمر من الماء اشتق منه غمر فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وخامر اي ستر
باطنه من مشاهدة الملا الاعلى يجري فيه ما مر فيما قبله وكتب ابو الدردا الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا اخي
ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السما على ارفه خمر الارض يقع اي على اخصب شاطر فيها اراد ان وطنه
ارفق وارفق به فلا يفارقه وما راى من ايات ربه الكبرى اي كبرى اياته وكل اياته كبرى لاحكامها واتقانها فلم يستفق مما عرض له من
النوم في رجوعه ولم يرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ردا على من زعم ان الاسرا كان رؤيا نوم هو ان
يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام ولكنه اسري بجسده نايمة
عيناه والقلب يقظان ورؤيا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم لم يرد بذكر هذا الوجه على ان الزوم نفسه ويحمل عليها بانه
كان مناما وكونه بجسده نايما ليس فيه كبير فايدة اذ الحكم حينئذ للروح الا ان يقال ليشاهده الملكه ويفاض عليهم من بركاته
وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا اي نحو كونه نايم العين حاضر القلب قال تغميض عينيه لئلا يشغله شي من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا الذي ذكره من ان تغميضها احد زمن ذلك لان المقام مقام مشاهدة عجايب الملكوت لشهادة قوله لنريه من اياتنا اذ المتبادر
منه رؤية العين ولا يصح ايضا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا ولعله كان له في هذا الاسرا حالات بان كان في اوله نايما وقت صلاته
بهم ولقايه لهم في السموات مستيقظا كوقت الخطاب وعند سدرة المنتهى ومراجعته ربه وموسى في تخفيف الصلاة ونحو ذلك ووجه
رابع شاهد بانه كان يقظة وهو ان اول وصول الملك اليه كان نايما لجاز ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النايم من الاضطجاع اذ كثيرا هو من
هيئات النايم مجازا مرسلا صفة مصدر محذوف منصوب به اي تعبيرا كثيرا كما في قليلا ما يؤمنون او على الطرف لانه من صفات الاحيان
وما عليها زيد لتاكيد معنى الكثرة وعامله ما بعده اي في احيان كثيرة يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه مما هو من هيئات النايم مجازا
مرسلا لما بينهما من الملابسة والقول بانه مما تسوغه الاتساع لما فاته ركوب البراق وربطه بالحلقة فليس بشي ويقويه اي يقوي ما زعمه
من التعبير بالنوم عن ذلك قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه اي عن همام
بينا انا في الحطيم بين الركن والباب وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان هذا كله عند اول مجي الملك اليه
فلا ينافيه قوله فاستيقظت وانا في المسجد الحرام لامكان نومه حال رجوعه لما حصل له من معاناة السهر ومقاساة السير فيكون صلى الله
عليه وسلم سمي هيئته من الاضطجاع ونحوه بالنوم لما كانت هيئته صلى الله عليه وسلم هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه
الزيادات من النوم وشق البطن ودنو الرب بناد لصفة اسم ان الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك هو ابن عبد الله
ابن ابي نمر عن انس وهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره وقبل النبوة ولانه اي شريكا قال
في الحديث قبل ان يبعث والاسرا باجماع كان بعد المبعث هذا ومع كونه به بعده لا ينافي شق بطنه بعده فقد نبه عليه السهيلي
بقوله الشق وقع مرتين مرة في صغره ومرة في كبره عند رقيه الى العالم العلوي فهذا الذي ذكره السهيلي ان صح فليست رواية شريك

منكره والاناذكر كلامنوهن ما وقع في رواية شريك عن انس مع ان الشا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره كمالك
ابن صعصعه وابن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعه
وفي كتاب مسلم لعله عن مالك ابن صعصعه على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث عنه صلى الله عليه وسلم فرج
عن سقف بيتي الى اخره واما قول عايشه الذي رواه ابنا اسحق وجرير ما فقدت جسده اي النبي صلى الله عليه وسلم
فعايشه لم تحدث به عن مشاهدة له صلى الله عليه وسلم لانها لم تكن حينيذ اي في ابان الاسرا زوجة له صلى
الله عليه وسلم ولا كانت في سن يضبط الامور وغيرها ولعلها لم تكن ولدت بعد فلا يعزي اليها هذا القول اذ لم
يثبت كالسياق والبحث محل رواه وتداول المحدثين له رواية مع علمهم بعدم تمييزها من الاسرا بل لم تكن ولدت بعد
على الخلاف في الاسرا متى كان فان الاسرا من وضع الظاهر موضع المضمر تنويها بعظم شانه وسطوع قدره لكونه من كبر
اياته وعظمي معجزاته كان في اول الاسلام على قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف
بيان لاول الاسلام وهو مخالف لما نقله النووي فيما مر عنه من انه بعده بخمسة اعوام وكانت عايشه في زمن الهجرة بنت نحو
ثمانية اعوام فكان الاسرا على هذا قبل ولادتها بنحو ثلاثة اعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما وقد
قيل كان الخمس من السنين قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه انه كان قبلها بخمس وهو مخالف لما حكاه النووي عنه والحجة
لذلك اي لابطال كونه منا ما نطول ليست من غرضنا فضربنا عن اطالتها صفحا واذا ثبت ان قول عايشه ما فقدت جسده لم
تحدث به عن مشاهدة اذ لم تكن حينيذ في سن من يضبط بل لم تكن ولدت ولم تشاهد ذلك دل على انها حدثت بذلك
عن غيرها بنا التكلم حكاية لقول من اخبرها بانها على صورته الاولى لقولك لمن قال هذه تمرتك دعني من تمرتك قال ذو
الرمة صوت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس اي صوت هذا القول فكانها قالت سمعت ما فقدت جسد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فلان او فلانه فلم يرجح خبرها على خبر غيرها لروايتها له عن مجهول بل لعدم ثبوته وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا
في حديث ام هاني وغيره كحديث ابي ذر ومالك بن صعصعة وايضا مصدر آض بمعنى عاد ورجع وقد يستعمل لمعنى الصيرورة
لتلاقيهما في معنى الانتقال اي قلت معاودا فليس حديث عايشه ما فقدت جسده بالثابت عند ايمة الحديث بقادح في
سنن عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره والاحاديث الاخر الواردة في الاسرا اثبت من حديثها لورودها في
لسنا نعني بقولنا والاحاديث الاخر اثبت حديث ام هاني ما اسري برسول الله الا وهو في بيتي ونام اي وحديث عمر الذي
ذكرت فيه خديجه لعدم ورودهما في الصحيح وايضا فقد روي في حديث عايشه ما فقدت جسد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يدخل بها الا بالمدينة جملة حالية تؤذن بعدم صحة حديث ما فقدت عنها وكل ذلك سابقا ولاحقا توهنه
اي توهن حديثها ما فقدت بل الذي يدل عليه قولها انه اي الاسرا كان بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه ليلة
الاسرا رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره اي لم تنكر كون رؤيته لربه مناما فان قيل قال الله تعالى ما كذب الفؤاد
ما راى فجعل رؤيته ما راه للقلب وعلقها به وهذا اي الجعل يدل على انه رؤيا نوم ووحي بالجر عطف على نوم اي ورؤيا وحي فيه
لا على انه مشاهدة عين وحس بصري فهو عطف تفسيري قلنا جوابا عنه يقابله ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال
عما راه وتجاوزه بل اثبته اثبات مستيقن فاضاف الامر في الرؤية للبصر وعلقه به وشهادة ما قال اهل التفسير في قوله ما
كذب الفؤاد ما راى لم يوهم القلب العين اي لم يرها ولم يورد عليها غير الحقيقة المري اذ لم يكن تخيلا كاذبا بشهادة حديث
مسلم هل رايت ربك قال رايته بفؤادي اذ الامور القدسية كما تدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر وقيل ما
انكر قلبه صلى الله عليه وسلم ما راته عينه اي لم يتقبل قلبه لما راه لم اعرفك ولو قال له لكذب اذ قد عرفه كما عرفه ببصره
هذا وكفاك بقول الجواب شاهدي صدق في تثبيت الرؤية للقلب والبصر جميعا بحكم مجموع الاثنين المؤذن بكونه اسرا
يقظة لشهادة قوله تمثيلا للعروج به وهو اي جبريل بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده

عتبا

ما اوحى فلا تقابل بين ما كذب الفؤاد ما راى وبين ما زاغ البصر وما طغى حد راى ثبوت اشتراك الالزام فصل
واما رؤيته لربه فاختلف فيها فانكرتها عايشه وفي نسخة فانكرته اي انكرت وقوعها او قول مسروق لها هل راى محمد ربه وقد روي هذه
مسلم بسند اخر شاهد الانكارها ذلك يقظة عن مسروق انه قال لعايشه يا ام المومنين هل راى محمد ربه يعني ليلة الاسرا يقرينه السوال
لانها لا تنكر رؤيته في الاخرة ولا في المنام لشهادة قوله ثم رايته في احسن صورة ولو كانت عندها مناما لم تنكرها فقالت لقد قف شعري اي قام من الفزع مما
قلت ظالبا منه تصديقي بثبوت رؤيته لربه او لا يثبتونها بقبل البسيطه التي يطلب بها وجود الشي او لا وجوده ثلاث من حدثك بهن فقد
كذب وافتري فرية ما فيها مرية ثم بينتها للثلاث بقولها من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات شهيدا على نفي رؤيته لربه تعالى قوله
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قلنا الادراك الاحاطة فالاية دالة على انه لا يحيط به ولا بحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنوره وصفة
كبريا جلاله لشهادة حديث مسلم نور اني اراه اي حجابه نور فكيف اراه اذ كمال النور يمنع الادراك اما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية
من صفات جماله فلا استبعاد لرؤيته بدون احاطة فنفي الاية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يستلزم نفي رؤيته بدونها وقال جماعة
من المتكلمين والمحدثين بقول عايشه لم يره ليلة الاسرا وهو المشهور كما رواه الشيخان عن ابن مسعود انه راى جبريل ومثله في كونه مشهورا
ما رواه البخاري عن ابي هريرة انما راى جبريل واختلف عنه اي عن ابي هريرة اذ قد روي عنه انه سمع قال راه بعينه كابن مسعود وابي
ذر والحسن وابن حنبل وقال بانكارها هذا وامتناع رؤيته في الدنيا ويجوز ان يكون المشار اليه ما لم يشتهر من قولي ابي هريره انه راه بعينه
وان يكون ما انكرته عايشه اي بانكار ما انكرته وقال بها جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين وذكره بالجملة الثانية دفعا لتوهم كون
انكارهم انكار الانكارها وعن ابن عباس انه راه بعينه وبه قال انس وعكرمة والربيع وروي عطا عنه اي عن ابن عباس انه راه بقلبه
وعن ابي العالية عنه اي عن ابن عباس انه راى ربه بعينه روي عنه ذلك من طرق هذا وقول ابن عباس راه بعينه لا ينافي قوله راه
بفؤاده فلعله قال بهما لثبوت الرؤية للبصر والفؤاد بحكم ما كذب الفؤاد ما راى وما زاغ البصر وما طغى اي ما كذب فؤاده ما راه
وكذا قول من قال كابن عباس راه بفؤاده وبعينه لا يحمل على تناف واختلاف لثبوت الروايتين بحكم الايتين وروى الحاكم والنسائي
والطبراني ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه راى ربه بعينه ان الله اختص موسى بالكلام لشهادة وكلم الله موسى تكليما وابراهيم بالخلة
لشهادة واتخذ الله ابراهيم خليلا ومحمدا بالرؤية وحجته اي حجة ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم راى ربه قوله ما كذب الفؤاد ما راى
اي ما اعتقد قلب محمد خلاف ما راى ببصره وفي مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه او ببصره بجعل فؤاده فيه اذ مذهب ايمتنا
اهل السنة ان الرواية بالارادة لا بالقدرة فاذا جعل الله حصول العلم بشي من طريق البصر كان رؤيته بالارادة ومن طريق القلب كان
معرفة لشهادة اقدار الله على حصوله بخلق مدرك له في البصر كما جعل حصوله بخلق مدرك له في القلب هذا والراجح كما قال النووي
عند اكثر العلما انه راه بعيني راسه ليلة الاسرا واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله عليه وسلم وهو مما لا شك فيه
وانكار عايشه وقوعها لم يكن لحديث رونه ولو كان لحديث لذكرته بل احتجت بقوله تعالى لا تدركه الابصار قلنا المراد بالا
الاحاطة اذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفيها نفي الرؤية بدونها وبقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا فلنا لا تلازم
بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه افتمارونه على ما يرى اي افتجادلونه عليه من المرا اي الجدال لمن مريت ضرع الناقة
اي مسحته للحلب كان كلام المتجادلين يمري ما عند صاحبه ولقد راه نزلة اخرى فعلة من النزول لا قيمت مقام المرة ونصبت
نصبها قال ابن عباس كانت له في تلك الليله عرجات لحط عدد الصلوات ولكل عرجة نزلة قال الماوردي قيل ان الله قسم اي
جعل كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين حيث كان قاب قوسين او ادنى او عند سدرة المنتهى وكلمه موسى مرتين مرة
وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى الطور والحواله كلمه اكثر منهما وما تلك بيمينك يا موسى وما اعجلك
عن قومك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها اذهبا الى فرعون والقيت
عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك الى غير ذلك مما خوطب به في الايات وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث
السمرقندي الحكاية التي ذكرها الماوردي عن كعب وروى الترمذي قال قال عبد الله بن الحارث اجتمع ابن عباس وكعب

دراك

[illegible]

بيان ذلك ان الرجل لما ابهم الطلاق ومات قبل البيان طلقت
واحدة منهن لا على التعيين فلو فرضناها المدخولة لا يسقط من مهر واحدة
منهن شيء اما عدم السقوط من المدخولة فظاهر واما من غيرها فلتأكده بالموت
واما لو فرضناها غير المدخولة يسقط نصف مهر احديها الا انه مثلث بينهن
لابهام الطلاق فلو قدر مهر كل واحدة منهن ستمائة مثلا لزم للمدخولة
تمام وهو ستمائة وسقط من مهر غيرها ثلثمائة مثلثا بينهن فاصاب كل واحدة
مائة ولغا ما اصاب المدخولة وضم الى الباقي من مهر غيرها وهو خمسمائة فصار
الفا وهو مهرهن وثمانمائة واما الميراث فلان المدخولة لو كانت المطلقة
فلها ارثها لكونه فارا ولكونها وارثة بيقين واما اذا كانت غيرها فلا ميراث
لعدم بقاء النكاح بالطلاق قبل الدخول ففي الصورة الاولى نصيب كل واحدة
منهن اربعة من اثني عشر وفي الثانية نصيب المدخولة اربعة فينصف لغيرها
وواحدة من غيرها ستة فوقعت المنازعة في اربعة ونصف اثنان
نصف للمدخولة لاقتضاء عدم ارث المطلقة قبل الدخول فيقر اثنان
للابهام والشك ويقع ما اصاب المدخولة لاحتمال كونها هي المطلقة سبعة او بقول
واحدة لها وواحدة لغيرها فيكون للمدخولة خمسة ولغيرها سبعة
هنا صورتان احديهما كون المطلقة هي المدخولة والاخرى كونها غير المدخولة
ففي الاولى يلزم للمدخولة اربعة وفي الثانية ستة وبينهما موافقة
بالنصف فاخذنا وفقها فبلغ الخمسة وهو لها ولغيرها في الصورة
الاولى لكل واحدة منهما اربعة ايضا وفي الثانية لواحدة منهما ستة
لا على التعيين فينصف بينهما فيصيب كل واحدة منهما ثلثة وبين
الثلثة والاربعة مباينة فاخذنا جميعها فبلغ الى سبعة وهو لها
والله اعلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين خص بني هاشم دون غيرهم ممن قال برؤيته ربه ايضا لانهم الاقرب
اليه الاعرف بحاله باخباره اياهم فكبر كعب حتى جاوبته الجبال غاية لتكبير كعب وقال اي كعب وابن عباس ان الله قسم اي جعل
رؤيته بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وبعينه ايضا على ما مر وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية اي
ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال اي ابو ذر رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه اي بقلبه
لشهادة اول الاية وحكى السمرقندي كرواية ابن ابي حاتم عن محمد بن كعب والربيع ابن انس مرسلا وابن جرير عن محمد بن كعب عن
بعض اصحاب النبي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني لعله في المرة الاولى اذ
قد روي عن ابن عباس انه رآه مرتين وروى الترمذي والطبراني قال كمالك بخامر بنم اوله وتمجه عن معاذ عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال رأيت ربي اي في منامه بشهادة رواية احمد وغيره عن معاذ قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة
ثم اقبل علينا فقال اني ساحدثكم اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست وفي رواية فوضعت جنبي فاذا انا بربي
في احسن صورة حال منه صلى الله عليه وسلم او من ربه ولا اشكال كما قال البيضاوي فيه اذ تدبري النائم غير المتشكل
متشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا في الرؤيا ولا في خلد النائم فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى اي في اي شيء يتقاول
الملائكة سؤالا وجوابا قلت انت تعلم اي رب مرتين فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي وفي رواية فوجدت
برد انامله بين ثديي تمثيل لما افاضه عليه من القوى الادراكيه للغيبيات والملكات الايقانيه حيث لا كف ولا وضع وتصوير
لاشراق انوار مكاشفات المعارف في روعه حتى ثلج صدره برد عكانه فيه للاية الكف للاضافة اذ كثيرا ما يفيض عنه العطا
ثم يصل الى المقصود به ولكونه كالعلة الفاعلية له جعله كناية عنه فكانه قال فاض علي ما يدرك به المغيبات ما غمر روعي
وثلج تيقنه صدري فعلمت وفي الرواية الثانية فتجلى لي كل شيء وعرفت ما في السماء والارض من بدايع اياته وعجايب مصنوعاته
ثم تلي وكذلك نري ابراهيم حكاية حال ماضيه فرضا لما كان في الزمان الماضي واقعا في هذا الزمان فيعبر عنه بلفظ المضارع
تعجيبا للسامع وتصويرا للاراءة له كانه يشاهدها اي ومثل تبصيرنا ابراهيم ما تمكن به من انكار ابيه وقومه وتضليلهم
تبصيره ملكوت السموات والارض اي دلائل ربوبيته وعجائبها وبدايع ملكه والملكوت اعظم من الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون
معطوف اما على محذوف اي هديناه ليستدل ويحتج على قومه وليكون او معلله محذوف اي فعلنا ذلك ليكون من الموقنين عيانا
كما ايقن بيانا اي كما اري ابراهيم ملكوتهما وكشف له كذلك اعطيت ما علمت به ما فيهما من المغيبات ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى
يا محمد اي فيم يتقاول الملائكة فيما بينهم سؤالا وجوابا قلت في الكفارات شبه تقاولهم في فضلها وتنافسهم فيها لشرفها
وارتفاعها على غيرها وفي غبطة الناس بها وتفضيلهم على الملائكة باختصاصهم بها محافظين عليها مع انهماكهم في الشهوات
وتماديهم في الجنايات بتخاصم المتخاصمين فاستعير له لفظ التخاصم ثم اشتق منه يختصم فتكون الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية والكفارات جمع كفارة من الصفات الغالبة في باب الاسمية كضاربة للمبالغة وهي ما من
شانها ان يكفر الخطيئة قال وما هن قلت المشي على الاقدام شفعه به لاحتمال المشي الجنسيه والغرض المسوق له الكلام
هنا هو اثبات المشي لمن له الاقدام فقرنه به بيانا لما له الغرض الى الطاعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات
واسباغ الوضوء اماكنه في المكاره لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
فذلكم الرباط من يفعل ذلك يعش بخير لشهادة من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة اي
لنرزقنه في الدنيا عيشا طيبا اما الموسر فامره ظاهر واما المعسر فمعه ما يطيب له عيشه اعني القناعة والرضى
بقسمة الله وتوقع الاجر العظيم في الاخرة ويمت بخير امنا بما قبته بروح وريحان ويكون بفعله ذلك مبرأ من خطيئته
وذنوبه كيوم ولدته امه مبرأ منه ويوم هنا مبني لاضافته الى ماض بخلاف ما لو اضيف الى مضارع فانه يعرب

على الاصح

على الاصح ومن الدرجات اي ومما يرفعها ويوصل اليها اطعام الطعام معاملة للخلق بالقيام بحقوقهم وان يقوم بالليل والناس نيام
معاملة للحق بالتهجد له فيه ومن ثم غبطت الملائكة البشر بتلك الكفارات والدرجات اللهم اني اسألك الطيبات اي
الرزق الحلال او حلاوة الطاعة وتجنبها وترك المنكرات جمع منكر وهو ما انكر شرعا قولا او فعلا وفعل الخيرات جمع خير
وهو ما عرف شرعا من اقوال مرضية وافعال مرضيه وحب المساكين سأله تواضعا واستكانة بعد سؤاله ما يرفع به درجته
ويزلف رتبته ويورثه حضيرة القدس ليعيش معهم ويحشر معهم بشهادة قوله اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي تفضلا منك علي ورضى عني واذا اردت فتنة في قوم كارادة اضلالهم عن الحق
فتوفني غير مفتون اي غير ضال حتى القاك وانت راض عني هذا وما حكاه هنا عمن ذكر من الايمة من قولهم بوقوع رؤيته فقوية
وتاكيد لما تقدم من القول به قال المصنف والحق الذي لا امترا فيه ان رؤيته في الدنيا جائزة تنبيه على انه لا خلاف ممن
يعتد به في جوازها فيها عقلا وليس في العقل ما اي شيء من توهم واحتمال يحيلها الجزمه بجوازها فيه والدليل على جوازها
ووقوعها في الدنيا سؤال موسى لها قال رب ارني انظر اليك مع اعتقاده انه تعالى يرى فسألها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز
على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير محال لاستحالة سؤال المحال من الانبياء ولكن وقوعه ومشاهدته من
الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله اياه واطلعه عليه فقال له الله غير ناف للجواز لن تراني دون لن ارى المؤذن بنفيه
اي لن تطيق ولن تحمل رؤيتي الان لتوقفها على معد لها في الرأي لم يوجد فيك بعد وجعل سؤاله لها تبكيتا لقومه اذ قالوا
ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت ممتنعة لجهلهم وازاح شبهتهم كما جهلهم اذ قالوا يا موسى اجعل لنا الها والاستدلال بالجواب
على استحالتها اشد خطا لان الاخبار لا يدل على انه لا يراه ابدا فضلا عن ان يدل على استحالتها وقد ضرب كناية عن اعتبار
المثل بغيره وتمثيلا لكشفه له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهدة اي مثل له مثالا ما هو اقوى من بنية موسى
واثبت وهو الجبل في قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني وكل هذا الذي ذكر ليس فيه ما يحيل الرؤية
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة لتعليقه اياها بالاستقرار المؤذن بجوازها ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن اذ معنى
التعليق هو ان يقع المعلق على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على تقدير اصلا وليس في الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا مانعه دليل قاطع على امتناعها اذ كل موجود ولو عاما وصوتا ورائحة وقدرة وارادة فرؤيته كما قال الاشعري
جايزة من حيث ان متعلق الرؤية هو الوجود المشترك بين كل موجود وبينه تعالى ولا يلزم من جوازها له وقوعها وعدم
تعلقها به انما هو لجري عادته تعالى بعدم خلقها فينا مع جواز خلقها فينا اذ هي غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها
بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الاية فقد قيل المراد بالادراك الاحاطة فلا ينفي فيها مطلق الرؤية وقيل ليس
فيها عاما في الاوقات فيخص بعضها ولا في الاشخاص اذ هو في قوة قولك لا كل بصر يدركه فيخص ببعضهم وقيل غير ذلك واذ
ليس عطف على لاختلاف اي ولانه لا يقتضي قول من قال بمنعها في الدنيا الاستحالة للرؤية لانه ليس نصا في المنع بل اخذ بها واحتما
لا يقتضي باستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية اي لا تدركه الابصار نفسها على جواز الرؤية اذ ليست نصا في نفيها مطلقا
على جوازها بدون احاطه واستدل بها نفسها على عدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار لاحتمالها سلب
العموم ونفي الشمول للاشخاص لانها قضية كلية موضوعها جمع محلى بلام العموم الحكم عليه فيها بالنفي فيفيد سلب العموم سلبا
جزئيا فيكون مؤذنا بانه لا يراه كل احد بل بعضهم فيحمل على نفي رؤية الكفار اذ هم يومئذ عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقيل
لا تدركه الابصار اي لا تحيط به اذ هو الظاهر منها بشهادة لفظ تدركه المؤذن بالاحاطة وهو قول ابن عباس وهو الذي يجمع
ابتناء ما ورد على القول بجوازها بلا احاطة وقد قيل من بعض التأويلات لا تدركه الابصار انفسها وانما يدركه اصحابها
المبصرون لانها تنفي الرؤية مقصورة على الابصار دون اصحابها المبصرون لها فالاية ناصة بجوازها لهم بشهادة ما
مر لاسيما لن تراني اذ لو كانت مستحيلة لقال لن ارى او نحوه وهذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها

بل بعضها يقتضي جوازها وكذلك اي ومثل انه لا حجة لمن استدل على منعها بلا تدركه الابصار لا حجة لهم على منعها بقوله لن تراني
وقوله تبت اليك لما قدمناه مما يؤذن بجوازها كسؤال موسى اياها اذ يستحيل ان يسال نبي ما لا يجوز على الله وكتعليقها
على استقرار الجبل الجائز بامكانه ولانها اي لن تراني ليست على العموم في نفيها لجميع الاشخاص في جميع الازمان لجواز ان يراه المفيد
غير موسى ممن خلق الله فيه استعدادها اي لقابلية الاسراء ولان من قال معناها في الدنيا انما هو تاويل لا يقتضي في انها
استحالة ولا امتناعا فيها مطلقا لجواز اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره وايضا فليس فيه نص الامتناع من الرؤية عموما وانما
جاءت اي آية لن تراني مفصحة بامتناعها في حق موسى صلى الله عليه وسلم وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات
فليس للقطع اليه اي الى امتناع الرؤية سبيل شبه القطع بمن قصد نجاح امر فصد عنه بما شبه به التاويل والاحتمال
اي فليس له بسلوك التاويل منهج الاية وتسليط احتمال الجواز مسلك الى امتناعها وقوله تبت اليك اي من الاقدام على
سؤالي اياك في الدنيا ما لم تقدره لي هذا ولعل قوله تبت اليك انما كان لما غشيه من شدة ما افضى به الى ان صعق كما
تقول من فعل جائزا عراك منه كال شفقة تبت عن مثل هذا وقال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان
يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه الضمير للشان يفسره من اذ هو الشان من نظر الي في الدنيا مات اي في الحال بشهادة
صعق موسى اذ رأى الجبل وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لا من حيث ذاتها البتة
جوازها فيها بما مر وان امتنعت فيها لضعف تراكيب اهل الدنيا وكونهم قوابهم وكونها متغيرة عرضا للآفات من نوايب
مقلقة ونوائب للاكباد مفلقة ولم يعطفه على ما قبله لكمال الاتصال بينهما اذ قد يكون سببا للتغير والفنا فلم تكن لهم
قوة على الرؤية في الدنيا فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا لها جواب الشرط اي حصل بذلك قوة على الرؤية في الآخرة هذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق ذلك لهم لهم
في الاخرة قادر على خلقه لهم في الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية بمجرد خلقه غير
مشروطة بشيء وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني ولا دليل
ايضا على جعل هذا علة لمنعها فيها اذ لا مدخل للبقاء في المنع كالحدوث لان الرؤية بخلق الله ليست مشروطة بشيء
لا يعتريها مانع فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية روي الباقي بالباقي وهذا الذي قاله مالك كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة بل هو شاهد صدق على ان الفنا لا مدخل له كغيره في منعها اذ هي كغيرها بمجرد خلق الله
لا برهان مانع الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله من شاء واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع الرؤية في حقه في اي
وقت كان هذا وان تاملت ما سمعته من الفاتحة بمجرد خلق الله تعالى ليست مشروطة بشيء نبهك على ضعف هذا الجواز ان خلق الله
فيه فيراها بدونهما وقد ذكر القاضي ابو بكر الباقلاني في اثنا اجوبة عن الآيتين اي لا تدركه الابصار ولن تراني ما معناه
ان موسى رأى الله فلذلك خر صعقا والا فالصعق بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد لكنه مخالف لصريح لن تراني بمنع رؤيته
له الا ان يحمل المنع عليها قبل تجليه تعالى للجبل ثم رآه حيث لا عموم له في الازمان حال التجلي فخر صعقا وان الجبل رأى
ربه فصار دكا بادراك كما نقله الماتريدي عن الاشعري خلقه الله له وكفاك بهذا قاضيا بجوازها واستنبط القاضي
ابو بكر ذلك اي رؤيتهما ربهما والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه وبقي على حاله فسوف تراني ثم قال
فلما تجلى ربه للجبل بلا كيف جعله دكا اي مدكوكا كارض مستوية وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه وتجليه
للجبل هو ظهوره له ظهورا تاما بلا كيف حتى رآه على هذا القول الذي عزاه للقاضي ابي بكر وقال جعفر بن محمد
شغله اذ امره بالنظر اليه حتى تجلى غاية لشغله بالجبل قبل تجليه ثم حال التجلي يحتمل ان يقول رآه كالجبل كما رويناه
ظاهر قوله ولولا ذلك اي الشغل بالجبل لمات صعقا بلا افاقة نقول للمصنف هذا اي قول جعفر يدل على ان موسى رآه
بعيد هذا وكفاك بهذه التاويلات قاضيا بجهل منكر الرؤية وبان قولهم ان موسى كان عالما بانه لا يرى وانما طلبها ليبين

لقومه

لقومه انه ليس يرى اذ قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة باطل وقد وقع لبعض المفسرين انه قال في الجبل انه رآه بادراك وعلم
خلقه فيه فانه لك اذ الدك بمجرد التجلي بلا ادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدي عن الاشعري ان معنى التجلي ان الله خلق فيه
حياة وعلما ورؤية فرآه وهذا نص منهما على اثباتها وبرؤية الجبل له اي لربه تعالى استدل على رؤية نبينا له من قال
برؤية نبينا له اذ جعله اي جعل رؤية الجبل له دليلا على الجواز لها وذكر الضمير نظرا لما بعده ولا مرية في الجواز اي ولا شك
في جواز الرؤية اذ ليس في الآيات اي لا تدركه الابصار ولن تراني فان استقر مكانه فسوف تراني نص في المنع للرؤية بل هي
مشيرة الى الجواز كما نبه عليه فيما تقدم واما وجوبه اي وجوب وقوعها لنبينا والقول بانه رآه بعينه فليس فيه من قواطع الادلة
قاطع ولا نص يعول في وقوعه عليه اذ المعول فيه على آيتي النجم اي ما كذب الفؤاد ما رأى وما زاغ البصر وما طغى والتنازع بين
الائمة فيهما ماثور اي مروي منقول عنهم كما قد عرفت والاحتمال لهما من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها ممكن لعدم صراحتهما
فيها ولا اثر قاطع من حيث انه متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بكونه رآه بعينه وحديث ابن عباس المتقدم انه رآه بعينه
او بفؤاده خبر انما اشاعر اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعتبر فيجب العمل باعتقاد مضمنه من رؤيته ربه
ومثله حديث شريك المتقدم عن ابي ذر في تفسير الآية رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحديث معاذ رايت ربي في احسن
صورة محتمل للتاويل على ما تقدم وهو مضطرب الاسناد والمتن لعله في بعض طرق الترمذي اذ قد رواه بطرق منها ما حكم
بصحته من حديث عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما مر وحديث ابي ذر الآخر مختلف من حيث اللفظ محتمل لان يكون رآه ولم يره مشكل من حيث جعل ذاته
تعالى نورا فروي نور انى اراه بفتح اوله وتشديد نونه اي هو نور كيف اراه لجري العادة بان النور اذا غشي البصر حجبه
عن رؤية ما وراءه وروي في بعض شيوخنا انه روي نوراني بكسر النون الثانية وتشديد الياء اراه قال وهذه الرواية
لم تقع لنا ولا رايتها في اصل من الاصول ومحال ان يكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثم كان تسميته تعالى في
الكتاب والسنة نورا بمعنى ذي النور وخالقه هذا وفي تخريج احاديث الاحيا للعراقي في كتاب المحبة قال احمد ما زلت له
منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء اي من حيث انه في رواية احمد عن ابي ذر رايته نورا انى اراه ورجالها
رجال الصحيح وفي حديثه اي ابي ذر الآخر سالته صلى الله عليه وسلم رايت ربك فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منهما اي حديثي ابي ذر على صحة الرؤية بلا فصاحتهما بانه لم يره فان كان الصحيح رايت نورا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه لم
ير الله وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا اي الى قوله رايت نورا يرجع قوله نورا انى اراه اي كيف اراه مع
كون حجابه النور المغشي اي المعطي للبصر يقال غشيه غشيانا اي جاءه وغشاه تغشية اي غطاه وغشيها اي جامعها
وغشي عليه اي اغمي عليه واستغشى ثوبه وتغشى اي تغطى وهذا اي حديث نور انى اراه مثل ما في الحديث الآخر من حيث
المعنى حجابه النور رواه الطبراني عن ابي موسى واصله في مسلم اوله ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام وفي الحديث الآخر
الذي رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين زيد فيه هنا من قبل الراوي شاهدا
لصحة رؤيته ربه بقلبه ثم دنى اي نبينا صلى الله عليه وسلم فتدلى وهو قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف
شاء فان ورد حديث نص على صحة الرؤية لا يحتمل تاويلا اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه اي في جواز الرؤية
ولا مانع قطعي يرده فصل واما ما ورد في هذه القصة اي قصة الاسراء من مناجاته اي مخاطبته ومحادثته صلى الله
عليه وسلم في كلامه اي الله معه بقوله فاوحى الى عبده اي محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى الابهام مؤذن بتفخيم الموحى
الى اي مع ما تضمنته الاحاديث الآتية مما ورد في ذلك وقد ذكرنا هنا ما ليس من غرضه بيانا لاكثرية من خالف فيه
وتمهيد الما هو من غرضه من المناجات فقال فاكثر المفسرين جوابا اما اي غالبهم على ان الموحي هو الله الى جبريل وجبريل
الى محمد الا نفر وذا منهم فذكر جعفر بن محمد الصادق صفة جعفر قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه اي ونحو ما ذكر عن جعفر ذكر

عن الواسطي والي هذا الذي هو قول الصادق والواسطي ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في ليلة الاسرا وحكي القول بانه
راه فيها عن الاشعري لجوازه وامتناع استحالته وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اي انكر تكليمه له بلا واسطة
اخرون ويرده حديث البزار المتقدم في اذان الملك الله اكبر الله اكبر حيث سمع من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر
وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسرا عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنى فتدلى قال النبي صلى الله عليه وسلم فارقني
جبريل فوقف على في مقامه اذ لكل مقام فانقطعت الاصوات عني بعد مفارقة جبريل فسمعت كلام ربي وهو يقول اي قائلا
ليهدا روعك اي لتسكن نفسك وخوفك ان كانت الراء مفتوحة يا محمد ادن ادن اي دنوا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم
بيانا للانافة منزلته وشرف مرتبته وتانيسا لاستيحاشه بانقطاع الاصوات عنه وقد احتجوا في هذا اي في القول
بانه كلمه بلا واسطة بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي كلاما خفيا يدرك بسرعة ليس مركبا من حروف متقطعة
تتوقف على تموجات متعاقبة اما بطريق المشاهدة كما وقع لنبينا ليلة الاسرا او الهتف كما وقع لموسى في طوى والطور ثم
والبه اشار بقوله او من وراء حجاب للسامع يحجبه عن رؤية ربه في الدنيا اذ لا يجري عليه تعالى ما يجري على غيره من الاجسام
او يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي اليه اي فيبلغ الملك من الملائكة الرسول لمن البشر باذنه ما يشا مما ارسله الله به اليه
من الوحي فقالوا اي المحتجون بهذه الاية انه كلمه الله بلا واسطة هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى من وراء حجاب بلا
واسطة وبارسال الملائكة كحال جبريل مع جميع الانبيا في وجه اليهم ما ارسل به واكثر احوال نبينا معه مرسلا اليه بالوحي
والثالث مما افاده قوله الا وحيا وهو مما بعده احوال اي الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا او منصوبة بالمصدر اي
الا كلاما او اسماعا من وراء حجاب او ارسالا لا تنزيلا للكلام على لسان الرسول كهو بدون واسطة ومن جعل وحيا بمعنى ان يوحي
وعطف عليه ما بعده فعليه ان يقدر يقدر بما ينتظم او من وراء حجاب مع مكتنفيه في مثل الا بان يوحي او بان يسمع من وراء حجاب
او بان يرسل ولم يبق من تقسيم صور الكلام من الله لمن شاء من عباده الا المشافهة مع المشاهدة يختص بها من يشا كنبينا
وقيل الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي من الانبيا الهاما كما جابه تعالى الزبور الى داود اي الهمه اياه وقذفه في صدره هذا وتامل
ما تقدم في حديث البزار عن علي تجده اصرح في سماعه صلى الله عليه وسلم كلام ربه من الاية اي فاوحي الى عبده ما اوحي وكلام
الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه اي يمنع جوازه فان صح في ذلك خبر
اعتمد عليه في كلامه لغير موسى منهم واما كلامه لموسى فانه كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وكلم الله موسى تكليما
تسمعه من جميع الجهات ومن ثم اختص بكونه كليم الله وزعم المعتزلة كله بخلق الكلام في جسم تسمعه بناء على نفيهم قدم الكلام
النفسي فهو تعالى عندهم متكلم بكلام هو قائم بغيره خلقه فيه ليس بصفة له قديمة قلنا اثبات المشتق له بدون
قيام ماخذ الاشتقاق به ممتنع واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في بعض طرق الحديث الصحيح انه
في السما السابعة قال الحاكم تواترت الاحاديث انه في السادسة بسبب كلامه اياه واكرم بها منقبة ورفع محمدا فوق هذا
كله قال تعالى ورفع بعضهم فوق بعض درجات في اعلامه من تفخيم شرفه واعلا قدره مما لا يخفا مع شهادة له بانه العلم الذي
لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس لما اوتيه من مكارم متواترة وكرايم متواترة ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به شرفا منيفا
على غيره من الانبيا اذ هو الاية الباهرة والنعمة النافعة على وجه كل زمان في كل مكان حتى بلغ مستوى اي مكانا مستويا الا نوح
فيه ولا امتي وسمع صريف الاقلام اي صوت جريانها بما تكتبه فكيف يستحيل ولا يجوز في حق هذا النبي الكلام البالغ لمستوى سمع فيه
صوتها فكان قاب قوسين او ادنى او بعد عند سماع الكلام من ربه مخاطبا له به فسبحان تعجب وتنزيه لذات من اختص من شاء من
جبريل كرمه ومزيد نعمه بما شا وجعل بعضهم فوق بعض درجات كنبينا اذ خصه بدعوة عامة ونعمة تامة ومعجزات
واضحة والابهام كامر لتفخيم شانه واتضاح برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المغني عن بيانه **فصل**
واما ما ورد في حديث الاسرا وظاهر الاية من الدنو والقرب بيان لما ورد فيه ولما افهمه ظاهر الاية من قوله ثم دنى فتدلى

وحج لشبهة الكفر قاطعة

فكان

فكان قاب اي مقدار قوسين او ادنى في تمثيل الملكة الاتصال وتحقيق لاستماعه ما اوحي اليه بنفي البعد ومن ثم قال فاكثر المفسرين
جواب اما ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل اذ تدنى كل منهما الى الاخر او مختص باحدهما محمدا او جبريل دنى من الاخر
او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس كما رواه ابن ابي حاتم عنه هو محمد دنى فتدلى من ربه اي قرب منه وهو
كناية عن تمكنه من لازم القرب الغايت للحصر وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب قربا ليس كما تدركه الافهام من قرب الاجسام
لنزاهة ساحته تعالى عنه وقيل هما اي دنا فتدلى بمعنى واحد اي قرب قرب انعام لا قرب مسافة وحكى مكي والماوردي عن
ابن عباس كما رواه ابن جرير هو الرب دنى من محمد دنو علم لا دنو مكان فتدلى نزل اليه امره وحكمه او كنى به عنهما وحكى النقاش
عن الحسن قال دنى من ربه العزة من عبده فتدلى اي فقرب منه قرب عناية وتفضل واختصاص فاراه ما شاء ان يريه من اثار
قدرته وعظمته قال اي الحسن او النقاش وقال ابن عباس هو اي قوله دنى فتدلى مقدم ومؤخر اي تدلى الرفرف اراد
به بساطا احضر لمحمد ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه دنوا بالنسبة اليه لنزاهة ربه عما هو من خواص الاجسام
قال صلى الله عليه وسلم كما تقدم عنه فارقني جبريل وانقطعت الاصوات عني وسمعت كلام ربي بلا واسطة ومن بدع المعتزلة
سمعه من بعض الاجرام خلقه فيه منطوقا به خلقه في اللوح وروى شريك عن ابي نمر عن انس في الصحيح عرج جبريل الى سدرة
المنتهى ودنى الجبار اي القاهر لعباده على ما اراده منهم من امر ونهي او العالي فوقهم من قولهم نخلة جبارة اي عظيمة تفوت يد
المتناول رب العزة اي القوة والغلبة من عز يعز بالفتح اي اشتد وبالكسر اي قوي فتدلى حتى كان اي الجبار رب العزة منه
صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى دنو عناية واعلام بتشريف قدره ومنيف عزه لا دنو اي الى غاية لنزاهة ساحته
جل له عن صفات الاجسام فاوحي اليه بما شاء من كرايم شريفة وخصايص منيفة واوحي اليه خمسين صلاة فما زال بينه وبين
موسى يسال له تخفيفها حتى قال يا محمد هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي وفي رواية انس خمس صلوات كل يوم
وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة وعن محمد بن كعب هو محمد دنى من ربه وضع المظهر موضع المضمر لكمال العناية
بذكره فكان قاب قوسين قال اي محمد بن كعب وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان كقاب قوسين على ما تقدم في الدنو
وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ينتهي اليه يطمح فهم او يطرح وهم من العباد بالحدود والغاية المنتهية الى
غاية لا الحدود المعروفة لماهية المحدود والمميزة له وقال جعفر بن محمد ايضا اي معاودا اذ الايض العود فاستعير
لمعنى الصيرورة لالتقائهما في معنى الانتقال اي منتقلا معا ودال الكلام في الدنو انقطعت الكيفية عن الدنو لما مر
من انه دنو علم وعناية لا مكان وغايته الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة المتعلقة
بما يفوت الحصر من المواهب والايمان بما لا طريق اليه الا السمع بعد البعثة وعليه حمل مفاد ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان وبه احذر من زعم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبلها بشرع واما الايمان بما طريقه العقل بالنظر قبلها
فكان له به علم فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه اليه فاشرق بانوار المعارف قلبه وزال عن قلبه الشك والارتياب
الذي عرى خاطره هل يغشى حضره هذا القرب وينال مواهبه من انافة واكرام وشرف وانعام ام لا فانح الله امنيته
لا الشك في ذلك اذ كان راتبة الناس معرفة وايمانا واسكنهم بها جنانا وامكنهم يقينا واملكهم طمانينه وسكونا
هذا وما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس كما تقدم بدنو مكان وقرب مدى ينتهي اليه كما ذكرنا عن
جعفر الصادق انه ليس بدنو وحد بحس ببصر او يدرك بنظر وانما دنو النبي من ربه وقربه منه هو ابانة عظيم منزلته
وتشريف رتبته اعتنا بشانه واظهار الماربوبيته احدا غيره واشراق انوار معرفته بما عراه من الكرايم واحرزه في قصبا
السبق من المكارم ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته مما يطلع عليه غيره في نادي التفضيل واما الدنو والقرب من الله
له صبرة فهو كناية عن جزيل فوايده اليه وجميل عوايده عليه وتانيس لاستيحاشه بانقطاع الاصوات عنه وبسط بالمكالمة
والاكرام لشرايف منيفه وينال فيه اي في دنوه تعالى منه ما يتناول في التنزول من قوله في حديث الكتب الستة عن ابي هريرة

ينزل ربنا الى سما الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخر الحديث اي يول دنوه تعالى منه بما يول به نزوله تعالى على احد
الوجوه من ان نزوله تعالى انما هو نزول افضال واجمال من جميل عوايده كاجابة دعا وقبول توبة واحسان بمغفرة واسعا
او اجلال من مقتضي صفات الاكرام من الرافة والرحمة والاعضا واللطفا وتمثيل لسرعة اجابة من دعاه وسهوله
انجاح طلبته حال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته فيكون دنوه تعالى من دنو افضال بكرايم مواهبه وشرايف
منه وقال الواسطي من توهم انه وله المثل الاعلى بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة ولا مسافة لاستحالتها بل كلما دنى
بنفسه من الحق تعالى بعدا تمييز لنسبة تدلي يعني كلما قرب منه نزل ساعة البعد كناية عن نفيهما جميعا او عن درك حقيقته
اذ لا يدركها احد ولا دنو للحق ولا بعد لاستحالتهما في حقه تعالى هذا وامثاله قوله تعالى فاني قريب فتمثيل لكمال علمه واجابته
لتعاليه عن القرب مكانا وقوله فمن جعل الضمير في ثم دنى فتدلى عايدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان اي الدنو عبارة عن
نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد اي كان الدنو بمعنى ما ذكر منه صلى الله عليه
وسلم وكان عبارة عن اجابة الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفي بهماله اي المبالغه في البر وانا فه اي رفعة
المنزلة والمرتبة من الله هذا وحيث جعل عبادة عن المقربين فهو كناية عن اقتربه من ربه قرب ذكر وعمل صالح وقرب ربه منه
قرب لطف وفيض نعم وترادف مواهب ومنن ويتاول فيه اي في الدنو ما يتاول في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البخاري من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا تمثيل تقرب المعنى للا فهام اي من تقرب الي بطاعتي جازيته
باضعاف ما تقرب به الي ومن اتاني يمشي في طاعتي اتيته هرولة اي سبقته بجزاي فهو بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل بالمامول ثوابا مضاعفا على حسب ما تقرب به وقد سلك به طريق المشاكلة فسماه تقربا
فصل في ذكر ما يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيمة بخصوص الكرامه وقد اسند هنا من طريق
الترمذي من حيث انا اول الناس خروجا يعني من القبر اكراما له اذا بعثوا اي اثيروا من قبورهم وانا خطيبهم
اذا وفدوا على ربهم اي متكلم بين يديه عنهم وانا مبشرهم بما يسرهم من ربهم اذا ايسوا من شدة ذلك اليوم وهوله
ولوا الحمد بيدي لانفراده بالحمد وشهرته به فيه يشهد له حديث فاحمد ربي بمحامد يلهمنيها ذلك اليوم لا اقدر عليها
الان او لان الحمد لواحقيقته اذا اقيم في مقامه المحمود دفع عليه فيه ما لم يفتح على غيره وانا اكرم ولد ادم على ربي
اخبار على ما منحه به من السودد والاكرام والتحدث بمزيد الفضل والالهام واعلام لامته ليومنوا به على حسبه
وموجبه ولا فخر حال موكده اي اقوله هذا غير مفتخر به فخر عجب وتكبر اذ هو بمجرد اكرام وتشريف لم انله تسعى
واجتهاد وفي رواية ابي نعيم في الدلايل عن ابن زحر بزاي مفتوحة فمهملة ساكنة عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث وانا
قايدهم اذا وفدوا لانه السيد به يقتدي والامير به تقتضي وفي الحديث قريش قادة زادة اي يقودون الجيوش في النايبة
ثم لهم وروي ان قصيا قسم كرمه بين بنيه فاعطى عبد مناف قيود الجيوش ثم وليها عبد شمس ثم امية ثم حرب ثم ابو سفيان وانا
خطيبهم اذا انصتوا اي سكتوا عن الاعتذار ولم يوذن لهم فاعتذر لهم عند ربهم وانا شفيعهم اذا حبسوا في القيمة فيموج
بعضهم في بعض فيفزعون الى الانبيا فيقول كل نفسي نفسي فياتونه فيستفع لهم الشفاعة العظمى الفصل القضا وانا
مبشرهم بقبول شفاعتي لهم عند ربهم اذا ابلسوا اي يسوا وتحيروا والمبلس اليايس المتحير ومنه سمي ابليس لانه
نفسه لا تحدثه بالرجا به لوا الكرم بيدي لانفراده به بقبول شفاعته لهم او لانه الفاتح لبا بالشفاعة وانا اكرم
ولد ادم على ربه ولا فخر اي لا اقوله افتخارا وتبجحا بل شكرا لله وتحدثا بنعمه ويطوف على الف خادم يخدمني في الجنة
برفق وعناية كانهم لولو مكنون وروي الترمذي وصححه عن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش تلوح
بقربه من ربه وكرامته عنده اذ يكسى من الجنة قبل دخولها بلباس عن يمين العرش حيث عرى الناس ليس احد من الخلايق
يقوم ذلك المقام غيري لاختصاصه به لا يشركه فيه غيره روي الترمذي وحسنه وابن ماجة عن ابي سعيد الخدري انا

سيد

سيد ولد ادم يوم القيمة تنبيه لاصحابه على ما خفي عليهم من حاله وقيد سيادته به مع كونه سيدا مطلقا لظهورها فيه لكل احد ولا
منازع وسياتي له مزيد بيان وبيدي لوا الحمد ولا فخر اي غير مفتخر تكبرا ومباهاة بل اعلام بما انعم به علي من شرايف الاكرام
لاعتقاده والعمل بموجبه تعظيما وتوقيرا وما من نبي نكرة زيد عليه من الاستغراق فيه منتظما في سلك النفي فكسته الا ستغراق
ادم يومئذ فمن سواه اعتراض بين النفي والاستثنا افاد ان ادم بالرفع بدلا او بيانا من محله ومن فيه موصولة وسواه
صلتها وجي بالفا دون الواو للترتيب الامثل فالامثل كابراهيم فنوح فموسى فعيسى الا تحت لواي وانا اول من تنشق عنه
الارض تكريما له وتبجيلا ولا فخر تعاظما وتبجحا وحاشاه من ذلك وروي مسلم عن ابي هريره انا سيد ولد ادم يوم القيمه
اخبار بما اكرمه الله به من الفضل والسودد وتحدث بنعمته عليه واعلام لامته ليومنوا به ويعملوا بموجبه واول
من ينشق عنه القبر تشريفا وتكريما واول شافع واول مشفع بشهادة حديث البخاري يحبس المومنون يوم القيمة
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي في داره فيوذن لي عليه فاذا
رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا ان يدعني فيقول ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وروي الترمذي والدارمي
عن ابن عباس انا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر لانه صاحبه وسيد اهله بلا نزاع وقايدهم بلا دفاع وانا اول شافع
اي شفيع فيهم لازاحة ما بهم من الكرب وهول الموقف واول مشفع بقبول شفاعته فيه ولا فخر بذلك اذ هو محض كرامة
خصني الله بها لم انلها باجتهاد وانا اول من يحرك حلق باب الجنة فيفتح لي فيدخلنيها مع فقرا المومنين لكرامتهم على ربهم
وشرفهم لديه بمتابعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم وغلبتهم بسماته هذا والفقر اما محمود وهو غنى النفس الممدوح
بقوله ليس الغنى بكثرة العرض وانما الغنى غنى النفس ومنه غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة فان زاد شيا عاد
ذاك الغنى فقرا او مذموم وهو فقر النفس الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم ولا فخر وانا اكرم الاولين
ر والاخرين ولا فخر وروي مسلم انا اول الناس يشفع في الجنه لرفع درجات اناس فيها وفي العصاه ليدخلوها وانا اكثر الناس
بد من الانبيا وفي رواية الانبيا تبعا وروي الشيخان عن انس انا سيد الناس يوم القيمه اذ هو الذي فيه يفزع اليه في الشدا
ويتوسل به في النوايب فيدفعها عنهم بيمن همته وحسن شفقته وقيد سيادته بيومها مع كونه سيدا في الدنيا والاخرة كما
سياتي لظهورها فيه ولا منازع ومعاند وقد نازعه في الدنيا زعما الكفره ورؤسا الفجرة وكفاك به شاهدا بها
له على جميع الخلايق لان مذهبنا اهل السنه ان النوع البشري افضل من النوع الملكي واما حديث لا تفضلوا بين الانبيا
فقال النووي وغيره انما قاله قبل ان يعلم انه سيدهم او تواضعا وادبا او هو نهي عن تفضيل في نفس النبوة اذ لا تفضيل فيها
وانما هو في الخصايص والفضايل ولا بد من اعتقادها بينهم بشهادة تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقد ورد لم
ذلك كانه قيل الله ورسوله اعلم فقال يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة اذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم في
بعض فياتون ادم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فياتوني فاقول انا لها الحديث اما الكاين لها او الكافل بها او المختص
ومن ثم قيل انت لها احد من بين البشر وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع طمع العبيد في موالهم ليعودوا
عليهم بالافضال اني اكون اكثر الانبيا اجرا يوم القيمه لانه اعظمهم مشقة بما كلفه من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو
الفجرة وابايهم كانما ايفت مشاعرهم عن استماع الحق والاذعان للصدق وما كان مناه وغاية متمناه الا ان يومنوا
فيفوز واحتى له ربه لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم
القيمه لعل المراد بما بالذكر لما اوتيه ابراهيم من شرف الكرامة وعظم المنزلة وجلال المرتبة بامر الله خير الخلايق باتباع
ملته بقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم مع اشعار ثم في الاية بتباعد هذا الوصف في المرتبة من بين ما اثنى الله
عليه به من الاوصاف اي في التوحيد والدعوة اليه واقامة الحجج والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه ولما منحه عيسى من شرف
البشارة بنبينا والدعوة الى تصديقه وتمهيد قواعد دينه والحكم في اخر الزمان به وتغيير بعض احكامه ككونه لا ياخذ الجزيه

ولا يقبل منهم الا الاسلام ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي اذ قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وذريتي اذ لا نزاع انه من نسل ولده اسمعيل ولم يبعث منهم نبي سواه
فهو المجاب به دعوته واما عيسى فالانبيا اخوة اي اولاد اب واحد لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد وايمان بما يجب تصديقه
ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم ولتساويهم فيه اعتقادا كان لهم كاب واحد
بنو علات من العل وهو الشرب ثانيا فكان الزوج عل منها بعد ما نهل ممن قبلها اي اولاد ضراير امهاتهم شتى جمع شتيت كمرضى
ومريض اي متفرقات في النسب شبه الاصل الذي كان سببا لابراز كل في زمنه وهو الدين الحق الذي فطر الناس عليه مستعدين
لقبوله متمكنين من الوقوف عليه والتمسك به باب واحد لهم على طريقة الاستعارة التحقيقية ثم قرنها بما يلايم المشبه
به اعني الاخوة ترشيحا للمجاز ثم شبه ما اختلفوا فيه من تفاريع الشرايع التي هي كالوصلة المودية للدين والاوعية
الحافظة له بالامهات العلات المختلفة نسبا فاستعار اسمها له استعارة تحقيقية وقرنها بما يلايم المشبه به اعني كونهن
شتى ترشيحا للمجاز وان عيسى اخي من حيث انه بشر به ومهد قواعد ملته ودعى الى تصديقه متصل به ليس بيني
وبينه نبي وانا اولى الناس به اي احق به منهم اذ كان اقرب المرسل اليه وروى البخاري ومسلم انا اولى الناس بعيسى ابن
مريم في الاولى والاخرة الانبيا اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي هذا وقوله انا سيد الناس
يوم القيمة اصله من ساد يسود فهو سيود اعل بقلب واوه يا لاجتماعهما مع سبقها بالسكون والتقييد بيوم القيمة
مع كونه هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار كما تقدم بذلك لانفراده فيه بالسودد والشفاعة العظمى
لفصل القضا المنبية عن شرفه ورفعة قدره دون غيره اذ اي حين لجا الناس اليه في حوايجهم فيه لكشف كرب
ودفع شدايد ورفع مكاره فكان حينيذ اي وقت يلجاون اليه سيدا منفردا بالسودد لفقد من يدعيه اذ ذاك من
بين البشر لم يزاحمه في ذلك احد ولا ادعاه وهذا كما قال تعالى اي يوم القيمة لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيجيب نفسه
بقوله لله الواحد القهار اي زال الان حقيقة الامر ناطقة بانه الملك في الدنيا والاخرة ولكن في الاخرة زالت الاسباب
وارتفعت الوسايط وانقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك اي ومثل كونه تعالى مالكا فيهما كون محمد سيدا
فيهما ومن ثم لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة ليريحهم من هول موقفهم وشدة مصابهم وفظاعة حالهم فكان سيدهم
في الاخرى دون دعوى من احد انه سيد وروى مسلم عن انس اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فيقول محمد فيقول بك قيل البا متعلقة بالفعل بعدها ثم هي اما سببية قدمت للتخصيص اي بسببك امرت لا افتح
لاحد قبلك لا بسبب اخر او صلة له ولا افتح بدل من مجرورها اي امرت بان لا افتح لاحد غيرك وروى الشيخان عن عبد الله
بن عمرو حوضي مسيرة اي مسيرة حوضي شهر وزواياه سوا لانه مربع لا يزيد طوله على عرضه وماوه ابيض اسم تفضيل من
الالوان وكفى به شاهدا بجواز بنايه كفعل التعجب منها ومن العيوب بدون اشد وابلغ وان منعه النحاة بدونه
فيقال ما ابلغ زيدا وهو ابيض من الورق اي الفضة فهي لغة قليلة لا يلزم من قلتها عدم فصاحتها لصدورها عن ابلغ العرب
فصاحة وريحه اطيب من ريح المسك قيل خصه بالذكر لانه اطيب الطيب فريحه الطيب الاطيب وكيزانه كنجوم السما
اي كثرة واشراقا قيل هذا من باب حديث لا يضع العصا عن عاتقه فالمراد الكثرة جدا والصواب ما قاله النووي ان
العدد على ظاهره ولا مانع منه عقلا وشرعا بل زاده في روايته موكدا بالقسم في حديث والذي نفسي بيده لانيته اكثر من عدد
نجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا من الظما مهموزا مقصورا اي لم يعطش وروى مسلم عن ابي ذر نحوه قال اي ابو ذر
في حديثه في صفة الحوض طوله ما بين عمان بضم العين وتخفيف الميم من قرى اليمن قيل سميت بعمان بن سبا من ولد ابراهيم
وبفتح العين وتشديد الميم من قرى الشام بالبلقا من اقصى حوران قيل سميت بعمان بن لوط اذ كان يسكنها اي مسافة
ما بين طرفيه مثل المسافة منها الى ايلة بيا ساكنة بعد همزة مفتوحة قرية في اخر طرف الشام بساحل البحر بينها وبين

الطور عقبة وبين طيبة خمس عشرة مرحلة وبين دمشق نحو ثنتي عشرة وبين مصر نحو ثمان منها هرون بن سعيد الايلي
قيل هي التي قال الله فيها واسيلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر يشخب بضم الخا وفتحها اي يسيل فيه ميزابان من
الجنة سيلا شديدا متتابعا وعن ثوبان فيما رواه مسلم عنه مثله وقال اي ثوبان احدهما من ذهب والاخر من ورق
اي فضة وفي رواية حارثة بن وهب فيما رواه الشيخان عنه كما بين المدينة الشريفة وصنعا من اليمن وقال انس فيما
رواه الشيخان عنه كما بين المدينة ايلة وصنعا وقال ابن عمر فيما رواه الشيخان عنه كما بين الكوفة من العراق والحجر الاسود
هذا واختلاف الروايات في مقدار طوله انما هو لوروده تقديره تمثيلا وتقريبا لكل احد بحسبه وروى حديث الحوض ايضا
جابر بن سمرة فيما رواه مسلم عنه وعقبة بن عامر رواه مسلم عنه والمستورد ورواه الشيخان عنه وابو برزة الاسلمي فيما
رواه ابن حبان عنه وزيد بن ارقم ورواه احمد بن حنبل عنه وابن مسعود ورواه الشيخان عنه وعبد الله بن زيد فيما
رواه الشيخان عنه وسهل بن سعد ورواه الشيخان عنه وسويد بن جبلة ورواه ابو زرعة الدمشقي عنه في مسند اهل
الشام وابو سعيد الخدري ورواه مسلم عنه وعبد الله الصنابحي قيل صوابه الصنابح بن الاعسر ورواه احمد وابن ماجة
عنه وابو هريرة ورواه الشيخان عنه والبرا ورواه احمد والطبراني عنه وجندب ورواه الشيخان عنه وعايشة
كما رواه مسلم عنها واسما بنت ابي بكر كما رواه الشيخان عنها وابو بكرة كما رواه الطبراني عنه وخولة بنت قيس ورواه
احمد وغيره عنها وغيرهم كابي بكر في صحيح ابي عوانة عنه وعمر في البعث للبيهقي عنه وابي بن كعب واسامة بن زيد وحذيفة
ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين والحسن بن علي وسلمان الفارسي وسمرة بن جندب وابو الدردا وابو مسعود
والطبراني عنهم واسيد بن حضير ورواه الشيخان عنه وابن عباس كما رواه البخاري عنه وام سلمة ورواه مسلم
عنها وجابر بن عبد الله وعايذ بن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم ورواه احمد في مسنده عنهم ولقيط بن صبرة
في زيادات المسند عنه وخباب ابن الارت في المستدرك عنه وكعب بن عجرة في الترمذي والنساي عنه وبريدة في
مسند البزار وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية في صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان في كتاب ابن ابي الدنيا
وعثمان بن مظعون في تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف في الطبراني ومعاذ بن جبل في حادي الارواح هذا وزعم
المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر ان تواتره معنوي لا لفظي لقول ابن الصلاح وغيره انه لا يكاد يوجد بشرطه
فصل في ما ورد شاهدا بتكريمه صلى الله عليه وسلم وتفضيله بالمحبة والخلة قد تقدم ما اذن حقيقتها ومحبة
الله لعبده ومحبة عبده له وقد اسندها هنا من طريق البخاري عن ابي سعيد لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر
اي خليلا من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخلل باطن القلب والخليل الصديق الواد فعيل بمعنى فاعل وربما ورد
بمعنى مفعول وانما قال ذلك لقصره خلته على حب ربه فليس لغيره فيها من محابه الدنيا والاخرة متسع ولا شركة وهي
حالة شريفة لا تنال بكسب واجتهاد بل تخص الله بها من يشا من عباده كهو صلى الله عليه وسلم ومثله حديث اني ابرا
الى كل ذي خلة من خلته ومن جعله من الخلة بالفتح وهي الحاجة والفقر فمعناه اني ابرا من الاعتماد والافتقار الى غير ربي
وفي رواية ابرا الى كل خل من خله بالفتح والكسر ومعناهما واحد من طريق البخاري وغيره عن ابن مسعود وقد اتخذ
الله صاحبكم خليلا اخرجه على طريقة التجريد اذ جرد من نفسه مثله في الوصف بكونه صاحبهم ثم اخبر عنه بان الله اتخذه
خليلا وقد افادت هذه الاحاديث ان المخالة من الجانبين وعن الانباري الخليل هو المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفي
حقيقتها الذي ليس في حبه نقص ومن ثم قال الواحدي لان الله خليل ابراهيم وابراهيم خليل الله ولا يجوز ان يقال الله خليل
ابراهيم ان جعل من الخلة التي هي الحاجة وروى الدارمي والترمذي عن ابن عباس جلس ناس من اصحاب النبي ينتظرونه
فخرج حتى دنا منهم سمعهم وفي رواية فخرج سمعهم فهو حال من ضمير خرج بتقدير قد يتذاكرون حال من منصوب سمعهم
قال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا يريد ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقال الاخر عيسى كلمة الله وروحه

الفا هنا افصحت عن شرط مقدر بعد خولها جوابه اي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه فاذكروا عيسى كما في فلم تقتلوهم اي ان
فخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم كرد لنياطه بغير ما نيط به اولا وانه خرج من
مكان الى اخر فسمع قولهم ما دام خرج منه فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم اي ادركت عجبكم فحذف عامل الثاني كما
حذف من نحو قلدته سيفا ورمحا اي واعطيته ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك خليل الله وموسى نجي الله من
المناجاة وهي المخاطبة والمكالمة الواحد والجمع فيه سوا قال تعالى وقربناه نجيا خلصوا نجيا وهو كذلك نجيه وعيسى
روح الله وهو كذلك روحه اي ذو روح خلقه بلا واسطة شي يجري مجرى الاصل والمادة له وادم اصطفاه الله
وهو كذلك صفيه بالنبوة والخصايص الموهوبة الجسمانية الا وانا حبيب الله ولا فخر من محبة القلب وهي سويداه
يقال حببته اي حبه قلبي اي جابه حتى وصل حبته فهو فعيل بمعنى مفعول اي محبوبه وهذا من احد تسمية
القول بالموجب من حيث انهم قد اثبتوا الفريق من الانبيا صفات شريفة كريمة افادت افضليتهم عليه مع ثبوت النبوة لهم
فاثبت صلى الله عليه وسلم ردا عليهم الافضلية لغيرهم وهو نفسه من غير تعرض لثبوت النبوة او نفيها عنهم كما في قوله
يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمومنين فالاعز صفة اراد بها
المنافقون فريقهم مع اثباتهم لانفسهم اخراج المومنين منها والاذل صفة اراد بها المومنين فاثبت الله ردا عليهم
صفة العزة لغيرهم وهو الله ورسوله والمومنون من غير تعرض لاثبات اخراجهم منها له تعالى ولرسوله وللمومنين
او نفيه عنهم والثاني تسميته فهو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده ومنه قولي في بديعيته مدحت بها
نبينا صلى الله عليه وسلم قالوا اسلوا الهوى قولا بموجبه يبرى تعلقت عطافي يوم بينهم وانا حامل لوا الحمد في
المقام المحمود الذي فيه يثرب على جميع الخلايق ويحمد وبه وهو عام في كل ما يجلب الحمد من انواع المكارم يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع وانا اول مشفع ولا فخر اذ لا تقدم لاحد في الشفاعة بشهادة حديث اول مدعو محمد فيقول لبيك
وسعديك المهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت وانا
اول من يحرك حلق باب الجنة فيفتح الله لي وفي حديث اخر تقدم لفظا فيدخلنيها ومعي فقرا المهاجرين وفي رواية فقرا
المهاجرين ولا فخر وانا اكرم الاولين تقدم لفظا وبيانا وفي حديث ابي هريرة في احاديث الاسرا من قول الله اني اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التوراة انت قيل بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوقانية حبيب الرحمن

فصل في تفسير الخلة واشتقاقها

فهي كما مر بمعنى الصداقة والمحبة التي تتخلل باطن القلب من الخلال وهو وسط الشي فان الود
يتخلل النفس ويخالطها او بمعنى الحاجة والفقر من الخلل اذ كان خليل محتاج الى ان يسد خلل خليله وفي الحديث
اللهم ساد الخلة اي الحاجة والفقر اي جابرها او بمعنى الطريقة في الرمل من الخل وهو السلوك فانهما يترافقان فيه او بمعنى
الخلة وهي الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وقد تطلق الخلة على الخليل ويستوي فيه المذكر والمونث اذ هو في الاصل مصدر
سمي به ومنه حديث عايشة كان يذبح الشاة فيفرقها في خلايل خديجة جمع خليلة وقول كعب بن زهير يا ويحها
خلة لو انها صدقت موعودها او لو ان النصح مقبول فقيل الخليل هو المنقطع الى الله معتمدا عليه معرضا عما
سواه فهو الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال يحتاج الى جبر يصلحه وفي حديث علي جبار القلوب على
فطراتها من جبر كسير عظمه كانه اقام القلوب واثبتها على ما فطرها عليه شقيها وسعيدها وقيل الخليل هو المختص
الله والحبار بما كلفه فعلا وتركا والذي اختصه الله فجعله من خاصته وخلص عباده واختار هذا القول غير واحد
من الايمة وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا اي الاختيار من الصفوة اي الخيرة التي بها الاستقامة على الخير
وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه اي يحب فيه لا لحظ نفسه فاللام هنا بمعنى اللام وفي مثل من احب لله للاخلاص
اي يحب لوجه الله وجهته كهي في والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي خالصا لوجهنا وحقنا ولاجلنا ويعادي

فيه

فيه اي يبغض لا لضرورة كبغض نفسه الامارة بالسو مخالفته هواها مع حبسها في طاعته بما كلفه بامر ونهي ومع مصا برة
اعدا الله ومرابطتهم وللبخاري والحب في الله والبغض في الله من الايمان وخلة الله له اي لابراهيم نصره وجعله اماما
لمن بعده فالتاء للتعدية عامة موبدة بشهادة اني جاعلك للناس اماما اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه
وفي نسخة وجعله امانا لمن بعده بشهادة ربنا واجعل هذا البلد امنا اي ذا امن لمن لجا اليه كعيشة راضية او امنا حاضره
كليل نايم وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع عن الاعوان والاخوان ماخوذ من الخلة وهي الحاجة لافتقارها جا
الى انصار تعضده فسمي به ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه فلم يجعله قبل غيره بكسر القاف
وفتح البا اي لم يكل همه الى احد غيره ولم يعول عليه وصار بحيث اذ جاه جبريل وهو في المنجنيق ليرمي في النار
فقال له الك حاجة قال اما اليك فلا فصبر اذ القي فيها فكانت عليه بردا وسلاما فخص بهذا الاسم بذلك وان
شاركه جميع الموجودات في افتقارها الى الله وقال ابن فورك بضم الفا الخلة صفا المودة اي المحبة للحبيب خالصة
من شوايب المخالفات منزهة عن الغفلات والزلات فلا يزال مقيما على مودته التي توجب الاختصاص من
المودود للوداد او من الواد للمودود بتخلل الاسرار بحاويف حبات القلوب وقال بعضهم اهل الخلة المحبة
ومعناها اي معنى محبة الله لعباده الاسعاف لعباده باعانتهم وتقريبهم وقضا حوايجهم والالطاف بهم توفيقا
لطاعته وتسهيلا عليهم عبادته وحفظا لتوحيدهم وصونا لعقايدهم وسلامة قلوبهم والترفع لمراتبهم
بالكمالات النفيسة والادراكات العلمية والعملية ومحبة عباده له التشفيع بقبول شفاعة نبيهم فيهم
لفصل القضا ولرفع درجات قوم في الجنة ولمن مات بمدينته كما رواه الترمذي وصححه ولبعض صلحا المومنين
ليتجاوز عن تقصيرهم في العبادة قيل ولاطفال الكفار ليدخلوها ولدخول اخرين فيها بغير حساب ولعدم دخول
جماعة مومنين النار وقد استحقوها ولاخراج من دخلها منها ولتخفيف عذاب بعض استحق الخلود فيها كابي طالب
بشهادة حديث البخاري قال العباس يا رسول الله هل نفعت عمك ابا طالب بشي قال نعم هو في ضحضاح من نار يغلي
منه ام دماغه ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وبقبول شفاعة الانبيا وكذا الصلحا بشهادة حديث المومن ي
من امتي من يشفع للقيام ومنهم من يشفع للقبيلة وللرجل وللرجلين على قدر عمله وحديث ابن ماجة وحبان
وغيرهما ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم وقد بين ذلك اي الله بطريق المفهوم ان معنى المحبة
ما ذكر بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه كذبا منهم انهم اتباع ابنيه عزير والمسيح قل فلم
يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم ومن كان بهذه المكانة لا يعذب وقد عذبكم في الدنيا بالقتل
والاسر والمسخ وسيعذبكم بالنار باعترافكم اياما معدودة فاوجب اشارة للمحبوب بان لا يواخذ بذنوبه اذ لا يعذب
الحبيب والولد ولده بالنار وقال ذلك البعض هذا مركب من اسم فعل واشارة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر
هذا او هذا كما ذكر وخذ هذا وقد يذكر خبره كما في هذا ذكر والخلة اقوى من البنوة بتقديم الموحدة على النون لان
البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم اي ان منهم ازواجا يعادينكم ويخا صمكم
واولادا يعادونكم ويعقونكم فاحذروهم ان تمنعوا عليهم وشرهم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة لمضادة كل منهما
للاخرى فان تسمية ابراهيم ومحمد بالخلة اما بانقطاعهما الى الله معتمدين في جميع امورهما ووقف حوايجهما اليه
مكتفين بالاستغنا به والانقطاع اليه عمن دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب راغبين في حمل اسعا ده
وجزيل امداده او لزيادة الاختصاص منه لهما اكراما لهما وصفا بهما الله قلبا وصيرهما للغيوب شوقا وحبا
وحفي بالمهملة اي ولزيادة مبالغته في اكرامه لهما والطافه الحاصلة منه عندهما يقال احفى به وحفي وتحفى اي
بالغ في اكرامه واستقصى وفي الحديث ان امراة دخلت عليه صلى الله عليه وسلم فسالها فاحفى وقال انها كانت تاتينا

في زمن خديجة وان كونها العهد من الايمان وفي نسخة بالمعجمة من اخفى الشيء اذا استره لا من خفيته اذا اظهرته وحديث
خير الذكر الخفي يحتملهما فهو اما من الاخفاء بمعنى الستر اي خيره ما اخفاه الذاكر وستره عن الناس او من الخفي بمعنى
الشهرة والظهور اي خيره ما اظهره وشهره من خيره وكفاك ناصرا له قول الحرزي ان سعد ابن ابي وقاص اجاب ابنه
عمر فيما دعاه اليه من الظهور وطلب الخلافة بهذا الحديث وما خالط اي خالط بواطنهما فاطمانت عليه خواطرهما
من اسرار الالهية التي تورث السيادة والسعادة ومكنون اي مصون غيوبها جمع غيب وهو ما غاب عن مشاهدة
العيون ومعرفته المقبضة عليهما مما ابقاه من ملكوت السموات والارض او لا استصفيتها مصدر مضاف الى
فاعله اي اختارهما لنفسه لخصهما بمزيد فضل على امثالهما ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه واستصفا
قلوبهما مصدر مضاف الى مفعوله اي صافاهما بمودته وخلصهما له عمن سواه حتى لم يبق للهاجس لغيره فلهذا قال
بعضهم الخليل ما لا يتسع قلبه لسواه لعدم اعتقاده احلالا لغيره بمراقبته جناب القدس منتظما في سلك وصال
الانس وهو اي ما ذكر من نعت الخليل معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ان من امن الناس علي في صحبته
وماله ابا بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس ارجع في الحاجات اليه واعتمد في المهمات عليه لاتخذت ابا بكر خليلا
اذ هو الصاحب الودود والصديق الحميم بل الذي الجا اليه واتوكل عليه في مجامع احوالي عليه هو الله ربي وانما سمي
ابراهيم خليلا اما من الخلة بالفتح وهي الخصلة لتحققه بخلال حسنة اختص به او من التخلل لتخلل الحب شغاف قلبه
واستيلائه عليه او من الخلة اذ لم يفتقر الا اليه ولم يتوكل الا عليه ولكن اخوة الاسلام استدراك من مضمون الجملة
الشرطية اي ليس بيني وبينه خلة ولكن اخوة الاسلام فنفى الخلة المفضية الى الحاجة واثبت الاخوة المودة بالمساواة
واختلفا لعلما ارباب القلوب الصافية والالباب الواعية ايهما ارفع اد رجة الخلة ارفع من درجة المحبة او
درجة المحبة ارفع من درجة الخلة فجعلهما بعضهم سوا ليس بينهما تفاوت فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا يكون الخليل
الا حبيبا لكنه جل من كريم خص ابراهيم بالخلة لتخلل صفاء وده ربه قلبه بجمع شؤونه فيه وخص محمدا بالمحبة لحرق حبه ربه
شغاف قلبه اي حجابه واستيلائه عليه حتى وصل حبة قلبه وبعضهم قال درجة الخلة ارفع من درجة المحبة واحتج
لما زعمه بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه اي الغير خليلا ومع ذلك فانه
صلى الله عليه وسلم قد اطلق المحبة لفاطمة وابنيهما الحسنين واسامة بن مولاه زيد بن حارثة وغيرهم كابي بكر وعمر
وعايشة فلو كانت ارفع منها لم يتخذ غير ربه ممن ذكر حبيبا كما لم يتخذ غيره خليلا واكثرهم جعل المحبة ارفع درجة
من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم هذا وانت خبير بان رفعة المحبة حينئذ على الخلة انما هي من حيث
ارفعية موصوفها لا من حيث ذاتها واصل المحبة من محبة القلب تقول حببته اي اصبت حبة قلبه فرسخ فيها وتمكن ثم تشاعته الميل
الى ما يوافق المحب اي المحبوب من ارادة طاعته وابتغاء رضاه ولكن هذا في حق من يصح الميل منه الى محبوبه والانتفاع بالوفق اي بالشيء الموافق
له تسمية له بالمصدر وهي اي المحبة بمعنى الميل في حق من يصح منه الميل درجة المخلوق فاما الخالق فمنزه عن الاغراض فمحبته
لعبده تمكينه من سعادته باعدادها فيه فيديب طاعته ويجتنب معصيته وعصمته بالرفع او الجر عطفا على تمكينه او سعادته
عنه بعدم خلق الذنب فيه وتوفيقه كذلك خلق قدرة الطاعة فيه وتهيئة اسباب القرب منه تعالى اليه من نحو صلاة وتسبيح
وتحميد وتكبير وافاضة رحمته عليه شبه الرحمة لكثرتها وسعتها لكل شيء بما غمر فتشبيهها به استعارة مكنية واثبات الافاضة لها
استعارة تخييلية حتى كانها من جنسها تناسيا للتشبيه وقصواها من حيث ان ما ينسب اليه تعالى مما لا يليق بمعناه بجنابه انما
يوخذ باعتبار غايته التي هي اما فعل او ارادة اي غاية محبته تعالى لعبده كشف الحجاب عن قلبه اي ستره المانع له من رؤيته
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته كما قال في حديث البخاري وغيره فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ولسانه الذي ينطق به اي احل سلطان محبتي له اخذا بمجامع قلبه فلا يهتم الا بما يريد به رضاي وانا مع ذلك

له موئلا ومعينا احمي سمعه وبصره ولسانه عما لا يحل سمعا وبصرا ونطقا وفي رواية كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وحاصله تعلق كلية العبد بمراضي ربه وحسن رعاية ربه له ولا ينبغي
ان يفهم من هذا سوى التجرد لله مما يشغل عنه والانقطاع اليه عن كل تليد وطريف والاعراض عن غير الله حتى كانه وله
المثل الاعلى بمراى منه ومسمع وصفا القلب لله من شوايب الرذائل والادناس واخلاص الحركات لله مما يقدح ريائها بعدم قبولها
لشهادة حديث مسلم انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه كما قالت عايشة فيما تقدم كان خلقه القرآن
يرضاه اي بما كان فعله يسخطا مما نهى عنه حراما ومكروها وخلافا الاولى يسخط وقدم المجرور للحصر اذ هو معدن الاحكام ومنجم
الحلال والحرام ومن هذا الذي ذكره في معنى الخلة وماخذها عبر بعضهم عن بعض ماخذ الخلة بقوله قد تخللت عني اياك متخللا
مسالك الروح مني وجاس خلال بجامعه وسري فيها سريان روح في بدني كالماء في العود وبذا اي وبسبب كون الخلة من التخلل
سمي الخليل ابراهيم خليلا لتخلل حبه ربه شغاف قلبه واستيلائه عليه وتمكنه منه فلم ير احدا غيره يفتقر في اموره اليه واعتمد
في مجامع احواله عليه ومن ثم قال لجبريل وقد قال له وهو في المنجنيق الك حاجة اما اليك فلا فاذا ما نطقت كنت حديثي لكثرة
تولعي بذكره وخطوره بباله وحضوره بافنية ضمايره واذا ما سكت كنت الغليلا من الغلة وهي حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري
اياك مضرما جوانح قلبي عطشا بعدم نطقي بك فان ازاحة الهم وازاحة النفس بذكر الاحبة وتوقد الجوانح بعدم ذكرهم وما في مصراع
البيت زايده فاذن مرتبة الخلة من حيث انها مقامه التخلل شغاف القلب وخصوصية المحبة من حيث انها من حبة القلب وهي
سويداه قيل ومن حيث صدقها من الجانبين اذ يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد لشهادة فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين بخلاف الخلة اذ لا تنسب الى الله فلا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وان كانت
من الاسماء الاضافية الموذن وجود احدهما بوجود الاخر وارتفاعه بارتفاعه قلنا كما لم تنسب الخلة اليه لشهادة لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهي ايضا تصدق منهما وكلتاهما حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بالدلالات
عليه الاثار من كلو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي رواية ولكن اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا الا
وانا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المنتشرة المتلقات بالقبول من الامة وكفى بقوله قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله شهيدا عصو لهما له صلى الله عليه وسلم بشهادة ما حكى اهل التفسير ان هذه الاية نزلت
في الكفار كما مر انما يريد محمد ان نتخذه حنانا الحنان الرحمة او العطف اي نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرحمه ونعطف عليه
ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا فانزل الله غيظا لهم ورغما وردا على مقالتهم مفعولان لاجلهما انزال
قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم مصدر مضاف الى المفعول اي بامر الله اياهم بطاعته وقرنها بطاعته زيادة لشرفه
ايضا ثم توعدهم على التولي اي الاعراض عنه بعدم انقيادهم له بقوله فان تولوا ماض او مضارع اي تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ووضع الظاهر موضع المضمر قصدا للعموم وان التولي كفر وان محبته مختصة بالمومنين وقد نقل
الامام ابو بكر بن فورك بضم اوله غير منصرف للعلمية والعجمة عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة فمن ذلك
قولهم الخليل يصل الى من اتخذه خليلا بالواسطة اخذا لو منواه الاحيا المقامن قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وليكون بواسطة ارادة الله له ذلك من الموقنين والحبيب يصل لحبيبه به بدون واسطة اخذا له من قوله فكان قاب قوسين
اي قدر قوسين او ادنى من قابهما والخليل الذي مغفرته مصدر مضاف الى المفعول اي الذي مغفرة الله له في حد الطمع منه
في اخذ الكون فيه من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين نسب لنفسه خطيئته هضما وتواضعا لربه وطلب
المغفرة لما عسى يندر صدوره منه مما يعاتب عليه وارشادا للامم ان يجتنبوا المعاصي ويسالوا مغفرة ما فرط منهم

وحملها على قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم هي اختي مردود وانما هي معاريض لا خطايا والحبيب هو الذي مغفرته في حد اليقين اخلا
لكونها في حده من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما يصح ان تعاتب بالنا لا بالقاف على فعله مما
ليس بذنب والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون ببعثة والدي في الضالين والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي تعريض
بمن اخزاه الله من الكفرة فابتدي بالبشارة بنفي الخزي عنه قبل السؤال والخليل قال في المحنة من نمرود اذ القاه في
النار فكانت عليه بردا وسلاما حسبي الله اي محسبي الله وكافي من احسبه اذا كفاه فهو بمعنى اسم الفاعل فلا يفيد اضافته
تعريفا لجواز وصف النكرة به في مثل هذا رجل حسبك والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله اي محسبك الله وكافيك
والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ذكرا جميلا فيمن يجي بعدي الى يوم القيامة فاستجيب له فامرائه
الاولين يحبون له مثنون عليه والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك فقرن اسمه باسمه في كلمة الشهادة والاذان والاقامة
والخطب والتشهد ونحو ذلك اعطي ذلك بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي بعدني واياهم
عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبني واراد بنيه لصلبه وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته مع دلالته
على عصمة الانبيا بتوفيق الله وحفظه اياهم والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس
لاعراضكم اهل البيت نصب على الندا او المدح تلنا والخليل قيل له رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت نصب على الندا او
المدح قصدا لتخصيصهم بهما وهو كلام مستانف علل به انكارهم تعجب سارة اذ بشروها باسحق اي لا تعجبي من ولادتك
اياه عجوزا فان خوارق العادات لاهل بيت النبوة ومهبط الوحي واكرامهم بمزيد النعم ليس ببدع ولا يستغربه عاقل
فضلا عمن نشات وشابت في مشاهدة الايات ومعاينة المعجزات وفيما ذكرناه من الخلاف في تفسير الخلة واشتقاقها وهل
درجتها ارفع او درجة المحبة تنبيه على مقصد اصحاب المقال من تفضيل المقامات والاحوال المحبة والخلة وكل يعمل على
شاكلته اي طريقته التي تشاكل حاله في الهدي والضلال فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين منهجا فصل في
ذكر ما ينبه على تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة العظمى لراحة اهل الموقف من تفاقم هوله وتعاظم كربه والمقام المحمود
قيل هو كل مقام تضمن كرامة يحمده فيه من عرفه ومن لم يعرفه والمشهور كما مر وياتي انه مقام الشفاعة قال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما محمودا او بتضمين يبعثك معناه او هو حال
بمعنى يبعثك ذا مقام وقد اسند هنا شاهدا لكونه مقام الشفاعة من طريق البخاري موقوفا على ابن عمر وهو في حكم
المرفوع اذ مثله كما قال الشافعي لا يقال من قبيل الراي قال ابن عمر ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى جمع جثوة بضم جيمها
وقد يكسر وهو ما جمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رايت قبور الشهدا جثا اي تربة مجموعة وقد
يقصد بها الجاثي جمع جاث وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث علي انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله اي يصيرون
جماعات كل امة تتبع نبيها يقولون حال من الضمير اي قايلين يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا كناية عمن يطلبون منه ان
يشفع لهم واحدا فواحدا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي اي ينتهي طلبها اليه صلى الله عليه وسلم فذلك يوم بالرفع على الخبرية
ويجوز نصبه على انه ظرف لانتهاء الشفاعة اليه والخبر محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا اي انتهاء الشفاعة اليه واقع يوم
يبعثه الله المقام المحمود وروى احمد بن حنبل والبيهقي عن ابي هريرة سيل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ابو هريرة
عن اية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا جوابا للمسائل عن المقام قال هي الشفاعة لفصل القضا حين يفزع بعضهم الى بعض وروى كعب بن
مالك فيما رواه احمد عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل اي مكان عال كالجبل ويكسوني
ربي حلة خضرا واحدة الحلل من برود اليمن ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين من جنس واحد اما لان كلا يحل على الاخر او لانهما

كانا جديدين كما حلا طيهما ثم استمر الاسم عليهما ثم يوذن لي في القول فاقول ما شا الله ان اقول في مراجعة ربي في الشفاعة فيوذن
لي فيها فنشفع كما مر ويانى فذلك المقام المحمود يحمده فيه كل احد لتعجيل الحساب والراحة من طول الموقف وعن ابن عمر قال فيمشي
يعني النبي صلى الله عليه وسلم حتى ياخذ بحلقة الجنة وفي رواية فاستاذن على ربي في داره فيوذن لي عليه فاذا رايته وقعت
ساجدا فيدعني ما شا الله ان يدعني الى ان قال عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده ان يقومه يوم القيمة وروى احمد وغيره عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه
وسلم انه اي المقام المحمود الذي وعد قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه به الناس سببه اي بسبب
اختصاصه بذلك المقام العظيم الذي لم ينله الاولون والاخرون او ظرفية اي يحسدونه في ذلك اليوم على ما اوتيه
هنا وحسد الغبطة تمني ان يكون لك مثل ما الذي نعمة من غير زوالها عنه وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر
العضاة الخبط قال في النهاية اراد صلى الله عليه وسلم ان الغبط لا يضر ضرر الحسد الذي هو تمني مثلها مع زوالها عنه وان ما
يلحق الغابط من الضرر الراجع الى نقصان ثوابه بقدر ما يلحق العضاة من خبط ورقها فهو وان كان فيه من الحسد فهو دونه
في الاثم وروى احمد عن ابن مسعود اني اي والله اني لقايم المقام المحمود هذا مرشد الى جواز القسم في الامر العظيم وقد اكده هنا
بان واسمية الجملة قيل وما هو وللدارمي عنه قيل له ما المقام المحمود قال ذاك يوم الفصل ينزل الله على كرسيه تمثيل لتجليه
لعباده بصفة العظمة والكبريا واقباله عليهم لفصل القضا والعدل بينهم وكشف حجابا لمقربين منهم عنه بنزول ملك من
قصره ليجلس على كرسي ملكه للحكومة وجنده قيام حوله متفاوتين في المراتب فيئط كما يئط اي يصوت كما يصوت الرحل
الجديد من تضايقه به تصوير لعظمة التجلي وعزة الكبريا على طريقة الترشيح اذ قد شبه الحالة الغير الحقيقية بالحالة
الحقيقية على طريقة الاستعارة التمثيلية ثم قرنها بما يلايم المشبه به من الاطيط ترشيحا للمجاز والرحل بالمهملة قتب
البعير وهو اي الكرسي يسعه ما بين السما والارض حال او اعتراض وورد مورد الرفع لتوهم كون الاطيط للضيق واشارة
الى قوله وسع كرسيه السموات والارض تصويرا للسعة وتمثيلا لعظمته بحسب العرف لا بحسب المقدار اذ هو في نفس الامر
اوسع منهما ومنه وجنة عرضها السموات والارض لان ادنى اهل الجنة منزلة مثل الدنيا وعشرة امثالها ويجا بكم حفاة عراة
غرلا بمعجمة مضمومة فرا ساكنة اي غلفا غير مختونين كما بداكم تعودون فيكون اول من يكسى ابراهيم مكافاة له واظهارا لفضله
وتنويها بشرفه واعلاما برفعة محله لانه اول من عري في ذات الله حين القي في النار وايثاره بهذه الفضيلة الواحدة لا ينافي
في الحكم لنبينا بالفضل على سائر الانبيا فكم له من فضايل خص بها لم يسبق ولم يشارك فيها مع علمك بان شفاعة فصل
القضا حيث لا يوذن فيها لاحد غيره لم يبق لاولي سبق سبقا ولا لذوي فضل فضلا يقول الله اكسوا خليلي فيوتى بر يطتين
اي ملاتين رقيقتين بيضاوين من رياط الجنة كل واحدة ثوب واحد ليس بلفقين ثم اكسى على اثره اي بعده بلا مهلة
ثم اقوم على يمين الله تمثيل وتخييل لاظهار صفة الكمال لشهادة رواية وكلتا يديه يمين تنبيها على كمالها لانقصة واحدة منهما
لان الشمال تنقص عن اليمين وهذا هو الجواب عن سوال ما المقام المحمود مع ايذان ما قبله ببعد منزلة اليوم وعلو درجته من
اسم الاشارة وما لوح بتفخيمه وتعظيم شانه من ايراده نكرة ووصفه بالنزول فيه تصوير لعظمة الله وتوقيفا على جلالة
شانه وتنويها لباهر قدرته ونفوذ كلمته في مخلوقاته كملك جلس على كرسيه كما مر وذلك من غير تصور نزول ولا حركة
لنزاهة ساحة جلاله عن ذلك لكن فهمه صلى الله عليه وسلم وقع من مفردات الكلام على خلاصته الدالة فيه على
ظهور عظمة ربه ونفوذ كلمته واجرا احكامه في خلقه على وفق العدل فعبارته جارية هنا في امثاله على طريقة التمثيل
والتصوير ولا ترى بابا في علم البيان ادق مسلكا والطف مسلكا واعون على تاويل المتشابه في كلام الله وكلام انبيايه من هذا

الباب اذا اكثره تخيلات زات فيها اقدام الافهام لقلة تاملهم وعدم التفاتهم الي علم لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم احتياجهم
اليه في دقايق الكلام وتاويل متشابهه وكم من ايه وحديث ضيم بتاويلات عنه وسيم بافهام رثه هذا ولا يزال
المتورع عن الخوض في متشابه كلام الله ورسله في نسخة من عقله مالم ينزله بفنا فهمه منزلة جلسه مقاما يغبطني
الاولون والاخرون اي يتمنون ان يعطوا مثل ما اعطي ولا ينالوه ابدا وروي ابن ماجة عن ابي موسي خيرت
بين ان يدخل نصف امتي وبين الشفاعه فاخترت الشفاعه اذ بها يدخلها كلهم ولو بعد دخول من مات مومنا
النار وقد اجمع اهل السنة علي جواز الشفاعه الامن اذن له الرحمن ورضي له قولا مع ما ورد من الاحاديث
البالغة بمجموع طرقها التواتر ومنعها الخوارج وبعض المعتزله نحو لما تنفعهم شفاعة الشافعين ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع قلنا مختص بالكفار والمراد المشرك لشهادة لا ينال عهدي الظالمين تلويحا بانه
قد يكون من ذرية ابراهيم كفرة لانها لهم الامامة لانها امانة وعهد من الله لا تصلح لهم
وانما تنال البررة الاتقيا منهم وتخصيصهم احاديث الشفاعة بزيادة الدرجات باطل لصراحة الادلة
باخراج من دخل النار من المومنين منها وخص بنبينا خمس شفاعات لتعجيل الحساب اراحة للناس
من هول الموقف وشدايده ولادخال جماعة الجنه بغير حساب ولمن استحق دخول النار فلا يدخلها ولمن
دخلها فيخرج منها ولزيادة درجات في الجنه اترونها استفهام انكاري بمعني النفي اي لا تظنون الشفاعة التي
اخترتها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطبين وروايه ابن عرفه اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الملوثين
والمتقين بنون وقاف مفتوحتين مع تشديد القاف جمع متقي اي مطهر معني وحسامن التنقيه
واستحسنها للوصف بالتلويث وروي ابو داود والترمذي شفاعتي لاهل الكباير من امتي وروي
البيهقي وشيخه ابو عبد الله الحاكم وصححه عن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة
ما استفهامية مبتدا خبره ذا بمعني الذي صلته ما بعده فقال شفاعتي محله رفع علي الفاعلية اي ورد
علي شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله اي واني رسول الله ولم يذكرا اكتفا باحد الجزءين عن الاخر علما بانه
لا بد من الاتيان به في صحة الاسلام مخلصا حال من الموصول اي غير مشوبه شهادته بشرك يصدق
لسانه قلبه بان يكون اعتقاده مطابقا لما نطق به وروي البيهقي والحاكم عن ام حبيبة اريت ما تلقي
من امتي من بعدي اي اطلعه الله علي ما يصيبها من نوايب ونواكب وحذف الفاعل به للعلم وكيفية الارادة
لتذهب النفس كل مذهب ممكن وسفك بعضهم مصدر مضاف الي فاعله اي اري وحيا او مشافهة او
الهاما ما وقع بينهم من الفتن والحروب حتي هراق بعضهم دما بعض واريت بمعني اعلم ما سبق لهم من الله
تقديرا من خير وشر وتعلقت به ابان وقوعه القدره وفق الاراده واريت ما سبق للامم قبلهم فسالت
الله ان يوليني شفاعة يوم القيمة فيهم ليفوزوا بخلاصهم مما ارهقهم عسرا وعراهم من شدايد نكرا ففعل اي
اي اعطاني ما سال وروي البيهقي والنساي موقوفا علي حذيفه قال حذيفه يجمع الله الناس في صعيد
واحد حيث يسمع الداعي صوته لعله بعد الشفاعه لفصل القضا اي الخلايق هلموا الي الحساب وينفذهم
البصر اي يبلغهم ويجاوزهم بصر الباصر لاستوا الصعيد اذ لا عوج فيه ولا امتي يتواري فيه احد وعن
ابي عبيد ينفذهم بصر الرحمن اي ياتي عليهم كلهم وعن ابي حاتم المحدثون يروونه بالذال المعجمه وانما هو
بالمهمله اي يبلغهم اولهم واخرهم حتي يراهم كلهم ويستوعبهم من نفد الشي وانفدته قال وحمل الحديث

علي بصر المبصر اولي من حمله علي بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيمه في ارض تشهد جميع الخلايق حساب
العبد الواحد علي انفراده ويرون ما يصير اليه حفاة عراة لا نعال بارجلهم ولا ثياب عليهم زاد الشيخان
في روايتهما غرلا جمع اغرل اي اقلف وعن الزهري ان راهب سبا انا الينا طول الغرله وانما احب طولها التمام
خلقه كما خلقوا احوال من الناس اي يجمعهم موصوفين بذلك ويجوز ان يراد به تشبيه اعادتهم بابتدا
ايجادهم من العدم لشمول الامكان لهما المصحح للمقدوريه ولتساوي القدرة لها علي السوا والكاف مكفوفه
بما المصدريه اي اعادتهم للحشر كخلقهم من العدم سكوتا حال من الناس ايضا او من ضمير خلقوا لا تكلم نفس
بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذنه اي الله تعالي لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف واما
قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون ففي موقف اخر والماذون فيه هو الجواب الحقه والممنوع
منه هو الاعتذارات الباطله فينادي بالبنا للمفعول محمد مرفوع نيابة عن فاعله او مضموم مبنيا علي الندا
فيقول لبيك منصوب علي المصدر بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبيه وهي اجابة المنادي اي اجابتي لك
يا رب مشتق من لب بالمكان والب اي اقام به ولم يستعمل الا بلفظ التثنيه في معني التكرير كانه قال لبا لبا
بعد الباب اي اجابة بعد اجابة وسعديك منصوب بفعل لا يظهر في الاستعمال من المساعده وهي المطاوعه عه
ومتابعة الامر اي ساعدت طاعتك يا رب مساعدة بعد مساعدة ومن ثم لم يستعمل الا مثني ولم يسمع
مفردا والخير في يديك كني بهما عما عنه عطاوه اعني القدرة لشبهها بهما فاستعار اسمهما لها فاستعال
اسمها لها استعارة تحقيقيه وقرنها بما يلايم المشبه به من كون الخير كانه مستقر فيهما ترشيحا للمجاز
والشر ليس اليك فيه ارشاد الي سلوك الادب في الثنا علي الله فيضاف اليه محاسن الاشياء دون مقابحها
وليس المراد نفي شي عن قدرته واثبات شي لها اذ لا يخرج عنها اي لا ينسب الشر اليك ادبا وان كنت
خالقه او لا يتقرب به اليك ولا يبتغي به وجهك او لا يصعد اليك وانما يصعد اليك الطيب قولا وعملا
المهتدي من هديت بخلق الهدايه والتوفيق فيه وعبدك بين يديك تشبيه لقربه من ربه ومزيد
اختصاصه لهذه الاثرة بما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان فاستعير اسم ما بينهما القربه من
ربه ولك عبدك اسلم منقادا لطاعتك واليك اناب مقبلا عليك لا ملجا مهموز مقصور ولا منجا بلا
همز وقد يهمز للازدواج اي لا مستند لاحد ولا مخلص له منك الا اليك ملتجا اليك تباركت تنزهت
عما لا يليق بجناب عزك وتعاليت عما يضاف اليك منه سبحانه رب البيت حذف منه حرف الندا القرب
المنادي علما بكل او مبتداوه اي انت فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله في قوله عسي ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار قدمه ترهيبا منها وترغيبا في تجنب سبب دخولها اولان ذكر
النقمه بعد ذكر النعمه اوقع في النفس لتعاطي اسباب النجاة ودخل اهل الجنة الجنه فتبقي اخر زمرة من الزمر
وهو الصوت لان الجماعه لا تخلوا عنه من قولهم شاة زمري اي قليلة الشعر ورجل زمر اي قليل المروة
اي جماعة من زمر اهل الجنه واخر زمرة من زمر اهل النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنه ما نفعكم
ايمانكم ظنوا جهلا منهم انهم تخلفهم عن دخول الجنة قبلهم امتناع دخولهم اياها فلم يغن عنهم ايمانهم شيئا
فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنه فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم لتعلم
زمرة النار ان ايمانهم ينفعهم ويفوزوا بدخول الجنه فكل واحد منهم يعتذر بما عوتب من معاريضه

وليس بذنب حتى يوتا تون محمدا غاية لمجيئهم اليهم لطلب شفاعتهم لهم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود هذا
موقوف على ابن عباس ومثله لا يقال من قبل الراي فحكمه الرفع والمراد من رواه ونحوه كما رواه احمد
والطيالسي عن ابن مسعود ومجاهد وذكره زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن النبي
صلى الله عليه وسلم فهو مرسل ورواه الحاكم موصولا عن اهل العلم عنه وروى مسلم قال جابر ليزيد الفقير
فعيل بمعنى مفعول لوجع بفقار ظهره وهي جرازته من عجب الذنب الى نقرة القفا ثنتان وثلاثون فقرة
ضربت عايشة مثلا في عثمان فقالت ركبوا منه الفقر الاربع استعارته من فقار الظهر لما ارتكبوا منه لانها
موضع الركوب اي انتهكوا فيه اربع حرم حرمة الصحبة والصهر والخلافة والبلد سمعت حذف منه اداة
الاستفهام اي أسمعت او هل سمعت بمقام محمد يعني الذي اذ خره الله له يبعثه الله فيه قال نعم
اي سمعت اللفظ الذي افاد فيه قال اي جابر بن عبد الله فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به
وشح ضميره بيا السببيه لصدور الشفاعة التي هي سبب الاخراج عنه من يخرج يعني من النار وذكر
اي جابر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين من النار فوجا فوجا وفي رواية الشيخين عن انس
وابي هريرة فيقولون لو لو هنا للتمني وهو طلب حصول شي على سبيل المحبة ممتنعا كان او ممكنا وجب الا
يكون لك توقع وطماعية في وقوعه والا صار ترجيا بلو استشفعنا الى ربنا تمنوا حصول الشفاعة بطلبها
ممن يشفع لهم عنه طمعا معينا في وقوعه وان كان ممكنا متوقعا يمتنع لا يجزم بوقوعه لبعده عن افنية اعتقادهم
لما ارهقهم من شدايد اهوال وغضب لا غضب قبله ولا بعده اشد منه كما افاده حديث ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله وروى الشيخان عن ابي هريرة حديث الشفاعة وقال فيه وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون من مكاره اورثت حوايجهم لهبا واغرت بهم كربا فيقولون الا تنظروا
من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون انت ادم مودن بالكمال مع ابهام ما يراد منه يفسره ابو البشر خلقك
الله بيده اي تولى ايجادك معتنيا بك ولكون ظهور اثار القدرة اكثر صدورا عن اليد كنى بها عنه تمثيلا
وتصويرا من غير توهم يد وحركة ونفخ فيك من روحه اي روح خلقه بلا توسط مادة واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته سجود تحية له تفخيما لشانه وتعظيما لامره واداً لحقه وعلمك اسماء كل شي اظهارا لشرفه
وكمال علمه ووضع شي موضع اشيا لافادة كل مدخولها عليه استغراقا اي اسما الاشيا المسميات اشفع لنا عند
ربك حتى يريحنا من مكاننا بشفاعتك الا ترى ما نحن فيه من الكرب المحدق والهول المغدق فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله اي اشتد انكاره على من عصاه وسخط عليه مريدا الانتقام منه ولا يغضب
بعده لانقطاع تكليف من يواخذ بترك ما كلف ونهاني عن اكل الشجرة فعصيت بالاكل منها نفسي نفسي ابتدا
عن تقاعده عن الشفاعه وتركها تحزنا وتحسرا وتندما على ما اصاب مستنزلا بشكواه بثا وحزنا من الله افاضة
رحمته واسباغ نعمته اذهبوا الى نوح تاله كغيره من الانبيا مع علمهم بان الخليق بها نبينا ارادة من الله استشهاد
مزيد فضله وعظم منزلته واظهار ما وعده به من مقام محمود على روس الخلايق بعد احجام العظماء واعتذارهم
عنه للعلم بما لم يكن لو شاء لو صلى الله عليه وسلم ابتدا ولتلوحا بمزيته عليهم باقدامه عليها دونهم فياتون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك عبدا شكورا استعطاف وتحريض له على اجابتهم الى
ما سالوه ولعمري لم يدر من قال كيف يكون نوح اول الرسل وادم وشيث كانا رسولين قبله ان ادم انما ارسل الى

بينه

بنيه ولم يكونوا كفارا بل امرهم علمهم الايمان وطاعة ربهم ثم خلفه فيهم شيث كذلك وان نوحا اول رسول الى كفار اهل
الارض واما ادريس وهو اخنوخ فهو ولد شيث وجد ابي نوح فان ورد انه رسول فالى مومنين كابيه شيث
الا تشفع لنا الى ربك فيقول مثله اي من مقدما جواب الانكار لانه اهم بقوله هم او لا على ان يلي ليس او ليك بيني
وبينهم الا مسافة قريبة فلم اسبقهم الا بخطى يسيرة ولا نعمة لها عادة وعجلت اليك رب لترضى اذ المسارعة الى امر
الوفا سبب لرضاك او قوله مثل اد م ويذكر خطيئته التي اصاب اعتذارا عن تركه الشفاعة وعايد الموصول
محذوف اي التي اصابها سواله ربه بيان او بدل من خطيئته بغير علم حال من الضمير في سواله او من سواله مما لا
يليق ان يساله تكان الاولى ان لا يقول رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق لا يحتمل خلفه وقد وعدتني ان تنجي
اهلي من الغرق وانه منهم فنجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين امنوا وعملوا الصالحات انه عمل غير صالح فلا
تسالني ما ليس لك به علم اذهبوا الى ابراهيم فياتونه فيقولون مثل ما قالوه لغيره فيقول ان ربي فذكر مثله
اي مثل ادم ويذكر ثلاث كلمات اعتذارا عن تركه الشفاعة هي اني سقيم فعله كبيرهم هذا انها اختي كذبهن
وليست كذبا وانما هي معاريض وتوريه بشي عن شي توجه تعريضي ليبلغ به غرضه استقصر نفسه بذكرها اذ
من كان اعرف بالله واقرب منه منزلة كان اعظم خطرا واشد خشية ومثل هذا انما عوتب عليه الانبيا لما الاولى
لهم تركه نفسي نفسي لست لها اي الذي تحسبونه معدا لها ولكن عليكم بموسى استدراك لرفع ما ارهقهم من
خيبة الامل ووصمة الخجل وعليكم اسم فعل والبا زايدة اي الزموا موسى واستعينوا به فيها فانه كليم الله
علة وتعريض على لزومه فان من كلمه تكليما لخليق ان يقصد اذا اتفاقت الملمات وتفاحشت النكبات فياتون
موسى فيقول لست الذي ظننتم انه المعد لها ويذكر خطيئته التي اصاب لعلها العجلة الى ربه فالها في نفسه
نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما اعجلك عن قومك يا موسى عن سببها نتضمن انكارها من حيث انها
نقيصة انضم اليها اغفال قومه مبهما عليهم التعظيم فاجابه عن الامر وقتل النفس عطف تفسيري بشهادة
بعض روايات البخاري بغير واو اي وهي قتل القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فوكزه موسى فقضى عليه
اي فانه في حياته ولا يقدح ذلك في عصمته اذ لم يكن عن عمد نعده من عمل الشيطان وتسميته ظلما والاستغفار
جري على عادتهم في استعظامهم محقرات جايزة صدرت عنهم نفسي نفسي عليكم بعيسى يجري فيه ما مر فانه
روح الله اي ذو روح احياها فيه ونفخ جبريل في جيب درعها فاحدثه في بطن امه بلا توسط مادة وكلمته فياتونه
فيقول لست المعد لها عليكم بمحمد النافيه وفيما مر زيدت للاستعانة عبد صفة لمحمد ويجوز كونه خبرا حذف
مبتداوه اي هو عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي جميع ما صدر منه مما صح ان يعاتب عليه
وليس في نفسه بذنب لعصمته لغيره من الانبيا فياتوني فيقولون له للعلم بها عليه فاقول انا لها اي الكافي او المعد
او المختص او المدخر لها فاللام فيه كهي في امتحن الله قلوبهم للتقوى فاستاذن على ربي زاد الشيخان في داره فيؤذن
لي في الشفاعة او في الدخول كما ورد مصرحا به في مكان لا يقف فيه داع الا اجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب
قيل والحكمة في نقله صلى الله عليه وسلم من موقف العرض والحساب هي انه موقف سياسة وخوف ومن حق الشفيع ان
يقوم مقام كرامة ورحمة فنقل من موقف الخوف الى موقف الكرامة والرحمة ليقع الشفاعة موقعها كمن يتحرى بدعائه
موقف الخدمة فانه احق بالاجابة فاذا رايته وقعت ساجدا فيه تصريح بجواز رويته الله في الاخرة وفي رواية
فاتي تحت العرش فاخر ساجدا حال مقدرة من ضمير اخر اي اسقط مقدرا ان اسجد تعظيما لله وشكرا له وفي رواية
بدل فاتي تحت العرش فاقوم بين يديه اي يدي العرش او يدي ربه تشبيها للموضع قياما منه قريبا منه بما بين جهتي

ربي

بدي الانسان فاستعير له بين تمثيلا وتصويرا له به لنزاهة ساحته كالجارحة وعلى منوال هذا ينسحب
متشابه كلام الله وكلام انبيائه مما ينبئ عما لا يليق به كالجهة والفوقية والانتقال والنزول بمراعات قواعد
التمثيل في علم البيان فاحمده بمحامد لا اقدر عليها اي لا اعرفها في دار الدنيا بشهادة رواية ويلهمني محامد احمده
بها لا تحضرني الان يلهمنيها الله اي يلقيها في نفسي اذ الالهام القا الله امرا في النفس يبعث على الفعل او الترك
وهو نوع من الوحي يختص به من يشا وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه عطف
تفسيري اذ كل منهما ثنا حسن ورد مودنا بحسن الاطناب في مقام المدح شيا لم تفتحه له لم يفتحه على احد
قبلي اي ولا بعدي اكتفا باحد ضدين قال في رواية ابي هريرة فيقال بني للمفعول للتعظيم يا محمد ارفع
راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي اي اسالك ان تعفو عنهم
او تنجيهم من النار ونحوه فالحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام ومن ثم كرر فيقول ادخل من لا حساب
عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة اكراما واراحة من اهوال الموقف وتعجيلا لدخولهم الجنة ببركة نبيهم
اذ لم ينالوا هذه المنقبة الا باتباعهم اياه ممتثلين اوامره مجتنبين نواهيه وهم شركا الناس فيما سواه
من الابواب هذا فايك الشرف حيث خصوا بافضل الابواب دخولا لم يشاركوا فيه واذن لهم في الدخول
من باقيها ان ارادوا ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل من قوله في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك
الى فيما سواه من الابواب وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع
تشفع واسال تعطه هذه الها للسكت كما في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه تثبت في الوقف لا في الوصل
وقد استحب ايثار الوقف لتثبت في الامام وقرى باثباتها في الوصل فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال اي ربنا
عز قايلا انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بره او شعيرة اي من ايمان شك الراوي في رواية مسلم فاخرجه
فافعل يجوز ان يكون اخراجا من بين اهل الموقف كما دل عليه اول الحديث من انهم المستشفعون به ليخلصوا
من ذلك الكرب ولا اشكال فيه وان يكون من النار لقضا اخر الحديث بانهم ادخلوها قبل شفاعته لهم وقد يجاب
بان بعضا منهم ادخلها وبقي بعض في الموقف فاستشفعوا به ليخلصوا من الكرب ثم شرع في الشفاعة لمن فيها زمرا
او يراد بالنار الحبس وما كانوا فيه من كرب وشدة وبالخروج الخلاص من ذلك فانطلق فافعل اي ما امرت به من
الاخراج ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول اي ثم اخر ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك
وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي الى اخره وقال فيه من رواية مسلم مثقال حبة من خردل
اي من ايمان فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من رواية مسلم من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى
من مثقال حبة من خردل اي من ايمان ومثل للقلة لا للوزن اذ الايمان عرض لا يوزن لكن ما يتردد فيه العقل
يصاغ اليه من ابرز المحسوسات ما يعقله به فافعل اي ما امرت به من الاخراج وذكر في المرة الرابعة من رواية
البخاري فيقال ارفع راسك وقل يسمع اي يجب الى ما سالت واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي
في الشفاعة لاخراج من قال لا اله الا الله منه فيه تلويح بان ما قد يمثل حبة من برة او شعيرة ثم بمثقال حبة
من خردل ثم بادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل هو غير الايمان الذي هو التصديق القلبي وقد يقال ما
يوجد في القلب من ثمرة الايمان قد يراد بها زيادة اليقين وطمانينة النفس او العمل بما به يزيد وينقص قال
اي الله تعالى ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي وكمال ذاتي وعلوي قهرا لعبادي على
ما اريد منهم من امر ونهي وكلها تفيد معنى العظمة وحسن الاتيان بها كون المقام مقام مدح يحسن فيه الاطناب

لاخرجن

لاخرجن من النار تعظيما لاسمي واجلالا لتوحيدي من قال لا اله الا الله اي من شهد انه لا معبود موجود قادر على كل
شي سواه قيل وبه خص عموم حديث البخاري اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه ويشهد
لكونه على عمومه اختصاص كل باخراج فاخص صلى الله عليه وسلم باخراجه هو من اثر ايمانه مزيد يقين او عمل وما خص
ربنا باخراجه هو من مجرد ايمانه عن شهادة حديث الشيخين ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها
قوما لم يعملوا خيرا قط اي غير لا اله الا الله وتاكيد خالصا من قلبه لكونه منبع الاخلاص ومعدنه فذكره هنا تاكيدا
وتقريرا لكونه منه لا يتنزل تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي ومن رواية
قتادة عنه اي عن انس قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فلا ادري في الثالثة او الرابعة اعتراض بين قال ومقوله
افاده صحو وشك اما من انس او من قتادة في ايتهما فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي اوجب
عليه الخلود منافقا او كافرا ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وروى احمد وابن حبان عن ابي بكر وابنا
ابي حاتم ومردويه عن عقبة بن عامر والترمذي عن ابي سعيد وابو داود في البعث عن حذيفة مثله اي مثل حديث
انس قال فياتون محمدا فيوذن له اي في الشفاعة وحذف الفاعل للعلم به وتاتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي
الصراط بفتح النون اي جانباه يمنة ويسرة يعني انهما لفخامتهما وعظم شانهما ولزوم رعاية حقهما يمثلان ثم
مشهدان للامين والواصل وعلى الخاين والقاطع وقيل يجوز ان تحمل على الامانة العظمى المودن بها انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان والرحم على صلتها الكبرى المودن
لها يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسا واتقوا الله الذي
تسالون به والارحام فيدخل في الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلقه فكانهما اكتنفتا جنبتي الايمان فطرة
الدين وفي رواية ابي داود في البعث عن ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط اي يوضع على
متن جهنم جسرا احد وادق من الشعرة واحد من السيف بشهادة حديث الحاكم وغيره على شرط مسلم يوضع الصراط
مثل حد الموسى وزعم بعضهم انه شعرة من شعر عين مالك ولا اعلم فيه سلفا وبعده ان من كان ملازما للسداد
مخالطا لها دخولا وخروجا لجديرا بان يكون عادة شعره وجلده غليظا متجافيا ولا اراه الا من بدع الوعاظ هذا وتامل
ما زعمه غيره من ان ضرب الصراط يشعر بمرورهم عليه مع كونه موضعا للمرور ولما كان المرور دليل عليه فافادة ضربه
استعجالهم وتخويفهم نقضي منه عجبا فيمرون عليه فيتمايز فيه اهل النار فيها وينجوا اهل الجنة بشهادة ثم ننجي الذين اتقوا
اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال بالجيم اي كعدوهم اذ خطي من رواه بالمهملة قال ذلك البعض وفيه
اشارة الى ان المرور للصراط وهذا اعجب مما مر واعجب منه قوله ووصف مرورا اولهم بالبرق وثانيهم بالريح ليس
في وسع البشر حقيقته الا ان يراد المبالغة في سرعة المرور بخلاف ما اذا كان المرور للصراط ولم يبد ان من خلق فيه
سرعة المرور قادر على ان يوجد فيه لمح البرق مما يصدر عن القدرة من خوارق العادات ونبيكم يعني نفسه على طريقة
التجريد على الصراط يقول اي مستقبلا عليه قايلا اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس غاية لقوله ذلك او علة لاجتيازهم
وذكر اخرهم جوازا اي على الصراط وفي رواية ابي هريرة فيما رواه الشيخان عنه فاكون اول وفي رواية انا وامتي اول
من يجيز لغة في يجوز يقال جاز واجاز بمعنى لحيازته له ولهم جهات الشرف وقصبات السبق في كل مقام كريم وروى الحاكم
والبيهقي عن ابن عباس يوضع للانبيا منابر من نور يجلسون عليها اكراما لهم وتنويها لجناب محلهم ويبقى منبري لا اجلس
عليه حال من المضاف اليه قايما حال بعد حال اي تاركا جلوسي عليه حال قيامي بين يدي ربي تصوير لموضع قيامه قريبا
منه تعالى مشبه له بما بين جهتي يدي الانسان فاستعار له بين استعارة تمثيلية ثم قرنه بالمقام ترشيحا للمجاز فيقول
الله ما تريد ان اصنع بامتك مبالغة في مزيد اكرامه وكمال اعظامه فاقول يا رب عجل حسابهم هذه من شفاعته التي خص بها

يدعى بهم فيحاسبون بنيا للمفعول للعلم بفاعلها فمنهم من يدخل الجنة برحمته بدون شفاعة فضلا منه وكرما ومنهم من
يدخل الجنة بشفاعتي وهو برحمته ايضا بتوسط الشفاعة ولا ازال مستمرا اشفع حتى اعطى غاية للشفاعة او علة
لاعطايه صكاكا جمع صك فارسي معرب اي كتبا بوجال كتب فيها اسماوهم وامر بهم الى النار فاردهم فيها فلا يدخلونها
وهذه ايضا من شفاعاته التي يختص بها حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة تعجب
من كونه بحيث لا ترد له شفاعة اي لم تدع لغضب ربك سببا يوجب لاحد انتقاما وحتى هنا ابتدائيه تستانف
بعدها الجمل الاسميه كما في حتى ماء دجلة اشكل وروي البيهقي وابو نعيم من طريق زيادا النميري عن انس انا اول من
تنفلق الارض عن جمجمته اي تنشق عن راسه ومنه حديث يا فالق الحب والنوى اي شاقها للانبات ولا
فخر تعاظما وتكبرا بل شكرا لله وتحدثا بنعمه وانا سيد الناس يوم القيمه اعلام بما اكرمه الله به من الفضل والسودد
ليومن به ويجري على موجبه ومن ثم اتبعه بقوله ولا فخر اذ ما اكرمه به ربه لم ينله من قبل نفسه ولا بلغه بحيله بل
بمحض فضل الله وكرمه ومعي لوا الحمد يوم القيمه جريا على عادة العرب في اللوا لا يكون الا مع كبير القوم ليعرف مكانه
اذ موضوعه في الاصل شهرة مكان الرئيس وانا اول من تفتح له الجنه ولا فخر فاني اتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار كناية عن اول ما يظهر له صلى الله عليه وسلم من انار شدة غضب
ربه وقهره عباده ونفاذ حكمه فيهم وخص هذا الاسم دون غيره لاختصاص الحال بالظاهر دلك اذ هو مقام اراده
انتقام بشهادة ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله فاخر
له ساجدا استعطافا له وطلبا منه لرضاه على عباده وفيه ارشاد الى استحباب تقديم بين يدي المطالب المهمة ما
يثمر نجحها وفي الطبراني الاوسط من رواية انس لاشفعن يوم القيمه لاكثر ما في الارض من حجر وشجر رواه عنه شهر بن
حوشب قال ابن عبد البر ليس اسناده بقوي هذا ورواه احمد بسند حسن عن بريدة بلفظ اني لاشفع ولا يبعد ان
يستغيث به صلى الله عليه وسلم النابتات والجمادات مما لا يعقل فرقا من حر جهنم وبرد زمهريرها عافانا الله منهما
فهذا جمع من اختلاف الفاظ هذه الانبا ان شفاعته ومقامه المحمود الذي خص به يحمده فيه الاولون والاخرون
من اول الشفاعات وهو العظمى لفصل القضا الى اخرها من حين يجتمع الناس خبر ان وما قبله وهذا ظرف لوقوع
الشفاعات وظهور مقامه المحمود فيه ومن ابتدائيه فابتداوها من حين اجتماعهم للحشر وبعد سوالهم الانبيا
ليشفعوا بشهادة قوله وتضيق بهم الحناجر حتى لا يكاد احدهم يخرج نفسا مما غمر الجوانح من تفاقم الهم وتراكم
الغم بصوادع القول وصوارع الهول فيرتفع الى الحنجرة وهي راس الغلصمه حيث نراه ناتيا فتضيق به ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف كل منها مبلغه باله من مبلغ ما افظع منظره وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ
اي حين تضيق بهم الحناجر ويبلغ ما ذكر مبلغه الاليم لازاحة الناس بالزاي اولا وهو اول الشفاعة من الموقف
ثم يوضع الصراط على ظهر جهنم كما ورد ويحاسب الناس كما جا في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة فيشفع صلى الله عليه
وسلم في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنه فيدخلهم من الباب الايمن من ابوابها كما مر وهذه وما بعدها
من المختصة به كما في مقدم من حديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم كما تقدم حسب بسكون
ثانيه وفتحه ونصبه على المصدر اي وفق او مثل ما تقتضيه الاحاديث الصحيحه الوارده اعلاما بذلك ثم فيمن
قال لا اله الا الله وليس هذا اي ليس قبول شفاعته فيمن قال لا اله الا الله لسواه من الشفعا وينبغي حمله على
من اثر توحيده زيادة طمانينه وفعل كما تقدم انه الخاص به صلى الله عليه وسلم واما من بمجرد توحيده فخلاص
اخراجه برب العزة تعالى بشهادة حديث البخاري المار يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك
وفي الحديث الصحيح المنتشر الذي رواه الشيخان لكل نبي دعوة بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي اي ادخرتها

وجعلتها لهم دخيرة عند الله يوم القيمه قال اهل العلم معناه لكل منهم دعوة اعلم انها تستجاب لهم يقينا متيقنة الاجا
ويبلغ فيها مرغوبهم والا فيقال انها تستجاب لهم يقينا وقع الخلف في الاخبار فكم لكل نبي دعوة مستجابة استجيبت له في الدنيا
ولنبينا من الدعوات المجابه ما لا يعد كثرة ولا يكاد يحصى لكن حالهم في باقي دعواتهم على طمع منهم في اجابتها فهم داعين
الرجا والخوف قبولا وردا وضمنت لهم من دعواتهم التي ليست على يقين من الاجابة اجابة دعوة فيما شاوه يدعو كل منهم بها
لنفسه او لقومه او عليهم على يقين من الاجابة حال من ضمير يدعوه وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في
هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته حال من ضمير دعا فاستجيب له حذف فاعله للعلم به اي استجاب الله له دعاه واتى
بدعا هنا ماضيا وفيما قبله مضارعا ارادة للسامع كانه يشاهد كلا وقت دعايه وانا اريد ان اوخر دعوتي قدم المسند اليه
للاختصاص او للتقويه والتاكيد فالواو للحال شفاعة يوم القيامه شفقة عليهم وحسن نظره لهم وفي رواية
للشيخين عن ابي صالح عن ابي هريره لكل نبي دعوة مستجابه فتعجل كل نبي دعوته وضع الظاهر موضع المضمر لانه مقام
بشارة يحسن فيه بسط الكلام حيث الاصغا مطلوب واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمه رواه مسلم فهي
نايلة اي صايبه وواصله بمعنى شامله لهم ان شا الله قاله تيمنا وتبركا امتثالا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشا الله من مات محله النصب مفعول لنايلة لا يشرك بالله شيا محله نصب على الحال من ضمير مات اي
غير مشرك بالله شيا هذا ولا يعزب عنك ان ذا الحديث ناص لمذهبنا اهل الحق ان من مات مومنا غير تايب
من الكباير لا يخلد في النار فيكون هذه الدعوه المتيقنة الاجابه مخصوصه بالامه لا تنال كما افادته الاضافه مضمونة
الاجابه من قبله صلى الله عليه وسلم بوحي والهام والا فيقال انها مضمونة الاجابه وقع الخلف في الاخبار فقد اخبر صلى الله
عليه وسلم انه سال ربه تعالى لامته اشيا من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها بشهادة سالت ربي
لامتي ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحده ان لا يهلك امتي بالسنه فاعطانيها وسالته ان لا يهلك امتي بالغرق
فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وادخرت هذه الدعوة ليوم القيمة اي يدعو بها فيه لهم وحاجة
المحن عطف على يوم جمع محنه وهي ما يصاب به من الشدايد ابتلا واختبارا وجعل اليوم نفسه محنة مجاز مرسل لعلاقة
الظرفيه وفي حديث الشعبي المحنة بدعة اراد ان الظالم اذا امتحن رجلا فلا يزال يقول له فعلت فعلت حتى يقول
ما لم يفعله او ما لا يجوز فعله فذلك بدعة وعظيم السول والرغبه عطف تفسيري اذ الرغبة السول والطلب وفي الحد
افضل العمل منح الرغايب لا يعلم حسبان اجرها الا الله وهي في الاصل الابل الواسعة الدر الكثيرة النفع جمع رغيب وهو
الواسع يقال جوف رغيب وواد رغيب ولما اراد الحجاج قتل سعيد بن جبير قال ايتوني بسيف رغيب اي واسع
الحد ياخذ من ضربته كثيرا وذلك اليوم يكثر فيه الحرص وتعظم فيه الرغبة فيما عند الله من الرغايب وفي الحديث
لا تدع ركعتي الفجر فان فيها الرغايب اي ما يرغب فيه عظيم الثواب فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة
بالوسيله وهي لغة ما يتوسل ويتقرب به كما يقال وسل اليه وسيلة وتوسل والمراد بها القرب من الله او منزلة من
منازل الجنه يفوز بها من سائر الدرجات بانواع الكرامات والدرجة الرفيعه مما فيه من فرقا المستنم والكوثر فوعل من
الكثرة وواوه زايده ومعناه الخير الكثير ومنه رجل كوثر اي كثير العطا وفي الحديث اعطيت الكوثر وهو نهر في
الجنه والفضيله فعيلة من الفضل ضد النقص يا لها من فضيلة لا ترام ومنقبة لا تسام وقد ذكر هنا شواهد
لتفضيله في الجنه بما ذكر منها حديث ابي داود ورواه ايضا مسلم والترمذي وانما اسنده اليه دونهما لقرب سنده
اليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اورده مضارعا تصويرا للسامع كانه
صلى الله عليه وسلم قايلا اذا سمعتم الموذن فقولوا مثل ما يقول من كلمات الاذان جميعها وخص منها الحيعلتين
بحديث مسلم وغيره عن عمر فانه يقال اذا سمعتا لا حول ولا قوة الا بالله وهل الامر بالقول المعلق بالسماع واجب

على من سمع حيث لا مانع او منه وب قال النووي فيه خلاف ذكره الطحاوي والصحيح عند الجمهور ندبه واختلفوا
هل يندب عند سماع كل موذن او الاول فقط رجح ابن عبد السلام في فتاويه الموصلية ندب اجابة الكل قال والاول
اكد ثم صلوا علي امر لمن سمع اذانا ان يصلي عليه عقبه وقد صرفه عن الوجوب الاجماع فانه الضمير للشان يفسره
من صلى علي اي مرة بقرينة المقام مع ما ورد مصرحا بها صلى الله عليه بها اي بالمرة او بالصلاة مرة عشرا رتبها
على المرة لانها من اشرف الحسنات قال تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا تنبغي ولا يليق اعطاوها الا لعبد عظيم بشهادة التنكير من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو يجوز ان
يجعل انا مبتدا خبره هو والجملة خبرا اكون او يجعل تاكيدا لاسمها وخبرها هو وضع موضع اياه او موضع اسم اشارة اي
انا ذلك وذكر ذلك بلفظ الرجا مع تحققه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بارفع المنازل عند ربه تادبا وتشريفا
وهو موذن بجواز سوال الدعا من المفضول ليفوز من الدعا له مع ثواب الله بعظيم كشفاعة المرتب حلها هنا
للداعي على دعائه له كما في قوله صلى الله عليه وسلم فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة اي وجبت
وجوبا واقعا عليه او غشيته ونزلت به وفي حديث اخر رواه الترمذي عن ابي هريرة الوسيلة اعلا درجة
في الجنة فهي له لمناسبة الاعلا للاعلا وروى البخاري عن انس بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي اي فاجاني
نهر حافتاه اي جانباه وطرفاه فيهما اللولو مثل القباب جمع قبة وهي بيت صغير مستدير تعتاده العرب او مثلها
في البهجة والنضارة قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج
مسكا اظهار الشرف المنعم عليه وعظم المنعم به وسماه طينا جريا على غالب العادة في كون مقر الما طينا وعن عايشة
وعبد الله بن عمرو ومثله اي مثل حديث انس قبله قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثهما ومجراه على الدر
جمع درة اي اللولو والياقوت تحته المسك كالطين تحت حصى الما فلا منافاة بين حديثهم وماوه احلا اي الذ
حلاوة من العسل وابيض من الثلج وفي رواية من اللبن وفي اخرى اشد بياضا من الثلج وهذه ناصرة لقول
النحاة لا يبنى اسم التفضيل كفعل التعجب من الالوان بل يتوصل اليه بمثل اشد والاولتان مجوزتان له فيقال
زيد ابيض من خالد وما ابيض بكرا ولا يلزم من كونه احلا من العسل الاستغنا به عن انهار العسل المصفى
في الجنة لانها ليست للشرب وفي رواية فاذا هو يجري سبحا وخبر بعد اذا الفجائية ولم يشق شقا الواو للحال
من ضمير يجري من شق البرق اذا لمع مستطيلا الى وسط السماء دون اعتراض في الافق اي يجري حال اعتراض
ماء حافتيه ممتلاتان به جريا عريضا شديدا مستانفا لشهادة يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة لا مستطيلا
بدون اعتراض وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم سال عن برق سحايب مرت فقال اخفوا ام وميضا ام يشق اي
ام يلمع مستطيلا بلا اعتراض ويشق عطف على فعل انتصب به المصدر ان تقديره اخفي ام يومض ام يشق عليه
اي على النهر حوضي من حيث ان ماءه ممتد من مايه لانه على جانبه اذ هو في الجنة والحوض خارجها لشهادة ليردن على الحوض
اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير
بعدي ترد عليه امتي يوم القيمة ولعله بعد الحساب والنجاة من النار وروى البخاري عن ابن عباس الكوثر الخير الذي
اعطاه الله اياه لم يصفه بالكثير كما في بعض الروايات للعلم به من الصيغة اذ هي من الكثرة للمبالغة وقال سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله تشريفا وتكريما وعن حذيفة فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه واعطاني
الكوثر نهر خبر حذف مبتداه اي هو لشهادة رواية اعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي وروى ابن جرير
وابن ابي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اي ابن عباس الف قصر
من لولو ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن من ازواج وخدم وزينة واثاث مما لا يعلم كنهه سواه اللام للابتداء

دخلت

دخلت خبر المبتدا بعد حذفه اي ولانت سوف يعطيك لا للقسم اذ لا تدخل مضارعا له بدون نون وكذاك جمعها مع سوف
شاهدا بان العطا كاين لا محالة وان تاخر لحكمة مع ان الوعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الدين واعلا الكلمة ولما
ادخر لحكمة مع ان الوعد شامل له مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفي رواية وفيه ما ينبغي له
من الازواج والخدم انث ثم ذكر ثم انث معتبرا المعنى ولفظه فصل اورد فيه سوالا استشعره مما تقدم
شاهدا بتفضيله صلى الله عليه وسلم بحرد امر نفسه اخر مثله مخاطبا له بقوله فان قلت اذا تقرر من دليل القران
وصحيح الاخبار الاضافة فيهما لفظية واجماع الامة كونه اكرم البشر وغيرهم ملايكة وجنا وافضل الانبيا عطفهم
على ما شملهم لزيادة كرم فيه فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل بين الانبيا كقوله فيما اسنده هنا من طريق
مسلم الى ابن عباس ورواه البخاري ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
ابن متى وورود عبد هنا نكرة في حيز النفي افاد شمول كل مكلف ويختلف الحكم بمرجع انا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من
الانتقاص الذي يمثله كفر ابليس اذ قال انا خير منه وان كان نبيا فينبغي له التواضع لما اكرم به من النبوة المودنة
بمعرفته ربه وشرايعه وادابه قال التوربشتي وانما خص بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله في كتابه عنه من
توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة صبره وعدم مبالاته بهم حين راموا التنصل بتثبط الاجابة عنهم فقال ولا
تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يامن صلى الله عليه
وسلم ان يخامر بواطن ضعفا امته ما يودي الى تنقصه فبين ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله به من كرامة
النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما صدر منه كاخوانه من المرسلين وفي حديث الشيخين الذي روياه عن ابي هريرة
في اليهودي الذي استب هو ورجل من الانصار فقال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال
تقول ذلك والنبي بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي فدعى الانصاري فاخبره بذلك فقال لا تفضلوا بين الانبيا اي
لا تعتمدوا عليه باهوايكم واراكم ومعناه بالصاد المهملة لا تفرقوا بينهم بتفضيل وبالمعجمة لا توقعوه بينهم وفي رواية
لهما ولابي داود والنسائي لا تخيروني على موسى قاله تواضعا وهضما لنفسه ولا ينافي قوله انا سيد ولد ادم ولا فخر
اذ لم يقله بطرا ولا على احد بل تحدثا بالنعمة واعترافا بالمنة وردعا لضعفا امته عن ايقاع تفضيل بعض الانبيا على
بعض من تلقا انفسهم لا انصابه على عصبية تورث افراطا وتفريطا فذكر الحديث قال فان الناس يصعقون يوم القيمة
فاصعق فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري احوزي بالصعقة ام لا وهي لغة ان يغشى على
الانسان من صوت شديد يسمعه وربما مات ثم استعمل في الموت كثيرا والمراد بها هنا ما افاده وجزم موسى صعقا قال
المصنف وهذا من اشكل الاحاديث لان موسى مات فكيف يصعق وانما يصعق الاحيا فيحتمل ان تكون هذه
الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السما ويويده فافيق فانه انما يقال افاق من الغشي وبعث من الموت
وبه جزم التوربشتي اذ قال واما الصعقة في الحديث فهي بعد البعث عند نفخة الفزع واما البعث فلا تقدم
لاحد على نبينا فيه واختصاص موسى بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة
وفيه اي في هذا الحديث ولا اقول ان احدا خير من يونس بن متى اي لا اقوله من تلقا نفسي ولا افضل احدا عليه اي
من حيث النبوة والرسالة اذ شانهما لا يختلف باختلاف الاشخاص فهم في الاكرام بهما سوا وان اختلفت مراتبهم وقد
استعمل احدا في الايجاب للعموم تاويلا له بالنفي كانه قيل لا احد افضل من يونس اذ قد يعطى الشي حكم ما هو بمعناه
ومنه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر اعطي حكم اوليس في الخبر حكم اوليس الذي
لانه بمعناه وروى البخاري عن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب يجوز رجوع انا لكامر الله صلى
الله عليه وسلم او الى كل قايل اي لا يقول ذلك احد وان بلغ في العلم والعبادة وغيرهما من الفضايل ما بلغ اذ لم يبلغ

مابلغه يونس من درجة النبوة وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى اي في النبوه والرساله
لعدم اختلافهما باختلاف موصوفهما وفي حديثه اي حديث بن مسعود الاخر الذي رواه مسلم وابو داود والترمذي
جاء صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا خير البريه اي الخلق من براه الله يبره برا اي خلقه قال في النهايه ولم يستعمل
مهموز فقال ذلك ابراهيم قاله تواضعا اكراما لابيه ابراهيم فاعلم جواب الشرط ان العلما في هذه الاحاديث التي
عن التفضيل بين الانبيا تاويلات تقدم ذكرها استطرادا وجملة ان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي علم
احدها اي احد التاويلات ان نهيه عن التفضيل بينهم كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم هذا انما يصلح جوابا على
تقدير رجوع انا اليه صلى الله عليه وسلم دون غيره فنهى عن التفضيل اذ هو لتوقفه على ورود سمع محتاج الى
توقف يوذن بجواز الاقدام عليه وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا
تفضيله هو صلى الله عليه وسلم على يونس لدخوله في عموم النكره في سياق النفي ولا تقتضي تفضيل يونس عليه
صلى الله عليه وسلم وانما هو في الظاهر كف منه صلى الله عليه وسلم لغيره عن التفضيل اذ مرتبة يودي الى النقص
الوجه الثاني انه قاله على طريقة التواضع ونفي التكبر والتعجب فخرا وبطرا ولا ينافي تحدثا بالنعمة واعترافا بالمنه
وهذا لا يسلم من الاعتراض لابدائه بعلمه بجواز ما نهي عنه من التفضيل وبما خص به من السودد فعدم جريه
على موجب علمه اخبار بخلاف الواقع ينافي منصب النبوة قلنا التواضع من داب الانبيا وديدنهم وليس اخبارا
بخلاف الواقع بل هو ارشاد لامته ليقتفوا اثار سنته ويتبعوا سبيله فلا منافاة الوجه الثالث انه لا يبينهم
تفضيلا يودي الى نقص بعضهم او الغض معطوف اي النقص منهم جميعا وينهى منه جوازه لا على جهة النقص
لكن يمنع منه مع جهل جوازه وان صادف محلا لامتناع الاقدام عليه كما انا له جهلا ولا سيما كلمة استثنا من
شي وما ثم لك ان تجعل ما موصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدا محذوف كما في جا القوم لا سيما اخوك اي لا سيما
الذي هو اخوك او زايده فينجر بسي لا لفظا بمعنى مثل كما في اكرم القوم لا سيما اخيك اي ولا مثل اخيك اكراما
وقول امري القيس ولا سيما يوم بدارة جلجل ورد مرفوعا ومجرورا اي خصوصا اذا كان التفضيل في جهة
يونس اذ لم يذكره الله في جملة اولي العزم والصبر من الرسل لقلة صبره وسيئه وذهابه مغاضبا لقومه قبل
ان ياذن له ربه وبما اخبر الله عنه بما اخبر في تنزيله بقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم فالتقمه
الحوت وهو مليم فنبذناه بالعرا وهو مذموم فنهى عن التفضيل عليه لئلا يقع في نفس من لا يعلم انه تداركه نعمة
من ربه وانه اجتباه ربه فجعله من الصالحين منه اي من يونس بذلك الابا سببيه ومنه متعلق بغضاضة اي
لئلا يقع بسبب ما اخبر الله عنه في نفس جاهل ذلك غضاضة منه اي نقص وحقارة واغطاط من مرتبته
الرفيعه اذ قال الله عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اي المملو واصل الاباق الهرب من السيد وحسن اطلاقه عليه
هنا لهربه من قومه بغير اذن ربه فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق او لن نقضي عليه بالعقوبة وينصره
قراته مثقلا وتمثيل لحاله بحال من ظن انا لن نقدر في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا وروي ان معاوية قال
لابن عباس او يظن نبي الله ان لا يقدر الله عليه فقال له هذا من القدر لا من القدرة فربما يخيل لمن لا علم عنده
حطيطته بذلك الذي اخبر به عنه في كتا الوجه الرابع منع التفضيل المفاد بالنهي عنه انما هو في حق النبوة
والرساله فان الانبيا فيها من حيث هي في نفسها على حد واحد فلا يقال مثلا نبوة ادم افضل من نبوة غيره
منهم اذ هي في حد ذاتها شي واحد لا تفاضل وانما التفاضل في زيادة ما منحه بعضهم دون بعض من الاحوال
الزايدة عليها والخصوص والكرامات والرتب والالطاف ولذلك اي ولما ذكر من كون التفاضل انما هو
في زيادة ما ذكر كان منهم رسل واولو عزم من الرسل اي اولو ثبات واجتهاد وهم اصحاب الشرايع اجتهدوا

في تاسيسها

في تاسيسها او تقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومناواة من طعن فيها ومشاهيرهم كما من نوح وابراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان منهم من رفع مكانا عليا وهو ادريس سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ
وكان منهم من اوتي الحكم صبيا وهو يحيى بن زكريا احكم الله عقله في صباه واستنباه واتاه الحكمة وفهم التوريه واتى بعضهم
الزبور وهو داود وبعضهم البينات وهو عيسى اتاه معجزات وجعلها سببا لتفضيله لانها ايات عظيمه لم يجمعها
غيره ومنهم من كلم الله كموسى كلمه مرتين على الطور وليلة الحيره ورفع بعضهم درجات تفضيلا له على غيره من
وجوه متعدده او مراتب متباعده قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بفضائل بسببه متنزهين
عن العلايق الجسمانية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بمناقب ليست لغيره قال بعض اهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا انما هو في الدنيا وذلك اي تفضيل بعضهم على بعض فيها بثلاثة اوجه ان تكون اياته
ومعجزاته ابهر من بهر ضوء الكوكب اي اغلب واشهر كالقران وانشقاق القمر لنبينا وانفلاق البحر وانقلاب العصا
حية لموسى او تكون امته ازكى واكثر كامة نبينا اذ قال الله فيهم كنتم خير امة وقد بعث للناس كافة وكالهم بكماله
او يكون النبي المفضل في ذاته افضل واظهر اي اشهر من غيره من الانبيا وفضله اي فضل كل نبي راجع الى ما خص به من
كرامته له بماثر كريمة ومناقب عظيمة واختصاصه بالجر عطفا على مدخول الى اي والى من كلام لموسى ليلة الحيرة
والطور ولمحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى او خلة لابراهيم فلقد اتخذه خليلا او رؤيه لنبينا ليلة
الاسري او ما شا الله لا ولئك الاكرمين عليه الاعظمين لديه من الطاف وتحف ولايته واختصاصه اياهم بما لا تعلم
نفس ما اتوه وما اخفي لهم من قرة اعين فقد روي كما في تفسير ابن ابي حاتم ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للنبوة اثقالا لا تعرض لها بسبب التبليغ بشارة وانذارا وان يونس لعدم اذعان قومه
له وترك انقيادهم لما دعاهم اليه لشدة شكيمتهم وتمادي ضرارهم تفسخ منها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل وهو بضم الرا
وفتح التا ما ولد في زمن الربيع وفي المثل افلح من له ربعيون جمع ربعي على غير قياس فحفظ صلى الله عليه وسلم بنهيه عن
التفضيل بينهم موضع الفتنة من اوهام متعلق بحفظ او من بيانية لموضعها اي الذي هو اوهام من يسبق سببها
اي بسبب انقالها من سام وضجر وضيق نفس خرج في نبوته او قدح في اصطفايه وحط من رتبته ووهن في عصمته
اي ضعف فيها بتوهمه ذلك شفقه مفعول له الحفظ على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب من حيث ان يونس ممن
خصه الله بجهد النبوة والطاف الكرامه واسعاف الولايه وجه خامس وهو ان يكون انا في الاحاديث السابقه
راجعا الى القايل نفسه اي لا يظن وان بلغ من الزكاة والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس بن متى
لاجل ما حكى الله عنه في ذلك القايل تنزيهه بما افاد تضجره وتبرمه في قومه وقلة صبره على تماديهم في ترك الايمان
بما جاءهم به وسوق الكلام مؤذن بان هذا من غير الانبيا اذ ليس شاهده قوله فان درجة النبوة افضل واعلا فعصمته
غيرهم بمعنى الحفظ لا النبوت الموجب لعدم صدور ذنب منه كما للانبيا وان تلك الاقدار لم تحطه عنها اي عن درجة
النبوة حبة خردلة ولا ادنى اي اقل منها فصل في اسمائه وما تضمنته من فضيلته من حيث انها اعلام
مؤذنة بكمال مدحه شرفا وسوددا ولغاية رفعته كرما ومرتبة وقد اسند هنا شاهدا بذلك حديث مالك
عن محمد بن جبير بن مطعم مرسلا مع رواية الشيخين له عن محمد بن جبير عن ابيه متصلا لعلو سنده بدرجتين بل
سندهما لي خمسة اسما وقدم الجار على مجروره لزيادة تقريره وتاكيد معناها فيه او للحصر من حيث ان له اسماء ن
متعدده دون غيرها هذا وقد نقل ابن العربي في شرحه على الترمذي انها الف وقال ابن فارس هي الفان وعشرون
انا محمد الذي عم حاله في حيازة الشرف والكمالات علمية وعملية وملكات نفسية ولهذا صح الحمل في القضية كما في انا
ابو النجم وشعري شعري ومحمد اسم منقول من التحميد مبالغة في الحمد تقول هذا محمود فاذا بلغ النهايه فيه بتكامل خصاله
ومناقبه المحموده فهو محمد وهو منقول من الصفة تفاولا ان سيكثر حمد الناس له وعن ابن قتيبه ان من اعلام نبوته
انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله لهذا الاسم اذ قد سماه في كتبه وبشر به الانبيا فلو تسمى به غيره وقع الاشتراك ك

وانتشرت الدواعي ووقعت الشبهة لكن لما قرب زمنه وبشر بقربه اهل الكتاب تسمى به قليلون لم يدع احد منهم
النبوه وانا احمد اسم تفضيل من الحمد قطع متعلقه للمبالغة وله مزيد بيان ياتي قريبا وانا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر ويعفي اثاره بسطوع الحجة وظهور دينه على الدين كله ولم يقل به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده
الاخبار عن نفسه مع ان ضميرها عبارة عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس وقد فسر في حديث اخر بالذي
محيت به سيات من تبعه كما قال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي روي بتخفيف اليا وتشديدها اي على اثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي كما شهد به رواية وانا الحاشر
الذي يحشر الناس خلفي وملته دون ملة غيره وانا العاقب اي الاتي عقب الانبيا وليس بعدي نبي وقال ابن
الاعرابي هو من يخلف في الخير من كان قبله ومنه عقب الرجل لولده وقد سماه في كتابه واحمد وما محمد الا رسول
ما كان محمد ابا احد من رجالكم محمد رسول الله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فمن خصايصه تعالى له
مصدر مضاف الى فاعله اي من ما خصه الله به ان ضمن اسماه ثناه تفخيما لشانه وتعظيما لمكانه حيث منحه
معانيها فاتصف بها وطوى عطف على ضمن وهو بمعناه وغاير بينهما لفظا تفننا في مقام نشر محاسنه وبث
مناقبه اي ومما خصه به طيه اثنا ذكره عظيم شكره في مواطن يكاد يفوت الحصر مثل وانك لعلى خلق عظيم
وانك لتهدي الى صراط مستقيم فاما اسمه احمد فافعل تفضيل مبالغة لافادته ثبوت زيادة الحمد وحذف متعلقه
والا فافعل ليس من صيغ المبالغة بل هو من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد مثل فتحت ابوابها
وعرفت اللفظة اذا فعلت لها ذلك مرة بعد اخرى والاحسن من التحميد كما مراد هو المبالغة نفسه لدلالته على
بلوغ النهاية كما يقال في الحمد محمد وفي الذم مذمم اذ لا يلزم من الكثرة المبالغة لمجاوزتها حد الكثرة فهو اجل من حمد
لمحامد منه مرضيه وافضل من حمد على خصال فيه رضيه واكثر الناس حمدا حامدا او محمودا لبلوغ الحامد به
والمحمود فيه نهاية الكمال فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين والجارية صلى الله عليه وسلم شرف صفتيهما
ضمنهما فيهما مع ان القياس انما يفضل على الفاعل دون المفعول ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد
وليشتهر في تلك العرصات جمع عرصه وهي في الاصل كل موضع واسع لا بنا فيه اي عرصات يوم القيمة بصفة الحمد
ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده في تنزيله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يحمده فيه الاولون
والاخرون بشفاعته لهم واراحتهم من هول ذلك الموقف الفظيع ويفتح عليه فيه من المحامد جمع محمده بمعنى
الحمد كما قال ما لم يعط غيره من المخلوقات وسمي امته في كتب انبيايه بالحمادين كما في حديث الدارمي عن كعب يحكي
عن التوراة قال نجد مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدي لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله في السرا
والضرا يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جا وقتها يتازرون على انصافهم
ويتوضون على اطرافهم مناديهم ينادي في جو السما صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سوا لهم بالليل دوي كدوي
النحل فحقيق الفا مفصحه عن مقدر اي واذا اختص بما منحه من مناقب حمده ووصف به من ماثر محموده فجدير
ان يسمى محمدا واحمد لكثرة محامده ثم في هذين الاسمين من عجايب خصايصه واياته الدالة على نبوته فن اخر هو
ان الله حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه الذي وجد فيه وبعث اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به كما اخبر
الله عن عيسى اذ قال يا بني اسرايل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعو به مدعو قبله حتى لا يدخل علة لمنع التسمية اي فعلنا
ذلك حذرا من ان يرد لبس على ضعيف القلب او شك في معدن النبوه او منبع الرسالة وحذرا من الاشتراك في الاسم
المؤذن باشاعة الادعا او وقوع الشبهة وكذلك اي وكاسمه احمد اسمه محمد ايضا لم يسم به احد ولا غيره الى
ان شاع غاية لعدم تسمية احد باسمه محمد قبيل وجوده وميلاده ان نبيا يبعث اي شاع بعثه نبي اسمه محمد

فسمي قليل من العرب ابناهم بذلك رجا ان يكون احدهم هو النبي المسمى محمدا والله يعلم حيث يجعل رسالاته وهم اي
المسمون بمحمد قبل ميلاده محمد بن احيحة بهمزة مضمومة ومهملتين بينهما يا ابن الجلاح بجيم مضمومة الاوسي ومحمد
ابن مسلمة الانصاري احد بني حارثه ومحمد بن برا بمهملة مشددة ممدودة البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع
ابن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي بمعجمة مضمومة فزاي وعين مفتوحة بينهما الف السلمي لا سابع لهم وذكر ابن الاثير
محمد بن عتوارة الليثي الكناني ومحمد بن حرمان بن مالك التيمي العمري احدهما بدل من برا وزاد مغلطاي محمد بن علي
ابن ربيعه بن سعد المنقري ومحمد بن عثمان السعدي ومحمد الاسدي ومحمد الفقيمي ومحمد بن خولي الهمداني
ومحمد بن مزيد بن ربيعه ومحمد بن اسامه بن مالك ويقال اول من سمي محمد محمد بن سفيان بن مجاشع التيمي واليمن
تقول بل المسمى به اولا محمد بن اليحمد من الازد ثم بعد ان تسموا به حمى الله كل من سمي به ان يدعي النبوة او يدعيها
احد له او يظهر عليه سبب يشكك في امره احدا حتى تحققت السمتان له اي المحمدية والاحمدية واتصف بهما في
نفس الامر ولم يشاركه فيهما في نفس الامر من تسمى بذلك احدا او النبوة والرسالة او النبوة وعدم دعواها من
احد منهم لنفسه او ادعاها له ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسره في الحديث
بما ذكر واعاده هنا ليترتب عليه بيان محل محو الكفر بقوله ويكون محو الكفر اي اذهابه وعفو اثاره اما من
مكه وبلاد العرب وما زوي له من الارض الوارد به حديث زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها اي
جمع له ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبه على دين كل قوم في كل زمان كما
قال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وروى البيهقي وابو نعيم انه الذي محيت به
سيات من تبعه بشهادة قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي لم يقل على قدمه لان قصده الاخبار عن نفسه كما في انا الذي سمتني امي حيدره واعاده ليفسره
بما فسرناه انفا اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي يحشرون اخر زمانه كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا كما قال ابن العربي لانه عقب غيره من الانبيا اي جا عقبه وخلفه في الخير وقيل معنى على قدمي ه
يحشرون بمشاهدتي اي مشاهدا لهم كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا اي مشاهدين لهم وهو مشاهد لكم وهذا مخالف لظاهر الاية المفاد بالتعدية
فيها بعلى ولو كان كما زعم لكانت باللام ومعنى قوله لي خمسة اسما قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي
العلم من الامم السالفه وقد روي كما في الدلايل لابي نعيم وتفسير ابن مردويه من طريق الى يحيى التيمي وهو ضعيف
عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسما لا معارضة بينه وبين
حديث لي خمسة اسما عند من قال مفهوم العدد ليس بحجة ولعدم افادة التقديم فيهما الحصر وذكر منها اي
من العشرة طه ويس حكاه مكي كما تقدم واعاده هنا ليتبعه قوله وقيل في بعض تفاسير طه انه يا هادي
يا طاهر ما تقدم هادي والطاهر طاهر ويس يا سيد حكاه ابو عبد الرحمن السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد
وذكر غيره اي غير ابي محمد مكي لي عشرة اسما فذكر الخمسة التي هي محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب في الحديث
الاول قال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا وانا رسول الرحمه بشهادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقوله
صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة والرحمة العطف والرافه والاشفاق ورسول الملاحم جمع ملحمة وهي
الحرب واضيف اليها لحرصه على الجهاد الماموربه ومسارعته في المقارعة وعدم احجامه عنها ومن ثم قال
كنا اذا احمر الناس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا الى العدو اقرب منه رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا
بلفظ انا رسول الرحمة انا رسول الملحمة ولا تعارض بين الحديث اذ قد ارسل سلما لاوليايه حربا لاعدايه
بشهادة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وانا المقفي قفيت النبيين اي جيت بعدهم متبعا
لهم فاذا اقفي فلا نبي بعده قال تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا وانا قثم والقثم الجامع لسائر المكارم الشريفه

والكرايم النفيسه الكامل فيها كذا وجدته ولم اره اي عن احد من ايمة الحديث هذا وقد رواه الديلمي في فردوسه
ولم يسنده في مسند الفردوس وفي النهايه حديث اتاني ملك فقال انت قثم وخلقك قثم اي مستقيم حسن
قال المصنف واري ان صوابه قثم بالثا المثلثه من القثم وهو الجمع يقال للرجل المجموع للخير قثوم ومن ثم قال
وهو اشبه بالتفسير اي الذي ذكره قريبا وقد وقع اي القثم بالتحتيه ايضا في كتب الانبيا قال داود اللهم
حذف منه حرف النداء وعوض عنه الميم اي يا الله ابعث لنا محمدا مقيم السنه بعد الفتره بمعناه بالمثلثه
وروي النقاش لي في القران سبعة اسما محمد واحمد في وما محمد الا رسول محمد رسول الله ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد ويس وطه والمزمل والمدثر في اوايل سورها وعبد الله في رواية لما قام عبد
الله يدعوه وانما اقتصر عليها لشهرتها والا فله اسما كثيرة كالنبي والرسول والخاتم والحريص والروف والرحيم
والصاحب وفي حديث مسلم عن ابي موسى كان يعني النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما اي لها
فيقول انا احمد ومحمد والمقفي بصيغة الفاعل وهو في الاصل المولي الذاهب فكان معناه هو اخر الانبيا
والمتبع لهم وكل شي تبع شيا فقد قفاه والحاشر ونبي التوبه من حيث انه يتاب على يديه وانه تواب كثير
الرجوع الى ربه لشهادة حديث البخاري اني لاستغفر الله في اليوم اكثر من مائة مرة وفي رواية من سبعين
ونبي الملحمه اي الحرب لحرصه على الجهاد كما امر ويروي المرحمه والرحمه والراحه لانه بالمومنين روف رحيم
ومن رحم به استراح وقد قال صلى الله عليه وسلم في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى وتواصوا
بالصبر اي اوصى بعضهم بعضا به على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة اي بموجبات الرحمة او بها على عباده يرحم
بعضهم بعضا لبعثته ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين عطف العام على ما شمله ليعم الكافر ايضا فهو طالبا
لهم من الله الرحمة والمغفرة وجعل امته مرحومة ووصفها بالرحمة رحما بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ورضوانا وامرها بالتراحم بينهم ليكونوا عونا على ايتلافهم واتفاق كلمتهم وجزيل ثوابهم وجميل ثنايهم
وحسن مابهم واثنى عليهم فقال ان الله يحب من عباده الرحما رواه الشيخان عن اسامة بن زيد بلفظ يرحم
وروى ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم
من في السما زاد الترمذي والرحم شجنه من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله وقد مر معنى
الرحمة لغة وهو امر حسن نجده في انفسنا عند رؤية المرحوم او الاخبار عنه يدعوا الى معاونته وقد وقع لنا
هذا الحديث عاليا مسلسلا بالاولية انا به ابو الحسن ابراهيم البقاعي وهو اول حديث سمعته منه انا الشيخ
المعمر شهاب الدين احمد بن محمد المقدسي الواسطي وهو حديث سمعته عليه انا ابو الفتح محمد بن محمد الميدومي وهو
اول حديث سمعته منه انا ابو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني وهو اول حديث سمعته منه ثنا ابو
سعد اسماعيل بن ابي صالح احمد عبد الملك النيسابوري وهو اول حديث سمعته منه انبانا والدي الامام
ابو صالح الحافظ وهو اول حديث سمعته منه ثنا الاستاذ ابو طاهر محمد بن محمد الزيادي وهو اول حديث
سمعته منه ثنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز وهو اول حديث سمعته ثنا عبد الرحمن بن
بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه ثنا سفيان بن عيينه وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن
دينار عن ابي قابوس عن مولاه عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحديث ولا يضر انقطاع
السلسل من عمرو بن دينار واما رواية ابن سعد عن مجاهد فيما تقدم انا نبي الرحمة فاشارة الى ما بعث به من
القتال والسيف قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وروى احمد والترمذي في الشمايل
قال حذيفة مثل حديث ابي موسى كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه الحديث وفيه ونبي الرحمه ونبي التوبه
ونبي الملاحم وروى الحربي كابي نعيم في الدلايل عن يونس بن ميسرة اتاني ملك فقال لي انت قثم بالثا المثلثه من
القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اي اعطاه وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير من الريح

الهابه

الهابه فهو قثم اي مجمع قال ابا الحربي والقثوم الجامع للخير وهذا اي قثم اسم في اهل بيته اما لبعض بني عبد المطلب من
اعمامه او لبعض بني العباس عمه معلوم وقد جات من الالقاب جمع لقب وكلها في جهة حسنه والمنهي عنه في الاية ما يجد
المدعو به في نفسه كراهة منه لتقصير او ذم او شين اما ما يزينه وينوه باسمه فلا باس به ما لم يتم بنفسه اعجاب وتفاخر
وتبجح في القران كثيرة سوى ما ذكرنا لكن منها ما ورد على طريقة الاستعارة باعتبار ما جا به من الهدى كالنور والسراج المنير
قال تعالى وسراجا منيرا اذ به جلا الله ظلمات الشرك فاهتدى بها الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدي به او امد
الله بنور نبوته البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يكون منيرا او ما ورد باعتبار
ما قام به من مبدا الاشتقاق ومثل المنذر قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين والنذير والمبشر
قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والبشير فقد بشر اهل الايمان بالرضوان في دار القرار وانذر اهل الكفر
الخزي في دار البوار والشاهد والشهيد يوم القيمة للانبيا على اممهم بتبليغهم اياهم رسالات ربهم ويشهد على امته
قال تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا ويشهد لهم اي يزكيهم لشهادة لتكونوا شهدا على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والحق المبين لشهادة حديث البخاري اللهم انت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه
ومحمد حق واية لتبين للناس ما نزل اليهم وخاتم النبيين كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين فكان اخرهم
بعثا واولهم سبقا لشهادة نحن الاخرون السابقون والروف الرحيم لشهادة حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وكان
بالمومنين رحيما قدم الرافة لابلغيتها الرافه لا لمباشرة الرحمة محافظة على الفواصل والامين لحديث اني لامين
في الارض امين في السما وكان قبل البعثه يسمى امينا وقدم الصدق من حيث انه اوحي اليه ان بشر الذين امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم اي سابقه ومنزلة رفيعة سميت قدما لان بها السبق كما سميت النعمة يدا لان بها العطا واضيفت
الى الصدق وايذانا بتحققها وتلويحا بانهم انما ينالونها بصدق القول والنيه ورحمة للعالمين لشهادة وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين اذ كان سببا لسعادة المومنين وصلاح معاشهم ومعادهم ولامن الكفار في الدنيا من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال ونعمة الله انعم بها على من امن به في الدارين وعلى من صد عنه في الدنيا بما ذكر انفا والعروة الوثقى من حيث
ان من امن به فقد تمسك من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة فالعروة الوثقى مستعار لما يتمسك به المحق من النظر
الصحيح والراي القويم والصراط المستقيم من حيث هدايته من امن به اليه ودلالته عليه ببيانه لهم طرق الهدى
بوضوح الحجج وسطوع البراهين والنجم الثاقب من حيث انه يهتدى بنور هداه الثاقب بضوئه ظلام الشرك فانه
كما يهتدى بنور النجم الثاقب اي المضي كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه والكريم لشهادة انه لقول رسول كريم
عند العرض اي على ربه وفي نفسه لشرف نسبه وفضل احسانه وفي البخاري انه كان اجود الناس بالخير من
الريح الهابه المرسله والنبي الامي اي الذي لا يكتب ولا يقرا ووصفه بذلك تنبيها على ان كمال علمه مع اميته من معجزاته
قال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي وداعي الله لشهادة وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره الى الاقرار بتوحيده حده
وبما يجب الايمان به من صفاته وجري منها في كتب الله المتقدمة كالتوراة والزبور والانجيل واحاديث رسوله
واطلاق الامة جملة شافية من وصمة الاحتياج الى معرفتها واحصايها كتسميته بالمصطفى اي الصافي من شوايب
ما لا يليق به اذ اصل الصفي الخلوص من الشوب او المختار من ابنا نوعه وقد شاركه فيه الانبيا الا انه المفهوم منه
عند الاطلاق واصل طايه تا ابدلت منها المجاورتها الصاد والمجتبى لاجتبايه له اي اصطفايه وابي القاسم لحديث بعض
اليهود ناداه يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال لم اردك فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وحديث وانا القاسم
والله المعطي فاني مجيم للمبالغه والحبيب للحديث المتقدم اذ فيه الا وانا حبيب الله ورسول رب العالمين اي الخلق
يدعوهم اليه والشفيع فعيل بمعنى فاعل اي الشافع والمشفع اسم مفعول اي يشفعه الله في امته وغيرهم من مؤمني الامم

بشفاعات خص بها اعظمها شفاعة فصل القضا والمتقي من الوقاية وهي فرط الصيانة واصله موتقي ابدلت واوه تا وادغمت
وهو شرعا اسم لمن يقي نفسه العذاب المخلد بالتبري من الشرك وتجنبه كل ما يوثم من فعل او ترك وتنزهه عما يشغل سره
عن الحق وهذه المرتبة هي اللايقة بجنابه الكريم والمصلح لما بدل وغير من ملة ابراهيم اذ امر باتباعه بشهادة ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم وفي التورية ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجا اي ملة ابراهيم سميت عوجا لتغيير العرب
اياها والطاهر اي المنزه عما لا يليق بساحة عزه والمهيمن اي الرقيب البالغ في المراقبة صيانة وحفظا لما جا به
وانزل عليه ولامته من هيمن الطير اذا نشر جناحه على فراخه صيانة لها والصادق قولا فقد روى ابو داود
عن عبد الله بن ابي الحمسا بتقديم الميم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه
بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك
والمصدوق اي المصدق فيما جا به عن ربه او الذي ياتيه الصدق من عند ربه وقايد الغر اي البيض
الوجوه بنور الوضو اطلاقا لاسم البعض على الكل اذ الغرة بياض في الجبهة قدر الدرهم المحجلين ايديا وارجلا
بنور الوضو يوم القيمة استعير اثره في وجه الانسان ويديه ورجليه من بياض وجه الفرس ويديه
ورجليه وبه استدل على ان الوضو من خصايص هذه الامة وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل بشهادة هذا
وضوي ووضو الانبيا من قبلي واجيب بضعفه ولو صح احتمل ان تكون الانبيا اختصت بالوضو دون اممهم
الا هذه الامة وخليل الرحمن بشهادة حديث مسلم وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعني نفسه وصاحب الحوض
المورود يوم القيمة وقد ورد فيه احاديث صحيحة عن خلايق من الصحابة كثيرة وصاحب الشفاعة والمقام
المحمود كما تقدم وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة بشهادة حديث مسلم سلوا الله لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لرجل من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وحديث الشيخين من قال حين يسمع الندا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة ورواية النساي وابن حبان
والبيهقي المقام المحمود وتنكيره الخ واجزل كانه قيل مقاما اي مقام يغبطه فيه الاولون والاخرون
ويشرف به على جميع الخلايق يسال فيه فيعطي ويشفع فيشفع ليس احد الا تحت لوايه محمود الكل فيه السنة
الحامدين والموصول مع صلته اما بدل او رفع او نصب على المدح اي هو او اعني لا صفة للنكرة قبله وصاحب
التاج اي العمامة وكانت اذ ذاك خاصة بالعرب فهي تيجانهم ومن ثم قيل العمايم تيجان العرب وصاحب القضيب فعيل
بمعنى فاعل اي السيف القضيب وراكب البراق بشهادة ما مر في احاديث المعراج وراكب الناقة المنوقة اي المروضة
المنقادة وراكب النجيب اي القوة وهو عرفا من الابل الخفيف السريع ولغة النفيس الفاضل من كل حيوان وفي
الحديث ان كل نبي اعطي نجبا رفقا وفيه ان الله يحب التاجر النجيب اي الفاضل الكريم السخي وصاحب الحجة
والسلطان الحجة حجج قاطعة وبراهين ساطعة وتسلطه على من لم يعطه قتلا وسبيا واخذ جزية وصاحب
الخاتم لان الله ختم به انبياءه بشهادة وخاتم النبيين اي اخر من نبي فلا يرد عيسى ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه
ان يكون نبيا بشهادة حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا اي لكنه لم يعش فلم يكن نبيا فاستثنا نقيض المقدم انتج
رفع تاليه وصاحب العلامة الدالة على نبوته وكم من علامة ظاهرة والبرهان الحجة بقواطع قاهرة وسواطع
ظاهرة وصاحب الهراوة اي العصا قاله سطيح واراد به نبينا اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه ويمسكها ويمشي
بها وتغرز له فيصلي وصاحب النعلين اذ كان يمشي بهما وفي الحديث يا خير من يمشي بنعل فرد اي طاق واحدة
لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم يمدحون رقته ويجعلونه من لباس الملوك ومن اسمايه في الكتب

كالتوراة

كالتوراة المتوكل اي الذي يكل اموره الى الله فاذا امره بشي لم يقص غير هيوب ولا ضرع وكان اذا عراه اي نزل به امر عظيم او مهم
رجع الى ربه غير معتمد على حول وقوة والمختار اي المصطفى لكل مكرمة ومقيم السنة كما ورد عن داود اللهم ابعث
مقيم السنة اي مظهر الملة وصاينها من التغيير والتبديل والمقدس اي المطهر عما لا يليق بجنابه الكريم وروح
القدس الحية بما فيه حياة الارواح التي بها حياة الاشباح واضيف الى القدس وهو الطهر كحاتم الجود مما
يضاف مبالغة الى مصدر بمعنى اسم المفعول او الفاعل اي الروح المقدس اي المطهر عن العيوب او النقايص
وروح الحق لاحيا الحق به فكانه روحه وهو معنى البارقليط بالبا في الانجيل باللغة العبرانية وقال ثعلب
البارقليط الذي فرق بين الحق والباطل فرقا بينا بحيث لا يشتبه احدهما بالاخر ومن اسمايه في الكتب
السالفة ماذماذ بميم مضمومة فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فذال معجمة وهو غير منصرف
للعلمية والعجمة اي طيب طيب وحطاياه بمهملة مفتوحة فميم مشددة مفتوحة فمهملة فالف فمثناه تحتيه فالف
اي حامي الحرم ومؤتمني الحلال والخاتم بالمهملة حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم بالمعجمة هو الذي ختم الانبيا
فلا نبي بعده احد والخاتم بالمهملة هو احسن الانبيا خلقا وخلقا بشهادة ما وصفه به واصفوه فيما مر
وقوله وانك لعلى خلق عظيم ويسمى اي هو صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفح قيل بميم مضمومة فمعجمة ففا
مشددة مفتوحة او مكسورة فحا مهملة اي غير منصرف للعلمية والعجمة لا اعرف له معنى والمنحمنا قيل بميم مضمومة
فنون ساكنة فمهملة فميم مفتوحتين فنون مشددة فالف وقيل جميع حروفه مفتوحة الا المهملة فساكنة
والنون مشددة وفي سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد صلى الله عليه وسلم واسمه ايضا في
التوراة احيد ضبط بضم الهمزة وسكون المهملة وكسر المثناة تحت بعدها دال غير منصرف لذلك روى ذلك
عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف كما تقدم ووقع ذلك مفسرا في الانجيل قال اي الانجيل او الله فيه
معه قضيب من حديد يقاتل به من ناواه كفرا او نفاقا وامته كذلك معهم قضب من حديد يقاتلون بها وقد
يحمل على انه القضيب الممشوق من المشق وهو مد بالشي ليطول اي الطويل الذي كان صلى الله عليه وسلم
يمسكه وهو الان عند الخلفا كانوا يتداولونه واحدا فواحدا واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة
العصا زاد الجوهري الضخمة والجمع هراوي بفتح الواو والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس لون
بعصاي وضعف هذا الطرا النووي بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه يستدل
بها على صدقه وانه المبشر به المذكور في الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها بعصا تكون في الاخرة فالصواب ما
قاله الايمة في تفسيره كونه صاحبها انه كان يمسك بيده القضيب كثيرا وقيل لانه كان يمشي والعصا بين يديه
وتغرز له فيصلي اليها وقوله لاهل اليمن هي رواية في المناقب وفي نسخة لاهل اليمن اي اذود الناس لاجلهم حتى
يتقدموا واما التاج فالمراد به كما تقدم العمامة ولم يكن حينئذ اي حين وجوده صلى الله عليه وسلم الا للعرب
والعمايم تيجان العرب وفي بعض النسخ وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم بشهادة حديث البخاري كان صلى الله عليه
وسلم في السوق فقال رجل يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمي
ولا تكنوا بكنيتي زيد فاني انما جعلت قاسما اقسم بينكم وروي كما في مسند احمد والبيهقي عن انس لما ولد ابراهيم بن نبينا
ابن مارية جاءه جبريل فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فهي كنية ايضا فصل في تشريفه الله لها تفعيل
من الشرف للمبالغة في شرفه وهو مصدر مضاف الى فاعله بما سماه به من اسمايه الحسنى التي لا احسن منها لدلالتها
على معان هي احسن المعاني وشرف الاسم لشرف مسماه فمنها ما يستحقه حقيقة كالقديم قبل كل شي والباقي بعد كل شي
والقادر على كل شي والعالم بكل شي والواحد ليس كمثله شي ومنها ما يستحسنه حقيقة كالقديم قبل كل شي والباقي

يعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد ليس كمثله شيء ومنها ما يستحسنه الانفس لاثاره كالعفو والروف والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يجب التخلق به كالمتفضل والمعطي والنافع ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر وبما وصفه به من صفاته العلى جمع عليا تانيث اعلى ووصفها بالعلا تعظيم للموصوف بها ما احرى اي ما اخلق واحق هذا الفصل بفصول الباب الاول في ثنا الله عليه واظهار عظيم قدره لديه وقد علل كونه احرى واحق بها بقوله لانخراطه اي انتظامه في سلك مضمونها وهو ما خص به من فضايل عجزت عن ضبطها الافهام ومناقب حرست عن نشرها السنة الاقدام وقد شبه مضمونها بجواهر نفيسة على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له السلك تخييلا وامتزاجه اي اختلاطه بعذب معينها اي بحلو مايها العزيز شبه لما ضمنه تضمنته من منح الهيبة بما عذب فاستعار له اسمه على طريقة الاستعارة التحقيقية وقرنها بالمعين ترشيحا لكن استدراك على وجه العذر عما فاته من جعله هذا الفصل من تلك الفصول اذ لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه اي استخراجه من مكانته ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه من بحاره شبه ما شرف به هذا الفصل من اسما الله وصفاته بجواهر فاستعار له اسمها استعارة تحقيقية ورشحها بالالتقاط تناسبا للتشبيه الا بعد الخوض في الفصل الذي قبله فشرح الصدر للهداية الى ذلك فراينا ان نضيفه اليه بتعقيبه له ونجمع به شمله فاعلم خطاب لكل من يتاتى توجيهه اليه اذ لم يرد به مخاطبا دون مخاطب ان الله خص كثيرا من اوليائه بكرامة فاوجد فيهم صفات هي مبادي اشتقاق واسما جعلها وفي نسخة خلعها اعلاما عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسماعيل ابني ابرهيم خليل الله بعليم في قوله وبشرناه بغلام عليم وهو اسحق وحليم في قوله وبشرناه بغلام حليم وهو اسماعيل فهذا البشر لما ذكر من اللف هذا واسماعيل هو المبشر به بعد هجرته والبشارة باسحق في سورة الصافات معطوفة عليها مقرونة في سورة الانبيا بولادة يعقوب المنافية للامر بذبحه مراهقا وابراهيم بحليم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ونوح بشكور في قوله انه كان عبدا شكورا وعيسى ويحيى ببر في قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتي وموسى بكريم في قوله وقد جاءهم رسول كريم وقوي في قوله ان خير من استاجرت القوي الامين ويوسف بحفيظ عليم في قوله اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم وايوب بصابر في قوله انا وجدناه صابرا نعم العبد واسمعيل بصادق الوعد في قوله واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفاء وعده بما لم يعهد من غيره كوعده اباه الصبر على ذبحه ثم وفائه به كما نطق به اي بما خص انبيائه به الكتاب العزيز في مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا بان حلاه منها اي من زينه من اسمائه في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة لحيازته شرف معانيها واتصافه بها اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اي بعد افراغ الوسع فكرا وذكرا اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من ترجم فيه التاليف فصلين على لما قبله اذ نبت بانفراده بما ذكر مما حلاه الله مهرا منها وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله كما الهم الى ما علمناه منها ضمن الهم معنى فعل يتعدى بالى كارشد فعداه بها وحققه واطلع عليه يتم النعمة بابانة اي باظهار ما لم يظهر لنا الان وفتح غلقه شبه ما لم يظهر له باسمعه اغلق عليها على طريقة الاستعارة المكنية مثبتا لها الغلق تخييلا فمن اسمائه اي الله تعالى الحميد بمعنى المحمود في كل حال اذ هو المولي في كل نوال ولانه حمد نفسه تعليما لعباده كيف يحمدونه وحمده عباده لاستحقاقه الحمد بالذات ويكون ايضا اسم فاعل بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات من عباده له وقد تقدم معنى حمد الله عبده وحمد العبد ربه وسمى نبينا محمدا واحمد لكثرة خصاله المحمودة فمحمد اسم مفعول مضاعف للمبالغة اذ هو من الاعلام التي يراعى فيها معناها الاصلي الذي هنا التبليغ في المحمود به فهو بمعنى محمود وكذا وقع اسمه اي محمود في زبور داود واحمد اسم تفضيل بمعنى اكبر من حمد بفتح اوله وكسر ثانيه واجل من حمد بضم اوله وكسر ثانيه لحيازته شرف الحامدية والمحمودية والى نحو هذا الى ان اسميه بمعنى ما ذكر اشار حسان بن ثابت الانصاري بقوله وشق اي الله له صلى الله عليه وسلم من اسمه ليجله اي ليعظمه اذ الاجلال

التعظيم

التعظيم فذو العرش محمود وهذا محمد لم يرد الاشتقاق الاصطلاحي بل مجرد كون اسمه بمعنى اسمه لان معناهما واحد وهو صلى الله عليه وسلم حميد من حيث تلاقي اسميهما اشتقاقا من ماخذ كريم قال الغزالي في مقصده الاسنى الحميد من عباد الله من حمدت عقايده واخلاقه واخلاقه وافعاله واقواله وهو نبينا محمد ومن قرب منه من انبيا وعلما واوليا فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من عقايده و وافعاله واقواله والحميد المطلق هو الله ومن اسمائه تعالى الروف الرحيم اي ذو الرافة والرحمة قدم الابلغ منهما المابر وهما بمعنى متقارب الا ان الرافة شدة الرحمة وسماه في كتابه بذلك اي بهما فيه فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين روف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود اما لانه الثابت مطلقا اي بذاته ومن قبل نفسه وغيره لا مكانه فلا وجود له في حد ذاته ومن قبل نفسه واما غيره من حيث امكانه فليس له وجود في حد ذاته ومن قبل نفسه واياه اراد لبيد بقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل اي هو في ذاته له الزوال وهو الموجود والمحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والهيته بحيث لا خفا ولا اشتباه وبان وابان لازما ومتعديا بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين اي ظاهر الرسالة بما معه من شواهد وايات وقال وقل اني انا النذير المبين اي انذركم ببيان وبرهان ان عذابا نازلا بكم ان لم تؤمنوا وقال قد جاءكم الحق من ربكم محمدا او القران وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد ولا دليل عليه وقيل القران لشهادة ان تكذيبه كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا بالقران لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيرها ومن ثم رتب عليه بالفاء قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ذلك عند نزول العذاب بهم او عند ظهور الاسلام وارتفاع شانه ومعناه اي الحق هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو اي الحق المتحقق صدقه وامره بمعنى ما الاول كررته تاكيدا لكون الحق اسما له صلى الله عليه وسلم والمبين هو البين امره ورسالته بظهورهما كالعلم او المبين عن الله ما بعث به لمن بعث اليهم كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم من مرغوب فيه وعنه والتبيين اعم من النص لشموله ما يدل على النص كالقياس ودليل العقل ومن اسمائه تعالى النور وهو في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا ثم تدرك ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين على الاجرام المحاذية لها فلا يصح بهذا المعنى اطلاقه عليه تعالى الا بتجوز اما من حيث ان ظهوره تعالى بنفسه ووجوده بذاته مبرا من ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فايض عنه تعالى واما ان يكون معناه بتقدير مضاف اي ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار الفايضة على الكواكب وقد قرئ به ومنور قلوب المؤمنين بالهداية فهم بها يهتدون وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل النور هو محمد لسطوع اياته ووضوح معجزاته وبه يهتدى وقيل القران لكشفه ظلمات الشرك وابانته ما خفي من الحق او لظهور اعجازه وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لان به تنجلي ظلمات الشرك وتقتبس من نوره انوار البصاير لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به من الهدى التي هي اقوم من توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته ومن اسمائه تعالى الشهيد من الشهود اعني الحضور ومعناه العالم بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العليم بباطن ما لا يمكن احساسه وقيل هو الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه في كتابه العزيز شهيدا وشاهدا فقال يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم مقبولا قولك لهم وعليهم وهو حال مقدرة وقال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يعني النكرة يوم القيمة اذا انكرت الامم تبليغ رسلهم اياهم فيطالبهم الله ببينة التبليغ اقامة للحجة على منكريه فتشهدون ولتشهد نبيكم يعني النكرة وعد شهادته لهم بعلى لانه المهيمن عليهم وقدمت الصلة تلويحا باختصاصهم بكونه عليهم شهيدا وهو معنى الاول لاستوائهما في اصل المعنى مع زيادة مبالغة في الثاني ووصفه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا قبل ذكر ايتيهما لذكر ايتيه قبل ايه اسمه الشهيد ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه كثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو عفوا بغير وسيله وسوال وقيل العفو الذي يمحو السيات ويتجاوز عنها وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر والعفو محو وهو في الاصل القصد لتناول الشيء استعير للمحو لانه قصد

لازالة المحو وقيل العلي مبالغة من العلو اي البالغ الى حيث لا رتبة الا وهي دون رتبته وهو من اسمائه الاضافيه وقيل
هو الذي علا عن الادراك ذاته وجل عن التصور وصفاته وقيل هو الذي تاهت الالباب في سر اجلاله وعجزت العقول
من وصف كماله وفي الحديث المروي في سنن ابن ماجة في اسمائه الاكرم اي الزايد في الكرم على كل كريم اذ انعامه عفو بلا
سبب وعوض بل هو في الحقيقة الكريم وحده وفي اسمه لا اله بالحديث اشعار بغفلته عن تسميته تعالى به في قوله اقرا
وربك الاكرم وسماه كريما بقوله انه اي القران لقول رسول كريم قيل عن بعض المفسرين هو محمد وقيل هو جبريل وبه قال
اكثرهم اذ هو الذي قاله عن الله وقال صلى الله عليه وسلم كما تقدم مرارا انا اكرم ولد ادم انا اكرم الاولين والاخرين
ومعاني الاسم اي لفظ كريم صحيحه في حقه بشهادة ما افاده قول صفوان بن امية كما مر وقد اعطاه غنما بين جبلين ان محمدا
يعطي عطا من لا يخشى الفقر من كونه فايقا في الكرم ومن اسمائه تعالى العظيم من عظم الشيء اذا كبر جسما او قدرا ورتبة وهو الله
اذا العظيم المطلق البالغ اقصى مراتب العظمة من لا يتخيله وهم ولا يتصوره فهم لتنزهه وتعاليه عن ان يحاط بكنه ذاته
ومعناه الجليل الشان لاتصافه بنعوت الجلال تنزهاله عما لا يليق بجنابه الكريم الذي كل شيء دونه اذ لا كمال فوق كماله
وقد فرق بينه وبين الكبير والعظيم بان الكبير اسم للكامل في ذاته والجليل اسم للكامل في صفاته والعظيم اسم للكامل فيهما
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم تحلم على قومك اذا اقو ٭ حليم اذا ما الحلم زين اهله ٭ مع الحلم في عين العدو
مهيب ٭ فهو اسمه وان وقع هنا صفة لخلق قيام العظمة به صلى الله عليه وسلم اذ هو اعظم المخلوقات ووقع في اول سفر من
التورية عن اسماعيل نبي الله بن خليل الله وسيلد عظيما لامة عظيمة بشهادة كنتم خير امة اخرجت للناس وخيريته كل امة
تابعة لخيرية نبيها فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومعنى الاستعلا في الاية تمثيل لتمكنه منه مستقرا فيه بحال من استعلا شيا وركبه
ومن اسمائه تعالى الجبار مبالغة من الجبر وهو في الاصل اصلاح الشيء بضرب من القهر ثم استعمل تارة في الاصلاح المجرد كقول
علي يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة في القهر المجرد مثل ما ورد لا جبر ولا تفويض ومن ثم قيل ومعناه المصلح لامور
عباده المتكفل بمصالحهم فضلا منه وقيل القاهر لعباده على ما يشا لا انفكاك عما شا من اخلاق واعمال وارزاق واجال فلا
موجود الا وهو مقهور تحت قدرته هدف لقضايه وقيل العلي العظيم الشان الذي لا يوثر فيه مكروه ولا يناله كيد عزيز في
سلطانه فهو من اسمائه التنزيهيه وقيل المتكبر مبالغة في الكبريا من الكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا لانفراده
بالكبريا والعظمة من كل وجه وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه داود صلى الله عليه وسلم بجبار فقال تقلد ايها الجبار
سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة لهيبة يمينك ومعناه في حقه باعتبار اسمايه المصلح والقاهر والعلي
والعظيم الشان اما الاصلاحه لامته بالهداية والتعليم لدين قويم وصراط مستقيم والارشاد الى احتقار الدنيا
وكراعها ولقد نهى الله نبيه ان يمد عينيه الى زهرتها بقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ومن ثم شدد سلفنا الصالح في غض البصر عما اهلك فيه الظلمة والفسقه من مراكب وملابس
وملاهي حتى قال الحسن لا تنظروا الى هماليج الفسقه وانظروا كيف يلوح ذل المعصية من رقابهم وهذا لانهم انما اتخذوها
ليراهم الناس فالناظر اليها موفق لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها او لقهر اعدايه الجبابرة موقصم ظهورهم اهلاكا لهم
وصلما لعتوهم او لعلو منزلته على البشر في الملكات النفسيه والكمالات العلميه والعمليه وعظم خطره اي قدره
ومزيته على غيره ونفي عنه في القران جبرية القدس التي لا تليق بها فقال وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تقسرهم
على الايمان او تفعل بهم ما تريد بل انت داعيهم الى شرعتي والايمان بي ومن اسمائه تعالى الخبير مبالغة من الخبر اعني
العلم بالخفايا الباطنه ومعناه العليم ببواطن الامور المطلع بكنه الشيء اي علمه فالباء فيه كهي في قوله تعالى تامنه
بقنطار العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر لتمكنه من الاخبار بما علمه قال تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به اي عما ذكر عن الخلق والاستوا خبيرا اي عالما يخبرك بحقيقته قال ابو بكر

ابن

ابن العلا المامور بالسوال غير النبي والمسول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بما يسال عنه من صفات ربه تعالى وقال
غيره اي غير ابي بكر السايل هو النبي والمسول هو الله او جبريل او من وجد الله في كتبه المتقدمه فالنبي خبير بالوجهين
اما الاول فظاهر لخبرته بما يسال عنه واما على الثاني فمن حيث ما قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من
مكنون علمه وعظيم معرفته تمثيل لتمكنه صلى الله عليه وسلم من العلم واستقراره فيه بحال من اعتلا شيا وركبه مخبرا
لامته بما اذن له في اعلامهم به بما ينفعهم معاشا ومعادا ومن اسمائه تعالى الفتاح مبالغة من الفتح بمعنى الحكم
ومعناه الحاكم بين عباده قال تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي احكم وذلك لان الحكم فتح امر مغلق بين
الخصمين وقد بين الله الحق واوضحه وميز الباطل ودحضه بانزال الكتب واقامة البراهين ومرجعه اما
ارادة الفعل المنصف للمظلوم من ظالمه او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم متعلق بفاتح قال
تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها او يفتح قلوبهم وابصارهم لمعرفة الحق وعلى من عصاه ابواب المغفرة
وقبول التوبه ويكون بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ان تستنصروا فقد جاءكم النصر خطاب لقريش
تهكما بهم اذ قالوا متعلقين باستار الكعبه عازمين على الخروج لبدر اللهم انصر اعلا الجهتين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وقيل معناه مبدي الفتح والنصر اي مظهرهما وسمي نبيه بالفاتح في حديث الاسرا المتقدم عن ابي هريرة
وفيه من قول الله وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم بين الخصوم فظهر الهم ما انغلق من امورهم عليهم او الفاتح لابواب الرحمة على
امته ليعمهم فيفوزوا او الفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله ليظفروا بسعادة المعاش عاجلا والمعاد اجلا
او الناصر للحق باظهاره وخذلان اعداهم او المبتدي بهداية الامة بارشادهم الى الحق ليذعنوا فيفوزوا او الابدا المقدم
في الانبيا والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبيا في الخلق نورا في وجه ادم واخرهم في البعث اذ ختم به النبوة والرسالة وتقدم له
مزيد بيان ومن اسمائه تعالى في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة الشكور وفي القران ان ربنا
لغفور شكور مبالغه من الشكر ومعناه المثيب الثواب الجزيل على العمل القليل فيرجع الى الفعل وقيل المثني على
المطيعين وقيل المجازي عباده على شكرهم فيكون من قبيل الازدواج والمشاكله كما سمي جزا السيئة سيئة
ووصف بذلك اي بشكور نبيه نوحا فقال انه كان عبدا شكورا لحمده ربه على جميع حالاته وقد وصف النبي
صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال في الحديث المتقدم افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك قايما بموجب شكره مواظبا على وظايفه مثنيا عليه مجتهدا ان يعينني في الزيادة من ذلك اذ الشكر سبب لا
لقوله تعالى لين شكرتم لازيدنكم نعمة الى نعمة ومن اسمائه تعالى العليم والعلام مبالغة في عالم من العلم وعالم الغيب
والشهادة منه ايضا اي الغايب والحاضر فهو العالم المحيط علمه بجميع الاشيا ظاهرها وباطنها دقيقها وجليلها لا تخفى عليه
خافيه ولا يعزب عنه قاصية ولا دانية ولا يشغله علم عن علم كما لا يشغله شان عن شان ووصف نبيه بالعلم وخصه بمزية منه
اي من العلم لم يشاركه فيها غيره وعلمك ما لم تكن تعلم من المعارف الدينيه والعوارف الالهيه وكان فضل الله عليك
عظيما تنبيه على عظم المزيه اذ لا مزيه فوقها وان شاركه غيره في ان الله علمه ما لم يكن يعلم وقال كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي
وكرر الفعل تلويحا بانه نوع اخر ومن اسمائه تعالى الاول والاخر وجودا بلا بداية وبقا بلا نهاية ومعناهما السابق
للاشيا قبل وجودها اذ هو الموجد والمبدع لها الباقي بعد فنايها بشهادة حديث اللهم انت الاول فليس قبلك شي
وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اللهم اقض عني الدين واغنني
من الفقر وحقيقته اي تحقيق كونه اولا واخرا انه ليس له اول ولا اخر اي لا ابتدا له ولا انتها له فلا سابق له ولا لاحق

بعده لهما من صفاتنا التنزيه وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبيا في الخلق اي نورا في وجه ادم واخرهم في البعث
الى خير امة اخرجت للناس يدعوها الى الحق فختمت به الرسالة وعم نفعه وفسر هذا اي بكونه اول الانبيا في الخلق قوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي عهدهم بتبليغ الرسالة والدعوة الى الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم وخصهم بالذكر قيل لانهم اشهر ارباب الشرايع فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتكريما وقد اشار الى نحو
منه عمر بن الخطاب في كلام تقدم بكاه به بابي وامي انت يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا وذكرك
اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين الاية ومنه اي من قوله كنت اول الانبيا الى اخره قوله نحن الاخرون اي في البعث
السابقون اي يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلايق كما صرح به حديث مسلم وقوله فيما تقدم انا اول من تنشق عنه الارض
واول من يدخل الجنه اي هو وامته من الباب الايمن من ابوابها كما ورد واول شافع واول مشفع بعد سواله ربه
الشفاعة وهو صلى الله عليه وسلم بالاول والاخر انما هو من حيث كونه اولا في الخلق واخرا في البعث لا من حيث معناهما
في حقه تعالى فلا التفات لما ذكر هنا ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر التام القدرة
البالغة الى حيث لا يخرج عنها مقدور كما لا يخرج عن حكمته مفطور والمتانه في الاصل شدة الشي واحكامه مصدر
متن اذا قوي ظهره ومرجعه الى الوصف بكمال القدرة وشدتها وقد وصفه بذلك فقال انه لقول رسول كريم ذي
قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد بلا سنه وقيل جبريل وعليه الاكثر ولم يحكوا فيه خلافا ومن اسمائه تعالى الصادق
فيما زاده ابن ماجة فيها في الحديث الماثور عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم وقد يوخذ من قوله تعالى ومن اصدق من الله
قيلا الحمد لله الذي صدقنا وعده وورد في الحديث عن ابن مسعود اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق فيما يقول المصدق
اي الذي يصدق وفيه وسمي بجده اسماعيل انه كان صادق الوعد واكرم بوعده اياه الصبر على ذبحه ووفاه ومن اسمائه
تعالى في القران الولي الله ولي الذين امنوا وفي اسمائه الحسنى الوالي وفي القران المولى هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير
ومعناهما اي الولي والمولى الناصر واي نصرة اعظم من اخراجهم من ظلمات الضلالة الى نور الهدايه وقد قال انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا لم يقل اولياوكم تنبيها على ان الولاية بالاصالة وبالتبع لرسوله والمومنين وروى
البخاري عن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مومن ورواه احمد وابو داود عن جابر بلفظ انا اولى بكل من
نفسه وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم اذ هو يبغي صلاحهم ومعدن نجاحهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم
وامره انفذ عليهم من امرها وشفقته عليهم اتم من شفقتهم عليها وروى الترمذي وحسنه من كنت مولاه فعلي مولاه
قال الشافعي ولا الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر لعلي اصبحت
مولى كل مومن اي وليه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله فقال من كنت
مولاه فعلي مولاه ولو كان المولى هو المتصرف كما قالت الشيعة فيستحق كل ما يستحقه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
التصرف ومنه امور المومنين فهو امامهم للزم ان يكون له التصرف في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل به
احد اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المستقل فيجب حملها على المحبه وولا الاسلام كما قال الشافعي ومن اسمائه
تعالى العفو ومعناه الصفوح مبالغة في الفاعل من الصفح اي كثير التجاوز وجدا عما فرط وقد ندب عباده اليه فقال
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم اي على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اسا اليكم روي انه صلى الله عليه وسلم
قراها على ابي بكر وقد قطع نفقة مسطح بن اثاثة اذ خاض مع اهل الافك فقال بلى ورجع اليه نفقته اذ كان ابن خالته و
العفو حفظ قلب المسي من الاستيحاش وازالة الخجل عنه بما يسبل عليه ملابسه وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه
وسلم بهذا في القران وفي التورية وامره بالعفو فقال خذ العفو عن المذنبين وامر بالعرف اي المعروف الحسن من
الافعال قال اي النبي صلى الله عليه وسلم ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقال في التوراة

دني

وفي الحديث المشهور الذي رواه فيما تقدم عبد الله بن عمرو بن العاصي في صفته صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا
غليظ ولكن يعفو ويصفح فليشتق له منه اسم العفو لاتصافه به ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
لمن اراد من عباده بخلق الاهتدا فيه فيصير به مهتدا وبمعنى الدلالة على الحق وبيان الرشد وبمعنى الدعا مدعا به
الاسلام قال تعالى والله يدعو الى دار السلام اي السلامة من الانقضا والافة او سلم الله وملايكته على من فيها في
دار الله واضافتها اليه تعظيم لها وهي الجنه ويهدي من يشا بتوفيقه الى صراط مستقيم اي طريقه وهو الاسلام والتدرع
بلباس التقوى وفي هذا وتعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية شاهد اصدق بان الامر غير الارادة وان من اصر على
الضلالة لم يرد الله رشده فالدعوة بالدلالة على لسان الرسول عامة والهداية خاصة من لطفه تعالى عناية
وتوفيقا اي يدعو عباده كلهم الى الجنه ولا يدخلها الا من هداه واصل الجميع اي ما هو بمعنى التوفيق اي خلق الاهتدا
وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعا من الميل وقيل من التقدم وكان من هدي مال الى ما هدي اليه او تقدم
اليه وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي فاخذ من كل اسم حرف وركبا وجعلا علما عليه يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى وانك لتهدي اي لتدعو وترشد به الى صراط مستقيم اي الاسلام وقال فيه صلى الله عليه وسلم
وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره هذا كله موذن بوصف الله له بانه هادي فالله مختص بالمعنى الاول وهو توفيقه
من يشا بخلق الاهتدا فيه اذ لا يقدر عليه غيره قال تعالى انك لا تهدي من احببت اي لا تقدر ان تدخله في
الاسلام ولكن الله يهدي من يشا بخلقه فيه وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى على ما مر ومن اسمائه تعالى
المومن المهيمن قيل هما بمعنى واحد هو امن البرية بخلق اسباب الامان وسد ابواب المخاوف فمعنى المومن في
حقه تعالى المصدق وعده عباده اي المنجز ما وعدهم في الدنيا من نعيم الاخرة قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده والمصدق قوله الحق قال تعالى فورب السما والارض انه لحق والمصدق لعباده قال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي فيه فحذف الجار وفعلي مجرور الفعل وقيل الموحد نفسه قال تعالى انني انا
الله لا اله الا انا وقيل المومن عباده في الدنيا من ظلمه تنزه عن ذلك وله تعالى المثل الاعلى وفي الاخرة من عذابه
فهو من الامان وقيل المهيمن مفيعل من الامانه بمعنى الامين مصغر منه اي من الامين بزيادة ميم الاولى
فصار مويمن فقلبت الهمزة ها اذ كثيرا ما يتعاقبان قلبا وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اي امين اسم من
اسما الله ومعناه معنى المومن فكان الاولى تعديه والاشهر ان معناه استجب وهو اسم مبني على الفتح يمد ويقصر
والمد اكثر وفي الحديث امين خاتم رب العالمين اي طابع الله على عباده اذ به تدفع البلايا والافات فهو كخاتم الكتاب
يحفظه صونا له وفيه امين درجة في الجنه اي هي كلمة تكتسب بها قائلها الدرجه فيها وفيه قال بلال لرسول الله
لا تسبقني بامين بعد قراة الفاتحه في الصلاة قيل لعل بلالا كان يقراوها في سكتة رسول الله بعد فراغه منها
فربما فات عليه شي منها فخشي بقراته فوات موافقته في التامين فاستمهله به زمنا يقراوه فيه لينال بركة
موافقته فيه وقيل المهيمن بمعنى الشاهد من هيمن الطير اذا انشر جناحه على فراخه صيانة له اي العالم
الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة او الذي يشهد على كل نفس بما كسبت والحافظ للموجودات متضادة ومتعادية
يمنع بعضها عن بعض ولعباده اعمالهم ويحصي عليهم افعالهم واقوالهم والنبي صلى الله عليه وسلم امين
لشهادة حديث الا امين في الارض امين في السما وكانت قريش تدعونه قبل البعثة محمدا الامين ومهيمن
على المومنين ومومن اي مصدق لهم وقد سماه الله امينا فقال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين هذا ولا يعزب عنك ما مر عن الاكثر انه جبريل وكان كامر يعرف بالامين وشهر به قبل
النبوة وبعدها وسماه العباس في شعر مهيمنا في قوله من ابيات يمدحه بها ثم احتوى بيتك المهيمن من

حذف عليا عنه النطق وقد مر بيانه مع ابيات هو منها وقيل المراد بالمهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم
القشيري وقال تعالى يؤمن بالله اي يصدق به لما شهد عنده بوجوده ووحدانيته ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم
لعلمه بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان وقال في حديث مسلم
المتقدم لفظا ومعنى انا امنة لاصحابي جمع امين وهو الحافظ كبررة جمع بر ويجوز ان يكون مصدرا للمبالغة كعدل
وصوم فهذا بمعنى المؤمن من الامن اذ كانوا في ظل حرم كنفه امنين ومن اسمائه تعالى القدوس مبالغة من القدس وهو
الطهارة والنزاهة ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدوث المبرا من ان يدركه حس او يتخيله وهم
او يحيط به علم او يتصوره فهم وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس اي المطهر
او المبارك وروح القدس في قوله واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل
وخصه بالتعيين لافراط اليهود في تحقيره وجعل معجزاته سببا لتفضيله لوضوح اياته وظهور معجزاته التي
لم يجمعها غيره ووقع في كتب الانبيا اي وجد فيها او في بعضها في اسمائه صلى الله عليه وسلم القدوس اي المطهر
من الذنوب كما قال في تنزيله القديم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه عنها كما قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم اي يطهرهم من الشرك وخبا
الجاهلية وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الكفر
والضلال الى نور الايمان والهدى او من ظلمات الشبهة في الدين بما يهديهم له حتى يضي لهم نور اليقين او يكون مقدسا
بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية مما لا يليق بجنابه العلي وقدره الوفي ومن اسمائه تعالى العزيز
اما من عز يعز بالكسر اذا غلب ومعناه المنيع الذي لا يتطرق الى ظل عزه مغالبة الغالب كل شي فمعناه مركب من نعت
حقيقي ونعت تنزيهي او الذي لا نظير له ولا مثل فهو من اسما التنزيه او المعز لغيره فلا يذل ولا يشان بافتقاده
الى احد او من عز يعز بالفتح اذا قوي واشتد فمعنى القوي الشديد قال تعالى فعززنا بثالث اي قوينا وقد وصف
نبيه بالعزة قال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع من ان ينال بمكروه بقوته وغلبته وجلالة القدر
له تعالى ولمن اعزه كرم طوله بعزته بربه وهو عنده اعز واجل قدرا وقائله ان يستدل بقوله لقد جاكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم وقد وصف نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي دايم وتنكير المبشر به مؤذن بابهامه وزيادة التعظيم وتفسيره وقال فنادته الملائكة وهو
قايم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى اسم اعجمي او عربي ومنع صرفه للعلمية والوزن واريد بالملائكة جبريل اذ هو
المنادي ههنا لانه من جنسهم وفي مريم يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ولعله على لسان جبريل او نودي مرتين من قبل جبريل
ومن قبل الله وتولي تسميته تشريفا له وقال اذ قالت الملائكة ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقب
تشريفا كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع وابن مريم صفة تميز نظمت معهما وسماه اي الله
نبيه صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا في يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا اي للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار
وسماه بشيرا في وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه
تعالى فيما ذكر بعض المفسرين طه ويس كل واحد منهما اسم تفضيل ولعل الطا من لطيف والها من هادي والياء من معطي
والسين من سميع فهو تعالى اللطيف بعباده هاديهم معطيهم سميع لهم وذكر بعضهم ايضا انهما من اسما محمد قيل بلا بينة ولا
دليل يعتمد والله اعلم بمراده بهما هذا ان جميع ما ذكر هنا من الاسما ليس سوى محمد واحمد مما خص به علما وما عداهما فمن نعت ماخذ
اي اسم جاز اطلاقه عليه ولهذا الاعتبار يمكن الزيادة كالنافع والمرشد والمعطي والكريم والجواد اي باعتبار ما وصف به من
النفع والرشد والعطا والكرم والجود **فصل** وها انا اذكر ها حرف تنبيه بعده مبتدا وخبر نبه به على حاله في ذكره نكتة

مشتقة

مشتقة من نكت بقضيبه الارض اذا ضربها بطرفه فاثر فيها ثم استعمل فيما احتيج في فهمه الى تامل اذيل بها هذا الفصل اي اجعلها
له كالذيل للثوب بجامع ان كلا يكون اخرا وفي حديث مصعب بن عمير كان في الجاهلية مترفا يدهن بالعبير ويذيل يمنة اليمن
اي يطيل ذيلها واليمنة من برود اليمن واختم بها هذا القسم وازيح بها الاشكال الواقع فيما تقدم من متشابه الحديث
وغيره عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم متعلق بازيح اي ازيله عنه حذرا من وقوعه فيما يرديه تخلصه من مهاوي التشبيه
جمع مهواة واضافتها اليه لكونه سببا للسقوط فيها ولم يعطف هذه الجملة على ما قبلها لاختلاف المسند اليه وتزحزحه عن
شبه التمويه اي تبعده عن الشبهة التي تخيل انها مقبلة وتبين مدبرة اي اذا اقبلت خيلت انها حقة واذا ادبرت
وانقضت بان لمن دخلها وارتبك فيها انما لاجل انها ليست بحقة وانه كان فيها على الخطا وفي الحديث من صام يوما في سبيل
الله زحزحه الله عن النار سبعين خريفا اي نجاه وباعده عنها مسافة تقطع في سبعين سنة اذ كلما مر خريف انقضت
سنة قيل لانه اخر فصولها الاربعة فهو من اطلاق اسم البعض على الكل وهو اي ضعيف الوهم سقيم الفهم ان يعتقد
ان الله جل اسمه اي عظم وتنزه عن الالحاد فيه بالتاويلات الرايغة او عن تسمية غيره به في عظمته وكبريائه في موضع
حال لازمة من الضمير في اسمه اي متصفا بهما وما بعدهما فكني بالظرف عن اتصافه بها قصدا للمبالغة في تمكنه
من اتصافه بها من غير تصور ظرفيه واستقرار ويكفي لصحة الظرفية تمكنه من الاتصاف بها او شبه تمكنه منه
تمكن المظروف بظرفه ثم استعاره له ما هو من خواص الظرف اعني في فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف
تبعية او ظرف مستقر وهو تعالى لغاية كماله وبلوغ عظمته وكبريائه اقصى مراتب وجوب وجوده وبقائه كانه فيهما
لانفراده بهما وبلوغه فيهما اعلا المراتب وملكوته من الملك وهو اعظمه زيدت فيه الواو والتا للمبالغة لانه اللايق
بجنابه الكريم وحسنى اسمائه لدلالتها على احسن المعاني فهي احسن الاسما منها ما لا يتصف بحقيقته غيره كالاول قبل
كل شي والباقي بعد كل شي والقادر على كل شي والعالم بكل شي والواحد ليس كمثله شي وما يستحسنه الانفس لاثاره
كالرحيم والغفور والشكور وما يوجب التخلق به كالمعطي والنافع والهادي وما يوجب مراقبة الاحوال كالمقتدر والسميع
والبصير وما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر وعلو صفاته لنزاهتها عن ان يتصف بها غيره لا يشبه شيا من
مخلوقاته خبر وما بينهما اعتراض ورد مؤذن بكونه تعالى بكمال ذاته وعظيم صفاته متعاليا عن ان يشبه شيا منها
ولا يشبه به شي لبراة ساحة عزه من ذلك وان ما جا من الاسما مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق ككبير وحليم
وشكور وحفيظ وعليم فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي الذي هو ماخذها اشتقاقا مما اتصفا به كالبر والحلم والشكر
والحفظ والعلم اذ صفات القديم لكونه لا يلحقها تغير ولا يعتريها عدم اذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه بخلاف صفات
المخلوق يعتورها التغير ويغشاها العدم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات لقدمها بالذات بعدم مسبوقيتها
بالغير كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين لقدمها بالزمان بعدم مسبوقيتها بالعدم بخلاف صفاتهم اذ صفاتهم
حادثة لمسبوقيتها بالعدم لا تنفك عن الاعراض باعتوارها عليها ولا عن الاغراض لصدورها عنه معللة بها وبين
اعراض واغراض جناس مضارع لاتحاد الحرف المختلف فيه مخرجا وهو تعالى منزه عن ذلك اذ لا يعتري ذاته عرض ولا
تعلل افعاله بغرض بل لم يزل موجودا بصفاته وهي ما يدل عليها فعله لتوقفه عليها من قدرة تؤثر في المقدور عند
تعلقها به وعلم ينكشف به الشي عند تعلقه به وحياة تقتضي العلم ونحوها وارادة تخصص احد طرفي الممكن من فعل وترك
بالوقوع او دل عليها تنزهه من سمع وبصر يزيدان الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم او كلام قديم مناف للسكوت والافة
عبر عنه بالنظم المنزل للاعجاز بسور منه وقد تعبدنا الله بتلاوته وبقا وهو استمرار الوجود واسمائه اي لم يزل
بها موجودا الى معانيها وهي كما مر ما دل على الذات باعتبار صفة كالعالم والخالق هذا واما صفات الافعال كالخلق والرزق
والاحيا والاماتة المعبر عنها بالتكوين فحادثة خلافا للماتريدي ومتابعيه اذ هي اضافات تعرض للقدرة هي تعلقاتها

ومعه

بوجودات المقدورات لاوقات وجود الفا ولا محذور في اتصافه تعالى بالاضافات مثل كونه تعالى قبل العالم وبعده وازلية
اسمائه الراجعة الى صفات الافعال كالخالق والرازق والمحيي مما مر في جملة اسمائه من حيث رجوعها كما في المقصد الاسنى
الى القدرة لا الى الفعل فالمحيي مثلا من شانه الاحيا اي هو الذي بالصفة التي بها حصل القطع عند ملاقاة المحل فان اريد به
من صدر منه الاحيا فليس صدوره ازليا وكفى في هذا اي في كون ذاته وصفاته لا تشبه ذات وصفات من سواه قوله ليس كمثله
شيء اي ليس كالله شيء يناسبه فكاف عرف انه بمثله كما في مثلك لا يبخل قصدا للمبالغة في نفيه عنه بالكناية فانه
اذا انتفى عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى فلا فرق بين ليس كالله شيء وليس كمثله شيء الا ما افادته الكناية من المبالغة فمعناهما
واحد هو نفي المثل عنه ونحوه بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد وبسط لها لوقوعها كناية عن الجواد ومن زعم
زيادة الكاف اراد انه يفيد معنى ليس مثله شيء لكنه اكد ولله در من قال بالدال المهملة كني به عن عمله اذ هو في الاصل اللبن
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات اي غير منفي عنها صفاتها القديمة اذ التعطيل نفيها
واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدماء مبالغة في التوحيد قلنا لا محذور في تعددها ذاتا وصفاتا لا في تعددها ذواتا
وزاد هذه النكتة من نكت بالارض اذا ضربها بقضيب فاثر فيها استعير لما دق من الكلام ولطف الواسطي بيانا فقال
ليس لذاته ذات لكمالها في اعلا مراتب القدم لا يعتورها تغير ولا عدم وذات غيره تكتنفها الحوادث ويعتورها التغير
ولا كاسمه اسم كالله والرحمن لتعاليه عن ان يسمى به غيره ولا كفعله فعل من خلق ورزق واحيا واماتة لظهور
اثاره كريمة عامة النفع ولا كصفته صفة لقدمها وحدوث غيرها الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ في بعضها
كالعلم وورود النكرات في حيز النفي مؤذن بعمومها وجلت الذات القديمة اي عظمت وتعالت ان يكون لها صفة
حديثة وجدت بعد عدم لانها ان كانت صفة كمال فخلوها عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافها بها نقص اتفاقا
ولا استحال اتصافها بها اتفاقا كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة لامتناع وجود صفة قبل
موصوفها وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية اي ما زاده
الواسطي انفا تشتمل على جوامع جميع مسائل التوحيد وهو اعتقاد ان لا شريك له في الهيته وخواصها التي لا يشاركه
فيها احد كالغنى المطلق وخلق العالم وتدبيره واستحقاقه العبادة وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجوب
وجودها مستغنية عن كل شيء لعدم افتقارها اليه والا لم تكن مستغنية ولزم امكانها وكيف تشبه فعله فعل
الخلق وهو لغير جلب انس لاستغنائه عن الانيس بل اثاره كلها منافع لعباده من غير ان يعود عليه منهم مقابل
او دفع بالجر عطف على لغير اي ولا لدفع نقص حصل تداركا لا كمال ما نقصه والجملتان في موضع الحال وكيف
في المومنين استفهام مؤذن بانكار ان يشبه ذاته ذات وفعله فعل اي والحال ان فعله لا باعث له عليه ولا يكون
خواطر باعثة له عليه لامتناع ان يكون معللا بالغرض على معنى عموم السلب وعموم النفي اذ لو كان لغرض تحصيل مصلحة
او دفع مفسدة لكان ناقصا في ذاته مستكملا بتحصيله مستفيدا للاصلحية مستكملا بها ناقصا بدونها ولو كان شيء
من الممكنات غرضا لفعله لما حصل بخلقه ابتداء بل بواسطة ذلك الغرض الباعث وتبعيته واللازم باطل لثبوت
استناد جميع الحوادث الكائنة اليه ابتداء من غير ان يكون بعضها اولى بالغرضية والتبعية من بعض ولا وجد
اي ولا يكون فعله تعالى باجتهاد ولا مباشرة ومعالجة بل اذا اراد ايجاد شيء فبمجرد تعلق قدرته بمقدورها وفق ارادة
حدث انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اي اذا اراد تكوينه فيحدث فكني عن ايجاده بكن كناية عن
سرعة الايجاد اذ التكوين عندنا امر اعتباري يعقل عند تعلق القدرة بمقدورها خلافا للماتريدي فالاية تمثيل
لتاثير قدرته في مراداته بامر مطاع مطيعا له في حصول مامور به من غير اباء وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل
واستعمال آلة فهذا وما ورد من افعاله تعالى معللا بها مثل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم

فلما

فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون فلكون ما ترتب عليها من حكم ومصالح راجعا للعباد تابعا لمصالحهم فضلا منه ونعمة عليهم لا علا غاية
افعاله تعالى وليس منها شيء عبثا اي خاليا عن حكمة ومصلحة ولا سبيل الى النقصان والاستكمال الى عظمة
ذاته تعالى وفعل الخلق لا تخرج هذه الوجوه اذ لا بد له من غرض باعث عليه وجهد ومباشرة ومعالجة
وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه مما تخيله الوهم او ادركتموه بعقولكم مما يتصوره العقل فهو محدث
مثلكم لمشابهة الحدوث للادراك الذي هو الاحاطة بجوانب المرئي وحده وهو المنزه ربنا عنه وقال
الامام ابو المعالي امام الحرمين ابن ابي محمد الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره وهو مشبه
لا يرى ان انتهاءه الى ادراك مطلوب تصوري وتصديقي بحصول صورة في العقل يسفر عن التشبيه ومن
اطمان الى نفي محض لذات الصانع تعالى فهو معطل لان يكون للعالم صانع محدث له مدبر اموره ومن
قطع بموجود بالعجز من درك حقيقته فهو موحد لاعترافه بما اورثه قصورا عن ادراك من لا احاطة به
علما ولا يتصور فهما وما احسن قول الذي روي حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في ايجاد الاشيا بلا علاج
ومزاولة عمل واستعمال الة وان تعلم ان صنعه لها بلا امزاج لشيء بشيء او باشيا لتركيبه بل بمجرد تعلق القدرة
بمقدورها صنع وفق الارادة من غير اختلال في المقدور ابداعا اي بدون مادة كالسموات او تكوينا منها
كالانسان من نطفة وعلة كل شيء صنعه بباهر قدرته ولا علة لصنعه لما مر من ان افعاله لا تعليل
بالاغراض وان عم نفع فوائدها ومصالحها وما تصور في وهمك فالله بخلافه لتنزهه عن ان يتصور ويرتسم
في الوهم ذكرا ولا حقيقة التوحيد وعلة كل شيء وما تصور في وهمك ثم اضاف ما لكل اليه على التعيين وليسمي
تفسيرا لكنه على عكس الترتيب فقال والفصل الاخر يعني الفقرة الاخيرة الثالثة اعني قوله وما تصور في
وهمك فالله بخلافه هو تفسير واشارة لقوله تعالى ليس كمثله شيء لتنزهه عن ان يماثل بشيء والفصل
الثاني يعني قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه تفسير واشارة لقوله تعالى لا يسال عما يفعل لتعاليه
عن ان يقال له لم فعلت وهم يسالون لانهم مملوكون مستعبدون والفصل الثالث يعني قوله التوحيد ان
تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا امزاج تفسير واشارة لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا
اردناه تكوينا وايجادا ان نقول له كن فيكون فكني كما مر عن سرعة الايجاد بكن لاستحالة ان يكون المعدوم نفسه

الباب الرابع

من القسم الاول فيما اظهره الله على يديه من المعجزات الشاهدة بصدق رسالته جمع
معجزة وهي كما مر امر خارق للعادة يتحدى به كل نبي من كذبه من قومه وهي من نوع ما كانوا عليه كما مر وبعث
نبينا الى بلغاء ذوي بلاغة عارفين بموارد الكلام ومصادره فتحداهم باقصر سورة من كتاب منزل بمعنى كثير
في حلل لفظ قليل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فعجز من باراه وخرس من ناواه
وفيما شرفه من الخصائص والكرامات التي لم يفز بمجموعها غيره حسب المتامل اي كفايته ان يحقق ان
كتابنا هذا لم يجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج في رد ما زعموه انكارا وطعنا الى نصب
البراهين جمع برهان وهو الحجة عليها اي على معجزاته لاثباتها وتحصين حوزتها بمهملة وزاي اي وحفظ افراد
مجموعة تحصينه حتى لا يتواصل اليها الطاعن ولا تغشاها الا باطيل ونذكر شروط المعجز لغيره اذا غلبه
والتحدي وحده وهو طلب المعارضة ونذكر فساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده لكنا لم نجمعه لشيء من ذلك
فلم نحتج الى ذكر ما يدفعه بل الفناه اي كتابنا هذا لاهل ملته اي دينه صلى الله عليه وسلم الملبين اي المجيبين
لدعوته الى دار السلام واسبابها المصدقين لنبوته ليكون عله لنا ليقيه لما ذكر تاكيدا في محبتهم له اي
محلا للنمو وهو الزيادة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وجعل كتابه منماة لنموها لكونه سببا باعثا
عليه اذ بتاكد المحبة تتوالى الاعمال المحبة ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته اي كبارها وعظامها

وذو الجلال والعرش

دها

م

ومشاهيرا يا تهليدل ماتواه من اثباتها على عظيم قدره عند ربه واثبتنا منها بعد ان نوبنا اثباتها بالمحقق
الذي لامرية في وقوعه كالقران والصحيح الاسناد كحنين الجذع وتسبيح الحصا والطعام واكثره مما بلغ القطع
او كاد اي قارب ان يبلغه واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة كالصحيحين وسنن ابي داود
واذا تامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره جمع اثرة بفتح الهمزة والثاء من اثر يوثر ايثارا اي
اعطى وماثر العرب مكارمها ومفاخرها التي كانت عنها اي تروى وتذكر وحميد سيره وبراعة علمه من برع
اذا فاق غيره فيه ورجاحة عقله وحلمه اي زيادتهما على عقل غيره وحلمه وجملة كماله اي كمالاته بتمامه الاضافة
وجميع خصاله الحميدة المرضية وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر جواب اذا اي لم يشك في صحة نبوته وصدق
دعوته الخلق بدعائه الاسلام الى الحق وقد كفى هذا اي ما ذكر غير واحد ممن تامله في اسلامه والايمان به
فروينا عن الترمذي وابن قانع باسانيدهم شاهدا بان من تامل منصفا احواله صفات وافعالا واقوالا لا
لم يبق تردد في صحة نبوته هو ان عبد الله بن سلام بتخفيف لامه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جئته جواب لما لانظر اليه فلما استبنت وجهه وظهر لي منه امارات صدقه عرفت جواب لما
ان وجهه ليس بوجه كذاب وروى ابن سعد عن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله لما ظهر له عليه من ملابس الصدق وعلامات الحق وروى مسلم وغيره
ان ضمادا هو ابن ثعلبة من ازد شنوءة وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة لما وفد عليه
صلى الله عليه وسلم وقد سمع بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد اني راق فهل بك ارقيك فقال نفيا لما
نسب اليه ان الحمد لله جملة اسمية هي في الاصل اخبارية اريد بها الانشا واكدها بان واسمية الجملة تنزيلا لضماد قبل
اسلامه منزلة منكر كون الحمد بالذات لله ازالة لما عسى يكون عنده من الانكار نحمده ونستعينه اردف تلك الجملة
بجملة فعلية تلويحا بانه مقام تجدد يقتضي يوذن الحمد تازديادها فناسب ان يورد ما يدل على التجدد والحدوث
او حمد ربه بهما مبالغة في حمده لما من عليه من شرايف النعم وكرايم الشيم او حملا للاول على الخبر وهذه على الانشا وحيث
سوق العظمة اظهارا للملزوم ههنا الذي هو ما انعم الله عليه وربه به تعظيما وتجملا امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له اذ بيده الهداية والاضلال واشهد ان لا اله
موجود مستحق للعبادة الا الله موجود مستحق العبادة مستثنى مما افاده اله من الكثرة لكونه كليا لكنها ليست ممكنة
لاستحالتها اذ ذلك الموجود المنفرد بشروط الالوهية الحق الجامع لصفات الربوبية فالمراد بهذه الكلمة نفي ما
استحال وجوده واثبات ما استحال عدمه ولم يشهد ليجري على نسق ما قبله تفننا في الكلام فان نقله من اسلوب
الى اخر يزيده حسن تطرية اي احداثا وتجديدا لنشاط سامعه وايقاظا لاصغائه اليه وحده لا شريك له تاكيد لما افاده
اعد علي كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر اي وسطه ولجته قال له تعجبا من بلاغتها وايرادها مطابقة لمقتضى الحال
تسابق معانيها الفاظها الى الفهم وروى البيهقي قال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبرنا انه راى
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا البعير
قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا بفتح الواو وكسرها ستون صاعا من تمر فاخذ بخطامه اي برسنه الذي يقاد
به وسار فقلنا بعنا من رجل ما ندري من هو ومعنا ظعينة اي امراة سميت ظعينة لانها تظعن اي
تسير مع زوجها حيث سار او لانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت اذ هي اصلها وقيل هي المراة في هودجها ثم
قيل للهودج بلا امراة فيه وللمراة بلا هودج وجمعها ظعن بفتح الظا والعين وضمها وظعاين واظعان فقالت
انا ضامنة لثمن البعير لما ظهر عليه من مخايل الصدق وملابس الوفا رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر
لتلاليه حسنا وبهاء اذ كان زاهرا لا يخيسكم اي لا يغدر ولا يخلف فاصبحنا فجا رجل بتمر فقال انا رسول رسول
الله اليكم يامركم من هذا التمر وتكالوا حتى تستوفوا وروى وثيمة في كتاب الردة عن ابن اسحق في خبر الجلندي

بضم الجيم وفتح اللام والدال بينهما نون ساكنة ملك عمان بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض
البلقا فاما ما هو بالضم والتخفيف فصقع عند البحرين لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام
المورد بالفوز بسعادة الدارين قال والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه ان واسمها في تاويل مفرد هو فاعل دل
اي كونه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له كما قال صلى الله عليه وسلم والله
اني لاتقاكم لله واخشاكم له وانه يغلب اي يعلاه فلا يبطر اي لا يطغى اذا انتصر عليهم بل يسلك فيهم ما امر به ويغلب
فلا يضجر اي لا يسام ولا يتبرم من مكروه ويفي بالعهد ولا ينكثه امتثالا لقوله تعالى واوفوا بالعهد وينجز
الموعود به لمن وعده به واشهد انه نبي لله دره ما ارجح عقله واتم نظره اذ قد حملته هذه المحاسن بتامله لها على الاقرار
بنبوته وما نقله عن نفطويه هنا تقدم نقله عن غيره وبيانه وكرره تمهيدا لقوله يقول يعني الله تعالى ارادة
وبيانا لقوله يكاد زيتها يضيء اي يكاد منظره صلى الله عليه وسلم يدل على نبوته كما قال ابن رواحة عبد الله
فصل الانصاري لو لم تكن فيه ايات مبينة يجوز ان يكون بناوها على الفاعلية او المفعولية لكان منظره حق
اعلم خطاب لكل من امكن توجيهه اليه او لمن ساله تاليف الكتاب ان الله قادر على خلق المعرفة بجميع جزييات المعروفات
شرعية وغير شرعية وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم في قلوب عباده فتعيها اذن واعية وقادر على خلق
العلم بذاته لا بكنهها بل بكونها موجودة واسمائه الحسنى الدالة على احسن المعاني وصفاته العلى المتعالية عن ان تشبهها
صفة مخلوق وجميع تكليفاته التي الزمها عباده فيعلمون ان لهم ربا موجودا ذا اسما وصفات كما ل ابتدا دون واسطة
لو شا خلق ذلك فيهم ابتدا بلا مرشد اليه ومبين لهم اياه كما حكي عن سنته في بعض الانبيا اذ خلق فيهم ذلك الهاما
والقا في الروع او رويا كامره ابراهيم مناما بذبح ولده ورويا الانبيا وحي وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي وحي الهام او رويا بالشهادة واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فانه قطعا
سطة الهام او رويا وهو كما هو تعالى قادر على خلق ما ذكر في قلوبهم ابتدا دون واسطة جايز ان يوصل اليهم جميع ذلك بوا
يبلغهم ما امر بتبليغه اليهم ما ارسلوا به او من جنسهم كالانبيا مع الامم يبينون لهم ما نزل اليهم ولا مانع لهذا الذي
ذكر يمنع وصوله الى عباده بواحدة من حالتي الابتدا والواسطة من دليل العقل لتجويزه اياه ولو مستقلا والاقسام
اما بيانية اي من العقل الذي هو نفسه دليل ادراك الامور وتجويزها ولو فرضا او معنوية اي ولا مانع من ادلته
تمنعه واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم الباهرة واياتهم الظاهرة وجب على
المرسل اليهم تصديقهم في جميع ما اتوا به مما كلفوا بتبليغه ولان المعجز مع التحدي وهو طلب معارضة الماتي به
من النبي قايم مقام قول الله صدق عبدي لاتيانه بما لم يات به احد من ابنا جنسه فهو دال على صدقه فاطيعوه
ن واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله من دعواه النبوة والرسالة الى من ارسل اليهم وهذا كاف في قضائه بما
ما ذكر وان المعجز موذن بصدق النبي لقيامه مقام اخبار الله بانه صادق لجري عادته بخلق العلم بصدقه عند ظهورها
والتطويل خارج عن الغرض اذ الغرض منه ما يفيد المعنى المراد والتطويل كطريق مسلوك يورث الفهم حيرة في تحصيل
مراده فمن اراد تتبعه وجده جواب ما تضمنه من من الشرط مستوفى في مصنفات ايمتنا يعني المالكية والنبوة لغة من
همز ماخوذة من النبا وهو الخبر لان النبي من اتصف بها مخبر عن الله وقد لا تهمز على هذا التاويل بقلب همزتها واوا ثم الادغام كالمروة
والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبيا فعيل بمعنى مفعول ويكون مخبرا عن ربه تعالى بما تعبده
به ومنبيا بما اطلعه عليه ومعناه ان له عند ربه رتبة شريفة لم تدرك ولم ترم ومكانة نبيهة اي شريفة علية من
النباهة يقال نبه ينبه اذا صار نبيها اي شريفا عند مولاه منيفة اي علية ما لها سر فالمستتم سواه فالوصفان من كونه
منبئا او منبيا في حقه موتلفان لتلاقيهما في مبدا موذن بشرف ذاته وانافة قدره واما الرسول فهو المرسل من ربه
الى مكلفي خلقه بشهادة يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فامنوا بالله ورسوله محمد رسول الله فارسلنا الى فرعون الرسول
والرسالات فعول بمعنى مفعل اي الانذار لعدم وروده والله اعلم لغير هذا المعنى وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه

بواسطة او بدونها كما وقع لموسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى واشتقاقه اي الرسول من حيث
المعنى من التتابع لمناسبة بينهما هي تضمن معنى سدانه من توالي افراده رسولا فرسولا بشهادة ثم قفينا على آثارهم برسلنا ثم
ارسلنا رسلنا تترى اي متتابعين واحدا بعد واحد وتاء تترى بدل من واو اذ اصله وترى من الوتر وهو الفرد قلت كما ان
او من توالي الوحي او الموحى او التبليغ واراد بالاشتقاق مطلق الاخذ اذ هو اوسع دائرة منه ومنه قولهم جاء الناس ارسالا
جمع رسل بفتحتين اي متفرقين اذا تبع بعضهم بعضا وقد ورد انهم صلوا عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا
فكانه صلى الله عليه وسلم الزم تكرير التبليغ الى امته ما ارسل به اليهم والزمت الامة اتباعه فيما جاء به عن ربه اليهم
واختلف العلماء هل النبي صلى الله عليه وسلم والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل بمعنى انهما سوا في المعنى فهما انسان اوحي اليه بشرع
واصله من الانبا وهو الاخبار والاعلام واستدلوا لكونهما سوا في المعنى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي فقد اثبت لهما معا الارسال ولم يجعل العطف حكما بمغايرة بينهما ولا يكون النبي الا رسولا ولا يكون الرسول الا نبيا
وقيل هما مفترقان بشهادة اصل العطف بالحكم بتغايرهما من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي في لغة من همز الاطلاع لما
من الله تعالى على الغيب والاعلام من ربهما بخواص النبوة مثل كونهما موحى اليهما ذوي عصمة او هي في لغة من لم يهمز الرفعة
لرفعة ذلك اي شان النبوة وحوزة درجتهما التي لا درجة فوقها سوى الالهية وافترقا في زيادة الرسالة للرسول تمييزا
له عنه بمزية له عليه وهو الامر بالانذار والاعلام بما كلفه تبليغه من ارسل اليه به وذكر ضمير زيادة الرسالة لوقوعه
بين مذكر ومونث سوغ جواز تذكيره وتانيثه وحجتهم اي من قال بافتراقهما من الاية نفسها التفريق بينهما بحكم اصل فيها بالتغاير
بين الاسمين ضرورة كون المعطوف غالبا غير المعطوف عليه ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ المعجز
فصحاء البشر من بلغاء اهل لو برانيا توا المعارضة اقصر سورة منه ببنت شفة قالوا والمعنى الوارد به الاية وما
ارسلنا من رسول الى امة امرناه ان يدعوهم الى الحق ويعبدنا او نبي ان يعبدنا وليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم
الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا اي ليس مقررا لشرع من قبله او لم يسبق بعض احكامه ومن لم يات به اي بشرع مبتدا
فهو نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار لمن اراد ابلاغه او انذاره ولو نفسه والصحيح والذي عليه الجما الغفير
اي الكثيرون جدا ان كل رسول نبي لاتصافه بهما وليس كل نبي رسولا لاتصافه بالنبوة فقط فبينهما عموم
وخصوص مطلق واول الرسل آدم الى بنيه وكانوا مومنين فعلمهم شرائع علمه الله اياها فلا يرد نوح لانه اول رسول
الى الكفار فلن آمن معه منهم الا قليل واخرهم محمد بشهادة وخاتم النبيين ولا نبي بعدي فلا رسول بعده وفي حديث
ابي ذر الذي رواه احمد وابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر
ان الرسل منهم اي من الانبياء ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم وفي رواية آدم وخمسة عشر جم الغفير قال في النهاية
كذا ورد قالوا والصواب جما غفيرا والجما الغفير قال ومن انكر غير صحيح اذ يقال جاوا الجم وحذفت اللام واضيف من باب
صلاة الاولى ومسجد الجامع واصلهما من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة ومن الغفر وهو التغطية والستر
فجعلتا في موضع الشمول والاحاطة ولم تقل العرب الجما الا موصوفا وهو منصوب على المصدر كطرا وقاطبة فانها
اسما وضعت موضع المصدر وقد بان اي ظهر لك بما تقدم معنى النبوة من كون النبي منبئا او منبئا عن ربه او له عند
ربه رتبة شريفة ومكانة منيفة وبان لك معنى الرسالة من كون الرسول مرسلا من ربه الى عباده ليبين لهم ما ارسل به اليهم
وليستا اي النبوة والرسالة ذاتا للنبي لقيام الصفات المتعلقة به ولا صفة ذات قائمة بها خلافا للكرامية اذ قالوا انهما صفتان
قائمتان بذات الرسول سوى الوحي وامر الله له بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبها لاتصافه بها رسول وان لم
يرسله الله ويجب عليه ارساله لا غيره فهو اذا ارسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس اي وليس كل رسول مرسلا
اذ قد لا يرسله قالوا ويجوز عزل المرسل عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لا يتصور عزله عن كونه رسولا لكذا زعموا في
تطويل لهم وتهويل ليس لهم عليه تعويل وهم منسوبون الى محمد بن كرام بفتح الكاف مع تشديد الراء وتخفيفها او هو
زنة سمع كريم قال ابن الصلاح ولا معدل عن الاول لجزم ابن السمعاني به في الانساب قال وكان والده يحفظ الكرم فقيل له الكرام

واما الوحي فانه يطلق مرادا به الموحى والالهام والخط والاشارة واصله الاسراع لشدة حدة ساذا اردت امرا فبادر عاقبته
فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه اي فاسرع اليه وهاؤه للسكت فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل
سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها لها بالوحي الى النبي في تلقيها بعجل فاستعير لها اسمه استعارة تحقيقية
وهي جمع الهام وهو القاء في الروع يبعث على الفعل او الترك يختص به من يشا وسمي الخط وحيا تشبيها له به
فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية بجامع السرعة حركة يد كاتبه ووحي اي اشارة الحاجب واللحظ لسرعة
اشارتهما اي حركتهما بهم فلو قال وسميت اشارة الحاجب واللحظ وحيا تشبيها لها به لسرعة حركتهما لكان اوضح
واولى ومنها اي من اطلاق الوحي على الاشارة قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز اي
اشار وقيل كتب لهم على الارض ومنه قولهم كما في حديث ابي بكر الوحا الوحا بمد ويقصر اي السرعة السرعة يقال
توحيت توحيا اذا اسرعت وهو منصوب على الاغراء بفعل مضمر وقيل اصل الوحي السر والاخفا ومن ثم قالوا للالهام
خفا ومنها اي من كون الوحي هو السر سمي الالهام وحيا لخفائه ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
من المشركين اي يوسوسون في صدورهم ومنه واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها مناما او الهاما ان ارضعيه
ما امكنك اخفاوه وقد قيل ذلك اي ما ضرب واوحينا الى ام موسى في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي ما يلقيه في قلبه الهاما او مناما دون واسطة **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا ما جات به الانبيا من الآيات الخارقة
للعادة معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها فكان عجزهم سببا للتسمية معجزة من العجز المقابل للقدرة وحقيقة
الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم استعير لاظهار عجزهم ثم اسند الى ما هو سبب لاظهاره من الخوارق وجعل اسما
له فتاوها للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كتاء علامة وهي اي المعجزة على ضربين من حيث كونها
مقدورة للبشر وغير مقدورة له ضرب هو من نوع ما يمكن دخوله تحت قدرة البشر ويمكنهم الاتيان به فعجزوا عنه فتعجيزهم
مصدر مضاف الى المفعول اي تعجيز الله اياهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه لانه كصريح قوله صدق عبدي في دعواه
الرسالة المجري للعادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال لجمع انا رسول الله اليكم ثم شق فوقهم جبلا ثم قال
ان كذبتموني وقع عليكم والانصاف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم او بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون ضرورة
صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب كصرفهم عن تمني الموت اذ تعجيزهم عن تمنيه مع امكانه
يعلمون ضرورة انه صادق وتعجيزهم بالجر عطفا على صرفهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم كالنظام من المعتزلة
وكثير منهم والمرتضى من الشيعة قالوا ان الله صرف هممهم عن معارضته مع قدرتهم عليها وهذا الضرب في الحقيقة
ليس نوعا معجزا لاتصافهم بالقدرة على معارضته لكن منعهم عنها مانع والحق ان عجزهم عنها انما كان لعلو درجته
فصاحة وبلاغة وغرابة اساليبه وجزالة تراكيبه مطابقا في كل مقام مقتضى حاله بالغا في ذلك كله حدا
خرج به عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته مع معرفتهم ما تضمنه من وجوه الفصاحة وفنون البلاغة
من تاكيد وتشبيه واستعارة وحسن فواتح وخواتم وفواصل وتقديم وفصل ووصل وخلوه عن ركاكة اللفظ
وشاذ خارج عن القياس وشارد نافر عن الاستعمال الى غير ذلك من بدائع العجائب وروائع الغرائب مما لم يقدر
احد ممن افتعد ذروة البلاغة الاعلى نوع منه او نوعين بشهادة قول الآمدي انا افصح فصيح وابلغ غاية ان
ليس تاتي بنوع منه على وجه لوازم عثره في كلامه لما واتاه وكان فيه مقصرا ومن كان اعرف بلغة العرب وفنون
بلاغتها عرف اعجازه هذا وقد تحدى صلى الله عليه وسلم به ودعى الى الاتيان بسورة من سورة فلم ينهض له
قدير مع كثرتهم وحرصهم على رد دعواه الرسالة في افراطهم في المضادة له والمضارة والمعارة وركوبهم
الشدايد حتى اعرضوا عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف عجزا منهم ولم يطمعوا فيه لما لاح لهم من كماله

حسنا ونظام حذقتهم في اسرار الكلام بل جعلوه كالوليد بن المغيرة سحرا تعجيبا وتعجبا من غاية بلاغته ونهاية براعته
وجزالة لفظه لا من عجزهم عن معارضته مع اعترافهم بانه ليس من جنس البشر حتى قال الوليد ابن المغيرة ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة اي رونقا وحسنا وقد تفتح طاؤه فاتر دال المقالة على المقاولة وابى الله الا اتمام نوره
وضرب من المعجزة هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى اذ ليس من جنس افعالنا واما
احياؤهم به فاعيسى معجزة له فانما كان من الله لامته لشهادة واحيا الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذني وقلب
العصا حية لتسعى معجزة لموسى واخراج ناقة من صخرة بلا واسطة واسباب معهودة معجزة لصالح اذ قد اقترح
عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان تخرج لهم من صخرة اسمها كاتبة ناقة عشراء جوفا وبرا فصلى فكد عاربه
فتمخضت تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفا وبراهم ينظرون ثم ولدت ولدا مثلها
في الامن فامن جندع في جمع وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم رجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين وكلام الشجر ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر كما وردت صحيحة معجزات لمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك اي الذي لا يفعله الا الله على يد النبي من فعل الله حقيقة
وتحديه من يكذبه اي طلبه منه ان ياتي بمثله تعجيزا له عن ذلك واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا ودلائل
نبوته وبراهين صدقه كانشقاق القمر ومجيء الشجر وتسليم الحجر وتسبيح الحصا وحنين الجذع وسقوط شرف
بناء الاكاسرة وخمود النار ليلة ولد واظلال الغمام له الى غير ذلك مما عسر حصرا من هذين النوعين معا اي ما
هو من نوع قدرة البشر وما هو خارج عنها كالقران وقد تلي عليك ما ان استبانته اذ ذلك بان عجزهم عن معارضته
انما كان لجزالته لفظا ونهايته بلاغة وغايته فصاحة ونصاعته براعة وصياغته تركيبا وغرابته اسلوبا
وحسنه نظاما وكماله معنى وهو اي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا من معجزاتهم معجزة وابهرهم
اية من بهر القمر الكواكب اذا غلب نوره نورها اي اية اغلب من اياتهم واظهرهم برهانا من برهانهم كما
سنبينه في محله ان شا الله وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران من حيث اياته
وسوره لا تحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لما اودعه من فنون البلاغة كافادته المعاني
الكثيرة بالفاظ قليلة وانواع التوكيد والتشبيه والاستعارة وحسن الفواتح والخواتم والفواصل
والتقديم والتاخير والفصل والوصل وخلوه عن ركاكة اللفظ والشاذ الخارج عن القياس والشاذ
النافر عن الاستعمال الى غير ذلك من انواعها العجيبة وسوابقها الغريبة مما لم يقدر على معارضته لان
النبي قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر سورة اي القران انا اعطيناك الكوثر وهي
ثلاث كلمات وحروفا او ايات منه بعددها ايات وحروفا وكلمات معجزة لا تعارض موازاة ومداناة ثم فيها
نفسها اي في سورة الكوثر معجزات على ما سنفصله فيما انطوى اي اشتمل القران عليه من المعجزات التي تكاد
تفوت الحصر ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين تمثيل لكون معجزاته نوعين واستقرارها عليهما بين اعتلا
شيا وركبه اي منقسمه اليهما انقسام الكلي الى جزئياته قسم منها علم لنا من طرقه كونه قطعا ونقل الينا تواترا
كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي به ولا مرية ولا خلاف في ظهوره من قبله وجهته واستدلاله
بحجته على اثبات نبوته وكونه رسولا الى الناس كافة ونحو ذلك بغرابة اسلوبه وبراعة ترتيبه وجزالة تركيبه
والاضافة بيانية وان انكر هذا اي مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به معاند حائد عن منهج القصد
باغ برد الحق مع علمه جاحد له منكر فهو اي انكاره ذلك كانكار وجود محمد في الدنيا وانما حال الجاحد
بالمجيء به اي في كونه حجة له صلى الله عليه وسلم كما روي في كونه كلام الله اذ قالوا اساطير الاولين ما انزل الله

على

على بشر من شيء هذا سحر مبين فهو اي القران في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة انه كما شهد به
الاعداء كالوليد بن المغيرة اذ قال حين تلي عليه منه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما هو
من كلام البشر ووجه اعجازه معلوم ضرورة بجزالة لفظه وفخامة تاليفه وبلوغه اقصى درجات مراتب البلاغة والفصاحة
وحسن التيام كلماته ونظم اياته وبراعة ايجازه وغرابة فنونه وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه فلا يحتاج العلم به الى دليل
ونظر لا افتقار بعض وجوهه اليه كما سنشرحه قال بعض ائمتنا اي الملايكة وجرى هذا المجرى على الجملة اي مجرى كون
القسم من معجزاته علم قطعا ونقل الينا تواترا انه قد جرى فاعل مجرى على يديه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق عادات عطف
بعض العام عليه لمزية اختص بها هي كونه خارقا ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه صلى الله عليه وسلم ناطقة بصدقه شاهدة بنبوته ولا يختلف مومن ولا كافر انه قد جرت على
يديه عجايب ازاغت ابصارهم وحيرت البابهم لشدة التعجب وانما صدر خلافا المعاند في كونها اي في كون العجايب
فايضة من قبل المبدا الفياض الله لجعلوها سحرا وافكا مفترى وقد قدمنا كونها فايضة من قبل الله من حيث ان
ذلك المعجز مع التحدي من النبي بمثابة قوله تعالى يا عبدي صدقت فيما تدعيه من الرسالة فقد علم وقوع مثل هذا الذي
قدمناه ايضا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها في كونها خوارق عادات تعجز من تصدي لمعارضتها
كما يعلم ضرورة جود حاتم الطاي وشجاعة عنترة العبسي وحلم احنف بن قيس التميمي لاتفاق الاخبار الواردة عن
كل واحد منهم على كرم حاتم هذا وشجاعة عنترة هذا وحلم احنف هذا اشار الى كل بما للتقريب تنزيلا له في ذهنه
منزلته وان كان كل خبر من اخبارهم الثلاثة بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته لعدم تواتر كل واحد منها منفردا
في كل عصر والقسم الثاني من معجزاته صلى الله عليه وسلم هو ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو لثبوته في نفسه
كانه مستقل على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين حفاظ السنة
قولا وعملا وتقريرا والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام المؤذن به حديث
انس وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع فيما رواه الشيخان وغيرهما ونوع منه غير مشتهر ولا منتشر
اختص به ممن ذكر الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا
في المعنى المقصود به الاعجاز واتفقا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا من انه لا مرية في جريان معانيها على يديه وانه اذا ضم
بعضها الى بعض افاد القطع قال المصنف وانا اقول صدعا بالحق من صدع بالحجة اذا تكلم بها وبين اصله الابانة والتمييز
ونصبه على المصدر ان كثيرا من هذه الايات كمجي الشجر اليه وتسبيح الحصا في يديه وتسليم الحجر عليه المأثورة اي المروية
عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع لتواترها معنى اما انشقاق القمر فانه متواتر لفظا اذ القران نص بوقوعه
على يديه صلى الله عليه وسلم بمكة حين ساله كفار قريش اية واخبر عن وجوده قال تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وقرئ وقد انشق اي اقتربت وقد حصل من ايات اقترابها انشقاقه ولا يعدل عن ظاهر ورد به القران
وعليه اكثر المفسرين الى تاويله بانه سينشق يوم القيمة وجي بالماضي لتحقق وقوعه الا بدليل موذن بحمله عليه
وجاء رفع احتماله اي احتمال الدليل الدال على صرف الاية عن ظاهرها صحيح الاخبار من طرق كثيرة كخبر الصحيحين
فلا يوهنن اي فلا يضعف اي عزمنا خلاف اخرق اي احمق جاهل وفي الحديث تعين ضايعا او تصنع لاخرق اي
الجاهل لا يعرف صنعة يكتسب بها وضايعا اي ذا ضياع من فقر او عيال او حالة عجز عن القيام بها وقد
روي بالمهملة والنون قيل وهو الصواب وقيل هو في رواية بالمهملة وفي اخرى بالمعجمة قيل وكلاهما صواب في المعنى
وفيه من ترك ضياعا فالي اي عيالا وهو بالفتح مصدر ضاع سمي به العيال وبالكسر جمع ضايع كجياع جمع جايع
منحل عرى الدين جمع عروة وهي حبل يربط به البهم استعارة لما يتمسك به من الدين واضافته الى المشبه على طريقة

الشبه المؤكد اي الدين الذي يربطه المحتمي المحق كالعري هذا الاخر ويتخلّ منه ولا يلتفت الى سخافة مبتدع
يقال سخف بضم الخا سخافة بفتح اوله وسخفا بضمه وسكون ثانيه اي رقة عقل ضال عدل عن الحق يلقي
الشك على قلب ضعفاء المؤمنين فربما قبلته فيأخذ بهم الى ان يفتتنوا واما سخفا بالفتح فرقة العيش ومنه
قول ابي ذر لبثت اياما لا اجد سخفة جوع يعني رقته وهزاله بل يرغم انفه اي يلصق بالرغام اي التراب هذا
اصله ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد كرها كما هنا اي بل يذل وينقاد كرها وفي حديث الشاة المسمومة
فلما ارغم رسول الله بشر بن البرا ما في فيه اي القى اللقمة من فمه التراب وينبذ بالعرا سخفه شبه رقة عقله بمن
القى بمكان خال مما يستره من بناء وشجر ونبات فاثبت له النبذ تخييلا حتى كانه من افراد ما ينبذ وكذلك اي وكانشقاق
القمر في كثرة الرواة طرقا والاسانيد قصة نبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام رواها اي قصتهما الثقات والعدد
الكثير عطف ما يعم الثقات عليهم ليشمل غيرهم عن الجما الغفير عن العدد الكثير من الصحابة فممن روى نبع الما بالزورا
بقرب مسجده بالمدينة الشيخان عن انس وبالسفر البخاري عن ابن مسعود وممن روى تكثير الطعام البخاري والنسائي
عن الشعبي عن جابر في قصة دين والده والشيخان والترمذي والنسائي عن انس في قصة ابي طلحة يوم الخندق واخبارهم
اي الصحابة ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق بالمدينة وغزوة بواط بضم البا وقيل بفتحها
والاول اشهر جبل من جبال جهينة وعمرة الحديبية تخفيفا ليا الثانيه وغزوة تبوك وامثالها من محافل
المسلمين جمع محفل وهو مجتمع الناس واصله مصدر زيدت فيه ميم ومجمع العساكر اي مكان اجتماعهم ولم يؤثر بالبنا
للمفعول اي لم ينقل عن احد من الصحابة مخالفة للراوي لقصتيهما فيما حكاه ولا نقل عن احد منهم انكار لما ذكر عنهم انهم راوه
منه صلى الله عليه وسلم كما راوه منه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق منهم به اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل
والمداهنة على كذب لانهم كلهم عدول يساوون من زاغ عن الحق ولا يقرونه عليه وليس هناك رغبة ولا رهبة
مصدر رغب ورهب مبنيين للمفعول اي لم يعز لهم مرغوب فيه ولا مرهوب منه تمنعهم من الانكار لذلك سكوتا او
مداهنة ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه تفاديا من السكوت على منكر كما انكر بعضهم
على بعض اشيا وامثال السنن والسير وحروف القران اي قراءته كانكار عمر على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه
يقرا سورة الفرقان على غير ما اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا به اليه فقال له سمعت هذا سورة الفرقان
على غير ما اقراتنيها فقال اقرا يا هشام فقرا فقال هكذا انزلت ثم قال اقرا يا عمر فقرات فقال هكذا انزلت ان هذا
القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه رواه الايمة الستة ومن بيان الاشيا وخطا بعضهم بعضا ووهمه
في ذلك اي ما ذكر من الاشيا مما هو معلوم كتخطية ابن عباس نوفا البكالي في قوله ان موسى الخضر ليس موسى بني اسرائيل
وهذا النوع الذي رواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره كله ملحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه مما يؤذن
بانه كالاجماع سكوتي وايضا فان امثال الاخبار تاسيد لما قرره اولا من انها لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار التي
لا اصل لها وبنيت على باطل انكارها باطلها وظهر امرها اذ لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس اياها بينهم
واهل البحث والتنقير عنها في مواطنها من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارية من اخبار السو يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على خلاف حقيقته من الرجفة وهي الزلزلة سمي
به الاخبار الكاذبة لتزلزله وعدم ثبوته كهي واعلام نبينا بفتح الهمزة اي معجزاته التي هي اشهرها واشتارها
كالاعلام جمع علم على مجاز من ناواه هذه الواردة اي كل واحد منها من طريق الاحاد مع انه اذا ضم بعضها الى بعض
صارت متواترة معنى لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا اجلالا للمويد بها وارغاما لقالتها عنادا ومع تداول
الفرق الامور فرقة فرقة وكثرة طعن العدو اي وقوعه فيها ذما وعيبا وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها

انكارا

انكارا لها بجعلها سحرا واجتهاد الملحد اي بذل الظالم وسعه عادلا عن الحق وفي نسخة واجتهاد بلاما اي نفسه من
اجهد كما في حديث اقرع وابرص فوالله لا اجهدك اليوم شيا اخذته لله اي لا اشق عليك ولا اردك عن شي تاخذه
من مالي لله تعالى او جهد كما في حديث اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقال اجهد في الامر الذي جد فيه
وبالغ فيه محافظة على اطفا نورها لا تزداد بفعل ذلك الموجب لسخط الله على فاعله الا قوة وقبولا لها من كل منصف
مذعن للحق ولا تزداد مع ذلك للطاعن اي اللزام العايب عليها الا حسرة وغليلا اي اضطرام احشايه سعيرا وكذلك
اي وكالعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد اخباره بكسرها مصدر اخبر كقوله صلى الله عليه وسلم مما اخبر به
من المغيبات في حديث الحاكم بلا يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجا يلجا اليه من الظلم وقد وجد الامر
مع ذلك الاشتهرة واثنتا واو الشايع الا حسرة وصغارا وكذلك انباوه مصدر انبا اي اخبر بما يكون في الغيوب وكان
من العدم كل ذلك معلوم كونه من اياته الخارقة للعادة على الجملة بالضرورة فهو في الجملة قطعي من غير احتياج
علمنا بكونه منها الى كسب وقال به اي بكون اخباره بالغيوب وانباءه بما يكون وكان انه من قواطع خوارق ايا
على الجملة بالضرورة بتواتر النقلة من ايمتنا الاشعرية القاضي ابو بكر الباقلاني المالكي والاستاذ ابو بكر بن
فورك بضم الفا الشافعي وغيرهما منهم وعندي ما اوجب قول القايل ان هذه القصص المشهورة من باب
خبر الواحد وما الجاه الى ان يقال به الا قلة مطالعته للاخبار وقلة معرفته رواتها وشغله بغير ذلك من
المعارف جمع معرفة بمعنى معروفة والا نقول ان موجب قوله ذلك قلة ذلك فلا يخفى ان من اعتنى بطرق
النقل وطالع الاحاديث والسير وعرف مشارعها ومصادرها لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة ولم
يقف عليه الفاعلي الوجه الذي ذكرناها من انها من باب التواتر معنى وخبر المستند اعني لم يرتب فاض برد اعتراض
على من قال انها من باب خبر الواحد اذ لم يرد به مجموعها بل جميعها اي كل فرد منها ورد من طريق الاحاد ولا يبعد
ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر بحسب تواتر النقل فان اكثر الناس يعلمون بالخبر مع تواتر نقله
كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة لا شتهارها وانتشاره عندهم بتواتره اليهم
هذا ومنشيها ابو الدوانيق اي ابو جعفر المنصور ثاني خلفا بني العباس وفي اسمها لغات اهمال داليها واعجامهما او
الاولى دون الثانيه وعكسه وابدال الثانيه نونا ومعناه عطيه الصنم والدوانيق جمع دانق بفتح نونه
وكسرها وهو سدس الدينار والدرهم وفي حديث الحسن لعن الله الدانق ومن دنق الدانق لعله للزجر عن
التقدير به والنظر في الحقير التافه واحاد الناس لا يعلمون اسمها اي بغداد لعدم سماعهم اياها اذ لم يبلغهم فضلا
عن وصفها من قولك انفقت الدرهم وفضل منه كذا اي بقي اي انتفى وصفها بالكلية وبقي عدم علمهم باسمها وقد
مر لهذا مزيد بيان وهكذا اي وكعلم اكثر الناس بالخبر وجود بغداد يعلم الفقها من اصحاب مالك من حيث
تقليده بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران في الصلاة للمنفرد والامام دون
الماموم وان لم يسمع قراءة امامه بل تكره له في الجهرية قراءتها وان مذهبه اجزا النية في اول ليلة من رمضان
لجميع ايامه عما سواه من اوايل باقي لياليه اكتفا بها فيه وكذا يعلم الفقها من اصحابه وغيرهم بالضرورة وتواتر
النقل ان الشافعي يرى وجوب الاخذ بتجديد النية كل ليلة لان صوم كل يوم منه عبادة مستقلة تفتقر الى نية
لشهادة انما الاعمال بالنيات اي الشرعيه اي لا يعتد بكل عمل شرعي الا بنية اذ الاصل نفي الحقيقه لا كمالها وان
الشافعي يرى الاقتصار في المسح على بعض الراس بشهادة وامسحوا برؤوسكم الشامل لاقل ما يسمى مسحا فاوجبه
اخذا باليقين ومالك يرى مسح كلها احتياطا وان مذهبهما اي مالك والشافعي القصاص في القتل بالمحدد
مما يجرح كالسنان وغيره مما لا يجرح كالعصا وايجاب النية في الوضو لانه عمل شرعي وعبادة يفتقر الى تحقيقها

لمعنى الاخلاص وقصدا للتعريف وتمييزا للعبادة عن العادة واشتراط الولي في النكاح بشهادة حديث الشافعي
وابي داود والترمذي وابن ماجه ايما امراة انكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها
باطل فان دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له وان ابا حنيفه
خالفهما في هذه المسائل فلا يوجب في القتل بغير محدد قصاصا بل الدية ولا في الوضوء نية لانه عنده ليس
بعبادة ولا يشترط في النكاح وليا بشهادة حديث الشافعي ومالك والبخاري ومسلم وغيرهم الايم احق بنفسها
من وليها والبكر تستاذن واذنها صماتها اذ قال الايم هي كل امراة لا زوج لها بكرا ام ثيبا فكل امراة بلغت
فهي احق بنفسها من وليها وعقدها النكاح على نفسها صحيح وقال الجمهور والشافعي الايم هي الثيب بشهادة
مقابلتها هنا بالبكر والتصريح بها في الرواية الاخرى الثيب احق بنفسها وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم
احق بنفسها على الرضى فلا تزوج الا باذنها ورضاها بولي بشهادة حديث ايما امراة انكحت نفسها السابق
وحديث لا نكاح الا بولي مع غيرهما من الاحاديث المؤذنة باشتراط الاذن والولي وغيرهم اي غير الفقهاء
ممن لا يشتغل بمذاهبهم اي مذاهب من ذكر من الايمة ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا الذي ذكر من المسائل
من مذاهبهم فضلا عما سواه اي انتفت معرفتهم ماسوى ما ذكر من المسائل وفضل عدم معرفتهم ما ذكر منها

فصل في اعجاز القران مصدر مضاف الى فاعله اذ هو بنفسه معجز اعلم ان كتاب الله منطو على وجوه كثيرة
من الاعجاز بها يعرف انه معجز لكونه في اعلا مراتب البلاغة لاشتماله على دقايق واسرار وخواص خارجة
عن طوق البشر وتحصيلها اي وجوهه الكثيرة من جهة ضبط انواعها في اربعة اوجه اولها حسن تاليفه
والتيام كلمه مترتبة المعاني متناسقة الدلالات بحسب مقتضي المقامات ووجوه ايجازه من قصر وحذف
جز جملة مضاف او موصوف او صفة في نحو واسال القرية اي اهلها ومنهم دون ذلك اي رجال و ياخذ
كل سفينة غصبا اي صحيحة وغير ذلك مما اشتمل عليه من وجوه الاعجاز وبلاغته الخارقة عادة العرب
في عجايب تراكيبهم وغرايب اساليبهم وبدايع افتنانهم وروايع اشاراتهم وفي هذا تلويح بترجيح كونه
ليس داخلا تحت قدرهم على قول الصرفة هذا والتيام وما بعده يجوز جرها عطفا على المضاف وذلك اي ما
ذكر من عادتهم انهم كانوا ارباب هذا الشان البديع بلاغة وبراهة وفرسان الكلام تشبيه بليغ للكلام المنثر
البليغ فيه بايراده انواعا شتى بافراس يتصرف فيها فرسانها وقد خصوا من البلاغة والحكم جمع حكمة
وهي كمال العقل واتقان العمل ما لم يخص به غيرهم من الامم سابقه ولاحقه واوتوا من ذرابة اللسان
بمعجمة اي حدته وبسطه في القول من ذرب لسانه اذا كان حاد الابالي بما قال ومنه سلقوكم بالسنة حداد
اي ذربة وفي حديث حذيفة قال يا رسول الله اني رجل ذرب اللسان ما لم يوت انسان مثله وحذف فاعل
خصوا واوتوا للعلم به اذ هو الله لا غيره ومن فصل الخطاب اي الكلام البين الذي يتبينه كل احد ولا
يلتبس عليه معناه كما في وصف ام معبد كلامه صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر اي لا قليل فيوذن
باخلال ولا كثير فيوسم باملال والهذر بمعجمة محركا الهذيان وفي حديث وفد عبد القيس فمرنا
بامر فصل اي بين لا رجعة فيه ما يقيد الالباب عن ان تلهج بتراكيب صناعتهم وتنهج اساليب صياغتهم
افانين الكلام جعل الله ذلك الذي خصوا به واوتوه من الكلام الموصوف بما ذكر طبعا وخلقة وجعل ذلك فيهم
غريزة وقوة ياتون منه على البديهة من غير تروي وكسب بالعجب العجاب من لطايف السحر البياني واسرار
البلاغة بحسن ترتيب وسلامة نظم ويدلون اي يتوسلون به الى كل سبب يكون وسيلة الى ما يبتغون
من البدايع وينظمون من الروايع وفي حديث استسقاء عمر بالعباس وقد دلونا به اليك مستشفعين اي توسلنا به

يخطبون

على

يخطبون الخطب البليغة بديها في المقامات وشديد الخطب اي الامر العظيم الشان والحال الذي يقع فيه المخاطبة معا
من الخطاب ويرتجزون اي يوردونه مرتجزا في الحرب بين الطعن والضرب كقول علي لما بارز مرحبا بخيبر انا الذي
سمتني امي حيدرة كليث غابات كريه المنظره اكيلكم بالسيف كيل السندره هي مكيال واسع اي اقتلكم قتلا ذريعا
واسعا وقول سلمة بن الاكوع خذها من ابن الاكوع واليوم يوم الرضع ويمدحون بعضهم بعضا فخرا او كسبا للمجد
او جلبا للفائدة ويقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام في احسن نظام وانسجام على اي حال شتى ويتوسلون به
الى من يرومون منه نجاح مآربهم ويتوصلون به الى الفوز بمطالبهم ويرفعون ويضعون من ارادوا فياتون من
انواع ذلك الكلام الموصوف بما ذكر بالسحر الحلال وهو ما انسجم لفظه ولطف معناه في مقاماتهم ومقاصدهم
ويطوقون من اوصافهم الجميلة وسماتهم المجيدة من دواه اهلا ما هو اجمل من عقد اللال هو الخيط ما دام فيه الجوهر
والا فهو سلك فيخدعون الالباب اي يستميلون به العقول حتى ياخذوا بمجامعهم فتنقاد لهم ويذللون الصعاب
من الذل بكسر المعجمة ضد الصعب اي يجعلونها به مطيعة لا صعوبة بها ويذهبون الاحن بكسر الهمز مع احنة وهي الحقد
ويهيجون بضم اوله باتيه مع تشديد الثانيه اي يثيرون الدمن بكسر المهملة وفتح الميم جمع دمنة وهي في الاصل
ما يكرم منه الابل والغنم بابوالها وابعارها اي تلبده في مرابضها ثم استعمل في الطعن والحقد لكونه في الباطل
كالمتلبد ويجرئون الجبان اي يجعلونه ذا جراة وشجاعة واقدام ويبسطون يد الجعد البنان الجعد هو الجواد
الكريم فاذا قرن باليد والاصابع والبنان كما هنا فهو البخيل اللئيم ويقال في ضده سبط اليد والبنان وقد
اكد بالقطط في المعنيين معا فقالوا للكريم جعد قطط وللئيم جعد اليد قطط فوصفا اليد بالسبوطة كناية عن
انبساطها بالعرف ووصفها بالجعودة كناية عن انقباضها وبخلها به اي يبسطون بفنون احكام بلاغتهم عن زاهير
القبول يد الجعد القطط بعد انقباضها بخلا ويصيرون بحسن رعايتهم وعين عنايتهم الناقص كاملا ويتركون
النبيه اي الشريف بعد شرفه خاملا شانه منخفضا امره موضوعا قدره اذهم الاحرا بالعزة والانفة والاشد
شكيمة وصلفة منهم البدوي اي ممن يسكن البادية ذو اللفظ الجزل اي البليغ الشديد الاستقامة وقصد الافراط
فيه ولا تفريط والقول الفصل اي القاطع البين الذي يتبينه كل احد ولا يشتبه عليه والكلام الفخم في ايراده يملا
الاسماع ويشغي الصدور بما كسته من بدايع الغرايب وروايع رغايب اغدق اسافله واثمر اعاليه والطبع
الجوهري اي الشديد الصوت العالي والواو زايدة من جهر بصوته اذا رفعه بشده وفي حديث العباس
انه نادى بصوت جهوري اي شديد عال وفي نسخة الجوهري بتقديم الواو اي حسن يفوق اكامل البيان عن ادراك
لطايف المعاني بنفس بفطن وفهم ثاقب والمنزع القوي الاحراز لطايف السحر البياني والكشف عن اسرار بدايع
المثاني فاستعار مكان النزع الذي هو المخلص في نظم الكلام على احسن وجه واتقنه ومنهم الحضري اي من
يسكن الحاضرة ذو البلاغة البارعة اي الفايقة بما اتبع ذلك من محسنات اورثته حسنا ومن ثم وصفه بذلك
لرقة طبعه وسلاسة ذوقه دون البدوي مع ان ما وصفه به ايضا بليغ من بزع اقرانه اذا فاقهم والالفاظ
الناصعة اي الخالصة من شوايب الركة والفهامة لبلاغة مثانيها وفصاحة معانيها والكلمات الجامعة لمعان كثيرة بالفاظ
قليلة والطبع السهل بانقياد نفس وسلامة ذوق كما في سلاسته والنسيم في رقته والمتصرف في القول القليل
الكلفة بفهم متسارع مطاوع وخواطر متيقظة وفي القول الكثير الرونق اي الحسن بمعونة الهيئة من سلامة
فطرة واستقامة فطنة وتوقد ذكاء بوفور عقل وصفاء قريحة بورود الكلام فصيحا مفرداته وتركيبه بليغا حالاته
وترتيبه واوضح الدلالة على معناه لا يستعجمه فهم ولا يستبهمه وهم قد نظمته يد الفكرة في سلك الايجاز وفصمته
عن مسالك الاطناب والالغاز فصر بذلك الطباع وانق الاسماع وهز الخواطر ونشط الاذهان ومن ثم قال

الرقيق الحاشية اي اللطيف حسنا البديع نظما هذا ولغلبة الجفا والغلظة والجلافة على البدوي وصفه بفخامة الكلام
وغيرها ما ذكر ولغلبة الرقة واللطافة على الحضري وصفه لما ذكر لمهارته في افانين السحر البياني **وكلا البابين** اي
بابي كلام كل في كل مقام مطابقا لمقتضيه **قطعا في البلاغة الحجة البالغة** غاية بيانا ووضوحا على اثبات صحة دعواه
ايراده في كيفيات مختلفة وصور متباينة مناسبة لاعتبارات الاحوال والفا في الخبر لتوهم تضمن المبتدا شرطا
والقوة الدامغة من دمغه اذا محقه استعار الدمغ الذي هو كسر الدماغ المودي في ازهاق الروح لكلامهما
تصويرا لغلبته كلام غيرهما وفي حديث علي دامغ جيشات الاباطيل **والقدح** بالكسر اي السهم والمراد به الذي كانوا
يستقسمون به واحد الازلام لا الذي قبل ان يراش شهادة وصف بقوله **الفالج** اي الفائز الغالب وفي حديث سعد
فاخذت سهمي الفالج **والمهيع الناهج** اي الطريق الواسع المنبسط السالك يعني مسلوك والميم زايدة من الهيع وهو
الانبساط وفي حديث علي اتقوا البدع والزموا المهيع ومن اسماء الجحفة مهيعة وكانت قديما ميقات اهل الشام
ولها غدير خم وهي شديدة الوبا وفي الحديث اللهم حبب الينا المدينة وانقل حماها الى مهيعة وعن الاصمعي ما ولد
احد بعد برخم فيعيش الى ان يبلغ الا ان ينقل منه **لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم** يوردونه في كل مقام بحسب
اعتباراته فيما يفتنون فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد فان الكلام المفيد للانسان المعنوي اي المتصف
بصفات الانسانية من فهم وفطنة وذكا ويقظة انتهى غذا الروح والنشر بالطبيعة لا الانسان الصوري اذ هو
كالبهيمة **والبلاغة ملك قيادهم** يتصرفون بها في افانين الكلام فيقلدون نحور الاذهان روايع لطايفه ويشنفون
الاسماع ببدايع عوارفه **قد حووا** اي جمعوا وحازوا **فنونها** اثبت لها فنونا باعتبار مراتبها ومواقعها تراكيب الكلام
بحسب مقتضيات الاحوال في كل مقام من مقامات الكلام فبلاغته ان اقتضى اطلاق الحكم تجريده عن موكداته
وبلاغته ان لم تقتضه تحليته بموكد بحسبها ضعفا وقوة وبلاغته ان اقتضت حذف المسند اليه ايراده عريا
عنه وبلاغته ان اقتضت ذكره ايراده على اعتبار مناسب من اطلاق او تقييد او معرفا او منكرا او علما او موصولا
او نحو ذلك **واستنبطوا عيونها** اي استخرجوا خيارها من تراكيب الكلام مونقة بما لكل من لطايف النكت في مقامها
الصالح لها من قولهم فلان عين قومه اي خيارهم من اطلاق اسم البعض على الكل مجازا مرسلا **ودخلوا من كل باب
من ابوابها** فتوسعوا في فنونها وميزوا ابين مراتب انواعها وقد شبهها لتفاوت انواعها في مواقعها من التركيب علا
فاعلا بذوي ابواب به انواع كثيرة على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها الابواب تخييلا **وعلوا امرحها** هو في
الاصل ما ظهر عال من صرح الشي اي ظهر شبه به البلاغة التي لها يعتد ر على توفية التراكيب حقها على طريقة الاستعارة
التحقيقية فاستعار لها اسمه وقرنها بعلو ترشيحا لتشبيه العلو الرتبي بالعلو المكاني وتناسيا للتشبيه وصرفا
للنفس عن توهمه حتى كانه لا استعارة اصلا فكانهم تسوروها واقتعدوا غاربها **لبلوغ اشباحها** علة لعلوا اي
علوا من اجل معرفة طرقها التي بها يوردوا الكلام في كل مقام مفرغا في قالب الافادة بكيفية تناسبه فيوردوه لخالي الذهن
مجردا عن موكدات الحكم بالمسند للمسند اليه ليتمكن في ذهنه اسناد احدهما الى الاخر اثباتا او نفيا ويتمكن فيه مزيد
تمكن اتاني هواها قبل ان اعرف الهوا فصادف ذهنا خاليا فتمكنا ويوردوه لطالبه مترددا في الاسناد مقوى بموكد
منه استحسانا لينقذ من ورطة الحيرة وللمنكر موكدا بحسب انكاره لينقاد اليه مذعنا **فقالوا في الخطير** اي العظيم الذي
له قدر ومزية بشهادة حديث الا هل مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها اي لا مثل لها **وقالوا ايضا في المهين** من المهانة اي
الحقارة وفي وصفه صلى الله عليه وسلم ليس بالجافي ولا المهين ولا الحقير **وتفننوا في الغث** بمعجمة مثلثة اي الفاسد
يقال غث في قوله واغثه اي افسده وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث اي مهزول ومنه قول ابن عباس
لابنه علي الحق بابن عمك يعني عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك **وقالوا ايضا في السمين** تغايروا فيه

بين

بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد بلطايف معان قل صدورها عن غيرهم فتزينت مواقعه بها وكسته فضل بها ومزيد
رونق فاورثت سامعه زيادة نشاط واستدرار لاصغائه اليه **وتقاولوا** فيما بينهم **في القل والكل** بضم اولهما اي في القليل
والكثير مدحا وهجوا وغيرهما **وتساجلوا** اي تناوبوا وتراسلوا **في النظم والنثر** تفاخروا وعن ابن الحنفية انه قرا هل جزاء
الاحسان الا الاحسان فقال هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة مطلقة في الاحسان لكل احد ولا يعزب عنك ما في قوله فقالوا
في الخطير الى اخره من المطابقة **فما راعهم** بعد ان نشر عليهم غيهب الشرك جناحه ومد لهم رواقه واوردتهم لهوا افترا
عن مزيد جهالة وشديد زيغ وضلاله **الا رسول كريم** استثنا مفرغ من عام اي ما اخافهم شي سوا رسول جاءهم بخلاف هواهم
وعكس مناهم اضا بنور هداه كل مظلم بهيم فلم يرتب بعضهم ان امن به ومدحه باكرم نتايج فكره وافضل سوانح خاطره اذ
تدانيهم بدين قويم وشرع وسيم مويد **بكتاب عزيز** لا نظير له ولا نافع مثله او منيع بحماية الله **لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه** اي لا يتعلق به ولا يجد اليه سبيلا **تنزيل من حكيم حميد** يحمده خلقه بما ظهر من نعمه عليهم **احكمت اياته** اي نظمت
نظما محكما لا يعتريه خلل لفظا ومعنى او منعت من الفساد من احكمت الدابة اذا وضعت في فمها الحكمة لتمنعها من الجماح او
جعلت حكيمة منقولا من حكم بالضم اذا صار حكيما لاشتمالها على امهات الحكم نظرية وعملية **وفصلت كلماته** اي ميزت وبين فيها
ما يحتاج اليه من عقايد واحكام ومواعظ واخبار ووعد ووعيد وغير ذلك **وبهرت بلاغته** اي غلبت **العقول** النسج على منوال
اساليبه على منوال الاعجاز ووشي مطارف تراكيبه ببنان الاعجاز فلم تجد المعارضة الى اقصر سورة منه سبيلا ولا
تجد عجزهم عنادا له بدا **وظهرت فصاحته** لارتقايه اعلا مراتبها **على كل مقول** نظما ونثرا **وتضافر ايجازه واعجازه** بالغا
المعجبة اي تتابعا وتعاونا على منع معارضته من قولهم تضافر القوم اي تتابعوا وتعاونوا **وتظاهرت حقيقته ومجازه**
لبلوغهما اقصى مراتبهما **وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه** اي تجارت تسارعا وتسابقا فيه فواتح سوره واياته وخواتمها
وفي الحديث نهى عن اكل طعام المتبارين اي المتسابقين المتعارضين بفعلهما لا يعجز كل الاخر بصنيعه وانما كرهه لما فيه
من المباهاة والرياء قال حسان بن ثابت يبارين الاعنة مصعدات على اكتافها الاسل الظماء اي يعارضنها جذبا
لقوة نفوسها ورؤوسها تملك شكيمها ويضح اديمها ويجوز ان يريد مشابهتها لها في اللين وسرعة الانقياد **وحوت كل البيان
جوامعه** بالفاظ قليلة لمعان كثيرة الحديث فانها جامعة اي كلماته الجوامع **وبدايعه** على ابلغ الايجاز واوثق الاعجاز ومن ثم قال
فيه الوليد بن المغيرة في تكسعه في ظلمات الكفر والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وانه ليعلو وما يعلى وانه ليس بكلام البشر **واعتدل** اي استقام **مع ايجاز حسن نظمه** بجزالة بلاغته وغرابة براعته
ولطف اعجازه التنزيل **وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه** القليل الجامع لمعنى كثير **وهم افصح ما كانوا في هذا الباب
مجالا** جملة حالية من ضمير اعمم ومجالا تمييز للنسبة افصح محول عن الفاعل اي جالهم فيه ومجالهم حال كونهم في باب البلاغة اوسع
شي كانوا عليه **واشهرهم في الخطابة رجالا** اي ورجالهم اشهر من غيرهم فيها فتمييز نسبة اشهر محول عن كونه فاعلا **واكثرهم في السجع
والشعر ارتجالا** بدون تروّ ومهلة اذ كان بجبلتهم وبديهتهم **واوسع في الغريب واللغة مقالا** من غيرهم وارتجالا ومقالا
تمييزان للنسبة اكثر واوسع محولان عن فاعليتهما **بلغتهم** متعلق بكتاب او حال منه اي حال كونه بلغتهم التي بها **يتحاورون** اي
يتجاوبون مخاطبا بعضهم بعضا **ومنازعهم** اي مجال المنازعة اي المجاذبة في الاعيان والمعاني **التي عنها يتناضلون** اي يتغالبون
بالكلام والاشعار ويقال انتضل القوم وتناضلوا اي رموا للسبق وناضله اذا راماه وفلان يناضل عن فلان اذا رامى وحاج عنه
وتكلم بعذره ودفع عنه **صارخا بهم في كل حين** مبكتا لهم ومسجلا عليهم بالتسكيت معرضين عن الحق **ومقرعا** هو وصارخا حالان
من كتاب او منه صلى الله عليه وسلم اي موبخا **لهم بضعا** بكسر اوله في العدد كما هنا وقد يفتح وهو ما بين الثلاث الى التسع
هنا ثلاثة **وعشرين عاما** لنزوله عليه منجما على حسب المصالح وكتنا الحوادث كما نزل عليه منه شي قرعهم به **على رؤوس الاشهاد**
اي اشرافهم اي اشرافهم ورؤسائهم **ام يقولون افتراه** اقتباس ورد شاهدا لثبوت نبوته اي بل ايقولون اختلقه واظهره

لقولهم او تقرير الالزام الحجة عليهم وبما متقاربان لان مالهما واحد وهو ابطال قولهم بانكاره وتعقيب التقرير بما يؤذن به اي قل
ان كان الامر كما زعمتم فاتوا على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانكم مثلي عربيه وفصاحة وادعوا من استطعتم
من دون الله اي واستعينوا بغير الله ممن تمكن استعانتكم به على الاتيان بسورة مثله لانه تعالى فانه القادر وحده عليه ان كنتم صادقين
في انه افتراه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا نجما فنجما حسب الوقائع على ما نرى من الخطباء والشعراء مما يبدا به نوزعا شيا
فشيا ما عن لهم من الامارة السانحة فاتوا بسورة من مثله صفة لسورة ومن تبعيضيه او بيانية او زائدة اي مماثله
للقران في البلاغة وحسن النظم وادعوا شهداءكم من دون الله اي واستظهروا في المعارضة من حضركم او رجوتم
معونته من انس وجن وآلهة غير الله فانه هو القادر وحده عليه ان كنتم صادقين في انه لم ينزله عليه ولن تفعلوا
اعتراض بين الشرط وجزائه افادت نفي اتيانهم في المستقبل على ابلغ وجه واكده بلن اذ لم ياتوا ببنت شفة ولا صدروا
حيث تحدوا عن موصوف ولا صفة قل لئن اجتمعت الانس والجن فيهم العرب العاربة وارباب البيان وتعاونوا على
ان ياتوا بمثل هذا القران في بلاغته وحسن نظمه وكمال معناه لا ياتون بمثله جواب قسم محذوف دلت عليه اللام
الموطئة ولولاها لكان جوابا للشرط بلا جزم لوروده كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي
ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا على الاتيان بمثله لم يدرج الملائكة في الفريقين مع عجزهم ايضا عنه لانهم ما
المتحدين به ومن ثم تعجبت الجن من حسن نظمه وبلاغته البالغة اقصى درجاتها فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي
الى الرشد فامنا به ثم الزمهم الحجة تنزلا وارخاء للعنان بقوله قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم
اولا بكل القران ثم بعشر سور مثله مساواة لقولهم افتريته واختلقته وزعمت انه من عند الله فكانه قال هبوا اني
اختلقته كما زعمتم ولم يوح الي فاتوا انتم بعشر مثله مفتريات اي مختلقات من عند انفسكم فانكم عرب فصحاء
مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه ثم تحداهم بسورة واحدة تسهيلا للامر عليهم وادعوا الى المعاونة على
معارضته من استطعتم من دون الله اي غيره ان كنتم صادقين في قولكم انه مفترى وذلك اي طلب الاتيان منهم
بعشر مثله مفتريات تهكما بهم وتقريعا ومناداة على كمال عجزهم لشهادة ان المفترى اسهل تلفيقا ووضع الباطل
اقرب وادوج تنميقا ومع ذلك فلم يجدوا عليه قدرا وان اللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ترتيبا ونظاما واتعب
وشيا ورقما ليس به تعقيد يعثر الفهم في ادراك معناه ولا التواء يشكك طريقه اليه كفرسي رهان تسابقا لا
يسبق اللفظ الى السمع الا ومعناه الى الفهم اسبق جاريا على قانون الاستقامة اعرابا وفصاحة وبلاغة وسلامة من كل
مغمز يوهم خلاف المراد ولهذا اي ولكون اللفظ اذا تبع المعنى الصحيح يكون اصعب قيل فلان يكتب كما يقال له فيفيق اكمام
ما قيل له عن ازهار معانيه ويتري في الابانة اذا وفي مجهوده وفلان يكتب ما قيل له كما يريد فيتوخى في بث ما امر
ان يكتبه مطرات خاطره وصيب غرضه وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو اي مدى بعيد لاتيانه بالمامور مفرغا
في قالب مراد امره دونه لاتيانه به مفرغا في قالب مراد نفسه وفي حديث ابن عباس لخالد بن صفوان صاحب
ابن الزبير وقد ذكر سنة العمرين لقد تركتما سنتهما شاوا بعيدا فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم بالقران
العظيم اسواء التقريع من اقرعته اذا قهرته بكلماتك اي يردعهم ارادة كفرهم عن عبادة الرجس من الاوثان ومما يسخط الله
وفي الحديث من قرا قوارع القران امن من شر الشيطان هي التي تردعه وتكفه عنه كاية الكرسي ويوبخهم غاية التوبيخ
هو بمعنى ما قبله ذكره لتغايرهما لفظا ولانه مقام حكاية ذم المشركين يحسن فيه الاطناب او بمعنى يهددهم ويسفه
احلامهم اي يمتهن عقولهم ويستخف بها ويذلها ولا يقيم لها وزنا وفي الحديث انما البغي من سفه الحق اي فعل من جهله
الحق واستخف به ويحط اعلامهم اي ينكسها ويشتت نظامهم اي يمزقه ويفرقه ويذم الهتهم اي يعيبها توبيخا لهم على
على عبادتها مع ما ذكر من احوالهم الجاهلية اذ نكوها ويستبيح ارضهم وديارهم بالاستيلاء عليها واموالهم نقودا واثاثا ومواشي

وهم

وهم في كل هذا مما ذكرنا ناكصون عن معارضته هو في الاصل الرجوع القهقري استعير للاعراض عن معارضة القران عجزا
وقصورا والجملة حالية من الضمير قبلها ومحجمون عن مماثلته اذ قد تحداهم باقصر سورة مماثلة فلم يقدروا عليه يخادعون عن
انفسهم بما به منوها من الاكاذيب الخائبة وبما به سولت لهم من الاماني الباطلة بالتشغيب اي بتهييج الفتنة واثارة الشر
والمخاصمة منهما بالتكذيب ترغيبا وحثا من قولهم كذبته نفسه اذا منته وخيلت اليه من الامال ما لا يكون مما يرغب فيه
ويحرض على التعرض له ومن قولهم في عكسه صدقته نفسه اذا خيلت اليه العجز والنكد في الطلب ومن ثم سموها كذوبا
وفي الحديث الحجامة على الريق شفاء وبركة فمن احتجم في يوم الاحد والخميس كذباك او يوم الاثنين والثلاثاء ومعنى كذباك
اي عليك بهما اي باليومين فكذب هنا كما قال ابن السكيت وغيره كلمة اغراء بشاهدة حديث عمر كذب عليكم الحج كذب عليكم
العمرة كذب عليكم الجهاد ثلاثة اسفار كذبن عليكم فان معناه الاغراء اي عليكم بها اي الزموها ونصبه على الاغراء قيل وقد
ورد شاذا مرفوعا وقال الزمخشري هي كلمة جرت مجرى المثل ولم تتصرف ولزمت طريقة واحدة في كونها فعلا ماضيا
ك معلقا بالمخاطب وحده وهي في معنى الامر كقولهم في الدعاء رحمك الله اي ليرحمك الله اي ليكذباك وليشطاك وبعثا
على الفعل والاعتراء والافتراء من عراه اذا مسه واصابه اي ويوهمهم له بالبهت والكذب لعرقائي الان جنهض جهل مفرط
وحمق معدق من جناة غلاظ الاكباد لا تلين شكيمتهم لرشد ولا تميل عريكتهم لنصح سيما ومنهم صناديد قريش اعلام الكفر
واوتاد الشرك كقولهم كالوليد بن المغيرة اذ حكى الله عنه ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى عن اهل
بابل وغيرهم قاله حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا حم السجدة فقال لقد سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه
ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقال لهم تزعمون ان
محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رايتموه يتكهن وانه شاعر هل رايتموه يقول شعرا قالوا لا فقال ما هو
الا ساحر ما رايتموه يفرق بين المرء واهله وولده ومواليه فاهتز النادي فرحا وسحر مستمر اي دائم مطرد لما راوا من تتابع المعجزات
وترادف الايات او قوي محكم من قولهم استمر مريره اي استحكم وقويت شكيمته واصله الحبل واحد المرائر قال علي ان الله جعل
الموت قاطعا للمرائر قواها اي الحبال المفتولة على اكثر من طاق وافك افتراه اي كذب صرفه عن وجهه عن صرفه واختلقه واساطير
الاولين اي اقاويلهم المزخرفة التي سطروها منمقة اكتتبها اي كتبها لنفسه او كتبت له كاتب اذ كان اميا لا يكتب والمباهتة من
بهته اذا رماه بما يتحير منه اي ويخادعون انفسهم باكاذيب وافتراءات يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها كما يقال فلان
يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي لا يتخطاه دائرة ضرره والرضى بالدنية اي بالخصلة الذميمة واصله الهمز وقد يخفف
وبلا همز الضعيف الخسيس كقولهم قلوبنا غلف بسكون اللام جمع اغلف اي هي مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها هدي ولا
تفقه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او بضمها جمع غلاف اي هي اوعية للعلم لا تسمع شيئا الا وعته ولا تعي ما جاء به او نحن
مستغنون بما فيها عن غيره وقالوا قلوبنا في اكنة جمع كنان اي في اغطية مما تدعونا اليه مانعة من وصولها اليها وفي
اذاننا وقر اي ثقل وصمم ومن بيننا وبينك حجاب منيع حاجز لا تلاقي ولا تراءي وزيدت من تلويحا بان الحجاب ابتدا منهم
ومنه مستوعبا للمسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فيها فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن قبول ما يدعوهم اليه
كانها في اغشية ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولعدم مواصلتهم وموافقتهم له كان بينهما حجابا ساترا ولا اكنة
ولا وقر ولا حجاب وقد مر لهذا مزيد بيان قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه بخرافات وسواقط
الكلام وارفعوا اصواتكم بها تشويشا على قارئه لعلكم تغلبون من قراه على قراءته له والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقاحة وفرط عناد والا فما منعهم لو ساعدتهم الاستطاعة ان يشاؤوا ذلك اذ تحداهم وقرعهم بالعجز ليفوزوا
بالغلبة دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا سيما في باب البيان وقد قال الله تعالى ولن تفعلوا عدل عن ولن
تاتوا بسورة من مثله اليه لوروده مورد كناية اورثت اختصارا ووجازة تغني عن طول المكني عنه فما فعلوا وما قدروا

على ان ياتوا بمقدار سورة توازيه وتدانيه مع افراطهم في مضادته ومضارته ومن تعاطي ذلك من سخفائهم جمع سخيف والسخف
بالفتح رقة العيش وبالضم رقة العقل وقيل هو خفة تعتري الانسان اذا جاع فهو خفة في العقل وغيره اي ومن تجاسر على
معارضته كمسيلمة الكذاب بهذيانات مفتريات فقد كشف عواره بفتح المهملة وقد تضم اي اظهر عيب نفسه القبيح
الزائغ عن الرشد لجميعهم اذ لم يكن ما عارضه به من بديع كلامهم وبليغ نظامهم تجديه نفعا في معارضته وسلبهم الله ما
الفوه من فصيح كلامهم الواو للحال او بمعنى مع او استيناف موذن بما مر بترجيح القول بالصرفة ولا اقول به بل الصارف
لهم عن معارضته كمال بلاغته وبديع ترتيبه وغرب اسلوبه والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط اي من ضروب
فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين اي اعرضوا عن الاتيان بمقدار اقصر سورة منه مولين بادبارهم اليه
واتوا مذعنين اي منقادين من بين مهتد اي مصدق به وبمن انزل عليه وانه لتناهي بلاغة ليس الا من عند الله وبين
مفتون متحير في بلاغته متعجب من عجزهم عن معارضته ولهذا اي ولكونه ليس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم لما سمع
الوليد بن المغيرة عم ابي جهل بن هشام بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل اي بالتوسط في الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين الاشراك والتعطيل والتوكل مع الكسب المتوسط بين التبذير والبخل والاحسان في الطاعات
بحسب الكمية كالاتيان بالنوافل او الكيفية كما في حديث ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
تخصيص بعد تعميم مبالغة في موالاة قرباه صلى الله عليه وسلم واعطائهم حقهم وينهى عن الفحشاء اي عن مجاوزة حدود الله بما
لا يرضيه كالزنا فانه اقبح فعل واشنعه والمنكر تعميم بعد تخصيص اي عن ما ينكر على متعاطيه والبغي اي عن التطاول
على الناس ظلما والاستعلاء عليهم تجبرا وغشما يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون اي تتعظون
قال اي الوليد بن المغيرة بعد ان تلاه عليه والله ان عليه لحلاوة اكده بالقسم وان واسمية الجملة ازالة لاعتقادهم انه
ليس بكلام وقلعا له من سنخه تعجبا وتعجيبا من كمال بلاغته وشبهه لقبول السماع بسلاسته والتذاذ الطباع ببراعته
بذي حلاوة على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له الحلاوة تخييلا لا لانها ثابتة حقيقة وكانه من جنس ذي حلاوة صرفا
للنفس عن توهم التشبيه حتى كانه لا استعارة اصلا او شبه حاله لتمكنه من السهولة وسلاسة بلاغة وبراعة
بحال من اعتلا شيئا وركبه تمثيلا فاستعار له على وتقديم الظرف موذن بالحصر وان عليه لطلاوة بضم طائه وقد
تفتح اي رونقا وحسنا باصابته محز الفصاحة وتطبيقه مفصل البلاغة ويجري في هذه القرينة ما في الاولى من
الاستعارة والتمثيل والحصر وان اسفله لمغدق بغين معجمة من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة
معانيه الدوارف مع قلة الفاظه الروائع العوارف وان اعلاه لمثمر اشارة الى غزارة نفعه بكريم عوائده وعميم
فوائده لرسوخ بلاغته وسمو نظم فصاحته بشجرة تسربت عروقها بعز برها فاهتزت افنانها وربت ثمارها فعم نفعها
على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له الغدق والثمر تخييلا كذلك ما هذا اي الذي تلاه عليه بقول بشر لجزالة
ترتيبه الانيق وفخامة نظمه السري بالطف اسلوب وارشق تركيب لا تحوم حوله اعتقاد كونه قول بشر وذكر ابو عبيد
القاسم بن سلام ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر ما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اي اجهر بامرك
او بالذي تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز واعرض عن
المشركين غير مبال بما يقولون فسجد تكرمة لغاية كماله المانع من الاتيان باقصر سورة مثله ومن ثم قال سجدت
لفصاحته التي بدت كل فصيح من مدار فرسان المقاولة وسراة مشاهد المناقلة وسمع اخر رجلا يقرا فلما استيأسوا
منه اي يئسوا من يوسف اذ لم يجبهم وزيدت السين والتاء للمبالغة خلصوا اي انفردوا واعتزلوا نجيا اي
متناجين في تدبير امرهم ووحده لكونه مصدرا او زنته كما في هم صديق وجمعه انجية كندي واندية فقال
اشهد ان مخلوقا لا يقدر على ان ياتي بمثل هذا الكلام لرسوخه في البلاغة كمالا ورشاقة واناقة في الفصاحة

نظما وفخامة وحكي ان عمر كان نايما في المسجد اي مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعلى راسه جملة حالية من عمر
قايم يتشهد شهادة الحق فاستخبره عمر عن سبب ذلك فاعلمه انه من بطارقة الروم جمع بطريق بكسر اوله وهو بلغة
الروم الحاذق العارف بالحرب وامورها وذو منصب وتقدم وقال الجواليقي هو القائد مقدم الجيوش واميرها
ولما سمعته العرب وصفوا به كل رئيس مدحا له وهو معرب بطرك الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه
سمع رجلا من اسارى المسلمين يقرا اية فتاملها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى من احوال الدنيا والاخرة من
جميع اسباب الفوز والنجح وهي قوله عز قائلا ومن يطع الله ورسوله في فرائضه وسننه او فيما امر به ويخش الله
فيما صدر منه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره فاولئك هم الفائزون بسعادتي المبدا والمعاد وحكي الاصمعي انه
سمع جارية تتكلم بكلام فصيح فقال لها قاتلك الله ما افصحك اي هي خليقة بان يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة
قولها كما يقال لمن اتى بانيق قاتله الله ما اعجب فعله اي بلغ في التانق حدا استحق ان يحسد فيدعى عليه بذلك فقالت
او تعد هذا عطف على مقدر اي يعجبك وتعده فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى الهاما او مناما ان
ارضعيه خفية ما امكنك فاذا خفت عليه حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب ممكن فالقيه في اليم اي البحر
مراد به النيل ولا تخافي على ضيعه ولا شيئا يعتراه ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك قريبا ليهدا روعك وتامني عليه وجاعلوه
من المرسلين اولي العزم فجمع في اية واحدة بين امرين بما فارضعيه فالقيه ونهيين بما ولا تخافي ولا تحزني وخبرين
بما واوحينا الى ام موسى فاذا خفت عليه وبشارتين بما انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وبامثال هذه الانواع
مما يفوت حصره ارتقى كلام الله الى ان خرج عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته وكثيرا ما يسمى مثل ذلك فصاحة
ومن ثم وصفه بها وان كان الاولى وصفه بالبلاغة لوروده في كل مقام مطابقا لمقتضى الحال والمقام فهذا اي الجمع بين
المذكور في الاية نوع من اعجازه اي مستقل بذاته غير مضاف الى نوع اخر غيره على التحقيق على القول الصحيح من القولين
اي اول قوليه انه خارج عن قدرة البشر وانها صرفت عنه وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به
معلوم ضرورة لا يفتقر الى قيام بينة تثبته وكونه متحديا به اي طالبا معارضته ولو باقصر سورة معلوم ضرورة
وعجز العرب المتحدين به عن الاتيان به معلوم ضرورة لتوفر الدواعي على نقل ذلك كله وكونه اي القران في فصاحته
في هنا سببية كما في حديث دخلت امراة النار في هرة شبه تمكنه بالفصاحة وشدة التباسه بها تمكن المظروف بظرفه
فاثبت له في استعارة تبعية لوقوعها في المصدر اصلية فكونه خارقا للعادة اي عادة البلغا في تراكيب كلامهم على وجوه
شتى في كل مقام ما يقتضيه انما هو بسبب فصاحته وذلك معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة للمقامات
المقتضية لها وسبيل من ليس من اهل العلم بذلك اي والموصل لمن جهل الفصاحة ووجوه البلاغة ان يعلم ان كون القران
في فصاحته خارقا لها بعجز المنكرين من اهلها لكونه كلام الله عن معارضته واعتراف المقرين بانه كلامه باعجاز بلاغته
لهم عن ان ياتوا بمثل شيء منه او بعضه ووا عن موصوف او صفة وانت خطاب لغير معين اذ كثيرا ما يعدل اليه كما في ولو
ترى اذ وقفوا على النار اذا تاملت العلم الفرد في الايجاز الباهر في الاعجاز يعني قوله تعالى ولكم في القصاص حياة الفسيح
قد اودع من بدائع التركيب وروائع الترتيب ولطائف الايجاز وشرائف الاعجاز في الحسن والقبول ما اغدق اسافله واثمر
اعاليه لما فيه من الغرابة بجعل القتل الذي هو ضد الحياة ومفوت لها ظرفا لها لوروده في معرض البلاغة لفظا
يسيرا بمعنى كثير هو ان الانسان اذا علم انه متى قتل اقتص منه كان علمه به ادعى حال الى ردعه عن القتل فيرتفع
بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم ولفضله على اوجز كلام عندهم هو القتل
انفى للقتل بقلة حروف ما يودي معناه منه اعني حروف في القصاص حياة الملفوظة فانها مع التنوين احد عشر
وحروفه اربعة عشر اذ بالعبارة يتعلق الايجاز لا بالكتابة واعتبارا الفعل المتعلق به الظرف رعاية لامر لفظي حتى

لو ذكر لكان تطويلا وشبهه على الحياة التي هي المقصود ذاتا وبما يفيده تنكيرها من تعظيم اذ نبه منع القصاص لهم عما كانوا
عليه من قتل جماعة بواحد وباطراده الحاكم بان القصاص مطلقا سبب لها دون القتل اذ قد يكون انفى له كالذي على وجه
القصاص وقد يكون ادعى له كالقتل ظلما وبخلوه عن تكرار اللفظ بقولهم وحكم بان الخالي منه افضل وان لم يخل بالفصاحة
وباستغنائه عن تقدير محذوف في قولهم القتل انفى للقتل اي من تركه وبالمطابقة بين معنيين متقابلين هما القصاص
والحياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا عند موتهم او بعثهم او يوم بدر فلا فوت لهم من الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان
قريب اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها وقوله تعالى ادفع بالتي اي ادفع سيئة
من اساء اليك بالحسنة التي هي احسن الحسنات مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما ابرز في معرض
الاستئناف لجعله جوابا لكيف اصنع مقدرا ووضع احسن مكان حسنة مبالغة في الدفع بها وقوله وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ناداهما بما ينادى به المميز وامرهما بما يؤمر به تمثيلا لكمال عظمته وباهر قدرته والانقياد
لما يريد فيهما اعدادا او عدما وتمثيلا بامر مطاع منقاد لحكمه مبادر لامتثال امره مهابة من عظمته وحذرا من
سطوته فكلما اورد عليهم امره بما امر فعلوه فورا لا حبس ولا ريث والبلع النشف والاقلاع والامساك وغيض الماء
من غاض اذا نقص وقضي الامر اي وانجز ما وعده نوح من اهلاك كفرة قومه وانجاء مؤمنيهم واستوت اي سفينته
على الجودي جبل بالموصل او الشام روي انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه شهرا عاشر المحرم وصار
فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم يقال بعد وبعدا اذا اريد بعد بعيد بحيث لا يرجى عوده ثم
استعير للهلاك وخص بدعاء السوء وايراد هذه الاخبار مبنية للمفعول موذن بتعظيم فاعلها وانه متعين في نفسه
مستغنى عن ذكره لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان تلك الامور العظام لا يقدر عليها غيره ولا يكون سواه هذا وما الحم لفظ
هذه الاية واجزل نظمها وادلها على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال ولله درها ما اجزل ما تضمنته من وجوه
مرجحي البلاغة ومتممتها فبيان ما تضمنته من علم المعاني يظهر من النظر في كل كلمة منها وكل تقديم وتاخير بين جملها
وذلك انه اختير يا لكثرة استعمالها ودلالتها على بعد المنادى لما ونا به لمقام ابداء العظمة وشان العزة ولم يقل
يا ارض بالكسر تقوية للتهاون به ولم يقل يا ايتها الارض اختصارا واحترازا عما في ايها من تكلف تنبيه غير مناسب للمقام
واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وادور مع قصد المطابقة واختير ابلعي على ابتلعي اختصارا وتجانسا بينه وبين
اقلعي وقيل ماءك مفرد الماء في الجمع من صور الكثرة التي ياباها مقام اظهار الكبرياء والجبروت كافراد الارض والسماء
ولم يترك مفعول ابلعي حذرا من لزوم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنيها نظرا
الى مقام ورود الامر اذ هو مقام عظمة وكبرياء ولم يقل اقلعي ماءك ادرسال الماء كما لم يقل ابلعي ماءك فابلعت واقلعت
فاقلعت احترازا عن الحشو واختير غيض لكونه اخصر واخف واوفق دون غيض مشددا وقيل الماء دون ماء طوفان
السماء كما قيل الامر دون امر نوح وهو انجاز ما وعد من هلاك كفاره اختصارا واستغناء لك بحرف التعريف
ولم يقل وسويت مبنيا للمفعول بمعنى اقرت كقيل وغيض وقضي اختصارا او مناسبة لاسناد الفعل الى الفلك وهي
تجري بهم في موج ثم قيل بعدا للقوم دون ليبعد القوم للتاكيد بتنزيل بعدا منزلة ليبعد وابعد اختصارا
مع استعمال اللام مع بعدا الدالة على معنى ان البعد حق لهم ثم اطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى ظلم انفسهم
زيادة للتنبيه على فظاعة سوء حالهم بتكذيب الرسل ومن النظر في ترتيب جملها اذ قد قدم النداء على الامر
جريا على العادة في المنادى المامور من تقديم تنبيهه ليتمكن الامر الوارد عقبه في نفسه ثم قدم امر الارض
على امر السماء وابتدأ به لخروج منها اولا وتنزيلا لها هنا منزلة الاصل الاولى بالتقديم ثم اتبعا قوله وغيض
الماء لحصوله عقب الامر بالابلاع والاقلاع ثم اتبع المقصود بالقصة اعني وقضي الامر من انجاز موعود نوح وانجائه

ومن

ومن معه في السفينة واهلاك والكفاية ولما كان معناها ان اردنا ان نغور ما انفجر من الارض فغاض وان نقطع ما السماء
فانقطع وان نغيضه فغاض وان نقضي امر نوح من اغراق كفرته فقضي وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت ن
وابقاء الظلمة غرقى جواب لما شبهه المنادى بمامور عاقل يعرف الامر حق معرفته ويعلم وجوب الانقياد لامره والاذعان
لحكمه فلا يتلقى اشارته بغير امضاء وانقياد ولا امره بغير اكتساب وانفاذ وشبه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في
تكوينه ثم بني عليهما نظم الاية فقال مجازا عن الارادة بجامع الخطاب في يا ارض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الجهلهما كما مر
لاباني عصيانه ثم استعار لغور الماء البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم بجامع ذهابهما الى مقر خفي ثم استعار الماء
للغذاء استعارة مكنية لشبهها له بجامع التقوية اي تقوي الارض بالماء للانبات وتقوي الاكل بالطعام وجعل قرينتها
لفظة ابلعي لوضعها لغة لاستعمال الغذاء دون الماء ثم امر على سبيل استعارة النداء للجماد ومخاطبة ترشيحا لها ثم
اضاف الماء الى الارض مجازا لشبهها لاتصاله بها باتصال الملك بمالكه واتى بضمير الخطاب ترشيحا ثم اختار لاحتباس
المطر الاقلاع الذي هو ترك الفعل لشبهها له به لما بينهما من عدم ما كان ثم امر على سبيل استعارة النداء له وخطابه
ترشيحا لها ثم قيل وغيض وقضي واستوت وقيل بعدا مع ترك فاعلها كما ترك قائل يا ارض ويا سماء سلوكا في كل
سبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تصدر الا عن ذي قوة قهار لا يغالب ثم ختم بالتعريض فلم يقل بعدا القوم نوح
تنبيها على ان مكذبي الرسل لا يظلمون الا انفسهم ولا يضرون الا هم اظهارا لمكان السخط بظلمهم واما بيان متممها اعني
الفصاحة لفظية ومعنوية فالفاظها كما ترى عربية اصلية جارية على قوانين اللغة سليمة من التنافر والبشاعة
سلسة عذبة ثم نظمها لمعانيها كما ترى نظم لطيف مؤدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد فيها يعثر الفهم في طلب المراد ولا
التواء يشكك طريقه اليه بمجرد استماعها تجد الفاظها تسابق معانيها وهي تسابق الفاظها فما من لفظ في نظمها يسبق الى
سمعك الا ومعناه الى فهمك اسبق هذا وفي ما ذكرناه من بعض ارشاد لكيفية اجتناء ثمرات البلاغة بنوعيها
اعني المعاني والبيان والفصاحة بنوعيها وان لا اعلم ابين لمراد الله من كلامه ولا اعون على تعاطي تاويل متشابهاته
ولا انفع في درك لطايف نكته واسراره ولا كشف للقناع عن وجوه اعجازه ولا اوفى لحقه من البلاغة سوى علمها
وقوله فكلا ممن ذكر في السورة ممن كذب اخذنا بذنبه اي عاقبناه به فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفا فيها
حصبا او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الارض وهو
قارون ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه واشباهها اي اشباه ما ذكر من الاي بل اكثر القران مما هو
محل من الايجاز لا يرام والاعجاز لا يسام حققت جواب اذا تاملت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها مع لطايف
دقيقة وشرايف لمحات انيقة وديباجة عبارتها مما يكسوها من مطارف الفصاحة تزيينا ويورد لها من وشي البلاغة
عشبيا من دبج المطر الارض اي زينها بالنبات ومنه حديث النخعي كان له طيلسان مدبج اي مزين الاطراف بالديباج
وحسن تاليف حروفها وتلايم كلماتها اي توافقها وبروزها في نسق مناسب كل واحدة اخذت بيد مناسبتها وقد يخفف
همزة تلاوم فتصير يا من الملايمة اي الموافقة لا واوا وما روي في الحديث بها فتحريف لا اصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم
وان تحت كل لفظة منها جملا من بدايع المعاني كثيرة وفصولا من روايع المباني جمة اي كثيرة غاير بينهما لفظا للافتنان
في العبارة وعلوما زواخر من زخر البحر اي مد وكثر وارتفعت امواجه اي كثيرة جدا استنبطها منه اولوا الافهام ملئت
الدواوين جمع ديوان وهو الدفتر الحافظ لاسماء الجيش وذوي العطا فارسي معرب واصله دوان قلبت احدى واويه
ياء لكسر ما قبلها واول من دونه في الاسلام عمر اي الفت الكتب من بعض ما استفيد منها مما عسر على الفهم حصره وكثرت
المقالات من الايمة الاعلام في المستنبطات عنها ثم هو مستمدا اي القران الكريم في سرد القصص الطوال واخبار القرون
السوالف اي الماضية التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام لطولها ويذهب ماء البيان ورونقه ويختل النظام

لخروجه بالطول عن ارتباط بعضه ببعض وتناسق الفاظه وتوافق كلماته آية خبر المبتدا اي علامة بينة لمتامله من
ربط الكلام بيان لكونه آية بعضه ببعض متناسق الدلالة ظاهر المعنى والتيام سرده على الاستقامة لفظا واعرابا
وفصاحة وبلاغة وسلامة من معمر يؤذن بخلاف المراد وتناصف وجوهه اي فنون بلاغته مجازا واستعارة
وتلويحا وايما واشارة وتاكيدا وتشبيها وحسن فواتح وفواصل وتقديما وتاخيرا ووصلا اي استوى وجوهه في ارتفاع
شانها في الحسن والقبول كان كلا منها انصف الاخر في اخذ حظه منهما من قولهم تناصفوا اذا انصف بعضهم من نفسه
فاستعير لوجوه بلاغته ونظم كلماته متناسبة المعنى متناسقة الدلالة كقصة يوسف على طولها اذ قد اقتصت على
ابداع نظم واعجب ترتيب لم يذهب لطولها ماء بها وفا ورونقه ولم يختل نظامها بارتباط بعضها ببعض وتناسق الفاظها
وتوافق كلماتها على اصبح وجه واوضح منهج تعجيزا وتبكيتا ثم اذا تدبرت قصصه وجد لها على ابلغ تهذيب واحكم اسلوب
مؤذنة باقتدار متشتها في لطايف افانين العبارة في مراتب البلاغة ايقاظا لبلغا لا يبارون ذكا وتعجيبا لفصحا
لا يوازون اصابة يخبرون عن الغايب كان قد شاهدوه ويصف لهم حدسهم الصايب حال الورد قبل ان يردوه ثم
اختلاف العبارات عنها متفاوتة في النظم بين حكاية وخطاب وغيبة وزيادة ونقص وتبديل كلمات كل واحدة منطبقة
في مقامها على ابهج حسن وابهى وجه على كثرة ترددها حال من ضمير عنها حتى يكاد كل واحدة من قصصه تنسي في البيان
والايضاح صاحبتها وتناصف اي يتساوي في ارتفاع شانها في الحسن وجه مقابلتها من حيث تفاوتهما ايجازا وتلويحا
وايما واكتفا باولها واخرها مثل فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا ذهما المراد بطولها
لالزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم ولا نفور للنفوس من ترديدها لبروزها في كل مقام
للتحدي لطالبي معجز من وشي البلاغة تبكيتا وتعجيبا ولا معاداة من احد لمعاده اي القران اذ كلما كرر تلاوة انق
الاسماع ونشط الاذهان ورغب في تلاوته وفي هذا تلويح برد ما لمعنوا به فيه جهلا منهم باض في ضمايرهم وفم
اباطيل من ان اجزل كلام لا يوازي بلاغة ولا يدانى فصاحة ولا يباري براعة ولا يجاري سماحة طلق المحيى هادي
للتي هي اقوم اذ قد عميت بصايرهم واتفت مشاعرهم فلم تهتد والى ان ادنى فايدة لتكريرها بصياغات مختلفة
ولو لم تكن له فايدة سوى تبكيت المنكر والزامه الحجة والنداء على كمال عجزه عن المعارضة لكفا يريدون ليطفوا
نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون

فصل الوجه الثاني من وجوه ضبط انواع اعجاز القران

من اعجازه صورة نظمه العجيب تلويح بان الاعجاز ليس لمجرد اللفظ اذ لا تعلق له به ومن ثم قال لنظمه دون لفظه واشار
الى ان كلماته كالدرر منتظمه مترتبة المعاني متناسقة الدلالات على ما تقتضيه الحكمة وهذا مراد عبد القاهر
بقوله النظم توخي المعاني على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام لا توالي في النطق وضم بعضها الى بعض كيفما اتفق
ووصفه بالعجيب لاشتماله على ما يتعجب منه من بدايع التركيب وروايع الترتيب والاسلوب الغريب اللام بدل
من الضمير اي واسلوبه المخالف بغرابته لاساليب كلام العرب لما اودعه من دقايق البيان وكسيه من حسن
العبارة ولطف الاشارة وسلامة الترتيب وسلاسة التركيب مما لا مرقي لادنى غايته ومناهج جمع منهج من نهج الامر
وانهج واوضح اي طرق نظمها الواضح البين ومنه قول العباس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركتكم
على طريق ناهج اي واضح بين ونثرها خطبا ورسايل وغيرها الذي جا عليها القران من نظم رشيق ولفظ انيق عجز بكا
لنظومهم في انه معجز وقد عجزوا عنه كلام منظوم من غير ما ينظمون منه كلامهم ليوردهم مشارع تيقن انه لم يبلغ من
الجزالة وحسن النظم المبالغ الذي بدت بلاغته كل منطيق ولم يجاوز الحد الخارج عن قوى البلغا ولم يتعد وتمطاح
اعين البصرا الا انه ليس بكلام بشر ووقفت مقاطع آيه اي اواخر وقوفها كالتام والكافي جمع اية وهي جماعة حروف
وكلمات من قولهم خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم لم يدعوا ورآهم شيا واصلها اوية تحركت الواو الاولى وانفتح ما قبلها

فقلت

فقلبت القاف الثانية يا لتطرفها وقيل اصلها فاعلة حذفت عينها او لامها تخفيفا ولو وردت تامة لكانت ايية علته
اي على الاسلوب الغريب الذي قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولا يوصف وانبتت
فواصل كلماته اليه جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرتين او المصراعين ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له في علو الطبقة
وحسن النظم والبيان الغريب وسلامة الترتيب اي ربط اطراف النظم بعضها ببعض وجعل كل في موقعه ورد اخره الى
اوله على انق الاساليب ولا استطاع احد مماثلة شي منه لجزالته وفخامته بلاغة بل حارت فيه عقولهم وتدهلت
اي دهشت وتحيرت مما ادهشها من وروده على ترتيب انيق ونظم سري دون احلامهم جمع حلم بالكسر اي عقل والحلم الاناة
والتثبت في الامور وهو من شان العقلا وغاير بينهما تفننا مع كونه مقام مدح للقران ولم يهتدوا الى ان ياتوا بشي
مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع قد يطلق على الكلمة الاخيرة من الفقرة باعتبار توافقها للكلمة الاخيرة من
الفقرة الاخرى وقد يطلق على نفس التوافق ومرجع المعنيين واحد او رجز هو من بحور الشعر وانواعه الا انه
لعدم التزامهم غالبا فيه رويا واحدا وورد كل مصراع منفردا كهيئة السجع وتسمى قصايده اراجيز وناظمه راجزا ولا
يسمى ناظم الشعر شاعرا وعن الحربي لم يبلغني انه جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان المنهوك
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب والمشطور وهو هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وهذا مبني على ما حكم
بلفق كل مصراع بيت ومذهب الخليل خلافه اذ الشعر ما له مصراعان وعروض وضرب وروي يسكون تا دميت ولقيت
فتكون عروضه وضربه مخبولان مقطوعان واشار بقوله انا ابن عبد المطلب الى رويا مشهورة عندهم راها عبد
المطلب وكانت صدقا فذكرهم بها ولم يقله افتخارا به لكراهته الافتخار بالكفار لشدة قوله لمن دعاه يا ابن عبد
المطلب قد اجبتك ولم يتلفظ بالاجابة كراهة لما دعاه به حيث لم يدعه بما شرفه الله به من النبوة والرسالة او شعر
هو قول موزون قصد به كونه شعرا ولما سمع كلامه الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق له ابن اخيه ابو جهل
منكرا عليه رقته له فقال اي الوليد بن المغيرة والله ما منكم من احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول
شيا من هذا اي من الشعر وفي خبره الاخر اي الوليد بن المغيرة الذي رواه البيهقي عن ابن عباس حين جمع قريشا
عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون البلاد لمارب نحو حجهم الى النقلة لذلك
ترد فاجمعوا فيه رايا من اجمع الامر واذمعه اذا نواه وعزم عليه اي اجتمعوا بالعزم على راي فيه صلى الله عليه وسلم
لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن اذ لم يعهد منه صلى الله عليه وسلم انه سلك طريقهم في تروق وبل باطله
روجها بسجع منمق اذ كانوا يروجون اقاويلهم الباطلة باسجاع تروق السامعين يستميلون بها قلوبهم ويستصغون
اليها اسماعهم ومن ثم عاب قول من قال في حديث الجنين كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك يطل انما
هو من الكاهنين دخل يقرا القران لا يقرا احد قراته قيل هو محمد بن كعب القرظي وكان يقال لقريظة والنضير الكاهنان
قبيلا يهود المدينة وكانوا اهل كتاب وعلم وفهم ومحمد بن كعب منهم والعرب تسمي من يتعاطى علما دقيقا كاهنا ما هو بزمزمة
ولا سجعه الزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكان الكاهن اذا اراد احضار رويه من الجن زمزم فيحضر وكتب عمر الى احد عماله
في شان المجوس وانههم عن الزمزمة هي كلام يقولونه عند اكلهم بصوت خفي قالوا مجنون اي مصاب اختلط عقله من مس
الجن على ما يعتقدون وراى رجلا قوما مجتمعين على انسان فقال ما هذا قال مجنون قال هذا مصاب انما المجنون
الذي يضرب بمنكبيه وينظر في عطفيه ويتمطى في مشيته قال اي الوليد بن المغيرة ما هو بمجنون ما هو بخنقه بفتح الجيم
وسكون النون بلفظ المصدر اي ما هو بمخنوق الشيطان ولا وسوسة قالوا شاعر اي ينظم الشعر قال اي الوليد بن
المغيرة ما هو بشاعر وما صدر عنه موزونا فانما هو من جنس كلامه الذي يرمي به على بلا صنعة فيه وتكلف
بل اتفق ذلك منه غير قاصد به الشعر كما يقع في كثير من الانشاءات والمحاورات قد عرفت الشعر كله رجزه وهزجه

[illegible]

بل بعض من كل والهزج من بحور الشعر لا يستعمل الا مربع الاجزاء مع كونه في اصل دائرته مسدسا وبيته بنفسي من اذا
يبدو واراب البدر يعدو وما على غصن من البان وقريضه فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمي الشعر
قريضا لان قارضه اي الشاعر يقرضه قطعا فهو ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام موزونا مقصودا به الشعر والعروض
علم يعرف به صحة وزنه من سقمه ومبسوطه لعله اراد بحر البسيط واورده بميم وواو مشاكلة لما بعده لوقوعه في
صحبته وهو من انواع الشعر وفي اصل دائرته مثمن الاجزاء وقد يستعمل مجزوا ومسدسا جوازا او اراد ما ورد
من انواعه تاما بدون زحاف وعلة ومقبوضه من اجزاء انواعه وهو حذف خامس مفاعيلن ثاني سببه فيبقى
مفاعلن قالوا نقول ساحر من السحر وهو ما دق وخفي قال اي الوليد بن المغيرة ما هو بساحر ولا نفثه بالجر
عطفا على مدخول الباء اي ولا هو بنفثه او الرفع عطفا عليها اي ولا هو نفثه مصدر ينفث كيضرب وينصر وهو
شبيه بالنفخ واقل من التفل وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي اي جبريل اوحى والقى
فيه قيل سمي به لانه خلق من طهارة ولا عقده كذلك مصدر عقد كعقد السواحر عقدا في خيوط وينفثن عليها
وقد سحر صلى الله عليه وسلم في وتر احدى عشرة عقدة ودس في بئر ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضعه
فلما اخرجه قراهما فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد خفة قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا
مما رميتموه به من الاباطيل الا وانا اعرف انه باطل مفترى عليه وتقديم الضمير لتقوية الحكم بكونه باطلا اذ
كان غيره ايضا يعرف انه باطل واقرب القول فيه ان يقال انه ساحر ما شاء الله كان هذا رجل اضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاشترى الضلالة بالهدى متكسعا في ظلمات قد نسج عمى بصيرته على
منوال ضلاله حتى قال فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته تشبيه
لما سمعه بالسحر لبلوغه مبلغا بديعا يظهر معانيا انيقة جاذبة للنفوس على ما هو شان السحر فتفرقوا راضين بما قال
وجلسوا على السبل جمع سبيل وهو الطريق يصدون الناس من متابعته واقتفاء سنته فانزل الله في الوليد من
وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره اظهار الشناعة قبيح قوله وفعله اليه ابتداء لحكاية ذرني ومن خلقت وحيدا
حال من الياء في ذرني اي معه وحدي فاني اكفيكه او من التاء في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد
المحذوف اي ذرني والذي خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم ... به صرفه الله عن كونه لقب مدح له بانه وحيد قومه في
الدنيا تقدما ورياسة ويسارا الى ذمه وعيبه او وحيدا في الشر او عن ابيه اذ كان زنيما اي دعيا في بني مخزوم نطفة
ابن مرة بن كعب بن لوي وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا متزايدا بالنماء اذ كان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا
معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يظعنون لطلب معاش استغناء بنعمته ولا يذهبون لمصالحه لكثرة خدمه ولا المحافل والاندية
لوجاهتهم رياسة وعظما اسلم منهم خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا اي بسطت له الرياسة والجاه العريض
حتى لقب ريحانة قريش ووحيدا ايا استحقاقه التقدم ثم يطمع ان ازيد استبعاد لطمعه في الزيادة على ما اوتيه اذ
لا مزيد عليه لتقدم مناسبته لما هو عليه من كفران النعمة ومعاندة المنعم ومن ثم قال كلا انه كان لاياتنا عنيدا
ردعا له عن الطمع وتعليلا للردع على طريقة الاستيناف بمعاندته ايات المؤذنة بازالة نعمه عنه المانعة من الزيادة
قيل ولم يزل بعد نزولها في نقص حتى هلك سارهقه صعودا اي ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو تمثيل لما يلقى من
العذاب الشاق الذي لا يطاق وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك ابدا
انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد اي فكر فيما يطعن به في القران وقدره في نفسه وهياه فقتل كيف قدر
تعجب من تقديره ورميه لغرض الذي كانت تنتحيه او ثناء عليه استهزاء به لاصابته اقصى ما يمكن ان يقال ذلك
عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ثم قتل كيف قدر

كر

كرر للمبالغة وصيغة ثم مؤذنة بانه ابلغ مما قبله وفي ما بعده على اصلها ثم نظر في شان القران مرة بعد اخرى ثم عبس وبسر
اي قطب وجهه وزاد كلوحا اذ لم يجد ما يطعن به فيه ولم يدر ما يقول ثم ادبر عن الحق واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء مؤذنة بانه لما خطر بباله القول تفوه به من غير تلبث وقال عتبة
ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والله لقد سمعت اي منه صلى الله عليه وسلم قولا والله ما سمعت مثله قط كرر
القسم تاكيدا لنفي سماعه مثل ما سمع منه صلى الله عليه وسلم من القران ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وفي
حديث ابي ذر هو الغفاري الذي رواه مسلم ووصف حال من ابي ذر اي واصفا اخاه انيسا والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا مفاعلة من المناقضة والمراد رده اي نقض قولهم ونقضوا قوله
وردادهم وردوه فغالبهم في الجاهلية انا احدهم ومنه حديث نقض الوتر اي ابطاله وشفعه بركعة لمن يريد
ان يتنفل بعد ان اوتر وانه اي انيسا انطلق الى مكة وجاءني بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس
اي فيه صلى الله عليه وسلم قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة ما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم جمع قرء بالفتح اي طرقه وانواعه وبحوره وعن الزمخشري هي قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر
التي ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما لانها مقاطع الابيات وحدودها انه اي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لصادق فيما قاله عن ربه وانهم لكاذبون فيما رموه به من الاباطيل والاخبار في هذا الذي ذكره صحيحه كثيرة
على اختلاف انواعها وتراكيب والاعجاز عن معارضته شيء من القران كان بكل واحد من النوعين اللذين احدهما الايجاز
والبلاغة بذاتها المعبر عنه فيما مضى بصورة نظمه العجيب وثانيهما ما عبر عنه هنا بقوله او الاسلوب الغريب بذاته
ان كان بذات كل واحد منهما بانفراده اذ كل واحد منهما اي من صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب باشتماله على
دقائق واسرار وخواص خارجة عن طوق البشر نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما
اي بنظم عجيب واسلوب غريب مشتملا مع الايجاز على ما ذكر اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها
وكلامها والى هذا القول المؤذن بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته ذهب غير واحد من المحققين بسلامة فطنته
وصحة ذوق وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب اي بهما لا بكل واحد منهما
منفردا ولحصوله بهما وترتبه عليهما جعلهما ظرفا له تشبيها لتمكنه حصولا بهما تمكن المظروف ثم استعار له في الظرفية
المجموع الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى في الظرفية تبعا واتى على ذلك الذي ذهب اليه من ان الاعجاز في مجموعهما
بقول يمجه من مج الماء اذا القاه من فيه اي تقذفه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه من كون كل واحد
منهما بذاته منفردا خارجا عن قدرة العرب مباينا لفصاحتها وكلامها والعلم بهذا كله ضرورة قطعا لمشاهدة ما يدرك
الذوق من ان وجه الاعجاز امر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة ولا يوصف ولا طريق اليه الا طول خدمة من جمعهما
اعني المعاني والبيان بمعونة فيض الهي يورث العلم بكون ذلك ضرورة قطعا ومن تفنن في علوم البلاغة هي ملكة يقتدر
بها على تادية المعنى مستوفيا حق خواص تراكيبه وايراد انواعه التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وعلومها
المعاني والبيان ومتممهما اعني البديع وهي مشتركة في كونها معرفة قوانين بها يحترز عن الخطا اذ يحترز بالمعاني
عنه في افادة الكلام معناه على ما يقتضيه الحال وبعلم البيان عنه في تادية معناه بطرق مختلفة في وضوح
دلالته عليه مطابقا لمقتضى المقام وبعلم البديع عنه في طرق الفصاحة ايما وتحسينا وتزيينا بابداع يورث
الكلام حسنا وقبولا ثم الخطا ان كان لجهل بمعرفة مطابقة الكلام لمقتضى الحال او لخلل في التركيب بمخالفة فقد هو
مقتضاها فمعرفة الاحتراز عنه هو المعاني وبلزومه من طرق تاديته لخلل في الدلالة بمخالفة وضوح او
خفاء فمعرفة البيان او بما يتبعهما من طرق التحسين والتبيين فمعرفة البديع وموضوع الثلاثة الخبر والطلب

فيها موضوعا المعاني من حيث الافادة والبيان من حيث الدلالة والبديع من حيث التبيين والتزيين فتمايزها
بكون المقتضي اما افادة او دلالة او تبيينا وتزيينا اي ومن صار ذا فنون من علومها ومهر فيها وارهف خاطره
ولسانه من رهف السيف وارهفه فهو مرهوف ومرهف اي رق حواشيه ادب هذه الصناعة فاعل ارهف
بكثرة ممارستها وطول خدمتها حتى صارت له بديهة لم يخف عليه ما قدمناه من ان كلامهما نوع اعجاز بذاته
منفردا على التحقيق ومنه حديث صعصعة بن صوحان اني لا اترك الكلام فما ارهف به اي لا اركب البديهة
ولا اقطع القول بشيء قبل ان اتامله واختلفت ائمة السنة في وجه عجزهم فاكثرهم يقول ورده معارضا
تصوير الحالة تكلمهم لسامعه كانه بصره اياها طالباته مشاهد لها انه اي وجه عجزهم انما هو مما جمع
في قوة جزالته من بدائع لطائف المعاني وروائع اسرار النكت التي لا تتم الاحاطة بها الا لعلام الغيوب
ونصاعة الفاظه لخلوصها من شوائب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة وحسن نظمه وايجازه لبروزها
من عليم بوجوه سحر البلاغة خبير بافانين الكلام بصير باقتضاب مقتضيات الاحوال والايجاز بورود كل تركيب
على حاق معناه وفصوص جواهر توابعه وبديع تاليفه واسلوبه لنسجه على منوال الجهات حسن انيق ومزايا
سرية لما اكتسى بفخامة جزالة وبلاغة ايراد في كل مقام مقتضاه واسلوبه واحد اساليبه وهي اجناسه
وطرقه لا يصح ان يكون في مقدور البشر لاشتماله على لطائف سحر رفعت شانه في باب البلاغة الى ان خرج
عن طوقهم وانه من الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها لحيازته بدائع شان البلاغة وافتلاذه افانين
عيون فنون البراعة مما يعجزون عنه كاحيا الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصا مما لا يقدر عليه بشر
وذهب ابو الحسن امام السنة علي بن اسمعيل بن اسحاق بن سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن موسى العراقيين بلال
ابن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري الى انه اي القران مما يدخل مثله تحت مقدور البشر ممن هو انسان معني
وله مزيد علم بجهات الكلام ساحر في اقتضاب وجوه البلاغة ما هو في افانين السحر نظما ونثرا ويقدرهم الله عليه
لانه من جنس نتائج افكارهم وكرائم خواطرهم ولكنه الضمير للشان لم يكن هذا هو الشان اي الشان عدم قدرتهم
عليه فمنعهم الله منه هذا وعجزهم عنه وهذا هو القول بالصرفة وقد مر انه مرجوح وعلى الطريقين من كونه
معجزا بذاته وبتعجيز الله اياهم فعجز العرب ثابت مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم على اطفاء نور ما جاء به واقام الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدورهم على ما ذهب اليه الشيخ ومتابعوه وتحديهم مصدر اضيف الى مفعوله اي
وطلب رسول الله منهم ان ياتوا بمثله قاطع لا ريب فيه وهو اي تحديهم ان ياتوا بمثله مع كونه مما يصح ان يكون
في مقدورهم ابلغ في التعجيز عن معارضته واحرى بمهملتين اي واولى بالتقريع والتوبيخ والتسجيل عليهم بالعجز
والاحتجاج عليهم بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم على القول بانه معجز بصورة نظمه العجيب
واسلوبه الغريب وكل منهما كامر معجز بذاته وهو اي كونه ليس من قدرة البشر اظهر اي اغلب اية للايات
الباهرة لارتفاع شانه في باب البلاغة في عبارته شرف لطائف الاعتبارات وارادة على انحاء مختلفة بحسب
مقتضيات احوالها لا ترى شيئا منها يراعي في كلام بليغ من وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى فيه من الطف
وجه واقع دلالة لهم على الاقدام على معارضته مع ما لهم من قدم صدق في منهج البلاغة وعلى كل حال من قولي
الاعجاز بالصرفة وبالذات فما اتوا اي ذلك بمقال من موصوف ولا صفة بل صبروا على الجلا اي الخروج من مواطنهم
بالاهل والمال والولد وصبروا ايضا القتل تفاديا بهما من الانقياد له حسدا وحرصا على العناد بغيا ولددا
وتجرعوا كاسات الصغار والذل اي شربوا ما فيها منها جرعة لجرعة فشبهها بالخمر لا يكاد يساغ بشاعة
على طريقة الاستعارة المكنية مثبتا لها الكاسات تخييلا والتجرع ترشيحا وكانوا من شموخ الانف اي ارتفاعه

كبرا

كبرا وعتوا وكانوا من اباء الضيم تحاميا عنه وتباعدا منه وتجنبا له بحيث لا يوثرون ذلك اي الضيم اختيارا من انفسهم
ولا يرضونه الا اضطرارا والجا اليه وقسرا والا اي وان لم يكن الامر من عجزهم وصبرهم كما ذكر فالمعارضة للقران
الكريم لو كانت من قدرهم اي مقدورهم اطلاقا للعلة على معلولها والشغل بما هو اهون عليهم واسرع بالنجح
بامتثالها افاويق مجهودهم واستيعابه فيها وقطع العذر والجام الخصم اي اسكاته باعجازهم اياه لديهم اي عندهم
وهم من قدرة تمييز للضمير المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم لو سمحت استقرها ما اشعر بعلو شان القران
الى ان جاوز قدرتهم فلم ياتوا في معارضته ببنت شفة متسمين بانهم النهاية في القدرة على الكلام بلاغة وبراعة باستقا
فطنة وسلامة فطرة وفرط ذكا وصفا قريحة وقدوة في المعرفة لجميع الانام لحيازتهم مزايا ملكات العقل الهادي الى النجاح
لا توابا تحد وابه ولم يصبروا على هوان وهذا جواب لو حذف من الكلام وما منهم الا من جهده استثنا مفرغ من عام
واستنفد بالدال المهملة اي استفرغ ما عنده من قوة طاقته في اخفا ظهوره اي القران والنبي صلى الله عليه وسلم
واطفا نوره ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فما جلوا اي فما اظهروا في ذلك مما اجتهدوا فيه خبية من بنات
شفاهم اي من كلماتها اضافها اليها لخروجها من بينها تشبيها لها على طريقة الاستعارة المكنية بنسوة حوامل والنتاج البنات
عيلا ولا اتوا بنطفة من النطف وهو الصبا اي بقطرة يسيرة من معين مياههم هو في الاصل الما الجاري ظاهرا شبه به
ما طولبوا به معارضة فاستعار له اسمه استعارة تحقيقية قرنها بالنطفة ترشيحا للمجاز مع طول الامد في طلب المعارضة
منهم وكثرة العدد اذ كانوا اوفر عددا من حصى البطحا وتظاهر الوالد وما ولد اي تعاونهم وتعاضدهم بل ابلسوا
اي دهشوا فوجموا واستحسروا ايسين فما نبسوا اي ما نطقوا بشيء مما طولبوا به معارضة ومنعوا بما اشتمل عليه
من قوة جزالة ونصاعة لفظ وحسن نظم وايجاز انيق فانقطعوا ولم ينهض لمقدار سورة منهم ناهض بهذا ان اي موقع
نظمه العجيب واسلوبه الغريب نوعان من الاعجاز لم يتباينا **فصل** الوجه الثالث من وجوه الاعجاز اي اعجاز
القران الكريم ما انطوى عليه من الاخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر بالمغيبات مما كان ووقع من القرون الماضية وما
لم يكن ولم يقع فيما مضى من الزمان فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جواب قسم
اما محذوف دل عليه اللام لقد صدق الله رسوله الرؤيا او مذكور وهو قوله بالحق اي بالحق الذي هو نقيض الباطل او الذي هو
من اسما الله ان شاء الله تعليق لعدته بالمشية تعليما للعباد او تلويحا بان بعضهم لا يدخله لموت او غيبة او حكاية لما قاله
ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه امنين حال من واو لتدخلن والشرط اعتراض بينهما وقوله وهم من بعد غلبهم
من اضافة المصدر الى المفعول اي والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس وكانوا مجوسا لا كتاب لهم في بضع سنين
اذ قد احتربت والروم باذرعات وبصرى ادنى ارض العرب او بالجزيرة ادنى ارض الروم من فارس فغلبوهم وورد الخبر مكة
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواننا على
اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس في بضع سنين فقال له ابي
ابن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك اجلا فراهنه على عشرة قلايص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر
رسول الله فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي بعد قفوله
من احد بجرح من النبي صلى الله عليه وسلم لشرف كافرا كامر وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر القلايص
من ورثته ابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق بها وبه اخذ الحنفية جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب
بانه كان قبل تحريم القمار وقوله ليظهره اي دين الحق على الدين كله اي ليغلبه على كل دين باظهار ما هو حق وبتسليط المسلمين
على اهله فما من دين الا والدين الاسلام واهله العزة والغلبة ولغيره الذل والقهر وكله تاكيد لما وعده من الفتح وقوله
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب لرسوله ولامته ومن معه بشهادة من البيانية ليستخلفنهم لامته ودونه تلقي بها

القسم اما محذوف تقديره وعدهم الله واقسم او نزل الوعد لتحققه منزلة القسم فتلقي بما كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم في الارض
وقوله اذا جاء نصر الله اياك على اعدائك والفتح فتح مكة وقيل جنس الله للمومنين وفتح مكة وغيرها من البلاد عليهم وعدل عن
الحصول الى المجي تلويحا بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فترقب
وروده واستعد لشكره ورايت الناس يدخلون مفعول ثان لرايت على انه بمعنى علمت وحال على انه بمعنى ابصرت اي داخلين
في دين الله افواجا جمع فوج اي جماعات كثيفة كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن بعد واحد او جماعة قليلة فسبح بحمد ربك
اي فتعجب من تيسير الله ما لم يخطر ببال حامدا له او فصل له حامدا له على مزيد نعمه روى البخاري وغيره انه لما فتح مكة
بدا بالمسجد فدخل البيت وصلى فيه او فنزهه عن قول الظلمة فيه حامدا له على ان صدقك وعده او فاثن عليه بصفات
الجلال حامدا له على الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك وعنه صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم
والليلة مائة مرة انه كان منذ كلف المكلفين توابا لمن استغفر منهم والاكثر على انها نزلت في فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال له ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فكان جميع هذا الاخبار
به كما قال ومن اعلام النبوة تغلبت الروم فارس في بضع سنين يوم الحديبية قبل عند راس سبع سنين ودخل الناس في الاسلام
افواجا فانه صلى الله عليه وسلم لم يبق في بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المومنين في الارض ومكن فيها دينهم الذي
ارتضى لهم وهو دين الاسلام اي ثبته ووطده وملكهم اياها من اقصى المشارق والمغارب قدم المشارق على المغارب اقتداء بكتاب
الله وحديث رسوله كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ثوبان زويت اي جمعت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم به صلى الله عليه وسلم بمثل يا ايها الذي
نزل عليه الذكر ومن ثم اكد عليهم انه المنزل له وقدره بقوله وانا له لحافظون من التحريف والزيادة والنقص جعله معجزا مباينا
لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه على اهله فكان كذلك محفوظا في كل زمان لا يكاد يعدم من سعى في تغييره وتبديل محكمه الذي هو
خلل لفظا ولا معنى من الملحدة بل يعد منهم ويحتمل ان يكون بيانا لمن لخبر كاد محذوف وان يكون خبرها وهي بمعنى لا يزال يعدم من
الذين يميلون عن الاستقامة في اياته طعنا وتحريفا والقاء وتاويلا باطلا ويعدم من المعطلة لها بذلك عن العمل بها على وجه الحق
وبانحرافه عن الاستقامة وتعطيلهم اياها بما ينفي العمل بها حقا لا سيما القرامطة بجوز كسر نعم ما بعد سيما على انها بمعنى مثل وما
موصولة صلتها محذوفة اي ولا مثل الذين هم القرامطة وجره على ان ما زائدة ونصبه على انها اداة استثناء فانهم قد اجمعوا
كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا بفتح نونه وسكون يائه او كسرها مشددة اي زيادة على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء
شيء من نوره بمثل حالهم ساعين في تحريفه وتبديله والقائلين له بحال من اراد اطفاء نور عظيم منبث في الافاق ولا قدروا على
تغيير كلمة من كلامه لمباينته كلام البشر ولا قدروا على تشكيك المسلمين في حرف من حروفه لحفظ اهله له في قلوبهم في كل
زمان ومنه اي من اعجازه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر افرده مريدا به الجنس اي الادبار لمشاكلة القراءة به وكان يوم بدر
وعن عمر لما نزلت لم اعلم ما هو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبس درعه يقول سيهزم الجمع فعلمته
وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم واسرا وينصركم عليهم ويشف اي يطهر دين الحق صدور قوم مومنين هم
خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بطون من اليمن وسبا وردوا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصبروا فان الفرج قريب وقوله هو الذي ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله لام الدين للجنس اي على جميع الاديان وينسخها ولو كره المشركون والاية كالبيان لقوله قبلها ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون لشهادة تكرير ولو كره وغاير بينهما لفظا تلويحا بانهم ضموا الكفر بالرسول الى الاشراك بالله وقوله لن
يضروكم الا اذى اي ضررهم اياكم مقصور على كونه اذى اي الا ضرارا يسيرا كتهديد وطعن في الدين وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار منهزمين ولن يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون منصرا حد لهم عليكم او يدفع باسكم عنهم وقد عطف على جملة الشرط

وجزائه ولم يجزم عطفا على الجزاء لعدوله عن حكمه الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ان قاتلوكم انهزموا ثم اخبركم بانهم لا ينصرون منتفيا
عنهم النصر مطلقا فليس نفيه عنهم مقيدا بقتالهم كما قيد به تولي الادبار وثم للتراخي في الرتبة لان خذلانهم اعظم من انهزامهم
فكان كل ذلك من هزم جمعهم وتعذيبهم بايدي المومنين وشفاء صدورهم بنصرهم عليهم واظهار دينه على الدين كله وما كان
ضررهم لهم الا اذى وان قاتلوهم ولوا الادبار كبني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ومافيه اي القران من اسرار
المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وما فيه تقريعهم مصدر مضاف الى مفعوله اي ومن توبيخ الله اياهم بذلك اي
بسببه كقوله ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بقولنا ما محمد ان كان نبيا لا يدعو
علينا حتى نعذب حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير وبقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون
قبله اي مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب يقولون بدل من يخفون او استيناف على وجه
البيان له اي يقولون في انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض لو كان لنا من الامر شيء كما زعم محمد ان الامر كله لله ولاوليائه فانهم حزبه
هم الغالبون ما قتلنا هاهنا اي في المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر
الله عليهم القتل وكتبه في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفعهم اقامتهم في المدينة ولم ينج منهم احد فان تقدير الامور في سابق قضاء
فلا معقب لحكمه وقوله من الذين هادوا مستقطع عما قبله خبر سماعون للكذب اي من اليهود قوم سماعون له عطف على من
الذين قالوا والخبر مبتدا محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد لتضمن
السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه احبارهم او للعلة والمفعول محذوف اي كلامك ليكذبوا وقوله من الذين
هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا لانه محتمل لغيرهم وما بينهما اعتراض او لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا
او خبر لمحذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي منهم قوم يميلونه عن مواضعها التي وضعها الله فيها بازالتها
منها واثبات غيرها فيها او يولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزلها الله فيه ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي غير مسمع دعاء عليك بلا سمعت بصمم او موت او غير مجاب الى ما تدعوا اليه او كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك
عنه فيكون غير مسمع مفعولا به او غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما اوردوه محتملا وجهين نفاقا وراعنا
محتمل انظرنا نكلمك ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها راعينا سخرية وهزاء به صلى الله عليه وسلم
يكلمونه بمحتمل يريد ونية شتمه وتحقيره اكرامه وتوقيره ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلم الى ما يشبه السب بوضعهم
راعنا المشابهة لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها بما يظهرونه من الدعاء
والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين استهزاء وسخرية وقال اي الله مبديا حال من ضمير قال وقعت وما بعده
اعتراضا بين قال ومقوله اي مظهرا ما قدره واعتقده المومنون يوم بدر زمن الظفر باحدى طايفتي العير والنفير واذ
يعدكم الله احدى الطائفتين ثاني مفعولي يعدكم انها لكم بدل منها وتودون ان غير ذات الشوكة التي هي العير والشوكة الحدة
استعير لها اسم واحدة الشوك استعارة تحقيقية مطلقة تكون لكم تمنوها لانها لا حدة فيها ولا شدة اذ لم يكن فيها الا اربعون
فارسا وكرهوا ملاقاة ذات الشوكة التي هي النفير لكثرة عدده وعدده ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويغلبه بكلماته المنزلة في
محاربة ذات الشوكة او باوامره للملائكة بالامداد للنصرة والقتل والاسر ويقطع دابر الكافرين اي يستاصل شافتهم اي انتم
تريدون العاجلة ولا ترون مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم عزا وفوزا في الدارين ومنه اي من اعجازه انا
كفيناك المستهزئين تقدم بيان ما هلكوا به وهم من اعلام الكفرة الوليد بن المغيرة والعاصي بن وايل وعدي والحارث
ابن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن اسد وقيل وعمه ابو لهب وعقبة بن ابي معيط والحكم بن ابي
العاص وقد اسلم يوم الفتح وروى الطبراني في الاوسط لما نزلت فيهم هذه الاية بشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بان
الله كفاه اياهم ورواه البيهقي وابو نعيم بمعناه وكانوا ايمة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وتم نوره وسطع واظهر

دينه على الدين كله وقوله والله يعصمك من الناس عدة من الله وضمان له منه وعصمة روحه من غوائل اعدائه وازاحة لمعاذير
فكان كذلك كما اخبر به من لا خلف في اخباره على كثرة متعلق بكان اي فكان اخباره بكفايته ووعده بعصمته مستعليا على وفور
رام ضرره وقصد قتله **فصل** الوجه الرابع من وجوه انواع اعجاز القران ما انباه من اخبار القرون السالفة والامم
الماضية غابرة لا نقضا واطنابا لاقتضاء المقام ذلك والشرائع الداثرة اي المندرسة للنسخ وغيره من دثر اذا درس وعفا
هبوب الرياح مما كان لا يعلم القصة الواحدة الا الفذ بمعجمة مشددة اي الواحد وقد فذ عن اصحابه اذا شذ عنهم
وبقي فردا وفي حديث الحمر ما انزل علي فيها الا هذه الاية الفاذة الجامعة اي المفردة في معناها من احبار اهل الكتاب اي
علمائهم جمع حبر فتحا وكسرا الذي يقطع عمره في تعلم ذلك اي ما ذكر من القصة فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه
اذ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويأتي به على نصه كما قراه عليه جبريل من نصصت الحديث اذا رفعته
وعن عمرو بن دينار ما رايت انص للحديث من الزهري اي ارفع له واسند فيعترف العالم بذلك الذي اورده بصحته وصدقه
ويعترف ايضا ان مثله لم ينله النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم بل بوحي وفهم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي
لا يقرا ولا يكتب تفسير لامي اذ هو من لا يحسنهما ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة بمثلثة وقاف بينهما الفاء اي ولا بمجالسة
احد ملصقا ركبته من اجابر ركبته للتعلم لم يغب صلى الله عليه وسلم عنهم غيبة يمكنه التعلم فيها ولا جهل حاله احد
منهم مذ كان صغيرا الى ان ارسل وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما نصب على الظرف لانه من صفة الاحيان اي في كثير من
الاحيان او صفة لما اشتق منه الفعل وما مزيده لتاكيد معنى الكثرة اي يسالونه سؤالا كثيرا عن هذا اي عن اخبار
القرون الماضية فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم في القران على اختلافها
لفظا واعجازا وخبر موسى والخضر اي معه في سورة الكهف ويوسف واخوته يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون
ويشجر وامهم ليا ودان ونفتالي وجاد واشر من سريتين هما زلفه وبلهه وتوفيت ليا فتزوج اختها راحيل فولدت
له يوسف وبنيامين في سورته واشباه ذلك من الانبياء كخبر نوح وولده وولدي ادم وبدء الخلق فان ذلك مذكور
فيه وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء حين تلاه عليهم ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها مصدر مضاف الى مفعوله اي على تكذيبه في شيء ذكره منها بل اذعنوا اي انقادوا له لعلمهم بصدقه فمن
موافق آمن به وصدقه فيما جاء به بما سبق له في الازل من سابقة خير ومن شقي معاند حاسد لم يصدقه بما سبق له في الازل
من سابقة شر ومع هذا لم يحك عن واحد لم يرد به واحدا معينا لوقوعه نكرة في حيز نفي اورثه عموما من النصارى واليهود
على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه رفضا للحق وانفة من اتباعه لحسد واختيارا تاما مبينا وطول احتجاجه عليهم
بما في كتبهم مما اورث العلم بانه رسول الله الى كافة الناس وتقريعهم اي توبيخهم وتبكيتهم ردعا لهم بما انطوت عليه مصاحفهم
من الاعلام بصحة ما جاء به جمع مصحف لعله بمعنى صحيفة واحدة الصحف وكثرة سؤالهم له وتعنيتهم اياه اي تكليفه بما
يشق عليه من العنت بمعنى المشقة بكثرة سؤالهم له عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم من الاخبار
التي غفل علمها عنها واعلامه لهم بمكنون شرائعهم اي بمخفيها ومستورها عنهم ومضمنات كتبهم من الاحكام والامثال والمواعظ
وغيرها المشتملة هي عليها ومثل سؤالهم اياه على لسان قريش اذ قالوا لهم سلوه عن الروح كما رواه الشيخان وذي القرنين
واصحاب الكهف فيما رواه ابن اسحق والبيهقي فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن البعض فهو نبي
فبين لهم كما رواه الشيخان قصتي اصحاب الكهف وذي القرنين وابهم امر الروح كما هو مبهم في التوراة وسؤالهم له عن عيسى
وحكم الرجم وتبيين لليهود ذلك وعن ما حرم اسرائيل كما رواه الترمذي على نفسه من لحوم الابل والبانها في قوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فبينه لهم فاستعضوا واشمازوا منه واحتج به من جوز الاجتهاد
للانبياء ولم يستبعد ان يكون تحريمه ذلك باذن الله فهو كتحريمه ابتداء وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات احلت لهم فحرمت عليهم

من

من قبل ان تنزل التوراة ببغيهم وظلمهم عقوبة لهم وتشديدا عليهم وذلك رد لزعمهم براءة ساحتهم مما نعي عليهم قوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى اخره وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى ذلك جزيناهم ببغيهم اذ قالوا لسنا
اول من حرمت عليه بل كانت محرمة على من قبلنا كنوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا ورد لقولهم النسخ
ودعوى نبينا موافقة ابراهيم في تحليل لحوم الابل والبانها ومثل قوله ذلك اي سيماهم في وجوههم من اثر السجود واشار الى مثلهم
بفسره كزرع مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل اي وصفهم العجيب الشان فيهما فاجابهم عن ذلك كله وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك
انه اي لم يحك ان احدا انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه
كاهل نجران حين حاجوه في عيسى فدعاهم الى المباهلة وابن صوريا وقد اسلم دونهم وابني اخطب وغيرهم من اليهود والنصارى
ومن باهت في ذلك اي فيما لم ينكر ولم يكذب فيه بعض المباهتة ان فيما عندهم مما حكاه صلى الله عليه وسلم مخالفة لما
ودعى من جانب ربنا تعالى الى اقامة حجته وكشف دعوته ان عنده فيما حكاه مخالفة لموافقته لابراهيم في تحليل لحوم الابل
والبانها فقيل له صلى الله عليه وسلم قل لهم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين امر له بمحاجته لهم بكتابهم وتبكيتهم بما
فيه من ان تحريم ما كان حلالا لهم انما كان بسبب ظلمهم وبغيهم وروي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان ياتوا بها
وهذا برهان بين على نبوته فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك حرم على بني اسرائيل وعلى من قبلهم قبل نزول التوراة من بعد
ذلك اي بعد الزامهم الحجة فاولئك هم الظالمون بعدم انصافهم من انفسهم ومكابرتهم الحق بعد ما استبان فقرع ووبخ ودعا
الى احضار ممكن غير ممتنع وهو الاتيان بالتوراة فلم ينهض منهم لذلك ناهض فمن معترف بما جحده ومتواقح قوي الوجه لا حياء
فيه يلقي على فضيحته الكاشفة لعيبه التي هي من كتابه يده وهي اية الرجم سماها اطلاعه سبب هتكه ولم يؤثر ان واحدا منهم
اي من اهل الكتابين اظهر خلاف قوله صلى الله عليه وسلم من كتبه ولا ابدى جمع بينهما تفننا وتزيينا اي ولا اظهر صحيحا ولا
سقيما من صحفه جمع صحيفة وهي الكتاب وفي حديث عيينة بن حصن انه صلى الله عليه وسلم كتب له كتابا فلما اخذه قال
يا محمد اتراني حامل الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس هو شاعر معروف واسمه عبد المسيح بن جرير قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو
ابن هند فنقم عليهما امرا فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يامره بقتلهما واعطى كلا صحيفة وقال اني كتبت لكما بجائزة
فاجتازا بالحيرة فقرا المتلمس صحيفته فاذا فيها هي الامر بقتله فالقاها في الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرا صحيفتك
والقها فابى فقال كصحيفتي فابى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا قال تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد
لارادة الجنس قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كصفته صلى الله عليه وسلم
واية الرجم مما في التوراة وبشارة عيسى به مما في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم تضطر اليه او عن كثير منكم لا
يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشكوك والمبين للاعجاز وبلاغة
الاعجاز يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد من اتبع رضوانه سبل السلام اي من تبع رضاه بالايمان طرق السلامة
من كل مكروه ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من انواع الكفر الى الايمان باذنه اي بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط
مستقيم اي طريق هو اقرب الى الله وموصل اليه لا محالة **فصل** هذه الوجوه الاربعة المارة في فصولها متوالية واشار اليها
بما للقرب لقربها من هذا الفصل من اعجازه اي اعجاز القران بينة لا نزاع فيها ولا مرية فيها لاحد ومن الوجوه البينة في اعجازه
بما اشتمل عليه من اساليب بديعة توصل الى الذروة العليا الا ترى كلاما احسن ديباجة ورونقا وبلاغة منه من غير هذه
الوجوه اي وردت بتعجيز قوم باعيانهم في قضايا معينة واعلامهم انهم لا يفعلونها بقوله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا على
ذلك مما ذكر من القضايا كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة اي الجنة عند الله خالصة حال من الدار اي خاصة بكم
كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا من دون الناس اي باقيهم والمؤمنين فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في قولكم لان من
ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص من دار الشوائب اليها ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم مما اورثهم الردي

والتردي في مهاوي النار كالكفر به صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وتحريف التوراة فهي من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان
كما اخبر اذ لو تمناه احد منهم لتوفرت الدواعي على نقله واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى ولو كان من عمله لقالوا قد
تمنينا قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه اي الله تعالى قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم وروى البيهقي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم بلفظ والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه وغص بمعجمة مفتوحة فمهملة لا
بضمها لانه لازم لا يبنى للمفعول ورواه احمد بسند جيد عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا فصرفهم
الله عن تمنيه وجزعهم اي ادخل قلوبهم الخوف ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم حذر الموت
وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا والجملة حالية من الضمير قبلها ولكن الله يفعل ما يريد من خير وشر فظهر بذلك اي
بصرفهم مع كونهم على تكذيبه احرص معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه الضمير للشان كانه قال
ان الشان لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله نبيه بقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة الى قوله فتمنوا الموت
يقدم عليه اي على تمنيه الموت ولا يجيب احد منهم اذا قيل له تمن الموت اليه وهذا اي امتناعهم من تمنيه مشاهد لمن اراد
ان يمتحنه منهم وكذلك الغاية المباهلة من هذا المعنى في عدم الاجابة الى ما دعي اليه حيث وفد عليه اساقفة نجران جمع
اسقف بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء رئيس النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلدة بين مكة
واليمن على نحو سبع مراحل من مكة وابوا الاسلام وكانوا ستين راكبا منهم اربعة عشر رجلا ثلاثة منهم مرجع امرهم اليهم
العاقب واسمه عبد المسيح اميرهم والسيد واسمه الايهم ثمالهم اي ملجاهم ومعتمدهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم
فانزل الله اية المباهلة اي الملاعنة بقوله فمن حاجك فيه اي في عيسى وانكر خلقه كآدم بلا اب وزعم انه اله يعبد فقل
تعالوا اي هلموا بالعزم والراي ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا نفسه واعز
اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة فيقدمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدافعته عنهم ثم نبتهل اي
نتباهل والبهلة فتحا وضما اللعنة فنجعل لعنة الله على الكاذبين فيقال اذا حلف في امر بهلة الله اي لعنته وبعده من
رحمته على الكاذب منا ومنكم روي انه دعاهم الى المباهلة فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبي وقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما لاعن قوم نبيا فبقي كبيرهم وصغيرهم فان ابيتم الا الف
دينكم فوادعوه وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسينا اخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي وراءه وعلي وراءها وهو يقول اذا
دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا
فتهلكوا فاذعنوا له وبذلوا له الجزية كل سنة الفي حلة وثلاثين درعا من حديد فقال والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران حتى الطير على الشجر ومثله اي مثل كون فمن حاجك فيه
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا بيان لما هو حجة على اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم كما مر ولما يدحض الشبهة
في كون القران معجزا اي ريبتم فيما نزلناه على مهل وتدريج فاتوا بسورة من مثله اي على صفته في البيان الغريب وحسن
النظم وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا غير الله يشهدوا لكم ان ما تزعمون حق وهذا تعجيز لهم وبيان لاعجازهم وان الحجة
قد بهرتهم فلم تبق لهم متشبثا ان كنتم صادقين في دعواكم فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم بجملة اعتراضية بين
الشرط وجزائه انهم لا يفعلون كما كان عدم فعلهم اي فان لم تعارضوه وبان انه معجوز عنه ووضح الحق ووجب الاذعان
فاتقوا النار بالايمان مذعنين وكفى به شاهدا اصدق على ثبوت نبوته وصحة كون المتحدي به معجزا والاخبار بانهم لن
يفعلوا وهذه الاية ادخل في باب الاخبار بالغيب من حيث انه نفى عنهم صدور ما طلب منهم تحديا في المستقبل ابدا ولكن فيها
من التعجيز لقريش ما في التي قبلها من التعجيز لنصارى نجران اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابى وزعم فطولب بمصداقه فعجز

فصل ومنها اي من وجوه اعجازه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه مصدر اضيف الى مفعوله
اي عند سماعهم اياه والهيبة التي تعتريهم اي تغشاهم ساحة قلوبهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره اي رفعة
قدره وعظم محله وهي اي الروعة او تلاوته على المكذبين به اعظم منها على المؤمنين به حتى كانوا اي المكذبون به يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا هربا من استماعه كما قال تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم اي رجعوا على
اعقابهم نفورا مصدر بمعنى التولية اي ولوا تولية لعدم ذكر الهتهم معه ويودون انقطاعه تلاوة لكراهتهم له ولهذا
اي ولودادهم انقطاعه لكراهتهم له قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير ان القران صعب
مستصعب اي شديد على من يكرهه وهو اي القران الحكم بفتحتين اي الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر المبين
لكل نفس جزاء ما عملت من خير او شر او الدال على ذلك بنصب الادلة والامارات الدالة عليه او المميز بين السعيد والشقي
بالاثابة والعقاب واما المؤمن به فلا تزال روعته به اي روعة القران بالمؤمن وهيبته اياه مع تلاوته توليه
من اولاه اذا اعطاه ابتداء من غير مكافاة اي يعطيه انجذابا وتكسبه هشاشة اي فرحا واستبشارا وارتياحا لميل
قلبه اليه اي الى القران وتصديقه به قال تعالى تقشعر من القشع وهو الجلد اليابس زيدت فيه الراء ليصير رباعيا كما زيدت
في قمطر وهو الشديد اي تشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم خوفا مما فيه من الوعيد وهو تمثيل بتصوير الشدة خوفهم
وافراط خشيتهم فانهم اذا سمعوا القران وايات وعيده عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم انقباضا شديدا ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة ولم يذكر الرحمة مع ذكر الله ايذانا بانها اصله وانها سبقت غضبه فاذا ذكر لم
يخطر قبل الا كونه رحيما فيزول عنها ما كان بها من الخشية الموذنة بذكر محلها وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله تفخيم للقران وتعظيم له وانه بحيث لو فرض انزاله على جرم من اعظم ما خلق من الاجرام
العظام واقواها واشدها وتصدع اي تشقق من خشية الله بما فيه من ايات وعيده فهو تمثيل لحاله لو فرض انزاله على
جبل بحالة تلاوة مؤمن له او لحالة جبل بحالة مؤمن تلي عليه فتدبره وتفكر فيه فاعترته روعة وهيبة اورثته خشوعا
ورهبة من خشية الله وتلك الامثال اشارة الى هذا وغيره من امثال القران نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به
توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوته وتدبر قوارعه وزواجره ويدل على ان هذا اي ما يغشى
قلوب سامعيه واسماعهم شيء خص به دون سائر كتب الله وصحفه انه يعتري من عراه يعروه اذا اصابه اي يصيب من
لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ يتلو القران فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال
للشجى والنظم الانيق السري الذي لا يرام اي للحزن الذي اصابه من استماعه فرق قلبه وخشع يقال اشجاه يشجوه اذا احزنه
ويشجيه اذا اغصه ومنهما معا شجي بالكسر يشجى شجا وهذه الروعة قد اعترت اي اصابت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم
من اسلم لها اي للروعة التي اعترته لسابقة سعادة لاول وهلة وامن به اي اول شيء والوهلة المرة من الفزع اي اول فزعة
فزعها من استماعه ومنهم من كفر اي دام على كفره فحكي كما رواه الشيخان في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا في المغرب بالطور اي بالسورة المسماة به فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء اي ام احدثوا وقدروا من
غير محدث ومقدر فلا يعبدونه ام هم الخالقون لانفسهم بلا مادة ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اذا قيل لهم من خلقكم
وخلقهما قالوا الله شاكين فيه ولو ايقنوا لما اعرضوا عن عبادته وام في الايتين وما بعدهما منقطعة والهمزة للانكار ام عندهم
خزائن ربك اي خزائن رزقه حتى يعطوا النبوة من شاءوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم
المصيطرون اي الارباب الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاءوا كاد قلبي يطير فزعا مما اعتراه من الهيبة والروعة او
فرحا مما استهش قلبه وانق سمعه وسر نفسه باستماعه منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية اخرى وذلك اول ما وقر
الايمان في قلبي اي سكن وثبت فيه من الوقار وهو الرزانة والحلم وفي الحديث لم يفضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة

ولكن بني وقر في قلبه وفي رواية ولكن يسر وقر في صدره وروى البغوي في تفسيره عن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف
انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه مما لم يوافق ضلالهم واغراضهم العاطلة واعتقاداتهم الباطلة
فتلا عليهم حم فصلت الى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد قوم هود وثمود قوم صالح فامسك عتبة على فيه وناشده
الرحم اي ساله بالقرابة التي بينهم ان يكف تلاوته وفي رواية لابن اسحق في سيرته عن محمد بن كعب القرظي فجعل النبي يقرا
وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد وقام عتبة ورجع
الى اهله ولم يخرج الى قومه فاتوه فاعتذر لهم عن انقطاعه عنهم وعدم خروجه اليهم بما قال مؤكدا بالقسم والله
لقد كلمني يعني النبي صلى الله عليه وسلم بكلام ما سمعت اذناي بمثله قط لفخامة شانه وجزالة نظمه اذ لم يخف عليه
حسنه فما دريت ما اقول له فبهت الذي كفر فلم يهتد لما يقول والله لا يهدي القوم الظالمين وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته اي اصابته وغشيته روعة اي فزعة وهيبة كف بها ارهقه واعتراه من الروعة
عن ذلك فحكي ان ابن المقفع بميم مضمومة فقاف ففاء مشددة طلب ذلك اي معارضته ورامه اي قصده وشرع
فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك متقدم بيانه فمحى ما عمل معارضا له به وكان يحيى بن حكم بفتح المهملة
والكاف وفي المشتبه للذهبي بن حكيم بزيادة يا الغزال بتشديد الزاي وذكره الذهبي في قسم المخفف من المشتبه
بليغ الاندلس بفتح الهمزة والدال وقيل بضمها اقليم بالمغرب فحكي انه رام اي اراد وقصد شيئا من هذا اي مما ذكر
من المعارضة فنظر في سورة الاخلاص سميت به لما اشتملت عليه من المبالغة في التوحيد ليحذو على مثالها اي ليعمل
على مثلها وفي الحديث لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم كما يقطع احدى النعلين قدر الاخرى
والحذو التقدير والقطع وينسج بزعمه على منوالها المنوال الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب شبه ما رام عمله بنسج
النسيج على الاستعارة المكنية فاثبت له النسج تخييلا او شبه عمله بنسج الحائك ثم اشتق منه ينسج فوقعت الاستعارة
في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فاعترته خشية ورقة اي لين وضعف ضد القسوة والشدة حملته على التوبة
والانابة اي الاقبال على الله والرجوع اليه بالتوبة **فصل** ومن وجوه اعجازه كونه اية باقية دون كل معجزة في
جميع الازمان متلوة بين كتاب الله في كل مكان لا تعدم ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها مع تكفل الله بحفظه فقال تعالى
ردا لانكارهم واستهزائهم في يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ومن ثم اكده في قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
من التحريف والزيادة والنقص بحيث لا يخفى نقصه على اهله وقال لا ياتيه الباطل اي لا يجد اليه سبيلا ليتعلق به
وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها اي مضت وانقطعت بمضيها وانقطاعها فلم يبق الا خبرها مما نوى
بين الناس كانقلاب عصا موسى له حية واحياء عيسى الموتى باذن الله وخلق ناقة صالح من صخرة والقران العزيز اي المنيع المحمي
بحماية الله الباهرة اياته الظاهرة معجزاته لا تخفى ولا تجهل وفيه من صناعة البديع الجناس اللاحق باختلاف الباء والظاء
على ما كانوا عليه اول اليوم خبر المبتدا اعني القران وما بينهما صفات له مدة خمسمائة عام وثلاثين لاول نزوله الى
وقتنا هذا ومدة تسعمائة عام وتسع وثلاثين الى وقتنا هذا حجته قاهرة لمن تحدى بعجزهم مع مهارته وبراعته ولم
يات ببنت شفة اذ معارضته ممتنعة مما تلي عليك والاعصار كلها طافحة من طفح الماء اذا فاض اي مملوءة فائضة فشبه
الاعصار باودية امتلات مما تطفحت باهل البيان عارفي اسرار التراكيب ووجوهها بعد معرفة معاني الموضوعات وما
صدقاتها وحملة علم اللسان اي علم اللغة وائمة البلاغة ومرجعها كالمعاني والبيان ومتممها الفصاحة اللفظية
والمعنوية والبديع وفرسان الكلام شبهه في حسن نظمه وجودة تركيبه على طريقة الاستعارة المكنية بخيل جياد
مثبتا له الفرسان تخييلا وجهابذة البراعة جمع جهبذ والملحد مبتدا والواو للحال اي حال كون المائل عن الحق ظلما
وعدوانا واصل الالحاد الميل عن الشيء فيهم كثير خبره والمعادي للشرع عتيد اي قوي عتوا وتكبرا فما منهم من اتى بشيء

يوثر

يوثر في معارضته اي يروى عنه ومنه قول ابي سفيان في حديث هرقل لولا يوثر واعني الكذب لكذبت عنه اي يرووه ويحكوه
ولا الف كلمتين في مناقضته مفاعلة من نقض البناء اذا هدمه اي لم يجمع ما ينقضه به والمناقضة كالمراجعة عن
والمرادة ولا قدر فيه على مطعن صحيح اي لم يجد في القران محلا يتعلق به طعن لكونه في اعلى طبقات البلاغة لا ينبغي لها
ان يطعن فيه اذ ليس بطعنه له ولا قدح المتكلف في ذهنه اي في الطعن فيه الا بزند شحاح باخراج النار زنده وزندة فلم
يتم قدحه له الا بخزي هو من ظهر وخيبة طوقته وزمه من الماثور اي المروي عن كل من رام ذلك اي الطعن فيه الفا
في العجز بيده اي القى نفسه بها اي العجز وللزومه له جعله ظرفا له والنكوص على عقبيه اي الرجوع القهقري
عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه اي اعجاز القران وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله اي لا يسام منه ولا يضجر
وفي الحديث اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا اي لا يمل ابدا مللتم او لم تملوا فاجرى مجرى قولهم بيض الفار اذ
يريد بلا لا يبيض نفقة سحا الليل والنهار ولا يملكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا في رغبتكم اليه فسمي وتزهدوا ملالا على طريقة المشاكلة
كاني تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وسامعه لا يمجه المج في الاصل الطرح والقذف فشبه ترك سماعه معرضا عنه بمج الماء
اي صبه ثم اشتق منه يمج فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم جرت في الفعل تبعا بل الاكباب والادمان عليه يزيده حلاوة يجد
تاليه في نفسه وترديده يوجب محبته في القلوب لما اودعه من بدائع النظم ودقائق التركيب لا يزال غضا طريا اي لا تنقص
نضارة رونقه ونهارة بهجته وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن مبلغه حسب بلاغة مؤلفه وقوة براعته يمل مع الترديد
ويعادى اذا اعيد لشدة قولهم المعاداة معاداة وكتابنا المنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم يستلذ به اي يجد قارئه في
نفسه لذاذة فلا يوصف في الخلوات قيد لذاذته بها لانها محل سكون واجتماع الحواس والخواطر ويستلذ به في غيرها ايضا
وهو فيها اعظم ويونس بتلاوته في الازمات جمع ازمة وهي الشدة وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك من اللذاذة والانس
لفقدها ما اشتمل عليه مما يورثهما حتى احدث لها اصحابها لحونا وطرقا اللحون والالحان جمع لحن وهو التطريب وترجيع
الصوت تحسينا للقراءة والشعر والغناء وفي الحديث اقرؤوا القران بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل العشق واهل
الكتابين لعله اراد ما يفعله قراء مصر وغيرها من لحون يقرؤون بها في مجامع الناس فان اليهود والنصارى يقرؤون كتبهم
نحوا من ذلك يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا الذي اختص بها القران وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الترمذي وغيره عن علي القران بانه لا يخلق بفتح بائه وضم لامه من خلق الثوب يخلق بضمها فيهما وبالاخلق
الثوب واخلقته فهو من الثلاثي لازم ومن الرباعي متعد اي لا يبلى على كثرة الرد اي ترديده مرة بعد اخرى على ممر الدهور
ولا تنقضي عبره بكسر عينه وفتح الموحدة جمع عبرة اي مواعظه يغتبط ويعمل ويعتبر ولا يفنى عجائبه اي لا تسعه كثرة ولا
تكاد تجيء من شيء الا عثرت فيه على ابهج وجه واتقاه هو الفصل مصدر بمعنى فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان ليس
بالهزل بل هو جد كله لا هوادة فيه اي لا رخصة ولا محاباة ووصف بذلك ليكون معظما مهيبا يترفع به من يقرؤه ويسمعه
عن ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح بل يلقي ذهنه كان ربه يخاطبه بامره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك وادنى امره ان
يكون حاذا غيرها زل لا يشبع منه العلماء تلاوة وتدبرا واستنباطا فشبه بماكول مرئي على طريقة الاستعارة المكنية واثبت
له الشبع تخييلا او شبه الاستغناء به عن غيره بالشبع ثم اشتق منه يشبع فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم في الفعل
تبعا وهذا اوجه ولا تزيغ اي لا تعدل او تميل به الاهواء عن صراط الحق الى غيره ولا تلتبس اي لا تشتبه به الالسنة اي
اللغات لانه لسان عربي ذو بيان وبلاغة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا بفتح الهمزة وهو في معنى العلة اي
لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذ رجعوا اليهم انا سمعنا قرانا عجبا مصدر يوضع موضع عجيب وهو ما خرج عن
حد امثاله اي بديعا مباينا لغيره من الكتب في جزالة نظمه وصحة معانيه متوشحا بدلائل الاعجاز يهدي الى الرشد اي
الى الصواب او الى التوحيد والايمان قيل كانوا من الشيصبان قبيلة من الجن وهم اكثر عددا وعامة جنود ابليس منهم

ومنها جمعه لعلوم وعوارف جمع علم ومعرفة بمعنى معلومة معروفة لم تعهدها العرب عامة ولا محمد قبل نبوته اي قبل بعثته
خاصة بمعرفتها اي لم يكن لاحد من الناس معرفة بان احدا منهم يعلم منها شيا ولا القيام بها اي العمل بها او الدوام والثبات عليها
ولا يحيط علما بها احد من علما الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم السماوية وغيرها لجمع فيه من بيان علم الشرايع والاحكام
اصلية وفرعية والتنبيه على طرق الحجج جمع حجة وتسمى دليلا كدلالة العالم على صانعه العقليات والرد على فرق الامم المخالف
الزايغة عن منهج الاستقامة ببراهين قوية وادلة قدمنا ان الدليل اعم من البرهان لشموله القطعي مثل كل انسان جسم وكل
جسم مركب والظني كالوتر عباده وكل عبادة تحتاج الى نية وقد لا يكون مركبا كدلالة النار على الدخان والبرهان انما يكون
مركبا من مقدمات يقينية بينة سالمة من الاغلاق تدرك بمجرد تاملها سهلة الالفاظ لسلامتها من تنافر الحروف
والغرابة ومخالفة قياس اللغة موجزة المقاصد رام المتحذلقون بمهملة ومعجمة من الحذق بزيدت فيه اللام يقال
حذلق يحذلق اذا اظهر وادعى اكثر مما عنده اي قصدوا ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها اي لم القدرة عليها
وذلك من عليم خبير كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبرهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر
والحقارة بالنسبة اليهما او مثلهم اعادة في اصول الذوات وصفاتها بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بان لا جواب سواه
اي بلى قادر على خلقهم او اعادته وكقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة لبقا قدرته على ما كانت عليه لا يعتريها تغير
ابدا والمادة على حالها في القابلية اللازمة وكقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اي لاختلتا لوجود التمانع
ووصف الالهة بالا لتعذر الاستثنا لعدم شمول ما قبلها لما بعدها حملا لها على غير كما يستثنى بغير حملا لها عليها
ولا يجوز الرفع على البدل لتفريعه على الاستثنا واشتراط كونه في كلام غير موجب اي خذ ما ذكر مضمونا الى ما حواه اي
القران من علوم السير المفهومة من اخبارها الماثورة وانبا الامم اي اخبارها والمواعظ المؤذنة بالترغيب في رحمته
ونعمايه والترهيب عن نقمته وبلايه كقوله تعالى حكاية عن لقمان يابني لا تشرك بالله يابني انها ان تك مثقال حبة
من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير والحكم المرشدة الى تكميل النفوس الانسانية
باقتباس العلوم والملكات التامة واخبار الدار الاخرة كالبعث والحشر واهوال الموقف والمرور على الصراط والمصير الى
الجنة او النار ومحاسن الاداب والشيم كقوله لنبيه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ان الله يامر
بالعدل والاحسان والشيم جمع شيمة قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب اي القران او اللوح المحفوظ من شي فقد ذكر فيهما
ما يفوت الحصر ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل اي بينا لهم كل شي لا تلم به شبهة ولا يرتع حوله خطا كانه
مثل في غرابته وعجيب شانه كبيان ما يقولون يوم القيمة وما يقال لهم وما لا ينفعهم بالاعتذار والاستعتاب او كشفنا
عن كل مثل يرشدهم الى الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن علي وتقدم
بعضه واورده هنا بغير بعض الفاظه بزيادة في صدره ان الله انزل هذا القران آمرا بكل معروف واجبا ومندوبا
وزاجرا اي ناهيا عن كل منكر حراما ومكروها وسنة اي طريقة متبعة خالية اي ماضية على منهج الحق واضحا جليا
ابلج لا ينزل بفنائه ريب ومثلا مضروبا لانواع مضاربها التي ضرب لاجلها او سماه مثلا لاشتماله على امثال كثيرة
فيه نباكم وخبر من قبلكم من الامم السالفة والقرون الماضية ونبا ما بعدكم مما يكون فيما لا يزال الى يوم القيمة وحكم ما
بينكم لكم وعليكم بالعدل مصدر حكم يحكم لا تخلقه طول الرد من اخلق رباعيا اي لا يبليه كثرة تكراره تلاوة وترديدا ولا
تنقضي عجايبه كما تقدم هو الحق اي الثابت اللازم من حق الشي اي ثبت ليس بالهزل اي اللعب ضد الجد من قال به صدق
لانه الحق لا ريب فيه تنزيل من حكيم حميد ومن حكم به عدل في حكمه بشهادة مفهوم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
لجريه على موجب احكام ما انزل الله ومن خاصم به من نازع في الدين او في احكامه اصاب او اراد ابطاله بفتح القاف واللام
ومعجمة اي ظفر وفاز ونجح طلبه يقال فلج على خصمه اي غلبه وعن معن بن يزيد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخاصم

وخاصمتا اليه فافلجني اي حكم لي واغلبني على خصمي ومن قسم به اقسط اي عدل في قسمه يقال اقسط فهو مقسط اذا عدل
وقسط فهو قاسط اذا جار فهو بهمزته القسط للقلب كما في شكا اليه فاشكاه اي ازال شكواه وفي الحديث ان الله لا ينام ولا ينبغي
له ان ينام يخفض القسط ويرفعه هو بالكسر الميزان سمي القسط بالفتح اي العدل تمثيل لما يقدره وينزله اي انه تعالى
يخفض ويرفع ميزان اعمال العباد المرتفعة اليه وارزاقهم النازلة منه اليهم كما يرفع الوزان يده ويخفضها اذا وزن
وقيل اراد بالقسط قسم كل مخلوق اي نصيبه من الرزق ويخفضه تقليله ويرفعه تكثيره هذا وقد اتى الحجاج
خارجية فقال لها ما تقولين في فقالت انت قاسط عادل فقال الحاضرون ما تقولون في كلامها فقالوا ما انثى بها باسما
فقال لها تقول انك جاير كافر ثم تلت فاما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ومن عمل به مما اشتمل
عليه من اوامر ونواهي ومكارم ومحاسن واداب والطاف اجر من ربه اجرا عظيما ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
اي طريق الاستقامة او دين الحق وهو ملة الاسلام فشبهه بالمنهج الواضح ثم استعار له اسمه استعارة تحقيقية ورشحها
بالاستقامة حتى كان المعنى المجازي من افراد المعنى الحقيقي تناسيا للتشبيه وقضاء لحق البلاغة ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله لانه الهادي للتي هي اقوم وكذا ما ورد من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن حكم بغيره قصمه الله اي قطعه
واصله الكسر بابانة وفي الحديث استغنوا عن الناس ولو عن قصمة السواك هي بالكسر ما انكسر منه اذا استيك به
وروي بالفا واصله بالكسر بدون ابانة هو الذكر الحكيم اي ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه لها او سمي باسم قايله اي الحكيم
قايله فعيل بمعنى فاعل وهو الذي يحكم الاشيا ويتقنها او الحاكم لكم وعليكم او المحكم الذي لا يغشاه خلل فعيل بمعنى مفعل اي احكم
فهو محكم والنور المبين اي الواضح البين يبصر به ذوو العماية ويهتدي به ذوو الغواية والصراط المستقيم اي ذو الاستقامة
على وجه ابين واوضح شبه بالصراط وهو لغة الجادة بجامع ان كلا منهما موصل فذاك الى المطلوب وهذا الى الفوز بالسعادة في
معاشا ومعادا فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية وقرنها بالاستقامة ترشيحا وحبل الله المتين اي الشديد القوة
المتمسك به شبه بالحبل بجامع ان التمسك والوثوق به سبب للنجاة كما ان تمسك المتدلي من مرتفع بحبل وثيق سبب الامن
من انقطاعه فاستعير له استعارة تحقيقية وقرنها بالمتانة ترشيحا وصرفا للنفس عن توهم التشبيه والشفا النافع لاصلاح
النفوس من سو الاعتقاد ومن كل دا عصمة لمن تمسك به اي حافظ له من كل ما يرديه ويوبقه ونجاة لمن اتبعه مؤمنا به ممتثلا
مجتنبا لا يعوج فيقوم بتشديد الجيم اي لا يميل عن الاستقامة الى اختلال لفظا وتنافر معنى ولا يخرج منه شي عن الحكمة
والاصابة فيحتاج الى تقويم بشهادة انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولا يزيغ فيستعتب اي لا يعدل عن منهج الحق
فيعتب وجدا عليه وغضبا اذ المعاتبة مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد
تقدم بيانه ونحوه اي نحو هذا الحديث عن ابن مسعود فيما رواه الحاكم وقال فيه اي ابن مسعود لا يختلف اي ليس محلا
للاختلاف بل هو ايات احكمت اياته ونظمت نظما محكما لا يعتريها خلل لفظا ومعنى ولا يتشان من الشن وهو الجلد
اليابس البالي اي لا تذهب طلاوته ولا يبلى رونقه وطراوته بكثرة ترداده وتكراره لتوشحه ببداعة النظم وبراعة
الحسن كما قيل يزيدك حسنا اذا ما زدته نظرا لما اودعه من روايع الحسن وبدايع الجمال فيه نبا الاولين والاخرين
على اتم وجه واكمله وتقدم من بيانه ما اغنى عن اعادته هنا وفي الحديث من رواية ابن ابي شيبة مرسلا بلفظ انزلت على
محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم ليفتح بها اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما ورواه ابن ادريس في فضايل
القران عن كعب قال في التورية قال الله اني منزل عليك توراة حديثة اي جديدة الانزال تفتح بها اعينا عميا عن سنن
الهدى ومنهج الرشاد واذانا صما عن استماع الحق واتباعه وقلوبا غلفا عطف على اعينا اي وتكشف عنها غلافها وقد مر
لهذا مزيد بيان في حديث صفته في التوراة فيها ينابيع العلم جمع ينبوع المكان الذي عيون كثيرة والعلم كالماء ينبع منها وفهم الحكمة
اي معرفة افضل الاشيا ويقال لمن يحسن دقايق الصناعات ويتقنها حكيم وربيع القلوب عطف على فهم العلم جعل ما فيها

من الاحكام كالربيع لان الانسان يرتاح قلبه في زمن الربيع ويميل اليه وعن كعب عليكم بالقران اسم فعل بمعنى الزموا وخذوا يقال عليك كذا
وعليك به اي الزمه وخذه اي الزموه تلاوة وتدبرا وعملا فانه فهم العقول اي مفهومها فعل بمعنى مفعول كنسخ بمعنى منسوخ
ونور الحكمة يتلالا وضوحا وجلا وبلوجا وضيا وقال تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اليهود والنصارى اكثر الذي
هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير وعيسى لنزوله تبيانا لكل شي هذا بيان للناس وايضاح
لسوء عاقبة المكذبين وحث لهم على النظر في مصيرهم والاعتبار بما يعاينون من هلاكهم وهدى وموعظة اي هو مع كونه
بيانا لهم هو زيادة تثبيت وتذكير للمتقين من المومنين فجمع فيه اي في القران مع وجازة الفاظه الرائعة وجوامع كلمه الفائقة اي من
جمع جامعه لمحاسن المعاني واحاسن الحكم اضعاف ما في الكتب المنزلة على انبيائه قبله التي الفاظها على الضعف منه اي
القران مرات لاشتمالها على الاطناب والتطويل بتكرار كلمات قل ان يورد فيها ضمير يعود على مذكور قبله صريحا او مقدرا او من فعل
وما جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك اي جمعه بينهما فيه يقتضي به انه احتج للاحكام شرعية وغيرها بنظم القران
الفائق البديع وحسن وصفه السلائق واعجازه كل منطيق فصيح من كل ما ضمنه فيصوم وشيح وبلاغته الرائعة البارعة
واثناء هذه البلاغة اي في خلالها امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف
بالحكم من كلام واحد وسورة منفردة فيفهم من قوله مثلا فلا تقل لهما اف انه حجة لتحريم التافيف وانه مكلف باجتنابه والكف
عنه ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب الصلاة والاضحية عليه وصلى الله عليه وسلم وانه مكلف بهما ومنها ان جعله
في حيز المنظوم الذي لم يعهد مثل نظمه في كلام احد عجله قرائن وتسمى فقرا كابيات منظومة ولقرائنه فواصل كقوافي الابيات
فكما ان القافية في اخر البيت كذلك الفاصلة هي الكلمة الاخيرة من الفقرة ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل من النثر على
النفوس واوعى للقلوب اي ادخل لها في وعائها منه يقال اوعيته في الاناء اذا ادخلته فيه وفي حديث الاسراء ذكر اوعي في السموات
انبياء سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية اي ادخلته في وعاء قلبي واسمح بحاء مهملة من الاسماح لغة في السماح اسهل عليها له
قبولا وفي الحديث يقول الله اسمحوا لعبدي كاسماحه الى عبادي وفيه اسمح يسمح لك اي سهل يسهل عليك واحلا على الافهام
لحسن وروده عليه وملايمته لها كالحلاوة فالناس اليه اميل والاهوا اليه اسرع بتيسيره تعالى اي تسهيله حفظه
لمتعلمه وتقريبه على متحفظه اي متعاطي حفظه قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر اي سهلناه للادكار والاتعاظ بمواعظه
الشافية وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد لم يرد به واحدا معينا فلا يحمه كلام السوق في ادخل السوق لا عهد فيعامل هنا
معاملة النكرة في حيز النفي فيعم اي كل واحد منهم لا يحفظها فكيف يحفظها الجما من الجموم وهو الاجتماع والكثرة اي الكثيرون منهم
على مرور السنين عليهم والقران ميسر على الغلمان اي الاولاد الصغار في اقرب مدة كسنة او اقل او اكثر بحسب جودة الذهن
ومنها مشاكلة اي مشابهة بعض اجزائه بعضا في تناسب الفاظه وتناصفها اختيارا واصطفا واصابة وتجاوب نظمه اعجازا
وتمكينا وتناسب معانيه صحة واحكاما ومنفعة وبناء على الحق والصدق وحسن ائتلاف انواعه في الاعجاز والبلاغة
قصصا ومواعظ واخبارا واحكاما وامرا ونهيا ووعدا ووعيدا والتيام اقسامه اي توافقها في حسن النظم ورونق التركيب
وسلامة الترتيب وحسن التخلص اي الانتقال من قصة الى قصة اخرى مؤذنة بغير ترغيبا او ترهيبا ونحو ذلك والمراد به
التخلص اللغوي على اختلاف معانيه من امر ونهي ووعد ووعيد وغير ذلك وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر
واستخبار واثبات نبوة لنبي من الانبيا وتعزيز وترغيب في خير وترهيب عن شر وهكذا الى غير ذلك من فوايده كالمجاز
وضرب امثال وتوبيخ وذكر امثال دون خلل يتخلل فصوله جمع فصل وهو الكلمة الاخيرة من قراينه وتسمى فاصلة كامر والكلام
الفصيح اي الجيد المعرب عما في الضمير اذا اعتراه اي غشيه والمراد مثل هذا الذي يتخلل فصوله ضعف ونزل عن مرتبته
في فن البلاغة ولانت جزالته اي صارت شدته لينة وقل رونقه اي حسنه وبهجته وصفاؤه من شوائب الاخلال وتقلقلت
الفاظه اي اضطربت وخرجت عن حد النظم فتامل معنا نظرك متدبرا اول ص والقران ذي الذكر اي العظمة او الشرف والتنبيه

وما

بما

وما جمع فيه من اخبار الكفار وشقاقهم بقوله حكاية عنهم بل الذين كفروا في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق لله ولرسوله وتكبر
موذن بشدتهما وتفاقمهما وتقريعهم اي توبيخهم وتخويفهم باهلاك القرون قبلهم بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن وما ذكر
من تكذيبهم لمحمد وما ذكر من تعجبهم مما اتى به بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب والخبر
عن اجتماع ملايهم على الكفر اذ قد روي ان عمر لما اسلم شق ذلك على قريش فقالوا لاشرافهم لابي طالب انت شيخنا وكبيرنا وقد
علمت ما فعل هولاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال له هولاء قومك يسالونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل
فقال ما تسالوني قالوا ارفضنا والهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب وما
ظهر من الحسد في كلامهم من قوله تعالى حكاية عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا فانه اشارة الى انكارهم لاختصاصه بالوحي
نفاسة عليه وهو مثلهم شرفا ورياسة وتلويح بما غلا في صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة وتعجيزهم
بقوله فليرتقوا في الاسباب وتوهينهم حقارة لهم وحسبنا لهم بقوله جند ما هنالك مهزوم ووعيدهم بخزي الدنيا
بهزيمتهم والاخرة بذوقهم العذاب فيها وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون الى لحق عقاب ووعيد هولاء يعني قريشا وامثالهم بمثل مصابهم اي مصاب من كذب من الامم لشدة وما
ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم اي حمله على الصبر على اذاهم بقوله
اصبر على ما يقولون اي لا تبال به ولا تكترث وتسليته بكل ما تقدم ذكره عن ان يهتم بشيء من اذاهم او يبالي به
معتمدا على الله متوكلا مستسلما اليه ثم اخذ اي شرع بعد تصبير نبيه وتسليته في ذكر داود صلى الله عليه وسلم بقوله
واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اي رجاع كانه تعالى امره بتقطيع معصية الله وتعظيمها في اعينهم بذكر قصة
داود فانه مع كرامته على ربه ومنته عليه بشرف النبوة وكرامة الرسالة لما صدر منه ما هو خلاف الاولى في حقه لعظم
شانه وكرم ذاته اتته الملائكة بتمثيل وتعريض فتفطن لما صدر منه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فما الظن بكم ايها
الكفرة الفجرة وقصص الانبيا كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب ولقد فتنا سليمان واذكر عبدنا ايوب اذ نادى
ربه واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب مثنيا عليهم اكرم الثناء ممتنا عليهم باشرف الحياة كل هذا الذي ذكر اول ص في
اوجز كلام واحسن نظام ومنه اي من اعجاز القران انه وسعه الجملة الكثيرة المعاني التي انطوت عليها الكلمات القليلة اي
شملتها وعمتها اذ هي قوالب لها وقد قابل بين القلة والكثرة تزيينا للكلام وهذا كله اي ما ذكر وكثير مما ذكرنا انه ذكر
في اعجاز القران اي مع وجوه كثيرة ذكرها الايمة لم نذكرها في وجوه اعجازه اذ اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب
ان نعده فنا مفردا من بلاغته في اعجازه الا في باب تفصيل فنون بلاغته وكذلك اي مثل ما هو داخل في بابها كثير مما
قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضايله لا اعجازه لعدم دلالتها عليه وحقيقة الاعجاز انما هي في الوجوه الاربع
التي ذكرنا فصولها فليعتمد عليها وما بعدها مما ذكرنا فانما هو من خواص القران وعجائبه التي لا تنقضي كالمر

فصل

في انشقاق القمر وحبس الشمس هما من اياته ومعجزاته النيرة ولم ينشق القمر لاحد من الانبيا وقد وقفت له الشمس مرتين وليوشع
فتى موسى مرة واحدة قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفرة سالوه اية فانشق وينصره قراءة حذيفة
وقد انشق وان يروا اية يعرضوا عن الايمان عنادا او استكبارا ويقولوا سحر مستمر اي دايم لترادف المعجزات وتتابع الايات
او قوي محكم من قولهم استمر مريره اي استحكم عزمه او مستبشع لا يساغ لمرارته كما لا يساغ المر او مستمر اذا اشتدت مرارته
او مار ذاهب لا يبقى اخبر الله تعالى بوقوعه بلفظ الماضي واعراض الكفار عن اياته صلى الله عليه وسلم واجمع المفسرون
واهل السنة على وقوعه ايذانا بانه وقع وان زعم انه سينشق يوم القيمة وعبر بالماضي لتحقق وقوعه وقد اورد هنا حديث
الشيخين بسنده الى البخاري والى ابن مسعود شاهدا بوقوعه قال اي ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل حرا وابي قبيس وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رآه منشقا اشهدوا
وفي رواية مجاهد في الصحيحين عن ابن مسعود زيادة ونحن معه وفي بعض طرق الاعمش زيادة بمنى وفي مسند احمد انه رواه
ايضا عن ابن مسعود الاسود قال اي ابن مسعود حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر وفي الدلائل للبيهقي انه رواه عنه اي عن
ابن مسعود مسروق وانه اي انشقاقه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة نسبة الى ابي كبشة
حذامة من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى تشبيها له به بجامع مخالفتهما لهم وقيل هو رجل زاه له قديما
وفارق دين الجاهلية وقيل كان ابوه من الرضاعة يكنى به فقال رجل منهم اي من كفار قريش ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ
من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد آخر من البلاد هل راوه فسألوا فاخبروهم انهم راوه مثل ذلك
اي مثل ما راوه في تلك الليلة منشقا فرقتين وقال ابو جهل هذا سحر يفرق بين المرء وزوجه فابعثوا الى اهل الآفاق حتى
تنظروا ارأوا ذلك ام لا انما دعاه الى ذلك سابق شقوته مع علمه بصدقه فسبحان الهادي فاخبر اهل الآفاق بعد ان
سألوا عن ذلك انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر لما راوا من ترادف الآيات وتتابع المعجزات ورواه ايضا
عن ابن مسعود علقمة بن ابي وقاص الليثي فهؤلاء الاربعة يعني مجاهدا والاسود ومسروقا وعلقمة ورووه كلهم عن عبد الله
وقد رواه ابن مسعود اي وضع الظاهر موضع الضمير حذرا من توهم عوده الى الغير منهم اي ممن رواه انس وابن عباس فيما رواه
الشيخان وابن عمر عند مسلم والترمذي وحذيفة عند ابن جرير وابن ابي حاتم وابي نعيم في الدلائل وعلي لا ادري من خرجه عنه
وجبير بن مطعم عند احمد والبيهقي هذا واكثر طرق هذه الاحاديث المروية عمن ذكر ومن رواها عنهم صحيحة والآية
اي اقتربت الساعة وانشق القمر مصرحة بانه قد انشق ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه انما ينشق يوم القيامة والتعبير
بالماضي لتحقق وقوعه واوى في ذلك الى ركن واه هو انه لو كان هذا اي انشقاقه قد وقع لم يخف على اهل الارض اذ هو
شيء ظاهر لجميعهم ورد هذا القول المصنف اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم ورد هذا القول
المصنف اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده
على معرفة انه سينشق في ليلة فيترصد ثم قال المصنف ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم اي توافقهم متعاضدين
على الكذب لما كانت علينا به اي بما لو نقل الينا من انهم رصدوه فلم يروه حجة اذ ليس في حد واحد لجميع اهل
الارض لاختلاف مطالعه فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون مرئيا من قوم بضد ما اي ضد مرئي
هو من قوم مقابليهم من اقطار الارض وتحول بين قوم وبينه سحاب وجبال ولهذا اي ولكونه ليس في حد واحد
باختلاف مطالعه تجد الكسوفات في بعض البلاد كما قيل وجد في بلاد الهند بناء قديم مكتوب عليه بني ليلة انشق القمر
دون بعض وتجدها في بعضها اي البلاد جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها اي الكسوفات الا المدعون بعلمها انها
تختلف باختلاف مطالع العباد ذلك تقدير العزيز العليم اي الغالب بقدرته كل مقدور والمحيط علمه بكل معلوم وآية القمر
كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون عن الحركة والمشي والتردد في الطرق واصل الهدو الهدء والهمزة ابدلت
واوا تخفيفا ثم ادغمت مع الواو المزيدة التي قبلها وفي شعر سواد بن قارب اتاني بعد هدء ورقدة وايجاف الابواب اي
غلقها وقطع التصرف في امورهم ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا خصوصا في فصل الشتاء الا من رصد ذلك واهتبل اي
اعتنى به من الهبالة وهي الغنيمة والاصل فيه ان يستعمل بمعنى ثكل كما قال عمر للوداعي لما فصل سهمان الخيل على المقاريف
فاعجبه هبلت الوداعي امه لقد اذكرت به يقال هبلته امه تهبله بالتحريك اي ثكلته يعني ما اعلمه وما اصوب رأيه ثم
استعير لمثل المدح والاعجاب كما في قوله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل امه مسعر حرب تعجبا من شجاعته وجراته
واقدامه ولذلك اي ولكون آيته كانت ليلا ما يكون الكسوف القمري لا الشمسي فانه يكون نهارا كثيرا حال من اسم كان
في البلاد خبرها واكثرهم لا يعلم به حال افادت نفي وقوعه في حال كثرته اي لا يقطع فيه كثيرا مع عدم اكثرهم به حتى يخبر

بوقوعه وكثيرا ما اي احيانا كثيرة يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان
بالليل ولا علم لاحد غيرهم بها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث وكذا الطبراني باسانيد بعض رجاله ثقات عن اسماء
بنت عميس من طريقين انه صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه مرة وهو بالصهباء وراسه في حجر علي فلم يصل اي علي رضي الله عنه
العصر حتى غربت الشمس فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم اصليت قال لا فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه
كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت اي راجعة على ادراجها
من مغربها لشهادة قوله فاردد عليه الشمس بعد ما غربت وذلك بالصهباء في خيبر قال اي الطحاوي وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات جعله يحدثنا لروايته له من طريقين وقال ابن الجوزي انه موضوع بلا شك
في طريقه الاولى احمد بن داود قال الدارقطني كذاب متروك وقال ابن حبان يضع الحديث وفيها
ايضا عمار بن مطر قال العقيلي كان يحدث عن الثقات بالمناكير وقال ابن عدي متروك وفي الثانية
فضيل بن مرزوق ضعفه يحيى بن معين وقال ابن حبان يروي الموضوعات ويخطئ عن الثقات
ورواه ابن شاهين وقال هذا حديث باطل اما عبد الرحمن بن شريك عن ابيه فوهاه ابو
حاتم قال ابن الجوزي انا لا اتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة هذا ولو قيل
بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لعدم فواتها بالغروب وروى يونس بضم
النون وكسرها ابن بكير عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع ذلك في طريقه عير
لقريش جاءت من الشام واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير هي قافلة ابل وعلامتها ان
يقدمها جمل اورق قالوا جواب لما متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
اجاءت القافلة ام لا وقد ولى النهار جملة حالية اي اشرفت ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فجاءت يقدمها جمل اورق وروي انها ردت له في
يوم من ايام الخندق وفي سيرة مغلطاي ان الخطيب ذكر انها حبست لداود صلى الله عليه وسلم وضعفت
روايته وفي تفسير ص من البغوي انها حبست لسليمان واول من ردت له يوشع بن نون واليه اشار
ابو تمام تلميحا بقوله لحقنا باخراهم وقد حام الهوى قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع • نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى
لبهجتها ثوب السماء المجزع • فوالله ما ادري احلام نائم المت بنا ام كان في الركب يوشع •
فصل في نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثيره ببركته ووقع ذلك في مواطن كثيرة
وهي اعظم من تفجره من الحجر لانه من عادته تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اما من لحم ودم
فلم يعهد لغيره صلى الله عليه وسلم وقد روى هذا حديث انس شاهد له بسنده الى الامام مالك به
ورواه الشيخان عنه ايضا قال اي انس رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر
اي قرب وقتها او دخل اذ الحين الوقت فالتمس الناس الوضوء بفتح الواو اي الماء فلم يجدوه فاتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بوضوء في اناء فوضع يده فيه وامر الناس ان يتوضؤوا فيه قال اي انس فرايت
الماء ينبع مثلث الباء من بين اصابعه فتوضأ الناس من عند آخرهم اي جميعهم ورواه ايضا عن انس
قتادة كما في صحيح مسلم وقال اي انس باناء فيه ماء يغمر اصابعه اي يغطيها ويسترها ثلاثمائة وفي الحديث
من اتخذ الخيل زهاء ونواء على اهل الاسلام فهي عليه وزر الزهاء الكبر والفخر يقال زهي الرجل كالمبني
للمفعول تكبر وعني بالامر ونتجت الناقة فهو مزهو وفي رواية عنه اي عن انس وهم بالزوراء مكان

ما بالمدينة قرب المسجد عند السوق رواه حميد وثابت والحسن عن انس انفرد البخاري
بالاولى والثالثة واتفقا على الثانية وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين خبر كان المحذوف وقد
وعنه ايضا اي عن انس وثم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود نابت اما هنا مناب اسم هو مبتدا
وفعل هو شرط وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الشرط وقع في جوابها الفا الواقعة في جواب الشرط
غالبا ولتضمنها معنى الابتدا وقع بعدها الاسم اللازم للمبتدا ففي الصحيح للبخاري وغيره من رواية
علقمة عنه اي عن عبد الله بن مسعود بينما نحن بين للتوسط زيدت عليه ما عوضا عن المضاف اليه اي
اوقات او احيان جالسون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال اطلبوا من معه فضل
ماء فاتي بالبنا للمفعول فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع اسند اليه الجعل والنبع مجازا
عقليا تنزيلا له منزلة فاعل مختار سياتي منه الفعل اختيارا اي قصدا وشرع يخرج من بين
اصابعه كما ينبع من الارض وفي الصحيح للبخاري وغيره عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم
الحديبية الافصح فيها التخفيف وهي بئر بين مكة والطائف ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
يديه ركوة هي اناء من جلد نحو الابريق فتوضا منها واقبل الناس نحوه صلى الله عليه وسلم وقالوا الواو
للحال قائلين ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور اي يرتفع متدفقا
من بين اصابعه كامثال العيون بين كل اصبعين كالعين تفور وفيه اي في حديث سالم فقلت يعني جابر
كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة الفا وخمسمائة وقيل وثمانين وقيل واربعين
وقيل وخمسة وعشرين وقيل الفا وستمائة وروي مثله اي مثل حديث سالم كما في مسند الدارمي
عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه اي عن
جابر في حديث مسلم الطويل في غزوة بواط بضم البا وتخفيف الواو وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء اي ناد الناس له او به وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب
بفتح العين المهملة وسكون الزاي فم المزادة وجمعها عزالي فتحا وكسرا والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم
ساكنة فموحدة ما يبس من الاسقية وبلي وصار شنا يقال سقا شاجب اي يابس من الشجب
محركا وهو الهلاك وجمعه شجب واشجاب فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه اي كبسه بيده
وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب بفتح الجيم وهي اكبر قصاع الاطعمة وعدي ناد
بالبا مضمنا له معنى ائت ويجوز ان تكون مزيدة فاتيت بها فوضعها بين يديه وذكر اي جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال اي
النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله قال اي جابر فرايت الماء يفور اي يظهر متدفقا مرتفعا من بين
اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت اي ارتفع ماؤها ودار وفي رواية مسلم ثم فارت الجفنة
وفارت حتى امتلات وامر الناس اي النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقا فاستقوا حتى رووا
نفسا وركابا فقلت هل بقي احد له حاجة يجوز ان تكون هل نافية اي ما بقي من محتاج الى الماء لشهادة
حديث وهل ترك لنا عقيل من دار اي ما ترك وراية فهل ترى لهم من باقية اي ما ترى وقول جابر
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وهي ملاء ويجوز ان تكون استفهامية ودفعه يده
بعد جوابهم ما بقي لاحد حاجة وعن الشعبي او في بعض اسفاره باداوة ثم بالكسر اناء صغير
من جلد يتخذ للماء كالسطيحة وقيل له صلى الله عليه وسلم ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها

في

في ركوة اناء صغير من جلد لشرب فيه الماء جمعه ركا كانت معه ووضع اصبعه مثلث الهمزة والبا
وعاشرها اصبوع وسطها بالفتح لما هو متصل الاجزا غير مفرقها كالدار والراس وبالسكون فيما هو
مفرقها كالناس والدواب وقيل كلما صلح فيه بين فبالسكون والا فبالفتح الا المركز الدائرة وما كان داخل
محيطها فبالسكون وقيل كل منهما يقع موقع الاخر وفي الحديث خير الامور اوساطها لان كل خصلة
محمودة لها طرفا افراط وتفريط كالسخا فانه وسط بين البخل والتبذير والشجاعة بين الجبن والتهور
والانسان مامور بتجنب كل مذموم وبالتحري منه والبعد عنه فكلما ازداد عنه بعدا ازداد عنه
تعريا وابعد الجهات والمقادير والمعاني عن كل طرفين هو الوسط وهو في غاية البعد فاذا كان في الو سط
فقد بعد عن الاطراف المذمومة بقدر الامكان وغمسها في الماء فجعل الناس يجيئون ويتوضؤون
ويقومون ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة اي الكثيرة الناس والجموع الكثيرة لا تتطرق اي لا
تتواصل التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه اي تكذيب من اخبر به لو كان كاذبا
لما جبلت عليه النفس من ذلك اي الاسراع الى التكذيب وانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلا
المذكورون من الصحابة وغيرهم قد رووا هذا اي نبع الماء من بين اصابعه واشاعوه ونسبوا
حضور الجما الغفير اي الكثير من الصحابة له ولم ينكر احد من الناس عليهم لهم اي تصديق جميع
من رواه عن الصحابة للصحابة فصل ومما يشبه هذا بركته وانبعاثه اي فورانه
جاريا كثيرا ومسه اياه بيده ودعوته مما رواه مالك متعلق بتفجير الما وانبعاثه وما بينهما
اعتراض افاد مدحه صلى الله عليه وسلم ببعض جميل صفاته في الموطا ومسلم في صحيحه عن معاذ
ابن جبل في غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض اي تقطر وتسيل بشي من ماء مثل
الشراك شبهه لقلته جدا باحد سيور النعل التي تكون على وجهه ولم يرد به التحديد فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع في شي من الاواني ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وجهه ويديه واعاده فيها اي في العين فجرت بماء كثير فاستقا الناس قال اي معاذ بن جبل
في حديث ابن اسحق الذي رواه عنه فانخرق اي انفجر وجرى من الماء ما له حس اي حركة وصوت لجريه
كحس الصواعق جمع صاعقة وهي صوت شديد وربما كان معه نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا
اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يوشك اي يسرع
ويدنو ويقرب والوشيك السريع القريب يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا قد
ملي جنانا جمع جنة وهي البستان الكثير الاشجار من الاجتنان وهو الستر لتكاثف اشجارها
وتظليلها بالتفاف اغصانها سميت جنة وهي مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكانها سترة
واحدة لشدة التفافها واظلالها وفي حديث البرا الذي رواه البخاري وحديث سلمة بن
الاكوع اسم تفضيل من الكوع محركا وهو ان يكون تعوج اليد من قبل الكوع وهو الذراع مما يلي
الابهام والكرسوع راسه مما يلي الخنصر يقال كوعت يده وتكوعت وكوعه اي صيره اكوع
وحديثه اي حديث سلمة الذي رواه مسلم اتم من حديث البرا في قصة الحديبية وهم اربع
عشرة مائة وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها اي اخرجنا ماءها كله بطينه فلم نترك
بها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بالفتح والقصر ما حول البير وبالكسر
ما جمع فيها من الماء قال البرا واتي صلى الله عليه وسلم بدلو فيه ماء منها فبصق ودعا وقال سلمة

ابن الاكوع فاما دعا واما بصق علي الشاك فجاشت اي فارت وارتفعت ماء فارووا انفسهم وركابهم
وفي غير هذه الروايتين اي رواية البراء ورواية سلمة هذه القصة اي قصة الحديبية من طريق
ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري في الحديبية فاخرج سهما من كنانته التي فيها سهامه لا غفا تكنها
اي تسترها فوضعها في قعر قليب اي بئر لم تطو وتذكر وتؤنث ليس فيه ماء فروي الناس ورويت
ركابهم حتى ضربوا بعطن بفتح المهملتين مبرك الابل حول الماء اي رويت حتى بركت به يقال عطنت
الابل فهي عاطفة وعواطن اذا سقيت وبركت بعطنها عند الحياض لتعاد للشرب واعطنتها اذا فعلت
لها ذلك وفي حديث الرؤيا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب
الناس بعطن مثل لاتساع الناس في زمنه وما فتح عليهم من الامصار وفي حديث البيهقي عن ابي
قتادة ان الناس شكوا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا
بالميضاة بكسر الميم والقصر وقد تمد وهي مفعلة ومفعال له وميمها زايده اي مطهرة كبيرة
يتوضا منها اي طلبها فجعلها في ضبنه اي حضنه بين كشحه وابطه واضبنه اذا جعله فيه
ثم التقم فمها اي ادخله في فمه تشبيها له باللقمة فالله اعلم والي العلم اهله نفث حذفت همزته تخفيفا
وهو تشبيه بالنفخ واقل من التفل الذي اذ لا تفل الا ومعه شيء من الريق اي انفث فيها ام لا فشرب
الناس حتى رووا وملأوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني على معنى ان الميضاة خيلت
اليه ان الماء الذي بقي فيها بعد شربهم وملء اوانيهم كالذي كان فيها حين اخذها منه وكانوا
اثنين وسبعين رجلا وذكر محمد بن جرير الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل
الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يمد الاهل مؤته بالهمز وعدمه قرية بين تبوك
وحوران من الشام عندما بلغه قتل الامرا مولاه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله
ابن رواحة الانصاري لشهادة حديث اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب
ثم اخذها خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله عليه وذكر محمد بن جرير الطبري حديثا
طويلا فيه معجزات باهرة وايات متكاثرة للنبي صلى الله عليه وسلم تفخيما لفضله وتعظيما
لقدره وفيه اعلامهم اي اعلامه اصحابه انهم يفقدون الماء في غد فهو من اعلام النبوة
وابهامه شاهد صدق بانه العلم الذي لا يخفى اذ هو افخم من التصريح وانوه لصاحبه وفي مثل
الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال لو شئت لذكرت الثالث اراد
نفسه ولو قال شئت لذكرت نفسي لم يكن تفخيما لامره وذكر حديث الميضاة مدا وقصرا
قال اي ابو قتادة والقوم زهاء اي قدر ثلثمائة من زهوت القوم اذا حزرتهم وفي كتاب
مسلم انه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها
نبأ اي خبر عظيم لشهادة تنكيره والضمير للشان يفسره الكون اذ هو عبارة عنه وان
لتقويته وتوكيده ومن ذلك اي مما يشهد بتفجر الماء من بين اصابعه حديث الشيخين عن
عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفاره
فوجه رجلين هما عمران بن حصين وعلي بن ابي طالب كما صرح بهما في هذا الحديث في غير
هذا الكتاب من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير مطلق على الذكر
والانثى وجمعه ابعره وبعران عليه مزادتان تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يجعل

فيه

فيه الماء كالراوية والقربة والسطيحة وجمعها مزاود وميمها زائدة فوجداها واتيا بها النبي صلى
الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها اي مائهما وقال فيه ما شاء الله ان يقول من ثناء ودعا
وتبريك ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما تثنية عزلاء وهو فمها الاسفل ثم امر الناس
فملأوا اسقيتهم جمع سقاء وهو اناء من جلد للماء حتى لم يدعوا شيا من اوانيهم الا ملؤه قال عمران
ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء امر ان يزود وها من زادهم فجمع من الازواد حتى ملأوا ثوبها
وحمل لها على بعيرها وقال صلى الله عليه وسلم اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيا ولكن الله سقانا
ببركته صلى الله عليه وسلم وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء بفتح
الواو اسم للماء اي امعكم او اعندكم اوان ماء فجاء رجل باداوة اي اناء صغير من جلد فيها نطفة اي
شيء يسير من الماء وقد يقال للكثير لشهادة حديث لا يزال الاسلام يزيد واهله وينقص الشرك
واهله حتى يسير الراكب بين النطفتين اي بحري المشرق والمغرب او الفرات وبحر جدة وتتمة
الحديث لا يخشى جورا اي لا يخاف في طريقه غير الضلال والحيود عنها فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا
ندغفقه دغفقة بمعجمة ففاء فقاف اي ندفقه ونصبه صبا كثيرا واسعا وفلان في عيش دغفق اي
واسع اربع عشرة مائة وفي حديث عمر الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والبزار في جيش
العسرة هي غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة ذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه اي ما في كرشه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا وطفق
يهتف بربه اي يدعوه ويناشده فلم يرجعهما بفتح يائه مضارع رجع متعديا قال الله تعالى
فان رجعك الله وفي حديث بلال فانه يؤذن بليل ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم حتى قالت السماء
حتى امطرت شبه ما هو النازل منها بقول متكلم ثم اشتق منه الى الفعل تبعا او شبهها على طريقة
الاستعارة بمتكلم بجامع الخروج ثم اثبت لها القول تخييلا فانسكبت بمطر غزير وجود كثير
فملؤا ما معهم من انية ولم تجاوز السماء او المطر العسكر فكانت كالظلة عليهم وعن عمرو بن شعيب
ابن عبد الله بن عمرو بن العاص ان ابا طالب قال للنبي وهو رديفه بذي المجاز عطشت وعن
ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عون عن عمرو وهو ابن دينار ان ابا طالب قال
كنت بذي المجاز ومعي ابن اخي يعني نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت له عطشت وليس عندي ماء فنزل
وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب الظاهر ان هذا كان قبل البعثة وذو المجاز سوق
من اسواق الجاهلية كان عند عرفة فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته
ودعائه العامين نفعا وقد اسند هنا شاهدا لذلك حديث مسلم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه اي يطلب منه طعاما لاهله فاطعمه شطرا اي نصف وسق شعير هو بفتح الواو ستون
صاعا ثلثمائة وعشرون رطلا حجازية واربعمائة وثمانون رطلا عراقية على اختلافهم في قدر الصاع
والمد فشطره عليهما كيلا ثلثون صاعا وعلى الاول وزنا مائة وستون رطلا وعلى الثاني مائتان واربعون
رطلا فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله ففني ولم يبق منه شيء وكانت البركة في تركه بلا
كيل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه كاله فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم اي مدة حياتكم ومن
ذلك اي من تكثير الطعام ببركته ودعائه حديث الشيخين عن انس في قصة ابي طلحة واطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا وفي رواية مسلم الجزم بثمانين من اقراص من شعير اتى بها

انس تحت ابطه حال من انس اي متابطا اياها فامرني ففتت اي امر بفتها وقال فيه ما شا الله ان يقول
من ثناء ودعا وامر بمجي عشرة عشرة ومن ذلك حديث البخاري عن جابر في الطعامه صلى الله عليه وسلم يوم
الخندق اي زمن حفره الف رجل من صاع شعير وعناق هي الانثى من اولاد المعز ما لم تتم لها سنة قال
جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى شبعوا غاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع وانحرفوا اي مالوا الى حرف
اي جانب وطرف وان برمتنا اناءنا من حجر او مدر يطبخ فيه الطعام لتغط اي تغلي من حرارة النار
تحتها يسمع غطيطها اي صوت غليانها كما هي بوفرها كانها لم يوخذ منها شي وان عجيننا ليخبز كما هو
كل ذلك بعد ان شبعوا وتركوه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسق في العجين والبرمة وبارك
اي دعا فيهما بالبركة ومن ذلك حديث الطبراني والبيهقي عن ابي ايوب انه صنع لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زها اي قدر ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ادع ثلاثين من اشراف الانصار خصهم بالدعوة تالفا لهم كي يسلموا اذ كان ذلك اول الهجرة فبفتح
قصده وسماهم انصارا لعلمه بانهم يسلمون وينصرونه او تفاولا ورجا لوقوعه فدعاهم فاكلوا
حتى تركوه اي الاكل والطعام ثم قال ادع سبعين فدعاهم فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد
حتى اسلم وبايع على الجهاد ونصرته صلى الله عليه وسلم قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون
رجلا المذكورون منهم مائة وستون حضرهم النبي وابو بكر وحديث الترمذي والبيهقي وصححاه
والنسائي عن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة بفتح القاف ولا تكسر فيها
لحم فتعاقبوها اي تناوبها اصحابه جماعة لجماعة من غدوة حتى الليل يقوم بعض ويقعد
اخرون ومن ذلك حديث الشيخين عن عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر انه عجن صاعا من طعام وصنع شاة فشوي سواد بطنها اي كبدها وقيل
حشوه كله قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر وايم الله من الفاظ القسم كعمر الله وعهد الله ما من
الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة اي قطع له قطعة من سواد بطنها ثم جعل صلى الله عليه وسلم
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير يقع على الذكر والانثى
وجمعه ابعرة وبعران وفي حديث جابر استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير
خمسا وعشرين مرة هي الليلة التي اشترى صلى الله عليه وسلم منه فيها جمله قافلين من تبوك
ومن ذلك حديث ابن سعد والبيهقي عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري عن ابيه ابي عمرة وفي
صحيح البخاري مثله لسلمة بن الاكوع ولابي هريرة وحديث ابي يعلى بسند جيد عن عمر بن الخطاب
فذكروا مخمصة اي مجاعة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
فدعا ببقية الازواد اذ طلبها ليبرك فيها فتكثر فجا رجل بالحثية من الطعام اي اليسير منه
يقال حثا يحثو حثوا وحثى يحثي حثيا وفوق ذلك واعلاهم الذي ياتي بالصاع من التمر فجعله اي ما
جمع من الازواد على نطع بفتح الطا وكسر النون قال سلمة فحزرته كربضة العنز بفتح الرا
وكسرها اي جثتها اذا بركت ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس باوعيتهم فما في الجيش وعا
الا ملؤه وبقي منه بقية خير كثير وروى ابن ابي شيبة والطبراني في الاوسط بسند جيد
عن ابي هريرة امرني صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة من فقراء المهاجرين وغيرهم
فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة اي اناء كالقصعة المبسوطة وفي الحديث

لا تسال المراة طلاق اختها لتستفرغ صحفتها مثل يراد به الاستيثار بحظها فتكون كمن استفرغ
صحفة غيره وقلب ما فيها في اناء نفسه فاكلنا ما شئنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر
الاصابع اي اصابع الاكلة وروى احمد والبيهقي بسند جيد عن علي بن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم في الاصل مصدر قام وصف به ثم غلب على
الرجال دون النسا ومن ثم قابلهن صلى الله عليه وسلم به في قوله ان نساني الشيطان شيا من
صلاتي فليسبح القوم ولتصفق النسا وسموا به لانهم قوامون عليهن بامور ليس لهن ان يقمن بها
ياكلون الجذعة هي من البقر والغنم ما دخل السنة الثانية وقيل من البقر ما دخل الثالثة ومن
الضان ما تم له سنة وفي حديث الاضحية ضحينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجذع من
الضان والثني من المعز ويشربون الفرق بفتح اوله وثانيه مكيال يسع ستة عشر رطلا اثني عشر
مدا ثلاثة اصع بكيل الحجاز فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو كان لم يوكل منه شي
ثم دعا بغمر اي قدح كبير من خشب فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه شي وروى الشيخان
واللفظ لمسلم قال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بزينب بنت جحش اي تزوج بها
امرني ان ادعو له قوما سماهم وقال له ادع كل من لقيت بعد تخصيص اهمها ما اشار لهم لمزية
فيهم حتى امتلا البيت والحجرة موضع منفرد فقدم لهم تورا اشباه فوقية انا من صفر او حجارة كالاجانة
فيه قدر مد من تمر جعل حيسا بضم سمن واقط اليه وربما جعل عوضا عن الاقط دقيق فوضعه اي النبي
صلى الله عليه وسلم قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم اي شرعوا يتغدون ويخرجون
وبقي التور بما فيه نحو ما تميز النشبه بقي او حال من التور ما كان وكانوا احدا وثلاثين واثنين
وسبعين رجلا وفي رواية في هذه القصة اي قصة وليمة زينب او مثلها وكانوا زها اي قدر ثلثمائة
وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي بعد ان شبعوا ولم يبق لهم رغبة فيه ارفع التور فرفعته فما ادري
حين وضعت كانت اكثر انث باعتبار كونه انية اي احين واكانت حذفت همزته تخفيفا ام حين رفعت
وفي حديث جعفر هو الصادق بن محمد هو الباقر عن ابيه اي جعفر محمد عن علي هو ابن ابي طالب جد
والد محمد اعني زين العابدين علي بن الحسين بن علي كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا او والده لم يدرك
عليا ان فاطمة طبخت قدرا لغدائنا بمعجمة فمهملة ما يوكل اول النهار من الطعام ووجهت عليا الى
النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معها فامرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة وكن تسعا عايشة
وحفصة وام حبيبة وام سلمة وسودة وميمونة وزينب وكلهن قرشيا وصفية قرظية وجويرية
مصطلقية ثم له وعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض من فاض الانا اذا امتلا وسال من
جوانبه اي كثر ما فيها ببركته صلى الله عليه وسلم فامتلات حتى فاضت فسال من نواحيها ومنه قوله
لطلحة بن عبيد الله وقد قسم في قومه اربعمائة الف انت الفياض سماه به لسعة عطائه اذ
كان جوادا قالت اي فاطمة واكلنا منها ما شا الله وامر اي النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
ان يزود اربعمائة راكب من احمس بفتح الهمزة وسكون المهملة قبيلة معروفة فقال اي عمر ما
هي الا اصوع بضم الواو جمع صاع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض وبقي بحاله كان لم يوخذ منه شي قوله من رواية دكين الاحمسي رواها ابو داود في
الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزني قال اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام

فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح ومن رواية جرير كذلك ولا ادري
من خرجها ومثله من رواية النعمان بن مقرن رواها احمد والبيهقي بسند صحيح الخبر منصوب بنحو اعني
بعينه الا انه اي النعمان بن مقرن قال اربعمائة راكب من مزينة كما مر عن ابي داود ومن ذلك اي من تكثيره
ببركته ودعائه حديث البخاري الذي رواه عن جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل الغرماء له
اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره كفاف دينهم اي لم يكن يفيه ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولا تلام
على كفاف اي اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطائه فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره
بجدها اي بقطعها وجعلها بيادر في اصولها جمع بيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام ليخلص
من تبنه ولعله اراد جعلها كومات تحتها فمشى صلى الله عليه وسلم ودعا فاوفى منه غرماءه وفضل
مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال اي جابر وكان الغرماء يهود خبر كان
غير علم طائفة من اليهود فعجبوا من ذلك اي عظم موقعه عندهم مع خفاء سبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير
مع قلته وفضل ما ذكر بدعائه وبركته صلى الله عليه وسلم هذا وما ذكر سابقا ولاحقا من اعلا المعجزات
واعظمها وروى البيهقي قال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة اي مجاعة فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل من شيء اي هل عندك شيء ومن زائدة قلت نعم شيء من التمر في المزود هو وعاء من جلد
يجعل فيه الزاد قال فاتني به فاتيته به فادخل يده فاخرج قبضة بالفتح المرة بمعنى مقبوضة
كالغرفة بمعنى المغروفة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للمقبوض فبسطها ودعا بالبركة
ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع عشرة فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك دعوتهم فاكلوا
حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به فاكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة الاشياخ بعده ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب
مني فذهب اي استلب من النهب وهو السلب بالغارة وفي الحديث ولا ينتهب نهبة ذات شرف
يرفع الناس اليها ابصارهم وهو مؤمن اي لا يختلس شيئا له قيمة عالية وفي رواية حسنة للترمذي
فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا كناية عن مقدار ما حمله من وسق في سبيل الله ومنه اي من
تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم حديث البخاري عن ابي هريرة حين اصابه الجوع
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم اي امره ان يتبعه فتبعه فوجد لبنا في قدح قد اهدي
اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعو اهل الصفة هم فقراء المهاجرين ممن لم
يكن له منزل فكانوا ياوون موضعا مظللا من مسجده صلى الله عليه وسلم قال اي ابو هريرة فقلت
ما هذا اللبن فيهم استفهام بمعنى النفي اي لا يغني من شبعهم شيئا كنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها ترك مفعوله اختصارا فدعوتهم وامرني صلى الله عليه وسلم ان اسقيهم فجعلت
اي شرعت وقصدت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذ الآخر فيشرب حتى يروى وهكذا
حتى رووا جميعهم قال ابو هريرة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا تاكيد
لضمير بقيت ليصح عليه عطف وانت اقعد فاشرب ثم قال اشرب فشربت ثم قال اشرب
فشربت وما زال يقولها اي يقول كلمة اشرب واشرب حتى قلت لا نفي لما اقتضاه الامر من
الشرب مع اعتذار عنه بقوله والذي بعثك بالحق اي الى كافة الخلق ما اجد له مسلكا جواب
القسم اي استطيع ان اسيغه شبعا ونحوه ان يكون القسم مؤكدا لما نفاه اي لا اشرب والله وما

بعده

بعده استئناف او كالعلة له اي لا اشرب من اجل اني لا اجد له مساغا فاخذ اي النبي صلى الله عليه وسلم
القدح فحمد الله على ما منحه به من اليمن والبركة مع افادة مشروعية التسمية عند الشرب كالاكل
وغيره وسمى وشرب الفضلة فيه ايذان بان افضل القوم يكون اخرهم شربا وفي حديث خالد بن عبد
العزى الذي رواه البيهقي عنه انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم اي اعطاه شاة تصلح للجزر اي الذبح
اذ نزل عليه بالجعرانة فظل عنده وامسى ثم حدث له صلى الله عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة
يقال له محرش بن عبد الله لياخذ به طريقا الى مكة يامن فيه على نفسه لخوفه دخولها وحده فاخذ به
الى الوادي حتى بلغا اشعاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكرو وما والاه فهو لخالد وما بقي من الوادي
فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه واحله محرش اي حلقه ثم رجعا الى خالد وكان عيال خالد كثيرا يذبح
الشاة فلا تبد عياله اي لا تكفيهم اذا فرقت عليهم عظما عظما من التبديد يقال ابد بينهم العطا اذا لم
يجمع بين اثنين وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة اي التي اجزرها اياه وجعل فضلها
في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله بلا تبديد اي تفريق بينهم فاكلوا وافضلوا ببركته
صلى الله عليه وسلم ذكر خبره الدولابي وفي حديث الاخرى في نكاح فاطمة لعلي انه صلى الله عليه
وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة من حنطة او غيرها وذبح جزورا اي بعيرا
ويقع على الذكر والانثى لوليمتها قال اي بلال فاتيته بذلك اي بالذي امره ان يصنعه من القصعة
فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة بضم الرا وكسرها اي جماعة بعد جماعة ياكلون
منها حتى فرغوا وبقيت فضلة منها فبرك اي دعا بالبركة فيها وامر بحملها الى ازواجه قال كلن
واطعمن من غشيكن اي اتاكن يقال غشيه يغشاه غشيانا اذا اتاه وغشاه تغشية غطاه واستغشى
وتغشى بثوبه اي تغطى وغشي الشيء اي لابسه وغشي المراة اي جامعها وغشي عليه اي اغمي عليه وبكلها
ورد الحديث ففيه فان الناس غشوه فلا يغشنا في مساجدنا وهو مغشي بثوبه وتغشاه الله
وغشيتهم الرحمة وغشيها الوان اي لابستها وفي حديث انس الذي رواه الشيخان تزوج النبي صلى
الله عليه وسلم بعض نسائه فصنعت امي ام سليم كنية والدة انس حيسا هو كما مر طعام من تمر واقط
وسمن فجعلته في تور بمثناة اناء من صفر او حجارة رحراح اي قريب القعر مع سعة فيه فذهبت
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه فوضعته ثم قال ادع لي فلانا وفلانا ومن لقيته
فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر اي انس انهم اي الذين دعاهم كانوا ثلثمائة حتى
ملأوا الصفة دكة عالية تكون في البيت والحجرة بيت صغير في الدار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا
اي استديروا كالحلقة المفرغة عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام المسمى حيسا الذي
صنعته ام انس فجاءت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيه بالبركة وقال ما شاء الله ان يقول مما علمه الله من
الدعا عطفه عليه لشبه انقطاع بينهما فاكلوا حتى شبعوا فقال لي اي قال النبي صلى الله عليه وسلم لانس ارفع
فرفعته فما ادري حين وضع كان اكثر ام حين رفع واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة التي اولها فصل
نبع الماء من بين اصابعه في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذه الفصول بضعة عشر من الصحابة اي على معا ني
احاديثها بشهادة اضافته المفرد فانها تعم والبضع في العدد بكسر البا وقد يفتح اي ثلاثة عشر او اكثر اذ هو
ما بين الثلاث الى التسع وقال الجوهري تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول
بضع وعشرون وهو خلاف قوله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الواحد ببضع وعشرين درجة

رواه عنهم اي روى معنى حديث هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة اضعافهم من التابعين ثم رواه عن اضعافهم منهم من لا يعد بعدهم من تابعيهم واكثرها اي اكثر احاديث الفصول الثلاثة وردت في قصص مشهورة ومجامع مشهودة مما تقدم فيها لا يمكن التحدث عنها ولا الاخبار بما صدق منه صلى الله عليه وسلم من المعجزات فيها الا بالحق حذرا من التكذيب ولا سكت الحاضر المشاهد لها على ما انكر منها حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه وحصافة عقله

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابة دعوته

وقد ذكر فيه شواهد كذلك منها حديث ابن عمر مسندا اليه صلى الله عليه وسلم ورواه الدارمي والبيهقي والبزار عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا من الدنو وهو القرب اي قرب منه اعرابي نسبة الى الاعراب خص به من يسكن البادية فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك اي اترغب وتنقاد الى خير وتذعن له قال وما هو قال تشهدان مخففة من الثقيلة حذف اسمها اي انه لا اله الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا لا شريك له تاكيد لوحدانيته وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد على ما تقول قال هذه السمرة من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك وهو بشاطئ الوادي اي جانبه وطرفه فاقبلت تخد الارض بضم الخاء المعجمة اي تشقها تسعى اليه على ساق بلا قدم حتى وقفت بين يديه فاستشهدها ثلاثا اي طلب منها ان تشهد له فشهدت له ان الله واحد لا شريك له وانه عبد الله ورسوله كما قال ثم رجعت الى مكانها وروى البزار عن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية اي علامة تامره بطاعته وانقياده اليه فقال صلى الله عليه وسلم له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت عن يمينها وشمالها اي الى جهتها يمنة ويسرة وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها الضاربة في الارض متوغلة ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها اي شاقة لها جارة لها مغبرة بالتراب احوال من ضمير جاءت افادت مجيئها مشتملة عليها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله لعله صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها الى موضعها بكسر الباء سماعا وبفتحها قياسا فامرها فرجعت فدلت عروقها فاستوت قائمة عليها فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك جواب الامر ويجوز جعله جزاء شرط مقدر بعده اي ان تاذن لي قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد غير الله تعالى لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له عليها من الحقوق فقال ائذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له فقبلهما وفي الصحيح لابي الحسين مسلم بن الحجاج وفي حديث جابر الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به من العيون فاذا بشجرتين فاجاتاه بغتة من غير تقدم سبب والباء زائدة بشاطئ الوادي اي طرفه وجانبه فانطلق الى احداهما فاخذ بغصن منها فقال انقادي علي باذن الله اي بتيسيره وتسهيله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي جعل في انفه خشاش وهو عود يجعل في انفه ويشد به الزمام ليسهل انقياده لسهولته كانه يصانع قائده وذكر اي جابر انه صلى الله عليه وسلم فعل بالاخرى كذلك اي مثل ما فعل بالاولى حتى اذا كان بالمنصف بينهما بفتح الميم وسكون النون وسط الطريق بين موضعيهما قال التئما اي اجتمعا وانضما علي باذن الله اي بتيسيره فالتأمتا وفي رواية فقال يا جابر قل لهذه الشجرة التي بشاطئ الوادي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما فيقضي حاجته مستترا بكما فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر بضم الهمزة وسكون المهملة وكسر المعجمة من احضر الفرس

واحتضر

واحتضر اذا عدا واحتضرته اذا اعديته اي عدوا وجلست احدث نفسي بهذا الامر الغريب والاكرام العجيب والمنقبة الشريفة فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فاجاته بغتة فابصرته مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق في منبتها فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال براسه هكذا اي امالها يمينا وشمالا اذ تامنه لهما بالرجوع الى مكانهما وروى اسامة ابن زيد نحوه وروى البيهقي وابو يعلى بسند حسن عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه ومن ثم بينه الراوي بقوله يعني مكانا لحاجته يقضيها فيه فقلت ان الوادي ما فيه موضع خال قد امتلأ بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن رسول الله يامركن ان تاتين لمخرجه وقل للحجارة مثل ذلك الذي قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالدين الحق تلويح بجواز القسم في الامر العظيم لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما بعضها فوق بعض متراكمة فجلس خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده غاير في القسمين بين ما ذكر تفننا لرايتهن اي النخلات والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى احمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح قال يعلى بن سيابة بفتح المهملة وبعدها تحتية وبعد الالف باء مفردة نسبة الى امه وابوه مرة بن وهب الثقفي كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فامر وديتين واحدتهما ودية بفتح الواو وكسر المهملة بعدها تحتية مشددة مفتوحة هي صغيرة فسيل النخل اي صغاره فانضمتا وفي رواية اشاءتين بالفتح والمد صغار النخل الواحدة اشاءة والهمزة منقلبة عن ياء شاذة تصغيرها اشيا وعن يعلى بن مرة هو ابن سيابة كما ان طلحة اي شجرة عظيمة من شجر العضاة او سمرة بضم الميم شك من الراوي اذ هي من شجر الطلح جاءت فطافت به اي دارت حوله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي فجاءت وسلمت وترك مفعول استاذنت اختصارا وفي حديث الشيخين عن ابن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له قراءة القرآن شجرة فاعل اذنت بمد الهمزة اي اعلمته بهم وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث المتقدم آنفا ان الجن قالوا من يشهد لك اي انك رسول الله قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها اي لعروقها قعاقع جمع قعقعة وهي حكاية حركة يسمع له صوت وعن ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن بفتح الواو وكسر المهملة اسم فاعل من الوسن وهو اول النوم اي ليس بمستغرق فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك اي بطريق الطائف معروفة معظمة لما غشيها من بركته بطاعتها له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك اي اجابة الشجر دعوته حديث ابن ماجه والدارمي والبيهقي عن انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا من تكذيب قومه له حال من ضمير قال اتحب ان اريك آية تؤمنك بانك نبي قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل مرها فلترجع فامرها

بالرجوع الى منبتها فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا الحديث الذي رواه انس ولم يذكر فيه جبريل
وروى ابو نعيم عن جابر قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم الميم عوض عن يا ولا يجتمعان الا ضرورة كما
في قوله ٠ اني اذا ما حادث الما ٠ اقول يا اللهم يا اللهما ٠ وتعويضها عنها من خواصه كدخولها مع لامه وقطع
همزته ونادا القسم لا ابالي من كذبني بعدها وقوعا فدعى شجرة وذكر اي جابر مثله اي مثل حديث انس
وحزنه لتكذيب قومه اياه وطلبه الاية لهم رجا ان يومنوا فيفلحوا الا انه وذكر ابن اسحق ما رواه ابو
نعيم عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم ادى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى
وقفت بين يديه غاية لاتيانها قال ارجعي فرجعت الى منبتها وروى البيهقي مرسلا عن الحسن
انه صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه من زايده او تبعيضيه واقعة موقع المفعول اي
بعضهم اذ كان بعضهم قد اسلم وانهم يخوفونه بانواع العظايم كما قال تعالى عنهم واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وساله اية يعلم بها ان مخففة من الثقيلة اي انه لا مخافة
عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فان فيه شجرة فادع غصنا منها واحد اغصانها وهي اطرافها ما دامت
نابتة فيها فافعل فجا يخط الارض خطا حتى انتصب اي قام منتصبا بين يديه فحبسه ما شا الله من
الزمان ثم قال له ارجع كما جئت فرجع يخط الارض خطا حتى وقف بمنبته فقال اي النبي صلى الله عليه
وسلم يارب ان لا مخافة علي ونحو منه فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن عن عمر وقال فيه
اي عمر ادني اية لا ابالي من كذبني بعدها وقوعا وروى البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت اي اخبرني ان دعوت هذا العذق بمهملة مكسورة
فمعجمة ساكنة هو العرجون بما فيه من الشماريخ من هذه النخلة وتسمى هي عذقا بالفتح ومنه حديث انس
فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على امي عذاقها اي نخلاتها اتشهد اني رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم فدعاه فجعل اي اخذ في المجي اليه ولحق ينقز اي يقفز ويثب حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
واخرجه الترمذي اي في سننه وقال هذا حديث حسن صحيح جمع بينهما لروايته من طريقين احداهما
تقتضي صحته والاخرى حسنه فصل في قصة حنين الجذع تاسفا على مفارقته صلى الله عليه وسلم فصل
وشوقا اليه ادراكا يستلزم الحياة يخلق الله لها فيه كما يستلزمها عند الاشعري كالكلام النفسي استلزام العلم
لها لا شوقا طبعيا والالم يلزم من سماع صوت حينئذ وجودها فيه اذ الاصوات عنده لا تستلزم خلق
الحياة في محل ويعضد هذه الاخبار الشاهدة بكلام الشجر له ومجيئها اليه صلى الله عليه وسلم في الفصل
السابق حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر عند الخلف عن السلف والخبر بانه اي بانينه
متواتر يفيد العلم لمن اطلع على طرق الحديث دون غيره ممن لا يمارسها قد خرجه اهل الصحيح كالبخاري ومسلم
وابن حبان وابن خزيمة ورواه من الصحابة بضعة عشر اي ثلاثة او اكثر الى تسعة اذ البضع منها الثلاثة
منهم ابي بن كعب رواه عنه الشافعي والدارمي والبيهقي وسهل بن سعد رواه عنه الشيخان وابو سعيد
الخدري رواه عنه الدارمي وام سلمة رواه عنها البيهقي والمطلب بن ابي وداعة رواه عنه الزبير
ابن بكار في اخبار المدينة كلهم يحدث بمعنى الحديث فهي راجعة الى معنى واحد قال جابر كان المسجد
مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها كان هنا
افادت تكرار قيامه صلى الله عليه وسلم اليه استعمالها مع المضارع كما في وكان يامر اهله بالصلاة
والزكاة وكان حاتم يكرم الضيف فلما صنع له المنبر صنعه له غلام امراة من الانصار من اثل الغابة

سمعنا له صوتا كصوت العشار بمهملة مكسورة فمعجمة اي النوق الحوامل وفي رواية انس فلما قعد على المنبر
خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره اي لصوته من خار اذا صاح وفي رواية سهل وكثر بكا الناس
لما راوه من الوله لفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية المطلب حتى تصدع اي تشقق و
وانشق عطف تفسيري حتى جا النبي فوضع يده عليه فسكت زاد غيره في رواية الشافعي عن ابي
ابن كعب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره اي غير ذلك الغير
في رواية ابي يعلى عن انس والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا لفراقه
وشوقا لما كان يسمع من الذكر فامر صلى الله عليه وسلم به فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل
واسحق بن عبد الله بن ابي طلحة تابعي عن انس وفي حديث ابي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلى اليه
قريبا منه وكان هنا افادت تكرار صلاته اليه مع الماضي نحو اذا اليه فلما هدم المسجد من جهة
القبلة في خلافة عثمان لزيادة فيه توسعة له او في ايام اباحة يزيد المدينة ثلاثا اخذه ابي وكان عنده
الى ان اكلته الارض التي يقال لها ارضة سميت بفعلها واضيفت اليه في اية سبا وعاد رفاتا اي متفتتا
فتاتا دقيقا هذا وقصة حنين الجذع واحدة لرجوعها الى معنى واحد وما وقع في الفاظها من الاختلاف
والزيادة مما ظاهره التغاير فمن الرواة فلا نطيل بذكرها فصل ومثل هذا اي ما ذكر من حنينه فصل
في ساير الجمادات وقع له منها وقد روى هنا شاهدا لذلك حديث البخاري عن ابن مسعود قال لقد
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل حال كونه من الطعام اي حال اكله وفي رواية عنه ايضا كما في الترمذي
كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيحه حال من ضمير ناكل اي سامعين وروى
ابن عساكر في تاريخه قال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى اي حجارة دقاق فسبحن في يده حتى
سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم صبهن في ايدينا فما سبحن وقال البزار والطبراني
في الاوسط والبيهقي وروى الترمذي بسند حسن والدارمي قال اي علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام
عليك يا رسول الله بخلق الله تعالى فيهما نطقا وان لم يكن معه حياة اذ ليس بينهما تلازم وروى مسلم عن جابر
ابن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي يقول السلام عليك يا رسول الله قيل
هو الحجر الاسود وروى البزار عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل
بالرسالة جعلت اي شرعت وقصدت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله بخلق الله
تعالى فيها نطقا على تمام تشريفا وتكريما وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله لم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له
سجود تحية واكرام وروى البيهقي عن العباس اذا اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه عبد الله
وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة بميم مضمومة وهمزة ممدودة اي ريطة كالملحفة ودعا لهم بالستر من النار
بفتح سينه مصدر ستر والاسم الستر بالكسر كستره صلى الله عليه وسلم اياهم بملاته كان قال يا رب هذا
عمي وصنو ابي وهولا بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه فامنت اسكفة الباب اي عتبته
وحوايط البيت جمع حايط وهو الجدار اي جدرانه المحدقة به من جميع نواحيه امين امين بخلقه تعالى
ذلك فيها وامين بالمد والقصر اكثر مبني على الفتح ومعناه استجب لي وفي حديث خاتم رب العالمين امين
يعني انه طابع الله على عباده لان به تدفع البلايا والالم والافات وكان لخاتم الكتاب فانه يصونه من الفساد
والاطلاع ما فيه وفيه امين درجة في الجنة اي هي كلمة يكتسب بها قائلها درجة فجعلت نفسها لكونها سببا لها مجازا وعن

جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين العابدين مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه
رمان وعنب فاكل منه فسبح اي اراد من رواه وروى احمد والبخاري والترمذي وابن ماجة عن انس
صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم اي تحرك تحركا شديدة واضطرب
فضربه برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي اراد نفسه وصديق عني به ابا بكر وشهيدان اراد عمر
وعثمان وقد قتلا ظلما فنالا الشهادة ومثله عن ابي هريرة في حرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حرا وابو بكر وعمر وعثمان زاد ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية وسعد بن ابي وقاص بدل
علي فتحركت الصخرة فقال اسكن حرا فما عليك الا نبي وصديق او شهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب
عثمان ولم يذكر عثمان سعدا وقال اهدا بدل اسكن والخبر الذي رواه مسلم والترمذي والنسائي
في حرا ايضا عن عثمان قال اي عثمان ومعه عشرة من الصحابة انا فيهم وزاد اي عثمان عبد الرحمن
هو ابن عوف وسعدا هو ابن ابي وقاص قال اي عثمان ونسيت الاثنين لعلهما طلحة والزبير وفي حديث
سعيد بن زيد الذي رواه ابو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة ايضا مثله اي مثل الخبر
قبله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي في حديث الهجرة من السيرة انه صلى الله عليه وسلم حين طلبته
قريش قال له ثبير جبل بمنى على يسار الذاهب الى عرفة اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حرا الي يا رسول الله وهو جبل اسفل منى على يسار الذاهب اليها وهو اقرب
الى مكة من ثبير هذا ولا يبعد اجرا امرهما له صلى الله عليه وسلم على ظاهره لشهادة حنين الجذع لمفارقته
له حتى سمعه الناس فضمه اليه فسكن رواه البخاري عن جابر وسلام الحجر الاسود عليه قبل الوحي رواه
مسلم وروي ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرأ وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه بجعلهم
له شركا ووصفه بما لا يليق ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يمجد الجبار نفسه تعظيما له وتوفيقا
لعباده على كنه جلاله انا الجبار انا الجبار مبالغة من الجبر وهو القهر لعباده على ما يريد منهم من امر
ونهي يقال جبر واجبر والاول اكثر انا الكبير من الكبر بالكسر وهو العظمة بمعنى كمال الذات وكمال
الوجود ولا يوصف بها غيره اي العظيم ذو الكبرياء ويقال كبر يكبر بضم بابهما اي عظم فهو كبير المتعال
عما لا يليق بجناب عزه وبابه للتفرد والتخصيص لا للتعاطي والتكلف فرجف المنبر اي اضطرب اضطرابا
عنيفا وتحرك تحركا شديدا بما خلق الله فيه حياة ادرك بها هيبة عظمته تعالى حتى قلنا ليخرن اي ليسقطن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه من شدة حركته وروى البزار والبيهقي عن ابن عباس كان حول
البيت على جدرانه ستون وثلثمائة صنم اتخذها قريش الهة يعبدونها من دون الله مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة وروى ابو يعلى نحوه قال فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح
جعل اي قصد وطفق يشير بقضيب اي بسيف لطيف دقيق او عود في يده حال من قضيب اليها ولا
يمسها لبعدها عنه ويقول حال من فاعل يمسها اي قائلا جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل من زهقت
روحه اذا خرجت اي ذهب الشرك وهلك ان الباطل كان زهوقا اي مضمحلا غير ثابت فما اشار به الى
وجه صنم الا وقع لقفاه ولا اشار به لقفاه الا وقع لوجهه الا سقط عليه هيبة منه وذكر الوجه
والقفا لانهما اول ما يلقى الارض من قدام وخلف ولانها لاختصاصهما بالوقوع غالبا حتى ما بقي منها
صنم الا خر صريعا ومثله اي مثل هذا الحديث حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان وقال اي ابن
مسعود يطعنها اشارة لا مسا ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد اي هلك

الشرك

الشرك فلم يبق له ابدا ولا اعادة او الباطل الذي هو الصنم لا يبدي خلقا ولا يعيده ولا يبدي خير الاهله ولا يعيده
في الاخرة ومن ذلك اي مما ذكر عن الجمادات حديثه الذي رواه الترمذي والبيهقي مع الراهب هو بحيرا
واسمه جرجس او جرجيس بزيادة يا من عبد القيس من نصارى تيما او بصرى ذكره ابن منده وابو نعيم
في الصحابة لما لايمانه به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وعده منهم مؤذن بدخول من راه قبلها في
عموم قولهم الصحابي من راه صلى الله عليه وسلم كورقة وزيد بن عمرو بن نوفل في ابتدا امره صلى الله عليه
وسلم اذ خرج تاجرا ظرف لحديثه معه او لابتدا امره مع عمه ابي طالب هذا ولم يكن في خروجه معه
تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركني وليس لي احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك
مع ميسرة غلام خديجة وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل اي قصد وشرع يتخللهم حتى
اخذ بيده صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين لمجيئه لهم بما
يسعد منهم من تبعه سعد ومن ابى شقي وهو رحمة له في الدنيا بامنه من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال فقال اشياخ من قريش ما علمك بما ذكرت من كونه سيد العالمين ورحمة لهم
قال تصديقا لقوله انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر له ساجدا ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة
فقال واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما
فلما اتاهم به صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فقال ارسلوا اليه ثم قال فاقبل وعليه غمامة
تظله فقال انظروا الى الغمامة تظله فلما دنى من القوم وجدهم سبقوه الى في الشجرة فلما
جلس مال الفي اليه فقال انظروا اما ل الفي اليه ثم قال انشدكم الله ايكم وليه قالوا ابو طالب
واذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فسالهم فقالوا ان هذا النبي قد خرج من بلاده في هذا الشهر فوجهوا
الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقالوا ارايتم امرا اراده الله ايقدر احد يدفعه قالوا لا
فاقاموا عنده ثلاثة ولم يزل يناشده عمه حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب
زيتا وكعكا قيل وذكر ابي بكر وبلال وهم فصل في الايات الشاهدة بنبوته وصدق فصل
رسالته وما خص به من بدايع الكرامات في ضروب الحيوانات وقد اسند هنا حديثا عن
عائشة رواه احمد والبزار وابو يعلى والطبراني والبيهقي والدارقطني وهو صحيح شاهدا لذلك
قالت كان عندنا داجن من المداجنة وهو حسن المخالطة وهو ما يالف البيوت من الحيوانات
كالشاة والطير فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر ولم يذهب توقيرا واكراما
له وهيبة منه واذا خرج جاء وذهب وروي عن عمر صدره بصيغة الصيغة تلويحا بضعفه وممن
رواه الطبراني والبيهقي قال وروي ايضا باسانيد عنها وابي هريرة وما ذكرناه هو امثلها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل بفتح اوله وكسر ثالثه مجتمع الناس من اصحابه اذ جاء اعرابي
اي فاجا مجيئه بغتة قد صاد حال من الاعرابي اي صائد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال
واللات والعزى صنمان كانوا يعبدونهما فاللات كانت لقريش بنخلة ولثقيف بالطائف والعزى
بالضم تانيث الاعز سمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها
فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فقتلها يقول
يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ثم اخبر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك
العزى ولن تعبد ابدا وقسمه بهما لانه لم يكن اسلم بشهادة قوله لا امنت بك اي بكونك رسول الله

او يومن بك هذا الضب غاية لنفي ايمانه اي الى ان يومن بك فآمن انا ايضا بك وطرحه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم اي القاه بين جهتي يديه فقال له يا ضب فاجابه بلسان بين حروفه
لا ساذج يسمعه القوم جميعا لبيك اي اجابتي لك يا رسول الله ونصبه على المصدر واما مل الا بظهر
كان يقال البا با بعد الباب ولم يستعمل الا بلفظ التثنية في معنى التكرير اي اجابة بعد اجابة
وسعديك اي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة واسعادا بعد اسعاد ونصبه على
المصدر بفعل لا يظهر قيل ولم يسمع مفرده يا زين من وافى القيمة قال اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم له من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله لمستعي فضله
وفي الجنة رحمته لمؤمني عباده وفي النار عقابه لكافري عباده وعصاتهم ولو واحدا قال فمن انا
قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين اي اخرهم فبفتح التاء بمعنى ختموا او بكسرها بمعنى ختموا به
وبكسرها بمعنى ختمهم بشهادة قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وقد افلح اي فاز بالفلاح من
صدقك فيما جئت به وقد خاب اي توشح بالحرمان والخسران من كذبك فيما جئت به فاسلم الاعرابي
اي انقاد واذعن لطاعة الله ولطاعة رسوله لما عاينه من اكرام الله له بنطق الضب له هذا وقد
طعن في حديثه قال ابن دحية انه موضوع وقال الحافظ المزي لا يصح اسنادا ولا متنا ومن ذلك
اي من الايات كلام الذئب الذي رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه عن ابي سعيد بينا راع يرعى غنما
له عرض الذئب لشاة بينا كبينما ظرفا زمان بمعنى المفاجاة يضاف الى جملة فعلية او اسمية كما
هنا ولابد لهما من جواب يتم به المعنى اي وقت رعيه غنمه فاجا عروض الذئب لشاة منها فاخذها
اي الراعي منه فاقعى اي الصق اليته بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض
وقال للراعي الا تتقي حلت بيني وبين رزقي الا كلمة استفتاح مركبة من همزة استفهام وحرف
نفي للتنبيه على تحقق ما بعدها لان الاستفهام اذا دخل النفي افاد تحقيقا قال الراعي العجب من ذئب
يتكلم بكلام البشر ولا عجب انطقه بذلك الذي انطق كل شيء فقال الذئب الا اخبرك باعجب من
هذا رسول الله بين الحرتين تثنية حرة وهي ارض ذات حجارة سود يحدث الناس بانباء ما قد سبق
من اخبار احوال الامم الماضية وانما كان اعجب لانه اخبار بالغيب فاتى الاعرابي النبي فاخبره بكلام الذئب له
فقال النبي صلى الله عليه وسلم للراعي قم فحدثهم اي الحاضرين ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان
حدثهم الراعي صدق وفي بعض الطرق عن ابي هريرة انت اعجب واقفا على غنمك وتركت اي انت
حال وقوفك تاركا نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه عنده قدرا تمييز للنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب
الجنة الثمانية واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم تعجبا منه لكونه مثل صفوف
الملائكة وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير اذا ذهبت اليه في جنود الله المجاهدين في سبيله
قال الراعي من لي اي من يكفيني حفظا ورعيا قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل غنمه اليه
ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يقاتل فقال له عد الى غنمك تجدها جواب الامر وشرط مقدر
بعده اي ان تعد اليها تجدها بوفرها بفتح الواو اي بكثرة لم ينقص منها شاة اي وجدها كذلك اي بوفرها
وذبح للذئب منها شاة وعن اهبان بضم الهمزة ابن اوس فيما رواه البخاري في تاريخه والبيهقي
مثله وانه صاحب القصة المحكية عن الذئب انفا وان المتحدث بها والمتكلم بها هو الذئب وفي الروض
الانف في غزوة ذي قرد عن سلمة بن عمرو بن الاكوع انه اي سلمة كان صاحب القصة ايضا وكانت سبب

اسلامه بمثل حديث ابي سعيد الخدري وروى ابن وهب مثل هذا الذي ذكر من كلام الذئب انه جرى لابي سفيان
ابن حرب وصفوان بن امية وكانا قبل اسلامهما من الاشد اعلانه صلى الله عليه وسلم مع ذئب وجداه اخذ
ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب تعظيما للحرم واحتراما له تعجبا من ذلك فقال الذئب
اعجب من ذلك اي من عجبهما محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة الى ما يورث النجاة والفوز
بها وتدعونه الى النار اي ما هو سبب لدخولها فقال ابو سفيان لصفوان بن امية بن خلف واللات
والعزى صنمان كانا يعبدان على ما مر لئن ذكرت هذا اي الذي جرى لنا مع الذئب وتكلمه ايانا
بمكة لتتركنها خلوفا بضم المعجمة يقال حي خلوف اذا غاب الرجال وبقيت النساء وتطلق على المقيمين
اي لتتركن اهلها بعد سماعهم ذلك منك ذاهبين الى محمد فلم يبق احد منهم الا اسلم ولعل هذا كان سبب
اسلامهما وفي الحديث قالت اليهود لقد علمنا ان محمدا لم يترك اهله خلوفا اي بلا راع لهن ولا حامي ومنه
قول صاحبه المرادتين وتعرفا خلوف اي رجالنا غيب وقد روى مثل هذا الخبر الذي جرى لابي سفيان
وامية انه جرى لابي جهل واصحابه ولم يسلم لشقائه وقتل ببدر كافرا وفي الطبراني الكبير بسند لا باس به
قرب مما هنا عن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار بمعجمة وراء بينهما ميم فالف صنمه بدل اي بيان
لضمار كان يعبده وقومه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم قال اي عباس بن مرداس
فاذا طائر سقط اي فاجاني بغتة سقوطه فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك بتخلفك
عما يورثك الفوز بالسعادة الابدية وينقذك من النار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام
حذف مفعوله للتعميم اي كل احد اليه وانت جالس لا تظعن اليه فتسلم فكان كلام الطائر سببا لاسلامه
وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله عن رجل اسمه اسلم او يسار استشهد في غزوة خيبر اتى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو على بعض حصون خيبر جمع حصن وهو القصر والجملة حال منه صلى الله عليه وسلم وحذف جهة كونه
عليه لتذهب النفس كل مذهب ممكن وكان اي الرجل في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم فقال احصب
اي ادم وجوهها بالحصباء وهي دقائق الحصى لترجع الى دورها لكيلا فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها
لا يفقدون منها شاة ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وروى احمد والبزار بسند صحيح عن انس دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائطا انصاري اي بستانه وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له
صلى الله عليه وسلم سجود الهام تكريما له وتعظيما فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها لو كان يجوز لغير الله وروى
البزار بسند حسن عن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا اي بستانا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله اي
مثل حديث ابي هريرة فقالوا اهذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل نحن احق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد
لبشر لو صلح لامرت المراة ان تسجد لزوجها لماله من الحق عليها ومثله اي مثل حديث ابي هريرة في الجمل عند ابي نعيم عن ثعلبة
ابن ابي مالك وعند احمد والدارمي والبزار والبيهقي عن جابر بن عبد الله وعند احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن
يعلى بن مرة وعند مسلم وابي داود عن عبد الله بن جعفر وقال اي ابو هريرة وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه
الجمل حفظا منه للحائط واستعظاما للداخلة ورعاية لاهله فيه فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فجاء خاضعا
ذليلا داخرا فوضع مشفره بميم مكسورة فمعجمة ساكنة ففاء مفتوحة فراء شفته على الارض وبرك بين جهتي
يديه فخطمه بخطامه اي برسنه وقال ما بين السماء والارض شيء حيوانا وغيره الا يعلم اني رسول الله خلق الله ذلك فيه
الا عاصي الجن والانس جمع عاص حذفت نونه للاضافة وفي رواية قال لهم اي لاهل الجمل انه شكى كثرة العمل
في مصالحكم وقلة العلف بفتح اللام اسم لما ياكله الدواب وفي رواية شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملوه

في شأن العمل من صغره في مصالحكم فقالوا نعم قال بئس الجزاء اردتموه له وأما قصة الغضب فلم ادر من رواها ولاحدث
حمام مكة وروى عبد ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابي نعيم عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امر الله ليلة الغار شجرة فنبتت مجاز عن انبتها لشبهه بالها كصبير ورلقا نابته بما مر
مختار ساتي منه الفعل اختيارا كاية كونوا قردة فسترته وامر حمامتين اي الهمهما فوقفتا بفمه فسمت صلى الله
عليه وسلم عليهما اي دعا لهما وانحدر الى الحرم فافرخ كل حمام فيه وفي حديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا اي
اذا ابدأتم بداتم بالاكل فكلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتوا اي ادعوا لمن اكلتم عنده وفي حديث اخر وان
العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له صلى الله عليه وسلم ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم يكن
الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا خائبين لم يفوزوا بمبتغاهم وروى الحاكم
والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن قرط الثمالي قال قرب للنبي صلى الله عليه وسلم بدنات جمع بدنة وهي خاصة
بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله عليه وسلم البقر بها في الاجزاء عن سبعة تناول اسمها للبقرة شرعا بل الحديث واية الحج
بمعناه سميت بدنة لعظم بدنها لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه افتعلن يفتعلن من الازدلاف وهو القرب ابدلت
التاء دالا لتشعرها بالزاي اي تقربن منه بايتهن يبدأ بنحرها وروى الطبراني والبيهقي عن ام سلمة كان النبي صلى
الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية فالتفت فاذا هي موثقة واعرابي نائم قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان تثنية خشف وهو ولد الظبية الصغير في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما
وارجع قال وتفعلين عطف على مقدر اي تقولين ذلك وترجعين الي قالت نعم فاطلقها فذهبت فارضعتهما
ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو وتضرب برجلها الارض وتقول حال من ضمير خرجت اي قائلة اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ورواه ابو نعيم في الدلائل باسناد فيه مجاهيل وقال ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد
كذب قيل وردت في الجملة في عدة احاديث يقوي بعضها بعضا اوردها ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج
احاديث المختصر ومن هذا الباب اي باب طاعة الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما روي من تسخير الاسد لسفينة
مولاه صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن حال من معاذ اي حال اقامته به وهو اقليم معروف فلقي الاسد
فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر اي سفينة في منصرفه
مثل ذلك اي انه لقيه الاسد فعرفه انه مولاه فتنحى عنه لم ادر من رواه كذا وقد روى البيهقي ان لقية الاسد انما
كان حين ضل عن الجيش في ارض الروم وفي رواية اخرى عنه اي عن سفينة رواها البيهقي والبزار ان سفينته
تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد اي فاجاه بغتة فقلت له انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
يغمزني بمنكبه بفتح الميم وكسر الكاف ما بين الكتف والعنق وجمعه مناكب كما في حديث ابن عمر خياركم الينكم
مناكب في الصلاة حتى اقامني على الطريق غاية لغمزه اياه واخذ صلى الله عليه وسلم باذن شاة للقوم من بني عبد
القيس بين اصبعيه تثنية اصبع وفيه عشر لغات ضم الهمزة مع تثليث البا وكذا فتحها وكسرها معه في كل منهما
والعاشرة اصبوع ثم خلاها فصار ميسما اي صار اثر اصبعيه لها علامة واصله موسم قلبت واوه يا لكسر
ما قبلها وهو الحديدة التي يعلم بها بالكي واطلاقها على العلامة كما هنا مجاز وقد تطلق على العضو الموسوم
لشهادة حديث على كل ميسم من الانسان صدقة اي على كل عضو موسوم بصنع الله وفي الحديث بئس لعمر الله عمل
الشيخ المتوسم والشاب المتلوم اي المتحلي بسمة الشيوخ وليس هناك والمتعرض للوم بفعل يلام عليه وبقي الاثر
فيها وفي نسلها بعد اي بعدها او تؤكد تاثير اصبعيه في اذنها ولا ادري من رواه ومن هذا الباب ما روي

عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه صلى الله عليه وسلم بخيبر لما فتحها الله عليه وقال له ما
اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسله ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني ولم
يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبيا غيرك وكنت ليهودي وكنت اعثر به عمدا وكان يجيعني ويضربني فسماه
صلى الله عليه وسلم يعفورا وكان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب الباب براسه ويستدعيهم اليه صلى
الله عليه وسلم وان النبي لما مات تردى في بئر لابي الهيثم بن التيهان جزعا وحزنا فمات رواه ابن حبان في
الضعفا من حديث منظور وقال لا اصل له واسناده ليس بشيء وابن الجوزي في الموضوعات وفي حديث
الناقة التي شهدت عنده صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه رواه الطبراني عن زيد
ابن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر قال الذهبي وهو موضوع وفي العنز من بدايع المعجزات
وعجايب الايات ما فيه اكرام له صلى الله عليه وسلم وتنويه برفيع منزلته عند ربه اي في قصتها التي رواها ابن سعد
وابن عدي والبيهقي مولى ابي بكر اتت النبي صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء
وهم زهاء الثلاثمائة احوال متتابعة افادت هيئات مختلفة اذ بل بعضها بمعجزة باهرة افادها قوله فحلبها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع مولاه املكها اي اشدد وثاقها وتعاهدها وما اراك
بضم الهمزة اي اظنك تملكها وتحتفظ عليها فربطها وذهب ثم رجع فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره
وفيه اي حديث ابن قانع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها قد ذهب بها وقال صلى الله عليه
وسلم لفرسه وقد قام الى الصلاة حال من الضمير قبله اي قائما اليها في بعض اسفاره متعلق بقال لا تبرح بارك الله
فيك حتى نفرغ من صلاتنا غاية للنهي عن البراح وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى فرغ صلى الله عليه وسلم منها
امتثالا لامره فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان المراضع جمع راضع على خلاف القياس وشهادتهم
له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وقد اورد فيه شواهد لذلك منها ما اورده بسنده الى ابي داود من حديث ابي
هريرة ان يهودية اسمها زينب بنت الحارث اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية اي مشوية سمتها
فاكل منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البرا بفتح البا وتخفيف الرا
مما اكل منها وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت اي ما السبب الداعي لك الى سمها واهدائها الي مسمومة
قالت ان كنت نبيا لم يضرك ما فعلت من سمها وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال اي ابو هريرة كما رواه
البيهقي عنه موصولا وابو داود عن ابي سلمة مرسلا فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث اي حديث ابي
هريرة انس كما في الصحيحين وفيه قالت اردت قتلك اذ لم تكن نبيا فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك اي
على قتلي فقالوا انقتلها قال لا فقتلوها ولعل هذا كان قبل ان يموت بشر بن البرا فلما مات امر بقتلها به وكذلك
روى هذا الحديث عن ابي هريرة من رواية عمرو بن وهب هو ابن بقية شيخ ابي داود وقال اي ابو هريرة فما عرض لها
اي لم يأمر بقتلها ورواه ايضا جابر كما عند ابي داود والبيهقي وفيه اخبرتني به هذه الذراع وفي الحديث الذي
رواه الشيخان عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع لهات وهي لحمات في سقف
اقصى الفم وفي حديث ابن سعد وهو في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت اكلة بضم الهمزة اي لقمة خيبر بلدة على اميال من المدينة الشريفة اكل بها من الشاة المسمومة
تعادني بتشديد الدال اي تراجعني ويعاودني الم سمها في اوقات معلومة يقال به عداد من الم اي يعاودني
الم سمها في اوقات معلومة يقال به عداد من الم يعاوده في اوقات معلومة والعداد اهتياج وجع اللديغ
فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم فالان اوان قطعت بضم نون اوان او فتحه لاضافته الى مبني

كانى قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا ابهري بهمزة مفتوحة وبا موحدة عرق مستبطن القلب اذا قطع
لم تبق معه حياة او منشاه من الراس ممتد الى القدم له شرايين متصلة باكثر اطراف البدن فالذي في
الراس منه يسمى النامة ومن ثم قيل اسكت الله نامته اي امانته وممتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الصدر
فيسمى الابهر والى الظهر فيسمى الوتين والفواد معلق به والى الفخذ فيسمى النسا والى الساق فيسمى الصافن
وفي الحديث تلويح بانه صلى الله عليه وسلم قد نال الشهادة بما اكله من السم هذا وابن ضمان الله له عصمته
من الناس وقد سم وسحر وكسرت رباعيته واجيب بان المراد لها عصمته من القتل وعليه صلى الله
عليه وسلم ان يحتمل ما دونه في ذات الله بشهادة قول انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى
نزل والله يعصمك من الناس قال ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله هذا وادعوى ابن سحنون اجماع اهل
الحديث انه صلى الله عليه وسلم قتلها يردها امر من حديث انس وابي هريرة من رواية غير وهب بن
بقيه وروى الحديث اي حديث الشاة المسمومة البزار عن ابي سعيد الا انه قال في اخره فبسط يده
اي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال كلوا بسم الله فاكلنا منها فلم تضر منا احدا وعن ابن حجر انه منكر واختلف
ايمة النظر من المتكلمين وغيرهم في هذا الباب اي باب خلق الله الكلام في جسم فمن قايل يقول هو كلام
يخلقه الله في محل مثل الشاة المسمة او الحجر او الشجر حروف واصوات عطف على كلام يحدثها الله فيها
بلا حياة لعدم توقفه عليها ويسمعها من شاء من خلقه منها من الاصوات والحروف لانه على كل شي قدير
دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو اي خلق الله الكلام مشتملا على حروف واصوات فيما ذكر
مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري امام اهل السنة والقاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني وهذا موذن بان
الحياة ليست شرطا لخلق الكلام في جسم لصدوره من قدير لا يعجزه شي واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها
اولا ثم ايجاد الكلام بعده اي بعد ايجاد الحياة بها وحكي هذا ايضا عن شيخنا اهل السنة ابي الحسن الاشعري
وكل من القولين محتمل لايجادها فيه وعدمه هذا وان لم يخاطرك من نسبة القول الثاني للشيخ تناقض فادفعه
بحمله كما يا بى على النفسي لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والاول اللفظي لعدم استلزام خلقه في محل
خلقها فيه اذا لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها اي الحروف والاصوات
فيه مع عدم الحياة بمجردها فيه فاما اذا كانت اي الحروف والاصوات عبارة يعبر بها عن الكلام النفسي فلا
بد من شرط الحياة لها اي للاصوات والحروف اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من متقدمي
المعتزلة من بين سائر متكلمي الفرق اذ لم يوافقه احد منهم في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات
الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بها والتزم ذلك اي التزم قوله وجود الكلام اللفظي والحروف
والاصوات انما يكون من حي في الحصا الذي سبح في يده صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان ثم لم يسبح في يد
غيرهم والجذع الذي حن لفراقه والذراع من الشاة الذي اخبره انها مسمومة فقال ان الله خلق فيها حياة وخرق
لها فما ولسانا واله امكنها بها من الكلام وهذا منه دعوى بلا بينة اذ لو كان ما ادعاه ووجد في الاعيان
لكان نقله والتهمم به اوكد من التهمم بنقل تسبيحه واخباره اي الحصا والجذع والذراع في ايديهم واليه وله
ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك الذي ادعاه الجبائي فدل عدم نقل ما ادعاه مع كون
التهمم به اوكد مما نقل على سقوط دعواه وروى وكيع عن فهد بن عطية والبيهقي عن شمر بن عطية عن بعض
اشياخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب اي صار شابا لم يتكلم قط فقال له من انا
قال انت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي وابن عساكر عن معرض بميم مضمومة ورا مشدده

ابن

ابن معيقيب رايت من النبي عجبا جي اليه صلى الله عليه وسلم بصبي يوم ولد فذكر مثله اي قال له من انا
قال رسول الله وهو حديث مبارك اليمامة قال ابن دحية هو موضوع ويعرف بحديث شاصونه اسم
راويه وفيه فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم له صدقت بارك الله فيك ثم انه لم يتكلم بعدها
اي بعد شهادته له بانه رسول الله حتى شب وبلغ زمن التكلم فكان يسمى مبارك اليمامة الفا سببيه اي
بسبب قوله بارك الله فيك سمي مباركها وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة
وفيها توفي ابنه ابراهيم واسلم جرير بن عبد الله البجلي ونزل اليوم اكملت لكم دينكم وعن الحسن بن ابي الحسن
البصري اتي رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية تصغير بنت له في وادي كذا فانطلق معه
الى الوادي وناداها باسمها يا فلانه احيي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك لم يستحل الاستفهام
وقد مر بيانهما فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان ارادك عليهما رددتك اليهما قالت لا حاجة لي
فيهما وجدت الله خيرا لي منهما لم اعلم من رواه عن الحسن وروى ابن عدي والبيهقي عن انس ان شابا من
الانصار توفي وله ام عجوز حال من ضمير قبله اي حال وجودها عميا فسجيناه من سجا الليل اذا اظلم
اي غطيناه وعزيناها اي امرناها بالصبر وحملناها عليه بوعد الاجر والتحذير من الوزر ودعونا لها
بجبر المصيبة ولولدها بالمغفرة فقالت مات ابني استفهام حذفت همزته تخفيفا اي امات قلنا نعم
فقالت اللهم اي يا الله حذف حرف النداء وعوض عنه الميم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى رسولك
رجاء ان تعينني على كل شدة علقت ما رجته بحرف لقاطعها بصحة لوجهه بعلمه تعالى اما لعدم جزمها بكونها
خالصة او تجاهلا منها فيه ورجا الاعانة مفعول من اجله الهجرة فلا تحملن على هذه المصيبة فلست
لحملها بمطيقة شبهت ما يغشاها من نوائبها وبرهقها من نوائبها بحمل ثقيل يقصر الظهر ويفت عظمه منه ثم
اشتقت منه الفعل فوقعت الاستعارة في المفرد رامانه وفي الفعل تبعية او ان هنا بمعنى اذ اي اذ كنت
عالما بان هجرتي لذلك فلا تكافني اياها فما برحنا اي ما ذهبنا من مكاننا حتى كشف الثوب عن وجهه
فطعم وطعمنا من الطعم وهو الذوق اريد به هنا الاكل وروى كما عند البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله
الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري خطيب الانصار ممن شهد له رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالجنة وكان قتل باليمامة في زمن الصديق سنة اثنى عشرة فسمعناه حين ادخل القبر
يقول حال من الضمير قبله اورده مضارعا بعد سمع ماضيا تصوير الحال بكلمة بعد موته قائلا محمد رسول
الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم كانه رآهم فاشار هذا مجملا الى اخره فنظرنا مختبرين
حاله من حياة وموت فاذا هو ميت اي فاجانا بغتة كونه ميتا او فاجانا بغتة موته وذكر عن النعمان بن بشير
في رواية الطبراني وابي نعيم وابن منده وفي رواية ابن ابي الدنيا عن انس ان زيد بن حارثة من بني الحارث بن
ابن الخزرج خر ميتا اي سقط من قيام حال موته ويجوز ان يكون قد خر حيا فمات فعبر بحصوله له عقبه بدون
مهلة بما ذكر مجازا مرسلا في بعض ازقة المدينة جمع زقاق بالضم اي بعض طرقها فرفع وسجي اي غطي اذ سمعوه
بين العشائين والنساء يصرخن حوله اي يصحن بكاء عليه يقول يجري فيه ما ذكر قريبا اي قائلا انصتوا
انصتوا اي استمعوا فحسر عن وجهه اي كشف عنه غطاؤه فقال محمد النبي الامي هو من لا يكتب ولا يقرا
وصف به تلويحا بكمال علمه وخاتم النبيين لا نبي بعده احد كان ذلك اي كونه رسولا نبيا اميا في الكتاب ب
الاول اي اللوح المحفوظ المكتوب فيه المقدرات ثم قال مخاطبا لمن يتاتى توجيه الخطاب اليه او مجردا من
نفسه مامورا صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك اصله سلمت سلاما ثم حذف

العقل واقيم مصدره مقامه وعدل به الى الرفع سدا للدلالة على ثبوت المعنى واستقراره ثم تعريفه اما للعهد ذهنا اي ذلك السلام الذي وجه الى الانبيا موجه اليك او خارجا اشارة الى وسلام على عباده الذين اصطفى او للجنس حقيقة السلام الذي يعرف كل احد ما هو وممن يصدر وعلى من يرد عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته جمع بركة وهي كثرة الخير الالهي ثم عاد ميتا كما كان عود البدا

فصل في ابرا المرضى وذوي العاهات

قد اشتهر هنا حديث سعد بن ابي وقاص من طريق ابن اسحق ورواه البيهقي قال سعد في قصة احد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به فيقتل من اصابه وقد روى ابن اسحق والبيهقي عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ اي يوم احد عن قوسه حتى اندقت اي انكسرت واصيب عين قتادة حتى وقعت على وجنته اي على اعلا خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدي والبيهقي عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقي من وجه آخر عن ابي سعيد الخدري عن قتادة فكانت احسن عينيه وروى البيهقي من حديث ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم بصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد بفتح القاف والرا ما على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ويقال لها غزوة الغابة قال ابن سعد في ربيع الاول سنة ست وفي البخاري بعد خيبر بثلاثة ايام وقيل الحديبية فما ضرب علي ولا قاح وروى النساي والترمذي والحاكم والبيهقي وصححاه عن عثمان بن حنيف بمهملة مضمومة فنون ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله لي ان يكشف لي عن بصري اي يزيل عنه ما يحجبه قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم آمرا له انطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اي يا الله حذف حرف الندا وعوض عنه الميم ولا يجتمعان وخص به كما اختص بتا القسم وحرف الندا مع لامه وقطع همزته وتفخيمه اني اسالك واتوجه اليك قاصدا لك بالدعا بنبيي اضافة تبرك به صلى الله عليه وسلم محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري ما يحجبه فدعا فابصر ونداه باسمه صلى الله عليه وسلم لعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وروى كما عند الواقدي وابي نعيم عن عروة ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم يستشفيه فاخذ صلى الله عليه وسلم حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله اي رسول ابن ملاعب الاسنة وهو اول مفعولي اعطى وفاعل الاخذ فاعجب له من فاعل ومفعول فاخذها متعجبا يرى اي يظن ويعتقد ان هي المثقلة خففت اكتفا بمرفوعها واسمها ضمير الشان او ضمير ابن ملاعب اي انه قد قتل فاتاه اي رسوله بالحثوة وهو على شفا حال من ضمير اتاه اي مشرف على الموت فشربها فشفاه الله وعافاه مما كان به وذكر العقيلي بضم المهملة الحافظ عن حبيب بن فديك مصغر فدك كما رواه البيهقي وابن ابي شيبة بلفظ ابن فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرا لا ادري من رواه وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم تفل في شجة عبد الله بن انيس فلم تمد بضم اوله وكسر ثانيه اي لم يصر فيه مدة اي قيح وروى الشيخان عن سهل ابن سعد انه تفل في عيني علي وكان رمدا فاصبح بارئا اي معافيا يقال برات من المرض فانا بارئ وابراني الله منه وغير اهل الحجاز يقولون برئت بالكسر برءا بالضم وروى البخاري انه نفث على ضربة بساق سلمة ابن الاكوع يوم خيبر فبرات وروى عن عبد بن حميد في تفسيره عن عكرمة انه نفث في رجل زيد بن معاذ

حين

حين اصابها السيف في قتل ابن الاشرف فبرات ورواه ابن اسحق والواقدي لكن قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن اوس ورواه البيهقي من حديث جابر وذكر بدله عباد بن بشر وروى ابو القاسم البغوي في معجمه انه نفث على ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ اي حين انكسرت فبرا مكانه وما نزل عن فرسه اذ جاءه ليستشفيه وروى البيهقي اشتكى علي بن ابي طالب اي مرض فجعل اي شرع او قصد يدعو الله ان يعافيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه مجزوم بحذف حرف العلة للطلب او عافه من مرضه كذلك شك من راويه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد بني على الضم لقطعه عن المضاف اليه اعني دعائه له او ضربه برجله او هما وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بنون ومشددة مكسورة وقد تفتح ابن عفرا بمهملة ففا والمعروف ان الذي قطعها ابن عكرمة اذ ضرب اباه وحكاه ابن سيد الناس عن المصنف فبصق صلى الله عليه وسلم عليها والصقها فلصقت باذن الله ببركة مباشرته ذلك رواه ابن وهب ومن روايته ايضا والبيهقي عن ابن اسحق ان حبيب بمهملة وبا بينهما مثناة تحتية ابن يساف ويقال اساف بكسر الهمزة واصيب يوم بدر بضربة على عاتقه حتى مال شقه بانفصاله عن الشقيق فرده صلى الله عليه وسلم بان اماله الى محله ونفث عليه حتى صح والتام غاية لنفثه عليه وروى ابن ابي شيبة عن ام جندب انه صلى الله عليه وسلم اتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بما فمضمض فاه وغسل يديه صلى الله عليه وسلم ثم اعطاها اي الما وامرها ان تسقيه وتمسه اي مس صلى الله عليه وسلم الصبي بالما فبرئ وعقل عقلا يفضل عقول الناس وروى احمد والبيهقي وابن ابي شيبة عن ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة بمثلثة فمهملة مشددة اي قاء مرة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فهو مثلث الجيم من صغار الكلاب والسباع فشفي اي برئ من جنونه وروى النساي والطيالسي والبيهقي ان كفاه بهمزة مفتوحة قبل التا القدر على ذراع محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة قيل هو اول من سمي في الاسلام محمدا وهو طفل حال من محمد اي حال طفوليته فمسح اي النبي صلى الله عليه وسلم عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه وروى الطبراني والبيهقي كانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة بمهملة مكسورة فلام ساكنة كالغدة زيادة تحدث بين الجلد واللحم وقد تنتهي الى فازال صلى الله عليه وسلم فطحنها بكفه حتى رفعها اي ازالها من كفه ولم يبق لها اثر وروى الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم سالته جارية طعاما وهو ياكل حال من ضمير سالته اي اكلا فناولها ما فيه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما اي شي عظيم منه لم تكن امراة في المدينة اشد منها حياء ببركته وبيمن طلعته

فصل في اجابة دعائه لقوم وعلى آخرين

وهذا باب واسع جدا بجيم مكسورة منصوب على المصدر واجابة دعائه لجماعة دعا لهم وعليهم متواتر في الجملة لا على التفصيل معلوم ضرورة وقد جا من رواية احمد بن محمد بن حنبل في حديث حذيفة كان اي النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده وولد ولده وظهر اثرها الذي دعا لهم به وقد روي هنا ان هذا له حديث انس من طريق البخاري ورواه ايضا مسلم قالت امي هي ام سليم امراة ابي طلحة يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته اي اعطيته فاني مالا كثيرا ولا اماتات له في طاعو الحارث ستعون ولدا من صلبه غير اولاد اولاده ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون اي يعد بعضهم بعضا وتلقي القسم بان تاكيدا وتحقيقا لما بعده على نحو المائة وفي رواية لا ادري من رواها وما اعلم احدا من رخا العيش ما اصبت ولقد جواب قسم محذوف وكتب

ما تدخله قد لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع
الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم د فنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول اسقطا
مثلث المهملة وهو ما تلقيه امه قبل اوان ولادته ولا ولد ولد ومنه اي من دعائه المجاب فيما رواه
البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال اي عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب
تحته ذهبا وفتح الله عليه ما ان كاد تفوت الحصر فحفر الذهب الذي خلفه تركه بالفؤس بهمزة مضمومة
بعد الفاء جمع فاس لسكون همزته وقد تخفف حتى مجلت بفتح الجيم وكسرها اي تنفطت من كثرة العمل
واخذت كل زوجة من زوجاته ثمانين الفا وكن اربعا فجملته ثلثماية وعشرون وقيل اخذت كل واحدة
منهن مائة الف فجملته اربعمائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف بالتشديد
وقد تخفف اي زيادة على ثمانين الفا وهي خمسين الفا بعد صدقاته الفاشية اي الكثيرة المشهورة
وعوارفه العظيمة جمع عارفة بمعنى معروفة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير بكسر اوله
اي قافلة فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شي من انواع التجارة مختلفة اجناسا وانواعا فتصدق
بها اي بالابعرة السبع ماية وبما عليها من انواع البضائع المختلفة وباقتابها جمع قتب وهو للبعير كالاكاف
لغيره وفي حديث عائشة لا تمنع المراة نفسها من زوجها وان كانت على ظهر قتب حثا لهن على مطاوعة
ازواجهن وقيل كن نساء العرب اذا اردن الولادة جلسن على قتب يرين انه اسهل لخروج الولد فاذا لم
يسعهن الامتناع وهن على ما ذكر فما ظنك بغيره واحلاسها جمع حلس وهو كساء يلي ظهر البعير تحت القتب
ودعا لمعاوية بن ابي سفيان بن حرب بالتمكين في البلاد فنال الخلافة رواه ابن سعد بلفظ اللهم علمه الكتاب
ومكن له في البلاد وقه العذاب وروى الترمذي موصولا انه صلى الله عليه وسلم دعا لسعد بن ابي وقاص
ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ورواه البيهقي عن قيس بن ابي حازم مرسلا بلفظ
اللهم استجب له اذا دعا وحسنه وقد استجيبت له دعوات مروية في الصحيح وغيره منها ان رجلا نال
من علي بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارني فيه اية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخاري
انه دعا على ابي سعيدة اللهم اطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رايته شيخا كبيرا اسقط
حاجباه على عينيه يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد وروى
الترمذي عن ابن عمر انه اصاب الناس في بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعاء ان يسقيهم الله فدعا
فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت اي انقشعت وكف ماؤها ودعا في الاستسقاء يوم جمعة على المنبر
كما رواه الشيخان عن انس فسقوا ثم شكوا اليه المطر في الجمعة الثانية وهو على المنبر فدعا فصحوا اي
انكشف ما بهم من السحاب وروى البيهقي انه قال لابي قتادة افلح وجهك من الفلاح وهو البقاء والفوز والظفر
اي بقي وفاز وظفر ومنه حي على الفلاح اي هلموا الى سبب البقاء في الجنة والفوز بها وهو الصلاة في الجماعة
اللهم بارك له لابي قتادة في شعره وبشره اي ظاهر جلده حتى يستمرا حسنين فمات وهو ابن سبعين سنة
جملة من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير مات اي بالغها وكانه ابن خمس عشرة سنة وروى
البيهقي وابن ابي اسامة انه قال للنابغة الجعدي اذ انشده قصيدته الرائية لا يفضض فاك اي لا
يسقط الله اسنانك واصله الكسر اي لا يكسر اسنان فيك فحذف المضاف فما سقطت له سن وعن عمه
العباس قال يا رسول الله اني ممدحك فقال لا يفضض الله فاك فانشد الابيات السابقة وفي
رواية فكان احسن الناس ثغرا هو ما تقدم له من الاسنان وفي الحديث كانوا يحبون ان يعلموا الصبي

الصلاة

الصلاة اذا اثغر اي اذا سقطت رواضعه يقال ثغر فهو مثغور فاذا انبتت بعد سقوطها يقال اثغر
واثغر فمنهم من يقلب تاء افتعل ثاء مثلثة ثم يدغمها في المثلثة الاصلية تاء مثناة ثم يدغمها في تاء افتعل
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل اكثر الى ايام ابن الزبير وكان
في الجاهلية يصوم ويستغفر وروى الشيخان انه دعا لابن عباس فقهه في الدين وعلمه التاويل من ال
يؤل الى كذا اذا رجع اليه واريد به صرف اللفظ عن ظاهره الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما صرف عنه فسمي
بعد اي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم له الحبر نكان يقال له حبر الامة بفتح حائه وكسرها وترجمان القرآن
بفتح تائه وضمها وبضم جيمه فيهما والترجمان في الاصل من يترجم الكلام اي ينقله من لغة الى لغة اخرى وانكر
على الجوهري جعل تائه زائدة وفي النهاية الهاء والنون زائدتان وروى البيهقي عن عمرو بن حريث انه
دعا لعبد الله بن جعفر هو ابن ابي طالب بالبركة في صفقة يمينه اي تبايعه سمي صفقة لوضع كل من
المتبايعين يده في يد الاخر فما اشترى شيئا الا ربح فيه وروى البيهقي في الدلائل عن ضباعة بنت الزبير
انه دعا للمقداد بن الاسود بالبركة فكانت له غرائر من المال وروى البخاري انه دعا بمثله لعروة
ابن ابي الجعد فقال اي عروة كما رواه احمد فلقد كنت اقف بالكناسة مكان بالكوفة فما ارجع حتى اربح
اربعين الفا مميز لما قبله من العدد وقال البخاري فكان لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعائه له وروى
مثل هذا ايضا ولا ادري من رواه لغرقدة بمعجمة مفتوحة فراء ساكنة فقاف فمهملة مفتوحتين وندت
بنون مفتوحة فمهملة مشددة اي نفرت فشردت له ناقة اي لغرقدة فجاءها اعصار ريح عاصف
يستدير في الارض ثم يسطع الى السماء مستديرا كالعمود حتى ردها عليه وروى مسلم وغيره انه دعا
لام ابي هريرة بالهداية فاسلمت بعد امتناع كبير واسماعه فيه صلى الله عليه وسلم ما يكره وروى ابن
ماجة والبيهقي انه دعا لعلي ان يكفى الحر والقر بضم اوله اي البرد فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف
وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد هذا وابيك الكرم وانفع انواع البر وروى البيهقي
عن عمران بن حصين انه دعا لفاطمة ابنته ان الله لا يجيعها قالت اي فاطمة فما جعت بعد بني على الضم
لقطعه عن المضاف اليه اي بعد دعائه لها وروى ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق
الكلبي انه ساله الطفيل بن عمرو اية فقال اللهم نور له فسطع اي اضاء له نور بين عينيه فقال يا رب
اخاف ان يقولوا مثله بضم الميم وسكون المثلثة فتحول الى سوطه وكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور
كالحسين بن علي واسيد بن حضير وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو وقتادة بن النعمان كل سمي به وروى النسائي
عن ابن عباس والبيهقي عن ابن مسعود واصله في الصحيحين انه دعا على مضر قبيلة من بني مضر بن معد بن
عدنان سموا بجدهم فاقحطوا باحتباس المطر وانقطاعه عنهم حتى استعطفته قريش غاية لغضبه عليهم
اي طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم فدعا لهم فسقوا امطارا فاخصبت ارضوهم وروى البخاري من
طريق ابن عباس انه دعا على كسرى بكسر الكاف وفتحها واسمه ابرويز بن هرمز بن انوشروان حين مزق كتابه
ان يمزق الله ملكه فمزقه كل ممزق فلم تبق له باقية اي نفس باقية او بقيه او بقي ولا بقيت لفارس رياسة
في اقطار الدنيا اي نواحيها وروى ابو داود والبيهقي انه دعا على صبي قطع صلاته بمروره بين يديه ان
يقطع الله اثره فاقعد لشهادة ما رواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن نمران قال
رايت مقعدا بتبوك اسمه يزيد بن نمران يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت والدابر في الاصل الاخر بشهادة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم

لم يبق منهم احد ثم استعير للزمانة كما هنا بسلبه قوة مشيه هذا وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده
وقال الذهبي انه موضوع وعلى تقدير صحته فلعل ما الذي سوغ الدعا عليه وهو غير مكلف واجب
بما لا يشفي ورووى مسلم عن سلمة بن الاكوع انه قال رجل هو بسر بموحدة مضمومة فمهملة ساكنة بن
راعي العير بمهملة مفتوحة فمثناة تحت ساكنة هو الحمار الوحش ومن رواه بمعجمة فقد صحف راه
ياكل بشماله فقال له كل بيمينك فقال لا استطيع ان اكل بيميني فقال صلى الله عليه وسلم لا [illegible]
اي ان تاكل بيمينك فلم يرفعها الى فيه وروى ابن اسحق عن عروة بن الزبير عن هبار بن الاسود والحاكم
من حديث ابي نوفل بن ابي عقرب عن ابيه والبيهقي من طرق عبد الرحمن بن ابي بكر انه قال لعتبة بن
ابي لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
للاسفار وقد جعله اصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نائمين فافترسه هذا وزعم بعضهم ان
اكله انما هو اخوه عتيبة مصغره واما هو مكبرا فالمشهور انه اسلم واخوه معتب عام الفتح ولم
يهاجرا من مكة وحديثه صلى الله عليه وسلم المشهور من رواية البخاري ومسلم عن عبد الله بن
مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد هو جلد رقيق يخرج
مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه وقيل هو كالمشيمة من المراة قال في النهاية والاول اشبه
لان المشيمة انما تخرج بعد الولد مع الفرث والدم وسماهم اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بابي
جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال اي ابن مسعود
فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر الا اشقاهم عقبة بن ابي معيط الذي وضع على رقبته السلا فقتله
على بعرق الظبية بامر النبي له مقفلهم من بدر الى المدينة وروى البيهقي من طرق عن عبد
الرحمن بن ابي بكر عن عمرو عن هند بن ابي هالة انه دعا على الحكم بن ابي العاصي بن عبد
شمس بن عبد مناف وكان يجلس خلفه صلى الله عليه وسلم فاذا تكلم اختلج بوجهه ويغمز اي
يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه او حاجبه اي لا [illegible] لكلامه استهزاء
وسخرية فراه فقال كن كذلك فلم يزل يختلج وقيل يرتعد ويضطرب حتى مات وفي رواية فضرب
صرع شهرين ثم افاق مختلجا قد اخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا وروى البيهقي عن قبيصة بن
ذؤيب وابن جرير موصولا عن عمرو قال الحسن بلغنا انه دعا على محلم بميم مضمومة فمهملة مفتوحة
فلام مشددة مكسورة اخي الصعب بن جثامة بجيم مفتوحة فمثلثة مشددة بن ربيعة الكناني
قال لسبع من الايام وفي الروض الانف مات بحمص في ايام ابن الزبير فلفظته الارض اي قذفته
ورمته على ظهرها ومنه حديث ويبقى في كل ارض شرار اهلها تلفظهم ارضوهم ثم وورى
اي غطي بالتراب فلفظته مرات فالقوه بين صدين واحدهما صد بمهملتين الاولى منهما مضمومة
وتفتح والثانية مشددة ورضموا عليه بالحجارة بجعل بعضها فوق بعض والصد جانب الوادي
وفي القاموس انه الجبل وروى انه جحد رجل من الصحابة اسمه سواد بن قيس او ابن الحارث
بيع فرس اسمه كما في الصحاح المرتجز وقيل الطرف بكسر الطاء وقيل النجيب وكان اشهب وهي
التي شهد فيها خزيمة له صلى الله عليه وسلم بانه اشتراها منه فرد صلى الله عليه وسلم الفرس
بعد اي جحده وشهادة خزيمة له بها على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها
فاصبحت شامية برجلها بمعجمة ثم بمهملة فتحتية مثناة مفتوحة اي رافعة من شمصا بصره

فلفظته

يشصو

فصل

يشصو شصوا اي شخص فصل في كراماته جمع كرامة من الاكرام والتكريم وهي من خوارق العادات
وتفارق المعجزة بخلوها عن دعوى النبوة والتحدي والحاكم بوقوعها مثل وجود الرزق عند مريم بلا
سبب وتساقط الرطب عليها من نخلة يابسة ولبث اصحاب الكهف ثلاث مائة سنين وتسعا
بلا اكل وشرب وآفة ولم يكونوا انبيا اجماعا واتيان آصف عرش بلقيس من مسافة بعيدة لسليمن
قبل ان يرتد اليه طرفه وانكرها المعتزلة حذرا من التباسها بالمعجزة ورد باشتراط خلوها عما ذكر
وبركاته وانقلاب الاعيان له صلى الله عليه وسلم تكريما وتعظيما وصلاحية القدر اذ لك فيما لمسه
او باشره وقد اورد من شواهد ذلك هنا حديث البخاري من رواية انس ان اهل المدينة فزعوا
مرة الفزع في الاصل الخوف ثم استعير اسمه للاغاثة والنصر اي استغاثوا من فزعت اليه فافزعني اي استغثت
اليه فاغاثني وافزعته اذا اغثته واذا خوفته فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان
يقطف به اي يقارب خطوه في سرعة بابي طلحة او به قطاف شك ممن رواه عن انس من القطف وهو
القطع وقد قطف يقطف قطفا وقطافا بكسرها فيهما وفي الحديث يجمع القوم على القطف بكسر فاء
اي العنقود فيشبعهم وهو اسم لكل ما يقطف وجمعه قطاف وقطوف واكثر المحدثين يروونه بالفتح وانما
هو بالكسر ومنه قول الحجاج يا اهل العراق انتم اهل الشقاق والنفاق اني ارى رؤسا قد اينعت وحان قطافها
وكان قطافها وقال غيره اي غير انس بطا بمثناة تحتيه مضمومه فموحدة فمهملة مشددة مفتوحة
فهمزة اي مضيق الخطا وفي الحديث من بطا به عمله لم ينفعه نسبه اي من اخره عمله السيئ لم ينجه شرف
نسبه في الاخرة اذ الفضل انما هو بالعلم والتقوى لا بمجرد شرف النسب فقد رفع الاسلام سلمان
فارس وقد وضع الشرك الحسيب ابا لهب فلما رجع اي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفزع
قال وجدنا فرسك بحرا اي كثير العدو واسع الجري شبهه بالبحر جامع السعة فاستعار له اسمه
استعارة تحقيقية مجردة وتبحر في العلم اي اتسع علما فكان بعدا اي بعد ركوبه اياه او قوله ذلك
لا يجارى وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر اي طعنه عند دبره بمحجن فكان
قد اعيى الواو للحال اي نخسه عاجزا عن السير فنشط بكسر المعجمة ومضارعه بفتحها قال في
النهاية وكثيرا ما يجي في الرواية نشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا
حللتها وفي حديث السحر فكانما انشط من عقال وحديث عوف بن مالك رايت كان سببا دلي من
السما فانتشط النبي صلى الله عليه وسلم ثم اعيد فانتشط ابو بكر اي جذب ورفع اليها يقال نشطت
الدلو انشطها اذا اجتذبتها اليك ودفعته حتى كان غاية لنشاطه اي انتهى نشاطه الى ان صار جابر ما يملك
زمامه وروى البيهقي انه صنع ذلك بفرس لجعيل بجيم مضمومه فمهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة
الاشجعي خفقه بمخفقة معه بمعجمة ساكنة ففا فقاف مفتوحتين اي بدرة لشهادة حديث عمر
فضربهما بمخفقته اي بدرته مرتين وبمعنى الضعف والذهاب لشهادة حديث يخرج الدجال
في خفقة من الدين وادبار من العلم اي حال ضعف الدين وذهاب اهل العلم وبمعنى الصوت
لشهادة حديث الميت وانه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه اي صوته وبمعنى السقوط
لشهادة كانوا ينتظرون العشا حتى تخفق رؤسهم اي يناموا فتسقط اذ قانهم على صدورهم
وهم قعود وبرك عليها اي دعا لها بالبركة فلم يملك راسها نشاطا مفعول من اجله وباع من نسلها
باثني عشر الفا لشمرتبة لما الف من خفق وبرك روى ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله

ابن ابي طلحة انه ركب حمارا قطوفا من القطف وهو القطع اي قريب الخطا في سرعة كامر قريبا لسعد
ابن عبادة فرده هملاجا اي سريع المشي يشبه الهرولة فارسي معرب ويسمى الان رهوانا لا يساير
بالبنا للمفعول اي لا تسايره دابة الا سبقها وروى البيهقي كانت شعرات من شعراته في قلنسوة
خالد بن الوليد بفتح القاف وضمها فان فتحت فضم السين وان ضمت فاكسرها واقلب الواو يا
فلم يشهد بها اي بالقلنسوة فيها الشعرات او بالشعرات قتالا الا رزق النصر ببركة اثاره صلى الله
عليه وسلم وفي الصحيح من رواية مسلم وابي داود والنسائي وابن ماجة عن اسما بنت ابي بكر
انها اخرجت جبة طيالسة بالاضافة كما في شرح مسلم للنووي جمع طيلسان والمشهور فتح لامه
وتثلث قالت اي اسما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها
تيمنا باثاره الكريمة وروى هنا عن شيخ شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة
بفتح القاف وفي كلامهم لا تكسر القصعة ولا تفتح الجراب من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
فكنا نجعل فيها الما للمرضى فيستشفون بها فيشفيهم الله تعالى ببركته في الدلايل لابي نعيم ومعرفة
الصحابة لابي السكن اخذ جهجاه الغفاري بجيمين بينهما ها وهاين مسعود او ابن سعيد وابن
قيس مدني روى عنه عطا وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وعن عطا عنه انه كان يشرب
حلاب سبع شياه فلما اسلم فلم يتم حلاب شاة العصيب هو عصا النبي صلى الله عليه وسلم الذي
كان الخلفا بعده يتداولونه من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة
فقطعها ومات قبل الحول وقال ابن عبد البر تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب فكسرها
فوقعت الاكلة في ركبته وتوفى بعد عثمان بسنة وروى البيهقي عن انس انه بصق من فضل
وضوئه في بير قبا بالضم والمد مكان بقرب المدينة فما نزفت بعد بفتح النون والزاي اي لم يفن بعد
ان سكبه فيها ونزف من الافعال المتعدية فاذا زيد عليها لزمت يقال انزف البير اذا ذهب ماوها
فاذا عدي قيل نزفتها ومثله اجفل الظليم وجفلته الريح وانشق البعير ونشقته زيد واقشع
الغيم وقشعه الريح وانسل ريش الطاير ونسلته والوت الناقة بذنبها ولويته واكب زيد
واكبه الله وروى ابو نعيم انه بزق في بير كانت في دار انس فلم تكن بالمدينة بير من ابارها
اعذب منها واحلا ما لا ملوحة فيه يقال عذب الما واستعذبنا اي شربنا عذبا طيبا ومر على ما
فسال عنه فقيل له اسمه بيسان بيا مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فمهملة فالف فنون ضد
نعمان وماوه ملح فقال بل هو نعمان وماوه طيب فطاب حتى لا ملوحة فيه وروى ابن ماجة
اتى اي النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ما زمزم ورواه البيهقي عن وايل الحضرمي ولم يقل من
ما زمزم فمج اي القى من فيه ما فيه فصار اطيب من المسك وروى الطبراني عن ابي هريرة انه
اعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان جملة حالية من الضمير قبلها اي باكيين
عطشا تمييزا ومفعول من اجله البكا فسكتا وروى مسلم عن جابر كان لام مالك عكة بمهملة
مضمومة فكاف مشددة انا من جلد يجعل فيه السمن تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم
سمنا يأتدم به فامرها اي النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها اي امرها بترك عصرها
ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة اي فاجاها بغتة ملوها سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم هو
كل ما يوتدم به كالعسل والمرق واللحم وفي الحديث سيد ادام الدنيا والاخرة اللحم ولم يجعله

بعض

بعض الفقها ادما فقال ولو حلف لا ياتدم فاكل لحما لم يحنث وليس عندهم اي الادم فتعمد اليها فيجد فيها سمنا
وكانت تقيم ادمهم حتى عصرتها غاية لاقامة الادم اي فلما عصرتها انتهت الاقامة وكان يتفل في افواه
المراضيع جمع رضيع بمعنى مرضع اسم مفعول فيجزيهم بفتح التحتية اي يكفيهم ريقه الى الليل غاية لكفاية
ريقه اياهم ومن ذلك اي من كراماته بركة يده الكريمة بعد تعرضي وتحصل فيما لمسته بها وغرسه من شجر
وغيره كودي النخل الذي غرسه لسلمان الفارسي رواه البيهقي عنه حين كاتبه مواليه وكانوا يهود على
ثلثمائة ودية بواو مفتوحة فمهملة مكسورة فتحتية مشددة صغير فسيل النخل يغرسها لهم كلها
تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب بضم الهمزة وتشديد اليا ويجوز حذفها لشهادة رواية
الشيخين عن جابر في باب اشتراط ظهر الدابة وفي مسند احمد انه صلى الله عليه وسلم اشتراه منهم
بكذا درهم وعلى ان يغرس لهم كذا من النخل يعمل فيها حتى تدرك فغرسها صلى الله عليه وسلم له اي لسلمان
بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها وردها
بيده الكريمة فاخذت روى ابن عبد الرحمن عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت
بريدة يقول جا سلمان فذكره وان الذي غرسها عمر وروى البخاري في غير صحيحه ان الذي غرسها سلمان
وقد يجمع بينهما بانهما اشتركا في غرسها او كل منهما غرس واحدة فلم تاخذ فعزاها راو ونسبها بريدة لعمر
مرة ولسلمان اخرى فغرسها او غرسها صلى الله عليه وسلم فاخذت وفي كتاب البزار نسبة الى عمل بزر
الكتان زيتا بلغة بغداد فاطعم النخل من عامه الا الواحدة التي زرعها غيره صلى الله عليه وسلم
فقلعها وغرسها من عامها وما ذلك على بركته بعزيز اذ كان بالخير اجود من الريح المرسلة سريعا واعطاه
اي اعطاه صلى الله عليه وسلم سلمان مثل البيضة الدجاجة اي قدرها وزنا وحجما من الذهب بعد
ان اداره على لسانه لعله بعد ذلك برك عليها اي دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده فظن انه انما اداره عليها لسانه
فوزن لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم اي اربعين وما هذا باول بركته صلى الله عليه وسلم
وفي حديث حنش بمهملة فنون فمعجمة ابن عقيل بمهملة مفتوحة الذي رواه قاسم بن ثابت في الدلايل من طريق
موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها
وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت اي لم افارق
بعد شربها اني اذا ارهقني جوع شبعت او عطش رويت او حرارته وشدته اطفاها بردها واعطى قتادة
ابن النعمان كما رواه احمد عن ابي سعيد بسند صحيح وصلى معه العشا في موضع حال من قتادة في ليلة مظلمة
مطيرة متعلق باعطى جملتان وردتا اعتراضا بين اعطى ومفعوله الثاني فادتا ما قدم علم عرجونا هو المفعول
الثاني بضم العين والجيم وتكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما فعلون من الانعراج اي الانعطاف وهو اصل العذق
الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ والواو والنون زايدتان وجمعه عراجين وقال انطلق به فانه
سيضي لك من بين يديك عشرا ومن خلفك لعله عشرة اذرع او نحوها فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه شيطان فانطلق فاضا له العرجون بين يديه عشرا ومن خلفه
عشرا حتى دخل بيته ووجد السواد وفي توفيق عرى الايمان للبارزي فانه قنفذ ولا تعارض بينهما
فلعله تمثل بصورته فضربه حتى خرج ومنها اي من كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان كما رواه
البيهقي دفعه لعكاشة بالتشديد والتخفيف جذل حطب بجيم مكسورة وقد تفتح فمعجمة ساكنة
اي اصل شجرة او عودا اذ لا يجعل جذلا وفي حديث السقيفة انا جذيلها المحكك بتصغير جذل للتعظيم

وهو عود ينصب للابل الجربي لتحتك به اي انما يستشفي برايه كما يستشفي الابل الجربي باحتكاكها بالعود
وقال له اضرب به من ناوا الله ورسوله حين انكسر سيفه متعلق بدفع يوم بدر اي زمن وقعته فعاد
اي صار مجازا عنه اذ لم يكن قط سيفا حتى يعود في يده سيفا صارما اي قاطعا طويل القامة ابيض شديد
المتن من المتانه وهي الشدة والقوة او هو اصل الشي الذي به قوامه بمنزلة الظهر للاعضا فقاتل به
في وقعة بدر حتى انقضت ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف لقتال الكفرة الى ان استشهد اي عكاشة
في قتال الردة في خلافة الصديق غاية لشهوده به المواقف وكان هذا السيف يقال له العون
ومنها ما رواه البيهقي عن سعيد بن عبد الرحمن عن اشياخه دفعه لعبد الله بن جحش يوم احد اي
زمن وقعته وقد ذهب سيفه اعتراض وقع حالا من عبد الله افاد بقاه بذهاب سيفه اعزل فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عسيب نخل اي جريدة منه مما لا خوص عليه فرجع في يده سيفا اي صار
مجازا عن رجع وفي سيرة ابن سيد الناس انه اعطى سلمة بن اسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب
كان في يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر ابي عبيدة ومنه اي مما باشره بيده الكريم
بركته في درور الشياه الحوامل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد من رواية ابن سعد والطبراني
عن ابي معبد الخزاعي انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله
ابن الاريقط استاجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم طريق الساحل فمروا بخيمة على ام
معبد عاتكه بنت خالد الخزاعي وكانت برزة تحتبي بفناء بيتها فتطعم وتسقي من مر بها وكانوا مرملين
مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوه فراي عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال اتاذنين لي
ان احلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء مربض
الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها
وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد يسوق عنزا عجافا تتسا وكن هزالا فراى اللبن فعجب فقال اني لك
هذا فقالت مر بنا رجل مبارك الحديث وقصة اعنز معاوية بن ثور جمع قلة لعنز اي شاة رواها
ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وشاة انس كلها كانت مثل شاة ام معبد قد درت
ببركته وهذا من ابلغ المعجزات لوجود اللبن بدون شرطه وهي حوايل وروى ابو يعلى والطبراني
وغيرهما بسند حسن قصة غنم حليمة مرضعته وشارفها اي ناقتها المسنة اذ كانت حوايل عجافا
لما اصابهم من الجهد من حبس القطر عنهم فدرت باللبن الكثير واخصبت هي وقومها بعد ان كانوا
مرملين مسنتين عجافا ببركة حلوله فيهم رضيعا منها وروى البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود
انها درت بلبن خالص سايغ للشاربين ولم ينز اي لم يعل للضراب عليها فحل يغشاها وروى مسلم قصة
شاة المقداد انها درت كذلك بتوالي بركاته وتوالى كراماته ومن ذلك ما رواه عنه من
كراماته وبركته ما رواه ابن سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا تزويده اصحابه سقاء ماء
بعد ان اوكاه ودعا فيه متعلق بتزويده اي زودهم اياه بعد ربطه فمه ودعائه فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فاذا هو لبن طيب اي فاجاهم كونه لبنا خالصا وزبده بالاضافة في فمه
اي زبد اللبن في فم السقاء وفي نسخة زبدا وحذف بلا اضافة ومسح راس عمير بن سعد وبرك اي دعا
له بالبركة فمات ابن ثمانين فما شاب كذا هنا عمير وعليه صح وروى الزبير بن بكار في اخبار المدينة
عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وروى البيهقي والطبراني انه

كان

كان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه رائحة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم اي مسحه واماطه عن وجه عايذ بن عمرو كما رواه الطبراني عنه
وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت بعد ذلك اي بعد سلامته في موضعه له غرة اي بياضا في وجهه من غير سواد
ولا كغرة الفرس وذكر الكلبي انه مسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن ماية سنة
جملة حالية قبلها افادت قدر حياته التي يرد فيها الانسان غالبا الى ارذل العمر وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان بسبب تلك الغرة في جبهته
يدعى الاغر لشبهها لما في وجهه من بياض بغرة الفرس وروى كما عند البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن
ثعلبة الجهني من مسحه صلى الله عليه وسلم راسه ودعائه له فمات على حالة كحالة قيس بن زيد ومسح
على وجه اخر فما زال على وجهه نور لعله خزيمة بن سواء بن الحارث اذ قد روى ابن سعد عن وحرة
السعدي انه صلى الله عليه وسلم مسح وجهه فصارت له غرة بيضا وروى احمد والبيهقي انه مسح وجه
قتادة بن ملحان بكسر اوله وسكون ثانيه فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المراة
فعلا النظر مبنيا للمفعول فيهما المجرورين وروى البيهقي وغيره انه وضع يده على راس حنظلة بن
حذيم بمهملة مكسورة فمعجمة ساكنة فتحتية مفتوحة وبرك عليه اي دعا له بالبركة فكان حنظلة
يؤتى بالرجل اللام فيه وفيما بعده كهي في الذئب في واخاف ان ياكله الذئب فهي للعهد الذهني اذ قد
اريد به الماهية من حيث وجودها في ضمن بعض افرادها مع قرينة البعضية فهو في حكم النكرة في
الاثبات اذ لم يرد به رجل معين قد ورم وجهه والشاة من الضان والمعز قد ورم ضرعها فيضع
محل الورم منهما على موضع كفه صلى الله عليه وسلم من راسه فيذهب الورم من وجهه وضرعها روى
ابن عبد البر في استيعابه انه نضح في وجه زينب بنت ام سلمة وكانت ربيبته في حجره نضحة اي رشة
من ماء فما كان يعرف في وجه امراة من الجمال ما كان بها منه ومسح راس صبي به عاهة اي افة من
قرع او غيره فبرا اي زال ما به من العاهة واستوى شعره احسن ما كان لا اعرف من رواه الا ان ابا
نعيم روى عن الوازع انه انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا
له فلم يكن في الوفد احد بعد دعوته له اعقل منه واتاه رجل به ادرة بهمزة مضمومة فمهملة ساكنة
فراء نفخة في خصيته فامره ان ينضحها اي يرشها بماء من عين مج اي صب من فمه فيها ففعل اي نضحها
فبرا لا اعلم من رواه وعن طاوس بن كيسان اليماني لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس اي جنون
فصك بمهملة اي في صدره الا ذهب المس كذا وقف على طاوس ولا ادري من رواه عنه وروى احمد عن
وائل بن حجر انه مج اي صب من فمه في دلو فيه ماء من بئر ثم صب فيها اي ما مجه فيه مع ما كان فيه ففاح
منها ريح المسك اي مثله تشبيها له به لانه الاصل في الرائحة وان كان رائحة ما مجه اتم وروى مسلم
عن سلمة بن الاكوع اخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت اي
قبحت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا بقاف مفتوحة فمهملة فمعجمة مقصور جمع قذاة اي يمسحون
ما دخل اعينهم من التراب اذ القذا ما وقع في العين والماء والشراب من تراب او تبن او وسخ او غير
ذلك وفي الحديث يبصر احدكم القذاة في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه مثل يضرب به لمن يرى
الصغير من عيوب الناس فيعيرهم به وفيه من العيوب ما نسبته اليه كنسبة الجذع الى القذاة
عن اعينهم اي يميطونه عنها وروى الشيخان انه شكا اليه ابو هريرة النسيان اي نسيانه

مَا يسمعه منه صلى الله عليه وسلم فامره ان يبسط ثوبه ويغرف بيده فيه تشبيها بمن اخذ شيئا
والقاه في ثوبه ثم امره ان يضمه الى صدره ففعل فما نسي شيا بعد ذلك وروي الشيخان انه
ضرب في صدر جرير بن عبد الله البجلي ممن تاخر اسلامه ودعا له وكان ذكر له صلى الله عليه وسلم
انه لا يثبت على الخيل فصار من فرسان العرب واثبتهم على الخيل وروي الزبير بن بكار عن ابرهيم
ابن محمد بن عبد العزيز الزبيري عن ابيه انه مسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
ابن اخي عمر بن الخطاب وهو صغير جملة حالية من زيد افادت بيان وقت المسح اي حال صغره
وكان دميما بدال مهملة اي هزيلا قصيرا ودعا له فرع بفاء وراء مفتوحتين فمهملة الرجال طولا
وتماما تمييزان للنسبة فرع حولا عن فاعليتهما اي علاهم طوله ووفرهم تمامه وفي الحديث
كانت ام المؤمنين سودة تفرع النسا طولا **فصل** ومن ذلك اي من كراماته ما اطلع
عليه من الغيوب بني الفعل لمفعوله تلويحا بان فاعله كانه مذكور صريحا اذ لا يطلع على غيب
سواه تعالى وهو كلما غاب عن العيون سوا كان محصلا في القلب ام لا والمراد به هنا ما لم يكن
محصلا في قلبه صلى الله عليه وسلم من كاين لم يره ومستقبل وما يكون من عطف الخاص على
ما عمه من حيث حمله على موجود وغيره والاحاديث في هذا الباب اي باب كراماته بحر لا يدرك
قعره تشبيه ذكر معه وجه الشبه في الكثرتها وانتشارها جدا كانها لا تحصي كما لا يدرك
قراره لعمقه ولا ينزف غمره اي ماوه الكثير اي لا يفرغ ولا يفني لكثرته وهذه المعجزة اي ما اطلع
عليه من الغيب من جملة معجزاته المعلومة على القطع عندنا واعظمها القران فكانها لقبول
الاذهان لها وجزمها بحقيتها ممتطاة ذروة سنام قطعها بها الواصل الينا خبرها مستعليا
على التواتر المفيد للعلم لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب وقد اسند هنا
من ذلك حديث ابي داود عن حذيفة وانما رواه عنه مع رواية الشيخين له لما في روايته
له من طريق اخر من الزيادة قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قام بيننا فالظرفية
مجازية تشبيها لها بالبينة للملابسة الفعل لهما مقاما اسم مكان او مصدر ميمي وقع مفعولا
مطلقا ما ترك شيئا يكون اي يحدث في الوجود في مقامه ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر
لكمال العناية بذكره من حيث ذكر المغيبات فيه متعلقا بترك ظرفا له اي لم يدع مما كان
يوجد من العدم الى قيام الساعة الا حدث به انه سيوجد حفظه من حفظه ممن سمعه ونسيه
من نسيه منهم قد علمه اصحابي هولاء لم يرو هذه الزيادة البخاري وفي ابي داود قد علمه اصحابه
صلى الله عليه وسلم وانه ليكون منه اي ليحدث مما اخبرنا صلى الله عليه وسلم به الشي قد نسيته
فاراه موجودا في الاعيان فاذكره اي اتذكره بعد ان نسيته فاعرفه انه اخبرنا به كما يذكر
الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ليس ظرفا ليذكر لشهادة قوله قد نسيته فاراه فاذكره مع التشبيه
به كما اذا غاب وجه الرجل فينساه ثم اذا راه عرفه بعد نسيانه اياه فاخر ظرف الغيبة اهتماما
بتقديم التشبيه بالتذكر لانه المقصود الى هنا رواية الشيخين زاد ابو داود بسند اخر
من طريق قبيصة بن ذويب عن ابيه عن حذيفة وان كان صنيعه يقتضي اتصاله به ثم قال
اي حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه لقلة اهتمامهم به بقيامهم بما هو اهم منه والله ما
ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد بالقاف ومن زايده اي امير فتنة يضر لها الناس

فصل

محاربة

محاربة ظلما وجورا وعسفا وغشما او محدث بدعة كعالم مستدع يدعوا الى البدع ويفتيهم بجوازها عنا
وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة
في النار اي فكل محدث في النار حيث لا مستند له شرعي يعضده اذ الحق انما هو فيما ورد به الشرع
وماذا بعد الحق الا الضلال وهذا الحديث من جوامع الكلم التي لا يشذ عنها شي فكل من احدث شيا
لا عاضد له شرعي فهو ضلال له الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه اي مع قايد الفتنة ثلثماية فصاعدا
صفة لقايد اي فاكثر الا قد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته التي تووه
وروي احمد والطبراني بسند صحيح وابو على وابن منيع عن ابي الدردا قال لقد تركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما حرك طاير جناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما لم يكن عندنا افادنا اياه تلويحا
بانه صلى الله عليه وسلم لم يزل ناصحا لامته مبالغا في تكميل نفوسهم بانواع الكمالات علميه وعمليه
وقد خرج اهل الصحيح اي من روي الاحاديث المتصفة بالصحة كالبخاري ومسلم وابن حبان وخزيمه
والحاكم والايمة الاعلام كالشافعي ومالك واحمد ما اعلم مفعول خرج به اصحابه مما وعدهم به بيان
للمفعول اعني ما اعلم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة بيان لما وعدوا به كما رواه الشيخان وغيرهما
من طرق وبيت المقدس رواه البخاري عن عوف بن مالك واليمن والشام والعراق رواه الشيخان
عن سفيان بن ابي زهير وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة بمهملة مكسوره فمثناه تحتية
ساكنه مدينه بقرب الكوفه ولهم حيرة اخرى بقرب نيسابور الى مكة لا تخاف الا الله رواه البخاري
عن عدي بن حاتم وان المدينة الشريفه ستغزى بمعجمه من الغزو وفي رواية بمهملة من العري اي
تصير عرا ليس فيها احد رواه الشيخان عن ابي هريرة بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها
الا العوافي وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووي وغيره وانما يقع قرب الساعة وان اقتضي صنيعه هنا
وتصريحه في شرح مسلم انه وقع حيث ذكره فيما اخبر صلى الله عليه وسلم بوقوعه فوقع كما اخبر
ويفتح خيبر على يدي علي في غد يومه الذي كان فيه ارمد رواه الشيخان عن سهل بن سعد
بلفظ لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله او يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا
عليا وكان ارمد فبصق في عينيه فبرا وفتح الله على يديه وما يفتح على امته من الدنيا ويوتون
من زهرتها رواه الشيخان من طرق وقسمتهم كنوز كسرى بكسر الكاف وتفتح ملك فارس
وكنوز قيصر ملك الروم ورواه الشيخان من طرق عن ابي هريرة وغيره وما يحدث بينهم اي بين
امته من الاختلاف والاهوا رواه الشيخان من طرق وسلوك سبيل من قبلهم رواه الشيخان
عن ابي سعيد بلفظ لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وسنن بمهملة ونون مفتوحتين
اي طريقتهم فيما احدثوه بعد انبيايهم من تحريف وتبديل وبدع مضله وشبرا بشبر وذراعا
تمثيل لشدة موافقتهم لهم لا في تحريف وكفر وافتراقهم اي امته صلى الله عليه وسلم على ثلاث
وسبعين فرقة رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم عن ابي هريره واصولهم ثمانية
معتزلة لاعتزالهم الى رئيسهم واصل ابن عطا الغزال مجلس الحسن البصري بقوله ان
مرتكب الكبيره لا مومن ولا كافر مثبتا منزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد اعتزلنا واصل
ولقبوا بالقدرية لانكارهم القدر واسنادهم افعال العباد الى قدرهم وقالوا من اثبت

القدر رفا ولي ان يسمي به ويرده قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة اي
لمشاركتهم المجوس في اثبات خالقين وقال فيهم انهم خصما الله في القدر وكاو رد انه ينادي يوم
القيمة الا ليقم خصما الله فتقوم القدرية واتفقوا على ان نفي صفاته تعالى ورؤيته في الاخرة
بالابصار وعلى خلق القران وبان الحسن والقبح عقليان وبوجوب الاصلح عليه تعالى لعباده
واثابة المطيع والتايب وتعذيب فاعل الكبيرة ومن ثم لقبوا انفسهم باهل العدل والتوحيد
ثم افترقوا بعد اتفاقهم على ذلك عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا وشيعة شايعوا عليا
وقالوا انه الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وعشرون فرقة يكفر
بعضهم بعضا وخوارج خرجوا على علي سبع فرق ومرجية لارجائهم العمل على النية والاعتقاد
رتبة اولقولهم لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة خمس فرق ونجارية
اصحاب محمد بن الحسين النجار وافقونا في ان خلق الافعال لله وان الاستطاعة مع الفعل
وان العبد يكتسب فعله ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات والرؤية في الاخرة وحدوث
القران ثلاث فرق وجبرية محضة خالصة تسند فعل العبد الى الله لعدم اختيار العبد
اذ لا قدرة له موثرة ولا كاسبة بل هو كالجماد فيما يوجد فيه كالقلم بيد الكاتب فرقة واحدة
ومشبهة شبهوه بمخلوقاته ومثلوه بالحادثات فرقة واحدة اختلفوا في طريقهم فمنهم
مشبهة غلاة الشيعة ومشبهة الحشوية ومشبهة الكرامية والناجية منها اي من تلك الفرق
واحدة قال فيهم صلى الله عليه وسلم هم الذين على ما انا عليه واصحابي اي ومن بعدهم من اهل السنة
والجماعة فقها ومحدثون واشاعرة وماتريدية لخلو مذاهبهم من بدع ممن ذكر وروى الشيخان
عن جابر انه الضمير للشان يفسره ستكون لهم اي لامته انماط بهمزة مفتوحة فنون ساكنة
واخره طا مهملة نوع من البسط له خمل رقيق تغشى بها الفراش والهوادج واحدها نمط
ويغدو احدهم كما رواه الترمذي عن علي في حلة هي ثوبان من جنس واحد ويروح اي يرجع
في اخرى ويوضع بين يديه صحفة اناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها صحاف وفي
الحديث لا تسال المراة طلاق اختها لتستفرغ ما في صحفتها مثل يضرب به لمن تريد من
النسا الاستيثار على امراة بحظها من زوجها فتكون كمن افرغ ما في صحفة غيره في صحفة
نفسه وترفع من بين يديه صحفة اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة فيه تلويح
بان الدنيا تبسط عليهم ثم يتوسعون فيها ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه
وانتم اليوم خير منكم يومئذ رد القولهم نحن يومئذ خير منا اليوم اي ليس الامر كما تظنون
بل انتم خير لان الفقر الذي هو كفاف خير من غنى يلهي عن العبادة وروى الترمذي عن
ابن عمر انهم اذا مشوا المطيطا بميم مضمومة ومهملتين بينهما يا تحتية تمد وتقصر بمعنى
التمطي اي التبختر مع مد اليدين والخطا وفي التنزيل ثم ذهب الى اهله يتمطى اي افتخارا من
المط وهو المد اذ المتبختر يمد يديه وخطاه وهي من المصغرات التي لم تستعمل مكبرة كمريطا
وكميت وكميت وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم اي شدة عداوتهم بينهم
وسلط شرارهم على خيارهم لشهادة انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم غنموا اموالهم
وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى علي اشقاها فقتله

وعلي

تلوا

وعلي الزبير بن جرموز فقتله وقتالهم الترك كما رواه الشيخان بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا
قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم
المجان المطرقة والخزر بمعجمة مضمومة فرا ساكنة طايفة من الترك جمع اخزر والخزر بالفتح
ضيق العين وصغرها وفي حديث حذيفة كاني بهم خنس الانوف خزر العيون والروم
طايفة معروفة لا ادري من روى حديث الطايفتين وذهاب كسرى بفتح اوله وكسره اي
ذهاب ملكه بذهابه وقومه فارس من ارض العراق وغيرها حتى لا كسرى بعده وذهاب
قيصر ملك الروم من الشام وغيره حتى لا قيصر بعده رواه الشيخان بدون فارس وذكر
الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة او نطحتين ثم لا فارس بعدها ابدا وان الروم
هي ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن الى اخر الدهر وقد وقع ما اخبر صلى الله عليه
وسلم من زوال ملكيهما من اقليميهما ومزق ملكه كل ممزق ولم يبق منه طارفة عين بدعوته
صلى الله عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصرا عنى هرقل قد انهزم من الشام في خلافة عمر الى
اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما فلله الحمد وروى البخاري عن مرداس الاسلمي انه صلى الله
عليه وسلم اعلم اصحابه بذهاب الامثل فالامثل اي الاشراف فالاشراف من الناس العلماء
بترتب التفاضل فانثبت الامثلية للاول ثم للثاني وهكذا حتى تبقى حثالة لا يباليهم الله بالة
وتقارب الزمان من حديث الترمذي لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار تفاعل من القرب
اريد به اخره واقتراب الساعة لشهادة رواية اذا اقترب الزمان لا تكاد رؤيا المومن تكذب لان
الشي اذا قل وتقاصر تقاربت اطرافه ومن ثم قيل للقصير متقارب ومتازف او اريد به زمن عيسى
فانه لكثرة الخير فيه يستقصر لاستلذاذه بمسرات ورخاء مع العافية فتتقارب اطرافه فلا
يستطال او لقلة بركة الزمان بذهاب خيره وفايدته او اريد به تسارع انقراض القرون
فيتقارب زمانهم ويتدانى زمانهم او لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من تزايد فظايعه وتوادد
لوايه ونوله قلوبهم بفتن مدهشة فلا يدرون كيف تنقضي ايامهم ولياليهم وهذا عكس
ما يقال قصر الايام والليالي بالمسرات واللذات كامر وطولها بالشدايد المحنات وكلاهما
صحيح هذا ما ذهب اليه هناك في القصر فراجع الى ما يدهمهم من شدايده وصوارعه وقبض
العلم بقبض العلما لشهادة حديث ان الله سبحانه وتعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس
ولكن يقبضه بقبض العلما الحديث وظهور الفتن والهرج من حديث الشيخين عن ابي هريرة
يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل
القتل وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب من حديث الشيخين
عن ام المومنين زينب وويل كلمة تفجع وتعجب مما يعتريهم من حزن ومشقة وهلاك باثارهم
بين المسلمين فتنا كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر كفتنة عثمن
وفتنة علي مع معاوية وانه صلى الله عليه وسلم زويت له الارض فراى مشارقها ومغاربها
من حديث مسلم عن ثوبان ان الله زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها اي جمعت
بتقريب بعيدها حتى اطلعت عليه كاطلاعي على قريبها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها

من تتمة حديث مسلم عن ثوبان وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها قيل وليست من فيها تبعيضية
بل تفصيلية لما اجمل او زويت لي جملة الارض مرة واحدة فرايت مشارقها ومغاربها وستفتحها
امتي جزا فجزا حتى تملك جميع اجزائها **فلذلك امتدت في المشارق والمغارب** اي انبثت
امته في اقطارها ونواحيها **ما بين ارض الهند** بدل او بيان للمشارق والمغارب **اقصى المشارق**
بدل او بيان لارض الهند **الى طنجة** بمهملة مفتوحة فنون فجيم بلده بساحل بحر الغرب **حيث**
لا عمارة وراه وذلك اي ما زوي له منها وملكته امته **ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في**
الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك فبلغ ملكها اقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا
جنوبا وشمالا **وقوله** صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم من حديث سعد بن ابي وقاص
لا يزال اهل الغرب ظاهرين على من ناواهم واراد بهم سوءا ثقة بحفظ الله ونصرته
لهم وهم **على الحق** اي ملتبسين به مصاحبين له فكانهم لتمسكهم به وتمكنهم منه معتلون عليه
تشبيها وتمثيلا لحالهم بحال من اعتلا شيا وركبه **حتى تقوم الساعة** غاية لاستمرار ظهورهم على
عدوهم مؤيدين عليه **ذهب** ابو الحسن علي بن المديني **الى انهم العرب المخصوصون بالسقي**
بالغرب بمعجمة مفتوحة فراء ساكنة **وهي الدلو العظيمة** تذكر وتؤنث لشهادة ما في حديث
الرؤيا فاخذها عمر فاستحالت في يده غربا اي لما اخذها ليسقي عظمت في يده وانقلبت من
الصغر الى الكبر وهو تمثيل لكثرة ما فتح الله في زمنه من البلاد دون زمن ابي بكر وقيل هم
اهل الشام لانهم غرب الحجاز لشهادة رواية وهم بالشام وقيل اراد بالغرب الحد والشوكة
فهم اهل الجهاد **وغيره** اي غير ابن المديني **يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد اهل المغرب كذا**
في الحديث بمعناه لا اعلم من رواه **وفي حديث اخر من رواية** عبد الله بن احمد بن حنبل والطبراني
من حديث **ابي امامة لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم** اي غالبين
لهم من قهره اي غلبه **حتى ياتيهم امر الله** غاية لظهورهم وقهرهم عدوهم **وهم كذلك** اي ظاهرين
ملتبسين بالحق قاهرين عدوهم **قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر** صلى الله
عليه وسلم فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي **بملك بني امية** هم بنو مروان بن الحكم
ابن ابي العاصي بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ورواه البيهقي عن سعيد بن
المسيب مرسلا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وعن ابي هريرة وفي سنده الزنجي
وليس بمعروف ذاتا وحالا **وولاية معاوية** بن ابي سفيان الخلافة **ووصاه** فيما رواه البيهقي
بلفظ ما حملني على الخلافة الا قول النبي صلى الله عليه وسلم لي يا معاوية ان ملكت فاحسن
وضعفه ثم قال غير ان له شواهد منها حديث سعيد بن ابي العاصي ان معاوية اخذ
الاداوة فتبع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل
ومنها حديث راشد بن سعد عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان
اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم يقول ابو الدردا كلمة سمعها
معاوية منه صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها **واتخاذ بني امية مال الله دولا** اي اخبر
به فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي ورواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ اذا بلغ
بنو ابي العاصي اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن

ابي

ابي سعيد الخدري اذا بلغوا ثلثين اتخذوا ذلك **وخروج بني العباس** بن عبد المطلب **بالرايات**
السود فيما رواه احمد والبيهقي باسانيد ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم تظهر الرايات السود
لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم في اسناده عبد القدوس
وهو ضعيف وفي رواية تخرج السود من خراسان لا يردها شي حتى تنصب بايليا هي بيت
المقدس في اسناده رشدين بن سعيد وهو ضعيف **وخروج المهدي** كما رواه احمد والبيهقي
باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة
لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها
ثم ذكر شيا فاذا كان كذلك فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله في اسناده مجهول وفيه
ابو اسما وهو ضعيف وفي رواية ثم تجي الرايات السود فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ثم يجي خليفة
الله المهدي فاذا سمعتم به فاتوه فبايعوه فانه خليفة الله وفي اخرى اذا اقبلت الرايات السود
من عقب خراسان فاتوها ولو حبوا فان فيها خليفة الله المهدي وفي اخرى يخرج من اهل بيتي
عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاوه حثيا في سنده عطية
العوفي وهو ضعيف هذا وما ذكر من الاحاديث هنا فكلها ضعيفة وبعد تسليم ثبوتها فهي مشعرة
بان من وردت فيه انما يكون في اخر الزمان واما من تولى منهم فيما مضى فلم يكن منهم احد متصفا
بما وردت به بل المشهود عنهم في التواريخ ضد ذلك ولم يكن من بني امية احد مثل عمر بن عبد
العزيز وبه ختمت ايمة الرشد والهدى **وما يناله اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم** اي اخبر فيما
رواه الحاكم من حديث ابي سعيد ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وضعفه
الذهبي **وقتل علي** اي اخبر به فيما رواه احمد عن عمار بن ياسر والطبراني عن علي وصهيب وجابر
ابن سمرة **وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه** اي يصبغ لحيته من راسه بدمها شبهه بالخضاب
وهو صبغ يسود به النسا ايديهن واثبت له الخضب بجامع التغيير اي اشقى الدنيا اهلا من يفعل
به ذلك وهو عبد الرحمن بن ملجم قال في المهمات تبعا للنووي في تهذيبه بميم مضمومة فلام
ساكنة فجيم مفتوحة **وانه** اي عليا **قسيم النار** بمعنى ان الناس فريقان فريق معه فهم مهتدون
اوليا له وفريق عليه فهم ضالون اعدا له **يدخل اولياوه الجنة واعداوه النار** لا اعلم من رواه **فكان ممن**
عاداه الخوارج وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام قال
فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم لا يجاوز قراءتهم
حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم وفي رواية مروق السهم من الرمية **والناصبة** المارقين
من الدين **وطايفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه** لتركه في زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهي
حقه وفي الحقيقة هم الكفرة الفجرة لا هو رضي الله عنه **وروى** الشيخان **قال** اي النبي صلى الله عليه
وسلم **بقتل عثمان** ورواه الترمذي عن ابن عمر بلفظ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان الله عسى**
ان يلبسه قميصا استعار اسم القميص للخلافة لشبهها به اشتمالا حقيقة رشحها بالخلع في قوله
يريدون خلعه فان من تالب عليه قد اجتهد في عزله فلم يرض لنهيه صلى الله عليه وسلم
استعاره له عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله دمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها
رواه الترمذي عن عايشة بلفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك

قبيصًا فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم وحسنه وانه الضمير للشان يفسره ما بعده سيقطر
دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله رواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبي انه موضوع وروي
البيهقي ان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا بلفظ خطبنا خالد بن الوليد فقال ان امير المؤمنين
بعثني الى الشام وهو بهمه فالقي بوانيه بثنيه وعسلا اراد ان يوثر به غيري فقال رجل من
تحته اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال وابن الخطاب حي فلا انما ذاك تعد اذا كان
الناس بذي بلي وذي بلي وتذكر الرجل هل يجد ارضا ليس بها مثل الذي يفر منه ولا يجد وفي
رواية قال خالد بن الوليد كتب الى امير المؤمنين حين القي بوانيه بثنيه وعسلا ان سر
الى الهند والهند في انفسنا البصرة وانا لذلك كاره فقال رجل يا ابا سليمان اتق الله فان الفتن
قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما تكون بعده والناس بذي بليان او في ذي بليان فينظر الرجل
هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الفتنة والشر فلا يجد او تلك الايام التي ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعه نعوذ بالله ان تدركني وايا كم اولئك الايام وفي دلائل النبوة للبيهقي
من طرق انه صلى الله عليه وسلم اخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له وذكره علي به يوم الجمل فقال بلى
والله لقد نسيته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الان والله لا قاتلك فرجع يشق
الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال ما لك فقال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لتقاتلنه وانت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا للمقاتلة
فقال قد حلفت لا اقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب واخبر
بنباح بضم نون نباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه صلى الله عليه وسلم والحوأب بمهملة وهمزة
مفتوحتين بينهما واو ساكنة ما من مياه العرب بطريق البصرة نزلته لما توجهت للصلح بين علي
ومعاوية فلم يقدر اتفاق فكانت وقعة الجمل واخبر فيما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس
انه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت اي كلاب الحوأب على عائشة عند خروجها
الى البصرة فيما رواه احمد وكذا البيهقي بلفظ كانت لنا ايتكن تنبح عليها كلاب الحوأب فقال الزبير
ترجعين لعل الله ان يصلح بك بين الناس واخبر فيما رواه الشيخان ان عمارا هو ابن ياسر تقتله الفئة
الباغية ولفظ مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية زاد وقاتله في النار
وله تكون امتي فرقتين فتخرج بينهما مارقة يلي قتلها اولاهم بالحق هم الذين قتلهم علي بالنهروان
كانوا اربعة الاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة فقتله اي عمارا اصحاب معاوية بصفين اذ
كانوا هم البغاة على علي بتاويل بشهادة احاديث قتله وحديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق
وكان مع علي وقال كما تقدم لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك اي مشقة وهلاك بيوبه الحجاج
وعذاب يصلاه ومن شايعه في الاخرة بقتله ظلما وويل لك من الناس في الدنيا فلقد حاصره الحجاج
بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامي وقال فيما رواه الشيخان في قزمان بقاف مضمومة
فزاي ساكنة رجل من المنافقين وقد ابلى مع المسلمين حلة حالية ابانت شجاعته واقدامه في الجهاد
لغير الله بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار فقتل نفسه كما ذكره البخاري في وقعة
خيبر بمعجمة وراء وصوبه المصنف واقره النووي ومسلم في حنين بمهملة ونون والخطيب تبعا لاصحاب
السير في احد روى الطبراني والبيهقي من طرق منها موصول ومرسل ومنقطع انه قال في جماعة

فيهم

فيهم ابو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب اخركم موتا في النار اي اما ان يحترق بها في الدنيا بشهادة
ما في تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز هو داء من البرد او برد شديد لا يكاد
يدفوا منه فامر بقدر عظيمة فملئت ماء واوقد تحتها واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها
فيدفوا فلم ينشب ان سقط به فاحترق واما ان يدخلها في الاخرة ثم يخرج منها لشهادة حديث البيهقي
عن بعض اهل العلم انه مات في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يورد
النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجى منها باءمانه لشهادة حديث البيهقي عن ابن
سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام واهله قال عبد الله بن الصبيح لابن
سيرين بهذا او بصحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه الخبر فكان بعضهم اي بعض من قال فيهم اخركم موتا في النار يسال عن بعض بشهادة حديث
البيهقي عن ابن حكيم الصبي كنت اذا لقيت ابا هريرة سالني عن سمرة فاذا اخبرته بحياته وصحته
فرح وقال كنا عشرة في بيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخركم موتا في النار فمات منا ثمانية
ولم يبق غيري وغيره وله كان اذا اراد احد ان يغيظ ابا هريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى
عليه ثم مات ابو هريرة قبل سمرة فكان سمرة اخرهم موتا بشهادة حديث البيهقي عن اوس بن خالد
كنت اذا قدمت على ابي محذورة سالني عن سمرة واذا قدمت على سمرة سالني عن ابي محذورة فسالت
ابا محذورة عن سؤالهما اياي فقال كنت انا وسمرة وابو هريرة في بيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اخركم موتا في النار فمات ابو هريرة ثم ابو محذورة ثم سمرة وكان قد هرم وخرف اي اصابه
وهن في بدنه وخلل في عقله فاصطلى قلبت تاؤه طاء للجاورتها الصاد اي تدفا فاحترق فيها
وله انه استجمر فغفل عنه اهله حتى اخذته النار وروى ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة
انه قال صلى الله عليه وسلم في حنظلة بن ابي عامر الانصاري الغسيل سلوا زوجته عنه
فاني رايت الملئكة تغسله بعد قتله شهيدا باحد فسالوها فقالت خرج جنبا اعجله الحال عن
الغسل ولعل تعجبه صلى الله عليه وسلم من غسلهم اياه كان من اجل كونه شهيدا اذ الشهيد لا يغسل
قال ابو سعيد وجدنا راسه يقطر ماء وروى احمد والترمذي انه قال الخلافة في قريش وروى
البخاري عن معاوية انه لن يزال هذا الامر اي الخلافة في قريش ما اقاموا الدين زاد ولا يعاديهم
احد الا اكبه الله على وجهه وهذا وامثاله من احاديث حاكمة باختصاصهم بها لا عقدها لغيرهم
اجماعا منا اهل السنة ولا تضرنا مخالفة اهل البدعة وقوله ما اقاموا الدين قيد لما افاده
لن يزال من ثبوت الخلافة فيهم مدة اقامتهم الدين ولا ينازعهم احد فيها الا اذله الله من محافظتهم
عليه قيل المراد بالدين الصلاة لا هو مع اصوله وتوابعه لان منهم من غيره وبدله ولم يصرف عنه
الامر قلنا ومنهم من ترك الصلاة منهمكا في الملاهي واللذات وشرب الخمور والغناء والقينات ولم
يصرف عنه هذا ولعل ذلك كان في الصدر الاول ثم صرف عنهم بعد كما هو الان وروى مسلم
والبيهقي قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير اي مهلك من البوار هو
الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا اي هلكى فراوهما الحجاج بن يوسف هو كما في حديث اسماء
بنت ابي بكر من طريق مسلم وغيره قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد رايناه واما المبير فلا اخالك اياه قال النووي

اجمع العلما على ان المبير هو الحجاج لشهادة قول هشام بن حسان بلغنا انه قتل مائة الف وعشرين
الفا والمختار ابن ابي عبيد هو الكذاب زعم ان جبريل اتاه بالوحي لشهادة حديث البيهقي عن رفاعة
ابن شداد قال كنت ابطن اي اعرف شيا بالمختار فدخلت عليه يوما فقال دخلت وقد قام جبريل
من هذا الكرسي فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا امن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيمة فكففت عنه وان
مسيلمة يعقره الله اي يهلكه قتلا فقتله وحشي بن حرب في قتال اهل الردة زمن ابي بكر رواه الشيخان
بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله وان فاطمة ابنته الزهرا اول اهل بيته لحوقا به اي موتا لشهادة
حديث الشيخين عن الزهري عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ستة
اشهر وانذر بالردة اي اعلم اصحابه وعرفهم بانها ستكون وخوفهم وحذرهم منها لشهادة حديث
الشيخين لا ترجعوا بعدي كفارا يرجع بعضكم رقاب بعض برفع يضرب استيناف ورد لبيان
النهي وجوبا لكيف نرجع كفارا فقيل يضرب بعضكم رقاب بعض فعل الكفار فانهم متعادون يقتل
بعضهم بعضا وانتم متواخون يحقن بعضكم دم بعض وجوز ابو البقا وغيره جزمه وحديث
مسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبايل من امتي بالمشركين وحتى تعبد قبايل من امتي الاوثان وبان
الخلافة بعده ثلثون سنة ثم تكون ملكا فلا يتسمى بها الا من تمسك بسنته وعدل في رعيته
والا فلا يتصف بها واحق ان يدعي ملكا وان جاز ان يدعي خليفة من حيث انه خلف من قبله
وقام بعده واميرا المؤمنين لقيامه بامرهم ولا يقال لاحد خليفة الله بعد ادم وداود فكانت
اي الخلافة كذلك اي ثلثين سنة بمدة الحسن بن علي لان خلافة ابي بكر سنتين وثلثة اشهر
وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وخلافة عثمن احدى عشر سنة
واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة علي اربع سنين وعشرة اشهر وتسعة وتمامها خلافة
الحسن وقول سفينة في حديث امسك اي اضبط حساب مدة الخلافة ابو بكر سنتين وعمر
عشرا وعثمان اثني عشر وعلي ستا انما ورد على سبيل التقريب وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا الامر اي ما بعث به من امور الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة حق الخلافة
انما هو لمن تمسك بسنته على ما مر ثم يكون ملكا عضوضا اي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم
يعضون فيه عضا وفي رواية وستكون بعدي ملكا عضوضا وفي رواية اخرى ثم تكون ملوك عضود
جمع عض بالكسر اي شرس خبيث ثم يكون عتوا وجبرية بالفتح اي قهرا وتكبرا ولفظ البيهقي
ان الله بدا هذه الامور نبوة ورحمة وكاينا خلافة ورحمة وكاينا ملكا عضوضا وكاينا عتوا وجبرية
وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى
يلقوا الله واخبر اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بشان اويس بن عامر القرني بالفتح
بطن من مراد وهو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته الى المنازل
كان به بياض فدعى الله سبحانه وتعالى فاذهبه الا قدر دينار او درهم وله ام كان بها بار
لو اقسم على الله لابره وقال من لقيه فليستغفر له وهذه منقبة عظيمة مؤذنة باستحباب
طلب الدعا والاستغفار من اهل الصلاح وان كان الطالب افضل وبانه خير التابعين ولا
ينافيه قول احمد وغيره خيرهم سعيد بن المسيب لان مرادهم بخيريته في العلوم الشرعية

لاني

لاني كونه اكثر ثوابا عند الله واخبر فيما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر بان امرا يؤخرون الصلاة عن
وقتها بلفظ كيف انت اذا كنت عليك امرا يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تامرني قال صل
الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد في رواية اخرى والا كنت قد احرزت
صلاتك والمراد تاخيرها عن وقت الاختيار لا عن وقتها لشهادة امره صلى الله عليه وسلم له باعادة
ان ادركها معهم فيه بعد ادائه اياها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقتها ولا حاجة في مقصة
والقول بان المراد تاخيرها عن وقتها دعوي بلا بينة يردها ما ذكر من شهود صدق لا يقبل رشوة
اخبر فيما رواه احمد والطبراني والبزار انه سيكون في امته ثلثون كذابا منهم اربع نسوة
كمسيلمة الحنفي والاسود العنسي بالنون والمختار بن ابي عبيد الثقفي وسجاح بمهملتين بينهما
جيم فالف زعمت النبوة في زمن مسيلمة وفي حديث اخر رواه الشيخان عن ابي هريرة ثلاثون دجا ١١
كذابا احدهم الدجال الكذاب الاعور الذي يقتله عيسى بن مريم ولفظهما ان بين يدي الساعة
ثلثين دجالا كذابا كلهم يكذب على الله وعلى رسوله وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه
البزار والطبراني بسند صحيح يوشك اي يقرب ويدنو ويسرع ان يكثر فيكم العجم اي ذو الا لسنة
العجم لا ابناء فارس فقط ياكلون باستيلائهم قهرا فيأكم اي ما افاءه الله عليهم من مال الكفار بغير
ايجاف خيل وركاب ويحتمل ان يريد بهم بعض مالهم وسماه فيئا لحصوله بلا مشقة ويضربون رقابكم
فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم وقد شاهدناه في دولة الترك ومن بعدهم وقال فيما رواه الشيخان
عن ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان ولفظهما لا تقوم الساعة
حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه اي يسوسهم ويستوعبهم مسخرين له كراعي غنم
يسوقها بعصاه وقحطان ابو اليمن وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان خيركم ولفظهما
خير امتي قرني ثم الذين يلونهم اي اصحابه ثم تابعوهم ثم الذين يلونهم اي تابع تابعيهم اذ القرن
اهل كل زمان من الاقتران وكانه المقدار الذي تقترن فيه اعمارهم له واحوالهم ولا يلزم من عموم رواية
خير الناس قرني تفضيل اصحابه على الانبيا اذ المراد مجموع القرون جملة لا جميع افراده ثم هنا
كالفا في مثل الافضل فالافضل لتراخي الرتبة تنزلا لا الى حد يرتفع فيه الاشتراك في الخيرية لخروج
عنه ما بعد الموصوف اعني ما افاده قوله ثم ياتي بعد ذلك قوم وفي رواية لهما ان بعدكم قوما
يشهدون ولا يستشهدون اي يبادرون بتادية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فلا
تقبل منهم ولا يعمل بها لادائه اياها قبل طلبه منه ولا معارضة بينه وبين حديث خير الشهود
من ياتي بالشهادة قبل ان يسالها لحمله ذلك على من بادر بادائها وصاحبها عنده علم بها فشهد
قبل ان يطلبها منه وهذا على من عنده شهادة جهل صاحبها انها فيعلمه بها ليستشهده عند حاجته
اليها ويخونون ولا يؤتمنون اي خيانة ظاهرة بحيث لا يامنهم احد بعدها بخلاف من خان بحقير
مرة واحدة فانه لا يخرج بها عن كونه مؤتمنا في بعض المواطن وينذرون بضم المعجمة وكسرها
ولا يوفون بنذرهم من اوفي يفي رباعيا وفي رواية من وفى يفي ثلاثيا حذفت واوه تخفيفا
لوجود الضمة قبلها ويظهر فيهم السمن اي يتشبعوا تكثرا منهم بما ليس لهم وفيهم من شرف ومال
وغيرهما لشهادة حديث تكون في اخر الزمان قوم يتسمنون اي يتعاطون اسباب السمن من ماكل
ومشرب ونحوهما لشهادة حديث ويل للمسمنات يوم القيمة من فترة في العظام اي اللاتي

يستعمل السمنة وهو دواء يتسمن به قيل المذموم منه ما يكتسب لا ما هو خلقي وفي رواية ويخلف قوم يحبون السمانة
بفتح المهملة اي السمن تاباه لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الصيف الحبر في التورية ان الله
يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما انزل الله على بشر من شي لعمومه الخلقي والمكتسب
وقال لا ياتي زمان من الازمنة الا والذي بعده شر منه جملة وردت صفة لزمان والاولى عدم توسط
الواو بينهما لكن لما شابهت الصفة الحال توسطت لتاكيد لصوقها بموصوفها كما في وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم في نحو جاء زيد عليه ثوب وجاء وعليه ثوب ولفظ البخاري قال الزبير بن عدي اتينا
انسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا ياتي زمان الا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم
سمعته من نبيكم فاورده بلا واو وهو القياس كما مر وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وفي رواية
اشر بزيادة الف وهو واخير اصلان في التفضيل تركا فلا يكادان يستعملان والمتعارف فيه خير وشر
وقال فيما رواه الشيخان هلاك امتي على يد اغيلمة من قريش تصغير اغلمة جمع غلام ولم يجي جمعه على اغلمة
ومثله اصيبيه تصغير صبية واراد بالاغيلمة الاحداث فصغرهم قال ابو هريرة راويه اي راوي هذا
الحديث لو شيت سميتهم بنو فلان وبنو فلان كناية عنهم كيزيد بن معاوية فانه قد عاث في الناس
وبعث الى المدينة الشريفة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة ايام فقتل من خيار اهلها كثيرا فيهم ثلاثة من
الصحابة وازيلت بكارة الف عذرا ولقب مسرفا بسرفه قتلا وظلما وكبني مروان بن الحكم بن ابي
العاصي فلقد صدر منهم ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن ثم تبرا منهم
النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان قال ان آل بني فلان ليسوا الي باولياء ولكن لهم رحم سابلها
ببلالها فالمكني عنه هو الحكم بن ابي العاصي وبنوه فانهم الذي كني عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم
اذ كانوا ولاة الامر وتقدم له مزيد بيان واخبر فيما رواه الترمذي وابو داود والحاكم بظهور القدرية
فقال القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح امته وذمهم جعلهم مجوسا لاتصافهم بشنيعا بها
مضاهي مذهبهم مذهب المجوس في قولهم باصلين نور وظلمة زعموا ان الخير من فعل النور ويسمونه يزدان
والشر من فعل الظلمة واسمه اهرمن والقدرية زعموا خالقين خالق وهو الله وخالق شر وهو
الانسان مع ان الله عندنا هو الخالق لا يكون شي منهما الا بمشيته فهما مضافان اليه تعالى خلقا وايجادا
والى العبد عملا واكتسابا واخبر فيما رواه البيهقي من طرق كلها ضعيفة والنوادر بظهور الرافضة بلفظ
يكون في امتي قوم في اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وفي رواية يلفظونه فاقتلوهم انهم
مشركون واخبر فيما رواه ابو القاسم البغوي عن عائشة مرفوعا بسب اخر هذه الامة اولها
بلفظ لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها هو على ظاهره اذ قد ظهر من الرفضة وغيرهم
من الاختلاق لهم في حق اكابر الصحابة وغيرهم ما يتعاظم في انفسنا ذكره مع تكفيرهم ورميهم بعظائم
هم برآء منها حاق بمن صدرت منه وربما حمل اللعن على طعن الخلف في السلف وذكرهم لهم بالسوء
وعدم اعتدادهم باعمالهم الصالحة فكانه لعن لهم وللترمذي من حديث طويل من حديث ابي
هريرة ولعن اخر هذه الامة فارتقبوا عند ذلك ريحا حمرا وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وايات
تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع تتابع بتحتية بعد الالف حذفت احدى تائيه تخفيفا والاولى علامة
كونه مضارعا من التتابع وهو سرعة الوقوع في الشر من غير فكرة وروية ومنه قول الحسن بن علي
ان عليا اراد امرا فتتابعت عليه الامور فلم يجد منزعا وتتابع بموحدة من التتابع في الخير وقله

الانصار اي اخبر بها فيما رواه البخاري عن ابن عباس خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه
الذي مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون ويقل
الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيا يضر فيه قوما وينفع اخرين فليقبل من
محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فلم يزل امرهم يتبدد من التبديد وهو التفريق حتى لم يبق لهم
جماعة لان ايواءهم النبي صلى الله عليه وسلم ونصرهم له قد انقضى زمانه فلم يبق يلحقهم فيه لاحق
كما لم يسبق شاؤهم فيه سابق فكلما مات منهم واحد لم يخلفه احد فبذلك كثر غيرهم وقلوا ويحمل
هذا فيمن هاجر اليه في زمنه الى المدينة واخبرهم اي الانصار ستلقون بعده اثرة بفتح
الهمزة والمثلثة من آثر يوثر ايثارا اذا اعطا اي تفضيلا لغيركم وعليكم في نصيبه من الفي والايثار
الانفراد بالشي رواه الشيخان من حديث طويل فيما افاء الله على رسوله من اهل القرى اموال
هوازن بلفظ انكم سترون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض واخبر فيما رواه الشيخان
من طرق بشان الخوارج على علي بالنهروان اربعة الاف فقتلهم وقتل ممن معه تسعة وصفتهم
اي اخبر فقال فرقة يحسنون القول ويسيون الفعل او العمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في
شي يقرون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه
حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم طوبى لمن قتلوه والمخدج اي اخبر بناقص
الخلق الذي فيهم بان احدى يديه مثل ثدي المراة ومثل البضعة تدردر وان سيماهم التحليق
اي علامتهم حلق شعور رؤسهم وترى ولم يرد به مخاطبا معينا بل كل ما يتاتى توجيه الخطاب
اليه كما في ولو ترى اذ وقفوا على النار رعاء الشاء رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان
لما رواه مسلم رواه بهذا اللفظ وروى الشيخان معناه ببعض الفاظه فلمسلم وان ترى الحفاة
العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ولهما وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض
وللبخاري واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها وله اذا تطاول رعاء الابل
البهم في البنيان اي تفاخروا في طول بناء بيوتهم ورفعة يقال تطاول الرجل اذا تكبر اي اذا
انقلبت احوال الناس بتغير الزمان رايت اهل البوادي ممن لا لباس له ولا نعل من رعاء الابل
والشاء يتوطنون البلاد ويبنون الدور والقصور يتباهون بها وكذا اذا رايت الصم البكم ملوك
الارض فذاك من امارات الساعة والصم في الاصل لمن خلق لا سمع له والبكم لمن خلق اخرس لا يتكلم
اريد بهم الرعاع الجهال فانهم لا ينتفعون بسمع ولا نطق كبير نفع لعدم هدايتهم وقبولهم الحق
من صمم وبكم البصيرة لا من صمم الاذن وبكم اللسان وان تلد الامة ربها الرب لغة المالك والسيد
يعني والمدبر والمربي والقيم والمنعم ولا يطلق على غير الله الا مضافا واريد به هنا السيد يعني ان
ولدها من سيدها كسيدها حسبا ونسبا نظرا الى كونه نسمة ذكرا كان او انثى وهذا وما ذكر
سابقا ولاحقا من اعلام الاخبار بالغيب ودلائل النبوة اذ فيه تلويح بكثرة السبي والتسري
بعد ظهور النعمة بقوة الاسلام واعلاء كلمة الحق باستيلاء المؤمنين على من ناواهم من الكفرة وبانذاره
بان غايته التراجع والانحطاط المؤذن بقيام الساعة واخبر فيما رواه البخاري ان قريشا لا يغزونه
ابدا لقوله صلى الله عليه وسلم قاله بعد الاحزاب واحد اذ قد غزوه فيهما وانه صلى الله عليه
وسلم هو يغزوهم باصحابه لفتح مكة واكده بان واسمية الجملة وضمير الفصل لتحقق وقوعه

وقصره عليه ثم لا يغزون بعد لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعده ولا
يكفرون فيغزون وقوله لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيمة اي لا تعود مكة دار كفر تغزى عليه
وقيل لا يغزوها كفار ابدا فان المسلمين قد غزوها مرات ويرد حديث يخرب الكعبة ذو
السويقتين من الحبشة يقلعها حجرا حجرا واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس
رواه البخاري عن عوف بن مالك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة
من ادم حالان منه صلى الله عليه وسلم متداخلتان فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي
ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل
مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة حتى لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ثم هدنة
تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر الفا
والموتان بوزن طوفان طاعون يصيب الناس واصل وقوعه في الماشية بشهادة قوله
كقعاص بضم القاف داء يأخذها فتموت سريعا يقال عقصه واعقصته اذا ضربته فقتله
سريعا فنبه في الحديث على ان وقوعه في الناس كوقوعه في الغنم يسلك سلبا وفي الحديث
من قتل عقصا فقد استوجب المآب اي حسن المرجع بعد الموت وكان ذلك في خلافة عمر
بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات به
سبعون الفا في ثلاثة ايام هذا وغاية بمعجمة ومثناة تحت اي راية وروي بباء موحدة تشبيها
لكثرة رماح العسكر بها وبنو الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان اصفر
وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وما وعد به من سكنى البصرة فيما رواه ابو داود
عن انس انه صلى الله عليه وسلم امره ان يسكن ضواحيها اي نواحيها الظاهرة اذ ضاحية
كل شيء ناحيته البارزة ومنه قيل قريش الضواحي اي النازلون بظاهر مكة ولفظه قال
يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة فان انت مررت بها او
دخلتها فاياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها
خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير اي يمسخون عبر عنه بما هو
اشنع منه وكلأها بتشديد اللام والمد شاطئ النهر الذي تكلسون فيه السفن اي تحبسونها
يربطونها فيه واخبر فيما رواه الشيخان انهم اي ناس من امته يغزون في البحر كالملوك
على الاسرة بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على ام حرام بنت ملحان وكانت
تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما فاطعمته ثم جلست تفلي راسه فنام ثم استيقظ
يضحك فقالت مم تضحك قال ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج
هذا البحر ملوكا على الاسرة او كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها
ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله ان يجعلني منهم
فدعا لها فقال انت من الاولين فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها
منه فهلكت وام حرام بمهملتين وميم بينهما الف من بني عدي بن النجار واخت ام سليم
امراة ابي طلحة ام انس بن مالك ودخوله صلى الله عليه وسلم عليها كان لمحرمية بينهما من
حيث ان ام جده عبد المطلب من بني النجار وملوكا حال من ضمير يركبون اي مراكب الملوك

لسعة

لسعة حالهم واستقامة امرهم وكثرة عددهم وثبج كل شيء بمثلثة فوحدة مفتوحتين وسطه
شبه ثبج البحر بظهر الارض والسفينة بالسرير لجعل جلوسهم عليها كجلوس الملوك على اسرتهم
تلويحا بانهم بذلوا انفسهم وركبوا هذا الامر العظيم بوفور نشاط وقوة تمكن كالملوك واخبر
فيما رواه الشيخان ان الدين اي الايمان لو كان منوطا بالثريا اي معلقا بها لناله رجال من
اهل فارس هم المشهورون الان باسم العجم ولفظهما عن ابي هريرة كنا عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت واخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يا رسول الله فوضع
يده على سلمان الفارسي ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وهذا على الاميين
اي بعثه في الاميين الذين في عصره وفي اخرين منهم لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم التابعون
وجمع اسم الاشارة مع كون المشار اليه واحدا عني سلمان لارادة الجنس ولو هنا لمجرد الفرض
مبالغة لجلالة ذكائهم وقوة فطنتهم وروى مسلم عن جابر هاجت ريح اي هبت لشدة والنبي صلى الله
عليه وسلم في غزواته بتبوك من ارض الشام فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى
المدينة وجدوا ذلك اي موت المنافق الذي ذكره قد ارهقه الى الهاوية وقال فيما رواه
الطبراني عن رافع بن خديج لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار مثل احد تلويح بانه
يموت كافرا لشهادة حديث ضرس الكافر في النار مثل احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني
بقوله ذهب القوم ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ناحية معروفة شرقي
الحجاز مدينتها العظمى حجر اليمامة واعلم فيما رواه ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد
الجهني بالذي غل اي خان فسرق من الغنيمة قبل القسمة وكل من خان في شيء خفية فقد غل
سميت غلولا من حيث ان الايدي فيها مغلولة اي ممنوعة شرعا كان فيها غل وهو حديدة تجمع يد
الاسير الى عنقه ويقال لها جامعة ايضا خرزا من خرز يهود فوجد في رحله بعد موته
واعلم فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة بالذي غل الشملة كساء يشتمل به الرجل بلفظ اهدى
رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا
والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا
وعائر بمهملة ومثناة اي حائد عن قصده لا يدري من رماه من عار الفرس اذا افلت ذاهبا
على وجهه كلا ردع لهم عن قولهم هنيئا له الجنة وزجر لهم عن قطعهم بانه فيها يتنعم مؤكدا له
بالقسم اعتراضا بين اداة الردع وان واسمها وخبرها اشتعالها بنار مبالغة كانها نفسها نار واعلم
فيما رواه البيهقي ضلت ناقته حيث هي اي بالمكان الذي هي فيه حين ضلت واعلمه ايضا كيف
تعلقت بالشجرة بخطامها اي رسنها واعلم فيما رواه الشيخان عن علي بشأن كتاب حاطب
ابن ابي بلتعة الى اهل مكة كسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية من مسلمة
الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله
لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر اما
اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر واعلم فيما رواه ابن اسحق والبيهقي والطبراني بقصة عمير بن
وهب بن خلف مع صفوان بن امية بن خلف حين ساره صفوان بقتله صلى الله عليه وسلم

وشارطه على ان جعل له جعلا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم لحاجات سعيهما فلما جاء عمير قاصدا
لقتله واطلعه صلى الله عليه وسلم على الامر الذي جاء قاصدا له والسر الذي كان بينهما اسلم
عمير وفاز بنعيم مقيم في جنة طيبة ومقام كريم واخبر فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم وصححه
والبيهقي عن الزهري وغيره مرسلا بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بنت الحارث
زوجته حين خرج مع كفار قريش الى بدر واسر بها بعد ان كتمه اي اخبر به بعد كتمانه اياه
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم بعد ان فدا نفسه فقيل له لم لم تسلم قبل الفدا ليبقى لك
ما فديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين مما طمعوا فيه من مالي واعلم فيما رواه البيهقي عن عروة
وسعيد بن المسيب مرسلا انه سيقتل ابي بن خلف وقد تقدم بيانه وانه صلى الله عليه وسلم
جرحه باحد في عنقه فمات بسرف وقال في عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب من كلاب الله
فقد مر بيانه وان الصواب هو اخوه عتيبة مصغرا وان المكبر اسلم وصحب ابن عمه محمدا صلى الله
عليه وسلم واخبر فيما رواه مسلم عن مصارع اهل بدر اعلام الكفر من قريش الذين قتلوا بها
هذا مصرع فلان فكان كما قال لم تخط منها واحدة وقال فيما رواه الشيخان وغيرهما من
طرق في الحسن بن علي بن ابي طالب ان ابني هذا سيد اي حليم كريم بشهادة وسيصلح الله به
بين فئتين عظيمتين هما جماعته وجماعة معاوية قال الحسن البصري فلما ولي ما اهريق
بسببه محجمة دم وقال غيره لما سلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اما بعد فان الكيس التقي وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه
انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به مني او حق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن
دمائهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفي رواية خطب معاوية
ثم قال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن دماكم
باخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه قل ان ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
وقال فيما رواه الشيخان لسعد هو ابن ابي وقاص في مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف
عن اصحابي لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون زيد اللهم امض لاصحابي
هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم لكن البايس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على اعقابهم بموته
فيها واخبر فيما رواه البخاري عن انس بقتل اهل موتة امرا غزوة فقال اخذ الراية زيد بن
حارثة فاصيب ثم جعفر بن ابي طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن
الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه وبينهم اي بين المخبر والمخبر بينهم مسيرة شهر او ازيد
بل اقل من شهر لانها من ارض البلقا اخر حوران الشام الى جهة المدينة الشريفة وموته
بالمعز وعدمه واخبر فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة بموت النجاشي يوم مات سنة
سبع من الهجرة وصلى عليه صلاة الغائب اذ كان امن به وهو في ارضه حال من النجاشي
واسمه اصحمة بمهملتين بن ابجر بموحدة وجيم قرا وقد مر بيان مناقبه واخبر فيما رواه
البيهقي فيروز وزير كسرى ملك فارس اذ قد ورد عليه اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم

رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم اي يوم ورد عليه او يوم مات فلما حقق فيروز القصة
اي ما قصه عليه من موته اسلم ففاز فوزا عظيما واخبر ابا ذر فيما رواه احمد بتطريده من المدينة
الى الربذة فكان كما كان اخباره بتطريده كذا ورد لكن في دلايل النبوة للبيهقي ان امراته ام ذر قالت
والله ما سيره عثمن الى الربذة ولكن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ البنا سلعا فاخرج
فلما بلغه وجاوز خرج ابو ذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها واخبر فيما
رواه احمد وابن راهويه وابن سامة والبيهقي بعيشته وحده وموته وحده فكان كما اخبر ولفظ
البيهقي قالت ام ذر لما حضرت ابا ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك فقلت وما لي لا ابكي وانت
تموت بفلاة من الارض وليس عندي ما يسعك كفنا لي ولا لك قال فابشري ولا تبكي فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده
عصابة من المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات في قرية وجماعة فانا ذلك الرجل
فابصري الطريق فبينما انا وهو كذلك اذا انا برجال على رحالهم كانهم الرخم فالحت بثوبي فاسرعوا
حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال انتم تسمعون انه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي ولامراتي
لم اكفن الا فيه اني انشدكم الله ثم انشدكم الله ان يكفني رجل منكم كان اميرا او عريفا او بريدا او
نقيبا وليس منهم احد الا وقد قارف ما قال الا فتى من الانصار قال انا اكفنك يا عم في ردائي
هذا او ثوبين في عيبتي من غزل امي قال فكفنه واقاموا ادفنوه واخبر فيما رواه مسلم ان اسرع
ازواجه لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب بنت جحش اسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة
ولفظه عن ام المؤمنين عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعكن لحوقا بي
اطولكن يدا فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا الا انها كانت زينب اطولنا يدا وكانت تعمل بيدها
وتتصدق ورواه الشعبي مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينا اسرع
لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن ايتهن اطول يدا فلما توفت زينب علمن انها
كانت اطولهن يدا في الصدقة وللبخاري عن عايشة اجتمع زوجاته صلى الله عليه وسلم
فقلن له اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة ابنت
زمعة اطولنا ذراعا فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا
ان طول يدها كان الصدقة وكانت تحب الصدقة وهو مخالف لحديث مسلم والشعبي مع منافاة
ما افاده قولها كانت اطولنا ذراعا من انه طول حسا ومن ثم قال البيهقي زينب هي التي كانت
اطول يدا بالصدقة واسرع لحوقا به واخبر فيما رواه البيهقي من طرق بقتل الحسين بن علي بن
ابي طالب بالطف بطاء مفتوحة ففاء مشددة مكان بناحية الكوفة واخرج بيده تربة وقال
فيها مضجعه ولفظ حديثه عن عايشة ان جبريل كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل
حسين فقال جبريل من هذا فقال ابني فقال ستقتله امتك وان شئت اخبرتك بالارض
التي يقتل فيها فاشار جبريل بيده الى الطف من العراق فاخذ تربة حمرا فاراه اياها وقال
فيما رواه ابن عدي والبيهقي في زيد بن صوحان بمهملتين الاولى مضمومة وبينهما واو يسبقه
عضو الى الجنة فقطعت يده في الجهاد ولفظ البيهقي عن علي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان

في اسناده هزيل بن بلال ضعفه البيهقي وقال في الذين كانوا معه على حرا وقد تحرك بهم كامر
اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد ولفظ مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
على حرا هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدا فما عليك الا نبي
او صديق او شهيد زاد بعضهم سعدا فكان على فقتل عمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير وطعن
سعد ولم تنله الشهادة وقال فيما رواه البيهقي لسراقة بن مالك بن خعشم كيف بك اسم مبهم
يستفهم به عن الحال اي كيف حالك اذا البست سواري كسرى بعد سلبه ملكه وامواله
وسلب ذراريهم مع فرط عتوه وشدة شكيمته فعراك من السرور ما قرت به عينك وهز من
عطفك فهو استفهام استخبار وتعجيب عن حاله التي يكون عليها وقت لبسهما الان لبسهما لا
ينفك عن حالة يقع عليها بشهادة ان كل موجود لا ينفك عن حاله عند وجوده فاذا وجدت
لزم وجوده بطريق البرهان فكنى بوجودها عن وجوده فهو كناية بالملزوم عن لازمه فلما اوتي
عمر بهما البسهما اياه اظهارا لصدقه صلى الله عليه وسلم ولو قال البسه اياهما لكان اولى
وقال الحمد لله الذي البسهما كسرى بالكسر والفتح لقب ملك الفرس والبسهما سراقة
بن جعشم اعرابي من بني مدلج سكان مهاب الريح من كل ماضغ قيصوم وشيح وقال فيما رواه ابو
نعيم في الدلائل عن جرير بن عبد الله والخطيب في تاريخه تبنى اي في زمن ابي جعفر الدوانيقي
ثاني خلفاء بني العباس مدينة بين دجلة بمهملة مكسورة فجيم ساكنة نهر بالعراق مشهور
ودجيلة مصغر النهر بالاهواز حفره اردشير بن بابك اول ملوك بني ساسان بالمداين
عليه مدن وقرى كثيرة مخرجه من اصبهان وبين وقطربل بقاف مضمومة فمهملة ساكنة
فراء فموحدة مشددة مضمومتين فلام موضع بالعراق ومن انهاره الصراة بمهملة مفتوحة تجبى
اي تجمع تجلب اليها خزاين الارض لانها صارت دار ملك عضوض اصاب الناس فيه عسف وظلم
كانه عضهم بانيابه وفتت عظمهم بعسفه يخسف بها لان بناها اسس على شفا جرف هار يعني
اي النبي صلى الله عليه وسلم بها بغداد وقد مر بيان لغاتها قال احمد بن حنبل لم يحدث به اي
بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه حديث
منكر وقال فيما رواه احمد سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من
فرعون لقومه ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من
امها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد
الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر لامتي من فرعون لقومه قال
الاوزاعي فكان الناس يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم راينا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن
عبد الملك لفتنة الناس به اذ خرجوا عليه لامور انكروها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة
وقال فيما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة هي الاسلام
فكان كما قال في حرب صفين قال صفوان بن عمرو وقال اهل الشام ستين الفا فقتل منهم
عشرون الفا اهل العراق مائة وعشرون الفا فقتل منهم اربعون الفا وقال لعمر فيما رواه
البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا في سهيل بن عمرو وقد قال له عمر يا رسول الله دعني
انزع ثنيته فلا يقوم خطيبا بعد اليوم في قومه ابدا فقال دعها عسى ان يقوم مقاما يسرك

يا عمر فكان كذلك اي مثل ما قال صلى الله عليه وسلم فانه قام عند الكعبة بمكة مقام ابي بكر
بالمدينة يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم بنحو خطبته فقال من كان محمد الهه فان
محمدا قد مات والله حي لا يموت وخطبة ابي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حي لا يموت وثبتهم وقوى بصائرهم قال البيهقي ثم قال في ايام عمر بالشام مرابطا
في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس ورد وكابن اسحق والبيهقي عن يزيد بن رومان وعبد الله
ابن ابي بكر مرسلا ووصله ابن منده في معرفة الصحابة عن بجير بن بجرة الطائي انه صلى الله عليه
وسلم قال لخالد هو ابن الوليد حين وجهه لاكيدر دومة الجندل بهمزة مضمومة فكاف مفتوحة
فياء تحتية ساكنة فدال مكسورة اختلف في اسلامه ودومة بضم المهملة وقد تفتح موضع بين مكة
ودول العماد والحجاز والشام سميت بدومان بن اسمعيل لانه كان ينزلها انك تجده يصيد البقر
يعني بقر الوحش فوجدت هذه الامور كلها منها ما وقع في حياته ومنها ما وقع بعد موته كما
قال صلى الله عليه وسلم منتهية او مضمومة الى ما اخبر به جلساته من اسرارهم وبواطنهم
بيان لما اي اخبرهم بما اضمروه فيها كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس
في القوم خير منك قال نعم والى ما اطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم كاطلاع الله له على
قلوبهم في غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمهم به فقالوا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك
بل كنا في شيء مما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله قل ابالله
واياته ورسوله كنتم تستهزءون وما اطلع عليه من قولهم فيه وفي المؤمنين كقول علم النفاق
عبد الله بن ابي لاصحابه وقد استقبله نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا كيف
ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ
بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه حتى ان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت
فوالله لو لم يكن عندي من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء يقول ابي سفيان بن حرب ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة في البيت وقد امر بلالا ان يؤذن فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم
الله اسيدا ان لا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه فقال الحارث بن هشام اما والله لو اعلم انه حق
لاتبعته فقال ابو سفيان لا اقول شيئا لو تكلمت لاخبرته عني هذه الحصا فلما خرج قال لهم
علمت الذي قلتم واخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد
كان معنا فنقول اخبرك والحصا كالبطحا حتى صغار وبطحا الوادي وابطحه حصاه في بطن
المسيل ومنه حديث انه صلى الله عليه وسلم صلى بالابطح اي ابطح مكة وهو مسيل واديها وجمعه بطاح
وابطح ومن ثم قيل قريش البطاح لنزولهم اباطح مكة وبطاحها وفي حديث عمر انه اول من بطح المسجد
اي القى فيه البطحاء وفي حديث عائشة ليس التحصيب بشيء اراد به النوم ساعة بالمحصب عند
الخروج من مكة والنزول به وكان صلى الله عليه وسلم نزله من غير ان يسنه للناس فمن شاء حصب

ومن شاء فلا والمحصب بين مكة ومنى وهو الى منى اقرب واعلامه صلى الله عليه وسلم كما في رواية الشيخين
عن عائشة بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم من يهود وكونه في مشط ومشاقة وفي
رواية ومشاطه وهي ما سقط من شعر الراس او اللحية عند التسريح بالمشط في جف اي وعاء طلع نخلة
ذكر وانه اي السحر فيما ذكر الفي في بئر ذروان بالمدينة لبني زريق وبالواو وقبل الراء موضع بين
قديد والجحفة فكان اي السحر في البئر كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة من كونه
في مشط ومشاقة وجف طلع نخلة ذكر واعلامه قريشا كما رواه البيهقي عن الزهري باكل الارضة
بفتح الهمزة والراء دويبة تاكل الخشب بشهادة ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته اي عصا
سليمان والارض بسكون الراء فعلها اضيفت اليه فقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها
الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا اي تناصروا وتعاونوا بها على بني هاشم وقطعوا بها
رحمهم اي قرابتهم من جمع بينهم وبينهم نسب واعلامه اياهم انها اي الارضة ابقت فيها كل اسم
لله وروى ابن ابي الدنيا في سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسما لله الا لحسته وبقي فيها ما كان
من شرك او ظلم او قطيعة رحم فوجدوها اي الصحيفة كما قال من انها اكلت ما فيها ولم تبق
الا ما ذكر ووصفه كما مر لكفار قريش صبيحة ليلة اسري به بيت المقدس حين كذبوه في
خبر الاسرى ونعتهم اياه اي بيت المقدس لهم على ما مر نعت من عرفه حق معرفته فتعجبوا
منه واعلامهم مصدر مضاف الى مفعوله اي اعلامه اياهم بعيرهم اي بقافلة ابلهم من غادر
اذا سار التي مر عليها في طريقه راجعا من مسراه على البراق وانذارهم بوقت وصولها
يقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك كله ووجد كما قال صلى الله عليه وسلم الى اي مع ما اخبر
به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد من الغايات المبنية على الضم المنقطعة عن الاضافة
لفظا لا معنى اي لم تقع عقب زمن اخباره بل بعد ازمان متباعدة ومنها اي من الحوادث التي
تكون ما ظهرت مقدماته كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود عمران بيت المقدس
باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيه خراب يثرب اي مدينته الشريفة وخراب يثرب
خروج الملحمة اي ظهور الحرب ماخوذ من اشتباك اصحابها واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب
بسداه فهو استعارة مجردة لاقترانها بملائم المشبه وخروج الملحمة القسطنطينية دار
ملك الروم فكل سابق مما ذكر علامة مستعقبة للاحقه ومن ثم جعله صلى الله عليه وسلم
نفس لاحقه فعبر عنه لاستعقابه له والى ما اخبر به من اشراط الساعة لحديث الشيخين ان
من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النسا
حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد واشراطها علاماتها جمع شرط بفتحتين وسبب كثرة
النسا وقلة الرجال في اخر الزمان تراكم الملاحم والحروب التي يكثر فيها قتلهم وايات حلولها
اي علاماته المؤذنة به لحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر
الدخان والدجال والدابه وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج
وماجوج وثلاث خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وذكر الحشر الذي كما حكى النووي
عن العلما اخر اشراطها في اخر الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق اي الموت لشهادة ذكره مع

ايات حلولها وقوله صلى الله عليه وسلم وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم في حديث
مسلم يحشر الناس اي احيا الى الشام على ثلاث طرايق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة
على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت
معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا لعد بعثهم من القبور
على خلاف هذه الصفة من ركوبهم الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من انهم
حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده كما بداكم تعودون وذكر النشر اي البعث وهو اعادة ما افناه واعدمه
وذكر اخبار الابرار بكل ما يسرهم وتقربه اعينهم وهو جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب
واصحاب وذكر الفجار بما يسوءهم ويبكي اعينهم جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي والمحارم
وفي الحديث ان التجار يبعثون يوم القيمة فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق سماهم فجارا لما
يصدر منهم في معاملاتهم من الايمان الكاذبة والغش والربا مما لا يتحاشاه اكثرهم ولا يخشون
عاقبته وذكر الجنة والنار وعرصات القيمة بما ورد فيها من صحاح الاخبار واثار الاخيار
مما يسر ويسوء والعرصات محركا جمع عرصة وهو كل موضع واسع لا بناء فيه فصل
في عصمة الله له من الناس اي منعه له منهم اذ العصمة المنع والعاصم المانع الحامي وفي
مدح ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمال اليتامى عصمة للارامل الثمال
بكسر المثلثة الملجا والمغيث اي هو ملجاؤهم ومغيثهم وما نعهم من الضياع والحاجة وكفاية
مصدر مضاف الى فاعله اي كفاية الله اياه من اعدائه بشهادة فسيكفيكهم الله قال الله تعالى
شاهدا العصمة منهم والله يعصمك من الناس وعده بالحفظ والكلاءة اي يمنعك منهم
وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا تمثيل لكثرة اسباب الحفظ اي فانك في
حفظنا بحيث نراك ونكلاك واورد الاعين جمعا مناسبة لضميرها وقال اليس الله بكاف
عبده انكار للنفي مبالغة في اثبات الكفاية له قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين اذ قالوا
له انا نخاف ان تخبلك الهتنا ونخشى عليك معرتها لعيبك اياها وروي انه صلى الله عليه
وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها اي احذركها يا خالد
ان لها شدة لا يقوم لها شي فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل اليس الله بكاف عبده ويخوفونك
بالذين من دونه فحكم بهم اذ خوفوه ما لا يقدر على نفع وضر وقيل غير هذا اي غير القول
بقصر العصمة على محمد بل كافيه وكافي غيره بشهادة قراءة حمزة والكسائي بكاف عباده اي
من كل سوء وبلاء وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية
قدمر مع بيان معناهما اسنده هنا شاهدا لعصمة الله اياه مع ما ذكر من الاي حديث الترمذي
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس من اعدائه حذرا من فتكهم به حتى
نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج راسه من القبة هي بيت صغير من
الخيام مستدير من بيوت العرب فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي
من مكر اعدائي بي واغتيالهم اياي وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها من القيلولة وهي الاستراحة نصف النهار وان
يكون معها نوم ومن شعر الهاتف بمكة في حديث الهجرة جزا الله خيرا الناس خير جزائه

رفيقين قالا لخيمتي ام معبد اي نزلا فيها عندا لقائلة وقد عدا الفعل بلا حرف الجر فاتاه اعرابي
من الاعراب ساكني البادية دون الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل المعروف
من الناس سوا اقام بالبادية او المدن لا واحد له من لفظه والنسبة اليه عربي فاخترط سيفه
اي سله من غمده ومرجع ضميرا ما هو او رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك مني
فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يمنعني منك فرعدت مما سمع بينا للمفعول
كبهت اي تحركت مضطربة من الخوف يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب
براسه الشجرة حتى سال دماغه حذف مميزه لتذهب النفس كل مذهب ممكن اي دما
ونحوه فنزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس لا ادري من رواه بما فيه من الزيادة
وفي الصحيح للبخاري وغيره وان غورث بن الحارث كما تقدم هو صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وهو كما قال سيدهم واكرمهم عند الله وقد حكي مثل هذه الحكاية واتفاجرت له بيدر
وقد انفرد من اصحابه جملة حالية من ضميرله اي جرت منفردا عنهم لقضاء حاجته
فتبعه رجل من المنافقين مثله اي مثل قوله من يمنعك او مثل ما حكى من انه اخترط
سيفه الى اخره فرده الله خاسئا وقد روي كما في سيرة ابن اسحق الكبري موصولا عن
جابر بن عبد الله انه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها في غزاة غطفان بذي امر بفتحتين
موضع من ديارهم معروف خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه محاربا مع رجل اسمه
دعثور بضم المهملة الاولى بن الحارث من بني محارب قال ابن سيد الناس في غزوة ذات
الرقاع الظاهر ان الخبر واحد وينصره قول الذهبي في تجريده الاشبه انه غورث بن
الحارث وانه اسلم اي امن وصدق بما جابه صلى الله عليه وسلم فلما خرج الى قومه
الذين اغروه به صلى الله عليه وسلم ليفتك به فعصمه الله منه وكان سيدهم
واشجعهم اعتراض ورد مبينا لما اتصف به منهما بين لما وجوابه اعني قالوا له اين
ما كنت تقول وقد امكنك من المكنة يقال هو ذو امكنة اي تمكن من السلطان اي والحال
انك قد تمكنت من الفتك فيه فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري اي عليه لشدة دفعه وسقط السيف اي من يدي فعرفت انه ملك
واسلمت قيل وفيه نزل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فتكا واهلاكا يقال بسط اليه يده اذا بطش به ولسانه اذا شتمه فكف ايديهم
عنكم اي منعها ان تمد اليكم وقيل راي المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم نحلا
اذا قاموا الصلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل اتى صلى الله عليه وسلم بني قريظة
ومعه الخلفا الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء
ظنهما كافرين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فجلس في صفة فهموا بقتله
فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليهم فامسك الله يده واخبره جبريل فخرجوا
وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث وفي نسخة غويرث مصغرا المحاربي اراد ان يفتك

بالنبي

بالنبي صلى الله عليه وسلم اي يقتله بغتة غافلا فلم يشعر النبي صلى الله عليه وسلم به الا وهو
قائم على راسه منتضيا سيفه اي مخرجا له عن غمده ليقتله فقال اللهم اكفنيه بما شيت
فانكب لوجهه اي عليه من زلخة بزاي مضمومة فلام مشددة مفتوحة زلخها من الله تعالى
بين كتفيه وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر يقال رمى الله فلانا بالزلخة اي بوجع
لا يتحرك من شدته ويروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق قال الجوهري الزلخ المزلة
تزل منها الاقدام والزلخة مثال القبرة الزحلوقة التي تزلج منها الصبيان وذكران فيه
اي ذكر الخطابي ان في غورث بن الحارث كما مر اية نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم الاية ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم او والله يعصمك من الناس استلقى جواب لما اي لصق ظهره بالارض ثم قال من شا
فليخذلني ايذان بتفويض امره الى ربه اذ الكافي من توكل عليه وذكر عبد بن حميد كانت
حمالة الحطب ام جميل بنت حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف اخت ابي سفيان
ابن حرب زوجة ابي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم تضع العضاة شجر له شوك وهي جمع
جملة حالية من العضاة اي تضعه جمرا على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله
عليه وسلم يمشي عليه فكانما يطؤها كثيبا اهيل اي رملا سايلا وكل شي ارسلته ارسالا فقد
هلته واهلته وفي الحديث ان قوما شكوا اليه طعامهم فقال اتكيلون ام تهيلون فقالوا
نهيل فقال فكيلوا ولا تهيلوا وفي حديث الخندق فعادت كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها
اي عن حمالة الحطب ورواه ابو يعلى والبيهقي وابن ابي حاتم عن اسما بنت ابي بكر انها اي حمالة
الحطب لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها الله بما ذكرها مع زوجها من الذم بقوله
وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر احوال موذنة بهيات ذو بقاوا لفهر حجر ملء
الكف وعن علي انه راي قوما سدلوا ثيابهم فقال كانهم يهود خرجوا من فهرهم اي بيت مدارسهم
كلمة نبطية او عبرانية عربت واصلها بهره بباء موحدة فلما وقفت عليهما لم تر جواب لما الا
ابا بكر واخذ الله ببصرها اي حبسه وقبضه عن نبيه فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد
بلغني انه يهجوني اي يذمها بما هي خليقة به والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر ورجعت
خايبة خاسئة وروى ابو نعيم في الدلايل والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاصي بن
امية بن عبد شمس بن عبد مناف عم عثمان بن عفان بن ابي العاصي اسلم يوم الفتح قال
تواعدنا على النبي حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد الظن
وان لم يه حرف النفي فليس بمنفي بل النفي لظننا هو البقا اي ظننا انه لم يبق بتهامة احد وتهامة
او لها ذات عرق الى البحر وقيل ما بين ذات عرق الى مرحلتين من وراء مكة من المغرب وما
وراه فهو غور ونجد ما بين الغور الى ذات عرق والى اليمامة والى جبل طي والى وجرة والى اليمن
فالمدينة لا تهامية ولا نجدية فانها فوق الغور ودون نجد فوقعنا مغشيا علينا فما
افقنا حتى قضى صلاته اي فرغ منها ومضى الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا

ورأيناه جات الصفا والمروة لحالنا بجننا تاكيد لضمير تواعدت ليعطف عليه وابو جهم بن
حذيفة فتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحيننا منزله فسمعنا له فافتتح فقرأ الحاقة من حق
الشيء بمعنى وجب وثبت اي الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء والتي يحق وقوعها او يحق فيها الامور
اي تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور حسابا وجزا ما الحاقة خبر المبتدا قبله والاصل الحاقة
ما هي اي شيء هي فوضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشانها وتعظيما لهولها وما ادراك مبتدا
اي شيء اعلمك ما الحاقة خبره اي انك لا علم لك بكنهها فانها من العظم والشدة بحيث لا تدركها
كذبت ثمود وعاد بالقارعة التي تقرع الناس بالاهوال والسما بالانفطار والنجوم بالانكدار
والارض بالدك والجبال بالنسف ووضعت موضع الحاقة لمزيد وصف في شدتها فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية الواقعة المجاوزة للحد يعني الصيحة الواحدة او الرجفة التي بها اصبحوا
في ديارهم جاثمين لتكذيبهم بالقارعة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت
من الصر بالفتح وهي الصيحة او شديدة من الصر بالكسر كان البرد كثر فيه حتى اهلكهم عاتية
اي شديدة العصف من العتو وهو الافراط في التكبر شبه شدة عصفها بعتو متكبر فاستعير
لها لفظه ثم اشتق منه اسم الفاعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم الفاعل
تبعية او عتت على عاد فلم تمكنهم النجاة منها من لياذ بعاصم او توار ببناء او اختفا بسرب سخرها
استئناف افاد انها لم تكن من اتصالات فلكية ولو كانت لكان هو تعالى مقدرها ومسخرها
عليهم سبع ليال وثمانية ايام من صبيحة يوم الاربعا الاخر حسوما نحو ستا حسمت كل شيء
واستاصلته جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت كيها اي متتابعة هبوب ريحها لم
تفتر حتى اتت عليهم او قاطعة قطعت دابرهم او مصدر منتصب بمضمر اي تحسمهم حسوما
او علة اي للحسم والاستيصال او حال اي مستاصلة ويقويه قراة السدي بفتح الحا وكانت
عجز الشتا ومن ثم سميت عجوزا او لان عجوزا منهم توارت في سرب فانتزعتها في الثامن
واهلكتها فترى القوم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى جمع صريع اي ملقى كانهم
اعجاز نخل خاوية اي اصول نخل متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي
اي ما ترى لهم بقية او بقا او نفسا باقية فضرب ابو جهم على عمرو وقال اتخ نفرا اها ربين
فكانت اي المواعدة او قراته الحاقة من مقدمات اسلام عمر ومنه اي مما ذكر شاهد العصمة
اخذ بصر من عزم على قتله عندما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه اي دبروه ليلا
ليقتلوه غيلة على غرة ومنه قيل هذا امر بيت بليل فخرج عليهم من بيته كما رواه ابن اسحق
والبيهقي عنه صلى الله عليه وسلم فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم حال
من الضمير اي حجبها عن رؤيته وذر بمعجمه فراء مشددة اي نثر التراب على رؤسهم وخلص
منهم ومما ذكر حمايته اي حجبه عن رؤيتهم اياه وابا بكر وهما في الغار حال من ضمير حمايته
بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف تقدم انه
مات بسرف كافرا حين قالوا ندخل الغار اي غار ثور جبل بيمنة مكة ما اربكم مقول امية
وهو نفيا قال اي ما حاجتكم الداعية لدخولكم فيه وعليه من نسج العنكبوت حال من
ضمير فيه اي والحال ان عليه من نسجه ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان

على فم الغار وهو نقب في الجبل فقالت قريش لو كان فيه احد لما كان هناك اي على فمه
الحمام وقصته صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن البرا مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش في موضع الحال فيه صلى الله عليه وسلم وفي
ابي بكر الجعايل جمع جعيلة او جعالة بالفتح والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر ويقال
جعلت جعلا وجعلا وهي الاجرة على شيء فعلا وقولا وفي الحديث جعيلة الغرق سحت
وهو ان يجعل له جعلا ليخرج له ما غرق من متاعه جعله سحتا الفساد عقده يجعل له
ما غرجه فانذر به اي اعلم سراقة بتوجهه صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر دعا عليه
النبي صلى الله عليه وسلم لاستيناسه منه الشر فساخت قوايم فرسه اي غاصت في الارض
فخر عنها واستقسم بالازلام جمع زلم بزاي ولام مفتوحتين وقد تضم الزاي فقط وهي قداح
اي سهام لا ريش لها ولا نصل كان يكتب عليها في الجاهلية افعل لا تفعل فكان بعضهم يضعها
في متاعه فاذا عرض له مهم اخرج منها زلما وان خرج له ما يحب فعله او خرج له ما يكره كف عنه
ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراة النبي صلى الله عليه وسلم غاية لدنوه وابو بكر يلتفت فقال
له ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم اوتينا فقال لا تحزن ان الله معنا بدرا عنا من اتانا فساخت
قوايم فرسه مرة ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت وللقوايم غبار مرتفع مثل الدخان
فناداهم اي سراقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعامر بن فهيرة بالامان فكتب له
رسول الله صلى الله عليه وسلم امانا اسند اليه الفعل مجازا عقليا لانه السبب الامر بكتابته
كتبه ابن فهيرة مولى ابي بكر واسمه عامر وهو ممن عذب في الله قتل يوم بير معونة والتمس
ليدفن فلم يوجد فراوا ان الملئكة دفنته وقيل كما في السيرة كتبه ابو بكر وجمع بان عامرا
كتبه اولا فلم يرض سراقة الا بكتابة ابي بكر لسيادته في قريش واخبرهم اي سراقة
بالاخبار عن قريش وما جعلوا من الجعايل فيهما وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا
يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول حال من ضمير انصرف ولم تدخلها الواو لانها جملة
فعلية والفعل مضارع مثبت كما في ولا تمنن تستكثر لان الاصل المفرد لمراقبة المفرد
في الاعراب وتطفل الجملة عليه بوقوعها موقعه اي قايلا للناس ممن لقيه منهم كفيتم
ما ههنا وقيل بل قال لهما اري كما دعيتما علي فادعوا لي فدعوا له فنجا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فكان من مقدمات استسلامه وفي خبر اخر لا ادري
من رواه ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد اي يعدو واعدوا سريعا يعلم قريشا حذف
مفعوله الثاني اختصارا فلما ورد مكة ضرب على قلبه كناية عن ذهوله وغفلته عما
وردها فكانه حجب عما يخبرهم عنهما وجلس عنه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له
من اعلامهم خبرهما حتى رجع الى موضعه غاية لنسيانه وجاء نحوه لابن اسحق وغيره
كابي نعيم في الدلايل عن ابن عباس ابو جهل بصخرة وهو صلى الله عليه وسلم ساجد وقريش
ينظرون الجملتان في محل نصب على الحال اي جاه بها ساجدا ناظرين ليطرحها عليه
فلزقت اي الصخرة بيده ويبست يداه مغلولتين الى عنقه كناية عن منعها عما قصد
من طرحها عليه كانهما جعلتا في غل اي جامعة جمعتهما الى عنقه واقبل يرجع اي شرع

راجعًا القهقرى الى خلف تاكيد لما قبله اذ هو الرجوع اليه ثم سأله اي سأل ابو جهل النبي
صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل اي دعا له ولم يواخذه حلما وكرما وشفقة عليه لما بيناه
من الرحم وقد امر بصلتها فانطلقت يداه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له وكان قد تواعد
مع قريش بذلك اي بطرحها وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه بطرحها عليه فيهشم رأسه
فيخرج دماغه يقال دمغه يدمغه دمغا اذا اصاب دماغه فقتله ومن الشجاج الدامغة
بالمعجمة اي التي انتهت الى الدماغ ورجل دميغ ومدموغ اذا اخرج دماغه فسألوه اي سأل
ابا جهل قريش عن سبب رجوعه القهقرى فذكر انه عرض لي غلب جانب التكلم لتضمن ذكر
معنى قال دونه فحل من الابل اذ هو المراد حيث اطلقوه بلا قيد لشهادة حديث لم يضرب
احدكم زوجته ضرب الفحل فانهم كانوا اذا علا ناقة هي دونه او اعلا منه في الكرم ضربوه
ومنعوه ما رأيت مثله قط تاكيد لنفي رؤيته مثله هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ذاك جبريل تمثل له فحلا ابل لو دنا ابو جهل منه صلى الله عليه وسلم لاخذه اخذ
عزيز مقتدر وذكر النبي صلى الله عليه وسلم السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة لعله ابو
جهل بن هشام بن المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم يره لزوال بصره
وسمع قوله صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه نعرف مكانهم ثم يحتمل
ان يكون قد رآهم بعد ندائهم له لشهادة وذكر اي السمرقندي ان في هاتين القصتين اي
قصة ابي جهل والتي بعدها نزل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تمثيل لتماديهم وتصميمهم
على الكفر بحيث لاتغني عنهم الايات والنذر بحال من غلت اعناقهم فهي اي فالاغلال واصلة
الى الاذقان ملزومة اليها فهم مقمحون من قمح البعير قامح اي رافع رأسه بعدما روي
رافعوا رؤسهم لان في ملتقى طرفي طوق الغل حلقة فيها عمود خارج منها الى الذقن يمنعهم
ان يطامنوا رؤسهم غاضين ابصارهم اذ المقمح من لا يرفع بصره فهم لايلتفتون الى الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم اي غطينا
ابصارهم بجعلنا عليها غشاوة فهم لايبصرون مثل حالهم لتعاميهم عن النظر في الادلة
والتفكر في الايات بحال من هو بين سدين مظلمين لايبصر ما قدامه وما خلفه فهو من
عمه الجهالة كأنه لايبصر شيئا وروي ما ذكره السمرقندي ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس
بلفظ ان ناسا من قريش قاموا ليأخذوه فاذا ايديهم مجموعة الى اعناقهم واذاهم عمي لايبصرون
فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لايؤمنون ومن
ذلك اي مما ذكرنا هنا بعصمته وكفايته ما ذكره ابن اسحق وغيره كالكلبي في تفسيره في
قصته صلى الله عليه وسلم اذا اي حين خرج الى بني قريظة كذا هنا والصواب بني النضير
كما في سيرة ابن سيد الناس وغيره وسيأتي في نفر من اصحابه فيهم الصهران والختنان
فجلس الى جدار بعض اطامهم جمع اطم بالضم اي ابنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم
انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة اي حالة جلوسه الى جدار الاطم من يعلو هذا الجدار
ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض
لما بيننا وبينه من العهد فانبعث اشقاهم عمرو بن جحاش منهم ليطرح رحى فاخبره جبريل

بذلك

بذلك كما سيأتي فقام فانصرف الى المدينة واعلمهم اي اعلم اصحابه اما بعد انصرافه او قبله بتصميم
وتمالئهم على قتله وقد قيل ان هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة اي قصة بني النضير نزلت وحكى السمرقندي انه اي النبي صلى الله عليه وسلم
خرج الى بني النضير يستعين في عقل مصدر سميت به الدية من حيث ان القاتل كان اذا
قتل قتيلا جمع ديته من الابل فعقلها بفناء اولياء المقتول ليقبضها لهم اي في دية الكلابيين
الذين قتل عمرو بن امية الضمري يحسبهما كافرين بعد قتل اصحابه ببير معونة ورجوعه
الى المدينة عتيقا لعامر بن الطفيل العامري وكان صلى الله عليه وسلم قد عقد لهما عهدا
لم يعلم به عمرو بن امية فقال له صلى الله عليه وسلم حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى
نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم
اي مع يهود على قتله صلى الله عليه وسلم فاعلمه جبريل بذلك اي باتفاقهم على قتله فقام كأنه
يريد حاجته حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع
نخلهم وحرقها تنكيلا لهم وخزيا وفيها قال حسان بن ثابت الانصاري وهان على سراة بني
لوي حريق بالبويرة مستطير وقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل الا
على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر واخذ صلى الله عليه وسلم الاموال فوجد من
الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا فكانت بنو النضير صفيا
حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم لم يسهم منها غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما اذ
لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ثم قسمها بين المهاجرين دفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم
في الاموال والديار روى مسلم والنسائي عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى
محمدا اللام هنا وفيما مر من حديثه موطئة لقسم محذوف اي والله ان رآه يصلي ليطأن
رقبته فلما صلى اي تلبس بها اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى عزمه عن قصده ناكصا على
عقبيه متقيا بيديه فسئل عن ذلك لما دنوت منه اشرفت جواب لما مقول ابي جهل
قبحه الله على خندق مملوء نارا كدت اهوي اي اسقط فيه وابصرت هولا عظيما اي امرا
شديدا وخفق اجنحة اي تحريكها اذ هو التحريك قد ملأت اي الاجنحة الارض فقال صلى الله
عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل الله كلا ان الانسان ليطغى
ردع لمن كفر نعمة ربه بطغيانه ان رآه رؤية قلبية لا بصرية اي علم نفسه استغنى
مفعوله الثاني ومن ثم كان فاعلها ومفعولها ضميرين لواحد ان الى ربك التفات الى
الانسان من الغيبة الى خطابه تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان الرجعى مصدر
كالبشرى بمعنى الرجوع ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى مبالغة في كمال عبوديته وتقبيحا
للنهي لشهادة ايراده بلفظ عبدا مع تنكيره ارأيت ان كان ذلك الناهي على الهدى فيما نهاه
عنه من عبادة ربه او امر بالتقوى فيما امر به من عبادة الاوثان مما يعتقده هو ارأيت
ان كذب ذلك الناهي بالحق وتولى عنه مما نعتقده نحن والذي ينهى مع الشرطية الاولى
مفعولا ارأيت وجواب شرطهما محذوف لدلالة ذكره في جواب شرطها الثانية اعني
الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احوال من هداه وضلاله وكرر ارأيت فيهما توكيدا للاول

والمعنى اخبرني عن من ينهاه عن صلاته ان كان ناهيه على هدي في نهيه له عنها او امرا تبغي
فيما يامر به من عبادة وثن وان كان مكذبا بالحق متوليا عنه الم يعلم بان الله عالم بحال من
هداه وضلاله وقيل ارايت من ينهاه عن صلاته وهو مهتد وامر بالتقوى وناهيه
مكذب متول فما اعجب منه كلا ردع لمن نهاه عن صلاته لئن لم ينته عن ضلاله وشنيع افعاله
لنسفعا بالناصية من السفع وهو القبض على الشي وجذبه بقوة اي لناخذن بناصيته
ولنجرنه بها الى النار وكتب لنسفعا بالالف على حكم الوقف واكتفى باللام عن الاضافة
علما بانها ناصية الناهي ناصية بدل منها لوصفه بقوله كاذبة خاطئة على الاسناد
المجازي للمبالغة اذ فيه من الجزالة والفخامة ما ليس في ناصية كاذب خاطي فليدع ناديه
اي اهل ناديه الذين بهم يكاثر ويستنصر ليعينوه اذا سفعت ناصيته والنادي المجلس
الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون سندع الزبانية ليسحبوه على وجهه الى النار من
الزبن وهو الدفع وهم لغة الشرطة اريد بهم ملئكة العذاب جمع زبنية او زبني نسبة
للزبن والاصل زباني والتا عوض اليا كلا ردع له ايضا لا تطعه واصبر ثابتا على طاعتك
واسجد اي دم على سجودك واقترب به الى ربك اذ اقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد
وروى كما في الدلائل لابي نعيم ان شيبة بن عثمن الحجبي ادركه اي ادرك النبي صلى الله عليه
وسلم يوم حنين واد بقرب ذي المجاز وما بقرب الطايف وكان حمزة قد قتل اباه وعمه
اعتراض بين الفاء وسببها افاد ان قصد عثمن انما كان على عادتهم في اخذ الثار في الجاهلية
فقال اي عثمن بن شيبة اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه فيقتله ولم ينجح قال فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ اي لهب
من نار اسرع من البرق فوليت هاربا حذرا منه واحس بي فدعاني لجنبته فوضع يده
على صدري وهو ابغض الخلق الي في موضع الحال اي وضعها حال بغضي له فما رفعها الا وهو
احب الخلق الي وروى ابنا اسحق وابن سيد الناس عن فضالة بن عمرو انه اراد قتل النبي
صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو طايف اي حال طوافه بالبيت فلما دنوت منه قال
فضالة قلت نعم قال ماذا كنت تحدث به نفسك قلت لا شي اي لم احدثها بشي فضحك واستغفر لي
اي قال له غفر الله لك او نحوه ووضع يده على صدري فسكن قلبي واطمان للايمان به فوالله
ما رفعها عن صدري حتى ما خلق الله شيا وجدته وعلمته من خلق الله احب الي منه صلى الله
عليه وسلم ومن مشهور ذلك اي عصمة الله له ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وابو
نعيم في الدلايل مسندا الى عروة خبر عامر بن الطفيل العامري واربد بن قيس بفتح الهمزة
والموحدة بينهما را ساكنة ماتا كافرين كانا قد وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم متفقين
على قتله وكان عامر قال له اي لاربد انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه فلم يفعل شيا فلما
فصلا من عنده صلى الله عليه وسلم كلمه في ذلك اي قال له عامر لم تضربه حين شغلته عنك
قال والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك لقد خابا وخسرا
خسرانا مبينا ومن عصمة الله له صلى الله عليه وسلم ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع
كاهن وهو كل من يخبر عن الكواين في المستقبل انذروا به من الانذار وهو الاعلام

والتخويف

والتخويف اي اعلموا وخوفوا وحذروا واعلموا به غيرهم وخوفوهم وحذروهم اياه وعينوه
لقريش واخبروهم سطوته بهم اي قهره لهم وغلبته عليهم وعلى من ناواه وحضوهم اي اغروهم
على قتاله فعصمه الله حتى بلغ فيه امره بنصره على اعدايه وغلبته عليهم وعلى من والجهاد
دينه على الدين كله ومن ذلك نصره كما رواه الشيخان بالرعب مسيرة شهر كان الله تعالى
تقذفه في قلوب اعدايه صلى الله عليه وسلم فاذا كان بينه وبينهم تلك المدة هابوه وفزعوا منه
فصل فيما اكرمه الله به من المعجزات جمع معجزة وهي كل امر من الخوارق وتاؤها اما للمبالغة فصل
كتاء علامة او لايرادها صفة لمؤنث محذوف كاية او علامة سميت معجزة لعجز المرسل اليهم عن
معارضتها بمثلها ومن معجزاته الباهرة من بهر ضوء القمر ضوء الكواكب اي علبه فلم يظهر لها ضوء
اي الغالبة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ان كانا جمع معروف ومعلوم بمعنى المدركات
ظنية وعلمية فمن عطف الخاص على العام لشرفه او جمع معرفة وعلم بمعنى الملكات فتغايرهما
من حيث اختصاص المعرفة بالجزئيات والعلم بالكليات وما خصه الله تعالى به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين بما به انتظام المبدا ونجاة المعاد ومعرفة امور شرايعه
جمع شريعة وهي ما شرعه الله اي بينه لعباده وخاطبهم به على لسان انبيايه وقوانين دينه
جمع قانون وهو اجمالا امر كلي مشتمل بالقوة على جزئيات موضوعه تعرف منه احكامها كالامر
للوجوب وتفصيلا مقدمة كلية كبرى تصلح لصغرى بالاستدلال بالشكل الاول لاخراج
الجزئيات كاقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا شهركم وتسمى فروعا واخراجها من القوة الى
الفعل يسمى تفريعا هكذا اتوا الزكاة امر وكل امر للوجوب لا تقربوا الزنا نهي وكل نهي للتحريم
وسياسة عباده على قانون العدل ومنهج الصدق ومصالح امته بما به صلاحهم دينا ودنيا
وفوزهم في الاخرة ومعرفته ما كان في الامم قبله من احوالهم وما ل امرهم من نجاة وهلكة وقصص
الانبيا والرسل في دعاة الخلق لدين الحق والجبابرة عتاة الخلق وفساد الارض والقرون الماضية ضية
في الازمنة الخالية مما قصه الله كله عليه صلى الله عليه وسلم في قرانه الكريم وحفظ شرايعهم
وكتبهم مما علمه الله فرسخ في روعه فثلج صدره ووعي سيرهم تفهما وتفهيما وسرد انبايهم
اي اخبارهم لمن اتاه من اهل الكتاب وسرد ايام الله فيهم تبيانا لما اعتراهم فيها من نقم كقوم
نوح وعاد وثمود واخوان لوط ونعم كنجاة موسى وقومه وكشف عذاب الخزي عن قوم يونس
وسرد صفات اعيانهم مومنين كذي القرنين والخضر ولقمان وكفرة كفرعون وهامان
وقارون واختلاف ارايهم اعتقادا وعملا كدعوى فرعون الربوبية ورضى قومه بها وعبادة
قوم ابراهيم الاوثان وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة العلم والحياة وروح القدس ويعبرون
عنها بالاب والام والابن والمعرفة بمددهم جمع مدة اي مكثهم في الدنيا واعمارهم على اختلافها
قلة وكثرة ومعرفته صلى الله عليه وسلم من حكم حكمايهم جمع حكمة مما ينفع ويكف ومنهم
عامر بن الضرب ذو الحكم كان لا يعدل بفهمه فهم فلما كبر انكر من عقله فقال لبنيه قد
كبرت سني وعرض لي سهو فلما رايتموني خرجت من كلامي الى غيره فاقرعوا الى العصا فصار
مثلا فيقال ان العصا قرعت لذي الحكم كناية عن التنبت ومحاجة كل امة من الكفرة كمحاجته
صلى الله عليه وسلم نصارى نجران في دعواهم ان عيسى ابن الله وكذبوا ادعاهم كما من الى

المباهلة فابوا وبذلوا له الجزية **ومعارضة كل فرقة** مصدر مضاف الى المفعول كالذي قبله
اي معارضته صلى الله عليه وسلم كل من عمل بغير دينه **من الكاذبين بما في كتبهم** بما يفضحهم
بمخالفتهم الحق في عملهم كمعارضته صلى الله عليه وسلم يهود في دعواهم ان من زنى منهم محصنا
عقوبته التحميم والتجبية بالجيم اي تسود وجوههما ويحملان على دابة بعيرا وحمار ويخالف
بين وجوههما بجعل ظهر احدهما الى ظهر الاخر والقياس ان يقابل بين وجوههما لاخذه من الجبهة
فقال صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله ما تجدون في التورية على من زنا قال حبرهم اما اذ
نشدتنا نعليه الرجم فامر صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك
ابن النجار **واعلامهم باسرارها** اي اعلام كل فرقة من اهل الكتاب باسرار كتبهم **ومخبآت علومهم**
اي معلوماتها المفادة بتراكيبها **واخبارهم بما كتموه** كصفته صلى الله عليه وسلم في التورية اذ
كتموها **وغيروه** كحد زنا المحصن فان فيه الرجم فغيروه بترخصهم لابن عم ملك من ملوكهم
زنا فاخر عنه الرجم فزنا بعده اخر فاراد الملك رجمه فقالوا لا ترجمه حتى ترجم ابن عمك فاتفقوا
على التحميم والتجبية **الى الاحتوا** اي جمعه له ما ذكر مع احتوائه **على لغات العرب وغريب الفاظ**
فرقها والاحاطة علما **بضروب فصاحتها** اي علمها افرادا ومركبات ومعانيها وخاطب كلا
بلغته كما مر من مخاطبته وغيره من اقيال حضرموت **والحفظ لايامها** التي كانوا يحاربون فيها
كيوم ذي قار لبني شيبان انتصر فيه العرب على العجم ويوم الفجار وقع فيه حرب في الاشهر
الحرم فقالوا فجرنا فسمي به ويوم قضة بكسر القاف وتخفيف المعجمة المفتوحة وقع فيه حرب
خلاف اللمم **وامثالها** التي كانوا يضربونها كقولهم في الصيف ضيعت اللبن يقال لمن ضيع العمل
في وقته بكسر فتاء الخطاب لان اصله لامراة ومن ثم لا تراعى في الامثال مضاربها تذكيرا
وتانيثا وافرادا وتثنية وجمعا بل تراعى فيها مواردها فالقول الممثل يسمى كما مر مضروبا
والممثل به موردا **وحكمها** الواردة خلال كلامهم نظما ونثرا جمع حكمة وهي ما ينتفع به
ويمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما والحكم بالضم العلم والفقه والقضا بالعدل **ومعاني**
اشعارها على اختلاف انواعها تشبيها من ادب وافتخار وشكاية ولهو وغزل ويسمى نسيبا
وذكر ايام الصبا وقد تعوضت عن كل بمشبهه وما وجدت لايام الصبا عوضا **والتجنيس**
بجوامع كلمها مما يزين به الكلام فيورثه حسنا من تلفيق وتركيب مطابقه ومواربة
وتدبيج وتوشيع وغير ذلك من المحسنات البديعية وقد جمعتها مع اسمائها في منظومة
ميمية مدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم **الى المعرفة** اي مع معرفته **بضرب الامثال**
الصحيحة بحسب حال الممثل له ابرازا للمعنى ورفعا للحجاب عنه حتى يرى المتخيل محققا
والمتوهم متيقنا **والحكم البينة** التي يتبينها كل ذي فهم لانه بعث ليبين للناس ما نزل اليهم
لتقريب التفهيم للغامض من غمض الشي اذا دق وخفي **والتبيين للمشكل** من اشكل الامر
اي اشتبه بمثله **الى** اي مع **تمهيد قواعد الشرع الذي** ارسل به الينا **لا تناقض فيه ولا تخاذل**
بمعجمتين اي لا ينقض ولا يخذل بعضه بعضا بل هو قائم على التعاضد والتعاون والتناصر
مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق مما وردت امرة به من رحمة وشفقة ورفق وحياء
وحسن خلق ونحو ذلك **ومحامد الاداب** جمع محمدة بمعنى ما يحمد على فعله منها كافشاء السلام

على

على من عرفت وعلى من لم تعرف ودعاء الزائر لمن زاره اذا طعم عنده والسلام ثلاثا في الاستيذان
واشتمالها **كل شي مستحسن مفضل** على غيره لا يكاد يحصى كثرة **لم ينكر منه ملحد ذو عقل**
سليم الا من جهة الخذلان الملابس له من عدم توفيقه بالحادة اي زيغه وميله عن الاستقامة
فينكره **بل كل جاحد** اي منكر **له** اي لما ذكر مما اشتملت عليه شريعته **وكافر به من الجاهلية**
اذا سمع ما يدعو صلى الله عليه وسلم **اليه** من الحق **صوبه واستحسنه دون طلب برهان عليه**
لظهور حقيته كما في علم كقول علم النفاق عبد الله بن ابي بن سلول وقد مر به النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا مع اخلاط من المسلمين والمشركين فجلس اليهم ودعا الى الاسلام ايها المرء لا احسن مما
تقول وتدعو اليه ولكن اجلس في رحلك فمن اتاك فادعه وتصويب هرقل اذ قال له ابو سفيان
وقد قال له بماذا يامركم قال يامرنا بالصلاة والصدق والصلة والعفاف واتركوا ما يعبد
اباؤكم **ثم** اشتمالها على **ما احل لهم من الطيبات** مما حرم عليهم كلحم كل ذي ظفر من طير وابل وشحوم
البقر والغنم الا ما حملت ظهورهما او الحوايا **وحرم عليهم الخبائث** كالميتة والدم ولحم الخنزير
واشتمالها على **ما صان به انفسهم واعراضهم واموالهم** وهو الايمان مما بعث به فمن امن به
عصم منه دمه وعرضه وماله **من المعاقبات والحدود** المترتبة على اسبابها شرعا كحد الخمر
والزنا والسرقة **عاجلا** ومن **التحريق بالنار اجلا** اي في المستقبل من الاجل وهو الوقت
المضروب المحدود فيه **الى الاحتوا** اي مع اشتمالها **على ضروب العلم وفنون المعارف** جمع
علم ومعرفة على اختلاف انواعهما فانها كثيرات يمتاز كل كثرة منها عجيبة واحدة منها فقط بعد علما
واحدا ويفرد بتدوين هي اما موضوعه او غايته او منفعته ومن كل يوخذ تعريفه ولهذا
مزيد بيان في مقدمة مناهجة ابكار الافكار وشرحها **كالطب** ويمتاز بوجه له ذاتيه اعتبار دا
هي بدن الانسان والادوية اذ يبحث فيه عن احوالهما من حيث تعلقهما بالصحة **والعبارة**
بكسر المهملة من عبرت الرؤيا اعبرها عبرا وعبرتها تعبيرا اذا اولتها وفسرتها واخبرت
بما يؤول اليه امرها يقال هو عابر الرؤيا وعابر لها وهذه تسمى لام التعقيب لانها عقبت
الاضافة **والفرايض** وهو علم يبحث فيه عن مقادير سهام المواريث لوارثيها وبيان من
يحجب نقصانا او حرمانا **والحساب** وهو علم يبحث فيه عن كميات الاعداد **والنسب** اي
الحاق الفروع باصولها وفي الحديث كان ابو بكر نسابة بليغ العلم بالانساب وهاؤه للمبالغة
كعلامة **وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل** ما على اتخذ **هذه المعارف كلامه صلى الله عليه**
وسلم فيه اي في شريعته **قدوة واصولا** اي قواعد وضوابط يرجعون اليها فيما يقع لهم من الحوادث
في علمهم **كقوله صلى الله عليه وسلم** فيما رواه ابن ماجة عن انس **الرؤيا لاول عابر** اي ذي ناي عالم يث
بشروط العبارة فاذا اعتبر شروطها اولها وقعت كابن سيرين كان يقول اني اعتبرت الحديث
اي يعبر الرؤيا به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمراة اخذا من تسميته
له صلى الله عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا **وهي كما رواه** ابو داود والترمذي وصححه **على**
رجل طاير تمثيل لجعلها على قدر جار وتصوير وقضاء ماض من خير او شر قدره الله لصاحبها بشي على
رجله يسقط باذنى حركة فاذا عبرها اول عابر فكانها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت
لك من شي فهي طاير **وقوله** صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما **الرؤيا ثلاث رؤيا حق**
كرؤياه صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الاضافة فيه للبيان

لا للاحتراز اذ فلقة نفسه ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه فيراها في منامه فهي اضغاث احلام
ورؤيا تحزين من الشيطان اي يرى في منامه من وسوسة له فيه ما يكره فيحزن منه فاذا راى
كما قال صلى الله عليه وسلم ما يكره فليتعوذ من شرها وليتفل ثلاثا عن يساره ولا يحدث بها احدا
فانها لا تضره وفي حديث مسلم جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رايت في المنام كان راسي
قطع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال اذا لعب الشيطان باحدكم في منامه فلا يحدث به الناس
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة اذا تقارب الزمان وفي رواية
لما اذا اقترب من القرب اي قرب الساعة اخر الزمان لان الشي اذا قل وتقاصر تقاربت اطرافه
ويبصره قوله صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب او بمعنى استواء الليل
والنهار لقول العابرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار ووقت ادراك
الثمار حين يستوي الليل والنهار او بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم يتقارب الزمان حتى تكون السنة
كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة قالوا يريد زمان المهدي فانه زمن عدل
يستقطر خيره لاستلذاذه فيتقارب اطرافه لم تكد رؤيا المؤمن تكذب مبالغة في نفي قرب كذبها
فضلا عن كذبها لخبر كاد منفي لان حرف النفي اذا اعتراها نفي قرب حصوله والنافي لقرب حصول الشي
ادل على نفيه نفسه قال ذو الرمة • اذا غير النأي المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح •
اي لم يقرب فضلا عن براحه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الدارقطني في العلل وضعفه اصل
كل داء البردة اي التخمة وثقل الطعام على المعدة سميت بردة لانها تبرد المعدة فلا تستمري
الطعام وما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة الذي رواه الطبراني في الاوسط
من قوله المعدة حوض البدن تجمعها الطعام كجمع الحوض الماء والعروق اليها واردة تتصاعد
اليها منافع الطعام نفعا للبدن وان كان حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا اذ قد
تكلم عليه الامام ابو الحسن الدارقطني مضعفا له كما هنا ونسبته الى دار القطن ببغداد وقوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن ابن عباس خير ما تداويتم به السعوط بالفتح ما يجعل
من الدواء في الانف واللدود بالفتح ما يسقاه المريض في احد شقي فمه ولديدا الفم جانباه والحجامة
والمشي دواء مسهل سمي به لحمله شاربه على المشي والتردد الى الخلاء وقوله صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة يوم سبع عشرة واحدى وعشرين
زاد ابو داود عن ابي هريرة يرفعه كان شفاء من كل داء وغلب فيه المؤنث رعاية للاسبق من
الشهر اذ ليلته اسبق من يومه فكانه قال يوم سبع عشرة او لحذف المميز كما في حديث من
صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله وقوله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه البخاري عن ام قيس في العود الهندي سبعة اشفية اي للادواء اذا شرب بعسل وذكر
صلى الله عليه وسلم منها ذات الجنب وخصه بالذكر لانه اخطر الادواء وقلما يسلم منه صاحبه
قالوا والعود البحري وهو القسط الابيض افضل واقل حرارة وقوله صلى الله عليه وسلم
ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه قد مر الكلام عليه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد
والترمذي وقد سئل عن سبا في موضع الحال ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل
سميت به مدينة بلقيس ومن ثم قيل اسم مدينة ولد له منهم عشرة تيامن منهم ستة

اي اخذوا نحو اليمن فنزلوا وتوالدوا فيه واكثر قبايله منهم وفي الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية لان
الايمان بدا من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن وتشام اربعة اي اخذوا نحو الشام وهو اقليم
معروف من العريش الى الفراة يذكر ويونث مهموز وغير مهموز وكذلك جوابه صلى الله عليه وسلم
في نسب قضاعة فيما رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني قال صلى
الله عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة
ابن مالك بن حمير وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار حمير راس العرب ونابها
لشرفهم لانهم من ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليهما وسلم
ومذحج بميم مفتوحة فمهملتين ساكنة فمكسورة فجيم هامتها اي اشرافها وفي حديث ابي بكر
والنسابة امن هامها ام من لهازمها اي من اشرافها ام من اوساطها فشبههم بها او تسمية
للكل باسم الجزء مجازا مرسلا وغلصمتها بمعجمة مفتوحة ولام ساكنة راس الحلقوم البارز
في الحلق والازد كاهلها هو كما قال الخليل اعلا الظهر مما يلي العنق وفيه ست فقرات
وجمجمتها بجيمين بينهما ميم ساكنة اي سادتها اذ الجمجمة الراس وهي اشرف الاعضا وقيل
جماجم العرب هي التي تجمع البطون وفي الحديث اتى النبي صلى الله عليه وسلم بجمجمة فيها ماء اي بقدح
من خشب وجمعه جماجم وبه سمي دير الجماجم اذ كانت تعمل فيه وكانت فيه وقعة ابن الاشعث
مع الحجاج بالعراق وقيل سمي به لانه بني من جماجم القتلى لكثرتها ومنه قول طلحة بن مصرف
وقد راى رجلا يضحك هذا لم يشهد الجماجم اي لو راى كثرة من قتل من قراء المسلمين وعبادهم
لم يضحك وهمدان بميم ساكنة فمهملة غاربها اي هم من العرب بمنزلته من البعير اذ غاربه
اعلا عنقه بينه وبين سنامه وذروة السنام اعلاه تلويح بشرفهم وهذا الحديث لائح عليه
ملابس الضعيف ومخايل النكارة اذ قد ذكر فيه الراس بالفاظ مختلفة ومن ثم جزم ابن حجر بانه
منكر وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي بكرة ان الزمان قد استدار من دار
بالشي يدور اي طاف به حتى انتهى الى موضع ابتدائه اي رجعت شهوره الى ما كانت من حرمة وغيرها
وبطل نسي الجاهلية اي تاخيرهم حرمة شهر من الاشهر الحرم ذي القعدة وذي الحجة ورجب الى
شهر اخر اذ كان سببا لاستمراره فانهم كانوا ذوي حروب فاذا اعياهم مثلا وهم محاربون شق
عليهم تركها فيحلونه ويحرمون صفر ثم ينقلونه من شهر الى اخر سنة بعد سنة حتى يعود الى موضعه
فكانت حجة الوداع التي ذكر في خطبتها هذا الحديث في السنة التي استدار فيها كهيئته يوم خلق
السموات والارض تتمة السنة اثني عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادي وشعبان قيل دفعا للنسي وكان تحدثه
في كنانة اذ كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن مالك الكناني يقوم على جمل في مواسم
الجاهلية باعلا صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
ابن عمر الذي رواه الشيخان في الحوض زواياه سواء اي مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على
عرضه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود في حديث الذكر تسبح عشرا وتحمد عشرا
وتكبر عشرا وان الحسنة بعشر امثالها فتلك فذلكة للكلمات المذكورة دبر الصلوات الخمس
في اليوم والليلة مائة وخمسون على اللسان لان عدد هاد بر كل صلاة ثلاثون والف وخمسمائة

في الميزان لان الحسنة بعشر امثالها تفضلا منه تعالى لبشهادة من جا بالحسنة فله عشر امثالها
وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن ابي رافع بسند ضعيف وهو في موضع اي ليس
به حمام وهو في موضع الحال من الضمير قبلها نعم موضع الحمام هذا فاعل نعم مستتر والمضاف تمييز
بمعنى موضعا واسم الاشارة هو المخصوص بالمدح وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن
ابي هريرة وصححه ما بين المشرق والمغرب قبله يجوز ان يراد به الجهة كما هو الاصل حيث اطلقت
فيحمل على من هي في جنوبه او شماله والتبست عليه وان يراد به نفس الكعبة ولا ريب انها بينهما
كما هي بين الجنوب والشمال وخصا بالذكر لشروق الشمس وغروبها منهما وقيل اراد مقابلة
اهل المدينة ونواحيها فانها جنوبها وقوله صلى الله عليه وسلم لعيينة بن حصن الفزاري او الاقرع
ابن حابس التميمي انا افرس بالخيل منك من الفراسة بفتح الفا اي انا ابصر منك بها واعرف
ورجل فارس بالامر اي عالم به بصير وبكسرها من التفرس ولا اعرف من رواه وفي نهاية
غريب الحديث انه صلى الله عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا اعلم بالخيل
منك فقال وانا افرس منك اي ابصر واعرف وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي
عن زيد بن ثابت لكاتبه قيل هو معاوية لانه ممن داوم على الكتابة له ضع القلم على اذنك
فانه اذكر للمل بلام مشددة اسم فاعل او مفعول اي اكثر ذكرا لما تجتليه من سوانح ذكره
وتجتنيه من سوانح فكره مما يمله من امللت وامليت عليه مما يكتبه فالاملال والاملا لغتان
وبهما ورد القران وليملل الذي عليه الحق فهي تملى عليه بكرة هذا مركب من حرف تنبيه واسم
اشارة اي ما ذكر مما جمع له صلى الله عليه وسلم من المعارف والعلوم وخص به من الاطلاع على
جميع مصالح الدنيا والدين مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب بشهادة حديث انا امة
لا نكتب ولا نحسب ولكنه اوتي علم كل شي حذف فاعل الايتا للعلم به حتى وردت اثار جمع اثر
مما يؤثر اي يروي مؤذنة بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها لحروفه كقوله صلى الله عليه
وسلم لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه محمد بن القاسم هو ابن شعبان المصري المالكي من طريق
ابن عباس قال الذهبي وهاه ابن حازم وما ادري لماذا وروى الديلمي عن انس اذا كتب احدكم
بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن الرحيم وله عن زيد بن ثابت اذا كتبت فبين السين في
بسم الله الرحمن الرحيم وقوله صلى الله عليه وسلم كما في مسند الفردوس في الحديث الاخر
الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة
اي اجعل فيها مدادا مناسبا للكتابة وحرف القلم براء مشددة اي اجعل طرف شقه الايمن
ازيد من الاخر قليلا واقم البا معتدلة غير مايلة ولكثرة الاستعمال حذفت الفها وعوض عنها
تطويلها وفرق السين اي من البسملة اي لا تطمسها وحسن الله اي حسن اسمه الكريم كتابة
ومد الرحمن هكذا والله اعلم بمراده وجود الرحيم اي كتابة وهذا اي مما ذكر مما شهد بان مما
اوتيه من المعارف معرفة حروف الخط وان لم تصح الرواية عن احد من رواة سننه انه كتب
بيده الشريفة فلا يبعد ان يرزق علم هذا اي علم الخط ويمنع الكتابة والقراءة للخط ولا يبعد
ايضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقعا منه في وقت معجزة له وكرامة لشهادة
ما في صحيح البخاري فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قضى عليه محمد بن عبد

الله وفيه في عمرة القضا انه قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا فاخذ الكتاب
وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله واما علمه صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب شعوبا وقبايل وعماير وبطونا وافخاذا وفصايل وكل يجمع ما بعده على ما مر
وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور لا يخفى على احد قد نبهنا على بعضه اول الكتاب
كما تقدم مع بيان معانيه وضبط الفاظه وكذلك حفظه الكثير من لغات الامم كقوله
في الحديث الذي رواه البخاري عن ام خالد سنه سنه وفي رواية سناه سناه وفي اخرى
سنا سنا بفتح مهملتها وكسرها القابسي وشدد نونها وخففها ابو ذر وغيره وهي حسنة
اي معنى ذلك اللفظ باللغة الحبشية وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان
وغيرهما من طرق ويكثر الهرج بها مفتوحة فراء ساكنة فجيم وهو القتل بها اي بالحبشة
وقد سئل عنه صلى الله عليه وسلم كما ورد عنه فقال القتل ونص عليه كثير من ايمة اللغة
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجة وغيره عن ابي هريرة اشكنب درد
بهمزة مفتوحة فمعجمة ساكنة فكاف مفتوحة فنون فباء ساكنتين ومهملتين مفتوحة وساكنة
بينهما راء ساكنة اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما منحه من المعارف واوتيه من
العوارف مما لا يعلم بعضه ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس اي شاده وداومه
واتلا نفسه فيه والعكوف على الكتب اي ملازمة مطالعتها والاقامة عليها من عكف وهو
الاقامة على الشيء وبالمكان ولزومها يقال عكف يعكف ويعكف عكوفا واعتكف يعتكف اعتكافا
فهو معتكف ومنه قيل لمن لازم المسجد واقام على العبادة فيه عاكف ومعتكف ومثافنة
بمثلثة وفاء ونون مفتوحتين والثفنة ما باشر الارض من كل ذات اربع اذا بركت مما غلظ
من اثر البرك وكثرته كالركبة والتي في صدر البعير اي مجالسة اهلهما عمره باركا على
ركبتيه وهو صلى الله عليه وسلم رجل كما قال الله امي في قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي نسبة الى الام اي هو كما ولد لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه اي من
ممارسة الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلهما صفته ولا نشا من اول عمره الى
ان بعث بين قوم لم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور التي يمكن بممارستها الاتصاف بذلك
ولا عرف هو صلى الله عليه وسلم قبل من الغايات المنقطعة عن الاضافة لفظا اي لم يعرف قبل
ارساله لشيء منها بشهادة ما قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله اي القران من كتاب ولا
تخطه بيمينك فظهوره جامعا لانواع العلوم على يديك وانت امي لم تعرف بقراءة ولا بعلم امر
خارق للعادة فلا مجال لارتياب اهل الكتاب انك النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل وذكر اليمين زيادة تصوير لنفي كونه كاتبا ولو كان قاريا كاتبا اذا لارتاب
المبطلون وقالوا لعله تعلمه او كتبه من كتب الاقدمين وسماهم مبطلين لكفرهم به مع اتصافه
بكونه اميا مؤذنا بعدمه من الريب انما كانت غاية معارف العرب النسب كل قبيلة تنتسب
الى جدها واخبار اوايلها وما وقع لها في سالف الازمان والشعر قريضا وهزجا ورجزا
ومقبوضا ومبسوطا والبيان وهو هنا المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير اذ كانوا ايظهرون
المعنى ويكشفونه بابين لفظ وابلغه وفي الحديث ان من البيان لسحرا وانما حصل ذلك لهم

بعد التفرع لعلمه اكتسابا ومزاولة لتحصيله والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه
وهذا الفن الذي كانت العرب تعرفه نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم شبه علمه
لكثرة انواعه وسعته وعموم نفعه ببحر زاخر عذب ثم اضاف المشبه به الى المشبه على
طريقة لجين الماء لتشبيه مؤكدا اي من علمه الذي هو لسعته كالبحر او على طريقة الاستعارة
المكنية واثبت له النقطة تخييلا حتى كانه من جنس المشبه به ولا سبيل الى جحد الملحد اي
المائل عن الاستقامة لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة يتشبثون بها في دفع ما قصصنا
وتلي عليك الاقولهم في القران الكريم والفرقان القديم هو اساطير الاولين اي سطره الاقدمون
كتابة وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم هو اساطير الاولين وانما يعلمه بشر بقوله لسان الذي
يلحدون الي لغة الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه اعجمي غير منطلق اللسان لا يكاد
يبين وهذا اي القران الكريم لسان عربي مبين اي ذو بيان وفصاحة يفصح عن المراد
بابلغ بيان وكشف وظهور والاسناد فيه مجازي ثم قالوه من انه انما يعلمه بشر مكابرة
العيان اي المعاينة بحاسة البصر فان الذي نسبوا تعليمه صلى الله عليه وسلم اليه اما
سلمان الفارسي او العبد الرومي يعيش غلام حويطب بن عبد العزى اسلم وكان ذا كتب
وسلمان انما عرفه بعد الهجرة فلا يقال انه كان يعلمه بعد نزول كثير من القران عليه
كهذه الاية وبعد ظهور ما لا يعد من الايات الدالة على ابطال ما زعموه بلا بينة واما الرومي
فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه كما سياتي وقيل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة فزعموا انه كان يعلمه وكلاهما اي سلمان
والرومي اعجمي اللسان الكن لم يخلص لسانه من اللكنة وهم الفصحاء اللد لا غيرهم جمع الد
وهو الشديد الخصومة اذ هي اللد شديد وفي الحديث ابغض الرجال الى الله الالد الخصم
بمعجمة مفتوحة فمهملة مكسورة اي الشديدها ومنه قول عثمان فابانتهم بين السن
لداد وقلوب شداد والخطباء اللسن جمع لسن وهو المنطلق اللسان العارف بجيد الكلام
من رديه اذ كانوا النهاية في البراعة والحراص على التسابق في مضمار البلاغة ومع ذلك قد
عجزوا عن معارضة ما اوتي به وعجزوا عن الاتيان بمثله حين تلي عليهم وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله بل عن اقصر سورة منه فما تفوهوا ببنت شفة ولا اعربوا
عن موصوف ولا صفة بل عجزوا عن فهم وصفه اي تركيبه المنتظم نظما محكما رصينا لا نقص فيه
ولا خلل وعجزوا عن صورة تاليفه بعضا الى بعض في مرتبته لجهات حسن لا يحوم حوالى اعجازه
بليغ ولا يقوم لانيق اعجازه ضليع وعجزوا عن صورة نظمه في سلك البيان على احسن ترتيب
وملايمة تناسب واساليب فكيف باعجمي استفهام عن حاله اذ كيف اسم مبهم ليستفهم
به عن الحال والفاء مفصحة عن شرط مقدر اي اذا كانوا بما وصفوا به من اللسن والفصاحة
وعجزوا عما ذكر فما حال اعجمي غلام حويطب بن عبد العزى ذي عي وفهاهة بين اللكنة قد كان
سلمان ابكم او بلعام الرومي او يعيش او جبرا او يسارا على اختلافهم في اسمه اي اسم غلام
حويطب بين اظهرهم ويقال اظهرانيهم بزيادة الف ونون مفتوحة للتاكيد اي مقيم بينهم
استظهارا واستنادا اليهم ظهر منهم قدامه وظهر وراه ومن جانبيه فهو مكنون بينهم اذا

قيل بين اظهرهم ثم كثر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا فهم خبيرون باحوال سلمان وغيره ممن هو
بينهم من اهل الكتاب فانهم كانوا يكلمونهم مدة اعمارهم اي مدتها والامد المدى الغاية ويعرفون منهم
عي اللسان وفهاهة الكلام فهل حكي عن واحد منهم كسلمان والرومي انه صدر منه شيء من مثل ما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم من البينات الباهرة والايات الظاهرة وهل عرف واحد منهم وهم بين
اظهرهم بمعرفة شيء من ذلك اي مما جاء به صلى الله عليه وسلم وما منع العدو من قريش وغيرهم
على كثرة عدده ودؤوب طلبه اصله من داب يداب دابا ودؤوبا ادابته انا اذا جد وتعب
الا ان العرب حولت معناه الى العادة والشان وفي حديث البعير الذي سجد له صلى الله عليه
وسلم فقال لصاحبه انه يشكو اليك انك تجيعه وتدئبه اي تكده تتعبه بكدا ومة العمل عليه
وقوة حسده ان يجلس الى هذا الذي زعموه يعلمه فياخذ عنه ايضا كاخذه صلى الله عليه وسلم
في زعمهم ما يعارض به ما جاء به صلى الله عليه وسلم ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه بسكون
الغين المعجمة والعامة تفتحها يقال شغبه وبه وفيه وعليه اي على تهييج شره وفتنته
وخصامه اذ المشاغبة المخاصمة والمعاتبة كفعل النضر بن الحارث بما كان يخرق به
زخرفة وتزيينا للناس من زخارف اخبار كتبه مما لا يجدي نفعا ولا يشفي غليلا كانه مخراق
لا برهان قاصب ولا غاب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يمكنه فيها ان يتعلم ولا كثرت
اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب بل ولا ورد بلادهم المرة الواحدة من يمكن تعلمه فيها فيقال
حث لم يردها انه ما استمد منهم شيئا مما تحداهم به فعجزوا عنه بل بعثه كما قال نبيا اميا لا
يكتب ولا يحسب لم يزل مكنونا من جميع جوانبه بين اظهرهم يرعى من المراعاة وهي الملاحظة والحفظ
وفي الحديث خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل في صغره وارعاه على زوج في ذات يده
اي يلاحظ ويحفظ في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ملاحظا محفوظا كهم في صغرهم وشبابهم
ثم لم يخرج من بلادهم الا في سفرة او سفرتين مرة مع عمومته الى الشام رده من الطريق باشارة
بحيرا الراهب واخرى في تجارة لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة لم يطل فيها مكثه من تحمل
فيه القليل تعلما من علم وغيره فكيف يحتمل ان يكون الكثير قد تعلمه في غيبة لم يطل فيها مكثه فهو
استفهام انكاري بني به نفي تعلمه الكثير على نفي تعلمه القليل في غيبة قل فيها مكثه ولم يخالطه فيها
احد من اهل الكتاب فنفي تعلمه القليل مؤذن بنفي تعلمه الكثير فيها على وجه برهاني اذ يلزم من
انتفاء الملزوم انتفاء لازمه بل كان في سفره صحبة قومه ورفاقه الذين كانوا معه مسافرين
لم يغب عنهم ولا خالف حاله التي نشأ عليها مدة مقامه بمكة الى ان هاجر منها الى المدينة من
تعليم اي تعليم ومن زائدة بمحله وقع على الفاعلية مفعوله حالة واختلاف الى حبر بكسر المهملة
افصح من فتحها من احبار اليهود اي علمائهم السالكين طرق انبيائهم او منجم مما يتعاطى علم النجوم او
قس بفتح القاف من قسيس النصارى اي علمائهم او كاهن من كهنة العرب وهو كامر من
يخبر عما سيكون بل لو كان هذا اي ما ذكر كله قد صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد اي بعد
مكثه بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه لكان ما اتى به من معجز القران اي القران المعجز
ببلاغته من طولب بمعارضته قاطعا لكل عذر اعتذروا به تعنتا وتعززا ومدحضا
من الدحض وهو الزلق اي مزلقا ودافعا لكل حجة لشبهوا بها في انكار ما جاء به ومجليا اي موضحا

فصل

وكاشفا لكل امر لاح عليه مخايل اللبس فصل من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي منح
تشريفا له وكرامانه التي اكرم بها وباهرا ياته اي علاماته الغالبة الدالة على صدقه انباؤه
جمع نبا اي تخبر اي اخباره الواقعة له مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة في مواطن
كثيرة كبدر وطاعة الجن له كجن نصيبين ورؤية كثير من اصحابه لهم وهذا اجمالي يرد عليك
بيانه تفسيرا بعد جمع قال تعالى وان تظاهرا بتشديد الظا بقلب احدى تائيه ظا وادغمت
وبتخفيفها بحذفها اي وان تتعاونا عليه بما يسوه فلن يعدم من يظاهره فان الله هو مولاه
اي ناصره ومؤيده وجبريل وصالح المؤمنين اي كل من صلح منهم لشهادة الاضافة بالعموم
والملائكة بعد ذلك اي بعد نصرة الله له وجبريل وصلحا المومنين ظهير اي متظاهرون له
ومنهم جبريل فافراده تفخيم لشانه واظهارا لمكانته عنده وذكر متظاهرتهم له مع كونها من
جملة متظاهرة الله له صلى الله عليه وسلم تعظيما لهم وقال اي الله تعالى اذ يوحي ربك
الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا باني معكم معينا وناصرا لهم اوباني سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب اي الجزع والهلع فتنخلع من صدورهم فاضربوا فوق الاعناق اي اعاليها
التي هي المذابح لانها مفاصل والرؤس لانها فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اي كل اصبع
اطلاقا لاسم الجزء على الكل اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم وقال اي الله اذ تستغيثون ربكم
باغاثة المستغيثين اغثنا وانصرنا على عدوك وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى الكفار الفا واصحابه ثلثماية فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان
تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف به حتى سقط رداه فقال ابو بكر
يا نبي الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم ربكم اني
اي باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله بالف من الملائكة مردفين جمع
مردف بكسر الدال اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول قراتان اي متتابعين يردف بعضهم
بعضا على قراة الكسر او يردف بعضهم ببعض على قراة الفتح وقال واذ صرفنا اي املنا اليك
نفرا دون العشر وجمعه انفار من الجن من اشراف جن نصيبين منهم زوبعه يستمعون
القران المنزل للاعجاز المتعبد بتلاوته فلما حضروه اي القران او النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا اي بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اي فرغ من قرائته ولوا جواب
لما اي رجعوا الى قومهم منذرين اي مخبرين لهم سبب حراسة السما اذ قد وردا لها لما حرست
فقصوا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة منصرفه يقرا في صلاة الصبح
فاستمعوا قرائته واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففي صحيح مسلم
عنه كما سياتي انه لم يكن معه وقد اسند هنا من شواهد اثباته مع الملائكة حديث مسلم
لقد راى من ايات ربه الكبرى قال اي رواية عبد الله بن مسعود راى اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلقه الله عليها له ستماية جناح وربك يخلق ما
يشا ويختار والخبر في محادثته مصدر مضاف الى الفاعل اي مكالمته صلى الله عليه وسلم
جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة كعزرائيل وما شاهده من كثرتهم لشهادة حديث
اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك اما راكع او ساجد وعظم صور

بعضهم

بعضهم كعزرائيل واسرافيل ليلة الاسرا مشهور رواه الائمة لخبر يا محمد هذا ملك الجبال
يسلم عليك وقد راه اي جبريل بحضرته صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه في مواطن
مختلفة فراى اصحابه تقسيم لما ذكر من الجمع جبريل كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق في صورة
رجل كدحية بن خليفة الكلبي يساله عن الاسلام والايمان فاجابه باركانهما وثمراتهما ومالهما
واحد لرجوعهما الى الاذعان والانقياد والقبول ولهما مزيد بيان وتحقيق كتبنا مقاصد المقاصد
وشرحه وشرح الاربعين النواويه وراى ابن عباس واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية تمثيل لتمكنه منها واستقرار فيها كالظروف المستقر
في ظرف وتمكن منه فاستعير له في هذا واما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذي بلفظ ان ابن
عباس راى جبريل مرتين واما رؤية اسامة فرواها الشيخان عنه وفيها ان ام سلمة راته واما
غيرهما كعايشة فروى رؤيتها البيهقي وراى سعد هو ابن ابي وقاص كما رواه الشيخان عنه
على يمينه ويساره جبريل وميكائيل لف ونشر والظاهر انه مرتب في صورة رجلين عليهما
ثياب بيض وروي عن عمر انه قال سمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر اي زمن وقعته
وبعضهم راى كما رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي واقد الليثي تطاير الرؤس من الكفار
في وقعة بدر ولا يرون الضارب قال ابو داود المازني في رواية ابن اسحق اني لاتبع رجلا من
المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي وراى ابو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب يومئذ اي يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق وروى البيهقي عن سهيل بن عمرو
انه قال الذي رايتهم بين السما والارض ما يقوم لها شي يناويها مالك واحد كافي في اهلاك الدنيا
اذ قد اهلك جبريل مداين قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة واحدة وقد كانت الملائكة
كما رواه ابن سعد عن قتادة تصافح عمران بن حصين وفي مسلم انها كانت تسلم عليه وروى البيهقي
عن عمار بن ياسر مرسلا انه صلى الله عليه وسلم ارى حمزة عمه بن عبد المطلب جبريل في الكعبة
فخر مغشيا عليه من هيبته وراى ابن مسعود كما رواه البيهقي الجن ليلة الجن اي ليلة امرانه
بانذارهم وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط بمعجمة مضمومة فمهملة مشدده قوم من السودان
طوال هذا وقد نبهك حديث مسلم فيما مرانه ابن عباس لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ليلتهم لكن
في سيرة ابن سيد الناس ان حديثه مشهور وروي من طرق قال وانفرد طريق ابي زيد بزيادة
التوضي بنبيذ التمر ورواها ابن ماجة ايضا من حديث ابن عباس بسند فيه ابن لهيعة والعمل
على تضعيف حديثه وذكر ابن سعد كالواقدي ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ
الراية ملك على صورته تمثيل لتمكنه من التشبيه بها تشبيها لحاله بحال من علا شيا وركبه
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب ظنا منه انه هو فقال له
الملك لست بمصعب فعلم انه ملك كذا عزاه لابن سعد لكن روى ابن شيبة في مصنفه انه
صلى الله عليه وسلم قال يوم احد اقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله الم يقتل
مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وذكر غير واحد من المصنفين كالبيهقي وابن ماكولا
عن عمر بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي فرد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقال نغمة جني من انت قال انا هامة بن الهيم بهاء مكسورة

فتحتيه ساكنة ابن لاقس اولاقيس بزيادة تحتيه ابن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده من الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم وانه صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران المرسلات وعم واذا
الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين هذا وقد ذكر ابن الجوزي انه موضوع واقره الذهبي
في تجريده عليه اذ في طريق رواية عمر اسحق بن يعقوب بشر بن مقاتل الكاهلي قال العقيلي
اتفقوا على انه كذاب يضع الحديث وفي طريقه رواية انس محمد بن عبد الله الانصاري منكر
الحديث وكلا الاسنادين غير ثابت لا يرجع الى صحة الحديث لا اصل له وروى النسائي والبيهقي
عن ابي الطفيل مثل ما ذكر الواقدي قتل خالد له عند قطعه العزى تانيث الاعز سمرة كانت
لغطفان يعبدونها للسودا التي خرجت له منها بعد قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة
يداها على راسها داعية بويلها فجزلها بجيم فزاي مفتوحتين اي قطعها بسيفه وهو يقول
يا عزى كفرانك لا غفرانك اني رايت الله قد اهانك واعلم اي خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وفي رواية تلك شيطانه وروى الشيخان عن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شيطانا ان كانت نونه اصلية فهو من الشطن اما بمعنى البعد
من الخير او بمعنى الحبل الطويل كانه طال في الشر وان كانت زايدة فمن شاط يشيط اذا هلك او
من استشاط غضبا اذا احتد والتهب تفلت ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته
فاردت ان اربطه اي اوثقه بوثاق منضما الى سارية اي اسطوانة من سواري المسجد حتى
تنظروا اليه كلكم كالعلة لارادته ربطه اياها فذكرت دعوة اخي سليمان صلى الله عليه وسلم
رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم الاستغفار على استيهابه الملك اهتماما بتقديم امر دينه كغيره
من الانبيا على امر دنياه لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل لغيري هذا ولم يكن استعطاؤه ربه
ما لا يعطيه غيره حرصا على استقلاله بالنعمة بل طلب على حسب ما الفه من تربيته في بيت
الملك والنبوة ملكا زايدا زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز دالا على نبوته فترك ربطه
تادبا مع اخيه سليمن فرده الله اي رد الشيطان خاسيا اي خايبا حقيرا صغيرا مبعدا
فصل من دلايل نبوته وعلامات رسالته جمع دليل وعلامة اريد بهما هنا ما يفيد فصل
ثبوت رسالته وهو ما ترادفت به الاخبار اي تتابعت يتبع بعضه بعضا عن الرهبان من
النصارى كخبر الراهب بحيري وكان اعلم اهل زمانه مع عمه ابي طالب وقد سافر به في
اشياخ من قريش الى الشام فوافوا بصرى من حوران الشام فنزل من صومعته وكان قبل
ذلك لا ينزل لمن مر به فطفق يتخللهم حتى اخذ بيده صلى الله عليه وسلم وقال هذا سيد
العالمين فقالوا ما علمك قال انكم حين اشرفتم لم يبق شجر ولا حجر الا سجد له ولا يسجدان الا
لنبي واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم صنع لهم طعاما
واتاهم به وهو صلى الله عليه وسلم يرعى ابلهم فارسلوا فاقبل وعليه غمامة تظله فقال
لهم انظروا الى الغمامة تظله فلما دنى منهم وقد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال فيوها
عليه فقال انظروا فيا ها مال عليه فبينما هو يناشدهم الله ان لا يذهبوا به الى
الروم فانهم ان راوه عرفوه بصفته فيقتلوه ثم اذا بسبعة او تسعة قد اقبلوا من
الروم فقال ما اقدمكم هنا فقالوا سمعنا خروج هذا النبي في هذا الشهر فلم يبق طريق

الا بعث اليه ناس وبعثنا الى طريقك هذا فقال ارايتم امرا اراده الله هل يقدر احد ان يرده قالوا لا
فاقاموا عنده ثم رجع الى عمه فلم يزل به حتى رده الى مكة وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا
وكعكا وما ترادفت به عن الاحبار من اليهود جمع حبر بكسر اوله افصح من فتحها كخبر حبر بني عبد الاشهل
اذ اتى نادي قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
فقالوا ويحك هذا كاين ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون باعمالهم
قال ولوددت ان حظي من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور تنقذ فولي فيه وتطبقوه علي واني انجوا
به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبي يبعثه الله من هذه البلاد واشار بيده الى مكة
قالوا متى فرمى بطرفه الى اصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث امنا به وصدقناه و
وكفر هو به فقلنا الست الذي قلت ما قلت واخبرتنا فقال ليس به وما ترادفت به عن علما اهل
الكتاب من عطف عام على خاص اذ ليس كل عالم منهم راهب وحبر من صفته وصفة امته صلى الله
عليه وسلم كخبر عبد الله بن سلام قال في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم
يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ
ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة
وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون في السرا والضرا يحمدونه في كل منزلة ويكبرونه على كل
شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يتازرون على انصافهم ويتوضون على اطرافهم مناد يهم
ينادي في جو السما صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سوا لهم بالليل دوي كدوي النحل هذا
ومعنى رعاة للشمس يراقبون طلوعها وغروبها ودلوكها حفظا لاوقاتها واسمه صلى الله عليه
وسلم كما قال كعب في التوراة محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق
اعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا وقرا ويقيم به السنا معوجة حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه وقال مقاتل بن حيان في الانجيل اني
خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي فاعبد وعلى الله فتوكل فسر لاهل سوران بلغ
من بين يديك اني انا الله الحي القيوم الذي لا ازول صدقوا النبي الامي العربي وقال وهب
ابن منبه في الزبور يا داود سياتي من بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا اغضب عليه
ابدا ولا يعصيني ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تاخر وامته مرحومة
اعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبيا وافترضت عليهم الفرايض التي افترضت على الانبيا
والرسل حتى ياتي يوم القيمة نورهم مثل نور الانبيا وعلاماته كما في الانجيل صاحب المدرعة
والعمامة وهي التاج والنعلين والهراوة وهي القضيب الجعد الراس الصلت الجبين الكث اللحية
عرقه في وجهه كانه اللولو ريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجري في
تراقيه له شعرات من لبته الى سرته كالقضيب ليس على صدره وبطنه شعر غيره شثن
الكف والقدم اذا جاء مع الناس غمرهم واذا مشى كانما يتقلع من الصخر وينحدر في صبب وذكر
الخاتم الذي بين كتفيه كما هو في كتب اهل الكتاب وقد راه الراهب بحيري كما مر وكثير من
اصحابه صلى الله عليه وسلم كما رواه عنهم ايمة الحديث قال السايب بن يزيد ذهبت بي خالتي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن خالتي وجع فمسح راسي ودعا لي

بالبركة ثم توضا فشربت من وضوئه ثم قمت من خلفه فرايت خاتم النبوة مثل زر الحجلة وعن غيره
رايته بين كتفيه مثل بيضة الحمامة زاد مسلم يشبه جسده وعن عبد الله بن سرجس
رايته بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى عليه خيلان **وما وجد من ذلك** اي مما دل
على نبوته واخبار رسالته **في اشعار الموحدين المتقدمين** المتاهلين قبل المبعث **من شعر تبع**
بعد منصرفه من المدينة وكان قد نال اهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلون نهارا
ويضيفونه ليلا ثلاث ليال فاستحيا فارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس احيحة بن الجلاح
ومن يهود بنيامين القرظي فقال له احيحة ايها الملك نحن قومك وقال له بنيامين ايها
الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبي يبعثه الله من قريش فانشده
شعرا منه • الفي الى نصيحة كي ازدجر • عن قرية محجورة بمحمد • **وشعر الاوس بن حارثه وكعب
ابن لوي** سابع اجداده صلى الله عليه وسلم **وسفيان بن مجاشع** فيه صلى الله عليه وسلم ولم اقف
على شي منه **وشعر قس بن ساعدة** فيه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دايما كثيرا
• يا ايها الراقد في الليل الاجم • قد بعث الله نبيا في الحرم • من هاشم اهل الوفا والكرم • يجلو دجنات الدياجي والبهم •
وقال الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث • لم يخلنا منه سدى من بعد عيسى واكترث •
• ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث • صلى عليه الله ما حج له ركب وحث • وقد راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره من الصحابة **وما ذكر عن سيف
ابن ذي يزن** فيه صلى الله عليه وسلم اذ قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه
من قومه ليهنوه بنصرته على الحبشة اني مفض اليك من سر علمي ما لو غيرك لم ابح له به اذ قد
رايتك معدنه فاكتمه حتى ياذن الله فيه اني اجد علمنا الذي ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا
خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما
هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم الزعامة الى يوم القيمة
فقال ايها الملك لقد ابت بخير ما اب به وافد ثم قال ايها الملك ابن لي ما ازداد به سرورا
قال سيف هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه
وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب
بهم الناس عن عرض ويفتح بهم كرايم اهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران
ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال
ايها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل احسست شيئا مما ذكرت لك
قال نعم انه كان لي ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا واني زوجته كريمة من كرايم قومي امنة بنت
وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به
واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك
فلست امن عليك ان تحسدوك او انا منهم ولولا اعلم اني اموت قبل مبعثه لجعلت بيثرب دار
ملكي فانها مهاجره واهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفي عليه لاعلنت على حداثة سنه امره
ولاوطات على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير بمن معك واذا حال
الحول فاتني بخبره وما يكون من امره فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبي في الصحابة مع ايمانه

به في حياته ولم يره فالحق انه مخصوص لا صحابي **وغيرهم** كالراهب الذي قال لسلمان الفارسي اذ قال
بمن توصيني اكون عنده بعدك اعبد الله اي بني والله ما اعلم احدا على ما كنا عليه اوصيك ان تكون
عنده ولكن قد اظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين في ارض سبخة ذات نخل فيه علامات
لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة ياكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل
وما عرف به بضم بعد الراء مبنيا للمفعول **من امره** صلى الله عليه وسلم **زيد بن عمرو بن نفيل** عن
راهب بالجزيرة اذ قال له وقد ساله عن دين ابراهيم ان كل من رايت يعني من الاحبار والرهبان في
ضلال انك تسال عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج في ارضك نبي وهو خارج يدعو
اليه ارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ببلدح فقال له
اي عم ما لي ارى قومك قد ابغضوك قال اما والله ان ذلك لغير ثايرة مني اليهم ولكني اراهم على
ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به راهب الجزيرة من امره صلى الله عليه وسلم ثم
قال فرجعت فلم احس شيا بعد فقدم صلى الله عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال اني لا اكل مما
لم يذكر اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله عليه وسلم انه يبعث يوم القيمة امة
وحده كما رواه النسائي فهذا وعده ابن منده له ولغيره ممن راه صلى الله عليه وسلم واجتمع به
قبل البعثة من الصحابة توسع اذ لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعدها مؤمنا **وما عرف به من
امره ورقة بن نوفل** بن اسد بن عبد العزى بن قصي عن رهبان كثيرين واخبرته خديجة
بنت خويلد بن اسد بما اخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب اذ راى ملكين يظلانه فقال
لئن كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر هذا زمانه ثم انه كان
يستبطي الامر حتى قال • اتبكر ام انت العشية رايح • وفي الصدر من اضمار ك الحزن قادح •
لفرقة قوم لا احب فراقهم كانك عنهم بعد يومين نازح • فاخبار صدق خبرت عن محمد
يخبرها عنه اذا غاب ناصح • فذاك الذي وجهت يا خير حرة بغور وبالنجدين حيث الصحاصح •
الى سوق بصرى والركاب التي غدت وهن من الاحمال قعص دوالح • يخبرنا عن كل حبر بعلمه
وللحق ابواب لهن مفاتح • بان ابن عبد الله احمد مرسل الى كل من ضمت عليه الاباطح •
وظني به ان سوف يبعث صادقا كما بعث العبدان هود وصالح • وموسى وابراهيم حتى يرى له
بهاء ومنشور من الذكر واضح • ويتبعه حيا لوي جماعة شبابهم والاشيبون الجحاجح •
فان ابق حتى يدرك الناس دهره فاني به مستبشر الود فارح • والا فاني يا خديجة فاعلمي
عن ارضك في الارض العريضة سايح • هذه شواهد صدق بايمانه به مع ما ليس بانه صحابي
بل هو اول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه صلى الله عليه وسلم اتاه بعد مجي جبريل
اليه واخباره له عن ربه انه رسول هذه الامة وبعد انزال اقرا باسم ربك عليه وبعد قول
ورقة له ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على ناموس موسى وانك نبي مرسل وقد
ورد انه صلى الله عليه وسلم راه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مستدرك الحاكم انه صلى الله عليه
وسلم قال لا تسبوا ورقة فاني رايته فيها وعليه جبة او جبتان هذا وقول الذهبي عن ابن منده
انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة نواه جدا اذ في البخاري انه صلى الله عليه وسلم
لما اخبره بما قال له جبريل قال هذا سيد الناموس الذي نزل الله على موسى ليتني اكون حيا اذ يخرجك

قومك قال او مخرجي هم قال نعم لم يات احد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك
نصرا موزرا وما عرف به من امره عشكلان بمهملة مفتوحة فثلثة الحميري عن من لقيه من الرهبان
لم اقف له على ترجمة وهو منسوب الى حمير بن سبا احد قبيلة من اليمن منهم كانت ملوكه قديما ما
عرف به من امره علما اليهود من كتبهم واخبروا به كقول عالم منهم كان بمكة يتجر في نادمن قريش هل
ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله اكبر اما اذا اخطاكم خبره فانظروا واحفظوا ما
اقول لكم ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات
كانهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسال كل اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد
الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودي به فقال اذهبوا انظره فدخلوا به
على امه فراى العلامة فخر مغشيا عليه ثم افاق فقالوا ويلك ما دهاك فقال ذهبت والله
النبوة من بني اسرائيل افرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها في المشرق
والمغرب وما عرف به من امره شاموكا بمعجمه وميم بينهما الف صاحب تبع الذي مر بالمدينة
ومعه رهبان فقالوا له ان هذه مهاجر نبي اخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه او
ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا فيقال ان الانصار من ذريتهم
من صفته وخبره بيان لما عرف به وبيد ومن ذكر بعد كعلما اليهود اذ كانوا اعلم زمانهم بهما
وبزمان بعثته واخبروا بانه مبعوث بن ابن ابراهيم اسمه احمد ومحمد وما الفي من ذلك اي
ما وجد مما دل عليهما في التوراة قال الله لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق
الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى اني مقيم لهم نبيا من بني اخوتهم مثلك
واجري قولي في فيه يقول لهم ما امرهم والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم
منه والانجيل قال عيسى اني اطلب الى ربي حتى يمنحكم فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على
لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي اي بالنبوة هو الذي يعلمكم ويمنحكم جميع
الاشياء ويذكركم ما قلته واني قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنون به وفارقليط
معناه كاشف الخفيات وفيه اقول لكم الان حقا ان انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم
الى ربي لم ياتكم الفارقليط وان انطلقت ارسلت به اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويدينهم ويوبخهم
ويوقفهم على الخطيئة والبر اذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم
بدعة من تلقاء نفسه مما جمعه العلما بيان لما القي فيهما من صفته وخبره ويبينوه ونقله عنهم
ثقات من اسلم مثل الحبر عبد الله بن سلام وبني سعية بالنون والبا خلاف والمعروف انهما
اثنان كما في دلايل النبوة للبيهقي وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال ان اسيدا وثعلبة
ابني سعية واسد بن عبيد نفر من هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير قالوا قدم علينا قبل
البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقي به
فحضرته الوفاة فجئناه فقال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الرخا الى ارض البوس
قالوا انت اعلم قال انما خرجت اتوقع مبعث نبي قد اظل زمانه مهاجره هذه البلاد فاتبعه
فلا يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت
خيبر قال اولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود انه الذي كان يذكر

لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا اموالهم واولادهم واهاليهم في
الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم
ممن كان عالما بصفته وخبره صلى الله عليه وسلم ممن دعته السعادة الى الاذعان فانقاد
واسلم ولم يره مثل كعب فهو تابعي مخضرم او راه كمخيريق فهو صحابي كان حبرا عالما من بني النضير
استشهد باحد واوصى للنبي صلى الله عليه وسلم بسبع حوايط اي بساتين جمع حايط والبستان
وبحيري تقدم عنه ما شهد له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وعموم الرسالة فهو من التابعين
بل من الصحابة ان لم نشترط في الصحابي الاجتماع به بعد البعثة ونسطورا الحبشة قيده بهم
حذرا التباسه بنسطورا الشام وصاحب وضغاطر بمهملة بعد الالف الاسقف
الرومي اسلم على يد دحية الكلبي فقتلوه فهو تابعي مخضرم واسقف الشام لعله نسطوره
المحترز عنه فيما مر والجارود بن العلا وفد في قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل
وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين
مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم امن قومه وسلمان الفارسي
والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران اي علماؤهم ورؤساؤهم جمع اسقف اسم سرياني
سمي لخضوعه وانحنائه في عبادته اذ هو لغة طول الانحنا وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى
واعترف برسالته وعمومها قبل بعثته وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومية بتخفيف
اليا مدينة رياسة الروم عالما النصارى ورئيساهم لشهادة ما في البخاري ثم كتب هرقل
الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من
صاحبه يوافقه على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي ومقوقس ملك القبط اسمه جريج
ابن مينا صاحب مصر وجعله من الصحابة غلط اذ اثر عنه ما اذن ببقايه على كفره وصاحباه
الشيخ وابن صوريا اسلم ثم ارتد الى دينه وابن اخطب حيي ابو ام المومنين صفية واخوه ابو
ياسر قتلا كافرين صبرا مع اسرى بني قريظة وكعب بن اسد صاحب عقد بني قريظة وعهد
موادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم فغنمهم وقتل مقاتلتهم وسبى
ذريتهم والزبير بن باطيا بفتح الزاي وكسر البا وفي نسخة باطا بلا تحتيه والد عبد الرحمن
ابن الزبير الذي تزوج امراة رفاعة القرظي تميمة بنت وهب فلم يستطع فشكته كما في البخاري
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انما معه مثل هدبة الثوب فقال اتريدين ان ترجعي الى
رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك من علما يهود ممن حمله الحسد والنفاسة
عليه بالنبوة فلم يره اهلا لها انفة واستكبارا منه على البقا على الشقا والارتداد الى الكفر كابن
صوريا واختلاف البا والشين ذاتا ومخرجا مع عدم اشتباههما خطا اذن بانهما تجنيسا
لاحقا والاخبار من دلايل نبوته وعلامات رسالته في هذا الذي شهدت به منهما كثيرة
لا تنحصر وقد قرع صلى الله عليه وسلم اي ضرب وابلغ اسماع اليهود والنصارى بما ذكرانه
في كتبهم من صفته كما مر عن التوراة وفي الانجيل جد في امري واسمع واطع يا ابن الطاهرة
البتول اني خلقتك من غير فحل الى اخر ما تقدم وصفة امته كما مر عن التوراة وفيها قال موسى

رب اني احد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويومنون بالله فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال اني فيها امة هم الاخرون السابقون
يوم القيمة فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال اني احد فيها امة اناجيلهم في صدورهم
يقرؤنها وكان من قبلهم يقراؤن في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم امتي قال تلك امة
محمد قال اني احد فيها امة يؤمنون بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون رؤس الضلالة
حتى يقاتلوا الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال اني احد فيها امة
ياكلون صدقاتهم في بطونهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال اني احد فيها امة
اذا هم احدهم بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة
ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا الى سبع مائة ضعف فاجعلهم امتي قال
تلك امة احمد قال اني احد فيها امة هم المستجيبون لهم والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال
تلك امة احمد وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى احمد ومحمد صادقا سيدا امته
مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبيا وامرتهم بالغسل
من الجنابة كما امرت الانبيا وامرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وامته على الامم
كلها اعطيتهم ستا لم اعطها غيرهم لا اواخذهم بالخطا والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا
اذا استغفروني منه غفرت لهم وما قدموه لاخرتهم طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا
مضاعفة ولهم في المدخور عندي اضعافا مضاعفة والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجب
لهم فاما ان يروه عاجلا او اصرف عنهم سوءا او ادخره لهم في الاخرة واحتج صلى الله عليه وسلم
عليهم اذا انكروا صفته وصفة امته بما شهد بهما من الايات البينات مما انطوت عليه صحفهم
وذمهم صلى الله عليه وسلم بتحريف ذلك الذي انطوت عليه صحفهم من صفته وصفة امته
وانكاره وكتمانه بعدم الظهاره وليهم السنتهم ببيان امره اي قبلها وصرف ما شهد بهما
وغيرهما الى غيره حسدا منهم وبغضا اذ كان من العرب لا من بني اسرائيل لشهادة قول بعض احبارهم
كما مر لجماعة من قريش من ولد له منكم الليلة ولد فقيل لعبد الله بن عبد المطلب فراه فخر
مغشيا عليه ثم افاق فقال انقطعت والله النبوة من بني اسرائيل ولم تظنوا انه منكم وقرع اسماع
نصارى نجران بما امره ربه به من دعوتهم الى المباهلة اي الملاعنة على الكاذب فابوا كما مر ان
يباهلوه حذر الهلاك وبذلوا له الجزية كل سنة ووادعوه وانصرفوا فما منهم اي من اليهود
والنصارى الا من نفر واعرض عن معارضته فيما قرع اسماعهم به مما ذكر وابدا ما الزمهم
من كتبهم اظهاره اي اظهر من كتبهم ما الزمهم اظهاره فلم يظهروه كاية الرجم ولو وجدوا في
كتبهم خلاف قوله لتسارعوا اليه ثم لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونبذ القتال اي تركه مما لهم في فعله او فرحط وشفا غليل وقد قال لهم اي
لليهود حين قالوا لما قرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لسنا اول من حرمت عليه قد
كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين تبدي لكم انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم وهو امر له بمحاجتهم بما فيها تبكيتا

لهم

لهم وتوبيخا فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا ببنت شفه الى اي مع ما انذر به الكهان من
حلول البؤس والنقم بمن خالفه وناواه ولم يطعه مثل شافع بن كليب من كهان العرب ممن
انذر من لم يومن به ولم يتبعه وشق بكسر اوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن سوى يد و
ورجل وعين وسطيح كاهن بني ذئب من غسان لم يكن في بدنه عظم سوى راسه بل جسده
ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس الا اذا غضب انتفخ فيجلس عاش ثلثمائة سنة جمع مع الازد
ايام سيل العرم ومات وهو صلى الله عليه وسلم بمكة ايام شيرويه بن هرمز بن بابك واول
رؤيا الموبذان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت في بلادها بما حاصله ان
ملكه يزول بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وقد فتح اصحابه بلادهم في خلافة عمر وسواد بن
قارب من ازد دوس كان كاهنهم في الجاهلية خبر النبي صلى الله عليه وسلم ان رئية اخبره
ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما سياتي قريبا وخنافر بمعجمة مضمومة كاهن بني حمير اسلم
على يد معاذ ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي مخضرم وافعى نجران بهمزة مفتوحة ففاء
ساكنة كاهنهم في الجاهلية وجذل بن جذل الكندي بكسر جيمهما وسكون معجمتهما كاهنهم فيها
وابن خلصة بمعجمة فلام فمهملة مفتوحات وسعد بن كريز وفاطمة بنت النعمان لم اقف
لهم على ترجمة ومن لا يعد كثرة ممن اخبر بظهوره وانذر بهما وانه من خالفه الى اي مع ما ظهر
على السنة الاصنام من نبوته بيان لما وحلول وقت رسالته كقول باجر صنم مازن الطاي وقد
عتر له عتيرة • يا مازن اقبل الي اقبل تسمع ما لا تجهل • هذا نبي مرسل جا بحق منزل •
امن به كي تعدل • عن حر نار تشعل • وقودها بالجندل • فقلت والله لعجب ثم عترت له بعد ايام اخرى
فقال يا مازن اسمع تسر • ظهر خير وبطن شر • بني من مضر بدين الله الكبر • فدع نحيتا من حجر • تسلم من حر سقر •
فقلت والله لعجب وخير يراد • وقدم علينا رجل من الحجاز • فقلنا ما وراك فقال ظهر
رجل من تهامة يقول اجيبوا داعي الله اسمه احمد • فقلت هذا والله نبا ما سمعت منه فكسرته
ورحلت اليه صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وقول صنم عمرو بن حبلة
يا عصام يا عصام جا الاسلام وذهبت الاصنام • ومنهم طارق بن بني هند بن حرام
يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق • ومع ما سمع من هواتف الجن جمع هاتف وهو الصايح
بالشي الداعي كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم يا ذباب يا ذباب اسمع العجب العجاب • بعث محمد بالكتاب
يدعو بمكة فلا يجاب • وسماع ابن مرة الغطفاني جا حق فسطع • ودمر باطل فانقمع • وسمع خالد من سطيح
جا الحق القايم • والخير الدايم • وسماع سواد بن قارب من رئيه وهو نايم ليلا
• قم فافهم واعقل • ان كنت تعقل • قد بعث نبي من لوي بن غالب • ثم قال
• عجبت للجن واجناسها • وشدها العيس باحلاسها • تهوي الى مكة تبغي الهدى ما مومنوا الجن كارجاسها
• فانهض الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى راسها • ثم نبهني وافزعني وقال يا سواد
• ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتدي وترشد • ثم نبهني في الليلة الثانية وقال
• عجبت للجن وطلابها وشدها العيس باقتابها • تهوي الى مكة تبغي الهدى ليس قدماها كاذنابها
فانهض الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى نابها • عجبت للجن وتجارها وشدها العيس باكوارها رفا
• تهوي الى مكة تبغي الهدي ليس ذوو الشر كاخيارها • فانهض الى الصفوة من هاشم ما مومنوا الجن ككفارها •

فوقع في قلبي حب الاسلام فاتيته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما راني قال مرحبا بك
يا سواد قد علمنا ما جابك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه مني ثم قلت
اتاني الجن بعد هجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب • ثلاث ليال قوله اتاني كل ليلة نبي من لوي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت بي الدعلب الوجنا عند السباسب • ن ن
فاشهد ان الله لا رب غيره وانك مامون على كل غايب • وانك ادنى المرسلين شفاعة الى الله يا ابن
الاكرمين الاطايب • فمرنا بما ياتيك يا خير من مشى وان كان فيما جا شيب الذوايب •
فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة بمغني فتيلا عن سواد بن قارب • قال فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد وما سمع من ذبايح النصب
جمع نصب بمعنى منصوب للعبادة كسماع عمر من عجل اري رجلا يذبحه لنصب يقول
يا ال ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله وما سمع من اجواف الصنور كما مر
عن مازن السادن وغيره وما وجد من اسمه صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا مفعول ثان لوجد في الحجارة بالخط القديم مما اكثره مشهور على ما في كتب السير
وغيرها مما نقله الثقات وتقدم نظيره من انه في بلاد الهند ورد مكتوب عليه لا اله
الا الله محمد رسول الله واسلام من اسلم بسبب ذلك علما من الكتب او غيرها سماعا او رؤية
كما هو معلوم مذكور في كتب ثقات نقلة الاخبار فصل ومن ذلك اي مما دل على نبوته فصل في مولده
ورسالته ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته امه آمنة بنت وهب
انها اتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد
وما حكاه من حضر وقت ولادته من العجايب مما يتلى عليك قريبا وكونه صلى الله عليه وسلم
فيما رواه البيهقي عن الزهري مرسلا رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى
السما اشارة الى حيازة كل شرف وسودد وفخار وما راته اي امه كما رواه احمد والبيهقي
عن العرباض وابي امامة من النور الذي خرج معه عند ولادته حتى رويت منه قصور
بصري وما راته كما رواه البيهقي والطبراني اذ ذاك اي وقت ولادته ام عثمان بن ابي
العاصي من تدلي النجوم اي نزولها ودنوها منه تبركا وشهودا لولادته وظهور النور الذي
سطع منه عند ولادته حتى ما تنظر ام عثمان بن ابي العاصي في البيت الا النور وقول الشفا
بمعجمة ففا مشددة ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل
اي عطس لا صاح لشهادة جواب لما اعني سمعت قايلا يقول رحمك الله تشميتا له من الملك واضا
لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم بارض الشام رواه ابو نعيم في الدلايل
عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها وما تعرفت به حليمة بنت ابي ذويب السعدية وزوجها
الحارث بن عبد العزي ظيراه جمع ظير بمعجمة مكسورة فهمزة ساكنة وهو في الاصل المرضعة
وقد يطلق على الرضاع ايضا كما هنا من بركته صلى الله عليه وسلم ودرور لبنها له ولولدها
رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه ودرور لبن شارفها اي ناقتها المسنة وخصب غنمها
بعد ان كانت تسرح فترجع جياعا ما تبض بقطرة لبن كل ذلك بعد ان اخذته وقد تركته المراضع
ليتمه ولم تجد غيره قالت فجيت به رحلي فاقبل عليه ثدياي فشرب حتى روي وشرب اخوه

حتى

حتى روي وقام زوجي الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب وشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير
ليلة وقال والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير
والبركة قالت كما رواه سابقا ولاحقا ابن اسحق وابن حبان والطبراني وابو يعلى والحاكم
والبيهقي بسند جيد عبد الله بن جعفر وكانت اتاني قمرا قد اذمت بالركب فلما رجعنا الى بلاد ما
سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبي هذه اتانك التي خرجت عليها معنا فاقول
والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا فقدمنا ارض بني سعد به وما اعلم ارضا اجدب منها
وان غنمي لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا احد تبض له شاة بقطرة لبن وان
اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابنة ابي ذويب فيسرحون
فتروح جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرف فها
حتى بلغ سنتيه وما تعرفت به وزوجها من سرعة شبابه وحسن نشاته اي كبره قبل تكامله
من نشا ينشا فهو ناشي وفي الحديث كان اذا راي ناشيا في افق السما رايت الكراهة في وجهه
اي سحابا لم يتكامل اجتماعه واصطحابه قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا
اي سمينا فقدمنا به على امه ونحن احرص شي به لما راينا فيه من البركة ثم قلنا لها دعينا
نرجع به حذرا عليه من وبا مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم وما حوي من العجايب مما يتعجب منه
اذا عظم موقعه وخفي سببه ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي وابن ابي الدنيا
وابن السكن عن مخزوم بن هاني من ارتجاج ايوان كسري اي تحركه شديدا مع احكام بنايه
لا خلل به والايوان كديوان رتبة هو الصفة العظيمة واصله اوان قلبت واوه الاولى
يا لكسر ما قبلها وقد يخفف كخوان وكسري بكسر اوله وفتحه معرب خسرو لقب ملوك
الفرس كقيصر لقب ملوك الروم والاخشيد لملوك فرغانه وتبع لملوك اليمن والنجاشي
لملوك الحبشة وسقوط شرفاته اربع عشرة بارتجاجه جمع شرفه بضمتين وقد تسكن راوه
ملك منهم ملوك بعددها عشرة في اربع سنين والباقون الى خلافة عثمان وغيض بحيرة
طبرية مصدر غاض يغيض اي قل ونضب اي غار وطبرية مدينة معروفة بناحية الاردن
ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وبحيرتها عظيمة والمعروف ان الغا ليضه
هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس وخمود نار فارس اي وقت غيض بحيرتهم وكانها
طفيت بما فيها ليلة ولد وكان لها الف عام لم تخمد وروي ابن سعد وغيره عن ابن عباس
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير اي حال صغره
شبعوا ورووا اكلا وشربا ببركته ويمن طلعته واذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا
اذ لم تشملهم بركته اذ ذاك وكان ساير ولد ابي طالب اي جميعهم يصبحون شعثا اي يدخلون
في الصباح مغبرة وجوههم متغيرة الوانهم وشعورا وهم عقيل وطالب وجعفر وعلي وام
هاني وجمانة وام طالب اسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويصبح صلى الله عليه وسلم
صقيلا دهينا كحيلا احوال من ضمير يصبح وما بينهما اعتراض افاد دعاله صلى الله عليه
وسلم وروي ابن سعد وابو نعيم في الدلايل قالت ام ايمن بركة بنت محصن حاضنته ما
رايته صلى الله عليه وسلم اشتكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا اذ كان ربه يطعمه

وبسقيه اي يخلق فيه قوتهما ومن ذلك اي من دلايل نبوته وعلامات رسالته حراسة
السما بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع اي القول المسموع من
الحق فيلقونه الى اوليايهم فيكذبون معه ما شاوا ومنعوا منه بظهوره صلى الله عليه
وسلم فلما بعث اشتد الامر وكثر الحرس بشهادة قوله تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السما
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته ما نشا عليه
من بغض الاصنام بشهادة حديث البيهقي عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به
المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت معه قبل البعثة فلما مررت بالصنم تمسحت به فقال
لي لا تمسه ثم طفنا فقلت في نفسي لامسنه حتى انظر ما يقول فمسحته فقال الم تنه قال
زيد فوالذي اكرمه بالذي اكرمه ما التمس صنما قط وما نشا عليه من العفة من امور
الجاهلية ومعايبها لما اريد به من اكرامه بالرسالة حتى فاق افضل قومه كمالا واشرفهم
جلالا واكرمهم خلقا واتمهم مروءة واحسنهم مخالطة واصدقهم حديثا وابعدهم عن الفحش
تنزها واعظمهم امانة حتى ما شهرته فيهم الا الامين وما خصه الله به من ذلك من
الاخلاق الرضية والاعمال الزكية والاعانة على نوايب الحق وحماه قبل بعثته من الصفات
الردية والسمات الشنيعة حتى في ستره من التعري كشفا للعوره في الخبر المشهور عند
بناء الكعبة فيما رواه الشيخان عن جابر والبيهقي عن ابن عباس اذا اي حين اخذ ازاره
بامر عمه العباس ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض وطمحت
عيناه الى السما حتى رد ازاره عليه فقال له عمه العباس بن عبد المطلب ما لك قال
اني نهيت عن التعري وفي رواية كنت وابن اخي نحمل الحجارة على رقابنا وازرنا تحتها
فاذا غشينا الناس اتزرنا فبينما انا امشي ومحمد امامي خر لوجهه فجئته وهو ينظر
الى السما فقلت ما شانك فاخذ ازاره وقال نهيت ان امشي عريانا فكنت اكتمها الناس
مخافة ان يقولوا مجنون ومن ذلك اي مما دل على نبوته ورسالته فيما رواه الترمذي
والبيهقي اظلال الغمام له في سفره على ما مر في حديث الراهب بحيرا وفي رواية لابن
سعد عن نفيسة بنت منية ان خديجة ونساها رايته وملكان يظلانه وقايته له
من حر الشمس فذكرت ذلك لميسرة غلامها فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في
سفره الى الشام كما انه اخبرها ان الراهب راهما يظلانه وروي كما روى الواقدي
وابنا سعد وعساكر في تاريخه عن ابن عباس ان حليمة بنت ابي ذويب ظئره رات
غمامة تظله وهو عندها جملة حالية من ضمير تظله اي حال اقامته عندها قبل ان
ترده الى اهله وروي ذلك اي تظليل الغمامة له عن اخته من الرضاعة ومن ذلك اي مما
دل على نبوته ورسالته ولم ادر من رواه انه صلى الله عليه وسلم نزل في بعض اسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها مبالغة في العشب اي كثر عشبه وهو
الكلا ما دام رطبا اي نبت فيه عشب كثير وانبعت يقال اينع الثمر يونع واينع يينع فهو
مونع ويانع اي ادرك ونضج وفي حديث خباب لمنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها وفي
خطبة الحجاج اني ارى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها شبه رؤوسهم لاستحقاقهم القتل بثمار

نضجت

نضجت على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها القطف تخييلا والينع ترشيحا وايبع
اكثر استعمالا من ينع فاشرفت اي ارتفعت وتدلت على اغصانها اي استرسلت عليها مظلة
عليه مظلة له صلى الله عليه وسلم متعلقة بحضر من راه ومن ذلك ما ذكر ميل فيء اي ظل
الشجرة اليه في الخبر الاخر المتقدم عن الراهب بحيري حتى اظلته ومن ذلك ما ذكر في نوادر
الاصول للحكيم الترمذي عن عبد الرحمن بن قيس وهو وضاع كذاب عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد
وهو مجهول عن ذكوان من انه صلى الله عليه وسلم كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا
والنور لا ظل له هذا معنى ما في النوادر ولفظها لم يكن له ظل في شمس ولا قمر ومن ذلك ما ذكر من
ان الذباب كان لا يقع على جسده وثيابه ولا اعلم من رواه ومن ذلك ما رواه الشيخان تحبيب
الخلوة اليه ولفظ البخاري ثم حبب اليه الخلا اي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب وتخشعه
والاعانه على التفكر وانقطاعه عن مالوفات النفس حتى اوحي اليه ما اوحي اليه تكريما له وتعظيما ثم
اعلامه فيما رواه الشيخان وغيرهما بموته ودنو اجله المشير اليه الامر بالاستغفار في قوله فسبح
بحمد ربك واستغفره وان قبره بالمدينة رواه ابو نعيم في الدلايل عن معقل بن يسار بلفظ المدينة
مهاجري ومضجعي من الارض وروى البيهقي عن ابي بكر الصديق ان قبره يكون في بيته صلى الله
عليه وسلم وان بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وسيرد عليك ومن ذلك كما رواه
البيهقي في الدلايل تخيير الله له بين الدنيا والاخرة عند موته بلفظ قالت عايشة كنا نتحدث ان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والاخرة فسمعته في مرضه الذي مات فيه
يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا
فظننا انه كان يخير وفي رواية قالت لما نزل به وراسه على فخذي غشي عليه ثم افاق فاشخص
بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهو اخر كلمة تكلم بها وفي رواية ان جبريل
قال له ان ربك يقريك السلام ورحمة الله ان شيت شفيتك وكفيتك وان شيت توفيتك
وغفرت لك قال ذلك الى ربي يصنع بي ما شا ومن ذلك ما اشتمل عليه حديث الوفاة الذي
رواه الشافعي في سننه والعدني في مسنده والبيهقي في الدلايل من كراماته وتشريفه
بخدمة الملايكة له واختياره لهم بعد عموم الرسالة وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقريك
السلام ورحمة الله وفي رواية فقال يا محمد ان الله ارسلني اليك اكراما وتفضيلا وخاصة
لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال اجدني مغموما مكروبا وصلاة الملايكة
عليه على ما روينا في بعضها انه صلى الله عليه وسلم قال وان الملايكة يدخلون قبلكم من حيث
يرونكم ولا ترونهم فيصلون علي اي صلاة الجنازة بتحرم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه اصحابه كذلك
كما رواه يحيى بن يحيى في الموطا بلاغا قال اخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثا وصلى عليه الناس افذاذا لا يومهم احد وروا
الشافعي في الام بلفظ فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرادا لا يومهم احد
وذلك لعظم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنافسهم في ان لا يتولى الامامة في الصلاة
عليه واحد صلوا عليه مرة بعد مرة ومن زعم ان المراد بها الدعا فقد نكب عن الحق وعدل
عن الحقيقة الى المجاز بلا بينة وقرينة صارفة عنها اليه واستيذان ملك الموت عليه ولم

يستاذن على غيره لقبض روحه الشريفة اذ قال له جبريل ان ملك الموت بالباب يستاذن
عليك ولم يستاذن على احد قبلك ولا يعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله امرني
ان اطيعك فيما امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها تركتها وتعاليم الذي سمعوه
لا تنزعوا القميص عند غسله حين قالوا ما ندري انجرده من ثيابه ام نغسله بها فالقي عليهم
النوم فما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم سمعوا قائلا لا يدرون من هو غسلوه وعليه ثيابه
نغسلوه وعليه قميص يصبون الما فوقه رواه ابو داود والبيهقي وصححه واستشهد له بما رواه
عن شيخه ابي عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال اخذوا في غسله فاذا هم بمناد من داخل لا تنزعوا
عنه قميصه وما روي كما في دلايل النبوة للبيهقي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته
اذ سمعوا قائلا لا يرون شخصه يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله
خلفا من كل هالك وعزا من كل مصيبة ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجعوا فان المصاب
من حرم الثواب الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركاته التي لا تكاد تفوت الحصر في حياته
وبعد موته كاستسقا عمر بعمه العباس كما رواه البخاري وتبرك غير واحد مما لا يكاد يحصى
كثرة بذريته الحسنين وزين العابدين علي بن الحسين وابنه ابي جعفر محمد الباقر وابنه جعفر
الصادق وابنه موسى الكاظم وصالحي اولادهم فصل قد اتينا اي جمعنا واوردنا في فصل
هذا الباب اي الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وقد اتى معنى فعل يتعدى
بعلي كر على نكت جمع نكتة من نكت بالارض اذا ضربها فاثر فيها ونكت الكلام لطايفه ودقايقه
من معجزاته واضحة حال مما قبله وجمل من علامات نبوته جمع جملة وهي ما جل احاده وكملت
افراده اي جمعت واحصيت والعلامات جمع علامة وهي ما جعل علما عليها يعلم صدقه من عرفها
مقنعة حال من جمل اي تغني من عرف حقيقتها في ثبوتهما في واحد منها اي من النكت والجمل
الكفاية والغنية عما يوسم ويصرف عن الايمان بهما والاذعان والانقياد له صلى الله عليه
وسلم وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا من نكت معجزاته وجمل علامات نبوته واقتصرنا من
الاحاديث الطوال على عين الغرض اي على نفسه اذ عين الشيء نفسه اي على المقصود الباعث
له الى ايراده فيه وهو في الاصل مرمى السهم استعير لما يقصد لامر ما بجامع القصد ونص
بفتح الفا اي صفوة المقصد بفتح المهملة بمعنى المقصود من الامور الوسط بين الافراط والتفريط
واتينا فيه من كثير الاحاديث وغريبها على ما صح وهو ما رواه ثقة تفرد به راو عن امام سوا
كان مع حديثه تام لاطلاقا لابن منده ثم الانفراد اما بجميع المتن كحديث النهي عن بيع الولا اذ
لم يصح الا من جهة عبد الله بن دينار عن ابن عمر او ببعضه اما فيه كان ينفرد في متن رواه
غيره بزيادة كحديث زكاة الفطر تفرد فيه مالك عن جميع من رواه بقوله من المسلمين او في
السند كحديث ام زرع فيما رواه الطبراني في الكبير من رواية الداوردي وعباد بن
منصور كلاهما عن هشام بن عروة عن عروة عن عايشة بزيادة عبد الله مع ان المرفوع منه
انما هو كنت لك كابي زرع لام زرع وباقيه موقوف على عايشة واشتهر بين ايمة الحديث واتضح
امره واستفاض الا يسيرا من غريبه الذي لم يشتهر بان كان وحشيا لقلة دورانه على
السنتهم بما ذكره مشاهير الايمة من الحفاظ للسنة ونقاد الامة وحذفنا الاسناد في جمهورها

اي اكثرهما وفي حديث ابن الزبير لمعاوية انا لا ندع مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصه اي جماعاتها
واحدها جمهور ومن جمهرته اذا جمعته طلبا مفعول من اجله حذف الاسناد للاختصار حذرا
من التطويل وحسب بسكون ثانيه والبا زايدة اي كافي هذا الباب اي الرابع لو تقصي بقاف
ومهملة مشددة مبنيا للمفعول اي لو تتبع وتخلص من مظانه ان يكون ديوانا جامعا يشتمل
على مجلدات عدة لامكن لكثرة ما ورد فيه من معجزات باهرة وتشريفات وافرة وحسب مبتدا
خبره ان يكون ديوانا وجواب لو محذوف وقد ذكرناه واصل ديوان دووان اسم كشيطان كما
مر قلبت واوه الاولى يا لكسر ما قبلها ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من ساير اي كل
معجزات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بوجهين احدهما كثرتها مع اشتهارها اذ الكثرة
لا تستلزم الشهرة وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او هو ابلغ
منها كالقران المجيد فانه ابلغ معجزة اوتيت اذ به صارت مصاقع الخطبا من العرب العربا لكنا
فلم ياتوا حين تحدوا باقصر سورة منه ببنت شفة حتى الجاهم العجز عن المعارضة بالحروف
الى المقارعة بالسيوف وقد نبه الناس على ذلك فقيل ان كان تعالى قد تولى خلق ادم بيده
فقد تولى شرح صدر نبينا بنفسه مع انه كان هو المقصود بخلق ادم او رفع ادريس مكانا
عليا فقد رفعه ليلة المعراج الى ان كان قاب قوسين او ادنى او نجا نوحا ومن معه من الغرق
فقد امنه وامته من عذاب بخسفهم او اكرم ابراهيم بنجاته من نار نمرود فكانت عليه
بردا وسلاما فقد اكرمه الله باطفا نار وقودها السيوف ولهبها الحتوف كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله او اكرم موسى بقلب عصاه حية بلا نطق فقد اكرمه بنطق كثير من
الاشجار والاحجار كتسبيح الحصا وحنين الجذع وتسليم الحجر الاسود والشجر عليه وسعيها اليه
او ببياض يده فكان لها شعاع يكاد يذهب بالابصار فقد اكرمه بانه لم يزل نورا في اصلاب
الابا وبطون الامهات من ادم الى عبد الله او بانفلاق البحر فقد اكرمه بانشقاق القمر
او بانفجار الما من الحجر فقد اكرمه بنبعه من بين اصابعه او بكلامه فقد اكرمه ليلة الاسرا او
اكرم هارون بفصاحة لسانه فقد كان منه ومن البلاغة بالمحل الاكمل او خص يوسف بشطر
الحسن فقد منحه به كله او اكرم داود بالانة الحديد فقد اكرمه باخضرار العود اليابس
وادرار شاة ام معبد بلا ولد لبنا خالصا للشاربين او اكرم سليمان بمنطق الطير وغيره فقد سايقا
اكرمه بنطق ما ذكر والبعير والظبي والضب وذراع الشاة المسمومة وغير ذلك او بتسخير
الريح فقد اكرمه بطي الارض له فراى مشارقها ومغاربها او بتسخير الشياطين فقد امكنه
من ابليس اذ جاه بشعلة من نار ليحرق وجهه في صلاة المغرب فربطه في سارية من سواري المسجد
او بملك لم يعطه احد فقد خيره بين ان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا
نبيا وثم قيل يا خير عبد على كل الملوك ولي او اكرم عيسى بابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى
فقد اكرمه باحيا بنت من قال له لا اومن بك حتى تحيي لي بنتي فاتى قبرها فناداها فقالت
لبيك وسعديك ورد عين قتادة الى محلها وبقايها بعد خروجها منه فصارت احسن ما
كانت واما كونها اي معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة فهذا القران به كثيرها اذ كله معجز
سورا وايات اذ اعجز من طولب بمعارضته من البلغا فلم ينهض لايراد ما يدانيه معارض

ولا لمقدار اقصر سورة منه ناهض واقل ما به الاعجاز فيه عند بعض ايمة التحقيق سورة انا اعطيناك
الكوثر لكمالها بارتقائها كغيرها منه الى ان اخرج عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته او اية بقدرها
لانها قران كريم لا يحوم حول معارضته وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة بالرفع خبر
ان وكان تامة اكتفت بمرفوعها المستتر فيها اي كيف وجدت وزاد اخرون على ما قال من ذكر ان
ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين وهو يؤيد القول بصرف من طولب
بمعارضته شيء منه عن الاتيان بمثله والحق ما ذكرناه اولا عن بعض ايمة التحقيق ان اقل ما يقع به
الاعجاز انا اعطيناك الكوثر او اية بقدرها لقوله فاتوا بسورة من مثله الشامل لها ولغيرها
فهو اي ما ذكره اولا اقل ما تحداهم به اي اقل شيء طالب منهم معارضته مع ما ينصر هذا القول
الذي ذكره اولا فاورده اسم الاشارة مورد الضمير لكمال العناية بتمييزه اكمل تمييز لاختصاصه
بما يتبصره من نظر في مزايا الاعجاز وتحقيق لها ولطايف اعتبارها فلا ترى شيا من تلك اللطايف
يراعى في كلام بليغ من وجه لطيف الاعثرت عليه مراعى في كلام رب العزة من الطف وجه واجمله
في تتبعك مظانها كما يراده المعنى الواحد على انحا مختلفة بحسب مقتضيات المقامات كما في قوله
تعالى في المؤمنين لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا بعد ابذا امتنا وكنا ترابا وعظاما وفي النمل لقد
وعدنا هذا نحن واباؤنا بعد ابذا امتنا وكنا ترابا فقدم هنا على نحن فوعى وعدهنا لكونه اهم
من حيث انه ادخل في تبعيد البعث عن ساحة الامكان بعدم بقاء جزء من ابدانهم على صورته
نفسه فاستلزم زيادة اعتنا بتقديمه لادخليته في استبعاد البعث وذكرهنالك في محله
لا يؤذن المقام ببقاء بعض اجزائها اعني العظام وعدم استلزامه تلك الزيادة وفيه مما ذكرناه كثير
يطول بسطه واذا كان هذا اي ما تحداهم به اقل ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة ونيف بالتشديد وقد يخفف وكلما زاد على عقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني وزيادة
على عدد بعضهم ممن عد كلماته وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزي القران
عشرا عشرا على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها
معجز في نفسه بارتقائه الى ان خرج عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته ثم اعجازه كما تقدم في
مظانه بوجهين طريق بلاغته باشتماله على لطايف سحر الايجاز وطريق نظمه في سلك ايجاز
بليغ واعجاز لا يهتف حوالى شريف جانبه رياح الاتيان باقصر سورة منه فصار في كل جزء من
هذا العدد السبعة الاف معجزتان من جهة بلاغته ومن جهة نظمه فيضاعف العدد من
هذا الوجه ذي الجهتين فيصير اربعة عشر الفا ثم فيه اي في المعجزتان وجوه اعجاز اخر من
الاخبار بعلوم الغيب عما تقدم من القرون السالفة في ازمانها الماضية فقد يكون في السورة
الواحدة من هذه التجزية الخبر عن اشيا من الغيب كخبر احوال موسى واحوال فرعون في وقايعهما
كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد المضاعف كرة اخرى ثمانية وعشرين الفا ثم
وجوه الاعجاز الاخر ومن الغيبية التي ذكرناها توجب التضعيف الى ما لا يكاد يحصى كثرة فهذا
التضعيف الوافر في حق القران فلا يكاد ياخذ العدد معجزاته لكثرتها وعدم عسر ضبطها
بالتجائها الى كنف حمى الاعجاز ولا يكاد يحوي الحصر براهينه القاطعة عن معارضة اقصر سورة منه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في ما سبق من هذه الابواب

المتقدمة مما اشرنا الى جمل منها تبلغ نحوا من هذا في التضعيف فلا يكاد ياخذها عدد ولا يحوي لها
حصر لكثرتها جدا الوجه الثاني من وجهي كون معجزاته اشهر من معجزات الرسل قبله وضوح معجزاته
واشتهارها الى حيث لم تجهل فان معجزات الرسل كانت واردة على ايديهم بقدر واحوال اهل زمانهم
وكانت بحسب الفن سما فيه اي ارتفع شهرة بمعرفة ذلك الفن في زمانهم قرنه اي اهله من
الاقتران وهو في الاصل المقدار الذي تقترن فيه اهله في اعمارهم واحوالهم قيل هو اربعون سنة
او ثمانون او مائة وقد اطلقه هنا على اهله اسوة بحديث قرني ثم الذين يلونهم فلما كان زمن موسى
غاية علم اهله السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم على يديه صلى
الله عليه وسلم منها ما خرق عادتهم من انقلاب العصا حية واليد السمرا حمرا بيضا من غير سوء
ولم يكن ذلك المعجز في قدرتهم واني لهم ذلك لم يدخل تحت نطاق قدرتهم وقد ابطل ما جاءهم منها
سحرهم وكذلك اي وكزمن موسى اذ كان غاية علم اهله السحر زمن عيسى اغنا اسم تفضيل من
الغاية اي انهى ما كان علم اهله الطب واوفر ما الي اكثر شي في زمنه كان في اهله فجاءهم على يديه
صلى الله عليه وسلم امر لا يقدرون عليه لاستحالة اتيانهم كغيرهم به واتاهم ما لم يحتسبوا
اي ما لم يخطر لهم ببال من غير ترقب وتوقع من احياء الميت بيان لما لا يقدرون عليه وابراء
الاكمه الذي ولد ممسوح العين والابرص من ببدنه بياض فكان ياتيه من طاق الاتيان ومن
لم يطق ذهب صلى الله عليه وسلم اليه فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى وذوي العاهات
فيداويهم من دون معالجة وطب بالدعا وهكذا اي مثل ما ذكر سائر معجزات الانبيا كانت
بقدر علم اهل زمانهم فكان كل نبي يرسل الى قومه بمعجزة من جنس ما عانوه من علم وصناعة وغيرهما
ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اي ما تعرفه من
الجزئيات وتعلمه من الكليات على ما مر والواو للحال اي بعثه والحال ان مدركاتهم اربعة البلاغة
وهي ملكة يبلغ بها المتكلم في تادية المعاني حدا يؤذن بتوفيته خاصة كل تركيب حقها والشعر
كما مر كلام موزون مقفى مرادا به الوزن والخبر اذ كانوا ابا لمحل الاسمى من معرفة اخبارها وانسابها
وايامها وفي حديث ابي بكر وكان نسابة اي بليغ العلم بالانساب وهاؤه للمبالغة علامة للمبالغة
والكهانة وهي كما مر معاناة الخبر عن الكاينات وادعا معرفة الاسرار فانزل الله عليه القران
الخارق لهذه الاربعة فصول البلاغة والشعر والخبر والكهانة باشتماله على ما يوهقها فيرهقها
فاذا هي زاهقه من الفصاحة تعليل لكونه خارقا لها واللام عوض عن ضمير القران اي الخارق من اجل
فصاحته كما في يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق اي من اجلها او من بمعنى الباء اي الخارق بفصاحته
كما في ينظرون من طرف خفي اي به او زايدة اي الخارق فصاحته والايجاز من اوجز اذا قلل اللفظ مع تكثير
معناه والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم اي عن نوعه وطريقته اذ ليست فصاحته وايجازه وبلاغته
كفصاحة القران وايجازه وبلاغته لوروده على ما حير الالباب واخرس الالسن وبهر الفطن وفتر
الاذهان ونكب الخواطر عن الاتيان بما يداني اقصر سورة والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد فاستعير
للنوع والطريقة يقال هذا من ذلك النمط اي من نوعه وطريقته ومن النظم الغريب الذي لا يمكن
نظم كلام بليغ في سلك فصاحته واتى بمن عطفا على من الفصاحة لفصل الصفة بينهما والاسلوب العجيب
الانيق الذي لا يمكن ان يرقم وشي كلام بليغ على طرزه ولم يهتدوا في المنظوم من كلامهم الى طريقه الذي

تقاصرت قواهم عن معارضة سورة منه لارتقا اياته الى اعلا مراتب الاعجاز ولا علموا اساليب الكلام
الى الطرقة المونقة والاوزان الشعرية في نظمهم منهجه اي طريقه السهلة الممتنعة ومن الاخبار عطف
على النظم من الغريب ولطول الفصل اتى بمن عن الكواين والحوادث جمع كاين في الاعيان وحادث
في الاكوان والاسرار والخبيات والضماير التي لولا اخباره بها لم تعلم فتوجد فيعلمها من اطلع عليها
على ما كانت عليه ذاتا وصفة ويعترف المخبر بفتح البا اي من اخبر عنها بصحة ذلك اي وجدانها
على ما كانت عليه وصدقه وان كان ذلك المخبر المعترف اعدى العدو فلا يمنعه عداوته من
اعترافه بها اذ لا يسعه جحد ولا انكار حذرا مما يلحقه من وصمة التكذيب ومعرته بذلك فابطل
اي القران والنبي صلى الله عليه وسلم الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها
اي قلعها بجذورها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم اي جعلها معدة لحفظ السما من استراق
الشياطين السمع ترميهم بشهب منفصلة من نارها لا انفسها لثبوتها في الفلك كقبس اخذ من نار
وهي ثابتة كاملة لم تنقص وجا في القران من الاخبار عن القرون جمع قرن وهو الامة من الناس
من الاقتران فكانه كما مر مزيد بيان المقدار الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم
السالفة اي الماضية وفي حديث مدح بفتح الميم عن غباب سلفها اي معظمها والماضون منها
وانبا الانبيا اي اخبارهم جمع نبا والامم البايدة اي الهالكة من باد يبيد اي هلك وفي حديث
الحور العين نحن الخالدات فلا نبيد ابدا اي لا نهلك ولا نموت والحوادث الواقعة من خير وشر
في الازمان الماضية ما فاعل جا اما نكرة موصوفة بما بعدها او موصولة به اي جا فيه مما ذكر شي
او الذي يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه ممن عانى علم الاخبار والامم والحوادث معاناة على الوجوه
التي بسطناها وبينا المعجز فيها مع ما وشحناها به من ايضاح اغنى عن اعادته هنا ثم بقيت
هذه المعجزات فصاحة وايجازا وبلاغة واخبارا عن الكواين والحوادث وغير ذلك خارجة
عن طرز كلامهم بنظم غريب واسلوب عجيب الجامعة لهذه الوجوه المذكورة آنفا المضمومة
الى الفصول الاخر المتقدمة التي ذكرناها في معجزات القران فيما مضى ثابتة الى يوم القيمة
لا يعتريها تبديل بينة الحجة اي حجتها بينة والجملتان في موضع الحال من ضمير بقيت لا يماط عنها
اعجاز ولا دنو ايجاز لكل امة تاتي بعد الى التي قبلها اي كل جيل من الناس والحيوان جيل وفي
الحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اي على اصل ولادة امنا وتقال للرجل المنفرد بشهادة
ان ابراهيم كان امة قانتا لله لا يخفى وجوه ذلك المعجز المتقدم بانواعه على من نظر وتامل وجوه
الاعجاز الى اي مع ما اخبر من الغيوب على هذه السبيل البين تباشير وجوه اعجازه لا يمر عصر
ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره بفتح البا انه اسم مفعول اي باطلاعه على ما اخبر من
وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة وغرابة النظم وبراعة الاسلوب وغير ذلك فيتجدد عنده
وليستمر بتجدد امتثاله الايمان به ويتظاهر البرهان اي يتقوى بامثاله ولامه للجنس وليس
الخبر كالعيان بمهملة مكسورة اي ليس مثلها في الافادة سوا فان ذلك غاية افادته غالبا ظنية
وهذا غاية افادته يقينية وللمشاهدة زيادة في اليقين على ما يفيد مثلا المتواتر من العلم
استدلالا والنفس اشد طمانينة تمييز للنسبة اشد الى عين اليقين الذي تفيده المعاينة منها الى
علم اليقين الذي يفيده المتواتر بالاستدلال ومن ثم قال الخليل صلى الله عليه وسلم اذ قيل له اولم تومن

اي تعلم

اي تعلم الوحي والاستدلال بلى ولكن ليطمئن قلبي بمضامة علم العيان الى علم الوحي والاستدلال
فازداد بهما العلم الضروري مع انه صلى الله عليه وسلم كان اثبت من غيره ايمانا وان كان
علم اليقين عندها حقا لا مرية فيه لكن عين اليقين اسكن لها واعون لها على ازدياد طمانينتها
وساير معجزات الانبيا انقرضت بانقراضهم اي انقطعت بموتهم وعدمت بعد وجودها
بعدم ذواتهم وجودا في الدنيا والا فهي موجودة في البرزخ متصلة بها ارواحهم لشهادة اجتماع
نبينا بهم ليلة الاسرا وانه مر بموسى في قبره يصلي ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد
اي لا تهلك ولا تنعدم ولا تنقطع ولا تفوت واياته من عطف العام على بعض افراده الشاهدة
بصدقه وحقيقة ما جا به اذ معجزاته بعض افراد اياته تتجدد ولا تضمحل انقطاعا وتجددا
ولهذا اي ولاجل ان معجزاته لا تبيد ولا تنقطع اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخاري
ما من الانبيا الا اعطي من الايات البينات ما نكرة موصوفة بما بعدها او موصولة به مثله امن
مبتدا وخبر صفة للنكرة او صلة الموصول وعايده الضمير المجرور في عليه البشر اي ليس
نبي الا اعطاه الله من المعجزات الدالة على نبوته شيئا او الذي اذا شوهد الجا من شاهده الى الايمان
به فخص كل نبي بما اثبت به دعواه من خوارق العادات بحسب زمانه فاذا مضى زمانه انقطعت
كقلب العصا لموسى حية واخراج يده بيضا على ما مر لغلبة السحر في زمانه فاتاهم بما هو فوقه
فالجا من شاهدهما من وفق الى الايمان وفي زمن عيسى الطب فاتاهم بما هو اعلى منه من احيا
الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق الطير باذن الله وفي زمن نبينا البلاغة والفصاحة
فجاهم بالقران في اعلا مراتب الاعجاز المؤذن به قوله وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله
الي معجزا في انها طبقات البلاغة واقصى غايات الاعجاز لا يتاتى لاحد ان ياتي باقصر سورة منه
لجزالة تركيبه وفخامة ترتيبه الخارج عن طوق البشر كريم الفايدة عميم العايدة على حاضري
نزوله ومن غاب عنه ومن جا بعد قرنا فقرنا على ممر الازمنة ومن ثم رتب عليه قوله فارجوا
ببقائه الى يوم القيمة ان يومن به كل من تامله بهداية الله له فاذن اكون اكثرهم تابعا يوم
القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو اي ما ذكر من معناه عنده هو الظاهر والصحيح
المعول عليه فلا يعدل عنه وذهب غير واحد من العلما في تاويله من آل يؤول الى كذا اي رجع
وما ال اليه اي نقله عما افاده ظاهر لفظه الى ما يحتاج الى دليل لولاه لم يعدل عن ظاهر لفظه
وفي حديث عايشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك يتاول
القران اي ياخذه من قوله فسبح بحمد ربك واستغفره وظهور معجزة نبينا الى معنى اخر غير
ما افاده منطوقا من ظهورها بكونها اي بسبب كونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا
التحيل عليه والتشبيه به لاستحالة ذلك في كلام بليغ لا يعتريه تخييل ولا تمويه وانما يغشي
الصناعات فان غيرها اي غيرها معجزة نبينا من معجزات الرسل قد رام المعاند والطغاة اشيا
طمعوا في التخييل بها اي بتلك الاشيا على الضعفا تمويها وارادة لهم ليتوصلوا بذلك الى
ابطال معجزاتهم كالقا السحرة الذين جمعهم فرعون من مداينه حبالهم وعصيهم ليبطلوا معجزة
موسى التي هي العصا بسحرهم وافكهم فتلقفت ما افكوه فالجا السحرة بمشاهدتهم ذلك الى
الاذعان بانه اية ظاهرة ومعجزة باهرة فامنوا بموسى ولم يبالوا بما فعل بهم فرعون

من صلبهم في جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جانا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت
قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر
والله خير وابقى وشبه به الذي فعله سحرة فرعون مما يخيله الساحر على الضعفا او يحيل
فيه انه حق والقران كلام الله ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل لاستحالة ان يعتراه
شي من ذلك فكان اي القران من هذا الوجه اي من حيث انه كلام الله لا يلم به شي من ذلك
عندهم اي عند متولي الحديث بما ذكرا اظهر من غيره من المعجزات كالايتم لشاعر ولا لخطيب
انه لا يكون شاعرا ولا خطيبا بضرب اي نوع من الحيل والتمويه لاستحالة ذلك في الكلام
نظما ونثرا والتاويل الاول الذي قال فيه هو الظاهر والصحيح اخلص وارضى للنفوس
لافادته المعنى المصوغ له الكلام منطوقا غير مفتقر الى تاويل يصرفه عن ظاهره وفي التاويل
الثاني الذي ذهب اليه غير واحد من العلما ما يغمض عنه الجفن ويغضي منه لصرفه اللفظ
عن معناه المصوغ له الى ما لم يضع له بلا داع اليه وجه ثالث في كون القران معجزا خارقا
للعادة على مذهب من قال بالصرفة كالنظام وكثير من طايفة المعتزلة والمرتضى من
الشيعة قالوا اصرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم منه وان المعارضة
بمثله وقوعا كانت من قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرهم او دواعيهم او علمهم
المشروط في الاتيان فكان عندهم علم بنظمه وعلم بتاليف كلام يساويه او يدانيه والعادة ان
من كان عنده امكنه ذلك فكانوا كلما حاولوه ازاله الله عن قلوبهم او على مذهب اهل
السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم اي من جنس كلامهم الذي يقدرون عليه
ولكن لم يكن ذلك بعدم تمكنهم منه قبل ولا يكون بعد ظرفان بنيا على الضم لقطعهما عن ما
يضافان اليه لفظا اي قبل التحدي وبعده لان الله لم يقدرهم على الاتيان بمثله قبله ولا
يقدرهم عليه بعده وبين المذهبين اي مذهب القايلين بالصرفة واحد مذهبي
اهل السنة فرق بين لتمكنهم على الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على
الثاني مع كونه من جنس مقدورهم وعليهما جميعا فترك العرب على الاول الاتيان بما في
مقدورهم من مثله او سورة منه او اقصر سورة او تركهم على الثاني ما هو من جنس مقدورهم
ورضاهم بالبلا الحق الذي حاط بهم من قبله صلى الله عليه وسلم والجلا عن اوطانهم والسبا
لاهليهم وذراريهم والاذلال لانفسهم وتغيير الحال بمحالفتهم بعدم اذعانهم الى الحق من
خير الى شر وسلب النفوس فتكا وغيلة وصبرا والتقريع بالقاف من قرعه اي انهره بكلامه
والتوبيخ تحقيرا واذلالا والتعجيز عن الفوز والظفر بالمقام والتهديد بتعظيم النكال
والوعيد بلواحق الوبال ابين اية خبر المبتدا اعني ترك العرب اي اظهر علامة للعجز عن
الاتيان بمثله والنكول اي الاعراض عن معارضته وانهم منعوا عن شي هو من جنس مقدورهم
اي كلامهم الذي لا يقدرون عليه والى هذا اي ما ذكر من ان تركهم الاتيان مع رضاهم بما ذكر
ابين اية لعجزهم عن الاتيان بمثله ذهب الامام ابو المعالي عبد الملك بن ابي محمد الجويني الملقب
امام الحرمين الشافعي وغيره قال اي ابو المعالي وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة وبالافعال
البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها كاخراج اليد بيضا من غير سو واحيا الموتى وابرا

الاكمه

الاكمه والابرص باذن الله فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا اي سرعة من اول وهلة ان ذلك
اي قلب العصا حية ونحوها من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة امتاز بها عن غيره في
ذلك الفن الذي عاناه اهل زمانه وفضل علم اوتيه دون غيره الى ان يورد ذلك السابق
الى بال الناظر مما ذكر صحيح النظر والتفكر في ان قلبها حية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر
اذ هو فعل الخالق القوي والقدور واما التحدي للخلايق اي طلب المعارضة منهم مثبت
جمع ما يه من السنين تمييز لمئين وهو ظرف لتحديهم بكلام من جنس كلامهم لياتوا بمثله
علة للتحدي فلم ياتوا بمثله فهو ايقاظ وتحريك لهم ليتاملوا في ان هذا المتلو عليهم مركب من عين
ما يركبون منه كلامهم فيتيقنوا انه ما بلغ المراتب التي بهرت بلاغته كل ناطق واعيت
فصاحته كل فايق ولم يجاوز الحد الخارج عن قوى البلغا بغرابة نظمه وجزالة تركيبه ولم
تفق قدرهم دونه فعجزوا عنه وهم امرا الكلام وزعما المحاورة والساجل في اقتضاب
الاساليب والنهالك على افتنان التراكيب الا لكونه ليس بكلام البشر فلم يبق بعد توفر
الدواعي كثرة على المعارضة ثم بعدها توفرها كثرة لم يبق على عدمها الا ان منع الله الخلق
عنها اي عن المعارضة اما لغرابة نظمه السري وبراعة تركيبه الوفي او لكونه وحيا وكلاما
لا يمكن التخييل فيه ولا التخييل عليه ولا التشبه به او لصرف الله لهم عنها مع قدرتهم عليها
وتمكنهم منها او لكون الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ولا يكون لعدم اقدار
الله لهم عليها ولا يقدرهم بمثابة لو قال نبي وقد طلبت منه اية توذن بصدقه ايتي ان
يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك
الذي قاله ذلك النبي وعجزهم الله عن القيام لكان من ابهر اياته واظهر دلالة على صدق دعواه
النبوة وقد غاب عن بعض العلما وخفي عليه وجه ظهور ايته اي معجزته التي هي القران على ساير
ايات الانبيا ولم يدر انه ببقايها معلومة لكل احد في كل اوان متلوة بكل مكان حتى احتاج للعذر
عن ذلك الذي زعمه من عدم ظهورها بدقة افهام العرب وذكا لبابها اي شدة فطنها وحدتها
ووفور عقولها وانهم لما اتوه وخصوا به من نباهة الشان وفطانة القريحة ادركوا المعجزة
فيه اي في القران من تراكيبه الانيقة وعباراته الرشيقة واعتباراته الجزلة ومعانيه السهلة
بفطنتهم وجاهم منه ذلك اي مما ادركوا فيه معجزته بحسب ادراكهم مصدر اضيف فهم ادراكا تهم
جلا فاجلا وغيرهم من القبط وغيرهم مما نشا في معاهد اللكنة ورضع لبان الفهاهة لم يكونوا بهذه
السبيل من دقة الفهم وذكا الفطنة ولاختلافها فيهم قلة وعدما او نقصا وتاعطفها عليها فكانوا
منها وصفا بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم اذ قال كما حكى الله تعالى عنه انا ربكم الاعلى فاضل
قومه وما هدى وجوز عليهم موسى بن ظفر السامري كان من عظما بني اسرايل ذلك في العجل
اي انه ربهم فعبدوه بعد ايمانهم وعبدوا المسيح عيسى بن مريم مع اجماعهم على صلبه وما
صلبوه اي اليهود ولكن شبه لهم فصلبوا من القى عليه الشبه بعد قتله فجاتهم اي اليهود من
الايات الظاهرة البينة للابصار بعد غلظ افهامهم المتجافية عن اقتناص المفهومات
لبلادة فطنهم ما فاعل جا لا يشكون فيه ومع هذا اي ما جاهم من الايات الظاهرة بحيث لا
يعروهم شك ولا يرهقهم وهم فقالوا خطابا لموسى كما حكى الله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

اي معاينة ظاهرية ولم يصبر واعلى المن والسلوى اي الترنجبين والسماني اكتفا باكلهما
فقالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا الذي هو ادنى من الدنو وهو في الاصل للمكان
ثم استعير للخسة اي ادون قدرا بالذي هو خير وهو المن والسلوى فانه خير في اللذة وعدم
الحاجة في السعي والعرب على حالتها التي كانت عليها قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وشرايع
الدين والمفاخرة بالانساب والتكبر وغمط الناس وما افادته على هنا من الاستعلا تمثيل
لتمكنهم منها واستقرارهم عليها بحال من استعلا شيا وركبه اكثرها يعترف بالصانع تبارك
وتعالى المتصف بصفات الكمال والغنى المطلق وانما كانت تتقرب بالاصنام اليه تعالى لشهادة
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من امن بالله وحده وسفه من عبد غيره تعالى
من قبل ان يرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفا لبه متعلق بامن اي اخذ به
بنظره نظرا صحيحا ما في السموات والارض من بدايع الغرايب وروايع العجايب الى انه تعالى
واحد احد لا شريك له فامن به وحده ما كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعده فكانا من موحدي
الجاهلية واما ورقة بن نوفل فقد ادرك البعثة وامن به صلى الله عليه وسلم كما مر ولما جاءهم
اي العرب الرسول بكتاب الله القران الكريم والفرقان القديم فهموا حكمته لوا رده هو بعضا مما هو
مركوز في عقولهم لفرط ذكائهم وحدة فطنتهم فاهتدوا الى معرفته بما اسسوه من نوادر دلايله فان
الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل وتبعوا
بفضل ادراكهم لاول وهلة اي في اول التفاتهم اليه معجزته فالبعض منهم قد امنوا به
وازدادوا كل يوم ايمانا بمخالطة بشاشته القلوب ورفضوا اي ترك من امن به الدنيا
كلها في صحبته اي مصاحبين له وجردوا بادهم واموالهم مذعنين لما جاءه رؤما لرضاه
واكراما لمثواه وقتلوا اباءهم وابناءهم ممن ناواه ولم يؤمن به نصرة له واظهارا لدينه على الدين
كله واتي في معنى هذا من بيان معجزته وظهورها وتحديه بها من انواع البيان مما نظمته بنان
الاذكار بما يلوح اي يلمع له رونق يروق الافهام بيان ويحصب منه زبرج تمجه بكسوده لوجده
فهمله لجم اي زينة من ذهب او جوهر او شي لو احتيج اليه للاح له احسن رونق وابهج زبرج
لكنا قدمنا من بيان معجزته صلى الله عليه وسلم وظهورها ما اي شي عظيم يغني عن ركوب
بطون هذه المسالك المالي بها مما لا يحتاج اليه ويغني عن ركوب ظهورها مثلها بمحسوسات
لها بطون تستقر فيها وظهور تعتلي وتركب فاثبت لها الركوب مستغنيا عنه القسم الثاني
من الكتاب فيما يجب على الانام اي الخلق وهو كلما على الارض من دابة والمراد المكلفون من حقوقه
صلى الله عليه وسلم مما اوجبه الله له عليهم اكراما له واحتراما ومجموعها اي مجموع ابواب هذا القسم
الاربعة في وجوب تصديقه اي الايمان به في جميع ما جا عن ربه تعالى وفي وجوب اتباعه
في سنته اي طريقة دينه القيم وفي وجوب طاعته امتثالا له في جميع اوامره واجتناب نواهيه
وقد ترجمها فصول الباب الاول وفي وجوب محبته وهي كما مر ميل نفساني الى المحبوب قد اوجبها
الله علينا وقد وشح بها فصول الباب الثاني وفي وجوب مناصحته من النصح وهو لغة
الخلوص وشرعا كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له اي الاخلاص في الانقياد
اليه في جميع افعاله واقواله وفي الحديث الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولايمة المسلمين

وعامتهم فنصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانيته واخلاص النية في عبادته ونصيحة رسوله
التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما امر به ونهى عنه واخلاص النية في عبادته ونصيحة
كتابه التصديق به والعمل بما فيه ونصيحة الايمة طاعتهم في المعروف لشهادة حديث لا
طاعة لمخلوق في معصية الله وعدم رؤية الخروج عليهم وان جاروا ونصيحة عامة المسلمين
ارشادهم الى ما يصلحهم وفي هذا مزيد بيان سمحنا به في شرح الاربعين النواوية وفي وجوب
توقيره اي تعظيمه حق عظمته وقد ضمنه فصول الباب الثالث وفي حكم الصلاة عليه والتسليم
من وجوب وغيره وزيارة قبره الشريف وقد اودعها فصول الباب الرابع وهذا حديث
اجمالي سيرد تفصيله الباب الاول في فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم وهو
لغة التصديق افعال من الامن للصيرورة كان المصدق صار ذا امن من تكذيبه غيره او للتعدية
كانه جعل غيره امنا من التكذيب ولهذا مزيد بيان سمحنا به في شرح كتابنا مقاصد المقاصد
وغيره ووجوب طاعته فيما امر به ونهى عنه واباحه واتباع سنته اي طريقة شريعته اذا
تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به لانه فرع نبوته مما كتوقف
المشروط على شرطه وتصديقه فيما اتى به عطف تفسيري عند من يقول الايمان هو التصديق
فقط قال تعالى فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا هو القران
اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر ما فيه بيانا تبيعا وقال انا ارسلناك شاهدا بتصديق
من بعثت اليهم اياك وبتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم ومبشرا للمومنين وحذف المبشر به تفخيما لشانه
ولتذهب النفس كل مذهب ممكن ونذيرا الكافرين بطشة الله بهم فيما تماروا به لتؤمنوا بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم الخطاب له ولامته او لهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم وقال فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته مما انزل عليه وعلى غيره من الرسل ولم يقل
فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم للالتفات من التكلم الى الغيبة تلويحا بمحاسنه لما
فيه من مزية البلاغة واجرا لهذه الصفات الامرة باتباعه والايمان به عليه ايذانا بان الذي وجب
اتباعه والايمان به هو الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كاينا من كان انا او غيري
اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه واتبعوه مذعنين منقادين له فالايمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب امتثالا لامر الله ايانا به فيما ذكر من الايات وغيرها اذ لا يتم لاحد
ايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الا بالايمان به صلى الله عليه وسلم ولا يصح اسلام
الا معه اي مع الايمان به وهذا بنا على تغايرهما والحق اتحادهما اذ لا يعقل شرعا مسلم غير مومن
ولا مومن غير مسلم لشهادة فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
قال الله ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضعا للظاهر موضع المضمر
ايذانا بان من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر واورد سعيرا نكرة لقوة بلا وتفظيعا لامرها وتلويحا
بانها نار مخصوصة كنار تلظى ثم الاستدلال على وجوب الايمان بهما بما رواه هنا من طريق مسلم
ورواه البخاري ايضا عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم امرت اي امرني الله اذ لا امر له
سواه تعالى ان اقاتل الناس عام خص منه من اقر بالجزية حتى يشهدوا ان لا اله الا الله استثنا
من الكثرة المفهومة من له اذ مفهومه كل مؤذن لها صادق عليها مستحيل وجوده خارجا بقطع دليل

الوحدانية لها دبو منوابي وبما جئت به مما امرني ربي ان ابلغه للناس واطوقتهم تكاليفه وحتى
هنا للغاية فجعل غاية قتالهم الايمان بهما وبما جاء به صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك اي
امنوا بهما والتزموا احكام شريعته عصموا مني دماءهم واموالهم اي منعوها اذ العصمة المنعة
والاعتصام اي الامتساك افتعال منه فلا يجوز سفك دمائهم واخذ اموالهم لسبب من الاسباب
الا بحقها كقتل نفس ظلما وترك صلاة وزكاة بتاويل باطل وحسابهم على الله فيما يسرونه من كفر
ومعاصي والحكم عليهما بالايمان ومواخذتهم بحقوق الاسلام انما هو بما يقتضيه ظاهر حالهم والله
يتولى سرائرهم فيثيب من شاء ويعاقب من شاء والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق
نبوته ورسالة الله له الاضافة فيهما بمعنى اللام او في اي تصديقه بهما او فيهما وتصديقه في
جميع ما جاء به وفي جميع ما قاله مما امر بتبليغه ومطابقة تصديق القلب بذلك اي بتصديق
نبوته ورسالته وما جاء به شهادة اللسان بانه صلى الله عليه وسلم رسول الله فاذا اجتمع
التصديق به بالقلب والنطق اي معه بذلك مما ذكرنا باللسان تم الايمان به صلى الله عليه
وسلم والتصديق له كما ورد في هذا الحديث اي حديث ابي هريرة نفسه من رواية الشيخين عن
عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت اي امرني ربي اذ ليس احد فوقه يامره
سواه تعالى ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان اي انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غاية
لقتالهم وقد زاده وضوحا في حديث جبريل المتقدم الذي رواه الشيخان اذ اي حين قال له
صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الاسلام هو في الاصل الانقياد والطاعة من الطوع والرغبة من غير
اعتراض يقال سلم واسلم واستسلم اذا خضع واذعن ومن ثم اجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاركان الخمسة فقال ان تشهد ان لا اله الا الله مستثنى كما مر من كثرة متوهم وجودها محال
وان محمدا رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وتقيم الصلاة اي تاتي بها
في وقتها بتعديل اركانها مدا وما عليها من صلى بمعنى دعا وحرك الصلوين وهما عرقان في الردف وقيل
عظمان ينحنيان في الركوع والسجود ومن ثم كتبت بالواو وتؤتي الزكاة لمستحقها او للامام العادل
من زكى بمعنى نما وطهر فان المال يزيد باداها ويطهر به وتصوم رمضان في وقته من صام اذا
امسك وتحج البيت اي تقصده بالنسك وهو اسم جنس اريد به الكعبة ان استطعت اليه
سبيلا خصه بالاستطاعة مع ان الكل مشروط بها اذ هي ما يتمكن به المكلف من فعل الطاعة اذ
المراد بها هنا الزاد والراحلة لما يحصل من المشقة في ادائه وتسهيلا على العباد وتيسيرا لهم وزجرا
لمن يلقي بيديه الى التهلكة في سفره بغير زاد وراحلة معولا على السؤال ثم سأله صلى الله عليه وسلم
عن الايمان فقال جوابا لسؤاله عنه ان تؤمن بالله ان يلم بفكرك ان هذا تفسير للشيء بنفسه
وتامل ما يلقى اليك لعلك تونس من جانبه جذوة نور تهتدي بها الى انه هناك معدى بنفسه
اما بمعنى صيرورة المصدق بفتح الدال امنا من ان يكذب به غيره او جعل هو غيره امنا من التكذيب
ولم يضمن شيئا وهنا ضمن معنى الاعتراف ومن ثم عدي بالباء اي ان تعترف بوحدانيته وما
يليق بجنابه الكريم وملائكته بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة ولا
انوثة لبسوا بنات لله وكتبه بانها منزلة عند الله صادقة فيما تضمنته من احكام وان معناها
واحد قديم قائم بذاته مناف للسكوت بمعنى عدم ارادته وللافة بمعنى عدم مطاوعة الالة ورسله

بانهم

بانهم مبعوثون من ربهم صادقون فيما جاؤا به عنه واليوم الاخر من ايام الدنيا او آخر الازمنة المحدودة
اي الايمان به وبما فيه كالبعث والحساب والميزان وفي هذا المقام زيادة بيان في كتبنا شرح الاربعين
النواوية ومختصر المقاصد وشرحه فقد قرر صلى الله عليه وسلم ان الايمان به يحتاج به الى العقد
بالجنان اي الى جزم القلب والاسلام اي الاقرار به مفتقر الى النطق باللسان وهذه الحالة هي المحمودة
التامة ذهابا منه الى انه اسم لفعل القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم ووصفها بكونها
تامة موذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق به وان النطق انما هو شرط لاجراء احكام الاسلام عليه
في الدنيا كالصلاة وراءه وعليه ودفنه في مقابرنا واخذ زكاته والامن من بقلبه ولم يعلم به احد الا
على وجه لا ينفعه ايمانه عند الله واما الحالة المذمومة فانما هي الشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق بالمعنى الخاص شرعا وهو اخفاء الكفر واظهار الايمان واما هو لغة
فاظهاره خلاف ما يضمره من نافقاء اليربوع وهو الخفي من بابي جحري اليربوع فاذا جاءه حارشه
ليصيده اقبل عليه موهما انه يريد ان يخرج اليه ثم ينكص على عقبيه فيخرج منه هاربا فيقال نافق
اليربوع اذا خرج من نافقائه قاله ولستخرج اليربوع من نافقائه ومن جحره بالسحة والقصعة
قال الله تعالى طالا زمة اي متعاليا عما لا يليق بكريم جنابه قدسه الشريف اذا جاءك المنافقون
خطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول الله زعما منهم انه شهادة والهات
فيها قلوبهم السنتهم والله يعلم انك كما زعموه مطابقا للواقع دون اعتقادهم لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك اي في قولهم انك لرسول الله عن اعتقادهم وتصديقهم وهم
لا يعتقدونه الواو للحال اي معتقدين قولهم نشهد انك لرسول الله فلما لم يصدق ذلك اي قولهم
ضميرهم اي لم تصدق قلوبهم ما قالوه بالسنتهم ولم تواطيه لم ينفعهم ان يقولوا اي قولهم بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب منهم وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه
فخرجوا عن اسم الايمان اي عن ان يسموا بما اشتق منه ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اي حكم الايمان
لحشرهم مع المؤمنين وحسابهم كحسابهم وورودهم الحوض ودخولهم الجنة اذ لم يكن معهم ايمان
فلحقوا بالكفار فيما يستحقون كهم ولا يردون الحوض ويدخلون جهنم داخرين في الدرك الاسفل
من النار واحد الادراك منازل او طبقات الى الاسفل والدرج الى فوق وبقي عليهم بحسب الظاهر
حكم الاسلام جاريا فيعاملون كالمسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم باظهارهم وشهادة اللسان منهم في
حكم الدنيا المتعلقة بالائمة والمسلمين عطف عام على خاص والائمة العلماء والحكام منهم الذين احكامهم
جارية على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام كالاذعان والانقياد والتزام احكامه ظاهرا
اذ لم يجعل للبشر سبيلا الى السرائر ولا امروا اي الائمة والحكام بالبحث عنها اي عن السرائر بل
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها فقال فيما رواه البخاري لاسامة بن زيد لما قتل من نطقه
فاسلم اقتلته بعد ان اسلم هلا شققت عن قلبه لتعلم اقالها خالصا من قلبه ام لا والفرق بين مجرد
القول باللسان والعقد بالجنان ما جعل ما قصد ربه اي جعله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل
المتقدم الشهادة من الاسلام فقال مجيبا له عن سؤاله ان تؤمن هذا ولا يتوهم من تفسير كل منهما
فيه بغير ما فسر به الاخر تغايرهما لان ذلك انما هو تفصيل لما تضمنه اسم الايمان من قول وفعل
مما هو من اثاره ومسبباته لا من حقيقته بشهادة تفسير الاحسان فيه بان تعبد الله كانك تراه

اشارة الى الاخلاص المتضمن تفسيرهما فدل على ان تغايرهما انما هو على سبيل التفصيل توكيدا او
زيادة بيان فهما متحدان بمعنى رجوعهما الى القبول والاذعان بدليل انه صلى الله عليه وسلم جعل
في حديث وفد عبد القيس ما فسر به الاسلام في حديث جبريل ايمانا بقوله اتدرون ما الايمان
قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس على ان الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى
قبول الاحكام والاذعان لها وانما ذلك حقيقة الايمان فلما الاذعان والقبول اذ لا يصح شرعا
ان يحكم على احد بانه مؤمن ليس مسلم او مسلم ليس مؤمنا بشهادة فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وبقيت حالتان اخريان احداهما ان يصدق مكلف بقلبه
ثم يخترم اي يموت قبل اتساع وقت الشهادة باتيان بها فيه بلسانه فاختلف فيه امؤمن هو ام لا
فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من
الاتيان بها وراه اي راى من صدق بقلبه ثم اخترم قبل تمكنه من التلفظ به بعضهم مؤمنا مستوجبا
للجنة لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان يخرج
روي مبنيا للفاعله ومفعوله من كان في قلبه مثقال ذرة مفعال من الثقل واتى به تلويحا بانه
وان صغر قدره فهو عند الله عظيم لاعتباره في الاخرة بشهادة ان الله لا يظلم مثقال ذرة بمعجمة
فمهملة هي النملة الصغيرة وتقع على كل جزء من اجزاء الهباء فلم يذكر صلى الله عليه وسلم سوى ما في القلب
من مثقال ذرة منه وهذا شاهد صدق بانه مؤمن بقلبه فينفعه ايمانه عنده لانه غير عاص
ولا مفرط بترك غيره من الاتيان بالشهادة لعدم اتساع الوقت وهذا الراي من هذا البعض هو الصحيح
في هذا الوجه الحالة الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله بميم فهاء مفتوحتين هو التؤدة
والتاني استعير لطول الزمان وعلم ما يلزمه من الشهادة اي المنطق بها فلم ينطق بها جملة من اجلت
الحساب اذا جمعت احاده وكملت افراده وفي حديث القدر كتاب اسما اهل الجنة والنار اجمل على اخرهم
اي احصوا وجمعوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص فكانه اجمل على ما في قلبه من الايمان فلم يزد عليه النطق بها
ولا يشهد في عمره مرات بل ولا مرة فهذا الذي لم ينطق بها مع عقده الايمان بقلبه اختلف فيه
ايضا من الايض وهو العود اي عاد فيه الخلاف وقد تقدم مرارا فقيل هو مؤمن لانه بما يكفر من مقصود
الايمان والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وان دخلها وهذا كما مر عند
المحققين هو الحق ولا يعصى عند من يقول الايمان هو التصديق فقط وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن
عقده شهادة بالله وبرسوله اذ الشهادة انشاء عقد والتزام وهي مرتبطة مع العقد بالجاد
ولا يتم التصديق مع المهلة اي التاخير زمانا الا بها وهذا اي القول الثاني هو الصحيح في انه ليس
بمؤمن لعدم قرانه عقده باقراره مع تمكنه منه وهذا انما يقول به من جعل الاعمال جزءا منه بشهادة
قوله انفا والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها او تركها ابيا بعد ان طولب بها اما عند من يقول
انه هو التصديق فقط ولم يتركها ابيا فهو كما مر عن المحققين مؤمن ينفعه ايمانه عند ربه اذ ذمه في
تركها انما يتوجه لابائه وانكاره لا لمجرد اقراره وهذا نبذ بنون وباء موحده مفتوحتين ومعجمة
وفي نسخة بضم النون وسكونها للباء جمع نبذة اي مما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما شيء
يسير يفضي من افضى المكان اذا صار فضاء واسعا وفي دعائه صلى الله عليه وسلم للنابغة في رواية

لا يفضي

لا يفضي الله فاك اي لا يجعله فضاء لا سن فيه اي يصير الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان والزيادة
وفي الزيادة فيهما اي في الاسلام والايمان والنقصان فيهما وهذا التجزي من كونه قولا وعملا واعتقادا — دًا
كما هو مذهب الفقهاء والمحدثين او قولا واعتقادا كما هو مذهب ابي حنيفة واشياعه وزيادة ونقصا
ممتنع على مجرد التصديق لا تبعض فيه تجزؤ ولا يقبل زيادة ولا نقصا جملة كافية في كون صاحبها قد
اجمل عليه في قلبه فلا يتطرق اليه تجزؤ ولا زيادة ونقص لبلوغه حد اليقين والجزم وانما يرجع الى ما
زاد عليه اي على مجرد التصديق من قول وعمل القبوله ذلك وقد يعرض فيه اي التجزي في التصديق
بحسب ذاته كاليقين فانهما من الكيفيات النفسانية تتفاوت قوة وضعفا كما في التصديق بطلوع
الشمس والتصديق بحدوث العالم فانه اعتقاد يقبل التفاوت اذ الاول اقوى من الثاني وقولهم
التصديق يقيني لا يتفاوت لان التفاوت انما يكون باحتمال النقيض ممنوع لجواز ان يكون بدون
احتماله على ان اليقين من باب العلم والمعرفه والتصديق من باب الاذعان والقبول فهما وان كانا من
مقولة الكيف متغايران سلمنا اتحادهما ولا نسلم ان اليقين لا يقبل تفاوتا وتاغايته انه اعتقاد جازم
مطابق له مراتب من اجلى البديهيات كالواحد نصف الاثنين الى النظريات التي منها التصديق بحدوث
العالم وهو يقبله لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين كتيقنك حركة ماثل بين عينيك
ناظرا اليه فانه اقوى من تيقنك وجود زيد في دار كنت معه فيها ثم خرجت عنه فالاول لا مجال فيه
للتشكيك لما فيه من جزم وتصميم اعتقاد بتظاهر الادلة فانه اسكن للقلب وازيد للبصيرة
ووضوح معرفة بانضمام مشاهدة لاستدلال ودوام حالة وحضور قلب مطمئنا ساكنا لا يعروه شك — شك

فصل

فصل واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم من اطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع
ويطيع فهو طائع اي اذعن وانقاد وقيل طاع له اذا انقاد واطاع اذا اتبع امره ولم يخالفه فاذا وجب
الايمان به صلى الله عليه وسلم ووجب تصديقه فيما علم بالضرورة انه جاء به وجبت طاعته جواب
الشرط لان ذلك اي وجوب طاعته مما اتى به من الدين بالضرورة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله ذكر طاعة الله توطئة وتنبيها على ان طاعته في طاعة رسوله بشهادة افراد الضمير في
قوله ولا تولوا عنه اي عن رسوله وشهادة من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال قل اطيعوا الله والرسول
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اردف وعيد المؤمنين لنار ان لم يكونوا تعليق رجائهم رحمته بطاعة
وطاعة رسوله ترهيبا من المخالفة وترغيبا في الطاعة اذ ذكر لعل وعسى في مثل هذا مؤذن بصعوبة
مسلك التقوى وعزة الوصول الى ما جعل خيرا لهما وان تطيعوه صلى الله عليه وسلم تهتدوا الى الحق
وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه المبلغ والله الامر نزلت في المنافقين اذ قال النبي صلى
الله عليه وسلم من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو ينهى
عنه لما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقال وما اتاكم الرسول فخذوه اي اعطاكم
من امر فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه اي عن اتيانه فانتهوا عنه امتثالا لامره لوجوب
طاعته وقال من يطع الله والرسول فاولئك اي الذين اطاعوهما مع الذين انعم الله عليهم من قرة
اعين فيه ترغيب في طاعتهما بوعد عليها مرافقة اقرب عباده اليه وارفعهم عنده من النبيين والصديقين
افاضل اصحابهم تصديقا وصدقا والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله اي الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه اليهم في طاعته او بتيسير

وتوفيقه فمن لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يرض برسالته ومن لم يرض بها كان كافرا فجعل طاعة رسوله طاعته
بشهادة من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرن طاعته بطاعته فيما مر من الايات ووعد على ذلك
بجزيل الثواب بشهادة جعل من اطاعه مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين واوعد على مخالفته بسوء العقاب بشهادة فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم واوجب امتثال امره واجتناب نهيه بشهادة وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته عملا
للمامور به واجتنابا للمنهي عنه مع الملازمة والدوام عليهما والتسليم لما جا به قبولا وانقيادا
واذعانا وقالوا اي المفسرون ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليهم
ونهاهم عن معصيته وقالوا من يطع الرسول في سنته اي فيما امر به ونهى عنه وندب اليه
قولا وفعلا وتقريرا مما لم يرد به القران الكريم لان امره ونهيه من امر الله ونهيه قال تعالى وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام الشافعي في كتابه الام والرسالة
عن سفيان بن عيينة عن سالم ابي النضر عن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا الفين احدكم على اريكته ياتيه الامر مما امرت او نهيت فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله عملنا به فهذا نهي منه صلى الله عليه وسلم لمن يعمل بسنته اذا لم يعمل بها كالعمل بكتاب الله
ومن اعجب العجاب تقديم عمل غيره المخالف لحديثه صلى الله عليه وسلم على حديثه المتضمن للنهي عنه
في باب اولى حديث الامام من يطع الله في فرايضه جواب شرط من وسئل سهل بن عبد الله التستري
عن شرايع الاسلام جمع شريعة الما اي مورد ترده الماشية استعير اسمها لما شرع الله
لعباده من الدين واظهره وبينه لهم فقال اي سهل وما اتاكم الرسول فخذوه وتمسكوا به وقيل
اطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتنابه مجافين جنوب اذعانكم عن مضاجعه وطاعة الرسول فيما
بلغكم عن ربه تعالى فانه مامور بتبليغه اذ ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقيل اطيعوا
الله مخلصين مذعنين بالشهادة له بالربوبية اي الملكية لعباده وما خلق لهم لا يخرج عن ملكه
شي واطيعوا النبي بالشهادة له بالنبوة المقترنة بالرسالة وكان الجمع بينهما اولى اظهارا للنعمة
بهما عليه وتعظيما للمنة لديه ومن ثم رد صلى الله عليه وسلم على البرا اذ قال في اعادة حديث ذكر
النوم عليه ليحفظه ورسولك الذي ارسلت بقوله ونبيك الذي ارسلت ليختلف اللفظان جمعا
له صلى الله عليه وسلم بينهما وقد اسند هنا حديث الشيخين من طريق البخاري من اطاعني فيما جيت
به عن الله فقد اطاع الله بشهادة من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله اللازم
لجعل طاعته طاعته بتاميره اياه فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته
امتثال لما امر الله له صلى الله عليه وسلم من اتباعه فيما امر ونهى وحكي عن الكفار في دركات جهنم
جمع دركة اي منازلها الى اسفل يوم تقلب وجوههم في النار اي تصرف من جهة الى جهة كقطع اللحم
تدور في قدر غلت فتراها ترمي بها الغليان من ناحية الى ناحية اخرى وعامل الظرف يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسول فلم يمسنا هذا البلا فتمنوا الطاعة صلى الله عليه وسلم لما عراهم من
وخيم اثار مخالفته حيث لا ينفعهم التمني زمانا ومكانا وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري
ومسلم اذا نهيتكم عن امر فاجتنبوه وانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واذا امرتكم بامر اي بمامور

ايجابا او ندبا فاتوا منه ما استطعتم من غير ترك لواجب وفي حديث ابي هريرة كل امتي يدخلون
الجنة لا اعلم من رواه بهذا اللفظ الاعم مما رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة الا من ابى بتركه الطاعة
التي هي سبب لدخولها لان من ترك ما هو سبب شي لا يوجد لغيره فقد ابى زاد في نهاية غريب الحديث
وشرد قالوا ومن يابى اي يمتنع اشد الامتناع فطلب بمن فرد اما ومنعت له هي اعني الامر العارض الذي
العلم فيفيد بشخصه وبعينه وهو هنا الابا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني اي انقاد
لي واذعن دخل الجنة وفاز بنعيمها الابدي ومن عصاني فقد ابى فله سوء المنقلب باباية وفي الحديث
الاخر الذي رواه البخاري مثلي ومثل ما بعثني الله به مما يورث الفوز بمجامع خيرات الدارين معاشا
ومعادا اي حالنا العجيبة الشان كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير
اي المعلم المخوف المحذر العريان اذ كان من عادتهم اذا انذر راحد قوما عدو واخلع ثوبه وقام على عال
ولوح به ليكون ابين للعين واقطع عند رويته فالنجا النجا تفوز وامنه وتسلموا فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم
بفتح اوله وثانيه او الكل اي متانين بتؤدة والاسم المهلة ضما وكسرا وفي حديث علي اذا سرتم
الى العدو فمهلا مهلا واذا وقعت العين فمهلا مهلا [illegible] الازهري الساكن الرفق والمتحرك التقدم
اي اذا سرتم فتانوا واذا لقيتم فاحملوا واما بتشديدها فهو السير اخره والاسم منهما الدلجة ضما وفتحا
فنجوا من عدوهم وكذبت طايفة منهم فاصبحوا اي دخلوا في الصباح فصبحهم الجيش واجتاحهم
اي استاصلهم بخراب ديارهم واموالهم واخذهم اخذة رابية فلم تبق منهم باقية وفي الحديث
اعاذكم الله من جوع الدهر فذلك اي ما افاده حديث البخاري مما مثل به مضروبه العجيب الشان
في الخير والشر مورده على طريقة التشبيه البليغ باستعارة المثل للحال اذ يستعار لها وللصفة
او القصة اذا كان لها شان عجيب يتعجب منه وتضمنت نوع غرابة كما في مثل الجنة التي وعد المتقون
اي فيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة الشان ثم اورد عجايبها وفي ولله المثل الاعلى
اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة وفي مثلهم في التوراة اي شانهم وصفتهم المتعجب منه
مثل من اطاعني مذعنا منقادا للطاعة واتبع ما جيت به متمسكا عاملا به فانه ينجو من نوايب
الاخرة كما نجى من اطاع النذير العريان ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من الحق لا بد من ان تصيبه
فتنة او يصيبه عذاب اليم وفي الحديث الاخر الذي رواه الشيخان في مثله صلى الله عليه وسلم كمثل من
بنى دارا وجعل فيها مادبة بضم المهملة وقد تفتح اي طعاما وبعث داعيا لتشبيه تمثيل وليس فيه
ادامة غير المشبه به وحذف لدلالة بعث داعيا عليه كما حذف من قوله او كصيب من السما لدلالة
الضماير في الاية عليه اي كمثل ادب بالمد بعثه بانيها فوليته الاداة تقديرا اذ قد يكون ملفوظا وقد
يكون مقدرا وانما حذف لان المراد تشبيه حاله صلى الله عليه وسلم في تعميم الدعوة وتكفلها بحاله
في ذلك وعن علي واما اخواننا بنوا امية فقادة ادبة جمع ادب ككتبة وكاتب واشار علي بذلك الى
ان قصيا لما حضرته الوفاة قسم مكارمه بين بنيه فاعطا ولده عبد مناف قود الجيوش فلما حضرته
الوفاة لولده حرب فلما حضرته اعطاه لولده سفيان ثم جا الاسلام هذا وقول اهل اللغة ان المادبة
تصنع لما لا سبب له يخالف هذا الحديث فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة اذ لم يكن له
فيها نصيب اكراما له من بانيها ومن لم يجب الداعي لم يدخل ولم ياكل من المادبة اذ لم يكن له فيها نصيب
ولا عناية فالدار هي الجنة اعدها الله لمن اراد واجاب والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا

من ابراز المضمر ظاهرًا كما قبل وبعد لكمال العناية به والتبرك بذكره فقد اطاع الله ومن عصى محمد
فقد عصى الله بخروجه عن طاعة الله ورسوله ومحمد فرق بين الناس اي فارق بينهم مؤمنا بالاعزاز
وكافرا بالاذلال فصل واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وامر بتبليغه وامتثال
سنته اي طريقته فيما امر به ونهى عنه وندب اليه قولا وفعلا مما لم يرد به القران الكريم ومن ثم
تسمعهم يقولون من ادلة الشرع الكتاب والسنة ومنها متلو وغير متلو والحديث ومنه حديث
انما انسى لاسن اي انما يعرض لي النسيان لاسوق الناس بالهداية الى صراط مستقيم وابين لهم ما
يحتاجون ان يفعلوه اذا عرض لهم النسيان والاهتدا بهديه اي سيرته وطريقته وفي الحديث
الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة اي ان هذه الخصال كما من
جملة شمائل الانبيا واجزا معلومة من اجزائها فعا لهم لا ان النبوة تتجزى ولا ان من جمعها كان فيه اجزا من
النبوة فانها ليست مكتسبة ولا مجتلبة باسباب بل هي كرامة من الله اكرم بها من شا من خواص عباده
فقد لجج بها ايات واحاديث كثيرة قال تعالى حال لازمة اي متعاليا قل ان كنتم تحبون الله اي
ان تريدوا ان تخصوه بعبادتكم له راغبين فيها فاتبعوني يحببكم الله جواب الامر جواب الشرط اي
يرضى عنكم ويكشف عن قلوبكم الحجب ويغفر لكم ذنوبكم متجاوزة عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه
ويبوئكم كنف قدسه وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب وفي
وصفه تلويح بان كمال علمه معه من معجزاته الذي يؤمن بالله وكلماته مما انزل عليه وعلى الرسل
قبله من كتب ووحي واتبعوه لعلكم تهتدون لم يقل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم
لما في اسلوب الالتفات من مزية البلاغة وليجري عليه هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع
له وجعل رجا الاهتدا اثرا لهما تلويحا بان من صدقه ولم يتبعه ملتزما شرعه فهو في ربقة
الضلال وقال فلا وربك زيدت لا لتاكيد معنى القسم حتى يحكموك فيما شجر غاية لصحة ايمانهم
اي اختلف واختلط بينهم كالشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي ضيقا
مما حكمت به او من حكمك ويسلموا تسليما مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره اي ينقادوا لحكمك
يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد انقيادا ظاهرا وباطنا وقال لقد كان لكم في رسول الله
اسوة اي خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى اي يقتدي بها او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي ثوابه او لقاءه ونعيم الاخرة او ايامه واليوم الاخر خصوصا ولمن
كان قال في الكشاف بدل من لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة
قرنت كثرته بالرجا لايذانها بملازمة الطاعة اذ المؤتسي به من شانه ودينه ذلك قال محمد بن
علي الترمذي الاسوة في الرسول اللام فيه للعهد الخارجي او الذهني الاقتدا به والاتباع لسنته
الحنيفية السمحة البيضا وترك مخالفته في قول قاله امرا او نهيا وارشادا او فعل فعله ليؤتسى
به فيه وقيل هو اي لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة عتاب من الله تعالى للمتخلفين عنه صلى الله
عليه وسلم حيث لم يأتسوا به في الخروج معه الى محاربة اعدائه والثبات فيها ومقاسات شدائد
الحروب وقال سهل بن عبد الله في تفسير قوله صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة اي
انعم عليهم بسبب اتباع سنته صلى الله عليه وسلم والانعام ايصال النعمة الى من انعم بها عليه ولم
يذكرها لتذهب النفس كل مذهب ممكن من انواع نعم لا تحصى فامرهم الله بذلك اي باتباعه

دوبهم

ووعدهم الاهتدا باتباعه بقوله واتبعوه لعلكم تهتدون لان الله ارسله بالهدى ودين
ليزكيهم عن الشرك والمعاصي بحملهم على ما يصيرون به اذكيا ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة
مما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام مما يصيرون به حكما كاملي العلم متقني العمل ويهديهم
الى صراط مستقيم هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة ووعدهم محبته تعالى
في اية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووعدهم مغفرته اذا اتبعوه واثروه بمد
الهمزة اي قدموه على انفسهم وعلى ما تجنح اي تميل اليه نفوسهم وضع الظاهر موضع المضمر مغايرة
بين الجمعين لما في التفنن في العبارة من مزية البلاغة وبيان ان للنفس جمعين جمع قلة وكثرة
ووعدهم مغفرته اذا اتبعوه بعد وعدهم محبته في قوله يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ولا ريب
في ان من اتبعه فقد اثره على نفسه واثر ما جاء به من الحق على هواه حتى صار احب اليه من نفسه
وماله وولده والناس اجمعين اخبرهم في اية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ان صحة ايمانهم في انقيادهم وقبول
حكمه واذعانهم له ورضاهم بحكمه فيما اختلط بينهم واختلفوا فيه وترك الاعتراض عليه صلى
الله عليه وسلم في حكمه فيما شجر بينهم وروي كما في تفسير ابن المنذر عن الحسن ان اقواما قالوا
يا رسول الله انا نحب الله اي تميل انفسنا الى ان نخصه بالعبادة راغبين فيها فانزل الله قل ان
كنتم تحبون الله اي تريدون عبادته على الحقيقة فاتبعوني يحببكم الله اي يرضى عنكم باتباعي
فيما جئتكم به وروي ان الاية اي اية ان كنتم تحبون الله نزلت في اناس من يهود كعب بن
الاشرف وغيره لا ادري من رواه وانهم قالوا نحن ابنا الله واحباؤه زعما منهم انهم اشياع
عزير كاذبين انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ونحن اشد حبا لله مقربون قرب الاولاد من
ابائهم بل هم مبعدون عنه تعدا عدا الاعدا عن عبادته اذ لو كانوا ابناؤه واحباؤه لم يأتوا قبيحا
ولما عذبهم بذنوبهم مسخا ومسًّا بالنار دائما الا اياما معدودات كما زعموا وقال الزجاج ان كنتم
تحبون الله اي تقصدون طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول
اي ورسوله فلامه عوض عن الضمير تفخيما لشانه صلى الله عليه وسلم طاعته لهما ورضاهما
امرا به واجبا ومندوبا ونهيا عنه حراما ومكروها وخلاف الاولى ومحبة الله لهم اي لعباده
عفوه عنهم وانعامه عليهم باسباغ نعمه ظاهرة وباطنة برحمته فانه غاية لها ومسبب
عنها لانه تعالى انما يتصف بغاياتها التي هي فعل لا بمبادئها الذي هو انفعال ويقال الحب من الله
عصمة وتوفيق اي منعه من المقحمات بخلق قدرة الطاعة فيه اذ هما غايته واما مبداؤه فميل
نفساني يتعالى الله عنه والحب من العباد طاعة واذعان وانقياد له ومن ثم قيل تعصي الاله
وانت تظهر حبه هذا اي عصيانك له مع اظهار حبه لعمري اعتراض بين المبتدا وما في خبره من
جار ومجرور وخبرا قسم به اقتدا به صلى الله عليه وسلم في قسمه في الامر المهم في القياس بديع
اي عجيب مخترع لبعده عنه اذ لو كان حبك صادقا لاطعته كما هو القياس لكنك لم تطعه
فلم يكن حبك له صادقا فالشاهد ان المحب لمن يحب مطيع جواب سؤال اقتضته الشرطية قبله
اي هل المحب يطيع محبوبه فاجاب به فاستثنا نقيض التالي انتج رفع مقدمه ووضع نقيضه
اي ثبوته ويقال محبة العبد لله غاية ميله النفساني اليه تعالى وتعظيمه له وهيبته

منه ومحبة الله له رحمة له وارادة الجميل اي جماع مكارمه له ويكون اي الجميل بمعني مدحه
وثنائه عليه اي علي العبد قال القشيري فاذا كان اي الجميل بمعني الرحمة والارادة والمدح
كان من صفات الذات ثبوتية كالعلم والارادة والقدرة وسلبية كالوحدانية والازلية
والابدية وفعلية كالخلق والرزق والاحيا وهن من حيث هي ليست ازلية خلافا للماتريدية
بل حادثة اي متجددة لانها اضافات عارضة للقدرة هي تعلقها بوجودات المقدورات
لاوقات وجودها ولا محذور في اتصافه تعالي بالاضافات لكونه قبل العالم ومعه وبعده
ولهذا مزيد بيان في كتابنا شرح مقاصد المقاصد وسيأتي بعد مبني علي الضم لقطعه عن
اضافته الي منوي بعده في ذكر محبة العبد غير هذا وقد استشهد هنا بحديث الاجري شاهدا
لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم عن العرباض بن سارية في موعظة النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال فعليكم بسنتي اي طريقتي الهادية من الضلال وسنة الخلفاء الراشدين جمع
راشد والرشد ضد الغي واراد بهم ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وان كان عاما
في كل من سار بسيرتهم كعمر بن عبد العزيز المهديين جمع مهدي وهو من هداه الله الي الحق وقد
استعمل حتي صار كالاسما الغالبة وبه سمي مهدي اخر الزمان عضوا عليها بالنواجذ مثل يضرب
لشدة التمسك بالدين لان العض بها يكون بجميع الفم والاسنان من حيث انها اواخرها والتي
بعد الانياب واياكم ومحدثات الامور تحذير منها ومن الرضا بها جمع محدثة وهي ما لم يكن معروفا
من كتاب ولا سنة ولا اجماع مخالفا لاصول الاسلام فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
علة للتحذير منها من الشكل الاول بجعل محمول الصغري موضوع كبراها فينتج حدا لهما هكذا فكل
محدثة ضلالة وهو نتيجته ثم قسمها اما بدعة هدي وهي التي عمها ما ندب الله ورسوله
اليه وحض عليه او بدعة ضلالة وهي ما كان علي خلاف ما امر به مما يخالف قواعد الشريعة
وهي المراد في الحديث لايرادها في حيز التحذير منها والذم لها واما ما يحمده العقل كالجود والسخا وفعل
الخير فحسن جعل صلى الله عليه وسلم له ثوابا لشهادة حديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها ومنه قول عمر في التراويح نعمة البدعة هذه لانها من افعال الخير في حيز المدح ومن ثم
مدحها وسماها بدعة لانه صلى الله عليه وسلم لم يسمها لعمر وانما صلاها ليالي ثم تركها خشية ان
تفرض عليهم فيعجزوا عنها ولا جمع لها الناس ولم تكن في زمن ابي بكر وعمر هو الذي ندبهم اليها وجمعهم
عليها فبهذا سماها بدعة وهي في الحقيقة سنة لشهادة حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدي وحديث اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر زاد في حديث مسلم عن جابر بمعناه
اي زيادة افادت عدم روايته بلفظه وكل ضلالة في النار فكل محدثة فيها باسقاط المكرر
وفي حديث الشافعي في كتابه الام عن سفيان بن عيينة عن سالم ابي النضر وعن عبيد الله بن رافع
عن ابي رافع ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجة لا الفين احدكم متكيا علي اريكته اي جالسا
علي سريره مستويا متمكنا والعامة لا تعرف المتكي الا من مال في قعوده معتمدا علي احد شقيه
وتاؤه مبدلة من واو اذ اصله من الوكا وهو ما يربط به فم المزادة وغيرها فكانه اوكا مقعده
كلوسه عليها ياتيه الامر من امري اي من مامورى لشهادة قوله مما امرت به علي ان من فيه
بيانية وشهادة رواية الاهل عسي رجل يبلغه الحديث عني وهو متكي علي اريكته فيقول

بيننا وبينكم كتاب الله واما ان كانت بمعني الا كما في ينظرون من طرف خفي اي به فالمعني ياتيه من
امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري غير القران ولا اتبع سواه ما وجدنا في كتاب الله
اتبعناه هذا الحديث ورد محذرا وناهيا عن ترك امتثاله امره واجتناب نهيه فيلزم امتثالهما
والعمل بمأموره واجتناب منهيه لانهما من امر الله ونهيه وسنته الكتاب اذ هما وحيان متلو وغير
متلو قال تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وفي حديث عايشة الذي رواه
الشيخان صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ترخص فيه فتنزه عنه قوم اي تباعدوا
عنه ولم يعملوا برخصته فيه فبلغه ذلك فحمد الله ثم قال ما بال قوم اي ما حالهم وشانهم يتنزهون
عن الشي اصنعه فوالله قسم لو تعلمون عظيم ورد مؤذنا باستجلابه في كل امر اني لاعلمهم بالله
واشدهم له خشية لاعلميته به وبصفاته وافعاله اذ بقدر معرفة المخشي تكون الخشية
المشروطة بها وروي من حديث ابي الشيخ وابي نعيم والديلمي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
القران صعب مستصعب لشدة صعوبته علي من كرهه ولم ينتفع به وهو الحكم بفتحتين مصدر
حكم يحكم بمعني حاكم سمي به مبالغة في حكمه لنا وعلينا او ذو الحكمة لاشتماله علي الحكم من امثال وسوا
وغيرها مما ينتفع به من استمسك بحديثي تمثيل للرضي به والعمل به بالاستمساك بشي محكم وثيق
لا ينقطع لتيقن النفع وفهمه وذلك بعد ان حفظه ضبطا واتقانا وعن ظهر قلب كما حفظ القران
وفهمه جا الي يوم القيمة وورد مع القران لعلمه بهما ومن تهاون بالقران وحديثي فلم يعمل بهما
بعد حفظهما وفهمهما فقد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين امرت امتي بالبنا للمفعول
اي امرهم الله اذ لا امر لهم فوقه غيره سوي الله ان ياخذوا بقولي لانه وحي غير متلو كالمتلو في العمل
به وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي وامروا ان يطيعوا امري لانه امر الله من يطع الرسول
فقد اطاع الله ويتبعوا سنتي اي طريقتي الواضحة وشريعتي السمحة قال تعالي واتبعوه لعلكم
تهتدون هذا وكفاك هذا الحديث وحديث لا الفين احدكم متكيا علي اريكته وحديث الاهل عسي
رجل يبلغه الحديث عني شهودا بان سنته صلى الله عليه وسلم كالقران في وجوب العمل بهما سوا
لا يتميز احدهما فيه علي الاخر وبالنهي عن ترك العمل بها وبالرد علي من يقول لا اعمل بخبر الاحاد مع
جميع مذاهبه به لا يتقيد وعلي الاتيان لكل مسالة منها بخبر الاحاد فضلا عن متواتر وعلي من يقول
هذا الحديث لم يصحبه عمل او عمل اهل بلدنا علي خلافه وعلي من يلغي احد دليلين متعارضين ويعمل بالاخر
بدون اجتهاد في الجمع بينهما للعمل بهما وقد كان الامام ناصر السنة الشافعي اذكي فهما وازكي ذهنا واقوي
نظرا واصوب فكرا في الجمع بينهما للعمل اذ هو صواب لا العمل باحدهما والغاء الاخر ومن ثم قال في حقه محمد بن
الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة لم تزل اصحاب الحديث نياما حتي ايقظهم الشافعي فمن رضي بقولي فقد رضي
بالقران لامره بالرضي به المفاد بالامر باخذه فيما قال الله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا اذ من امره الله باخذ شي منه فقد امره بالرضي به وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
عبد الرزاق في مصنفه من مراسيل الحسن بلفظ من استن بسنتي اي اتبعها وعمل بها وهنا من اقتدي
بي فهو مني من قولهم فلان مني كانه بعضه متحد به لاختلاطهما اي متصل بي ومعي ومن اشياعي واتباعي
ومن رغب عن سنتي فصد عنها كراهة لها فليس مني كما في الصحيحين وعن ابي هريرة ولا ادري من رواه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احسن الحديث كتاب الله اقتباس من قوله تعالي الله نزل احسن الحديث

ولتشبيه له بحديث الناس به في مصالحهم وغيرها فهو لاعجازه وافهامه ما اشتمل عليه من اخبار
الامم والحكام والمواعظ والامثال وغير ذلك احسن حديث مفهم لمعناه وخير الهدي هدي محمد
بفتح اوله او سكون ثانيهما اي سيرته المسوية وسمته السميه وهيئته السرية من هدى هديه
اذا سار بسيرته وفي الحديث اهدوا هدي عمار وشر الامور محدثاتها جمع محدثة بالفتح وهي
كل ما لم يعرف من كتاب وسنة واجماع وروى ابو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن
العاصي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة اي اقسام وما سوى ذلك فضل لا يفتقر
اليه وان لم يسع المرء جهله اية محكمة اي احكم بيانها فلم تحتج الى زيادة او نظمت نظما محكما لا يلحقه
خلل وسنة قائمة اي دائمة مستمرة العمل بها متصل لا يترك وفريضة عادلة اسم فاعل بمعنى
المصدر اي العدل في القسمة اي معتدلة على السهام التي في الكتاب والسنة بلا جور او انها مستنبطة
منهما فهي تعدل بما اخذ عنهما وروى عن عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن بن ابي الحسن مرسلا
والدارمي موصولا من حديث ابي مسعود قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة اي مصاحبا لها
خير من عمل كثير في بدعة لان ذاك وان قل اكثر نفعا بل كله نفع وذا اكثر ضررا ففي بمعنى مع كما في
قال ادخلوا في امم اي معهم فالظرفيه مجازية فكانهما لضد و رهما معهما من صاحبيهما مظروفان لهما
متمكنان فيهما فتشبه تمكنهما فيهما بتمكن المظروف بظرفه فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف
تبعية وقال صلى الله عليه وسلم ولا ادري من رواه ان الله يدخل العبد الجنة بسنة تمسك بها
اي اخذها وعمل بها وانتفع فنجا وفاز بحضيرة القدس كمن امسك حبلا وثيقا محكما مامون الانفصام
فما له السلامة وروى الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنتي
تمثيل للمعلوم بالمحسوس تصويرا للسامع كانه ينظر اليه ليحكم اعتقاده متيقنا فينجوا عند
فساد امتي حين تكون كما قال صلى الله عليه وسلم ستن القاعد فيها خير من القايم والقايم فيها خير من
الماشي والماشي فيها خير من الساعي فمن تمسك بها كان له اجر مائة شهيد وروى الترمذي حديث
ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة اي دينا وتقدم الكلام عليه قوله ومن هم قال
هم الذين على الذي انا عليه واصحابي من الدين القويم والصراط المستقيم وروى الاصفهاني في ترغيبه
واللالكائي في السنة عن انس قال صلى الله عليه وسلم من احيى سنتي اي اظهرها بعمله بها وحثه على
العمل بها فتشبه اظهارها بعد ترك العمل بها بالاحياء ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر
اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا فقد احياني اي رفع ذكري واظهر امري وجعل لي في الناس ثناء حسنا
ومن احياني كان معي حذف ظرف المعية زمانا او مكانا تفخيما له ولتذهب النفس كل مذهب وروى
الترمذي وحسنه ابن ماجة عن عمرو المزني انه صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من
احيا سنة من سنتي قد اميتت اي بترك العمل بها بعدي فان له من الاجر مثل اجر من عمل
بها من غير ان ينقص ذلك الذي يكون له من الاجر من اجورهم اي اجور من عمل بها تابعا له شيئا
مفعول ينقص وقد اعتبر معنى من دون لفظها ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله
مما خالف اصول الشريعة مما لم يبن على قياس واجماع كان عليه من الاثام مثل اثام من عمل بها لا ينقص
فصل ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف الصالح من الصدر الاول الطاهرين
والايمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته عطف تفسيري اذ الهدي السيرة والهيئة

والطريقة

والطريقة يقال هدى هديه اذا سار بسيرته وفي حديث ابن مسعود ان الهدي هدي محمد وقد اورد
هنا حديث الموطا شاهدا لذلك ورواه النسائي وابن ماجة ان رجلا من آل خالد بن اسيد قال
لابن عمر يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر
اي في القران فقال ابن عمر يا ابن اخي اي في الاسلام جريا على عادة العرب في خطابهم بذلك شفقة
ان الله بعث محمدا ولا نعلم شيئا فاقتدينا به في افعاله واقواله وتقريراته وانما نفعل كما رأيناه
يفعل وقد رأيناه يقصر في السفر فقصرنا معه اقتداء به صلى الله عليه وسلم ذكره اللالكائي في السنة له
قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شرع طريقة مرضية يقتدى به فيها
مما لم ينزل به قران وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وسن ولاة الامر بعده سننا موافقة
لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر الناس على ابي بن كعب في صلاة التراويح وامر عثمان بكتابة المصحف
ثم بعثه الى الافاق الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال لطاعة الله بشهادة اعرافه صلى الله عليه
وسلم عن لزوم ذلك بقوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي واراد ابا بكر وعمر وعثمان
وعليا وان عم كل من بسيرتهم من الخلفاء وقوة على العمل بها في دين الله مما الزمنا الله به اعتقادا من
توحيد وطاعة وايمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وساير ما نكون به مؤمنين وانما شرع لنا من الاحكام
فعلا وتركا ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها بغيرها مما لا عاضد له شرعا ولا يجوز لاحد النظر في
راي من خالفها بلا دليل شرعي من اجماع او قياس بشهادة قول ناصر السنة الشافعي لا يحل لاحد اذا
صح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول برايه بل عليه ان يتبعه وكفاك هذا حاكما بالغا
قول من قال شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو اقام رجل شاهدي زور ان فلانة امراته فشهدا بنفوذ
بذلك جاز له ان يطاها مع علمه بانها ليست زوجته وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة من اقتدى بها
اي بسنته وسنتهم فهو مهتد ما دام متمسكا بها ومن استنصر بها اي استظهر معينا مستوثقا بها فهو
منصور ومن خالفها فلم يتمسك بها وعمل بغيرها واتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم عليه من
الدين القيم ولاه الله اي جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلا بينه وبين ما اختاره واصلاه جهنم
اي احرقه فيها بشهادة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله
ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا لمن صار اليها محزبا وهذا موذن بحرمة مخالفة الاجماع لانه
تعالى قرن بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الشرط وجعل جزاءه وعيدا شديدا
فوجب اتباعهم كموالاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي السنة للالكائي قال الزهري بلغنا عن رجال
من اهل العلم قالوا الاعتصام افتعال من العصمة اي الاستمساك بالسنة نجاة من ورطة الضلال ودمة
الانهماك تعسف في اودية الضلال وفي سنن سعيد بن منصور كتب عمر بن الخطاب الى عماله بالامصار
بتعليم الناس احكام السنة والفرايض لانها اول علم يفقد ومن نصف العلم ينبغي تعليمها والعمل بها
وتعليم ما تعصم من مراعاة قوانينه اللسان من اللحن وروى الدارمي انه قال ان ناسا يجادلونكم اي
يغالبونكم ويخاصمونكم بالقران فخذوهم ردا للباطل بالسنة لانها كالقران وحي الا انه غير متلو فامره
صلى الله عليه وسلم ونهيه كامر الله ونهيه اذ ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فما لم يرد به القران
فقد ورد به السنة قال اصحاب السنن الجامعين لها كالبخاري ومسلم وابي داود اعلم بكتاب الله لانها
كالتفسير له منوهة بمعانيه واحكامه وفي خبره اي خبر عمر الذي رواه مسلم حين هل اي عمر بذي الحليفة

مكان بقرب المدينة الشريفة تصل منها اهلها واهل الشام الان ركعتين فقال اصنع كما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع محافظة على اتباع سنته وسلوك واضح محجته روى البخاري
والنسائي عن علي حين قرن بين الحج والعمرة فقال له عثمان تري من الراي لا من الرؤية اي تعلم
وتعتقد اني انهى الناس عنه اي عن القران وتفعله انت قال علي لعثمان لم اكن ادع سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اقتدا باثاره الحسنة وعنه اي عن علي ولا اعلم من رواه الا
مركبة من همزة استفهام وحرف نفي تنبيها على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا عري نفيا افاد تحقيقا
ومن ثم لا ترد الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم كان كما هنا اني لست بنبي ولا يوحى الي ما اعمل به
ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت بحسب الطاقة البشرية وكان ابن مسعود يقول
كما رواه الدارمي والطبراني واللالكائي في سننه عنه وعن ابي الدرداء القصد في السنة اي التوسط
بين الافراط والتفريط تمسكا بها خير من الاجتهاد في البدعة اي خير من بذل الوسع والطاقة في العمل
ملتبسا ببدعة ضلالة اذ هي المراد هنا ثم البدعة كما مر ما لم تكن في عهده صلى الله عليه وسلم وهي كما
قال ابن عبد السلام منها واجبة كمقدمات معرفة كتاب الله وسنة رسوله من نحو وبيان وغيرهما
لان حفظ الشريعة واجب وما لا يتم الواجب الا به واجب ومحرمة كمذهب القدرية والجبرية
والمرجئة فالرد عليهم حفظا للشريعة من بدعهم فرض كفاية ومندوبة كالتراويح وبنا الربط
والمدارس والكلام في دقايق الصوفية ومباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع
في لذيذ الماكل والمشارب والملابس والمساكن وتوسيع الاكمام هذا وقد روى البيهقي في مناقب
الشافعي عنه محدثات الامور ضربان ما خالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا فهو بدعة ضلالة
وما احدث في الخير فبدعة غير مذمومة وقال ابن عمر فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح
صلاة السفر ركعتان من خالف السنة اي عاند اكفر لمخالفته لها على وجه العناد اذ بني عليه
علامة الجحد لها اذ لا يكفر بمجرد المخالفة فهو به مبتدع لمخالفته الحق وقال ابي بن كعب فيما رواه
الاصفهاني في ترغيبه واللالكائي في سننه عليكم بالسبيل المستبين اي الزموه في اعمالكم خالصة
تقربا اليه تعالى بانواع الطاعات والسنة اي طريقته صلى الله عليه وسلم الحسنة الفضلى وشريعته
المثلى فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة تمثيل لحاله لتمسكه بهما ولزومه لهما حال
من عملا شيا وركبه ذكر الله في نفسه بدون تلفظ ففاضت عيناه اي سالت ادمعا من خشية
الله خوفا وحزنا وفزعا فيعذبه اي الالم يعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكره في نفسه فاقشعر اي انقبض واجتمع من خشية الله الا كان مثله كمثل
شجرة قد يبس ورقها قول مثل مضروب ثم ورده اعني تمثيل حط الخطايا بحط الورق اليابس بجامع
الذهاب فبينما هي في اوقات كونها كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات ورقها اي تساقطت
الا كرر بدلا او تاكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل واستينافا جوابا لمقدر كانه قيل ما
ذا ترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه خطاياه كما تحات عن
الشجرة ورقها اي تساقط عنها متبددا بالعري فان اقتصادا اي توسطا في سبيل وسنة خير من
اجتهاد في بدعة ضلالة خلاف سبيل وسنة وانظروا حرصا منكم ان يكون عملكم ان كان اجتهادا
او اقتصادا اي مبالغة جدا او توسطا ان يكون يجوز ان يكون بدلا من ان يكون او تاكيدا له لبعد

المسافة

المسافة بينهما باعتراض الشرط او استينافا جوابا لمقدر وهو على اي منهاج يكون عملهم فقيل
على منهاج الانبيا وسنتهم اي صراطهم السوي وشرعهم السوي وكتب بعض عمال اي نواب عمر بن عبد
العزيز اليه يخبره بحال بلده وما عليه العلما وكثرة اللصوص المتغلبة على الناس لاخذ اموالهم بالباطل
ولو مع قلتهم هل ناخذهم بالظنة اي بمجرد التهمة ام نحملهم على البينة وعلى ما جرت عليه السنة
من اقامة البينة واليمين وما يترتب عليهم من غرم وقتل وقطع وصلب بسبب ذلك فكتب اليه
عمر بن عبد العزيز خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة مما وردت به واستقرت عليه فان
لم يصلحهم الحق ولم ينتهوا به فلا اصلحهم الله ولا وفقهم الله وعن عطا في تفسير قوله تبارك وتعالى
فان تنازعتم اي اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شي من امور الدين فردوه اي ارجعوه فيه الى الله
والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسوله بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقال محي السنة وناصرها
الامام الشافعي ما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها اخذا وعملا على منهج الاستقامة
وقال عمر فيما رواه الشيخان ونظر الى الحجر الاسود اعتراض بين القول ومقوله حال من عمر مؤذنة
بصدوره منه مشاهدا له انك حجر لا تضر ولا تنفع وربما نفع اذ قد ورد انه يشهد لمن استلمه يوم
القيمة ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله اي وضع فمه عليه
بلا صوت تاسيا به صلى الله عليه وسلم وهو من مستحبات افعال الطواف كاستلامه والاشارة اليه
ورئي عبد الله بن عمر كما رواه احمد والبزار بسند صحيح يدير ناقته في مكان اي يطيف بها حوله حتى
عاد الى موضع بدايته فسئل عن ادارتها لاي شي فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعله ففعلته اقتدا به صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحيري شيخ الصوفية بنيسابور
نسبة الى الحيرة بمهملة مكسورة فمثناة تحتية محلة بها كان يسكنها من امر السنة على نفسه اي جعلها
اميرا حاكما عليها قولا وفعلا مميزان ازيلا عن كونهما مفعولين اي حكم قولها وفعلها فيها نطق بالحكمة
اي بما وافق الحق اذ كل كلام وافقه حكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة اي بما خالف الحق
اذ كل كلام خالفه بدعة ضلالة وقال سهل بن عبد الله التستري اصول مذهبنا معاشر الصوفية
لا المتصوفة فلذا رده الاضافة ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق من اداب ومكارم
ومحاسن اذ كان صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم قالت عايشة كان خلقه القران ياتمر باوامره وينتهي
بنواهيه والافعال العميمة النفع كالغيث ان جئته وافاك ريقه وان ترحلت عنه لج في الطلب
والاكل من الحلال اي طيب المكسوبات واخلاص النية في جميع الاعمال من شوايب الريا وبها قد تصير
العادات عبادات وجا في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه اي العمل الصالح هو الاقتدا به صلى الله
عليه وسلم في جميع ما جا به من توحيد وصلاة وصوم وزكاة وحج وتلاوة ودعا وتهليل وتسبيح وتكبير واستغفار
وغير ذلك وعن احمد بن حنبل قال كنت يوما في جماعة تجردوا اي عن ثيابهم ودخلوا الما بلا سترة فاستعملت الحديث
الذي رواه مثله الترمذي من كان يومن بالله اي يعترف بربوبيته واليوم الاخر انه حق وبما يكون فيه من بعث
وحشر وحساب وغير ذلك فلا يدخل الحمام الا بمئزر اي ازار يستر به عورته ولم اتجرد اي انا من ثيابي فرايت
اي في المنام تلك الليلة التالية ليوم تجردهم قايلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة
اقتدا باثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلك اماما يؤتم ويقتدى بك قلت من انت قال جبريل هذا
وابيك الشرف فصل ومخالفة امره صلى الله عليه وسلم بعدم الانقياد والاذعان له وتبديل سنته

اي تغييرها لفظا او معنى بتاويلها على خلاف مراده صلى الله عليه وسلم ضلال وبدعة متوعد من الله عليها
بالخذلان خلق قدرة المعصية فيه في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال تعالى اي منعا بالغا عما لا يليق به
فليحذر الذين يخالفون عن امره معرضين او صادين عنه بترك مقتضاه من خالفه فلانا عن الامر اذا اعرض
عنه دونه وعكسه من خالفه الى الامر اذا اعرض هو عنه دونك بشهادة وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
ان تصيبهم فتنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي مولم في الاخرة وهو قاض بان الامر للوجوب بشهادة ايذان
ترك مقتضاه باحد العذابين وايذان الحذر عنه بحسنه المشروط بقيام المقتضي والوجوب لازم لهما وقال
ومن يشاقق الرسول من الشق لان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر اي يخالفه من بعد ما تبين له الهدى
اي ظهر له الحق بمعاينة المعجزات ويتبع غير سبيل المومنين اي غير ما هم عليه من اعتقاد حق او عمله نوله ما تولى
اي نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدع ونصله جهنم اي ندخله منها فيها وساءت مصيرا لهم والاية مؤذنة بحرمة
مخالفة الاجماع ايضا بشهادة ترتيبه تعالى فيها الوعيد على مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المومنين قضا
بحرمة كل واحد منهما وقد اورد هنا مسنه احاديث ما لك شاهدا بحرمة مخالفته صلى الله عليه وسلم
وتبديل سنته ورواه مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة بتثليث الباء وذكر
حديث وصف امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد اي يبعد ويطرد البعير الضال مما عمى نفسه
ويبعد على الابعاد في طلب الكلاء والماء من الضلال وهو الضياع وفي الحديث لولا ان الله لا يحب ضالة العمل ما رزاناكم
عقالا اي لا يحب بطلان العمل وضياعه وقد تطلق الضالة على المعاني كما في حديث الكلمة الحكمة ضالة المومن
وفي رواية ضالة كل حكيم اي لا يزال يطلبها كما يطلب ضالته فاناديهم الا هلم اي تعال بلغة اي يطلقونه
على الجمع وعلى الواحد والاثنين والمؤنث بلفظ واحد مبنيا على الفتح وبنو تميم تونث وتثني وتجمع تقول
هلم هلمي هلموا فيقال انهم قد بدلوا فاقول سحقا سحقا اي بعدا بعدا انتصب بتقدير الزمهم
الله سحقا وظاهره انهم بدلوا دينهم كفرا بشهادة تكرير سحقا تاكيدا لابعادهم عن حوضه وحديث انهم
لم يزالوا مرتدين على اعقابهم ويجوز ان يراد بدلوا بعض معالم الدين كتاخير بعض الامرا الصلاة عن وقتها
المختار فلم يكونوا يوخرونها كما قال النووي عن جميع وقتها فهو المراد في حديث يا اباذر كيف بك
اذا كانت عليك امرا يميتون الصلاة عن وقتها او قال يوخرون الصلاة عن وقتها قلت يا رسول
الله فما تامرني قال صلها لوقتها فان ادركتها معهم فصلها فانها لك فضيلة ففي الحديث الحث على
الصلاة في اول وقتها وان الامام اذا اخرها عنه ندب للماموم ان يصليها اوله منفردا ثم مع الامام فيجمع
له فضيلتا اول الوقت والجماعة وعلى موافقة الامرا في غير معصية حذرا من تفريق الكلمة ووقوع
الفتنة وان الصلاة الاولى تقع فرضا والثانية نفلا وانه تندب الاعادة لاطلاقه صلى الله عليه
وسلم الامر بها بدون فرق بين صلاة وصلاة وقد شبه في الرواية الاولى تاخيرها عن وقت
الاختيار باماتة ذي حياة ثم اشتق منها يميتون فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل
تبعية او شبهها على طريقة الاستعارة المكنية بذي حياة واثبت لها الاماتة تخييلا وروى انس
حديثا طويلا فيما رواه الشيخان اخره فمن رغب عن سنتي اي عما جاء به مما امر به ونهى عنه والفاء
متعلقة بمحذوف اي لكني افعل ذلك لاسن لكم طريقتي المثلى فمن لم يعمل بها فليس مني اي فليس بمتصل
بي من قولهم فلان مني كانه بعضه ويتحد به او ليس من اشياعي واتباعي وقال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الشيخان من احدث في امرنا ولمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا وفي رواية من ادخل في ديننا

هذا

هذا الامر حقيقته القول الطالب ومجازه الفعل والشان والطريقة واريد به هنا الدين
من حيث انه شانه وطريقته لتعلقه واهتمامه به بحيث لا يخلو عنه شيء من اقواله وافعاله
وتقريراته اي من اخترع في الاسلام ما ليس منه اي ما لم يكن له من الكتاب والسنة ظاهر
او خفي ملفوظ او مستنبط فهو رد مصدر بمعنى المفعول اي مردود لمخالفته السنة وفيه
تلويح بان ديننا قد كمل وظهر كضوء الشمس بشهادة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا فمن اراد زيادة حاول ما ليس بمرضي وفي قوله صلى الله عليه وسلم ما ليس منه اشارة
الى ان ما احدث بدليل عاضد محمود وروى ابن ابي رافع كما مر قريبا من رواية ابي داود والترمذي
وابن ماجة عن ابيه ابي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته نفى لنفسه
صلى الله عليه وسلم عن ان يراهم على تلك الحالة مريدا به نهيهم عن ان يكون عليها فانهم ان كانوا عليها وجدهم
كذلك فهو كناية ايمائية والطلاق للسبب على سببه والاريكة سرير مزين في حجلة في ستر ولا يسمى
بدونها اريكة وقيل هي كل ما اتكى عليه ياتيه حال ثالثة اما من الامر او من مصاحب الاولين وهما
متداخلتان افادتا كون موصوفهما من ذوي الرفاهية والدعة الذين رفضوا الاتصاف بالكمالات
تكبرا وعتوا بشهادة الحال الثانية اذ قد وردت موكدة مفرعة لحماقته وبطره وسوء ادبه اي لا اجدن
ولا الفين احدكم حال اتكائه حال جلوسه على اريكته حال كونه ماتيا اليه الامر او اتيانا ان الامر
من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري غير كتاب الله ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وقد مر لهذا مزيد بيان فراجعه ان شئت زاد المقدام في حديثه الذي رواه الترمذي والحاكم عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وان ما حرم رسول الله اي وان ما احل مثل ما احل الله ثم يحتمل ان تكون
هذه الزيادة من المقدام نفسه وان تكون منه صلى الله عليه وسلم فقوله حرم رسول الله دون حرمت
فوضع الظاهر موضع المضمر التفاتا من التكلم الى الغيبة لما في الالتفات من مزية البلاغة وتنويها
بانه صلى الله عليه وسلم هو الذي يستحق ان يحرم كما حرم الله لا غيره تفخيما لشانه وتعظيما لقدره
فيجب اجتناب ما حرمه لانه يوحى من الله بشهادة وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال
صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود في مراسيله والدارمي والفريابي وابن جرير وابن المنذر
وابن ابي حاتم عن يحيى بن جعدة وحي بكتاب الله مصدر بمعنى مفعول اي مكتوب في كتف والاتي به
عمر او ابنته حفصة او عائشة او غيرهم واجملنا ان حالا لاعتراض ورد مؤذنا بانه سبب من الراوي
والباء زائدة وانما ازيل عن اصله لان التفصيل بعد الاجمال اوقع في النفس الا ترى انه لما قيل كفى بقوم
افاد ان ثم شيئا يكفي فكان مجملا فلما قال حمقا عاد مفصلا والاصل كفى الحمق او الضلال قوما ان يرغبوا
عما جاءهم به نبيهم معرضين عنه ملتفتين الى ما جاء به غير نبيهم او ملتفتين الى كتاب غير كتابهم
هذا لفظ ما رووه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى
الله عليه وسلم كفى بقوم حمقا او ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم
فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب عطف على ما دل عليه قوله وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه
اي اقالوا ذلك ولم يكتفوا بانزالنا عليك اية مغنية لهم عما اقترحوه تعنتا واقتراحا يتلى عليهم دائما
ما بقيت الدنيا متحدين ويتلى على اليهود بتحقيق ما بايديهم من صفتك وصفة دينك الحق هذا
وصنيعه ومن ذكر من الرواة مؤذن بان ضمير يكفهم عائد على من جاء من الصحابة بالكتاب في كتف

كعم فيلزم ان يكون نزول الاية مسببا عن قوله صلى الله عليه وسلم كفى بقوم المسيب عن المجيء به لا عن
قولهم لولا انزل عليه اية من ربه وسوقها يا باه الان يقال انها نزلت مرتين فيكون نزولها
مسببا عنهما وروي مسلم عن ابن مسعود انه قال هلك المتنطعون من التنطع وهو الغار الاعلى من
الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا اي المتعمقون الغالون في افعالهم واقوالهم كلاما من اقصى حلوقهم
وروي ابو داود وغيره قال ابو بكر الصديق لست تاركا شيا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعمل به الا عملت به اقتفا لاثاره الحميدة وسنته المجيدة اني اخشى ان تركت شيا من امره
الذي كان عليه ان ازيغ عن الحق واعدل عنه فيصرف الله قلبي عن قبوله وعن الميل الى الصواب
الباب الثاني في ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته صلى الله عليه وسلم لكل مكلف
تحذف للتعميم كما في والله يدعوا الى دار السلام اي كل احد الى دار من دخلها سلم من الافة والغنا قال تعالى
قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم من العشيرة بكسر المهملة وسكون المعجمة
والعشيرة بفتحهما اي قرابتكم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها
بفوات زمان نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم حبا اختياريا من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا تهديد ووعيد شديد ونعي على من تحلى هذه الصفة حتى ياتي الله بامره غاية
للتربص وهو المكث والانتظار اي امكثوا منتظرين حتى تدهمكم عقوبة عاجلة او اجلة او فتح مكة
فكفى بهذا التهديد والوعيد الشديد حضا اي حثا وتحريضا وتنبيها ودلالة وحجة مميزات لنسبة
كفى اذ ان تكريرها بتاكيد كفاية الاية في كونها حجة على الزام محبته صلى الله عليه وسلم من الله تعالى
اياناو وجوب فرضها وعظيم خطرها اي قدرها العظيم واستحقاقه صلى الله عليه وسلم لها اذ
قد قرع بقاف فراء مشددة اي وبخ الله من كان ماله واهله من اباء واخوان وازواج وعشيرة
ومتاجر ومساكن وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم من الابعاد يستعمل في الشر
والوعد فيه وفي الخير فاذا اسقطا قالوا في الخير وعد وفي الشر وعيد وايعاد بقوله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم فيه انهم ممن ضل ولم يهده الله بقوله والله
لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يرشدهم ومن مؤاذنة بتهديد عظيم لا خلاص منه الا ذو اعناية
وقد روى هنا ما جا به مؤيد الما ورد بها من طريق البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم خصوا هنا بالخطاب لانهم هم الموجودون لذ ذاك والحكم عام لم يخص به احد
لشهادة وقوع من نفي عنه الايمان او كماله نكرة في حيز النفي بدون خطاب في رواية مسلم عبد وروايه
غيره احد اي ايمانا كاملا او لا يكمل ايمانه لشهادة رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى
اكون احب اليه غاية لنفيه او كماله وحتى هنا جارة لمغايرة ما بعدها لما قبلها هذا ومن كمل ايمانه
علم ان حقيقة الايمان لا تتم الا بترجيح حبه صلى الله عليه وسلم على حب كل من ولده ووالده والناس
اجمعين حبا اختياريا ايثارا له صلى الله عليه وسلم على ما يقتضي العقل رجحانه من حبه احتراما
واكراما واجلالا وان كان حب غيره لنفسه وولده مركوزا في غريزته وروي الشيخان عن انس ثلاث
نكرة هي صفة لمحذوف ومن ثم وقعت مبتدا كضعيف في مثل ضعيف عاذ بقرملة اي حيوان او انسان
ضعيف لجا الى شجرة ضعيفة اي خصال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان خبره او صفة لثلاث
ان يكون الله ورسوله احب اليه بدل من ثلاث في الاول وخبره على الثاني او خبر مبتدا محذوف

اي

اي من كون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ايثارا لحبهما على حب ما تهوى نفسه من ولد وغيره
قيل في تثنية ضمير بهما هنا مع انكاره كما مر على خطيب ثنا هما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله
بئس الخطيب انت ايما الى ان المعتبر في المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة منفردة واشعارا بان
كل واحد الفصلين مستقل بلزوم الغواية له لشهادة العطف فان كونه في تقدير التكرير
مؤذن باستقلال كل من المعطوف والمعطوف عليه بترتب الغواية عليه منفردا وان يحب المرء لا
يحبه الا لله لا لامر اخر كاحسان ودفع مكروه وجمال وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف
في النار لثبات ايمانه وتمكنه بجنانه بمخالطة بشاشته له بسطوع نوره فيه فينشرح ويطمئن
مستلذا به ومن ثم شبهه على طريقة الاستعارة المكنية بذي حلاوة واثبتها له تخييلا ولترتبها
عليه جعل الثلاثة عنوانا لكماله لان المرء لا يكمل ايمانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم القادر على
الاطلاق لا مانح ولا مانع سواه وان الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبينه شارع لهدايته
له في اصلاح شانه ورفعة مكانه وذلك مؤذن بوجوب ترجيح محبتهما وان ما وعد به واوعد
عليه حق لا يتزلزل ساحته ريب فيتيقن انهما كالواقع فيرغب ويرهب وروي البخاري عن عبد الله
ابن هشام عن عمر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت مبتدا ولامه موذنة بقسم محذوف اي
والله لانت احب الي خبره من كل شي الا نفسي التي بين جنبي جريا على مقتضى الطبيعة ان الانسان
لا يرى احب اليه من نفسه لكونه جبليا لا اختياريا وقبل علمه بان حب الله ورسوله مقدمان
على حب كل شي من نفس وولد وغيرهما حبا اختياريا تكليفيا ومن ثم ارشده صلى الله عليه وسلم
الى ذلك فقال له لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ايذانا بوجوب ايثار محبته
صلى الله عليه وسلم على محبة غيره فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
اذعانا وانقيادا لايثار محبته صلى الله عليه وسلم على محبة نفسه فقال صلى الله عليه وسلم الان
يا عمر قد استقمت ايمانا وقال سهل هو ابن عبد الله التستري من لم ير ولاية الرسول عليه
هي بمعنى السلطان والملك فانه صلى الله عليه وسلم مولى كل احد ومالكه وناصره في جميع احواله ويرى
نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته مثل ضرب لما يدرك منها مما يستلذ
به النفس وينشرح له القلب من علوم واداب واقتفا لاثاره الكريمة يقوم للروح مقام الطعام
والشراب للجسد اي لا ينال ذلك الا من اداخل عنقه في ربقة ملكه وراى ان تصرفه فيه نافذ في
جميع احواله او شبه ادراك معانيها بدون حلاوة حلو تنبسط له النفس وينفسح له الصدر ثم اشتق
منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فمن لم يدرك لم ينل حلاوتها
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه
الحديث منصوب باعني او نحوه وتمامه كما مر وماله وولده ووالده والناس اجمعين فصل
في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم مما يرجوه محبه في الدنيا وتمنحه في الاخرة وقد روي هنا مسندا
مما يشهد له من طريق البخاري حديث انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
هي جزء من اربعة وعشرين جزءا هي مجموع اليوم والليلة او هي جزء منه او من الليل من قولهم جلست
عندك ساعة من النهار اي وقتا قليلا منه ثم استعير ليوم القيمة اعني الوقت الذي تقوم فيه
فهو زمن قليل يحدث فيه امر عظيم ومن ثم سميت الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها

تبعا

اي ماهيأت لما بعد ذاك من شدايدها وتفاقم اهوالها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صيام
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فان حبهما ادرا لذلك واعظم وقاية منه وفي الاستفهام ترغيب
في حيازة الاعتداد له وتلويح بعظيم نكايته قال انت مع من احببت وداخل في زمرتهم ترغيبا له
ولمن يجي نحوه لحيازتهم شرف مرافقة اقرب عباد الله اليه وارفعهم درجات عنده كما في حديث
الترمذي والنسائي عن صفوان بن قدامة المرء مع من احب وروى الترمذي عن علي ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابنا علي من فاطمة ابنته صلى الله عليه وسلم من احبني واحب
هذين واباهما وامهما اي مال الي واليهم اختيارا مقترنا بالايمان كان معي في درجتي يوم القيمة
في الجنة مع من انعم الله عليهم لا طبيعة لحب الانسان نفسه وولده لخروجه عن حد الاستطاعة
مركوزا في غريزته ولا تكلف نفس الا وسعها وروى الطبراني وابن مردويه عن عايشة وابن عباس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لانت احب الي من اهلي ومالي نفسا وزوجة وعيالا
واني لاذكرك فما اصبر عنك رؤية اذ قد اشغفتني حبا حتى انظر اليك فيطمئن قلبي وتقر عيني
واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم ترغيبا له ولغيره من المؤمنين ذوعد وامرافقة اكرم عباد الله عليهم
واقربهم اليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان لما انعم الله عليهم بما اخفي لهم
من قرة اعين حالا منه او من ضميره وذكرهم بحسب مقاماتهم علما وعملا وحث على اتباعهم اولهم الانبيا
الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل فالصديقون الصاعدة
انفسهم مدارج النظر والبيان تارة ومعارج التصفية والعرفان للاشيا على ما هي عليه فاخرى
عيانا اخرى فالشهدا الذين اخذ بهم حرصهم الى الطاعة واظهار الحق وبذل انفسهم في اعلا كلمة الله
فالصالحون المنفقون نفايس اعمارهم واموالهم في طاعته وحسن اولئك رفيقا حال او تمييز فيه
معنى التعجب اي ما احسنهم رفيقا ولم يجمع لمقوليته على الواحد والجمع كالصديق او للارادة ان في كل
واحد منهم رفيقا وفي حديث اخر لا ادري من رواه كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر
اليه لا يطرف اي لا يغض بصره مطرقا راميا بصره الى الارض فقال له اي النبي صلى الله عليه وسلم
ما بالك اي ما شانك تنظر الي لا تطرف فقال بابي انت وامي اي افديك بهما اتمتع بالنظر اليك
اي انتفع به مدة امكانه في الدنيا فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله اياك فانزل الله ومن
يطع الله والرسول وفي حديث رواه الاصفهاني في ترغيبه عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احبني كان معي في الجنة وان تفاوتت مراتبهما فيها لعدم لزوم تساوي مراتبهما من كونه معه فيها
فصل فيما روي عن الايمة الاعلام والسلف علما وصلحا فهو عام عطف على خاص من محبتهم له
صلى الله عليه وسلم وشوقهم اليه رؤية وصحبة لشدة محبتهم له وقد روي هنا من شواهد ذلك
حديث مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا تمييز للنسبة اشد
ناس يكونون بعدي يود احدهم بيان لشدة حبهم له صلى الله عليه وسلم على طريقة الاستيناف لو رآني
حكاية لودادهم مع افادة معنى التمني باهله وماله وقد تقدم عن الصحابة وغيرهم شواهد كثيرة
بذلك روى ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك

بالحق

بالحق اي بالدين الحق مصحوبا به لاسلام ابي طالب جواب القسم يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي
اسلامه اقر لعيني من القر وهو البرد فان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من القرار فان العين
اذا رات ما يسر سكنت اليه النفس ثم لا تستشرف الى غيره من اسلامه يعني ابو بكر اباه ابا قحا فة
بقاف مضمومة وفاء بينهما مهملة فالف وذلك اي كون اسلام ابيه من اجل ان اسلام ابي طالب
كان اقر لعينك يا رسول الله ونحوه حديث البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر انه قاله اي قال
حديث ابي بكر للعباس ان تسلم بكسر همزة او فتحها شرطية ان كان قاله قبل اسلامه ترغيبا له في
الاسلام او مصدرية ان كان بعده اي اسلامك احب الي من اسلام الخطاب يعني اباه لان ذلك
اي اسلام العباس احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان احب الي من اسلام الخطاب وعن ابن
اسحاق والبيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص مرسلا ان امراة من الانصار قتل ابوها
واخوها وزوجها في سبيل الله يوم احد جبل بالمدينة اي زمن وقعته مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكفار قريش فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو منتصر على عدوه
بحمد الله كما تحبين قالت لبعض اصحابه ارنيه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك اي غير مصيبتك
جلل بفتح اوله وثانيه اي هين حقير وسئل علي ولا ادري من رواه كيف كان حبكم لرسول الله صلى
الله عليه وسلم استفهام له عن حال حبهم له صلى الله عليه وسلم في القوة لان كيف كما يستفهم بها
عن حال الشي قال كان اي رسول الله صلى الله عليه وسلم والله قسم لامر مهم هو كونه احب الينا من
اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا جمع امهة وخص بجماعات ادم لشهادة امهي خندف والياس
ابي وبقال في البهايم امات وكان احب الينا من الماء البارد على الظما اي شدة العطش ونبه بالعادة
الجاري على انه اشد نفعا اذ هو انعش للمهج واطفا للحرارة وادفع لالم القلب وضعف البدن روى
ابن المبارك في الزهد عن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس الناس ويتخبر عن احوالهم على عادته في
خلافته فراى مصباحا في بيت فقصده واذا عجوز تنفش صوفا اصلاحا له وهي تقول من مشطور
بحر السريع عروضه وضربه موقوفان على محمد صلاة الابرار اي تعظيمهم له صلى الله عليه وسلم في
الدنيا باعلا ذكره واظهار امره وابقاء شريعته وفي الاخرة بتشفيعه في امته وتضعيف اجره
والابرار جمع بر وبار صلى عليه الطيبون الاخيار جمع خير بالتشديد قد كنت صواما وفي رواية
قواما اي كثير الصوم او القيام للعبادة بكا بضم الموحدة فقصر لضرورة الوزن واصله بفتحها ممدود
مشدد الكاف مبالغة في كثرة البكا بالاسحار خصها بالبكا لانها اوقات خلوة وتضرع وابتهال
اليه تعالى قال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نايم يا ليت شعري
اي علمي والمنايا اطوار جملة حالية او وردها اعتراضا بين ما تمنت به وتمنته افادت بها ان ما
يحول بين المرء ومتمناه له حالات شتى مختلفة اي ليت علمي حاصر واعلم به هل يجمعني وحبيبي الدار
ام يحولن من بين ذاك الردى تعني اي المراة النبي صلى الله عليه وسلم والجنة دار القرار والمنايا جمع
منية وهي الموت من منى الله عليك بمعنى قدر ومن ثم سمي منية لانه مقدر بوقت مخصوص وقد
ورد ان منشدا انشد النبي صلى الله عليه وسلم • لا تامنن وان امسيت في حرم • حتى تلاقي ما يمنى لك المانى
• فالخير والشر مقرونان في قرن • بكل ذلك ياتيك الجديدان • فقال صلى الله عليه وسلم لو ادرك هذا
الاسلام لاسلم اي حتى تلاقي ما قدر لك المقدر وهو الله تعالى فجلس عمر يبكي وروى كما في عمل اليوم

والليلة لابن السني ان ابن عمر خدرت رجله بفتح الخاء وكسر الدال اي فترت وضعفت عن الحركة
باجتماع عصبها فقيل له اذكر احب الناس اليك فصاح يا محمداه لم يعطفها على جملة فصاح لكمال
اتصال بينهما لان الثانية من الاولى بمنزلة عطف البيان من متبوعه فهي كعمر في اقسم بالله ابو حفص عمر
ما مسها من نقب ولا دبر حيث جعله بيانا وتوضيحا لابي حفص فانتشرت اي رجله التي خدرت
ولما احتضر بلال اي حضرته الوفاة نادت امراته واحرباه محركا وهو في الاصل النهب والسلب
فكانها لفجعها وحزنها بموته قد نهبت وسلبت فقال اي بلال واطرباه غدا نلقى الاحبه محمدا
وصحبه من مجزو بحر الوافر عروضه وضربه مقطوفان وجزؤه الاول معصوب والثالث
معقول وروى البيهقي عن عروة لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بمهملة مفتوحة فمثلثة مكسورة
من الحرم ليقتلوه صبرا وكان قد اسر مع خبيب يوم الرجيع فباعوهما بمكة قال ابو سفيان انشدك
الله اي سالتك واقسمت عليك يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه وانك
في اهلك اعاذه الله من ذلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة واني جالس في اهلي اي بالمدينة الشريفة لانه صلى الله عليه وسلم هو المفدا بالاباء
والامهات فلا يحب احد ان يصيبه ما يؤذيه فقال ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا اي احتراما واكراما لا رياء وسمعة وروى ابن جرير والبزار عن ابن عباس كانت المراة اذا
اتت النبي صلى الله عليه وسلم اي مهاجرة الى الله ورسوله حلفها بالله ما خرجت من ارضها الا به
صلى الله عليه وسلم من بغض زوج ولا رغبة بارض اي في ارض عن ارض وما خرجت من ارضها
الا حبا لله ورسوله وروى ابن سعد وقف ابن عمر على ابن الزبير اي عند جذعه الذي صلبه
عليه الحجاج قاتله الله بالمعلى بعد قتله عند البيت فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت
صواما قواما اي كثيرهما هذا وابيك الشرف محب الله ورسوله فصل في علامة حبه
صلى الله عليه وسلم مصدر مضاف الى مفعوله اي يذكر فيه ما يؤذن بحب غيره له اعلم امر لكل من
يتاتى توجيهه اليه ولم يرد به معينا سد مسد مفعوليه ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته
اي قدمها على كل ما يمكن تقديمها عليه والا يؤثرها عليه لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا وصلا لليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا فالصادق في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه
بحيث لا تخفى بل لا تشتبه على ذي فطنة واولها الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في افعاله واقواله
بقدر الامكان لشهادة حديث وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم واستعمال سنته بحسب تعابيرها
عملا وتركا واتباع اقواله وافعاله ليعمل بها وامتثال اوامره جمع امر وجوبا وندبا واجتناب
نواهيه حرمة وكراهة والتادب بادابه اي الاقتداء به فيما جبل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن
الشيم في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه مصدران بمعنى النشاط والكراهة اي محبوبه الذي
ينشط له ويخف اليه ويؤثره ومكروهه الذي هو ضده وشاهد هذا اي ما ذكر كله قوله تعالى
حال لازمة اي متعاليا قل ان كنتم تحبون الله اي تريدون طاعته وترغبون فيما يقربكم اليه فاتبعوني
حريصين على متابعتي يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم اي يرضى عنكم ويتجاوز عما فرط منكم ويقربكم في كنف
عزه ويبوئكم حضرة قدسه وايثار ما شرعه اي تقديم ما اظهره وبينه واجبا ومندوبا ومباحا
وحراما ومكروها وخلاف الاولى وحض اي حث وحرض عليه فعلا وتركا وتقديمه على هوى نفسه

مصدر

مصدر هوي بكسر الواو تهوى بفتحها اي محبوبها الذي لا تكاد تؤثر عليه غيره وموافقة شهوته
قال الله تعالى مما يؤذن بمدح الايثار والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم اي اتخذوا المدينة
منزلا ولزموها واخلصوا ايمانهم او جعل لتمكنهم واستقامتهم عليه مستقرا لهم وموطنا كما جعلت
المدينة مستقرا لهم يعني الانصار لشهادة يحبون من هاجر اليهم من قريش او غيرهم ولا يثقل
عليهم ولا يجدون في انفسهم صوابه في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم
الى ما اعطي المهاجرون من فيء وغيره ولم يختلج به حزازة وغيظ وحسد لهم عليه ويؤثرون اي
ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امراتان نزل عن احدى زوجتيه وزوجها
باحدهم ولو كان بهم خصاصة اي خلة وحاجة من خصاص البناء اي فرجة وسبب نزولها انه
صلى الله عليه وسلم قسم بينهم مال بني النضير ولم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة محاويج ابا دجا نة
سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم كانت لكم دياركم
واموالكم ولا تاخذوا منه شيئا فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالفيء ولا نشارككم
فيه هذا وابيك الكرم لله درهم ما اعونهم على البر والتقوى واثرهم على انفسهم بالخير وكان هذا الفيء
من اموال بني النضير له صلى الله عليه وسلم خاصة مدة حياته ينفق منه على عياله وما بقي فللمصالح
وانما يخمس كما سياتي اخر الكتاب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم واستعمال سنته قولا وفعلا وامتثا ل
اوامره ونواهيه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضي عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه
سخط عليه واسخطهم عليه كذا ورد به الحديث وقد روي هنا من شواهد حديث الترمذي قال
انس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني تصغير شفقة ومحبة يجوز كسر يائه وفتحها
ان قدرت على ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل فان من غشنا ليس منا ثم قال لي
وذلك اي تركه اضمار الغش في قلبه لاحد من سنتي اي ديني الذي لا عوج فيه ولا امتا ومن احيى
سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة من الشكل الاول معيار العلوم نتيجته طرفا مقدمتيه
موضوع صغراه ومحمول كبراه هكذا من احيى سنتي كان معي فيها فمن اتصف بهذه الصفة اي بان لا
يكون في قلبه غش لاحد او باحياء سنته صلى الله عليه وسلم فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن
خالفها اي سنته صلى الله عليه وسلم في بعض هذه الامور كترك تادب معه صلى الله عليه وسلم
او ترك مامور به او فعل منهي عنه فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها اي اسم المحبة بل يكون متصفا
بهما ودليله اي دليل كونه لا يخرج عن اسمها قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري عن عمر
للذي حد في الخمر اللام في الموصول لمي في وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اي قوله في حقه وشانه فلعنه بعضهم وفي البخاري فقال بعضهم خزاك الله وقال تعجبا
وتعجيبا من كثرة الاتيان به مثلا ما اكثر ما يؤتى به لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكفاك
به شاهدا بكذب من قال بكفر من فعل كبيرة او هي مخرجة له من الايمان ولا يدخل في الكفر
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره مصدر مضاف الى فاعله اي كثرة
ذكر محبه له صلى الله عليه وسلم واللام لتقوية المصدر تنزيلا له منزلة مصدر فعل لازم
الى مفعوله كما في وانه لذكر لك وايمان لك من احب شيئا اكثر ذكره تدلها وشغفا
به وهو كالعلة لما قبله ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة شوقه الى لقائه

ومشاهدة ذاته الكريمة فكل حبيب يحب لقاء حبيبه كالعلة لما قبله وكلاهما فعيل فالاول بمعني
فاعل اي محب والثاني بمعني مفعول اي محبوب وفي حديث الاشعريين اي موسي واصحابه
عند قدومهم من اليمن والحبشة المدينة انهم كانوا يرتجزون يقولون غدا نلقي الاحبه
جمع فعيل بمعني مفعول اي محبوب محمدا وصحبه اسم جمع لصاحب بمعني الصحابي وهو من اجتمع به حبيب
صلي الله عليه وسلم مؤمنا وليس من بحر الرجز وان اقتضاه قوله يرتجزون بل من بحر الوافر كامر
ويجوز ان يكون من الهزج عروضه وضربه محذوفان وجزؤه الثالث مقبوض ومن علاماته
اي علامات لقاء المحب حبيبه مع كثرة ذكره له تعظيمه له لامه لتعدية المصدر كامر وتوقيره
حق توقيره عند ذكره تنويها لرتبة محله واظهار الخشوع اي خضوع وانكسار اي لين وتودد مع
سماع اسمه صلي الله عليه وسلم قال اسحق التجيبي بضم اوله وفتحه نسبة الي تجيب قبيلة من كندة
كان اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بعده اي بعد وفاته لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت
اي خضعوا وانقبضت خاضعة جلودهم وبكوا لفراقه شوقا اليه وكذلك اي ومثل اصحابه في ذلك
كثير من التابعين لهم باحسان كان منهم من يبكي ويقشعر ويخشع لهم محبة له وشوقا اليه
ومنهم من يفعله اي ومن التابعين من كان يبكي ويقشعر ويخشع تهيبا وتوقيرا اجلالا له
وتكريما ومنها محبته اي محبة الانسان لمن احب النبي صلي الله عليه وسلم او احبه النبي صلي الله
عليه وسلم ومحبة من هو بسببه من آل بيته وصحابته جمع صحابي من المهاجرين والانصار ومن
محبته صلي الله عليه وسلم عداوة من عاداهم اي تجاوز الحد الشرعي في حقهم ظلما وبغض من
ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم اي شتمهم وهو حرام من اكبر الفواحش يعزر فاعله وسيرد
عليك انه من الكبائر فمن احب شيا احب من يحب اي من يحبه ذلك الشي وروي البخاري وغيره
قال صلي الله عليه وسلم في الحسن والحسين اي في حقهما وشانهما اللهم اني احبهما فاحبهما
اي اردلهما الهدي والتوفيق في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة وقال اي النبي صلي الله عليه
وسلم فيما رواه الترمذي الله الله في اصحابي اي اتقوا الله فيهم ولا تلمزوهم بسوء واذكروا الله
فيهم وفي تعظيمهم وتوقيرهم وتكريره مؤذن بالحث علي الكف عن التعرض بسوء مما ينقصهم
لا تتخذوهم غرضا بعدي بمعجمة اي هدفا ترمونهم بما لا يليق كما يرمي الهدف بالسهام فمن
احبهم فبحبي اي فبسبب حبه اياي وحبي اياهم احبهم ومن ابغضهم فببغضي اي فبسبب بغضه
اياي ابغضهم اي انما احبهم اما لحبه اياي او لاني احبهم احبهم ايا لهم وانما ابغضهم لبغضه اياي لحق
لذلك قول المالكية لمن سبهم قتل ومن اذاهم بما يسوؤهم من بوايقه وغطايمه فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذي الله بذكره بما لا يليق بكريم جنابه ولا يضره ذلك بشهادة قوله
تعالي في حديث مسلم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ومن اذي الله يوشك ان ياخذه
اخذ عزيز مقتدر لا يغالب ولا يعجز وقال فيما رواه البخاري وغيره في فاطمة ابنته اي في
حقها وشانها انما بضعة بفتح اوله وقيل وقد يكسر اي جزء مني كقطعة من لحم يغضبني ما
اغضبها مما لا يرضيها وقال فيما رواه الشيخان اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم
اي علامة كمال ايمان من امن او علامة نفس ايمانه حبهم ونصرهم ظاهر الحديث وحديث
لا يحبهم الا مومن ولا يبغضهم الا منافق وخصوا بذلك اكراما لهم لحسن وفايهم بما عاهدوهم عليه

من

عليه من انه اذا هاجر اليهم اووه واصحابه ونصروه علي اعدائه وحسن جواره ورسوخ صدقهم
له وخلوص مودتهم ولا يلزم منه ترجيحهم علي المهاجرين الذين فارقوا اوطانهم واقاربهم واولادهم
وحرموا اولادهم حبا الله ورسوله ومسارعة في رضاهما وكفاك شاهدا بافضليتهم علي الانصار
حديث لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار لايذانه بجلالة رتبة الهجرة وانه صلي الله عليه وسلم
نبي مهاجري من المهاجرين وفي حديث ابن عمر كما تقدم من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم اي انما يحبهم بسبب حبه اياي وانما يبغضهم بسبب بغضه اياي بشهادة
حديث الترمذي عن سلمان قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دق
دينك قلت كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني فبالحقيقة من احب
شيا احب كل شي يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اي طريقتهم الحسنة في حبهم ما احبه
صلي الله عليه وسلم حتي في المباحات وشهوات النفس فانهم كانوا يحبون ما احب صلي الله
عليه وسلم منها وليشهد له ما قد قال انس انه راي النبي صلي الله عليه وسلم يتتبع الدبا بالمد
وحكي قصره اي القرع واحده دباة من حوالي القصعة بفتح القاف اي من جوانبها فما
زلت احب الدبا من يومئذ اي من يوم راه يتتبعها وياكلها حبا لها لحبه صلي الله عليه وسلم
اياها وهذا الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر ابو سلمي خادمه صلي الله عليه وسلم
مولاه عمته صفية زوجة ابي رافع قابلة ابنه ابراهيم داية ابنته فاطمة غاسلتها مع اسما
بنت عميس وسالوها ان تصنع طعاما مما كان يعجبه صلي الله عليه وسلم حبا له لحبه صلي
الله عليه وسلم اياه وكان ابن عباس يلبس النعال السبتية نسبة الي السبت وهو جلد البقر
المدبوغ بالقرظ يتخذ منه النعال سميت سبتيه لان شعرها قد سبت عنها اي ازيل ويصبغ
بالصفرة نبت يصفر اللحية كالحنا والكتم اقتداء به صلي الله عليه وسلم اذ راه يفعل نحو ذلك
هذا والذي في الصحيح ان الذي كان يفعل ذلك هو ابن عمر ومنها اي من علامات محبته
صلي الله عليه وسلم بغض من ابغض الله ورسوله اي بغض من ابغضاه كابوي لهب وجهل
وبغض الله ارادة عقاب من ابغضه وايقاع الهوان به ومعاداة من عاداه اي من اتخذه
صلي الله عليه وسلم عدوا ومجانبة اي اجتناب من خالف سنته صلي الله عليه وسلم وعمل بغيرها
وابتدع في دينه اي اظهر فيه البدع مما لم يوافق اصوله وخالف قواعده كترتيب بعض القضاه
المكوس علي الدعاوي الشرعية واحكامها وعقود الانكحة وغير ذلك ورفض كثير من الحكام
لحد الزنا رجما وجلدا اكتفاء عنه بالمال رغبة فيه قال الله تعالي اعلاما بذلك لا تجد قوما
يومنون بالله واليوم الاخر اي يمتنع ان تجد قوما مؤمنين يوادون من حاد الله ورسوله
اي لا ينبغي ان يكون وحقه ان يمتنع مبالغة في النهي عنه وفي مجانبة اعدائهما ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وهؤلاء اصحابه صلي الله عليه وسلم قد قتلوا احباهم
وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم احد ومصعب بن
عمير قتل اخاه يوم احد وعمر قتل خاله العاصي بن هشام يوم بدر وقال له صلي الله عليه
وسلم عبد الله بن عبد الله بن ابي علم النفاق وراس الكفر كما رواه البخاري لو شيت لاتيتك
براسه يعني اباه عبد الله بن ابي ومنها اي من علامات محبته صلي الله عليه وسلم ان يحب

القرآن الذي اتى به لتسند اليه بانزاله ليبين للناس ما نزل اليهم وهو مصدر كالغفران
واصله ومن ثم سمي قرانا لجمعه السور والايات والاحكام والامر والنهي والوعد والوعيد
والقصص وغيره كذلك وهدى به بشهادة وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي دين الاسلام
واهتدى به ايضا وتخلق اي اتخذه خلقا قالت عايشة كان اي النبي صلى الله عليه وسلم خلقه
القرآن اي كان متمسكا بادابه واوامره ونواهيه وما اشتمل عليه من مكارم ومحاسن
والطاف وحب للقرآن ان يكون من دابه تلاوته والعمل به وتفهمه جعل حبه له نفس
الثلاثة لتسببها عنه ومنها ان يحب سنته اي ما جاء به وندب اليه قولا وفعلا مما لم يرد به
الكتاب العزيز واصلها الطريقه والسيره ويقف عند حدودها اي محارمها وعقوباتها
المقرونة بالذنوب واصل الحد المنع والفصل فكان حدود الشرع فصلت بين الحلال
والحرام فمنها ما لا يقرب كالفواحش المحرمة قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها ومنها
ما لا يتعدى اي لا يتجاوز كالمواريث المعينه ونكاح الاربع قال تعالى تلك حدود الله فلا
تعتدوها هذا وقد تكرر في هذا الفصل ذكر علامات حبه صلى الله عليه وسلم غنية عن
البيان لوضوحها فلا نطول بذكرها لواضحات كتابنا ومن علامات تمام محبته زهد مدعيها
اي مدعي محبته في الدنيا باعراضه عنها وتركه الالتفات اليها وسئل الزهري عنه فقال
هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره اي لا يعجز شكره عما رزقه الله من الحلال ولا صبره
عن تركه الحرام وايثاره الفقر اي اختياره اياه وتقديمه على الغنى واتصافه به اي بالفقر
وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد مالك بن سنان الخدري ان الفقر الى من يحبني
منكم اسرع من السيل اذا انحدر ونزل من اعلا الوادي او من الجبل الى اسفله لرضاه صلى
الله عليه وسلم به واختياره له لشهادة حديث مالك الجبال ان شئت جعل الله لك
الاخشبين ذهبا فاني وحديث عرض عليه ربه ان يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا
يا رب ولكني اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك
وشكرتك وفي حديث عبد الله بن مغفل بمعجمة وفاء قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني
احبك فقال انظر ما تقول اي تامله وتفكر فيه فانك رمت خطة عظيمة ومشقة تورثك
خطرا يجعلك هدفا للبلايا قطيعة ورزايا وجيعة فامره بالنظر ليوطن نفسه على ما يرهقه
عسرا ويكلفه امرا امرا فقال والله اني احبك ثلاث مرات مؤكدا بالقسم والتكرار قال
ان كنت تحبني فاعد اي فهيئ للفقر تجفافا بمثناة فوقية مكسورة فجيم ساكنة وفائين بينهما
الف شي يلبس للفرس في الحرب ليقيه من الاذى من جف الشيء اذا يبس لما فيه من اليبوسة
والصلابة فاستعير للصبر على الشدايد ثم ذكر اي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حديث
ابي سعيد المار انفا فقال للفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه لسرعة له بالسيل
وتلوها بتلاحق النوايب به سريعا ولات حين مناص له منها فصل في معنى المحبة
للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها ما ذكره فيه من الاقوال في تفسيرها ليس مثبتا كما
قال حقيقتها بل مما بيناه انها من ثمرات تؤذن باختلاف محبته في الاتصاف بها وحقيقة
المحبة من حيث هي الميل الى ما يوافق الانسان اما لاستلذاذه بادراكه ما يميل اليه مما

يوافقه

يوافقه باحدي مشاعره الخمس كحب الصورة الجميلة من المبصرات والاصوات الحسنة من المسموعات
والاطعمة والاشربة اللذيذة من المذوقات واشباهها كحب الرائحة من المشمومات والنعومة
واللين من الملموسات مما كل طبع سليم من الفظاظة والغلاظة والجلافة مايل اليه لموافقته له
موافقة طبيعية او لاستلذاذه بادراكه ما يميل اليه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة
شريفة من الشرف اي العلو اي ذات قدر ورفعة كانه يدركها من موضع عال اذ هو اقوى
لادراكها كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف وحب الماثور عنهم السير اي المروي عنهم
الاوصاف والاحوال الجميلة والافعال الحسنة كالحسن البصري والثوري ومالك والشافعي
والجنيد وبشر الحافي فان طبع الانسان مايل الى الشغف اي الحب الذي يخرق شغاف القلب اي
حجابه حتى يبلغ الفؤاد اي سويداء القلب بامثال هؤلا اي الموصوفين بالصلاح والعلم والسير
الجميلة والافعال الحسنة اي الى الشغف بهم كما في مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود اي انت لا
تبخل وانت تجود من غير حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين من المشايعة
اي المتابعة والمطاوعة والشيعة الفرقة من الناس غلب اسمها على من شايع عليا وتولاه واهل
بيته حتى صار اسما خاصا بهم وعلما عليهم لا يتوجه الذهن عند الاطلاق الى غيرهم ونعم من
شايعوا الا انهم في اعتقادهم فيهم ليسوا على طريق مستقيم وفي الحديث القدرية شيعة الدجال
اي اولياؤه وانصاره ما يؤدي ذلك التعصب الى الجلا اي الخروج عن الاوطان وهتك الحرم
بخرق سترهن حتى يفتضحن بين الناس ويؤدي الى اخترام النفوس اي ذهابها وانقضائها يقال
اخترمهم الدهر اي اقتطعهم واستاصلهم او يكون حبه اياه اي ميل الانسان الى ما يوافقه
لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس اي خلقت مجبولة اي مطبوعة
على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت نظر مسدد موفق انكشف واتضح ان هذه
الاسباب اي اسباب المحبه من استلذاذ بحاسة من الحس او بحاسة عقل وقلب او من جهة احسان
كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه جامع لهذه المعاني الثلاثة فان الله كمله بجمال الصورة
والظاهر وبكمال الاخلاق والباطن وبمكارم الاحسان وكرايم الانعام الموجبة للمحبة وقد تقدم
منها ما اغنى عن اعادته هنا مما تقر به العيون وتنعم الجوارح سرورا اذ كان صلى الله عليه وسلم
ذو بعثهم اي وسيلة من امن به الى الهداية سبل السلام ومنقذهم من العماية بفتح المهملة فعالة من
العمى اي من الضلالة بالاسلام وداعيهم الى الفلاح اي الفوز والظفر بسعادة الدارين والكرامة
في دارها حضيرة القدس اي الجنة ووسيلتهم الى ربهم اي يتوسلون به اليه وشفيعهم عند ربه بعفوه
التجاوز عن ذنوبهم وجرايمهم والمتكلم عنهم احوج ما يكونون الى الكلام والشاهد لهم يوم القيامة حين
يشهدون للانبيا انهم قد بلغوا قومهم تزكية لهم والموجب لهم البقا الدايم والنعيم السرمد اي الدايم
المستمر الذي لا ينقطع في الجنة لانه صلى الله عليه وسلم السبب الداعي اليه فقد استبان اي ظهر
وانكشف لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح
الاثار المؤذنة له لوجوبها له شرعا وعادة وجبلة اي طبيعة من حيث ان جميع ما يصل من نعم
الدارين بواسطته فهو من احسانه الينا وقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها بما ذكرناه انفا
من قولهم انفا الشيء لما تقدم منه استعير من الجارحة وهو ظرف بمعنى الان وقريبا لافاضته الاحسان

علينا بالشهادة ووصفه الله له فيما مر من رأفته بنا ورحمته لنا وهدايته ايانا وشفقته علينا
وانقاذنا من ورطة الجهالة وانه بنا رؤف رحيم ورحمة للعالمين الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى
كثرة فيا له احسان ما اجم فوايده واجمل عوايده واجله قدرا واعظم خطرا اذ قد عم كافة المومنين
وشمل جميع العالمين فجزاه الله صلى الله عليه وسلم عنا ما لا عين رات ولا اذن سمعت من مكارم
وكرايم الانعام **وعمومه الاجمال** بكل جميل تام الاوصاف وافر الاسعاف **فاذا كان الانسان يحب**
من منحه من المنحة وهو العطية من لبن او ورق او صوف او غير ذلك مما يمنح **في دنياه مرة**
او مرتين مما به التقرب الى الله والاحسان الى الناس مما عرف شرعا وندب اليه الشرع او
نهى عنه من حسن او قبح وفي الحديث اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الاخرة اي من
بذل معروفه للناس في الدنيا اتاه الله جزاء معروفه في الاخرة وعن ابن عباس تا في اصحاب
المعروف في الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم وبقي حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيئاته
بد على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان في الدنيا والاخرة **او انقذه** اي انجاه **من**
هلكة تورط فيها **او مضرة** عرته مدة من الزمان تقع على القليل والكثير **التاذي بها** اي بالمضرة **قليل**
منقطع اي زايل لا يدوم **فمن منحه** اي اعطى الانسان **ما لا يبيد** اي لا يهلك ولا ينفد **من النعيم** المقيم
بجنة طيبة ومقام كريم **ووقاه** من الوقاية وهي الستر اي صانه وحماه من **ما لا يفنى من عذاب الجحيم**
والمانح له ذلك هو صفوة خلق الله له صلى الله عليه وسلم فهو **اولى بما يحب** من والده وولده ومال
والناس اجمعين **واذا كان يحب** بالبنا للمفعول **بالطبع** اي الجبلة التي خلق الانسان عليها **ملك**
نايب فاعل يحب **لحسن سيرته** في رعيته **او حاكم** عطف على **ابو ثر** اي يروى **عنه من قوام طريقته**
على العدل في سيرته المستقيمة **او قاض** بمعجمة او مهملة **بعيد الدار** يحب **لما يشاد** من اشاد
البنا اذا رفعه استعير لما يشاع ويذاع **من علمه او كرم شيمته** اي خلقه مما يورثه
حيازة الشرف **فمن جمع هذه الخصال** جمع خصلة وهي الحالة اي جمع هذه الكمالات الحسنة
على غاية مراتب الكمال جملة حالية افادت تمثيل تمكن حاله صلى الله عليه وسلم منها واتصافه
بها كمال من اعتلا اشياء وركبه فهو صلى الله عليه وسلم **احق بالحب واولى بالميل** اليه لحيازته
الشرف المنيف والكرم الوريف **وقد قال علي في صفته** صلى الله عليه وسلم **من راه بديهه**
اي من ابصره اول وهلة اي اولا والوهلة المرة من الفزع **هابه** توقيرا له وتعظيما **ومن خالطه**
معرفة له لشريف خصاله وعميم فعاله **احبه** اذ فضله العذب لم تاسن موارده مجاوزه سيلا
من العرم **فصل في وجوب مناصحته** مفاعلة من النصح وهو لغة الخلوص يقال نصحته
ونصحت له **قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج** اي اثم في تخلفهم عن الغزو
لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة **اذا نصحوا لله ورسوله** بالايمان بهما والطاعة لهما سرا
وعلانية كفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه من فعل او قول يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح
ما على المحسنين من سبيل اي من جناح ولا الى معاتبتهم من مقال وفي وضع المحسنين موضع
ضميرهم تلويح بان اصحابه منتظمون في سلكهم **والله غفور رحيم** لهم وبهم **قال اهل التفسير**
اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين في اعمالهم واقوالهم **مسلمين في السر والعلانية**
وقد روي شاهدا لوجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم حديث ابي داود **عن تميم الداري** اسلم سنة

تسع من الهجرة وروي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث الجساسة الذي في اخر صحيح مسلم
وهي منقبة شريفة تودن بجواز رواية الفاضل عن المفضول **قال رسول الله صلى الله عليه**
وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة وثانيه روايتي النسايي انما
الدين النصيحة فهو من حصر المبتدا في خبره لاشتمالها على طاعة الله ورسوله وجميع ما جاء به عن
ربه فكانه هي مبالغة في الحث على النصح **قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة**
المسلمين وعامتهم واجبة ظاهره وجوب عين على كل مكلف وفي شرح مسلم للنووي عن بعضهم
انها فرض كفاية تسقط بقيام بعض عن الباقين وانها لازمة الطاعة اذا علم الناصح ان نصحه
ينجع فان خشي على نفسه اذى فهو في سعة من الترك وهي دين واسلام والدين كما يقع على القول
يقع على العمل **وقال الامام ابو سليمان البستي** هو الخطابي **النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة** بالتنو ين
بدون اضافة **هي ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها** اي عن الجملة **بكلمة واحدة**
تحصرها ويجمع معناها غيرها **ومعناها في اللغة** كما مر انفا **الاخلاص من قولهم نصحت العسل**
اذا خلصته من شمعه بنار لطيفة **وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي**
به الصلاح والملايمة من لاءمت بين القوم ملايمة اي اصلحت ووفقت بينهم وتلاءموا والتاموا
بمعنى وقد تخفف الهمزة فتصير ياء **ماخوذ من النصاح** بنون مكسورة فصاد مخففة وحاء مهملة
بينهما الف **وهو الخيط الذي يخاط به الثوب فنصيحة الله** الايمان به **وصحة الاعتقاد له**
بالتوحيد ووصفه بما هو اهله بدون الحاد في صفاته **وتنزيهه** اي تبعيده **عما لا يجوز عليه**
ولا يليق به مما يوهم نقصا **والرغبة في محابه** بفتح الميم جمع محب بمعنى محبوب اي في جميع ما يحبه
ويرضاه **والبعد من مساخطه** جمع مسخط اسم مفعول اي جميع ما يسخطه ولا يرضاه ويجوز
ان يكون جمع اسم فاعل اي جميع ما يسخطه تعالى **والاخلاص في عبادته** لا يريد بها الا
وجهه والاعتراف بنعمه وشكره عليها وما ذكر فهو في الحقيقة راجع الى العبد في نصحه نفسه
لانه تعالى غني عن نصح كل ناصح **والنصيحة لكتابه الايمان به** اي التصديق بما اشتمل عليه من
احكام ومواعظ وامثال وعموم وخصوص وناسخ ومنسوخ وغير ذلك **والعمل بما فيه** مما ذكر ومحكمه
وتسليم متشابهه والحث عليه **وتحسين تلاوته** باقامة حروفه والتفكر في عجايب اساليبه
وبدايع تراكيبه **والتخشع عنده** اي عند تحسين تلاوته بخضوع ومسكنة وتذلل **والتعظيم له**
لانه صفة من جل قدره وجاوز العقول فلم يحط بكنه حقيقته **والتفقه فيه** اي معانيه من
فقه بالكسر يفقه اي فهم واما بالضم فبمعنى صار الفقه له سجية وخصه العرف بعلم الشرع
اصلا وفرعا ثم خص بعلم الفروع **والذب** اي صد ما لا يليق به **عنه من تاويل الغالين** اي المجاوزين
الحد في تاويله اذ من اخلاقه وادابه القصد وخير الامور اوساطها وكلا طرفي القصد في الامور
مذموم **وطعن الملحدين** بالجر عطف على مدخول من اي عيب المايلين عن الحق **والنصيحة لرسوله** صلى
الله عليه وسلم هي **التصديق بنبوته** ورسالته الى كافة الناس بشيرا ونذيرا **وبذل الطاعة** اي
الانقياد والاذعان **له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان** يعني الخطابي **وقال ابو بكر** يعني ابن
ابي اسحق الخفاف هي **موازرته** صلى الله عليه وسلم من الوزر بكسر الواو وهو القوة اي معاضدته
ومعاونته فيما يطوقه من اعباء النبوة او من الوزر بفتحها وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه

وتدبيره فهو ملجاؤه ومفزعه ونصرته اي اعانته علي اعدايه وحمايته اي المدافعة عنه والممانعة
منه مِن مَن اراده بسوٍ حيا وميتا واحيا سنته بالعمل بها والذب لمن يلحد فيها او يزيغ عنها
ونشرها اي اظهارها للتمسك بها والتخلق باخلاقه اي الاتصاف باداْبه ومحاسنه ومكارمه
والطافه الكريمه لحيازته جميع جهات الشرف فتمم مكارم الاخلاق واحاسن الافعال وفي
الحديث ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فهو رابع
اربعة انبيا فحاز شرف النبوة والجمال والعفه والعلم وكرم الاخلاق والعدل ورياسة الاخرة
والدنيا واداْبه الجليلة لانه حسن الفعال كامل الاوصاف والجمال يوصف به الصور والمعاني
وقال اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جا به اذعانا وانقيادا
له فيه والاعتصام بسنته اي التمسك بها فانه يمنع من كل مكروه ونشرها والحض اي الحث
والتحريض عليها من يعمل بها ويتادب باداْبها والدعوة الي الله اي الي الاقرار به وبتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته والي كتابه والي رسوله اي الايمان بهما وبحقيقتهما وبما امرا
به ونهيا عنه والعمل بها اي بسنته علي ما امر وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب
جمع مفروض من الفرض واصله القطع اي الواجبات عليها بامر الله والفرض والواجب عند الشافعي
معناهما واحد وعند ابي حنيفة الفرض اكد من الواجب اعتقاد النصيحة له صلى الله عليه وسلم
وبذلها له معاونة ومعاضدة في تنفيذ احكامه ومناصرته علي من ناواه قال ابو بكر الاجري
بالمد وتشديد ياْيه وغيره من الايمة النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد
مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر موازرة له علي اعدايه واظهارا لدينه والمحاماة
اي المنع والمدافعة عنه من رامه بسو وقد بالغوا في ذلك باموالهم وانفسهم عزة لجنابه وقوة
لشوكته وشدة لشكيمة حميته ومعاداة من عاداه وقد بالغ في ذلك انصاره وبذلوا جهدهم
في ذلك حتي ناووا اباهم وابناهم ولقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن ابي المنافق من بني برسول
الله انبئك براسه يعني اباه علم النفاق والسمع والطاعة فيما اوجبه له يقال اطاعه يطيعه
فهو مطيع وطاع له يطوع فهو طايع اي اذعن وانقاد وبذل النفس والاموال دونه حماية
له وذبا عن دينه ونصره له وصونا ولقد كانوا عاهدوه علي ذلك سيما الانصار اذ بايعوه
علي الذب عنه كما يذب الرجل عن حريمه وقد وفوا بما التزموه كما قال تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه من الثبات معه والقتال لاعدا الدين من صدق اذا قال الصدق
فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق وينصرون الله ورسوله هم المهاجرون الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم ابتغا فضل الله ورضوانه ونصرة رسوله اولئك هم الصادقون في ايمانهم
وجهادهم واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال
بان يعتقد حق وشدة الرغبة له في جميع ما يليق بعظيم محله والمثابرة اي المواظبة والحرص
واللزوم علي تعليم سنته والتفقه في شريعته اي تفهم معاني احكامها حكما وحكما ومحبته
لآل بيته الذين قال فيهم لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد قال الشافعي فدل هذا الحديث علي انهم
هم الذين حرمت عليهم الزكاة وعوضوا عنها خمس الخمس وهم صلبيه بني هاشم وبني المطلب واصحابه
جمع صاحب وهم كل من لقيه صلى الله عليه وسلم مسلما ولو ساعة ومجانبة من رغب عن سنته اي

مساعدته وعدم الركون اليه والانحراف عنها وبغضه ما يلا الي ضلاله اذ كل من انحرف عنها ضل طريق الهدى
والتحذير منه بدون تنقص له ليجتنب وهذا مما يجوز فيه الغيبة تقاد يا من الاخذ عنه وان
جاز عن من لا يقدح بدعته في دينه اذ قد رمي كثير من العلما وايمة الحديث بالبدع كالاعتزال
والتشيع والرفض والايمان بالرجعة والارجا وفي مجمع الاحباب ان يزيد بن هرون روي في المنام
بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال قال لي يا يزيد تروي عن جرير بن عثمن فقلت يا رب هو ثقة
وما علمت الا خيرا فقال انه كان يبغض ابا الحسن علي بن ابي طالب وفي رواية ابا عمرو وعثمن بن عفان
وانا اول من قال بالارجا الحسن بن محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب والشفقة علي امته
من الاشفاق اي الرفق مع الخوف فهي عناية مشوبة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه ويخاف
ان يلحقه ما يضره والبحث عن تعرف احواله صلى الله عليه وسلم وسيرته واداْبه ليتمسك بها
ويقتدي به فيها اذ كلها حسنة جميلة والصبر علي ذلك اي حبس النفس عليه احتسابا بالحيازته
الثواب في الجزيل فعلي ما ذكره اي الاجري وغيره تكون النصيحة احدي ثمرات المحبة اذ من احب
احدا نصح له ترغيبا وترهيبا وحكي ابو القسم القشيري ان عمرو بفتح اوله بن الليث احد
ملوك خراسان ومشاهير الثوار بمثلثه مضمومة فواو مشددة الشجعان الابطال ممن يثور
في الامور المهمة فيكشفها روي في المنام بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال غفرلي يعني محي
عنه ذنوبه واصل الغفر الستر فقيل له بماذا غفر لك فقال صعدت بكسر عينه من باب علم
ذروة جبل بكسر المعجمة وضمها اي اعلاه فاشرفت علي جنودي اي اطلعت عليهم فرايتهم فاعجبتني
كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته وسراياه فاعنته
ونصرته علي اعدايه في مواطن ووقايع حروبهم فشكر الله لي ذلك فغفرلي اي سامحه ولم يواخذه
بذنب لخلوص نيته وصدق طويته واما النصح لايمة المسلمين المذعنين لطاعة الله ورسوله
في ايثار العدل واتباع الحق فطاعتهم علي رعاياهم انما هي في الحق اذ لا طاعة كما قال صلى الله عليه
وسلم لمخلوق في معصية الله وخطب عمر بن عبد العزيز اذ ولي الخلافة فقال اطيعوني ما اطعت
الله فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ومعونتهم فيه اي معاضدتهم ومناصرتهم في الحق قولا وفعلا
وامرهم به اذا عدلوا عنه برفق ولطف قال تعالى فقولا له قولا لينا وتذكيرهم اياه اذا غفلوا
عنه علي الحسن وجه رجا وطمعا ان يثمر فينقادوا له وتنبيههم علي ما غفلوا عنه او خفي عليهم من
الاحكام وكتم عنهم من امور المسلمين ليمضوه علي وجهه وترك الخروج عليهم وان جادوا بل يصدوا
عنه برفق وتضريب الناس اي وتركهم الاغرا عليهم وافساد قلوبهم عليهم اي تركه مع تاليفها
لطاعتهم واما النصح لعامة المسلمين فارشادهم اي دلالتهم وهدايتهم الي مصالحهم ومعونتهم
اي مساعدتهم ومعاضدتهم في امور دينهم ودنياهم مما ينفعهم معاشا ومعادا بالقول والفعل
وتنبيه غافلهم اي تذكيره بما يصلحه وتبصير جاهلهم اي تعريفه ما جهله ورفد محتاجهم اي
معاونته فيما يحتاج اليه من امر دينه ودنياه ومنه رفادة قريش اذ كانت تترافد اي تتعاون
في الجاهلية فيخرج كل ما يقدر عليه فيجمعون مالا عظيما يشترون به الطعام والزبيب للنبيذ ويطعمون
الناس ويسقونهم ايام موسم الحج حتي تنقضي وستر عوراتهم مما لا يحرز اذاعته ودفع المضار عنهم
وجلب المنافع اليهم اذ الله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه والخلق كلهم عيال الله واحبهم الي الله

رسول الله

انفعهم لعياله الباب الثالث في تعظيم امره صلى الله عليه وسلم اي توقير
شانه وحاله وامتثاله والمبادرة اليه ووجوب توقيره وبره اي تعظيمه والتقرب اليه بما
يرضيه من قول وفعل حيا وميتا قال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا احوال
مقدرة اي شاهدا على من ارسلناك اليهم فانت مقبول عندنا لهم وعليهم ليؤمنوا بالله ورسوله
اي يصدقوه في جميع ما ارسله به اليهم ويعزروه اي يقووه بتقوية دينه ويوقروه اي يعظموه
والظاهر ان ضماير الاية لله ومن فرق فقد ابعد وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا حذف
مفعوله لتذهب النفس الى ما يمكن وقوعه مما تقدم او للتنزيل نفعل النهي منزلة اللازم والمراد نفي
التقدمة اصلا وراسا وهو من قدم بمعنى تقدم اي لا تتقدموه من تقدمة الجيش لجماعة متقدمة مه
منه ويقويه قراة يعقوب بحذف احدى تاييه وفتح الاخرى والاول اوجه واملا حسنا وموافقة
القران بين يدي الله ورسوله مجاز عن اذنهما اي لا تحدثوا امرا قبل ان ياذنا فيه من قولك جلست
بين يدي فلان اي بين جهتي يديه المسامتتين لهما قريبا منه فسمي اذناهما يدين واثبت لهما
البينية ترشيحا للمجاز كما سميت جهتا يدي الانسان يدين مجازا لكونهما على سمتهما مع القرب منهما
فهو مثل ضرب لاذنيهما وتصوير لشناعة ما هو اعنه من تقدمهم امرا قبل ان ياذنا فيه ان الله سميع
عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لا تجاوزوا باصواتكم الحد الذي يبلغه
صوته صلى الله عليه وسلم وعليكم ان تغضوها بحيث يكون صوته فوق اصواتكم وجهره باهر لجهركم
لتكون مزيته عليكم لايحة وسابقته واضحة لان ما اثره الله لمن المنقبة العظيمة خليق بان
يكون بادي ما يجب له من الاجلال والتهيب ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه التكلم
توقيرا له وتكريما ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي لا تبلغوا به الجهر المعتاد بينكم بل
خاطبوه باصوات اخفض من صوته مخاطبة مهيب معظم تحاميا من سوء الادب او لا تخاطبوه باسمه
وكنيته لشهادة لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل بالنبي والرسول وصفوة الله
او خيرته تشريفا وتكريما ومراعاة لجلالة قدره وكررنا النداء طلبا لمزيد استبصارهم وللمبالغة في
التعاظم وايذانا بتعظيم المنادي له والاهتمام بشانه ان تحبط محله نصب على انه مفعول له علة
للنهي اي انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي خشية حبوطها على حذف مضاف كما في يبين الله لكم
ان تضلوا اي كراهة ضلالكم وانتم لا تشعرون بحبوطها اي لا تعلمونها ان الذين يغضون اصواتهم
اي يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب والاجلال او مخافة مخالفة النهي اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم من قولهم امتحن فلان لكذا اي جرب له ودرب للنهوض به اي جرنها للتقوى ودربها
لها او مرنها على احتمال مشاقها او وضع امتحن موضع علم من حيث ان الامتحان سبب له اي علمها الله
كاينة لها ومختصة بها واللام صلة لمحذوف هي قولك انت لهذا الامر اي كاين له ومختص به او
اعترى الله قلوبهم بلواع المحن لاجل التقوى ليثبت فيعلم انهم متقون لان التقوى لا تعلم الا بالمحن
وتمامها والصبر عليها او اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب اذا اذابه وخلص ابريزه من خبثه
لهم مغفرة واجر عظيم لغضهم اصواتهم عنده ولجميع طاعاتهم وهذه الاية بنظمها المرتب عليه وورود
الغاضين اسما لان وخبرها جملة من مبتدا هو اسم اشارة وخبر معرفتين والجملة المودعة جزاوهم
مستانفة والجزا نكرة مبهما مؤذنة بغاية كمالهم مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضا به واعلاما

بتوقيرهم

بتوقيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم قدروه حق قدره وتعريضا بشناعة رفع اصوات
اوليك وجهرهم له وان حالهم ضد حالهم وقال لا تجعلوا دعاء الرسول اي لا تنادوه باسمه بينكم
كدعاء بعضكم بعضا باسمه فلا تقولوا يا محمد بل يا نبي الله يا رسول الله يا خيرة الله يا صفوة الله بخفض
صوت وتهذيب مراعاة للادب فاوجب الله تعزيره برا ورا اي اجلاله وتوقيره والزم تعظيمه هذا
وما قاله ابن عباس ومن بعده قد تقدم مرارا وقرئ يعززوه بزايين من العز وهو الشدة والقوة
ونهى عن التقدم بين يديه بالشيء قبل ان ياذن في فعله على ما مر وعن التقدم بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني قاله
وقال سهل بن عبد الله التستري احد اعلام الصوفية لا تقولوا قبل ان يقول صلى الله عليه وسلم
ما يصلحكم ويعنيكم واذا قال فاستمعوا له وانصتوا اي اسكتوا سكوت مستمع ونهوا عن التقدم
والتعجيل بقضاء امر قبل قضائه فيه لشهادة ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى
تهامة عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر الا ثلاثة فلقوا رجلين من بني سليم قرب
المدينة فانتسبا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما فقال صلى الله عليه
وسلم بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما اياه ثم وداهما ونهوا عن ان يقدموا
اي يسبقوه بشيء منفردين برايهم دونه في التصرف في ذلك من قتال وغيره من امور دينهم
الا بامره ولا يسبقوه به افتياتا عليه من الفوت وهو السبق يقال لكل من احدث في امر احد شيا
دونه قد افتات عليه وعدي بعلى لتضمنه معنى التغلب الى هذا النهي عن التقدم بقضاء امر قبل
قضائه صلى الله عليه وسلم فيه يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ويوافقه في المعنى ما قدمناه اولا ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله
سميع عليم قال ابو الحسن علي بن حبيب الماوردي اتقوه في التقدم لشيء بين يديه قبل ان ياذن
فيه وقال عبد الرحمن السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته مما تقتضيه تقواه فعلا
وتركا انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته تعظيما لشريف مقامه مه
وتكريما لرفيع جنابه ونهاهم عن الجهر له بالقول في محاورتهم خطابا له تفخيما لشانه كما يجهر
بعضهم لبعض ويرفع صوته بعضهم لبعض وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه بشهادة لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما مر قال مكي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ب
في مخاطبتكم له وتوجيه قولكم اليه ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا باسمه الذي سماه به
ابواه ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به من رسالة او نبوة مثل يا رسول
الله يا نبي الله وهذا اي ما قاله مكي كقوله تبارك وتعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على احد التاويلين اي ثاني تاويليه اعني ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا قال غيره
اي غير مكي لا تخاطبوه الا مستفهمين عما تريدون تصدروه منكم قولا وفعلا اجابوهم لانهم خوفوا
بحبط اعمالهم من حبطت الدابة حبطا بالتحريك اذا اصابت مرعى طيبا فافرطت في الاكل حتى انتفخت
وماتت اي بابطالها ان تفعلوا ذلك بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم اي كراهة حبوطها وحذرهم منه قيل الاية لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نزلت في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله

عليه وسلم فنادوه على عادة العرب فيما بينهم يا محمد اخرج الينا فذمهم الله بالجهل ووصفهم بان
اكثرهم لا يعقلون بقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاولى
اي اية لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في محاورة تجاذبهما اي مكالمة كانت بين ابي بكر وعمر بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما عنده صلى الله عليه
وسلم فنهيا وغيرهما عن ذلك اذ خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم وقيل نزلت كما ورد عن ابن عباس
في ثابت بن قيس بن شماس في مفاخرة بني تميم من الفخر وهو ادعاء العظم والكبر والشرف تبجحا وكان
في اذنيه صمم وكان جهوري الصوت يرفع صوته اذا تكلم وربما تاذى برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الاية اي اية لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اقام كما روي عن انس في منزله وخشي
ان يكون قد حبط عمله ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تفقده فاخبر بشانه فدعاه فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد نزلت هذه الاية وخشيت ان اكون هلكت وحبط عملي انا انا الله ان
نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت انت لست هناك
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة شرقي الحجاز كما مر
سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول في خلافة الصديق وروي كما عند البزار من طريق طارق بن شهاب
ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية اي لا ترفعوا اصواتكم قال والله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار
بكسر المهملة اي النجوى ضد الجهر اي لا اكلمك الا سرا وفي حديث البخاري كان عمر اذا حدثه صلى
الله عليه وسلم حدثه كاخي السرار اي كصاحب المسارة اي كمثل المسارر بخفض صوته ما كان يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية حتى يستفهمه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ساره به فانزل الله فيهم ان الذين يغضون اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله مراعاة
للادب او حذرا من مخالفة النهي اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جرلها لها ومرنها
نصبا عليها حتى صاروا واقويا على احتمال مشاقها او عرفها كاينة خالصة لها فان الامتحان سبب
للمعرفة واللام متعلقة بمحذوف كاللام في انت لها احمد من بين البشر اي كاين لها ومختص بها
وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون في غير بني تميم كما مر انفا وروي
صفوان بن عسال كما في الترمذي والنسائي بينا الفه من اشباع فتحه وهو ظرف في زمان او مكان
كما هنا بمعنى المفاجاة تضاف الى الجملتين ولا بد له من جواب يتم به المعنى والافصح ان لا يرد في جوابه
اذا واذ كما في فبينا نحن نرقبه اتانا معلق وفضه وزنا دراعي ثم ان قصدت اضافته الى
اوقات مضافة الى جملة حذفت وعوض عنها الالف كما هنا وما كما في بينما النبي صلى الله عليه وسلم
في اوقات سفره ناداه اعرابي نسبة الى اعراب البادية بصوت جهوري اي شديد عال والواو زائدة
من جهر بالقول اذا رفع صوته يا محمد يا محمد على عادة اجلاف الاعراب فقلنا له اغضض من صوتك
فانك نهيت عن رفع الصوت حذف فاعل نهيت للعلم به تعويلا على اقوى الدليلين من العقل والنقل
الجزم العقل بان الناهي انما هو الله واللام بدل من الضمير اي نهاك الله عن رفع صوتك عليه صلى الله عليه
وسلم بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وقال الله توقيرا له صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا راعنا كان المومنون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم ما يعلمهم اياه راعنا
اي راقبنا وتان علينا حتى نفهمه فانتهزا اليهود الفرصة فخاطبوه صلى الله عليه وسلم بها مريدين بها

كلمة

كلمة يتسابون بها هي راعنا فنهي المومنون عنها بما يؤدي معناها هو انظرنا اي انتظرنا قال بعض
المفسرين هي لغة كانت في الانصار الذين اووه ونصروه صلى الله عليه وسلم نهوا عن قولها
تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا وتفخيما له صلى الله عليه وسلم لان معناها ارعنا نرعك فقلبوا
من المراعاة وهي الحفظ والرفق اي احفظنا وارفق بنا نحفظك ونرفق بك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها ها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه مما يجب على كل احد ان يرعى ويلاحظ ويحفظ على كل حال وقيل
كانت اليهود قاتلهم الله اني يؤفكون تعرض بها له صلى الله عليه وسلم بالرعونة اي تلوح وتومي
بها مستعملة في معناها مرادا به معنى اخر لا بطريق الوضع حقيقة ولا مجازا بل بطريق التلويح والايما
هو الرعونة اي الهوج والحمق فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة اي الوسيلة الى اغراضهم
القبيحة ومنعا للتشبه من المؤمنين بهم في قولها اي التفوه بها فصل في عادة الصحابة
في تعظيمه وتوقيره واجلاله صلى الله عليه وسلم اي يذكر فيه ما يؤذن بصدور ذلك منهم اجلالا
له فمنه ما رواه هنا من طريق مسلم من حديث طويل عن عمرو بن العاصي قال وما كان احد احب
الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه لما ثبت في نفسه من هيبته وحلمه
ورزانته المؤذنة بعظيم قدره ورفيع محله وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له وتعظيما
وتوقيرا ولو سئلت ان اصفه اي باوصافه الحسنة الجميلة وكل من اوصافه حسن جميل ما اطقت
لعدم احاطتي بها علما لاني لم اكن املا عيني منه نظرا اليه هيبة له وروي الترمذي والحاكم
ايضا عن انس كان اي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج على اصحابه فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد
اليه بصره هيبة منه واجلالا له الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان
اليه ويتبسم اليهما لما كان بينهم من فرط الالفة والعشرة اذ كانا صهراه وروي اصحاب السنن الاربعة
وصححه الترمذي قال اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله اي يحيطون
به كانما على رؤوسهم الطير اذ كانوا ذوي سكون ورزانة ووقار لا طيش يعتريهم ولا خفة لان الطير
لا تكاد تنزل الا على ساكن وفي حديث صفته بمثناة فوقية بعد القاف من رواه اسم امراة فقد صحف
اذا تكلم اطرق جلساؤه اي طاطاوا كانما على رؤوسهم الطير وروي البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان
ابن الحكم بن ابي العاصي قال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية اي قضيه صده صلى
الله عليه وسلم عن البيت سنة سبع بالحديبية الافصح تخفيفها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تعظيم اصحابه له مصدر مضاف الى فاعله ما راى كما في قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع
الكلم التي يجمع مع قلتها معاني كثيرة اي من انواع تعظيمهم له واكرامهم اياه ما يكاد يفوت الحصر وانه صلى
الله عليه وسلم لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه بفتح الواو اي تسارعوا الى بقية ما توضا به من الماء
وكادوا يقتتلون عليه لفرط حرصهم على التبرك به فمن لم يصب منه شيا اخذ من بلل يد صاحبه
ولا يبصق صلى الله عليه وسلم بصاقا ولا يتنخم نخامة البصاق ما يخرج من الفم والنخامة ما يخرج من
اقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم تبركا بهما
ولا تسقط منه شعرة حين حلق راسه بالحديبية الا ابتدروها اي تسارعوا لها اخذا للتبرك بها
واذا امرهم بامر ابتدروا امره وضعه موضع ضميره تفخيما لشانه وتنويها لذكره وهذا كله لفرط
حرصهم على امتثال اوامره وقد قال لهم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا تكلم خفضوا اصواتهم

عنده ليتبينوا ما يقول فيحرروا على موجبه وما يحدون اليه النظر استحياء منه وهيبة له وتعظيما
له صلى الله عليه وسلم فلما رجع اي عروة بن مسعود من عنده صلى الله عليه وسلم الى قريش قال
يا معشر قريش اني جئت كسرى بكسر كافه وفتحه ملك فارس اي وفدت عليه في ملكه وجئت
قيصر ملك الروم في ملكه وجئت النجاشي ملك الحبشة في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قومه قط
مثل محمد في اصحابه من فرط اعتنائهم بتعظيمه وفي رواية ان اي ما رايت ملكا قط يعظمه اصحابه
ما يعظم محمدا اصحابه ما مصدرية اي تعظيمهم له وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا لمن يناله بمكروه
حرصا عليه وحفظا له من عدوه وهو في كل من اسلمته الى شيء ثم خص بالالقاء في المهلكة بشهادة حديث
اني وهبت لخالتي غلاما وقلت لها لا تسلميه حجاما ولا صايغا ولا قصابا اي لا تعطيه لمن يعلمه هذه
الصنايع فكراهة القصاب والحجام لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز واما الصايغ فلما
يدخل صنعته من الغش والربا والايمان الكاذبة بخلف الوعد في نجاز ما يستعمل عنده وروى مسلم
عن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه اي يحلق شعر راسه واطاف
به اصحابه اي داروا حوله ليأخذوا شعره يتبركون به فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل
تعظيما له صلى الله عليه وسلم ولما ينسب اليه ومن هذا اي من تعظيم اصحابه له لما اذنت قريش
لعثمان في الطواف بالبيت بعد منعه منه حين قدم مكة لما وجهه رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليهم في القضية اي قضية صدهم اياه واصحابه عن البيت ابى ان يطوف به وقال ما كنت
لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم تادبا معه صلى الله عليه وسلم واحتراما له
وفي حديث طلحة بن عبيد الله فيما رواه الترمذي وحسنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله يريدون النبي صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
صلى الله عليه وسلم لجلالته في نفوسهم فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة بن عبيد الله بن عمرو
ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة احد اصحابه العشرة لا طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن
عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة الذي نزل فيه وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده فقال هذا ممن قضى نحبه اي نذره فكانه الزم نفسه ان يصدق
الله في قتال اعدائه في الحرب وقيل هو الموت فكانه الزمها ان يقاتل حتى يموت وفي الحلية انه صلى
الله عليه وسلم تلى على المنبر فمنهم من قضى نحبه فساله رجل منهم فاقبل على طلحة بن عبيد الله
فقال هذا منهم وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير يحيى بن سلام منهم حمزة واصحابه
قال ابن الملقن والذي ظهر لي انهم المقتولون معه صلى الله عليه وسلم يوم احد وفي حديث قيلة
بقاف مفتوحة فياء تحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية الذي رواه ابو داود في الادب
والترمذي في الشمايل والاستيذان وقال لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن حسان فلما
رايته جالسا القرفصا اي جلسة المحتبي بيديه كما مر ارعدت من الفرق اي اخذها الرجفان
والاضطراب فزعا وخوفا هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة الذي رواه الحاكم في علوم
الحديث والبيهقي في المدخل كان اصحابه صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير اي
يضربونه به ضربا خفيفا بحيث لا يزعجونه تادبا معه وتعظيما له وفي حديث عمران اخذ
قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه اي ضرب به يعني شربه جميعه وروى ابو يعلى

قال

قال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسال النبي صلى الله عليه وسلم عن الامر من الامور التي ترد الحوادث
مما يحتاج الى بيان فاوخر اي السؤال عنه سنين من هيبته صلى الله عليه وسلم من هابه اذا خافه
ووقره وعظمه وفي حديث الدعاء وقوني على ما اهبت بي اليه من طاعتك يقال اهبت به
اذا دعوته اليك كما في حديث بناء الكعبة واهاب الناس الى بطحه اي دعاهم الى تسويته
فصل اعلم خطاب لكل من يتاتى توجيهه اليه سد مسد مفعوليه ان حرمته صلى الله عليه وسلم
بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازمة كما كان حال حياته وذلك اي لزوم ما ذكر من وجوب
توقيره وتعظيمه ميتا كما كان حيا عند ذكره كلما ذكر صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه ولازمة عند
معاملة آله وعشيرته الادنين وتعظيم اهل بيته اطناب اذ هم آله وعشيرته الذين
تحرم عليهم الزكاة الا ان يراد بهم زوجاته واتباعهن وصحابته كذلك قال ابو ابراهيم التجيبي
بضم التاء وفتحها واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده ان يخضع
ويخشع باستكانة ولين جانب وخفض جناح وفي التنزيل فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في
قلبه مرض ويكون لازما كما في الاية ومتعديا كما في حديث عمران رجلا في خلافته من رجل
وامراة قد خضعا بينهما حديثا فضربه حتى شجه فاهدره عمر اي لينا بينهما حديثا وتكلما بما
يطمع كلا منهما في الاخر ويتوقر من الوقار وهو الحلم والرزانة ويسكن من حركته ويأخذ اي يشرع
في ان يتلبس بما عليه له صلى الله عليه وسلم من هيبته واجلاله اي تعظيمه حق عظمته بما كان
اي كل مؤمن يأخذ نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به مثل لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وهذه اي لزوم توقيره وتعظيمه بعد موته كما كان حيا وانه باعتبار
قوله كانت سيرة سلفنا الصالح بشهادة ما اورده من مناظرة ابي جعفر ثاني خلفاء بني العباس مالكا
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اي مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا
المسجد فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وان حرمته ميتا كحرمته حيا
صلى الله عليه وسلم فاستكان لها اي خشع وخضع لمالك واذعن ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عباس
وقال لمالك يا ابا عبد الله استقبل القبلة استفهام واسترشاد وادعو الله من ذوارف عوارفه
ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اي مالك لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك ادم اي به يتوسلان وتتقربان اثمتما وغيركما الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع
به اي سل الله به ان يتجاوز عن جرايمك وبوايقك وما كنت سببا لاكتساب اعوانك له ببابك وغيره
جورا وعسفا فيشفعك الله اي يقبل الله به شفاعتك لنفسك قال الله تعالى مصداقا لذلك ولو انهم
اي المنافقين اذ ظلموا انفسهم بتحاكمهم الى الطاغوت كعب بن الاشرف سمي طاغوتا لعتوه وفرط طغيانه
وعداوته صلى الله عليه وسلم جاؤك تائبين من نفاقهم متنصلين مما ارتكبوه فاستغفروا الله
من تحاكمهم اليه معتذرين اليك من ايذائك برد حكمك واستغفر لهم الرسول التفات عدل
اليه تفخيما لشانه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وايذانا بان شفاعة من اسمه
الرسول من الله بمحل من القبول لوجدوا الله اي لعلموه توابا رحيما اي لتاب عليهم ولم يؤاخذهم
بسوء صنيعهم وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني بسين مفتوحة فمعجمة ساكنة مكسورة

لمقالة

لرسول الله

نسبه لبيع السختيان اي الجلد المدبوغ والجملة حالية اعتراض بين القول ومقوله ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه لما راي عليه من ملابس حسن الهدي والسمت وكفا له افضلية
وتقدما على امثاله شهادة مالك له به وقال اي مالك وحج اي ايوب حجتين فكنت ارمقه
اي انظره طويلا ولا اسمع منه شيا يفوه به غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى ارحمه من البكا المؤذن بغشيان الجوى بين الجوانح بذكره صلى الله عليه وسلم شوقا اليه
فلما رايت منه ما اذن باتصافه بحسن الهدي بما هنالك في نفسه من الهيم ما غشيهم اي
شيا عظيما ورايت من وثاقة دينه وشوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه له
مما دل على عدالته كتبت عنه الحديث ورويت عنه وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب
ابن ثابت الزبيري كان مالك اي امام دار الهجرة اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير
لونه وينحني حتى يصعب على جلسائه لما يعتراه من هيبته وعظم قدره ورفعة محله عند
ربه فقيل له يوما في ذلك اي قيل له لم تتغير اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وتنحني فقال
لو رايتم ما رايت ما انكرتم علي ما ترون مني مما يعتريني عند ذكره لقد كنت ارى محمد
ابن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي وكان سيد القرا اعتراض وصفه به لانه كان
من كبار الايمة الاعلام لا نكاد نسيل عن حديث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الا يبكي شوقا
اليه صلى الله عليه وسلم وتاسفا لفوات رؤيته اياه حتى نرحمه لما ياخذه من لوعة الاحتراق
بالم الاحتراق ولقد كنت ارى جعفر بن محمد الصادق بالنصب لقب لجعفر لا لمحمد ابيه اذ
لقبه الباقر بن زين العابدين وكان كثير الدعابة بضم اوله اي المزاح والتبسم اي الضحك
بلا صوت والجملة اعتراض افادت انه كان مع كونهما سجيته اذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم اصفر لونه مهابة منه واجلالا له وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا على طهارة تعظيما لحديثه لانه وحي اوحي اليه اذ ما ينطق عن الهوى ولقد
اختلفت ترددت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال جمع خصلة اي حالات يمكن
الجمع بين بعضها اما اي اراه مصليا واما صامتا اي ساكتا لا يتكلم واما يقرا القران كانه يناجي
ربه بكلامه ولا يتكلم فيما لا يعنيه مما لا يجدي نفعا صونا للسانه عنه وكان من العلما والعباد
الذين يخشون الله خوفا من معاناة ما لا يرضيه ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي
بكر الصديق يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر بالبنا للمفعول الى لونه كانه نزف بضم النون
وكسر الزاي مبنيا للمفعول اي سال اي سال منه الدم وقد جف لسانه اي يبس في فمه فلم
يكاد ان يتكلم هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لشرف محله ولقد كنت اتى السيد الجليل
عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام فاذا ذكر عنده الرسول صلى الله عليه وسلم بكا بكا بلوعة
واحتراق بقلق واشتياق حتى لا تبقى في عينيه دموع لشدة معاناته له ولقد رايت محمد بن
شهاب الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم حالا افادنا وصفه برقة الطبع وخفض الجناح
والتوده وحسن الخلق ومع ذلك فانه كان اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك
ولا عرفته لما عراه من الدهش والحيرة هيبة له صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتي صفوان بن
سليم بضم اوله وفتح ثانيه الزهري مولاهم وكان من المتعبدين المجتهدين اعتراض ورد حالا اذن

بوصفه

بوصفه بما يقربه الى الله زلفى ويورثه رفيع الدرجات في غرفات الجنات فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى ان البكا هو الشفا من الجوى بين الجوانح حتى يقوم الناس ويتركونه رحمة له وحذرا من رؤيته على تلك
الحالة المحزنة وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل اي صوت الصدر بالبكا والزويل
اي القلق والانزعاج بحيث لا يستقر بمكان والزوال بمعناه وروي ذلك عن شعبة بن الحجاج ولما كثر
على مالك الناس واتوه من كل فج عميق قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم ما تمليه لكثرتهم وبعد
بعضهم عنه فالتمني بلو لمناسبة بينهما في تقدير غير الواقع واقعا مع كون التمني طلب ما يستبعد
وقوعه فقال اي مالك لهم ارشادا وتعليما وتاديبا مقتبسا من القران الكريم والقران القديم
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي توقيرا له وتعظيما وتعزيرا وتكريما وحرمته
حيا وميتا حالان من الضمير قبلهما بين المبتدا وخبره الذي هو سوا افادنا ان وجوب حرمته بعد
وفاته كهي قبلها فلا حط لها كما وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديثه صلى الله عليه وسلم امر
بالسكوت رعاية لحرمته وعناية بهم تعليما وتاديبا وقال اي عبد الرحمن مقتبسا من القران لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول ما اقتبسه باجرائه على عمومه من انه يجب له صلى الله
عليه وسلم من الانصات عند قراة حديثه صلى الله عليه وسلم ما يجب له منه عند سماع قوله من
الحرمة وحسن الادب فصل في سيرة السلف المأثورة عنهم في تعظيم رواية حديثه صلى الله
عليه وسلم وسنته اي طريقته المحمودة وقد روي عنهم لذلك شواهد منها ما رواه مسندا
عن عمرو بن ميمون في رواية الدارمي قال اختلفت اي ترددت الى ابن مسعود فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هيبة له وصونا عن لسانه الا انه حدث يوما حذف مفعوله
لتذهب النفس كل مذهب ممكن فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب
ازعجه فرايت العرق يتحدر اي يسيل نازلا عن جبهته ثم قال اي ابن مسعود حديثه الذي رويته
لكم عنه هكذا ان شا الله اي هو كما رويته لكم لفظا ومعنى او هو فوق ذا الذي رويته لكم عنه او هو ما
دون ذا او قريب من ذا فتردده غير جازم ذهاب الى اتقا الكذب عليه صلى الله عليه وسلم تفاديا من
دخوله في قوله من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وكان ابو الدردا اذا حدث به قال مثله
وكان انس اذا حدث قال او كما قال وفي فتربد وجهه بما وجده مشدده بعد الرا كما ورد كان اذا انزل
عليه الوحي اربد وجهه اي تغير وجهه الى الغبرة سواد مشرب ببياض وفي رواية فقد تغرغرت
عيناه اي عينا ابن مسعود اي امتلات دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهي في الاصل ان يجعل المشروب
في الفم ويتردد الى الحلق من غير ان يبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشي الذي يتغرغر به المريض
وانتفخت اوداجه هي ما احاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح واحدها ودج وقيل الودجان
عرقان غليظان يكتنفان ثغرة النحر وقال ابو ابراهيم من عبد الله بن قريم مصغر قرم اي مقدام في
المعرفة وتجارب الامور وعن علي انا ابو الحسن القرم اي المقدام في الراي وهو في الاصل فحل الابل اي انا
فيهم بمنزلته الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث عن النبي صلى الله عليه
وسلم فجازه اي جاوزه ولم يجلس اليه لياخذ عنه الحديث وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه لاخذ عنه الحديث
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان وذكره
لا على وجه التعظيم اذ كما يجب تعظيمه يجب تعظيم حديثه والعجب منه رحمه الله انه كان مع مبالغته في تعظيم

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه عمل اهل المدينة وان خالفه ويقول هذا الحديث
لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه ولم يوافقه احد من علما الامصار على ذلك قال الشافعي كنت اظن انه لم يخالف رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا في ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فمكثت سنة استخير الله في
مخالفته ولما خالفه سعي به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له اجلني ثلاثة ايام
فاجله فليلة الثالث مات السلطان فمكث الشافعي بمصر والف كتبه الجديدة بها الى ان توفي بها
تاسع عشرين جمادي الاخرة سنة اربع ومايتين رحمه الله ورضي عنه وقال مالك جا رجل الى
المدينة الى ابن المسيب فساله عن حديث من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع
جملة حالية من ضمير ساله اي حال وضعه جنبه بالارض فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
انك لم تتعن اي تكلف نفسك بجلوسك فقال كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا مضطجع اي حال اضطجاعي تعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن سيرين
انه قد يكون يضحك فاذا ذكر بالبنا للمفعول عنده حديث من حديثه صلى الله عليه وسلم خشع
اي خضع واستكان والخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن وقال ابو مصعب كان مالك
لا يحدث الا وهو على وضو اي حال كونه متوضيا فشبهت حاله لفرط اتصافه به وتمكنه منه اتصافا
في جميع عاداته بحال من اعتلا شيا وركبه اجلالا اي تعظيما له اي لحديثه صلى الله عليه وسلم وحكى
مالك ذلك اي التحدث بحديثه صلى الله عليه وسلم على وضو فيما مر عن جعفر الصادق بن محمد
الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقال مصعب هو ابن عبد الله بن مصعب
ابن ثابت الزبيري كان مالك اذا حدث الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا
وتهيا ولبس ثيابه اي صير نفسه على حالة حسنة اذ الهيئة حالة الشي وصورته وشكله وفي
الحديث اقيلوا ذوي الهيات عثراتهم اي ذوي الحالات الحسنة الذين يلزمون هيئة واحدة وسمتا
واحدا لا يعدلون من هيئة الى اخرى وعن الشافعي هم من لم يظهر منه ريبة ثم حدث من اراد منه ان
يحدثه رواية حديثه صلى الله عليه وسلم قال مصعب فسئل اي مالك عن ذلك اي عن وضوئه
وهيئته ليحدث فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا احدث به الا على وضو قال
مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار كان الناس اذا اتوا مالكا خرجت اليهم الجارية
باذنه فتقول لهم يقول لكم سيدي تريدون استفهام تقريري تحملهم على الاقرار بما تستفهم عنه
حذفت همزته تخفيفا اي اتريدون الحديث او المسايل فان قالوا نريد الحديث دخل مغتسله
فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا بضم اوله وثانيه ولبس ساجه هو الطيلسان الاخضر
وقال الازهري هو المقور اي المستدير ينسج كذلك مستديرا والفه قيل منقلبة عن ياء وقيل عن واو
وتعمم ووضع على راسه رداء وتلقى له منصة بكسر الميم من نصصته اذا رفعته اي على اريكة فيجلس
عليها وعليه الخشوع اي الخضوع والاستكانة ولا يزال اي الشان يبخر بالبنا للمفعول بالعود حتى يفرغ
من تحديثه لم قال غيره اي غير مطرف لم يكن اي مالك يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عنه صلى
الله عليه وسلم قال ابن اخت مالك اسمعيل بن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك اي فيما يفعله مما مر
اذا اراد ان يحدث عنه صلى الله عليه وسلم فقال احب ان اعظم حديثه صلى الله عليه وسلم الحلافته

بالتعظيم

بالتعظيم واستحقاقه للتكريم ولا احدث به اي بحديثه صلى الله عليه وسلم الا على طهارة متمكنا
واستحب ذلك كثير كناصر السنة الامام الشافعي قال اي ابن اويس وكان اي خاله مالك يكره
ان يحدث في الطريق اي وهو قايم او مستعجل مراعاة للادب ذهابا الى تحديثه متانيا اولى منه
مع العجلة واسلم ومن ثم قيل • قد يدرك المتاني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل •
وقال احب ان افهم من احدثه حديثه ليكون ابين واعون على فهم السامع معنى حديثه صلى الله
عليه وسلم وقال ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني الكوفي كانوا اي من لقيهم من التابعين كعبد
الله بن شداد وابي الاحوص وسعيد بن جبير يكرهون ان يحدثوا عنه صلى الله عليه وسلم على غير
وضو وكان سليمان بن مهران الاعمش اذا حدث اي اذا اراد ان يحدث على غير وضو تيمم وكان
قتادة بن دعامة لا يحدث الا على طهارة تعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم ولا يقروه الا على وضو
غاير بينهما تفننا في الكلام اذ هو من محسناته او ادبا لا طهارة للغسل قال عبد الله بن المبارك
كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب هي من ذوات السموم كالحية ستة عشر مرة
كذا رايت وصوابه ست عشرة اذ التا انما تلحق في مثل هذا التركيب ثاني جزييه ولونه
يتغير ويصفر اي يزيد من شدة الالم ثم يحيل الى صفرة ولا يقطع حديثه صلى الله عليه وسلم
محافظة على ايراده متواليا احتراما له فلما فرغ من المجلس اي مجلس التحديث وتفرق عنه الناس
كل ذهب في طيته قلت رايت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتني عقرب ست عشرة مرة
كل ذلك وانا صابر وانما صبرت اجلالا لحديثه صلى الله عليه وسلم وكان السلف كلهم على احتر(امه)
وتحرزه فخالف من بعدهم خلف اهانوه بسماعه ممن يدخل بالجنه في حديث من كذب علي
متعمدا فليتبوا مقعده من النار ومن منح الجهال علما اضاعه قال ابن مهدي مشيت يوما
مع مالك الى العقيق لعله اراد الاقرب الى المدينة الوارد فيه حديث قيل لي في المنام
انك بواد مبارك وهو ببطن وادي ذي الحليفة والاخر مهل اهل العراق قريب من ذات عرق
قبلها بمرحلتين او مرحلة وهو موضع عق اي شق وقطع من الارض ومن ثم كان لهم مواضع كثيرة
تسمى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني اي زجرني واستقبلني بوجه عبوس وقال لي
كنت في عيني اجل من ان تسالني عن حديث من حديثه صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي في موضع
الحال اي ماشين وساله جرير بن عبد الحميد وهو قايم حال من مالك او من جرير فامر بحبسه
فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب كذا بالواو والاصل الهمزة وذكر ان هشام
الغاز كذا قيل وصوابه هشام بن عمار خطيب جامع دمشق واما الغاز فتابعي لم يرو عن
مالك لموته قبل مالك سنة ست وخمسين وماية سال مالكا عن حديث من حديثه صلى
الله عليه وسلم فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه من الاشفاق يقال اشفقت عليه اشفق
اشفاقا وهي اللغة الغالبة وحكى ابن دريد شفقت شفقا وعن ابي عبيدة اتينا الحسن فازدحمنا
على مدرجته فقال احسنوا ملاكم ايها المرون وما على البنا شفقا ولكن عليكم اي ما اشفق على
البنا شفقا وانما اشفق عليكم اي خاف عليه لضربه اياه بلا ذنب يوجب ذلك ورحمة فحدثه
عشرين حديثا فقال هشام وددت من الود وهو الحب اي احببت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا لفرط شغفه بحديثه صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن صالح الجهني مولاهم كاتب الليث

كان مالك والليث لا يكتبان الحديث اي حديثه صلى الله عليه وسلم الا وهما طاهران صفة لهما
والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة وموصوفها كما في وما ارسلنا من قرية الا ولها منذرون
على ما مر الا انها لما شابهت الحال توسطها لتاكيد لصوقها بالموصوف كما في وما ارسلنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديثا من سننه صلى الله عليه وسلم الا على
وضوء تعظيما له حق تعظيمه ولا يحدث الا على طهارة اي بغسل بقرينة ما قبله وكان الاعمش سليمان
ابن مهران اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء اعتراض ورد حالا بين الشرط وجزائه اعني تيمم
افادت شدة اعتنائه بتعظيم حديثه صلى الله عليه وسلم فصل ومن توقيره اي تبجيله
وتعظيمه وفي الحديث اي صلى الله عليه وسلم الفتو رفقا لالسلام عليكم امسيتم خيرا جبلا اي
واسعا كثيرا وبره مصدر مضاف الى مفعوله اي طاعته امرا ونهيا بر آله احسانا ولطفا وطاعة
وهم بنو هاشم وبنو المطلب بني عبد مناف دون بني عمهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف ايضا
لقسمه صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى خمس الخمس بينهم دونهم فقال له عثمن بن عفان من بني عبد شمس
وجبير بن مطعم من بني نوفل يا رسول الله هولاء اخواننا بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك ارايت اخواننا بني
المطلب اعطيتهم وتركتنا وانما قرابتنا واحدة فقال انما نحن وبنو المطلب شي واحد هكذا وشبك بين اصابعه
وشي بمعجمة واحد الاشيا وكان ابن معين يرويه بمهملة مكسورة اي مثل ونظير وقال الخطابي وهو اجود دون
غيره الاولى وكان نوفل اخا الثلاثة من ابيهم وذريته اي ولده ويطلق على الواحد والجمع فعلية من الذر او
فعولة من الذر ابدلت همزته واوا ثم قلبت ياء وادغمت وبر امهات المؤمنين ازواجه عايشة الصديقة
بنت الصديق وحفصة بنت الفاروق وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي
امية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت ضرار وصفية بنت حيي وحض عليه اي
حث صلى الله عليه وسلم على من ذكر وسلكه السلف الصالح فبر واله وذريته وازواجه شبههم اياهم بطريق
مسلوك على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له سلوكها تخييلا حتى كانه من جنسها تناسيا للتشبيه وصرفا
للنفس عن توهمه قضا لحق البلاغة قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس استينافا تعليلا لامرهن
ونهيهن عن ان يقترفن الماثم صونا لاعراضهن عن ان يتدنسن بالرجس اهل البيت نصب على الندا
او المدح ويطهركم من الارجاس المدنسة للاعراض تطهيرا استعار الرجس للمعصية استعارة
تحقيقية ورشحها بالتطهير تنفيرا لهن عنها وترغيبا لهن فيما امرهن به وتخصيص الشيعة اهل
البيت بفاطمة وعلي وابنيهما بما ورد انه صلى الله عليه وسلم خرج غداة وعليه مرط مرجل من
شعر اسود فجا الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم علي فادخله ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون
اجماعهم حجة مردود بان تخصيصهم بان كونهم اهله يكذبه ما قبل الاية وبعدها والحديث انما
هو موذن بانهم اهله لا ان غيرهم ليس باهله وقال وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات
في وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن لشهادة ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ولم
تتعد الى بناتهن وهن في غير ذلك كالاجنبيات ومن ثم قالت عايشة لسنا امهات النسا
ارادت انما كن امهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم عليهم وقد اسند هنا حديثا
موذنا بالوصية على اهل بيته بغير سند مسلم والنسائي ولو رواه بسند احدهما لو تم له

اعلاه بسنده الذي رواه به وانما رواه به جريا على عادة الحفاظ من ان الحديث اذا كان في الكتب الستة
او في بعضها رووه من غيرها تنويعا في الرواية اما للعلو او لزيادة او لكون سنده اسلم للتصريح بسماع
او اخبار او تحديث او لغير ذلك انشدكم الله اي اسالكم واقسم عليكم بالله ان ترقبوني وتراعوني
في اهل بيتي قالها ثلاثا اي قالها ثلاث مرات مبالغة في الحث على احترامهم قلنا لزيد هو ابن ارقم راوي
الحديث من اهل بيته قال ال علي اصله اهل بشهادة تصغيره اهيلا ابدلت الفا وقد تبدل اذا
صغروا واختص استعماله بمن له شرف وخطر وال جعفر وال عقيل ولدي ابي طالب وال عباس
وقد يطلق على المرء نفسه في حديث ام سلمة ليس بك على اهلك هوان اراد به نفسه اي لا يعلق
بك ولا يصيبك على هوان وفي الفرقان ال موسى اي هما وافخم الال تفخيما لشانهما وروى الترمذي
عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه اني تارك فيكم ما نكرة موصوفة صفته ان اخذتم به اي شي عظيم يشتمل
مع قلة لفظه معاني كثيرة ففيه مبالغة الوجازة او موصولة والشرطية صلته كتاب الله وعترتي
بمثناة فوقية اهل بيتي تفصيل بعد اجمال بدلا او بيانا اي ان ائتمرتم باوامر كتابه وانتهيتم بنواهيه
واهتديتم بهدي عترته واقتديتم بسيرهم لن تضلوا طريق الحق وفي قوله اني تارك فيكم تلويح
بانهما كتوامين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصى امته بحسن معاملتهما وايثار حقهما
على انفسهم كاب شفيق وصى على اولاده لشهادة حديث اذكروا الله في اهل بيتي هم بنو عبد المطلب
وازواجه صلى الله عليه وسلم ولا سيما لماله انحا كثيرة جمعهما بقوله اهل بيتي اعلاما بانها عصابته
الادنون وازواجه فانظروا كيف تخلفوني فيهما والله ما خالفه فيهما شرا الا قليل وقال ولا اعلم
من رواه معرفة ال محمد براءة من النار من الم حرها وبردها وحب ال محمد جواز على الصراط
من اجازه بمعنى اعطاه لشهادة حديث الضيافة ثلاثة ايام وجائزته يوم وليلة اي عطيته وهي
ما يجوز به مسافة فيهما وحديث اجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم اي اعطوهم جائزتهم فشبه
حبهم بجائزة المسافر لانه ان احبهم جاز به مسافة الصراط والولاية بفتح الواو النصرة والتولي اي
اتخاذ القوم اولياء واتخاذه لال محمد اولياء امان من العذاب اذ هم القوم لا يضام من والاهم واما
بكسرها فمن الولاية بمعنى الملك وقال بعض العلما معرفتهم اي اله هي معرفة مكانهم منه صلى
الله عليه وسلم نسبا وقربا ورتبة ومحبة واحتراما واذا عرفهم بذلك اي بمعرفة مكانهم منه
صلى الله عليه وسلم عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن
عمر بن ابي سلمة ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن اخيه من الرضاعة ارضعتهما ثوبية مولاة عمه ابي
لهب لما نزلت اية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس علة لنهيهن فيما مر حذرا من اقترافهن المآ
ثم المدنسة لاعراضهم صونا لها عنها بالتقوى اهل البيت نصب على الندا او المدح ويطهركم تطهيرا
من جميع الارجاس اي الذنوب المشبهة بالرجس المدنس على طريقة الاستعارة التحقيقية المرشحة بالتطهير
روما لتنفير اولي الالباب ثم اكرهه الله لهم وتغافلهم عنه وترغيبا لهم فيما رضيه لهم وامرهم به وذلك اي
نزولها كان في بيت ام سلمة زوجته صلى الله عليه وسلم دعا جواب لما فاطمة وحسنا وحسينا وجللهم
كسا اي غطاهم به ومنه قول علي اللهم جلل قتلة عثمان خزيا اي غطهم به والبسهم اياه كما يتجلل الرجل بالثوب
وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم ميمه عوض عن يا فلا يجتمعان وهذا من خصايصه كتا القسم ودخول حرف
الندا مع اللام كقطع الهمزة هولا اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا من جميع الارجاس

اي الذنوب المدنسة للاعراض وروى مسلم عن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة اي الملاعنة
مفاعلة من البهلة وهي اللعنة واصلها من الابتهال اعني الاهمال والتخلية لان اللعن الطرد وهو
والاهمال بمعنى واحد فاذا اختلف قوم في شيء اجتمعوا فقالوا لعنة الله على الظالم منا واية المباهلة
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا الاية دعا جواب لما اي طلب النبي صلى
الله عليه وسلم حسنا وحسينا وفاطمة ابنته صلى الله عليه وسلم وقال اللهم هؤلاء اهلي الاقربين
وقال صلى الله عليه وسلم كما مر في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اي وليه وناصره يدفع عنه ما يكره قال
الشافعي يعني به ولاء الاسلام قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم واما حديث
سئل صلى الله عليه وسلم عمن يسلم على يد رجل من المسلمين فقال هو اولى الناس بمحياه ومماته احق بارثه
من غيره واليه ذهب كثيرون واشترط اخرون ان يضيف الى اسلامه على يده معاقدته وموالاته
وذهب اكثرهم الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الزمام ومنهم من ضعفه وروى احمد عن ابوب
الانصاري انه صلى الله عليه وسلم قال في علي اللهم وال من والاه اي انصر من نصره ولم يصدف عن
سنن مودته وعاد من عاداه اي اتخذه عدوا وحاد عن موالاته وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال فيه اي في علي لا يحبك الا مؤمن عرف انه من اله صلى الله عليه وسلم وعرف مكانه منه فيحبه
وتلك صفة المؤمن ولا يبغضك الا منافق يضمر خلاف ما يظهر من كفر او غيره وروى ابن ماجة
والترمذي وصححه حديث قوله للعباس والذي نفسي بيده كناية عن تمكنه تعالى منها تصرفا
وتقليبا كيف شاء اذ لا جارحة ولا استقرار فيها وهو مؤذن باستحباب اليمين في الامر المهم لا يدخل
قلب رجل الايمان ويخالط بشاشته سويداه حتى يحبكم الله ورسوله غاية لنفي دخول الايمان قلبه
وحث على الاخلاص من شوائب الرياء حذرا من عدم القبول لشهادة حديث من عمل عملا اشرك فيه معي
غيري فهو لشريكي له ومن اذى عمي يعني العباس فقد اذاني لانه من آل بيته الذين حذر الناس فيهم بقوله
اذكركم الله في اهل بيتي اي احذركموه في شانهم واقول لكم اتقوه فيهم ولا تؤذوهم واحفظوهم فالتذكير
هنا بمعنى الوعظ وانما عم الرجل صنو ابيه اي مثله اي اصلهما واحد فهو مثل ابي او مثلي فهو كالعلة
لان حكمهما في الايذاء سواء وروى البيهقي عن ابي اسيد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للعباس اغد علي يا عم اي ائتني غدوة اي اول النهار مع ولدك من ذكور واناث لشمول
الولد لهما فجمعهم غدوة عليه وجللهم اي غطاهم بملاءته وقال اللهم هذا ابي وصنوي اي اصلهما
واحد وهؤلاء اي ولد العباس او ومن معهم اهل بيتي فاسترهم من النار اي فهم منها كستري
اياهم فامنت اسكفة الباب اي عتبته كما مر وحوائط البيت اي جدرانه المحيطة به من
جميع جهاته امين امين بالمد اشهر من قصره وهو اسم مبني على الفتح معناه استجب وفي الحديث
انه خاتم رب العالمين اي طابعه على عباده لدفع البلايا والافات به فكانه كخاتم الكتاب يصونه
ويمنعه من الفساد واظهار ما فيه وروى البخاري عن اسامة كان صلى الله عليه وسلم ياخذ
بيد اسامة بن زيد بن حارثة مولاه صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي بن ابي طالب ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما انت يا رب اورده على طريق المشاكلة لوقوعه في صحبته كما في تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ابو بكر الصديق ارقبوا محمدا اي احفظوه في اهل بيته وقال
اي ابو بكر فيما رواه الشيخان والذي نفسي بيده قسم عظيم هو فيه بار صادق لقرابة رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل اي صلتهم من صلة قرابتي لرفيع مكانتهم عنده صلى الله
عليه وسلم مع قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وروى الترمذي وحسنه
وابن ماجة عن يعلى بن مرة قال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وفي رواية حسينا
دعا لمن احبه بل لمن احبهما وقال كما تقدم مرارا من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين
ابني ابنته واحب اباهما علي بن ابي طالب وامهما فاطمة الزهراء كان معي في درجتي يوم القيمة اي
في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله رواه الترمذي وحسنه عن
سعد بن ابي وقاص بلفظ من يرد هوان قريش اهانه الله تكرمة لهم لانهم افضل بني ادم اجمالا
وهم ولد النضر بن كنانة من بني اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن وروى البزار عن علي وابن ابي
شيبة عن سهل بن ابي حثمة قال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها اي في جميع
الامور لشهادة ظاهر الحديث شمولها لحيازتهم جهات الشرف والرياسة بشرف النسب
وسدانة البيت الحرام وبكونه منسكا ودارهم موسما وبالرفادة والسقاية يطعمون الحجيج
ويسقونهم فهم الاسوة في كل امر يقتدى وما تاتي افعالهم يقتدى وروى البخاري حديث ام
سلمة لا تؤذيني في عائشة لفضلها علما ونسبا لشهادة حديث الشيخين عن انس فضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وحديث الترمذي عنها ان جبريل جاء بصورتها
في خرقة حرير خضراء اليه صلى الله عليه وسلم فقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة وروى البخاري
عن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر يعني الصديق وحمل الحسن على عنقه وهو يقول جملتان
حاليتان من ابي بكر اي جاعلته قائلا بابي اي افديه بابي شبيه خبر مبتدا محذوف اي هو
شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي ابيه بن ابي طالب وعلي يضحك فرحا وتعجبا
من كون مثل الصديق يحمله على عنقه هذا وممن كان شبيها به صلى الله عليه وسلم من اله جعفر بن
ابي طالب وقثم بن العباس والسائب بن يزيد بن هاشم بن المطلب وابو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب ومن غيرهم كثيرون وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي
طالب قال اتيت عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم في حاجة فقال لي اذا كان لك حاجة
فارسل الي تعظيما لشان قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشهادة قوله فاني استحيي
من الله ان اراك على بابي تكرمة له وعن الشعبي فيما رواه الحاكم وصححه البيهقي وغيره صلى زيد
ابن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري على امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ
بركابه فقال تكريما وتعظيما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه اي دعه
وتباعد عنه فقال اي ابن عباس هكذا نفعل بالعلماء اي اكراما واحتراما فقبل زيد يد ابن
عباس وقال هكذا امرنا اي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نفعل باهل بيت نبينا
صلى الله عليه وسلم وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ليت هذا عبدي بفتح اوله وبالباء من العبودية وهي كما في المطالع رواية البيهقي وروا بية
الكافة بالنون قيل وكذا في البخاري الذي سمع على العراقي بالقلم فقيل له اي لابن عمر هو محمد
ابن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اي ابن عمر لو راه رسول الله لاحبه لحبه اباه اسامة وحكى ابن عساكر في تاريخ دمشق

قال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد
العزيز اذ كان امير المؤمنين نيابة عن ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان او في ايام خلافته
ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر بن عبد العزيز ومشى اليها تكريما لها لكونه بنت حبه
صلى الله عليه وسلم ومولاته حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه غاية لمشيه اليها
ومشى بها حتى اجلسها في مجلسه اي موضع تكرمته وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا
قضاها وروى الترمذي وحسنه لما فرض عمر بن الخطاب في الديوان لابنه عبد الله في ثلاثة
الاف ولاسامة في ثلاثة الاف وخمسمائة زيادة على ما فرض لابنه قال عبد الله لابيه لم
فضلته علي بما فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد من المشاهد فقال له اي عمر لابنه لان زيدا
كان احب الى رسول الله من ابيك عمر قاله تواضعا ومراعاة لحرمته صلى الله عليه وسلم اذ كان
مولاه والا فهو كان احب اليه من زيد لشهادة حديث الشيخين عن عمرو بن العاص قلت يا رسول الله
اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها ثم من قال عمر واسامة احب
اليه منك فاثرت اي قدمت وخصصت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقديم على حبي يجوز
ان تكون الحاء فيهما مكسورة بمعنى المحبوب وان تكون مضمومة مصدر احب وروى ابن عساكر انه
بلغ معاوية بن ابي سفيان ان كابس بن ربيعة بن مالك السامي من بني سامة بن لؤي بصري
يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه اليه معاوية فلما دخل عليه قام وتلقاه تعظيما
لشان شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل الموضع الذي بين عينيه واقطعه المرغاب
بميم مكسورة فراء ساكنة فمعجمة اي جعله له اقطاعا ينفرد به انتفاعا لشبهه صورة رسول
الله صلى الله عليه وسلم باضافة صورة الى ما بعدها ويجوز ان تكون تمييزا للنسبة في شبهه
وكان انس اذا راه بكى وروي ان مالكا هو ابن انس لما ضربه جعفر بن سليمان بن علي بن عبد
الله بن عباس بقول بعضهم انه لا يرى الايمان لبيعتكم شيئا لان يمين المكره لا تلزم فغضب
جعفر ودعاه وجرده ونال منه ما نال ضربا وغيره وحمل الى بيته مغشيا عليه دخل عليه
الناس جواب فافاق من غشيته فقال لمن دخل عليه اشهدكم اني جعلت ضاربي اي الامر به
في حل من ضربه اياي فشبه تمكنه من الحل لبراءته مما ترتب عليه من الاثم لضربه ظلما بتمكن
المظروف بظرفه فجعله ظرفا له فاستعار له فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف
تبعية فسئل اي مالك بعد ذلك اي بعد جعله في حل فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى
الله عليه وسلم فاستحيي منه [illegible] حذرا من ان يدخل بعض آله النار بسببي والله ما
ارتفع منه سوط عن جسمي الا جعلته في حل اي ابراته منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم علة لجعله في حل وقال ابو بكر بن عياش بمثناة تحت وشين معجمة ابن سالم المقري احد
الاعلام الاسدي لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي قبلهما ايثارا لتقديمه عليهما
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقديمه عليهما عرضي بتوسط قرباه منه صلى الله
عليه وسلم لا ذاتي لشهادة قوله ولئن اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما لولا
قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما وروى ابو داود والترمذي وحسنه قيل لابن
عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد لعظم المصيبة والرزء بفقد

الاعزة فقيل له اي لابن عباس اتسجد في هذه الساعة تعجب من قائله لعظم موقعه عنده وخفاء
سببه عليه اذ كثيرا ما يستعمل همزة الاستفهام كغيرها من ادواته لغيره كالتعجب هنا وفي حديث
عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة في السلاسل ومن شاب ليست له صبوة مجاز عن عظم
ذلك عنده تعالى اذ لا يخفى عليه شيء من اسباب التعجب وانما خاطبهم صلى الله عليه وسلم بما
يعرفون ليعلموا موقع ذلك عنده تعالى فقال اي ابن عباس اليس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا رايتم اية استفهام تقريري حملا للمخاطب على اقرار بقوله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم ذلك فاسجدوا واي اية اعظم خطرا وافقد خيرا من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
اذ به فوات بركات وبقاء الحسرات اذ لسن كغيرهن لشهادة يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان
اتقيتن وهذا تعقيبه تعالى وروى مسلم كان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن واسمها بركة مولاته
صلى الله عليه وسلم تبركا بها وتانيسا بها ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها
وروى ابن سعد عن عمرو بن سعد بن ابي وقاص مرسلا قال لما وردت امه من الرضاعة حليمة
السعدية وفي سيرة الدمياطي ان الواردة على النبي صلى الله عليه وسلم انما هي ابنتها الشيماء اخته
صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فبسط لها رداءه وقضى حاجتها رعاية لحرمة اخوة الرضاع وفي
الحديث حسن العهد من الايمان اي الحفاظ ورعاية الحرمة فلما توفي اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفدت اي امه او اخته من الرضاعة على ابي بكر وعمر زائرة مسترفدة فصنعا بها مثل
ذلك الذي صنع صلى الله عليه وسلم بها مراعاة لحرمتها وتاسيا به صلى الله عليه وسلم في
فعله معها فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم اي توقيره وتبجيله بره صلى الله عليه
وسلم اي طاعته والشفقة عليه والتقرب اليه توقير اصحابه تعظيما لهم وشفقة عليهم وبرهم
بانواع البر مما يليق بجنابهم الكريم ومعرفة حقهم مما لهم من التكريم والنصفة وحسن الصحبة
والمعاملة والاعتقاد وتنزيل كل منهم منزلته اللائقة به والاقتداء بهم فيما سنحوا به من مصالح
هدي وسمت ودل واتصفوا به من سكينة ووقار وحسن هيبة واستقامة نظر وطريقة وقد
كان يرحل الى عمر فينظر الى سمته ودله ليتشبه به وفي الحديث الهدي الصالح والسمت الصالح
جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة اي هذه الخصال من شمائل الانبياء وهو جزء معلوم من اجزاء
افعالهم اذ النبوة لا تتجزا ولا ان من جمع هذه الخصال فيه جزء من النبوة وهي كرامة من الله لا تنال
بكسب بل يكرم بها الله من يشاء من عباده وفيه اهتدوا واهتدى بما راي نقباؤه واقتباسه وسيروا
بسيرته وعن ابن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم اللهم
اغفر لهم وارحمهم اذ هم الاخفاء والاخصاء بهما والامساك عما شجر اي وقع بينهم من الاختلاف
والتنازع لصدوره عنهم عن اجتهاد ولكل فئة شبهة بها اعتقدت تصويب فعلها فكان ذلك
لمصالح راوها فمخطئهم له اجر ولمصيبهم اجران وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي ومعاداة
من عاداهم اي اتخاذه عدوا والمعاداة لله ورسوله بمعاداته لهم وهم اولياء الله وقد قال على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب والاضراب عن اخبار المورخين
وجهلة الرواة مما نقلوه من الاختلاف بينهم مما يوجب الصد ورد بعضهم حقدا وبعضا كالرافضة
وضلال الشيعة ممن زعم متابعة علي ونصرته وصبر معه ردا لمخالفيه وهو بري منهم لافترائهم

عليه وعلى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب وتكفيرهما اكابرهم والمبتدعين لما هو في
حيز الذم والانكار من البدع القادحة في احد منهم وحاشاه عيبًا ووصما بل يجب ان يلتمس
اي يطلب لهم فيما نقل من ذلك ما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات والمحامل اللايقة بهم
اذ كلهم عدول لم يخرج احد منهم عن عدالته ولم يقترف قادحا فيها لانهم مجتهدون اختلفوا في
امور كما اختلف المجتهدون بعدهم في الاحكام الاجتهادية فلا يلزم من ذلك نقص لاحد منهم ويخرج
لهم ما كان بينهم من الفتن من حيز التاويل اصوب المخارج والمحاسن المؤذنة بجميل وصفهم اذ هم
اهل لذلك واحقابه لان الله قد اثنى عليهم في مواطن كثيرة من كتابه ولا يذكر احد منهم بسوء لانه
من الفواحش وانه باجماع اهل السنة حرام يعزر فاعله وعن بعض المالكية انه يقتل ولا يغمص
بمعجمة ومهملة بينهما ميم مبنيا للمفعول اي لا يعاب عليه امر يطعن فيه لحديث الله الله
في اصحابي اي اتقوه ثم اتقوه فيهم ولا تستنقصوهم ولا تسبوهم بل عظموهم ووقروهم وفي الحديث
لما قتل ابن ادم اخاه غمص الله الخلق اي صغرهم وحقرهم فنقصهم طولا وعرضا وقوة وبطشا بل
تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم الجهة الشريفة الجزيلة المنيفة ويسكت عما وراء
ذلك اي عن غيره مما لا يليق بكريم مقامهم كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني وابن اسامة
عن ابن مسعود اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي عن الطعن فيهم وذكرهم بما ينبغي قال تعالى شاهدًا
بان من توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقيرهم وبرهم بما يؤذن بمدح الله وتعظيمه اياهم
وثنائه عليهم محمد رسول الله بيان لمحمد وهو خبر مبتدا محذوف اي هو لتقدم
هو الذي ارسل رسوله بالهدى او مبتدا والذين معه معطوف عليه خبرهما اشداء على الكفار
رحماء بينهم اي يغلظون على من خالفهم في دينهم ويتراحمون فيما بينهم ومثله اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لاشتغالهم بالصلاة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من
الله ورضوانا من ثواب وحلول رضي عليهم سيماهم التي تحدث في جباههم في وجوههم من اثر سيان
لسيما اي التي هي اثر السجود فيها من كثرته ذلك الذي وصفوا به او اشارة الى مبهم يفسره كزرع مثلهم
اي وصفهم التعجيب لشان في التوراة ومثلهم في الانجيل جميعًا كزرع مثل مستانف او تفسير للاشارة
اخرج شطاه من شطا الزرع اذا فرخ اي فراخه فآزره من الموازرة اي المعاونة اي شد ازره وقواه
فاستغلظ فاستوى اي صار بعد دقته غليظا فاستوى على سوقه جمع ساق اي استقام على قصبه
قيل وفي الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعجب
الزراع بكثرته وقلته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضرب للصحابة وترقيهم في مبدا الاسلام
من قلة وضعف الى كثرة وقوة واستحكام حتى عجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لما دل عليه تشبيههم
بالزرع من نمائه وترقيهم زيادة وكثرة وقوة او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم من بيانية كما في فاجتنبوا الرجس من الاوثان مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بذلك
مع ما اعزهم به في الدنيا من قهرهم وفتح ديارهم واخذ اموالهم وسبي ذراريهم وحريمهم غاظهم
بذلك والسابقون الاولون من المهاجرين هم من صلى الى القبلتين او من شهد بدرا او من اسلم قبل
الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن
امن حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير والذين اتبعوهم باحسان اي اللاحقون بهم الى

يوم

يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم ورضوا عنه بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية
واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وقال لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك بيعة الرضوان تحت الشجرة على قتال قريش ولا يفرون وسببها انه صلى
الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث خواش بن امية الخزاعي رسولا اليهم بمكة فهموا به فمنعه
الاحابيش فلما رجع دعا عمر ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لعداوتي لهم وما بمكة من يمنعني ولكن
ادلك على من هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فعرفهم انه لم يات لحرب وانما قدم زائرا
للبيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا له ان شئت فطف به فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال صلى الله عليه وسلم
لا نبرح حتى نناجز القوم يعني قريشا فدعا اصحابه للبيعة فبايعوه على ذلك تحت الشجرة وقال
من المؤمنين رجال كعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب
ومصعب بن عمير صدقوا ما عاهدوا الله عليه من قتالهم اعداء الله وثباتهم مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صدقني اي قال الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم
من قضى نحبه هو في الاصل النذر استعير للموت لجامع وجوب القضاء اي الوفاء بهما للزوم الموت لكل
حي كالنذر لمن نذره اي قضى موته بقتاله اعداء الله حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وانس بن النضر
ومنهم من ينتظر ان يقضي نحبه ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم وما
غيروه تبديلا ولقد ثبت معه طلحة يوم احد حتى اصيبت يده فقال اوجب طلحة اوجب طلحة
وفيه تعريض بمن بدل من اهل النفاق ومرض القلوب وقد روي مسندا ما اذن بيننا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم وتعظيمه لهم من طريق الترمذي ورواه ابن ماجه ايضا عن حذيفة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر امر بطاعتهما متضمن
ثناه صلى الله عليه وسلم عليهما بكونهما اهلا لان يطاعا فيما يامران به وينهيان عنه المؤذن
بسيرتهما وصدق سريرتهما وايماناً بانهما يكونان خليفتاه من بعده وروي عبد بن حميد عن
ابن عمر اصحابي كالنجوم بجامع الاهتدا اذ بها يهتدى في غياهب الليل وبهم يهتدى الى محاسن الشريعة
بايهم اقتديتم اهتديتم لما اتصفوا به من انواع المحاسن المؤذنة بالاقتدا بهم مما نالوه من بركة
تعهده صلى الله عليه وسلم وروى البزار وابو يعلى عن انس مثل اصحابي زاد البغوي في المصابيح
وشرح السنة في امتي كمثل الملح في الطعام بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدين والدنيا كما لا يصلح
الطعام الا به بحسب الحاجة الى القدر المصلح له وروى مسلم وغيره لا تسبوا اصحابي اضافة
تشريف تؤذن باحترامهم وزجر سابهم ويعزر كما قاله الجمهور وقال النووي هو من اكبر الفواحش
والمصنف من الكبائر وبعض المالكية قال يقتل وهو حقيق بذلك فلو انفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم اي ما بلغ بانفاقه مد طعام احدهم ولا بانفاقه نصيفه لغة في النصيف
اي نصفه لما قارنه من مزيد الاخلاص وصدق نية وعظم موقع ما انفقه مع قلة ما عنده وشدة
الحاجة الى القتال والنفقة فيه مع بذل مهجهم وارواحهم في مرضاته صلى الله عليه وسلم
وقال فيما رواه الديلمي عن عويم بن ساعدة وابو نعيم في الحلية عن جابر من سب اصحابي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اي له الطرد والبعد من رحمة الله والسب والدعا من المخلوق

وفي الحديث ان امراة لعنت ناقتها في السفر فقال صلى الله عليه وسلم ضعوا ما عليها فانها ملعونة
قيل انما امر بذلك لاستجابة الله لعنها وقيل عقوبة لصاحبها تحذيرا لها من ان تعود الى مثلها
وليعتبر غيرها وفيه لا يكون المؤمن لعانا وفيه ان اللعانين لا يكونون شفعا ولا شهدا يوم القيمة
وفيه ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السما فتغلق ابواب السما دونها ثم تاخذ يمينا
وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان اهلا لها والا رجعت الى قايلها اجمعين
تاكيد لما ذكر اوللناس فقط اي كلهم لا يقبل الله منه اي ممن سبهم صرفا اي توبة او نافلة ولا عدلا
اي فدية او فريضة وقال فيما رواه الديلمي والبزار في حديث جابر ان الله اختار اصحابي
اي اصطفاهم على جميع العالمين لاتباعهم له وللنور الذي انزل معه ولنصرته واحيا دينه
ببذلهم اموالهم وانفسهم وافشايه في جميع الاقطار كل ذلك ببركة حلول نظره صلى الله عليه
وسلم عليهم فهم خيرة الله من خلقه اي عليهم سوى بالكسر والقصر اي غير النبيين والمرسلين
عطفهم على ما عمهم لمزيد فضلهم وشرفهم عليهم واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان
وعليا لما منحوه من شريف المزية بكونهم الافضلية فجعلهم خير اصحابي وخير غيرهم بطريق
الاولى وفي اصحابي كلهم خير من غيرهم لانهم من القرن الذي قال فيهم صلى الله عليه وسلم خيركم
قرني فهم خيرة الله من خلقه فيا خيرة بالفتح من اختاره الله وبالسكون من خرت يا رجل فانت
خاير وخير وخار الله لك اي اعطاك ما هو خير لك فهو صلى الله عليه وسلم خيرة الله من خلقه
يقال بهما والاستخارة طلب الخيرة في الشي وروى الطبراني في اوسط معاجمه عن ابي سعيد
الخدري بسند حسن من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني لما اوتيه من كرم
الشيم وعلو الهمم مما به التقدم بالافضلية وهذه مزية له لا يلزم منها تقدمه على ابي بكر لشهادة
حديث من احب الناس اليك قال عايشة قيل من الرجال قال ابوها قيل ثم من قال عمر قال
مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في في المسلمين حق لانه بذلك قد
ابغضه صلى الله عليه وسلم واذاه واذى الله ونزع بنون فمعجمة فمهملة اي بعد ما عن الايمان
لشهادة حديث الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه واما عن الفي فلا حق له فيه باية الحشر وهي والذين جاوا عطف على المهاجرين
اي وللفقرا الذين جاوا المهاجرين من بعدهم حين قوي شان الاسلام او هم التابعون باحسان
الى يوم القيمة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا في الدين الذين سبقونا بالايمان امنوا
قبلنا ولا تجعل في قلوبنا غلا اي حقدا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم مجيب دعانا وقال
اي مالك بن انس من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى شاهدا لما قاله من كفر من غاظوه
ليغيظ بهم الكفار علة كما مر لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمايهم مترقين كثرة وقوة
واستحكاما لشانهم بحيث اعجب الناس وغاظ الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
اي صفتان كريمتان من كانتا فيه نجا من كل توصيم يشينه الصدق لانه كما في الصحيحين يهدي
الى البر ان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا
وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لان به سعادة الدارين المؤدية لشقاوة من ابغضهم قال

ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين لاستقامة الدين به بعد تزلزله بوفاة النبي صلى الله
عليه وسلم وارتداد العرب وافاضة النفاق وانفراج مسافة الخلاف بين القول والعمل ونزل به ما لو
نزل بالجبال لهاضها فحمل من اعبا الخلافة ما عجز عنه غيره فقاتلهم حتى قاموا وقتل من قتل ومن احب
عمر فقد اوضح السبيل اي بينه اتم بيان لا يشوبه شي اذ به ظهر الاسلام وفاض الدين فاعم الاقطار
وقضى منه الاوطار ولشهادة حديث الشيخين بينا انا نايم رايتني على قليب عليها دلو فنزعت منها
ما شا الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له
ضعفه ثم استحالت غربا اي انقلبت الدلو من الصغر الى الكبر اي عظمت فاخذها ابن الخطاب
فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن هذا تمثيل وتصوير لكثرة
الفتوحات في خلافته لطول مدتها بخلاف مدة خلافة ابي بكر فانها لقصرها قلت فيها
الفتوحات ومن احب عثمان فقد استغنى بنور الله الذي اتاه الله اياه من نور هدايته لشهادة
تلقيبه بذي النورين وحديث الترمذي عن مرة بن كعب قال سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع بثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه
فاذا هو عثمان بن عفان ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى لحديث مسلم والذي فلق
الحبة وبرا النسمة انه لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ان لا يحبني الا مومن ولا يبغضني
الا منافق ومن احسن الثنا على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد بري من النفاق اذ هم نجوم
هدى لمن اقتدى وبسيرهم يقتدي ولما تلي عليك من الايات والاحاديث المصححة بالثنا عليهم والنهي
عن سبهم وبنكال من صدر منه شي من ذلك ومن ابغض احدا منهم فهو مبتدع ضال لمخالفته الى
ما نهى الله ورسوله مما هو في حيز الذم والانكار مخالف ببدعته الشنيعة للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السما لعدم اعتصامه بالكتاب والسنة حتى يحبهم جميعا
ويكون قلبه سليما مما يضمر لهم من بغض ونفاق ونقص اعتقاد مما يرضيه وربما ادخل عنقه في
ربقة الكفر وروى الطبراني وابن منده في حديث خالد بن الوليد بن العاصي بن امية بن عبد
شمس بن عبد مناف اسلم خامس خمسة او رابع اربعة او ثالث ثلاثة قيل واسلم قبل ابي بكر او
قبل علي وليس به وان زعمه المصنف بل هو ابن اخته خالد بن عمرو بن سعيد بن العاصي عن
سهل بن يوسف بن سهل بن مالك اخي كعب بن مالك الانصاري عن ابيه عن جده سهل ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ايها الناس اني راض عن ابي بكر بن ابي قحافة بن عمرو بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فاعرفوا
له ذلك اي رضاه تعالى عنه وافرده عمن ذكر بعده تلويحا بفضله عليهم ايها الناس اني راض عن عمر
ابن الخطاب بن نفيل وعن عثمن بن عفان وعن علي بن ابي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام
وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف الزهري فاعرفوا لهم ذلك
اي رضاه تعالى عنهم واعتقدوه حق قدرهم ولم يذكر صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة مع كونه عاشرهم
لدخوله في عموم اصحابه بقوله صلى الله عليه وسلم فيه ابو عبيدة امين هذه الامة ايها الناس
ان الله غفر لاهل بدر والحديبية لبذلهم انفسهم واموالهم لله ورسوله وقال ايها الناس احفظوني
في اصحابي اي راعوني وارقبوني فيهم وكفوا السنتكم عن ان تتعرضوهم بما لا يليق بهم او تقعوا فيهم

بلوم وتعنيف يقال وقع فيه اذا ذمه وعابه ووقع به وفيه إذا لامه وعنفه واحفظوني في
اصهاري واختاني اراد صلى الله عليه وسلم ما هو المتعارف من ان الاصهار ابا زوجاته ابو بكر وعمر
وابو سفيان بن حرب وضرار بن الحارث والاختان ازواج بناته عثمان وعلي وابو العاصي
ابن ربيعة بن عبد شمس ومنه قولهم علي ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عند
العرب فالاختان من كان من قبل المراة كابيها واخيها والاصهار من كان من قبل الزوج وسئل
سعيد بن جبير اينظر الرجل شعر ختنته فقرا ولا يبدين زينتهن الاية ثم قال لا اراها فيهن
اراد بالختنة ام زوجته وفي الحديث ان موسى صلى الله عليه وسلم اجر نفسه بعفة فرجه
وشبع بطنه فقال له ختنه ان لك في غنمي ما جاءت به قالب لون اي ما جاء على غير الوان امها
كان لونها قد انقلب اراد بختنه ابا زوجته شعيبا صلى الله عليه وسلم لا يطلبنكم احد منهم
بمظلمة بكسر اللام من الظلم وهو الجور وبالفتح اسم ما ياخذه الظالم فانها مظلمة لا توهب
يوم القيمة غدا اعتناء من الله بهم وحزبا وهو انا بظالميهم وقال رجل للمعافى بن عمران
عمر بن عبد العزيز من معاوية اي اين تذهب الى ايهما افضل فغضب من قوله لما لاح له من اضماره
افضلية بن عبد العزيز على معاوية وقال لا يقاس على اصحاب النبي احد لخيريتهم على من بعدهم
لشهادة حديث الديلمي والبزار ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
اي اصطفاهم عليهم دونهم وحديث الشيخين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
معاوية صاحبه وصهره اخو زوجته صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وكاتبه وامينه
على وحي الله هذا وابيك الشرف فيما لها منقبة شريفة فيها يتنافس المتنافسون وروى الترمذي عن جابر
وضعفه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه
فحرم بركة صلاته صلى الله عليه وسلم ودعائه المستجاب اذ كان ليس لها اهلا لها وروى الشيخان عن انس
قال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم وللبخاري اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين
والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ما فرط منهم من زلة واقبلوا من محسنهم
حذف مفعوله تعميما له وروى ابو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع انس قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي واصهاري متقدم بيانه فانه ضمير الشان يفسره من اي
فان من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة اي منعه من كل ضير يصيره فيهما ومن لم يحفظني
فيهم تخلى الله منه اي اعرض عنه وتركه في غيه يتردد ومن تخلى الله منه يوشك اي يسرع ويقرب ان
ياخذه اخذ عزيز مقتدر ولا يبالي له ولا يعجزه شيء وروى سعيد بن منصور عن عطا بن ابي رباح مرسلا
قال صلى الله عليه وسلم من حفظني اي راعاني وراقبني فيهم فكف عنهم كنت له حافظا اي مانعا له
من كل سوء يوم القيمة وروى الطبراني بسند ضعيف من حفظني في اصحابي ورد على الحوض اي
حضر حوضه يوم القيمة ليسقيه منه ومن لم يحفظني فيهم لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد
وفاتته بركة قربه وعنايته سيما في ذلك اليوم المشهود الشديد هذا القول هذا وما رواه هنا عن
مالك وكعب وسهل بن عبد الله التستري غني عن البيان مع تقدم ما يزيده وضوحا وحديث
مسلم عن عائشة خرج في جوف الليل وحديث كعب بن سعد حفظ ليس مؤمن من الحمد الا له شفاعة
فصل ومن اعظامه اي تعظيمه اي قدره فوق قدر غيره واكباره اي اعظامه مجاوزا اعظام غيره اعظام

جميع اسبابه جمع سبب وهو في الاصل الحبل يتوصل به الى الما استعير لكل ما يتوصل به الى الشيء قال
وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات واريد به هنا ما حصل له صلى الله عليه وسلم من الوصل
بالزواج بشهادة حديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي واكرم مشاهده التي يذكر
فيها بصيانتها من اللغو ورفع الصوت اذ رفعه عند ذكره وقراءة حديثه كرفعه على صوته صلى الله
عليه وسلم قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذ حرمته صلى الله عليه وسلم
ميتا كحرمته حيا وامكنته من مكة كبيت خديجة مهبط الوحي ودار الارقم بن الارقم وغار حراء وثور
ومولده ومن المدينة كمسجده وبيوته ومواطنه التي كان يالفها منهما واكرامها احياؤها بالزيارة
وتعظيمها بحفظها من الامتهان وما لا يليق بها واكرام معاهده التي كان يتعاهدها اذ تعوده انه
كان يزورها كل سبت وما لمسه اي مسه صلى الله عليه وسلم او عرف به مما يمكن اكرامه وتعظيمه
الان وروي عن صفية بنت نجدة بنون فجيم فمهملة ولا ادري من خرجه قالت كان لابي محذورة
مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقيا قصة بقاف مضمومة فمهملة مشددة ما اقبل على الجبهة من شعر
الراس وكما قال ابن دريد كل خصلة من الشعر وكما قال الجوهري هي شعر الناصية في مقدم راسه
اذا قعد وارسلها اصابت الارض اي وصلت اليها فقيل له اي لابي محذورة الا تحلقها فقال لم
اكن بالذي احلقها اثر التكلم على الغيبة مع ان الظاهر هنا هو القياس لشهادة عود الضمير الى الذي
ولفظه لفظ الغايب ايثارا لتغليب التكلم عليه لان الذي وان كان بلفظها هو في المعنى عبارة عن
التكلم وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فترك حلقها حذرا من سلبه بركة مس يده
وكانت في قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين هي ما يسمى الان قبعا خالد بن
الوليد بن المغيرة المخزومي شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في
بعض حروبه فشد عليها اي على قلنسوته اي لاجلها حذرا من ضياعها شده واحدة من
الشدات عظيمة قتل فيها كثير ممن كان معه بحيث انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة
مفعول لاجله انكارهم عليه شدته اي لاجل من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة اولا
وبالذات بل ثانيا وبالعرض لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها من
السلب بسكون لامه وهو اخذ احد قرنين سلب قرنه بفتحها فعل بمعنى مفعول اي مسلوب في الحرب
من احدهما للآخر مما ينسب اليه من ثياب وغيرها استعارة لما يذهب به عنه من بركة شعره
صلى الله عليه وسلم بذهابه في قلنسوة فيحرمها وتقع في ايدي المشركين وروي ابن عمر كما رواه
ابن سعد عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه اكراما لمعاهده وتبركا باماكنه ومما عرف به او لمسه ولهذا اي
ولكونه يتبرك باثاره صلى الله عليه وسلم كان مالك لا يركب بالمدينة دابة لتعظيمه صلى الله عليه
وسلم واكراما لها وكان يقول جوابا لمن ساله عن ذلك استحي من الله فانقبض وانزجر وانكف فاكف
عن ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة هيبة له ووقارا وروي انه اي مالكا
وهب الشافعي كراعا بكاف مضمومة فراء مخففة اي خيلا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك
منها دابة فاجابه بمثل ذلك الجواب اي استحي ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي الامام الجليل عن احمد بن فضلويه الزاهد من الزهد وهو القلل من الدنيا ويقال

تزهدا اذا تقلل منها وسئل الزهري عن الزهد فقال ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره اي لا يعجز شكره عن ما رزقه الله من الحلال ولا عن ترك الحرام وكان اي احمد بن فضلويه من الغزاة الرماة للسهام اعتراض افاد وصفه بكونه غازيا راميا انه قال ما مسست بكسر المهملة الاولى وقد تفتح يقال مسسته امسه مسا وفي لغة مسته بحذف الاولى ونقل حركتها الى الميم وقد لا تنقل فتبقى مفتوحة كظلت في ظللت وقد وردت في حديث ابي هريرة لو رايت الغول تحترش اي تجمع بين لابتيها ما مسستها اي ما لمست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني انه صلى الله عليه وسلم اخذ اي تناول القوس بيده هذا وابيك الادب وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية بالهمز وقد لا تهمز تخفيفا اي خبيثة غير طيبة بضربه ثلاثين درة تمييز وهي آلة التعزير وامر بحبسه وكان له اي للذي افتى فيه وامر به ذلك قدر وخطر عظيم ووجاهة بين الناس وقال اي مالك ما تعجبية نحو التعجب بها لعظم موقع سببه وخفائه وهو شيء عظيم من الجنب بفناء ضميره نبه عليه قوله تربة المدينة ردية احوجه الى الضرب وحبس تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وذلك مبالغة في زجره ليكف هو وامثاله اذ لا يشك من له مسكة بالاسلام ان تربته صلى الله عليه وسلم التي دفن فيها اشرف تربة وافضلها واطيبها هذا وبالمدينة اماكن كثيرة سبخة يحمل قوله عليها تفاديا من ضربه وحبسه وفي الصحيح عند الشيخين عن علي وانس قال صلى الله عليه وسلم من احدث فيها حدثا غير مرضي ولا معروف او آوى محدثا بكسر الدال اسم فاعل اي ضم اليه خائنا واجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه وقد تفتح فيكون نفس الامر المبتدع وايواؤه الرضى به والصبر عليه فمن رضي ببدعة واقر عليها محدثها ولم ينكرها فقد آواها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا اي فريضة وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان وقد تقدم بيانه وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مالك وابو داود والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة من حلف على منبري يمينا فاجرة كاذبا فليتبوا مقعده من النار تهديد شديد ومبالغة في الوعيد لانه لما امتنع اجراء الامر على اصله توجه بمعونة قرينة الحال الى مثل تنبه واعرف لازم الحلف عليه كذبا فتولد منه التهديد زجرا عن الحلف عليه كذبا كانه زجر به من كذب عليه متعمدا وان ابا الفضل الجوهري ورد المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم شبه وصوله اليها بورود المشاربة موردة الماء ثم اشتق منه ورد فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية او شبه المدينة على طريقة الاستعارة المكنية بالموردة واثبت لها الورود تخييلا فقضا الحق البلاغة بتناسي التشبيه صونا للنفس عن توهمه وقرب من بيوتها ترجل عن دابته ومشى باكيا منشدا حالان متداخلان من ضمير مشى والبيتان للاذان انشدهما من الطويل عروضه مقبوضة وضرباها صحيحان ولما راينا رسم من لم يدع لنا فؤادا اي قلبا لعرفان الرسوم ولا لبا اي عقلا شوقا اليه وتلهفا على رؤية مقامه الكريم ودهشتنا من مشاهدة معاليه نزلنا عن الاكوار جمع كور بالضم رحل الناقة باداته كالسرج بآلته للفرس نمشي حال من ضمير نزلنا كرامة مفعول من اجله المشي لمن بان عنه اي ظهر لنا ان نلم به ركبا من اسماء الجمع كنفر ورهط او جمع راكب كصحب جمع صاحب وهو تمييز او حال من ضمير نلم اي راكبين وانشا اي بعض المريدين بقوله

ممتثلا حالان من ضمير انشا متداخلان والابيات من الكامل وعروضها صحيحة وضربها مقطوع دفع الحجاب لنا الذي كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وكيف عزه فلاح اي لمع مضيئا للناظري قمر تقطع دونه الاوهام حذفت احدى تائيه تخفيفا اي تتقطع وتضمحل لسطوع نوره بما لظهوره واذا المطي جمع مطية وهي التي يركب مطاها اي ظهرها ويقال يمطي بها في السير اي يمد بنا بلغن محمدا صلى الله عليه وسلم فظهورهن على الرحال بالمهملة جمع رحل البعير ذكرا وانثى وهو الكور كالسرج للفرس كما مر حرام مكافاة لهن على ايصالهن لنا الى اشرف مخلوق صلى الله عليه وسلم قربننا من خير من وطي الثرى اي التراب فلها علينا حرمة وذمام اي عهد وامان وحق وحفاظ وكلاه وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك حذرا عليه من النصب اي الحج على هذه الحالة فقال العبد الابق من ابق يابق ضما وكسرا اي الهارب ياتي الى بيت مولاه راكبا كلام تضمن استفهاما انكاريا نسج على منوال نفي الفعل في ضمن انكار المبتدا اي ما العبد الابق يليق به اتيان بيت مولاه راكبا مؤكدا منه نفي اتيانه راكبا بطريق اللزوم اذ انكار الملزوم يستلزم نفي لازمه كما في اغير الله اتخذ وليا اذ قد انكر فيه غير الله فتولد منه نفي الاتخاذ ليستلزم ماخوذا وهو منفي يلزم من نفيه نفي لازمه وفي الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اذ قد انكر فيه ما ورد التحريم بينه فلزم بانكاره نفي التحريم اذ بانتفاء الملزوم انتفاء لازمه لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي هذا وابيك هو الحب الصادق والادب الفائق وجدير خبر مقدم اي حقيق لمواطن كمكة والمدينة عمرت بالوحي والتنزيل من عطف بعض العام عليه لفضله حتى كانه ليس منه اي القران وتردد فيها جبريل وميكائيل وعرجت من العروج وهو الصعود اي صعدت منها الملائكة في معارجها الى السماء والروح الامين جبريل من عطف بعض افراد العام عليه حتى كانه ليس منها تلويحا بمزيته بفضيلة عليه وضجت اي صوتت عرصاتها جمع عرصة وهي ما وسع من المكان اي اماكنها الواسعة بالتقديس اي التطهير والتنزيه والتسبيح مصدر سبح اي قال سبحان الله واشتملت تربتها على جسد سيد البشر بدفنه فيها من الاشتمال بالشملة وهي كسا يلتف فيه ويتغطى به شبه ضمها لجسده الشريف بالاشتمال ببرده ثم اشتق منه اشتمل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعا وانتشر عنها اي عن تلك المواطن من كتاب الله ودينه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما به نظام الحياة الدنيا
درس ونجاة الاخرة ما انتشر مما لا يعلمه الا الله لان ما من الكلم الجوامع فمن تلك المواطن الشريفة مدارس ايات بيان لمواطن او بدل منها او خبر مبتدا محذوف جمع مدراس مفعال من الدرس وهو مكانه واستغرب في المكان وفي الحديث تدارسوا القران اي تعهدوه بتلاوته تفاديا من ان تنسوه واما حديث فوضع المدراس يده على اية الرجم فاريد به فيه صاحب دراسة كتبهم ومساجد جمع بالكسر اسم لمواضع السجود وهو وضع الجبهة فيه خاضعا ولا خضوع اعظم منه وصلوات جمع صلاة وهي شرعا العبادة المخصوصة ولغة اما الدعا فتسميتها شرعا ببعض اجزا او التعظيم فتسميتها بها لما فيها من تعظيم ربنا تعالى وفي التشهد الصلوات لله اي الادعية التي يراد بها تعظيمه تعالى هو مستحقها لا يليق لغيره وقولنا اللهم صل على محمد معناه عظمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار كلمته وابقاء شريعته وفي الاخرة بتضعيف اجره وتشفيعه في خلقه وقيل

لما امرنا بها عليه ولم تبلغ قدر الواجب له صلى الله عليه وسلم احلناه على الله تبارك وتعالى وقلنا
اللهم صل انت على محمد لانك اعلم بما يليق به **ومشاهد الفضايل** جمع فضيلة بحذف المضاف اي
اصحابنا اذ كانوا في النهاية من الاتصاف بانواعها من بيان الشريعة والتعاون والتعاضد
والتناصف نصرة للضعيف والغريب كما كان بمكة ايام جرهم وقام به الفضل بن الحارث
والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة **والخيرات** جمع خير وهو ضد الشر يقال خيرات
فانت خاير وخير والخيرة بسكون اليا اسم من خار بمعنى اعطى وبالفتح من اختاره الله ومحمد
صلى الله عليه وسلم خيرة من خلقه بالفتح والسكون **ومعاهد البراهين** جمع برهان وهو
ما يفيد اليقين مركبا كان على ما يؤلفه علما الميزان وغير مركب كما ظهر على يديه صلى الله
عليه وسلم **من الايات والمعجزات** الخارقة للعادة من عطف الخاص على ما يعمه لمزيد فضله عليه
وهي جمع معجزة بمنزلة برهان قاطع لا يعارض **ومناسك الدين** جمع منسك وهو ما امر الشارع
ومنه امور الحج والمنسك بفتح مهملته وكسرها هو المتعبد بفتح البا ويقع على الطاعة والعبادة
وكلما تقرب به الى الله تعالى وعلى المصدر والزمان والمكان ولو للذبح وقد نسك ينسك نسكا
اذا ذبح والنسيكة الذبيحة **ومشاعر المسلمين** جمع مشعر اي معالمهم التي ندب الله اليها من فعل
واجب وترك حرام وغيرهما مما حث على القيام به **ومواقف سيد المرسلين** جمع موقف اي
اماكنه التي كان يتعهدها للارشاد الى سبل الخيرات والفوز برفيع الدرجات **ومسقط**
خاتم النبيين اي منزله صلى الله عليه وسلم من مكة **حيث انفجرت النبوة** اي ظهرت ظهورا تاما
فشبه ظهورها بانفجار عين ماء عذب فرات ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية ثم جرت في الفعل تبعا او شبه النبوه على طريقة الاستعارة المكنية بعين ماء انفجرت اي
انفتحت منفع ماؤها واثبت لها الانفجار تخييلا بانها من جنسها تناسيا للتشبيه وصرفا
للنفس عن توهمه واصل حيث للزمان ثم استعير للمكان كثيرا من مكة **واين فاض عبابها**
اي سال عذبها الغمر وانبث فلم يغادر موطنا الا غشيه فشبه الاتي صلى الله عليه وسلم
من كل زوج كريم ونفع عميم بفيض عذب غمر ثم اشتق منه فاض فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية وعن علي يمدح ابا بكر طرت بعبابها وفزت بحبابها اي سبقت
الى الاسلام وادركت معظمه وشربت صفوه وحويت فضايله كذا قال الهروي والخطابي
وغيرهما وهو الوجه لو ساعده النقل لو روده بخلافه فقد روى اسيد بن صفوان لما توفى
ابو بكر جا علي يمدحه فقال في كلامه طرت بغنايها بمعجمة ونون وسرت بحبابها بمهملة مكسورة
وبا تحتيه رواه الدارقطني من طرق فيما قالت القرابة من الصحابة وفي المؤتلف والمختلف
وابن بطه في الابانة **ومواطن مهبط الرسالة** من مكة اي اماكن انزالها او نزولها **واول**
ارض مس جلد المصطفى ترابها تلميح الى قول الشاعر • بلاد بها نيطت علي تمايمي •
واول ارض مس جلدي ترابها • **ان تعظم عرصاتها** جمع عرصه وفي الاصل كل بناء واسع
لا بناء فيه اي يعظم اماكنها وهو المبتدا المقدم خبره لمزيد تشويق للسامع اليه ومن ثم طول
الكلام في المسند ليحسن كل الحسن اذ بازدياد التطويل ازدياد الحسن كما ان بازدياده
ازدياد الشوق ومنه • ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وابو اسحق والقمر •

وبتبسم بالبنا للمفعول اي يستنشق وتشم **نفحاتها** جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث
ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وفيه تعرضوا النفحات رحمة الله شبه تلك المواطن
لما بها من بركاته صلى الله عليه وسلم وبركات الوحي ومن نزل به بذي رايحة طيبة استعارة ن
مكنية واثبت لها النفحات تخييلا فكان تلك البركات نفحاتها **وتقبل** بالتشديد للبنا للمفعول
ربوعها جمع ربع وهو المنزل دار الاقامة وفي حديث فتح مكة وقد قال صلى الله عليه وسلم
اسامة بن زيد اين تنزل غدا يا رسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع ايضا
وجدرانها جمع جدار وهو ما يحاط به عليها هذا ولما اراد ان يبين ما عنده من لوعة الاحترا ف
الى تلك الربوع مريدا اهلها ساكنيها بخطاب على تشبيهها لهم منزلا لها منزلة مميز عاقل
يتاتى نداؤه فقال مناديا لها في ابيات من بحر الكامل من عروضه الاولى الصحيحة وضربها
الثاني المقطوع **يا دار خير المرسلين** بشهادة حديث البخاري انا سيد الاولين والاخرين ولا
فخر **ومن به هدي الانام** اي الخلق او كل ذي روح **وخص بالايات** البالغة والمعجزات الباهرة
عندي لاجلك لوعة من لاع يلوع ويلاع لوعا اي شدة حب وحرقه **وصبابة** اي رقة شوق
من صبا اليه اي مال وعن النخعي كان يعجبهم ان يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب وارعوى فيما
كان ادعواؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على ما فرط وابعد له عن ان يعجب بعمله
او يتكل عليه **وعلى عهد** اي وثيقه والتزام **ان ملات محاجري** اي نواظري **من تلكم الجدرات**
والعرصات تقدم بيانه **لاعفرن مصون شيبي** اي لالوثنه بترابها متقلبي له **بينها** اي
بين العرصات **من كثرة التقبيل والرشفات** جمع رشفة وهي مص المحب ريق محبوبه **لولا**
العوادي جمع عادية من الاعتدا وهو الظلم والتجاوز للحد **والاعادي** جمع عدو من العداوة
زرتها اي تلك العرصات **ابدا** دايما في كل وقت امكن **ولو** كانت زيارتي لها **سحبا على الوجنات**
جمع وجنة وهي اعلا الخد **لكن** اداة استدراك تتوسط بين متغايرين ثبوتا ونفيا لفظا او
معنى كما هنا اذ اولهما منفي معنى استدراك لفواته ما افاده قوله **ساهدي من حفيل تحيتي**
من اضافة الصفة الى موصوفها وتقديمها عليه انخلعت عن تبعيتها له وصارت كالجوامد
اسما غير صفة واضيفت اليه للبيان اذ هو بالاضافة الاصل اضافة الشيء الى نفسه الذي
تخصص به والتحية في الاصل مصدر حياك الله احيا من الحياة ثم استعمل للدعا بها ثم
لكل دعا ثم غلب في الاسلام اي تحيتي الحافلة اي الكثيرة **لقطين تلك الدار** من قطن بالمكان اذا
لزمه وفي حديث الاضافة نحن قطين الله اي سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زيد
ابن حارثة فاني قطين البيت عند المشاعر **والحجرات** جمع حجرة وهي بيت صغير من الدار منفرد
اذكى بمعجمة اي اهدي من كثير تحيتي له ما هو اشد واقوى **من المسك المفتق** بمثناة فوقية
مشددة من فتق المسك اذا خلطه بغيره لتذكو رايحته فشبه ما يهديه له من كثير تحية
بمسك مفتق على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له الذكي تخييلا او شبه كثرتها بذكائه
وادخلها في جنس الذكي مبالغة في التشبيه والحاقا لنفعها بنفعه ثم اشتق منه اذكى فجرت
الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم التفضيل تبعية **نفحة** تمييز للنسبة في اذكى اذ اصل
اصله النفحة للتفصيل بعد الاجمال ليكون اوقع في النفس اي اهدي له ما هو اجمع نفعا منه **تغشاه** اي

على بركاته بالاصال جمع اصيل بعد العصر الى المغرب والبكرات جمع بكرة اول النهار الباب
الرابع من القسم الثاني في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم مصدر سلم كالتكليم
مصدر كلم يرد كذلك مؤكدا لفعله بمنزلة تكريره لتحقيق معنى التاكيد كما في ويسلموا تسليما
اي ينقادوا انقيادا و فرض ذلك وفضله قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
مرجع حرك الجمع والضم ومنه ان المصلي من شانه ان ينعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن
ينعطف على غيره حنوا ورافة كعائد المريض ينعطف والمراة تحنو على ولدها شهادة حديث
خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على ولد وارعاه على زوج في ذات يد وقول ورقة اذ كان
يمر على بلال وعقبة بن ابي معيط يعذبه والله ان قتلتموه لاتخذنه حنانا ثم كثر حتى استعير
للرحمة والرافة يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا له بان يرحمه ويراف عليه
اي قولوا اللهم صل عليه وسلم واكد التسليم فعل به دون فعل الصلاة بها لان التاكيد بان واسمية
الجملة وباعلام الله انه وملائكته يصلون عليه قد تقدم في الجملة فاكتفي به ولا كذلك التسليم
فحسن تاكيد فعله به وقال يصلون المؤذن بالاستمرار التجددي تلويحا بان صلاته تعالى وصلاة
ملائكته مستمرة دائما متجددة وقتا فوقتا هذه وابيك الخالصة التي لم يشاركه فيها غيره
والشرف الذي لا شرف فوقه وقال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون عليه اخذا
من تعليم الصلاة عليه ومعنى بارك على محمد وعلى ال محمد اثبت وادم ما اعطيته من تشريف
وتكريم وقد يراد بالبركة الزيادة وما ذكره هنا عن الايمة فمعناه قريب مما ذكر فلا نطول بذكره
وعطفه في حديث تعليم الصلاة عليه وبارك على صل مؤذن بمغايرة بينهما كما ذكرناه وفي معنى
السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة وجوه جمع كثرة استعمله في جمع القلة مجازا احدها
السلامة لك ومعك لانها الاصل يقال سلم يسلم سلامة وسلاما وقيل للجنة دار السلام
لانها منجى السلامة من الافات وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة لان ماخذهما
ومعناهما واحد الثاني من وجوه معنى السلام ان السلام بمعنى المسالمة مصدر وصف به
مبالغة في وصف كونه تعالى مسلما مهيمنا على حفظك ورعايتك فانت بمراى منه ومسمع
متول له اي لحفظه ورعايته وكفيل اي ضمين زعيم به ويكون هنا اي في الوجه الثاني السلام اسم
الله ذي السلامة من كل نقص الثالث منها ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد له اي الاذعان
وترك المخالفة كما قال فلا وربك اي فوربك بشهادة فوربك لنسالنهم زيدت فيه لا لتاكيد
القسم لا لتظاهر لا يؤمنون جواب القسم لان استوا النفي والاثبات في زيادة للتاكيد كما في
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ياتي ذلك حتى يحكموك فيما شجر بينهم من التنازع والاختلاف
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي ضيقا مما قضيت اي حكمت به او من حكمك ويسلموا اي ينقادوا
ويذعنوا لما حكمت به تسليما مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره اي وينقادوا انقيادا ظاهرا
وباطنا لا ريب فيه فصل اعلم خطاب بصيغة الامر لكل من يتاتى توجيهه اليه سد مسد
معموليه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض خبر ان وما بين اسمها وخبرها اعتراض اذن
بالدعاء له صلى الله عليه وسلم ترحما وترؤفا عليه في الجملة غير محدد بوقت من الاوقات لامر الله
بالصلاة عليه علة لفرضها بالجملة وحمل عطف على مدخول لام العلة اي ولحمل الايمة والعلماء له اي لامر الله

رفع

على الوجوب واجمعوا عليه اي على الوجوب او على الحمل عليه وحكى ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الشا
ان محمل الاية عنده اي عند ابي جعفر على الندب وادعى فيه اي في ان محملها على الندب الاجماع
و نوزع ومن ثم قال ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه مبتدا وهو اسم فاعل مشتق فلامه
اسم موصول هو صلته الذي يسقط به الحرج ويسقط به مأثم مصدر ميمي اي الاثم الذي يترتب على
ترك الفرض مرة بالرفع خبر المبتدا اذ لا توجد الماهية المطلوبة بالامر باقل منها فيحمل عليها
كالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة لوجوبهما علينا واحدة اذ لا يتحقق ماهية
المامور به في مثل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله الا بهما وما عدا ذلك فمندوب
مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله اي علامتهم وجمعه شعر مثل كتاب وكتب وعن
عائشة كان ينام في شعرنا وفي حديث آخر كان لا يصلي في شعرنا ولحفنا وانما لم يصل فيها تباعدا
من ان يكون قد اصابتها نجاسة كدم حيض وغيره اذ طهارة ما يصلى فيه شرط لصحتها بخلاف النوم
قال ابن القصار من المالكية المشهور عن اصحابنا ان ذلك اي ما ذكر من فرض الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم واجب في الجملة غير موقت بوقت معين على الانسان وفرض على ان ياتي بها مرة
من دهره اذ به يخرج عن عهدة الامر مع القدرة على ذلك اي على الاتيان بها اذ هي شرط له وقال
ابو بكر بن بكير منهم ايضا افترض الله من الفرض وهو القطع يقال فرض يفرض فرضا وافترض يفترض ض
افتراضا وهو والواجب معناهما عند الشافعي واحد واكد من الواجب عند ابي حنيفة اي اوجب
على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما مصدر موكد لفعله كما ولم يجعل ذلك لوقت
اي في وقت معين اذ اللام في باب الحرف من اخوات في فانت عنه هنا كما في فطلقوهن لعدتهن ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة في احد قولين فالواجب ان يكثر المرء اي الرجل وجمعه الحسن ودون
على من ذوت ويقال مرؤ وامرؤ كما يقال امراه وامراة ومرة منها اي يكثر من الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم تكريما له وتعظيما ولا يغفل عنها ولا يشتغل بقدر الامكان وما نقله هنا عن
ابن نصير وما حكاه عن ابن سعيد عن مالك وغيره يفيد معناه ما مر في نظائره وقال اصحاب
الشافعي الفرض منها اي من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الذي امر الله به في تنزيله وامر به
رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته هو في تشهد الصلاة عقبه قبل سلام التحلل لشهادة حديث
ابي مسعود البدري في صحيحي ابن حبان والحاكم اما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه اي
فيما علمتنا من تشهد الصلاة وهو السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فكيف نصلي عليك اذا
نحن صلينا عليك في صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى اخره زاد ابن ماجة وغيره والسلام
كما قد علمتم وحديث ابن مسعود فيما رواه ابن ابي شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح
يتشهد الرجل في الصلاة ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه بعد وحديث عمر
فيما رواه العمري بسند جيد لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي وحديث في كتابه الام
البره عن كعب بن عجرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة اللهم صل على محمد
وال محمد الى اخره وانما خص وجوب الاتيان بها بينهما لانه صلى الله عليه وسلم كما قال البيهقي
كان قد علمهم كيفية السلام عليه في تشهد الصلاة فلما نزل الامر بالصلاة عليه سالوه عن كيفيتها
فعلمهم اياها فدل على ان محلها بينهما فهذه احاديث لما تقدم صدق بوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه

ومن ثم قال الشافعي قد ورد انه صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد الصلاة وورد انه علمهم كيف يصلون
عليه فيها فلم يجز ان نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلاة عليه فيها وزعم القرافي في ذخيرته
ان الشافعي استدل على وجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه بالاجماع ولم يصب في ذلك وقد
قالوا اي اصحاب الشافعي واما في غيرها اي غير الصلاة فلا خلاف في انها غير واجبة الا مرة
واحدة كما مر واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر محمد بن جرير الطبري واحمد بن محمد بن سلامة
الطحاوي ممن لم يقل بوجوبها عليه فيه اجماع المتقدمين والمتاخرين من علما الايمة على ان الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وهو مجرد دعوى بلا بينة قضى ببطلانها ايمة
الاتقان ويرد نقل الاجماع على عدم وجوبها عليه فيه اعلام الايقان كالنووي في شرح المهذب
ومسلم وابن كثير وقيم الجوزية وكثير بن نقلوا وجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه عن ايمة
من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وابي مسعود البدري وجابر بن عبد الله ومن
التابعين محمد بن كعب القرظي والشعبي والباقر ومقاتل ومن غيرهم احمد بن حنبل في قوله كما
قال ابو زرعة الدمشقي الاخر عملا حتى ان بعضهم اوجب ان يقال فيه صلى الله عليه وسلم وقد
الزم من قال من الحنفية بوجوبها كلما ذكر كالطحاوي وصاحب المحيط والتحفة والمعيد والغنية
ان يقولوا بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه قيل ولهم ان يلتزموه لذكره لا للصحيح وشذ من حاد عما
هدى امام الايمة الشافعي في ذلك اليه من طيب القول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم في تشهد الصلاة بشهادة قولهم كما في حديث ابي مسعود اما السلام عليك فقد عرفناه
اي منك في التشهد فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فاقرهم على فهمهم وقال لهم
قولوا اللهم صل على محمد الى اخره فقال اي الشافعي من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد
التشهد الاخر وهو اشهد ان محمدا رسول الله وقبل السلام فصلاته فاسدة لانها ركن تفسد
بتركه وان صلى عليه قبل ذلك اي قبل اشهد ان محمدا رسول الله لم يجزه صلاته عليه فلابد من
اتيانه بها في محلها ولم يدر بهذا الشاذ ان الشافعي قد اوى فيما قاله الى ركن شديد مما من
سنته صلى الله عليه وسلم لحديث ابي مسعود وحديث ابن مسعود وحديث ابن عمر وحديث
كعب بن عجرة ومن مذهب عمر وابنه وابن مسعود وابي مسعود وجابر ومن التابعين كمحمد
ابن كعب والشعبي والباقر ومقاتل بل قال ابن حجر لم ار من الصحابة احدا صرح بعدم الوجوب
الا ما نقل عن النخعي هذا وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على راس المجتهدين
الشافعي قوله بوجوبها عليه فيه مع وضعه كتابه هذا لبيان شرفه صلى الله عليه وسلم
وعظم قدره ورفعة محله وانافة شانه وكريم شرفه عند ربه حتى اورد فيه احاديث ضعيفة
مبالغة في ذلك حتى مال الى طهارة بوله ودمه تعظيما له وتكريما فلو قال بوجوبها عليه فيه
لذلك وزين كتابه بقوله به كالشافعي لكان صوابا اذ هو من مقاصده هنا وكان قد تبع من
تقدمه من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن قال بوجوبها عليه فيه كما مر وقوله ولا سلف
له في هذا القول اي قوله بوجوبها عليه فيه قبل السلام ولا سنة يتبعها قد تلي عليك من سنة
من لا ينطق عن الهوى ومن مذاهب بعض الصحابة والتابعين وبعض مجتهدي الامة ان تمسكت به
نجاك من ورطة العصبية ولعله اخرج هذا مخرج عارف بشي عرفه حق معرفته ثم نزل نفسه

منزلة من لم يعرفه تجاهلا منه وتلويحا بتهمة امام الايمة في قوله بوجوبها عليه فيه اذ يبعد جدا
ان لا يكون قد عرف ادلة القول به مع شهرتها فانه كان حافظ عصره لكنه قد ابقت منه نازعة
فيه بانفته عن قبول الحق فتبع من شنع عليه بذلك وعين الرضى عن كل عيب كليلة كما ان عين
السخط تبدي المساويا هذا ولم اقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الايمة اليه من طيب القول
بل امتثالا لقول عمر اذا رايتم من يخرق اعراض الناس لا تعربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال
ذلك احرى ان لا تكونوا شهداء اي اذا سمعتموه يقول ذلك ولم تبينوه له وتمنعوه منه منكرين
عليه لم تكونوا ممن يشهد يوم القيامة على الامم المكذبين لرسلهم وقد بالغ في انكار هذه المسالة
يعني قوله ناصرا لسنة الشافعي بوجوبها عليه فيه لمخالفته فيها من تقدمه ممن لم يقل بوجوبها
عليه فيها جماعة وشنعوا عليه فيها منهم محمد بن جرير الطبري والقشيري لعله ابو منصور
ابن صاحب الرسالة وغير واحد انما شنع على نفسه لا عليه اذ لم يخالف فيها كتابا وسنة ولا
اجماعا وقياسا ولا مصلحة راجحة بل قد تمسك فيها بعروة وثقى لا انفصام لها مما تلي عليك من سنة
من لا ينطق عن الهوى وعد ذلك من محاسن مذهبه وما مثله ومثل من خالفه فيها الا قوله تعالى
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة
فرضا او نفلا بالشهادة وورود صلاة نكرة في حيز النفي الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
للامر بها ولما كان الامر للوجوب حيث لا صارف عنه قال الشافعي بوجوبها عليه فيه ولم
يوجبها على الال فيه مع عطفها عليه فيه لخروجها عن الوجوب بالاجماع على استحبابها ولم ادر
ما صرف ابن المنذر وابن جرير وغيرهما من اصحابه عن متابعته في قوله بوجوبها عليه فيه
تبعا لعمر وابنه عبد الله وجابر وغيرهم ممن ذكر فيما مر من الصحابة والتابعين وغيرهم الا
ان يقال صرفهم عنه عطف غير الواجب عليه فحملوا الامر فيهما على الندب فان ترك ذلك تارك
فصلاته مجزية اي كافية له في اسقاط الطلب من اجزا الشي كفى عند مالك واهل المدينة من عطف
العام على بعض افراده تقوية له وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي اي القياس سماهم
ايمة الحديث به لاخذهم فيما اشكل من الحديث او فيما لم يرد به حديث ولا اثر برايهم وشذ من خالف
امام الايمة الشافعي في قوله بوجوبها عليه فيه وفاز الامام الشافعي بالثنا الجميل والثواب الجزيل
بقوله بوجوبها عليه فيه فاوجب على تاركها في الصلاة عمدا او سهوا الاعادة لانها عنده ركن
من اركانها الثلاثة عشر التي لا تتم الا بها ولا تجبر بسجود سهو واوجب اسحاق بن ابراهيم بن راهويه
الاعادة مع تعمد تركها اي ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه ووافقه الخرقي من الحنابلة
والخلاف في وجوبها عليه جار عند المالكية ايضا اذ قد حكى ابن ابي زيد عن ابن المواز ان الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم فريضة يحتمل ان يريد مرة او كلما ذكر او في تشهد الصلاة قال ابو محمد هو
ابن ابي زيد يريد يعني ابن المواز انها ليست من فرايض الصلاة وقاله محمد بن عبد الله بن الحكم
وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها اي يرى ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فريضة في الصلاة كقول الشافعي وصححه ابن الحاجب في مختصره والعربي في سراج المريدين
قال ابن عبد السلام المالكي وهو ظاهر كلام ابن المواز وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب
كما ذهب اليه غيرهم وعطف الندب اما للتاكيد اذ معناهما عند الشافعي واحد او للتغاير وهما عند

غيره بان السنة ما واظب عليه صلى الله عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض
الشافعية كالقاضي حسين **وقد خالف الخطابي من الشافعية وغيره الشافعي في هذه المسألة**
ولا عبرة بما افهمه له فيها حيث ان الامراء سالوه صلى الله عليه وسلم ان يعرفهم كيفيتها في التشهد
بعد ان عرفهم كيفية السلام فيه بالوجوب ولم يمنع احد احتمال كونه مراد **اما الخطابي ولبست**
اي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم **بواجبة في الصلاة** مع مخالفته ظاهر مقتضي الامر بها
وهو اي عدم وجوبها **قول جماعة الفقها الا الشافعي** حصر غير معتبر لانه دعوي بلا بينة
اذ ن يبطلها ما تلي عليك من مذهب عمر وغيره من الصحابة والتابعين والمجتهدين **ولا اعلم**
له فيها قدوة بل له فيها قدوة حسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحاديث المارة وعمر وابنه
وابن مسعود وابي مسعود البدري وجابر والشعبي والباقر ومقاتل وغيرهم ولا يلزم من
نفيه علمه بالقدوة نفيها **والدليل علي انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح**
بل بعضهم لشهادة من ذكرنا ممن قال بوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه **قبل الشافعي واجماعهم**
عليه اي علي عدم وجوبها عليه فيه ودعوي الاجماع يبطلها قول من ذكر غير مرة بوجوبها **وقد**
شنع الناس عليه بمن لم يعتمد به ولا علم له بما ذكرنا من الصحابة وغيرهم **هذه المسألة جدا**
اي بالغوا فيه مخطئين ما اقتضاه امره صلى الله عليه وسلم من وجوبها فيها من كقوله لهم اذ قالوا
له قد علمنا كيف نسلم عليك اي فيه فكيف نصلي عليك في صلاتنا اذا نحن صلينا قال قولوا اللهم
صل علي محمد الي اخره مما مر من الاحاديث فعزوا لسند وذا ليد والتشنيع عليه مع ما تمسك به
مما قد علمته مجرد اساءة تورث ندامة اذ هي مسالة اجتهاد بة لم يخالف فيها كتابا وسنة ولا اجماعا
وقياسا وشيخ مذهبه بقوله بوجوبها فيه بينهما تشريفا له صلى الله عليه وسلم واجلالا وتكريما
وتبجيلا **وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي** ليس كما زعم انما اختار تشهد ابن عباس
لزيادة المباركات فيه الموافقة قوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة وقولهم كما يعلمنا
السورة من القران ورجحه الشافعي فاختاره دون غيره قال البيهقي ولتاخره عن تعليم ابن
مسعود لان ابن عباس كان من صغار الصحابة **وهو** اي تشهد ابن مسعود **الذي علمه له النبي**
صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم **وكذلك من روي التشهد عنه**
صلى الله عليه وسلم ممن ذكرهنا من الصحابة **لم يذكروا فيه صلاة عليه** صلى الله عليه وسلم لا يلزم
من عدم ذكرهم لها فيه ان لا يكون امرهم بها بعد ذلك لان تعليمه لهم اياه كان في ابتدا الهجرة قبل
نزول الامر بها عليه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم يامرهم بها فلما نزل يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما قالوا كما **اما السلام عليك فقد عرفناه** اي من تعليمه لهم التشهد فكيف نصلي
عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا قال قولوا اللهم صل علي محمد الي اخره وروي الحاكم بسند قوي
عن ابن مسعود كما قال صلى الله عليه وسلم يتشهد الرجل ثم يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو
لنفسه وهذا مع ما مر من اقوي ادلة الشافعي بوجوبها اذ قد ثبت عنهم انه صلى الله عليه وسلم
علمهم التشهد ثم كيفية الصلاة عليه فيه لسوالهم بعد نزول الامر بها فدل علي ان الامر كان بعد
تعليمهم اياه وانها بعد التشهد وقبل السلام يقول ابن مسعود يتشهد الرجل ثم يصلي علي النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه فد حضت حجة من بالغ في رد قول الشافعي بوجوبها عليه

صلى الله عليه وسلم فيه وبان الحق وارتفع النزاع ولعمري لقد افرط في عزوة التشدد والبه وبالغ
في نقله التشنيع عليه وقد عاب عليه ذلك كثيرون كالحافظ العراقي وابي امامة ابن النقاش
مع انتصاره في تفسيره للشافعي بما يطول ذكره وكان ينبغي له حيث لم يقل بوجوبها عليه فيه ان
يسكت عن ذلك لان داعيه الي تاليف كتابه هذا هو بيان شرفه ورفعة محله وانا فيه عند
ربه واداء حقوقه مع انتظام القول بوجوبها عليه فيه فكيف ينكره مع استحسانه فيما مر قول
بعض اصحاب الشافعي مخالفا للاكثر منهم بطهارة بوله مبالغة في تعظيمه وروي **قال ابن عباس** وروي
الحاكم والنسائي **قال جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران**
اي في صدر هجرته قبل نزول الامر بها بالمدينة كما مر وروي ابن ابي شيبة في مصنفه **قال ابن عمر كان**
ابو بكر يعلمنا التشهد علي المنبر حال من ابي بكر واوردا لفعل مضارعا بعد ارادة ماضيا تصويرا
للسامع حالة تعليمه كانه يبصره اياه ويطلب منه مشاهدتها كما في خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون دون وكان تصويرا لحالة خلقه البديعة الدالة علي كمال قدرته الباهرة من ايجاده من تراب
بلا اب تعجيبا للسامع منها كانه يطلب منه مشاهدتها ويطلعه علي كنهها **وعلمه ايضا** اي التشهد
علي المنبر عمر اي علمهم اياه تاما بالصلاة عليه فيه للامر بها عليه صلى الله عليه وسلم فيه فيما التحيات
لله فصفاتها فسلاميه فتشهديه فالصلاة عليه فيه فصلى الله فيما صليت علي ابراهيم الي اخره فالدعا
بما شاء فالسلام وواجبه التحيات لله سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلي
عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اللهم صل علي محمد ثم السلام **وفي الحديث**
لا صلاة لمن لم يصل علي رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه قال وليس علي شرطهما اذ لم يخرجا كذا
والطبراني والدارقطني قال وليس عندهم بقوي والعمري والبيهقي بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء لمن لم
يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل علي نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار **قال ابن القصار معناه كاملة**
وهو صرف للنفي عن المتبادر منه وضعا اعني الحقيقة المجازية الي ناقص لا غنا له **او لمن لم يصل مرة في**
عمره وهو تحكم وترجيح بلا مرجح **وضعف اهل الحديث كلهم هذا الحديث** كذا قالت **وفي حديث ابي جعفر**
محمد الباقر بن زين العابدين **عن ابي مسعود من صلي صلاة لم يصل فيها علي وعلي اهل بيتي لم تقبل منه**
قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب **لو صليت صلاة لم اصل فيها علي النبي صلى الله عليه وسلم ولا علي اهل بيته لرايت انها لا تتم**
فقد حكم القاضي ولم يشعر علي نفسه بان للشافعي فيما قاله سلفا هو ابو جعفر مع من ذكرنا من
الصحابة والتابعين وغيرهم وله سنة فيما مر اتبعها من الاحاديث التي الحقه بذلك بعد انكاره لها
والتشنيع مع من شنع عليه • قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد • وينكر الفم طعم الماء من سقم •
فصل في المواطن اي الاماكن **التي يستحب فيها الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم**
والمواطن التي يرغب بالبنا للمفعول **من ذلك** اي الصلاة والسلام عليه فيها **في تشهد الصلاة** وجوبا
كما قال الشافعي واستحبابا **كما قدمنا وذلك** اي الاتيان بهما فيه **بعد التشهد** اي تشهده **وقبل**
الدعا المؤذن به حديث ثم ليتخير من الدعا ما شاء وقد اقام هنا شاهدا علي استحبابها فيه من طريق
الترمذي من طريق فضالة عن فضالة ظاهره بوجوبها فيه للامر المؤذن به وضعا **سمع** اي النبي صلى الله
عليه وسلم **عجل هذا** بدعائه لنفسه قبل ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم مع انه لا بد لمن اراد قضا حاجة

من احدان يزلف وسيلة اليه يشفع لها اليه فان ذلك اعون على الفوز بقضا بعدها فمن سال قبل تقديم
الوسيلة فقد عجل ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثنا عليه
اي بما يتضمنه واريد به هنا التحيات المباركات الى ثم ليصل على ثم ليدع بعد بما شا لنفسه
من خير وروي بمجيد بتقديم الميم اي بتشريفه وتعظيمه اذ هو تعالى كما رواه ابن ماجة جواد
ماجد وهو اي ما روي بتقديم الميم اصح من المروي قبله ورواه ابو داود والنسايي وابن حبان
والحاكم وكفاك به شاهدا لقول الشافعي بوجوبها ومحلها لشهادة ما مر اول الفصل من قوله
في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعا وروي الترمذي عن عمر قال الدعا والصلاة
معلق اي كل منهما بين السما والارض لا يصعد الى الله منه شي حتى يوتي بما يبلغه اليه تعالي
بان يصلى عليه صلى الله عليه وسلم وروى ابو الشيخ في الثواب عن علي مرفوعا معناه وقال
زيادة وعلى ال محمد ولفظ البيهقي في شعب الايمان محجوب حتى يصلي على محمد واهل بيته وروي عبد
الرزاق والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيا فليبدا
بمدحه والثنا عليه بما هو اهله فيه تلويح بان الحمد اخ المدح من حيث انه الثنا به على
الجميل مطلقا اختياريا كان ام لا فيحمد الانسان على بذل ماله وانعامه كما يمدح بهما وبصباحة
وجهه ورشاقة قده وعلمه وشجاعته فكل حمد مدح ولا عكس واما الشكر فلا يكون الا على نعمة
باللسان والجنان والاركان فالحمد شعبة منه لشهادة حديث الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد
لم يحمده فجعله راسه لكون ذكر النعمة باللسان اشيع لها بالجنان والاركان لخفا عمل القلب واحتمال
عمل الجوارح ثم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسال مجيب دعوة الداعي اذا دعاه فانه احرى
اي احق ان ينجح من نجح ينجح وانجح اذا اصاب طلبته ونجحت وانجحت وانجحه الله ومنه قول الكاهن
في بشارة برسالة النبي صلى الله عليه وسلم يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله روى
البزار وابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدحه يا رسول الله قال فان الراكب يملا قدحه ثم يرفع متاعه
على دابته فان احتاج الى شرب شرب او وضو توضا والا اي وان لم يحتج الى شي من ذلك
هراقه اي صبه وهاوه بدل من همزة اراق اذ هي الاصل في سال واقبت وقد يجمع بينهما
كاهراقه وعن الهروي كما في نهاية غريب الحديث ان معناه لا توخروني في الذكر كما اخر الراكب
تعليق قدحه اخر حمل متاعه وجعله خلفه اخذا من قول حسان كما نيط خلف الراكب القدح
الفرد ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه واخره اي اذكروني بالصلاة علي في هذه الثلاثة
وقال ابن عطا للدعا اركان يقوم بها ويستند الداعي اليها فيه وله ايضا اجنحة هي للطير
كالايدي تشبيه به على طريقة الاستعارة المكنية واثبات الاجنحة تخييلا فكانه لارتفاعه
الى السما طير واسباب بها يتوصل الى الفوز بالاجابة اذ السبب في الاصل هو الحبل به يتوصل
الى الما ثم اتسع تعبيرا لما يتوصل به الى الشي قال تعالى وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات
واوقات يستجاب فيها كدبر الصلوات وفي السجود وثلث الليل الاخر وعند البيت وخلف
المقام فان وافق اركانه مقارنا لها قوي باستناده اليها وان وافق اجنحته طار في السما اي صعد فيها
وان وافق مواقيته فان بنجح الاجابة وان وافق اسبابه انجح اي ظفر بطلبته فاركانه حضور القلب

باجتماع

باجتماع حواسه والرقة لينا وضعفا والاستكانة خضوعا وذلة وافتقارا اليه تعالى والخشوع خوفا
وانكسارا وهو في الصوت والبصر كهو في البدن وتعلق القلب بالله توكلا لا التفات الى غيره وقطعه
اي الداعي للاسباب نفاذ يامر الاشتغال بغيره تعالى واجنحته الصدق لهدايته كما قال صلى الله
عليه وسلم الى البر والبر يهدي الى الجنة ومواقيته التي يفاز فيها بالاجابة الاسحار لان الدعا فيها
اقرب الى الاجابة واسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم لحديث اجعلوني في اول الدعا
واوسطه واخره وبها الفوز بالنجح وفي الحديث الدعا بين الصلاتين على لا يرد بل الاجابة بل اسحا
ولا ادري من رواه وفي حديث اخر لا اعلم له راو كل دعا محجوب دون السما لحديث الترمذي المتقدم عن
عمر فاذا جات الصلاة علي صعد الدعا لانها كالمرصلة الى النجاح وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش
بمهملة فنون مفتوحتين فنجمه فقال في اخره واستجب دعاي اي تقبله ومن اسمايه تعالى المجيب
لانه يقابل الدعا والسوال بالقبول والعطا ثم تبدا بالصلاة اي بان تصلي على محمد اي تترحم وترا
على عبدك ونبيك ورسولك صفات مدح وتعظيم واضافة تشريف وتكريم افضل ما صليت على
احد من خلقك اجمعين تاكيد لضمير خلقك امين بالمد ويجوز قصره اسم مبني على الفتح معناه
استجب وفي الحديث امين خاتم رب العالمين اي طابع الله على عباده لدفع البلا والافات به فهو
كخاتم الكتاب يصونه من الفساد وظهور ما فيه ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو
عند ذكره صلى الله عليه وسلم وسماع اسمه او كتابته او عند الاذان وقد روي مسلم عن ابي هريرة
قال صلى الله عليه وسلم رغم بكسر عينه وفتحها من مضارعه او بفتحها وضمها من مضارعه ورابعه
مثلثة وارغم الله انفه اي الصقه بالرغام اي التراب هذا اصله ثم استعمل في الذل والانقياد
كرها ومنه قول معقل بن يسار رغم انفي لامر الله اي ذل وانقياد انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وفي الحديث بعثت مرغمة للمشركين اي هوانا وذلا لهم وكره ابن حبيب ذكره صلى الله عليه وسلم
عند الذبح لايهام ذكره عنده الاهلال لغير الله مع ورود ذكره عنده في الحديث وكرهها اي الصلاة
عليه سحنون عند التعجب لانه مقام اعظام لشي عظم موقعه وخفي سببه فربما توهم بالصلاة عليه انه
صلى عليه لاجله ومن ثم قال اي سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم الا على طريقة الاحتساب اي
خالصا لوجهه الكريم وطلب ما عنده تعالى من الثواب لا على طريق غيره قال اصبغ بن الفرج عن ابن
القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس لاختصاص ذكره تعالى بهما كما قالا بهما
فلا تقل فيهما اي الذبيحة والعطاس بعد ذكر الله محمد رسول الله حذرا عنده ممن توهم استحبابه
فيهما كذكره تعالى فيهما او حذرا للاهلال لغير الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن
تسمية له مع الله وقال اشهب قال اي ابن القاسم او اشهب ولا ينبغي ان تجعل الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم فيه في كل منهما استنانا بل استحسانا بلا كراهة كما قال الشافعي لا كراهة
على التسمية مع الذبيحة ان يقول صلى الله على محمد وسلم بل احب ذلك واحب ان يكثر من الصلاة
والسلام عليه بالصلاة عليه ايمان بالله وعبادة له يوجر عليها ان شا الله من قالها وروى
النسايي وابو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه
وسلم الامر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه الصعقة فاكثروا فيه من الصلاة
علي فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اي بليت قال ان الله عز
وجل حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا ورواه ايضا احمد وابن ابي عاصم والبيهقي والطبراني
وابن خزيمة وصححه النووي في الاذكار ومن مواطنها اي مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد للامر بها عند دخوله كما سياتي قال ابن شعبان ينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
علي النبي صلى الله عليه وسلم وان يصلي علي اله شعاره اللهم صل علي محمد واله ويترحم عليه وعلي اله
اللهم ارحم محمدا واله ويبارك علي محمد وعلي اله اللهم بارك علي محمد واله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك لانه محل الرحمة تخص سواله اياها فيه واذا خرج فعل
مثل ذلك اي يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم وعلي اله ويترحم عليه وعليهم ويبارك عليه وعليهم
ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي ويجعل موضع رحمتك فضلك اي وافتح لي ابواب فضلك
اخذا من حديث احمد وابي يعلي والترمذي وحسنه عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد صلى الله علي محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واجله
في مسلم وليس فيه وترحم وبارك وقال عمرو بن دينار في قوله تبارك وتعالى فاذا دخلتم بيوتا
لامر من الامور فسلموا علي انفسكم قال اي عمرو بن دينار ان لم يكن في البيت احد فقل السلام
علي النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين السلام علي اهل البيت
ورحمة الله وبركاته اخذا من عموم الاحاديث الواردة بالامر بالصلاة والسلام عليه في كل
موطن وعن ابن ابي حاتم قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا اي في اية اذا دخلتم بيوتا المساجد
فاذا دخل مسجدا صلى عليه وسلم وقال ما مر في حديث فاطمة واذا خرج صلى وسلم وقال ذلك
مع افتح لي ابواب رحمتك وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام علي رسول الله
تحية من عند الله مباركة طيبة واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلي عباد الله
الصالحين اخذا من حديث انس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم متي لقيت احدا من امتي
فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحي فانها
صلاة الابرار الاوابين وعن علقمة بن ابي وقاص الليثي يحكي عن نفسه اذا دخلت المسجد اقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله علي محمد وعلي اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
واحتج ابن شعبان لما ذكره فيما مر من انه ينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم
وعلي اله ويترحم عليه وعليهم ويبارك عليه وعليهم ويسلم تسليما بحديث فاطمة المتقدم ولم يذكر
فيه ترحما ولا تبركا ومثله اي مثل حديثها عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة زيادة
علي ما مر من حديثها وقد ذكرنا هذا الحديث اي حديثها في اخر هذا القسم اي الثاني والاختلاف في
الفاظه من رواته عنها ومن مواطنها اي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ايضا الصلاة في
الجنازة وهي عند الشافعي من اركانها ومحلها كما جزم به في المنهاج التكبيرة الثانية لحديث النساي
ومحمد بن نصر المروزي عن ابي امامة بن سهل الصحابي لا ابي امامة الباهلي قال السنة في
الصلاة علي الجنايز ان يكبر ثم يقرا بام القران ثم يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعا

للميت ولا يقرا الا في التكبيرة الاولي ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله
عليه وسلم وبقوله ولا يقرا الا في الاولي اخذ الغزالي وامامه والقاضي حسين والبندنيجي
والمتولي والرافعي في المحرر والنووي في التبيان هذا وفي شرح المهذب والمنهاج ما يقتضي
تاخيرها الي الثالثة والرابعة والاولي اولي وذكر كما تقدم في رواية النساي عن ابي امامة
انها اي الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة من السنة اصلها الطريقة يراد بها شرعا ما
امر صلى الله عليه وسلم به اونهي عنه قولا وفعلا مما لم يرد به الكتاب ومن ثم قالوا من ادلة الشرع القران
ت والقران ومن مواطنها التي مضي عليها عمل الامة ولم ينكرها الايمة الرسايل وبعد البسملة واول
من فعله من الخلفا ابو بكر الشهادة ما في سيرة الكلاعي ان بني سليم لما ارتدوا كتب الي عامله طريفة ابن
حاجر بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الي طريفة بن حاجر سلام عليك
فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واسا له ان يصلي علي محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد الي اخره
وعن بعضهم ان اول من صدر الرسايل بها هارون الرشيد ورد بما مر ولم يكن هذا اي ابتدا الرسايل بها
في الصدر الاول اي اراد به زمنه صلى الله عليه وسلم فهو ممكن او زمن اصحابه بعده فيرده كتاب ابي بكر
الي عامله طريفة كما مر وفي اذكار النووي عن حماد بن سلمة ان مكاتبة المسلمين كانت من فلان الي فلان
اما بعد سلام عليك الي اخره واصله كتابه صلى الله عليه وسلم الي هرقل من محمد رسول الله الي هرقل
عظيم الروم ثم احدث الزنادقة هذه المكاتبات المبدوة بالطلبة اي اطال الله بقاك واحدث اي
س ابتدا بها الرسايل عند ولاية بني العباس بن عبد المطلب بن هاشم واولهم السفاح فمضي به عمل الناس
في اقطار اي نواحي الارض ومنهم من يختم به بما ذكر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ايضا اي مع
الابتدا بها او بدونه الكتاب وروي الطبراني في الاوسط بسند حسن والخطيب في شرف اصحاب
الحديث وابو الشيخ في الثواب وغيرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلي علي في كتاب
ن لم تزل الملايكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وعن سفيان بن عيينة ثنا صاحب الحلقا
قال كان لي صديق يطلب معي الحديث فمات فرايته في المنام وعليه ثياب خضر جديدة يجول فيها
فقلت له الست كنت تطلب معي الحديث فما هذا الذي اري فقال كنت لا يمر لي حديث فيه ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم الا كتبت في اسفله صلى الله عليه وسلم فكافاني بهذا الذي تري
وعن الحسن بن محمد قال رايت احمد بن حنبل في النوم فقال لي يا ابا علي لو رايت صلاتنا علي النبي
صلى الله عليه وسلم في الكتب كيف تزهر بين ايدينا ومن مواطن التسليم عليه صلى الله عليه وسلم
ف تشهد الصلاة وقد استدل له بما اورده هنا من طريق البخاري عن ابن مسعود ظاهره انه موقوف
عليه فهو في حكم المرفوع اذ مثله لا يقال من جهة الراي قال اي ابن مسعود او رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا صلي احدكم فرضا او نفلا فليقل التحيات جمع تحية من الحياة بمعني الاحيا والتبقية
وهاوها الازمة لها والتا زايدة وهي اما بمعني السلام من حياك الله اي سلم عليك او بمعني الملك
او البقا له تعالي وانما جمعت لاختلاف تحيات الملوك اذ كان يقال لبعض منهم ابيت اللعن ولبعض
انعم صباحا ولبعض اسلم كثيرا ولبعض عش الف سنة فامرنا ان نقولها جمعا اي الكلمات التي تدل
علي السلام والملك والبقا لله والصلوات اي الادعية التي تؤدن بتعظيمه تعالي هي له لا تليق
بغيره ولا يستحقها سواه والطيبات من صلاة ودعا وكلام مما يدل علي الخير له تعالي وصلها بحرف

مطلب في شرح التحيات

العطف وقدم لله عليهما تلويحا بعطفهما على الجملة قبلهما او بان الصلوات مبتدا حذف خبره لدلالة
خبر ما قبله عليه والطيبات معطوفة على جملتها ولم ير في تشهد ابن عباس عاطف واخر الله فهما
جملتان مستانفتان مستقلتان موصوف بما بعده وخبر الاول مقدر اي التحيات المباركات
لله والثانية جواب سائل قال اذا كانت الصلوات لله فما للعبد فقيل هي لله مجازيه بثوابها
فضلا منه ورحمة اذا الصلاة جامع انواع الخير نعمة وبركة وهي المسئول في قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اسالك الطيبات وانما اختاره الشافعي لزيادة المباركات فيه ولموافقته قوله تعالى
تحية من عند الله مباركة طيبة ولما في قوله كان يعلمنا اه كما يعلمنا السورة من القران من زيادة
ضبطه لفظ حديثه صلى الله عليه وسلم **السلام عليك ايها النبي** دائما لا ينفك معه ضمير
ولا يزول تك مكروه استقال من تحيته تعالى الى تحية رسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال عليك
دون على النبي تبعا للفظه صلى الله عليه وسلم وقت علمهم التشهد وعدوله صلى الله عليه
وسلم اليه ليخاطبوه اذ كان حيا فلما توفي ذهب بعضهم الى الغيبة لشهادة حديث البخاري
عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلنا السلام على النبي
ورحمة الله وبركاته اي عليه النعمة الدائمة من تشريف وتكريم جمع بركة وهي الخير النمي
معتبرا فيه اللزوم من برك البعير اي التي بركه اي صدره وسمي مكان الماء بركة للزومه فيه
والمباركات ما فيه ذلك الخير وفي قوله تعالى وهذا ذكر مبارك تلويح بانه فياض عوارف
الخيرات هنا والصدد وزخره تعالى من حيث لا يحس على وجوه لا تحصى قيل لكل ما فيه زيادة
غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة والسلام بمعنى السلامة مصدر ان كل المقام وللمقامه
ومن اسمائه تعالى السلام نقل الى الاسمية منا الحق في سلامته من كل عيب وافة ونقص وفناء
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصله سلمت سلاما حذف فعله واقيم هو مقامه ثم عدل
الى الرفع على الابتدا ايذانا باستقراره وثباته كما في قالوا سلاما قال سلام فانه رفع تلويحا
بان ابراهيم صلى الله عليه وسلم حيا الملئكه بتحية احسن من تحيتهم له اذ رفعه مؤذن
بثباته لهم دون ما افادته تحيتهم من تجدده وحدوثه له ثم تعريفه هنا وفيما قبله اما
للعهد تقريرا اي ذلك السلام الذي وجه الى الانبيا والرسل قبلك موجه اليك ايها النبي
وذلك السلام الذي وجه الى عباد الله الصالحين من سالفي الامم قبلنا علينا وعلى اخواننا او
للجنس اي حقيقة السلام الذي يعرف كل احد ما هو وعن من صدر وعلى من يقول منك ومنا
او للاشارة الى قوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى **فانكم اذا قلتموها** اي كلمة عباد الله
الصالحين **اصابت كل عبد صالح في السماء والارض** لشهادة اضافة الجمع الاول وتحليته الثاني بالالم
اي نالته الرحمة والبركة **هذا** اي تشهد الصلاة **احد مواطن التسليم عليه** صلى الله عليه وسلم **وسنته**
ان يكون **اول التشهد** اي قبل اشهد ان لا اله الا الله وبعد ما قبله **وروي مالك** في الموطا **عن ابن**
عمر انه كان يقول ذلك اي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين **اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم** ليخرج من صلاته **واستحب مالك في المسوطة ان يسلم**
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلينا وعلى عباد الله الصالحين اي استحب فيها ان يقال ما رواه عن ابن عمر
قبل السلام من صلاته كما نبه عليه محمد بن مسلمة هنا وليس من مشهور مذهبه **واستحب العلماء ان**

بنوي بها الانسان المصلي اماما او ماموما او منفردا **حين سلامه** من صلاته **كل عبد صالح في السماء**
والارض من الملئكة وبني ادم والجن ظاهره سوا حضر وام لا وهو لا ينافي الاعلى الاول اما على الثاني
فذكر اصحاب الشافعي ان الامام ينوي بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه
وغيره ينوي به من عن يمينه ويساره وهم الرد عليه وما حكاه هنا عن مالك من قوله في المجموعة
احب للماموم **كذا** غريب ليس من مشهور مذهبه **فصل في كيفية الصلاة والتسليم عليه**
صلى الله عليه وسلم قد روي هنا ما يفيد ذلك من طريق الترمذي **انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي**
عليك سوال عن كيفية الصلاة عليه فيه الامر بها يا ايها الذين امنوا صلوا عليه **فقال قولوا**
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته اما من الذر بلا همز اي البث في الارض او هي من الذرء اي الخلق
ابدلت همزتها ياءا ثم واوها ياءا ثم ادغم **كما صليت على ال ابراهيم** قيل لم يذكر ال محمد كال ابراهيم تلويحا
بان اله فيه مقحم كما اقحم في حديث ابي موسى لقد اعطيت مزمارا من مزامير ال داود اي الرجلين
في اله احد مشهورا بحسن الصوت اي صل على ازواجه وذريته صلاة مشهورة كشهرة صلاة
الملائكة على ال ابراهيم بقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فالتشبيه من باب الحاق ما لم
يشتهر بما اشتهر لا من باب الحاق الناقص اذ هو صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق فالصلاة المطلوبة منه
اكمل **وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم** اي انمت وداوم له ولهم ما افضت عليهم من
خير واشهره كما انميته وادمته مشهورا لال ابراهيم **انك حميد** اي كريم كثير الاحسان واسع العطا
ومنه توالي توجه بركاته وترحمه على حبيبه نبي الرحمة واله وصحبه **وفي رواية** في الموطا **عن ابي**
مسعود الانصاري ثم البدري لنزوله بدرا **قال** اي النبي صلى الله عليه وسلم **قولوا اللهم صل على**
محمد وعلى اله كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد اي ابق وادم له ما منحته به من تشريف
وتكريم ومن بركة ورحمة وادمهما عليهم **كما باركت على ال ابراهيم في العالمين انك حميد** على ما يوجب
لك الحمد **مجيد** اي كثير البر والنوال **والسلام كما قد علمتم** بمهملة مفتوحة فلام مكسورة مخففة
او مشدده مع المهملة في التشهد بتعليمه لهم **وفي** حديث الايمة الستة من **رواية كعب بن عجرة**
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم زيادة ذكر ابراهيم في مقابلة ذكر محمد وليس التشبيه فيما
كما مر من باب الحاق الناقص بالكامل بل من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر في العالمين من دعاء الملائكة
لهم بقوله المحكي عنهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت **وبارك على محمد وال محمد كما باركت على**
ابراهيم انك حميد فعيل بمعنى مفعول اي محمود **مجيد** فعيل بمعنى فاعل اي ماجد مبالغة في المجد
اعني الشرف الواسع ورجل ماجد مفضال اي شريف كثير الخير وعن علي اما نحن بنو هاشم فانجاد
امجاد اي اشراف كرام جمع نجيد وماجد كاشهاد جمع شهيد وشاهد **وروي** مسلم وغيره **عن عقبة**
ابن عمرو اللهم صل على محمد النبي الامي اي الذي على اصل خلقته وولادته لم يتعلم كتابة ووصفه
به تلويحا بان كمال علمه مع بقائه على جبلته الاولى من معجزاته **وعلى ال محمد** هم كما قال الشافعي
من حرمت عليهم الزكاة وتبعه الايمة ونصره قوله صلى الله عليه وسلم للحسين بن علي انا ال محمد
لا ناكل ولا تحل لنا الصدقة او ازواجه وذريته او جميع امته ورجحه النووي في شرح كذا
وقيده القاضي الحسين بالاتقياء منهم وفي حديث البخاري **رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على**
محمد عبدك ورسولك اضافة تشريف وتكريم وما اورده هنا عن ابي عبد الله الحاكم فقال النميري

اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطي وهو متروك لو صنعه على اهل البيت وفيه حرب بن
الحسن الطائي ويحيى بن المساور وهما مجهولان وحديث ابي داود عن ابي هريرة وحديث الديلمي
في مسند الفردوس عن زيد بن خارجه بن زيد الانصاري الخزرجي فقد منعت ما ان اوعيته اغناك
عن بيانها هنا وروى ابن ابي شيبة في مصنفه والطبراني في الاوسط وسعيد بن منصور عن سلامة
الكندي كان علي يعلمنا الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كليهما فهو موقوف
على علي لكن وان صح سنده بان روايته عنه مرسلة اذ لم يدركه اللهم داحي المدحوات وفي رواية
المدحيات بتشديد يد ي رابعهما من دحي يدحو ويدحي اي باسط المبسوطات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها
اي بسطها والارض بعد ذلك دحاها وبارئ المسموكات من براء الشيء اي خلقه لا على مثال وقيل سيّر
عن غيره اي خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات اذ قد جعل قدرها بينهما في جهة العلو مدّ بدا
مسيرة خمسمائة عام وروي بدل بارئ سامك اجعل شرايف صلواتك اي خيارها وارفعها قدرا
وانماها ذاتا وقيل للاخفش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال كان يحتقرني كنت اتيه مع ابراهيم
فيرحب به ويقول اقعد ثم ايها العبد ثم يقول لا يرفع العبد فوق سنته ما دام فينا بارضنا شرف
واجعل نوامي بركاتك المضاف باضافته الى متبوعه انخلع من التابعية وصار اسما غير صفة وخصص
واجعل رافة تحننك بنا فوقية فهماه فنونيل اي رحمتك قال تعالى وحنانا من لدنا اي اجعل اشد
تعطفك وترحمك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق من انغلاق الباب واستغلق اذا عسر من
ابواب كنوز المبرات واسباب انواع المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة وايضاح المحجة ابواب
الهداية ورفع معالم الدين وبين شعائر الاسلام والف بين قلوب عباده مختلفة واراحه منحرفه
والم احوال الممتنعة وغير ذلك مما اغلق على غيره وفي الحديث لا طلاق في اغلاق اي اكراه لان المكره
مغلق مضيق عليه في امره وتصرفه كانغلاق الباب على الانسان وفيه اوتيت مفاتيح خزاين السموات
والارض اراد ما سهله الله له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها وفيه اوتيت مفاتيح الكلم
اراد ما منحه الله من البلاغة والبراعة للوصول الى غوامض المعاني وبدايع الحكم وروايع العبارات
الانيقة والالفاظ الجزلة الرشيقة مما اغلق على غيره والخاتم لما سبق من النبيين والمرسلين ما
والمعلن الحق اسم الفاعل لانه موصولة وهو صلتها وعايدها المستتر فيه وهو العامل فيه على الاصح اذ انها
لنيابته عن الفعل والحق يجوز جره بالاضافة كما في انا الزايد الحامي الذمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي
ومثله واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم تستطعه الاوايل ونصبه لقصد التخفيف بالاضافة
وكذا ان وقع بعد اسم فاعل معرفا باللام ضمير كما في مدح العقل الاتيه هدى فانه عند المبرد وجماعة
يكون محله جرا بالاضافة وعند سيبويه والاخفش وغيرهما ان محله نصب لانه لما عرف بها استحالت
اضافته اليه لعدم حصول التخفيف اي المظهر له بالحق وضعه موضع ضميره قصدا للزيادة تمكينه
وتلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لا يعلي الا به والدامغ لجيشات الاباطيل جمع جيشة وهي المرة من جاش
اذا ارتفع منها ومن جمع باطل على غير قياس اي القامع والداحض لها فاستعار لجمعها او انها الدمغ
تشبيها لها ثم اشتق منه اسم الفاعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم الفاعل تبعية
والدمع اصابة الدماغ وكانه كصخرة القاه صلى الله عليه وسلم على رخونة مخه وعدى اسم الفاعل
هنا وفيما مر باللام لضعف عمله والاضافة هنا من اضافة بعض العام الى جنسه تلويحا باخراج

جيشات الحق كما حمل خبر مبتدا محذوف اي هذه الحال من وصفه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مثل حال
وصفه بما حمله من اعباء الرسالة او وصفه لمصدر الفعل المفاد من اسماء الفاعل اي الذي ثبت له لما
ذكر ثباتا مثل ثباته لما كلفه من تبليغ ما ارسل به فاضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة اي قوي
على ما حمله ونهض بامرك اي بتيسيرك واعانتك اياه عليه او فنهض بما امورك الذي كلفته حمله
لطاعتك ممتثلا اذا ما كلفته مستوفزا في مرضاتك اي مستعجلا في رضاك بغير نكل في قدم من
نكل به اذا جعله عبرة لغيره اي جبن في اقدام ولا وهي في عزم اي ولا ضعف في امر عزم عليه مجتهدا
فيه وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر متى توتر قال اول الليل وقال لعمر متى توتر
قال اخر الليل فقال لابي بكر اخذت بالحزم ولعمر اخذت بالعزم اراد ان ابا بكر حذر فواته بالنوم فقدمه
احتياطا وان عمر وثق بقوته على قيام الليل واخره ولا خير في عزم بغير حزم فان القوة اذا لم يكن معها
حذر ورطت صاحبها وفي حديث سجود القران سجدة ص ليست من عزايم السجود واعيا لوحيك
من وعى يعي وعيا اذا حفظ وفهم اي حافظا فاهما لما اوحيته اليه عاملا به مبلغا اياه وبالاضافة خرج
بعض ما صدقات الوحي من كلام خفي وكتابة واشارة ورسالة والهام يقال وحيت واوحيت حافظا
لعهدك الذي عاهدك عليه من ايمان بك واقرار بوحدانيتك واخلاص لطاعتك لا يزول عنه او
لعهدك الذي عاهدته عليه من امر ونهي منجزا له ووافيا به وهذا تلميح الى قوله صلى الله عليه وسلم
وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اي مقيم ومتمسك بهما مدة استطاعتي لعجزي عن بلوغ
كنه ما اوجبته علي او عن دفع ما قضيته علي في سابق قضائك اي ان كنت قضيت علي ان انقض
العهد وقتا ما فاني اتنصل منه معتذرا اليك ماضيا على نفاذ امرك اي مستمرا اثباتك الاحوال
اللازمة له مجتهدا في امضائه ترغيبا وترهيبا حتى اورى قبسا من اورت الزند اذا قدحته فاخرج جت
نوره والقبس ما اقتبس اي اخذ من النار في راس شيء والجملة غاية لما قبلها اي لم يزل مجاهدا في ابلاغ
ما امر بابلاغه فيه مرغبا فيه محذرا من مخالفته حتى اظهر دينا قيما سمحا واضحا بينا كالقابس نورا
لقابس الا الله اي لمبتغي سوابغ نعمه اي مواهبه المتوالية من تيسير وتسهيل وهداية للدخول
فيه افواجا فشبه لوضوحه وسماحته بالقبس فاستعار له اسمه استعارة تحقيقية وقرنها بالابرا
ترشيحا ومبالغة حتى كانه هو صرفا للنفس عن توهم تشبيهه به تصل باهله اي باهل القبس بمعنى
الذين المبتغين له اسبابه الموصلة اليه كالعناية والتوفيق مما به الفوز معاشا ومعادا به اي
برسول الله صلى الله عليه وسلم هديت القلوب فانقلبت مذعنة للحق بعد خوضات الفتن والاثم
كرات بعد كرات شبه الفتن والاثم بما يغمر على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها الخوضات استعارة رة
تخييلية فصار لحوق البلاغة وتناسبا للتشبيه موضحات الاعلام متعلق بهديت والاصل الى موضحات
لحذف الجار واوصل الفعل ونايرات الاحكام عطف ما قبله حذف مجروره واوصل فعله من نار لازما
اي واضحاتها وبيناتها ومنيرات الاسلام كذلك من انارته متعديا فهو اي النبي صلى الله عليه وسلم
امينك المامون اي حافظ دينك وعهدك الذي ايتمنته عليه وخازن ما استودعته ومنحته من
علمك المخزون وشهيدك فعيل بمعنى فاعل مبالغة اي شاهدك للانبيا على اممهم فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا يوم الدين اي يوم الجزا بما علم وبعيثك فعيل
بمعنى مفعول مبالغة فيه اي مبعوثك الذي بعثته اي ارسلته نعمة منك الى الخلق ورسولك

بالحق وحجة في الدنيا والاخرة لمن امن وفي الدنيا لمن كفر اللهم افسح له صلى الله عليه وسلم في عدنك علم
بمعنى العدن وهو الاقامة سمي به جنتها لعلاقة الظرفية اي وسع له في دار كرامتك جنة عدن من
عدن بالمكان اذا اقام به ولم يبرح منه واجزه يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاي من
اجازه اذا اعطاه اي اعطه مضاعفات الخير اي جوايزه مضاعفة اضعافا كثيرة وان يكون بوصل وجيم
وراء اي اعطه اجرا من فضلك يا ذا الفضل هذا والجايزة في الاصل ما يعطى للضيف بعد اقامته ثلثة
ايام ما يجوز به مسافة يوم وليلة لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة ايام وجايزته
يوم وليلة وما زاد فهو صدقة وقوله اجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم اي اعطوهم جايزتهم وكل
امر به كالضيافة واوخر الليث مهنات له صلى الله عليه وسلم جمع مهني حال من مضاعفات من
هناني الطعام يهناني اذا ساغ بلا تنغيص وكل ما اتاك بلا تعب فهو هني غير مكدرات صفة لمهنات
اي غير منغصات من فور ثوابك من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة كناية عنها ثم سميت به
الحالة التي لا ريب فيها ولا تراخي اي من سريع فضلك الذي لا بطؤ فيه الحلول اي الذي تحل فيه فتستقد
التمكين منه في التصرف فيه بالحلول في شي ثم اشتق اسم المفعول فجرت الاستعارة في المصدر اصلية
ثم في اسم المفعول تبعية لجريانها في المصدر اولا وجزيلا اي كثيرا عطايك المعلول من العلل بفتحات
ثلاث وهو الشرب ثانيا بعد النهل بثلاث فتحات وهو الشرب اولا اي عطاؤك المضاعف تعل به
عبادك مرة بعد اخرى فشبه وافر عطايه بمنهل عذب ترده العطاش ثم اشتق منه اسم المفعول
فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم المفعول تبعية ومنه قول كعب بن زهير كانه
منهل بالراح معلول اي مشرب لمامرة بعد اخرى اللهم اعل على بنا الناس وفي رواية الناس بناه اي
ارفع على عمل العاملين عمله او على منازلهم في الجنة منزلة او اطل على ذواتهم ذاته حتى لا يطوله احد لشهادة
قول سليمان صلى الله عليه وسلم من تقدم بنا ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعني من قتل انسانا ظلما
سماه بنا من حيث ان اصل البنا ضم شي الى شي اخر وهو اجزا خلقه الله مضموما بعضها الى بعض مركبة بالبنا
له لك واكرم مثواه لديك من ثوى بالمكان اذا اقام به اي اجعل منزله عندك كريما اي حسنا مرضيا
بعنايتك وحسن رعايتك واكرم نزله هو في الاصل ما يهيا للضيف قرى اي اجعل ما منحته به من
الاجر والثواب كريما اي مرضيا محمودا اذ الكريم كل ما رضي وحمد في بابه يقال وجه كريم اي مرضي في
حسنه وجماله وكتاب كريم اي مرضي في معانيه وفوايده ومطر كريم اي مرضي فيما ينشا منه من المنافع
واتمم له نوره الذي سالك ان تجعله في قلبه وبصره وفي سمعه وعن يمينه وعن شماله ليتجلى بانوار
المعارف فخص بفي الظرفية قلبه لانه محل التفكر في الادلة وبصره لانه مسرح اياته المنبثة في الانفس
والافاق وسمعه لانه محط اياته التي انزلها على انبيائه وخص يمينه وشماله بعن ايذانا بتجاوز
انواره عن قلبه وبصره وسمعه الى من عن يمينه وشماله بيانا وضياء للحق لمهتد واهتدا اليه واجزه
الجزاء الاوفى من انبائه تك له مقبول الشهادة تزكية لامته صلى الله عليه وسلم اذا شهد والانبيا انهم
قد بلغوا اممهم اذا جحدوا يوم القيمة تبليغهم اياهم مرضي المقالة فلا يسخط له قول ذا منطق عدل
مصدر سمي به فوضع موضع عادل مبالغة في جعله نفسه عدلا لما افاده من استقامة منطقه
وحفظه من الافراط والتفريط ومقبول ومرضي وذا منطق احوال من ضمير له وذا خطة فصل اي ذا
حالة رشد اي امر واضح في الهدى والاستقامة اذا الم به خطب عظيم اي امر مشكل فصله برايه المصيب

وفي حديث الحديبية ولا يسالون خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها وذا برهان عظيم
اي حجة ودليل قاطع وعنه ايضا عن علي صلوات الله البر اي العطوف على عباده ببره ولطفه ومنها
البار الا انه لم يرد وفي الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة اي عليكم مشفقة كالوالدة البرة باولاد
يعني ان منها خلقكم وفيها معاشكم واليها بعد الموت معادكم الرحيم اي العظيم الرحمة وصلوات الملئكة المقربين
كجبريل وميكائيل واسرافيل وخص المقربين لمناسبة ما بعده والنبيين والصديقين جمع صديق
وضع موضع صادق مبالغة فيه والشهدا جمع شهيد وهو في الاصل من يقتل مجاهدا في سبيل الله ثم سمي
صلى الله عليه وسلم صاحب الجنب والبطن والمغرق والحرق والهدم وغيرهم سمي شهيدا لان الله
وملائكته يشهدون له بالجنة او لانه حي لم يمت كانه شاهد اي حاضر او لان ملائكة الرحمة تشهده
او لقيامه بشهادة الحق في امر الله حتى قتل او لشهوده ما اعد الله له من الكرامة بقتله فعيل بمعنى فاعل
او مفعول والصالحين لكل خير القايمين بما عليهم من حقوق الله وحقوق عباده ما سبح لك من شي
ما مصدرية ومن زايدة اي صلواتهم دايمة مستمرة مدة دوام تسبيح شي لك اي ما دام يسبحك
شي وعلى رواية الواو قبل ما فما موصولة معطوفة على الاسم الكريم ومن بيانية لما اي وصلوات الذي
سبحك وهو كل شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين اي الفايق لهم
بما اكرمته من السودد والفضل وامام المتقين الذين يصونون انفسهم عما يوبقهم في الاخرة اذ الوقاية
فرط الصيانة ورسول رب العالمين الى الناس كافة الشاهد المقام المحمود يوم القيمة او على من يشهد
عليه فيه من الامم المكذبين رسلهم وعلى من بعث اليهم بتصديقهم وتكذيبهم اياه وبنجاتهم وهلاكهم
البشير للمؤمنين بما اخفي لهم من قرة اعين والداعي اليك من ارسلته اليهم الى الاقرار بك وبتوحيدك
وما يجب الايمان به من صفاتك باذنك اي بتيسيرك استعير له لان التصرف في حق الغير ممتنع فاذا
صادف اذنا تيسر وقيد به الدعوة ايذانا بصعوبتها لا تستطاع الا بتيسير منه تعالى السراج المنير
اذ به ازيل ظلام الشرك بالسراج فابصر بنوره ذوو العماية واهتدى ذوو الغواية وعليه السلام
مما يغشى غيره من سو وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان يقول اللهم سلمني من رمضان وسلمه
لي وتسلمه مني متسلمي منه اي لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبينه وسلمه لي اي حذرا من ان يغم
علي الهلال اوله واخره فيلتبس علي صوما وفطرا وسلمه مني اي بعصمتي فيه وحديث ابن مسعود
هنا رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان ومعناه لعله مما مر فهو غني عن البيان وفيه اللهم
ابعثه مقاما نصب على الظرفية باضمار فعله اي اقمه او ضمن ابعثه معناه وتنكيره تبعا للقران مؤذن
بعمومه كل مقام يحمد فيه بانواع الكرامات والمشهور انه مقام الشفاعة لشهادة قوله صلى الله عليه
وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي واشارة قول ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون
وتشرف فيه على جميع الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وقوله حذيفة
يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يغبطه
فيه الاولون والاخرون من غبطت الرجل غبطة وغبطا اذا تمنيت ان يكون لك مثل ما اوتيه مع
دوام ما اوتيه له وهذا يسمى حسدا محمودا لعدم تمنيه زواله عنه حسدا اذ زواله عنه حسدا

مذموما وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط اراد صلى الله عليه وسلم ان ضرر
تمني الزوال فلا يلحق الغابط من الضرر الراجع الى نقصان الزوال دون احباطه الا بقدر ما يلحق العضاه
منه خبطه ورقها دون قطعها وهو دون المذموم في الاثم وفي دعاء الحسن البصري اللهم صل على محمد
الى واشياعه من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة جمع شيعة وهي الفرقة من الناس تقع على الواحد
فاكثر وعلى المذكر والمؤنث وقد غلب على كل من شايع وتولى عليا واهل بيته فصار عليهم علما خاصا
فاذا قيل فلان من الشيعة او مذهبه الشيعة كذا لم يفهم غيرهم وفي الحديث القدرية شيعة الدجال
اي اولياؤه وفي رواية مجوس هذه الامة وروى عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد واسمعيل
القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى اي العظمى التي
تفزع الناس من اجلها للانبيا حتى ياتوه صلى الله عليه وسلم فليشفع لهم ليريحهم مما فيه من الشدايد
وقيد بالكبرى لانها الفصل للقضا بين اهل الموقف وبه خرج بقية شفاعاته الخاصة به صلى الله
عليه وسلم وارفع درجته العليا في اعلا المواطن واشرفها واقربها من ربه في عليين نقل من
جمع علي من العلو علما للسما السابعة وانما سمي به ديوان الحفظة من الملائكة التي تكتب اعمال صالحي
العباد لرفعه فيها حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما او لانه سبب الارتفاع الى اعلا
درجات الجنة واته سؤله والاولى اي الدنيا سميت به اولى لتقدمها على الاخرة ودعاء وهب لا ادري
من رواه ظاهره مامر وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجة والبيهقي والديلمي والدارقطني
وتمام في فوائده وتشهد على لا ادري من رواه وان وعيت ما تلي عليك اغناك عن بيانه وفيه
الدعا بالمغفرة لوالديه وما ولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت ابنيه وبعض اخوته كافرين ولعل
الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعا لهما لوالديه الحسنين ومن ولداه وفيه ايضا الدعا للنبي
صلى الله عليه وسلم بالغفران وفي حديث الصلاة الذي اسنده ايضا قبل من طريق الحافظ ابي
عبد الله الحاكم الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له صلى الله عليه وسلم بالصلاة
والبركة الواردتين فيما علمت التي تختص به يعني التي بمعنى التشريف والتكريم والثبوت والدوام
ويدعى لغيره بالتي بمعنى الدعا مثل الرحمة والمغفرة لافتقارهم اليهما دونه صلى الله عليه وسلم
اذ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر مما ياتي ان يسمى بالنسبة اليه ذنبا وليس بذنب حقيقة
بل مما صار كمثل سائر حسنات الابرار سيئات المقربين وقد ذكر ابو محمد ابن ابي زيد في رسالته زيادة
الترحم في صلاة عليه صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا اي ادم الرحمة واثبتها له ولم يات هذا اي
الدعا له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة والرحمة في حديث صحيح اذ ما ورد بزيادتهما كله ضعيف
ومن ثم قال النووي في شرح مسلم المختار ان الرحمة لا تذكر وجزم في الاذكار بان ذكرها بدعة لانه
صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه بدون ذكرها وان كان معناها الدعا فلا نفرده بذكر
وحجته اي حجة ابن ابي زيد التي اخذ بها استحبابها قوله صلى الله عليه وسلم في السلام السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في فضيلة
التسليم له والدعا له قد روي لذلك هنا شواهد كثيرة اسند منها حديث ابن عمرو من طريق
النساي ورواه مسلم ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن يؤذن
بالصلاة فقولوا مثل ما يقول من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة وصلوا علي اي سلوا الله لي

ومعناه

بحمد

التعظيم

التعظيم والتكريم على صلى الله عليه اي رحمه وعفى عنه ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة زلفى
من الله لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو خبر كان وضع موضع اياه وانا تاكيد
لاسمها او مبتدا خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة اي ان اكون انا ذلك
العبد وسيلة لان من وصل اليها فاز بقربه ولقائه تعالى وخصه بانواع الكرامات فمن سال لي
الوسيلة حلت له الشفاعة اي وجبت وحق وقوعها لشهادة رواية وجبت له شفاعتي وروى
انس بن مالك كما في شعب الايمان للبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى
الله عليه عشر صلوات اي رحمه وضاعف اجره لشهادة من جا بالحسنة فله عشر امثالها وحط
عنه عشر خطيات جمع خطية من خطا خطا اي اثم واذنب اذ الخطا الاثم والذنب واخطا خطي
اذا سلك سبيل الخطا عمدا او سهوا وورد خطي بمعنى اخطا فان اجتمعا افترقا ورفع له عشر درجات
جمع درجة وهي المرقاة يرقى فيها وعن ابي ايوب انه قال لمنافق دخل المسجد ادراجك يا منافق
من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جمع درج وهو الطريق اي اخرج منه وخذ طريقك الذي
جئت منه يقال رجع ادراجه اي عاد من حيث جا وفي رواية لابي يعلى وكتب له عشر حسنات اي
ثوابها مضاعفا الى سبعماية ضعف الى اضعاف كثيرة وروى ابن ابي شيبة في مسنده عن انس عنه
صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني من صلى عليك صلاة اي طلب لك من الله دوام التشريف
والتكريم والتعظيم صلى الله عليه اي رحمه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية الحاكم وصححها
والبيهقي في الشعب عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال ابشرك اي اخبرك بما يسرك ان
الله يقول من سلم عليك اي دعا لك بالسلامة من كل نقص وعيب سلمت عليه ومن صلى عليك صليت
عليه هذه الاخبار الواردة في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يكاد يفوت الحصر فيه المعنى نفسه
بعضها بعضا فلا نطيل بذكرها فمن شا فليكثر ومن شا فليقلل وزيد بن الحباب الذي روى عنه هنا ليس
صحابيا ولا تابعيا روى عن مالك الامام ومالك ابن مغول والضحاك بن عثمان وعبد الله بن لهيعة
بفتح اللام وكسر الها قاضي مصر وعنه احمد بن حنبل وسلمة بن شبيب وبينه وبين الصحابي الذي
روى عنه حديثه هنا اربعة ومخرجه مصري اذ قد رواه عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد
ابن نعيم عن وفا بن سريح عن رويفع بن ثابت الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم فقوله وعن زيد
ابن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهم ظاهر وفيه وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة
قرب نعم ولطف وترادف منن وعطف وفيض مواهب لا قرب ذات ومكان لتعاليه وتقدس ذاته
عن ذلك وحديث ابن مسعود رواه الترمذي وابن حبان وحديث ابي هريرة رواه الطبراني في
الاوسط وابو الشيخ في الثواب بسند ضعيف وحديث عامر بن ربيعة رواه احمد وابن ماجه والطبراني
في الاوسط بسند حسن وحديث ابي بن كعب رواه الترمذي وحسنه وفيه اني اكثر الصلاة وحديث
ابي طلحة رواه النسائي وابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح وحديث جابر رواه البخاري
وحديث سعد رواه مسلم وحديث وهب منقطع واثر ليردن علي اقوام لا ادري من رواهما وحديث
ان انجاكم يوم القيمة رواه الاصبهاني في ترغيبه عن انس وحديث ابي بكر رواه ايضا فيه بلفظ الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب وحبه صلى الله عليه وسلم افضل من مهج الانفس او من
ضرب السيف في سبيل الله فصل في ذم من لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم واثمه احتج لهذا

باحاديث اسند منهما حديث ابي هريرة من طريق الترمذي ورواه مسلم ايضا رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي يقال رغم يرغم ويرغم فتحا وضما رغما مثلث الراء ورغم الله انفه اي الصقه بالرغام
اي التراب ثم استعير لغاية الذل والامتهان والانقياد على كره والعجز عن الانتصاف اي يحق لمن ذكر
عنده فلم يغتنم تبجيله وتعظيمه ان يذيقه الله نكالا للذل والهوان والحقارة ومنه حديث وان رغم
انف ابي ذر اي ذلا وان كره وحديث بعثت مرغمة للمشركين اي هوانا لهم وذلا وفي الحديث ان
السقط ليراغم ربه ان ادخل ابويه النار اي يغاضبه ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ مستعار
لزوال زمانه من سلخ الجلد اي كشطه وازالته عن محله بجامع ترتب حرمان الغفران على زواله ثم اشتق
منه انسلخ فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية اي زال زمنه قبل ان يغفر له
لاشتغاله فيه بما يفوته صومه او ثوابه مع اكتساب وزر ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه
الكبر فلم يدخلاه الجنة لسخطهما عليه بما لا يرضيهما منه قال عبد الرحمن بن اسحق واظنه اي ابا
هريرة او النبي صلى الله عليه وسلم قال او احدهما اي احد ابويه وفي حديث اخر رواه الطبراني
عن ابن عباس وانس وعبد الله بن الحارث بن جزء وكعب بن عجرة ومالك بن الحويرث ورواه البزار عن
جابر بن سمرة وابي هريرة وعمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر من النبر وهو
الارتفاع وكل مرتفع فهو منبر اي ارتقى عليه وقال عقب صعوده امين بالمد والقصر اسم بني على الفتح
معناه اللهم استجب وفي الحديث امين خاتم رب العالمين اي هو طابع الله على عباده اذ به تدفع الافات
والبلايا فهو كخاتم الكتاب ليصونه من فساده واظهار ما فيه ثم صعد درجة فقال امين ثم صعد
درجة فقال امين اللهم استجب لي فسأله معاذ عن ذلك اي عن قوله امين وعن تكرارها ثلاثا وعنهما فقال
ان جبريل اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه اي ذكر اسمك وهو حاضر فلم يصل عليك عقب ذكر
اسمك فمات تاركا الصلاة عليك فدخل النار بتركها استهانة به صلى الله عليه وسلم واحتقارا له وعدم
مبالاته فابعده الله عن ساحة رحمته بذلك متصفا بشيء منه قل امين امر من جبريل له صلى الله عليه
وسلم ليستجيب له ربه دعاءه تفخيما لشانه وتعظيما لقدره فقلت امين اي استجب لي وقال فيمن
ادرك رمضان فلم يقبل ترك فاعله للعلم به اي فلم يقبل الله منه صومه بلحظ ابطله فمات مثل ذلك
اي فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال من ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما او من
ادركه منهما اي لم يقم بواجبهما احسانا بهما وبابهما او زجرهما او نحو ذلك فمات مثله اي فدخل النار
فابعده الله قل امين فقلت امين وروى الترمذي وصححه والبيهقي في شعب الايمان والنسائي من حديث
ابنه الحسين عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم البخيل هو الذي ذكرت عنده فلم يصل علي لبخله بما يرغب
فيه عن مستحقه شبه تركه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ببخله بانفاق المال في وجوه البر ثم اشتق
منه اسم الفاعل تبعية كما في الحال ناطقة بكذا حيث شبه فيه دلالة الحال بنطق الناطق ثم اشتق منه
ناطقة فجرت الاستعارة كذلك او شبه تاركها على طريقة الاستعارة المكنية بمن ترك انفاقه في وجوه
ثم اثبت له البخل تخييلا حتى كانه من جلسه تلويحا بحرمانه من الاجر وايذانا بان من تكاسل عن الطاعة
يسمى بخيلا وروى البيهقي في شعب الايمان عن جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا ورواه الطبراني في الكبير
عن جده محمد الحسين موصولا من ذكرت عنده فلم يصل اخطأ به يحتمل بناؤه للمفعول وللفاعل طريق الجنة
فلم ينجح قصده لبخله لما وروى ابو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابي هريرة ايما قوم جلسوا

مجلسا

مجلسا ثم قاموا منه وتفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا علي كانت عليهم من الله ترة بمثناة
فوقية مكسورة وراء مفتوحة اي نقص او تبعة لتفرقهم ولم يأتوا بما يكفر لغطه من ذكر
الله والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهاء تره عوض عن واوه المتروكة كواو عده وسعة
ومقة ان شاء اي الله عذبهم بتركهم كفارة المجلس وان شاء غفر لهم فضلا منه تعالى ورحمة لهم
كذا
وروى البيهقي في الشعب من نسي الصلاة علي نسي بضم اوله وتشديد ثانيه
اي من ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اخطأ طريق الجنة فاراد بالنسيان الترك لشهادة
اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي جاءتك واضحة نيرة فعميت عنها وتركتها ولم تنتصر
بها وتركت لها تركنا لك اعمى معذبا وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من الجفا اي ترك البر والصلة وغلظ الطبع ان اذكر عند الرجل لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة
نعومل معاملتها كما في ولقد امر على اللئيم يسبني فلا يصلي علي لغلظ مروته وحديث جابر هنا رواه
البيهقي كحديث ابي هريرة ايما قوم جلسوا مجلسا وفيه الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة مما
صدر منهم من رديء الكلام ومذمومه شرعا ولم يختموه بما يكفر لغطه من الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم وحديث ابي سعيد هنا ايضا رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور ومثل هذا
وفيه الا كان اي مجلسهم عليهم حسرة اي ندامة لازمة لهم من تحو انار كلامهم فيه فلا يرون عوضه
الا حسرة بتركهما وان دخلوا الجنة فيزدادوا حسرة لما يرون من الثواب بالصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم الفايت لهم بتركها فيه حكى ابو عيسى الترمذي صاحب السنن من الكتب الستة
عن بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل لم يرد رجلا معينا فهو كالنكرة فنعامل
معاملتها فيوصف بالنكرة ولامه عهدية ذهنا كهي في الذئب في واخاف ان ياكله الذئب
اي اذا صلى رجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه اي كفاه صلاته فيه مرة
ما كان في ذلك المجلس مما صدر منه فيه من غلط فيكون كفارة له فصل في تخصيصه
صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة مصدر مضاف الى مفعوله كالاول اي في تخصيص الله اياه
صلى الله عليه وسلم بتبليغه صلاة من صلى عليه او سلم عليه من الانام اي الخلق او كل ذي روح وقد
روي هنا لذلك شهود صدق اسند منها حديث ابي هريرة من طريق ابي داود ورواه احمد والبيهقي
وسنده حسن ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد غاية لردها في معنى التعليل اي من
اجل ان ارد عليه السلام ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان وذكر ابن ابي شيبة عن ابي
هريرة كما رواه ابو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي
نائيا اي بعيدا عني بلغته مر احد من الملائكة فارد عليه وروى احمد والنسائي والبيهقي في الشعب
عن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض بالخير في مصالح بني ادم يبلغوني عن امتي السلام
اي فيرد عليهم لسماعه منهم او ممن زاره وعن ابن عمر لم اعلم من رواه اكثروا من السلام على نبيكم
اي قولوا السلام عليك يا نبي الله فان شفع بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كان اعظم اجرا كل
جمعة فانه اي السلام يؤتى به منكم في كل جمعة سلم عليه فيها وشهد لما قلته ما جاء في رواية
لا ادري من رواها فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها هذا وبقية
الاحاديث الواردة هنا متقاربة معنى ما مر لفظا ومعنى فلا نطيل بذكرها حذرا السامة لحديث

الحسن رواه الطبراني وابو يعلي بسند حسن وحديث ابن عباس رواه اسحق بن راهويه في مسنده
والبيهقي في الشعب موقوفا وحديث الحسن بن علي رواه ابن ابي شيبة وعنه ابو يعلي عن زين
العابدين علي بن الحسين وفيه هنا لا تتخذوا بيتي وهناك قبري عيدا يحتمل ان يريد به الحث
على كثرة زيارته اذ هي افضل القربات غير معرفة الله اجماعا يسرها الله لنا عودا على بدء اي
اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونه في السنة مرتين بشهادة احاديث كثيرة
وردت بالحث عليها وبوجوب شفاعته لزايره او النهي عن الاجتماع لزيارته كالاجتماع للعيد
اي لا تجعلوا زيارة قبري كالعيد يجتمعون لها كما يجتمعون له تقبيحا لاجتماع اليهود والنصارى
لزيارة قبور انبيائهم بشهادة حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
يحذر ما صنعوا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا بتركهم الصلاة فيها كالميت في قبره لا يصلي ولا يعمل بل
اجعلوا فيها من صلاتكم ويؤيده قول الخطابي لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم
اخو الموت والميت لا يصلي ولا تجعلوها قبورا للموتى كم تدفنونهم فيها قال وليس بشيء فقد دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ورد بانه اتبع فيه سنة الانبيا بشهادة قوله صلى الله
عليه وسلم ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض وكفاك بهذا المردود به قول الخطابي تقوية
وتاييدا لقوله وحديث اوس رواه ابو داود والنسائي وحديث سليمن سحيم رواه ابن ابي
الدنيا والبيهقي في حياة الانبيا وشعب الايمان وحديث ابن شهاب رواه النميري مرسلا
فصل في الاختلاف الوارد عن العلما في جواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم وعلى
غير سائر الانبيا اي باقيهم صلوات الله وسلامه عليهم عامة اهل العلم اي كلهم متفقون على جواز
الصلاة على غيره اي النبي صلى الله عليه وسلم اي من انبيا وملئكة ومومنين وروي كما في شعب
البيهقي وسنن سعيد بن منصور عن ابن عباس لا تجوز الصلاة على غيره اي غير النبي صلى الله
عليه وسلم ولعله رجع عنه بشهادة ما روي عنه كما في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
لاسمعيل القاضي لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين صلوات الله وسلامه عليهم وقال
سفيان هو الثوري يكره ان يصلي الا على نبي ضمن يكره معنى حرف النفي لايذانه بالترك فحسن
بعده الاستثنا وعم كل نبي هذا وما عزاه بعض شيوخه لمالك من عدم جواز الصلاة على احد
من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم فقال انه غير معروف من مذهبه واستدل
لكونه غير معروف منه بانه قد قال في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبيا
اي من ملائكة ومؤمنين قال وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم فقط بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولعل من عزى من شيوخه
لمالك عدم الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا حمل ينبغي على لا يجوز فعزاه له قال يحيى
ابن يحيى الليثي لست اخذ بقوله اي بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به ولا باس
بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم من ملائكة ومؤمنين واحتج اي يحيى بن يحيى لما قاله بحديث ابن
عمر الاتي انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وبما جاء من حديث تعليم
النبي صلى الله عليه وسلم فيما امر اصحابه الصلاة عليه وفيه اي في حديث تعليمه صلى الله عليه
وسلم وعلى اله وازواجه فهما مؤذنان بجواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم والاثار

الوارده

الواردة عن ابن عباس كقوله فيما مر لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم ليست غير قوية
لا يصلح منها شي للاحتجاج به على عدم جوازها على غيره صلى الله عليه وسلم وان الصلاة في لسان العرب
بمعنى الترحم والدعا فيجوز على غيره صلى الله عليه وسلم اما اذا كانت كما قال البيهقي والخطابي على
وجه التعظيم والتكريم عند ذكره تحية له صلى الله عليه وسلم فان ذلك له قال يحيى بن يحيى وذلك
اي قوله ولا باس بها على الانبيا وغيرهم على الاطلاق كما وردت به الادلة بدون تقييد تبعية
وغيرها حتى يمنع منه اي من الاطلاق حديث صحيح او اجماع يؤذن بتقييد ما ورد مطلقا كيف وقد
قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملئكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم وقال عز من قايل
وصل عليهم اي تعطف عليهم بدعائك واستغفارك لهم ان صلواتك سكن لهم اي تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم وقال اولئك عليهم صلوات اي مغفرة وتزكية من ربهم ورحمة اي انعام
ودفع ضر او ارادة نعمة فهما اما من صفات الافعال او الذات وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما
رواه الشيخان اللهم صل على ال ابي اوفى ومن تتمته عن عبد الله بن ابي اوفى كان اذا اتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان كناية عمن ينسبون اليه اي زك اموالهم التي بذلوا زكاتها
واجعلها لهم طهورا واخلف عليهم ما اخرجوه منها وارحمهم وقال فيما رواه ابو داود والنسائي عن
قيس بن سعد بن عبادة انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على ال سعد بن
عبادة وهو مراد معهم كابي اوفى ومما عاد هنا حديثي الصلاة على ازواجه وذريته وعلى اله وذكر
الخلاف في اله مع تقدم ما اغني عن اعادتها وحديث انس ال محمد كل تقي رواه الطبراني في
الاوسط وابن مردويه وجي على مذهب الحسن بن ابي الحسن البصري ان المراد بال محمد هو محمد
نفسه فانه اي الحسن كان يقول فيما رواه النميري عنه في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على ال احمد يريد نفسه صلى الله عليه وسلم بشهادة روايته الاخرى
من طريق اخر على محمد بدون اله ولانه اي الحسن كان لا يخل بالفرض الذي هو الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم ويأتي بالنفل الذي هو الصلاة على اله لان الغرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد
نفسه صلى الله عليه وسلم مما لا يؤتى بالنفل دونه وهذا اي قول الحسن على ال احمد مثل قوله صلى الله
عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي موسى لقد اوتي اي ابو موسى مزمارا من مزامير ال داود فانه
اراد به داود نفسه هذا وبقية الاحاديث مما دل هنا على اباحة الصلاة على غير الانبيا او وضوحها
غنية عن البيان والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك امام دار الهجرة فيما مر
اكره الصلاة على غير الانبيا وما قاله سفيان الثوري يكره ان يصلى على غير نبي لانها قد صارت شعارا
للانبيا فلا يلحق بهم غيرهم لكنه مع حسنه مؤذن بكراهتها على الملئكة والذي ذهب اليه الشافعي
واصحابه الحاقهم بالانبيا في جواز افرادهم بها فنكره منا عنده على غيرهما الا تبعا وروي عن ابن
عباس واختاره اي ما روي عن ابن عباس غير واحد بل كثيرون من الفقها والمتكلمين انه لا يصلي
على غير الانبيا مفردا بها لانها صارت شعار اهل البدع كالرافضة يفردون بها من يعتقدون
كماله فلا يصلي على غيرهم عند ذكرهم افرادا بل ولا تبعا وقد تلي عليك انها لا تكره عند الشافعي
على غير الفريقين تبعا بل هو اي الصلاة وذكر باعتبار قوله شي يختص به الانبيا لا يشاركهم في
افرادهم بها غيرهم توقيرا لهم وتعزيرا براي وزاي بينهما الف اي تعظيما وتبجيلا مفعولان لاجلهما

اختصاصهم بها كما خص الله تبارك وتعالى عند ذكره بالتنزيه متعلق بخص اي عما لا يليق بجنابه
الكريم والتقديس اي التطهير من النقايص والتعظيم لجلاله ومجاوزة قدره حدا منع العقول
تصور كنه حقيقته وما قدروا الله حق قدره ولا يشاركه فيه غيره كذلك اي مثل اختصاصه
تعالى بما ذكر يجب تخصيص النبي وساير الانبيا صلى الله عليهم وسلم بالصلاة والتسليم
اي التعظيم والتكريم والسلامة مما لا يليق بكريم جنابهم ولا يشارك مبني للمفعول او
للفاعل اي لا يجعل غيرهم مشاركا او لا يشاركهم فيه سواهم فحذف ضميرهم المفعول للعلم
به تعظيما لهم كما امر الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما اي
وعليهم كذلك ويذكر غيرهم من الايمة بالرضي والغفران كرضي الله عن ابي بكر وغفر له كما قال
تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان اي بالطاعة والايمان الى يوم
القيمة رضي الله عنهم بقبوله طاعتهم ورضاه باعمالهم وايضا فهو اي افراد غير الانبيا بالصلاة
عليهم امر لم يكن معروفا في الصدر الاول اي افراد غير الانبيا بالصلاة عليهم من لدن الصحابة
وهلم كما قال ابو عمران الفاسي من بلدة فاس بالمغرب وانما احدثته الرافضة للحق المتبعة
للباطل والشيعة في بعض ايمتهم كعلي واولاده فشاركوهم عند الذكر لهم منفردين لهم بالصلاة
عليهم وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اي في الصلاة عليهم منفردين كالانبيا لاعتقاد
عصمتهم ومن ثم قالوا لا يصح لغيرهم امامة ولا خلافة وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه
اجماعا لخروجهم عن منهج الحق ببدعتهم فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك الذي شركوا ايمتهم
فيه الانبيا وساووهم فيه وغيره مما به تنكبوا به عن منهج الحق هذا فان قيل بما لك انه قد
ورد ذكر الصلاة على الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم قلنا انما كان ذلك بحكم التبع
له صلى الله عليه وسلم والاضافة اليه صلى الله عليه وسلم لا على التخصيص لهم بها وصلاته صلى
الله عليه وسلم على من صلى عليه من الصحابة وغيرهم كال سعد بن عبادة انما مجراها مجرى الدعا
لهم رافة ورحمة والمواجهة لهم به حبرا لصدع قلوبهم وتعطفا عليهم ليس فيها اي في مواجهتهم
بالصلاة عليهم معنى التعظيم والتوقير احتراما وتبجيلا قالوا اي الكارهون لها على غير
الانبيا قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول اي نداء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بينكم
كدعاء بعضكم بعضا فلا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضا باسمه بل يا صفوة الله
يا خيرة الله يا رسول الله توقيرا وتعظيما خافضي اصواتكم لشهادة لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي فكذلك اي فكما يجب نداؤه بما ذكر يجب ان يكون الدعاء له صلى الله عليه وسلم
مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفي
فضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم اي من زاره ويدعو له صلى الله عليه وسلم بالصلاة
عليه تشريفا وتكريما هذا وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة مجمع عليها اي على كونها
سنة وزيارة قبره فضيلة مرغب فيها لما قصده لها من تعزيره وتوقيره وترتب ثواب كبير
روي عن ابن عمر فيما رواه ابن خزيمة متوقفا في ثبوته والبزار والطبراني وله طرق وشواهد
لاجلها حسنه الذهبي من زار قبري وجبت له شفاعتي اي سوالي الله له ان يجاوز عنه مكافاة له

وعن انس مما لم اعرف له راو من زارني في المدينة محتسبا اي ناويا بها وجه الله وثوابه
وقيل له محتسبا لاعتداده بعمله فجعل حال مباشرته للفعل كانه معتد به والاحتساب من
الحسب كالاعتداد من العد والحسبة اسم منه كالعدة من الاعتداد وهو في الاعمال الصالحة لحة
وعند المكروهات البدار الى طلب الاجر وتحصيله بالتسليم والصبر او باستعمال انواع البر
والقيام بها على وجهها طلبا للثواب المرجو منها وعن عمر ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من
احتسب عمله كتب له اجر واجر حسبته كان في جواري اي في ذمامي وعهدي لا يخفر ولا ينقض
عهده وكنت شفيعا له يوم القيمة مكافاة لحسن صنيعه وفي حديث اخر رواه البيهقي
والطبراني عن ابن عمر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي لانه صلى الله عليه وسلم
في قبره الشريف حي وكره مالك ان يقال اي قول القايل زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في معنى ذلك من حيث الداعي لمالك الى كراهيته فقيل كراهة الاسم اي اسم
الزيارة لما ورد من رواية احمد والترمذي وابن حبان عن ابي هريرة من قوله صلى الله عليه
وسلم لعن الله زوارات القبور ورد هذا انه مثل لا انما لعنهن لان بعض ما هو ذات
بالقرار في بيوتهن لا تصلح لهن زيارتها ويرده ايضا قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
مسلم بلفظ كنت نهيتكم يعني ما هنا نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فهذا امر بها بعد
نهي عنها فهو ناسخ له وقوله صلى الله عليه وسلم فيما مر عن ابن عمر من زار قبري وجبت
له شفاعتي فقد اطلق اسم الزيارة فلم تكن الكراهة للاسم وقيل لقولهم ان الزاير افضل
من المزور وليس هذا القول بشي اذ كل زاير افضل من المزور حتى يوصف بهذه الصفة وليس
قولهم الزاير افضل من المزور عموما في كل زاير وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع
هذا اللفظ اي ذكر لفظ الزيارة في حقه تبارك وتعالى فلم تكن كراهة مالك للاسم والاولى عندي ان
كراهة مالك له اي لان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاضافته الى قبره صلى الله عليه
وسلم اضافة نسبية لا نحوية لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا اي كوثن من جواهر
الارض كالحجارة يعبد بعدي اي بعد موتي اشتد غضب الله على قوم كالنصارى اتخذوا قبور
انبيايهم مساجد يسجدون لها كما يسجد للاوثان فحمى اضافة هذا اللفظ اي لفظ الزيارة الى القبر
والتشبه بفعل اولئك الذين اتخذوا قبور انبيايهم مساجد قطعا للذريعة التي يتوصل بها الى
ما ذكر وحسما للباب اي سدا للباب وحسما في الاصل القطع ومنه حديث عليكم بالصوم فانه
محسمة للعرق اي مقطعة للنكاح قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج ودبه نه
المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم اذ قد ورد ان الصلاة فيه
بماية الف صلاة والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره صلى الله عليه وسلم ومجلسه وملامس
يديه وموطي قدميه من اماكن مدينته صلى الله عليه وسلم والعمود الذي كان يستند اليه
في مسجده صلى الله عليه وسلم والمكان الذي كان ينزل جبريل بالوحي فيه عليه والتبرك بمن عمره
وقصده من الصحابة وايمة المسلمين وحديث ابن ابي فديك رواه البيهقي من طريق ابن ابي الد نيا
وهو هنا غني عن البيان وفيه ولم تسقط له حاجة اي لم يترك حاجة بلا قضاء وحديث يزيد بن ابي
سعيد رواه ابن ابي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب عنه وفيه فاقراه اي بلغ النبي صلى الله

عليه وسلم مني السلام وقال غيره اي غير يزيد وهو حاتم بن وردان كما رواه البيهقي في الشعب
كان اي عمر بن عبد العزيز يبرد اليه البريد من الشام اي يوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم
القاصد من الشام ليقرأه مني السلام هذا والبريد فارسي وهو في الاصل بريده دم اي يريد به البغل
المحذوف الذنب ليقال له البريد محذوفة الاذناب كالعلامة لها فعربت ثم سمي بها راكبها هذا
وبقيته ما في هذا الفصل مما ورد من الاحاديث وفعل الصحابة والتابعين وغيرهم زيارة له صلى
الله عليه وسلم وسلاما عليه ورأي مالك وغيره بين لا تفتقر الى تنبيه عليه وحديث روي
ابن عمر رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القاري انه رآه واضعا يده على مقعد النبي صلى الله
عليه وسلم من المنبر وحديث ابن قسيط رواه ابن سعد وحديث ما بين بيتي ومنبري روضة
رواه بتمامه احمد عن جابر والبزار عن ابي بكر والدارقطني عن عمر بلفظ قبري بدل بيتي وبدون
الجملة الاخيرة البيهقي عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ورواها فقط احمد وابو
عوانة عن سهل بن سعد ومنبري على ترعة من ترع الجنة من اترعت الاناء اذا ملأته وهي
في الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت في مطمئن فهي روضة وعن القتيبي معناها ان الصلاة
والذكر في هذا الموضع يورثان الجنة فكانه قطعة منها وحديث فاطمة اذا دخلت بفتح تاء الخطاب
لا اعلم من رواه وروايته فليسلم رواها ابو داود عن ابي حميد واسيد وحديث فاطمة كان اذا دخل
المسجد رواه احمد والبيهقي في الدعوات ورواية حمد الله وسمى وصلى لم ادر من رواها ورواية
بسم الله رواها الترمذي وابن ماجة وحديث كان اذا دخل المسجد لم اقف عليه وحديث ابي هريرة
رواه ابو حاتم وابن ماجه وابن خزيمة والنسائي في اليوم والليلة وحديث اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد رواه مرسلا مالك في الموطا عن عطاء بن يسار وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن ابي شيبة
موصولا عن علي وسعيد بن منصور في سننه مرسلا من طريقين وتقدم بيانه فصل
فيما يلزم من دخل مسجده صلى الله عليه وسلم من الادب والسكينة والوقار وفي فضله اي
فضل مسجده صلى الله عليه وسلم وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر فضله صلى الله
عليه وسلم وفضل سكنى المدينة ومكة شرفهما الله تعالى وقدم المدينة لانها عند مالك وحده
مالك افضل من مكة ولم يوافقه احد غير اهل المدينة كما لم يوافقه احد في قوله ان عمل اهل
المدينة حجة وهذا حديث اجمالي على طريقة الجمع ثم اورده مفصلا قال الله تعالى لمسجد اسس
على التقوى من اول يوم من وضع اساسه احق ان تقوم فيه اي هو اولى ان تصلي انت النبي فيه يعني مسجده
صلى الله عليه وسلم بالمدينة لما روي كما في مسلم عن ابي سعيد وعند احمد عن ابي بن كعب وسهل بن سعد
انه صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول من ذكر هنا من الصحابة
والتابعين وغيرهم وعن ابن عباس فيما رواه ابن ابي حاتم انه مسجد قبا اسسه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو اوفق للقصة وقد
استند هنا من ادلة فضل مسجده وغيره من طريق ابي داود لا تشد الرحال جمع راحلة وهي البعير
النجيب التام الخلق الحسن المنظر على الاجمال والاسفار يطلق على الذكر والانثى والهاء فيه للمبالغة الا
الى ثلاثة مساجد للزيارة لفضلها على غيرها من المساجد جمع مسجد اسم لمكان السجود وهو وضع
الجبهة على الارض ولا خضوع اعظم منه المسجد الحرام بمكة الذي جعله الله للناس وهو افضلها ومسجدي

هذا بالمدينة وهو دون ما قبله في الفضل والمسجد الاقصى بايليا وهو دون ما قبله فيه وغيرها
من المساجد فيه سوا وروى ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاصي حديث كان اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم اي الوذ به والجأ اليه ملجأ مستجيرا به كل شي
وبوجهه الكريم اي ذاته اذ الوجه يعبر به عن الذات بشهادة كل شي هالك الا وجهه اي ذاته وعن الجهة
كما في فاينما تولوا فثم وجه الله اي جهته التي امركم بالتوجه اليها وعن الرضى كما في الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
اي رضاه لا لمكافاة نعمته وسلطانه القديم على جميع خلايقه قهرا وغلبة من الشيطان الرجيم اما من
الشطن وهو البعد والحبل الطويل ان كانت نونه اصلية اي من البعيد عن الحق والخير المتمادي في
الغواية والشر او من شاط يشيط اذا هلك ان كانت زائدة اي من الهالك او من استشاط اذا هلك ان
كانت زائدة اي من الهالك او من استشاط اذا احتد غضبا والتهب اي من الملتهب غضبا وقال مالك
فيما رواه البخاري والنسائي سمع صوتا في المسجد فيما رواه البخاري والـ اي مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا ان يؤتى بصاحبه اليه فجيء به اليه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال
اي عمر له لو كنت من هاتين القريتين لعله مكة والمدينة لظهور الدين اذ ذاك لاوجعتك ضربا ان
مسجدنا هذا لا يرفع فيه الصوت وكذا جميع المساجد لا يجهر فيها بما يشوش على اهلها ويشغل خاطرهم
عن العبادة لاتفاق العلماء عليه لشهادة الحصر في حديث انما بنيت المساجد للذكر والعبادة وروى
الشيخان حديث ابي هريرة صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام
اي الممنوع من التعرض له بسوء وقتال فيه هذا وقد اختلف الناس في هذا الاستثناء يعني الا المسجد
الحرام على اي مع اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة في ايتهما افضل فذهب مالك في رواية
اشهب بن عبد العزيز وجماعة من اصحابه اي اصحاب مالك عنه الى ان معنى الحديث ان صلاة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم افضل منها في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فانها في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل منها فيه اي في المسجد الحرام بدون الف تاويل بعيد لبعده عن
مسافة الحصية لشهادة زيادة حديث ابن الزبير الاتي التي رواها عمر منفردة وهي التي احتجوا بها له
اي لتاويلهم بما روي من قوله صلى الله عليه وسلم في مسند الحميدي عن عمر صلاة في المسجد الحرام
خير من مائة صلاة فيما سواه اي سوى المسجد الحرام فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
عليه اي على المسجد الحرام بتسع مائة وعلى غيره من المساجد بالف وهذا اي تفضيل مسجده صلى الله
عليه وسلم على المسجد الحرام مبني على تفضيل المدينة على مكة وهو اي تفضيلها عليها قول عمر ومالك
واكثر المدنيين من مدينته صلى الله عليه وسلم وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة بشهادة
حديث النسائي وابن ماجة والترمذي وحسنه وصححه عن عبد الله بن الحمرا قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك
ما خرجت وهو اي تفضيل مكة على المدينة قول من ذكره هنا من الائمة وغيرهم وحكاه ابو يحيى زكريا
الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم اي حديث الشيخين عن ابي هريرة على الظاهر
من استثناء المسجد الحرام مما قبله اعني سوى مسجده صلى الله عليه وسلم وان الصلاة في المسجد الحرام
افضل منها في مسجده اي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم واحتجوا لتفضيل مكة على المدينة بحديث
عبد الله بن الحمرا المتقدم وحديث احمد وابن حبان والبيهقي باسناد حسن كما قال النووي عن عبد الله

ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفيه اي في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة اسقط منه المضاف الى صلاة اي بمائة الف صلاة اذ قد ورد كذلك عند احمد وابن ماجة عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة في مسجدي افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى ابو هريرة صدره وعمر عجزه وروى قتادة مثله اي مثل حديث ابن الزبير فتاتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا القول المحتج له بحديث ابن الزبير على الصلاة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف بين علماء الامصار ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض لشرف قدره وكرمه عند ربه قال الباجي الذي يقتضيه الحديث الوارد في فضل مسجديهما مخالفة مسجد مكة لسائر المساجد ومن جملتها مسجده صلى الله عليه وسلم بشهادة تحتمل الاستثنا في حديث ابي هريرة على ظاهره وحديث عمر صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه وكفاك بهما شاهدا اصدق بفضل مسجد مكة على سائرها عموما ولا يعلم منه حكم اي حكم مكة مع المدينة في ايهما افضل الاخرى وذهب الطحاوي من الحنفية الى ان هذا التفضيل الوارد في الصلاة بمكة والمدينة انما هو في صلاة الفرض قصرا للعام على بعض افراده بلا مرجح يؤذن به الا ان يعتبر الوصف بالفرضية مرجحا وذهب مطرف من اصحابنا اي المالكية الى ان ذلك اي التفضيل الوارد في الصلاة فيهما في النافلة منضمة الى الفريضة ايضا اخذا بظاهر عموم الحديث قال اي الطحاوي او مطرف في تفضيل الصلاة والصوم فيهما وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وهذا اشارة الى ما قد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها من البلاد حديثا نحوه اي نحو ما ذكر قبله رواه الطبراني عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم وروى الشيخان عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة تقدم ان الروضة هي المكان المطمئن من الارض مستنقع الماء زاد ابو سعيد في رواية الموطا كرواية ابي هريرة هنا ومنبري على حوضي تمثيل وتصوير لكونه عليه بمعنى ان الذكر والعبادة عنده يورثان الري من حوضه يوم العطش من هول يوم القيمة وفي حديث اخر تقدم قريبا منبري على ترعة من ترع الجنة هذا وقد ذكرنا عن ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره من معنى الحديثين ما لا مزيد عليه وروى الشيخان عن ابن ابي اوفى الجنة تحت ظلال السيوف كناية عن الدنو في الجهاد فكانه برفع سيفه للضرب في الجنة تحت ظله او عن انه سبب لدخولها والظل ما حجز بينك وبين الشمس وقيل ما كان منه من زوالها وما كان منه بعده فهو فيء او في شعر العباس لما يمدح به النبي صلى الله عليه وسلم من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق اي من قبل حالة هبوطك في صلب ادم الى الارض فكني عنها ولم يتقدم لها ذكر لظهورها مريد الظلال الجنة اي كنت طيبا في صلبه حيث كان في الجنة وروى ابن عمر فيما رواه ابن مسلم لا يصبر على لاوايها اي المدينة وشدتها تفسير لما قبلها بالواو وعطفا اياهما لتغايرهما وتكريرها لفظا عنها بتزايدها فيها اي على ضيق عيشها احد الا كنت له شهيدا مبالغة في فاعل اي شاهدا له بما علم

من

من صبره عليها او شفيعا مبالغة فيه ايضا اي شافعا له من اهوال يوم القيمة واو هنا ليست للشك اذ قد رواه جماعة كذلك يبعد اتفاقهم عليه لسعد بن ابي وقاص وابن عمر وجابر وابي سعيد وابي هريرة واسما بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد من الثنا بعيات فهو صلى الله عليه وسلم اما ان يكون اورده هكذا او هي كما قال النووي للتقسيم فيكون شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم او شهيدا لمطيعهم شفيعا لعصاتهم او شهيدا لمن مات في حياته شفيعا لمن مات بعده وهذه خصوصية زائدة على شهادته في القيمة على جميع الامم وعلى شفاعته للمذنبين وغيرهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في قتلى احد انا شهيد على هؤلا او هي بمعنى الواو فيكون شهيدا او شفيعا لاهلها مزية وحظوة لهم ورفعة لمنزلتهم وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن سفيان بن ابي زهير فيمن تحمل عن المدينة اي دفع جمله وامتعته وتحول عنها الى غيرها والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لو هنا امتناعية جوابها محذوف لو يعلمون خيريتها لما فارقوها ولو كانوا من اهل العلم لعرفوا خيريتها وتذكروا عهودا بالحمى وحنوا الى الالف المالوف فعانقوه ولم يرضوا بفراقه فلزموها لاجله تنزيلا للفعل منزلة اللازم وقد تتمنى لما لمنا سبتها للتمني من حيث انه يفرض لها غير الواقع واقعا كما يطلب بليت ما لا طماعية في وقوعه وروى الشيخان عن جابر انما المدينة كالكير اي كير الحداد وهو ما بني من الطين او هو الزق الذي ينفخ النار به والكور البناء ويجوز ان تكون الواو منقلبة ياء وفرق بينهما بضم الكاف وكسرها وهما من الكور اي الزيادة ضد الحور اي النقص لان كل نفخة تزيد الريح وتنقصه وفي الحديث اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور تنفي اي المدينة خبثها بالنصب على المفعولية وينصع طيبها بصاد مهملة وطاء مفتوحة فمثناة تحتية مشددة بالرفع على الفاعلية شبه المدينة بالكير بجامع انه يميز بناره بين طيب الجواهر المعدنية وخبيثها وهي تميز بنفيها بلاويها وحماها شرارها المشبهة بخبيث الجواهر وتزكي وتخلص خيارها المشبهة بطيبها اذ هي ازكى واخلص وروى مسلم عن جابر لا يخرج احد من المدينة رغبة مفعول من اجله الخروج اعراضا عنها حرصا على مرغوب فيه في غيرها وثن اي الدرداء بئس العون على الدين قلب نخب وبطن رغيب اي فاسد الراي واسع الشهوة والامل وطلب لكثير الا ابدلها الله خيرا منه راغبا في سكناها غير متول عنها وفيه تلويح بتنديم من فارقها مؤثرا غيرها عليها لتفويته على نفسه خيرا كثيرا وروى كما في سنن ابي داود والبيهقي ورواه الدارقطني عن عائشة بسند ضعيف من مات باحد الحرمين اي حرم مكة والمدينة سمي حرما لتحريم الله فيه كثيرا مما لم يحرمه في غيره من المواضع حاجا او معتمرا حال من ضمير مات اي محرما بحج او عمرة بعثه الله بعد موته يوم القيمة لا حساب عليه ولا عقاب وفي طريق اخر للبيهقي في الشعب عن عمر والطبراني عن جابر وسلمان بعث اي احيي بعد موته من الامنين يوم القيمة وروى الترمذي وصححه وابن ماجة وحبان عن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها تحريض على لزومها اليتاتى له ان يموت بها اطلاقا للمسبب على سببه كما في ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس اي جعله الله لهم معبدا وقبلة يعبدونه فيه ويتوجهون في عباداتهم اليه للذي ببكة لغة فيها اذ الباء والميم يتعاقبان من مكه اذا دقه لانها تدق اعناق الجبابرة او اذا زحمه لان الناس يبك بعضهم بعضا في الطواف اي يزحم ويدفع روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد

الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة مباركا حال من المستكن في الظرف قبله اي
كثير النفع والخير لمن حجه واعتمره وطاف حوله وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم فيه
ايات بينات اي ظاهرة الشان قوية البرهان على قدرة الله ونبوة ابراهيم من تاثير قدمه في
حجر صلد قام عليه ليرفع الحجارة لبناء البيت فغاصت قدمه فيه هو مقام ابراهيم مبتدا حذف
خبره اي منها مقامه او بدل من ايات بدل بعض من كل او عطف بيان لانه علامه تعالى بان اثر قدمه
صلى الله عليه وسلم فيه اية وغوصها فيه الى الكعبين اية والانة بعضه دون بعض اية وابقاؤه
دون اثار بقاسا ايه وحفظه الوف سنين مع كثرة اعدائه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية
اوشرطية معطوفة على مقام افادت امن داخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام
ابراهيم وامن من دخله تذكر بقاء اثره في الدنيا والامن من العذاب في الاخرة وطوى ذكر بقية الايات
لدلالتهما على تكاثرها قال بعض المفسرين امنا من النار لشموله عموم قوله صلى الله عليه وسلم من
مات باحد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وقوله يبعث الله من هذا الحرم سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة
البدر وقوله الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وقيل
كان امنا من الطلب من احدث حدثا ولجا اليه استند معتصما به في الجاهلية اذ كان الرجل منهم
جنى فيها جناية ثم لجا اليه لم يمس بسوء حتى يخرج عنه وعن ابي حنيفة من لزمه قتل ثم لجا الى الحرم
لا يتعرض له ولا يؤذى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر الى الخروج وهذا اي قوله ومن
دخله كان امنا مثل قوله واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس اي
مرجعا يثوبون اليه لزيارته وامنا اي موضع امن لا يتعرض لاهله لقوله اولم يروا انا جعلنا
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او امن من حجه من عذاب الاخرة وحكي ان قوما اتوا سعدون
الخولاني بالمنستير بميم مضمومة فنون مفتوحة فمهملة ساكنة ففوقية مكسورة فتحتية ساكنة
فراء مكان بالقيروان فاعلموه ان كتامة بكاف مضمومة ففوقية وميم خفيفتين بينهما الف
قبيلة من البربر قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي ابيض
البدن فقال اي سعدون لعله اي المقتول حج ثلاث حجج قالوا نعم اي حج ثلاث حجج قال حديث
ان من حج حجة ادى فرضه الذي فرض عليه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ومن حج ثانية داين ربه اي اطاعه وعبده ومن حج ثالثة حرم الله شعره وبشره
اي ظاهر جلده على النار وروى الطبراني في اوسط معاجمه عن جابر لما نظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الكعبة يوم الفتح او وقت هجرته الى المدينة او في حجة الوداع قال مرحبا
بك من بيت اي لقيت رحبا وسعة ورحب الله بك ما اعظمك واعظم حرمتك قدرا فلا يحل
انتهاكها وقد روينا في رسالة الحسن البصري الى اهل مكة ان الدعا يستجاب في حرمها وعند
البيت وفي الركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وفي الصفا والمروة وكثير من مواطنها وروينا
ايضا من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر صدوره منه وحشر
يوم القيمة من الامنين من اهوالها وعذابها وقد اسند هنا حديث ابن عباس ما دعا
احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له مسلسلا وبالسماع روى سعيد بن منصور والبيهقي

مطلب
من حج ثلاث حجج
حرم الله شعره وبشره
على النار

في سننهما من طريق ابي الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسال الله احد فيه شيئا
الا اعطاه قال ابو الزبير وقد دعوت مرة هناك فاستجاب لي القسم الثالث
من الكتاب فيما يجب له صلى الله عليه وسلم مما يليق بكريم ذاته وعظيم صفاته وما يستحيل اتصافه
مما لا يليق بكيف جنابه الشريف وساحة مقامه المنيف او يجوز عليه مما لا يخل برفيع منصبه ومنيع
رتبته وما يمتنع عليه او يصح له صلى الله عليه وسلم من الاحوال البشرية بيان لما يجب له ويستحيل
او يجوز عليه ويمتنع او يصح ان يضاف اليه صلى الله عليه وسلم وهذا حديث اجمالي يرد عليك
ان شاء الله تفصيله قال تعالى وما محمد الا رسول اخرج لاعلى مقتضى ظاهر اصحابه صلى الله
عليه وسلم من استعظامهم عدم بقائه لهم فانه لما اذن بتنزيلهم منزلة مستبعدي موته
ومعتقدي وصفه بالرسالة والبعد عن الموت هذا ولا ريب في الكل دعواهم بعده عنه وتنزيلهم
منزلة مستبعد به اليق بهم من دعواهم التبري من موته وتنزيلهم منزلة منكريه وان زعم
قد خلت من قبله الرسل وسيخلو صلى الله عليه وسلم كما خلوا قبله افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكار توبيخي لا تكذيبي والفاء معلقة للجملة الشرطية بعدها بالجملة قبلها على معنى التسبب
والفاء لانكار جعلهم خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد خلوه بموت او قتل اي لما
انقلبتم على اعقابكم حين كسر ابن قمئة باحد ثنيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه ثم اراد قتله
فحماه مصعب بن عمير صاحب الراية ببدر واحد فقتله ثم قال قتلت محمدا والنبي يقول عباد
الله فانحاز اليه ثلاثون رجلا مع علمكم ببقاء دين الرسل بعد خلوهم متمسكا بها بعدهم فعليكم
ان تجعلوه سببا لتمسككم بعد خلو نبيكم لا سببا لانقلابكم لان الغرض من بعثة الرسول
تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا بانقلابه عليهما بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين لشكرهم نعمة الاسلام بثباتهم عليه
كانس بن النضر عم انس بن مالك بن النضر فانه لما قيل الا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد
قتل فان ربه حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده قاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر
اليك مما يقولون وابرا منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وكالانصاري الذي رأى مهاجريا يتشحط
في دمه فقال له اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم وقال ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي مقصور على الرسالة قصر قلب لما في ذهن من
اعتقد الهيته لا يتجاوزها الى كونه الها فهو كمن قبله خصه الله بايات كما خصهم بايات فانه كما
احيا الموتى على يديه فقد احيا على يدي موسى العصا حية تسعى وهو اعجب وكما خلقه من غير اب
فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة اي مقصورة على الصديقية قلبا لما في
ذهن من يعتقد الهيتها لا يتخطاها الى الهيتها فهي من نساء يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء وهذان
غاية كمالهما فبعدا ان لهما عن الالهية كغيرهما ممن شاركهما في امثالهما من الناس كانا ياكلان الطعام
مما ينافي الربوبية ويؤذن بكونهما من اجسام مركبة كاينة ثم تموت انظر كيف نبين لهم الايات
تعجب ممن ادعى الربوبية مع ما بينه من اعلام الادلة على بطلانها ثم انظر انى يؤفكون اي كيف
يصرفون عن استماع الحق وتدبره وحتى بينهم لما بين العجبين من التفاوت فان بيانه للايات عجب
واعراضهم عنها اعجب قال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ما بعد الا صفة لمحذوف حذف

لدلالة المجرور عليه واقيمت مقامه اي ما ارسلنا احدا منهم الا ان شانهم ليأكلون الطعام
ويمشون في الاسواق اي الا آكلين وماشين وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد ان فيه لتاكيد اثبات المسند للمسند اليه اتصل بها ما المؤكده لا النافيه وان زعم فيضاعف
تاكيدها فتضمنت معنى القصر اذ قصر الصفة على موصوفها وعكسه للبس لا تاكيد الحكم على تاكيد
اي انما انا بشر مثلكم يموت عنكم باني يوحى الي ان ما الهكم اله الا اله واحد فانما يوحى الي من قصرها عليه
بمنزلة انما يقوم زيد اي لا غيره وانما الهكم اله واحد من قصره عليها بمنزلة انما زيد قائم فاجتماعهما
مؤذن بان الوحي اليه مقصور على انه تعالى مستاثر بالوحدانية محمد وسائر الانبيا صلى الله عليهم
وسلم اي بانهم من عطف العام على الخاص لغة من حيث اشتراك الفريقين في وصفهم بالنبوة لا من
عطفه عليه اصطلاحا اذ شرط فيه ان يكون المعطوف عليه بعضا من المعطوف قدم لفضله من البشر
اي من بني ادم ومنه ادم ابو البشر سموا بشرا لظهور جلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد جمعها ابشار
ارسلوا الى البشر ولولا ذلك اي لولا ان الله تعالى ارسلهم بشرا الى بشر مثلهم ولو كانوا ملئكة لما اطا
الناس مقاومتهم لضعف البنية البشرية وقوة الملكية اذ قد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من اصولها
على جناحه ثم قلبها اي جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين وراى ابليس يكلم
عيسى صلى الله عليه وسلم على عقبه بالارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه على اقصى جبل في الهند
ولما اطاقوا القبول عنهم في تبليغهم ما ارسلوا به اليهم ولما اطاقوا مخاطبتهم حال مكالمتهم لهم قال
تعالى ولو جعلناه اي الرسول الذي اقترحوه ملكا اذ قالوا لولا انزل عليه ملك لجعلناه رجلا اي لارسلناه
في صورة رجل ولو جعلناه ملكا في صورته للبسنا عليهم ما يلبسون اي لما كان الا في صورة البشر الذي
تمكنهم مخاطبته كما كان جبريل ياتيه صلى الله عليه وسلم في صورة دحية على رؤيته اذا كان على صورته
ولو جعلناه في صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم اذا راوه في صورته قالوا انما هو الا بشر
مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا وقال قل جواب لقولهم ابعث الله بشرا رسولا انكارا منهم ان يرسل الله
بشرا ولو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين كما تمشي بنو ادم ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السما ملكا
رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه لتمكنه من مخالطته وتلقيه
منه او ارساله الى من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته اي مقاومة الملك من الانس
كالانبيا والرسل فيقومون بدعوتهم وارشادهم اذ عامة البشر عماة عن ادراك الملك والتلقي
عنه فانه مشروط بنوع تناسب وتجانس فالانبيا والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وسايط
بين الله تبارك وتعالى وبين خلقه ساعين بما يصلحهم مما ارسلهم به اليهم يبلغونهم اوامره ليمتثلوها
ويعملوا بمامورها ونواهيه ليجتنبوا منهيها وعده لهم على ما ذكر امتثالا واجتنابا اجرا جزيلا ووعيده
لهم على ما ذكر مخالفة واتيانا عقابا وبيلا ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره اي شانه وحاله في صفاته
واقواله وافعاله على ما سبق به قضاؤه من ايجاد وابقا واعدام ومغفرة ذنب وتفريج كرب ودفع نوم
ووضع اخرين وما لم يعلموه من خلقه اي ايجاده عبادة من غير احتياج منه اليهم البر والفاجر وجلاله
اي عظمته من كمال وشرف لحيازته جهات التنزيه والتقديس والغنى المطلق وسلطانه وجبروته
وملكوته المؤذنة بكونه تعالى بالوصف الذي يحق له العز والقهر والغلبة والحكم والتصرف في ملكه
لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه فظواهرهم اي الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم واجسادهم

وبنيتهم

وبنيتهم اي ابدانهم المركبة بخلقه تعالى لها مركبة وكانت الكعبة تدعى بنية ابراهيم لانه بناها
متصفة باوصاف البشر طارئ عليها اي فاجاها بغتة ما يطرأ على البشر من حسن وسي من
الاسقام جمع سقم وسقم مما يعتراه من نواكب ونوايب والموت وهو عدم الحياة عما من شانه
او ضدها لشهادة خلق الموت والحياة فهما وجوديان ورد بان خلق بمعنى قدر فهو عدمي
وعليه اكثر اهل السنة من المتكلمين وغيرهم وفي الحديث الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
اي بعد نومنا فسماه موتا لزوال العقل والحركة وتشبيه له به ومن ثم اطلقوه بحسب انواع الحياة
على انواع عدم القوة العاقلة كما في او من كان ميتا فاحييناه وعلى زوال القوة الحسية كما في
يا ليتني مت قبل هذا وعلى ما هو بازاء القوة النامية في الحيوان والنبات كما في يحيي الارض
بعد موتها وعلى الحسن والخوف المكدر للحياة كما في ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
وقد قيل المنام هو الموت الخفيف والموت هو النوم الثقيل وقد يستعار الموت للاحوال
الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم ان
هامان مات ثم راه فسال ربه فقال له الم تعلم ان من افقرته فقد امته وفي الحديث اول
من مات ابليس لانه اول من عصى الله والفنا المفرق للاعضا المفتت لها وما يطرأ عليه من
نعوت الانسانية جمع نعت وهو الوصف بما يصيبه ولا يقال في غيره وارواحهم صلوات
الله وسلامه عليهم وبواطنهم متصفة باوصافهما علا من اوصاف البشر من الفضائل
النفيسة والتبري من العلايق الجسمية متعلقة بالملإ الاعلى اي الملئكة وفي حديث دعائه
صلى الله عليه وسلم عند وفاته اللهم الرفيق الاعلى متشبهة بصفات الملئكة مما اتوه من
قواهم الملكية لشهادة البخاري انه اعطي قوة ثلاثين رجلا سليمة من التغير انتقالا من حال الى اصلح
الى اسوا والافات مما يوردهم امرا امر ويرهقهم عسرا لا يلحقها اي لا يلحق ارواحهم وبواطنهم
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية فهم اتم افعالا واصوب اقوالا واحسن احوالا
وقيد بالغالبية لانهم قد يغشاهم فترات طبيعية لا تخرجهم عن كمال القوة وعلو الهمة
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم وظواهر غيرهم وبواطنهم لما اطاقوا
الاخذ وتلقي الوحي عن الملئكة ولا اطاقوا رؤيتهم ومخاطبتهم مفاعلة من الخطاب اي مكالمتهم
ومخالتهم بميم مضمومة ولام مشددة من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تتخلل القلب
فتصير خلاله اي في باطنه والخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول وفي
الحديث اني ابرأ الى كل ذي خلة من خلته لقصر خلته صلى الله عليه وسلم على حب ربه تبارك
وتعالى ولا متسع فيها لغيره من محاب الدنيا والاخرة وهي حالة شريفة لا تنال بكسب واجتهاد
يختص الله من يشا من عباده ومن ثم الخليل من الخلة بالفتح وهي الحاجة والفقر اذ اصل ابراهيم
الاعتماد والافتقار الى غير الله وفي رواية اني ابرأ الى كل ذي خل من خله بالفتح والكسر فيهما
بمعنى الخلة والخليل وقد تطلق الخلة عليه فيستوي فيه المذكر والمؤنث لانه في الاصل مصدر
ويقال خليل بين الخلة والخلولة اي الاخذ وما بعده كما لا يطيقه غيرهم اي غير الانبيا
من البشر ولو كانت اجسامهم صلوات الله وسلامه عليهم وظواهرهم متسمة اي موصوفة
بنعوت الملئكة اي بصفاتهم الحسنة وبصفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه

[illegible]

مخاطبتهم كما تقدم من قوله الله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا فجعلوا صلوات الله وسلامه عليهم من جهة الاجسام والظواهر جمع ظاهر من الظهور وهو ما يدرك بالابصار مع البشر وجعلوا من جهة الارواح جمع روح وهو هنا ما به قوام البدن وحياته والبواطن جمع باطن وهو ما يدرك بالبصاير مع الملئكة على طرايقهم ونعوتهم كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري وغيره اي من حيث انه ليس من البشر لو كنت متخذا من امتي خليلا اخصه بمزيد الاكرام واعتمده اذا طرا المام لاتخذت ابا بكر خليلا بل الذي خليلي مقصورة عليه حبا ليس فيها متسع لغيره من محاب الدنيا والاخرة هو ربي او هو الذي الجا في اموري اليه واعتمد في احوالي عليه لا غيره لكن ليس بيني وبين ابي بكر خلة بل اخوة الاسلام بيننا مشتركين فيها اخي فهو استثنا من فحوى الشرطية اذ ان بنفي الخلة واثبات الاخا المقتضي للمساواة في الاسلام لكن صاحبكم يريد نفسه صلى الله عليه وسلم مخاطبا لحاضره من اصحابه وليس تجريدا وان زعم اذ لا معنى للتجريد فيه خليل الرحمن اما من التخلل كما مر لتخلل حبه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى شغاف قلبه واستيلائه عليه او من الخلة بالفتح اما بمعنى انه ما كان يفتقر الا الى الله ولا يعتمد الا عليه او بمعنى انه تخلق بخلال حسنة خص وكما قال صلى الله عليه وسلم من حيث انه ليس مع البشر تنام عيناي ولا ينام قلبي وكذا جميع الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم لتعلق ارواحهم بالملا الاعلى وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وابي هريرة وانس وعايشة جوابا لقولهم انك تواصل اني لست كهيئتكم اني اظل اي اصير او ادوم يطعمني ربي ويسقيني اما بامانة تعالى عليه ما يقوم مقام طعامه وشرابه بدفع عنه مس الجوع والعطش ويقوي به على الطاعة ويحفظه مما يفضي به الى كلال القوى وضعف الاعضا او يرزقه من الجنة ليالي صيامه كما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يبيت يلتوي من الجوع ثم يصبح شبعانا او طاعما من طعام الجنة والاول اوجه لايذان نفي مثلية الهيئة بالتوسع لم على اراد لقم الوصال مثله مع التاكيد بذكر ما يدل في اعانته عليه دونهم اي اني لست مثلكم لا اعان على الوصال بل اعان عليه لا انتم فلا تواصلوا فلما انتهوا واصل بهم يومين او ثلاثة ثم راوا الهلال فقال لو بقي لزدتكم كالمنكل لهم هذا ويطعمني ويسقيني خبر اظل ان كانت ناقصة وحالان من اسمها مسد اخليات ان كانت تامة اي اني اظل مطعما مسقى فبواطنهم صلوات الله وسلامه عليهم منزهة عن الافات المخلة بقوامهم ونعوتهم الملئكية مطهرة من النقايص والاعتلالات المعتورة في ظواهر الاجسام الحيوانية وهذه اشارة الى ما ذكره مما خصوا به جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر من ذوي الهمم العوالي يحتاج الى بسط للكلام في احوالهم وتفصيل في ما ناتي به بعد هذا في البابين بمعونه منه وتوفيق وهدايه الى اقوم طريق

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية

اي الماخوذة من الدين المبعوث به الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم والكلام في عصمة نبينا وساير الانبيا اي باقيهم اعلم خطاب بصيغة الامر لكل من يتاتى توجيهه اليه ولم يرد به معينا سد مسد مفعوليه جملة ان الطوارئ الواردة لجاه ايان بحيثها من التغييرات والافات على احاد البشر جمع احد من الوحدة ابدلت واوه همزة لا تخلو اما ان تطرا على جسمه او على حواسه جمع حاسة وهي ما يفيد العلم من مشاعره من بصر وسمع وشم وذوق ولمس بغير قصد واختيار منه بل يخلق الله تعالى فيه كالامراض والاسقام جمع سقم من عطف المسبب على سببه او يطرا بقصد واختيار وكله اي ما

يطرا

يطرا بغير اختيار وباختيار في الحقيقة عمل وفعل لكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع باعتبار مواردها عقد بالقلب اي جزم به بالشي وملازمته وفي حديث الدعا لك من قلوبنا عقدة الندم اي العزم على الندامة وهو تحقيق التوبة وقول باللسان وعمل بالجوارح اي الاعضا سميت جوارح لاجتراح الاعمال بها اي اكتسابها وجميع البشر تطرا الافات والتغييرات اي الحالات المختلفة بالانتقال من حال الى حال من نعم وبوس وملك وهلك ونصر وقهر وغير ذلك مما يغشاهم بالاختيار وبغيره في هذه الوجوه كلها والنبي لم يرد به نبيا معينا لاستوائهم فيما ذكر فلامه عهدية ذهنا فهو كالنكرة يعامل معاملتها لقربه منها وان من البشر ويجوز على جبلته اي طبيعته وخلقته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القطعية جمع برهان وهو الحجة والدليل على صحة الشي وثبوته وفي الحديث والصدقة برهان اي حجة لمجازاة فاعلها بالاجر عليها او دليل على صحة ايمانه لبذله لها امتثالا بطيب نفسه مع رغبتهم في المال وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم اي خروج النبي على البشر وتنزيهه عن الافات التي تقع على الاختيار لعصمة الله لهم منها وعلى غير الاختيار لكرامتهم على الله تعالى فصل في حكم عقد قلب النبي اي جزمه بما ثبت عنده من وقت نبوته اي اظهارها بالوحي اليه اعلم يا من يتاتى توجيه الخطاب اليه منحنا الله واياك توفيقه اعتراض طلبي بين فعل الامر ومعموليه افاد طلب التوفيق منه تعالى لهما اي اعطاناه خلقه فينا ان ما تعلق اي قلب النبي منه ما موصوله حرفي صلته ما بعده وعايده ضمير منه اي ان الذي تعلق قلبه منه ما هو بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته ثبوتيه وسلبيه وفعليه واضافيه والايمان به تعالى بانه واحد اوجد العالم من غير احتياج وما مسه من لغوب وبما اوحي اليه ليبلغه او يعمل به فعلى غاية المعرفة بجزئياته ووضوح العلم واليقين بكلياته وعلى غاية الانتفا لشي من ذلك اي مما ذكر من العلم به تعالى وما بعده او الشك او الريب فيه وعلى غاية العصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين به اي لم يعتر قلبه شي مما هو على غاية الانتفا فيما هو على غاية اليقين والثبوت بما ذكر ولتمسكه بذلك وتمكنه منه شبهت حاله بحال من اعتلا شيا وركبه تمثيلا افاده استقراره بغاية لا يستطى غاربها سواه هذا اي ما تلي عليك مع ما وقع اجماع المسلمين عليه ولم يحتج احد منهم الى غيره ولا يبعه بالبراهين الواضحة اي البينة التي لم يشبها خفا ان يكون من عقود الانبيا سواه ولا يعترض على هذا اي على قولنا ما وقع الاجماع عليه ولا يحتج عليه بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ كان اثبت ايمانا واتم يقينا ولم يشك في احيا الله له ما احيا الموتى المفاد بقوله اولم تؤمن اي ما آمنت فالهمزة للتقرير حملا له على الاقرار بايجاب ما بعده النفي الموضوع له بلى اي امنت ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة بسكون قلبه لها فبمشاهدة الاحيا حصل له العلم الاول وهو انه تعالى يحيي الموتى بوقوعه اي بوقوع احيائه تعالى للطير الاربعة واراد العلم الثاني الحاصل به الطمانينه بكيفيته ومشاهدته فهو علم ضروري لا مجال فيه للمشككات فيكون عونا على حصول الطمانينة الوجه الثاني ان ابراهيم انما اراد اختبار منزلته اي موجودة في الخارج عند ربه واراد علم اجابته تعالى له دعوته صلى الله عليه وسلم بسؤاله ذلك من ربه بطلبه منه انه يريه كيف يحيي الموتى باعادة التركيب والحياة

ويكون قوله اولم تؤمن اي الم تصدق فهو استفهام انكاري لنفي الايمان افاد اثبات الايمان على وجه ابوها
اذ نفي النفي اثبات اي صدق بمنزلتك مني ابانة وشرفا وخلقك واصطفائك اعظاما وكرما
الوجه الثالث انه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم سأل زيادة يقين لقوله لها قوة وضعفا
على ما حررنا في شرح كتابنا مقاصد المقاصد وقوة طمانينته ليزداد قلبه سكونا وطمانينة بعلم
ضروري من مشاهدة كيفية الاحيا وان لم يكن في يقينه الاول النظري او الخبري شك اذ العلوم
الضرورية مما لا يستفاد بنظر وكسب والنظرية مما يستفاد بهما قد تتفاضل بقوتها لانها
كيفيات نفسية يعتريها التفاوت بحسب مراتبها من اجل الضروريات كالعلم بان الواحد نصف
الاثنين وبطلوع الشمس الى اخفى النظريات كالعلم بحدوث العالم وبقدم صانعه وبضا منه
الضروري الى النظر تتظاهر ان في زيادة الطمانينة اذ تظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد
لليقين ولطريان الشكوك على الضروريات من حيث ذاتها ممتنع ويجوز طريانها وجريانها
في النظريات اذ قد يلم بطريقها وهم لفساد مادته او صورته فاراد اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم
الانتقال من النظر او الخبر الصادق الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الكامل بالنظر
او الخبر الصادق الى علم اليقين الكامل بالمشاهدة لقوته فليس الخبر كالمعاينة لافادتها يقينا
لا يعتريه ريب بخلافه وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس ليس الخبر
كالمعاينة ان الله عز وجل اخبر موسى صلى الله عليه وسلم بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح فلما عاين
ما صنعوا اي من اتخاذهم له الها القاها فانكسرت ولهذا اي ولكونه ليس كهي سأل اي ابراهيم صلى الله عليه
وسلم كشف غطا العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله وبصيرة في شانه شبه العيان على طريقة
الاستعارة المكنية بمحتجب تحت غطا ثم اثبت له تخييلا وذكر الكشف ترشيح الوجه الرابع انه
اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما احتج على المشركين من قومه نمرود وعتاته بان ربه يحيي ويميت
المؤذن به قوله تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت اي لا غيره لشهادة تعريف الجزئين
بتقدير ضمير الفصل قبل الذي طلب ذلك جواب لما اي سأل من ربه ان يريه كيفية احيا الموتى
ليصح احتجاجه عليهم ويتجاهم الحق عيانا فيدمغ شبههم فاذا هي زاهقة الوجه الخامس هو
اي قوله رب ارني كيف تحيي الموتى سؤال وارد على طريق الادب ليبلغ المراد الذي رغب في حصوله
ليتم احتجاجه به على مكذبيه فكنى به عن اقدرني على احيا الموتى تلويحا بفرط عتوهم وقوة شكيمتهم
باباءهم عن طاعته ورغبة منه صلى الله عليه وسلم في اظهار الحق لهم بمعاينتهم للاحيا توبيخا لهم
وتقريعا وتبكيتا وتشنيعا وقوله ليطمئن قلبي اي عن هذه الامنية اي التي هي الاقتدار على احيائهم
فلم يدعني الى طلبها بعد الوجه السادس انه صلى الله عليه وسلم ارى اي اظهر لغيره من نفسه
الشك وما شك تنزيه ساحة جنابه الكريم عن الشك ولكن فعل ذلك ليجاوب بالبنا للمفعول
تادبا اي ليجيبه ربه فيزداد قربة بمعرفة منزلته عند ربه اذ المجاوبة تؤذن بالاعتنا وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم صلى الله عليه وسلم ليس اعترافا منه بالشك
لهما صلى الله عليه وسلم لهما بل هو نفي له عنه لان يكون ابراهيم صلى الله عليه وسلم شك وزجر وتنفير
وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قد وردانه لما نزل واذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى سمع قوم ذلك فقالوا شك ابراهيم ولم يشك نبينا اي نحن موقنون

بالبعث

بالبعث واحياء الله الموتى لم نشك ولم نرتب في قدرته على ذلك فلو شك ابراهيم صلى الله عليه وسلم
لكنا اولى بالشك منه فهو صلى الله عليه وسلم اما ان يكون قال نحن احق بالشك من ابراهيم على طريق
الادب معه او ان يريد به امته الذين يجوز عليهم الشك لفقد عصمتهم او على طريق التواضع
والاشفاق وان حملت قصة ابراهيم على الوجه الثاني في اختبار حاله ليعلم منزلته وقربه من ربه لما
في الاختبار من معنى العلم اذ هو طريق اليه لملابسته له كما ان النظر والاستماع من طرقه في مثل
انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم اطيب وانديٰ صوتا او ان حملت قصته على زيادة يقينه ليزداد
طمانينة بعين اعترافا على نفيه الشك عنهما صلى الله عليه وسلم عليهما مما يثبته على طريق الفرض
لنبينا صلى الله عليه وسلم بقوله ثم ما معنى قوله فان كنت في شك مما يورث قلقا واضطرابا فيما نزلنا
اليك مما تطمئن له وتسكن اليه فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانهم محيطون علما بصحة ما
انزلنا اليك تلويحا بان المراد وصفهم بالرسوخ في العلم به لا وصفه صلى الله عليه وسلم بالشك فيه
لقد جاءك الحق من ربك واضحا بالادلة القطعية النافية لمداخلة الاشتباه فيه فلا تكونن من
الممترين فيما انت عليه من اليقين والجزم ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله زيادة تنبيه وتهييج
له صلى الله عليه وسلم على دوام ما هو عليه من اليقين وانتفاء الشك فاحذر ربت الله قلبك اعتراض
دعائي بين الامر بالحذر وجوابه ان يخطر ببالك افاد تنبيه ورفض ان يعتري قلبه ما ذكره بعض
المفسرين عن ابن عباس من اثبات شك له صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر
يطرا عليه ما يطرا عليهم فمثل هذا لا يقال في حقه صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز عليه جملة واحدة
بوجه من وجوه التاويل بل قال ابن عباس كما رواه ابن ابي حاتم عنه لم يشك ولم يسأل احدا من
قرا الكتاب من قبله وحكى قتادة فيما رواه ابن جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله له الرسل ليلة
اسري به وامره ان يسالهم قال ما اشك ولا اسال انزاهته ورفعة محله بعصمته عن الشك
واختلفوا اي المؤولون في معنى الاية اي اية فان كنت في شك فقيل المراد المفاد بها قل يا محمد
للشاك اسال اهل الكتاب فيه تنبيه لمن خالج قلبه شبهة ان يبادر الى معرفتها من اهل الكتاب
اذ شفاء العي السؤال قالوا اي مؤولوا الاية بما ذكر وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل
قوله يا ايها الناس هم اهل مكة ان كنتم في شك من ديني الذي امرتكم ان تدينوا الله به فاسمعوا
وعوا ما اتل عليكم فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ممن لا يضر ولا يجدي نفعا ولكن
اعبد الله الذي اوجدكم من العدم ويرشدكم ان شاء الى اية دين لا مدخل للشك فيه وانه دين اعتقادا
وعملا لله الذي يتوفاكم تهديد متضمنا تنبيهكم على انه تعالى هو الحقيق بان يخاف منه فيدان وترفض
عبادة ما سواه وقيل المراد بالخطاب بقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين
يقرؤن الكتاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم وان كان هو المخاطب به كما قال الله تعالى لئن
اشركت ليحبطن عملك تعريضا اذ الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من امته او هو وارد على
سبيل الفرض كما يعرض المحال تنزلا له صلى الله عليه وسلم على دوام ما هو عليه من الدين القيم وتقنيطا
للكفرة من رحمته تعالى لا اتصافهم بما تلبسوا به منه ومثله اي مثل فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فلا تك بعد ما قصصنا عليك ما غشي مكذبي الانبيا من النقم واعلمناك ما اعددنا لهم من
العذاب في مرية مما يعبد هؤلاء اي لا تشك في ان عبادتهم غير الله ضلال يوديهم سوء عاقبتهم من

اليقين بان قلت خطاب لمن يمكن
توجهه اليه على وجه الحجة من
نفسه من المستمع منه ع امد

اليم بعذاب وشديد عقاب ونظيره اي مثل فان كنت في شك مما انزلنا اليك في القران كثير كقوله
تعالى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من الحق انك اذا لمن الظالمين وقوله تعالى كما ياتي ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين قاله بكر بن العلا من قضاة المالكية الا تراه تبارك
وتعالى يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فانه شاهد صدق بانه صلى الله عليه وسلم هو
المواجهة بالخطاب والمراد به كما في فان كنت في شك ونحوه غيره وهو صلى الله عليه وسلم كان هو
المكذب عن لم يؤمن به من قومه فيما يدعوا اليه مما امر بتبليغه فكيف يكون صلى الله عليه وسلم
ممن كذب به اي بما يدعو اليه فهذا اي ما ذكر كله وان خوطب به على ان المراد بالخطاب غيره ومثل
هذه الاية اي اية فان كنت في شك مما انزلنا اليك ان المراد بالخطاب فيها غيره قوله الرحمن فاسال
به خبيرا اذ المامور هنا اي في فاسال به خبيرا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسال النبي
هو الخبير به تبارك وتعالى المسؤول عنه وله المثل الاعلى لا المستخبر السائل عنه تعالى او الخبير
المسؤول غيره صلى الله عليه وسلم اي اسال عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته وكمال صفاته فالبا
صلة خبيرا اما لغة في الفاعل بمعنى مخبرا او خابرا او اسال بسؤال الله تعالى اي ان سالته وجدته
خبيرا اما للتجريد به كما في رايت به اسدا بمعنى رايت برؤيته شجاعا فلا اتصافه بالشجاعة متناهيا
فيها صح ان ينتزع منه اخر موصوفا بها وقال اي بكر بن العلا في اية فان كنت في شك ان هذا
الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب من الاحبار والرهبان
انما هو فيما قصه الله عليه صلى الله عليه وسلم في كتابه من اخبار الامم مما اذن بنجاة من امن منهم بانبيائهم
وهلاك من كذب لا فيما دعى صلى الله عليه وسلم اليه ان يتبع فيه ويدان به من التوحيد والشريعة
التي شرعها الله لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وهي ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لشهادة
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم اي دينه وهذا اي ما اريد به غيره صلى الله عليه وسلم من خطابه
بالشك وسؤال الذين يقرؤون الكتاب مثل قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اذ المراد
به اي بالسؤال المجاز المشركون الموجودون من امهم لاستحالة سؤاله من مضى منهم درج الرياح
اي اسال من لقيت من امهم اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون استفهام انكاري تكذيبي
افاد نفيها في ضمن نفي جعلها على وجه برهاني اذ يلزم من نفيه نفيها اي لم نجعل الهة تعبد من
دوننا في ملة من الملل ولم ناذن في عبادتها لشهادة اجماع الانبيا على التوحيد فتبريتنا لم
يبتدع الدعوة فلم يكذب ولا يعادي لاجله اذ كان اقوى شيء اعزاهم على تكذيبه صلى الله عليه
وسلم والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم من اد ابه غيره قاله محمد بن احمد بن عبد
العزيز العتبي المالكي مصنف العتبية فقيه الاندلس من موالي عتبة بن ابي سفيان وفي نسخة
القتبي وفي اخرى العتيبي فهو ابن قتيبة بن سعيد بن طريف بن جميل من موالي الحجاج بن يوسف
الثقفي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف الخافض وهو من وتم
الكلام ثم ابتدا بقوله عز قائلا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون على طريق الانكار للجعل
المتولد منه نفي عبادتها على وجه برهاني كما مر اذ يلزم من انكاره نفيها اي ما جعلنا الهة فلا عبادة
لها حكاه مكي وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبيا ليلة الاسرا عن ذلك اي عن جعله
تعالى الهة تعبد من دونه اجعلها ام لا فكان اي ما افاده من اليقين امره تعالى له بسؤاله لهم فيها

اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال منهم فيها فروي انه اي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى
به بعث الله ادم وولده من الانبيا والمرسلين فاذن جبريل ثم قال يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له
سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون قال لا اسال قد اكتفيت
بما ثلج صدره من برد اليقين قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقيل امم من ارسلنا من قبلك من رسلنا
هل جاءوهم بغير التوحيد استفهام تقريري ينفي مجيئهم اليهم بغير توحيده تعالى والمراد بهذا اي
بقوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا والذي قبله من قوله فان كنت في شك الى هنا اعلامه
اي النبي صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل من التوحيد اجماعا وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره
لاحد ردا مفعول من اجله عدم اذنه لاحد في عبادة غيره على مشركي العرب وغيرهم قولهم انما
نعبدهم اي الاوثان الا ليقربونا الى الله زلفى من الزلف وهو القرب اي قربى وفي حديث الاضحية
اتي نبي الله صلى الله عليه وسلم ببدنات يضحي عليهن فطفقن يزدلفن اليه يفتعلن من القرب ابدلت
التاء دالا للمجاورة ونقلها الزاي يقربن منه بايتهن يبدا وكذلك اي ومثل ما ذكر من الايات والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه اي يعلمونه ان القران لاعجازه وانزاله مفصلا لا التباس فيه مغن عن
سائر الايات منزل من ربك بالحق تاييد لحكم الاعجاز بان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل
الكتاب لتصديقه ما عندهم ووصف جميعهم بانهم يعلمون حقيته هو باعتبار اكثرهم ومن لم
يعلم منهم فيتمكن منه بادني تامل فلا تكونن من الممترين تهييج له صلى الله عليه وسلم لدوم على
يقينه بلا شك اي في علمهم انه منزل او في علمهم انك رسول الله وان لم يقروا بذلك اي بكونه
رسول الله حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم انه رسول الله وليس المراد به اي بقوله فلا
تكونن من الممترين شكه فيما ذكر فيها ولا اية اي ولا في اية فان كنت في شك اذ المراد به هنا شكهم
في كونه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك الشك فيما انزل اليه ولم يشك صلى الله عليه وسلم
كما مر وقد يكون اي فلا تكونن من الممترين على مثل ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم امر ان يقول
للشاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك على ان المخاطب والمراد غيره اي قل يا محمد لمن امترى في
ذلك اي شك فيما تقدم لا تكونن من الممترين اي الشاكين في ان القران منزل الى نبي بالحق لتعاضد
الادلة على حقيته بدليل قوله في اول الاية التي فيها والذين اتيناهم الكتاب اذ هو افغير الله
ابتغي حكما استفهام انكاري توبيخي لمن يروم من المخاطب عنا ابتغا حكم احد غير الله اي قل لهم يا محمد
اطلب غيره تعالى يحكم بيني وبينكم ليظهر المحق منا من المبطل لا يكون ذلك ابدا وهو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلا اي القران مبينا فيه الحق والباطل وشاهدا عليكم بالافترا وقيل هو
اي امره صلى الله عليه وسلم بالسؤال تقرير لمشركي قريش اي لحملهم على الاقرار بما يعرفون من ان
الله لم يجعل من دونه الهة تعبد ولم يبعث رسولا الا بالتوحيد بشهادة ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فاثبتوا له الخلق والعزة والعلم وحده كقوله
تعالى لعيسى صلى الله عليه وسلم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فانه حمل
له على الاقرار بما يعرفه من انه اريد به تلويحا توبيخ من عبدهما من دون الله لا لحمله على الاقرار بانه
قاله وان ولي ضميره الهمزة اذ لا بحث ان يكون بالحكم الذي دخلت عليه بل بما يعرفه المخاطب من
ذلك اثباتا او نفيا وقيل معناه ما كنت ما هنا مصدرية اي مدة كونك في شك وحاشاه صلى الله

عليه وسلم ان يبنك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لعلمهم بصحة ما انزلنا اليك تزدد طمأنينة
وعلما الى علمك ويقينك بتحققه عندهم وثبوته في كتبهم على مثل ما انزلنا اليك وقيل معناه ان
كنت في شك مما شرفناك اي من كرم النبوة وشرف الرسالة العامة وفضلناك به على غيرك بشهادة
ما في التوراة ان الله قال لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع وايديهم مبسوطة
اليه بالخشوع فاسألهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك ففي التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا تجزي بالسيئة
السيئة ولكن تعفو وتغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا اي دين ابراهيم صلى الله عليه
وسلم فان العرب غيروا فيها كثيرا وفي الانجيل على لسان عيسى انا اطلب من ربي وربكم حتى يمنحكم
فارقليط اي كاشف الخفيات فيكون معكم الى الابد وفيه فاما فارقليط روح القدس الذي
يرسله ربي باسمي اي بالنبوة التي هو يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته لكم وقد اخبرتكم
بهذا قبل ان يكون فاذا كان فآمنوا به وحكى ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي تيم قريش مولاهم ان كنت
في شك اي ستد من جانب غيرك فيما انزلنا اليك من الحق المنقذ من الضلال فاسأل الذين يقرءون
الكتاب من قبلك يخبروك بحقيته فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل غاية
لمحذوف افاده نظم الكلام اي لا يغررهم تقلبهم مهلين املا واستدراجا وان من قبلهم امهلوا حتى
تيأس الرسل من النصر عليهم في الدنيا وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف مبنيا للمفعول
لا يجوز ظاهرها مع تطاول تأخر نصرهم بظنهم انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر مع نزاهتهم
من ان يظنوا ذلك بربهم وتعاليه عن ان يخلف ميعادا قلنا جوابا عن هذا القيل المعنى ما قالت
عائشة ان الرسل لما استيأسوا من النصر على مكذبيهم وتمادت مدته ظنوا ان من وعدهم
النصر من اتباعهم كذبوهم اي اخلفوهم ما وعدوهم من نصرهم على عدوهم وعلى هذا اي على
ما قالت عائشة اكثر المفسرين وقيل ضمير ظنوا عائد على الامم لا على الرسل اي ظن اممهم المكذبون
لهم انهم اي ظنهم رسلهم في قولهم انهم ينتصرون عليهم او عائد على الاتباع منهم اي ظن اتباعهم اذ لم يروا
لوعدهم النصر نتيجة بتراخيه عنهم انهم قد كذبوا فيما اخبروا به قومهم من انهم ينتصرون عليهم
وهو قول ابن عباس ومن ذكر هنا معه وبه اي وبجعل ضمير ظنوا عائدا على الامم قرأ مجاهد كذبوا بالفتح
مبنيا للفاعل مخففا اي ظنوا ان رسلهم كذبوا في قولهم في النصر عليهم فلا تشغل بالك اي قلبك من
شاذ التفسير بسواه اي بسوى قول عائشة وابن عباس ولم يثبت ان الرسل ظنوا بمولاهم انه تبارك
وتعالى اخلفهم ما وعدهم من نصرهم على عدوهم مما لا يليق بمنصب العلما فكيف بمن لا يخلف وعدا والانبيا
فهم اولى بان لا يليق بهم ذلك لنزاهة شأنهم وجلالة قدرهم ورفعة محلهم عن ان يظنوا بربهم خلف وعده
ايامهم وكذلك اي مثل اية حتى اذا استيأس الرسل ما ورد ما ورد في حديث البخاري وغيره في مبدأ
الوحي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة بنت خويلد بن اسد زوجته بعد ان اخبرها ما وقع له مع
جبريل بحرا لقد خشيت على نفسي ليس لمعناه الشك فيما اتاه الله من الهدى والحق بعد رؤيته الملك
واخباره انه رسول الله ولكن لعله خشي على نفسه ان لا تحمل قوته مقاومة الملك مفاعلة من
القيام اي مصابرته ولا يحتمل ايضا اعباء الوحي جمع عبء بكسر اوله اي اثقاله فينخلع قلبه او تزهق
نفسه لان قوة الملك لا تقاومها قوة اذ قد ورد انه حمل قرى قوم لوط على جناحه فجعل عاليها سافلها

ورأى ابليس في بعض جبال بيت المقدس يكلم عيسى فنفحه بجناحه فالقاه على اقصى جبل في الهند هذا
اي ما ذكره من الجواب على ما ورد في الصحيح للبخاري وغيره من قوله لها لقد خشيت على نفسي انه قاله
بعد لقائه الملك اذ بشره بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون قد قال ذلك قبل لقائه
الملك وقبل اعلام الله له بالنبوة لاول ما اي في اول زمن عرضت عليه من العجايب ومنها انه
سلم عليه الحجر والشجر كما ورد انه سافر مع عمه ابي طالب في ركب الى الشام فنزلوا قريبا من بحيرى
اسم عالم للنصارى
فجا يتخلل القوم حتى وقف عليه صلى الله عليه وسلم فقال هذا نبي هذه الامة وامر عمه فرده الى مكة
حذرا من ان تقتله يهود الشام وزوده كعكا وزيتا فقيل له بم عرفت انه نبي فقال لما قدمتم ما استقبله
حجر ولا شجر الا سجد له ولا يسجد الا لنبي وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم
علي قبل ان ابعث قيل هو الحجر الاسود وبدايته المنامات الصالحة فكان لا يرى مناما الا جاء مثل
فلق الصبح وبدايته التباشير المؤذنة بنبوته مما يكون مبدأ الشي واوله ومنه تباشير الصبح
اي اوائله من البشارة لانها تظهر طلاقة الوجه وفرحه كما روي في بعض طرق هذا الحديث اي
حديث مبدأ الوحي ان ذلك اي ما ذكر من التباشير كان في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك
اي الذي اريه في المنام تأنيسا له صلى الله عليه وسلم من الانس بالضم ضد الوحشة ليطمئن قلبه
لئلا يفجأه الامر اي يرد عليه بغتة بلا تقدم سبب مشاهدة ومشافهة من شافهه بالكلام
اي خاطبه فلا تحمله لاول اي في اول حاله من احواله بنية البشرية لضعفها عن قوة الملك
وفي الصحيح للبخاري ومسلم عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصادقة وفي رواية الصالحة من النوم اما باخباره صلى الله عليه وسلم لها بذلك او باخبار
غيره لها به والا فهي لم تكن ولدت قبل بديته به قالت اي عائشة ثم حبب اليه الخلا اي الخلوة اذ
به فراغ القلب والتفكر المورث للبشرى اذا الرياضة المخرجة له عن طبيعته فلطف الله به صلى الله
عليه وسلم في اول امره فحببها اليه ليفرغ قلبه فيتمكن منه الوحي اذا القلب اذا غشيه شي خاليا
تمكن منه قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا قالت الى ان وفي روايتهما حتى جاءه الحق اي الامر الحق وهو
في غار حرا بكسر اوله وتخفيف رائه جبل على ثلاثة اميال من مكة يمد ويقصر ويذكر فيصرف ويؤنث
فلا يصرف وروى ابن سعد عن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة
يسمع الصوت ويرى الضوء اي يسمع صوت الملك ويرى نوره وانوار ايات ربه المنزلة عليه سبع
سنين فيها يسمع صوته ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه هذا على القول بانه صلى الله عليه
وسلم عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين سنة فبعد البعثة بمكة ثلاث
عشرة وبالمدينة عشرا وروى ابن اسحق عن بعضهم لا ادري من هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر جواره اقامته متعبدا بغار حرا هو نقب فيه فجاءني يعني جبريل وانا نائم فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ اي اي شي اقرأ فما استفهامية او لست اقرأ فهي نافية لشهادة دخول البا في خبرها في رواية
البخاري ما انا بقارئ وذكر اي ابن اسحق او من روى عنه نحو حديث عائشة في غطه بمعجمة فمهملة
اي ضم جبريل اياه صلى الله عليه وسلم ضما شديدا واقرائه اياه سورة اقرأ باسم ربك قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم فانصرف اي جبريل عني وهببت من نومي اي استيقظت منه فكانما صورت في
قلبي اي مثلت سورة اقرأ فيه ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون اسم يكن ضمير الشان وابغض خبرها

والجملة حالية افادت بغضه دعوة قريش له صلى الله عليه وسلم بواحد منهما او بهما قلت لا تحدث مرفوع حذفت احدى تاءيه تخفيفا عني قريش بهذا ابدا اي بقولهم له شاعر او مجنون لاعمدن بكسر الميم وفتحها الى حالق بمهملة وقاف اي عال من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها حذرا من ان يسموه بشاعر او مجنون فبينا انا عامد لذلك اي لطرح نفسه او ليسمع ما تحدث به قريش عنه اذ سمعت مناديا ينادي حذف المسموع واوقع الفعل على المنادي لدلالة وصفه بالندا عليه ففي ايقاعه على المنادي مبالغة ليست في ايقاعه على المسموع وفي اطلاق الندا ثم تقييده بقوله يا محمد انت رسول الله وانا جبريل تفخيم لشان المنادي اذ لا منادي اعظم من مناد ينادي ببشارته من ربه بالرسالة فرفعت راسي فاذا اي ففاجاني بغتة جبريل على صورة رجل حال من جبريل اي ممتثلا في صورته فبين في هذا الحديث اي حديث ابن اسحق ان قوله صلى الله عليه وسلم لما قاله لخديجة لقد خشيت على نفسي وقصده لما قصده انما كان قبل لقا جبريل في اليقظة وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره له اصطفاه له اختياره اياه بالرسالة بالكرامات السرية ومثله اي مثل حديث ابن اسحق في ان ما قاله لخديجة من خشيته على نفسه انما كان قبل لقا جبريل حديث عمرو بن شرحبيل فيما رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت سمعت ندا اوقع الفعل هنا على المسموع وحذف المنادي لعدم رؤيته اياه وقد خشيت ان يكون هذا اي ما سمعه من ندا الملك لامر لو احاط به خبرا يرهقني من امري عسرا بل بشره باكرام تترا وانعام وفرا ومن رواية حماد بن سلمة فيما رواه الطبراني وابن منيع في مسند موصولا عن حماد عن عمار بن ابي عمار عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوا ولم ارانس من جانب لتامل ما استبان به الامر معينا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا اي على قوله لاسمع صوتا الحديث يتاول لو صح قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون مقول قوله الذي تنازعه الفعلان قبله واعمل الاول اي يتاول قوله ذلك لخديجة ان صح بحمله على انه كان قبل لقا الملك واعلام الله له انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن معناه على الشك وعبر بالابعد تحاشيا من ان يقال له شاعر او مجنون وان في هذه الاحاديث الفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه من الضو وسمعه من الصوت انه اي في قوله ذلك كان كله في ابتدا امره وقبل لقا الملك له واعلام الله له انه رسول الله مما ينفي عنه الشك فيما اتاه الله واختصه من المنح الالهية مما لم يؤته سواه فكيف لا يكون ذلك في ابتدا امره وبعض هذه الالفاظ التي نسب صدورها عنه صلى الله عليه وسلم لا تصح طرقها من حيث ان فيها متهما او مجهولا او من لم يسم واما بعد اعلام الله له انه رسوله وبعد لقا الملك فلا يصح ان يصدر منه صلى الله عليه وسلم منه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه من المعارف الالهية والاحكام الشرعية والمواهب الربانية مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وروى ابن اسحق عن شيوخه انه صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة اي تعوذ بالمعوذ الذي يرقى لها من المت بي حمى او غيرها من الملمات وكان يرقى من العين مما لم يلم به من العوارض قبل ان ينزل عليه حذف المفعول ليعم القران وغيره ومنه وان يكاد الذين كفروا

ليزلقونك

ليزلقونك بابصارهم اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة زوجته ام المؤمنين اوجه استفهام حذفت همزته اي ارسل اليك من يرقيك قال اما الان اي بعد نزول القران فلا حاجة لي به اكتفاء بربه وكتابه اذ هو هدى وشفا هذا وقد وردت احاديث كثيرة بجواز الرقى والنهي عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربي مما يعرف معناه كاسماء الله وصفاته وكلامه وما ورد في السنة هذا وقد جاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك وان المنهي عنه منها ما لم يكن بشي مما ذكر وان يعتقد انها نافعة بنفسها لا محالة فيتكل واياها اراد صلى الله عليه وسلم بقوله ما توكل من استرقى ومن ثم قال في حديث جابر اعرضوا على رقاكم فعرضناها عليه فقال لا باس بها انما هي مواثيق وكانه خشي ان يكون فيها شي مما كان يقال ويعتقد من الشرك في زمن الجاهلية وقد ارشد صلى الله عليه وسلم الى ان تركها مع التوكل افضل بقوله في حديث من يدخل الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وتلك صفة الاوليا المعرضين عن الدنيا لا يلتفتون الى شي منها فيا لها منقبة لا يبلغها غيرهم ممن رخص لهم فيها وفي العلاج والادوية شاهده ما ورد عن الصديق لما تصدق بجميع ماله لم ينكر عليه علما منه بقوة يقينه وصبره وانكر على من جا بمثل بيضة من ذهب وقال لا املك غيرها ورده بها وحديث خديجة الذي رواه ابن اسحق والبيهقي عن فاطمة بنت الحسين وابو نعيم في الدلايل موصولا من طريق ام سلمة عن خديجة واختبارها من تخبر الامر واستخبره اذا ساله عنه ليعرفه اي اختبار خديجة امر جبريل بكشف راسها انما ذلك في حقها لتحقق نبوته صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه بما اوحاه اليه ربه ملك ويزول الشك عنها الحاصل لها مما قاله لها مثل لقد خشيت على نفسي واخشى ان يكون لي جنون وكم خشيت والله ان يكون هذا الامر لا انها فعلته له ليختبر هو به حاله فيكون على بصيرة من امره بل استقلال افاد ان ما فعلته خديجة من الاختبار ناشي عن ابن عمها ورقة اذ قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن اخي جده هشام عن ابيه عروة بن الزبير عن خالته عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان ورقة بن نوفل بن اسد امر خديجة بنت خويلد بن اسد ان تختبر الامر بذلك الذي فعلته من كشف راسها وفي حديث ابن اسحق عن اسمعيل بن حكيم انها اي خديجة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم لاجتماعهما في قصي نسبا اذ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم اي اخبرك به اذا جاءني فلما جاءه جبريل اخبرها بمجيئه اليه فقالت اجلس الى شقي تريد احد جنبيها فجلس اليه وكشفت راسها فلم ير جبريل فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك فاثبت اي له واستمع لما يوحى اليك من ربك من الخير وابشر وقر عينا فوالله انك لحقيق بانواع كرايم المبرات وامنت به اي بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي اول من امن به من النسا فهذا الذي قالته ثم امنت به يدل على انها مستثبتة وواثقة بما فعلته من الاختبار لنفسها ومستظهرة به لايمانها له صلى الله عليه وسلم عدي باللام لتضمنه معنى الانقياد والاذعان وقول معمر بن راشد فيما رواه احمد بن والبيهقي في حديث فترة الوحي اي انقطاعه عنه سنتين ونصف فحزن صلى الله عليه وسلم اي صار ذا حزن بسبب تاخر الوحي عنه وانقطاعه فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا

كي يتردى من شواهق الجبال اي اعاليها لا يقدح اي قول معمر في هذا الاصل الذي ذكرناه من ان
ما قاله لخديجة من الخشية على نفسه لم يكن على الشك فيما منحه الله به وما فعلته خديجة
اختبارا واستثباتا واستظهارا فانما كان لنفسها لا له صلى الله عليه وسلم لقول معمر فيما بلغنا
فانه مؤذن بعدم قدح قوله لحزن الى اخره فيما اوجبنا به من حيث لم يذكر من بلغه عنه ولم
يسنده ولم يذكر رواته ولا من حدث به عنه صلى الله عليه وسلم او عن غيره وفي سيرة ابن سيد
الناس من طريق الدولابي ثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا ابن وهب انبا يونس بن يزيد عن الزهري عن
عروة عن عائشة فذكر نحو حديث معمر وفي اخره ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى
حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا مرارا كي يتردى من شواهق الجبال فليس
لمعمر في هذا ذكر فما عزاه المصنف له هنا من قوله لحزن الى فيما بلغنا الظاهر انه من قول شيخه
الزهري ولا ذكر معمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا اي ما ذكر من انه
حزن حزنا كاد يلقي نفسه من شواهق الجبال الا من جهته صلى الله عليه وسلم ولعله صلى
الله عليه وسلم حدث عائشة خبر فترة الوحي وقال فيه فحزنت الى اخره بلفظ التكلم فروته
عائشة بلفظ الغيبة فحزن الى اخره فبلغ من لم يسمعه منها فقال لحزن الى اخره فلا يقدح فيما
ذكرناه مع انه اي مبلغهم من انه حزن قد يحمل على انه كان اول الامر اي قبل ان يلقاه جبريل كما
ذكرناه فيما مر وهذا الحمل يرده ما اذن به سوق الكلام من ان ما بلغهم من حزنه انما كان زمن
فترة الوحي ولا ريب في انه كان بعد لقائه جبريل او انه فعل ذلك اي الحزن وارادة التردي
لما اخرجه اي من اجل ما ضيق عليه واوقعه في الحرج اي الضيق من تكذيب من بلغه ما ارسل
به اليهم كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك من بخع الذبيحة اي بالغ في ذبحها وبلغ به النخاع
عرق باطن الفقار ولعل هنا للاشفاق واشفق على نفسك ان تقتلها على اثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا بترك انقيادهم اليك واذعانهم لما جئت به اليهم من القران الحديث الانزال
وغيره من الدين شبهه لما عراه من الوجد وادهقه من الم بتوليهم عن الايمان بما جاءهم به
بمن فارق اعزته فهو يتلهف عليهم حسرات ويتلهب بفراقهم جمرات اسفا عليهم اي من اجل
الاسف ومتاسفا والاسف فرط الحزن ويصح معنى هذا التاويل اي حمل حزنه وارادة ترديه
على انه انما كان لما اخرجه من تكذيب من بلغه ممن ارسل اليهم حديث عند البزار رواه شريك
عن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس ان المشركين لما
اجتمعوا بدار الندوه من ندوت القوم اندوهم اذا جمعتهم في النادي اي بمكان اجتماعهم
يتشاورون فيه في مهماتهم للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على
ان يقولوا كما مر عن ابي جهل وعمه الوليد بن المغيرة انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل
في ثيابه اي تلفف فيها وتدثر فيها اي تغطى بها فوق الشعار اعني ما يلي جسده من الثياب ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعاري والعرب دثاري فاتاه جبريل فقال مناديا له يا ايها
المزمل يا ايها المدثر بادغام التا فيهما في الزاي والدال اذ اصلهما المتزمل والمتدثر ناداه بهما
تعريضا له على رفض ما كان عليه من التزمل والتدثر والالتذاذ بالنوم مما يفعله من لا يهتم بامر ولا
يكلف بشان او على رفض من غشيه من جاث ودهش ترعد منه بوادره ويرجف فواده لينهض

بما بعث به من مهام الامور وكلفه من عظائم اعباء الرسالة وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كنت على حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار
شيئا فنظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عائشة فاذا به على كرسي بين السما والارض فرعبت
منه ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فقال يا ايها المدثر او انه فعل ذلك من اجل انه خاف ان
الفترة للوحي انما كانت لامر او سبب منه فخشي ان تكون فترته اي انقطاعه عنه سنتين ونصفا
عقوبة المت به من ربه ففعل ذلك بنفسه وحاشاه صلى الله عليه وسلم من العقوبة لرفعة محله وكرم
مآبه ولم يرد بعد اي بعد صدور ذلك منه نهي له صلى الله عليه وسلم عنه فيعترض به على ما ذكرناه
من التاويلات هذا والخطب هين لا يفتقر الى هذه الدندنة ونحو هذا اي ما ورد عنه انه حزن
واراد التردي مرارا من شواهق الجبال فرار يونس صلى الله عليه وسلم مستترا من قومه لكثرة تذكيره
اياهم فلم ينجع فيهم ولم يذكروا بل استمروا وتمادوا في كفرهم فذهب مغاضبا لهم تخويفا لهم ان
يحل عليهم العذاب ظنا منه ان فراره بغير اذن ربه سائغ اذ لم يفعله الا غضبا لربه وانفة لدينه
خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب فلما فقدوه خافوا نزوله عليهم فاستغاثوا
بربهم وقالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا
ما نحن اهله فكشف عنهم العذاب وقول الله تعالى فظن اي يونس ان لن نقدر من القدر وبسكون
الدال بمعنى التضييق اذ معناه ان لن نضيق عليه لا من القدرة وان صح على قراة التخفيف ان يفسر
بها على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا او على انه تمثيل اي فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه
بمغاضبته قومه دون انتظار امرنا هذا وقد دخل ابن عباس على معاوية فقال يا ابن عباس لقد
ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فلا اجد لنفسي خلاصا الا بك ثم قرا الاية قال او يظن
نبي الله صلى الله عليه وسلم ان لا يقدر عليه فقال هذا من القدر لا من القدرة قال مكي طمع في
رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه بغير اذنه مغاضبا قومه كي يتنبهوا فيؤمنوا
وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة لانه تعالى عند ظن عبده به فليظن به ما شاء
كما ورد عمن لا ينطق عن الهوى وقيل نقدر بضم اوله وسكون ثانيه فكسر ثالثه مخفف قدر
عليه ما اصابه من الابتلا ببطن الحوت وقري نقدر بالتشديد مبنيا للفاعل وللمفعول مخففا
ومثقلا وقيل فظن ان لن نواخذه بغضبه وذهابه مفارقا لقومه اذ كان عليه ان يصابرهم منتظرا
الاذن لنا وقال ابن زيد معناه افظن عطف على مقدر اي اذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه على
الاستفهام فحذفت همزته تخفيفا هذا ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه فظن
انه تعالى لا يقدر عليه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح انه كما مر ذهب مغاضبا لقومه
مفارقا لهم لكفرهم لا مغاضبا لربه اذ مغاضبته تعالى معاداة له ومعاداته كفر لا يليق
بالمومنين اي لا يناسبهم ولا ينبغي ان يوصفوا به فكيف يليق بالانبيا الاكرم ذوات الاشرف
مقاما وقيل ذهب مغاضبا اي مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب اي كراهة ان يصفوه
به اذ قيل انه قال لهم اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا فلما راوها امنوا
فكشف عنهم العذاب ومتعهم الى حين لنص ذلك الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين او ذهب مغاضبا لهم كراهة ان يقتلوه كما ورد في الخبر ولم اقف عليه

وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله اي امر الملك به على لسان نبي
آخر غير يونس صلى الله عليه وسلم كان في زمنه فقال له يونس غيري اقوى عليه مني اعتذارا
منه او رده المحجة السهلة حذرا من المشقة عليه فعزم عليه اي حمله على الجد والصبر على مقاساة
شدايده فخرج لذلك اي من اجل عزمه عليه وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس صلى الله
عليه وسلم بنينوى من الموصل انما كان بعد نبذه الحوت فاعل المصدر قبله المضاف الى مفعوله اي
قذفه من بطنه واستدل لما روي عنه بقوله تعالى فنبذناه بالعراء اي قذفناه بمكان عار عن
البناء والشجر وغيرهما وهو سقيم من حرارة بطن الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين يفعيل من
قطن بالمكان اذا اقام به اي مما ينسرح على وجه الارض ولا ساق له فجعلها فوقه مظلة له كالبيت
وقيل هي الدبا لان الذباب لا يقع عليه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون اي في راي العين اذا راهم
الرائي قال هم مائة الف او اكثر والمراد وصفهم بالكثرة وقرئ ويزيدون بالواو وقد يجاب عما
استدل به ابن عباس بان المراد بارسلناه ارساله اليهم بشهادة قوله فيما ياتي رد الله اليه الوحي
وشفعه في نفسه وقومه او هو ارسال ثان بعد ذلك اليهم او الى غيرهم وقيل لما امنوا سالوه ان
يرجع اليهم فابى تحاميا من رجوعه للاقامة فيهم بعد هجرته عنهم وقال لست ان الله باعث اليكم نبيا
ويستدل له ايضا لما روي عن ابن عباس من ان ارساله اليهم انما كان بعد نبذ الحوت له بقوله
خطابا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكن اذ ضجرت وتبرمت من ثقيف فاردت ان تدعو
عليهم او مما حل بك باحد من انهزام بعض اصحابك فاردت ان تدعو عليهم كصاحب الحوت يونس
صلى الله عليه وسلم اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم اي مملو غيظا من كظم السقاء اذا ملاه اي
لا يوجد منك ما يوجد منه من التبرم والمغاضبة فتبتلى لولا ان تداركه حسن تذكيره فصل ضمير
وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته نعمة من ربه حتى رحمه وتاب عليه وقرا الحسن تداركه بتشديد
الدال وحذف احدى تائيه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال في شانه تتداركه
لنبذ بالعراء اي بالفضاء الخالي كما مر وهو مذموم حال اعتمد عليها جواب لولا اي ان حاله حين
نبذه كانت على خلاف الذم ولولا تداركه لكانت على الذم فاجتباه ربه اي اصطفاه وقربه وارسله
الى قومه ان صح انه لم يرسله اليهم قبل ابتلاع الحوت له فتكون هذه القصة اذن قبل نبوته وارساله
اليهم فجعله من الصالحين الكاملين في الصلاح بعصمته من فعل جايز تركه اولى او يرد الله كما
قال ابن عباس الوحي اليه اعلاما له بعد ذلك بانه على ارساله اولا او بارساله اليهم ثانيا او الى
غيرهم حذرا من رجوعه اليهم بعد هجرته عنهم فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
مسلم عن الاغر المزني انه ليغان على قلبي من تغينت السماء غينا اذا اطبق غيمها واسم ان ضمير
الشان يفسره خبرها فكانه قيل ان الشان ما كنت به من الغين عما يعرض لي مما يصرفني عن
دوام اشتغالي بربي من امور امتي ومصالحها وبيان حكم وارشاد وغير ذلك مما يصلحهم فاستغفر
الله كل يوم مائة مرة وفي طريق للبخاري عن ابي هريرة فاستغفر الله في اليوم اكثر من سبعين مرة
لعده مما يشغله عن ربه ويقطع دوامه ذنبا وتقصيرا فيفزع الى الاستغفار فاحذر ان يقع
ببالك ان يكون هذا الغين المفاد بقوله انه ليغان على قلبي وسوسة او رينا هو بمعنى
العين قال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي طبع على قلوبهم بغلبة المعاصي وقع

في قلبه لنزاهته عن قبول الوسوسة بشهادة حديث البخاري بان جبريل شق على صدره صلى الله عليه
وسلم واستخرج من قلبه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان بل اصل الغين المكنى به في هذا
الحديث عما يعرض له هو ما يغشى القلب ويركبه كما يركب الصدا الشي الصافي ويغطيه قاله ابو
عبيد معمر بن المثنى واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره اي غير ابي عبيد
الغين شي يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالشغاف الذي ينم على ما وراه لعدم منعه
رؤيته وكالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى فلا يمنع ضوء الشمس فكانه لعدم ستره الذي ينم عليه
من نم الحديث ينمه اذا اظهره وكذلك اي ومثل ما حذرناك منه من وقوع كون الغين وسوسة
لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه في اليوم مائة مرة او اكثر من سبعين اذ ليس يقتضيه لفظه
اي لانه ليس لفظ الحديث انه ليغان على قلبي الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات يقتضي ان العدد فيه
الغين فلا يفهم انه كان يغان على قلبه كل يوم ذلك العدد وانما هو عدد للاستغفار فكان اذا عرض
له ما يشغله عن ربه استغفر قدر ذلك العدد لا للغين بشهادة الفا في الحديث فانها موذنة بان
ما قبلها فيه سبب لما بعدها فيكون المراد كما مر بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه
بما كان يشغله من معاناة التبليغ مما كان يود بها مقابل العبادة والمجاهدة في الطاعة وسهوها
عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق من حق الشي اذا ثبت اي الثابت وجوده حقيقة بما اي كانت
الغفلات والفترات تعرض له بسبب ما دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة من
تولي امورهم بقيامه عليهم بما يصلحهم ومعاناة الاهل بما ينتظم حالهم ويتم شانهم ومقاومة الولي
مفاعلة من القيام اي مصابرة الموالي له بالقيام في جميع اموره ومقاومة العدو مصابرته بالقيام
لدفع شره ومصلحة النفس مما لا بد لها منه معاشا ومعادا او كانت تعرض له بسبب ما كلفه
من اعباء جمع عبء بكسر اوله اي ثقل اداء الرسالة الى من ارسل اليهم وما كلفه من حمل الامانة
اي الطاعة فوفى بها وراعى حقها سميت امانة من حيث انها واجبة الاداء قال الله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
اي هي لعظم شانها وتفخيم امرها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكان لها ادراك لابين
حملها واشفقن منها حذرا من عدم القيام بها وحملها الانسان مع ضعفه ورخاوته وهو صلى
الله عليه وسلم في كل هذا اي ما ذكر مما دفع اليه وكلفه في طاعة ربه وعبادة خالقه لم يشغله
عنهما شي لكن لما كان صلى الله عليه وسلم استدراك به على انه صلى الله عليه وسلم كان يعد ما يشغله عن عبادة
ربه مما دفع اليه من سياسة امته وكلفه من اعباء اداء الرسالة ذنبا اذ كان ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة ليس اليهما سا او المستبق ولا مرقا المنسبة ومكانة ودرجة تمييزان لنسبه ارفع واعلا
حولا عن كونهما اسمي كان تعظيما لقدره وتفخيما لامره اي مكانته ارفع مكانات الخلق ودرجته اعلا درجاتهم
واتمهم به اي بربه معرفة تمييز لنسبة اتم كذلك اذ باب التمييز محول عن اصله لمصادفته التفصيل بعد
الاجمال مزيد حسن ولطف موقع في مكانته ارفع ودرجته اعلا لعدم تشوف النفس فيه الى مبين بعد
ابهام لان الفوز بعد معاناة الطلب ومقاساة التعب الذ من الماء البارد على الظما وكانت حاله صلى الله
عليه وسلم العجيبة البالغة ذروة سنام الكمال عند خلوص قلبه عن الالتفات الى غير ربه وخلو همته
عما يشغله من الخير عن ذكر ربه وتفرده في جميع احواله بربه لا يشغله عنه شي واقباله بكليته قلبا وقالبا

عليه وكان مقاومه هنالك اي في زمن خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه
بمكانات علية ودرجات رفيعة ارفع حاليه اي لما كان حال مقامه هنالك ارفع من حال سياسته
امته راى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنه اي عن ارفع حاليه وشغله بسواها غضا مفعول راى من غض
طرفه اي ادنى جفنه وخفضه مطرقا ومنه حديث ام سلمة حماديات النسا غض الاطراف وحديث اذا عطس
غض طرفه اي خفضه ولم يرفعه بصيحة ومنه استحب خفض الصوت حال العطاس اي عد فترته خفضا من علي
حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر من ذلك الذي راه غضا من مقامه العلي وحاله السري هذا
اي ما تلي عليك من تاويل حديث انه ليغان على قلبي اولى وجوه الحديث التي ذكرت اجوبة عنه واشهدها
بالحق على نزاهته من ان يغشي قلبه غين وذين وفي نسخة واشهرها والى ما اشرنا به من وجوه
تاويل الحديث مال كثير من الناس وحام حوله من حام الطير على الما اذا دار مجازا عن الاخذ في
تحصيل ما يودي معناه فكانه داير وطايف حوله فقاربه ولم يرد عباب مشارعة فشبه على طريقة
الاستعارة المكنية ما اشار اليه تاويلا بمشرعة ما ثم اثبت له الورود تخييلا وفي حديث الاستسقا
اللهم ارحم بها الحايمة اي التي تحوم على الما اي تطوف فلا تجد ما ترده وقد قربنا غامض معناه من غمض
الشي اذا دق وخفي فلا دق الا بتدبر وامعان نظر اي ازلفناه الى الفهم فوعاه باذن واعية وكشفنا
للمستفيد وجه محياه بضم الميم وتشديد اليا اي ازلنا بما اشرنا به ما يشكك طريق الفهم الى ما
اشكل من الحديث فلتشبيه محياه بمحتجب تحت ستر استعارة مكنية واثبات الوجه له استعارة
تخييلية وذكر الكشف ترشيح وفي نسخة محنا بمعجمة فموحدة تحت وهو اي ما اشار به من التاويل
مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو عليه وعلى الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
في غير طريق البلاغ الى من ارسل اليهم لعدم فوات ما امر بابلاغه مع امتناع غفلته فيه عليه تعالى
على ما سياتي ان شا الله تعالى وذهبت طائفة ممن نزهه عن ان يجوز عليه في حال من الاحوال
سهو اي ذهول عن معلوم ثم يتنبه له سريعا وقيل هو في الشي تركه عن غير علم وعن الشي تركه مع
علم ومنه الذين هم عن صلاتهم ساهون او يجوز عليه فترة اي سكون وتقليل من عبادته ومجاهدته
في طاعة ربه الى ان معنى الحديث انه ليغان على قلبي ما يهم خاطره من اهمه الامر اذا ازعجه واقلقه
ويغم فكره اي يشغله من امر امته لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم اي يدعو
لهم بالمغفرة ان يلبسهم حلل عفو ويذيقهم برد العيش في دار كرامته وكان صلى الله عليه وسلم اذا
خرج من الخلا قال غفرانك مصدر غفر نصب باضمار اطلب او نحوه كانه راى بركة ذكر ربه مدة
لبثه في الخلا لقضا الحاجة تقصيرا تداركه بالاستغفار قالوا اي من ذهب الى تنزيهه عن السهو
والفترة وقد يكون الغين هنا اي في حديثه هو السكينة اي السكون والوقار والتاني في الامور
والطمانينة التي تغشاه مما يخشع له القلب ويسكن لقوله تعالى فانزل الله سكينته اي طمانينته
وحلمه ووقاره عليه صلى الله عليه وسلم ويكون استغفاره عندها اي حال غشيانها قلبه
اظهارا للعبودية والافتقار الى ربه تعالى وقال ابن عطا استغفاره هذا تعريف للامة
وتعليم لهم كيف يستغفرون ربهم يحملهم على الاستغفار اي طلب المغفرة من ربهم قال غيره اي غير
ابن عطا وليستشعرون بيد دكون من تعريفه لهم الاستغفار الحصر اي الحبس لانفسهم على طاعة
ربهم والمنع عن اجتراح السيآت فتفاديا من الخوض فيه وفي نسخة الحذر اي من الوقوع فيها ولا

يركنون

يركنون الى الامن اي لا يسكنون ولا يميلون اليه هربا من اقترافها وهم لا يشعرون اذ من حام حول الحمى
اوشك ان يرتع فيه ويحتمل ان تكون هذه الاغانة المفادة على قلبي انه ليغان على قلبي حالة خشية
واعظام يغشي قلبه اي يفيض عليه فيطمئن لها فيستغفر حينئذ اي حين غشيانها قلبه شكرا لله
على نوامي كرايم منته عليه وزواكي مكارم منحه لديه ثناء بلسانه على ربه وادابا بجوارحه في طاعته
واعتقادا انه تعالى موليها وفي الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس اي لا يقبل الله شكر عبد على
احسانه له ما لم يشكر احسان الناس جاحدا وقيل من كان ديدنه ودابه كفران نعمة الناس
وترك الشكر لهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له وقيل من لا يشكرهم فهو كمن لا
يشكر الله وان شكره وهذه الاقوال مبنية على رفع الله ونصبه وملازمة لعبوديته اي
مداومته صلى الله عليه وسلم عليها كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث قيامه حتى ورمت
قدماه افلا اكون عبدا شكورا اي على ما اكرم به مما قربه عينا وعلى هذه الوجوه الاخيرة اي
قوله قالوا وقد يكون الغين على اخره يحمل على ما روي في بعض هذا الحديث من رواية البخاري عن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مما يغشاه من سكينة وخشية واكرام
وغير ذلك في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله اظهارا لعبوديته ربه وافتقارا اليه
وملازمة لذكره وتشريعا لامته ارشادا لما يكون سببا لغفران ذنوبهم فان قلت ما معنى قوله
تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شا الله لجمعهم على الهدى بتوفيقهم للايمان حتى يومنوا لكن لم
تتعلق به مشيئته فلم يجمعهم عليه فرفع المقدم بنقيضه انتج رفع تاليه كذلك واوله المعتزلة بان
ياتيهم باية ملجية لجمعهم عليه لكنه لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين اي لا تتشبه بهم
بجزعك في مواطن الصبر وحرصك على ما لا يكون من جمعهم عليه وما معنى قوله لنوح اذ ناداه رب
ان ابني من اهلي وان وعدك الحق فقال انه ليس من اهلك الذين وعدتك نجاتهم اي بقوله احمل فيها
من كل زوجين اثنين واهلك فلا تسالني ما ليس لك به علم اهو من اهلك في الدين ام لا وسمي نداه
سوالا لتضمن ذكر الوعد بنجاتهم استنجازه لولده وسماه جهلا في ضمن اني اعظك ان تكون
من الجاهلين لتقديمه ما بنيه على انه ليس منهم من استثنا من سبق عليه القول منهم مما يصرفه
عن سواله النجاة له من الغرق لكن شغلته صلى الله عليه وسلم رغبته الى ربه ان يصدقه وينجيه من
الغرق فاخذه في سبب نجاته علما من ان ربه عند ظن عبده به اي اني اعظك وعظا يصرفك
عن ان تتشبه بمن جهل تعاميا عما يعلمه مؤذنا بانه ليس منهم فاعلم خطاب لكل من يمكن توجيهه
اليه سد مسد مفعوليه انه لا يلتفت في ذلك اي في خطابه تعالى لهما صرفا لهما عن ان يتشبها
بمن يحمله الانفة والكبر على ما ليس من خلقه جهلا يرديه الى قول من قال في اية نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لا خلف فيه لقوله
وان وعدك الحق اذ فيه اي فيما قاله مجترئا عليهما تفسيرا للايتين اثبات الجهل من صفات الله
وذلك اي اثبات الجهل بصفة من صفاته تعالى لا يجوز على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
والمقصود مما قاله تعالى وعظهم ارشادا لهم وتنبيها على ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين
تكبرا وفرط عتو عن الحق وكذلك يقال جوابا عمن فسر الايتين بما ذكر مع مساعدة ظاهرهما ان المقصود
وعظهما ان لا يتشبها في امورهما بسمات الجاهلين واما ما افهمه من اثبات الجهل بصفة من صفاته تعالى

فكثير ممن لم يستضي بنور هداية وتوفيق يجهل ذلك بل ومن ينكرها اجمع مما لا يجوز عليهم كما قال اني
اعظك ان تكون من الجاهلين تبعيدا له عن ان يتسم بما ليس من شانه وخلقه وليس في اية منهما
دليل على كونهم صلوات الله وسلامه عليهم على تلك الصفة اي صفة الجهل التي نهاهم عن الكون
عليها والاتصاف بها فكيف يكونون على صفة نهاهم عن الكون عليها واما نوح صلى الله عليه وسلم اي
اني اعظك ان تكون من الجاهلين مؤذنة بان كريم جنابه كغيره منهم يربون من الجهل لشهادة ما
قبلها فلا تسالني ما ليس لك به علم فنهيهم انما هو عن تشبههم بسمات الجاهلين لجعل ما بعدها
وهو اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم على ما قبلها وهو فلا تسالني ما ليس لك به علم اولى
لصراحتهما بعدم علمه صلى الله عليه وسلم بموجب ترك نجاة ابنه ولان مثل هذا
اي سواله ما ليس له به علم من نجاة ابنه قد يحتاج الى الاذن من ربه تبارك وتعالى يتقدم به عليه
وقد تجوز اباحة السوال فيه ابتداء رغبة منه الى ربه في هدايته ونجاته من الغرق فنهاه الله
ان يساله عما طوي عنه علمه واكنه من غيبه اي ستره وصانه عن ادراكه بالبصر او البصيرة
من السبب الموجب لهلاك ابنه ببيان لما طوي عنه واكنه وهو ان ابنه لم يكن على دينه مع ظنه صلى
الله عليه وسلم كما قال الماتريدي انه كان عليه اذ كان يظهر له ذلك ويبطن كفره نفاقا كراس
النفاق عبد الله بن ابي سلول واشياعه والا لما تاتى له ان يقول ان ابني من اهلي ولما سال ربه
نجاته فكان سواله اياها له على ظاهر ما عنده ثم اكمل نعمته عليه صلى الله عليه وسلم باعلامه
ذلك بقوله عز قائلا انه ليس من اهلك اي في الدين لقطع الولاية بينهما بكفره انه عمل غير صالح
تعليل لنفي كونه منهم وجعل نفسه غير صالح مؤكدا بان واسمية الجملة مبالغة في ذمه ونفي كونه منهم
اي هو ذو عمل فاسد ووصفه بغير صالح يؤذن بنفي الصلاح الموجب لنجاتهم عنه حكاه مكي وكذلك
اي ومثل وعظه تعالى عبده نوحا صلى الله عليه وسلم صرفا له عن ان يتشبه بمن يتعاطى الجهل ويعتقد
غارب التعامي امر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تلويحا في الاية بالتزام الصبر اي في اية ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي صبروا على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا التاسي
بهم في الصبر على اعراض قومه عنه وعن الايمان بما جاءهم به ولا يحرج اي ولا يضيق ذرعا عند ذلك
الاعراض منهم عنه فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر والتندم والتاسف على توليهم عنه غير
مذعنين ولا منقادين له حكاه القاضي الامام ابو بكر بن فورك جوز فيه الصرف وعدمه وقيل
الخطاب بقوله فلا تكونن من الجاهلين لامته صلى الله عليه وسلم على طريقة التعريض اي فلا تكونوا
من الجاهلين اي لا تتسموا بسماتهم حكاه مكي وقال مثله اي قال مكي مثل كون الخطاب له صلى الله
عليه وسلم والمراد به امته في القران كثير كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فبهذا الفصل
الذي اوردناه مما اذن بتنزيههم عما لا يليق بكريم جنابهم وجب القول بعصمتهم منه بعد
النبوة قطعا لشرف مقامهم فان قلت فاذا قررت عصمتهم اي عصمهم بان لا يخلق الله في احد منهم
ذنبا فلم يتسموا بشي من هذا وانه لا يجوز عليهم شي منه تكرما منهم عند ربهم ونزاهة جنابهم ان
يغشى سرادق عزهم ما لا يليق بهم فما معنى وعيد الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله
مع انه لا يفعله لعصمته وما معنى تحذيره منه اي تخويفه من قربانه كقوله تعالى ولقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك اي من الرسل بل من الانبيا لئن اشركت ليحبطن عملك من حبطت الدابة حبطا

بالتحريك

بالتحريك اذا وجدت مرعى طيبا فافرطت في الاكل فانتفخت فماتت اي ليبطلن عملك وتوحيد الخطاب
اما باعتبار كل واحد منهم او كما في فاني وقيارٌ بها لغريب اي اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك
والى الذين من قبلك كذلك واللام موطية لقسم محذوف والثانية جوابه والثالثة جواب الشرط
واطلاق الاحباط اما ان يحمل على انه خاص بهم او على تقييده بالموت المفاد بقوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم ولتكونن من الخاسرين من عطف المسبب
على سببه وما معنى قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان عبدته
او خذلته فان فعلت اي عبدته من دون الله فكني بالفعل عنه ايجازا فانك اذا من الظالمين جزاء الشرط
وجواب لسوال مقدر عن تبعة عبادته من دون الله وجعل من الظالمين بانه لا ظلم اعظم من الشرك
وما معنى قوله كنبيه صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اي لقاربت ان
تميل الى مرادهم اذ كنت بصدد الركون لشدة احتيالهم وقوة خدعهم فادركك تثبيتنا وعصمتنا فلم
تقرب من الركون اليهم فضلا من ان تقرب اليهم فهذا صريح بانه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة
الداعي اليها ومؤذن بان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذن لقاربت الركون اليهم لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة مضاعفين والاصل عذابا ضعفا في الحياة
وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف واقيمت صفته مقامه ثم اضيفت وما
معنى قوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي لو افترى علينا تكلفا
ما لم نقل لاخذنا منه باليمين جواب لو ثم لقطعنا منه الوتين تصوير لقتله صبرا باقطع ما
يفعله الملوك معالجة بمن يكذب عليهم فيوخذ بيمينه فتضرب عنقه فينقطع وتينه وهو حبل
الوريد فانه اذا انقطع مات صاحبه لانه نياط القلب وما معنى قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله اي عن طريقه المودي اليه اذ الضال لا يامر في الغالب الا
بما فيه ضلال وما معنى قوله له صلى الله عليه وسلم ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة
وهمزتها للتوبيخ اي ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافترا على الله الذي هو اعظم الفرية والخبط
فان يشا الله يختم على قلبك اعاذه الله من ذلك اي ان يشا يجعلك ممن ختم على قلبه حتى يفتري عليه
الكذب اذ لا يجتري عليه الا من هو مثلهم وهذا اسلوب مواده استبعاد الافترا من مثله تلويحا بانه
لا يجتري عليه الا من ختم على قلبه جاهلا بربه او يختم عليه بمعنى يمسك القران والوحي مصدر بمعنى
المفعول اي الموحى اليك من النسمة او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم وهذا اللائق بشانه
صلى الله عليه وسلم وما معنى قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل ما امرت
به من تبليغ ما انزل اليك فكني بالفعل عنه فما بلغت بما امرت به رسالته كلا او بعضا اذ ترك
البعض كترك الكل او فكانك ما بلغت منها شيا من حيث ان ترك البعض والكل سوا في الفظا عة
والشناعة وما معنى قوله يا ايها النبي اتق الله تفخيما لشانه وتكريما لرفعة محله وتنويها بفضله
وتعظيما للتقوى من حيث امره بالثبات عليها ليكف عما نهاه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فيما يودي الى وهن في الدين فاعلم ايها المخاطب وفقنا الله واياك لما يحب ويرضى بخلق قد دريته طالعته
فينا انه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي له ولا يجوز عليه ان يترك ما امر بتبليغه ولا ان يبلغ ولا يصح له
ولا يجوز عليه ان يخالف امر ربه لنزاهته منصب النبوة عنه ولا ان يشرك بربه احدا لعصمته منه

ولا ان يتقول على الله افترا عليه تعالى ما لا يجب ان يقال ولم يؤذن فيه او يفتري عليه ما لا يليق
بجناب سرادق عزه او يضل ان اطاع اكثر من في الارض بهم او يختم على قلبه بالضم مبنيا للمفعول لنزاهته
عن ذلك او يطيع الكافرين والمنافقين لان طاعتهم مما يؤدي الى مدح الهتهم المؤدي الى وهن دينه
وقد ارسل ليظهره على الدين كله لكن بشره الله تعالى له صلى الله عليه وسلم امره اي شانه وحاله
وعرفه سلوك منهج اظهار دينه بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين ممن امر بابلاغه مما ارسل
به اليهم وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس بحفظه وكلامه لك ممن يتعرض
لك منهم بقتل فلا عذر لك في ترك التبليغ ولقد صبر على ما كذب واوذي حتى اتاه نصر ربه فما اشد
تكليف الانبيا صلى الله وسلم عليهم كما اي طيبت نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس
مثل ما قال لموسى وهرون لا تخافا انني معكما حافظ وناصر لكما على فرعون مع فرط عتوه وشدة
شكيمته لتشتد بصايرهم صلوات الله وسلامه عليهم فيكونوا مستبصرين على يقين من امورهم
في الابلاغ الى من ارسلوا اليهم بما ارسلوا به واظهار دين الله الحق على كل دين باطل ويذهب عنهم خوف
العدو والضعف يجوز تخفيف عينه وتشديدها للنفس الموهن قواها واما قوله ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الاية منصوبة بنحو اعني اي كلها وتمامها لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
وقوله اذن لاذقناك ضعف الحياة اي وضعف الممات فاكتفى عنه بمقابله فمعناه ان هذا اي الاخذ
باليمين وقطع الوتين واذاقة ضعفي عذابهما جزا من فعل هذا التقول والركون الى مراد الكفرة الفجرة
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله اي التقول والركون
فكنى عنهما بالفعل ووحد ضميره باعتبار المتروك وكذلك اي مثل لو تقول ولاذقناك وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك فالخطاب له والمراد غيره ايقاظا وتحريكا لهم لينظروا فيما اخذهم الى ان
يتيقنوا انهم المقصود به اولا وبالذات وانه صلى الله عليه وسلم انما خوطب به من رفيع قدره وعلو
محله كقرع العصا لذي الحلم تلويحا بانهم هم الاحرى بالكلام والبصرا بمواقع البيان فهو خطاب لغيره كناية
كما قال تعالى مخاطبا لهم مصرحا بالخطاب الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين نزلت اذ قال المنافقون للمومنين باحد عند انهزامهم اذا رجف بقتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذبا ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم ولو كان محمد نبيا لما قتل وكذلك
قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب به واريد به كما مر في امثاله غيره وكذلك قوله لئن اشركت
ليحبطن اي ليبطلن عملك وما اشبهه فانه خوطب به والمراد غيره تعريضا لتيقظ انه المقصود
وان هذا اي الحكم باحباط العمل حال من اشرك فاريد بما ذكر وان خوطب به قدوته وهو النبي صلى
الله عليه وسلم فانه لا يجوز عليه هذا وان خوطب به كناية وتعريضا لغيره ليكف واما قوله ولا تطع
الكافرين والمنافقين اي في قبول راي منهم ولا مشورة وجانبهم فانهم لا يريدون بذلك الا المضادة
والمضارة فليس فيه انه اطاعهم وانما كان بايعه بعض بني قريظة وقينقاع على نفاق منهم فكان يخفض
لهم جناحه ويكرمهم صغيرا وكبيرا ومن انس منهم قبيحا تجاوز عنه فنزلت والله تعالى ينهاه عما يشا
ويامره بما يشا مما ليس لغيره ان يامره وينهاه عنه كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
اي يعبدونه بعد ان امره بارتداد من يخاف ان يحشروا الى ربهم لكي يتقي ربه بالغداة والعشي مداومين
عبادته مذعنين يريدون وجهه اي ذاته مخلصين له في عبادته فنفى نهيه له عن طردهم تلويحا بانهم

الاحقا بتقربهم منه واكرامهم ولا تطع فيهم من يبغي بهم خلافهما ترضية له اذ قد روي ان ناسا من روس
الكفر قالوا له صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المؤمنين كصهيب وعمار وسلمان
جلسنا اليك وحدثناك فقال ما انا بطاردهم فقالوا فاقمهم عنا اذا جيناك قال نعم ترجيا لاسلامهم
فقالوا اكتب به كتابا فدعا عليا ليكتب فنزلت وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم بشهادة قولهم فاقمهم
اذا جيناك لايمانه بتعليق قيامهم بمجيهم فلم يقع ولا كان صلى الله عليه وسلم من الظالمين بقوله لهم نعم
كناية عن قوله لهم اقيمهم عنكم اذا جيتم طمعا في ايمانهم اذ كان غاية هواه وفوز متمناه ان يؤمنوا عن
اخرهم ومن ثم عتبه ربه بقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين فصل واما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة مما قرع سمعك وافدناك معناه فيما مر انفا فللناس فيه خلاف وشحنا به
كتبنا درر القلايد ومقاصد المقاصد وشرحيهما والصواب انهم معصومون قبل النبوة اي
محفوظون قبل اظهارها بالرسالة من الذنوب كباير وصغاير وبعدها مثل الجهل بالله وصفاته
ثبوتية وسلبية وفعلية واضافية والتشكيك في شي من ذلك لطبع فطرهم على التوحيد لله
والايمان به منيبين اليه غير نابين عنه ولا منكرين له وليس لاحد ان يقول قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان مؤذن بغير ذلك فاتسلق به الى القول بعدم درايتهم الايمان قبلها
لان المراد به الايمان بما لا يعرف الا بالوحي كالايمان بوجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج
وغير ذلك من فروع الشريعة وقد تعاضدت الاخبار والاثار الواردة عن الانبيا وغيرهم اي
يقوي بعضها ببعض بتنزيههم عن هذه النقيصة مما يرى بمقامهم عن الاتصاف بها منذ ولدوا
ونشاتهم اي ومنذ نشاوا اول مرتبة كاملوا وهم على التوحيد لله لا يشركون به احدا طرفة عين ويجوز
ان يكون نشاتهم مبتدا خبره الظرف بعده ويجوز ان تكون جملة حالية من ضمير ولدوا اي ناشئين
عنه والايمان بوجوب وجوده بل استقلاليته اي وعلى اشراق انوار المعارف في افنية ضمايرهم واودية
قلوبهم ونفحات الطاف السعادة بتوفيقهم لما بعثهم امور دينهم ورضاه حتى تكاملوا هذا والتمكنهم
من التوحيد والايمان ومخالطة بشاشته قلوبهم واضاة انوار معارفهم لها وشمول نفحات لطف
رحمة ربهم لهم شبهوا بمن اعتلا شيئا وركبه تمثيلا لرفع درجاتهم فيها ورسوخ اقدام بصايرهم عليها
فكانهم اعتلوها واقتعدوا غارب كنهها وفي الحديث ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها
وفيه تعرضوا لنفحات رحمة الله كما نبهنا عليه اي على تنزيههم عما ذكر في الباب الثاني من القسم الاول
مع بيان ما احتج اليه فراجعه ان شيت من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اعلام الايمة الاخبار ولا
غيرهم من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك من عطف الخاص على العام قبل
ذلك اي قبل اظهار نبوته واصطفائه ومستند هذا الباب اي باب انه لم ينبا ولم يصطف احد ممن
عرف بشي من ذلك النقل ولم ينقل شي من ذلك ويعضده العقل لقضائه بعصمتهم من ذلك قبل
وبعد بما يؤديه الى ركن شديد هو انهم خلقوا ونشاوا على التوحيد والايمان ممهدين وقد استدل
بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه اي الصفة بشي من الكفر والاشراك قبل ذلك سبيله
وانا اقول ان قريشا رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته اي كذبته عليه من قطايع
وشنايع كقولهم ساحر شاعر معلم مجنون انما يعلمه بشر مما حكاه الله عنهم وعير كفار الامم بمهملة
فمثناة تحتية مشددة اي عابوا انبياءهم بكل ما امكنهم واختلقوه من الخلق والاتباع فكان الكاذب

خلق اقواله مما نص الله عليه في كتبه السماوية من تكذيبهم لهم ورميهم بعظائم الامور او نقلته الينا
الرواة ولم نجد في شيء من ذلك اي الذي نص الله عليه ونقلته الرواة ان احدا منهم عرف بكفر
واشراك قبل ان نبي ويصطفي بشهادة انا لم نجد لاحد من اممهم تعييرا لواحد منهم صلوات الله
وسلامه عليهم برفضه الهته وتقريعه اي توبيخه بذمه بترك ما كان قد جامعهم وفاهم
عليه من اتخاذ الهة مثلهم قبل اصطفائه بالرسالة وقد اعاذهم الله من ذلك ولو كان قد
وجد من احد منهم هذا اي انه اتخذ الهة مثلهم قبل اصطفائه ثم تركها بعده لكانوا اي كفار
اممهم بذلك اي مما عرفوه منهم لو وجد قبل ذلك مبادرين الى تعييرهم وتقريعهم به ولكانوا
يبتلونه في معبوده بانتقاله عنه الى معبود اخر محتجين عليه بذلك ولكان توبيخهم
بنهيهم عن تركهم الهتهم وعن تركهم ما كان يعبد اباؤهم من قبل اي قبل ابائهم ففي
اطباقهم اي كفار اممهم واجماعهم اباء وابناء على الاعراض عنه اي عن توبيخ احد منهم بانه كان
له الهة قبل اصطفائه دليل على انه لم يكن له الهة قبله ولو كان لو نحوه وعيروه به
له بعد بشهادة انهم اي كفار اممهم لم يجدوا اليه سبيلا ينحونه ويتسلقون به الى
ترويج اباطيلهم الكاسدة واغراضهم الفاسدة اذ لو نقل الينا متواترا لا دواعي على
نقله اذ كان مناهم ان يرموه بلوابع الهوان وروابع البهتان وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عن تحويل القبلة اي صرف التوجه للصلاة عن بيت المقدس الى المسجد الحرام اذ القبلة في
الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال ثم استعيرت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلاة
وقالوا ما ولاهم اي ما صرفهم عن قبلتهم بيت المقدس التي كانوا عليها كما حكى الله عنهم
توبيخا لهم وتسفيها لاحلامهم بقوله سيقول السفهاء من الناس اي خفاف الاحلام الماهنون
انفسهم بترك النظر المؤدي الى الاذعان للحق يعني لكراهتهم التوجه الى الكعبة ولعدم
قولهم بالنسخ او المنافقين لفرط حرصهم على الطعن والاستهزاء والمشركين اذ قالوا رغبت
عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فكذبوا وحنثوا وقد استدل القاضي
لعله ابو نصر عبد الرحيم بن الاستاذ ابي القاسم القشيري على تنزيههم عن هذا اي عن
نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شيء منه وعن الكفر والاشراك قبل البعثة بقوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي عهدهم بتبليغ الرسالة والدعا الى دين الاسلام
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم من عطف بعض افراد العام عليه
اصطلاحا وخصهم بالذكر لشهرتهم وفضلهم وقدم نبينا تفخيما لشانه وتكريما واخذنا
منهم ميثاقا غليظا اي عظيما شانه كرره للبيان ووصفه بالغلظ مستعارا له وصف
الاجرام تفخيما له اي اخره ليسأل يوم القيمة الانبيا الصادقين عن صدقهم في عهدهم
ووفائهم به ممن اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى استدل ايضا على تنزيههم عما
ذكر بنحو واذ اخذ الله ميثاق النبيين اي عهد انفسهم او عهد اولادهم بني اسرائيل على
حذف المضاف وسماهم انبيا تهكما بهم وسخرية اذ قالوا نحن احق بالنبوة من محمد لانا اهل
كتاب والانبيا منا او عهدهم واممهم واكتفى بذكرهم كذا لما اتيتكم لامه موطئة
لورود ما بعدها جوابا للقسم اعني اخذ الله لانه بمعنى الاستحلاف فهي كالداخلة على

من

من في لمن تبعك منهم لاملان جهنم فما شرطيه منصوبة بالفعل بعدها وهو كاض بمعنى
الاستقبال لتقدمها عليه شرطية كهي في ما يفتح الله للناس من رحمة ومن في من كتاب وحكمة
كهي في ما ننسخ من اية ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم معطوف على فعل الشرط ويلزم فيه
ضمير يربطه بما عطف عليه اي جاءكم رسول به ويجوز ان تكون ما موصولة صلتها ما بعدها والعائد
محذوف اي اتيتكموه وثم جاءكم معطوف على الصلة والعائد عليه منها محذوف اي ثم جاءكم رسول به
لتؤمنن به ولتنصرنه جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالته عليه اي ثم جاءكم رسول به
قال اي القشيري فطهره الله في الميثاق بامالة ما لا يليق بكريم قدره وشريف محله وبعيد
ان ياخذ اي الله منه صلى الله عليه وسلم الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين مؤكدا
عليهم بايجاب الايمان به ونصره خذلان من ساماه وخزي من ناواه قبل مولده بدهور جمع دهر
وهو الزمان الطويل ان دهرهم سمي بحمل لزمان بهم بالاحسان ويجوز عليه الشرك او غيره من
الذنوب هذا هو المستبعد والواو للحال او بمعنى مع اي بعد بل ممتنع ان يمتحنه بذلك حال او مع تجويز
عليه شيئا من ذلك لبراءة شانه ونزاهة شاوه هذا اي تجويز الشرك او غيره من الذنوب عليه بعد
اصطفائه به من اخذ ميثاق الانبيا قبل وجوده لئن جاءهم ليؤمنن به ولينصرنه مالا يجوزه عليه
صلى الله عليه وسلم الا ملحد حاد عن منهج الحق عنادا مع علمه ونزاهته صلى الله عليه وسلم عن وصمة الشرك
وداعية الذنوب وكيف يكون ذلك استخبار اذن بتعجب وتعجب وانكار لتجويزه عليه بانكار
حاله التي يرد عليها لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون له حال يرد عليها
لزم منه انكار وجوده بطريق الكناية على وجه برهاني فهو ابلغ واقوى انكارا من ان يكون ذلك
واوفق لما بعده من الحال وما برى كريم جنابه عن لاغية التجويز اي على اي حال يجوز ذلك عليه
والحال انه صلى الله عليه وسلم قد اتاه جبريل كما رواه مسلم عن انس وشق قلبه صغيرا اي
حال صغره واستخرج منه علقة اي قطعة دم عبيط اي طري غليظ وقال هذا حظ الشيطان
منك اي نصيبه وبخته الذي يسر ويفرح به من غيرك بقبوله وسوسته له فما اخرجها لم
يكن له عليه بل ولا على غيره من الانبيا سبيل بشهادة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين وجعلها نفسها حظه لانها محل قبول وسوسته ممن له عليه سلطان بما يقذفه في قلبه
مما هو بعينه من الشر مما يورثه هلكة الدنيا والاخرة ثم غسله وملاه حكمة وايمانا تمثيل وتصوير
للزومهما قلبه وتمكنهما منه باستقرارهما فيه وكانهما افراد كثيرة ملاه بهما كما تظاهرت به
اي بشق قلبه صغيرا وملئه حكمة وايمانا اخبار المبدا اي مبدا امره صلى الله عليه وسلم
الى ان بعث كما رواها الثقات ولا يشبه عليك الامر في تصويبنا عصمتهم قبل النبوة فيما تلي
عليك بقول ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم لما جن عليه الليل في الكوكب اذ راه هذا ربي
فلما افل اي غرب لا احب الافلين وقوله في القمر اذ راه بازغا هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين وقوله في الشمس اذ راها بازغة هذا ربي هذا اكبر فلما افلت
قال يا قوم اني بريء مما تشركون فانه اي قوله ذلك فيها قد قيل كان في سن الطفولية وقيل
لزوم التكليف له زمن مراهقته تنبيها لابيه وقومه اذ كانوا يعبدون تماثيل الاصنام على خطابهم
في عبادتها وان شيئا منها لا يكون الها يعبد لقيام ما اذن بحدوثها من تغير وانتقال من حال الى

حال وان لها مجموعا احد لقاوه برطلوعها وافولها وسيرها واختلاف اوضاعها هذا وذهب
معظم الحذاق جمع حاذق بذال معجمة اي اكثر المهرة المتقنين ومنه قول زيد بن ثابت فما مر
بي نصف شهر حتى حذقته اي عرفته واتقنته من العلما بيان لمعظمهم والمفسرين من عطف
بعض افراد العام عليه تلويحا بانهم الاحقا بالذكر منفردين الى انه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم
انما قال ذلك اي هذا ربي لكل منهما تبكيتا حال من ضمير قال اي مقرعا ومعنفا وموبخا
لقومه ومقبحا عبادتهم لها ومستدلا عليهم بان الانتقال والاحتجاب بالافول والاستتار
موذن بالانكار والحدوث مناف للالوهية ارشادا الى ان سلوك منهج النظر الصحيح وزجرا
لهم عن قبيح عبادتها ونهيا لهم عن ومصة الشعب وادعى الى قبول الحق وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار المنسوج خبره على منوال النفي المؤذن بانه اذا انكر كون هذه الاجرام
المعبودة شركا لخالقها تولد منه انكار عبادتها على وجه برهاني اذ بانتفا الملزوم انتفا اللازمه
والمراد بقوله هذا ربي فهذا ربي توبيخا وتقريعا وانكارا لان يكون ربه فالهمزة فيه للانكار
التكذيبي في الماضي بمعنى لم يكن هذا ربي كما في اشرا منا واحدا نتبعه هذا تنبيه للفرق بين الانكار
للتكذيب بمعنى لم يكن او لا يكون كما في اصطفى البنات على البنين افاصفاكم ربكم بالبنين وبين
الانكار للتوبيخ بمعنى لم كان او لم يكون كما في افعصيت امري او تعصي امري وقال الزجاج هذا
ربي اي على قولكم وفي زعمكم انه رب يعبد توبيخا وتقريعا لهم كما قال اين شركاي اضافهم اليه مع
تنزهه لهم عنهم تهكما وسخرية بهم اي اين شركاي عندكم وفي زعمكم وبدل على انه اي ابراهيم لم يعبد
شيا من ذلك اي كوكبا وقمرا وشمسا ووثنا ولا اشرك قط بالله طرفة عين اي زمن رجع الطرف
من اعلا الحدقة الى اسفلها بل ولا قدرا يسيرا منه قول الله حكاية عنه اي عن ابراهيم صلى الله
عليه وسلم اذ اي حين قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي
ندوم واطالوا الجواب وكان يكفيهم ان يقولوا نعبد اصناما اظهار لما في ضمايرهم من الابتهاج
والسرور والافتخار به ثم قال اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم افرايتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون حيث لا ينهض التقادم برهانا على صحة عبادته ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم
عدو لي فلا اعبدها لاني فكرت امري فرايت عبادتها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة من
الخير كله منه كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونوا عليهم ضدا التلويح بان ذلك نصيحة نصح بها
او لا نفسه وبنى عليها تدبير امره لينقودهم نظرهم ان يقولوا ما نصحنا الا بما نصح به نفسه
وما اراد لنا الا ما اراده لها ليكون ادعى الى الانقياد وابعث على الاذعان وادخل في باب
التعريض المفيد للمنصوح له ما لا يفيده التصريح اذ ربما قاده التامل فيه الى القبول ومنه
قول الامام الشافعي وقد واجهه جهول بشي لو كنت حيثا انت لاحتجت الى ادب تعريضا
الا رب العالمين استثنا منقطع اي لكن وقال اذ جا اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم بقلب سليم
من افات القلوب كالغل والحسد واضمار السو او مخلصا له او خالصا من العلايق ومن الشرك
وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي بعدني انا وهم عن عبادتها وثبتنا دايما على اجتنابها
فان قيل ما معنى قوله بعد افولا لقمر لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين اهيم في اودية
الضلال قيل جوابا لقوله ذلك انه استعجز نفسه واستعان بربه ان يريه الحق الا لا يهتدي

به الا بتوفيقه تعالى فقال لقومه انه ان لم يؤيدني بتبصيره اياي الحق بمعونته اكن مثلكم اهيم
في اودية ضلالكم وعبادتكم ما لا يصلح ان يكون الها اعلاما لهم بانهم على ضلال اذ من اتخذه الها فهو
فهو ضال وانما قال ذلك على معنى الاشفاق والحذر من التورط في تلك الورطة والا فحمل قوله لئن
لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين على ذلك فما باله وهو معصوم في الازل من الضلال المؤدث
للحيرة في اوديته فان قلت فما معنى قوله تعالى في سورة ابراهيم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا اقسموا ليكونن احد الامرين اما اخراجهم او عودهم في ملتهم ولم
يكونوا عليها من قبل ثم قال تعالى بعدها اي بعد قولهم لهم لنخرجنكم من ارضنا الى اخره فاوحى اليهم لنهلكن
الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وقال في سورة الاعراف عن شعيب صلى الله عليه وسلم
بعد ان قال له قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال
او لو كنا كارهين لا عن الرسل وان زعمه هنا قد افترينا على الله كذبا استيناف فيه معنى التعجب
مقيد بالشرط بعده اي ما اكذبنا على الله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وعصمنا من
الركون اليها فضلا عن مقارفتها وهذا هو الشرط المقيد به ما قبله حذف جوابه لدلالة قد افترينا
عليه وهو بمعنى المستقبل اذ لم يقع اصلا لسده مسد الجواب وجعل كالواقع للمبالغة بشهادة دخول
قد عليه تقريبا له من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود فيها بعد نجاتنا منها كان عودنا ابتعا
افترا عليه مع من امن معه في العود مريدا لهم دونه اذ لم يكن فيها طرفة عين اجرا الجوابه مجرى قولهم
او لتعودن في ملتنا تغليبا لمن كان اتصف بالكفر قبل ايمانه على من لم يتصف به اصلا لجعلوا عائدين
جميعا فلا تشكل لفظة العود فمورد ذلك الى انه رجوع الشي الى ما كان عليه بعد انتقاله عنه وانها
تقتضي انهم اي الانبيا على ما زعمه انما يعودون الى ما كانوا ابل شعيب الى ما كان عليه من ملتهم ولم
يكن في شي منها اصلا لعصمته كهم مما فيه ادنى تنفير عنهم فضلا عن الكفر واستوضح ما يصرفك
عما تقتضيه هذه اللفظة فقد تاتي هذه اللفظة اي لفظة العود بل كثيرا ما يرد في كلام
العرب كثرة فاشية بمعنى الصيرورة فلا تكاد تسمع منهم صار بل عاد ما عدت اراه ما عاد لفلان ن
مال كما جا في حديث الصحيحين عن ابي سعيد الخدري في الجهنميين عادوا حمما اي صاروا سودا
قد امتحشوا ولم يكونوا قبل ذلك اي لم يكونوا حمما قبل كونهم فيها حمما ومثله اي مثل ما جا في حديث
الجهنميين ان عاد بمعنى صار قوله من بحر البسيط من عروضه المخبونة وضربها المقطوع وقافية
المتواتر وهي ما وقع فيها متحرك بين ساكنين تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بما فعادا بعد
اي بعد شوبهما ابوالا باستحالتهما في المعدة كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى
حذف مفعوله محافظة على رعاية فواصل الاي فليس هو من الضلال الذي هو الكفر لعصمته
كالانبيا قبل النبوة وبعدها مما يشينهم فضلا عن الكفر قيل معناه ووجدك ضالا عن النبوة فهداك
تنتظم في سلك ضلالهم تعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم اليه اذ كانوا غير مهتدين
الى الحق وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها الا بالالهام او الوحي فهداك اليها بشهادة وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا اي موحى به يحيى من امن بك كما يحيى الجسد بالروح ومن ثم سمي روحا
والضلال المراد به هنا في هذا القول هو التحير من ضل عن الطريق اذا حار ولم يهتد رايا يذهب
ولهذا اي ومن اجل ان الضلال هنا هو التحير كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا وطلب ما

وسيلة يتوجه به الى ربه ويتشرح به ليزدلف به اليه حتى هداه الى الاسلام غاية لطلبه ذلك
وقيل وجدك ضالا لا تعرف الحق نائيا عنه قابلا له فهداك اليه وهذا مثل وعلمك ما لم تكن تعلم
من امور الدنيا والاحكام او من خفايا الامور وقال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية لانها تعيد
بر باكريم جنابه عنها وقيل هدي اي بين امرك للضالين الذين لم يقدروك حق قدرك بالبراهين
القاطعة والحجج الساطعة التي لم تغادر لاحد في حقية ما جابه شبهة وقيل وجدك ضالا بين
مكة والمدينة لا تدري ما محياك ومماتك فهداك الى المدينة فكانت محياك ومماتك وهدى
بك اقواما كانوا عن الحق غافلين واخرين كانوا له مذعنين واخرين كانوا له معاندين وقيل المعنى
وجدك فهدي بك ضالا عن الحق وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن
علي ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي توفيقي وهدايتي واراد بهما لك اي لا تعرفها فمننت
عليك بمعرفتي لتعرف محبتي لك اذ لم اخلق احدا اكرم علي منك وقرا الحسن بن علي ووجدك ضال
بالرفع فاعل وجد اي متحير لا يهتدي لوجهه حتى فهدي اي اهتدى بك الى الفوز بسعادة المبدا
والمعاد وقال ابن عطا ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي مالكا زمام محبتك بنور هداية المحبة
وعناية ربانية والضال هو المحب المؤتلف بمحبوبه كما قال تعالى حكاية عمن قال ليعقوب اذ
قال اني لاجد ريح يوسف انك لفي ضلالك القديم اي لفي ذهابك الى محبتك القديمة ليوسف
بافراطك فيها وذكرك له ورجائك لقاه ظنا منهم انه قد مات ولم يريدوا اي القائلون له انك
لفي ضلالك القديم ههنا بقولهم في ضلالك ضلالة في الدين اذ قالوا ذلك مريدين له اعتقادا
في نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله لكفروا لاجترائهم بنسبة الضلال في الدين الى من عصمه الله
ومثله اي ما قاله ابن عطا عند هذا اي عند ابن عطا فوضع اسم الاشارة موضع ضميره لكمال
العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع عجيب شانه هو جعله الضلال حبا انا لنراها في ضلال
مبين اي محبة بينة اورثتها تدلها وحيرة بحرقها شغافا اي حجاب قلبها حتى وصل فواده اي حبه
وسويداه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك مما خفي عليك فهداك لبيانه
ثم استبانه هداه الى صراط مستقيم لقوله وانزلنا اليك الذكر اي القران سمي ذكرا لانه ينبه بموعظته
لتبين للناس ما نزل اليهم مما اشتبه عليهم منه وقيل وجدك ضالا بين الناس لم يعرفك منهم احد
بالنبوه جملة حالية من الكاف ولم يقرنها بالواو لاستواء الامرين جوازا وتركا فيما اذا وردت
على اصلها من كونها فعلية لا على طريقتها من كونها منفية كما في

• لو ان قوما لارتفاع قبيلة • دخلوا السما دخلتها لا احجب •
• اقادوا من دمي وتوعدوني • وكنت وما ينهنهني الوعيد • حتى اظهرك ظهور نار

القرى ليلا على علم فهدي بك السعدا ممن جعله الله سعيدا في الازل ولا اعلم احدا من المفسرين
قال فيها اي في اية ووجدك ضالا فهدى اي ضالا عن الايمان لانه كالانبيا خلقوا احنفا مهتدين الى ما
اريد بهم وللتمسك من كل خير ومعصومين مما فيه تنفير قبل البعثة وبعدها وكذلك اي مثل ووجدك
ضالا فهدى في قصة موسى صلى الله عليه وسلم قوله فعلتها اذا وانا من الضالين وقراه ابن مسعود من
الجاهلين اي من الفاعلين فعلا اولي الجهل او من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد وتعمد قتل اذ
الذاهبين الى ما يفضي اليه الوكز قصد امر التاديب وقال الازهري معناه من الناسين تكذيبا للفرعون

اذ

اذ جعله بها من الكافرين ودرأ عن نفسه وتبرئته لساحة جنابه الكريم وقدره العظيم بوضعه الضا
موضع الكافرين رفعا للشرف محل من ثبت له قدم صدق في اوج النبوة عن وصفه بما لا يليق به وقد
قيل ذلك اي قول الازهري من الناسين في قوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا
فهدي اي ناسيا كما في ان تضل احداهما بان لا تهتدي للشهادة نسيانا لها فتذكر احداهما الاخرى
علة للضلال اي ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة واعتبارا لعدد فيهن مع الرجل
مشعر بنقص عقلهن وقلة ضبطهن فان قيل فما معنى قوله تبارك وتعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالجواب ما كنت طريقة الوحي من معرفة القران وقراءته ومعرفة الايمان باحكام الشريعة
وفرايضه مما كسبته بالوحي دون ما فطر وجعل عليه من الايمان بالله وتوحيده كما حواه البيان
بشهادة ما هنا من ان السمرقندي قال معناه ما كنت قبل الوحي ومجي الملك به من ان تقرا القران
ولا كنت تدري كيف تدعو الخلق الى الايمان قال اي السمرقندي ولا كنت تدري ما الايمان الذي
هو الفرايض والاحكام التي شرعها الله لك وبعثك بها وعطف العام على بعض افراده تنبيها على
الايمان بباقيها قال اي السمرقندي فكان قبل اي قبل الوحي ومجي الملك اليه مؤمنا بتوحيد الله
وقدم وجوده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل اي قبل بعثته فازداد بالتكليف ايمانا
وحديث عثمن بن ابي شيبة هنا الذي رواه البيهقي وابو يعلى انكره الايمة جدا واحمد بن حنبل وقال
موضوع او شبيه بالموضوع ليس حكمه حكم الضعيف في العمل به في فضائل الاعمال لانه شر منه
وقال الدارقطني يقال ان عثمن وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده
فلا يلتفت اليه عملا في فضل عمل والمعروف عنه صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم بفن
علم الحديث وطرقه من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت بالبنا للمفعول اي بغض الله الي الاصنام
تفاديا من وصمة الميل اليها اذ قد خلق مهديا وحديث ام ايمن هنا الذي رواه ابن سعد عن ابن عباس
عنها وحديث بحيرى الذي رواه ابن سعد ايضا عن نفيسة بنت منية غنيان لضعفهما عن البيان
والمعروف ايضا من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له بخلقه تعالى الهداية فيه صلى الله
عليه وسلم انه كان قبل نبوته اي قبل ظهورها ببعثته يخالف المشركين في وقوفهم اذ كانوا يقفون
بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة حتى بضمير الفصل تلويحا باختصاصه صلى الله عليه وسلم
اي هو لا غيره لانه اي جبل عرفة كان موقف ابراهيم صلى الله عليه وسلم هداية من الله له ان يعمل
قبل بعثته بما يكون شرعا له بعدها بشهادة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم

فصل

قد كان اي وضح وصح وضوحا تاما بما قدمناه عقود الانبيا اي ثبوتهم ورسوخ اقدام هداهم في التوحيد
والايمان والوحي اليهم ما يجب للانبيا دوا الاذعان لهم فيما دعوا اليه وعصمتهم من التفريط في شي من
ذلك على ما بيناه فيما تقدم مرادا فاما ما عدا هذا الباب اي باب عقودهم في التوحيد والايمان وعصمتهم
فيها من عقود قلوبهم فجماعها اي جميع قلوبهم انها مملوءة علما ويقينا على الجملة بلا تفصيل لكثرة المتعلقات
من معلوماته وانها قد احتوت اي ضمت وجمعت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا جزئيات وكليات
ما لا شي فوقه من بدايع المعروفات وروايع المعلومات الا ان استثنا منقطع اي لكن احوالهم في هذه
المعارف تختلف بحسب متعلقاتها فاما ما تعلق منها بامر الدنيا كتدبير المعاش والقيام بمصالح
الالزام والاتباع فلا يشترط في حق الانبيا العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها ووضع الظاهر

موضع المضمر فيهما تنويها بكريم شانهم وكمال العناية بتمييز رفيع جنابهم والتلذذ بذكرهم او من
عدم اعتقادها مصدر اضيف الى المفعول اي ولا عدم اعتقادهم اياها على خلاف ما هي عليه
كذا قال بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم للانصار وهم يابرون النخل لا عليكم الا تفعلوا فتركوا
تابيره فلم يفلح منه ذلك العام الا قليل فقال انتم اعرف بدنياكم ورجوعه للحباب بن المنذر
ببدر في ما امر ولا وصم اي ولا تقصير ولا تواني منهم ولا عيب عليهم فيه اذ همتهم من بهم بالامر
اذا عزم عليه متعلقة بالاخرة وانبائها جمع نبا اي اخبارها وامر الشريعة اعتنا بتدبير
امورها وبيان احكامها كالامر بالعمل بها والجري على قوانينها جمع قانون وهو كما تقدم امر كلي
ينطبق بالقوة على جزئيات موضوعه كالامر للوجوب والنهي للتحريم وطريق اخراج جزئيات
موضوعها الذي هو الامر بضم مقدمة صغرى اليه هكذا اقيموا الصلاة امر وكل امر للوجوب
فهو لها له وطلاق الحائض بدعي والبدعي غالبا حرام فطلاقها حرام وامور الدنيا تضادها
اي تخالفها من حيث الضدية والمنافاة بخلاف غيرهم اي غير الانبيا من اهل الدنيا والدين
قال الله فيهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون بدل مما قبله واقيم مقامه تلويحا بانه لا فرق بين عدم
العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وتسجيلا عليهم بكمال البلادة والظلم
والذم اذ لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا مما يرونه ويتمتعون به من زخارفها ويتنعمون به
من ملاذها ويتبسطون به دون باطنها من كونها مجازا للاخرة يتزودون منها خير الزاد التقوى
بالطاعة وصالح الاعمال وتنكيرها ظاهرا موذن بانه ظاهر واحد وهم عن الاخرة هم غافلون لا
تخطر لهم ببال نائين عنها في كل حال وهم الثانية اما تكرير للاولى وغافلون خبرها او مبتدا خبره
غافلون والجملة خبر للاولى وعلى كل فذكرها ثانيا موذن بانهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها
وكانها تنبع منهم وترجع اليهم ولكنه الضمير للشان يفسره لا يقال في حق الانبيا انهم لا يعلمون
شيا من امور الدنيا فان ذلك اي القول بعدم علمهم بامور الدنيا يؤدي الى ما لا يجوز نسبته اليهم
من الغفلة والبله وهم المنزهون عنه اي عن عدم العلم بامور الدنيا لا غير لشهادة تعريف الجزئين
بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم اي تدبير امورهم ومصالح احوالهم واصلها
القيام على الشي بما يصلحه وفي الحديث كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبيا اي تتولى امورهم
وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم مما به ينتظم امر المعاش والمعاد وهذا اي ما قلدوه
من السياسة والنظر لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية اذ مع عدمه بها تضييع
اممهم وامور احوالهم مما يعود الى نسبة ما لا يليق بهم اليهم وهم منزهون عما ينقص عظم قدرهم
ورفيع محلهم واحوال الانبيا وسيرهم في هذا الباب اي باب عدم العلم بامور الدنيا بالكلية
معلومة عند كل عارف بهم انهم برآء من ذلك كله ومعرفتهم بذلك مشهورة لا تخفى على ذي لب سليم
وطبع مستقيم واما ان كان هذا العقد اي عقد قلوبهم مما يتعلق بامور الدنيا فلا يصح من
النبي الا العلم منهم به ولا يجوز جهله جملة لعصمته مما به الضلال عن بيان احكام ما اوحي اليه
لا يخلو اما ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو لا ريب انه من ما لا يصح الشك منه
على ما قدمناه من انه لا يصح منه الا العلم بما اوحي فكيف يصح منه الجهل به فهو انكار للجهل منه
بانكار حالته التي يكون عليها فانكارها موذن بانكار وجوده لزوما بطريق الكناية على ما مر

بل حصل

بل حصل له اي للنبي العلم اليقين لصدوره من قبل الوحي او يكون اي النبي قد فعل ذلك باجتهاده فيما
لم ينزل عليه فيه شي في القول بتجويز وقوعه اي الاجتهاد منه في ذلك اي فيما لم ينزل عليه
فيه شي وهو الحق ويكون صوابا على قول المحققين وعلى مقتضى قول ام المؤمنين هند بنت ابي
امية ام سلمة اني انما اقضي بينكم براي فيما لم ينزل علي فيه شي فانه شاهد صدق بوقوعه منه
اخرجه اي حديث ام سلمة الثقات كابي داود وكقصة اسرى بدر والاذن للمخلفين عن غزوة تبوك
مما شهد بوقوعه منه لمصلحة فقرا اهل بدر وخلتهم ولظنه عدم استطاعة من اعتذر اليه في التخلف
وان كان قد عتبه ربه على استبقائه اسرى بدر بالفدا وعلى الاذن لمن نجم نفاقهم في تخلفهم عن تبوك
والعتاب لا يكون فيما صدر عن وحي فتعين ان يكون عن اجتهاد بقوله ما كان للنبي ان يكون له اسرى
حتى يثخن في الارض عفا الله عنك لم اذنت لهم اي في التخلف حين استاذنوك فيه معتلين بايمان
كاذبة وهلا انيت حتى تعلم الكاذب منهم على راي بعضهم بان مدخول الكاف مشعر بانه اجتهاد
منه ايضا كالذي قبله وقيل ليس باجتهاد لعقد رايه على اليقين بتلقيه من الوحي بانتظاره والقادر
على يقين الحكم لا يكون ذلك منه اجتهادا جزما ورد بان انزال الوحي ليس باختياره وفي قد دربه
فلا يكون ايضا ما يعتقده مما من بيانية او تبعيضية اي لا يكون ما يعتقده الذي هو او بعض ما
يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا لصدوره عن معصوم لا يغشى سرادق عصمته خطا هذا اي
ما يثمره اجتهاده لا يكون الا حقا صحيحا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه فقال
بمنع اجتهاده مطلقا او بمنعه في غير الاراء والحروب وجوازه فيهما لان اجتهاده حق وصواب لا
على القول بتصويب المجتهدين فيما لا قاطع فيه من مسائل الفروع الذي هو قول امامنا الاشعري
والباقلاني وابي يوسف ومحمد وابن سريج بان كل مجتهد مصيب قال الاولان لان حكم الله تابع
لظنه فما ظنه فهو حكم الله وهو الحق والصواب عندنا من الايمة الاشعرية ولا على القول الاخر
الذي هو قول الجمهور بان الحق في طرف واحد وان مصيبه من المجتهدين واحد مكلف باصابته
لقيام امارة عليه فان اخطا فماجور ولا اثم بخلاف اجتهاد النبي فان الصواب عدم خطائه لعصمة
النبي من الخطا في الشرعيات اذ لا ياخذ بعهمه عن الحق ميل الى غيره ولان القول في تخطئة
المجتهدين على القول بان المصيب واحد منهم لا بعينه انما هو بعد استقرار الشرع لامتناع
توجه النفس الى ما لم يستشعره بوجه ليفوز به على وجه اكمل ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم
ينزل عليه فيه شي ولم يشرع له قبل اي قبل نظره واجتهاده ليظفر بالحق الصواب لنزاهة منصب
النبوة عن الخطا في الاجتهاد والقول بانه قد يخطي وينبه عليه سريعا مما لا يلتفت اليه لبشاعته
هذا وعتب الله عليه صلى الله عليه وسلم في الايتين انما كان لتركه الاولى مع الاثخان اي كثرة القتل
لعز الاسلام وذل الكفر ومن عدم الاذن في التخلف لمن نجم نفاقه هذا اي ما حصل عنده عن وحي من
ربه تبارك وتعالى وما فعله عن اجتهاد فيما لم ينزل اليه فيه شي فيما عقد عليه صلى الله عليه
وسلم قلبه وعزم عليه علما ومعرفة من امور الدين مما لا شي فوقه فاما لم يعتقد ويعزم عليه قلبه
من امور النوازل الشرعية مما لا يحتاج الى بيان الحكم فيه فكان لا يعلم منها اولا اي قبل الايحا اليه
والاذن له الا ما علمه الله شيا شيا بحسب اسبابه المقتضية لنزوله بايحائه اليه او الاذن له
فيه ليمتثل فعلا او تركا حتى استقر علم جملتها عنده صلى الله عليه وسلم اما بوحي من الله او اذن منه

ان اي بان يشرع في ذلك اي الماذون فيه ويحكم بما اراه الله بشهادة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما اراك الله اي عرفك الله وحيا او الهاما ينظرك فيما انزل الله عليك وكفي به شهيدا
بجواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل
ليعلم حكمه مما اوحي اليه ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يمت فدته نفسي حتى استفرغ اي استوفي
جميعها وتقررت معارفها جمع معرفة اي ادراكاتها او مدركاتها اي عنده صلى الله عليه وسلم على التحقيق
بشهادة وانك لتهدي الى صراط مستقيم اذ لا يهدي اليه الا بمعرفة ما اوحي اليه ورفع الشك والريب عن
سواد وجهات شرفه وانتفا الجهل عنه صلى الله عليه وسلم به وبالجملة فلا يصح منه صلى الله عليه وسلم
الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما
لا يعلمه لاستحالتها الى مجهول واما ما تعلق بعقده اي بجزم قلبه مما عرفه الله وبصره به من ملكوت
السموات والارض مما دل على عظيم قدرته وباهر حكمته كاجراء الجواري في البحر كالاعلام بما ينفع الناس
وانزاله من السما من ماء فاحيي به الارض بعد موتها وبثه فيها من كل دابة وتصريف الرياح في مهابها دبورا وقبولا
وجنوبا وشمالا وفي صفاتها حارة وباردة رخاء وعاصفة ولواقح بالرحمة تارة وبالعذاب اخرى وتسخير
السحاب بينهما باختلافات عجيبة وانقلابات بديعة ينزل مطرا حيث شاء وغير ذلك مما دل على خلق
الله تعالى مخلوقة على وجوه مخصوصة وانحا مختلفة ليحكم بان لها الها اوجدها على مقتضي حكمته
واستند عنه ارادته متعاليا عن ان يكون معه اله يقدر على ما يقدر هو عليه اذ لو كان وتوافقا
اراداتهما فان كان الفعل لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد والا لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح
ولزم عجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلف لزم التمانع المؤذن به لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وتعيين اسمائه الحسنى اي التي هي احسن الاسما لدلالتها على معان حسنة من توحيد وتمجيد
وتقديس وغير ذلك مما اذن بصفات الكمال وسمات الجلال للمسمى به ولا يلحد في تسميته فلا
يسمي بما لا يجوز عليه تبارك وتعالى كما سمع من بعض اجلاف البدو يقول جهلا يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه يا نحي مما لم يرد به اذن شرعي واياته الكبرى اي العظمى من عجايب مخلوقاته وامور الاخرة
من نشر وحشر ووقوف وشدايده واهواله وميزانه وغيرها من الامور الممكنة واشراط الساعة
اي علاماتها او مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وكثرة المال والتطاول واستيلا
الشرار وشهادة الزور وقطيعة الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام واحوال السعدا والاشقيا
مما يؤول امرهم اليه من نفع وضر في الدنيا والاخرة وعلم ما كان وما يكون مما لا يعلمه الا بوحي من
الله تعالى فعلى ما تقدم جواب اما من انه معصوم ومتمسك واثق بما عقد عليه قلبه وجزم به من
علمه فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب تاكيد لما قبله من رابه الامر يريبه اذا جعل
فيه ريبة والصدق وطمانينة اي قلبه صلى الله عليه وسلم مطمئن مستقر فيما اعلمه الله به
لا ياخذه فيه اضطراب ولا قلق فان الامر اذا كان مشكوكا فيه اورث اضطرابا وقلقا واذا كان
صحيحا صادقا اورث طمانينة وسكونا ومنه ريب الزمان مما يقلق النفوس ويشخص القلوب
بنوائبه بل هو فيه اي فيما اعلم على غاية اليقين تمثيل لتمكنه من علم ما اعلمه واستقراره عليه
وتمسكه به تشبيها لحاله بحال من تمكن من شي فاعتلا ذروة سنامه لكنه استدرك لنفي
ما عسي يتوهم من انه كان على غاية من تيقن تفصيل جميعه اذ لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل

ذلك

لعدم

دابة و

ذلك اي ما تعلق بعقده كما مر وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر اذ قد منح من المزايا
الشريفة والعطايا المنيفة ما لم ينله احد لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي اني لا اعلم
الا ما علمني ربي استثنا مفرغ من عام حذف لايذان سوق الحديث به ولقوله صلى الله عليه وسلم
حكاية عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ما في الاية والحديث موصو له
او بمعنى اي على عنه العقل ونفس نكرة وردت في حيز نفي اعلاما بان نفسا من النفوس لا تعلم اي
خير عظيم ادخره الله واخفاه لاوليك الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مما تقر به اعينهم من نعيم الجنة
ولذا قيل في الحديث وبله فيه من اسما الافعال بمعنى دع واترك تقول بله زيدا اي دعه وقد
يوضع موضع المصدر فيضاف تقول بله زيد اي تركه وما اطلعتم عليه يجوز ان يكون منصوب
المحل ومجروره على التقديرين اي دع ما اطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها وقول
موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام لاخبار الله له انه اعلم منه ببعض معلومات علمه اياها
دونه مفصلة هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فهذا
قاض بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما بجميع تفاصيل ما يعلمه اجمالا فاراد ان يعلم الخضر ما
يمكن علمه تفصيلا فلما علم ما لم يجز فعله لا مرا باحة وخفي على موسى صلى الله عليه وسلم انكره
عليه اذ قد يعلم المفضول بشي لم يكن عند افضل منه ولا غضاضة في جواز سوال الافضل
ايك مفضوله عما امتاز به ولا توصيم وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي عن انس اسالك باسما
الحسنى فعلى من الحسن اذ هي احسن الاسما واشرفها لانبائها بكل معنى حسن ما علمت منها وما
لم اعلم مفصلا ارادته صلى الله عليه وسلم عالم بان له تعالى اسما يعلم بعضها تفصيلا وبعضها اجمالا
ولا عرض عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك وقوله فيما رواه احمد اسالك بكل اسم هو لك سميت
به نفسك او استاثرت به اي انفردت به دون غيرك في علم الغيب عندك اي علم الغايب
الذي لا يفقد فيه ابتداء الا علمك ويجري فيه ما ذكر في الحديث قبله وقد قال تعالى وفوق
كل ذي علم عليم اي فوقه من هو اعلم منه وارفع في العلم كما قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم
الى الله او فوق العلما كلهم من هو اعلم منهم وهو الله تعالى وهذا ما لا خفا به اذ معلوماته
تبارك وتعالى لا يحاط بها علما ولا منتهى لها هذا اي ما اذن بكونه صلى الله عليه وسلم معصوما
فيما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وغيرها حكم عقده اي جزم قلبه في التوحيد
والشرع المكلف بالعمل به والمعارف الالهية التي افاضها عليه من ربه تعالى والامور
الدينية من عطف بعض افراد العام عليه لمزية اذنت به من اختصاصها بالدين فصل
واعلم ان الامة مجمعة جملة ان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم على عصمة النبي
صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم بشهادة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والاضافة
اي انه ليس له سلطان على الذين امنوا ومجمعة على كفايته اي كفاية الله له منه بشهادة
حديث البخاري ان عفريتا تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته
فذعته ولولا دعوة اخي سليمان لربطته بسارية من سواري المسجد فاصبح يلعب به ولدان
المدينة وقد استشهد هنا حديث البخاري عن ابن مسعود مما شهد بعصمته من الشيطان

اذ لامه فيما ذكر اولا جنسية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد من زايدة للتوكيد
الا وكل الله به قرينه اي شيطانه من الجن وقرينه من الملئكة اي الكرام الكتبة او الحفظة قالوا واياك
يا رسول الله وكل بك قرينك من الجن قال واياي قد وكل بي قريني ولكن الله اعانني عليه بهدايته
الى الاسلام مذعنا لي منقادا الي فاسلم اي آمن وفي اعانته صلى الله عليه وسلم عليه تفخيم لشانه
صلى الله عليه وسلم وتنويه بعظيم قدره اذ لم يكن عليه سبيلا زاد غيره اي غير سفيان احد رواته
عن منصور فلا يامرني الا بخير لنزاهة شرف قدره صلى الله عليه وسلم عن قبول وسوسته
له بشر وعن عايشة بمعناه لا ادري من خرجه وروي فاسلم بضم الميم وهمزة المتكلم اي فانا اسلم
انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها ولا ادري من هو وروي فاسلم فعلا ماضيا كما مر
يعني القرين انتقل عن حال كفره الى الاسلام متلبسا به فصار كرواية البخاري لا يامر الا بخير
كالملك فان الله فطر طبيعتهم عليه وهو اي انتقاله عن الكفر الى الاسلام ظاهر الحديث وروي
بعضهم فاستسلم اي انقاد له وذاعن فاذا كان هذا اي الاستسلام بالانتقال عن الكفر الى
الاسلام حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم فما ظنك صلى الله عليه وسلم عليه وامن شره
بانقياده اليه فكيف الظن بمن بعد من شياطين الجن منه صلى الله عليه وسلم ايقع في
وهم او ظن انه صلى الله عليه وسلم لا يسلم منه لا بل اولى ان يسلم منه كسابقه لانه لم يكن له عليه
كغيره من النبيين سلطان وانه لم يلزم صحبته صلى الله عليه وسلم ولا اقدر عليه الدنو منه
وقد جاءت الاثار عنه صلى الله عليه وسلم بتصدي الشياطين له في غير موطن في الصلاة
وغيرها وسيرد عليك منها ما تعلمه رغبة مفعول من اجله التصدي او حال اي تصدوا من
اجل رغبتهم او راغبين في اطفاء نوره صلى الله عليه وسلم ويابي الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون
وفي اماته نفسه صلى الله عليه وسلم شغلا له عما هو بصدده من صلاة وغيرها من انواع
العبادات ويابي الله الاخري من ناواه وادخال شغل لخاطره عليه ليلهي به عما فيه صلاح امته
ويابي الله الا دفعه عنه وتثبيته بالعصمة وتاييده بالحكمة اذ ظرف لما قبله اي فعلوه حين
يئسوا من اغوائه ودعايه بوسوستهم له الى الغي فانقلبوا خاسرين كتعرضه اي الشيطان
له صلى الله عليه وسلم فاخذه صلى الله عليه وسلم واسره اي استولى عليه قسرا وصار في قبضته
ففي الصحاح للبخاري ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض
لي قال عبد الرزاق الصنعاني زيادة على ما في الصحيحين في صورة هر لما اوتوه كالملائكة من
قوة التشكل الا ان الملئكة لا يتصورون الا باشكال حسنة بخلاف الشياطين فشد علي يقطع
حذفت لام العلة منه للعلم بها وهو موؤل بمصدر الصلاة علي فامكنني الله منه فذعته
بمعجمة فمهملة اي خنقته خنقا شديدا حتى كانه يغط في الماء ودفعته دفعا عنيفا وفي رواية
ابن ابي الدنيا عن الشعبي مرسلا اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي
بعثني ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لاصبح طريحا في المسجد
ولقد هممت ان اوثقه الى سارية وفي رواية بسارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون
اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي قدم سؤاله الاستغفار على طلبه الملك من ربه
جريا على عادة اوليائه تعالى في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم وهب لي ملكا لا ينبغي اي لا يسهل

ولا يصح ولا يكون لاحد من بعدي اي غيري وليس هذا منه كما مر حرصا على استقلاله باتيانه بهذه النعمة
دون غيره بل لتكون معجزة له اذ نشا في بيت النبوة والملك خارقة للعادة يعجز عنها ملوك اهل زمانه
جريا على عادة اخوانه النبيين في مجيئهم بمعجزات من جنس صناعات اهل زمانهم خارقة لها
لتؤذن بتصديق دعواهم الرسالة فرده الله اي رد الشيطان الذي شد عليه صلى الله عليه
وسلم ليقطع صلاته خاسئا اي صاغرا طريدا حقيرا ذليلا وفي حديث ابي الدردا فيما رواه مسلم
عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاني بشهاب اي بشعلة مضيئة مقتبسة من
نار ليجعله في وجهي اي ليحرقه والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة جملة حالية اعترضت
بين ما رواه ابو الدردا من لفظه صلى الله عليه وسلم وبين ما ذكره بمعنى لفظه صلى الله عليه وسلم
لبيان وقت مجيء عدو الله الى ولي الله صلى الله عليه وسلم وذكر اي ابو الدردا تعوذه صلى الله عليه
وسلم منه اي من عدو الله ولعنه صلى الله عليه وسلم له بلفظ اعوذ بالله منك العنك بلعنة
الله قال صلى الله عليه وسلم ثم اردت ان اخذه وذكر اي ابو الدردا نحوه اي نحو حديث ابي
هريرة من قوله ولقد هممت ان اوثقه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان المدينة جمع
وليد بمعنى وكذلك اي وكما في حديث ابي الدردا في حديثه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي
عن عبد الرحمن بن حبيش في الاسرا وطلب عفريت له فعليت من التعفير وهو التمريغ في التراب
ويقال عفر وعفرية وعفراة وعفارية هو من الانس الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه اي يصرعهم
ويمرغهم في التراب ومن الشياطين الخبيث المارد بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه
ذكره اي هذا الحديث في الموطا ولما لم يقدر عدو الله على اذاه صلى الله عليه وسلم تسبب بالتوسط
الى عداه صلى الله عليه وسلم من كفار قريش وغيرهم كقضيته مع قريش في الايتمار بقتله صلى
الله عليه وسلم اي في التشاور في قتله وسمي ايتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الاخر وياتمر له
وتصوره اي اللعين ابليس في صورة الشيخ النجدي ثم جاءهم وهم بدار الندوة بمكة وقد بلغهم اسلام
الانصار فجزعوا فدخل عليهم فقال انا من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا مني راييا ونصحا فقال
ابو البختري ارى ان تحبسوه وتشدوا وثاقه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها فقال
بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه فقال هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو
جهل ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فتضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه
في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا عقله عقلناه فقال صدق الفتى
فتفرقوا على رايه فاخبره جبريل بذلك فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك وبصورته مرة اخرى في غزوة بدر كما رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس في صورة سراقة
ابن مالك هو ابن جعشم الكناني وهو قوله واذ زين لهم الشيطان معد رباد كرا عمالهم في معاداته
صلى الله عليه وسلم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم من بني كنانة فانكم لا تغلبون
ولا تطاقون لكثرتكم عددا وعددا واوهمهم ان اتباعهم له فيما ظنوا مجيرا لهم حتى قالوا اللهم
انصر احدى الفئتين وافضل الدينين فلما تراءت الفئتان اي تلاقتا نكص على عقبيه اي رجع
القهقري وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتريد ان تخذلنا فدفع في صدر الحارث

وقال اني اري ما لا ترون اني اخاف الله وانطلق متبرأ منهم ويائسا من حالهم لما رأي من امداد الله
المؤمنين بالملئكة فانهزموا فقيل هزم الناس سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلم يعلموا انه الشيطان حتى اسلموا وبصورة مرة اخرى بنجد لشانه وحاله صلى الله عليه
وسلم اي يخوف الناس ويحذرهم منه عند بيعة العقبة عقبة منى السفلى ليلة تابع الانصار
على انه آل تاهم اووه ونصروه وذادوا عنه كما يذود الرجل عن حريمه وقد كفاه الله امره وعصمه
اي منعه وحماه ضرره وشره وقد قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن
ابي هريرة ان عيسى صلى الله عليه وسلم كفي من لمسه لجا ليطعن اي قصد واخذ في طعنة بيده
في خاصرته حين ولد فطعن بالحجاب خيبة لرجاه وعكس متمناه اذ لم يجعل الله له عليه كغيره
من الانبيا سبيلا لرفعة محله عن ان ينالهم عدو الله بمكروه وقد سالت جدته ربها ان يعيذ
امه وذريتها منه اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم لشهادة قوله في حديث
البخاري وغيره ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم
وابنها فقد عصما ببركة هذه الاستعاذة وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن
عائشة حين لدّ في مرضه اي سقي دوا من احد شقي فمه بغير اذنه فلما افاق قال لا يبقى في
البيت احد الا لدّ قال ذلك عقوبة لهم ولديد الفم جانباه وقيل له الواو للحال اي قائلين له
خشينا ان يكون بك ذات الجنب علم لدمل كبير يسمى الذبيلة يظهر في باطن الجنب وينفجر
الي داخل فقلما يسلم صاحبه وذو الجنب من يشتكي جنبه لسبب الذبيلة فذو للمذكر وذات
للمؤنث الا ان ذات صار علما له مع كونه صفة مضافة وفي الحديث المجنون شهيد ذات الجنب
فقال انها اي لامم له وانثه باعتبار صدوره مرة واحدة من الشيطان من نسبة المسبب
الي سببه بوسوسته لهم بذلك حتى فعلوه ولم يكن الله ليسلطه علي انا تعظيما لقدره
فان قيل فما معني واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاعل ينزغنك بمعنى نازغ فاستعذ بالله
اي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قيل انها راجعة الي قوله خذ العفو ضد الجهد اي
خذ ما عفا لك اي سهل من افعال الناس واخلاقهم وما اتي وتسهل منهم بلا كلفة ولا تطلب
الجهد وما يشق عليهم حذرا من ان ينفروا عنك وامر بالعرف اي المعروف والجميل من الافعال
واعرض عن الجاهلين ولا تكاف السفها بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض عما
يسوءك فهذه الاية اجمع لمكارم الاخلاق لشهادة قول جبريل له وقد ساله عنها فقال لا
ادري حتى اسال ربي ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب بوسوسته بان يحملك على خلاف
ما امرت به من الاعراض عنهم اي عن الجاهلين فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ الغرز والنخس
شبه بوسوسته للناس اغراءهم على المعاصي بنخس من يسوق دابته اي بنزغه لها ثم اشتق
منه ينزغ فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الي الفعل بطريق التبع وفي الحديث
صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى حكاية عن
يوسف صلى الله عليه وسلم وجا بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد
بيننا وحرش من نزغ الرايض دابته اذا نخسها حاملا لها على سرعة المشي وقيل ينزغنك معناه يعرضنك

اي

اي يحثنك ويحملك بوسوسته والنزغ ادنى الوسوسة اي حديث النفس والتفكر والصوت
الخفي وسوس اذا تكلم بكلام لم يبينه وعن عثمان لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوس
ناس وكنت ممن وسوس اي اختلط كلامه ودهش بموته وفي الحديث الحمد لله الذي رد
كيده اي الشيطان الي الوسوسة فامره الله تعالى بقوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
متى تحرك عليه صلى الله عليه وسلم غضب على عدوه اورام الشيطان من اغوائه اي حثه
وحمله على فتكه بعدوه ان يستعيذ بربه تعالى منه اي من الشيطان الرجيم فيكفي بالبنا للمفعول
حذف فاعله اختصارا او صونا منه للسان لتعلم به اذ ليس فوقه احد سواه تعالى يكفيه امره ويكون
اي استعاذته منه او كفاية الله له صلى الله عليه وسلم سبب تمام عصمته صلى الله عليه وسلم منه
اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له صلى الله عليه وسلم ويرجع خاسرا داخرا ولم يجعل له قدرة عليه
بالبنا للمفعول له حذف فاعله علي ما مر انفا وكذلك اي وكعصمته صلى الله عليه وسلم من عدوه اللعين
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك تبعيدا له عن ان يجعل اليه ما ليس بحق حقا
ويلبس عليه لا في اول الرسالة لدعوة الخلق الي الحق ولا بعدها لعصمته من ذلك والاعتماد
انتقال من العدة في ذلك اي في عدم صحة تصوره له في صورة الملك دليل المعجزة ما نمى للتثبت
بالعصمة والتاييد له بالحكمة بل لا يشك نبي من الانبياء في ان ما ياتيه من الله هو الملك ورسوله
اي الذي هو رسوله اليه بالوحي فهو عطف تفسيري اذن بانه لا ياتيه به من الله سواه وان كان قد
اتاه من الملئكة غيره لزيارة او غيرها حقيقة لعدم شكه في ذلك اما بعلم ضروري يخلقه الله له فيه
او برهان اي دليل قاطع يظهر لديه يؤذن بحقيقة ايذانه اليه من الله لتتم كلمة ربك اي لتبلغ
الغاية في اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام
ونصبهما اما على التمييز او المفعولية او الحال لا مبدل لكلماته اي مما تكلم تبارك وتعالى به او الظاهر
اي لا احد يبدل منها شيئا باصدق واعدل منه او لا قدرة له على تحريفها كما حرف التوراة ان اريد
بها القران حفظا من الله له او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها فان قيل فما معنى
قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فرق بينهما بان الرسول من جمع الي المعجزة كتابا
انزل عليه كموسى والنبي من امر ان يدعو الي شريعة من قبله ولم ينزل عليه كتاب كيوشع او الرسول
من بعث بشريعة والنبي يعمه ومن بعث لتقرير شرع سابق ممن كان بين موسى وعيسى صلى الله وسلم
عليهما من انبياء بني اسرائيل الا اذا تمنى اي زور في نفسه ما يشتهيه راغبا في حصوله القى الشيطان
في امنيته ما يشغله به عن استغراقه فيما افيض عليه من سوابغ العوارف ونوابغ المعارف لشهادة
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله
ويذهبه ويعصمه من الركون اليه بارشاده الي ما يرجحه ثم يحكم الله اياته اي يثبتها باعثة له الي
استغراقه في امور الاخرة فاعلم يا من يابي توجيه الخطاب اليه ان للناس في تاويل معناه اقاويل
جملة ان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم منها اي الاقاويل السهل والوعث هو في الاصل
الرمل يشتد فيه المشي ويشق يقال رمل اوعث ورملة وعثا وفي الحديث اللهم
انا نعوذ بك من وعثاء السفر اي شدته ومشقته وفيه مثل الرزق كمثل حائط له باب فما حول
الباب سهوله وما حول الحائط وعث ووعر والسمين والغث اي الهزيل وفي الحديث ام زرع زوجي

لم جمل غث اي مهزول وفيه ولا بعث طعامنا تغثيثا اي لا يفسده يقال غث يغث وغث في قوله
واغث اذا افسده واولي الاقاويل ما يقال فيها اي في الاية ما عليه الجمهور اي الاكثر من المفسرين
وجمعه جماهير ومنه قول ابن الزبير لمعاوية انا لا ندع مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصه جمع
مشقص وهو نصل السهم اذا كان طويلا بلا عرض ان التمني هنا في الاية التلاوة وامنيته اي قراته
وفي مرثية عثمان رضي الله عنه • تمني كتاب الله اول ليلة • واخرها لاقى حمام المقابر • ومن كتاب
عبد الملك بن مروان للحجاج اذ شكا منه انس بن مالك يا ابن المتمنية اراد امه الفريعة بنت همام القايلة
• هل من سبيل الى خمر فاشربها • ام من سبيل الى نصر بن حجاج • هو رجل جميل من بني سليم
افتتن به النساء في خدر ورهن فحلق عمر راسه ونفاه الى البصرة فبهذا كان تمنيها الذي شتمها به عبد
الملك وقال له عروة بن الزبير ان شئت اخبرتك من لا ام له يا ابن المتمنية وانشد رجل النبي صلى الله عليه وسلم
• لا تامنن وان امسيت في حرم • حتى تلاقي ما يمني لك الماني • فالخير والشر مقرونان في قرن • بكل ذلك ياتيك الجديدان
اي حتى تلاقي ما قدر لك المقدر وهو الله تعالى والقاء الشيطان فيها اي في تلاوته شغله مصدر
مضاف الى فاعله اي شغل الشيطان التالي بخواطر وردت من حديث النفس واذكار من امور الدنيا
للتالي مناسبة لا ريبة فيها ولا توصيم حتى يدخل عليه علة الشغل بما ذكر ويدخل لازم فاعله الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك اي غير الوهم والنسيان على افهام السامعين من التحريف
وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه اي يحوله من باطل التوهيم الى حق التفهيم ويكشف لبسه
ويحكم اياته اي يثبتها على ما مر هذا ودع ما قيل في هذه الاية من كلام بعضهم وسيرد عليك
قصة سليمان صلى الله عليه وسلم فلا داعي الى ايراد ما ذكر هنا وقال مكي في قصة ايوب في
قوله اني مسني الشيطان بنصب بضم النون وقرا يعقوب بفتحها كرشد ورشد اي بتعب وعذاب
حكاية لما نادى ربه به ولولا هي لقال بانه مسه لغيبته لا يجوز لاحد ان يتاول الاية بان ايه ان
الشيطان هو الذي امرضه والقى في بدنه لعدم قدرته على ذلك مع انه لا سلطة له على انبيا
الله ليقضي من نصبهم وعذابهم وطره اذ لو قدر عليه لم يدع صالحا الا نكبه ولا يكون ذلك الذي
اصابه من المرض والضر الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم بالعصمة ويؤيدهم بالحكمة
واسناد المس الى الشيطان مجاز مراعاة للادب مع ربه وفي نسخة ويثيبهم اي على بلايهم ثوابا جزيلا
وثناء جميلا قال مكي وقيل ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله رحمه بنت افرايم بن
يوسف من اغرائه لها على تركه وكراهته والتبرم منه لما نزل به من عظيم البلا فان قلت فما معنى
قوله تعالى حكاية عن يوشع بن نون وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره بدل من مفعول
انسانيه اي ما انساني ذكره لك الا عدو الله وما معنى قوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان
ذكر ربه بتذكيره له لا على سبيل الوسوسة بخواطر مما يورثه ان يكل امره الى غير ربه مستعينا
به في خلاصه من السجن بشهادة حديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث
سبعا بعد الخمس هذا والاستعانة في كشف الشدايد وان جوزت في الجملة فغير لايقة بالانبيا
وقد عصمهم الله منها وما معنى قول نبينا حين نام عن الصلاة اي صلاة الفجر في الوادي الذي
امر بلالا ان يكلاه فيه الفجر فغلبه النوم حتى مسهم حر الشمس ان هذا واد به شيطان ارحلوا
ثم قضى صلاة الصبح بعد ارتحالهم منه وهو مؤذن بجواز تاخير الفايتة بعذر مخصص لعموم

حديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وما معنى قول موسى
في وكزه القبطي هذا من عمل الشيطان قيل لصدوره منه قبل ان يؤذن له في قتله وغيره من
الكفار ولانه كان مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته صلى الله عليه وسلم وجعله
من عمل الشيطان وتسميته ظلما واستغفاره منه جار على كريم عادتهم استعظام ما تركه اولى من
فعله فاعلم ان هذا الكلام المحكي عنهم صلوات الله وسلامه عليهم قد يرد في جميع هذا اي ما حكي عنهم
على مورد مستمر كلام العرب ودابهم وديدنهم في وصفهم كل قبيح من شخص ومن فعل بالشيطان
او فعله كقبح منظره وفعله في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا خير فيه كما قال الله تعالى
طلعها اي شجرة الزقوم مستعار من طلع النخل لمشاركته في شكله كانه رؤس الشياطين لتناهي
قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييل كتشبيه فايق في الحسن بملك كريم قال تعالى ان هذا الا ملك
كريم وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان فيمن يريد ان يجتاز بين يدي المصلي فليقاتله فانه
شيطان شبهه به تقبيحا لمروره بين يديه لمشابهته فعله في القبح لشغله خاطره واذهابه
خشوعه به وايضا من اض اذا رجع اي نرجع ونقول فان قوله يوشع وما انسانيه الا الشيطان
لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت اي وقت كونه في خدمة موسى اي لم تظهر
له فيه نبوة مع موسى حال من ضمير له افادت بيان كونه في خدمته بشهادة ما قال تعالى واذ
قال موسى لفتاه بل يلزمه الجواب عنه اذ هو ممن قال بعصمة الانبيا قبل النبوة وبعدها فلا
سبيل للشيطان عليه كهم مطلقا وان كان المروي انه اي يوشع انما نبي بعد موت موسى وقيل
قبله صغره تلويحا بقلة زمن نبوته جدا في حياة موسى وجوابه يوخذ مما ياتي عنه وعن موسى
ويجاب عنه ايضا بانه لما شاهد حياة الحوت المملوح الماكول شقه او بعضه وانفتاح الماء
منتصبا كالطاق بنفوذه استغرق بانجذاب خاطره الى جناب قدسه تعالى مستبصرا بما غزاه
من مشاهدة اثار القدرة الباهرة فاشتغل بذلك عن ذكر تلك الحال العجيبة لموسى صلى الله عليه
وسلم عليهما وان كان مثلها لا ينسى ونسبه للشيطان هضما لنفسه وتادبا مع ربه وقول موسى
في وكزه القبطي هذا من عمل الشيطان كان قبل نبوته فعلى ما قاله في يوشع لا يلزمه عن ذلك جواب
وقد اذاك هناك ما اغنى عن ذكره هنا بدليل القران فانه قاض بان قتله اياه كان قبل هجرته
الى مدين وسببا لها وارساله كان بعد رجوعه من مدين الى فرعون وقصة يوسف اذ كان في
السجن وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك قد ذكر انها كانت قبل نبوته صلى الله عليه
وسلم فلا يلزمه كما قال انفا جواب عنها وقد تلي عليك ما قلناه فيما مر وقد قال المفسرون في
قوله فانساه الشيطان ذكر ربه اذ قال له يوسف اذكرني عند ربك قولين احدهما ان الذي
انساه الشيطان ذكر ربه اي انساه ان يذكر يوسف لربه هو الساقي احد صاحبي السجن
الذين دخلاه واضافة المصدر هنا الى ربه وان لم يكن الى فاعل ولا مفعول فهي لملابسته له بتقدير
ذكره لربه او عند ربه او ذكره اخبار ربه بحذف مضاف اعني اخبار مصدر اخر وربه هو سيده
الملك اي انساه اي انسى الشيطان الساقي ان يذكر للملك شان يوسف لينجيه من السجن
وايضا ان مثل هذا النسيان من قبل الشيطان حال من اسم افادت كونه منه ليس تسلط منه
على يوسف ولا على فاه وفاده يوشع بوساوس ونزغ لرفعة منصبهما عن ان يكون له عليهما سلطان

ودلمة

وانما هو يشغل خواطرهما لا على سبيل الوسوسة بل بامور اخر ترد على خواطرهما وتذكيره
اياهما من امورهما ما ينسيهما بشغلهما عن ما نسيا اي نسي يوسف بشغل خاطره على ثاني
القولين ذكر الله لاستعانته بغيره في خلاصه بقوله اذكرني عند ربك ونسي يوشع به ذكر
شان الحوت لموسى ونسبه للشيطان بقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ولم يجعل
له عليهما كغيرهما من الانبيا سبيلا واما قوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم عن ابي هريرة
حين نام عن الصلاة في الوادي ان هذا واد به شيطان فليس فيه ما يفهم منه ذكر تسلطه
عليه ولا وسوسته له لنزاهة ساحة شرفه عن ان يضرب عنه والله سرادق وسوسته بافنية
شرف ولي الله صلى الله عليه وسلم بل ان كان اي ذكر تسلطه عليه في الحديث بمقتضى ظاهره
فقد بين صلى الله عليه وسلم فيه امر ذلك الشيطان بقوله في رواية مالك عن زيد بن اسلم
والبيهقي ان الشيطان اتى بلالا اذ قال صلى الله عليه وسلم له اكلا لنا الفجر فلم يزل يهدئه
اي يسكنه عن الحركة ويغري به سوام النوم كما يهدا الصبي في مهده حتى نام فلم يستيقظوا حتى
ضربهم حر الشمس فقال ما هذا يا بلال فقال أخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك يا رسول الله فاعلم
ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي الذي عرس به هو واصحابه حين قفلوا من غزوتهم
انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر اي حراسته ليخبرهم بطلوعه هذا اي ما ذكر من ان
تسلط الشيطان بالوادي انما كان على بلال ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوادي
به شيطان تنبيها على انه ذو سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه اي جعلنا قوله صلى الله
عليه وسلم ان هذا الوادي به شيطان تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة
به وهو اي جعله تنبيها وعلة لتركها به دليل مساق حديث مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم فلا
اعتراض في هذا الباب اي باب كون الشيطان هل له على الانبيا سبيل ام لا لبيانه اي بيان
كون الشيطان في حديثهما عن زيد وصراحته بان الشيطان انما اتى بلالا دونه صلى الله عليه
وسلم وارتفاع اشكاله الناشي من احتمال تسلطه عليه صلى الله عليه وسلم فصل
واما اقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلايل الواضحة من الايات الباهرة والبراهين القاطعة
بصحة المعجزة كانشقاق القمر اذ سألوه اية فاشار اليه فانفلق فلقتين قال ابن عباس
ذهبت فلقة وبقيت اخرى وقال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر ومجي الشجر اليه
وحنين الجذع مما دل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما جا به عن ربه تبارك وتعالى مكلفا بتبليغه
امرا ونهيا وغيرهما واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ الى من بعث اليهم انه معصوم فيه من
الاخبار عن شي منها اي مما طريقه البلاغ فلا يخبر عن شي بخلاف ما هو به وعليه لا قصدا
وعمدا ولا سهوا او غلطا بل يخبر عنه على ما هو به اما تعمد الخلف بضم المعجمة وسكون اللام بمعنى
المخالفة في ذلك اي في الاخبار مما طريقه البلاغ فمنتف نفيه لعصمته صلى الله عليه وسلم
بدليل المعجزة القايمة مقام قول الله صدق عبدي ورسولي صلى الله عليه وسلم فيما قال
فهي برهان قاطع بصدقه اتفاقا باطباق اهل الملة الاسلامية اعلا الله كلمتها اجماعا واما
وقوعه اي وقوع ما طريقه البلاغ منه على جهة الغلط في ذلك اي في الاخبار عنه تبليغا
فمنتف ايضا لوروده بهذه السبيل اي بدليل المعجزة القايمة مقام قول الله صدق رسولي

فيما قال عند الاجماع النافيين لاحتمال الغلط والاستاد ابي حامد الاسفرايني ومن تابعه
وقال بقوله ومنتف ايضا لصدوره من جهة الاجماع فقط لانه حجة قاطعة ومنتف من جهة
ورود الشرع بانتفاء ذلك الغلط لشهادة وانك لتهدي الى صراط مستقيم لايجابه بان من
يهدي الى دين الاسلام لا يعروه ومنتف من جهة عصمة النبي صلى الله عليه وسلم قطعا فانتفا وه
من جهة ما ذكر لا من مقتضى دليل المعجزة اهو اي مقتضاها الصدق قطعا تنزيلا لها منزلة
قول الله صدق رسولي ام لا فلا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب الى ما يورث السامة من
الاطناب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه اي النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه
خلف في القول اي خلاف فيه بظهور غيره في ابلاغ الشريعة من امر بتبليغها اياهم لا يجوز
عليهم في الاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه على لسان جبريل لا على وجه
العمد اعاد حرف النفي سابقا ولاحقا تاكيدا لعدم جواز خلفه فيما ذكر ولا على غير عمد
ولا في حال الرضى ولا في حال السخط اي كراهة الشي وعدم الرضى به وعكسه الرضى اي محبته
والطمانينة عليه وفي الحديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك انت كما اثنيت على نفسك قدم صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بالرضى من
السخط تلويحا بان المعافاة تحصل بالرضى ضمنا ولما لم يكن بينهما تلازم لكون الراضي قد يعاقب
عليه لمصلحة كاستيفاء حق الغير ذكرها لدلالة عليها مطابقة وفي رواية قدمها على
الاستعاذة بالرضى من السخط ترقيا الى الاعلى اعني صفات الذات كالرضى والسخط فلما ازداد
يقينا بترقيه مصرا نظره على الذات فقال اعوذ بك منك فلما ازداد قربا عراه الحيا من الاستعا ذة
على بساط القرب فالتجا الى الثنا فقال لا احصي ثنا عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت
كما اثنيت على نفسك ولا في حالة المرض والصحة هو ما يعرض للبدن فيرهقه خروجا عن خاص
الاعتدال ويورثه خللا في الافعال ومتى تنعشه باستقامة تذهب ذلك وفي حديث عبد
الله بن عمرو وهو ابن العاصي بن وايل السهمي الذي رواه احمد وابو داود والحاكم وصححه قلت
يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم جواب قام مقام اكتب عني كلما سمعت مني قلت
في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول ذلك اي في الذي اقوله لعصمته من الزلل في القول
والعمل واتى باسم الاشارة للبعيد ايذانا بورفعة محله في الصدق ولنزد ما اشرنا فيما مضى
قريبا اليه من دليل المعجزة عليه متعلق بنزد اي على ما اشار اليه بيانا فنقول اذا قامت
المعجزة على صدقه اي النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا يقول الا حقا لنزاهته عن لي لسانه في
القول ليظن صدقه فيه ولا يبلغ عن الله الا صدقا لحيازته شرف الامانة وحماية الصيانة
وان المعجزة قايمة مقام قول الله صدق فيما تذكره مما اوحيته اليك لتبلغه عني لمن
ارسلتك اليه وهو اي النبي يقول اني رسول الله ارسلني على لسان جبريل اليكم لابلغكم ما
ارسلت به من عنده تعالى اليكم وابين لكم ما نزل عليكم لتعلموا به فتفوزوا بكرم السعادة
وشرف السيادة وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر منه مما اتاكم به من القران عن هواه
ورايه ان اي ما هو الا وحي من عند الله يوحى اليه صلى الله عليه وسلم على لسان الملك جبريل
وقد جاكم الرسول بالحق من ربكم شهادة له صلى الله عليه وسلم من ربه بمجيئه بالحق من عنده

واكرم بها شهادة ما اعظمها هذا وابيك الشرف وما اتاكم الرسول بالحق من ربكم شهادة له صلى
الله عليه وسلم من ربه بمجيئه بالحق من عنده واكرم بها شهادة ما اعظمها هذا وابيك الشرف
وما اتاكم الرسول فخذوه وتمسكوا به لوجوب طاعته وما نهاكم عنه فانتهوا عن قربانه فلا
يصح ان يوجد عنه في هذا الباب اي باب البلاغ عن ربه خبر بخلاف مخبره بضم اوله وفتح
ثالثه اي مخالف لما اخبر به صلى الله عليه وسلم على اي وجه كان الخبر من مخبره فلو جوزنا
عليه صلى الله عليه وسلم الغلط والسهو وقد حماه الله منهما فيه حفظا لرفيع منصبه
وعظيم قدره لما تميز لنا خبره صلى الله عليه وسلم من خبر غيره لاحتمال احدهما فيه
ولاختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما من الآخر فالمعجزة بهذا الاعتبار مشتملة على
تصديقه جملة واحدة من غير خصوص بعاضد من برهان او غيره فتنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم فيما تنزيهه البلاغ عن ذلك كله اي عن الاخبار بشيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا
ولا سهوا وغلطا واجب برهانا واجماعا اي بهما فنصبهما بنزع الخافض كما قاله الاستاذ
ابو حامد الاسفرايني من ان وقوع ما طريقه البلاغ على جهة الغلط منتف بدليل
المعجزة لقيامها مقام قوله تعالى صدق رسولي فيما قاله فصل قد توجهت هنا
لبعض الطاعنين في المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة صلى الله عليه وسلم سؤالات
جمع سؤال وهو الطلب ثم قد يكون على التعلم والتبيين مما تمس الحاجة اليه مأمورا به وجوبا وندبا
او مباحا او على التكلف والتعنت منهيا عنه تحريما ومكروها كما هنا وقد ورد في كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فما وقع عن جوابه سكوت فهو ردع وزجر لسائله كسكوته صلى الله عليه
وسلم عن جوابه لعاصم اذ سأله عمن يجد مع اهله رجلا واعراضه عنه عقوبة له وسترا
للعورة وما وقع عنه جواب فهو عقوبة وتغليظ كقوله لا تسألوا عن اشياء ونهيه صلى الله
عليه وسلم عن كثرة السؤال وفي رواية عن كثرة المسائل منها ما رواه ابو جرير والمنذر وابي
حاتم بسند منقطع عن سعيد بن جبير انه صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وقال افرأيتم اللات
صنم كان لثقيف بالطائف او بنخلة لقريش وهي مؤنثه من لوى كانهم كانوا يلوون عليه ن
ويعكفون للعبادة لها او يلتوون عليها او يطوفون والعزى تانيث الاعز سمرة كانت لغطفان
تعبدها بعث اليها كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها ومناة
صخرة كانت هذيل وخزاعة تعبدها الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد والاخرى من
التاخر في الرتبة ذما لها اي المتاخرة الوضيعة المقدار قال تلك الغرانيق العلا جمع غرنوق
بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون ويقال غرنيق بضمها مع فتح النون وهي في الاصل
الذكر من طير الماء العظيم الجسم الطويل العنق سمي به لبياضه ويقال ايضا للشاب الناعم الابيض
غرنوق اريد بها هنا الاصنام اذ كانوا يزعمون انها تقربهم الى الله بشهادة انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى فشبهوها بالطير التي تعلو وترتفع في السما فاستعير لها اسمها
استعارة تحقيقية مجردة مما يلائم المشبه به من صفاته اعني العلا جعلا لها ادعا من
افراد المشبه به وصرفا للنفس عن توهم التشبيه فصار لحق البلاغة وان شفاعتها
لترتجى من رجاه يرجو رجوا ورجا ورجاة ورجاوة وهمزته منقلبة عن واو وبشهادة ظهورها في

المصدر اي شفاعتها يتوقع ويؤمل في النجاة وزعم الذنوب والجرائم ويروى ان شفاعتها ترتضى
فتقبل ذي الحديث اذا بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفع اي من يقبلها ومن
يقبل منه هذا وباقي الروايات معناها غني عن البيان فلما ختم السورة اي سورة النجم سجد
وسجد معه جميع من كان حاضرا المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم بقوله تلك الغرا نيق
العلا وان شفاعتها لترتجى ومنها ما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على
لسانه فسبق لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا وغلطا فقال تلك الغرانيق العلا وان شفا عتها
لترتجى ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه ونبهه جبريل كما سيأتي وكان ذلك ابتلاء
ومحنة لمن حضر ليظهر الثابت منهم على ايمانه والمتزلزل فيه فازداد الثابتون عليه نورا
وايقانا والمتزلزلون فيه ظلمة وكفرانا وانه صلى الله عليه وسلم كان لحرصه على اسلام قومه
تمنى ان لو نزل عليه شيء مما يوحى اليه يقارب بينه وبين قومه ويتخذه وسيلة الى استما لهم
واستنزالهم عن غيهم وعنادهم وفي رواية كان تمنى ان لا ينزل عليه ما ينفرهم عنه ولم
ينزل تمنيه به حتى نزلت سورة النجم وهو بناديهم وذكر اي صاحب هذه الرواية هذه القصة
اي قصة قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم وقوله ذلك وسجوده وسجود من حضره
مسلما وكافرا وذكر ايضا ان جبريل جاءه فعرض عليه السورة اي سورة النجم فلما بلغ الكلمتين
تلك الغرانيق العلا وان شفاعتها لترتجى قال اي جبريل له صلى الله عليه وسلم ما جئتك
بهاتين فحزن لذلك فانزل الله تعالى عليه تسلية مفعول لاجله انزال وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا آية قد ذكرنا فيها فيما مر ما اغنى عن اعادته هنا وروى ابن
جرير وسعيد بن منصور عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ناد لقريش كثير اهله فتمنى يومئذ ان لا ياتيه من الله ما ينفرهم عنه فانزل والنجم فقراها
فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة القى الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق
العلا وان شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى فقرا حتى ختمها فسجد وسجد واسمعه جميعا ورضوا
بما تكلم به فلما امسى اتاه جبريل فعرضها عليه فلما بلغ تلك الغرانيق العلا قال ما جئتك
بهذا فقال افتريت على الله وقلت ما لم يقل فما زال مغموما حتى نزل وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي فطابت نفسه وانزل عليه ايضا وان كادوا ليفتنونك ان هي المخففة من الثقيلة
بشهادة اللام في خبرها الفارقة بينها وبين ان النافية اي ان الشان قاربوا ان يخدعوك
فاتنك عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره
واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي لتتقول علينا
ما لم نقل يعني ما ارادته منه صلى الله عليه وسلم قريش من تبديله لهم الوعد وعيدا فالوعيد
وعدا بقولهم له اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك وما اقترحته
ثقيف عليه من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه بقولهم له لا ندخل في امرك حتى تعطينا
ما نفتخر به على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا للغير
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول بل ترسل
انت عليها من يكسرها وان تمنع من قصد وادينا وج يعضد شجرة فاذا سالتك العرب لم

فعلت ذلك فقال امرني الله ثم جاوا بالكتاب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول
لا تعشرون ولا تحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا
للكاتب اكتب ولا يجبون وهو ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر فسل سيفه
وقال سعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا
فنزلت وتقليل الكيد ودة مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب مضاعفا في الدارين ه
موذن بان فعل ما لا يليق بفاعله يعظم قبحه بمقدار شانه وارتفاع منزلته فاعلم اكرمك الله
بانواع المبرات ان لنا في الكلام على هذا الحديث ماخذين نمنع بهما من يتشبث بهذه
الروايات او يثق بها من اخذت على يد فلان اذا منعته عما يريد فعله كانك امسكت يده
احدهما في توهين اصله اي تضعيفه والماخذ الثاني على تقدير تسليمه تنزلا وارخا للعنان
اما الماخذ الاول فيكفيك في توهينه ورده ان هذا حديث من وضع اسم الاشارة
موضع الضمير تلويحا بتمييزه اكمل تمييز ليجتنب اذ لم يخرجه احد من اهل الصحة ممن
يعتمد في رواية الحديث ولا رواه ثقة بسند سليم من التوهين والعلة والاضطراب
ولا رواه ثقة بسند متصل الى قائله وانما اولع من اولعه بكذا فهو مولع بفتح اللام اي اغري
به المفسرون لكلام الله تعالى والمورخون المولعون بكل غريب ترغيبا للنفس واستمالة
لما ترتاح اليه لغرابته الملقفون من الصحف كل صحيح وسقيم لا وثاقة به ولقد صدق
القاضي بكر بن العلا المالكي لقد بلي الناس اي امتحنوا واختبروا ببعض اهل الاهوا والتفسير
يانونهم بغرايب منمقة واكاذيب ملفقة تروج على المزجي بضايعهم ووهي صنايعهم وتعلق بذلك
بحديث سورة النجم الملحدون المايلون عن الحق الى اهوية انفسهم مع نقلته واضطراب رواياته
لعدم عزوها الى مامون وانقطاع اسناده عن وصله الى قائله واختلاف كلماته الموذن بتحايل
وضعه فقايل يقول انه صلى الله عليه وسلم قراها في الصلاة واخر يقول تمادي به ما تمناه
حتى نزلت السورة قالها اي المقالة لما قراها في نادي قومه حتى نزلت عليه في ناديهم
واخر يقول قالها وقد اصابته سنة من النوم واخر يقول بل حدث نفسه الشريفه
صلى الله عليه وسلم بتلك المقالة فسهى فقالها حين قرا السورة واخر يقول ان الشيطان
قالها على لسانه صلى الله عليه وسلم حين قراها لخيل لمن حضره انه هو الذي قالها وانه
صلى الله عليه وسلم لما عرضها اي السورة على جبريل قالها قال اي جبريل له ما هكذا
اقراتك فحزن صلى الله عليه وسلم لذلك كما مر واخر يقول بل اعلمهم الشيطان انه صلى
الله عليه وسلم قراها اي المقالة مع السورة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
اي اعلام الشيطان لهم انه صلى الله عليه وسلم قراها قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك
من الاقوال الموذنة بان للشيطان عليه سبيلا انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين كبني جرير والمنذر وابي حاتم
ومن التابعين كالزهري وابي بكر بن عبد الرحمن بن هشام وسعيد بن جبير
لم يسندها احد ولا رفعها الى صاحب لها قد قالها واكثر طرقها عنهم اي عمن ذكرنا من الايمة
الاعلام ضعيفة غير مرضية لا يعول على شي منها اذ هي من فرط ضعفها واهيه اي مسترخيه

لا تمسك ولا وثوق والمرفوع فيه اي فيما ذكر من قصة سورة النجم حديث شعبة بن الحجاج عن
ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب اي اظن بدون تيقن مني اذ وقع
الشك في الحديث اي حديث شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة اي
قصة نزول سورة النجم وهو في نادي قومه بعد التمنيه ان لا ينزل عليه ما ينفر قومه
عنه او ينزل عليه ما تطيب نفوسهم عسى ان يومنوا فنزلت عليه سورة النجم فقراها
فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة قال تلك الغرانيق العلا ففرح المشركون ثم ختمها
وسجد وسجد من حضر مسلمون وكفارا قال البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عنه صلى
الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره ويعتمد عليه الا هذا الاسناد الى ابن عباس
ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد واما غيره اي غير امية ممن رواه فانه يرسله
عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم مسقطا لمن رواه عنه من اصحابه كابن عباس
وانما يعرف عن الكلبي لقبه واسمه باذان او باذام مولى ام هاني بنت ابي طالب عن عباس
موقوفا عليه فقد بين لك ابو بكر يعني البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا
اي سوى طريق شعبة لقوة اسناده اذ كل رجاله ثقاة وفيه اي في حديث شعبة من الضعف
ما نبه عليه البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره واختلاف كلماته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده وارساله واختلاف مواطن قراتها اكانت كما مر في الصلاة ام
في نادي قومه ام في سنة من النوم ام حدث به نفسه فسهى ام قالها الشيطان على لسانه
وانكرها جبريل اذ عرضها عليه ام اعلمهم الشيطان انه صلى الله عليه وسلم قراها هذا
هذا مع ما وقع فيه كما مر من الشك الذي لا يوثق به ولا حقيقة لصحته الحديث معه
واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه اي عن الكلبي مطلقا ولا ذكره اي ذكر حديثه هذا
لقوة ضعفه وكذبه كما قال الجوزجاني وقال ابن معين ليس بثقة وقال البخاري تركه القطان
وابن مهدي وقال ابن حبان مذهبه في وضع الكذاب اظهر من ان يحتاج الى الاغراق في وصفه
يروي عن ابي صالح عن ابن عباس التفسير وابو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من ابي صالح فكيف
يحتج به وقال ابن عدي وقد حدث عن الكلبي الثوري وشعبة وغيرهما ورضوه في التفسير
واما في الحديث فعنده مناكير سيما اذا روى عن ابي صالح عن ابن عباس والذي منه اي من حديث
سورة النجم في الصحيح من رواية الشيخين وغيرهما عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا والنجم اي السورة المسماة به لذكره فيها وهو بمكة جملة حالية من ضمير قرا افادت قراته لها
فسجد معه المسلمون والمشركون ممن حضر والانس والجن تفسير لما قبلهما هذا توهينه
من طريق النقل عن الايمة الاعلام من اوهيته اذا اضعفته وفي حديث عمران بن حصين
دخل عليه فلان وفي عضده حلقه او في يده خاتم من صفر فقال ما هذا فقال هذا من
الواهنة قال اما انها لا تزيدك الا وهنا هي عرق ياخذ من المنكب او في اليد كلها فيرقى منها
او هي مرض ياخذ في العضد وربما علق عليه نوع من الخرز يقال له خرز الواهنة وانما نهاه
عن ذلك حذرا من ان يعتقد انها المعاصمة من الالم مع انها من التمايم المنهي عنها فاما توهينه
من جهة المعنى فقد قامت الحجة القاطعة بما يوذن بضعفه كيف واجمعت الامة على عصمته

صلى الله عليه وسلم مما لا يليق بجنابه صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة من ان
يتقول على الله ما لم ينزله عليه المتوكدة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا مما لا ينفر قومه
عنه من مدح آلهة غير الله تبارك وتعالى وهو كفر يربا شريف مقامه صلى الله عليه وسلم
عن ان يتسم به او ان يتسور اي يتسلق ويرتفع عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى
يجعل فيه ما ليس منه مع عصمته صلى الله عليه وسلم ان يكون عدو الله له على سبيل ويعتقد
ان من القران ما ليس منه حتى ينبهه جبريل صلى الله وسلم عليهما وحاشاه صلى الله عليه
وسلم ان يتسم بشيء من ذلك بل ذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم لنزاهة رفيع
منزلته وبعد كرم درجته عنه او يقول صلى الله عليه وسلم ذلك من قبل نفسه عمدا
اذ ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وذلك اي ما يقوله من قبل نفسه عمدا كفر او سهوا
عطف على عمدا قد حماه الله تعالى واعاذه من ذلك اذ هو معصوم من هذا كله بحماية الله
ورعايته له وقد قررنا غير مرة فيما تقدم بالبرهان المبين والدليل المستبين والاجماع المتين
عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه ولسانه فضلا عن استقراره لا عمدا ولا
سهوا تاكيد لما افاده ما قبله من نفي جريان الكفر عليه صلى الله عليه وسلم وعصمته من ان
يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقيه عدو الله الشيطان لما في قلبه صلى الله عليه
وسلم من الايمان وخاطره اليقظان او يكون للشيطان عليه سبيل اذ لم يجعل الله له على عباده
سلطانا او ان يتقول اي يتكلف القول ادعاء على الله لا عمدا ولا سهوا تاكيد لما افاده ما قبله من
نفي التقول على الله ما لم ينزل صلى الله عليه وسلم وقد قال الله ولو تقول اي افتعل من القول عليه
علينا بعض الاقاويل جمعها مصغرة تحقيرا لها كانها جمع افعولة اي ولو ادعى علينا ما لم يقل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي ثم لقتلناك صبرا معالجة تسخطا وانتقاما
كما يقتل الملوك من يكذب عليها فصور قتل الصبر بصورته وهو اخذه بيمينه لضرب عنقه
ليكون اهول وخص اليمين بالاخذ ليسهل على القاتل قتله ولامها ولام الوتين عوض عن
الضمير اي لاخذنا بيمينه ولقطعنا وتينه وهو حبل الوريد ويسمى نياط القلب متى
قطع مات صاحبه وقال تعالى لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك لو قاربت
ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي مضاعفين عذابا في الممات
وهو عذاب القبر وفي حياة الاخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كما في
فاتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصله عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في المما
فحذف الموصوف واقيمت صفته مقامه فورثت منه الاضافة فقيل ضعف الحياة وضعف
الممات ووجه ثان لتوهين ما زعم من انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم فلما انتهى الى افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى
وهو اي الوجه الثاني استحالة هذه القصة مرشدا الى بيان امتناع وقوعها منه صلى الله
عليه وسلم لعصمته من ان يمدح الهته بمقعد هو المدى قصي • مقعد ذي قاذورة مقلي •
من القلا وهو الهجر واستحالتها عرفا من مجاري شريف عوائد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
من انهم لا يصدر عنهم الا ما يليق برفيع مقامهم وذلك ان هذا الكلام اي تلك الغرانيق العلا

وان

وان شفاعتهن لترتجى وغيره مما مر من الروايات السابقة لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
بينه وبين كلامه تعالى الذي قطعت بلاغته كل منطيق واخرست فصاحته كل شقشيق
متناقض الاقسام لمنافرته لكلامه تعالى من حيث انه يصير ممتزج المدح بالذم على وجه
بوها فيه اذ يلزم من وصفها بكونها علا مرجوة الشفاعة مدحها ومن وصفها بكونها آلهة
اندادا لله تعالى شركاء له ذمها ويصير متخاذل التكليف والنظم لعدم وروده متآلف الكلما ت
مترتبة المعاني متناسقة الدلالات من خذله اذا ترك نصرته اي متنادكا نصرة بعضه
بعضا لانتفاء التوافق بتناقض الاقسام وامتزاج المدح بالذم ولما بفتح لامه وتخفيف ميمه
كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين من قريش
وغيرهم ممن يخفى عليه ذلك القول انه صدر بعد قراءته افرايتم اللات والعزى ومناة
منه صلى الله عليه وسلم او من غيره وهذا اي قول تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى
ترتضى لبعد التئامه وتناقض اقسامه وامتزاج المدح بذمه وتخاذل تاليفه ونظمه
لا يخفى على ادنى متامل في توهينه وتزييفه فكيف بمن هو حقيق خليق بمعرفته بمجرد
سماعه بلا تامل وتروٍ ممن رجح حلمه اي تانيه وتثبته في الامور وهو من شعار العقلاء اي
لبه وعقله وفي حديث صلاة الجماعة ليليني منكم اولو الاحلام والنهى اي ذوو الالباب
والعقول واتسع في باب البيان اي في المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وفي معرفة فصيح
الكلام علمه بقوة فهم وذكاء قلب وفطرة وقادة وفطنة نقادة وجه ثالث لتوهينه ايضا هو
انه الضمير للشان يفسره قد علم من عادة المنافقين ممن باض النفاق في قلبه وفرخ الخبيثة
في سعيه وعلم من عادة معاندي المشركين ممن اثمر عنادهم البعد عن رحمة الله بشركهم وضعفة
القلوب والجهلة من المسلمين ممن استولى عليهم الجهل فاضعف قلوبهم واعمى ابصارهم فهم في
جهلهم يعمهون نفورهم مفعول علم مبنيا له قائما مقام فاعله لاول وهلة اي في اول ساعة
ومجرده بلا تامل وتفكر من سماع متباين نظما متناقض تركيبا متخاذل تاليفا متعاند ترتيبا
وقد علم تخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة انتهازا للفرصة واغتناما
لابراز العداوة في معرض السداد والعناد وتعييرهم المسلمين باتباعهم الهدى والشمات بهم
جمع شامت من الشماتة اعني فرح العدو بما يرهق من عاداه من ريب الزمان ونوائبه وفي خبر
الدعاء ولا تطع في عدوا ولا شامتا الفينة بعد الفينة بفاء فتحتية فنون اي يشمتون بهم الحين
بعد الحين بما يمتحنهم الله به تعظيما لاجورهم ورفعا لدرجاتهم وفي الحديث المؤمن خلق مفتنا
اي ممتحنا بمحنة اختبارا بالفتنة وارتدادا اي رجوع من في قلبه مرض عن الاسلام الى الكفر
ممن اظهر الاسلام ولم تخالط قلبه بشاشته فرجع عنه لادنى شبهة عرضت له لضعف يقينه ومع
ما ذكر من اتسامهم بما يؤذن بعداوتهم له صلى الله عليه وسلم ولمن امن معه لم يحك احد ممن عاداه
صلى الله عليه وسلم في هذه القصة الضعيفة الاصل الركيكة القول المتناقضة التاليف
المنزه لسانه صلى الله عليه وسلم عن ان يتفوه به ولو كان ذلك قد وقع لوجدت قريش بها على
المسلمين الصولة اي السطوة والقهر لشدة شكيمتهم ولكونه عندهم مدخلا لهم يتسلقون به
الى ترويج هواهم وترجيح منامهم ولاقامت اليهود عليهم اي على المسلمين الحجة بانه قرآن نبيكم

مدح به آلهتهم فلو لم يكن حقا لما مدحها به كما فعلوا مكابرة في قصة الاسرى فانهم انكروه حين
حدثهم به فكانوا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا منكرا حتى كانت في ذلك لبعض
الضعفاء ردة الى الكفر بعد ايمانه لتزلزله وكذلك اي ومثل قصة الاسرى به ما روي
في قصة القضية بالحديبية من وهن ايمان بعضهم اذ رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل خروجه اليها كان واصحابه قد دخلوا مكة امنين محلقين ومقصرين فقص
صلى الله عليه وسلم رؤياه عليهم ففرحوا واستبشروا وظنوا منهم انهم داخلوها في عامهم
ذلك فانها رؤيا حق فلما صدوا قال منهم النفاق ورأسه ابن ابي سلول وابن نفيل
ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام ولم يدروا انهم يدخلونها في
العام القابل فاعتراهم الشك جملة ولا فتنة اعظم من هذه البلية اي مما اختلق عليه صلى الله
عليه وسلم انه قرأه في تلاوة سورة النجم لو وجدت لقويت صولة قريش واشتدت شكيمتهم
ولقامت لليهود الحجة لكن لم توجد فلم يكن لهم ذلك فاشتد تناقض المقدم انتج نقيض
التالي ولا تشغيب اي تهييج للشر والفتنة للعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت
وقوعا لتعلقوا بها الى منامهم واثبتوا بها متمنياتهم فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بسببها بنت شفة مما يخرج من بين الشفتين من الكلام فدل عدم رواية شيء من ذلك على بطلها
اي على بطلان ما نسب اليه صلى الله عليه وسلم من قراءة تلك الغرانيق واجتثاث اصلها اي
قلعه من سنخه ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث اي حديث تلاوته
صلى الله عليه وسلم سورة النجم وادخال ذلك فيه على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على بعض
ضعفاء المسلمين وجه رابع لتضعيف ذلك ذكر الرواة لهذه القصة اي رووا لما ذكروا
ان فيها نزل وان كادوا ليفتنونك الايتين المتقدم بيانهما ومما ترد ان الخبر الذي روي
من انه صلى الله عليه وسلم مدح آلهتهم لافتضاحها بانهم كادوا يفتنونه حتى يفتري ويتقول
مختلقا لهم ما لم ينزل عليه حيث قالوا اجعل لنا اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى
نؤمن بك والله تبارك وتعالى لولا ان ثبته لكاد يركن اي لقارب ان يميل اليهم فمضمون هذا
الكلام ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري حين اراد وامنه ان يبدل الوعد وعيدا والوعيد
وعدا وثبته حتى لم يركن اليه شيئا قليلا فكيف يتاتى ركونه اليهم حال يرد شيئا كثيرا فهو
انكار لركونه بانكار حاله التي يرد عليها بطريق الكناية على وجه برهاني اذ بانتفاء حاله يلزم انتفاؤه
وهم يروون اي الواو للحال اي وهم راوون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح
آلهتهم وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك وانه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال اذ قال
له جبريل ما جئتك بهذا افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا الذي رووه في اخبارهم الواهية
عنه صلى الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية يعني عدم ركونه اليهم قليلا مع قوله ذلك مدحا
لآلهتهم وهي بصريح مفهومها تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له لاضطراب رواياته فهو
لما اوهن من بيت العنكبوت ومثله اي مفهوم الاية مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل
الله عليك ورحمته بعصمته اياك وصرفه عنك ما يرغبك وحملك على ما ارادوه منك لهمت
طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضا بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان صاحبهم هو

الجاني بشهادة ان فريقا منهم كانوا يعلمون كنه القضية وما يضلون الا انفسهم لاحاطة وباله
بهم وما يضرونك من شيء لانك ان حكمت بظاهر الحال ولم يخطر ببالك ان باطن الامر بخلافه
وقد روي عن ابن ابي حاتم وغيره عن ابن عباس كلما كان في القران كاد اي وما تصرف منها فهو
ما لا يكون لافادته القرب من الشيء ولم يقع قال تعالى يكاد سنا برقه مقصورا اي ضوءه يذهب
بالابصار ولم يذهب بها لاشرافها على الذهاب به ولم يذهبها ان الساعة اتية اكاد اخفيها اي
فلا اقول هي اتية لفرط ارادتي اخفاها ولم يفعل اي ولم يخفها فكني به عنه قال القشيري ولقد
طالبته قريش من القرش وهو الجمع يقال فلان يقرش المال اي يجمعه فسموا قريشا لما جمع
قصي لهم في حرم مكة بعد تفرقهم في القبايل فسمي مجمعا او باسم دابة في البحر تاكل دوابه ولا كل
وتعلوا ولا تعلى وهذا شانهم ودينهم وطالبته ايضا ثقيف اذ مر بآلهتهم التي كانوا يعبدونها
من الانصاب ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل اي ان اقبل اليها فما فعل ولا كان
ليفعل امتثالا لقوله والرجز فاهجر اي اترك عبادة الاوثان غير مكترث بما وعد وكل من الايمان
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقال ابن الانباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم الركون
الى الكفرة ولا ركن اليهم فيما راموه منه وقد ذكر في معنى الاية يعني وان كادوا ليفتنونك عن
الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا تفاسير اخر رفضنا لما
فيها من سفساف امور ما ذكرنا من نص الله على عصمته يرد سفسافها اي حقيرها ورديها وهو
ضد المكارم والمعالي واصله ما يطير من غبار الدقيق من نخل والتراب اذا اثير وفي الحديث
ان الله يحب معالي الامور ويبغض سفسافها وفيه ان الله رضي لكم مكارم الاخلاق وكره لكم سفسافها فها
فلم يبق في الاية اي وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الا ان الله امتن على رسوله
بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا اي ارادوا به من فتنته ليفتري لهم على ربه تعالى
غيره ومرادنا من ذلك الذي ذكرنا تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم مما لا يليق بكريم ذاته
صلى الله عليه وسلم وهو اي ما ذكرناه مراده مفهوم الاية لا ما ذكر فيها من سفساف واما المأخذ
الثاني في الكلام على مشكل ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة
النجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح من طريق من طرقه مع كثرتها واختلاف الفاظها وقد اعاذنا الله
من صحته فلم نرتب في بيان الحق والاظهار تنزيهه له صلى الله عليه وسلم مما عزي اليه من وصمة مدح
الاوثان وقد اجاب عن ذلك اي مما نسب اليه من مدحها ايمة المسلمين باجوبة منها الغث بمهجة
فسالته اي المهزيل مما لا يجدي نفعا والسمين مما ينزه شريف مقامه عن وصمة اللاغية لعصمته
فمنها اي من الاجوبة ما روي قتادة ومقاتل انه صلى الله عليه وسلم اصابته سنة مما يتقدم النوم
من فتور يسمى نعاسا قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم
عند قراءته السورة اي سورة النجم فجرى هذا الكلام يعني تلك العلى وان شفاعتهن لترتجى على لسانه
بحكم النوم وغلبته عليه وهذا لا يصح اذ قلبه صلى الله عليه وسلم لا ينام ان نامت عيناه ولا يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم مثله اي ما نسب اليه حال السنة من النوم والمراد نفيه عن نفسه بطريق
الكناية لانه اذا نفي ما هو مثله من غير قصد الى مماثل له لزم نفيه عنه واثبات براءته منه في حالة

من احواله الشريفة التام التيقظ التام فيها ولا يخلقه الله على لسانه صلى الله عليه وسلم ولا يستولي
الشيطان عليه في النوم واليقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب لتعلقه دونه بمنع
والوجه فيه من جميع انواع العمد والسهو ولعصمته في قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
حدث نفسه فقال ذلك يعني ان شفاعتهن لترتجي وانها مع الغرانيق العلي الشيطان على لسانه
وهو باطل اذ لم يجعل الله له عليه كغيره من الانبياء سبيلا وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال اي ابن شهاب او ابو بكر وسهى اي النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اخبر بذلك انه قال له انما هو من الشيطان وكل هذا اي ما قيل آنفا لا يصح ان يقوله النبي
صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا لعصمته من ذلك ولا يصح ان يتقوله الشيطان على لسانه
لكفه عن ان يجري عليه بتأويل رده وابطل عنه وقيل لعله صلى الله عليه وسلم قاله اي قال
ما عزي اليه من تلك الاباطيل اثناء اي خلال تلاوته سورة النجم على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار
اي حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر وينفع توبيخا وتبكيتا وتنبيها لهم على
خطابهم ابتداء بانها لا تصلح ان تكون الهة كقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم هذا ربي تقريعا
وتوبيخا لقومه وارشادا لهم كامر الا ان النظر يؤذن بان شيئا مما يعبد دونه لا يصلح ان يكون
الها وقوله اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم بل فعله كبيرهم هذا من معاريض الكلام تورية
بشيء عن شيء اذ قد ورّى صلى الله عليه وسلم بما شاهده فعله الى كبيرهم عن تقريره لنفسه واثباته
لها على اسلوب تعريضي يبلغ به غرضه من تبكيتهم والزامهم الحجة ليذعنوا بان ما ينحتون لا يصلح
لان يعبد هذا اي ما عزي لنبينا صلى الله عليه وسلم من مدحه الهتهم بعد السكت بينه وبين
ما تلاه قبله من السورة وبيان الفصل بين الكلامين اي كلام الله وما عزي اليه من مدحها به
ثم رجع الى تلاوته بقية السورة وهذا اي ما قيل انه قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ ممكن مع بيان الفصل بين الكلامين ومع قرينة تؤذن بان كل عقل سليم يقضي فضلا
بانها حجارة لا تجدي نفعا فضلا عن رجا شفاعتها وتدل على المراد من انه انما قاله توبيخا
وتبكيتا وتقبيحا لعبادتهم اياها وتقريعا وتسفيها لاحلامهم ليرجعوا الى عقولهم فتاخذهم الى انها
لا ادراك لها فلا شفاعة لها ترتجى ولا تقرب لها الى الله زلفى فينبذوها مذعنين للايمان فيفوزوا
برفيع الدرجات في غرفات الجنان وهو اي ما قيل انه قاله اثناء تلاوته تقريرا وتوبيخا للكفار
احد ما ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني وابن العربي المالكيان ولا يعترض على هذا اي على قول
القاضي بما روي انه صلى الله عليه وسلم كان حين قال ذلك في الصلاة فكيف يقوله على تقدير
التقرير والتوبيخ فيها فقد اجيب بانه كان الكلام قبل من الظروف الغائية مبني على الضم لقطعه
عما يضاف هو اليه اي قبل النهي عنه فيها غير ممنوع منه والذي يظهر ويترجح في تاويله اي تاويل
ما عزي اليه صلى الله عليه وسلم من مدحه الهتهم عنده اي عند القاضي ابي بكر وغيره من المحققين
على تسليمه وقوعا منه صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن
ترتيلا اي يقرؤه مترسلا بتؤدة مبينا حروفه واشباع حركاته حتى كان ما يتلوه كثغر مرتل اي مفلج
مشبه بنور الاقحوان قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا في ايجاب الامر به وانه لا بد للقارئ منه وكان
وكان يفصل الآي في قراءته كما قالت عائشة وقد سئلت عن قراءته صلى الله عليه وسلم لو اراد سامعا

ان

ان يعد حروفها لعدها لتانيه فيها من غير هذرمة تؤذن بان المتلو في تتابع كلماته وحروفه
يشبه الثغر الالص اي المتراص فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات خلال تلاوته سورة النجم
ودسه فيها اي ادخاله في السكتات خفيا ولطف من دسه يدسه دسا اي ادخله فيه قهرا او قوة
وفي الحديث استجيدوا الخال فان العرق دساس اي دخال ما اختلقه من الاختلاق افتعال
من الخلق والابداع اي كذبه كان الكاذب يخلق قوله من تلك الكلمات بيان لما اختلقه محاكيا
نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث اي بمكان هو فيه بمرأى ومسمع يسمعه من دنا منه اي
قرب منه صلى الله عليه وسلم من الكفار فظنوها اي الكلمات التي اختلقها الشيطان من قوله
صلى الله عليه وسلم واشاعوها اي افشوها واذاعوها بينهم ولم يقدح ذلك اي ما دسه الشيطان
واشاعة الكفار عند المسلمين بحفظ السورة مصدر مضاف الى مفعوله اي لم تقدح بسبب
حفظهم سورة قبل ذلك اي قبل اختلاقه لها ودسها حفظا على ما انزل الله القرآن متجاوب الاطراف
مترتب التركيب متناسق الدلالات فصاحة وبلاغة وصحة معنى وبراعة وصدق خبر ونحوها
فهو بحيث اذا دس فيه شيء علم انه ليس منه وتحققهم اي المسلمين من حاله في ذم الاوثان وعيبها
اي عيبه اياها ما عرف منه صلى الله عليه وسلم واشتهر كفارا على علم وهذا قول غير مرضي لايذانه
بان الشيطان كان له عليه صلى الله عليه وسلم سبيل بتمكنه من دسه خلال تلاوته كلام ربه ما مدح
الرجس من الاوثان تلبيسا عليه وان كان حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحوه اي نحو ما ذكر عن
المحققين ولم يرض وقال اي موسى بن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة الشيطان
وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين دعوى بلا دليل ولا بينة لاستحالته عادة اذ لا
قدرة له خزاه الله على القاء ذلك في اسماعهم دون المسلمين مع اجتماعهم بهم في ناد واحد واختلا طهم
بهم فيه ويكون ما روي فيما مر من حزنه صلى الله عليه وسلم انما ارهقه ضجرا لهذه الاشاعة
والشبهة اي من اجلهما ومن اجل سبب هذه الفتنة الناشئة من نسبة تلك المقالة اليه
واشاعتها عنه صلى الله عليه وسلم مع براءته منها وقد قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الى الامة لنبين لهم ما ارسل اليهم به ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته
يعني تمنى تلا قال تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا تلاوته ومنه قوله في مرثية عثمان بن
عفان رضي الله عنه تمنى كتاب الله اول ليلة واخرها لاقى حمام المقادر او الاماني عليه من
امانيهم ان الله لا يؤاخذهم بخطاياهم وان الانبياء من اباءهم يشفعون لهم فيعفو الله عنهم ويرحمهم
او ما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة والاكاذيب مختلقة قبلوها من علما ئهم
وقلدوهم فيها وقوله فينسخ الله من نسخ الشيء اي تغير من حال الى حال ما يلقي الشيطان اي
يذهبه ويزيل اللبس اي بالنسخ المفاد من قوله ويحكم آياته اي يثبتها واضحة لا يتطرق اليها
اختلاق ولا اشتباه وقيل معنى الآية اي آية فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي
صلى الله عليه وسلم من السهو اي تركه الشيء مع علمه به اذا قرأ فينتبه لذلك اي لما تركه بادنى
تنبيه ويرجع عنه الى ما تركه وهذا السهو الواقع له في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير
المعاني بمعان اخر وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها ولا طريقه زيادة ما ليس من القرآن في القرآن
بل السهو انما هو عن اسقاط آية منه اي من القرآن او كلمة منه ولكنه لا يقر على هذا السهو الذي

هو اسقاط اية او كلمة منه بل يحتد عليه ويذكر به للحين اي الوقت فلامه كي فطلقوهن لعدد
اي وقتها وقراة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقوهن في قبل عدتهن ومما يظهر في تاويله
اي تاويل ما عزي اليه في تلاوته سورة النجم لابيعد انه كان قرانا ثم نسخ تلاوته والمراد بالغرانقة
وبالذين ان شفاعتهن لترتجي هم الملئكة على هذه الرواية اي رواية مجاهد الغرانقة العلا
وهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملئكة وذلك ان الباعث له على تفسيرها بها هو ان الكفار
من قريش وغيرهم من عبدة الاوثان كانوا يعتقدون ان الاوثان والملئكة بنات الله كما حكى
عنهم بقوله افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وقوله
اصطفى البنات على البنين فرد عليهم بذلك كما رد عليهم في هذه السورة اي سورة النجم بقوله
الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا الذي قالوه من جملة قولهم انكارا بطريق الاستفهام
الانكاري التكذيبي اي لم يكن ما زعمتم لقد تقولتم قولا اذا تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال ورجا الشفاعة صحيح وهذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه فما بين
للمقام ناب عن سياق الكلام فلما تاوله المشركون على حسب غرضهم ان المراد بهذا الذكر اي
ذكر الغرانقة العلا آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم
فسمعوه ووعوه نسخ الله ما القاه الشيطان اي ازاله وابطله واحكم اياته اي اتقنها واثبتها
ورفع تلاوة تلك اللفظتين اي تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجي التي وجد الشيطان
بهما سبيلا للتلبيس على من حضر تلاوة السورة كما نسخ كثيرا من القران ورفع تلاوته مع حكمه
او دونه وكان في انزال الله له اي لما نسخه وفي نسخه حكمة من خير او شر ليضل به من يشا
ويهدي من يشا وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن امر الله بارتكاب المعاصي وليجعل
اي الله تعالى ما يلقي الشيطان مما يلبس به فتنة للذين في قلوبهم مرض من المنافقين والشاكين
لعدم ثبوت ايمانهم وتزلزله والقاسية قلوبهم من المشركين المكذبين وان الظالمين لفي شقاق
بعيد اي وانهم فوضع الظاهر موضع ضميره قصدا وتسجيلا عليهم بالظلم وليعلم الذين اوتوا العلم
انه اي ما انزله ثم نسخه او تمكين الشيطان من الالقا ثم اذهبه وازاله الحق من ربك فلا يشتبه
عليهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم اي تنيب منقادة مطيعة من الخبت وهو ما اطمان من الارض
وان الله لهادي الذين امنوا في تاويل ما تشابه عليهم من الدين وطلب ما اشكل منه الى صراط
مستقيم فيدركون المحمل الحسن بالاصول المحكمة والقوانين الممهدة بحيث لا تزهق افهامهم حيرة
ولا تزلزل اقدامها شبهة وقيل لما بلغ صلى الله عليه وسلم في تلاوته اللات والعزى ومناة
خاف الكفار ان ياتي بشي مما يشينها ويعيبها شيئا من ذمها توبيخا وتقبيحا لها فسبقوا الى
مدحها بتلك الكلمتين اي ان شفاعتهن لترتجي وانها لمع الغرانقة العلا ليخلطوا في تلاوته
صلى الله عليه وسلم سورة النجم ويشغبوا عليه فيها ويشغبوا عليه على عادتهم اي يثيروا الشر
ويهيجوه مغاتنة له وشغلا لخاطره لئلا عن ذكرها يسوغ كفى لهذا القول لا غيره صحة قال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران اذا قري والغوا فيه اي تشاغلوا عند قراته برفع الاصوات
تخليطا عليه صلى الله عليه وسلم بما يشوشه ويشغل خاطره لعلكم تغلبون عليه في قراته وكانوا
يوصون بعضهم بعضا به ونسب على هذا القول الفعل يعني الالقا الى الشيطان مجازا مرسلا

بعلاقة السببية لحمله لهم عليه اذ هو السبب الداعي اليه والباعث عليه واشاعوا ذلك اي ما
سبقوا به الى مدحها واذاعوه بينهم معلنين به وانه صلى الله عليه وسلم هو الذي قاله افتراء منهم
عليه حذرا من ذمه آلهتهم فحزن صلى الله عليه وسلم من كذبهم وافترائهم عليه قد ضلوا وما كانوا
مهتدين فسلاه الله عن حزنه وهمه مما اختلقوه تنويها لشان آلهتهم وترويجا منهم للاقبال عليها
وترغيبا للسفها منهم في عبادتها بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته ايذانا بانك لست وحدك الذي القى الشيطان في تلاوته بل كل
رسول ونبي القى في تلاوته فلا تحزن انا معك وبين سبحانه وتعالى للناس الحق من ذلك الذي
انزله اليهم على لسانه صلى الله عليه وسلم من الباطل الذي القي حين تلاوته فرفضوه وحفظ
سبحانه وتعالى القران واحكم اياته اي اتقنها فلا يغشاها باطل من بين يديها ولا من خلفها
تنزيل من حكيم حميد ودفع ما لبس به العدو من اكاذيب لفقها واباطيل نمقها كما ضمنه اي
ضمن حفظ القران ما فهم من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم بقولهم يا ايها
الذي نزل عليه الذكر الاية مؤكدا بان واسمية الجملة انه هو الذي انزله اليه صلى الله عليه وسلم
وانا له لحافظون من زيادة ونقص وتحريف وتبديل ولم يكل حفظه الى غيره تعالى بل تولاه بنفسه
خلاف كتب الانبيا قبله فانه لم يتول حفظها بل استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما
بينهم فكان التحريف والتبديل ومن ذلك اي من سؤالات بعض الطاعنين في الانبيا ما روي
من قصة يونس صلى الله عليه وسلم افتراء عليه انه وعد قومه العذاب مخبرا لهم به عن ربه
فلما تابوا كشفه عنهم يوم عاشورا يوم جمعة فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
على غير هذا الوجه اذ كان مغاضبا لقومه تبرما وضجرا منهم فقد طال وكثر تذكيره اياهم فلم
يذكروا مقيمين على كفرهم وكان عليه ان يصابرهم منتظرا امر ربه الاذن له في الهجرة عنهم
فاغضبهم بمفارقته لهم لتحذر واحلول العذاب بهم فلما فقدوه حذروا نزوله بهم فامنوا فكشفه
عنهم وليس في خبر من الاخبار الواردة كتابا وسنة في هذا الباب من قصة يونس صلى الله عليه وسلم
ان يونس قال لهم ان الله مهلككم ليتاتى له ان يقول لا ارجع اليهم كذابا ابدا واما الوارد فيه
من الاخبار انه دعا عليهم بالهلاك والدعا انما هو انشا طلب ليس بخبر يحتمل الصدق والكذب
حتى يطلب صدقه من كذبه لكنه اي يونس قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا فكان
مجيئه لهم في وقته كما قال فاغامت السما غيما شديدا اسود بدخان سود سطوح بيوتهم فلبسوا
المسوح وعجوا مظهرين التوبة والايمان فرفع الله عنهم العذاب وتداركهم برحمته فانابوا وامنوا
فمتعهم الى حين قال تعالى فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس استثنا منقطع من القرى
اذا المراد اهلها اي لكن قومه او متصل من ضمير امنت والجملة في معنى النفي اي ما امنت قرية
من القرى الهالكة الا قومه فانتصابه على اصل الاستثنا ومثله في الوجهين انا ارسلنا الى
قوم مجرمين الا آل لوط ان استثني من قوم فمنقطع لاختلافهما وصفا بالاجرام او من ضمير مجرمين
فمتصل كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين وروي في الاخبار انه قال لهم ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا
ان راينا علامته امنا فلما مضت خمس وثلاثون او ست انهم راوا دلايل العذاب ومخايله

جمع مخيلة وهي في الاصل موضع التخيل اعني الظن ثم استعير لما يظن علامة وفي الحديث كان
صلى الله عليه وسلم اذا راى مخيلة اقبل وادبر وفي رواية اذا راي في السما اختيا لا تغير لونه
خشية ان يكون عذابا ارسل كما وقع لقوم هود فاذا امطرت سري عنه قاله ابن مسعود
ورواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابي حاتم موقوفا فان قلت خطاب لكل من يتاتي
توجيهه اليه اوجرد من نفسه آخر خاطبه بقوله فما معني ما روي عند ابن جرير عن عكرمة
مولى ابن عباس من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اكرمه الله به من الوحي ثم ارتد مشركا احترازا من ان يكون ارتد يهوديا او نصرانيا وصار
الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا اي اكلفه واحمله على ان يوافقني على ما اختاره من كتابة
ما يلقي الي من الوحي حيث اريد كان يملي على عزيز اي منيع غالب لا يعجزه شي حكيم لا يفعل الا حقا
فاقول او عليم حكيم فيقول كل صوب اي في نفس الامر على تقدير صحة صدور هذا القول عنه
صلى الله عليه وسلم لانه وضع كل مكان الاخر لنزاهته صلى الله عليه وسلم ان يضع منهما
واحدا في غير محله مع علمه بنظم القران ووضع كلمه في مقاماتها وقد روي ان اعرابيا سمع
قاريا يقرو فان زللتم من بعد ما جاتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم بدل عزيز حكيم
ولم يكن قاريا فانكره وقال ان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغرا عليه وفي
حديث اخر رواه ابن جرير عن السدي فيقول اكتب كذا كاية عما يامره بكتابته فيقول اي
ابن ابي سرح انما اكتب كذا فيقول اي النبي صلى الله عليه وسلم له اكتب كيف شئت ويقول
صلى الله عليه وسلم له اكتب عليما حكيما فيقول اي ابن ابي سرح اكتب سميعا بصيرا فيقول
اي النبي صلى الله عليه وسلم له اكتب كيف شئت وفي الصحيح من رواية البخاري عن انس
ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي اليه بعد ما اسلم ثم ارتد عن الاسلام
الى الكفر وكان يقول افترا عليه صلى الله عليه وسلم ما يدري محمد ما كتبت له فاعلم ما القي
عليك مما يوضح لك الحق وينزع اللبس ثبتنا الله واياك على الحق المبين ولا جعل للشيطان
وتلبيسه اي تخليطه الحق بالباطل الينا سبيلا تقبيحا له وتخسيسا به وتبعيدا له عن ساحتنا
ان مثل هذه الحكاية اي ما حكي عن ابن ابي سرح والنصراني اولا لا يوقع في قلب مومن ريبا
اي شكا يتردد به في حقية ما اوحي اليه صلى الله عليه وسلم اذ هي حكاية عن من ارتد وكفر بالله
من بعد ايمانه ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم في عدالته فكيف بكافر ارتد على عقبيه وافترى
من الفري اي كذب هو ومثله من الكفرة الفجرة على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا اي المذكور
عنهما والعجب لسليم العقل من شوايب الشك واللبس يشغل بمثل هذه الحكاية المفتراة
وقاحة سره والحال انها صدرت من عدو كافر مبغض للدين مبتغ للباطل مفتر على الله ورسوله
بعظيم فريه وشديد فتنه ولم يرد ما افتراه عليه صلى الله عليه وسلم عن احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله كل منهما وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم
انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله اقتباس من القران الكريم لا ايراده هنا بلا اشعار
انه منه انزل ردا لقولهم انما انت مفتر اي لا يليق الافترا الكذب الا بمن لا يومن لرفضه الايمان
بايات ربه غير مبال بما يترتب عليه من عقاب نفسه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون

في قولهم انما انت مفتر بل هم الذين ديدنهم الكذب لا يبالون به ولا يتقيدهم عنه مروة ولو
كانت صحيحة لما كان فيها اي في الحكاية المفتراة قدح ولا توهين للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما اوحي اليه من عند ربه وبما هو من عنده تبارك وتعالى لا يعتريه واحد منهما ولا جواز
للنسيان والغلط عليه والتحريف تفعيل من الحرف وهو الزيغ والميل ومنه حديث ابي
هريرة انت بحرف القلوب اي مميلها ومزيغها وهو الله تعالى فيما بلغه عن ربه الى من ارسل
اليه ولا طعن في نظم القران تنزيل من حكيم حميد وانه من عند الله لا يغشى نظمه اختلاف
ولا تبديل اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب لو صح قوله اكثر من ان الكاتب قال له اي
للنبي صلى الله عليه وسلم عليم حكيم او كتبه قبل ان يتم النبي صلى الله عليه وسلم ما يمليه عليه
ليكتبه لفهمه ذلك من فاتحة ما املاه عليه لدلالتها عليه على طريقة الارصاد البديعي
وهو ان يورد كلام نثرا او نظما يفهم خاتمته من فاتحته قبل تمامه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم كذلك هو اي مثل ما قلته اي فهمته من فاتحته اذ كان ما تقدم من الفاتحة مما املاه
الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها اي على الكلمة التي هي الخاتمة مما نزل على الرسول قبل
اظهار الرسول لها اي للكلمة التي هي الخاتمة فيسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين فقال
له ذلك او لفهمه اياه من الفاتحة ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب في الكلام لانه ممن
نشا في حجر البلاغة ورضع ثديها ومعرفته به نظما ونثرا وترتيبا وجودة حسه
وفطنته فهما وسرعة انتقال منه الى معناه كما يتفق ذلك للعارف باساليب الكلام اذا سمع
البيت من الشعر ان يسبق فهمه لقوته الى ادراك قافيته قبل تمام البيت او اذا سمع مبتدا
الكلام الحسن نظما المتناسب ترتيبا المتناسق دلالة ان يسبق فهمه الى ما يتم به قبل تمامه مه
كما في وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولا يتفق ذلك في جملة الكلام مما لا تدل
فاتحته على خاتمته اذ كل كلام لا يكون كذلك كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة من الايات والسور
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن ابي سرح كل صواب ان صح فقد يكون فيما فيه
من مقاطع الاي وجهان وقراتان مما تواتر وقراته القرا وقد انزلتا جميعا على النبي صلى الله
عليه وسلم فاملى احدهما على كاتبه عبد الله بن ابي سرح او غيره وتوصل الكاتب بفطنته
اي بقوة ذكائه ومعرفته بمقتضى الكلام واساليبه نسقا ودلالة الى القراة الاخرى فذكرها
اي الكاتب للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكره لها كما قدمناه انفا لمناسبة المقام ذلك
فصوبها اي القراة الاخرى له النبي صلى الله عليه وسلم لانزالها كذلك ثم احكم الله من ذلك
الذي انزله على نبيه اي اتقنه فهو تعالى حكيم فعيل بمعنى محكم اي متقن ما احكم ونسخ ما نسخ
لفظا لا حكما او حكما لا لفظا او لفظا وحكما كقوله تعالى والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا متاعا الى الحول غير اخراج وبلغوا عنا انا لقينا ربنا
فرضي عنا نزل فيمن قتل ببير معونة من القرا ثم نسخ كما وجد ذلك في بعض مقاطع الاي اي اواخرها
اذ كل فاصلة من اية وفقرة من نثر كقافية البيت من الشعر مثل ان تعذبهم فانهم عبادك ممن
عصاك وجحد اياتك وكذب انبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اي القوي القادر
على ثوابهم وعقابهم والحكيم الذي اصابته وتعذيبه صواب وهذه قراة الجمهور اي الاكثر من القرا

وقراءة جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست هذه القراءة الشاذة من المصحف الامام
وغيره لعدم تواترها وكذلك كلمات جاءت على وجهين في اثنائها اي غير المقاطع قرا بهما
معا الجمهور من القراء العشرة وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام اي عظام الحمار
او عظام الموتى التي تعجب من احيائها كيف ننشرها بالراء في قراءة ابي عمرو وغيرها اي نحييها
وننشزها بالزاي في قراءة نافع وغيره اي نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفي مثل
يقضي بالمعجمة في قراءة ابي عمرو وغيره اي يقضي القضاء الحق في كلما يقضيه من تاخير
وتعجيل ويقص بالمهملة في قراءة نافع وغيره اي يتبع الحق فيما يحكم به ويقدره وكل هذا
اي ما زعمه ابن ابي سرح وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان صح فانه لما ذكرناه
توجيه لتصويبه صلى الله عليه وسلم لا يوجب ريبا ولا يسبب له صلى الله عليه وسلم
غلطا ولا وهما من وهم بالفتح الى الشيء اي ذهب وهمه اليه وقد قيل ان هذا اي قول ابن
ابي سرح لقريش بعد ردته كنت اصرف محمدا كيف اريد يحتمل ان يكون مما يكتب عن النبي
صلى الله عليه وسلم الى الناس ملوكا وغيرهم غير القران فيصف الله اي ابن ابي سرح بصفات
تليق به كان يقول سميعا بصيرا بعد قوله صلى الله عليه وسلم له اكتب عليما حكيما وتسميه
في ذلك الذي يكتبه عنه صلى الله عليه وسلم كيف شا على نحو ما مر فصل
هذا القول المتلو عليك مع شرحه في الفصل قبل هذا انما ورد فيما طريقه البلاغ وبين
احواله كغيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ
والبيان من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام المتعبد بها ولا تعلق لها بها ولا مستند
لها الى اخبار المعاد اي ما يعاد اليه يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم في دعائه واصلح
لي اخرتي التي اليها معادي اي ما تعود اليه يوم القيمة ولا يضاف الى وحي مصدر بمعنى
مفعول اي الى موحى اليه صلى الله عليه وسلم بل استقلالي اي ما لم يكن طريقه البلاغ من
القول في امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم فالذي يجب هو تنزيهه صلى
الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك اي الذي طريقه البلاغ بخلاف مخبره بفتح
البا اسم مفعول متعلق بيقع في موضع الحال من خبره اي هو منزه من ان يصدر منه في شي مما
ذكر خبر مخالفا لما اخبر به لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا لرفيع درجات مقامه صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وسخطه بفتح المهملة والمعجمة وبضم الاولى وسكون
الثانية اي كراهته وعدم رضاه وجده بكسر الجيم من وادي الرزانة والتماسك ضد الهزل واللعب
ومزحه وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا كقوله لامراة لا تدخل الجنة عجوز
وصحته ومرضه ودليل ذلك اي كون خبره لا يقع في شي مما ذكر بخلاف مخبره وذلك انا نعلم من
دين الصحابة الذي دانهم به اي امرهم به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فاطاعوه واذعنوا
له خاضعين وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وليس المراد به ما كانوا عليه
من الشرك بل كان على ما بقي من دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم من حج وارث ونكاح وغير ذلك
من الاحكام او على دينهم بمعنى عاداتهم من اخلاقهم الحميدة كالكرم والشجاعة والمروة ومنه قول الاعشى
يخاطبه صلى الله عليه وسلم يا سيد الناس وديان العرب اي قاهرهم على الطاعة له وعاداتهم الدايمة

على الخبر مبادرين حال من ضمير ما قبله اي مسارعين الى تصديق جميع احواله صلى الله عليه وسلم
والثقة مصدر وثق يثق اعل باعلال فعله بحذف واوه بجميع اخباره في اي باب كانت من
ابوابها وعن اي شي وقعت لاجله وبسببه ولم يكن لهم توقف ولا تردد في شي منها بل بمجرد سماع عم
ما اخبرهم به يجزمون به لا يثنيهم عن جزمهم به شي ولا استثبات منهم عن حاله من احواله في اخبا
عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا لعلمهم بعصمته صلى الله عليه وسلم في الاخبار ولما احتج ابن ابي
حقيق اليهودي فيما رواه البخاري في حديث اجلا يهود خيبر على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار
متعلق باحتج اي جعل اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حجة على عمر ليبقيهم فيها واحتج
عمر عليه بقوله صلى الله عليه وسلم له اي لابن ابي الحقيق كيف بك اذا اخرجت يعني من خيبر
فقال اليهودي يعني ابن ابي الحقيق كانت مقالته صلى الله عليه وسلم له كيف بك اذا اخرجت
هزيلة من ابي القاسم تصغير هزلة وهي المرة من الهزل ضد الجد بكسر الجيم فقال له عمر كذبت
يا عدو الله انما كذبه لنسبته له صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به من الهزل اذ هو واللعب من
وادي الخفة والاضطراب فان اخباره واثاره صلى الله عليه وسلم من بعده من اقامة دين وتبليغ
احكام وارشاد وغير ذلك من اثاره الحسنة المشتهرة الى ان يرث الله الارض ومن عليها وسيره
الجميلة الحميدة وشمايله اي صفاته الحسنة الذاتية معتنى اي مهتما ومشتغل بها مستقصى
اي مستوفاة تفاصيلها ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم في شي منها اي من اخباره واثاره
وسيره وشمايله استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلطة في قول قاله فيما ذكره من اخباره وغيرها
او اعترافه في شي اخبر به بوهم ولو كان قد وقع منه شي من ذلك لنقل كما نقل الينا ما رواه مسلم
عن طلحة وانس ورافع بن خديج من قصة رجوعه صلى الله عليه وسلم عما اشار به على الانصار
في تلقيح النخل اذ مر بهم وهم يلقحونها فسالهم عن ذلك فاخبروه فقال لهم لو لم تفعلوا فتركوا
فلم يثمر على العادة فقال لهم انتم اعرف بدنياكم ولا يقدح ذلك في عصمته ولا توصيهم عليه في
شي من ذلك اذ كان من امور الدنيا التي لا يشترط في حق الانبيا العصمة من اعتقادهم بعضها
على خلاف ما هي عليه ولا من عدم معرفتهم ذلك البعض لتعلق همهم بالاخرة واخبارها وامور
الشرايع وقوانينها وغيرهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
وكان ذلك اي قوله صلى الله عليه وسلم للانصار لا تفعلوا منه رايا لا خبرا ومن ثم قال انتم اعلم
بدنياكم وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب اي باب تنزيهه صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره بخلاف مخبره مطلقا كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي
موسى الاشعري قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ودعوا لذا رافاعطا ه
اباها فقال نعم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه فرجع اليه فقال ما انا حملتكم
ولكن الله حملكم والله لا احلف على يمين الحلف هو اليمين واصلها العقد بالعزم والنية فغاير
بين لفظها تاكيدا لها وتلويحا بان لغوها لا ينعقد فارى غيرها اي فعل غير المحلوف عليه
فكنى بضميرها عن المحلوف عليه اعني تركه صلى الله عليه وسلم حملانهم لانه سببها خيرا منها
الا فعلت الذي حلفت عليه كتركه حملانهم وكفرت عن يميني وقوله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه الشيخان عن ام سلمة انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن اقتطعت

له من حق اخيه شيا فانما اقتطع له قطعة من نار وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الايمة
الستة عن الزبير من امره صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا يستوعب ثم يرسل الما الى
جاره من الانصار رفقا بالانصاري ان كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى
يبلغ الما الجدر فاستوعب له حقه بعد ان امره ان يسقي بدون استيعاب كما سنبين كلما
في هذا الذي ذكرناه هنا من مشكل في هذا الباب والذي بعده مع اشباهها اي امثال
ما في البابين والتانيث باعتبار المعنى وايضا فان الكذب اي الافترا عن عمد اخبار بخلاف
الواقع متى عرف صدوره من احد في شي من الاخبار بخلاف ما هو متعلق بعرف حال من ضمير
على اي وجه كان استريب اي اتهم وادهم الشك فيه بخبره واتهم في حديثه قال ابو بكر
نعم عليك بالرايب من الامور واياك والرايب منها اي بالصافي الخالص منها ودع المشتبه
منها فالاول من راب اللبن يروب والثاني من رابه يريبه اي اوقعه في الشك ولم يقع قوله
في النفوس موقعا يقبله ويطمئن به ولهذا اي ولكون الكذب يورث الريبة والتهمة في
الخبر ما ترك المحدثون اي حفاظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلما من عطف
العام على بعض افراده وما مزيده لتاكيد معنى الترك الحديث عن من عرف بالوهم من اوهم
الشي اذا تركه واسقط منه او من وهم اليه بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمه اليه ووهم
ووهم يوهم وهما بالتحريك اذا غلط فمن الاول قول ابن عباس وهمت في تزويج ميمونة اي
ذهب وهمه اليه ومن الثاني حديث انه صلى الله عليه وسلم سجد للوهم جالسا اي للسهو
والغفلة اي الذهول عن الشي وسو الحفظ اذ قل ما يسلم صاحبه من تغيير او زيادة او نقص
وكثرة الغلط مع ثقته اي كون من عرف بشي من ذلك ثقة فرفضوا التحديث عنه حذرا من
ضد وشي من ذلك عنه في الحديث وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية تورث
الذم عاجلا والعقاب اجلا ان شا الله اذ هي الخروج عن طاعته تعالى والاكثار منه اي من الكذب
كبيرة باجماع من الايمة الاعلام كالشافعي ومالك من مجتهدي امة محمد صلى الله عليه وسلم
مسقط للمروة مع اخلاله بالعدالة بخروجه عن منهج الصدق وكل هذا مما لا يليق بكرم
ذاته وشريف جنابه ينزه عنه منصب النبوة لعظمه واناقة محلها والمرة الواحدة مبتدا
وصفة مؤكدة له منه اي من الكذب مما يستشنع ويشاع اي يرتفع ذكر صاحبه بما يستقبح
ويستنكره مما يخل بصاحبه ويزري بقايله اي يعيبه وينقصه ويحقره اي يجعله متصفا بها
وفي الحديث فهو اجدر ان تزدروا نعمة الله من زريت عليه زراية اذا عبته وازريت به ازرا
اذا قصرت به وتهاونت واصل تزدروا تزتريوا وهو افتعلوا منه فقلبت تاؤه دالا لمجاورتها
الزاي لاحقه خبر المبتدا بذلك اي بما ينزه عنه منصبها واما فيما لا يقع هذا الموقع مما
يستشنع ويستبشع فان عددناها اي ما لا يقع ذلك الموقع وانثه باعتبار افراده معنى
من الصغاير مما لا يترتب على فعلها حد فهل يجري على حكمها اي على حكم المرة الواحدة من الكذب
في الخلاف فيها قبل البعثة هل تصدر منه صغيرة ام لا كغيره من الانبيا مختلف فيه وقد ذكرته
في شرحي كتابي مقاصد المقاصد ومنظومتي درر القلايد والصواب تنزيه النبوة عن قليله
وكثيره مما يخل بمنصبها ويزري بعظيم قدرها اذ عمدة النبوة البلاغ الى المرسل اليهم والاعلام

لهم

لهم بما ارسل به اليهم والتبيين لهم ما نزل اليهم والتصديق بما جا به مصدر مضاف الى مفعوله
الثاني اي تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جا به وتجويز شي من هذا الذي يخل بمنصب النبوة
قادح في ذلك اي في العمدة للنبوة التي هي الابلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جا به صلى الله عليه وسلم
وكان الاولى ان يقول وتجويز شي من ذلك قادح لقربه ذكرا منه ولعله اراد تحقير الاول في القرب
فقرنه باسم الاشارة للقرب وتعظيم الثاني ورفعته في البعد فقرنه باسم الاشارة للبعيد وتجويزه
ايضا مشكل فيه اي فيما جا به صلى الله عليه وسلم فتجويزه ذلك او شيا منه مناقض للمعجزة من حيث
انها امر خارق للعادة لا يجري على يد مبطل فلنقطع عن يقين بانه الضمير للشان يفسره خلف
لا يجوز على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم خلف في القول بوجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير
اي بغير قصد في ذلك وكرر حرف النفي لتاكيد عدم تجويز الخلف عليهم مطلقا ولا بتسامح مع من تسامح
وتساهل في تجويز ذلك الخلف عليهم في اقوالهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ لعصمتهم
من ذلك ولنقطع عن يقين بانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة اي قبل اظهارها ولا يجوز الاتسام
اي الاتصاف بشي منه في امورهم واحوال دنياهم مما يتعلق بخاصتهم وغيرهم من اممهم لان ذلك
الكذب لو صدر عنهم كان يزري ويريب بهم اي يحقرهم ويوقع في الشك في نبوتهم والتهمة فيما
جاوا به عن ربهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد اي بعد ارسالهم بما امروا بتبليغه وانظر
احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من العرب والامم وسوالهم عن
حاله اي حال نبينا صلى الله عليه وسلم في صدق لسانه اي قوله الصدق وما عرفوا بتشديد الرا
مبنيا للمفعول اي عرفت قريش به من ذلك اي من صدق لسانه واعترفوا اي قريش وغيرهم من
الامم به حين سيلوا عنه مما عرف من كرم شيمه صلى الله عليه وسلم واتفق النقل على عصمة نبينا
صلى الله عليه وسلم منه اي مما لا يليق به من الكذب وغيره قبل البعثة وبعدها فصل
فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو من سهى في الشي اي تركه عن
غير علم واما السهو عنه فتركه مع العلم به كما في الذين هم عن صلاتهم ساهون اي لاهون عنها
تركا لعدم التفاتهم ومبالاتهم بها الذي رواه الشيخان واسنده هنا من طريق الترمذي ان
ابا هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين اي بعد فراغه
منهما ومن تشهدهما فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة روي بالبنا للمفعول
وللفاعل فالاسناد على الثاني مجازي اي انقصت ام نسيت فقال اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم جوابا لذي اليدين كل ذلك لم يكن اي لم يقع شي مما اضيف اليه كل لعدم دخولها في حيز
النفي بتقدمها عليه وعدم وقوعها معمولة للفعل المنفي على شموله للقصر والنسيان معا ونحو منه
لما تعويلا على ما في ظنه صلى الله عليه وسلم من ان شيا منهما لم يكن لجواب ام هنا اريد به نفيهما
معا لا نفي الجمع بينهما وينصره ما في الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت وفي اخرى لم انس
ولم تقصر فاخبره اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ذو اليدين بنفي الحالتين اي نفي القصر والنسيان
معا لا بنفي الجمع بينهما والحال انه قد كان احد ذلك من الحالتين كما قال ذو اليدين قد كان
بعض ذلك يا رسول الله فلفهمه السلب الكلي من قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن ذكر في
مقابلته الايجاب الجزئي المنافي للنفي عن الجميع لا للنفي عن المجموع فاعلم ان العلما في ذلك اي فيما وقع

صلى الله عليه وسلم من السهو اجوبة بعضها بصدد الانصاف لجريه على موجب ما يليق بشرف
جنابه صلى الله عليه وسلم ومنها اي من الاجوبة ما هو بنية العسف والاعتساف غاير بينهما
لفظا وماخذهما واحد للمبالغة بالثاني والعسف في الاصل الاخذ على الطريق ثم استعير لركوب
الامر بدون روية وتدبر ثم نقل الى الظلم والجور وفي الحديث لا تبلغ شفاعتي اماما عسوفا
اي جائرا ظلوما وها انا اقول مبتدا وخبر قرنا بتنبيه اما على القول بتجويز الوهم والغلط
من وهم اليه بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمه ومنه حديث ابن عباس انه وهم في تزويج ميمونة
اي ذهب وهمه اليه او من وهم يوهم وهما بالتحريك اذا غلط ومنه حديث انه سجد للوهم
وهو جالس اي للغلط او من اوهمته اذا اسقطته وتركته فيما ليس طريقه البلاغ مما لا يتعلق
به حكم ولا اخبار بالمعاد ولا وحي وهو الذي زيفناه من المبين اعتراض بين اما وجوابها
للتنبيه على ما مر من بيان ضعفه اي جعلناه زايفا فلا يعتد به لرداءته فلا اعتراض على من
يجوز على الانبيا الوهم والغلط فيما ليس طريقه البلاغ بهذا الحديث اي حديث السهو في
صلاة العصر وشبهه مما ليس طريقه البلاغ لتجويزه ذلك فيه عليهم واما على مذهب
من منع السهو والنسيان في افعاله كغيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم جملة
لا يعتريهما واحد منهما ويرى انه صلى الله عليه وسلم عامد الصورة النسيان ليأتي به على
وجه العمد ذاكرا لما تركه ليسن اي ليبين لنا ما نحتاج الى فعله اذا عرض لنا سهو فهو صلى
الله عليه وسلم صادق في خبره اي في قوله لم انس ولم تقصر لانه صلى الله عليه وسلم لم ينس من
تلك الصلاة شيا ولا قصرت ولكنه على هذا القول بقصده لصورة السهو ذاكرا تعمد هذا
الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه اي غشيه وانتابه مثله وهو اي القول بتعمده
صلى الله عليه وسلم السهو ليسن قول مرغوب عنه لضعفه وبعده عن ساحة الرضى به واما على
القول بعصمته واحالة السهو عليه في الاقوال وتجويزه عليه فيما ليس طريقه القول
من الاعمال كسهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ففيه اجوبة منها انه صلى الله عليه وسلم
اخبر ذا اليدين عن اعتقاده وضميره بقوله كل ذلك لم يكن فلو تعمد السهو لم نقله اما انكاره
القصر فحق وصدق لا شبهة فيه ولا مرية ظاهرا وباطنا واما النسيان فاخبر صلى الله
عليه وسلم بما ثبت في نفسه من ظنه اتمام الصلاة عن اعتقاده ظنا وانه لم ينس في ظنه فكانه
في اخباره بعدم نسيانه قصد الخبر عن ظنه وان لم ينطق به اي وان لم يقل لم انس فيما اظن وهذا
صدق ايضا لا تردد فيه ولا ريبة ووجه ثان لم نذكره لبعد مسافته عن المقام وما بعده ابعد
منه فاعرضنا عنه وحاصل ما بعده انكاره صلى الله عليه وسلم ان يقال نسيت ونفيه عن
نفسه وعن غيره بقوله لست انا الذي انسى ولكني انسى وقوله في حديث الشيخين عن ابن
مسعود بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي ولابي عبيد بئس
ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت وكيت ليس هو نسي وهو ابين من الاول واختار انه بمعنى
ترك فلما قال له ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان هو عليه في
نفس الامر وانكر نسيانه هو صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه وانه لم يكن منه وان
جرى شي منه فقد نسي من قبل الله تعالى حتى سأله غيره بقوله احق ما يقوله ذو اليدين قالوا نعم

فتحقق

فتحقق انه نسي اي انساه الله واجري عليه ذلك اي النسيان ليسن اي ليبين لنا ما نفعله
اذا نسينا شيا من عباداتنا ونقتدي به فقوله صلى الله عليه وسلم هذا القول لم انس ولم تقصر
وقوله كل ذلك صدق وحق لان الصلاة لم تقصر كما في نفس الامر ولم ينس من قبل نفسه حقيقة
ولكنه نسي اي انساه الله تعالى فكراهته صلى الله عليه وسلم نسبة النسيان الى النفس انما هي
لاسناد الحوادث كلها الى الله اذ هو المقدر لها اولان اصل النسيان الترك فكره ان يقال ترك
القران وقصدت الى نسيانه اولانه لم يكن باختياره وجه اخر يؤذن بالفرق بين السهو
والنسيان وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يسهو ويتنبه لما نسيه بادنى تنبيه ولا ينسى
لاحتياجه الى تحصيل ما نسيه ولذلك نفى صلى الله عليه وسلم عن نفسه النسيان لانه غفلة
وافة تستولي على القلب حتى يصير غافلا والسهو انما هو شغل يتنبه منه بادنى تنبيه فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها لنزاهته عن ان تستولي على قلبه
ما يصير به غافلا عن عبادته وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة اسم كان خبرها
ما قبله ووضع الظاهر موضع المضمر اعتنا بشانه اي كان ما يغشاه من خشوع وتدبر قراءة
وقرة عينه فيها يشغله عن حركاتها شغلا بها ربما ادى الى السهو عن عدد اركانها لا غفلة عنها
اذ لا تنسب اليه صلى الله عليه وسلم غفلة فهذا اي ما ذكر ان يحقق على هذا المعنى الذي بيناه
لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت ولا نسيت خلف في قول لعصمته من الخلف في اخباره
المورث عدم الوثوق به واما قصة كلمات ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه
الشيخان عن ابي هريرة لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات في القران منها اثنتان في سورة
الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وفي سورة الانبيا قالوا اانت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وقوله للملك عن زوجته
سارة حين اخذها وسأله عنها انها اختي خشية ان يقتله لو قال انها زوجتي ولقد نجاها الله
منه بما عراه من الخزي فردها الله واخدمها هاجر ام اسمعيل ابي العرب اشرف الخلق فاعلم اكرمك
الله ان هذه اي كلمات ابراهيم صلى الله عليه وسلم كلها خارجة عن الكذب لعصمته من الاتصاف به
لا في القصد ولا في غيره تاكيد لما افاده ما قبله من نفي الكذب عنه وهي اي كلماته الثلاث داخلة
في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب من ندحت الشي اذا وسعته وانك لفي ندحة
ومندحة اي سعة وفسحة عند قالت ام سلمة لعائشة قد جمع ذيلك فلا تندحيه اي توسعيه
وتنشريه ارادت قوله تعالى وقرن في بيوتكن ولا تبرجن وهذا من حديث ابي عبيد وغيره
عن عمران بن حصين رفعه ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب جمع معراض ومعرض من
التعريض ضد التصريح من القول يقال عرفت ذلك في معراض كلامه ومعرضه اي ان في التعريض
بالقول من الاتساع ما يغني عن تعمد الكذب فهي في الحقيقة صدق عرض بها ليتوصل الى غرضه
من مكايدة قومه تبكيتا لهم والزامهم الحجة مما هو في ذات الله وقد مر لهذا مزيد بيان اما قوله
فيما حكاه الله عنه فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فقال الحسن من ابي الحسن البصري وغيره
معناه ساسقم اي ان كل مخلوق فهو سقيم من حيث انه معرض له اي للسقم فاعتذر لقومه تنقاد
من الخروج معهم اذا ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا وقد اراد التخلف عنهم فنظر

يا

الي نجم فقال ان هذا النجم ما طلع قط الا اسقم واني مشارف للسقم وهو الطاعون لانه كان اغلب
اسقامهم وكانوا يرهبون العدوي فنفروا عنه الي عيدهم وقيل بل عرض لهم وورّي ان من كان
هدفا للمنايا فهو سقيم بما قدر عليه من الموت كما روي ان رجلا مات فجاة فقيل مات وهو صحيح فقال
اعرابي اصحيح وفي عنقه الموت وقيل سقيم الموت بما اشاهده من كفركم وعنادكم جورا وميلا عن
القصد وبحر اللحق وقيل سقيم اذ كانت الحمي تاخذه فتمنعه فعل ما يريده عند طلوع نجم معلوم له
او لهم فلما راوه اعتذر لهم من الخروج معهم لعيدهم بعادته التي تعتريه عند طلوعه وكل هذا
اي ما ذكر من الاجوبة ليس فيه كذب بل خبر صحيح هو صدق وقيل بل عرض في قوله مما يكون قابله صادقا
من جهة ظن السامع فتعريضه بقوله انما كان لسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة
النجوم اذ عمدة الناظر فيها التخمين وهو في البيان لا يجدي نفعا التي كانوا يشتغلون بها تعظيما لها
وانه اي ابراهيم صلي الله عليه وسلم كان اثنا نظرة وقيل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض لجعل
سقم حجته وضعفها لعدم اعتنائها شيا سقما له مجازا مع انه صلي الله عليه وسلم لم يشك ولا ضعف
ايمانه لقوة يقينه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم تبكيتا لهم وزجرا عن عبادة الاوثان والنجوم
وسقم نظره فلم يظهر له ما يقيم به الحجة عليهم حتي الهمه الله اي القي في نفسه باستدلاله وصحة حجته
عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله مما مر انفا من كلامه القديم مما حاج به قومه من
دلايل الربوبية والتوحيد ونفي الشركا بعد ان حاجوه فيها منكرين لها وخوفوه ان تصيبه
معبوداتهم بسوء فبصّره الله فالزمهم الحجة والقمهم الحجر وما نصه الله معمول الهمه ووضع الظاهر
موضع المضمر اعتناء لكمال العناية باسمه تعالي وقدمنا بيانه مع مزيد ايضاح واما قوله بل فعله
كبيرهم هذا علق خبره بشرط نطقه اي جعل قوله فعله كبيرهم هذا مشروطا بنطقه معلقا له به
لانه قال ان كان ينطق فهو فعله مع علمه بانه لا ينطق فهو علي طريق التبكيت اي التوبيخ والتقريع
لقومه استهزاء بهم وتجهيلا لهم باعتقاداتهم في كواكب وحجارة لا تضر ولا تنفع وتعظيمهم لها
وعبادتهم اياها وهذا اي قوله فعله كبيرهم صدق لانه من معاريض الكلام الذي فيه مندوحة
عن الكذب ولا خلف فيه اذ كان قصده بنسبة فعله الصادر منه من الكسر الي كبيرهم استهزا
بهم وتجهيلا لهم اثباته لنفسه علي وجه تعريضي اي وري باثباته لكبيرهم عن اثباته لنفسه ليبلغ
فيه غرضه من الزامهم الحجة لينتبهوا حاق المحجة فيعلموا ان ما ينحتون لا يقدر علي كسر شي فرجعوا
الي انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون حقيقة ثم نكسوا عن تلك الحالة الصالحة برجوعهم الي انفسهم
اي انقلبوا عنها وطفقوا يجادلونه بالباطل والمكابرة مضادة له او قلبوا علي رؤوسهم حقيقة لفرط
اطراقهم خجلا وانكسارا واعترافا بما بهتهم به فلما حاروا احتجوا بالباطل واما قوله اي ابراهيم صلي الله عليه وسلم
للجبار الذي اخذ زوجته هذه اختي معرضا بانها اخته في الاسلام حذرا من ان يوقع به سوا فقد بين
في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة لم يكذب ابراهيم نذكره وقال انك اختي في الاسلام وهو
صدق والله يقول انما المؤمنون اخوة اي ليسوا الا اخوة خلصا متمحضين لها قد زالت عنهم اسباب
الاجنبية والي لطف حالهم تمازجا واتحادا ان يقدموا علي ما يرهقهم من تباغض وتقاطع وتدابر ودعي
شرف شانهم بما يزيح ذلك من تقوي الله مما يقود الي الايتلاف والتواصل والمسارعة الي ازالة ما يفرط
فمنهم رحمة الله وعمتهم رافته فان قلت ايها السايل عما لا يباح شرعا قد سماها صلي الله عليه وسلم

كذبات قال لم يكذب ابراهيم صلي الله عليه وسلم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشيخين
عن ابي هريرة في الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه اي معني وصفها بكونها كذبات انه لم يتكلم بكلام
صورته صورة الكذب وان كان في نفس الامر وقاحة حقا في الباطن الا هذه الكلمات الثلاث
اني سقيم وفعله كبيرهم وهذه اختي ولما كان مفهوم ظاهرها اي كلماته الثلاث كذبا بخلاف باطنها
صدقا اشفق ابراهيم صلي الله عليه وسلم من مواخذته بها من الاشفاق يقال اشفق اشفاقا
وهي اللغة الغالبة وحكي ابن دريد شفقت اشفق شفقا اي خاف ابن عبس ويحاذي بها ويجا
عليها وعن عبيدة بفتح اوله اتينا الحسن فازدحمنا علي مدرجة بيته فقال احسنوا ملاكم ايها
المرؤن وما علي البنا شفقا ولكن عليكم انتصب شفقا بفعل مضمر اي وما شفقت علي البنا
شفقا ولكن عليكم واما الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك كان النبي صلي الله عليه
وسلم اذا اراد غزوة وري بغيرها عنها مريدا لها واصله من الورا اي البيان وراظهره هو قول
ابراهيم في حديث الشفاعة اني كنت خليلا من ورا ورا مبنيا علي الفتح اي من خلف حجاب فليس
فيه خلف في القول انما هو بتوريته تلك قد ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره منه واهبته
للنصرة عليه وقد كتم وجه ذهابه اي جهة مقصده بذكر السؤال منه صلي الله عليه وسلم عن
موضع اخر غير مقصده وبذكر البحث عن اخباره اي اخبار الموضع الاخر وما يتعلق به والتعريض
منه صلي الله عليه وسلم بذكره ايما الي انه يريده وما يريده اذ قد ورد استعينوا علي قضا حوايجكم
بالكتمان لا انه يقول لاصحابه تجهزوا الي غزوة كذا ويقول لهم وجهتنا الي موضع كذا خلاف
مقصده فهذا اي قوله لا انه الي اخره لم يكن قاله لهم والاول اي سؤاله صلي الله عليه وسلم عن
الموضع هو غير مقصده ليس فيه خبر يدخله الخلف لانه تعريض وايهام لقصده عن غرضه وتورية
بشي عن شي فان قلت ايها السايل عما ينبغي ان يرد فيه العلم الي الله فما معني قول موسي صلي الله
عليه وسلم وقد سئل الواو للحال من موسي اي الناس اعلم فقال انا اعلم ولم يقل الله اعلم فعتب الله
عليه ذلك اذ قال انا اعلم ولم يرد العلم اليه تبارك وتعالي الحديث رواه الشيخان عن ابي بن كعب مطولا
وفيه قال اي الله تعالي بل وفي رواية بلي عبد لنا بمجمع البحرين هو ملتقي بحري فارس والروم مما يلي
المشرق اعلم منك ظاهره انه اعلم من موسي مطلقا وليس مرادا بشهادة ما في الحديث اني علي علم
علمنيه الله لا تعلمه وانت علي علم علمكه الله لا اعلمه وهذا اي قول موسي صلي الله عليه وسلم انا اعلم
خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم ما القي عليك جوابا لما زعمت من ان قوله صلي الله عليه وسلم
انا اعلم الناس ليس كما قال انه وقع في بعض طرق هذا الحديث الصحيحة المروية عن ابن عباس
هل تعلم احدا اي من الناس بشهادة قوله اي الناس اعلم منك فاذا كان جوابه لسايله عن اي الناس
اعلم قوله انا اعلم علي ما غلب عنده من علمه انه لا يعلم احدا اعلم منه فهو اي قوله انا اعلم خبر حق
صدق لا خلف فيه ولا شبهة مؤكدات لكونه خبرا صادقا وعلي الطريق الاخر المروي عن ابي بن
كعب المار انفا فمحمله علي غلبة ظنه بحيث لا يخطر معه نقيض وعلي معتقده انه اعلم كما لو صرح به
اي بظنه ومعتقده كان يقول انا اعلم فيما اظن واعتقد لان حاله صلي الله عليه وسلم في النبوة
يقتضي ذلك اي كونه اعلم الناس فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه بمقوله اي ظنه
صدقا لا يرهق من سمعه شك فيه اذ لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم ما يقتضيه وظايف النبوة

من بيانيه لمفعول انا اعلم علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة اي شريعة امته
وسياستها ويكون الخضر اعلم منه اي موسى بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى له
اياها من علوم غيبية كالقصص المذكورة في دريس السور كسورة الكهف من قصة السفينة
والغلام والجدار الواردة في خبرهما فكان موسى صلى الله عليه وسلم اعلم الناس مطلقا على الجملة
عموما بما تقدم من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة وهذا على الخصوص بما
اعلمه من علوم الغيب التي استاثر الله بعلمها لا يطلع عليها الا من ارتضى ويدل عليه اي على ان ما
اعلمه خاص قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا من العلم بطريق الالهام وعتب الله
عليه ذلك اي قوله اذ سئل اي الناس اعلم انا اعلم انكارا هذا القول عليه لانه كما في حديثه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لربهما اذا امرهما ان تنباه باسماء صلى الله عليه وسلم انا اعلم
شرعا وذلك اي عدم رضاه تعالى لقوله انا اعلم شرعا والله اعلم فوض العلم اليه تعالى فيما
ارتضاه جوابا لئلا يقتدي به فيه من لا يبلغ كماله اي كمال موسى صلى الله عليه وسلم في تزكية
نفسه وعلو درجته من امته متعلق بيقتدي حال من ضمير يبلغ فيهلك من يقتدي به من امته
في قوله انا اعلم لما تضمنه اي انا اعلم من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك القول اي انا اعلم
من الكبر والعجب والتعاطي من عطاه يعطوه اذا اجترا عليه فاخذه والدعوى الباطلة اي
لئلا يورثه اقتداؤه به في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل وان نزه عن هذه الرذايل اي الكبر
والعجب والتعاطي والدعوي الانبيا لشرف مقاماتهم ورفيع درجاتهم وان تفاوتت فهي
بمدرجة سيلها واحدة المدارج اعني الثنايا الغلاظ وهي المواضع التي يدرج اي يمشي فيها ويسيل
فيه الما اي هو موضع تلك الرذايل المشبهة بالسيل المضاف هو اليها على طريقة التشبيه المؤكد
هي الهلاك لها من اتصف بها كالسيل المغرق المحتاج لما مر به وبمدرجه ذكر ليلها بسكون الرا
اي ادراكه المشبهة به كذلك الا من عصمه الله من الاتصاف بها فالتحفظ منها اولى لنفسه
وليقتدي به في التحفظ منها للسلامة من التردي في وهاد نواكبها ولهذا اي ولكون التحفظ
اولى له ولاجل ان يقتدى به قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا انا سيد ولد
ادم ثم نبه على انه لم يقل ذلك عجبا وافتخارا بقوله ولا فخر اتبجح به عظما وكبرا وشرفا بل قاله شكرا
لله وتحدثا بنعمه على وهذا الحديث سئل موسى اي الناس اعلم احد حجج القائلين بنبوة الخضر
لقوله فيه انا اعلم من موسى وفي رواية يا موسى انت على علم من الله علمكه لا اعلمه وانا على علم من علم الله
علم الله علمنيه لا تعلمه ولا يكون الولي اعلم من النبي ولا يلزم من قوله انا اعلم من موسى ان يكون
اعلم منه مطلقا بل بجز خاص من علم الغيب بطريق الالهام بشهادة قوله وانا على علم من علم
الله علمنيه لا تعلمه فلا اعلمية له منه واما نبوته فالله اعلم حيث يجعل نبواته واما الانبيا فمتفاضلون
في المعارف بما عرفهم الله وفي الدرجات ايضا بشهادة ورفع بعضهم فوق بعض درجات ولقوله
اي الخضر كما حكاه الله عنه من الامور الثلاثة وما فعلته عن امري اي عن راي واجتهادي بل بامر
الله فدل كونه لم يفعلها عن راي واجتهاد انه فعلها بوحي بواسطة ملك او الهام ومن قال
انه ليس نبي قال يحتمل ان فعله للامور الثلاثة بامر نبي اخر كان في زمانه وهذا اي
القول يضعف لانه ما علمنا كان في زمن موسى صلى الله عليه وسلم نبي غيره الا اخاه هرون

وما

وما نقل احد من الاخبار في ذلك شيئا انه كان في زمن موسى عليه نبي غير اخيه هارون نعول
ونعتمد عليه من ان فعله لها بامر نبي كان في زمنه غير موسى واخيه واذا جعلنا قول السايل لموسى
هل تعلم احدا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا مخصوصة كالتي في سورة
الكهف لم نحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا اي ولاجل ان علم الخضر كان خاصا بقضايا معينة قال
بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ اي موسى من العلوم عن الله والخضر اعلم من
موسى فيما دفع اليه من جهة موسى اذ كان سببا في ايصاله اليه وقال اخر من الشيوخ انما
الجي اي اضطر الى الخضر للتاديب من الله له اذ لم يرد العلم اذ سئل اليه لا للتعليم من الخضر
لانه صلى الله عليه وسلم كان اكمل اهل زمانه علما ودينا وعملا فصل واما ما يتعلق بالجوارح
من الاعمال لصدورها عنها من حيث انها مواردها ولا يخرج من جملتها اي من جملة الاعمال القول
باللسان فيما عدا الخبر بقسميه الذي سبيله البلاغ والذي ليس سبيله البلاغ الذي وقع
الكلام فيه فيما تلي عليك ولا يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد بالقلب لانه من عمله فيما عدا التوحيد
والايمان والوحي مما عقدت عليه قلوب الانبيا وما قدمناه من معارفه المختصة به اي بالقلب
فانها لا يخرج من جملتها لانها من اعماله فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
من الفواحش جمع فاحشة وهو كلما اشتد قبحه من المعاصي والذنوب وكثيرا ما ترد الفاحشة
بمعنى الزنا وكل خصلة قبيحة من الاقوال والافعال فاحشة وفي الحديث ان الله يبغض الفاحش
المتفحش هو من يتكلف الفحش في كلامه وافعاله والكباير الموبقات اي المهلكات واحدها كبيرة
وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا العظيم خطرها من الصفات الغالية ومستند
الجمهور في ذلك اي في قولهم بعصمتهم الاجماع الذي ذكرناه من المسلمين وهو مذهب القاضي
ابي بكر بن الطيب الباقلاني المالكي ومنعها اي منع عصمتهم غيره اي غير القاضي بدليل العقل
منع عصمتهم لعدم احالته ما هو ممكن في نفسه مع قيام الاجماع عليها كما مر وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني الشافعي لشرف جنابهم عن ان يصدر عنهم شي مما ذكر
وكذلك اي وكما انهم معصومون من ذلك انهم معصومون من كتمان الرسالة عمن ارسلوا
اليهم ومعصومون من التقصير في التبليغ لما ارسلوا به الى من ارسلوا اليهم لان ذلك اي
الكتمان والتقصير يقتضي العصمة منه المعجزة فاعل يقتضي والعصمة مفعوله اي تدل
المعجزة مع قيام الاجماع على ذلك اي على عصمتهم من قبل الله باختيارهم وكسبهم بمعنى انه تعالى
لم يخلق فيهم ذنبا على ذلك من الكافة من العلما لم يخالفهم فيه الا النجار من المعتزلة فانه قال لا قدرة
لهم على المعاصي واما الصغاير جمع صغيرة وهي هنا ما لم يعد لمعاصيه كنظرة وكلمة سفه ونحو معصية
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم كامام الحرمين منا وابي
هاشم من المعتزلة فقد جوزوا عليهم الصغاير غير المنفرة وهو اي تجويز ذلك عليهم مذهب ابي جعفر
محمد بن جرير الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين اي بعض من كل وذهبت طايفة
اخرى من العلما الى الوقف عن القول بجواز او عدم وقالوا العقل لا يحيل وقوعها اي وقوع الصغاير
منهم ولم يات في الشرع لنا من الشارع قاطع باحد الوجهين من جواز او عدم وذهبت طايفة
من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير وهو اللايق بكريم جنابهم وشريف منصبهم

كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في تعريف الصغائر اذ منهم من قال هي كل ما لم يتوعد
الله عليه بحد ومنهم من قال هي امر نسبي الى ما فوق وتحت ومنهم من توقف في تعيينها وتمييزها
عن الكبائر وقول ابن عباس كما رواه ابن جرير عنه كلما عصي الله به فهو كبيرة لخروجه به عن طاعة
الله في الجملة وانما سمي لصغير منها بالاضافة والنسبة الى ما هو اكبر منه فهو باعتبار ما فوقه
صغيرة وما تحته كبيرة ومخالفة البارئ تعالى من برا الخلق اي اوجدهم لا على مثال وميز بعضا
عن بعض باشكال مختلفة في اي امر كان من انواع المعاصي يجب كونه كبيرة لفرط مخالفته تعالى
في العظم بعدم اجتناب منهياته وما قدروا الله حق قدره قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب
البغدادي المالكي لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة فهي عنده باعتبار ترك اجتنابها
بالنهي عنها كلها كبائر ولا تسمى صغيرة الا على معنى انها تغفر باجتناب الكبائر مما فوقها واكبر
منها ولا يكون لها في المؤاخذة بها حكم مع ذلك اي مع مغفرة الله لها بمجرد اجتناب ما هو
فوقها واكبر منها خلاف الكبائر اذا لم يتب منها فاعلها فلا يحبطها شي لعدم ما تغفر هي
باجتنابه والحق ان الصغيرة لا تغفر بمجرد اجتناب الكبائر لشمول ادلة الوعيد للنوعين كبائر وصغائر
كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها وكل صغير وكبير مستطر اي مكتتب في اللوح المحفوظ والكتابة والاحصا
انما يكونان للسؤال والمجازاة وما ورد ظاهره مقتضيا غفرانها بمجرد الاجتناب فلا يفيد الجزم
بوقوعه به بل يفيد جوازه ومجرد جوازه لا يمنع ظن العقاب اذ العمومات الواردة في الوعيد
لقد بدا مؤذنة بترجيح جانب وقوع عقاب كل آت بكبيرة او صغيرة وتشبث من زعم انها تغفر
بمجرد الاجتناب بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم يرده وعده تعالى
المغفرة لما دون الشرك مقرونة بمشيئته تعالى وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات مؤذن
بانها تذهبها كبائر كانت او صغائر لان لفظ السيئات يشملها والمشيئة في العفو عنها كبائر وصغائر
وفي العقاب عليها الى الله تعالى ان شاء عفى وان شاء عاقب وهو اي ما ذهبوا اليه من عصمة الانبيا
من النوعين قول القاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني وجماعة ايمة الاشعرية من عطف العام على بعض
افراده اذ هو من اكابرهم وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا يعني المالكية ولا يجب في القولين
اي قولي العصمة وعدمها عقلا ان يختلف في انهم معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها اذ
يحاط ذلك اي تكرارها وكثرتها بالكبائر المختلف في عصمتهم منها ولا يجب ايضا ان يختلف في صغيرة
ادت الى ازالة الحشمة اي الاستحيا والانقباض وعن علي في السارق اني لاحتشم ان لا اترك له
يدا اي استحي وانقبض ويقال هو يحتشم المحارم تفاديا من ان ينالها منه مكروه واسقطت
المروة واوجبت الازرا من زريت عليه اذا عبته وازدريت به ازدرا وازدرا اذا قصرت به
وتهاونت اي ازالة الاستحيا اي الانقباض والعيب والخساسة اي الدناءة والحالة التي يكون
عليها الخسيس يقال رفعت من خساسته وخسيسته اذا فعلت به فعلا تكون به قد رفعته
وقالت فتاة لعايشة ان ابي زوجني من ابن اخيه ليرفع بي خسيسته فهذا اي النوع من الصغائر
ايضا مما يعصم منه الانبيا اجماعا لنزاهتهم عما لا يليق بهم بكمالهم وتمامهم لان مثله يحط
منصب المتسم اي الموصوف به ويزري بصاحبه اي يحقره وينقصه وينفر القلوب عنه والانبيا

صلوات

صلوات الله وسلامه عليهم منزهون عن ذلك اي مبعدون عما لا يليق برفيع منصبهم من النقايص
بل يلحق بهذا اي بما ينزهون عنه ما كان من قبيل المباح الذي لا تبعة على فاعله فادى الى مثله
اي الى مثل ما ينزهون عنه لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر اي الحرام لمنعه
من قربان المحظور وفي الحديث قالت امراة يا نبي الله ادع الله لي فلقد دفنت ثلاثة فقال
لقد احتظرت بحظار شديد من النار اي احتميت بحمى عظيم منها يقيك حرها وذهب بعضهم الى
عصمتهم من مواقعة المكروه اي فعله قصدا وان كان جايزا حذرا من ان يؤدي الى مواقعة
ما حظر منه كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه وفي رواية يوشك ان يرتع فيه واستدل
بعضهم على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم والانقياد الى الاقتدا بهم في
افعالهم واتباع آثارهم الحسنة المخلفة عنهم مما يهدي للتي هي اقوم وسيرهم الحميدة مما
يؤثر عنهم من صفاتهم الكريمة مطلقا اي سوا كان اتباعهم في افعالهم وسيرهم مما هو من الامور
الدينية ام من غيرها علم بها مقصدهم القربة ام لا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب
ابي عبد الله مالك هو الامام وناصر السنة محمد بن ادريس الشافعي وابي حنيفة من غير
التزام قرينة تؤذن باتباعهم في اي نوع من ذلك بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في ذلك
اي في حكم اتباعهم من وجوب او ندب وحكى ابن خويز منداد بمعجمة مضمومة فواو مفتوحة
فيا ساكنة فمعجمة فميم مفتوحة فنون ساكنة فمهملتين بينهما الف وابو الفرج عن مالك التزام
ذلك اي التزام اتباعهم وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا من المالكية
وقول اهل العراق وابي العباس احمد بن سريج وشيخه الاصطخري وابي علي بن خيران
من الشافعية واكثرهم اي الشافعية على ذلك اي التزام اتباعهم ندبا وذهبت طايفة
الى ان اتباعهم في ذلك من الاباحة وقيد بعضهم الاتباع لهم صلوات الله وسلامه عليهم فيما
ذكرناه اذا كان من الامور الدينية وعلم مقصد القربة الى الله زلفى ومن قال بالاباحة في افعاله
اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يقيد اتباعهم في ذلك بوجوب ولا ندب ولا اباحة قال فلو جوزنا
عليهم الصغائر لم يمكن الاقتدا بهم صلوات الله وسلامه عليهم في افعالهم لعدم علمنا بمقاصدهم
بها اذ ليس كل فعل من افعاله كغيره منه يتميز به مقصده الذي قصده اهو من القربة واجبا
او مندوبا او من الاباحة مما لا يترتب بفعله مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب او من الحظر حراما
ومكروها وخلاف الاولى ولا يصح على تقدير جواز الصغاير عليهم ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله
معصية لا سيما اداة استثنا مركبة من سي وما ان جعلت موصولة رفع ما بعدها خبر مبتدا
اضمر بعدها يقال اكرم القوم سيما اخوك اي سي الذي هو اخوك او زايدة جر ما بعدها على انها
بمعنى مثل يقال اكرمهم سيما اخيك اي ولا مثل وقد روي يوم في قول امرئ القيس ولا سيما
يوم بدارة جلجل مرفوعا ومجرورا عند من يرى من الاصوليين تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
وجعل المتاخر منهما لدلالته على الجواز المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به
هذا ودعوى امكان الاقتدا بهم لعدم تمييز مقصده من القربة بكل فعل من افعاله مع تجويز الصغاير
عليهم ممنوعة بل كل ممكن مع تجويزها عليهم لعصمتهم من ان يامروا بما لا يجوز او يكره او يقروا
عليه او يتركوا بيان ما امروا ابتداءه فيجوز بل يجب الاقتدا بهم في جميع افعالهم وان لم يتميز بانها

قصدت القربة ونزيد هذا حجة تزيل شبهة من زعم عدم امكان الاقتدا بهم لعدم ما ذكر مع تجويزها
بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا بل عن جميع الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
مجمعون على انه كهم لا يقر على منكر من قول او فعل لعصمتهم من ذلك وانه متى راى كهم شيا
من ذلك يفعله احد فسكت عنه ولم ينكره على فاعله دل سكوته عنه على جوازه ايذانا بسكوته
عنه انه راض به فكيف يكون هذا اي عدم اقراره وسكوته على منكر قولا او فعلا لا يكون حاله
في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه هذا خلف انكر وجوده بانكار حاله التي يرد عليها
بطريق الكناية كما مر في نظايره على وجه برهاني للزوم انكار وجوده لانكار حاله وعلى هذا
المأخذ الذي يصار الى امتثال اقوالهم وافعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا بواسطة
اجماع من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا على انه لا يقر على منكر وعلى انه متى راى شيا
فسكت عنه دل على جوازه تجب عصمتهم من مواقعة المكروه تفاديا من ان يقتدي
بهم في شي يمكن ان يكون مكروها على تقدير وقوعه منه كما قيل اذ الحظر او الندب على الاقتدا
بفعله اي نبينا صلى الله عليه وسلم ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه لعدم الاذن
فيه بخلاف المندوب وايضا يقال عودا على بدء تاكيدا لعصمة نبينا كالانبيا فقد علم
من دين الصحابة قطعا الاقتدا بافعاله اي نبينا صلى الله عليه وسلم كيف توجهت الى
كل فعل من افعاله صلى الله عليه وسلم وعلم من دينهم الاقتدا به في كل فن من فنون اي
انواع ما امر بانتلاق من ارسل اليه عليه كالاقتدا باقواله فقد كان صلى الله عليه
وسلم كما رواه الشيخان عن ابن عمر اتخذ له خاتما من ذهب ثم نبذه اي طرحه فاقتدوا به
ونبذوا اخواتيمهم حين نبذ خاتمه من يده كالكاره له وخلعوا نعالهم كما رواه احمد
وابو داود حين خلع نعليه ولفظ الحاكم عن ابي سعيد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم واحتجاجهم لجواز محاذاة الكعبة حال قضا الحاجة
استقبالا واستدبارا برؤية ابن عمر اياه اي حديث الشيخين عنه قال رقيت يوما على
بيت حفصة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم لقضا حاجته مستقبل بيت المقدس مع
نهيه صلى الله عليه وسلم عنها في حديث الشيخين عن ابي ايوب اذا اتيتم الغايط فلا
تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا فجمع ناصر
السنة ابو عبد الله محمد بن الشافعي بينهما بحمل رواية ابن عمر المفيدة لجواز المحاذاة على
قضا الحاجة في البنيان اذ لا يشق فيه اجتنابها ورواية ابي ايوب المفيدة لتحريمها
على قضا الحاجة في الفضا لعدم المشقة فيه واحتج لجواز الاقتدا بفعله صلى الله عليه
وسلم غير واحد بل كثيرون منهم اي من الصحابة في غير شي واحد بل في اشيا كثيرة مما بابه العبادة
او العادة بقوله اي بقول غير الواحد من الصحابة كانس فيما رواه الشيخان انه قدم من سفر
فرئي على حمار يصلي لغير القبلة يومي فقيل له فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله
وابن عمر سئل عن اشيا نفعلها فقال رايته صلى الله عليه وسلم وقال اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حديث الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل امراته وهو صايم فوجد من ذلك وجدا شديدا
فارسل امراته تسال عن ذلك فدخلت على ام سلمة فذكرت لها ذلك فاخبرتها ام سلمة ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صايم فاخبرت زوجها فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحل الله لرسوله ما يشا فرجعت امراته الى ام سلمة فوجدت عندها النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ما بال هذه المراة فاخبرته ام سلمة فقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صايم فقالت قد
اخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لاتقا كم
لله واعلمكم بحدوده وقالت عايشة محتجة بجواز تقبيله وهو صايم كنت افعله انا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اعلم من رواه وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث الموطا على من
اخبر عنه اي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا اي تقبيله وهو صايم فقال يحل الله لرسوله ما يشا
فقال كما مر عنه في حديث الموطا اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده اي محارمه مما منع فلا يقرب
كالفواحش المحرمة المؤذن بها تلك حدود الله فلا تقربوها وما منع منه فلا يتعدى كسهام
المواريث المعينة وتزوج الاربع المؤذن بها تلك حدود الله فلا تعتدوها وعن ابي العالية اللمم
ما بين حد الدنيا وحد الاخرة اي بين ما يجب به الحد في الدنيا كشرب الخمر والزنا والسرقة
والقذف وبين ما اوعد الله عليه العقاب في الاخرة كعقوق الوالدين واكل الربا واموال
اليتامى ظلما فاللمم عنده ما كان بينهما من الذنوب مما لا حد فيه في الدنيا ولا عقاب فيه في الاخرة
والاثار في هذا اي فيما ذكر من اقتداء الصحابة بافعاله صلى الله عليه وسلم اعظم من ان يحيط بها
ويضبطها علم لكن يعلم قطعا من مجموعها اي مجموع الاثار اتباعهم له واقتدائهم بها اي بافعا له
صلى الله عليه وسلم ولو جوزوا عليه المخالفة في شي منها اي من افعاله تجويزا يحتمل معه ان
يتخللها صغاير لما اتسق هذا اي لم يكن على وتيرة واحدة متواليا بلا تخلل صغيرة فيه ولنقل
عنهم الينا ولو بحثوا عنه ظهور حبهم ولما انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما
يشا واما المباحات فجايز وقوعها منهم صلى الله عليه وسلم اذ ليس فيها قدح عليهم مما لا يليق
بهم بل هي ما ذون فيها مستوية فعلا وتركا وايديهم كايدي غيرهم من الناس مسلطة عليها
بالاقدام على فعلها الا انهم لكرمهم عند الله بما خصوا به من رفيع ~~الرتبة~~ المنزلة وشرف المكرمة
وبما شرحت له صدورهم من انواع المعرفة الفايتة للحصر بما اصطفوا به من تعلق الهمم
جمع همة من هم بالامر عزم عليه بالله والدار الاخرة لا ياخذون اي لا يتناولون من المباحات
الا الضرورات التي لا مندوحة لهم عن تناولها مما يتقوون استعانة به على سلوك طريقهم من
تبليغ الاحكام وبيان ما ينفع معاشا ومعادا وصلاح دينهم وضرورة دنياهم مما لا بد منه
ولا محيص عنه وما اخذ على هذه السبيل من الضرورات لتقويهم على ما ذكر التحق طاعة نفسه
بنزع حافظه من لحوق المتعدي فصار لازما بدخول النية فيه وصار الماخوذ على ذلك السبيل
قربة مما يتقرب به الى الله طلبا للقرب منه كما بينا فبان لك وظهر مما ذكرنا عظيم فضل الله على
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبان فضله تعالى ايضا على ساير انبيائه عليهم الصلاة والسلام
بان جعل افعالهم قربات يتقربون بها اليه زلفى وجعلها طاعات بعيدة عن وجه المخالفة اي
جهتها التي تواجه اولا تشبيها لها بذي وجه على طريقة الاستعارة المكنية باثبات الوجه
لها تخييلا وبعيدة عن رسم المعصية اي علامتها اذ الرسم العلامة تشبيها لها بذي علامة كذلك
قال ابو تمام زعمت هواك عفا الغداة كما عفا منها طلال باللوا ور فصل

اختلف في عصمتهم اي الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من المعاصي قبل اظهار النبوة بارسالهم
فمنعها قوم وجوزها اخرون من العلما والصحيح ان شا الله ان شا الله تعالى تقدم المشية امتثالا
لامره تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على امر ان يقدمها وفي هنا اعتراض بين المبتدا
وخبره تنزيههم من كل عيب ينقصهم لبعد ساحة شرفهم عنه وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
اي الشك في افعالهم واقوالهم فكيف تعجب وانكار لاثبات الخلاف في عصمتهم بانكاره حاله اي انى
يثبت والمسالة اي والحال ان الشان ثبوته تصورها كالممتنع الحصول في الذهن فان المعاصي
والنواهي الزاجرة عنها انما تكون المواخذة بها بالنهي عنها ممن ارسل بعد تقرر الشرع الذي
ارسل به لا قبل تقرره فلا عبرة بتاتي الخلاف قبله هذا والذي ادين الله به الجزم بعصمتهم مطلقا
وقد اختلف في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل العلم بانه رسول الله وقبل ان يوحى اليه
هل كان متبعا في عبادته ربه لشرع من شرايع الانبيا قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا
لشي من شرايعهم فالمعاصي على هذا القول غير موجوده لانتفا وصف الاعمال التي يعصي بها
الله ورسوله قبله مع كونها في انفسها تستقبح في مجاري العقول فهو كغيره صلوات الله وسلامه
عليهم محفوظون منها قبل ورود الشرع ولا نهي في المواخذة بها معدوم في حقه حينيذ اي قبل
تقرر شرعه صلى الله عليه وسلم اذ الاحكام الشرعية واجبها وممنوعها ومباحها وحرامها
ومكروهها وخلاف الاولى انما تتعلق بالاوامر والنواهي من حيث وصفها لها بالوجوب والندب
والاباحة والحرمة والكراهة وتقرر الشريعة لعامر الشرايع ثم اختلفت حجج القائلين بهذه
المقالة المودية بكونه لم يكن متبعا في عبادته ربه لشرع ما قبله فذهب القاضي ابو بكر بن
الطيب الباقلاني المالكي الى ان طريق العلم بذلك اي بكونه صلى الله عليه وسلم كان متبعا في عبادة
ربه قبل ان يوحى اليه بشرع قبله النقل وموارد هذا الخبر من طريق السمع بمعنى المسموع الوارد
على السنة النقلة الينا وحجته اي القاضي ابو بكر انه الضمير للشان يفسره اسم الاشارة الذي
هو اسم ان اي لو كان ذلك قد وقع لنقل الينا ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان اي نقله
وعدم كتمه من مهم امره واولى ما اهتبل به من الهبالة وهي الغنيمة وانتهاز الفرصة وفي
الحديث من اهتبل جوعة مومن كان له كذا اي تحين واغتنم لكونه اي تعبده بشرع قبله من
سيرته فلما لم ينقل علم انه لم يكن ولتفخر به اي تتبجح وتفاخر شرفا باتباعه شريعة قبله اهل تلك
الشريعة ولاحتجوا به اي باتباعه شريعة حين ادعى النبوة عليه صلى الله عليه وسلم بانه كان
تابعا شريعة قبله ولم يوثر اي لم يرو لنا شي من ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك اي
امتناع كونه صلى الله عليه وسلم متبعا في عبادته ربه قبل ان يوحى اليه شرعا قبله عقلا قالوا
من جهة العقل معولين عليه لانه اي الشان يبعد مع حكم العقل بكون الانبيا تابعين لغيرنا
مامورين بالايمان به والنصرة له في واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه ان يكون متبوعا من عرف من الانبيا كونه
تابعا له صلى الله عليه وسلم وبنوا ذلك اي بنوا قولهم بامتناع اتباعه صلى الله عليه وسلم
شرعا قبل ان يوحى اليه على طريقة التحسين والتقبيح العقليين وهي طريقة غير سديدة
لبعد مسافتها عن ماخذ الشرع ودفع قواعدها على شفا جرف هار واستناد ذلك الذي

ذهبت اليه تلك الطايفة من امتناع ذلك مما ذكر الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى والظهر
لقرب مسافته من القبول وقالت طايفة اخرى بالوقف في امره وشانه وحاله صلى الله عليه
وسلم قبل بعثته هل كان متبعا لشرع قبلها ام لا واحجموا عن القول بواحد منهما جنحوا الى ترك قطع
الحكم فلم يحكموا عليه بشي منهما اذ لم يحل الوجهين العقل لتساويهما عنده في الامكان ولا استبان
عندها اي عند الطايفة القايلين بالوقف في احدهما اي احد الوجهين طريق النقل لعدم استحالة
تساويهما في الامكان فلم يكن احدهما اولى بترجيح على الاخر وهو مذهب عبد الملك امام الحرمين ابي
المعالي بن ابي محمد الجويني وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه وسلم قبل ان بعث كان عاملا قبل
ان يوحى اليه ومتعبدا بشرع من قبله لبعد ان يكون متعبدا بغير شرع قبل بعثته ثم اختلفوا
اي الفرقة الثالثة هل يتعين ذلك الشرع الذي زعموا انه صلى الله عليه وسلم عليه قبل
ان بعث كان عاملا به ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم اي نكص فهمه وهاب الجزم بتعيينه
لفقد ما يجسره عليه وجسر اي اجترا واقدم بعضهم على التعيين وصمم عليه اي عزم وجزم بالقول به
ثم اختلفت هذه الفرقة المعينه فيمن كان صلى الله عليه وسلم يتبع دينه من الانبيا ويتعبد
به قبل ان يبعث فقيل نوح هو الذي كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتعبد بدينه وقيل ابراهيم
هو الذي كان يتعبد بدينه وقيل موسى وقيل عيسى لانتشار دينهما وادراكه من اليهود
والنصارى فهذه جملة المذاهب فلانه في هذه المسالة اي مسالة تعبده قبل ان بعث مانع
ومتوقف ومجوز والاظهر فيما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني من ان العلم بذلك طريقة
النقل وموارد الخبر من طريق السمع وابعدها مذهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك اي مما
عين لنقل الينا واحطنا به خبرا كما قدمناه انفا عن القاضي ولم يخف عن احد ولا حجة لهم فيما
تمسكوا به من ان عيسى صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعدها ومنهم
نبينا صلى الله عليه وسلم فيكون قد عبد ربه بها لمجيه بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى
صلى الله عليه وسلم فلا يلزم شريعته من جا بعدها لعدم امرهم باتباعها بل الصحيح انه
لم يكن لنبي من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم دعوة عامة لكافة الناس الا لنبينا
صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر القايل بان نبينا كان يتعبد بشرع ابراهيم قبل
ان يوحى اليه ان يتبع ملته في قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم لان امره باتباعها عما
انما كان بعد الوحي اليه ولا حجة ايضا للاخر القايل بانه كان يتعبد بشرع نوح في قوله تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك اي دين نوح ومحمد وما بينهما من
اديان الانبيا فحمل هذه الاية انما هو على اتباعهم في التوحيد بشهادة تفسير المشروع
الذي اشترك فيه هولا الاعلام من الرسل بقوله تعالى ان اقيموا الدين اي دين الاسلام الذي
هو توحيد الله وطاعته والايمان به وبرسله وكتبه وبيوم الجزا وساير ما يكون المكلف به
مسلما لا المشروع الذي هو مصالح الامم لاختلاف احوالهم وتفاوته المؤذن به قوله تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وكقوله اولئك الذين ذكروا من الرسل وغيرهم هدى الله
فبهداهم اي بطريقتهم لا بطريقة غيرهم بشهادة الاضافة في الايمان بالله وتوحيده
واصول الدين اقتده دون الشرايع لاختلافها وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى

خلاف اصول الدين فانها هدي ابدا وقد سمي الله تعالى في اية الانعام المشار الى من ذكر فيها
من الانبيا بقوله اولئك الذين هدي الله فبهداهم اي في الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
المذكورين فيها من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف عند من قال انه ليس
برسول فدل الامر بالاقتدا به بهداهم ان الامر به اصول الشرايع دون الشرايع انفسها
وسمي جماعة منهم اي من الانبيا في شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل اختلافها ان
المراد بهداهم ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله وبعد هذا اي بعد ما
اجتمعوا عليه من ذلك فصل يلتزم من قال بمنع الاتباع اي اتباعه صلى الله عليه وسلم قبل
ان يوحى اليه لشرع قبله هذا القول في ساير الانبيا فلا يكون احد منهم قبل ان يوحى اليه
تابعا لشرع قبله غير نبينا او يخالفون بينهم فيه قبل ان يوحى اليهم اما من منع الاتباع
عقلا فيطرد اصله الذي هو المنع عقلا في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل
كالقاضي ابي بكر على ما مر فاينما تصور له وتقرر اتبعه وعمل بمقتضاه ومن قال بالوقف
فعلى اصله من الاحجام عن تعيين وعدمه ومن قال بوجوب الاتباع قبل الوحي لمن قبله
من الانبيا يلتزمه اي القول بالوجوب بمساق حجته واجرايها في كل نبي فصل لهذا
اي ما تقدم في فصل العصمة قبله حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال الصادرة من غير
الانبيا عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف ويواخذ به فاعله واما
ما يكون المخالفة فيه من الاعمال بغير قصد وتعمد كالسهو وهو ذهول عن المدرك لا ينتهي
الى زواله من القوة الحافظة فيتنبه له بادني تنبيه والنسيان وهو ذهول ينتهي الى
زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة يحتاج في حصوله الى سبب جديد في الوظايف
الشرعية مما ورد الشرع بتعلق الخطاب به كالصلاة والصوم والحج خلافا للسهو والنسيان
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به بشهادة رفع عن امتي الخطا والنسيان وترك
المواخذة به مع امتهم سوا لا يواخذ به منهم مكلف دون مكلف ثم ذلك اي ما لا يواخذ فيه
بسهو ونسيان على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ الى من ارسلوا اليه وتقرير الشرع له
ليعمل به وتعلق الاحكام امرا ونهيا وتعليم الامة مصدر مضاف الى مفعوله اي تعليم كل رسول
امته بالفعل واخذهم باتباعه فيه اي في ذلك الفعل والثاني ما هو خارج عن هذا الذي
طريقه البلاغ مما يختص بنفسه من واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات كما كان
لنبينا صلى الله عليه وسلم اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ من الاحكام عملا وقولا
فحكمه اي في المام السهو به عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب اي
باب ما طريقه البلاغ وقد ذكرنا فيما تلي عليك انفا الاتفاق من العلما على امتناع ذلك
اي امتناع المخالفة في القول في حق النبي وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا وكذلك
اي ومثل ما قالوا في باب القول بعصمة النبي من جواز ذلك قالوا الافعال في هذا
الباب لا يجوز طروها بالهمز من طرا يطرا طروا وقد يترك تخفيفا وفي الحديث طرا على حزبي
من القران اي وردي واقبل مفاجاة كان قويته فجاته في وقته الذي يؤديه فيه منه اي
لا يجوز ورود المخالفة واتيانها فجاة على النبي فيها لا عمدا ولا سهوا لانها اي الافعال

يعني

يعني القول من جهة التبليغ والاداء فيمتنع طرو المخالفة على النبي فيها فطرو هذه العوارض
عليها اي على افعال النبي يوجب التشكيك في افعاله ويوجب تسبب المطاعن من طعن فيه وعليه
يقول يطعن فتحا وضما اذا عابه بوقيعة فيه واعتذروا عن احاديث السهو في بعض صلواته
صلى الله عليه وسلم بتوجيهات نذكرها بعد هذا في الكلام على احاديث السهو والى هذا اي الى منع
طرو المخالفة في افعال النبي عمدا او سهوا مال ابو اسحق الاسفرايني وذهب الاكثر من الفقها
والمتكلمين على اختلافهم الى ان المخالفة في الافعال البلاغية التي من ارسل اليهم من الامم
والاحكام الشرعية علمية وعملية سهوا تمييزا وحال من المخالفة وعن غير قصد منه اي من
النبي نسيانا او سهوا او غلطا فهو عام عطف على بعض افراده جايز عليه اي على النبي كما تقرر
من احاديث السهو في الصلاة الثابت في الصحيحين وغيرهما وفرقوا اي المجوزون له بين
ذلك اي الافعال وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على ثبوتهم بما طلب منهم لمعارضتها
على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها اي مخالفة الصدق في القول سهوا ومن غير قصد
يناقض المعجزة واما السهو في الافعال فغير مناقض لها اي للمعجزة لانها من جنسها ولا قادح في
النبوة للنبوة لمانع وقوعه فيها لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر
جمع سمة من وسمه وسما وسمة اذا اثر فيه بكي ونحوه فكانه وسم لها اي هي من علامات من لم يكن
معصوما واما من كان معصوما كنبينا صلى الله عليه وسلم فهو وان كان كما في حديث الشيخين
عن ابن مسعود قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني فنسيانه ليس كنسيان غيره بل حالة النسيان والسهو لامهما عوض عن الضمير اي
حالة نسيانه وسهوه هنا في حقه اي بفعله الصادر عنه وكل من افعاله حميدا انما يصدر عنه لانه
سبب افادة علم بفيده امته وتقرير شرع كما في حديث الموطا بلاغا مما لم يعرف وصله قال اي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لانسى او انسى بضم الهمزة وفتح النون وتشديد المهملة مبنيا
لمفعوله للعلم بفاعله اي ينسيني الله لاسن اي لابين لكم ما يفعله من نسي شيا في عبادته وافعاله
لتاسوا بي بل قد روي لست انسى ولكني انسى لاسن اي اني لا ادفع الى النسيان لازجركم بالهدي
الى صراط مستقيم وابين لكم ما تحتاجون ان تفعلوه اذا عرض لكم نسيان وهذه الحالة اي حالة
نسيانه صلى الله عليه وسلم لكيس زيادة له في التبليغ لما ارسل به لامته اذ به يتوصل الى
معرفة ما يصنع من نابه سهو في عبادته وتمام عليه في النعمة عطف على زيادة وفيه تلميح الى
قوله تعالى ويتم نعمته عليك بعيدة عن سمات النقص اي علاماته واغراض الطعن جمع غرض وهو
ما ينزع النفس نحوه وتميل اليه والطعن الوقيعة في اعراض الناس بذم وغيبة ونحوهما وفي
الحديث المومن لا يكون طعانا من طعن فيه وعليه يطعن بالضم والفتح اي لا يكون وقاعا في الاعراض
ولا عيابا لها فان القايلين بتجويز ذلك اي السهو على الانبيا في الافعال يشترطون ان الرسل لا تقر
على السهو والغلط بل اذا عرض لهم فيه ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور اي بسرعة اجابة
هو امر ممتنع على قول بعضهم وهو قول ابي اسحق وهو الصحيح وينبهون عليه قبل انقراضهم على قول
الاخرين المجوزين له من الفقها والمتكلمين واما ما ليس طريقه البلاغ الى من ارسلوا اليهم
ولا بيان الاحكام الشرعية لهم من افعاله صلى الله عليه وسلم اي مما ليس طريقه البلاغ

وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه وربه من تهليل وتحميد وتمجيد وتسبيح وثنا عليه بما يليق
بكريم ذاته مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من العلما على جواز السهو اي الذهول عن الشي كما مر
والغلط عليه صلى الله عليه وسلم فيها اي في الافعال اذ لا يلحقه صلى الله عليه وسلم بذلك معرة ولا
نقص ولحوق الفترات والغفلات بقلبه ولحوق ذلك بما كلفه اي بسبب ما طوقه من مقاسات
الخلق وسياسة الامة اذ باشتغاله بما يلحقه ذلك ومثله معاناة الاهل من الاهتمام
والاشتغال بما له من اولاد وزوجات واقارب رفقا بهم وعونا لهم وملاحظة الاعدا اي مراقبتهم
واخذه حذره منهم وهذا كله من حيث هو مما يشغل القلب ويودي به فتورا ويلوي الخاطر عن قصده
ويغشي به نفورا ولكن ليس صدور ذلك منه صلى الله عليه وسلم على سبيل التكرار ولا على سبيل
الاتصال اي التوالي والتتابع بل على سبيل الندور والقلة لان غلبه كان ابدا مشغولا بالله تعالى
كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي اي ليغشاه من السهو الذي لا يسلم منه بشر فاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة مما كان يعرض له من امور امته واهله ومصالحهم فيشغله عن ربه فيعده
ذنبا وتقصيرا احسناه من ذلك وقد سبق لهذا مزيد بيان وليس في هذا اي فيما ذكر من تجويز
السهو والغلط فيها اي في افعاله صلى الله عليه وسلم شي حط من رتبته من رتب اذا انتصب
قايما وجمعها مراتب اي ينزل من منزلته العلية وفي الحديث من مات على مرتبة من المراتب بعث
عليها اراد بها الحج والغزو ونحوهما من العبادات الشاقة وليس فيه شي يناقض معجزته مفاعلة
من نقض البنا اي يبطلها وذهب طايفة من الذهاب ضد الرجوع وفي الحديث كان صلى الله
عليه وسلم اذا اراد الغايط بعد المذهب هو مكان الذهاب استعير للراي الى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم للنزاهة ورفيع درجات منزلته
عن ذلك جملة لا يستثنى منها شي يجوز عليه وهو مذهب جماعة المتصوفة اي متكلفي طريقة
التصوف ومنتحلي علمه واصحاب علم القلوب اي المعارف الالهية والعوارف الربانية والمقامات
السنية وفي هذه الاحاديث اي احاديث السهو الواردة فيه مذاهب نذكرها بعد فيما يرد عليك
ان شا الله تعالى في فصل في الكلام على احاديث السهو الواردة في فعله منه قد قدمنا في
الفصول السابقة قبل هذا الفصل ما يجوز فيه عليه صلى الله عليه وسلم السهو من الافعال
البلاغيه والاحكام الشرعيه مما ذهب اليه الفقها والمتكلمون وما يمتنع فيه عليه السهو من
الاقوال البلاغية على ما مر واحلناه اي جعلنا وقوع السهو في الاخبار محالا جملة من غير تفصيل
وتفرقة بين كونها دينيه او دنيويه حذرا من ان يورث تجويزه عليه صلى الله عليه وسلم
فيها التشكك والطعن في التبليغ واحلناه ايضا في الاقوال الدينية فقط قطعا بلا خلاف
تفاديا من ذلك واجزنا وقوعه اي وقوع السهو في الافعال الدينية لعدم منافيه ومناقضته
للمعجزة فيها وعدم قدحه في النبوة على الوجه الذي رتبناه من كونه مع قلته انما يقع سببا لافادة
علم وتقرير حكم لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم لست انسى ولكني انسى لاسن اي لا انسى او انسى
لاسن والصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث احدها
حديث ذي اليدين رواه الشيخان في السهو عن ابي هريرة في السلام منه صلى الله عليه وسلم من
ركعتين اثنتين في احدي صلاتي العشي والظهر والعصر فقال ذو اليدين يا رسول الله انسيت ام

قصرت الصلاة قال لم انس ولم تقصر فقال الا كما يقول ذو اليدين قالوا نعم فقام ثم سلم ثم كبر وسجد
ثم رفع قال ابن سيرين نبئت ان عمران بن حصين قال ثم سلم الثاني حديث الشيخين عن
مالك بن عبد الله بن بحينة في القيام منه صلى الله عليه وسلم في الصلاة من ركعتين اثنتين
سهوا تعليما لمن نابه شي في صلاته ان يقتدي به فيما يفعله الثالث حديث الشيخين عن ابن
مسعود انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا سهوا طرا عليه ليبين ما يترتب عليه اذا عرض
وهذه الاحاديث الثلاثة المروية عن ذي اليدين وابي بحينة ومسعود مبنية على السهو منه
صلى الله عليه وسلم في الفعل الذي قررناه فيما مر انفا دون السهو في القول وحكمة الله فيه مما
به صلى الله عليه وسلم ليستن به اي بسببه لامته اذ البلاغ بالفعل اجلى منه اي من البلاغ بالقول
وارفع للاحتمال وابين للمراد لانه من علم عين اليقين مشاهدة الفعل وشرطه اي شرط السهو
بالفعل ان لا يقر على هذا السهو بل يشعر به فيتنبه له بادنى تنبيه ليرتفع الالتباس وتظهر
فايدة الحكمة من بيان ما يحتاج اليه من نابه شي منه في صلاته كما قدمناه انفا وان النسيان
والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة لعدم المباينة بينهما ولا قادح
في التصديق له صلى الله عليه وسلم مما ادعى وانقاد له فيما جاء به ودعى اليه تبليغا وبيانا
للناس ما نزل اليهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان موذنا بنفي منافية السهو
للمعجزة انما انا بشر انسى كما تنسون بجامع البشرية بينهما فاذا نسيت فذكروني كرره تاكيدا
للحكم على نفسه صلى الله عليه وسلم بصدور النسيان والسهو منه مع افادته عدم مضادتهما
للمعجزة وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن عايشة رحم الله فلانا
كناية عن رجل لا اعرفه لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن نسيانا لا تركا عمدا ويروى
انسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم كما مر عن الموطا بلاغا لا انسى او انسى لاسن اي لابين ما
يترتب على السهو من الحكم قيل هذا شك الراوي بشهادة او المؤذنة بالترديد وقد روي انى لا
انسى بزيادة همزة بين حرف النفي والنون على الرواية قبلها ولكني انسى لاسن وذهب ابن نافع
او ابن نافع وعيسى بن دينار انه اي حديث لا انسى او انسى ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى
انا او ينسيني الله لورود نسبته صلى الله عليه وسلم النسيان الى نفسه تارة والى ربه اخرى
قال الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اي النبي صلى الله عليه وسلم انسى في اليقظة ليتاتى السهو
فيها اختيارا او انسى في النوم بتشديد المهملة لعدم تاتيه فيه اختيارا وقد يمنع هذا بانه صلى
الله عليه وسلم كان لا ينام قلبه فحاله نوما ويقظة سوا او يحتمل ان يريد انسى على عادة البشر
من الذهول عن الشي والسهو عما هو بصدده بما يشغل البال والنسي بالتشديد اي ينسيني الله
مع اقبالي عليه وتفرغي له مشتغلا بجناب قدس ربي متلبسا بطاعته فاضاف احد النسيانين
الى نفسه اذ كان له بعض الاختيار بمباشرته في تحصيله والتسبب فيه ونفى الاخر عن نفسه
اذ هو فيه بمباديه البعيده كالمضطر والملجا اليه لانه قدر عليه في الازل بصدوره منه في
ابانه فيما لا يزال لا محالة لامتناع تخلفه وبمباديه القريبه كالمختار بمباشرته له وتسببه في
حصوله بخلق الداعية والقدرة فهو مضطر في صورة مختار وفي الحكمة قال الجدار للوتد ما لك
تشقني فقال سل من يدقني وذهبت طايفة ممن تكلم على الحديث اي حديث سهوه صلى الله عليه وسلم

في الصلاة اي انه صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة فيترك منها ما ليس عن علم وهو مزله
مزيد بيان ولا ينسى لان النسيان كما مر قريبا ذهول وغفلة منتهي الى زوال المدرك من
القوة المدركة والحافظة بما استولى على القلب ويغشاه فيحتاج في حصوله الى سبب جديد
وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنه اي مبعد عن الغفلة مما يؤدي الى نقص والسهو شغل
بذهول لا ينتهي الى زواله من الحافظة وكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته لا عنها
فلا يتركها عن علم غير مبال بها ولا يخرجها عن وقتها بشهادة فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون اي غافلون وكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله الواو للحال اي يسهو
فيها حال كونه يشغله عن حركاتها بركوع وسجود وغيرهما ما فيها فاعل يشغله من خشوع وانابة
واستكانة وما يغشاه من تجليا مما يورثه قرة عين فيها فيسهو شغلا بها لا غفلة عنها مما
ينقص جنابه الكريم واحتج من منع النسيان في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله في الرواية الاخرى
المتقدمة آنفا اني لا انسى بزيادة الهمزة كما مر وذهبت طائفة الى منع هذا كله سهوا ونسيانا
عنه صلى الله عليه وسلم تبعيدا لهما عن ساحة مقامه وقالوا ان سهوه كان عمدا وقصدا
ليسن ما امر مجيانه ليقتدى فيه وهذا قول مرغوب عنه لا فيه متناقض لمناقضة السهو
للعمد واستحالة كونه عمدا كيف يكون عامدا ساهيا في حال واحده اي على حاله يرد مع عدم
امكان اجتماعهما لعناد بينهما اوجب نفي الملزوم اعني امكان اجتماعهما بنفي لازمه اعني الحالة
التي يرد عليها بطريق الكناية على وجه برهاني ولا حجة لهم في قولهم انه اي النبي صلى الله عليه وسلم
امر بتعمد النسيان ليسن لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا انسى وانسى وقد الواو للحال اي
قالوا بتعمده ليسن والحال انه قد اثبت احد الوصفين النسيان من قبل نفسه او من قبل ربه
ونفى مناقضه بالاضافة الى الضمير التعمد والقصد مفعول نفى باثبات احدهما وقال انما
انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقد مال الى هذا اي القول بانه صلى
الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان عظيم من ائمتنا يعني المالكيه وهو ابو المظفر الاسفرايني
وصفه بالعظم تعجبا وتعجيبا من ميله الى هذا القول المرغوب عنه لمناقضته بمعاندة السهو للعمد
وقد ظهر انه لم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه لوروده في معرض الانكار بمناقضته ولا حجة
لهاتين الطائفتين القائلة بانه صلى الله عليه وسلم كان يسهو في صلاته ولا ينسى والقايلة
بان سهوه كان عمدا وقصدا في قوله اني لا انسى بزيادة همزة بين حرفي النفي والنون ولكني
انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان في جملة اي النسيان الذي هو حكم بمعنى مدلول لفظه
فالاضافة بيانيه وانما فيه اي في لا انسى نفي لفظه وكراهة لعبه كقوله صلى الله عليه وسلم
بئس بالهمز فعل جامع لانواع الذم ضد احمد نعم لانواع المدح ما لاحدكم ان يقول نسيت
اية كذا ولكنه نسي مشدد اي انساه الله كره نسبة النسيان الى النفس اما لانه تعالى هو
الذي انساه لاسناد الحوادث كلها اليه تعالى اولان النسيان ترك فكره له ان يقول تركت
القرآن او قصدت الى نسيانه اولانه لم يكن باختياره يقال انساه الله ونساه ورواه ابو
عبيد بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت وكيت ليس هو نسي وهو ابين من الاول
واختاره بمعنى ترك او انما فيه نفي الغفله وقلة الاهتمام بالجر عطف على الغفله بامر

الصلاة عن قلب لكن شغل بها عنها اي بالغفلة عن الصلاة ونسي بعضها ببعضها اي بعض الصلاة
ببعض الغفلة عنها ليبين للناسي فيها ما جبرها بتركه شيئا منها كما ترك الصلاة يوم الخندق ق
في رواية الشيخين حتى خرج وقتها وشغل اي وانما انه قد شغل بالتحرز من العدو وعنها
اي عن صلاة يوم الخندق فشغل بطاعة هي حراسة المدينة وحفظها بتحصينها من المشركين
عن طاعة هي امتثال امر ربه باداية الصلاة وقيل كما رواه الترمذي والنسائي عن ابن مسعود
تركه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اربع صلوات متواليات الظهر والعصر والمغرب والعشا
وبه اي بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات يوم الخندق احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة الى ان يخرج وقتها في وقت الخوف اذا لم يتمكن من ادائها وقت الامن من الخوف
وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان تقريره بنزول ايته بعد هذا
اي بعد تركه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ما ذكر من الصلوات فهو اي حكم صلاة الخوف على
ما هو مقرر في بابه ناسخ له اي لتركه وقت الخوف كيوم الخندق فان قلت فما تقول في نومه
صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الوادي كما رواه البخاري وغيره وقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي اعتراض بين السؤال وجوابه ورد حالا افادت ان قلبه لا يعتريه نوم فكيف نام
حتى خرج وقتها فاعلم ان للعلماء عن ذلك اي عن نومه فيه مع ان عينيه تنامان ولا ينام
قلبه اجوبة اسم ان خبرها ما قبله منها ان المراد بان هذا اي يقظة قلبه مستيقظا حكم
قلبه عند نومه صلى الله عليه وسلم وعند نوم عينيه دونه انما كان في غالب الاوقات لا
يغشاه فيه نوم وقد يندر اي يقل منه صلى الله عليه وسلم ذلك فيغشاه النوم كما يندر من
غيره خلاف عادته بان يكون مدنيا عملا فيتركه قليلا ويصح هذا التاويل الذي افاد ان قلبه
لا ينام غالبا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه اي حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
واكده بنفسه حذرا من توهم كون لامه للجنس فيذهب الذهن الى غيره ان الله قبض ارواحنا
اي ابداننا فلم يبق منا شعور ولا تمييز ويصححه ايضا قول بلال فيه اي في حديث ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي جوابا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد امره ان يكلا لهم الفجر فقال نعم اين ما قلت
يا بلال فقال والله يا رسول الله ما القي علي نومه مثلها لشدة ما ارهقه من فرط الم السهر
وقوة شكيمة السهر فما ايقظهم الا حر الشمس فقال صلى الله عليه وسلم هذا واد به شيطان اقتادوا وا
فاقتادوا واحلهم حتى خرجوا منه وقضوا صلاة الصبح في غيره ومن ثم كره الشافعي الصلاة فيه ولم
يوجب قضا الغاية بعذر فورا بل من فاتته صلاة بعذر ان يتوسع ومثل هذا اي نومه صلى الله
عليه وسلم فيه حتى ايقظه حر الشمس انما يكون منه صلى الله عليه وسلم لامر يريده من اثبات حكم
يبينه لمن طرا له ذلك بعذر ايقضي متوسعا ام فورا الظاهر هذا عدم وجوب القضا فورا وما
ورد مقتضيا وجوبه فورا فيحمل على الفايت بلا عذر جمعا بين الادلة وتحذيرا من العمل ببعضها
دون بعض وتاسيس اي تقرير سنته مرضيه يقتدى بها فيها واظهار شرع مما شرعه
الله لعباده فرضا او سنة وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا
من منامنا ولكن اراد بعدم ايقاظنا ان يكون سنة لمن بعدكم يقتدون بها الثاني من الاجوبة

ان قلبه صلى الله عليه وسلم كان لا يستغرق النوم اي لا يستولي عليه ولا يستقصيه حتى يكون منه
الحدث فيه اي في النوم لما في حديث البخاري وغيره انه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
اي ترديد صوته الخارج مع نفسه ثم يصلي ولا يتوضا لعدم نقض وضوئه مع يقظة قلبه
واما حديث البخاري ومسلم عن ابن عباس المذكور فيه وضوءه صلى الله عليه وسلم عند قيامه
ليلا من النوم مع اهله ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس فلا يمكن الاحتجاج به على كون
وضوئه كان بمجرد النوم مع اهله اذ لعل ذلك اي وضوءه صلى الله عليه وسلم كان للملامسة
الاهل او لحدث اخر صدر منه فكيف لا يكون وضوءه بواحد مما ذكر والحال ان في اخر الحديث
نفسه المروي عن ابن عباس ثم بعد ان قام صلى الله عليه وسلم من نومه فتوضا وصلى ما
كتب له نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا لعدم نقض وضوئه
بالنوم وقلبه يقظان لا يعتبر مظنة نقض وقيل انما هو لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه
في النوم كغيره من الانبيا فانهم يوحى اليهم فيه قال تعالى اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر
ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن روية
الشمس وهذا اي نومهما عن رويتها من فعل القلب بل من فعل الرب تبارك وتعالى وقد
قال صلى الله عليه وسلم في حديث الوادي كما مر ان الله قبض ارواحنا اي انامنا وهذا شاهد
صدق بان قلبه صلى الله عليه وسلم كان قد نام ليلة الاخير الوادي ومن ثم قال ولو شا
لردها الينا في غير هذا اي في وقت غير الوقت الذي ردها عليهم فيه فان قيل فلولا عادته
استغراق النوم قلبه لما قال لبلال اكلا لنا الصبح اي احفظه مراقبا حذرا من ان تنام
فتفوتنا صلاته فقيل في الجواب انه اي النبي صلى الله عليه وسلم كان من شانه التغليس بالصبح
لشهادة حديث انه كان يصلي الصبح بغلس اي بظلمة تخالطها ضياء الفجر بعد الغلس بمعجمة
ومهملة بينهما تامن الغبشة وهي لون الرماد وهو بعد ذي المعجمتين اذ هو كما قال الازهري
عند اول طلوع الفجر بذي المهملة فالغلس ومراعاة اول الفجر لا تصح ولا تتيسر ممن نامت عيناه
اذ هو اي الفجر ظاهر مما لا يدرك الا بالجوارح كالبصر فوكل بلالا بمراعاة اوله اي اول الفجر
ليعلمه بذلك فغلبته عيناه نوما فشغل عن كلاءة الفجر كما لو شغل بغير النوم عن مراعاته
اي اول الفجر فان قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا
يقول احدكم نسيت اية كيت وكيت بل هو نسي بضم النون وتشديد المهملة ورواه ابو عبيد
القاسم بن سلام مخففا للام بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت وكيت ليس هو نسي وقد
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم والحال اي نهى من ذلك والحال انه اسند النسيان الى نفسه والواو
فقال اني انسى كما تنسون بجامع البشرية فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا
اية كنت انسيتها فاعلم ان نهيه صلى الله عليه وسلم اما لان الله هو الذي انساه اذ هو المقدر
للاشيا كلها فلم يكن ذلك باختياره او لان اصل النسيان هو الترك فنهى ان يقال تركت اية
كذا من القران وقصدت نسيها فقط مع انه لا تعارض في هذه الالفاظ الواردة عنه صلى الله عليه
وسلم نهيا وغيره اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ فعله اي تلاوته من
القران اي ان الغفلة في هذا اي فيما نسخ لم تكن منه صلى الله عليه وسلم اختيارا ولكن الله

اضطره

اضطره اليها اي الى الغفلة ليمحو ما يشا اي ينسخ ما يصوب نسخه ويثبت بدله خيرا منه او مثله
وما كان مما صدر منه من سهو وغفلة من قبله وقد كره صلى ان يقال فيه انسي بضم الهمزة
وقد قيل ان هذا اي ما كان من قبله صلى الله عليه وسلم وصلح ان يقال بضم الهمزة منه صلى الله
عليه وسلم على طريق الاستحباب تفاديا منه ان يضيف الفعل الى نفسه بل الاولى ان
يضيفه الى خالقه وهو الله تعالى اذ لا خالق سواه والاخر وهو ما لا يكون من قبل نفسه لا كنسيانا
العهد اياه وتنسيه فيه واسقاطه صلى الله عليه وسلم على سبيل السهو لما اسقطه من هذه
الايات المكني عنها بكيت وكيت او كذا وكذا جائز عليه صلى الله عليه وسلم لكن بعد بلاغ ما امر
ببلاغه وتوصيله اي ايصاله الى عباده بقاؤ يتذكرها من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه
اي رفعه لفظا وحكما كاية من قتل من القرابين معونه بلغوا عنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وفي رواية
للبخاري ورضينا عنه او لفظا لا حكما كاية والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما او حكما
لا لفظا كاية العدة حولا باية اربعة اشهر وعشرا ومحوه واذا له اثره من القلوب وترك استذكا ره
من امته او من قبل نفسه ويجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا اي النسخ والمحو سبيله
من القران اصلا وراسا ويجوز ان ينسيه الله تبارك وتعالى منه اي من القران قبل البلاغ الى
من ارسل اليهم ما لا يغير نظما من كلمات القران اعني تاليفها مرتبة معانيها متسقة دلالاتها
على حسب ما يقتضيه العقل ولا يخلط حكما اي لا يلبسه بحكم اخر مما لا يدخل خللا في الخبر بحيث
لا يدرى ما المراد منه ثم يذكره اياه اي يذكر الله نبيه ما انساه مما لا يغير نظما ولا يخلط حكما باخر
ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتكليفه بالجر
عطفا على مدخول لام العلة اي تكليف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بلاغ كتابه الى من ارسل اليهم
فصل في من اجاز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم الصغاير من الذنوب كالنظرة
والغمزة والخطرة مما يترتب عليه تعزير دون الحد وهي في المعفو عنها كالكباير بمشية الله
تعالى بشهادة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وما ورد كتابا او سنة
مما ظاهره العفو عنها بمجرد اجتناب الكباير لا ينافي كون العفو عنها انما هو بمحض تفضيله
لما بشهادة كون دلالتها ظنية لا تفيد الا جواز وقوعه مع جواز ظن العقاب وفي الكلام على ما
احتجوا به في ذلك اي في تجويزها عليهم من الفقهاء والمحدثين ايمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن شايعهم اي تابعهم وطاوعهم والشيعة في الاصل الفرقة من الناس ولو واحدا ثم غلب على من
تولى عليا واهل بيته فصار لهم علما خاصا وفي الحديث القدرية شيعة الدجال اي اولياوه
وانصاره على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك اي تجويزها عليهم بظواهر كثيرة من الوحيين
القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم اي اوصلتهم الى تجويز الكباير عليهم وخرق
الاجماع اي مجاوزة ما اجمعوا عليه من عدم تجويزها عليهم والحال ان كلما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في تاويل معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه اي مقتضى ما احتجوا به منه
تجويز وعدم فخرج بذلك عن صلاحيته للاحتجاج به على تجويزها عليهم ومع ذلك فقد جاءت
فيه اي في الصغاير اقاويل جمع اقوال جمع قول للسلف بحجة تمنع تجويزها عليهم بخلاف ما التزموه
في ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اي مذهب من جوزها عليهم اجماعا لوجود من خالفهم من الايمة

وكان الخلاف فيما احتجوا به لتجويزها عليهم قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم بجوازها عليهم
وصحة قول غيرهم بعدم جوازها عليهم وجب تركه اي ترك قولهم الخطا ووجب المصير الى ما صح
من عدم تجويزها عليهم وها تنبيه لمخاطبه على ما يلقي اليه من قوله نحن ناخذ اي نشرع
في النظر فيها اي في ادلتهم التي احتجوا بظواهرها على تجويزها عليهم فمنها قوله لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما صدر منه جايزا
وتركه اولى فهو بالنسبة الى شرف جنابه ورفيع مقامه يعد ذنبا هذا وما ذكر هنا
فقد مر اكثره في محاله مع بيانه فلا حاجة الى اعادته وباقيه اجوبة على من جوز على
الانبيا الصغاير بينه بنفسه غنية عن البيان فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم
اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي من عطف السبب على مسببه
اذ الذنب الاثم المترتب على المعصية اعني الخروج عن طاعة الله بما ذكرته في الفصل قبل
هذا من اختلاف المفسرين في اجوبتهم عما صدر عن الانبيا مما هو من باب حسنات الابرار
سيات المقربين وتاويل المحققين له على وجه يزيل شبه الطاعنين فما معنى ما ذكر في القران
وصحيح الحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم كقول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم
واستغفارهم كقول موسى صلى الله عليه وسلم رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكايهم على
ما سلف منهم كداود اذ قد ورد انه بكى حتى بلت دموعه الارض وهل يشفق ويتاب من
التوبة مبنيا للمفعول هو وما قبله وبعده ويستغفر استفهام اذن بنفي ما دخل من الافعال
اي لا يهتم لشي من ذلك من لا شي بل من شي وجد منهم مما التبس بذنب في نفسه لنزاهتهم
من الذنوب كما في هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي لا يستوون فاعلم وفقنا
الله واياك اعتراض بين اعلم وبين ما سد مسد مفعوليه افاد الدعا بالتوفيق له ولكل
من يتاتي توجيه الخطاب اليه ان درجة الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم الدرجة
واحد الدرج التي هي في الاصل مصاعد يبلغ بها المقام اريد به هنا درجات ثوابهم التي ينزلهم
الله اياها في الجنة او سنا محلهم في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده رضى
وسخطا وعظيم سلطانه شانه وعلو رتبه وقوة بطشه اي اخذه القوي الاليم الشديد جاز
عنيد مما يحملهم اي يبعثهم ويلجيهم على الخوف منه جل جلاله اي عظمت عظمته ومن اسمايه تعالى
الجليل وهو الموصوف بنعوت الجلال لجمعه لها فهو الجليل المطلق الراجع الى كمال الصفات
كما ان الكبير الراجع الى كمال الذات والصفات والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به
غيرهم مما فعله جايز مع كونه مفضولا فاشفاقهم على انفسهم من مواخذتهم بفعله وان كان
جايزا انما هو لعلو قدرهم وشرف مقامهم وكرم مابهم وانهم في تصرفهم بامور مما عرضوا
بها لقومهم تبكيتا لهم وتنبيها على خطابهم او تخلصا به من ورطات عرضت لهم كقول ابراهيم
توبيخا لقومه وتلويحا بخطابهم في عبادتهم من لا ادراك له ولا نفع ليرعووا عن غيهم فعله
كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وقوله للجبار عن زوجته هي اختي فهذه النسبة منه
لم ينهوا عنها لجريها على موجب الاباحة ولا امروا بها لنزاهة شرف كمالهم عنها وان كانت جايزة
ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها كقوله تعالى معاتبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باذنه

للمنافقين

للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك عفا الله عنك لم اذنت لهم ومعاتباته باذنه لاصحابه
في اخذ الفدا من اسارى بدر بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وقد
مر لهذا مزيد بيان او حذروا اي خوفوا من المواخذة بها لعدم جريها وان كانت جايزة على موجب
مقاماتهم العلية وسماتهم المرضية واتوها اي فعلوها على وجه التاويل الى معنى يعتمد
عليه في باب التاويل اذ هو صرف المؤول اليها لولاه لترك على ظاهره او اتوها على وجه
السهو ولا مواخذة به من حيث كونه سهوا فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا
معصومين منه انما صدر منهم لبيان ما يترتب عليه من الاحكام لشهادة قول نبينا
صلى الله عليه وسلم اني لا انسى ولكني انسى لاسن او اتوها على وجه تزيد من امور الدنيا
المباحة كطلب سليمان صلى الله عليه وسلم من ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وازدياده
هو ووالده من النسا بالتزوج اذ قد ورد انه كان له سبعون او تسعون امراة ولوالده
ما اخبر به التنزيل تسع وتسعون ثم كملهن مائة بامراة اوريا ولقد صدر منهم صلوات
الله وسلامه عليهم المكروه لكنه في حقهم غير مكروه تشريعا وبيانا للجواز لشهادة
حديث البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى سباطة قوم فبال قايما خايفون وجلون
خبران وما بينهما اعتراض افاد ان تصرفهم فيما لم ينهوا عنه ولم يومروا به قد اوخذوا
به وعوتبوا عليه او انهم استحذروا من المواخذة به اتين له او ساهين في فعله عندا او
متزيدين من مباحات الدنيا فمواخذتهم بها ومعاتبتهم عليها مع جواز فعلها او تحذيرا من
مواخذتهم بها مع كونها مباحة اي هي اي الامور التي لم ينهوا عنها ولا امروا بها بالاضافة
والنسبة الى علي منصبهم لانهم خلاصة صفوة مخلوقاته ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لربهم لا يلهيهم عنها شي لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم مما نهى الله عنه وتوعد على فعله
فان الذنب ماخوذ من الشي الدني اي الحقير الخسيس الرذل اي الردي المذموم وذنب كل
شي اخره من ذنب الشي المشي اي جعله ذنبا وتابعا له واذناب الناس اراذلهم الخساس
الحقيرون فكانت هذه اي الامور التي تصرفوا فيها بوصف شي من افعالهم باسو لتطهيرهم
وتنزيههم عما لا يليق بهم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل مما امروا به واجبا او مندوبا
والكلم الطيب من تهليل وتسبيح وتكبير وذكر ودعا واستغفار كما ورد به الحديث سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك فحيا بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذكر الظاهر والخفي رغبة ورهبة ذلك كله من الخشية لله
لانهم اعلم الناس به ومن هو كذلك فهو اشدهم خوفا منه لشهادة اني لاعلمكم بالله واشدكم
منه خشية واعظامه حق تعظيمه وقدره حق قدره في السر والعلانية وغيرهم صلوات
الله وسلامه عليهم يتلوث من الكباير جمع كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب العظيمة
كالكفر والقتل والزنا شبه مخامرة غيرهم لما ذكر من الذنوب بالتلوث بالقاذورات ثم اشتق
منه يتلوث فوقعت الاستعارة في المصدر اصالة وفي الفعل تبعا او شبه ما ذكر منها
على سبيل الاستعارة المكنية بعذرة ثم اثبت لها يتلوث تخييلا والقبايح من عطف العام
على بعض افراده اذ منه كباير وصغاير وقال صلى الله عليه وسلم لمن ذكر عايشة اسكت

مقبوحا مشقوحا مشبوحا اي مبعدا والفواحش اي ما فحش منها وتزايد فحشه واشتد من
الذنوب والمعاصي وكثيرا ما يراد بالفاحشة الزنا ما مفعول بتلوث وكان عليه ان
يعديه بالباء اذ بزيادة التاء عليه صار لازما اي يتلطخ بشيء عظيم منها تكون هذه الهنات
الصادرة منهم صلوات الله وسلامه عليهم بالاضافة اليه لاحقة كالحسنات بل
حسنات اذ ليست في الحقيقة ذنوبا كما قيل حسنات الابرار اي الاتقيا سيئات المقربين
الى ربهم زلفى اي عدوها بالاضافة الى علي احوالهم وكرم شوطهم كالسيئات فيعد وقوعها
ذنوبا وكذلك اي ومثل كون الذنب ماخوذا مما ذكرا لعصيان فانه الترك والمخالفة
للامتثال فعلا وكفا فان كان عن عمد فذنب او لا عن عمد فزلة فعلى مقتضى اللفظة اي
لفظة وعصى ادم ربه كيف ما كانت من سهو او تاويل في مخالفة وترك
غير مذموم يوردونه على ابيهما كان وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها
فاكل منها غير عالم انها هي وقيل معنى غوى اخطا ما طلب وتمناه من الخلود اذ اكلها
وخابت امنيته باكله منها وقد نهي عنه وفي العدول عن زل الى غوى زجر بليغ وموعظة كافة
لكل مكلف خرج عن طاعة الله وارشاد الى الاعتبار ينبغي الله على صفيه ادم صلى الله عليه وسلم
زلته بهذا التغليظ فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغاير فضلا عن الكباير وهذا يوسف
نبي الله بن نبي الله بن خليل الله صلوات الله وسلامه عليهم قد اوخذ بقوله لصاحب السجن
هو احد مصاحبيه فيه الذي ظن انه الناجي منهما فاضافته اليه لعلاقة الظرفية كما
في يا سارق الليلة فكما انها مسروق فيها غير مسروقة كذلك السجن مصحوب معه
فيه غير مصحوب ويجوز ان يريد ساكن السجن اذكرني عند ربك اي صفني عنده بصفتي
واخبره بقصتي لعله يخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه مصدر
مضاف الى مفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف لسيده فلبث اي مكث في السجن بضع سنين
من ثلاث او تسع واكثر الاقوال انه صلى الله عليه وسلم لبث فيه سبع سنين وقيل لبثها
بعد قوله له اذكرني عند ربك ان يذكره لسيده الريان بن الوليد الملك بمصر قال النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه ابن جرير والطبراني من حديث ابن عباس وابن مردويه من حديث ابي
هريرة وابو الشيخ من مراسيل الحسن وعكرمة لولا كلمة يوسف اذكرني عند ربك ما لبث في
السجن ما لبث المدة التي مكثها قال ابن دينار كما رواه ابن حاتم عن انس موقوفا لما قال ذلك
يوسف اي اذكر عند ربك قيل له اتخذت من دوني وكيلا وكلت امرك اليه لاطيلن حبسك
فقال يا رب انسى قلبي اتخاذك وكيلا كثرة البلوى التي اورثت بجوانحي حرقا واورثت قلبي
قلقا من حين القيت في الجب حتى اخرجت في السجن وقال بعضهم يواخذ اي الله خواص عباده
بمثاقيل الذر مما تركه اولى من فعله مع كونه جايزا لمكانتهم عنده رفعة وتمكنا ويتجاوز اي
الله تعالى عن ساير الخلق اي باقيهم فلا يواخذهم بما الاولى تركه لقلة مبالاته بهم في اضعاف
ما اتوا به من سو الادب هوانا بهم وبضيعتهم الرايغ عن الخير والرشد وقد قال المحتج للفرقة
الاولى القايلين بان الانبيا لا تواخذ بالسهو والنسيان على سياق ما قلناه من كونهم يواخذون
بمثاقيل الذر اذا كان الانبيا يواخذون بهذا اي بمثاقيل الذر مما لا يواخذ به غيرهم اي غير

الانبيا من السهو والنسيان ومما ذكر من حالهم انهم يواخذون بمثاقيل الذر مما لا يواخذ به
غيرهم من رزانة وكزازة الذهن وعكسه اذ لم تصل الى ان الارفع درجة والاقرب منزلة
من ربه لا يسامح بفعل ما الاولى تركه كما حكي عن الجنيد انه كان في جنازة فراى سايلا سال
فخطر بباله لو اكتسب هذا لكان خيرا له من ان يسال فراه في منامه بين يديه ميتا يقال كل
منه فقال اكل منه وهو ادمي فقيل له انك اغتبته فقال معاذ الله وانما خطر ببالي ذلك فقيل
له انا لا نرضى من مثلك بهذا فاذا الحريص من مثله به فاكرم خلقه عليه اولى وايضا فاعلم انا لا
نثبت لك المواخذة في هذا الذي يواخذ به الانبيا من مثاقيل الذر على حد ما يواخذ به غيرهم من
ذنوبهم ثم يجازون به ان خيرا فخير وان شرا فشر بل نقول استقلالا من نفي ايراد مواخذتهم طريق
مواخذة غيرهم انهم صلوات الله وسلامه عليهم يواخذون بذلك اي بما لا يواخذ به غيرهم ليكون
ذلك اي ما ذكر من مواخذتهم زيادة في درجاتهم العلية ومراتبهم السنية وجعله نفس الزيادة لكونه
سببا لها ويبتلون بذلك اي بالمواخذة به على قدر تفضيل بعضهم على بعض ليكون استشعارهم له اي
لما ابتلوا به سببا لمنماه اي لزيادة رتبهم كما قال عز من قايل ثم اجتباه ربه من جبى يجبي اذا جمع وضم
بعضا الى بعض اي اصطفاه واختاره وقربه اليه زلفى فتاب عليه وهدى اي قبل توبته وارشده
الى الاعتذار مما صدر منه والاستغفار حتى قال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين وقال سبحانه وتعالى لداود صلى الله عليه وسلم فغفرنا له ذلك اي ما فرط من خطبته
على خطبة اوريا اسم شخص امراة حتى تزوجها فاتم بها زوجاته مائة وان له عندنا لزلفى اي قربى
وحسن ماب اي مرجع وهو الجنة وقال بعد قول موسى صلى الله عليه وسلم سبحانك تبت اليك من
سؤالي رؤيتك في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك يا موسى اني اصطفيتك على الناس
اي اخترتك واجتبيتك على اهل زمانك برسالاتي هي الواح التوراة وبكلامي لك بلا واسطة وكيفيته
فكان يسمعه من كل جهة هذا وفي تاويل الماتريدي انه سمع صوتا دالا على كلام الله تولى تخليقه لم يكن
مكتسبا لاحد من خلقه وغيره يسمع صوتا مكتسبا لاحدهم فيفهم منه وقال بعد ذكر فتنة سليمان
صلى الله عليه وسلم واناب اي بعد القاء الجسد على كرسيه ورجوعه الى ربه وفي البخاري قال
سليمان صلى الله عليه وسلم لاطوفن الليلة على مائة او تسعين امراة كلهن ياتين بفارس يجاهد في
سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة جاءت بشق رجل قال نبينا
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فالشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه فتنة وابتلاء وما في بدع التفاسير من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن
في بيته من مفتريات اليهود واباطيلهم فسخرنا له اي لسليمان الريح تجري حال من الريح اي جارية بامره
رخاء اي لينة طيبة لا تزعزع بساطه من فوقه ونصب رخاء على الحال من تجري حيث اصاب اي قصد
واراد والشياطين كل بناء بدل من الشياطين اي سخرنا له كل بناء منهم يبني له ما يشاء من محاريب وتماثيل
وجفان كالجوابي وقدور راسيات وغواص يستخرج له اللؤلؤ وغيره من البحر وهو اول من استخرجه
واخرين من مردتهم عطف على كل داخل في حكم البدل مقرنين بعضهم مع بعض تاديبا وكفا لهم عن الفساد
في الاصفاد جمع صفد وهو القيد سمي به العطا لانه ارتباط للمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده
اي قيده واصفده اي اعطاه هذا الذي انعمنا عليك من الملك وغيره عطاؤنا مفوضا اليك التصرف فيه

فامنن من المنة اي اعطيه اي فاعط منه من شئت او امسك عمن شئت بغير حساب متعلق بعطاؤنا او
حال منه اي جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من مردة الشياطين
بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق وان له اي لسليمان عندنا لزلفى اي قربى وحسن مآب
عطف على اسم ان اي مرجع وهو الجنة فهذا كله زيادة في درجاتهم وسبب لمتناة ذنبهم وقال بعض
المتكلمين زلات الانبيا اي ما صدر منهم مما يوهم انه في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف
اي قرب اكرمهم الله بها فانه جواد كريم مطلق لا ينفد عطاؤه ومنه حديث ان الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لحيازته شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم
الاخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين وتابع اربعة في النبوة وايضا فمع كونها في الظاهر زلات
وانما ابتلوا بها لينبه غيرهم ممن لم يبتل بشي من ذلك منهم او ممن ليس في درجتهم بمواخذتهم بذلك
الذي امتحنوا به لمصدره منهم وليس بذنب فليستشعروا من قولك ليت شعري ما فعل اي علمي محيط بما
صنع لحذف الخبر اي فيعلموا الحذر وبعتقد والمحاسبة على ما يصدر منهم مما لا يليق بهم وان كان
مباحا فيكفوا عنه وليلتزموا الشكر على النعم التي اولاهم اياها ولم يمتحنهم بشي من ذلك بغير حساب
لشهادة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الحديث فذلك الشهيد الممتحن اي المصفى
من محن الفضة اذا صفاها وخلصها بالنار وعن الشعبي المحنة بدعة وذلك ان يمتحن الظالم الرجل
فيقول فعلت كذا فعلت كذا فلا يزال به حتى يقول ما لم يفعله فقلته او ما لا يجوز يعني ان فعله
ذلك بدعة بملاحظة ما وقع وحل باهل هذا النصاب ممن امتحن من الانبيا بما تركه اولى لرفيع اي العلي
رتبة المعصوم اي المحفوظ من مقارنة الذنب فكيف بمن سواهم ممن ليس بمعصوم ولهذا اي ولاجل ان
ابتلا الانبيا كان لينبه غيرهم فيحذر ويعني الصبر على المحن بما جرى لهم قال صالح المري ذكر
اي ذكر الله داود صلى الله عليه وسلم بقصته بسطة للتوابين اي سعة لينتهوا للتوبة وينبهوا
عليها قال ابن عطا لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت يونس صلى الله عليه وسلم على ما مر نقصا
له كان نعمه استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم استزادها من ربه اعلاما منه تعالى له صلى الله
عليه وسلم بها زيادة على ما اعلمه به من قصص الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم فقال لهم
الزاما لمن ساله عن معنى وعصى ادم ربه فغوى وعن معنى ما تكرر في الوحيين من اعتراف الانبيا
بذنوبهم واستغفارهم لها انتم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغاير
كما قال الفقها باجتناب الكباير تمسكا في ذلك بظاهر ما اورد له وردت احاديث بذلك وبظاهر اية ان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم مع قيام الظن بتقييد غفرانها بالمشيئة كالكباير لشموله اية
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء للنوعين ولا خلاف بين اعلام الايمة في القول بعصمة الانبيا من
الكباير فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم وصدورها منهم فهي مغفورة على هذا اي على قولكم
ومن وافقكم انها مغفورة باجتنابها فما معنى المواخذة للانبيا صلوات الله وسلامه عليهم بها
عندكم اذن مع اجتنابهم الكباير وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم منها اي من الصغاير وهي مغفورة
لو قدر انها كانت ووجدت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة اي مواخذتهم صلوات الله وسلامه
عليهم بافعال السهو والتاويل مما لم ينهوا عنه ولا امروا به واتوه مولين له على ما مر وقد قيل ان
كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته يجوز عطفه على استغفار او على كثره الاستغفار

غيره

غيره من الانبيا وتوبته انما كان على وجه ملازمة الخضوع اي الانقياد والمطاوعة له تعالى
والعبودية له باتخاذه معبودا والاعتراف بالتقصير منهم والتفريط في جنبه تعالى شكرا لله تعالى
على نعمه لما ذكر اي فعلوا ذلك لشكرهم لربهم على نعمه الفايضة منه عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم
والحال انه قد امن من المواخذة بما تقدم من فعله جايزا والاليق به تركه ومن ثم عد ذنبا لشانه دة
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وحذف فاعل الامن للعلم به اذ لا يؤمنه منها الا تبارك
وتعالى افلا اكون عبدا شكورا اي كثير الشكر لربي اذ هو من ابنية المبالغة والشكر الحمد الا ان
الحمد اعم منه متعلقا واخص موردا اذ يقال في مقابلة النعمة وغيرها باللسان فقط وعلى صبا حة
الوجه ورشاقة القد ويسمى هذا مدحا والشكر عكس الحمد اذ يقال في مقابلة النعمة فقط قولا
وفعلا ونية ثناء على المنعم باللسان وادابا للنفس في طاعته واعتقادا انه موليها وقال اي
النبي صلى الله عليه وسلم اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي اي احذره فاتركه ورواه البخاري بلفظ
اني لاتقاكم لله واخشاكم له وفي رواية اني اخشاكم واتقاكم لله انا قال الحارث بن اسد المحاسبي خوف
الملايكة والانبيا صلوات الله وسلامه عليهم خوف اعظام وتعبد لله توفية منهم له تعالى حق
عظمته وقدره بحسب طاقة الملكية والبشرية والا فهو تعالى قد تجاوز عظما وقدرا حدا لا يمكن
الاحاطة بكنه جلاله وقدره لانهم بعصمة الله لهم مما يرديهم امنون من ان يعرامهم سوء ويرهقهم
ضير وقيل انهم انما فعلوا ذلك اي كثرة الاستغفار والتوبة والخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير ليقتدى وتستن بهم اممهم في تلك الخلال الشريفة والخصال المنيفة كما قال صلى الله
عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم من الاهوال والشدايد وحذرتم ما يودكها لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
خشية اصابة ذلك اياكم وايضا فانهم انما فعلوا ذلك لا ان في التوبة والاستغفار معنى اخر
لطيفا غير استدعا الرضى والمغفرة بهما اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله اي طلبا
منه تعالى واستجلابا بالرضاه عنهم وتعظيمه لهم وثنائه عليهم واثابته اياهم قال تعالى ان الله يحب
التوابين مما يصدر منهم مما نهوا عنه ويحب المتطهرين اي المتنزهين عما نهوا عنه او المطهرين انفسهم
بطهرة التوبة من كل ذنب والمتطهرين من الاقذار فاحداث الرسل والانبيا الاستغفار والتوبة اي
طلبهم المغفرة والرجوع اليه والانابة والاوبة الفاظ متقاربة المعنى للتاكيد في كل حين من غالب
اوقاتهم استدعا لمحبة الله تعالى منه لهم والاستغفار فيه معنى التوبة من حيث انه طلب للبراة
والطريق للرجوع عنها وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر على تقدير صدور ذنب منه لقد تاب الله على النبي تلويح ببيان فضل التوبة وقدرها عند
الله وحث للمؤمنين عليها وايذان باحتياج كل احد اليها والى الاستغفار كالنبي والمهاجرين والانصار
ارشادا الى ان صفة التوابين صفة الانبيا كما وصفهم بالصالحين اظهارا لفضيلة الصلاح وقال
اي ربنا تبارك وتعالى فسبح بحمد ربك اي متلبسا بحمده امر له صلى الله عليه وسلم ان يسبحه حامدا
له تعجبا لتيسيره لك ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان تغلب اهل مكة احد واحده على فتحها لك
واستغفره امره تعالى به مع التسبيح مع عصمته لطفا لامته وتكميلا للامر بما هو قوام امر الدين
من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وقد روت عايشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان
يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك انه كان توابا على عباده المكلفين منذ خلقهم

مع افاضة نعمه عليهم ظاهرة وباطنة **فصل قد استبان لك** اي ظهر وسيه للاطالة وفي
حديث عمار قيل له اذ خطب لقد اوجزت فلو كنت تنفست اي اطلت واصله ان المتكلم اذا تنفس
استانف القول فتسهل عليه الاطالة **مما قررناه** فيما ان تاملته بان لك **ما هو الحق من عصمته**
صلى الله عليه وسلم من الجهل بالله وصفاته لانه كالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قد ولدوا
على معرفة الله والاقرار بوحدانيته منهتين لقبول الدين غيرنا تين عنه **او** بان لك من عصمته
من **كونه** كهم **على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة** لا يخرج عن علمهم بذاته تعالى وصفاته شي منها
بعد النبوة عقلا واجماعا لقضاتهما بجا زتهم شرف الكمال وكرم النوال **وقبلها سمعا** لحديث
البخاري ومسلم ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج
البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وحديث كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم فامروهم ان يشركوا بي غيري اي وعصم منهم الانبيا اذ لم يجعل لهم عليهم
سبيلا واجتالتهم روي بالجيم من جال واجتال اذا ذهب وجا واجتالته اذا ذهب به معه اي
استخفتهم فجالوا معهم في الضلال يهيمون وروي بالحا اي نقلتهم من حال الى حال والمشهور
رواية الجيم **ونقلا** عطف على سمعا عن ايمة الدين انهم كغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم معصومون
عليهم **ولا** كونه صلى الله عليه وسلم على حالة تنافي العلم **بشي مما قررناه من امور الشرع** الذي ارسل
به **واداه عن ربه من الوحي** تبليغا منه صلى الله عليه وسلم الينا **قطعا عقلا وشرعا** لجزمهما بانه صلى
الله عليه وسلم لم يكن على حالة تنافي علمه بشي من ذلك **و** قد استبان لك مما قررناه ما هو الحق من
عصمته من الكذب وخلف القول كهم تعاديا من ان يتهموا في التبليغ **منذ نباه الله** اي اظهر نبوته
وارسله هو معصوم من ذلك لم يصدر منه شي **قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا**
واجماعا لحكمهما بامتناع صدور شي من ذلك منه **و** استحالة ذلك عليه **نظرا او برهانا** لافادتهما
امتناع صدورهما عنه صلى الله عليه وسلم **وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا** اذ هو اللايق بجنابه
صلى الله عليه وسلم **و** تنزيهه ايضا **عن الكباير اجماعا** لرفعة محله الكريم عنها **وعن الصغاير تحقيقا**
لا ريب فيه **وعن استدامة السهو والغفلة** تعنيز الساحة مقامه في تبليغ الاحكام عنهما وقد قيل
يا سايلي عن رسول الله كيف سهي ٭ والسهو عن كل قلب غافل لاه ٭ قد غاب عن كل شي سره فسهى عما سوى الله في التعظيم لله
وعن استمرار الغلط والنسيان حفظا لقلبه اليقظان من ادامة شي منهما **عليه فيما شرعه للامة**
من الاحكام واجبا ومندوبا ومباحا وحراما ومكروها وخلاف الاولى **و** استبان لك ما هو الحق من
عصمته في كل شي من حالاته مما يعتري بني ادم **من رضى وغضب** فلا يكون منه الا ما هو محمود في جانب
الحق والدين **وجد** بكسر اوله ضد الهزل **ومزح** في مخاطباته ولا يقول الا حقا **فيجب عليك ان تتلقاه** اي
ما صدر منه صلى الله عليه وسلم في اي حالة كانت وتاخذه **باليمين** اذ من شانها ان تتلقى بها ما شرف
لا لمقام اليمن وهو البركة **وتشد عليه يد الضنين** اي البخيل الذي يضن بكسر ثانيه اي يبخل بما كتبه
لمكانته وموقعه عنده اي استمسك بما تتلقاه منه صلى الله عليه وسلم في اي حال كان عليها حقيقة
ونفاسته وشرف موقعه وكرم نفعه وفي الحديث ان لله ضنا بن من خلقه يحييهم في عافية
جمع ضنينه فعيله بمعنى مفعوله اي مضنونه من الضن بالكسر اي خصايص منهم اختص لكانهم

منه وموقعهم عنده وفي حديث الانصار لم نقل الا ضنا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي بخلا
به وشحا ان يشاركنا فيه احد **و** يجب عليك ان **تعد بهذه الفصول** التي تلوناها عليك مما بان
لك من شرف قدره وكرم خطره **حق قدرها** اي تعظمها حق تعظيمها **وتعلم عظيم فايدتها وخطرها**
اي شرفها ومزيتها بما لبحث به وابانتها من بعض كرايم مناقبه ومكارم ماثره **فان من جهل ما وجب**
له صلى الله عليه وسلم من تعظيم وتوقير **او جهل ما يجوز له او يستحيل عليه** عقلا او شرعا او
عادة **ولا يعرف صور احكامه** اي اعيان ما يجب له ويجوز ويمتنع مما خص به واجبا ومندوبا
ومباحا وحراما ومكروها **لا يا من ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه** فيردى وهو لا يشعر
ولا ينزهه عما لا يجب اي لا يجوز **ان يضاف اليه فيهلك** في اندية الغي واودية الضلال **من حيث**
لا يدري اي لا يعلم **ويسقط في هوة الدرك** محركا وقد يسكن **الاسفل من** ادراك اي منازل **النار**
فالدرك الى اسفل والدرج الى فوق ومنه قول ابي الفضل التوزري ونزولهم وطلوعهم فالى درك
وفي درج **اذ ظن الباطل به صلى الله عليه وسلم واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل** اي ينزل **بصاحبه**
فيدخله **دار البوار ومن هذا** اي ومن اجل ان اعتقاد ما لا يجوز عليه يورد صاحبه دار الهلاك
احتاط اي تحرى صلى الله عليه وسلم طلبا للخير خشية **على الرجلين** من الانصار كما في البخاري وغيره
الذين راياه ليلا مع زوجته **صفية** وقد جاته تزوره **وهو معتكف في المسجد** فتحدثت معه
ثم قام معها ليقلبها الى بيتها فراياه فابصراه فاسرعا **فقال لهما** على رسلكما اي اثبتا على مشيكما
اولا ولا تسرعا **انها صفية** فقالا سبحان الله تعجبا من قوله ذلك لهما اذ لا يظنان به صلى الله عليه
وسلم مما لا يليق به **ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم** بنفوذه في المنافذ الضيقة
واني خشيت ان تقذف اي يلقي ويوقع في قلوبكما **شيا** وفي رواية شرا **فتهلكا** بما يلقي في
قلوبكما مما لا يجوز نسبته اليه صلى الله عليه وسلم كان يوسوس لهما ان معه امراة اجنبية
فيظناه **هذه** مبتدا اي ما ذكر من احتياطه صلى الله عليه وسلم للرجلين **اكرمك الله** اي جعل
الله منزلتك ومقامك عنده كريما حسنا مرضيا **احد فوايد ما تكلمنا عليه** خبر المبتدا وما
بينهما اعتراض افاد دعاه للمخاطب بالاكرام من الله وانث اسم الاشارة نظرا لما بعده **في هذه**
الفصول السالفة من تعظيم الانبيا تحذيرا من ان يعتقد بهم ما لا يليق بكريم مناقبهم من جهل
عصمتهم في جميع احوالهم رضى وغضبا وجدا ومزحا او جهل ما يجب لهم ويجوز ويمتنع **ولعل جاهلا**
لا يعلم بجهله اي بجهل كونه جاهلا ويسمى جهلا مركبا **اذا سمع شيا منها** اي من منزهات الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم عما لا يليق بهم ومناقبهم مما بيناه **يرى ان الكلام فيها جملة** بالنصب
اما بنزع الخافض او على الحال اي بجملتها او جملة **من فضول العلم** خبر ان او بالرفع خبر الها وما
بعده صلة له **وان السكوت** وعدم التعرض لذكره **اولى** وهذا من مثل من لا يعلم بجهله راي فاسد
اذ بيان مناقبهم وتنزيههم عما لا يليق بهم واجب لاظهار شرفهم وعظم قدرهم عند ربهم وكرم
ماثرهم وكمال نصابهم وجلالة رتبهم وذخرا لمن لا يقدرهم حق قدرهم **وقد بان لك انه متعين**
بل واجب ذكره **للفايدة التي ذكرناها** المفادة بقوله صلى الله عليه وسلم الفاصعية الزاجر
لهما عن قبول وسوسته لهما **و** متعين ذكره من اجل **فايدة ثانية يضطر** اي يحتاج **اليها في اصول**
الفقه ويبنى عليها مسايل لا تنعد لغة ردية ومع تكررها جدا لا تنعد **ويتخلص بها من تشغيب**

اي تقبيح مختلفي الفقها الشرو الفتنه والخصام في عدة منع وهي اي الفائدة المضطر اليها
في اصول الفقه الحكم في اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله بعصمته فيها مطلقا عمدا او سهوا
وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه لابتنا احكام الشريعة عليها وتفرعها عنها ولا
بد من بيانه اي الاصل الكبير على صدقه صلى الله عليه وسلم لتوقف ثبوت الاحكام الشرعية عليه
في اخباره وابلاغه ما ارسل به الى من بعث اليهم لابد من بيان انه لا يجوز عليه السهو فيه
اي في ابلاغ ما امر بتبليغه ولابد من بيان عصمته صلى الله عليه وسلم من المخالفة في افعاله
عمدا زجرا لتوهم تجويز ذلك عليه فضلا عن اعتقاده ونحسبه اختلافهم في وقوع الصغاير
وصدورها منه كالانبيا ووقع الاختلاف في امتثال الفعل بمجرد صدوره منهم والحق كما هو
المصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا بلا قرينة على ما ذهب اليه اكثر
اصحاب الشافعي ومالك وابي حنيفة وبسط بيانه اي بيان امتثال الفعل في كتب ذلك العلم
المذكور فيه اختلافهم في وقوع الصغاير منهم فلا نطول به اكتفا بذكره هناك وفايدة ذلك ان
يحتاج الحاكم قاضيا او غيره والمفتي اي مجيب السائل عن مسئلته من افتاه يفتيه اذا اجابه عنها
فيمن اضاف اليه صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور مما يجب له او يجوز او يمتنع ووصفه
بها كلا او بعضا فمن لم يعرف ما يجوز له او يمتنع عليه ولم يعرف ما وقع الاجماع فيه ولا ما وقع
الخلاف فيه كيف يصمم اي على اي حال يرد عزمه في الفتيا ابالوجوب ام بالجواز ام بالمنع
في ذلك الذي يجب له صلى الله عليه وسلم او يجوز او يمتنع عليه اذا رفع اليه ومن اين يدري
هل ما قاله فيه ذلك الحاكم او المفتي نقص او مدح حتى يقدم عليه فيعمل به واذا لم يعلم اقدم
فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام يقحمه نارا وقودها الناس والحجارة فاما ان
يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة له صلى الله عليه وسلم فيهلك
من حيث لا يدري وسبيل هذا اي ما ذكر في عصمة الانبيا ما قد اختلف ارباب اي اصحاب
الاصول وايمة العلما والمحققين اي عظماوهم الاعلام في عصمة الملايكة فلم كلهم في جريان الخلاف
فيها والصحيح كما مر بل الصواب تنزيه الانبيا من كل ما لا يليق بهم وهذا فصل في تحرير بيان
القول في عصمة الملايكة جمع ملك اصله ملاك حذفت همزته لكثرة الاستعمال وقيل اصله
مالك بتقديم اللام من الالوكة وهي الرسالة فاخرت ثم جمع وقد تحذف الفا فيقال ملايك وفي
الحديث لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب ولا صورة اراد بهم السياحين غير الحفظة وحاضرين
الموت اجمع المسلمون على ان الملايكة مؤمنون بالله ورسله فضلا قدرهم عند ربهم عظيم لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون واتفق ايمة المسلمين علما الامة وعظما الملة على ان حكم
المرسلين منهم اي من الملايكة صلوات الله وسلامه عليهم حكم النبيين سوا في العصمة وغيرها
من تعظيم وتوقير فيما يجب لهم ويجوز ويمتنع من عيب بنقصهم ووجوب بغضهم مما ذكرنا في
عصمتهم اي عصمة النبيين منه اي من السهو في القول والتبليغ وانهم اي رسل الملايكة في حقوق
الانبيا من حيث السفارة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم ما امرهم الله ان يبلغوه كالانبيا
كالانبيا مع الامم في تبليغ الاحكام اليهم وارشادهم وبيان المصالح لهم واختلفوا في غير المرسلين
منهم امعصومون هم كمرسليهم ام لا فذهبت طايفة الى عصمة جميعهم من المعاصي اذ لا شهوة لهم

تدعوهم اليها واحتجوا لقولهم بعصمتهم من جميعها بقوله تعالى لا يعصون الله اي لا يخرجون عن
طاعته في ما امرهم ويجوز ان يكون محله نصبا على البدل من الاسم الكريم اي لا يعصون الله ما
امر الله اي امره مذعنين منقادين له غير آبين ولا منكرين ويفعلون ما يؤمرون اي يؤدونه
ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وبقوله وما منا الا له مقام معلوم حذف الموصوف
واقيمت صفته مقامه اي ما منا معشر الملايكة احد الا له مقام للعبادة لا يتجاوزه الى غيره
وانا لنحن الصافون اقدامنا في الصلاة وحول العرش داعين للمؤمنين وانا لنحن المسبحون منزهين
له تعالى عن ان يكون كما افكته قريش بنات الله ولهم البنون وانهم لكاذبون وبقوله ومن عنده منزلة
ومكانة لا منزلا ومكانا وهو مبتدا خبره لا يستكبرون تعاظما عن عبادته ولا يستحسرون اي ولا
يعيون من كثرة العبادة يسبحون الليل والنهار لا يفترون حال من ضمير يسبحون اي مديمين
تسبيحهم مستغرقين جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بمهلة عنه لجريانه مجرى التنفس منا وقوله
تبارك وتعالى كرام اي على الله او عن معاصيه بررة جمع بار اي اتقيا لا يمسه الا المطهرون من
ادناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح المصون عن غير المقربين من
الملايكة لا يطلع عليه سواهم وان جعلت صفة للقران فالمعنى لا يمس المكنون منه احد من الناس
الا من هو على طهارة ومن الناس من حمله على القراءة ايضا ونحوه من السمعيات كقوله تعالى عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وذهبت طايفة من العلما الى ان هذا اي ما ذكر مما
قضى بعصمة جميعهم خصوص للمرسلين والمقربين منهم اي من الملايكة واحتجوا باشيا ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير جمع تفسير تفعيل من الفسر وهو الكشف فهو تكشيف عما يدل عليه
الكلام فوضع موضع معناه فقيل تفسير الكلام اي معناه كذا ونحن نذكرها ان شا الله بعد
من الغايات المنقطعة عما يضاف اليه منويا بعدها ونبين الوجه الحسن المرضي فيها ان شا الله
بالمن اي ان زاد وفي الحديث اتى يهودي النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تنذرون وتشركون
تقولون ما شا الله وشئت فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقولوا ما شا الله ثم لافادة الواو
الجمع وثم تجمع مرتبة قالوا وتورث الجمع بين الله وبينه في المشية وثم تؤذن بتقديم مشية الله على
مشيته بل تحصل الا بمشية الله تعالى ومن ثم قال الامام ناصر السنة محمد بن ادريس الشافعي
ما شئت كان وان لم اشا • وما شئت ان لم تشا لم يكن • خلقت العباد لما قد علمت • ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد • ومنهم قبيح ومنهم حسن • على ذا مننت وهذا خذلت • وهذا اعنت وذا لم تعن
هذا وقافية هذه الابيات موجهة عراها سناد التوجيه وهو اختلاف حركة ما قبل الروي المقيد
اي الساكن سميت موجهة لان حركة ما قبل الساكن كالحركة عليه فكان لحركة الروي المقيد توجيها
كالثوب الذي له وجهان فكانه صار ذا وجهين ساكن ومتحرك فاجتماع الفتح كما هنا مع غيره اقبح
من اجتماع الضم مع الكسر والصواب عصمة جميعهم اي من الملايكة من المعاصي لفقدهم ما يبعثهم
عليها من شهوة وغيرها وتنزيه نصابهم اي منصبهم بمعنى قدرهم الرفيع عند ربهم ورايت بعض
شيوخنا مال الى ان هي المخففة من الثقيلة اي انه لا حاجة بالفقيه اي له الى الكلام في عصمتهم
اكتفا بما ورد من مدح الله لهم بانهم عباد مكرمون مما افاد عصمتهم وانهم عنده بمقام كريم وانا
اقول قدم المسند اليه للتقوي بتكرير الاسناد اذ هو الاقوى من اقول انا لا للاختصاص لفقد

القول اذ لا مقتضي له ان للكلام في ذلك اي في بيان عصمتهم ما للكلام في بيان عصمة الانبياء من
الفوائد التي ذكرناها فيما تقدم من الفصول سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال لعدم اطلاعنا
على ما يصدر منهم من قول وفعل مع انا لسنا مكلفين باتباعهم فيه فلا داعي الى اثبات عصمتهم
فيها من طرو ما لا يليق بهم فيه عمدا او سهوا فهي فائدة الكلام في اقوالهم وافعالهم ساقطة هنا
اي في بيان عصمتهم فاجمع به من لم يوجب عصمة جميعهم اي جميع الملائكة رفعا للعموم السلب
ومنعا للسلب العموم قصة هاروت وماروت ملكين ببابل ممنوع بالعراق اسمان اعجميان
لشهادة منع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا كما زعم من الهرت والمرت لصرفا محلهما الجر بدلا من
الملكين وما ذكر فيه اهل الاخبار ونقلة المفسرين من ان الملائكة عيرت بني ادم بعصيانهم الله
تعالى فقالوا كما رواه البيهقي في شعب الايمان عن عمر يا رب هؤلاء ما اقل معرفتهم بعظمتك فقال
لو كنتم في مسلاخهم لعصيتموني قالوا كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال
فاختاروا ملكين فاختاروهما فاهبطا الى الارض وركبت فيهما شهوات بني ادم ومثلت لهما
امراة فما عصما حتى واقعا المعصية فقال الله لهما اختارا عذاب الدنيا او عذاب الاخرة فاختارا
عذاب الدنيا وما روي عن اسحق بن راهويه وعبد بن حميد وغيرهما عن علي ان هذه الزهرة تسميها
العجم اناهيد وكان الملكين يحكمان بين الناس فاتتهما فاراد كل منهما مخفيا من الاخر فقال
احدهما يا اخي اريد اذكر لك ما في نفسي فقال اذكره لعله ما في نفسي فاتفقا فقالت لا امكنكما
او تخبراني بما تصعدان به الى السما وتهبطان به فقالا باسم الله الاعظم قالت علمانيه فعلماه
اياه فتكلمت به فطارت الى السما فمسخها الله كوكبا وما روي في حديث ابن حاتم عن ابن عباس
ان ملائكة سماء الدنيا قالوا يا ربنا اهل الارض يعصونك فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة يحكمون
في الارض وجعل فيهم شهوة بني ادم وامروا ان لا يفتروا قوادنيا فاستقال منهم واحد فاقيل
فهبط اثنان فاتتهما امراة من احسن النسا فهوياها فاتيا منزلها واراداها فابت حتى
يشربا خمرها ويقتلا ابن جارها ويسجدا لوثنها فابيا الا ان يشربا فشربا ثم قتلا ثم سجدا
وقالت اخبراني بالكلمة التي اذا قلتموها طرتما الى السما فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهي
الزهرة فارسل اليهما سليمن بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب
الدنيا فهما مناطان بين السما والارض وما روي من ابتلائهما بما ذكر وبالسحر فتنة للناس
اي اختبارا وامتحانا فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر ومن تجنبه او تعلمه ليتوقاه لم يكفر
كما قيل عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه • ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه • فاعلم امر لكل
من يتاتي توجيهه اليه اكرمك الله اعتراض بين فعل الامر ومعموليه السادد مسدهما ان هذه
الاخبار الواردة في شانهما لم يرو منها شي مرفوع لنيابته عن فاعل يرو لا سقيم ولا صحيح كرر
حرف النفي تاكيدا وتقريرا وتقوية لنفي رواية شي من الاخبار في شانهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس هو اي ما نفي من روايته عنه صلى الله عليه وسلم من سقيم وصحيح شيئا يؤخذ
بقياس من اصل وفرع هذا وما ذكر من نفي رواية شي من اخبار قصتهما عنه صلى الله عليه وسلم
لا سقيم ولا صحيح دعوى بلا بينة لا تقضي بها مع ورود ما شهد لها مطولا مرفوعا من رواية
عمر في مسند احمد وصحيح ابن حبان وتفسير ابن جرير وشعب الايمان للبيهقي ومسند عبد بن حميد

والعقوبات

والعقوبات لابن ابي الدنيا وغيرهم مختصرا من رواية ابي الدردا في ذم الدنيا لابن ابي الدنيا
وموقوفا عن علي وابن عباس كما مر وعن ابن عمر وابن مسعود باسانيد صحيحة قيل ولهذه القصة
في القول لمسند طرق تفيد العلم بصحتها والذي في القران منه اي من قصتهما في سورة البقرة
اختلف المفسرون في معناه فكل ذهب الى ما اطلع عليه نقلا وانكر ما قال بعضهم فيه اي
في معناه كثير من السلف كما سنذكره فلا نطول بذكره هنا وهذه الاخبار التي اوردها
المفسرون فيه من كتب اليهود وافترائهم على انبياء الله وملئكته كما نص الله اول
الايات من افترائهم اي كذبهم على سليمن وتكفيرهم اياه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
واتبعوا اي اليهود ما تتلوا الشياطين اي اتبع اليهود كتب السحر والشعوذة التي كانت
تقرؤها على ملك سليمن في زمن ملكه وعهده وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع
ثم يخلطون بما سمعوه اكاذيب كثيرة يلقونها الى الكهنة وقد دونوها في الكتب يقرؤنها
ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمنه حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا
علم سليمن وما تم له ملكه الا به وما سخر له الانس والجن والريح التي تجري بامره رخا الا به
وما كفر سليمن تكذيبا للشياطين ودفعا لما بهتت به سليمن من اعتقاد السحر والعمل به
ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمالهم السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصد
به اغوائهم واضلالهم وقد انطوت القصة اي اشتملت قصة هاروت وماروت على شنع
بضم المعجمة وفتح النون اي قبائح عظيمة وها كلمة تنبيه للمخاطب تنبيها على ما يلقى
عليه من الكلام نحن نخبر بمهملة وبا مشددة اي نزين ونحسن في ذلك ما يكشف غطا
هذه الاشكالات ان شا الله تعالى تيمنا وتبركا بذكره مشبها للاشكالات باشيا محتجبة
تحت اغطية استعارة مكنية مثبتا لها الغطا تخييلا للنفس بان المشبه من جنس المشبه
به وصرفا للقاطع بتوهم التشبيه وذكر الكشف ترشيح للمجاز فاختلف اولا في هاروت
وماروت اي في ماهيتهما من اي نوع هما قبل الاختلاف في سبب ما عرض لهما هل هما ملكان
من الملائكة ماهيتهما نورانية او انسيان نسبة الى الانس وهم بنو ادم فماهيتهما الحيوانية
والناطقية وهل هما المراد بالملكين في اية وما انزل على الملكين ام لا وهل القراءة بفتح لامهما
ملكين او بكسرها ملكين كانا ببابل انزل عليهما السحر وهل ما في اية وما انزل وما يعلمان
نافية او موجبة اسما موصولا فاكثر المفسرين ذهبوا الى ان الله امتحن اي اختبر وابتلى الناس
بالملكين لتعليم السحر لهم وتبيينه وان عمله وفي نسخة عمله كفر جعل كلا منهما نفسه كفرا لانهما
كما في رعينا الغيث سببه مجازا مرسلا فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر لاعتقاده حل حرام
اجماعا ومن تركه معتقدا حرمته اي دام على ايمانه ان كان مؤمنا والا فالكافر لا يصير بمجرد
تركه مؤمنا قال الله تعالى انما نحن فتنة اي ابتلا واختبار من الله فلا تكفر اي فلا تتعلمه معتقدا
حله فتكفر وتعليمهما مبتدا مصدر مضاف لفاعله الناس مفعوله تعليم انذار خبره اي يقولان
لمن جا يطلب تعلمه منهما لا تفعل اي لا تتعلمه فانه يفرق بين المرء وزوجه اي هو سبب للفرق
بينهما بايجاد الله عنده البغض والنشوز وخلاف ابتلا من الله ليتميز به الثابت على الحق عن غيره
فهو له بنفسه اثر يحدثه الله عند تعاطيه لتشهاده وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقد

لاجدائه ولا تتحيلوا بكذا من تمويه ونفث في العقد فانه سحر فلا تكفروا بتعلمه معتقدين حله فعلى هذا القول بان تعليمهما للناس تعليم انذار وتحذير فعلمهما تعليما لم يعد نهيهما لهم عنه وبعد نصحهما لهم بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر واطاعة لربهم وتصرفهما فيما امرا به من تعليم السحر لمن ابتغاه منهما ليس بمعصية ومن الفعلة منهما تعليما لغيرهما فتنة كما حكى الله عنهما بقوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انهما اي هاروت وماروت ذكرا عنده وانهما يعلمان السحر لمن طلب تعليمه منهما فقال نحن ننزههما عن هذا اي عن تعليم السحر فقرأ بعضهم ردا لقوله العجيب لمخالفته القول الصحيح الموافق لظاهر الاية وما انزل على الملكين بفتح اللام فقال خالد منكرا لنزوله عليهما لم ينزل عليهما وهذا اعجب واشد انكارا لظاهر مراد الله بالاية بشهادة كونهما عطف بيان للملكين ورجوع الضماير في وما يعلمان ومنهما اليهما مع ان تعليمهما كان بامر لمن طلبه منهما امتثالا لامر ربهما وطاعة له فلا نقص يعتريهما به فهذا خالد في جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي لا حاجة الى تنزيههما عما امرهما الله به مما فعله طاعة وقد ذكر غيره اي غير خالد انهما ماذون لهما في تعليمه بشرط ان يبينا فكانا لا يعلمان احدا حتى يقولا له انه اي تعليمهما كفر وامتحان وابتلاء من الله فكيف لا ننزههما نحن وننزههما لهما عن كباير المعاصي كشرب الخمر وقتل النفس والسجود للصنم والزنا والكفر المذكورة في ما مر من تلك الاخبار الواردة بذلك اولى من تنزيه خالد لهما من السحر الماذون لهما في تعليمه وقول خالد لم ينزل عليهما اي ما افاده وما انزل على الملكين من علم السحر يريد بقوله ذلك ان ما في وما انزل على الملكين نافيه وهو قول ابن عباس وقد تلي عليك انه خلاف ظاهر الاية بشهادة في ما انزل اما معطوفة على السحر في يعلمون الناس السحر او على ما يتلو اي وما يعلمونهم مما انزل عليهما فهي على ما ذكرنا ليست نافية قال مكي وتقدير الكلام على قول خالد تبعا لابن عباس انها نافية عطفا على وما كفر سليمن اي بالسحر الذي افتعلته اي افترته وافكته الشياطين عليه واتبعتهم في ذلك اي فيما افترته عليه اليهود اذ من شانهم وديدنهم البهت والافترا والافتعال وما انزل على الملكين من علم السحر على القول بان ما نافيه وقد اوى في ضعفه الى ركن شديد قال مكي هما اي الملكان جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به اي بعلم السحر ابتلاء واختبارا من الله للناس كما ادعوا على سليمن اعتقاده له وعمله به فكذبهم الله في ذلك بقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا باستعمالهم السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر قصدا لاغوائهم واضلالهم ببابل من بلاد العراق هاروت وماروت وقيل هما رجلان تعلماه ما ابعد هذا القول عن ساحة القبول قال الحسن بن ابي الحسن البصري هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو القوي الشديد الغليظ الجافي من اهل بابل من قرى العراق وقرأ اي الحسن الملكين بكسر اللام بناء على انهما كانا منهم ما انزل عليهما السحر وتكون ما ايجابا موصولا صلته انزل لا نافية على هذا اي على ما ذكر من قراة الحسن وكذلك اي وكقراة الحسن قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا اي في اية وما انزل على الملكين داود وسليمن صلى الله عليهما وسلم وتكون في قراته ما نفيا على ما تقدم من قول خالد وجعله ما نفسها ايجابا ونفيا مجاز مرسل علاقته العلمية عليهما وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل

فنسخهما

فنسخهما الله حكاه السمرقندي بسكون الراء والنون والقراة بكسر اللام شاذة لكونها احاد ليست متواترة نقل الاية اي اية وما انزل على الملكين على تقدير مكي بجعله ما نافيه عطفا على ما كفر سليمان حسن لو قيل انهما لم يومرا بتعليمه للناس ابتلاء وامتحانا لهم اما على القول بانهما مامورا بتعليمهما اياه لهم فلا حاجة الى ارتكاب القول بجعلها نافية لمخالفته كما مر ظاهر الاية لان فعلهما ذلك طاعة وامتحانا لا امتثالا لامر ربهما بنزه الملئكة عن الخروج عن طاعة الله ويذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا اقتباس حسن استعير فيه الرجس للذنوب والطهر للعصمة منها بالاستعارة تحقيقية مرشحة بالتطهير تنفيرا لاولي النهى عما كرهه الله تعالى لهم ونهاهم عنه وترغيبا لهم فيما يرضيه مما امرهم بجامع ان عرض المقترف للقبايح يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس ومكتسب الحسنات هو منها نقي مصون لا يدنسه منها شي وقد وصفهم الله اي الملئكة بانهم مطهرون من الادناس ذنوبا وغيرها ولعله اراد قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون لكن وصفهم به انما يتاتى على جعله صفة لكتاب مكنون اي مصون في اللوح المحفوظ عن غير المقربين منهم لا يطلع عليه غيرهم وهو لا يفيد الا وصف المقربين به دون جميعهم الذي اراده هنا هذا وان جعل وصفا للقران افاد انه لا يمس المكتوب الا من كان على طهارة من الناس ومنهم من اول المس بالقراة وقد روي عن ابن عمر احب ان لا يقرا الا وهو طاهر وبانهم كرام بررة اي اتقيا وبانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وبما يذكرونه محتجا به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة ابليس قالوا انه كان من الملئكة وانه اي الله استثناه من الملئكة استثنا متصلا بقوله واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس فلو لم يكن منهم لما استثنا فردا من جمع وهذا اي القول بانه منهم لم يتفق عليه بين العلما بل الاكثر منهم ينفون ذلك اي القول بانه منهم وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وهو اي القول بانه ابو الجن قول الحسن وقتادة وابن زيد وانما استثني منهم لانه كان مغمورا بين الوف منهم فغلب عليه تغليب كثير جدا على فرد في فسجدوا ثم استثني استثنا واحدا منهم وقال شهر ابن حوشب كان من الجن بشهادة الا ابليس كان من الجن الذين طردتهم الملئكة في الارض حين افسدوا واد الاستثنا بقوله الا ابليس منقطع لانه من غير الجنس المستثنى هو منه وهو اي الاستثنا من غير الجنس في كلام العرب شايع دايع جار على السنتهم وقد ذكرنا هذا بقوله استثنا من غير الجنس ما قال الله تعالى نحو ما لهم به من علم قبل عيسى ما لهم به من علم الا اتباع الظن لان اتباعه ليس من جنس العلم فهو استثنا منقطع اي ولكنهم اتبعوا الظن فيهم وبما رووه كابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى بن كثير في الاخبار ان خلقا من الملئكة عصوا الله ولم يمتثلوا ما امرهم وامروا ان يسجدوا لادم فابوا وحرقوا بالنار لابايهم السجود له ثم اخرون كذلك اي امروا بالسجود لادم فابوا وحرقوا حتى سجد له من ذكر الله في كتابه العزيز الا ابليس في اخبار مفتريات يردها صحاح الاخبار الواردة بعصمتهم لشهادة القرقان انهم عباد مكرمون كرام بررة

الباب الثاني من القسم الثالث

فيما يخصهم اي الانبيا من صفات شريفة وسمات منيفة شبه تعلقها بها بما هو واردة فيه بتعلق المظروف بظرفه فاستعار له في سوقها بكريم مقامهم وشريف جنابهم من الامور الدنيوية من واجبات ومندوبات ومباحات وكرامات ومحرمات ومكروهات وفيما يطرا عليهم من العوارض البشرية وغير ذلك اي ما تقدم من ان جسم نبينا كغيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وظاهرها خالص للبشرية يجوز عليه ما يجوز على الانسان من الافات والتغيرات بالانتقال من حال الصحة الى حال المرض والالام والاسقام ونحو كاس الحمام بكسر الحاء الموت وقيل هو قدره وقيل والكاس مهموز وقد تخفف الانا فيه الشراب ولا يسمي كاسا الا وهو مملو وقيل هو اسم لهما اجتماعا وانفرادا والتجرع الشرب بعجلة وقيل قليلا لا يناسبه الحمام بشراب على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له الكاس تخييلا وذكر التجرع

ترشيح او اضاف المشبه به اعني الكاس الى المشبه اعني الحمام كما في لجين الماء فيكون تشبيها مؤكدا اي بجرع حمام
كالكاس ما يجوز على البشر من الاوجاع والآفات وهذا كله ليس بنقيصة فيه صلى الله عليه وسلم ولا في
غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة والنسبة الى ما هو
اتم واكمل من نوعه كافراد الانسان وان تفاوتت بالفضايل وافضلهم الانبيا فمن شانهم انهم سوا فيما
يعتريهم مما ذكر وقد كتب الله تبارك وتعالى على اهل هذه الدار اي دار التكدر والنوايب فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون الى البرزخ اول منازل الآخرة تقبرون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
واحدة المدارج وهي في الاصل الثنايا الغلاظ التي يدرج اي يمشي فيها قال ذو البجادين يخاطب ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرضي مدارجا وسومي تعرض الجوزا في النجوم هذا رسول الله فاستقيمي
والغير بكسر اوله وفتح ثانيه بمعنى التغيرات من غيرته فتغير وانتقل من حالة صلاح الى حالة فساد
شبه تغيرات البشر المسماة بالغير التي تعتريهم اغتيالا لنفوسهم بثنايا وعرة واضافها اليها تشبيها
مؤكدا اي تغير كالمدارج الوعرة وكانها لكثرة اعتوارها عليهم واتصالها بهم ظرف لهم ما كتبن فيها لا
يسلم منها احد فقد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم تكرمة لمثواه وتكثيرا لاجره لشدة بلواه بشاهد
حديث اشد الناس بلاء الانبيا ثم الامثل فالامثل وحديث انك توعك وعكا شديدا فقال اجل اني اوعك كما يوعك
الرجلان منكم واشتكى اي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقاه جبريل بسم الله ارقيك من كل شيء يوذيك
من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك واصابه الحر والقر بضم اوله اي البرد اذ لم يخص بهما احد دون
احد قال عمر لابي مسعود يعني انك تفتي ولي حارها من تولى قارها كني بالحر عن الشدة وبالشر وبالبرد
عن الهين والخير ولي شديدها من تولى هينها وولي شرها من تولى خيرها وادركه الجوع والعطش كغيره
من البشر ولحقه الغضب لله تعالى اذا راى او بلغه ما يكره والضجر اي الملل والسام وناله الاعيا والتعب
كما ينال غيره من البشر هذا وسئل الزهري عن رجل سمعه مع المراة كيف يورث فقال من حيث يخرج
الماء الدافق وفيه قيل • ومهمة اعيا القضاة عناؤها • تدر الفقيه بشك شك الجاهل •
عجلت قبل حنيذها بشوائها • وقطعت محزها بحكم فاصل • شبهه لاستعجاله بالفتوى بلا تان في الفتوى
برجل نزل به ضيف فعجل قراه بما قطع له من كبد الذبيحة ولحمها ولم يحبسه حتى يحنذها اي يشويها له
لان تعجيل القرى عندهم محمود وصاحبه ممدوح ومسه الضعف والكبر اي اثار الشيخوخة فانه يورث
الوهن والهرم وسقط كما رواه الشيخان فجحش شقه اي خدش جلد جانبه الايمن كما جا في الرواية الاخرى
وشجه الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب الراس فيشق ثم استعمل في غيرها من الاعضا اي
جرح وجهه كابن قميئة قماه الله وكسروا رباعيته اي احدى ثنايا اسنانه وسقي السم وسحر بهذه الاحاديث
تقدمت كلها بمعانيها مبينة وتداوى لبعض اوجاعه تشريعا لامته واذنا لهم فيه روى الشيخان وغيرهما
من طرق انه احتجم وتنشر اي ارتقى اذ النشرة الرقية من سحر وغيره وقد ورد كما مر انه صلى الله عليه وسلم
اشتكى فرقاه جبريل بسم الله ارقيك الى اخره وقالت له عايشة اذ سحر الا تنتشر فقال اما والله فقد شفاني
وتعوذ كما رواه الترمذي والنساي عن ابي سعيد بلفظ كان يتعوذ من اعين الجان واعين الانس فلما نزل المعوذتان
اخذ بهما وترك ما سواهما وروى الشيخان عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه
بالمعوذات ثم قضى نحبه كني به عن الموت اذ هو في الاصل النذر لان كل حي لا بد له ان يموت فكانه نذر لازم له
فاذا مات فقد قضاه فتوفي صلى الله عليه وسلم اي توفاه الله ولحق بالرفيق الاعلى الذي ساله عند موته كما رواه

البخاري

البخاري وغيره عن عايشة اللهم الرفيق الاعلى من النبيين والملائكة وخلص من دار الامتحان افتعال من محنه اذا
اختبره بالمحن والشدايد والبلوى مما يورث القلب حرقا ويزيده ارتماضا وقلقا وهذه اي ما عراه مما ذكر
سمات البشر جمع سمة اي علامات كون البشر تبتلى بها فتسم بها والسومة والسمة والسيما العلامة وقلبت
واوه يا لكسر ما قبلها اسمه وتقصر التي لا محيص لها اي مخلص ومفر عنها وقد اصابت غيره من الانبيا ما هو اعظم
منه اي مما اعتراه من نوايب الايام فقتلوا قتلا بغير حق كيحيى بن زكريا نحر عنقه ووالده بالمنشار جز النبي
ورموا في النار كابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عليه بردا وسلاما وخرج ليس احرق وطبخ ثم قام سالما
ووشروا بالمياشير جمع ميشار بغير همز لغة فيه كزكريا كامر وشر فلقتين ومنهم اي من الانبيا من
وقاه الله ذلك اي من الانبيا من صانه وستره عما اصيب غيرهم وفي الحديث فوقي احدكم وجه النار
خيرا يريد به الامر اي ليق احدكم وجهه النار بالطاعة والمعصية في بعض الاوقات ومنهم من عصمه من
القتل كعيسى اذ رامت اليهود على قتله فاخبره الله ان يرفعه اليه ويطهره من صحبتهم فقال لبعض اصحابه
ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقي عليه شبهه فقتل وصلب
وعصم عيسى كما عصم بعد من الطوارق العاتية قطع عن مضاف اليه اي كما منع نبينا اي بعد ان نالت عليه
قريش فنزل والله يعصمك من الناس فلئن لم يكف عن نبينا ربه اوصل الفعل مفعوله والحق بفاعله متاخرا
ضميره فليس من الاضمار قبل الذكر لورود الضمير فاعلا وعوده الى صاحبه متقدما لفظا لا رتبة اي
ان كان ربه لم يصنه ويمنعه يد ابن قميئة بكسر اوله وثانيه مشددا بعده همزة يوم احد حتى شج
وجهه وكسر رباعيته صلى الله عليه وسلم ولا حجبه عن اعين عداه عند دعوتهم اهل الطايف اذ
عرض نفسه على ابن عبد ياليل ودعاه الى الاسلام واستنصره فابى ورموا رجليه بالحجارة فدميتا وطفق
يقيهما بثيابه فلقد اخذ ربه تبارك وتعالى على عيون قريش باخفائه عنها ليلة ارادوا قتله فامر عليا ان
ينام على فراشه ثم خرج عليهم ونثر على راس كل واحد منهم ترابا وكذا اخذ على عيونهم عند خروجه الى غار جبل
ثور عن يمين مكة ومسك عنه على ما تقدم سيف غورث بن الحارث والذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم
نزل بمكان كثير العضاة فعلق سيفه بشجرة ونام في ظلها فجا غورث فاخترطه وقال له صلى الله عليه وسلم
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فجعله شبيه مجاز الاستيلا به عليه تلك الساعة
وامسك عنه صلى الله عليه وسلم حجر ابي جهل عمرو بن هشام حين اراد ان يرميه به وامسك عنه
فرس سراقة بن مالك بن جعشم بالمساخة رجليها بالارض فوقاه الله شره كما افاده حديث الهجرة
ولئن لم يقه سحر لبيد بن الاعصم اليهودي في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر في رواية البخاري
فلقد وقاه الله ما هو اعظم خطرا من سحره مثل سم اليهودية بشاة مسمومة بخيبر فاخبره كتفها به فاكل
منها وبعض اصحابه فلم يضره ومات به بشر بن البرا بتسلطها به كذا روى وهكذا ساير انبيايه صلوات الله
وسلامه عليهم منهم مبتلى كايوب بشهادة اشد الناس بلاء الانبيا ثم الامثل فالامثل متفاوتين فيه
ومنهم معافى منه وقليل ما هم وذلك اي ابتلاوهم من تمام حكمته ليظهر بامتحانه اياهم بالبلا شرفهم
بصبرهم عليه في هذه المقامات المتفاوتة فيه ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم اي بمضيها عليهم بما صبروا
على اذى اقوامهم ثم كانت لهم العاقبة الحسنى بشهادة ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وليحقق بامتحانهم بانواع البليات بشريتهم ويرتفع بعد معرفة
انها من عوارض اجسام البشر الالتباس عن اهل الضعف ارا الله لما يشوهونه فيهم من انهم لا يصيبهم بلاء

ولا يغشاهم شدة استغراقا ما لونهم واستبعادا له ومن ثم قصر نبينا صلى الله عليه وسلم على وصفه بالرسالة
قصر قلب الاضافيا وبيانا لكونهم ممن يرهقهم ذلك لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب الخوارق للعادات كبرد
النار لابراهيم وقلب العصا حية لموسى وخلق الطير من الطين لعيسى وانشقاق القمر لنبينا على ايديهم ضلال النصارى
بعيسى بن مريم اذ بالغوا في تعظيمه حتى اعتقدوا انه ابن الله تبارك وتعالى من مريم وقالوا ان فيه لاهوتية
وناسوتية اي هو من الاله ومن الناس افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ومنهم من قال انه تعالى
جوهر واحد ثلاثة اقانيم اي اصول اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس واراد باقنوم الاب
الذات وباقنوم الابن العلم واقنوم روح القدس الحياة وكفى شاهد صدق بكذبهم ان الالهة ثلاثة الله
والمسيح ومريم قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله وليكون في محنهم مصدر مضاف فاعله ومفعوله اي محن الله اياهم تسلية لاممهم بهم اذا نالهم شيء من بلايا
مؤذية ورزايا منكرية ووفور لاجورهم من الوفر وهو الكثير وفي الحديث الحمد لله الذي لا يعزه المنع
اي لا يكثره من الوافر الكثير يقال وفره يفره كوعده يعده زنة واعلالا عند ربهم تماما للكرامة والنعمة
على الذي احسن اليهم به من الطاعة في التبليغ وفي كل ما امروا به فامنوا بهم وعاينوا ما عراهم صلوات
الله وسلامه عليهم من المحن فاتسى بهم من امتهم من اصابه شيء من ذلك وقال بعض المحققين وهذه
الطوارى بالهمز طارئ من طرأ يطرأ اذا ورد واقبل مفاجاة وقد لا يهمز فيقال طرا طروا والتغييرات
من حالة صلاح الى غيرها مما كان ينزل بهم نجاة من البلايا المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود
اي التي قصد بها اي باجسامهم مقاومة البشر مفاعلة من القيام معهم ليبلغوهم ما ارسلوا به اليهم
ويدعوهم اليه ومعاناة بني ادم بمخالطتهم مباشرة وقياما عليهم لاصلاحهم لمشاكلة الجنس ومشابهته
له ومن ثم لم يكن الرسل من غير بني ادم واما بواطنهم صلوات الله وسلامه عليهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه اي مبراة ومبعدة عما لا يجوز عليه كالجنون ولو منقطعا وقيد الغالبية مؤذن بجواز عليهم ما لا
يشين كالاغما لحظة او لحظتين كما في الخصايص من الروضة بشهادة حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم
قال في مرضه الذي توفي فيه هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن فوضع في مخضب وصب عليه منه
ثم ذهب لينوء فاغمي عليه متعلقة اي بواطنهم بالرفيق الاعلى اسم جاء على فعيل بمعنى فاعل يستوي فيه
الواحد والجمع يجوز ان يريد به الله تعالى اذ يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرافة وان يريد به
الانبيا الساكنين اعلى عليين وفي حديث عائشة اذ خير صلى الله عليه وسلم بين الدنيا وبين ما عند
الله فقال بل الرفيق الاعلى وفي حديث البخاري والحقني بالرفيق الاعلى والملائكة لاخذها اخبار السما
وغيرها عنهم وتلقيها الوحي اي ما ارسلوا به منهم قال اي بعض المحققين وقد قال صلى الله عليه وسلم
عيني تنامان بما عراهما من النوم بحيث لا احساس ولا شعور ولا ينام قلبي اي غالبا اذ يغشى قلبه النوم
كما وقع له في الوادي المؤذن به ظاهر حديث البخاري عن بلال وهذا الحديث وحديث اني لست كهيئتكم
وحديث اني لست انسى لتقدم بيانها وعزوها الى ذوي المقام فاخبر صلى الله عليه وسلم ان سره وباطنه وروحه
وهي هنا ما يقوم به البدن وبه الحياة اذ قد يطلق على القران والوحي والرحمة وجبريل خلاف جسمه وظاهره
فانهما يعتورهما الالام والاسقام كغيره من البشر وان الافات جمع افة وهي ما تحل ظاهره صلى الله عليه
وسلم فقط من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها اي من هذه المذكورات شيء باطنه بخلاف غيره من البشر
في حكم الباطن فانها تحله ظاهرا وباطنا لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه اي عمرهما وغطاهما

وهو

وهو صلى الله عليه وسلم في نومه وان استغرق النوم جميع اعضائه الا قلبه فهو حاضر القلب كما هو في
يقظته حاضر المشاعر والاحساس حتى قد جاء في بعض الاخبار انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا رواه
سعيد بن منصور في سننه عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في حديث مبيته عند خالته
ميمونة زوجه صلى الله عليه وسلم وصلاته بالليل معه صلى الله عليه وسلم وفيه ثم وضع راسه حتى
اغفى وسمعت نخيخه واصله في البخاري ثم جا بلال فاستيقظ فقام فصلى باصحابه زاد البخاري ولم يتوضا
اي بعد انتباهه من اغفائه اي نومه قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس ما احسن هذه فقال انها
ليست لك ولا لاصحابك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحفظ من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان
بشهادة حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك غيره اذا احله شيء مما ذكر وجاع ضعف لذلك
اي من اجل الجوع جسمه وخارت قوته اي ذهبت بضعفه فبطلت بالكلية جملته اي جميع اعضائه وهو صلى
الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك اي لا يغشاه ولا ينتابه شيء من ذلك بخلافهم فانه يعتريهم
ويرهقهم لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري في الوصال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني بخلقه في قوة الاكل والشرب كذلك اي ومثل ما قال بعض المحققين ان الطوارئ والتغيرات
تختص باجسام الانبيا اقول انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال كلها من وصب بيان للاحوال
وسماها احوالا مجازا مرسلا لا لمناسبة لها تنتقل بها من حال الى حال والوصب دوام الالم ولزومه
وقد يطلق على التعب وفي حديث عائشة انا وقبت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مرضته في
وصبه اي دبرته فيه وسحر وغضب لله تعالى اذا انتهكت حرماته ولا يغضب لنفسه لم يجر على باطنه
ما يخل به اي بباطنه مما حل بظاهره ولا فاض من فاض الانا اذا امتلا حتى سال من جوانبه منه
اي مما كان يحل ظاهره على لسانه وجوارحه ما لا يليق به من هذيانات المرضى وخرافاتهم كما يعتري
غيره من البشر ممن يتولد به شيء منها من شدة الالم فصل في الرد على من في الشريعة الحد
ويزيغه عن الحق الى الارض اخلد فان قلت جاءت الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سحر
بشهادة حديث البخاري عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم
في مشط ومشاطة هي الشعر الذي يسقط من تسريح اللحية والراس بالمشط حتى انه ليخيل اليه انه
فعل الشي وما فعله لما ادهش ظاهره من الالم الوارد عليه به وفي رواية حتى كان يخيل اليه انه ياتي
النسا وما ياتيهن اي يطانهن وانه واقعهن والحال انه لم يجامعهن واذا كان هذا من التباس الامر اي ابهامه
واختلاطه على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الالتباس عليه وعلى اي كيفية يرد
وكيف جاز اي السحر عليه وقد مر معنى الاستفهام بكيف وهو معصوم جملة حالية من المسحور وقبلها افاد
التعجب من جواز السحر عليه مع عصمته صلى الله عليه وسلم من امر ليشينه فاعلم امر لكل من يتاتى توجيهه
اليه لم يرد به معينا وفقنا الله واياك اعتراض دعاي بين اعلم وبين ما سد مسد معموليه وهو ان هذا
الحديث الذي اسنده هنا الى عائشة صحيح متفق عليه رواية الشيخان وقد طعنت فيه الملحدة اي
عابته الطايفة الزايغة عن الحق وتذرعت به بزعمها اي جعلت حديث عائشة لسخف اي رقة
وضعف عقولها وتلبيسها على امثالها ذريعة اي وسيلة الى التشكيك في الشرع وقد نزهه الله اي طهر
وبعد الشرع والنبي عما يدخل في امره اي دينه صلى الله عليه وسلم لبسا يصير به متلبسا بغيره مما
لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض جعله مرضا لكونه مسببا عنه مبالغة فيه وعارض من العلل

يجوز عليه صلى الله عليه وسلم ويعتريه ذلك من انواع الامراض مما لا ينكر عروضه له صلى الله عليه وسلم ولا
يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه كان يخيل اليه اي يقع في مخيلته انه فعل الشيء
ولا يفعله فليس في هذا اي التخييل منه ما يدخل عليه داخلة من عيب وفساد وغش في شيء من تبليغه
او في شيء من شريعته او يقدح في صدقه تبليغا وتشريعا لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا
اي مما يدخل عليه داخلة فيما ذكر وانما هذا اي الذي يدخل عليه ما ذكر فيما ذكر من تبليغ او شريعته او
قدح في صدقه فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها اي من اجل
دنياه بل يطرو ذلك عظم اجره وكثر مضاعفا اضعافا كثيرة وهو صلى الله عليه وسلم فيها اي دنياه
عرضة للافات كسائر البشر فانهم معروضها ومعدون لها فغير بعيد الفاء مفصحة عن مقدر وهو
اذ كانوا عرضة لها فلا يبعد ان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم من امورها ما لا حقيقة له مما يخيل
اليه انه فعله ثم ينجلي عنه وينكشف كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر وهو احد مفاد
الرواية الثانية من السؤال في اوله من قوله بيان لمفسره اعني حتى يخيل انه ياتي اهله ولا ياتيهن
لان اتيانهن مما يلايمه تخيله لانه من امر دنياه وقد قال سفيان الظاهر انه ابن عيينة اذ هو المراد
بالاطلاق عند ائمة الحديث وهذا اشد ما يكون من السحر والالم يعرض له هذا التخيل ولم يات عن احد
من رواة الحديث في حديث منها اي من احاديث سحره صلى الله عليه وسلم انه نقل عنه في ذلك قول
خلاف ما اخبر انه فعله اي لم ينقل عنه انه قال حالة سحره فعلت كذا وكذا والحال ان منها ما لم
يفعله لعصمته من الخلف في الاخبار وانما كانت هذه السوانح خواطر وتخيلات منزهة عنها اقواله
وافعاله وقد قيل ان المراد بالحديث اي حديث حتى يخيل اليه انه كان يتخيل الشيء انه فعله والحال انه
لم يفعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته ليقظة قلبه وثبات ظاهره بشهادة حديث دعائه في سجوده اللهم ثبت قلبي
على دينك فتكون اعتقاداته كلها على السداد والاستقامة في الامور كلها والعدل فيه واقواله على
الصحة اذ لا خلف في اخباره فهلوا هذا القول مرضي فصل وما هو بالهزل هذا ما وقفت عليه لايمتنا ه
الاشعرية او المالكية او ممن من الاجوبة من الاجوبة عن هذا الحديث اي حديث سحره صلى الله عليه وسلم
مع ما اوضحناه من معنى كلامهم جوابا عن الحديث وزدناه بيانا من تلويحاتهم مما اشاروا به من غير تصريح
وكل وجه منها مقنع من قنع بالكسر يقنع قنوعا وقناعة اذا رضي لا من قنع بالفتح يقنع قنوعا اذا سأل وفي
الحديث عز من قنع وذل من طمع وفيه كل المقانع من اصحاب محمد جمع مقنع وزن جعفر من قولهم فلان
مقنع في العلم وغيره اي رضي به لمن ثنى وجمع نظر الى انه اسم ومن منع نظر الى انه مصدر لكنه قد ظهر
لي في الحديث اي حديث السحر تاويل اجلى مما ذكر من التاويلات السالفة وابعد عن مطاعن ذوي
الاضاليل جمع ضليل من المعاني مبالغة في الضلال اي المنهمكين فيما يضلهم وعن علي وقد سئل عن اشعر الشعرا
فقال الملك الضليل يعني امرأ القيس كان يلقب به يستفاد ذلك التاويل الاجلى من نفس الحديث اي حديث
السحر وهو ان عبد الرزاق الصنعاني رواه في مصنفه عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة
ابن الزبير وقال فيه عنهما اي عن سعيد وعروة سحر يهودي بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشط ومشاطة وفي رواية ومشاقة وجف طلع فجعلوه في بئر ميمي بئر ذروان فاستخرجه اي النبي صلى
الله عليه وسلم بنفسه او بمامور من البئر وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر كما رواه عبد الرزاق
عن معمر عن عطا حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة اي منع عن قربانها سنة فبينا ظرف

زمان للمفاجاة كبينما وبينا يضافان كما مر الى جملة اسمية وفعلية ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى والاحسن فيه اذ
ولا اذا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما ما له فقال
الاخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم في جف طلعة ذكر تحت في بئر ذروان وقال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان سحر عن عائشة دون غيرها من نسائه سنة حتى انكر بصره
بالنسبة الى ما كان عليه قبل ان يسحر من صحة بصره وقوته لا فقدا كليا بشهادة حديث ابن المسيب وغيره
المار حتى كاد ينكر بصره اي قارب ان يفقده ولم يفقده وروى البيهقي بسند ضعيف ومحمد بن سعد كاتب
الواقدي فيما الحق عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس اي منع عن النساء وحيل بينه
وبينهن وبين الطعام والشراب فهبط اي نزل عليه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه
كما مر فقد استبان اي ظهر وانكشف لك من مضمون هذه الروايات ان السحر الذي سحره به لبيد انما تسلط على
ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وقلبه الذي به يعقل الامور ويعرفها ويحارسها بشهادة انه لم يرد عنه
شيء على خلاف اعتقاده وانما اثر اي السحر في بصره حتى كاد ينكره كما مر وحبسه عن وطئ نسائه ويكون معنى قوله
يخيل اليه اي يقع في مخيلته انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه اي من قوته ومتقدم عادته
القدرة على اتيان النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر بضم الهمزة يقال لفلان اخذة يأخذ بها الرجال
عن النساء اي تمنعه وتحبسه عن قربانهن فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري اي يغشى من اخذ بضم وتشديد
المعجمة من التاخيذ مبالغة في اخذه ومنعه واعترض اي حيل بينه وبين مراده ولعله الضمير للشان
يفسره لعل هذا اشار سفيان او لسفيان واضمر قبل الذكر لتقدمه رتبة اي ولعل سفيان اشار لمثل
هذا بقوله وهذا اشد ما اي شيء عظيم يكون من السحر ويكون قول عائشة انه يخيل اليه بما وقع في
مخيلته انه اتى الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره اذ كان ينكره كما ذكر في الحديث من انه كان
يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او يظن انه شاهد فعلا اي راه
ظنا منه انه صدر من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه من وهن في بصره وضعف نظره لا لشيء
طرا عليه في ميزه وتفرقته بين الاشيا واذا كان هذا اي ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم لم يكن فيما
ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ظاهرا ما يدخل عليه صلى الله عليه وسلم لبسا يخالط عقله فلا
يميز به شيئا ولا يجد به الملحد الزايغ عن الحق المعترض بطعنه في حقية الشريعة انسا اي تبصرا او
ما يلحد اليه يقال انست منه كذا اي علمت واستأنست اي استعلمت وفي حديث ام اسمعيل فلما جاء
اسمعيل صلى الله عليه وسلم كانه انس شيئا اي ابصره وراى شيئا لم يعهده فصل هذه اي المذكورات
في الفصل قبله حاله اي النبي صلى الله عليه وسلم في جسمه الشريف ظاهرا وباطنا واما احواله في امور الدنيا
فنحن نسبرها على اسلوبها اي نوردها على طريقها المتقدم بالعقد بمعنى الاعتقاد والقول والفعل
اما العقد منها اي من احواله في امور الدنيا فقد يعتقد النبي من امور الدنيا على وجه يظهر له في بادي
الراي ثم يظهر خلافه او يكون منه على شك لا يترجح عنده من طرفيه عنده هذا خلاف امور الشرع فانه يعتقد
على ما هي عليه في نفس الامر اذ ما هي الا وحي يوحى وقد ورد هنا شاهد على انه صلى الله عليه وسلم قد يعتقد
الشيء من امور الدنيا على وجه ويظهر له خلافه بحديث مسلم قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم
يابرون النخل بضم الموحدة اي يلقحونها بطلع ذكورها فقال ما تصنعون استفهام تقريري اي حمل المخاطب
على الاقرار بما يعرفه والجائه اليه قالوا نصنعه اي نابره ليثمر قال لعلكم لو لم تفعلوا اي لو تركتم تابيرها

كان خيرا من تابيرها فتركوه فنقصت النخل طلعها او ثمرها بعد انعقاده فذكروا ذلك له صلى الله عليه
وسلم فقال انما انا بشر لا ادري امر دنياكم اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا واستمسكوا به واذا
امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر اقول الشيء من دنياكم والامر بخلافه وفي رواية لمسلم عن
انس انتم اعلم بامور دنياكم اي بجميع احوالها بشهادة الاضافة اليها لافادتها العموم ونفي رغبته
صلى الله عليه وسلم في الدنيا وفي حديث اخر رواه مسلم عن طلحة انما ظننت ظنا اي راجحا
لا جزما تاكيدا لاثبات الظن ونفي ما سواه او بحمل الظن على موضوعه وبخص ظنا بالضعف اي ظنا
ضعيفا فلا تواخذوني بالظن ولا تجدوا علي في انفسكم بما ظننته خيرا لكم من ترككم التابير
فظهر خلافه وفي حديث رواه البزار بسند حسن عن ابن عباس قصة الخرص اي حزر ما على النخل
من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا اي تقديره ظنا فقال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اي اناه
مقصور على الوصف بالبشرية قد اصيب في امور الدنيا فما حدثتكم عن الله فهو حق وصواب دائما
وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي فانما انا بشر اخطي واصيب وهذا وارد على ما قررناه
انفا منه انه صلى الله عليه وسلم قد يعتقد الشيء من امور الدنيا على وجه قد يظهر خلافه فيما
قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وفيما ظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في
شرع شرعه اي اظهره وبينه وسنة سنها اي طريقه مما امر به وندب اليه او نهى عنه قولا وفعلا
مما لم يرد به القران الكريم لشهادة حديث ابي داود عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا اني اوتيت القران ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم
بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله الا لا يحل الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة
معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم عليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم
بمثل قراه وحديثه عن العرباض بن سارية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله لم يحرم الا ما في هذا القران الا اني قد امرت ووعظت
ونهيت عن اشيا انها لمثل القران او اكثر وان الله لم يحل لكم بيوت اهل الكتاب الا باذن ولا ضرب
نسائهم ولا اكل ثمارهم اذا اعطوكم الذي عليهم وكما حكى ابن اسحق فيما فعله صلى الله عليه وسلم من
قبل نفسه من امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر الى الناظر فيه اي في ابعدها
عنه قال له الحباب بن المنذر كما تقدم وقد رواه البيهقي عن عروة والزهري اهذا منزل انزلكه الله
استفهام تقريري حملا للمخاطب على الاقرار بما استفهم عنه بعد الهمزة ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي
والحرب والمكيدة من كاده يكيده اذا اراده بسوء والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا
وعن ابن عمر غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة فلم يلق كيدا اي حربا قال اي الحباب بن المنذر
فانه ليس بمنزل لما قد اردت انهض اي قم وانتقل بنا حتى ياتي ادنى ماء من القوم يعني قريشا ثم نعور
بمهملة فواو مشددة اي نطم ونسد ما وراه من القلب بضم اوله وثانيه جمع قليب وهو البير التي لم تطو
فنشرب ولا يشربون فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم للحباب اشرت بالراي وفعل ما قاله
اي الحباب وقد قال له الله تعالى وشاورهم في الامر اي الذي لم ينزل عليك فيه وحي استنطاقا لارائهم
وتطييبا لقلوبهم ورفعا لمقاديرهم مع علم الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجا اليهم في شي

من

من ذلك بل اراد ان يستن به من بعده وعنه صلى الله عليه وسلم ما نشا ورقوم الاهد والارشاد امرهم
واراد اي النبي صلى الله عليه وسلم مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار كما
رواه البزار عن ابي هريرة بلفظ جا الحارث الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد صففنا ثمر
المدينة والاملاناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى استامر السعود يعني سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فشاورهم فقالا لا والله ما اعطينا الدنية من انفسنا في الجاهلية فكيف وقد جا الله بالاسلام فلما اخبروه برايهم
من المنع من اعطائهم الدنية في الاسلام الاولى من منعهم اعطاها في الجاهلية رجع عنه واشباهه من امور
الدنيا مما لم يكن له به اعتنا ولا التفات وهي التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها
مما لم يومر به بيانا وتعليما يجوز عليه فيها ما ذكرنا من انه صلى الله عليه وسلم قد يعتقد شيا على وجه يظهر
خلافه اذ ليس في هذا نقيصة تغض عليه ولا محطة له عن رفيع منزلته من حطط الشيء يحطه اذا انزله
والقاه وانما هي امور اعتيادية اعتادها الناس والفوها يعرفها من جربها مرة بعد اخرى وجعلها همه
ودابه ودينه وشغل نفسه بها اي بامور الدنيا وعاناها والنبي صلى الله عليه وسلم لا التفات له اليها
لانه مشحون القلب اي مملوه بمعرفة الربوبية على ما يليق بذات ربه تعالى من اجلال وتشريف وتكريم وتنزيه
ملان الجوانح جمع جانحة وهي الضلوع كما ملي الصدر وكنى بها عن نفسه اطلاقا لاسم البعض على الكل مجازا مرسلا
بعلوم الشريعة التي ارسله الله بها الينا مقيد البال اي القلب بمصالح الامة الدينية نسبة الى دينه
الذي دان به امته اي قهرهم على طاعته والعمل به فاطاعوه وعملوا به ومنه قول الاعشى مخاطبه صلى الله
عليه وسلم يا سيد الناس وديان العرب والدنيوية ولكن هذا اي ما يعتقده على وجه ويظهر خلافه كما
وقع له مع الانصار في تابير النخل انما يكون في بعض الامور الدنيوية ويجوز في النادر من امورها وفيما سبيله
التدقيق والتحرير في حراسة الدنيا اي ما يحترس ويجتهد في معرفته من امورها واستثمارها اي تحصيل
ثمرتها ونتيجتها المرتبة عليها لا في الكثير من امورها المؤذن بالبلاهة والغفلة عن امور الدين باتهامه في
تحصيل اولذة مما يجهلون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد تواتر بالنقل من جمع يومن
تواطيهم على الكذب عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا مفصلة لا يعزب عنه شي منها
ومعرفة دقايق مصالحها مما به صلاح العالم وسياسة فرق اهلها عربا وعجما على اختلاف اخلاقهم وعقولهم
وطبايعهم ولغاتهم سهولة وحزونة ما هو فاعل تواتر معجز في البشر اي بني ادم سموا بشرا لبدو بشارتهم
بخلاف النسا وغيرها من الحيوانات فانها مستورة باوبار واصواف واشعار شبه تمكن العجز بهم لاستيلايه
عليهم بتمكن المظروف بظرفه ثم استعار له في لحرف الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعا كما
في ولاصلبنكم في جذوع النخل فصل واما ما يعتقده اي النبي صلى الله عليه وسلم في امور الاحكام
افعال البشر الصادرة منهم الجارية على يديه لشرعها من ربه وقضاياهم المرفوعة منهم اليه ومعرفة المحق
منهم من المبطل وعلم المصلح من المفسد اي من يدخل باصلاح وافساد فبهذا السبيل اي ما ذكرهنا من
معتقده ومعرفته لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما واسنده هنا من طريق ابي داود
عن ام سلمة انما انا بشر وانكم تختصمون فيما بينكم ثم تردونه الي ولعل بعضكم الحن بحجته من اللحن
وهو في الاصل الميل عن الاستقامة يقال لحن في كلامه اذا مال عن صحيح النطق واراد ان يكون اعرف
وافطن بها من بعض فاقضي له على نحو بالتنوين مما اسمع من كلامه فمن قضيت له من حق اخيه بشي
فيما ظهر لي على وجه قد يكون الامر بخلافه فلا ياخذ منه شيا فانما اقطع له قطعة من النار لبنا احكام

لبناء

شريعته على الظاهر وغلبة الظن هذه رواية هشام بن عروة عن ابيه وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من المبالغة في التبليغ يقال بالغ مبالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد في الامراي اجتهد نفسه في ايصال كلامه الى ذهن سامعه من بعض فاحسب انه صادق اي اظن صدقه فيما قاله وقد سد مسد مفعولي احسب ما اشتمل عليه مؤول ان ومدخولها من مسند ومسند اليه مسد مفعولي احسب فاقضي له بما اظنه مستحقه وهو صلى الله عليه وسلم يجري احكامه على الظاهر من الامور والاحوال العارضة وعلى موجب غلبات الظن بشهادة الشاهد الباء سببية واللام لعموم الشاهدين ويمين الحالف ومراعاة الاشبه مما يظنه حقا ومعرفة العفاص هو وعا يجعل فيه الشي والوكا ما يربط به فمه كني بهما عما يظهر له من فحوي كلام الخصمين مما يظن به حقية ما ادعي به فهذه الاربعة مؤدية بغلبة ظنه لما يبدو له من فحوي كلامهما مع مقتضي حكمة الله في ذلك من ان تقتدي من بعده في حكمه جريا على الظاهر وغلبة الظن فانه صلى الله عليه وسلم لا اطلاع له على الغيب وان الله تعالى لو شا لاطلعه على سرائر عباده التي لا يعلمها سواه ومخبات ضمائر امته جمع مخبية مما هو مستور وفي الحديث ابتغوا الرزق في خبايا الارض كني بها عن الزرع لان البذر اذا القي فيها فقد خبي وكانت العرب تمثل بهذا البيت حنا على الزرع والتوكل على الله ورغبة في دعا ميه. تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب وترزقا. فتولى الحكم بينهم على مشيئه تعالى لاطلاعه صلى الله عليه وسلم على سرائرهم ومخبات ضمائرهم بمجرد يقينه وعلمه لكنه تعالى لم يشا اطلاعه على ذلك فامتنع توليه صلى الله عليه وسلم بمجرد ذلك فيرتفع المقدم في الشرطية ارتفع تاليه مع ما يترتب عليه لان لو للشرط مع القطع بانتفائه فانتفي بانتفائه ذلك وهذا معني قولهم هي لانتفاء الثاني لانتفاء الاول دون حاجة له وانتظار الى اعتراف بالحق من احد المتخاصمين اليه صلى الله عليه وسلم او بينة يقيمها من طلبت منه ليقضي له بحقه بها او يمين يحلفها من توجهت عليه ليفوز بحقه او شبهة ترجح الحق على المبطل كل ذلك على تقدير مشية الله اطلاعه صلى الله عليه وسلم ولكن لما امر الله امته اي النبي صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتدا به في افعاله الصادرة عنه وكل امة من احمد ولو في ساعة غضبه لعصمته واحواله بان ساعاته وقضاياه المرفوعة اليه من احاد امته ليحكم فيها بما اراه الله وسيره المأثورة اي المروية عنه وكان هذا اي ما امر الله امته باتباعه فيه لو كان مما يختص اي النبي صلى الله عليه وسلم بعلمه ويؤثره اي الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتدا به في شي من ذلك لتبرعلوهم عن الاطلاع على ما اوثره به ولا قامت بعده حجة على مخالف امر من امور دينه بقضية من قضاياه لاحد من حكام امته في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه مما اوثر به هو في تلك القضية المرفوعة اليه بما اراه الله بحكمه هو اذن فيها وقت ورودها عليه بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم الغائبة عن كل واحد من امته سريرة الاخر وهذا المكنون الذي اطلعه الله عليهم من سرائرهم مما لا تعلمه الامة اذ لا يطلع عليه احدا الا من ارتضى من رسول فاجري الله احكامه الشرعية على ظواهرهم التي يستوي فيها هو اي النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من البشر في زمنه وبعده ليتم اقتدا امته به في تعيين قضاياه التي له في كل قضية منها حكم وتنزيل احكامه على قواعد شريعته ويأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من ذلك اي من قضاياه وتنزيل احكامه على علم ويقين من سنته وطريقته التي بينها للامة اذ البيان بالفعل اوقع في النفس ظما نينة منه اي من البيان بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول اي البيان بالفعل اوقع وارفع لاحتمالات الالفاظ ولتاويلات المتاولين لشهادة ما افادته الاضافة والتعريف فيهما من العموم فانتم التفضيل فاض للبيان بالفعل باذو تعدية والارفعية دون القول وان اشتركا فيه وكان حكمه

اي النبي صلى الله عليه وسلم على الظاهر اجلي في البيان لكل احد واوضح في وجوه الاحكام لتبينها من توسم اشبه الاحكام لاختلافها بالوجوه واضافها اليها تاكيدا للتشبيه على طريقة لجين الماء اي في الاحكام المختلفة التي هي كالوجوه او شبهها بذي وجوه استعارة مكنية واثبت لها الوجوه تخييلا لان المشبه من جنس المشبه به تناسبا للتشبيه حتى كانه صار نسيا منسيا فقصد لحق البلاغة واكثر فايدة لموجبات التشاجر بفتح الجيم والخصام الناشي عنهما الدعاوي المترتب عليها فصل الخصام الرادع عن الاختلاف والتنازع وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي اي ما جري بينهم من الاختلاف وانكل ماجورون لقصدهم عن اجتهاد منهم لوضع الحق في محله للمصيب اجران وللمخطي اجر وليقتدي بذلك اي باحكامه صلى الله عليه وسلم التي صدرت عنه على الظاهر حكام امته بعده ويستوثق بما يؤثر عنه اي يتمسك بما يروى عنه صلى الله عليه وسلم وينضبط قانون شريعته اي امرها الكلي المنطبق على جزئيات موضوعة تعرف منه احكامها من وجوب وندب واباحة وحرمة وكراهة وخلاف الاولى وطي ذلك عنه ولم يطلعه عليه هو ايضا من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول بيان للمرتضي فيعلمه منه بما شا ليكون معجزة له او بالفراسة او المراد بالرسول الملك واما الولي اذا اخبر بشي يظهر على يديه من الغيب فهو غير جازم به واخباره به بنا واعتمادا منه على رؤيته له واقعا ويستاثر اي علم الغيب ويختص بما شا ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه احدا على ما استاثر به في نبوته اي المرتضي للنبوة والرسالة ولا يفصم عروة من عصمته شبه عصمته بذي عري لصغار البهم استعارة مكنية ثم اثبت لها العروة تخييلا فصل واما اقواله اي النبي صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي الصادرة منه في امور الدنيا من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله مستقبلا او ماضيا فقد منا ان الخلف فيها يمتنع عليه لا يصدر فيه شي في اخباره في كل حال يكون عليها وعلى اي وجه من وجوه احواله عمدا وسهوا وصحة او مرض ورضي او غضب فانه اي النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوجوه كلها معصوم منه اي من الخلف في اخباره هذا اي ما ذكر فيما طريقه الخبر المحض الذي لم يرد به تعريضا به لشي خلاف ظاهره من معاريض الكلام تورية فاما المعاريض جمع معراض من التعريض ضد التصريح من القول يقال عرفت ذلك في معراض كلامه ومعرضه بحذف الالف وفي الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز ورودها منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية لا سيما كلمة استثنا مركبة من سي وما ان جعلت ما موصولة رفع الاسم بعدها خبر مبتدا اضمر بعدها بقولك اكرمني القوم سيما اخوك وان جعلت زايدة جرما بعدها بسي لانها بمعني مثل بقولك قام القوم سيما اخيك اي ولا مثل اخيك وروي قول امرئ القيس. ولا سيما يوم بدارة جلجل. مرفوعا ومجرورا لقصد المصلحة لنفع يتوقع كتوريته صلى الله عليه وسلم عن وجه مغازيه بلفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد فكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها اي سترها واوهم انه يريد غيرها واصله من الوري اي الستر البيان وترك اظهاره لئلا يأخذ العدو حذره وكما اي ومثل توريته ما روي من ممازحته ودعابته عاير بينهما ومعناهما واحد لاختلاف لفظيهما تلويحا بانه مدلولهما لشهادة حديث انه صلى الله عليه وسلم كان فيه دعابة ومنه قوله لجابر هلا بكرا تلاعبها وقول عمر وقد ذكر عنده علي للخلافة لولا دعابة فيه لسط امته والشراح مجرودهم تانيسا لهم ويقربا بسير وبشاشة وطلاقة وجه وتطييب قلوب المؤمنين من اصحابه من سامه لا يبغضه وتاكيدا في محبتهم ومسرة نفوسهم كقوله لبعض اصحابه كما رواه ابو داود والترمذي وصححه عن انس لاحملنك

عن ابن الناقة اراد البعير الكامل لا الفصيل وان احتمله اللفظ قريبا تمليحا وتزيينا للكلام وقوله فيما رواه ابن ابي
حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهري للمراة التي سالته عن زوجها هو الذي بعينيه بياض
استفهام تقريري حملا لها على الاقرار بانه يريد به البياض المعهود في العين لا المفسد لها وان احتمله
اللفظ بعيدا وهذا اي ما قاله صلى الله عليه وسلم مداعبه كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان
بعينيه بياض اذ لا يكونان بدون ذلك غالبا وقد قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول
الا حقا لعصمته من المجون وغيره استروا حابا لكذب هذا اي مزاحه على وجه الحقيقة كله فيما بابه الخبر بمعنى
الاخبار بما النسبة خارج كما هو الذي بعينيه بياض او لا كالوعد بلا حملنك على ابن الناقة ونحوه فاما ما بابه
غير الخبر فامور بته صورة الامر باللام او بالصيغة والنهي كذلك في الامور الدنيوية فلا يصح القول بصدقه
منه لعصمته ولا يجوز ان يامر احدا بشي او ينهاه عنه وهو صلى الله عليه وسلم يبطن خلافه جملة حالية
افادت باعتبار ما وليته من النفي براءة انيته ضميره ونزاهته من ذلك وقد قال اي النبي صلى الله عليه
وسلم فيما رواه ابو داود والنسائي عن سعد بن ابي وقاص ما كان لنبي اي ما صح وما استقام ان تكون له
خائنة الاعين ايماء بالعين سمي خائنة لظهور ما يضمر في النفس به ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين اي
ما يخان به فخائنة مصدر بمعنى خيانة مما ورد بلفظ اسم الفاعل كالعافية بمعنى المعافاة ومن ثم لم يحسن
ان يكون اضافتها الى الاعين من فكيف يكون له خائنة قلب انكار تولد منه نفيها فان قلت فما معنى قوله
تعالى في قصة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ راى زينب بنت جحش بنت عمته بعد
ان زوجها لزيد فوقعت في نفسه صلى الله عليه وسلم فقال سبحان الله مقلب القلوب لجمال نفسه لها قبل ذلك فسمعت
تسبيحه فذكرته لزيد ففطن له ثم كره صحبتها ورغب عنها له صلى الله عليه وسلم فقال له اريد ان افارقها فقال
ارابك منها فقال لا والله ولكنها تعاظم على لشرفها وتؤذيني ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب لي زينب قال فانطلقت اليها فاذا هي تخمر عجينها فلما
رايتها عظمت في نفسي فلم استطع ان انظر اليها لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم في نكاحها فوليتها ظهري وقلت
يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر
ربي فقامت الى مسجدها ونزل واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وانعمت عليه
بالعتق امسك عليك زوجك يعني زينب واتق الله ولا تطلقها على ارادة نصيحة له تنزيها لا تحريما لان الاولى
امساكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه من انه تعالى سيزوجها لك وتخشى الناس مقالتهم
باطلاق السنتهم فيك والله احق ان تخشاه فيما قلته لزيد والواو في وتخفي وتخشى والله احق للحال اي تقول لزيد
امسك عليك زوجك مخفيا ان يطلقها خاشيا قالة الناس فيك حقيقا في ذلك ان تخشى الله او للعطف اي
واذ تجمع بين قولك امسك واخفي خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك
فكانه تعالى اراد منه صلى الله عليه وسلم حين استشاره في مفارقتها ان يسكت او يقول له انت اعلم بشانك
كراهة ان تخالف سره صلى الله عليه وسلم في ذلك علانيته لارادته تعالى من انبيائه تساوي ظواهرهم
وبواطنهم والتصلب في الامور والاحوال والاستمرار على طريقة مستقيمة بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم
لعمر اذا اراد قتل عبد الله بن ابي عثمان بن عفان في شفاعته له وقول عمر لقد كانت عيني الى عينك هل
تشير الي فاقبله ان الانبيا لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فلما قضى زيد منها اي زينب وطرا ولم يبق له
فيها ارب وبانت عنها همته وطابت عنها نفسه رغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانقضت عدتها

صح واعتراض

زوجناكها

زوجناكها فامنت الايمة والضيعة وفازت بالشرف بجعلها من امهات المؤمنين لما اراده الله من المصلحة العامة المفادة
بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم تدنيا باتخاذهم ابناء اذا قضوا منهن وطرا اي فعلنا ذلك نفيا
للحرج عنهم وبيانا للجواز ان ينكح الرجل حليلة دعيه وقد كان صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا فكان يقال زيد بن محمد
فقال الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله فاعلم خطاب لكل من يتاتى توجيه الامر اليه اكرمك الله
اعتراض افاد الدعاء له بالاكرام ولا تستغرب اي ولا تحس ريبة في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم بل نزهه عن هذا
الظاهر المفاد من ايه وتخفي في نفسك اي تخبئه وتعلق قلبه بها ووداده مفارقة زيد لها وان يامر زيدا بامساكها
وهو اي والحال ان النبي صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه اياها كما ذكره جماعة من المفسرين غافلين عن ان ما قالوه
اخفاه غير ما اخفاه واصح ما قيل في هذا الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم ما حكاه اهل التفسير كابن ابي حاتم عن زين
العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب ابنة جحش بن رئاب
ستكون من ازواجه امهات المؤمنين ولم يخفه استهجانا للتصريح به ولا حذرا من قالة الناس فيه بل لما جبل عليه
جنابه الكريم من الحياء والتحفظ مما يستحي من الاطلاع من الناس عليه مع كونه مباحا متسعا باخبر بانه لا معاقب
فيه ولا عيب عند الله فيه وربما كان فعله سلما الى حصول واجبات بعظم اثرها في الدين ولو لم يتحفظ منه لسلقه
الناس بالسنتهم الا من عصمه الله كما ورد ان نفرا من اصحابه مكثوا في بيته بعد انتشار الناس من وليمة زينب
مستانسين بالحديث فتاذى صلى الله عليه وسلم منه وكان الحياء يصده ان يامرهم بالانتشار فنزل يا ... ولا
مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو امرهم ان ينتشروا
لشق عليهم فلما شكاها اليه زيد لتعاظمها بشرف نسبها وفخر حسبها فانها من اسد ولد الياس بن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان قال له امسك عليك زوجك واتق الله ولا تتعرض بتكبرها عليك واخفى منه في نفسه استحياء منه مع
كونه مباحا ما اعلمه الله به من انه سيزوجها له مما الله مبديه ومظهره مصلحة عامة للعباد
هي ما افاده كما مر لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا بتمام التزويج وطلاقه
لها وذكر هنا ما روي عن عمرو بن فائد الاهوازي وكما قال الدارقطني وغيره قدريا متروك الحديث ولم ادر من رواه غيره
عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه اي يعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يزوجه زينب
بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا الذي روي عن الزهري قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا اخذا من
للاية وكان امر الله مفعولا اعتراض افاد ان ما اراد الله تكوينه واقع مكونا وتمثيلا لما اراد كونه واقعا من تزويجها الله وفي
الحرج عن المؤمنين في جعل ازواج المتبنين كازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد فراقهن اي لا بد ان يتزوجها لامتثال
خلف الارادة ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها اي لم يظهر من شانه صلى الله عليه وسلم مع زينب غير تزوجه لها
فدل ما ابداه تعالى انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به لا غيره وقوله تعالى في القصة المذكورة
في شانه صلى الله عليه وسلم وشان زيد وزينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي ليس عليه ضيق وباس
واثم في فعله ما قسم الله واوجب له ووسع عليه في باب النكاح وغيره سنة الله اسم مفعول في موضع مصدر مؤكد
لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج اي سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء الماضين نفيا للحرج عنهم فيما
اباحه لهم من نكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاير والسراري فكان لداود مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة
امراة وسبعمائة سرية وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وامرا مبتوتا قوله ما كان على النبي من حرج
على انه اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عليه حرج في الامر المفروض له مما لا اثم بتركه قال الامام محمد بن جرير الطبري
ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعله اي مثل ما فعل الله لمن قبله من الرسل قال الله سنة الله في الذين

خلوا اي مضوا من قبل من النبيين فيما احل لهم من نكاح وغيره ولو كان ما اخفاه على ما روي في حديث عبد بن حميد عن قتادة من وقوعها اي زينب من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومن محبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وحاشاه منه ولكان فيه ما لا يليق به من مد عينيه اي تطويل نظرهما حتى لا يكاد يرده استحسانا لما نهي عنه وتمنيا ان يكون له من زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهجتها وكان هذا اي وقوعها من قلبه ومحبته طلاق زيد لها لو وجد لكان نقص الحسد المذموم المنزه صلى الله عليه وسلم عنه الذي لا يرضى ولا يتسم اي يتصف به الاتقيا فكيف سيد البشر تعجب وانكار لتجويز اتسامه صلى الله عليه وسلم بما لا يرضى به الاتقيا قال القشيري وهذا اي القول بوقوعها من قلبه ومحبته طلاق زيد لها اقدام عظيم من قائله وقلة بل عدم معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله الوريف وجاهه المنيف وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب ولم يزل يراها منذ ولدت الى ان بلغت مبلغ النسا ولا كان النسا يحتجبن منه لانه اولى بالمومنين من انفسهم ولعصمته وهو الذي زوجها لزيد مولاه بن حارثة الكلبي وانما جعل الله طلاق زيد لها اي لزينب ولتزوج النبي لها لازالة حرمة التبني مفعول لاجلها طلاقها وتزويجه صلى الله عليه وسلم بزوجة من تبناه اي اتخذه ابنا دفعا لاعتقاد احد من المؤمنين ان يثبت بينه وبين من تبناه ما ثبت بين الاب وابنه من حرمة حليلة كل على الاخر وابطال سنته اي التبني ولا يكون للتبني ابنا على الحقيقة كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينهما ما ثبت بين الابا والابنا من الاحكام المحرمة دون ما ثبت له صلى الله عليه وسلم من شفقة ونصيحة وزيد مولاه واحد من رجالكم الذين ليسوا اولادا له صلى الله عليه وسلم حقيقة فحكمه حكم رجالكم والادعا والتبني انما هو من باب التقرب والاختصاص لا غير وقال لكيلا علة لقوله زوجناكها اي شرعنا ذلك وفعلناه حذرا من ان يكون على المومنين حرج في نكاح ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ونحوه اي نحو ما قاله القشيري لابي بكر محمد بن الحسن بن فورك بضم الفا ولا ينصرف للعلمية والعجمة وقال ابو الليث السمرقندي بفتح الميم وسكون الرا فان قيل اما فائدة امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها اي امساكه زينب فهي اي فائدة امره بالامساك ان الله اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه اي نهى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها اذ لم تكن بينهما اي بين زيد وزينب الفة واستئناس واتفاق فكانت لشرفها تتفخر عليه وتتعاظم وتؤذيه فكرهها لذلك واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يريد طلاقها فامره بامساكها واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انها ستصير زوجته فلما طلقها زيد خشي اي النبي صلى الله عليه وسلم قول الناس يتزوج امراة ابنه تبنيا فزوجها الله تعالى اياه ليباح مثل ذلك لامته فيتزوج منهم من تبنى زوجة من تبناه كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في نكاح ازواج ادعيائهم اي متخذيهم ابنا وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة اي منعا وزجرا لها ورد النفس عن هواها الى تقواها وهذا القيل انما يعتبر اذا جوزنا عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم انه رآها فجاة من فجاة الامر فجاة بالضم والمد وفجا وفاجاه مفاجاة اذا جاه بغتة وقيده بعضهم بفتح الفا وسكون الجيم وبالقصر على المرة اي بغتة من غير تقدم قصد واستحسنها ومثل هذا اي ما ذكر من رويته صلى الله عليه وسلم اياها واستحسانه لها لا نكره فيه بالتحرز لسلامته من الانكار كالنفقة من الاتفاق لما طبع عليه ابن ادم اي خلق عليه وجعل فيه من الاخلاق التي لا يكاد يزايلها من خير وشر وفي الحديث كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الكذب والخيانة اي يخلق عليها الا اياهما من استحسانه الحسن وميل طبعه اليه ونظرة الفجاة معفو عنها لوقوعها بغتة بغير قصد ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وتقوى الله فيها ولا يعيبها وانما ينكر تلك الزيادات التي ذكرها بعض المفسرين في القصة من انه صلى الله عليه وسلم اخفى عنه تعلق قلبه بها

اد

او ارادته مفارقتها لها مما لا يليق بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم والتعويل والاعتماد على ما ذكرناه مما يليق به صلى الله عليه وسلم عن زين العابدين علي بن الحسين هو ابن علي بن ابي طالب ان الله كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه وحكاه السمرقندي كما تقدم انفا وهو قول ابن عطا واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول واعتمده القاضي ابو بكر بن فورك كما تقدم وقال انه اي ما عول عليه ابن فورك معنى ذلك اي الذي ذكر مما يليق به صلى الله عليه وسلم عند المحققين من اهل التفسير قال اي ابن فورك والنبي صلى الله عليه وسلم منزه اي مبرا ومبعد عن استعمال النفاق في ذلك باخفائه خلاف ما يعلن واظهاره خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك اي استعماله النفاق بذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج اي باس وضيق بل سعة فيما فرض الله له وخصه به من نكاح وغيره قال اي ابن فورك ومن ظن ذلك اي انه اخفى عنه تعلق قلبه بها او ارادته مفارقتها بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا خطا بينا وليس اي ما قيل انه اخفى ما لا يليق به معنى الخشية هنا اي في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وانما معناه الاستحيا اي تستحيي منهم تفاديا وتحاشيا من ان يقولوا تزوج زوجة ابنه زيدا اذ كان قد تبناه وان خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس انما كانت حذرا من ارجاف المنافقين باخبار سوء متزلزلة غير ثابتة وتشغيبهم من الشغب بسكون ثانيه كما مر اي الشر والفتنة بالاكاذيب على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابنا جهلا منهم انهم ابناء الاصلاب بشهادة وحلايل ابنائكم الذين من اصلابكم اي دون من تبنيتم فعتبه الله في هذا اي على استحيائه منهم ان يقولوا ذلك ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم من نكاح حلايل من تبنوه دون حلايل ابنا اصلابهم كما عتبه على مرضات ازواجه في سورة التحريم اذ قد ورد انه صلى الله عليه وسلم شرب عسلا عند زينب فتواطات عايشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك رايحة مغافير فقال انما شربت عند زينب عسلا فقالتا جرست نحله العرفط فحرم شربه فلاطفه ربه تعالى بقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك من عسل وغيره تبتغي حال او علة لتحرم اي مبتغيا او لابتغا مرضات ازواجك بتحريمه وليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور رحيم قد غفر لك ورحمك فلا يواخذك كذلك قوله هنا ملاطفة له على مراعاته للناس استحيا منهم وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه وقد روي كما في جامع الترمذي وصححه عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية اي اية زيد وزينب لما فيها من عتبه وابدا ما اخفاه من اعلام الله له ان زينب ستصير من ازواجه

فصل فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في مرض موته فدته نفسي فان قلت لم يرد به مخاطبا معينا قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم مما لا يليق برفيع مقامه في اقواله في جميع احواله اي اموره وشؤونه وانه لا يصح منه وقوعا فيها اي في اقواله خلف لقول منه ولا اضطراب فلا يرد منه شي على اوجه مختلفة متساوية في عمد بعزم وتصميم ولا في سهو اي ذهول ولا في صحة من العاهات ولا في مرض بها ولا في جد بكسر الجيم من جد يجد جدا ضد الهزل ولا في مزح ولا في رضى ضد السخط كما مر ولا في غضب كرر لا لتاكيد النفي ودفع الخلف والاضطراب في شي مما ذكر في العصمة منهما في ذلك فما معنى الحديث الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في وصيته الذي اسنده هنا من طريق البخاري ورواه مسلم ايضا عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دنى موته نفسي له الفدا وفي البيت رجال من قرابته واصحابه فقال هلموا اي تعالوا العلها على لغة الراوي كتميم فانهم يثنون ويجمعون ويونثون واهل الحجاز يقولون هلم مبنيا على الفتح للواحد مذكرا ومونثا وللاثنين والجمع بشهادة قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا اما لبيان مهمات الدين او لبيان محل الخلافة دفعا للنزاع وحثا على الاتفاق على ما كان يكتبه فكانه صلى الله عليه وسلم ظهر له او اوحي اليه ان الخير

في كتابته فهم بما ظهر له او اوحي اليه ان الخير في تركها **لن تضلوا** **وتخرجوا** الى ما لا تهتدون اليه **بعده** اي بعد الكتاب
اذا عرفتم ما فيه وعملتم به **فقال بعضهم** هو عمر كما سياتي **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع**
وعندنا كتاب الله حسبنا كتاب الله **وفي رواية لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا** اي فوقع بينهم التنازع
والاختلاف **فقالوا** كما في البخاري **اهجر** بصيغة الماضي استفهام انكاري للهجر بضم الهاء على من توقف في امتثال
امره صلى الله عليه وسلم بالكتابة اي لم يختلف كلامه ولم يتغير من الوجع كما يقع للمرضى ممن لا ينتظم كلامهم
لاستحالته منه لعصمته صحة ومرضا رضى وسخطا فانه صلى الله عليه وسلم انى لا اقول في الغضب
والرضى الا حقا فكيف يتوقف فيما طلب ايظن انه صلى الله عليه وسلم كغيره يقول في مرضه الهذيان فانكار
مندور المحرمية ما مكان حاله التي يرد عليها انكار لوجوده على وجه برهاني من حيث انه حال الشيء ثابت
لذاته فانكارها انكار لذاته بطريق الكناية الابلغ لانكار الهجر **استفهموه** اي استخبروه عما اراده وافعله
اولى ام تركه وليس قولهم اهجر اخبارا عنه به لتزاهته صلى الله عليه وسلم عما لا يليق به من فحش او هذيان
فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم **دعوني** مما انتم فيه من التنازع واللغط **فالذي انا فيه** من مراقبة ذي
واستطار رسله الي والتاهب للقائه والحاق بالرفيق الاعلى وبحمل غير ذلك كما سياتي **خير** وافضل مما انتم فيه
من التنازع والاختلاف **وفي بعض طرقه** كما في مستخرج الاسماعيلي من طريق بن خلاد عن سفيان **ان النبي صلى الله عليه
وسلم يهجر** انكار على من اختلف عنده من هجر اذا نزل اي ايترك كتابته ويعرض عنها لا يتركها **ويروى** كما في البخاري **هجر**
ماضيا حذفت همزته بمعنى رواية اهجر فيتم امر **ويروى اهجرا** بضم الهاء مصدر اهجر عشيته همزته للاستفهام **وفيه**
اي في الحديث فقال عمر **ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا** من احسبه الشيء اذا
كفاه اي هو محسبنا اي كافينا فهو اسم الفاعل فاضافته غير حقيقية لا تفيد تعريفا لشهادة تقدير التنوين فيه ووصف
النكرة فيه في مثل هذا رجل حسبنا اي يحسب لنا وهذا من عمر مؤذن بحسن نظره وصحة فهمه اذ خشي ان يكتب
لهم ما يعجزون عنه او عن السداد باب الاجتهاد وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار عليه تلويح بتصويب قوله عند
كتاب الله حسبنا اشارة منه الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء **وكثر اللغط** هو صوت مع صيحة لا يفهم معناه
فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم **قوموا عني وفي رواية** في الصحيح **واختلف اهل البيت** ممن كان فيه من الصحابة
واختصموا اي تجادلوا وتجاذبوا الكلام **فمنهم من يقول قربوا له** يكتب لكم كتابا تمسكوا به فتهتدوا **ومنهم من يقول ما
قال عمر** عندنا كتاب الله حسبنا الله شفقة عليه منه عليه صلى الله عليه وسلم مما به من شدة الوجع وكربه ولما
قام بما عنده من ان ما اراد كتابته مما الامر ورد اليه وقد علمت ان في تركه صلى الله عليه وسلم الانكار عليه تلويحا بتصويبه
ولا يعارضه قول ابن عباس ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لانه كان
افقه من ابن عباس لعلمه ان الله قد اكمل دينه فامن الضلال على الامة لجزمه بالامتناع من الكتابة لما ظهر له من
مقارنة امره صلى الله عليه وسلم به ما صرفه من القرائن عن الوجوب اذ كان على اختيارهم ومن ثم اختلفوا **قال ائمتنا**
اي المالكية او الاشعرية **في هذا** اي حديث ابن عباس **النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض** الظاهرة على جسمه
دون باطنه كغيره من الانبياء **وما يكون من عوارضها من شدة وغشي** اي اعماء **مما يطرأ على جسمه** الشريف وجسده الكريم
معصوم ان يكون منه اثناء ذلك اي خلال تلك الامراض التي تعرض له **ما** اسم يكون موصولا او موصوفا **يطعن في معجزته**
قد حاقها **ويؤدي الى فساد في شريعته** صلى الله عليه وسلم ودم وعيب مما شرعه الله لنا من الدين **يقال شرع الشرع**
شرعا فهو شارع وقد شرع اذا اظهره وبينه والشريعة في الاصل موردة الماشية على الماء **من هذيان** اي كثرة
كلام وتوسع فيه مع حذر واه **او اختلال** بوهن او فساد **في كلام وعلى هذا** القول بانه صلى الله عليه وسلم معصوم مما ذكر

لا يصح

لا يصح ظاهر **رواية من روى هجر اذ معناه هذى** اي كثر كلامه بلا جدوى هنا ولعل قائله ممن قرب عهده بالاسلام
وبري اي شدة الوجع قد تدهش وتحير فيما يراد لجوز وقوعه منه ومن ثم قال بعضهم انه قد غلبه الوجع **يقال
هجر يهجر هجرا** بفتح اوله وسكون ثانيه **اذا هذى واهجر يهجر هجرا** بضم اوله وسكون ثانيه **اذا افحش** اي اتى
بكلام يفحش ذكره **والهجر** بضم الهمز وسكون الهاء **تعدية هجر وانما الاصح والاولى** اللائق برفيع درجات مقامه
الكريم **اهجر** ماضيا بالفتح **على طريق الانكار على من قال لا يكتب** وردا لقوله مع وجود ما يدعو الى الكتابة من كونه
صلى الله عليه وسلم ماضي العزم ثابت العقل حسن التصرف معصوما في اقواله وافعاله **وهكذا رويناه** اي اهجر
ماضيا بفتحات مع همزة انكار **في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة** اي رواة صحيح البخاري **في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام** بتخفيف اللام شيخ البخاري عن ابن عيينة **وكذا ضبطه الاصيلي**
بفتحات مع همزة انكار **بخطه في كتابه** من صحيح البخاري **وكذا ضبطه غيره من هذه الطرق** كلها عن الزهري
وغيره **وكذا رويناه** بفتحات وهمزة انكار **عن مسلم في حديث سفيان** بن عيينة **ورويناه ايضا عن غيره** اي غير
مسلم الهجر على الانكار وهو اصح من رواية هجر وعليه تنزيهه صلى الله عليه وسلم من الهجر بالضم بمعنى الهذيان
وانما ورد كما مر انكارا على من قال لا نكتب اي كيف نترك امره ونجعل كمن هجر في كلامه مع عصمته من ان يهجر وان
صحت الروايات فقصد ودها من قائلها انما هو بغير تثبت وتحقق بل قالها حيرة ودهشا لشدة ما راه منه صلى الله عليه
وسلم في هذه الحالة المؤذنة بوفاته فدته نفسي من تعاظم المصيبة به وتعاظم الفتن والضلال بعده وكنى بالهجر عن
شدة الوجع وقول عمر عندنا كتاب الله حسبنا انما كان ردا على من نازعه لا ردا لامره صلى الله عليه وسلم **وقد
تحمل عليه** اي على الهجر انكارا **رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام** اي همزة الاستفهام الانكاري **او تحمل
هجرا** بضم الهاء **او اهجر** مبنيا للمفعول على انه قاله حيرة **ودهشة** لا يدري كيف يهتدي **لعظم ما شاهد من حاله**
صلى الله عليه وسلم **وشدة وجعه** ولما راى **من هول المقام الذي اختلف فيه عليه** وهو الامر **الذي هم بالكتاب
فيه** لاتفاق الكلمة والتعاضد والتناصر والسمع للخليفة بعده ووصيته خصوصا بقرباه وعموما بالمهاجرين
والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وبسائر المسلمين وغير ذلك **حتى لم يضبط هذا** اي القائل
لفظه واجرى الهجر بالضم كما مر **مجرى شدة الوجع** وتزايد الالم اذ كان يوعك كما يوعك الرجلان اشفاقا عليه صلى
الله عليه وسلم **لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته** حذرا عليه من ان يرهقه
مكروه **والله يقول** اي اشفقوا عليه مع قوله **والله يعصمك من الناس** اي ان ينالوك بما يضرك **واما على
رواية اهجر** بفتح الهمزة وضم الهاء **وهي رواية المستملي** احد رواة البخاري **في الصحيح في حديث** ابي محمد
سعيد بن جبير عن ابن عباس فقد يكون هذا اي لفظ اهجر بضم الهاء **راجعا الى المختلفين عنده** اي النبي صلى الله
عليه وسلم **ومخاطبة لهم من بعضهم** منكرا ذلك البعض عليهم بقوله **جئتم باختلافكم على رسول الله وباختلافكم
بين يديه هجرا ومنكرا** مما قبحه الشرع لانحرافه عن الحق **والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق** فلا يليق ايراده
بين يديه صلى الله عليه وسلم **وقد اختلف العلماء في هذا الحديث** اي حديث هلموا اكتب لكم **وكيف اختلفوا
بعد امره بالكتاب** ليكتب لن يضلوا بعده **فقال بعضهم** اي بعض العلماء الذين اختلفوا **اوامر النبي صلى الله عليه
وسلم يفهم** حين صد ودها عنه **ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن** تلوح على صفحات مراداته تعين كلا وتميزه
عن الآخر **فلعله قد ظهر من قرائن قوله** صلى الله عليه وسلم **لبعضهم** هلموا اكتب لكم كتابا **ما فهموا** فاعل ظهر **انه**
اي قوله هلموا **لم يكن عزمة** وحتما لازما **بل هو امر رده الى اختيارهم** بشهادة اختلافهم في كتابته ومراجعتهم له
فيه اذ كانوا يراجعونه فيما لم يجزم فيه بتحتيم كمراجعتهم له صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية في الحلاق وكتاب الصلح

بينه وبين قريش لا فيما امر به عزمة وبعضهم اي بعض اصحابه لم يفهم ذلك اي كونه امره بغيهم ايجابها من ندبها
من اباحتها بقراين فقال استفهموه اي استخبروه عما اراد بقوله هلموا اكتب لكم فلما اختلفوا كف عنه
اي عن طلبه الاستفهام اذ لم تكن اي لم توجد منه عزمة توجب امتثال امره بالكتاب ولما راى هذا الذي كف
من صواب راي عمر ثم هؤلاء اي القائلون ان اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها
قالوا ويكون امتناع عمر كما مر اشفاقا عليه من تكليفه ما يشق عليه والزامه في تلك الحال الشديدة الالم
املا الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك مؤذن بتكليفه الاملا كما قال اي عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
اشتد به الوجع فلا ينبغي ان يكلف املا الكتاب لنا كتاب الله حسبنا وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها
ولا يقومون بها فيحصلون في الحرج اي الاثم لكانهم لشدة ملابسته ولزومه لهم بالمخالفة له صلى الله عليه
وسلم مستقرون فيه طرفا لهم وراى عمر ان الارفق بالامة والارفق لهم في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر
الصحيح المقرون بشرائطه بحسب مادته وصورته تحصيلا وترتيبا للمقدمات مع ملاحظة المطلوب
والتوجه اليه وازالة ما ينافي الادراك من الموانع كالغفلة وطلب الصواب به فانه اذا لم يعقبه ما ينافيه
من الموانع افاده بطريق جري العادة عند الاشعري بناء على ان جميع الممكنات عنده مستندة الى الله تعالى ابتدا
اي بلا واسطة لانه القادر المختار فيكون المجتهد المصيب للحكم الشرعي والمخطي له كل منهما ماجورا باجتهاده لذلك
اجران ولهذا اجر واحد وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة اي دين الاسلام برسوخ قواعده واحكام دعايمه
راسخة الاساس شامخة البنا كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما وعلم ايضا ان الله تعالى قال اليوم اكملت
لكم دينكم اي اموره مما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعلم الحلال والحرام والتوقيف على الشرايع واصول الاجتهاد
وقوانين القياس وعلم ايضا قوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله ان تمسكوا به وتعملوا باوامره ونواهيه
وما ورد به من مكارم اخلاق واحاسنها واداب وعترتي بمثناة فوقية يعني اهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة
وعوضوا عنها خمس الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد وردت مفسرة في الحديث وعترتي اهل بيتي وقول
عمر حسبنا كتاب الله اي كافينا في الهداية للتي هي اقوم ردا على من نازعه في امر الكتاب واكتفا بكتاب الله لا ردا منه
على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان ياتوا بما يكتب لهم فيه كتابا وقد قيل خشي عمر تطرق المنافقين اي من علم
ومن في قلبه مرض اي حقد بغضا وحسدا الماكثين في ذلك مما اراده وان يقولوا اي يتكلموا في ذلك الاقاويل
الباطلة افترا من عند انفسهم سيما ما يقولوه اقاويل تحقير الشانه وتصغير الامره كادعاء الرافضة الوصية بالخلافة
لعلي بمفتريات تدحاني اكابر الصحابة جهلا وعنادا بان في علي اذ لم يقم في الامر الموصي له به ولم يحتج بالوصية له بها
عليهم مذعنا منقادا لمن ولي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الله ورسوله لبينا بما علمهم بانه خير
امة اخرجت للناس وبانهم رحما بينهم تراهم ركعا سجدا وانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابا واحبابا
واعوانا وانصارا واختانا واصهارا مع علمه بحالهم ابتدا وانتهاء ومن رام من تبرا على هذا تعلبه لكانما مقاصد
المقاصد وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة بامره به له ان يشاورهم في الامر مما لم
ينزل فيه وحي استنطاقا لارائهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لقدرهم وارادة لان يستن به من بعده وكان
منه ايضا على طريقة الاختبار والامتحان لهم هل يتفقون على ذلك الذي اراده من كتابة الكتاب ام يختلفون
فلما اختلفوا وتنازعوا امرهم بينهم تركه وقالت طائفة اخرى يعني الحشوية اي حدث وصيته صلى الله عليه
وسلم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه ان يكتب لهم لا انه
ابتدا بالامر به لا اقتضاه اي طلبه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم في كتابته لهم وكره ذلك غيرهم

اي غير من طلب ذلك منه صلى الله عليه وسلم للعلل التي ذكرناها انفا عن عمر وغيره واستدل مبينا للمفعول
في هذه القصة اي قصة كتابة الكتاب لمريده منه صلى الله عليه وسلم ولكارهه بقول العباس لعلي في
حديث البخاري عن ابن عباس انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر اي امر الخلافة
بعده صلى الله عليه وسلم فينا علمناه ولا ينازعنا فيه احد وكراهة علي هذا القول من عمه العباس وقوله لعمه
والله لا افعل واستدل اي على الكراهة ذلك بقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم دعوني فان الذي انا فيه خير
اي الذي على حد مامر من حذف ان اذ لا داعي للتاكيد بها هنا انا فيه اي كما مر من استطارى ترسل ربي الى اخره او من
اشارتي عليكم بكتابة كتاب خير مما تدعوني اليه من ارسال الامر بلا كتابة كتاب يتضمن الوصية مما اراده وخير من
ترككم اي من تركي لكم وكتاب الله اي معه اذ ربما اختلفتم فيه كما اختلف الذين من قبلكم فياخذ بكم الى التنافس
والتنازع فتفشلوا وتذهب ريحكم فلعله صلى الله عليه وسلم اراد كتابته لهم حذرا من ذلك وشفقة وابقاء عليهم
وان تدعوني عطف على دعوني اي وان تركتم لي مما طلبتم مني من كتابتي لكم كتابا خير ايضا وكان الذي طلب اي النبي
صلى الله عليه وسلم كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك اي تعيين امرها ومن يكون خليفة فصل فان قلت
فما وجه حديثه صلى الله عليه وسلم الذي اسنده هنا من طريق مسلم اللهم اي يا الله انما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر عدل عن التكلم الى الغيبة مبالغة في الاستكانة والخضوع لربه تعالى استدرارا لرحمته واهتماما بنجاح
قصده وقبول دعائه واني اتخذت افتعل من تخذ يتخذ كسمع يسمع ادغمت احدى تائيه في الاخرى لا من اخذ يتخذ اذ
الافتعال منه فاؤه همزة لا تدغم في التاء وقول الجوهري الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد ابدال همزته تاء
وتسكينها وتوهموا لكثرة استعماله بلفظ الافتعال من الاخذ الا انه ادغم ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا
تخذ يتخذ فاهل العربية على خلافه وعدل الى التكلم استلذاذا بمناجاة ربه ومن ثم بطال الكلام مع الاحبة عندك
عهدا لن تخلفنيه فاسالك ايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها جواب ما تضمنه اي من الشرط ذات
باعتبار المذكورات او قوله كفارة فعالة للمبالغة كفعالة ونحوه من الصفات الغالبة في باب الاسمية وهي الخصلة
التي من شانها ان تكفر الذنوب ونحوها وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة اي قرب ذكر جميل وعمل صالح لا قرب ذات
ومكان لانه من صفات الاجسام والله منزه عن ذلك وقربه تعالى من عبده انما هو قرب طاعة ونعمة وبر اليه وترادف
منه لديه وفيض مواهبه عليه وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس اي المدعو عليه لها باهل
وفي رواية ايما رجل من المسلمين سببته او لعنته اي شتمته اللعن من الخلق الدعاء والسب ومن الله الطرد والابعاد
عن ساحة رحمته او جلدته فاجعلها له زكاة اي طهرة من ذنوبه وبركة في معاشه وصلاة ورحمة وضع الصلاة وهي
في الاصل التعطف والحنو موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم اي اجعلها له رافة بعد رافة
ورحمة بعد رحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم استفهام عن حال صحة لعنه التي ترد عليها اي على اي
حال ترد صحة ان يلعن من لا يستحق اللعن وعلى اي حال ترد صحة ان يسب من لا يستحق السب وعلى اي حال ترد صحة
ان يجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك اللعن والسب والجلد عند الغضب وهو معصوم جملة حالية لازمة
افادت استمرار اتصافه صلى الله عليه وسلم بالعصمة اي يتاتى منه فعلها معصوما منه فاعلم لم يرد به معينا بل كل من
يتاتى توجيهه اليه شرح الله صدرك اعتراض دعاء بين اعلم وبين ما سد مسد مفعوليه اعني ان قوله اي النبي صلى الله
عليه وسلم اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره مما لم يطلعه الله عليه فان حكمه صلى الله عليه وسلم انما كان
على الظاهر من الامر كما قال فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه انما كان يحكم به وللحكمة التي ذكرناها فيما مضى من ان
احكامه كانت جارية عليه وعلى موجب غلبة الظن ليقتدي بذلك امته فحكمه صلى الله عليه وسلم فيما ظهر له بجلده او ادبه

بسبه او لعنه بما اقتضاه من جواز ذلك عنده حال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه وسلم تفاديا بدعائه
لما صدر منه من لعن وغيره على مقتضى حال ظاهره لشفقته على امته ورافته ورحمته جمع بينهما لما
تقدم للمؤمنين التي وصفه الله بها بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وحذره اي خوفه ان يتقبل اي
الله تعالى فيمن دعى عليه دعوته ان يجعل اي الله دعاه ولعنه رحمة فهو معنى قوله اي النبي صلى الله
عليه وسلم ليس اي المدعو عليه لها باهل كثيرا ما تزاد الباء في خبر ليس اليس الله بكاف عبده اليس الله
بعزيز ذي انتقام اليس الله باحكم الحاكمين لانه صلى الله عليه وسلم يحمله اي يبعثه ويغريه الغضب
ويستفزه الضجر اي يستخفه الملل والسامة لان يفعل مثل ذلك اللعن والسب والجلد ممن لا يستحق
وهذا معنى صحيح مقبول لا يفهم غيره ولا يفهم من قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم اغضب كما يغضب
البشر ان الغضب مما يعتري بني ادم من ثوران الدم وفورانه مما هو مذموم حمله واغراه على ما لا يجب
ان يفعله وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان يفعله بل يجوز ان يكون المراد بهذا اي ما اغضب كما يغضب
البشر ان الغضب لله هو الذي حمله واغراه على معاقبته بلعنه وسبه اذ قد ورد كما مر ما انتقم رسو
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وانه مما كان يحتمل ويجوز
عفوه صلى الله عليه وسلم عنه اي عن من عاقبه بلعن او غيره او كان مما خير بين المعاقبة والعفو عنه
وقد يحمل اي دعاؤه صلى الله عليه وسلم لمن عاقبه انه خرج مخرج الاشفاق على من عاقبه بلعن او غيره
وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله شفقة منه عليهم ان يعاقب احدا منهم وقد يحمل
ما ورد من دعواته على غير واحد في غير موطن بل على كثيرين في مواطن كثيرة على غير العقد والقصد
فلم يجزم بها ولم يقصد بها الدعا بل كانت صادرة منه على ما جرت به عادة العرب ولا يريدون وقوع الامر ممن
خاطبوه اذ قد يفظعون اللفظ وكله رد ويبشعونه ومامن فعله بد يقولون للشيء اذا مدحوه قاتله الله
ولا ابا له ولا ام له لا يريدون به الذم وويل امه وفي الحديث ويل امه مسعر حرب ولك ان تنظر الى
القول وقائله فان كان وليا فهو الولا وان خشن وان كان عدوا فهو البلا وان حسن وليس المراد بها اي
بدعواته صلى الله عليه وسلم على غير واحد الاجابة كقوله لعائشة فيما رواه الشيخان عنها وغيرها تربت
يمينك وقوله لمعاوية فيما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما لا اشبع الله بطنه زاد البيهقي في
الدلائل فما شبع بطنه ابدا قوله لصفية فيما رواه الشيخان عن عائشة عقرى حلقى اي عقرها الله
وحلقها اي اصابها بوجع في حلقها كذا رواه المحدثون غير منون لجريانه على مؤنث كغضبى والمعروف في
اللغة التنوين لانه من مصادر حذف فعلها لفظا اي عقرها الله عقرا وحلقها حلقا ويقال للامر
يعجب منه عقرا حلقا وللمراة المؤذية المشؤمة وغيرها من دعواته مما لا يريد هو وغيره به ذما بل مدحا
كقول خزيمة انعم صباحا تربت يداك فانه دعاله لذكره بعد انعم صباحا حاثا له على استعماله ما دعاه به
وقد ورد في صفته اي النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث مما رواه البخاري وغيره انه صلى الله عليه
وسلم لم يكن فحاشا من الفحش وهو قذع الكلام ورديه مما يقبح ذكره مبالغة فيه لا استبداد فحشه كالذنوب
والمعاصي قولا وفعلا والمراد نفي اصله عن ساحة رفيع مقامه وان اذنت المبالغة بثبوت اصله قال انس
فيما رواه البخاري عنه لم يكن اي نبي الله صلى الله عليه وسلم سبابا مبالغة من السب اي الشتم ولا فاحشا
ولا لعانا اي مبالغا في اللعن اي البعد عن رحمة الله والمراد نفيه وكان اي النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لاحدنا عند المعتبة من العتب بفتح اوله وكسره اسمه اي مخاطبنا مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة واعتبني

اذا

اذا عاد الى مسرتي واستعتب اي طلب ان يرضى عنه ما له ترب جبينه قيل اراد به دعاله بكثرة السجود واما
قوله لبعض اصحابه ترب نحرك فقتل شهيدا فمحمول على ظاهره فيكون حمل الحديث اي حديث ترب جبينه على هذا
المعنى من ان يقتل ثم اشفق صلى الله عليه وسلم على من دعى عليه حذرا من موافقة امثالها اي الدعوة
التي قتل صاحبها بها شهيدا اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث السابق الوارد في ذلك ان يجعل ذلك
للمقول له مما مر من اذى وغيره زكاة وصلاة ورحمة وقربة تقربه بها اليك زلفى وقد يكون ذلك اي دعاؤه
صلى الله عليه وسلم له اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا وتاليفا وطمانينة له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف اي ادراكه ولموع الحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تقبل دعائه ما يحمله فاعل يلحقه على الياس
والقنوط جمع بينهما للمغايرة بينهما اذ الثاني اشد ياسا من الاول وقد يكون ذلك سؤالا منه اي من النبي صلى
الله عليه وسلم لربه لمن جلده او سبه على حق بوجه صحيح ان يجعل له كفارة لما اصابه واقترفه من الذنوب
وتحية لما اجترمه اي اكتسبه منها وان يكون عقوبته في الدنيا سبب العفو عنه والغفران لذنوبه
كما جاء في الحديث الاخر فيما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين
ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم بذلك فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب
به في الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو الى الله ان شا عاقبه وان شا عفى عنه فان قلت
فما معنى حديث الزبير الذي رواه البخاري وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين خاصمه اي نازعه واختلف معه الانصا ري
في سراج الحرة جمع شرجة وهي مسيل الماء من الحرة الى السهل اسق مقول قوله صلى الله عليه وسلم يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال الانصاري للنبي صلى الله عليه وسلم ان كان ابن عمتك علة لقوله اسق اي للزبير ذلك من اجل انه ابن عمتك هي صفية
بنت عبد المطلب فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم اي تغير من لونه الى لون احمر ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اسق يا
زبير ثم احبس اي الماء حتى يبلغ الجدر اريد به هنا ما رفع حول المزرعة من البنا او اريد به الجدار وروي بالضم جمع جدار
وبذال معجمة من جذر الحساب بالفتح والكسر اراد به مبلغ تمام الشرب استيفاء لحق الزبير فالجواب انه صلى الله عليه وسلم منزه
اي مبرا ومبعد عن ان يقع بنفس مسلم منه امر يريب اي فلا يظن به صلى الله عليه وسلم انه يقصد منه ما يسو احدا او يزعجه
ويولمه من رابني هذا الامر واريبني اذا رايت منه ما يكره ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اي بعثه ودعاه اولا بقوله
اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين على الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط بين الافراط والتفريط وعلى وجه الصلح فلما لم يرض
بذلك اي الذي ندب الزبير اليه الاخر اي الانصاري بقضا رسول الله صلى الله عليه وسلم له اي للزبير ولج وقال ما لا يجب بل ولا يجوز ان
يقال في حقه صلى الله عليه وسلم استوفى في جواب لما اي اخذ النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه تاما وافيا وذكر في الحديث اي البخاري
في اخر حديث الزبير مع الانصاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اي حديث الزبير مع الانصاري اصلا في قضيته اي الزبير في باب الصلح على التنسا هل فيما بين الصلح بينهم بترك المحكوم له بعض حقه
حكمه له صلى الله عليه وسلم للزبير دان سخط المحكوم عليه واتمم الحاكم في حكمه الحق استوفى في الحاكم للمحكوم له حقه كاملة صلى الله
عليه وسلم للزبير اذ قد استوفى له حقه اذ اغضبه الانصاري وفيه ويوخذ منه الاقتدا به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله
في حال غضبه ورضاه وان كان صلى الله عليه وسلم قد نهى فيما رواه الشيخان عن ابي بكرة ان يقضي القاضي وهو غضبان جملة حالية
افادت ان القاضي غير معصوم ولا يقضي حال غضبه بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سوا لكونه فيهما
اي الغضب والرضى معصوما لا يصدر عنه حيف ولا جور مما لا يليق بجنابه الكريم وغضبه في هذا اي في امر الزبير مع الانصاري انما كان
لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح المتقدم انه كان لا يغضب الا لله وكذلك ورد في الحلية عن ابن عباس في افادته

لابي نعيم

معه رمضان الى فاعله اي امر عكاشة ان يقتص لنفسه من نفسه صلى الله عليه وسلم لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه اي على تعمده بل وقع في الحديث نفسه اي حديث قود عكاشة منه صلى الله عليه وسلم ان عكاشة قال له اي للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يضربني بالقضيب فلا ادري اعمدا كان ضربك لي ام اردت ضرب الناقة فضربتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك اي اجعلك في حفظ الله وكنفه يا عكاشة ان يتعمد رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت من الخطاب الى الغيبة استدعا بذكر اسمه صريحا موضع ضميره لانه اول متردد عكاشة وجزم بثانيهما وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي ولا ادري من رواه حين طلب اي النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاص من نفسه الشريفة للاعرابي فقال الاعرابي له صلى الله عليه وسلم قد عفوت اي تجاوزت عنك ولم اواخذك بضربك لي وفي حديث ابي بكر سلوا الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فالعفو محوا الذنب بترك المواخذه والعافية الصحة من الاسقام والبلايا والمعافاة ان يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك اي يغنيك عنهم ويصرف اذاهم عنك ويغنيهم عنك ويصرف اذاك عنهم وقيل هي مفاعلة من العفو وهو ان يعفو عن الناس ويعفوا عنه وفي حديث ابن الزبير امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس وهو السهل المتيسر اي امره ان يحتمل اخلاقهم ويقبل منها ما سهل وتيسر ولا يستقصي عليهم وكان صلى الله عليه وسلم قد ضربه اي ضرب الاعرابي بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد مرة علة لضربه والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه كل مرة عن تعلقه بزمامها واورد نهاه مضارعا كانه يرى سامعه حالة تعلقه به تعجيبا له منه واستدعا لانكاره عليه وتقبيحه فعله ومثله قوله ويقول له حيث اورده مضارعا تتصيرا للسامع حاله اهتمامه صلى الله عليه وسلم بشانه وتعجيبا له من قوله له تدرك حاجتك وهو يابى قبول قوله ذلك له فضربه ثلاث مرات بعد ظرف غاي قطع عن ما اضيف اليه منويا اي بعد نهيه له وقوله تدرك حاجتك ولا يتوهم ان ضربه له انتقاما لنفسه بل كان تاديبا له وتشريعا وارشادا له ولغيره اجتناب مثل ذلك عنه لقبحه وهذا اي ضربه الذي وقع عليه منه صلى الله عليه وسلم لم ينزجر ويرتدع و يقف عند نهيه ويرى انه صواب وموضع ادب يقتبس منه ويستصابه لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اذ كان حق نفسه علة لاشفاقه واعراض بين اشفق ومتعلقه اعني من الامر اي الشان والحال لا فاد ان ضربه له انما كان من اجل كونه حق نفسه هذا وحاشاه ان يكون ضربه من اجل ذلك بل لما ذكرناه انفا حتى عفي اي الاعرابي عنه صلى الله عليه وسلم غاية للاشفاق من امر ضربه للاعرابي وان كان تاديبا وزجرا له عن تعلقه بناقته مع نهيه له واما حديث سواد بن عمرو بن عطية الانصاري الذي رواه ابو القاسم في معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق في جامعه عن الحسن اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق الواو للحال وقدم المسند اليه للتاكيد اي اتيته حال تخلقي بالخلوق وهو طيب مركب من زعفران وغيره وقد ورد الخبر باباحته وبالنهي عنه وهو اكثر والظاهر انه ناسخ لاباحته لانه من طيب النساء وهن اكثر استعمالا له فقال ورس ورس انكارا للتخلق به وهو نبت اصفر يصبغ به حط حط وغشيني بقضيب في يده اي ضربني به في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله اي اسالك تمكنني من بطنه لاقتص منه وهذا منه صلى الله عليه وسلم غاية الانصاف مع كونه اولى بالمومنين من انفسهم وانما ضربه لمنكر راه عليه تاديبا وزجرا له عنه ولعله صلى الله عليه وسلم يرد بضربه الا تنبيهه على ما راه عليه مما لا يليق فلما كان اي وجد لم يقتصه يضربه اياه طلبا اي النبي صلى الله عليه وسلم التحلل منه بالقود منه

فصل واما افعاله الدنيوية فحكمه مبتدا فيها اي في افعاله الدنيوية الصادرة عنه من توقي المعاصي بيان لحكمه او حال من ضميره اي متقيا ومجتنبا لها من وقى الشيء يقيه اذا تجنبه او صانه وستره عن الاذى وفي

حديث

حديث معاذ واتق كرايم اموالهم بجيدها ولا تاخذ منها في الزكاة شيا لكرامتها على اصحابها بل اوسطها عندهم واصل اتقي اوتقي قلبت الواو تاء لكسر ما قبلها ثم ابدلت تاء ثم ادغمت والمكروهات جمع مكروه ومنها بشهادة العطف وهو ما ورد فيه نهي مخصوص فان استفيد من عموم النهي عن ترك المندوبات فخلاف الاولى ما قد منعه غير المستدام عصمته منها وان كان قد صدر منه فعل بعض المكروهات كشربه وبوله قائما بعد نهيه عنهما فانه لبيان الجواز وحكمه فيها من جواز السهو والغلط في بعضها اي افعاله كسلامه من ركعتين في صلاتي العشي فيهو في حديث ذي اليدين مما ذكرناه فيما مر وكله اي جميع صدوره منه مما مر عنه قادح في النبوة بل هو في حقه فاضل غير مكروه بل ان هذا اي صدور ذلك عنه على الندور وادعا الفعال اي غالبها بل كلها على السداد اي القصد في الامر والعدل فيه والاستقامة على جادة الحق والصواب بل اكثرها اي اكثر افعاله او كلها جارية مجرى العبادات والقرب جمع قربة ما يتقرب الى الله من ذكر وعمل صالح وفي حديث صفته في الامم في التوراة قربانهم دماؤهم اي يتقربون الى الله باراقة الدما في الجهاد وكان قربان غيرهم من الامم ذبح البهيمة الانعام وقربان فعلان مصدر قرب يقرب على ما بيناه فيما مر من جريانها مجرى العبادات والقرب اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها اي من افعاله الدنيوية لنفسه الا الضرورية وما يحتاج اليه مما يقيم رمق جسمه وبقية قوته وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ببيان احكامها وتنفيذها والدعوة الى الايمان بها والعمل بها وسو لمنه بتوليته امورهم وقيامه عليهم بما يصلحهم وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك اي من افعاله الدنيوية فبين معروف بين الناس مما لا ينكرونه من احسان منه اليهم وحسن صحبة مع اهله واصحابه او بر يوسعه على محتاج اليه او كلام حسن يقوله لمن يصغى اليه او ياباه فيلين قلبه الى ذكر الله او يسمعه من غيره فليسر به او تالف شارد نافر خارج عن طاعة الله وطاعة رسوله فيداريه ويستجلبه ليهذب ويثبت قلبه على الاسلام كما وقع له مع صفوان بن امية اعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فاسلم وحسن اسلامه وقال لقومه ان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر والله ما كان على وجه الارض نسمة ابغض الي منه فلم يزل يعطيني حتى صار احب الناس الي واعطى الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن كلا مائة من الابل وقال اني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم او قهر معاند بغلبته صلى الله عليه وسلم عليه لزيغه عن قصد الاستقامة ورده الحق باطلا تكبرا وعتوا كبرا او مداراة حاسد بملاينته وحسن صحبته واحتمال اذاه وفي الحديث راس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس وكل هذا اي ما كان بينه وبين الناس لاحق بصالح اعماله صلى الله عليه وسلم مع كونه من مزايا نفعها متعد منه الى غيره منتظم في ذاكي وظايف عباداته صلى الله عليه وسلم تشبيها تناسقها وتناسبها في النفع لكونها وجوه خير بجرد نظم في سلك ماسي صالح اعماله وقد كان صلى الله عليه وسلم يخالف في ما خصه من افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال العارضة له ويعد من اعد اي يهيئ للامور اشباهها فيركب في تصرفه وتوجهه لما قرب الحمار اذ الكلفة في ركوبه مع ايذانه بنفي التكبر عنه صلى الله عليه وسلم وفي اسفاره الراحلة لصبرها على مشقة الاسفار ويركب البغلة في معارك الحرب لشجاعته وقوة قلبه وشدة باسه وكان ركوبه دليلا على الثبات فيها مع كونها لا تصلح للكر والفر قال علي كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه لنا وقاية من العدو وقيل لجابر افررتم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ويركب الخيل ويعدها اي يهيئها ليوم الفزع هو في الاصل الخوف استعير للاغاثة والنصرة اذ من شانه الاغاثة والدفع عن الحريم فيركبها لسرعة الاستغاثة بها واجابة الصارخ اي المصوت للاعلام بحادث للاغاثة عليه وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة مفعول له لما يفعله من امور الدنيا معاونة لامته وسياسة وكراهة لخلافها المخالفة امته ايناسا لهم وجبرا لقلوبهم بفعله وان كان قد يرى غيره خيرا منه

اي من تركه وقد يفعل هذا اي ما يرى تركه خيرا من فعله في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه دون
الاخر فعلا او تركا كخروجه باصحابه من المدينة لاحد لمحاربة ابي سفيان بن حرب وقريش به وكان من هذه
والخيرة التحصين بها ولا يخرج منها وتركه قتل المنافقين جمع منافق وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب باسم
الخاص وهو من يخفي كفره ويظهر اسلامه وان كان اصله في اللغة معروفا وهو من يضمر خلاف ما يظهر يقال
نافق منافقة ونفاقا من النافقا احد بابي حجرة اليربوع اذا اراد الحارس ان يصيده من بابه الاصلي
اوهمه انه قد اقبل عليه ثم نحص هاربا بالملي بانفقائه فيخرج منه وهو على يقين من امرهم في النفاق قد باض
وفرخ فيهما وهم مؤالفة لغيرهم ممن يرجى مخالطته بشاشة الايمان في قلوبهم تفادياً من نفرتهم عنه
بقتلهم ورعاية عطف على مؤالفة وكلاهما مفعول لاجله ترك قتلهم ملاحظة للمؤمنين من قرابتهم وحفظا لخواطرهم
وكراهة لان يقول الناس اخبارا عنه صلى الله عليه وسلم ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث فيما رواه البخاري
وغيره في قصة راس النفاق وعلمه عبد الله بن ابي وقوله في غزوة بني المصطلق بالمرسيسيع لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله فسمعه زيد بن ارقم وهو حدث فقال له انت
والله الاذل المبغض في قومه ومحمد هو الاعز بربه وقومه ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب فقال فان
كرهت ان يقتله مهاجري فمر انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وتركه اي النبي
صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن عائشة بنا الكعبة على قواعد ابراهيم التي بناها هو وابنه اسمعيل
عليهما مراعاة لقلوب قريش مفعول لاجله ترك بنائها عليها وتعظيم لتغييرها عن هيئتها التي بنوها عليها
وحذرا من نفار قلوبهم اي توليها عن قبول الخير وحذرا من تحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال
لعائشة لولا حدثان بكسر اوله مصدر حدث يحدث حدوثا وحدثانا اي قرب عهد قومك بالكفر
والخروج والدخول في الاسلام ولم يثبت في قلوبهم لاتممت البيت بادخال الحجر بكسر الحا فيه على قواعد ابراهيم
التي بناه عليها وقد كانت قريش اخرجت الحجر منه حين قصرت بهم النفقة فلما بناه ابن الزبير ادخله فيه ثم
اخرجه الحجاج باذن عبد الملك بن مروان فلما بلغ عبد الملك حديث عائشة هذا قال ليتنا تركنا ابا حبيب
وما صنع وكان صلى الله عليه وسلم يفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله كما مر ان الحباب بن
المنذر هو الذي اشار عليه به من ادنى مياه بدر الى اقربها من العدو من قريش وتغويره صلى الله عليه وسلم
ما استغني عنه من العيون تضييقا عليهم لجرائتهم على الله ورسوله وعتوهم وكقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الشيخان لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي معي ولا قلدته ولا اشعرته اذ
بفعله ذلك لزمه ان لا يحل حتى ينحره ولا ينحره الا يوم النحر فلا يصح له فسخ الحج بعمرة ومن لم يكن معه الهدي لا
يلزمه ذلك بل له فسخه لها وانما قال ذلك تطييبا لقلوب اصحابه وحذرا من ان يشق عليهم ان يحلوا وهو
محرم وليعلموا ان قبول ما دعاهم اليه من فسخه لها افضل وانه لولا الهدي لفعله وكان صلى الله عليه وسلم
يبسط وجهه كناية عن انه يبشه طلقا متهللا للكافر والعدو رجاء استيلافه ليسلم ذلك ويانس هذا ولا
ينفر ويصبر للجاهل على افراطه عتوا وتكبرا ويقول كما رواه الشيخان عن عائشة ان من شرار الناس من تقاه
الناس اصله اوتقاه قلبت واوه يا لكسر ما قبلها ثم ابدلت تا وادغمت اي من تحفظوا منه وسالموه موادعة له
لشره اي من اجله ويبذل له بذال معجمة اي يعطي من ذكر الرغائب جمع رغيب وهو في الاصل الواسع يقال واد
رغيب وحوض رغيب اي يبذل له عطا كثيرا وفي الحديث افضل العمل منح الرغائب لا يعلم حسبانا اجرها الا الله تعالى

مي الابل الواسعة الدار الكثيرة النفع ليحبب اليه شريعته اي ما شرعه الله لعباده من الدين اي اظهره وبينه
وسنه لهم وافترضه عليهم ويحبب اليه دين ربه الذي دانهم به اي قهرهم على طاعته يقال دنتهم فدانوا اي
قهرتهم فاطاعوا ويتولى في منزله ما يتولى اي يقوم فيه تواضعا منه صلى الله عليه وسلم بما يقوم به الخادم
من مهنته اي مهنة منزله فتح اوله هو الرواية قال الزمخشري كسرها عند الاثبات خطا وقال الاصمعي هي
بفتح الميم الخدمة ولا يكسر وكان القياس ان ترد مثل جلسة وخدمة الا انها وردت على فعلة واحدة ويتسمت
من السمت وهو الهيئة الحسنة اي يتلحف في ملائه بضم اوله والمد اي ازاره حتى لا يبدو اي يظهر منه صلى
الله عليه وسلم شي من اطرافه لفرط حيائه اذ كان اشد حياء من العذراء في خدرها وحتى كان على رؤس جلسائه الطير
تادبا معه وتوقيرا وسكونا ورزانة منهم اذ لم يكن عندهم طيش ولا خفة لان الطير لا يقع الا على ساكن ويتحدث
مع جلسائه حديثا اولهم اي يتذاكر معهم ايام او ايامهم الماضين وما جرى بينهم كيوم بعاث كان قبل الاسلام فيه حرب
بين الاوس والخزرج او بحديث اول متكلم منهم ويتعجب مما يتعجبون منه مما يطرا لهم ويعظم موقعه عندهم ويخفى
عليهم سببه تانيسا لهم واستجلابا لخواطرهم ويضحك مما يضحكون منه مما يكون منشا للضحك مباحا قد
وسع الناس بشره بطلاقة وجه وبشاشة خاطر ووسعهم عدله لا يصدر عنه حيف على احد ولا ميل عنه
لا يستفزه الغضب اي لا يستخفه ولا يحمله على انتقام من احد ان ينتهك حرمة الله فينتقم لله يقول ما كان
لنبي ان تكون له خائنة الاعين باضماره في نفسه خلاف ما يظهره فاذا اومي بعينيه كما مر فقد خان فظهور
تلك الحالة من جهة العين يسمى خائنة العين بمعنى الخيانة فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم للعا (تبسمه)
في الداخل عليه هو عيينة بن حصن الفزاري كما رواه البخاري ومسلم عنها بئس ابن العشيرة فلما دخل الان
له القول اي سهله بلطف وخشوع ووقار وضحك معه فلما ذهب من عنده سالته عائشة عن ذلك الذي صنعه
معه من الانة القول له وضحكه معه قال ان من شر الناس جواب لها من اتقاه الناس لشره اي من اجل شره وكيف
جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن اي ما يضمر ويقول في ظهره بعد ذهابه ما قال بئس ابن العشيرة فالجواب ان
فعله صلى الله عليه وسلم من الانة القول له وضحكه معه كان استيلافا اي تالفا ومداواة له ولمثله من اجلاف
العرب وعتاتهم وتطييبا لنفسه اذ انه لما ينفره عن الانقياد والاذعان للاسلام ليتمكن ايمانه ويخالط بشاشته
قلبه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه واشياعه ومطاوعوه ويراه مثله في الجلافة والعتو فينجذب وينقاد
مذعنا الى الاسلام ومثل هذا الذي قاله في ظهره بعد ذهابه على هذا الوجه اي وجه الاستيلاف قد خرج من
حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية بتوليه صلى الله عليه وسلم امور الناس وقيامه عليهم بما يصلحهم
وقد كان صلى الله عليه وسلم يستالفهم باموال الله العريضة اي الكثيرة جدا فكيف لا يستالفهم بالكلمة الحسنة
بل كان يستالفهم بها فانكاد نفي الا ان لتالف بها افاد اثبات تالفهم بها والفا اثباتا عن شرط مقدر اي اذا كان
يتالفهم بما ذكر فمن باب اولى ان يتالفهم قال صفوان بن امية بن خلف الجمحي لقد اعطاني يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وهو ابغض الخلق الي وابعدهم مني مودة فما زال يعطيني اي عفوا بلا سؤال حتى صار احب الخلق الي غاية
لورود محبته عليه وتمكنها من قلبه لالطافه صلى الله عليه وسلم له اذ كان جزيل مواهبه فايضا في كل اوان بكل
زمان له ولغيره عفوا بلا سؤال بشهادة قوله لام سلمة وقد قالت له اراك سامم الوجه امن علة قال لا
ولكن السبعة دنانير التي اتينا بها امس نسيتها في خصم الفراش فبت ولم اقسمها فهو الاحق بما قيل في غيره
صدقت عنه فلم تصدف مواهبه عني وعاوده ظني فلم يخب كالغيث ان جيته وافاك ريقه وان ترحلت عنه لج في الطلب
وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم فيه اي في عيينة بن حصن الداخل عليه بئس ابن العشيرة هو غيبة بل هو

تعريف ما علمه منه من لوم الطباع وخسة النفس لمن لم يعلم بحاله ليحذر حاله ويحترز منه ولا يبق بجانبه كل الثقة
لا سيما وشانه وحاله انه كان احمق مطاعا متبوعا لقومه لا يالون جهدا في طاعته ومثل هذا اي قوله صلى الله عليه
وسلم بئس ابن العشيرة اذا كان يقال لضرورة ودفع مضرة واذا لم يكن ذلك القول بعينه من استقباله كان جائزا
بل كان واجبا في بعض الاحيان جمع حين وهو الوقت وفي حديث الاذان كانوا يتحينون الصلاة اي وقتها كعادة
المحدثين اي رواة حديثه صلى الله عليه وسلم في تجريح الرواة بكذب او تدليس او سوء حفظ او غيره وعادة المزكين
في تجريح الشهود بالطعن في الفريقين ورد قولهم وعن بعض التابعين كثرت هذه الاحاديث واستخرجت اي فسدت
وقلت صحاحها حتى احوجنا اهل العلم الى جرح بعض رواتها ورد روايته وعن عبد الملك بن مروان وعظتكم فلم
تزدادوا على الموعظة الا استجراحا اي الاما اورثكم الجرح والطعن عليكم فان قيل فما معنى المعضل اي المعنى
شدة الضيق حيلة في الخروج عن عهدته من اعضلني الشيء اذا اعياني الوارد في حديث بريرة الذي رواه الشيخان
من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة والحال انها قد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء
اي ولاء عتقها فانهم كانوا باعوها فعجزت فاتت عائشة تستعين بها فقالت ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك
واعتقتك ويكون ولاؤك لي فابوا فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لها اشتريها واشترطي لهم الولاء هذا
هو المعضل ففعلت اي اشترتها وشرطت لهم الولاء واعتقتها ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ما بال
اقوام اي حالهم وشانهم يشترطون شروطا ليست في كتاب الله مما لم يرد شرعها احكاما ليعملوا بها كل شرط ليس
في كتاب الله اي ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل غير معتد به والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بشرائها بالشرط اي بشرط الولاء لهم وعليه باعوها معتمدين ولولاه اي ولو لا الشرط لما باعوها والله
اعلم اعتراض بين لولا وجوابها افاد تفويض علم ذلك الى الله تعالى لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل ظرف
غاية قطع عن مضاف اليه منويا اي قبل بيعها بدون شرط الولاء الا ان يكون لهم حتى شرطوا ذلك عليهم غاية لعدم
بيعهم منها بدونه ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو اي والحال انه صلى الله عليه وسلم قد حرم الغش والخديعة
قلنا امره لها ان تشترط لهم الولاء ليس غشا وخديعة بل تسجيلا عليهم والزاما لهم الحجة باقامتها عليهم واظهارا
لقبح صنيعهم وبيانا لحرمته لشريعتنا منه لينزجر غيرهم عنه وايضا فاعلم اكرمك الله اعتراض دعائي افاد الامر
لكل من يتاتى توجيه الامر اليه باكرام الله له ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه في محل نصب لسده مسد مفعولي
اعلم انه مبرأ مبعد عما يقع في بال الجاهل وخاطره من هذا اي من كون امره لها بشرطه لهم غشا وخديعة بل لما
ذكرنا من علو القول بثبوت زيادة امره لها ان تشترطه ولتنزهه صلى الله عليه وسلم عن ذلك على القول بعدم
ثبوتها ما قد انكر فاعل تنزهه قوم هذه الزيادة التي هي قوله لعائشة اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر
طرق الحديث اي حديث بريرة ومع ثبوتها فلا اعتراض بها اذ قد يقع لهم بمعنى عليهم وكفاك شاهدا بصدق
ذلك ما قال الله اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها اي عليهم وعليها وعلى هذا القول بان لهم بمعنى عليهم
لشهادة الاثنين فالمراد اشترطي عليهم الولاء لك فانما هو لمن اعتق ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه زجرا وردعا لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك اي قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لهم
ولغيرهم انه لمن اعتق ولا ينتقل الا بالارث ومن ثم نهى صلى الله عليه وسلم عن بيعه ووجه ثان اورده جوابا
عن قوله صلى الله عليه وسلم لها اشترطي لهم الولاء ان قوله اشترطي لهم الولاء ليس واردا على معنى الامر وان
كان صيغة امر اذ كثيرا ما ترد ولا يراد بها الامر كشهادة كن فيكون فانه ورد مثلا لسرعة التكوين بمجرد
الارادة بدون قول كن خلافا للماتريدي وشيعته اذ التكوين عند الاشعري وانصاره امر اعتباري

بفعل

يفعل عند تعلق القدرة بالمقدور ولكن انما ورد قوله لها اشترطي لهم الولاء على معنى التسوية بين ان تشترط
او لا تشترط كما ورد في بعض طرقه اشترطي او لا تشترطي فانما الولاء لمن اعتق وانما ورد ايضا على معنى الاعلام
بان شرطه لهم لا ينفع لعدم وروده مما يجيزه بعد بيانه صلى الله عليه وسلم لهم قبل اي قبل قوله لها اشترطيه
لهم ان الولاء لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم قال اشترطي او لا تشترطي ان تشترطي فانه شرط غير نافع
لعدم انتقاله به اليهم والى هذا ذهب ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود الداوودي وغيره
من العلماء وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم اي تحقيره وتقبيحه لهم وتقريعه لهم على ذلك اي على امتناعهم
من بيعها الا ان يكون لهم الولاء يدل على علمهم به اي بان شرطه لهم غير نافع قبل هذا اي توبيخه وتقريعه لهم
الوجه الثالث معنى قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه
انه لمن اعتق لا يتخطاه الى غيره وان شرطه له وبيني عندهم سنته اي طريقته وحاله التي يرد عليها ان الولاء لمن
اعتق وان شرطه لغيره كما تقدم مرارا اورثت السامة والضجر ثم بعد هذا اي بعد شرط الولاء لهم قام اي
النبي صلى الله عليه وسلم مقاما مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه من ان شرطه لهم لا يتعدى نفعا
فان قيل فما معنى فعل نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن نبي الله يوسف بن يعقوب بن اسحق بن خليل الله ابراهيم
صلوات الله وسلامه عليهم باخيه بنيامين اذ جعل السقاية التي كانت يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به
تواطيء منهما على دسها في رحله ليتاتى له اخذه في دينهم بجعله سارقا اذ كان حكم السارق فيه ان يسترق سنة
فلما استفتوا في جزائه قالوا فهو جزاؤه تقريرا للحكم اي فاخذ السارق نفسه فهو جزاؤه ولما اخرجت من رحله
اخذه باسم سرقتها ظاهرا لا خراجها من وعائه وما جرى على اخوته في ذلك من الاستحياء وفرط الخجل والوجل
بوسمهم بالسرقة والكذب المنافيان لحالهم الكريمة وسماتهم الجميلة مما اذن بامانتهم في كون تحننهم كردهم
بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم ودخولهم وافواه رواحلهم معكومة حذرا من ان تاكل لاحد زرعا او طعاما
ومن اطلاعهم الملك وقد علموا منهم ذلك ومن ثم استشهدوا بعلمهم اذ قالوا انكم لسارقون ولم يسرقوا بقولهم
تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فاعلم اكرمك الله ان الاية المؤذنة بجعله السقاية في
رحل اخيه تدل على ان فعل يوسف كان باشتعال امر الله له به لقوله كذلك اي مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف
اوحينا اليه لياخذ اخاه في دين ابيه حيث ما كان له صلى الله عليه وسلم لياخذ اخاه في دين الملك اذ كان من
دينه ضرب السارق وتغريمه مثلي ما سرقه دون الاسترقاق الا ان يشاء الله جعل ذلك الحكم حكم ملك مصر
فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه فاذا كان ذلك باذن الله وتعليمه
فلا اعتراض به على اي وجه كان فيه مما وقع منافيه وايضا فان يوسف صلى الله عليه وسلم كان اعلم اخاه بنيامين
باني انا اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم
بما اعلمتك وروي انه قال ليوسف فانا لا افارقك فقال لقد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد
غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان اشهرك الى ما لا يحمل فقال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم اقول
انك سرقته ليتاتى لي ردك الي بعد تسريحك معهم قال افعل فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته
في اقامته عند اخيه شقيقه يوسف وكان على يقين من عقبى الخير التي كانت بعد فراقهما ابيهما من اجتماعهما به
وما ترتب عليها من حبور له به اي لبنيامين بشقيقه يوسف وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك اي بموافقته
ليوسف ورغبته في اقامته عنده واما قوله تعالى حكاية ايتها العير اي اصحاب الابل ذات الاحمال لانها تعير اي
تذهب وتجيء انكم لسارقون ليس من قول يوسف صلى الله عليه وسلم فيلزم في معنى النفي لترتبه على منفي اي ولا يلزم

عليه جواب لحل شبهة هي لو كان من قوله لزمه ان يصفهم بها مع ما امنه من كونهم سارقين مؤكدا بان
واسمية الجملة فيحتاج الى جواب لكنه لم يحتج اليه فلم يكن منه ولعل قائله ان حسن له التاويل كانا من
كان نظر على صورة الحال ذلك اي ظن عليها انهم سارقون منظر الفعل قبل اي قبل الآن بيوسف وبيعهم له
وفيه ما فيه لانهم لم يسرقوا بل ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه بل القوه في غيابة الجب ورجعوا ولا يلزم
احدا من العلماء الاعتذار عن زلات غيرهم اي غير الانبيا لعدم عصمته ولا يامن ان يقع منه ما يجوز

فصل في بيان الحكمة في اجرا الامراض على ظاهر ابدان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وابتلائهم
ليتجوزا البلا ويسبون الامتحان فان قيل فما الحكمة في اجرا الامراض مما يولم من الاسقام ويبري من الالام وشدته
عليه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبيا على جميعهم اكمل الصلاة وعليهم السلام فالوجه
ابتلائهم الله اي ابتلاء الله اياهم به من البلا بيان لضمير به وامتحانهم بما امتحنوا اي اختبروا وجربوا به
فصبروا وعلى ما ابتلوا به كايوب صلى الله عليه وسلم ابتلاه بضر فصبر حتى عافاه منه اذ ناداه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين ويعقوب صلى الله عليه وسلم ابتلاه بفقد يوسف صلى الله عليه وسلم صغيرا فلزمه
الحزن بتتابعه عليه بفقد اخيه شقيقه وضعف بصره من بكائه عليهما حتى رد عليه ويحيى صلى الله
عليه وسلم ابتلاه بقتله وزكريا والده صلى الله عليه وسلم ابتلاه بنشره جزلتين وعيسى صلى الله عليه وسلم
ابتلاه بارادة اليهود قتله وصلبه لحرامهم وخبثهم وابراهيم صلى الله عليه وسلم ابتلاه بالقائه بالمنجنيق
عريانا في النار فكانت عليه بردا وسلاما ويوسف صلى الله عليه وسلم ابتلاه بفراق ابيه والقا اخوته له
في الجب وبيعه ثم بالسجن بضع سنين وغيرهم من الانبيا صلى الله وسلم عليهم كنوح وهود وصالح وموسى
وداود ابتلاهم بما قصه في كتابه العزيز من قصصهم وهم اي فعل بهم ذلك والحال انهم خيرته من خلقه
واحباؤه واصفياؤه اجتباهم من بينهم لشرف مابهم وكرم ثوابهم فاعلم امر لكل من ياتي توجيه اليه وفقنا الله
واياك اعتراض دعاي له وللمخاطبه وهو من شعب البلاغة تتزين بها دعاء وغيره بما ان افعاله اي الله تعالى كلها عدل
وكلماته امرا ونهيا ووعدا ووعيدا وغير ذلك صدق لا مبدل لكلماته اي لا احد يبدل منها شيئا بما صدق يبتلي
عباده كما قال لهم ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي لنرى الكاين من عملكم حسنه وقبيحه
شكره وكفره فنجازيكم به على حسب عملكم وكما قال لهم الذي خلق الموت والحياة اي خلق ما يصح معه الاحساس او ما يوجب
كون الشي حيا والموت عدم ذلك فيه فمعنى خلقهما ايجاد ذلك المصحح واعدامه او مقدر بهما ليبلوكم اي ليعاملكم
ايها المكلفون معاملة من يختبره بالتكليف ايكم احسن عملا مبتدا وخبر اوقع موقع ثاني مفعول فعل البلوى
المتضمن معنى العلم فاخرجه من باب التعليق لعدم وقوعه موقع مفعوليه ساد امسده مما ايكم اصوبه واخلصه
وقد ورد مرفوعا احسن عقلا واسرع الى طاعة الله واورع عن محارمه والمراد اعطاكم الحياة التي تقتدرون
على العمل وتتمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو الداعي الى اختياركم صالحه لما وراه من البعث والجزا الرادع
عن اختيار قبيحه ومن ثم قدمه على الحياة وام حسبتم ان تدخلوا الجنة لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
اي ولم تجاهدوا فنزل نفي علمه بجهادهم منزلة نفيه لانتفاء العلم بانتفاء معلومه الذي يتعلق به فهي بمعنى لم
مع افادتها زيادة توقع الفعل في المستقبل يقال وعدني ان يفعل كذا ولم يفعل ولم يرد وانا اتوقع فعله فدلت
هنا على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب بان مضمرة على ان الواو للجمع وقرى
بالرفع على انها للحال ولما تجاهدوا وانتم صابرون وليست هذه الاية مما ساقه للابتلاء ولنبلونكم بامرنا لكم بالجهاد والتكاليف
الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم اي ما يخبر عن اعمالكم من ايمان بالله ورسوله

ومولاة للمؤمنين صدقا وكذبا فيظهر حسنها وقبحها او الخبر بحسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح فامتحانا
تبارك وتعالى اياهم اي انبياؤه ومن ذكر في الايات قبل بضروب من المحن اجناسا وانواعا زيادة في مكانتهم عنده
تعالى وزيادة في رفع درجاتهم اي مراتبهم العالية حسا ورتبة واسبابا لاستخراج حالات الصبر قوة وضعفا
منهم عليها فيعرف كمالهم وعظيم قدرهم عنده بهم والرضي منهم بما قضى عليهم من سرا وضرا والشكر عليهما
والتسليم له تعالى والقبول لما فعل سبحانه والتوكل عليه سبحانه تعالى والتفويض في جميع الامور اليه والدعاء
والتضرع منهم مفعل من الضراعة وهي التذلل والتملق وتاكيدا البصاير منهم جمع بصيرة وهي مما تدرك المعاني
الباطنة كما الباصرة للمحسوسات الظاهرة في رحمة الممتحنين بالبلا اي في رحمتهم لهم والشفقة على المبتلين
امتحانا واختبارا فيتسلوا بهم اي الممتحنون والمبتلون في المحن بما جرى عليهم اي على الانبيا ويقتدوا بهم في
الصبر ، هو المهرب المنجي لمن احدقت به مكاره دهره ليس عنهن مذهب ، ومحو الهنات فرطت منهم
وحاشاه ان يفرط منهم شرا وفسادا وغفلات باستيلا اشغل قلب شغلت لهم ليلقوا الله بابتلائه لهم بذلك
طيبين مهذبين اي مصفين بواطن متممين ظواهر وليكون اجرهم عنده بهم اكمل وثوابهم اوفر اي اكثر والاجر والاجر
اتم والظاهر ان الاجر والثواب ما يكون منه تعالى فضلا في مقابلة صدقة لوجهه او صبر في بلا ونحو ذلك
وقد يكون الثواب بما يقابل به الصدقة وقد استشهد هنا شاهدا لكونهم صلوات الله عليهم وسلامه اشد الناس
بلاء من طريق الترمذي ورواه النسائي وابن ماجة والحاكم عن سعد قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال
الانبيا اشد بلاء ثم الامثل فالامثل اي الافضل فالافضل من غيره طردا او عكسا لشهادة القابرتيب الامثلية للاول
ثم للثاني اولا بالعكس يبتلي الرجل على حسب دينه وقدره فما يبرح ولا يزال به البلا حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه
خطيئة اي ذنب يواخذ به وكما قال تعالى وكاين اصله اي عربته الكاف والنون تنوين اثبت خطا خلاف القياس اي كم
من نبي قتل والحال انه معه ربيون كثير اي ربانيون علما اتقيا او عابدون لربهم جمع ربي منسوب الى الرب اي الجما
للمبالغة فما وهنوا اي فتروا وما انكسر حدهم لما اصابهم في سبيل الله من قتل نبيهم او بعضهم وما ضعفوا بقتله
عن جهاد عدوهم في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو ليفعل بهم ما يريد وهذا تعريض بما اصاب
الصحابة من الوهن بارجاف من قال يوم احد الا ان محمدا قد قتل حتى استكانوا الى راس النفاق عبد الله بن ابي
في طلب الامان لهم من ابي سفيان بن حرب والله يحب الصابرين ونصرتهم على اعدائهم وما كان قولهم الا ان قالوا اي
الا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا في جهاد اعدائنا وانصرنا على القوم الكافرين
اي وما كان قولهم مع ثباتهم وصلابة دينهم وكونهم ربانيين الا هذا القول اعني اضافتهم الذنوب الى انفسهم وما
اصابهم الى سو اعمالهم هضما واستقصارا لها وقدم الاستغفار على تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على
عدوهم ليكون عن خضوع وذكا فيكون اقرب الى الاجابة وقدم خبر كان على اسمها لانه اعرف لدلالته على جهة النسبة
وزمان الحدث فاتاهم الله باستغفارهم اياه والتجايهم اليه ثواب الدنيا عزا ونصرة وغنيمة وطيب ذكر وحسن
ثواب الاخرة خصه بالحسن ايذانا بفضله وبانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن وروى الترمذي
وصححه عن ابي هريرة ما نزل البلا بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله غاية لنزواله فيمن ذكر وما عليه خطيئة
يمحوها به كرما منه تعالى وفضلا وروى الترمذي ايضا وحسنه عن انس اذا اراد الله بعبده الخير عجل الله له العقوبة
في الدنيا ليخرج منها وليس عليه ذنب يوخذ به واذا اراد بعبده الشر امسك عنه تعجيل العقوبة فيها بل يتركه بذنبه
حتى يو[illegible]به او يعفى عنه وفي حديث اخر رواه الديلمي عن ابي هريرة اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه اي تضرعه وخضوعه وحكي السمرقندي فيكون الرا والنون ان كل من كان اكرم على الله بلاؤه اشد من بلا غيره كي اهل البلوى

عد

والاسراف

باب ... ذي ... معجزي حقوق ... اليمين [illegible]

كي يتبين فضله على غيره ويستوجب الثواب فضلا منه تعالى بفضله بوعده اذ لا يخلفه كما روي عن لقمان انه قال لابنه
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار ليعلم طيبهما من خبيثهما والمؤمن يختبر بالبلا ايصبر ام يضجر وقد حكي انه
ابتلى يعقوب بيوسف صلى الله عليهما وسلم كان سببه التفاته في صلاته اليه وهو نائم محبة له مفعول لاجله الالتفات
ولا اقول بان هذا سببه لنزاهته صلى الله عليه وسلم عن قطعه به كمال اقباله على ربه فيها وقيل بل الجمع اي يعقوب بو
هو ويوسف مفعول معه على اكل حمل مشوي بفتح المهملة والميم وهو الجذع من الضان له سنة او اقل ومما يقوي كان
الواو للحال اي ضاحكين وكان لهما جار يتيم شم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه شفقة منها عليه
وبينهما جدار ولا علم ليعقوب وابنه يوسف به فعوقب بالبكا على يوسف الى ان سالت حدقتاه هذا وانما قال
تعالى ابيضت عيناه من الحزن ولم تسل حدقتاه والقول بانهما سالتا اسف واشد انكارا له من القول بالتفاته
في صلاته مع ان الانسان لا يؤاخذ بما لم يعلم سيما اذا لم يحث عليه فلما علم ببكا اليتيم وجدته كان بقية حياته
يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان من الناس غنيا او فقيرا مفطرا فليتغد عند ال يعقوب اي بنيه واهل
بيته او عنده نفسه والال مقحم تفخيما لشانه وعوقب يوسف بالسجن بضع سنين بالمحنة التي نص الله عليها
في سورته بقوله ولقد همت به وهم بها وكني عنه بالمحنة استهجانا للتصريح بما تضمنه وروي عن الليث بن سعد
ان سبب بلاء ايوب النبي صلى الله عليه وسلم انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا عليه
في القول له الا ايوب فانه رفق به رفق من يرجوا ويطمع ان يثمر رفقه وينجح قصده فهو يجتهد بطوقه عسى ان
يرتدع عن ظلمه لا انه رفق به ومداهنة له محافظة على زرعه لنزاهة مقامه عن ذلك الا ان لله ان يبتلي من شا
بما شا فعاقبه ببلائه محبة له واعظاما لاجله ورفعة لمحله وارادة الخير بشهادة حديث من يرد الله به خيرا
يصب منه اي يبتليه بمكروه ليثيبه عليه وان سبب محنة سليمان لما ذكرنا فيما سبق من نيته من كون
الحق في جنب اصهاره لاختصامهم او للعمل بالمعصية في داره مما افترته اليهود من اباطيلهم من انه قتل ملك
صيدون واصطفا ابنته جرادة فاسلمت وكانت لا يرقا عليها دمع حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها
صورة ابيها فكستها كسوته حيا وكانت تسجد له مع ولايدها كما كن في حياته ولا علم عنده فاخبره اصف بذلك
فكسر الصورة وعاقب جرادة وهذه اي المحن التي امتحن الله بها انبياءه ليعظم لهم من الثواب ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فائدة شدة الوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ كان كما ورد يوعك كما
يوعك الرجلان منا قالت عائشة كما رواه الشيخان عنها ما رايت الوجع على احد من الناس اشد منه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروينا ايضا عن عبد الله لعله ابن مسعود او ابن عمر قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا قيل الوعك الوجع وجعا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
بفتح اوله وثانيه من اخوات نعم ومعناه جوابا لقول عبد الله انك لتوعك اي نعم كما يوعك رجلان منكم
قلت ذلك اي وعكه كرجلين ان لك اجرك مرتين تعليل لوعكه شديدا قال اجل اي نعم ذلك كذلك اي
اجري مرتان من اجل ان وعكي كوعك رجلين وفي حديث ابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد ان رجلا وضع يده
على النبي صلى الله عليه وسلم ليختبر حماه اشديده مرام لا فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة
حماك فقال انا معشر الانبيا منصوب على الاختصاص او المدح يضاعف لنا البلا اي يزاد وليس محصورا في
الواحد يقال ضعف الشي يضعف اذا زاد وضعفته واضعفته وضاعفته اذا زدته ان هي مخففة من الثقيلة
بشهادة اللام في خبرها وضمير الشان اسمها اي انه كان النبي يبتلى بالقمل حتى يقتله لرفعة درجاته عند ربه وان
كان ليبتلى بالفقر ذلك وان كانوا اي الانبيا ليفرحون بالبلا كما يفرحون بالرخا لقوة يقينهم بربهم وما

ادخره لهم عنده مما لا عين رات ولا اذن سمعت روى الترمذي وحسنه عن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم
الجزاء مع عظم البلا بكسر المهملة وفتح الظا فيهما او بضمها مع سكون الظا فمن كان بلاؤه اعظم فجزاؤه اعظم وان الله اذا احب
عبدا ابتلاه اختبارا له وهو اعلم ايرضى ام لا فمن رضي قضاه بما ابتلاه به فله الرضى من الله تعالى وجزيل الثواب ومن سخط
اي كره قضاه به ولم يرضه فله السخط واليم العذاب وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوا يجز به اي عاجلا
وذلك ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة بشهادة قول ابي بكر حين نزل اي قوله من يعمل سوا يجز به كيف نجو
مع هذا يا رسول الله فقال اما تحزن او تمرض اما تصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك هذا لمن
اراد الله له خيرا فانه يعجل له كما مر في حديث عن انس عقوبته في الدنيا وقد يكون له اجلا لمن اراد له شرا
فانه كما مر فيه يمسك عنه وروي هذا اي قول المفسرين في من يعمل سوا يجز به كما رواه احمد والحاكم عن
عائشة وابي ومجاهد وفي حديث البخاري قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يصب منه روي مبنيا للفاعل ومفعوله اي ينزل به مكروها ليثاب عليه وقال اي النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث مسلم من رواية عائشة ما من مصيبة ويقال مصوبة ومصابة وجمعها مصايب ومصاوب
تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه ذنوبه اذ لا يكفرها الا هو حتى الشوكة يشاكها جسمه فانه يكفر بها عنه
وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشيخين من رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من وصب اي تعب
وفي حديث فاطمة بضعة مني ينصبني ما انصبها اي يتعبني ما اتعبها ولا وصب اي دوام وجع ولزومه وقد
يراد به التعب وفتور البدن ومنه قول فازعة لاخيها امية هل تجد شيئا فقال لا الا توصيبا اي فتورا
ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم يمنع نفسه من الخروج ومنه قول عائشة لما نزل برسول الله صلى الله عليه
وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه حتى الشوكة يشاكها في عضو من اعضائه
الا كفر الله بها من خطاياه التي كان زلفها وفي حديث الشيخين عن ابن مسعود ما من مسلم يصاب اذى الا
حات بمهملة ومثناة فوق مشددة اي ساقط الله عنه خطاياه كما تحت اي الله ورق الشجر وفي رواية تحاتت
عنه ذنوبه اي تساقطت وورد ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضرا بين الشجر الذي تحاتت ورقه من الضريب
تساقط من الصقيع وحكمة اخرى في اجرا الامراض وشدتها على اجسام الانبيا او دعها الله في الامراض لاجسامهم
وغيرهم ممن اراد خيره وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم فدى بابي وامي لتضعف علة الفعل بحرف
اذن به ما ذكر من الايجاع وتعاقب الاوجاع وشدتها اي فعل ذلك من اجل ان تضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها
عند قبضهم ويخف عليهم مؤنة النزع اي نزع ارواحهم واخراجها من ابدانهم وشدة السكرات اي الغمرات التي
تعروهم عند النزع بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس ومن ثم كان خلاف موت الفجاة بضم الفا وفتح الجيم
والمد وبفتحها وسكون الجيم والقصر واخذا الذي يعري ذا الحياة بغتة بدون تقدم سبب له وفي الحديث
موت الفجاة راحة المؤمن واخذة اسف للكافر اي غضب وسخط له كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في
الشدة التي تعتريهم عند النزع واللين والصعوبة والسهولة بمعنى الاول وما قبلها بمعنى الشدة وفي
الحديث من كذب علي فقد استهل مكانه في جهنم اي سهل عليه تبوءه واتخاذه وقد روى الشيخان عن كعب
ابن مالك وجابر قال اي النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع اي الطاقة اللينة
منه والفها منقلبة عن واو لتحركها وانفتاح ما قبلها تفيؤها الريح اي تحركها وتميلها هكذا وهكذا
اي من حيث انتهاكما في حديث مسلم من رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اي
الريح اعتدلت اي قامت الخامة على ساقها معتدلة وكذلك المؤمن يكفا بالبلا من حيث اتاه ومثل الكافر
كمثل الارزة بسكون الرا وفتحها شجرة الارزن وقيل الصنوبر صما معتدلة اي مكتنزة لا تخلخل فيها ولا تجاف

حتى يقصمه الله اي ياخذه بغتة بلا تقدم بلاغا لبا والقصم بالقاف كسر الشي مع ابانة وبالفا كسرة بدونها معنا
ان المومن من زامصاب بفقد اعزته واغتيال احبته وبالبلا والامراض راض بتصريفه مصدر مضاف
لمفعوله اي بتصريف الله فيه وله بين اقدار الله التي قدرها عليه منطاع اي منقاد مذعن لمالك الذي اصيب به لين
الجانب برضاه اي سهل الجانب لشدة حرارته وقلة تسخطه اي تضجره وتبرمه مما ارهقه من البلا كطاعة خامة
الزرع وانقيادها للرياح اي طاعتها لها وتمايلها لهبوبها وترنحها بنون بعد را اي تمايلها ودورانها يقال ترنح
فلان ترنيحا اي دير به مما عراه من الوهن في عظامه من الم او سكر او غيره وكان الاسد بن يزيد يصوم في اليوم
الشديد الحر الذي يرنح فيه الجمل الاحمر اي يدار به فيه من شدة حره وخص الاحمر لانه اصبر قال يزيد
الرقاشي المريض يرنح والعرق من جبينه يرشح وكان عبد الرحمن بن الحارث اذا نظر الى مالك بن انس قال
اعوذ بالله من شر ما ترنح اليه اي تحرك له وطلبه من حيث اتتها من مهابها قبولا ودبورا وجنوبا او شمالا او نكباء
او باردة عاصفة او لينة عقيما او لواقح فاذا ازاح الله اي ازال ودونا ومعنى عن المومن رياح البلايا وهي ما يعرو اذا
الحياة من الشدايد امتحانا واختبارا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون الرياح رجع اي المومن
الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه عنه وتحاته عنه كورق الشجر عنها منتظرا رحمته وثوابه عليه
اي على شكر ربه فاذا كان اي المومن بهذه السبيل من توارد الرزايا وترادف البلايا لم يصعب عليه مرض الموت ولا
نزوله في اي وقت كان ولا اذا اشتد عليه سكراته ونزعه عند خروجه عنها لعادته بما تقدمه من معاناة
الالام ومعاناة الاسقام ومعرفة ما فيها من الاجر المترتب عليها بالصبر عليها وتوطينه نفسه على المصايب وعلى
رقتها وضعفها لما بتوالي المرض وتماديه عليه وشدته وان لم يتوال والكافر شانه وحاله بخلاف هذا المومن
شانا وحالا فهو اي الكافر معافى في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه اي متمتع بها كالارزة الصما التي لا جوف
لها ولا تاكل فيه لا يعتريه شي حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة اي على حين غفلة عن عاقبة امره فتكون
عاقبته خسرا وعلى اخذه بغتة اي فجاة من غير لطف ورفق بل بعنف وشدة بضرب الملئكة وجهه ودبره
فكان موته اشد عليه حسرة تمييز للنسبة اشد وكانت مقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه
اذ لم يرهقهما ما يضعفهما من الاسقام اشد الما وعذابا عند قبض روحه ولعذاب الاخرة اشد اقتباس
من القران الكريم من غير اشعار انه منه اذ هو شرطه فقصمه لحينه على غرة كانجعاف الارزة وانقلاعها
اذ لا تزال قائمة على ساقها معتدلة لا يصيبها شي حتى يقصمها بغتة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا
يشعرون اي غافلون باشتغالهم بامر دنياهم وكذلك عادة الله في اعدائه جارية على اخذهم بغتة
فاذا هم مبلسون كما قال فكلا ممن ذكر قبل من اعدائه اخذنا بذنبه فمنهم من كقوم لوط ارسلنا عليه حاصبا
في ريح عاصفة تحصبهم به ومنهم كثمود من اخذته الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ومنهم كقارون من
خسفنا به الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ومنهم كقوم فرعون وهو
من اغرقنا فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فجا اي الله جميعهم اي اخذهم كلهم بالموت على حال عتو
اي فرط تجبر وتكبر وغفلة عما اريد بهم وصبحهم به اي بالموت على غير استعداد ولا متهيئين لمعادهم ولهذا
اي ولفجائة جميعهم على غير استعداد ذكره السلف من ائمة الهدى موت الفجاة بضم الفا والمد وبفتحها وسكون
الجيم والقصر ومنه في حديث سعيد بن منصور في سننه وابن ابي الدنيا في ذكر الموت عن ابراهيم النخعي
او الكيمي كانوا يكرهون اخذه كاخذة الاسف بفتح همزته والسين اي الغضب من اسف اذا اشتد غضبه
يريد اي ابراهيم موت الفجاة المهلك بغتة وحكمة ثالثة في اعتوار الامراض وشدتها على الانبيا وغيرهم من
خلص عباده هي ان الامراض كلا منها نذير الممات وبقدر شدتها اي الامراض شدة الخوف من نزول الموت

فليستعد من اصابته تلك الامراض وعلم تعاهدها له استعدادا تاما للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة
الانكاد القليلة الانتفاع بها وفيها ويكون من اصابته تلك الامراض قلبه معلقا بالمعاد اي ما يعاد اليه يوم
القيمة فهو اما مصدر او ظرف فيتنصل اي يتخلص ويتجنب من كل ما يخشى تباعته بكسر التا بمعنى تبعته
ومواخذته به من قبل الله وقبل العباد بكسر قافهما وفتح البا اي من جهتهما ويودي الحقوق المتعلقة به
الى اهله وينظر فيما يحتاج اليه من وصية بما تركه الى من يثق به فيمن يخلفه من ولد ومال او امر يعهد
الى من يريد وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المغفور اللام فيه اسم موصول صلته مدخولها اي الذي غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي جميع ما صدر منك وما سيصدر مما يعد ذنبا بالنسبة الى علي مقامك
وان لم يكن ذنبا حقيقة قد طلب التنصل اي التخلص في مرضه ممن كان له عليه مال دينا او قرضا او حق في بدن
يورث قصاصا او ارشا واقاد من نفسه وماله اي اعطى القود منهما مستحقه وامكن من القصاص من نفسه
على ما ورد في حديث الفضل بن عم العباس كما مر اذ فيه انه صلى الله عليه وسلم ضرب اعرابيا بعود كان
بيده فقال يا رسول الله القصاص غير مريد له فكشف عن بطنه فالتزمه تبركا به وفي حديث الوفاة كما مر
واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته بمثناه بين عينه ورائه وسماهما ثقلين اعظاما لقدرهما
وتفخيما لشانهما ولان الاخذ والعمل بهما ثقيل اذ بهما صلاح الدنيا وعمارتها كما عمرت بالثقلين اعني الانس
والجن واوصى ايضا بالانصار عيبته بلفظ الانصار كرشي وعيبتي اي خاصتي وموضع سري جريا على عادة العرب
من كنايتهم عن القلوب والصدور بالعياب لانها مستودع السراير كما ان العياب مستودع الثياب وهي جمع
عيبة وعا من جلد يحفظ فيه المتاع ودعا اصحابه في مرض موته الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده فاختلفوا
وتنازعوا فقال دعوني فانه لا ينبغي عند نبي التنازع وذلك اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده
الذي اراد ان يكتبه ثم راى كما تقدم الامساك عنه افضل وخيرا من كتابته وهكذا اي مثل ما مر عنه صلى الله عليه
وسلم من تنصل ووصية وغيرهما من سيرته سيرة عباد الله المومنين واوليائه المتقين تاسيا به صلى الله
عليه وسلم وتمسكا بسنته وهذا اي ما ذكر من سيرة عباد الله واوليائه اقتفا لسيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم
كله يحرمه غالبا الكفار لانهم في مقام املاء الله لهم اي امهالهم حتى ينصرم اجالهم ليزدادوا اثما ويستدرجهم
استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة درجة اي سنستدرجهم قليلا قليلا الى
ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم بتواتره تعالى نعمه عليهم منهمكين في غيهم كلما
جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا عصيانا فتدرجا في المعاصي بترادف نعمه ظنا منهم ان تواترها اثرة
وتقريب وانما هو خذلان وتبعيد قال تعالى ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهي النفخة الاولى
تاخذهم اي تبغتهم امنين غافلين عنها لا يخطر امرها لهم ببال وهم يخصمون اي يختصمون في معاملاتهم متاجرهم
وغيرها اي يخصم بعضهم بعضا واصله يختصمون سكنت التا بنقل حركتها الى الخا قبلها في قراة ابي عمرو او بسببها
ثم ادغمت ثم كسر الخا في قراة غيره لالتقا الساكنين فلا يستطيعون توصية في شي من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون
بل يموتون حيث تفجاهم الصيحة ولذلك اي ولكون موت الفجاة مذموما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو يعلى وابن ابي
الدنيا عن انس في وفاة موت الفجاة سبحان الله كانه على غضب تعجب وتعجيب من موته فجاة المحروم من حرم وصيته
تلويح بالحث على الوصية بشاهدة حديث ما حق امرئ يبيت ليلتين الا ووصيته عنده اي ما الاحوط والاحزم له الا
هذا او ما المعروف في مجاري العادات الحسنة الا هذا الا انها فرض وقيل ان الله حكم على عباده بوجوبها ثم نسخت
للوارث فبقي حق الموصي في ماله ان يوصي لمن اراد بما قدره بالثلث وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث احمد

عن عائشة بسند صحيح موت الفجاءة راحة للمؤمن من مقاساته سكرات الموت واخذة اسف اي غضب للكافر
او الفاجر شك من احد رواته اي المنهمكين في المعاصي والمحارم وذلك اي وكون موت الفجاءة لما ذكر لان الموت يات
المؤمن ويوافيه اي في غالب اوقاته مستعد متهيئ له منتظر لحلوله به فهان امره عليه كيف ما جاء وعلى اي
وجه غشيه وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها اي مما رالها وبينهما فضاء متسع كما قال صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي قتادة مستريح ومستراح منه قيل منهما كما قال اما المستريح فالمؤمن يموت
فيستريح من نصب الدنيا واما المستراح منه فالظالم يموت فيستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب
وتاتي الكافر والفاجر منيته من منى الله عليه بمعنى منيا اذا قدره اي موته سمي منية لانه مقدر بوقت
مخصوص من غير استعداد وتهيئ ولا اهبة ولا مقدمات اما من قدم اللازم بمعنى تقدم فتكون داله
مكسورة او المتعدي فتكون مفتوحة منذرة اي مؤذنة له بما امامه من امور الاخرة مزعجة اي مقلقة له
بل تاتيهم بغتة مقتبس من سورة الانبياء اي فجاة فتبهتهم اي تغلبهم ويقال المغلوب في المحاجة مبهوت فلا
يستطيعون ردها ولا هم ينظرون اي لا يمهلون وان كانت الدنيا دار امهال فكان الموت اشد شيء عليه
وفراق الدنيا افظع اي اشق واشنع امر صدمه اي اصابه شيء شديد به واكره شيء له اي ادهقه والى هذا المعنى
الذي يجاه فيزعجه ويقلقه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله كما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت من احب
لقاء الله برؤية الله له عند موته ما اعد له في الجنة احب الله لقاءه اي اراد مصيره اليه ومنحه ما عنده ومن
كره لقاء الله برؤيته له عند موته ما اعده له من سخطه كما ورد في الحديث تفسيره بذلك كره الله لقاءه

القسم الرابع

المتمم لاقسام الكتاب في تعريف وجوه الاحكام الشرعية الموجبة حلول النكال فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم بما يؤذن بتحقيره وتوبيخه وسبه اي شتمه قد تقدم ما يجب من الحقوق جمع حق
وهو الثابت اللازم من حق الشيء اذا ثبت له صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير اي تبجيل وتعظيم
واكرام اعظاما واحتراما وبحسب هذا يحرم سبه اي وباعتبار ما يجب له ويتعين حرم الله اذاه في كتابه الكريم
وفرقانه القديم واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه واما الكافر فلم يجمعوا على قتله اذا انتقصه او
سبه بل قال بعضهم يقتل وقال بعضهم ينتقض عهده ثم يبلغ مامنه قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
باقترافهم ما يكرهانه ولا يرضيانه من كفر ومعاصي او يؤذون رسوله بانواع المكاره لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته
في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا لهم مع ايلامهم به وقال اي الله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم بايذائهم له وقال وما كان اي ما صح لكم ان تؤذوا رسول الله بفعلكم ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
اي بعد وفاته او فراقه لما دخل بها ام لا تعظيما لشانه وتفخيما لامره ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ذنبا بليغا اذن
بوجوب حرمته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا وما به طيب نفسه وسرور قلبه واستغزار شكر ربه عليه
وقال تعالى في تحريم التعريض له بدون تصريح بما لا يليق بشريف جانبه يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهم ما تقول لنا ونحفظه وان اليهود كان لهم كلمة يتسابون بها فلما سمعوا قول
المؤمنين له راعنا انتهزوا الفرصة وخاطبوه به كانوا يقولون راعنا بالجهد اي ارعنا سمعك اي القه الينا ولا تغفل عنا
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة بها اي الحمق فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وامروا بما يؤدي
معناها مما ليس فيه وهو انظرنا بمعنى الينا وانتظرنا وقطع الذريعة اي الوسيلة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل
الكافر والمنافق الى سبه بتلك الكلمة والاستهزاء به صلى الله عليه وسلم وقيل انما نهاهم لما فيها من قلة بل من عدم الادب
وعدم توقيره صلى الله عليه وسلم وتعظيمه الواجب له لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فرعايتهم له مشروطة برعايته

لهم

لهم فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم فكان ذلك موجبا لنهيهم عنه وهو صلى الله عليه وسلم اولى ب
الرعاية نادبا معه وتوقيرا له بكل حال في كل مكان وزمان وقد نهي عن التكني بكنيته اي ابي القاسم فقال تسموا باسمي
يعني محمدا لانه اشهر اسمائه ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه مفعول لاجلهما نهيه عن التكني
بكنيته اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب كما رواه الشيخان عن انس لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك
انما ادعو هذا فنهى اي النبي صلى الله عليه وسلم عن التكنية بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره
الصادرة ممن لم يدعه ولئلا يتخذ المنافقون والمستهزءون يهود او نصارى او مشركون ذريعة اي وسيلة
يفضون بها الى اذاه والازدراء به احتقارا وانتقاما له من زريت عليه زراية اذا عبته وازريت به ازراء
اذا قصرت به وتهاونت فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لتعنيتا له بنون مكسورة بعد العين
فمثناة تحتية فمثناة فوقية من العنت اريد به هنا الانكسار وادخال المشقة عليه فدته نفسي واستخفافا بحقه
صلى الله عليه وسلم على عادة المجان جمع ماجن وهو من لا يبالي ما صنع واليه الاشارة باحد معنيي اذا لم تستحي فاصنع ما
شئت وعلى عادة المستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بحسم سبيل ما يتطرق منه اليه بكل وجه فلم يجعل الطريق
الى اذاه سبيلا فحمل محققوا العلماء بلا دليل شرعي مع ترجيح ولا مرجح نهيه عن هذا اي عن التكني بكنيته على مدة
حياته واجازوه اي التكني بها بعد وفاته كما لك لارتفاع العلة التي هي ايذاؤه بعدها هذا وليس
ارتفاعها بكاف في تجويزه بعد مع صراحة عموم النهي المطلق الشامل لما قبلها وبعدها كيف وقد غير
عمر في خلافته اسماء كثيرة من اولاد الصحابة ممن كان اسمه محمدا بغيره كاسم ابن اخيه غيره بعبد
الرحمن مع اذنه صلى الله عليه وسلم في التسمية به فلان يمنع من التكنية بكنيته مع النهي عنها
اولى ومن منعه بها مطلقا من اطلع دون غيره على دقايق الكتاب والسنة اعني ناصرهما الشافعي
بشهادة قول محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة لم تزل اصحاب الحديث نياما حتى ايقظهم الشافعي
وللناس في هذا الحديث اي حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي مذاهب ليس هذا موضعها
والمحفوظ منها ثلاثة تقدم اثنان والثالث الجواز مطلقا وحمل النهي على التنزيه وما ذكرناه
من جوازه بعد وفاته هو مذهب الجمهور والصواب بل الصواب المنع مطلقا لما ذكرنا من
صراحة عموم النهي المطلق وتغيير عمر اسماء كثير من اولاد الصحابة ممن اسمي محمدا مع اذنه صلى
الله عليه وسلم في التسمي به ان شاء الله تعالى وذلك اي نهيه عن التكني بكنيته في حياته انما كان
على طريق تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم وعلى سبيل الندب والاستحباب جمع بينهما
لمغايرة بينهما اذ الندب عنده اكد من الاستحباب لا على التحريم دعوى مجردة عن البينة له وردها (?)
على خلاف الاصل من ان نهيه انما كان للايذاء المؤذن بوجوب الكف عن التكني بكنيته بها اذ الاصل حمل
لفظ النهي على حقيقته من التحريم حتى يقوم ما يصرفه عنه وقوله ولذلك اي ولكون النهي عن التكني
بها على طريقة تعظيمه وتوقيره لم ينه عن اسمه اي عن التسمي به لانه قد كان الله بدل من ضمير انه
اي لان الله قد كان منع من ندائه به اي باسمه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول اي نداءه باسمه بينكم
كدعاء بعضكم بعضا اي كنداء كل باسم الاخر وانما كان المسلمون يدعونه اي ينادونه يا رسول الله
ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته فيقولون يا ابا القاسم بعضهم بدل من ضمير يدعونه اي يدعوه
بعضهم بها في بعض الاحوال لا ينهض بينه لصحة دعواه ان نهيه صلى الله عليه وسلم عن التكني
بها على الطريق تعظيمه وتوقيره كنهي الله عن جعلهم دعاءه بينهم كدعاء بعضهم بعضا على طريقهما (?)

لفقد الجامع بينهما الان ذلك انما ورد نهيه عنه لما كان يترتب عليه من ايذائه صلى الله عليه
وسلم وهذا لم يرد من اجل ترتب ايذائه بل لاجل توقيره وتعظيمه فافترقا فكان ذلك موجبا
للكف عنه تحريما وهذا تادبا له تعظيما وتوقيرا على دعواه مع ان الشافعي قد سوى بينهما في
الحرمة لان المتبادر من اللفظ في النهي وغيره الى الفهم هو الحقيقة اعني الحرمة لانها الزم للنهي
وما الزم لشي كان اقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ وقد روى الحاكم والبزار وابو يعلى باسناد
حسن قال انس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه اي النبي صلى الله عليه وسلم
وتنزيهه اي تبعيد اسمه وتقديسه عن ذلك اي عن ان يتسمى به غيره اذ تنزه اسمه صلى الله عليه وسلم
تنزيه له اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم استفهام انكاري حذفت همزته
وافاد كراهة التسمية به بانكار الاقدام عليه وروي عن عمر انه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى
مبنيا للمفعول احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري وحكى محمد
ابن سعد كاتب الواقدي عن عبد الرحمن بن ابي ليلى انه اي عمر نظر الى رجل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد
ابن زيد بن الخطاب اسمه محمد ورجل يسبه يقول له فعل الله بك يا محمد وصنع وتمادى في سبه
فقال عمر عند ذلك لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى المنبهة على تحقق ما بعدها لتركبها
من حرفي تاكيد همزة استفهام انكاري وحرف نفي والانكاري اذا غشي نفيا اذهبه وزاد تحقيقا ولذا
لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم كان ارى محمدا يسب بك والله لا تدعى
محمدا ابدا ما دمت حيا تعظيما لاسمه كما سماه صلى الله عليه وسلم وسماه اي سمى عمر ابن اخيه محمدا عبد
الرحمن ثم ارسل الى بني طلحة بن عبيد الله وهم سبعة اكبرهم وسيدهم اسمه محمد فاراد ان يغير
اسمه فقال له محمد بن طلحة فوالله يا امير المومنين ان من سماني محمدا لمحمد فقالوا قوموا فلا سبيل
الى تغيير شي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا وروى ابن سعد ايضا قال دخل عبد الرحمن
ابن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي على عمر بن الخطاب بن نفيل وكان اسمه موسى فسماه
عبد الرحمن حين اراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسما الانبيا اكراما لهم بذلك اي بتغيير اسمائهم
وغير اسمائهم اي اسما الانبيا او اسما من تسمى باسمائهم وروي ان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
كان اسمه ابراهيم فسماه عبد الرحمن وقال لا تسموا باسماء الانبيا ثم امسك اي عمر عن منعه من
ذلك والصواب جواز هذا كله اي التسمي باسمائهم وباسمه بعده وقبله صلى الله عليه وسلم بدليل
اطباق الصحابة اي اجماعهم على ذلك اي على التسمي باسمه بعده وبعد رجوع عمر عن منعه منه وقد
سمى جماعة منهم اي من الصحابة ابنه محمدا الحديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وكناه بابي القاسم
من اجل انه اي النبي صلى الله عليه وسلم اذن لعلي في ذلك اي في تسمية ولده محمدا وتكنيته بابي القاسم
رواه ابو داود والترمذي عن علي بلفظ قال اي علي يا رسول الله ارايت ان ولد لي ولد بعدك اسميه
محمدا واكنيه بكنيتك قال نعم وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اي ما اذن فيه لعلي اسم المهدي
وكنيته رواه ابو داود والترمذي وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ المهدي يواطئ اسمه اسمي واسم
ابيه اسم ابي ولم ار من زاد الكنية في روايته وقد سمى صلى الله عليه وسلم به اي باسمه محمد بن طلحة
ابن عبيد الله قتيل وكناه بكنيته ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري
وغير واحد سماه صلى الله عليه وسلم محمدا محمد بن خليفة قال الذهبي وكان اسمه عبد مناف

ابن

ابن معيط بن جابر ولد في زمنه صلى الله عليه وسلم ومحمد بن الهلال بن العلا وقال ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وفي نسخة وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم اي الرابع
وبه ختم الكتاب على بابين كما قدمنا اوله في التراجم

الباب الاول في بيان ما هو

في حقه اي النبي صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض بلا تصريح او تصريح وما حكم من لوح
اليه بشي من ذلك اعلم وفقنا الله واياك اعتراض بين اعلم وبين ما سد مسد معموليها اعني
ان جميع من سبه صلى الله عليه وسلم اي شتمه وفي الحديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
او عابه بما يليق به او الحق به نقصا في نفسه اي عزاه الى ذاته الشريفة او الحق به نقصا في
دينه او في خصلة من خصاله وحالة من حالاته او عرض به اي قال في حقه ما لا يليق به تعريضا
لا تصريحا او شبهه بشي على طريق السب اي الشتم او الازرا عليه تهاونا به ونقصا وعيبا او التصغير
لشانه اي الاحتقار لعظيم قدره وحاله او الغض منه اي الخفض من قدره والنقص والعيب له
فهو ساب له بواحدة مما ذكر صلى الله عليه وسلم وحكم الساب انه يقتل كما نبينه فيما يرد عليك
ان شا الله تعالى ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب مما ذكره واردا على ما قصدناه ولا نمتري
اي لا نشك فيه انه من هذا الباب صريحا كان او تلويحا اي اشارة وكذلك حكم من لعنه القتل مع
رجوع لعن من لعنه اليه واللعن الطرد والابعاد عن رحمة الله وفي الحديث اللعانون لا يكونون
شفعا يوم القيمة او دعى عليه او تمنى مضرة له راغبا في ادخالها عليه وايصالها اليه او نسب
اليه ما لا يليق بمنصبه الشريف ومقامه المنيف على طريق الذم مما نسبه اليه او عبث اي
لعب ومجن في جهته العزيزة اي المنيعة من التطرق اليها بشي من ذلك وسخف من الكلام وهجر
بضم اوله وسكون ثانيه اي فحش ومنكر من القول ينكره الشرع وزور اي كذب باطل منحرف
عن الحق وعيره بمهملة مفتوحة فمثناة تحت مشددة فرا اي عابه بشي مما جرى عليه من البلا
والمحن او غمصه بمعجمة مفتوحة ومهملة بينهما ميم استصغره احتقارا له ببعض العوارض
البشرية الجائزة عليه وعلى الانبيا والمعهودة لديه ولديهم لا ينكر قطعا وهذا كله اجماع من
العلما على قتل من صدر منه شي مما ذكر في حقه صلى الله عليه وسلم من لدن الصحابة اي من ايامهم
وهلم جرا من الجر اعني السحب اي استمر الاجماع واتصل من عصرهم الى الان وانتصب جرا على
المصدر او الحال قال ابو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري اجمع عوام اهل العلم اي كلهم
على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل صونا وتفخيما لشانه وتعظيما لشرف منصبه
الاسنى الشريف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم وممن قال ذلك اي من قال من
سبه يقتل مالك والليث واحمد واسحق وهو اي القول بقتل من سبه مذهب الشافعي اورده
بعدهم بلا عاطف استينافا تقوية لقولهم وسندا لالزامهم به ولا تقبل توبته عند هولا وبمثله اي
بمثل قول من ذكر بعدم قبول توبته قال ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا الكوفي مولى تيم الله
ابن ثعلبة واصحابه كابي يوسف ومحمد وزفر وابو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري واهل الكوفة
من عطف العام على بعض افراده وابو عمرو الاوزاعي في المسلم فلا تقبل توبته عندهم دون الكافر لكنهم
قالوا هي اي سبه ردة وانثه باعتبار الخبر لان الضمير اذا وقع بين مذكر ومونث جاز تذكيره
وتانيثه وحكى مثله اي مثل قول هولا انه ردة الوليد بن مسلم احد الاعلام بالشام عن مالك وحكى

وحكي ابو جعفر محمد بن جرير الطبري مثله اي مثل القول بانه ردة عن ابي حنيفة واصحابه فيمن ينقصه
بشي يبغضه به او بري منه اي قطع موالاته ومحبته صلى الله عليه وسلم او كذبه في قول من اقواله
اذ ما ينطق عن الهوى وقال سحنون فيمن سبه بشي من ذلك ردة كالزندقه من الثنوية القايلين
بتناسخ الارواح ودوام الارواح الدهر وارواحهم تنتقل ابدا وعلى هذا اي على قول سحنون ان سبه
ردة كالزندقه وقع الخلاف في استتابته وتكفيره فقيل يستتاب وقيل لا ووقع الخلاف ايضا
هل قتله حد بما اجترحه واجترمه او كفر بما ارتكبه كما سنبينه في الباب الثاني ان شا الله تعالى
هذا والزنديق قيل من لا يعتقد ملة من الملل المعروفة ثم استعمل في كل من عطل الاديان وانكر
الشرايع وفيمن اظهر الاسلام واخفى غيره وفي اللعان من الروضة هو من لا ينتحل دينا قالت في
المهمات وما ذكره هنا خالفه في باب صفة الايمة والفرايض وقبل المرتد فقال هو من يظهر
الاسلام ويخفي الكفر ولا نعلم خلافا في استباحة دمه اي دم من سبه صلى الله عليه وسلم من علما
الامصار اي البلدان الكبار وسلف الامة اي متقدمي الصدر الاول من الصحابة وتابعيهم وقد ذكر
غير واحد الصادق من اثنين الى جم غفير من العلما الاجماع على قتله وتكفيره بجراته على كريم شرفه
المنيف واشار ابن حزم الظاهري الى الخلاف في تكفير المستخف به اي المستصغر لشانه صلى الله عليه وسلم
والمعروف ما قدمناه انفا عن غير واحد ان الاجماع على قتله وتكفيره قال محمد بن سحنون اجمع العلما
في جميع الامصار على ان شاتمه صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر لايذا ان شتمه وتنقصه بكفره
وعلى ان الوعيد بالنكال جعلا به لغيره عبرة جار عليه بعذاب الله له في الدارين وحكمه في الدار
الدنيا عند الامة القتل مما يردع غيره عن كفر فعل ما جعل القتل جزاله ومن شك في كفره وعذابه
كفر بتكذيبه القران قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم واحتج ابراهيم بن حسين
الفقيه في مثل هذا اي مثل تنقصه بقتل خالد بن الوليد بن المغيرة مالك بن نويرة اليربوعي كان
النبي صلى الله عليه وسلم ولاه صدقات قومه اذ كان كبيرهم فمنعوا الزكاة في خلافة ابي بكر فارسل
اليه خالدا فقال اني اتي بالصلاة دون الزكاة فقال له خالد اما علمت انهما معا لا يقبل احدهما
دون الاخرى فقال مالك قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال له خالد وما تراه صاحبا لك والله لقد
هممت ان اضرب عنقك فقال او بذلك امرك صاحبك قال خالد وهذه بعد تلك ثم امر ضرار بن
الازور فضرب عنقه لقوله للنبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم مرة بعد اخرى ولفهم خالد استصغار
مالك له صلى الله عليه وسلم واستهزايه به لشهادة قوله له وهذه بعد تلك منكرا عليه اتيانه
بها مرة بعد اخرى هذا ولا التفات الى ما قيل غير ذلك فرثاه اخوه متمم بابيات منها

• وكنا كندماني جذيمة حقبة • من الدهر حتى قيل لن يتصدعا •
• وعشنا بخير في الحياة وقبلنا • اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا •
• فلما تفرقنا كاني ومالكا • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا •

وقال الخطابي لا
اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اي قتل شاتمه ومنتقصه صلى الله عليه وسلم اذا كان مسلما
لخروجه بذلك عن ربقة الاسلام المؤذن بوجوب احترامه وعصمة دمه وقال ابن القاسم عن
مالك بن انس بن عامر امام دار الهجرة في كتاب سحنون والمبسوطة والعتبية وحكاه اي ما قاله
ابن القاسم عن مالك مطرف هو ابن عبد الله بن مطرف بن اخت مالك عن مالك في كتاب ابن حبيب

من سب

من سب بنوع من انواع السب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل حدا قولا واحدا ولم يستتب وقال
ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه قولا او فعلا او تنقصه استصغارا له وتهاونا به فانه يقتل
وحكمه عند الامة اهل ملة الاسلام كافة القتل كالزنديق وقد فرض الله علينا خير امة اخرجت للناس
توقيره وبره بانواعهما من تفخيم لشانه وتعظيم لقدره وتنويه باسمه وانقياد لامره واذعان لاناله مجاله
وفي المبسوطة عن عثمن بن كنانة من شتم بواحد من افراد الشتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب
برفعه على جذع حيا ولم يستتب والامام اي ولي الامر سلطانا او نايبا مخير في صلبه حيا او قتله ومن
رواية ابي مصعب احمد بن ابي بكر العوفي الزهري واسمعيل بن عبد الله بن ابي اويس هو ابن اخت مالك
انهما سمعا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم باي نوع من انواع السب او شتمه او
عابه او تنقصه بشي مما ذكر قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب لان حده القتل وان تاب وفي كتاب محمد بن
ابراهيم بن المواز اخبرنا اصحاب مالك انه اي مالكا قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره
من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب لشهادة حديث كعب بن الاشرف
فانه اذى الله ورسوله فقتله جماعة باذنه صلى الله عليه وسلم فيحتاج من قال لا يقتل الكافر بسبه صلى
الله عليه وسلم الى الجواب عن هذا الحديث وقال اصبغ بن الفرج الفقيه المصري يقتل اي من سب نبينا او
غيره من الانبيا على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف صحتها باطنا وقال عبد الله
ابن عبد الحكم فقيه المالكية بمصر من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب لحديث
كعب بن الاشرف السابق وروى الامام ابو محمد عبد الله بن وهب عن مالك هو ابن انس احد الايمة الاعلام ان
من قال ردا النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زره وسخ واراد بقوله وسخ عيبه قتل لازدرايه بعظيم
قدره واجمع علماونا على ان من دعا على نبي من الانبيا بالويل اي الهلاك والحزن ومشقة العذاب او دعا عليه بشي
من المكروه مما يشق ويتضرر منه والكره ضما وفتحا المشقه انه يقتل بلا استتابة اي لا تطلب منه
توبة وافتى القابسي اي اجاب من ساله فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال بمهملة فميم مشددة
يتيم ابي طالب بالقتل لشهرة استهانته بذلك وافتى ابن ابي زيد القيرواني بقتل رجل سمع قوما
يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفه ومناقبه المنيفه اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية اي ليس بحسنهما فقال
اي الذي افتى ابن ابي زيد بقتله تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار وخلقه ولحيته
كذب والله قبحه الله ولاحياه ولا بياه قال ابن ابي زيد ولا تقبل توبته ان تاب وليس يخرج اي ما قاله هذا
القايل من قلب سليم الايمان بل هو عديمه وقال احمد بن ابي سليمن من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود يقتل
لاستنقاصه استهزايه وقال اي ابن ابي سليمن في رجل قيل له رد الماقاله لا وحق رسول الله فقسم لو يعلم
عظيم الجري على موجبه بل خالف فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا بقايله يليق وبامثاله الحليق
فقيل له انكارا عليه ما تقول يا عدو الله ابعدك الله عن سعة رحمته وبواك من جهنم مقيلا فقال كلاما هو
اشد من كلامه الاول قبحا ثم قال انما اردت برسول الله العقرب صارفا الماورد من كلامه عن معانيه
ووجد نفاذا في موضوعه فلا يكون كناية في غيره فقال ابن ابي سليمن للذي شهد عليه بما قاله في حقه صلى الله
عليه وسلم وانا شريكك يريد في قتله وثوابه قال حبيب بن الربيع بن حبيب القروي لان ادعاه
التاويل في لفظ صراح في بابه واحدا تعاذا في موضوعه دعوى بلا بينة لا تقبل لانه امتهان له صلى الله عليه وسلم

وهو اي هذا القائل غير معزز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له ولا معاضد ولا ناصر فوجب اباحة
دمه لتقصيره في توقيره وافتي ابن عتاب في عشار اي مكاس ياخذ من اموال الناس ضرايب للسلطان
بغير حق يسمونها عشرا الرجل ادي اي اعطي المكس واشك الي النبي اني اخذت منك وقال اي العشار ايضا
بعد ذلك ان سالت منك العشرا وجهلت حرمته فقد سال وجهل النبي بالقتل اي يقتل العشار
لجرائته على جنابه الكريم بكلامه القبيح وافتي فقهاء الاندلس بفتح الهمزة وفتح الدال وضم اللام بقتل ابن
حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه اي بجعله على جذع وبيع باعه بما شهد عليه به من استخفافه بحق
النبي صلى الله عليه وسلم بكلام اذن بالاستخفاف بما لا يليق به صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه
صلى الله عليه وسلم اثنا مناظرته اي خلال مباحثته في العلم باليتيم وختن حيدره اي ابي فاطمة زوج
علي بن ابي طالب من حماقته وسخافة عقله وسو خلقه الغالب على كثير من الناس وزعمه اي الطليطلي
ان زهده اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قصدا واختيارا بل كان عجزا او اضطرارا ولو قدر على الطيبات
اكلها متماديا فيما استخف به الشرف المنيف الي الاشباه هذا الذي قاله قاتله الله ما اجراه على مقالته
هذه الشنيعة وكيف تفوه بها مع قول بعضهم تلويحا بمعنى ما ورده وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فاراها ايما شمم وافتي فقهاء القيروان كابن ابي زيد واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري
وكان شاعرا مجيدا للشعر ماهرا متفننا في كثير من العلوم شرعية وادبية وعقلية وكان ممن يحضر
مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة والمباحثة في العلوم فرفعت اليه امور منكرة من هذا الباب
اي باب الاستخفاف بالجناب الشريف في الاستهزا بالله وانبيائه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاحضر اي
القاضي ابو العباس له اي لابراهيم الفزاري اي لاجله القاضي يحيى بن عمر وغيره وامر اي ابو العباس بقتله
وصلبه فطعن بالسكين حتى هلك وصلب منكسا راسه لاسفل ثم انزل من صلبه واحرق بالنار وحكى
بعض المؤرخين انه اي ابراهيم الفزاري المصلوب بعد قتله لما رفعت خشبته التي صلب عليها وزالت عنها
الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان تحويله له عنها اية للجميع من الحاضرين وكبر الناس اعتبارا يوجب
وخشية وحذرا من العثور نعوذ بالله من ذلك وجا كلب فولغ في دمه اي شرب بلسانه منه يقال ولغ
يلغ ويلغ فتحا وكسرا واكثر ما يكون الولوغ في السباع وفي الحديث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا ليدي قوما قتلهم خالد بن الوليد فاعطاهم ميلغة الكلب اي اناه الذي يلغ فيه اي اعطاهم قيمة كل
شي ذهب لهم حتى قيمة ميلغته فقال القاضي يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يلغ الكلب في دم مسلم لم اعلم من رواه والظاهر انه لا اصل له مع ما فيه من ركة التركيب وقال القاضي
ابن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم خوفا من عدوه فانه يستتاب اي يطلب منه ان
يرجع عن ذلك فان تاب قبلت توبته وان لم يتب قتل لانه اي قوله هزم تنقص يورث استهوانا به
صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز ذلك في خاصته لبراة ساحة مقامه الكريم منه اذ هو على بصيرة من امره
وشانه في نفسه وعلى يقين من عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس فكيف ينهزم منها وقال حبيب بن
ربيع القروي مذهب مالك هو ابن انس الامام واصحابه ان من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما موصول
حرفي او نكره موصوفه اي الذي او شيئا فيه نقص قتل دون استتابة اي بغير طلب منه رجوعه عن ذلك
لاستحقاقه القتل وقال ابن عباس الكتاب والسنة موجبان ان من قصده صلى الله عليه وسلم باذى او
نقص مصرحا او معرضا وان قل اي ذلك الذي يؤذيه به او ينقصه به فقتله واجب قال تعالى والذين

يؤذون

يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اي في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله يوشك ان ياخذه فهذا كله اي باب ما يؤذيه صلى الله عليه وسلم بانواعه مما عده العلما سبا
وتنقصا يجب قتل قائله نكالا بما اذاه به لم يختلف في ذلك اي في قتله بما قاله مما يؤذيه صلى الله عليه وسلم
متقدمهم ولا متاخرهم بل اجمعوا على قتله وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه فيما ذكرناه مما تلي
عليك ونبينه بعد ان شا الله تعالى وكذلك اي مثل ما تقدم عن هولا الايمة اقول حكم من غمصه بمعجمة
ومهملة بينهما ميم اي احتقره وعابه بما لا يليق به او عيره برعاية الغنم استهانة له وحطا له به عن كريم منزلته
او السهو او النسيان مما به الغفلة وصدر وربما منه نادرا انما كان ليسن لامته ويبين لهم ما شرع لهم
او السحر اي صرف الشي عن وجهه من نفس شريرة خبيثة او ما اصابه من جرح في بعض ايام لقائه العدو كيوم
احد كسرت رباعيته وشج وجهه او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة في زمنه اي ارتشاق
دمه فيه او عيره بالميل الي نسائه بحيث تؤدي نسبته اليه الى عدم المروة فحكم هذا كله لمن قصد
به نقصه صلى الله عليه وسلم القتل صونا لكمال منصبه ان ينسب الي نقص فصل في بيان الحجة
ايجاب قتل من سبه او عابه او غمصه بعيب فالحجة الموجبة لقتل من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم
من القران لعنه المؤذيه له في الدنيا والاخرة اي لعن الله فيهما لمن سبه واذاه اي ابعده عن رحمته وطرده من
حظيرة قدسه ومنه ايضا قرانه تعالى فيه اذاه صلى الله عليه وسلم باذاه تعالى ولا خلاف في قتل من سب الله
ولا خلاف ان اللعن انما يستوجبه من هو كافر بخلاف المومن فان لعنه كما قال صلى الله عليه وسلم كقتله وفي
رواية لعنه فسوق وحكم الكافر غير معصوم الدم القتل فقال اي الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
بفعلهم ما يكرهانه ولا يرضيانه من كفر بانكار نبوته ومخالفة شريعته وما اصابوا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكروه او يؤذون رسول الله فقط وذكر الله تعظيما وتمهيدا لذكره صلى الله عليه وسلم لعنهم
الله في الدنيا والاخرة اي طردهم وابعدهم من رحمته فيهما وقال اي الله تعالى في قاتل المؤمن مثل ذلك
اي مثل قوله في الذين يؤذون الله ورسوله فمن لعنته مصدر مضاف الى مفعوله اي فمن طرده وبعده
اي قاتل المؤمن عن رحمة الله في الدنيا القتل قال الله تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين نصب
على الشتم او الحال اي لا يجاورونك في المدينة الا ملعونين اينما ثقفوا اي وجدوا وظفر بهم اخذوا وقتلوا
تقتيلا وفي الحديث اشد الناس عذابا يوم القيمة من قتله نبي كافر كقتله صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف لا ان
قتله تطهيرا له من حد كماعز والغامدية رجما وقال اي الله تعالى في المحاربين له تعالى ولرسوله صلى الله عليه
وسلم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا وذكر عقوبتهم ان يقتلوا او يصلبوا او
تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض اي فمن جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد
القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذه ورجله لاخافته السبيل ومن افرد الاخافة نفي من
الارض ذلك اي ما ذكر من قتل وغيره لهم خزي اي ذل وفضيحة في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال تعالى قتل
الخراصون اي لعن الكذابون المقدرون ما لا يصح من القول المختلف ولام الخراصون اشارة اليهم كانه قيل قتل
هولا الخراصون واصل الدعا بالقتل الهلاك ثم جرى مجرى اللعن والقبح وقاتلهم الله اي قاتل من قال عزير بن
الله والمسيح بن الله وهم احقا بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لمن ركب شنيعا قاتله الله ما
اعجب فعله انى يوفكون اي كيف يصرفون عن الحق اي لعنهم الله ولا فرق بين اذاهما اي الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم وبين اذى المؤمنين والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا

بهتانا واثما مبينا وقد يكون في اذى المومنين مادون القتل من الضرب والنكال اي العقوبة من نكل به تنكيلا
ونكل جعله عبرة لغيره فكان موذي الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك اي من اذى المومنين
وهو اي حكمه الاشد القتل لموذيهما وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم من
الاختلاف ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي ضيقا مما قضيت بينهم ولا تضيق صدورهم من حكمك اولا
يجدون في انفسهم شكا منه لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا اي ينقادوا
منقادين لما قضيت به لا يعارض بشي يقال سلم لامر الله واسلم له اي سلم نفسه له واسلمها اذا
جعلها سالمة له تسليما مصدر موكد لفعله بمنزلة تكريره لتحقيق معنى التاكيد كانه قيل وينقادوا
لحكمك ظاهرا وباطنا انقيادا لا شبهة فيه فسلب اي الله اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا
من قضائه لعدم انقياده واذعانه ولم يسلم له بابائه ما حكم ومن ينقصه فقد ناقض هذا ووجد
في نفسه حرجا من قضائه ولم يسلم له وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي تعظيما لشانه ورفعة لمحله صلى الله عليه وسلم فانه لم يبح شيا والمستحق من الدنو والامر فالمستثنى
الى ان تحبط اي تبطل اعمالكم من حبطت الدابة حبطا بالتحريك اي هلكت اذا اصابت المرعى طيبا فافرطت
فيه الاكل فانتفخت فماتت وفي الحديث وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم اي يقرب انه يقتل
او يدنوا من الهلاك لانه ينبت احرار العشب فتكثر منه الماشية ودوي بالمعجمة ولا تحبط الاعمال
اي لا يبطلها الا الكفر ردة والموت عليها خلافا لقول مالك وابي حنيفة بحبطها وان رجع مسلما لنا
قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم
مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الايمان ومن ثواب الاخرة بالموت عليها والكافر يقتل بما استحق به
القتل وقال تعالى واذا جاوك اي اليهود والمنافقون حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك
يا محمد السام اي الموت عليهم واللعنة ويقولون في انفسهم لولا اي هلا ان كان نبيا لا يدعوا علينا
يعذبنا الله بما نقول له السام عليك ثم قال اي الله عز من قائل حسبهم جهنم اي يكفيهم عذابا يصلونها
تعذيبا لهم من صلاه مشددا واصلاه وصليت العصى بالنار اذا لينتها وقومتها به فبيس المصير هي لهم
ولامثالهم وقال تعالى ومنهم اي من المنافقين الذين يوذون النبي وما يوذون الا انفسهم ويقولون
هو اذن يصدق كل ما سمعه ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة اعني الة السماع فكان جملته اذن سامعة
كما سموا الربية عينا التسمية للكل باسم جزئه مجازا مرسلا قل اذن خير لكم جودة وصلاحا كانه قيل نعم هو
اذن ولكن نعم الاذن هو يومن بالله اي يصدق به لما قام عنده من القواطع ويومن للمومنين اي يقبل من
محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ويسلم لهم ما يقولون لصدقهم فعدى فعل الايمان اولا بالبا لقصد التصديق
وثانيا باللام لقصد السماع كما في قوله سبحانه وتعالى عز من قائل وما انت بمومن لنا اي بمستمع لنا
ورحمة للذين امنوا منكم ظاهرا ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهري ولا يفضحكم ولا
يفشي لكم سرا فسلم قولهم انه اذن لكن فسر بما هو مدح وثنا عليه وان كانوا قصدوا به مذمته وتقصيره لهم
في الفهم والفطنة وانه من اهل المعرفة وسلامة القلوب ثم قال الله سبحانه وتعالى والذين يوذون
رسول الله بطعنهم فيه وتقولهم عليه لهم عذاب اليم اي مولم فاسند اليه مجازا عقليا وقال تعالى
عز من قائل ولئن سالتهم اي المنافقين وهم سائرون بين يديك في غزوة تبوك عن قولهم انظروا
هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات ليقولن لا والله يا نبي الله ما كنا

في

في شي من امرك ولا امر اصحابك انما كنا نخوض ونلعب فيما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون استفهام تقريري تنزيلا لهم منزلة كونهم معترفين باستهزائهم ثم
توبيخا لهم على استهزائهم بمن لا يليق به الاستهزا الزاما للحجة عليهم بعدم قبول اعتذارهم بشهادة لا
تعتذروا اي لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة قد كفرتم باستهزائكم مظهرين كفركم بعد ايمانكم
ظاهرا وقال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اذن هذا واما الاثار
الواردة فمنها ما اسنده هنا من طريق الدارقطني ورواه الطبراني بسند ضعيف عن علي عنه صلى الله
عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه لانتهاكه حرمته بسبه ومن سب صحابيا فاضربوه تعزيرا له
وتوبيخا وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
فانه كما رواه الشيخان عن جابر يوذي وفي رواية لما اذى الله ورسوله فكان وبال ايذائه لهما عليه
ووجه اي بعث وارسل اليه من قتله غيلة بكسر المعجمة اي خفية من الاغتيال وهو ان يخدع الرجل ويقتل
بموضع لا يراه فيه احد دون دعوة منه صلى الله عليه وسلم له الى الاسلام بخلاف غيره اي غير كعب بن
الاشرف من المشركين فان قتله كان بعد دعوته صلى الله عليه وسلم له الى الاسلام وعلل اي النبي صلى
الله عليه وسلم قتله اي قتل كعب بن الاشرف باذاه له كما مر فدل اي تعليل قتله به على ان قتله اياه انما
كان لغير الاشراك بل كان قتله له للاذى الذي وصل منه اليه صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل
قتل كعب غيلة قتل ابي رافع من يهود المدينة رواه البخاري وقال البراء بن عازب كان ابو رافع
يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه اعداه ويواليهم على عداوته بغضا وحسدا وكذلك
اي ومثل امره بقتل من ذكر امره يوم الفتح اي فتح مكة بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة
رواه ابن اسحق والبيهقي عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم مرسلا ورواه الشيخان عن انس بلفظ
امر بقتل ابن خطل ورواه ابو داود والبيهقي عن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم فتح مكة امن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة وامراتين وامره ايضا بقتل جاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه
صلى الله عليه وسلم وما سبتا الا انفسهما وحاشاه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي اي
من يقوم مقامي بما يغنيني عن الاهتمام به وشانه فقال خالد انا يا رسول الله فبعثه اي النبي صلى الله
عليه وسلم اليه فقتله وكذلك لم يقل بضم اوله وكسر ثانيه من اقال عثرته اي هلكته جماعة ممن كان
وحد الضمير اعتبارا للفظ من يوذيه من الكفار كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط في ايذائه صلى الله
عليه وسلم وعهد اي وصى بقتل جماعة ممن كان يناويه ويولب عليه منهم قبل الفتح اي من قريش قبل فتح مكة
ويعده فقتلوا من عهد بقتله الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه مثل كعب بن زهير بن ابي سلمى
بضم السين وقد روى البزار بسند ضعيف عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى باعلا صوته يا معاشر
جمع معشر اي جماعات قريش هم من ولد النضر بن كنانة او ولد فهر بن مالك بن النضر سموا قريشا باسم دابة
في البحر تاكل حيوانه وقد قيل فيها • وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •
تاكل الغث والسمين ولا • تترك يوما لذي جناحين ريشا • وقيل سموا به لجمع قصي بن كلاب لهم بمكة بعد
تفرقهم في القبائل اذ القرش الجمع من تقرش المال اذا جمعه ما لي اقتل من بينكم صبرا هو في الاصل ان يوخذ ذوا
روح فيرمى حتى يموت ثم توسعوا فيه فكل من قتل لا خطا ولا في معركة فمقتول صبرا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم بكفرك وافترائك وكذبك على رسول الله صلى الله عليه وسلم اهانة له واحتقارا وذكر عبد الرزاق

في جامعه عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من جفاة الناس واجلافهم
فقال من يكفيني عدوي بقيامه مقامي في ازالة ما يهمني من شانه فقال الزبير انا فبارزه اي الزبير
او هو فقتله الزبير وروى ايضا في جامعه عن عروة عن رجل من القين ان امراة كانت تسبه اي النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي ويرحمني من سبها لي فخرج خالد بن الوليد فقتلها وروى ابن ابي
شيبة عن الشعبي ان رجلا من المسلمين اعمى كان ياوي الى امراة يهودية تطعمه وتسقيه وتحسن اليه ولا
تزال تؤذيه في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها في ليلة من الليالي خنقا فرفع ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره الرجل بانها كانت تؤذيه فيه صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فقتلها لذلك
فاهدر صلى الله عليه وسلم دمها وروى كما في جامع عبد الرزاق عن سعيد بن جبير ان رجلا كذب على
النبي صلى الله عليه وسلم ويقول عليه بعض الاقاويل فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه كذا روي مختصرا
وروى البيهقي عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارسلني وامرني ان تزوجوني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فارسل
عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية
فقتلته ثم رواه من وجه اخر موصولا عن عطاء بن السايب عن عبد الله بن الحارث وسمى الرجل الذي
كذب جد جد الجندعي وروى ابن قانع بقاف ونون بينهما الف ان رجلا قال يا رسول الله سمعت ابي
يقول فيك قولا قبيحا فقتلته جزاه الله عن دينه ومروته خيرا ولا شلت له يد فلم يشق ذلك اي قتله
اياه على النبي صلى الله عليه وسلم ولا كرهه كما رواه ابنا سعيد وعساكر وكان
اميرا باليمن نيابة لابي بكر ان امراة هناك اي باليمن في الردة اي في زمن ردة العرب في خلافته غنت
بسبه صلى الله عليه وسلم فقطع اي المهاجر يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت ذلك
من قطع يدها ونزع ثنيتها لامرتك بقتلها فاكتفى بفعله اذ وقع لان حد تنقيص الانبيا لمن ينقصهم
ليس يشبه الحدود المترتبة على اسبابها اذ هو القتل وقد مر له مزيد بيان وعن ابن عباس ولم اعلم
من رواه هجت امراة من خطمة بمعجمة فمهملة قبيلة من العرب النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها
اي من يكفينيها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله اكفيكها فعدى عليها فقتلها فقال اي النبي صلى الله
عليه وسلم لا ينتطح فيها عنزان اي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لان النطاح ليس من شان العنوز بل من
شان التيوس والكباش اي لا تجري فيها خلف ونزاع وروى ابو داود والحاكم وصححه والبيهقي في سننه
عن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد يوطيها اياها فراشا تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها منعا
لها وحثا على تركه سريعا فلا تنزجر ولا تنكف ولا ترعوي فلما كانت ذات ليلة جعلت اي طفقت واخذت
تقع فيه وتشتمه فقتلها بارك الله فيه ورحمه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بانه قتلها
فاهدر دمها اي ابطله فلم تدرك بثار وفي حديث ابي برزة الاسلمي فيما رواه ابو داود وصححه الحاكم
ورواه البيهقي في سننه قال كنت عند ابي بكر فغضب على رجل من المسلمين اغضبه عليه وحكى القاضي
اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد وغيره فيه اي في حديث ابي برزة انه اي الرجل سب ابا بكر
ورواه النساي عنه بلفظ اتيت ابا بكر وقد اغلظ الواو للحال من ابي بكر اي حال غلاظه لرجل في القول
فرد عليه اي الرجل على ابي بكر قال اي ابو برزة فقلت يا خليفة رسول الله دعني امر من تدع حذف حرف
المضارعة وسكن اخره ثم الحق نون الوقاية وياء المتكلم اي اتركني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك

اي قتله وغيره بغضب عليه الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاخوته الانبيا قال ابن نصر ولم يخالف عليه
اي على ما قاله ابو بكر احد فاستدل الايمة بهذا الحديث اي حديث ابي برزة على قتل من اغضب النبي صلى
الله عليه وسلم بكل ما اغضبه من قول او فعل مما لا يليق به او اذاه او سبه ومن ذلك اي ومن قول
ابي بكر ليس ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما افاده كتاب عمر بن عبد العزيز بن مروان الحكم
ابن ابي العاصي الى عامله بالكوفة وقد استشاره الواو للحال اي استرشده في قتل رجل سب عمر بن
الخطاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز انه لا يحل قتل امرء مسلم بسب احد بلا موجب له الا رجل سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي او غيره من الانبيا لانه خيرته من خلقه فمن سبه او غيره منهم
فقد حل دمه وسال هرون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد
الله بن عباس مالكا مما تقول في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر انه اي ذاكرا له او مقدرا
ان يذكر له ان فقها العراق افتوه اذ سالهم عنه اي اجابوه بجلده اي بضربه حدا للشتم فغضب
مالك وقال يا امير المومنين ما بقا الامة بعد نبيها اي لم ينتصروا له ويقدروه حق قدره
من شتم الانبيا قتل حدا وان تاب كما يقتضيه ظاهر اطلاقه ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه الرشيد
وسلم جلد جلد التعزير كذا وقع في هذه الحكاية ان فقها العراق افتوا بجلده رواها غير واحد من
اصحاب مناقب مالك ممن اعتنى بجمعها كابي نعيم ولا ادري من هولاء الفقها بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر من انه يجلد ولا يقتل وقد ذكرنا مذهب اهل العراق من قولهم بقتله فيما
تقدم ولعلهم اي من افتاه بجلده دون قتله ممن لا يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه ممن يتشبع بما ليس
له او ممن يميل به هواه حذف مفعوله المهوي اليه لتذهب النفس كل مذهب ممكن او يكون
ما قاله اي الرشيد يحمل على غير السب الموجب لقتله مما لا يؤدي الى قتل فيكون الخلاف جاريا فيه
هل هو سب فيقتل او غير سب فيجلد او يكون قد رجع وتاب عن سبه فلم يقتله اي الرشيد
لما لك على اصله اي على الوجه الذي ورد عليه لكن قوله او يكون قد رجع وتاب مؤذن بقبول
توبته ولو ذكره لما لك لم يقل بقتله وقد مر ما اذن بانه يقتل مطلقا وان تاب وقبلت توبته
لان حده القتل بشهادة قوله والا فالاجماع قد انعقد على قتل من سبه في الجملة كما قدمناه
وان كان منهم من قال فان تاب قبلت توبته ولا يقتل ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
اي الاستدلال بشي على شي والتامل ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم كغيره من
الانبيا فقد ظهرت علامة مرض قلبه وسوء اعتقاده وظهر برهان سريرته وكفره ولهذا
اي ولكون قتل من سبه او تنقصه بظهور علامة مرض قلبه وبرهان سريرته وكفره
ما حكم له كثير من العلما بالردة لعدم قطعهم بكفره وان حكم به ظاهرا وهي اي عدم الحكم بالردة
وانث الضمير نظرا الى ما بعده رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وهي ايضا قول الثوري
وابي حنيفة والكوفيين من عطف العام على بعض افراده والقول الاخر انه اي سبه وتنقصه صلى
الله عليه وسلم دليل على عدم الكفر فيقتل حدا على هذا القول لان حده القتل وان لم يحكم له بكفر الا
ان يكون متماديا ومستمرا على قوله غير منكر له ولا مطلع اي ولا معرض عنه ولا تارك له فهو
كافر فقتله كفرا وقوله الذي تمادى فيه اما صريح كفر كالتكذيب به صلى الله عليه وسلم فيما جاء
به عن ربه تعالى ونحوه كنسبة ابليس ربه تعالى الى الجور اذ امره بالسجود لادم زاعما انه خير من

آدم فامره تعالى له بالسجود له في زعمه جور لكونه امرا بالسجود لمن هو دونه انتهى ادلته قال اي ابليس
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين بل بغير صريح كفر بل هو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه
بها اي بكلمات الاستهزاء وتركه توبته وعدم اعراضه عنها دليل استحلاله لذلك اي الاستهزاء والذم وهو
كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال تعالى في مثله اي مثل هذا المعترف بكلمات الاستهزاء والذم يحلفون
اي المنافقون كالجلاس بن سويد بالله ما قالوا استهزاء لئن كان قول محمد لمن تخلف منا عن غزوة تبوك
ونحن اشرافنا حقا انه سيفتح قصور الشام وحصونه فنحن شر من الحمير ولقد قالوا كلمة الكفر
استهزاء به انه سيفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر
بعد اظهار اسلامهم وقال اهل التفسير هي اي كلمة الكفر قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن
شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفه بالله ما قال فنزلت فتاب وحسنت توبته وقيل هي
قول بعضهم هو علم النفاق ورأسه عبد الله بن ابي بن سلول اذ لقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بني المصطلق بالمريسيع ما لم يهزمهم وقتل منهم وازدحم جهجاه بن سعد اجير عمر بن الخطاب
وسنان حليف بن ابي واقتتلا فصاح جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فوقعا ان جهجاها
جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال ابن ابي لجعال وانت هناك اي انت في تلك المنزلة بحيث
تلطم حليفي ثم قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك يأكلك مثل
يضرب لمن يحسن الى احد فيسيء اليه وليس هذا محله ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز يريد
نفسه منها الاذل يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم
بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم
ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن ارقم
فقال له انت والله الذليل المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن وقوة من اصحابه فقال له ابن
ابي انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب
عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر
انصاريا قال فكيف اذن يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن ابي
انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان
زيدا لكاذب فقال من حضر شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه قول غلام عسى ان يكون قد وهم فلما
نزلت تكذيبا لابن ابي لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فعرك اذنه وقال له وفت اذنك
يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافق ولما اراد ان يدخل المدينة قال له ابنه وكان مؤمنا
مخلصا وراءك يا منافق والله لا تدخلها حتى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاعز وانا
الاذل فلم يزل به حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خله يدخل وقيل له لئن لم تقر لله ولرسوله
بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا
وقيل ان قائل مثل هذا اي مثل قول ابن ابي ان كان مستترا به حكمه حكم الزنديق يقتل لاخفائه الكفر
واظهاره الايمان كهو تقية ولانه قد غير بمثل قوله ذلك دينه فصار كالمرتد وقد قال صلى الله عليه

وسلم

وسلم من غير دينه اي الاسلام بانتقاله الى باطل وكذا من باطل الى مثله فاضربوا عنقه ان لم يعد الى
دين الاسلام ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم مزية على امته تؤذن بعظيم قدره وسيادته ورفعة
محله وساب الحر من امته يحد حدا او تعزيرا فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل لانه
حده وان تاب سابه عند البعض وقبلت توبته لعظم قدره وتجاوزه حدا لا يدرك شأوه وشفوف
اي زيادة منزلته على غيرها من الشف وهو الزيادة وفي حديث الربا ولا تشفوا احدهما على الاخر اي
اذا كانا من جنس واحد وقد يطلق على النقصان فهو من الاضداد يقال شف الدرهم اذا زاد او نقص
واشفه غيره يشفه **فصل** فان قلت خطاب لكل من يتأتى توجيهه اليه فلم هي لام الاضافة دخلت
على ما الاستفهامية كغيرها من حروف الجر عليها مثل بم وفيم وعم والام وعلام حذفت الفها لكثرة
الاستعمال لم يعاقب النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له داعيا عليه بالموت السام اي الموت
عليكم كما رواه البخاري وغيره ولقد فطنت عائشة اذ كانت اليهود يمرون به فيقولون له السام عليك
يا ابا القاسم فقالت عليكم السام والذام واللعنة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب
فقولوا يعني الذي يقولونه لكم ردوه عليهم قال الخطابي عامة المحدثين يروون وعليكم بواو العطف
وكان ابن عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب لانه بدونه يرد ما قالوه عليهم خاصة واثباتها يؤذن
بالاشتراك معهم فيه لانها لمطلق الجمع وهذا دعاء عليه مفصح بايذائه صلى الله عليه وسلم فدته نفسي
وابي وامي ولا قتل الاخر وهو ذو الخويصرة حرقوص بمهملتين اوله واخره الذي قال له كما رواه البخاري
في قسمة قسمها ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله افتراء منه عليه صلى الله عليه وسلم قد ضل وما
كان من المهتدين وقد تأذى صلى الله عليه وسلم من ذلك اي مما قاله ذو الخويصرة له وقال لقد
اوذي موسى صلى الله عليه وسلم باكثر من هذا فصبر على ما آذاه به بنو اسرائيل كحمل قارون المومسة
بالرشوة على قذفه بنفسه واتهامهم له بقتل اخيه هرون اذ ذهب معه الى الطور فمات هناك
فحملته الملائكة فمرت به عليهم فعرفوا انه لم يقتله وبعيب في جسده من برص وادرة فبرأه الله مما قالوا
وكان عند الله وجيها ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان ظرف لايذائه متعلق
بيؤذونه فاعلم وفقنا الله واياك اعتراض دعائي بين اعلم وبين ما سد مسد مفعوليه اعني ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام اي في ابتدائه يتألف الناس ممن كان حديث عهد باسلام اي يستميلهم
ويداريهم بما يتصل منه اليهم من مال وغيره ليثبتوا على الاسلام هذا وان كان مقبولا فلم يكن اول الاسلام
بل كان بالمدينة بعد الهجرة فلو قال كان اول الهجرة لربما قيل ويميل قلوبهم اي يلفتها ويجذبها اليه بحسن
بيانه وطيب كلامه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم اي يحسنه ويرغبهم فيه ويداريهم ثم لاطفة
لهم ورفقا بهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين اي مسهلين مسامحين بلا تعسير وتشديد ولم
تبعثوا معسرين للناس عن الاسلام وغيره بما يحملهم على النفور من غلظة وشدة وفظاظة ويقول يسروا
ولا تعسروا اي سهلوا ولا تشددوا وسكنوا ولا تنفروا اي قربوا الناس على ما هم عليه من هدى وحسن
جمال وسمت صالح ويقول كما مر في قصة علم النفاق لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان اي النبي
صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين اي يحسن صحبتهم ويستميلهم حذرا من ان ينفروا عنه وفي
الحديث رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس ويجمل صحبتهم اي يحسنها قولا وفعلا بخلق جميل ويغضي
عنهم كناية عن ترك مؤاخذتهم بما يصدر منهم من غض طرفه اذا ارخاه مطرقا ولم يفتح عينه وعن ام سلمة

جادبات النساغض الاطراف ويحتمل من اذاهم من زايدة او تبعيضية ويصبر علي جفاهم من غلظة وسوء
صنيع مالا يجوز لنا اليوم الصبر منا لهم عليه لانا مامورون بعدم اكرامهم وزجرهم عن تظاهرهم
بفعل مالا يليق وكان يرفقهم ويوصلهم بالعطا والاحسان اليهم تفاديا من نفرتهم عنه وكذلك اي
ما ذكر من مداراته لهم وغيرها امر الله فقال ولا تزال تطلع علي خائنة تقصد رعنهم مما هو دابهم
وديدنهم اقتدا باسلافهم اذ كانوا يخونون الرسل وهولا يخونونك بنكثهم عهودك وهمهم بالفتك بك
اي علي خيانة منهم او علي فعلة ذات خيانة او علي نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كرجل راوية
للمبالغة وقري علي خيانة منهم الا قليلا وهم من امن منهم فاعف عنهم واصفح حث له علي مخالفتهم بخلق حسن
وقيل عن مومنيهم ولا تواخذهم بما سلف منهم وقال ادفع اي السيئة التي وردت عليك منهم عداوة
وحسدا بالحسنة التي هي احسن من اختها فاذا اعترضتك حسنتان فالحسنة هي ان تعفو عنه والتي
هي احسن ان تحسن اليه باسانه الليث كان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتنقذ ولده فاذا دفعت
سيئته الذي بينك وبينه عداوة بحسنتك التي هي احسن من اختها البالغة في الدفع كانه ولي حميم
مصاف بغاية الصفا وذلك اي ما امره الله به مما يتالف به ويميل به القلوب اليه لحاجة الناس
للتالف اول الاسلام واوايل الهجرة والى جمع الكلمة عليه وانحصارها فيه صلى الله عليه وسلم لانه
مورد الهدي ومصدره فلما استقر به صلى الله عليه وسلم دين الحق واظهره الله علي الدين كله قتل من
ناواه ونارزه والب عليه عداه ممن قدر عليه واشتهر امره عداوة كفعله صلى الله عليه وسلم بابن خطل
اذ قيل له يوم فتح مكة انه متعلق باستار الكعبة فقال اقتلوه وقتل من عهد اي اوصى بقتله يوم الفتح
اي فتح مكة وقتل من امكنه قتله غيلة بكسر المعجمة اي خفية من الاغتيال وهو ان يخدع ثم بموضع لا يراه
احد وقد ورد ان عمر قتل بصبي قتل غيلة سبعة من يهود كابن ابي الحقيق وابن الاشرف وغيرهم اي
غير يهود وقتل من امكنه قتله غلبة منه صلى الله عليه وسلم عليه كابي عزة الجمحي كما مر ممن لم يستطعه
قبل اي قبل قتله سلك صحبته صلى الله عليه وسلم ممن كان يوذيه ويولب عليه كابن الاشرف وابي
رافع والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط هذا وفي ذكره ابن الاشرف هنا مع من قتله غلبة نظر وانما
قتل غيلة كما مر وكذلك نذر بمهملة اي اسقط فاهدر دم جماعة سواهم اي غير من ذكر مثل كعب بن
زهير وابن الزبعري بزاي مكسورة وبا مفتوحة وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم اي اقبضوها
من او صلهم اليه صلى الله عليه وسلم ولقوه مسلمين فعفي عنهم واولاهم معروفه وبواطن المنافقين كانت
عنه مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم انما كان علي الظاهر تشريعا للامة وللحكام بعده اذ لا اطلاع
لهم علي البواطن هذا ولقد كان يعرف ما في ضمايرهم وانما لم يتعرض لهم حذرا من تحدث الناس كما قال
صلى الله عليه وسلم ان محمدا يقتل اصحابه اي في الظاهر والا فليسوا في الحقيقة باصحاب له واكثر تلك
الكلمات التي كانت تصدر عنهم مما كان يوذيه صلى الله عليه وسلم انما كان يقولها القايل منهم خفية وكان
يقولها مع امثاله من المنافقين ويحلفون عليها اذا نميت عنهم ببنائه للمفعول من النمي اعني الرفع والتبليغ
ثم ان كان علي وجه الاصلاح وطلب الخير خففت او علي وجه الافساد والنميمة شددت كذا عن ابي عبيد وابن
قتيبة وغيرهما وقال الحزبي اكثر المحققين يرونه مخففا وينكرونها اذا قيل لهم قلتم كذا ويحلفون بالله
ما قالوا كما مر عن ابن ابي وابن سويد وغيرهما في غزوة بني المصطلق بالمريسيع ولقد قالوا كلمة الكفر
استهزا به في اخباره اصحابه انه سيفتح قصور الشام وحصونها كما مر وكان اي النبي صلى الله عليه وسلم

مع هذا اي قولهم كلمة الكفر يطمع في فيئتهم ورجوعهم تفسير لما قبله اذ الفي في الاصل الرجوع الي الاسلام
وكان صلى الله عليه وسلم يطمع في توبتهم من نفاقهم فيصبر علي هناتهم اي شدائد شرورهم وعظائم نسا دهم
واحدها هنت وتجمع ايضا علي هنوات ويصبر ايضا علي جفوتهم اي غلظة طبعهم وفحش قولهم كما صبر اولوا
العزم من الرسل اي الجد والثبات والصبر ومن ان كانت تبعيضية فهم كما مر بعض الرسل ثم قيل هم نوح
صبر علي اذي قومه وابراهيم صبر علي النار وذبح ولده واسمعيل او اسحق علي الذبح ويعقوب علي فقد
ولده يوسف ويوسف علي الجب والسجن وايوب علي الضر وموسى علي اذي فرعون وقومه وداود علي بكائه
علي خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة علي لبنة وان كانت بيانية فكلهم اولوا عزم حتى فا اي رجع
كثير منهم باطنا بعد نفاقه كما فا اولا حال نفاقه ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا للمواطاة ظاهره
باطنه اخلاصا ونفع الله بعد اي بعد اخلاصهم بكثير منهم واخلص وقام للدين وزرا كالجلاس بن سويد
واعوان وحماة وانصار يوازرونه اي يقوونه ويعاضدون اصحابه في حمايته كما جاءت به الاخبار وبهذا
وبما ورد بتركه صلى الله عليه وسلم قتل المنافقين من استتار بواطنهم وحكمه انما كان علي الظاهر كما مر
اجاب بعض ايمتنا عن هذا السوال اول الفصل وقال لعله صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنده من
اقوالهم ما رفع اليه وانما ورد بطريق الاحاد نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة كزيد بن ارقم
ناقل قصة ابن ابي صغيرا في هذا الباب اي باب ما يوجب قتل من سب نبيا من الانبيا من صبي او عبد
او امراة ممن لا يقبل شهادته في سفك دم والدما لا تستباح الا بعدلين هذا وان تعجب فعجب رضي
المصنف بعموم هذا الجواب ناقلا له عن بعض ايمته المالكية مع نزول القران بتكذيب قول من حلف
انه لم يقل وقد قال كابن ابي وابن سويد كما مر في قصتهما لكن ابن ابي سويد تاب بعد ذلك واخلص
دينه لله وعلى هذا اي علي جواب بعض ايمته يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا اي فتلوا بالسلام
السنتهم ولم يبينوه فوضعوا ما اضمروه من الدعا عليه بالسام بما يوذيه موضع ما اظهروه من السلام
لامة منهم ووقاحة ونفاقا الا ترى كيف نبهت عليه عائشة اذ فطنت له النبي صلى الله عليه وسلم
بقولها السام واللعنة وفي رواية واللعنة تحسيسا بهم فقال مهلا يا عائشة الم تسمعي ما اقول لهم
وعليكم اي ردوا الذي يقولونه لكم عليهم قال الخطابي عامة المحدثين يروونه وعليكم بواو العطف
وكان ابن عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب كما مر لان حذفها يوذن بان ما قالوه مردود
بعينه عليهم خاصة واثباتها بالتشريك معهم فيما قالوه ولو كان اي اليهودي الذي قال للنبي صلى
الله عليه وسلم السام عليكم صرح بذلك لم تنفرد اي عائشة بعلمه دونه صلى الله عليه وسلم ولهذا
اي ولكونه لم يصرح بالسام مضمرا له خبثا ولامة نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه علي فعلهم القبيح
وقلة بل عدم صدقهم في سلامهم وخيانتهم الشنيعة ووقاحتهم الفظيعة تركا للكرامة وروغا عن
البلا الجميل بما اظهروه من ابهامه السلام الي ما اظهروه من دعائهم عليه بالسلام لوما وطعنا في الدين
اعراضا وتكذيبا فيه فقال ان اليهود اذا سلم احدهم انما يقول السام اي الموت عليكم فقولوا عليكم اي بدون
واو العطف الموذنة بالتشريك الموافق تركها لرواية ابن عيينة التي صوبها الخطابي فيما مر ردوا الدعا
بعينه عليهم حذرا مما توذن به واو العطف من التشارك فيه وكذلك اي مثل ما اجاب به ذلك البعض
قال بعض اصحابنا من المالكية البغداديين كالقاضي عبد الوهاب وابن خويز منداد وابن الجلاب
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه اي مع علمه بنفاقهم باطلاع الله له عليه فيهم ولم يات

احد من رواة الاخبار ونقله الاثار انه قامت بينه علي نفاقهم فلذلك مما ذكرتكم ولم يقتلهم وكفاك
بينة عليه ما وردت به سورتا المنافقين وبراه من البحث عن اسرارهم واظهار نفاقهم وبثه تفضيحا
لهم وتوبيخا وتبكيتا وتنكيلا وخزيا ومدمة عليهم وتسجيلا وايضا كان اي نفاقهم سرا وباطنا سمع به
مع حسنه ما حكاه عن بعض ايمته واصحابه البغدادين جوابا عن ترك قتلهم مما لا يجدي نفعا لاظهار
سورتي براه والمنافقين له صلي الله عليه وسلم ما كانوا يسرونه من نفاقهم وظاهرهم الاسلام والايمان
مما شرعا بمعني واحد اذ لا يعقل مسلم غير مؤمن ولا مؤمن غير مسلم وان كانوا من اهل الذمة اي الذمام
والحفاظ بالعهد والجوار اي الامان من اجاره يجيره اذا امنه والناس قريب عهدهم بالاسلام لم
يتميز بعد اي بعد كونهم قريبي عهدهم به الخبيث منهم من الطيب وقد شاع اي فشا وذاع وملا الاسماع
عن المذكورين من باض وفرخ في ضمايرهم النفاق في العرب كون من يوصفهم بالنفاق من جملة المومنين
باظهارهم الاسلام ظاهرا تقيه ومن جملة اصحاب سيد المرسلين المفاد من عموم حديث البخاري انا
سيد الاولين والاخرين ومن جملة انصاره الذين يحكم ظاهرهم انهم مؤمنون وهذا هو الحامل له صلي
الله عليه وسلم علي ترك قتلهم ومن ثم قال لعمر اذ قال له دعني اضرب عنق هذا المنافق لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه فلو قتلهم لنفاقهم وهما يبدو اي يظهر للناس منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
من النفاق لوجد المنفر جواب لو ما يقول مما يتوصل به الي تركه الدخول في الاسلام ولارتاب الشارد
من شرد البعير يشرد شرودا وشرادا اذا انفرد وذهب في الارض وفي الحديث لتدخلن الجنة
اجمعون الا من شرد علي الله اي الخارج عن طاعته وفارق الجماعة وارجف المعاند اي الحايد عن القصد
الراد للحق مع العلم به ببغيه وتقوله الاقاويل الكاذبة المنفره وارتاع اي خاف من صحبة النبي
صلي الله عليه وسلم وارتاع ايضا من الدخول في الاسلام غير واحد ممن ضعف يقينه ولم سقم
عقده وجنينه وجهل ان من دخله مخلصا كان لهم الامن وهم مهتدون ولزعم الزاعم وظن العدو
الظالم ان القتل للمنافقين انما كان للعداوة بينه صلي الله عليه وسلم وبينهم وطلب اخذ الترة
بكسر المثناة فوق اي التبعة والنقص وقد رايت ما حررته من ان امرهم كان سرا وباطنا والله
صلي الله عليه وسلم انما كان يحكم بالظاهر وكان ظاهرهم الاسلام وشاع انهم من جملة المؤمنين
منسوبا لمالك بن انس الامام وبه رد ناصر السنة الشافعي علي من زعم ان من حلف انه لا يلبس
من غزل فلانة فنسجته وباعته منسوجا ثم اشترت بثمنه طعاما فاكل منه انه يحنث لنبوه عن
مبني احكامه صلي الله عليه وسلم الذي هو الظاهر دون الباطن تشريعا للحكام بعده لعدم
اطلاعهم علي البواطن ولهذا اي ولظهور كونهم من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين قال صلي
الله عليه وسلم كما مر لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال صلي الله عليه وسلم في حقهم ولا ادري
من رواه اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا اي عدم اجرا احكامه عليهم من حيث بواطنهم خلاف
اجرا الاحكام الظاهرة عليهم من بيانه لما بعدها مثل حدود الزنا جلدا ورجما والقتل قودا وحدا
وشبهة كحد السرقة والقذف وشرب الخمر لظهورها واستوا الناس فيها علما ومعرفة باغلب من
الاحكام الشرعية الواجبة وقال ابن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلي الله عليه وسلم
هذا وكفاك بيانا ان الله اطلعه اطهارا بل انما لم يقتلهم لظهور كونهم متسمين بالايمان واصحابه صلي الله عليه
وسلم ومن ثم جعل علة تركه قتلهم تحدث الناس انه يقتل اصحابه وقال ابن الصفار قال قتادة في

تفسير قوله لئن لم ينته المنافقون جمع منافق من النفاق وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بمعناه الشرعي
وهو اخفا الكفر واظهار الايمان وان كان اصله لغة معروفا عندهم ماخوذ من نافقا اليربوع احد
بابي جحره اذ طلب من احدهما خرج هاربا من الاخر فيقال نافق اليربوع وقيل ماخوذ من النفق اي
السرب يستتر فيه لستره كفره والذين في قلوبهم مرض لضعف ايمانهم وقلة ثباتهم عليه والمرجفون
في المدينة باخبار سو مفتريات بين ايديهم وارجافهم عن سراياه صلي الله عليه وسلم يقولون هزموا
قتلوا جري عليهم كذا يؤذون به المؤمنين من الرجفة وهي الزلزلة يقال ارجف بكذا اذا اخبر به علي
غير حقيقته لتزلزله بعدم ثبوته اي لئن لم ينتهوا عن عداوتهم وكيدهم عما يفترونه من الاخبار
لنغرينك اي لنامرنك ان توقع بهم انكالا تجعلهم عبرة لغيرهم ثم لا يجاورونك عطف علي
لنغرينك جوابا ثانيا للقسم ومن ثم لم يعطف عليه بالفا لعدم تسببه عنه اي بان نضطرهم
الي الجلا عن المدينة والي حيث لا يساكنونك فيها الا زمنا قليلا ريثما يلتقطون انفسهم وعيالهم
ثم يرتحلون وانما عطف هذا الجواب علي الاول بثم لان الجلا عن الاوطان كان عليهم اعظم واقطع
من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حالهم معطوفة ملعونين نصب علي الشتم او الحال اي لا يجاورونك
الا مبعدين عن رحمة الله مطرودين فدخل حرف الاستثنا علي الظرف والحال معا كما في لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الي طعام غير ناظرين اناه اي لا تدخلوها الا غير ناظرين دراكه اوونته
اينما ثقفوا اي يظفر بهم ويتمكن منهم اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في موضع مصدر مؤكد
اي سن الله في الذين خلوا من قبل ممن كان قبلكم ينافق الانبيا ان يقتلوا اينما وجدوا وظفر بهم
ولن تجد لسنة الله تبديلا بل هي جارية علي سنن واحد في جميع الامم قال اي قتادة معناه اذا
اظهروا النفاق وقد ظهر من بعضهم كما مر ثم من تاب وحكي ابن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم
من فقها التابعين بالمدينه ان قوله تعالي يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة
واغلظ عليهم جميعا فيما تجاهدهم به من قتال ومحاجة وعن الحسن وقتادة وجاهد المنافقين باقامة
الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشا اسرارهم نسخت ما كان قبلها مما اذن بمسالمتهم
وعدم التعرض لهم وقال بعض مشايخنا من فقها المالكية او متكلمي الاشعرية لعل ذا الخويصرة حرقوص
القايل لرسول الله صلي الله عليه وسلم وقد قسم قسمة هذه قسمة ما اريد بها وجه الله بل هي كانت
جارية علي قانون العدل في منهاج الشريعه ولعل قوله له قبل ذلك اعدل لم يفهم منه الطعن عليه
في قسمته ولا التهمة له فيها وانما فهم منه انه راها برايه الفاسد انها صدرت منه صلي الله عليه
وسلم من وجه الغلط في الراي وحاشاه من ذلك في امور الدنيا والاجتهاد لعصمته في جميع حالاته وفي
مصالح اهلها اي اهل الدنيا فلذا لم يعاقبه هذا وانما ترك عقابه حذرا من قالة الناس ان محمدا يقتل
اصحابه ولقوله في اخر الحديث يخرج من ضيضي هذا قوم يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون
من الدين الحديث وكذلك اي وكما قيل في حرقوص من الاعتذار يقال في اليهود اذ قالوا له صلي الله عليه
وسلم منظوين السلام عليه السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعا الا بما لا بد منه لكل مخلوق من
الموت وقيل اعتذار عن اليهود ايضا في قولهم له السام عليكم المراد به تسامون دينكم اي تملونه
وتضجرون منه والسام والسامه الملل والضجر والتبرم من سيم مهموزا والرواية بلا همز
لاختلاف صيغتهما واوا وهمزا وهذا علي زعم هذا القايل ان السام مهموزا بمعني الضجر والملل دعا علي

شاتمه الدين ليس بصريح سب له صلى الله عليه وسلم ولهذا اي ولكونه ليس بصريح سب ترجم البخاري على
هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره ولم يصرح بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اي قول اليهود
السام عليكم ليس بتعريض بالسب له صلى الله عليه وسلم وانما هو تعريض بالاذى ولا يعزب عنك
ان هذا بخلاف ما قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه سوا فيقتل من اجترا بواحد منهما عليه صلى
الله عليه وسلم وقال ابن نصير مجيبا عن هذا الحديث اي حديث السام عليكم ببعض ما تقدم مما
اذن بعدم التسوية بين السب والاذى في حقه صلى الله عليه وسلم ثم قال اي ابن نصير ولم يذكر
في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل الذمة فينتقض عهده ويبلغ مأمنه او الحرب فيهدر
دمه ولا يترك موجب الادلة من القتل بسبب او شتم للامر المحتمل لواحد منهما والاولى في ذلك كله
مما ذكر توجيها لتركه صلى الله عليه وسلم قتلهم والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف لهم كغيرهم
على الدين لعلهم يذعنون له و يؤمنون به وكذلك اي ولكون المراد الائتلاف والمداراة على الدين
ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف اصحاب ذي الخويصرة
والاستيناس ليثبتوا على الاسلام ولئلا ينفر الناس عنه صلى الله عليه وسلم ولما ذكرنا بمعناه
عن مالك فيما مر وقررناه قبل اي قبل ما ذكره بمعناه عن مالك وقد صبر صلى الله عليه وسلم
على سحره من لبيد بن الاعصم اليهودي وعلى سمه من المراة بشاة بخيبر وهو اعظم من سبه
اذ قد صار به الى حيث انه كان يخيل له انه فعل الشيء وما فعله الى ان نصره الله عليهم غاية
لصبره على ما اوذي به من سحره وغيره واذن له في قتل من حينه بمهملة فيا تحتيه مشددة اي
عين قتله في حين معلوم وانزالهم من صياصيهم اي حصونهم وكلما يتحصن به فهو صيصه وكتب في
من شاء منهم الجلاء من ارضها الى حيث شا تطهيرا الارض المدينة منهم وراحة للمسلمين من جوارهم كتب
عليهم اخراجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين بالنقض والهدم لما اراد الله من
استيصال شافتهم وان لا يبقى بالمدينة من دورهم دار ولا منهم ديار وكاشفهم اي ابرز لهم ما
جهلوه من مواجهتهم به بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير قال تعالى وجعل منهم القردة
والخنازير فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ في طوايفهم وحكم فيهم سيوف المسلمين فاجتاحوهم قتلا
قتلا غيلة وصبرا واجلاهم اي اخرجهم من جوارهم اراحة لهم منهم فان قلت فقد جاء في الحديث
الصحيح من رواية البخاري وغيره عن عائشة ما انتقم اي النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه في
شيء يؤتى اليه ويواجه به ولم يعاقب احدا على مكروه قط الا ان ينتهك حرمة الله مبالغة
في خرق حرمة الشرع ومخالفته فينتقم الله حتى يتعدى حدوده فاعلم ان هذا اي ما افاده
الحديث من تركه صلى الله عليه وسلم الانتقام لنفسه لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او
كذبه فان هذه المذكورات من حرمات الله التي انتقم لها الله ممن صدرت منه في حقه صلى
الله عليه وسلم كابي عزة الجمحي وابي رافع وكعب بن الاشرف وانما يكون ما ينتقم له فيما
تعلق بسوء ادب من اعرابي جاف او معاملة من احد من القول والفعل بالنفس والمال له
مما لم يقصد واعليه به اذاه لكن صدر على وجه الغلط والجفاقة والجلافة مما جبلت عليه
الاعراب من الجفا والجهل او مما جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ بجيم فبا موحده فذال معجمة
الاعرابي رداه حتى اثر في عنقه وقال كما رواه البخاري مر لي من مال الله الذي عندك

وكرع

وكرفع صوت الاعرابي الاخر عنده وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وكجحد الاعرابي كما
رواه البخاري شراه اي شرا النبي صلى الله عليه وسلم منه فرسه التي شهد فيه خزيمة انه
اشتراها منه فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين وكما كان من تظاهر زوجتيه
عائشة وحفصة او غيرهما كما مر بيانه واشباه هذا الذي ذكره مما يحسن الصفح عنه او
يكون هذا مما اذاه به كافر رجا صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اي بعد اذائه بما ذكر اسلامه
كعفوه عن ابن سعنه فاسلم كما مر وعن اليهودي الذي سحره يعني لبيد بن الاعصم وعن
الاعرابي الذي اراد قتله يعني غورث بن الحارث وعن اليهودية التي سمته في شاة بخيبر
وقيل قتلها ببشر بن البرا ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب من اليهود والنصارى
والمنافقين ممن جاوره بالمدينة وغيرهم فصفح عنهم لانه صلى الله عليه وسلم كان اهل
العفو واهل المغفرة رجا استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم من العرب

فصل

تقدم الكلام مرارا كثيرة مما يسيم النفس تكراره في قتل القاصد لسبه والازدرا به وغمصه
بمعجمه ومهمله بينهما ميم واصله ازترى قلبت تاؤه دالا الجا ودهما الزاي اي احتقره وعابه
باي وجه كان هي من ممكن وجوده او محال ممتنع وجوده فهذا وجه لا اشكال فيه ولا توقف في
قتل متعاطيه الوجه الثاني لاحق به في كونه مثله او قريبا منه في البيان والجلا وهو
ان يكون القايل لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والازدرا انتقاما
واستخفافا به ولا معتقدا له ولكنه تكلم به في جهته اي النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة
الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه صلى الله عليه وسلم في شي مما جا به من الدين او اضافة
ما لا يجوز عليه او اليه او نفي ما يجب له غنه مما هو في حقه نقيصة مثل ان ينسب اليه
اتيان كبيرة وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك كله او مداهنة ومحاباة تساهلا في تبليغ
الرسالة او حكم بين الناس او نقص من مرتبته او من شرف نسبه او من وفور علمه
وغزارته وكثرته او من زهده وتقلله وتجافيه عن مضاجع الغرور او بكذبه بما اشتهر به
من امور اخبر بها وتواتر اي تواصل الخبر بها عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عنه عن قصد
لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح الكلام ونوع من السب في جهته اي النبي صلى الله
عليه وسلم وان ظهر بدليل حاله اي حال الاتي بسفه او غيره مما ذكر انه لم يتعمد ذمه ولم
يقصد سبه صلى الله عليه وسلم اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر وسامه تبرما او
سكر ولو طافحا لتعديه او قلة مراقبة وقلة ضبط للسانه وتحرفه اي مجازفه في كلامه
بلا تامل وتروو وتهور في كلامه لا يجدي نفعا فحكم هذا الوجه اي الثاني حكم الوجه الاول
وهو القتل دون تلعثم اي بلا توقف اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
اي خطابه ولا بشي مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته اي في ابتدا جبلته وطبعه سليما
من آفات الكفر والمعاصي مستمرا على لزوم مقتضاها من الطاعات الا من اكره على الكفر وقلبه
مطمئن بالايمان لم يواخذ بما اكره عليه وهذا اي بما افاده الوجه الثاني من ان من تكلم في حقه
صلى الله عليه وسلم بما ذكر فجزاؤه القتل افتى الاندلسيون اي علما الاندلس من اصحاب مالك
على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان اغناه عما اورثه القتل

في الدنيا والخزي في الآخرة وقال ابن سحنون في المأسور بأيدي الكفار يسب النبي صلى الله عليه
وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه لتجرئه على شريف جنابه الكريم
فلا يقتل إذ لا مؤاخذة لمكره بما أكره عليه لشهادة حديث رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
وما استكرهوا عليه وعن ابن أبي زيد لا يعذر بدعوى من تكلم بما لا يليق بشريف جنابه
زلل في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره أي
تعديا يقتل لأنه يظن به أنه يعتقده ويظن به أنه كان يفعله في صحوه وأيضا فإنه
أي قتله بشتمه صلى الله عليه وسلم يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود الفادله
من الحلال والحرام المانعة من قربان الحرام كالزنا والمترتب عليها كالرجم لأنه أدخله على نفسه
باجترائه عليه صلى الله عليه وسلم بما لا يليق به لأن من شرب الخمر على علم الظرفية مجازية
استعار لها على تشبيهها لتمكنه من العلم بتمكن راكب بمركوبه حال من ضمير شرب أي عالما
وزال عقله بها وإتيان ما ينكر من حيث هو منكر صادر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه القتل وناشئا عنه وعلى هذا أي القول ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
إذا طلق وأعتق وقتل حال سكره وألزمناه الحدود أي وأخذناه بها إذا صدرت منه مع ما
يترتب عليها كالجلد بالقذف والقطع بالسرقة والرجم بالزنا ولا يعترض على هذا أي بما ذكر
من أن من سكر يؤاخذ حال سكره متعديا بحديث حمزة بن عبد المطلب الذي رواه البخاري
ومسلم عن علي أن حمزة قبل أن تحرم الخمر كان في شرب وبفناء الدار شارفان لعلي أراد أن يأتي
عليهما بإذخر يبيعه ليستعين بثمنه على تزوج فاطمة وعندهم جارية تغنيهم فقالت
ألا يا حمز للشرف النواء فخرج إليهما فبقر خواصرهما وجب أسنمتهما فأخبر علي النبي
صلى الله عليه وسلم فجاء فلما رآه حمزة صعد نظره إليه وخاطبه ثملا بما لا يليق مثل قوله له
صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي فعرف صلى الله عليه وسلم أنه ثمل أي سكران
فانصرف ولم يؤاخذه بما صدر منه لأن الخمر حينئذ غير محرمة بل كان هذا سببا لتحريمها
فلم يكن في جناياته إثم وكان حكم ما يحدث عنها من سكر من شربها معفوا عنه كما يحدث
من النوم وشرب الدواء المأمون العاقبة وأما ضمان الشارفين فمن خطاب الوضع فلا فرق
بينه وبين النائم في ضمان ما أتلفاه ولعله إذ ذاك لم يكن شرع يعلق الضمان بإتلافهما أو
سومح أو غرم بعد ذلك فصل الوجه الثالث أن يقصد أحد من الناس إلى تكذيبه
فيما أوحي إليه وأمر بتبليغه أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده بأنه لم يوجد في زمن من
الأزمنة أو يكفر به سواء انتقل بقوله ذلك الذي يصير به صلى الله عليه وسلم إلى دين آخر
غير ملته أم لا فهذا كافر بالإجماع يجب قتله ثم ينظر بعد الحكم بكفره فإن كان مصرحا بذلك
الذي كفر به كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته هل يستتاب أم لا على ما مر
وعلى القول الآخر باستتابته لا يسقط القتل توبته لأن حده بسبب نبي من الأنبياء عند بعضهم
كأبي بكر الفارسي منا القتل وإن تاب وقبل قضاء لحق النبي إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله
هذا المنتقص من كذب وغيره إن كان مستترا أي ذا سرور بذلك المستتر به فحكمه
حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا معشر المالكية كما سنبينه إن شاء الله تعالى

قال

قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد فلم يستقم على إيمانه ولم يمتثل أمره ونهيه فقد
كذب به فهو مرتد برجوعه عن دينه الحق حلال الدم إلا أن يرجع عن براءته منه وتكذيبه به
وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل إلى الناس كافة أو لم ينزل
عليه قرآن كريم وفرقان قديم وإنما هو شيء تقوله تلفيقا وعزاه إلى ربه وحاشاه من ذلك
فلقد والله جاء بها بيضاء نقية لم يشبها شك فأدى الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق
جهاده ثم قال ذلك يقتل لارتكابه ما أذن بتكذيبه له صلى الله عليه وسلم قال أي ابن
القاسم ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جحد إرساله ونبوته وما جاء به
وأنكره أي أنكر كونه من المسلمين فهو بمنزلة المرتد يقتل إن لم يتب وكذلك من أعلن
بتكذيبه أي أظهره جهرا أنه كالمرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل وكذلك قال أي ابن
القاسم فيمن تنبأ أي زعم أنه نبي وزعم أنه يوحى إليه أنه كالمرتد في استتابته قاله
سحنون بفتح أوله وقد يكسر فعلون فعله من السحنة وهي بشرة الوجه وهيئته وحاله
قال ابن القاسم سواء دعا إلى ذلك أي إلى أنه نبي يوحى إليه سرا أو جهرا فإنه يكون كالمرتد
قال أصبغ بن الفرج وهو أي من زعم أنه نبي يوحى إليه كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله لإخباره ك
بأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مع الفرية أي الكذب على الله إذ ما يفتري الكذب إلا
الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال أشهب في يهودي تنبأ أي زعم أنه نبي أو زعم أنه أرسل
إلى الناس فقد والله خاب وخسر أو قال بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن كان معلنا
بذلك أي مظهرا له فإن تاب قبلت توبته وإلا يتب قتل وذلك أي وقتله إنما يعتبر لأنه مكذب ب
بما افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله فيما رواه الثقات لا نبي بعدي أي لا ينبأ بعده
أحد فلا يرد عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم لإخباره بمكثه في آخر الزمان أربعين سنة
يحكم بشرع نبينا ومفتريا بما زعمه على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة مع قوله تعالى في
حق نبينا ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقال ابن سحنون من شك في حرف مما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى فهو كافر جاحد لما جاء به عن ربه تعالى وقال
أي ابن سحنون من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الأمة أي أمة نبينا
أو علمائهم القتل وقال ابن أبي سليمان من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود قتل
لإشعاره بتنقصه واستهانته ولم يكن بأسود وقال نحوه أي نحو ما قاله ابن أبي سليمان
عثمان الحداد قال أي ابن أبي سليمان أو أبو عثمان أو قال إنه مات قبل أن يلتحي أي قبل
أن يبرز شعر لحيته الكريمة أو أنه أي النبي صلى الله عليه وسلم كان بتاهرت ولم يكن
بتهامة أي مكة وأطرافها قتل لأن هذا أي ما ذكر من أنه مات قبل أن يلتحي وكان بتاهرت
لا بتهامة نفي مشعر بذم قال ابن الربيع تبديل صفته بصفة غيرها سواء كانت صفة
مدح أو ذم لشهادة الطلاقة وتبديل مواضعه الشريفة بغيرها كفر والمظهر له كافر لإشاعته
ما لا يليق بشرف منصبه وفيه الاستتابة فإن تاب وإلا قتل والمسر له راضيا به
زنديق يقتل دون استتابة لإيهامه بإظهاره خلاف ما يضمره من أنه على ما الناس
عليه من الانقياد والإذعان وقبول ما جاء به صلى الله عليه وسلم واعتقاد اتصافه

بصفات الكمال من غير تبديل لما منع اضماره خلافه **فصل الوجه الرابع ان ياتي من الكلام**
المحتمل لان يوصف صلى الله عليه وسلم به **بمجمل** ظاهره يليق بكريم ذاته **او بلفظ من القول**
مشكل يوقع متامله في الشك **هل يمكن حمله** اي حمل ذلك المشكل **هل يمكن حمله** اي
حمل ذلك المشكل **على النبي صلى الله عليه وسلم** ووصفه به **او على غيره** ممن يمكن حمله عليه
او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او سلامته **من شره** لا يليق بكريم ذاته صلى
الله عليه وسلم **فها هنا متردد النظر** اي مقام تردده في المرام **وحيرة العبر** جمع عبرة مما
يعتبر ويستدل به على غيره ومتردد **مظنة اختلاف المجتهدين** في المجمل والمشكل مما حتاج
الى الفحص والتامل نظرا واستدلالا ليميزوا بين ما يليق بكريم ذاته صلى الله عليه وسلم
وصفا وما لا يليق به فيوردونه موردونه قتلا او غيره بحسب اجتهادهم **ووقفة استبرا**
المقلدين لهم فيما يحكمون به اجتهادا من قتل وغيره **ليهلك من هلك عن بينة** واضحة
لا شبهة في بطلانها لما عضدها من الدلايل والشواهد المؤذنة بكفر من وصفه صلى
الله عليه وسلم بما لا يقدر من ذلك حق قدره **ويحيى من حي** بوصفه له بما يليق بشريف
ذاته وكريم محله **عن بينة** حقه **فمنهم من** نهج منهج تعظيمه وقدره حق قدره و**غلب حرمته**
صلى الله عليه وسلم وحمى حمى اي منع بلدفعه عن **عرضه** اي عن موضع المدح منه صلى الله عليه
وسلم وصانه عن تنقصه وثلبه **فجسر** اي اقدم مجترئا **على القتل** والحكم به **ومنهم من عظم**
حرمة سفك **الدم ودرء الحد** اي دفعه **بالشبهة** على الناظر فيه **لاحتمال القول** فيه لبيان
الحكم لـ صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات **وقد اختلف ايمتنا** من المالكية
في رجل اغضبه غريمه فقال له غريمه بعد ان اغضبه **صل الله على محمد فقال له الطالب**
لا صلى الله على من صلى عليه بل صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ما تعاقب الجديدان وتتابع
الملوان **فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم** منتقصا له **او شتم الملئكة**
الذين يصلون عليه صلى الله عليه وسلم **قال** اي سحنون **لا اذا كان على ما وصفته من**
الغضب الذي اغضبه به غريمه **لانه لم يكن** حال غضبه **مضمرا الشتم** لاحد منهم ولا من
غيرهم **وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ لا يقتل لانه انما شتم الناس** ينفي الصلاة عليهم **وهذا نحو قول**
سحنون لانه لم يعذره ولا غيره فيما تقدم **بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم**
ولكنه اي السلحفي اي ولكن **لما احتمل الكلام عنده ولم تكن** اي لم توجد **معه قرينة تدل**
على شتم النبي صلى الله عليه وسلم برفع شرف مقامه عن ان يصاب بمكروه **او شتم الملئكة**
ولا مقدمة امامه من قدم اللازم بمعنى تقدم او المتعدي بمعنى قدمت تصرفه عن ان
يواخذ به و**حمل عليه كلامه بالقرينة** الحالية المفادة من قوله لا صلى الله على من صلى
عليه **تدل على ان مراده الناس** ولا ريب انهم **غيرها** اي غير الملائكة **ولا مقدمة** تفيد
ان قوله لا صلى الله على من صلى عليه **لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله** لا صلى الله
على من صلى عليه **وسبه لمن صلى عليه** اي على النبي صلى الله عليه وسلم من الناس **الا ان**
لاجل امر الاخر له بهذا اي بقوله صل على النبي **عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو**
اي قول سحنون **مطابق لعلة صاحبيه** البرقي واصبغ التي هي لانه انما شتم الناس

وذهب الحارث بن مسكين وغيره في مثل هذا اي قوله لا صلى الله على من صلى عليه **الى القتل**
لشموله ظاهرا شتم كل من صلى عليه في اي مكان وزمان من ملئكة وغيرهم **وتوقف القابسي**
في قتل رجل قال كل صاحب فندق اي خان **قرنان** لعله من يقود الناس الزناة الى
المومسات **ولو كان نبيا مرسلا** قاتله الله ما اجرى لسانه على الخنا **فامر** اي القابسي **بشده**
بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة غاية لامره بشده اي لتخبر بما تعلم **عن جملة**
الفاظه ليفهم منها مراده بها **وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان** اي الموجودة في زمنه
فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره بما قاله مجترئا **اخف** من ان يريد عموم كل صاحب
فندق **قال** اي القابسي **ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق** تنزل له المارة والغرباء
من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبيا والرسل صلوات الله وسلامه عليهم
من اكتسب المال فلعل احدا منهم بنى فندقا قال الله تعالى ليتنزل له المارة **قال** اي القابسي **ودم**
المسلم لا يقدم عليه بالحكم باراقته **الا بامر بين** يؤذن بالاقدام على اراقته كقذف الرافضة
قبحهم الله عايشة رضي الله عنها فانه قاض بتكذيب ما نزل ببرائتها من القران في سورة النور **وما**
ترد اليه التاويلات مما يمكن تاويله **لا بد من اعمال النظر** اي اطالته والتفكر **فيه هذا معنى كلامه**
اي كلام القابسي لا لفظه **وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد** ابي محمد القيرواني **فيمن قال لعن الله العرب**
ولعن بني اسرائيل ولعن بني ادم نعوذ بالله من اللعن فضلا عن كثرته لقوله صلى الله عليه
وسلم اللعانون لا يكونون شفعاء يوم القيمة **وذكر** اي هذا اللعان **انه لم يرد** بلعنه ذلك **الانبيا**
صلوات الله وسلامه عليهم **وانما اراد الظالمين منهم ان عليه الادب** هذا ما حكي عن ابن ابي
زيد وقال **بقدر اجتهاد السلطان** ظاهره وان ادى الى التلف **وكذلك افتى** اي ابن ابي زيد
فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان
وافتى ابن ابي زيد ايضا **فيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن ما جا به** من النهي عن بيعه له فقال
ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم **فعليه الادب الوجيع**
اي الموجع فالاسناد اليه عقلي **لانه لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله** عليه الصلاة
والسلام **وانما لعن من حرمه من الناس** هذا والذي حرمه ونهى عنه منهم هو من لا ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى عن ربه تبارك وما افتى به فهو **على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسالة**
المتقدمة فيمن قال له صل على محمد فقال لا صلى الله على من صلى عليه **ومثل هذا كثيرا** اي احيانا
كثيرة **ما** زيدت للتاكيد **يجري في كلام سفها الناس** وجهالهم **من قول بعضهم لبعض** جهلا وحمقا
يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب ويرتقون الى اعظم من ذلك مما يورث القذف كقول بعضهم
لبعض الاطفال يا ولد الزنا يا ابن النياكة **وشبهه من هجر القول** اي فاحشه وقبيحه **ولا شك**
انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم **ولعل هذا العدد** المنصوص عليه من الالف والمائة **منقطع الى ادم** صلى الله عليه
وسلم اي متصل به من انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل
اذ لو بمعناه لعداه بعن **فينبغي الزجر عنه** اي عما ذكر عن سفها الناس من قبيح قول بعضهم
لبعض **وتبيين ما جهل قائله منه** اي من كونه هجرا وفحشا **وشدة الادب فيه ولو علم** بالبنا

للمفعول انه اي الشاب قصد سب من في ابائه احد من الانبيا على علم منه به لقتل لجرائته على سب خا عباد الله وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال احد لرجل هاشمي من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي جد عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم فيؤدب كما قال ابن ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن بني اسرائيل وقال اردت الظالمين منهم دون الانبيا او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم اي من نسله وعقبه قولا قبيحا في ابائه او قال قولا قبيحا في من نسله او ولده من نسل الولد بنسله ضما وكسرا وقد تشدد سينه كلام ولده على علم منه حال من ضمير قال انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن اي لم توجد ثم قرينة في المسالتين اي مسالتي قوله القبيح في ابائه او فيمن نسله او ولده تقتضي تخصيص بعض ابائه دون بعض واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وحيث انتفت القرينة المؤذنة باخراجه صلى الله عليه وسلم ممن سب منهم كان حده القتل ما لم يتب وقد اختلف مشايخنا اي المالكية فيمن قال لشاهد وقد شهد عليه بشي ثم قال له اي قال الشاهد للمشهود عليه تتهمني استفهام تقريري او انكاري حذفت همزته فقال له الاخر اي المشهود عليه الانبيا يتهمون هذا هو مقول القول فكيف انت اي انت اولى بان يتهم فكان شيخنا ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ اي لقبحه وشناعته وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم ياكل البشع اي الخشن الكريه الطعم لانه لم يكن يذم طعاما قط وكان ابن منصور يتوقف عن القتل فقد كذبوهم بما قالوا وافتى ابن الحاج هو غير ابن الحاج صاحب المدخل بنحو هذا اي توقف ابن منصور وشدد القاضي ابو محمد تصفيده اي تقييده وتوثيقه من صفده اي قيده وفي الحديث اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين اي شدت واوثقت بالاغلال والصفد والصفاد القيد واطال سجنه ثم استحلفه بعد من الغايات المنقطعة عما تضاف اليه منويا اي بعد ان فعل به ذلك حلفه على تكذيب ما شهد به اذ اي حين دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن اي ضعف اسقطها عن الاعتبار وشاهدت شيخنا ابن عيسى ايام قضائه اتى برجل هاتر رجلا اسمه محمد اي قاوله وقابحه في القول من الهتر وهو الباطل والسقط في الكلام وفي الحديث المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان اي يتقاولان ويتقابحان في تقاولهما ثم قصد كلبا فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف اي جماعة من الناس فامر ان يمضي به الى السجن وتقصى بقاف وصاد مهملة اي بالغ في التتبع والبحث عن حاله وهل يصحب من يستراب اي يظن به الريبة وسو العقيدة فلما لم يجد اي سيدنا ابن عيسى ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط تعزيرا له بجرائته على فعل ما لا ينبغي واطلقه من السجن

فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا اي قبيحا يرميه به صلى الله عليه وسلم افترا عليه ولا سبا بمهملة وبا موحدة اي شتما لكنه في كلامه الاتي به ينزع اي يجذب ويميل بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه وسلم الى ما يصرفه عن ان يفهم منه نقص او سب او يستشهد في كلامه ذلك ببعض احواله صلى الله عليه وسلم الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل اعتبار الشي بغيره وتمثيله به لما فيه من بيان المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ودفع ما يوهم خلافه وعلى طريق الحجة لنفسه او لغيره

ايهاما للتاسي به صلى الله عليه وسلم او على طريق التشبه به صلى الله عليه وسلم بذكره الجائز عليه صلى الله عليه وسلم في الدنيا او يذكره عند هضيمة اي نقيصة نالته اي حصلت له صلى الله عليه وسلم او عند غضاضة لحقته وغشيته صلى الله عليه وسلم وذلك كله ليس على طريق التاسي اي الاقتدا من هذا القايل شيا من ذلك به صلى الله عليه وسلم ولا على طريق التحقيق لوقوعه لا محالة بل على مقصد الترفيع والتعظيم لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل لنفسه او لغيره به صلى الله عليه وسلم وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او على قصد الهزل اي اللعب والتندير بقوله اي الاعلام كقول القايل ان قيل في السو فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم هذا من قايله سو ادب اذ الانبيا لا يذكرون الا بما يليق بكريم مقامهم او ان كذبت بالبنا للمفعول وبالمتكلم فقد كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا وتالله لم يذنبوا ولم يكذبوا لعصمتهم وما صدر منهم مما ظاهره ذنب فانما هو كما مر معاريض بشي عن شي كقول خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فعله كبيرهم هذا اذ لم يرد به اسناد الفعل الصادر عنه الى كبيرهم بل اراد به تقريره واثباته لنفسه على اسلوب تعريضي تبكيتا لهم والزامهم الحجة وتنبيها على ان ما ينحت من حجر وغيره لا يقدر على كسر شي ومن كانت هذه حاله فكيف يعبد فلما بكتهم والزامهم الحجة رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون لا من ظلمتموه بقولكم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين او انا اسلم من السنة الناس ان ينسبوا الي ما لم افعله ولم يسلم منهم انبيا الله ورسله فكيف اسلم انا منهم او صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل على مناواة اقوامهم لهم او كصبر ايوب صلى الله عليه وسلم على ثلاثة او قد صبر نبي الله صلى الله عليه وسلم من عداه بكسر المهملة جمع عدو وحلم بكسر ثانيه من الحلم اي الاناة والتثبت في الامور وهو من شعار العقلا اي تانى وصبرا الى لمن ظفره الله بهم فقتل وعفى كيوم فتح مكة على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي اذ اقام بنخلة من قرى بعلبك حذرا من العرب بين حمص وحلب من قصيدة نظمها بنخلة من بحر الخفيف من عروضه المخبونة وضربها الصحيح ومن قافية المتواتر

• ما مقامي بارض نخلة • الا كمقام المسيح بين اليهود • انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود •

اذ قد شبه نفسه في الاول المؤذن به مقامه بينهم بالمسيح بن مريم وهم باليهود وفي الثاني بصالح في ثمود وهذا من زخرف القول وتحسينه مبالغة في تشبيه نفسه بهما غرورا منه ولم يقصد به سبا ولا انتقاصا لهما ولا استهزا ومثله اي مثل قول المتنبي من بحره وعروضه وضربها وقافيته من اشعار المعرفين في القول المتجاوزين فيه الحد مبالغة وتغاليا المتساهلين في الكلام لقول ابي العلا احمد بن سليمان المعري

• كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير •

فانه شبه فيه ممدوحه بموسى صلى الله عليه وسلم مفرطا لاساة على كليم الله جهلا منه برفيع شانه وشريف مكانه على ان اخر البيت شديد بجرائته في الاساة عليه صلى الله عليه وسلم وداخل في باب الازرا اي الاحتقار والانتقاص من زريت عليه زريا اذا عبته والتعبير بالنبي موسى صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره وهو ممدوحه مع زوجته عليه اي على حال موسى صلى الله عليه وسلم

وكذلك قوله اي قول ابي العلا المعري من بحر الكامل من عروضه الصحيحه وضربها المقطوع
المجزول للبيت الاول وقافيته متواتره ۰ لولا انقطاع الوحي بعد محمد ۰ قلنا محمد من ابيه بديل
۰ هو مثله في الفضل الا انه ۰ لم ياته برسالة جبريل ۰ هذا افراط في الجهل بفضل الانبيا
على غيرهم صلوات الله وسلامه عليهم لاسيما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه افضل الخلق على
الاطلاق ماكان اغناه عن هذه الوصمة القبيحة والورطة الشنيعة فصدر البيت
الثاني كتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم وهو محمد وحه في فضله بالنبي صلى الله
عليه وسلم جهلا منه وعدم مبالات به والعجز يحتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة
وهي كون جبريل لم ياته محمد وحه برسالة نقصت بقاف مشدده الممدوح والوجه
الاخر استغناؤه عنها اي عدم احتياج الممدوح الى رسالة مع جبريل وهذه اشد نقصا
لها ذ للسر اهلا لها ونحوه اي نحو قول ابي العلا قول الاخر من بحر الرمل عروضه المحذوفة
وضربها الصحيح وقافيته متواتره ۰ واذا ما رفعت راياته ۰ صفقت بين جناحي جبرين
اي اضطربت برياح النصر بينهما وهذا اجترا على هذا الملك العظيم وقول الاخر من اهل
العصر اي زمن المصنف من بحر المنسرح من عروضه المطويه وضربها المقطوع وقافيته متواتره
۰ فر من الخلد واستجار بنا ۰ فصبر الله قلب رضوان ۰ اي على فراقه اذ لم يجاوره فيها
وهذه محرفة كاذبة وكقول حسان المصيصي بالتخفيف من شعرا الاندلس بفتح
الهمزه وسكون النون وفتح الدال وضم اللام في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد على الله
ووزيره ابي بكر بن زيدون من بحر الطويل من عروضه المقبوضة وضربها المماثل لها
وقافيته متداركة ۰ كان ابا بكر ابو بكر الرضى ۰ وحسان حسان وانت محمد ۰
اي كان وزيرك ايها الممدوح ابا بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك حسان
المصيصي حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وانت ايها الممدوح محمد النبي
صلى الله عليه وسلم ونعوذ بالله من هذا التشبيه المؤذنة بتسوية المشبهين
والمشبه بهم في الفضل فهو افراط في الجهل بفضل نبينا وابي بكر وحسان بن ثابت
امثال هذا الذي ذكرناه من المعجزين وانما ذكرنا شاهدها مع استثقالنا حكايتها
لتعريف امثالها علة لتكثير شاهدها وللتساهل كثير من الناس شعرا وغيرهم في
ولوج هذا الباب الضنك اي الضيق المظلم واستخفافهم هذا العي بكسر المهمله واشتها
البا وبعدها همزه اي بثقل هذا الامر وقلة بل وعدم علمهم بعظيم ما فيه من الوزر
وكلامهم الكثير منه مما ذكروه في اشعارهم مما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا اي صغيرا
وجزع بعضهم عند موته فقيل له لم جزعت فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند
الله عظيم اي كبيره لاسيما اي لاسي الذين هم الشعرا المجازفون في اشعارهم واشدهم فتنه
وللسانه فيه تسريحا اي اطلاقا ابن هاني الاندلسي وابو العلا احمد بن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما اي ابن هاني والمعري الى حد الاستخفاف والنقص وصريح
الكفر وقد اجبنا فيما مضي عنه وعرضنا الان الكلام في التفصيل الذي سقنا امثلته
فيه نظما ونثرا فان هذه اي الامثلة كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبيا

نقصا يؤذن بقتل قايله او تعزيره ولست اعني عجزي بيتي المعري فقط بل جميع ما ذكرناه من الامثلة
ولا قصد قايلها الازرا اي احتقارا وانتقاصا وغضا فهو وان لم يقصد شيا من ذلك فما وقر النبوة
ولا عظم الرسالة ولا عزر اي ولا قوى ولا شد حرمة الاصطفا ولا عزز حظوة الكرامة بضم المهملة
وكسرها اي عزتها وعظمها حتى شبه من شبهه من المجد وحين من شبهه بمن ذكر من الانبيا والملايكة وغيرهم
في كرامة بجايزة نالها من ممدوحه او معرة من عره اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه اي مكروه ومشقه
قصد الانتفا والتبري منها او ضرب مثل المراد ودفع الحجاب عنه وجعل المتوهم كالمشاهد لتطييب
مجلسه اي القايل ترغيبا في مجالسته او اغلا اي مغالاة ومبالغة في وصف لتحسين كلامه
وترويجه عند الناس بمن عظم الله خطره وشرف قدره من انبيايه واوليايه والزم كل احد
توقيره وبره بطاعته له انقيادا واذعانا وامتثالا واجتنابا ونهى عن جهر القول له بقوله
تعالى ولا تجهروا له بالقول ونهى عن رفع الصوت عنده بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي اي نبينا صلى الله عليه وسلم فحق هذا القايل الذي لم يقصد بقوله
بغضا ولم يذكر عيبا ولا سبا لكن كلامه بذكر بعض اوصافه ينزع الى ما يصرفه عن ان يفهم
منه سبا او نقصا ان درى اي دفع عنه القتل الادب والسجن بعد ضرب وحبس وتوبيخ
فظيع وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله بضم المعجمة اي قبحه ومقتضى قبح ما نطق
به وما لوف عادته لمثله اي لمثل ما نطق به او ندوره ومقتضي قرينة كلامه حالية
او مقاليه او بحسب ندمه على ما فرط وسبق منه ولم تزل المتقدمون ينكرون مثل
هذا ممن جابه ونقوله وقد انكر امير المؤمنين هرون الرشيد على ابي نواس من ناس
ينوس نوسا اي تحرك وكان للعباس ظفيرتان على راسه تنوسان اي تتحركان وكل ما تحرك
متدليا فقد ناس وفي حديث ام زرع واناس من حلي اذني اي حلاهما القرطة وشنوفا تنوس
بهما قوله المنكر من بحر الطويل من عروضه المقبوضه وضربها المحذوف وقافيته متواتره
۰ فان يك باقي سحر فرعون فيكم ۰ فان عصى موسى بكف خصيب ۰ اي ان يكن في مملكتكم
ارض مصر بقية من سحره ولا يجدي نفعا مع وجود عصى موسى بكف اميرها خصيب
تلقف ما يافكون فوبخه بذلك وقال له يا ابن اللخنا من اللخن وهو النتن يقال لخن السقا
اذا تغير ماؤه اي يا ابن المنتنه او يا ابن التي لم تختن بقطع مضرها انت المستهزئ بعصى
موسى صلى الله عليه وسلم بجعلك اياها بكف خصيب واخرجه من عسكره من ليلته
التي سمع منه ذلك فيها وذكر ان مما اخذ عليه اي على ابي نواس ايضا وكفر به او قارب
ان يكفر به قوله من بحر البسيط من عروضه المخبونه وضربها المقطوع وقافيته متواتره
في محمد الامين بن هرون الرشيد وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
۰ تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ۰ خلقا وخلقا كما قد الشراكان ۰ قاتله الله
ما اجراه على الكذب وتقول الباطل وقد انكر عليه ايضا قوله من بحر المديد المحذوف عروضه
وضربه المخبونان وقافيته من المتراكب ۰ كيف لا يدنيك من امل ۰ من رسول الله من نفره ۰
اي من رهطه وعشيرته اسم جمع من الرجال خاصة ما بين الثلاثة الى العشرة لا واحد له
من لفظه لان من حق رسوله صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه بكسر الجيم وجمعه موجبات

ومنه اللهم اني اسالك موجبات رحمتك كلا اله الا الله والمشي في الظلم الى المساجد وفي المطر والبرد اليها اي ما يوجب ترغيبا في تعظيمه وانافة منزلته اي رفعتها ان يضاف وينسب اليه صلى الله عليه وسلم ولا يضاف هو صلى الله عليه وسلم وينسب الى احد فالحكم في امثال هذا الذي اوردناه من كلام هؤلاء المحرفين وغيرهم ما بسطناه في طريق الفتيا فيما مر من ان كلا يقضي عليه بحسب ما صدر منه على هذا المنهج الذي سلكناه جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس امام دار الهجرة النبوية واصحابه حقيقة ومجازا ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه اي عن مالك في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر استفهام انكاري حذفت همزته قد رعى النبي صلى الله عليه وسلم اي الغنم على قراريط لقريش فقال اي مالك قد عرض بذكر النبي في غير موضعه مما لا يليق ذكره صلى الله عليه وسلم فيه ارى ان يؤدب لترعوي امثاله وتردع عن مثل ذلك قال اي مالك ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عيروا او وبخوا او عوتبوا ان يقولوا قد اخطا الانبيا قبلنا بحتلبوا ذلك تكريما لهم وتعظيما وقال عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا لما اتسموا به من البراعة والبلاغة بخلاف من ابوه عجمي لما اتصفوا به من اللكنة والفهاهة فقال كاتب من كان به له اي لعمر بن عبد العزيز قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا هذا حماقة بجهالة اذ لا مناسبة بين عربية ابي الكاتب وكفر ابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي عمر بن عبد العزيز له جعلت هذا يعني قوله كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا يكتنف به وتبين عدم اشتراط كون ابي الكاتب عربيا فعزله لسواد به في مقام لا يليق ان فيه النبي صلى الله عليه وسلم بان اباه كان كافرا وقال له لا تكتب لي ابدا او قال لا تكتب لي ابدا تنكيلا وتاديبا له ولامثاله وقد كره سحنون ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب كقول من تعجب من شي صلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد او اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الا على طريق الثواب والاحتساب بدون شائبة ريا وسمعة توقيرا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما مفعول لاجلهما الصلاة والسلام عليه على تلك الطريق كما امرنا الله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وسيل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح وجهه كانه وجه نكير احد فتاني القبر وقال لرجل عبوس اي كالح قبيح المنظر جهم المحيا كانه وجه مالك الغضبان خازن النار فقال اي القابسي اي شي اراد بهذا اي بقوله كانه وجه نكير ووجه مالك ونهما ملكان فما الذي اراد اروع اي اخوف وفزع دخل عليه والم به حين راه من وجهه اي وجه المقول ام عاف النظر اليه اي كرهه لدمامة خلقه قصرا وهزالا وكان باسامة دمامة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد احسن الله بنا اذ لم يكن جارية فان كان هذا اي عوفه النظر اليه فهو شديد في الاساءة والاستهانة لانه جرى مجرى التحقير والتهوين اي الاهانة او التهاون به فهو خليق بان ينال له اشد عقوبة تنكيلا وزجرا له ولغيره وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع اولا وبالقصد على المخاطب لا على الملك وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء جمع سفيه من السفه وهو الخفة اي للممتهنين انفسهم لخفة عقولهم وسخافتها قال اي القابسي واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا من جفات العذر اذا رمت ما اجتمع في فمها من الزبد والوسخ اي رمى الذي ذكره وتفوه به من قوله كانه وجه مالك

الغضبان

الغضبان عند ما انكره من عبوس الاخر اي المقول له الا ان يكون المعبس ممن له يد وسلطان فيرهب بعبوسه وكلح وجهه فيشتبه التامل على الطريق الذم لهذا الذي له يد في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه في فعله اذ هو ممن قال فيهم عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فيقول كانه لله يغضب غضب مالك خازن النار فيكون قوله ذلك اخف وما ينبغي له التعرض لمثل هذا التشبيه بقوله كانه وجه مالك الغضبان في هذا المقام ولو كان هذا القايل قد اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك خازن النار كان قوله ذلك اشد من ذلك الاخف ويعاقب عليه العقاب الشديد وليس في هذا اي فيما اثنى به على العبوس محتجا بصفة الملك خازن النار ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل حدا لا كفرا وقال ابو الحسن القابسي ايضا في شاب معروف بالخير والصلاح قال لرجل شيا فقال له الرجل اسكت زجرا له عما قال فانك امي اي على اصل ولادة امك لك وفي الحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اي على اصل ولادة انهم لم يتعلموا كتابة ولا حسابا على جبلتهم الاولى وعند الفقها هو من لا يحسن الفاتحة فقال الشاب اليس استفهام تقريري يحمل المخاطب على الاقرار بان كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع بالبنا للمفعول مقالة اي قبح عليه وذم به وكفره الناس جهلا منهم باطلاقهم تكفيره بما قال واشفق الشاب اي خاف على نفسه مما قال واظهر الندم عليه اي على ما صدر منه من سوء مقالة فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق القول بالكفر عليه فخطا لانه لم يقصد به سبا ولا تنقيصا له صلى الله عليه وسلم لكنه مخطي في استشهاده مستظهرا في احتجاجه لكونه اميا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بين اميتهما اذ كون النبي صلى الله عليه وسلم اميا انما هو اية له وفضيلة فيه وكون هذا اي الشاب اميا انما هو نقيصة فيه وجهالة به لرفيع محله صلى الله عليه وسلم ومن جهالة احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر قياسا لوصفه بامية على وصفه بامية صلى الله عليه وسلم وتاب واعترف بانه مخطي وجا اي اعتصد واستند الى الله فيترك لان قوله اليس كان النبي اميا لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب من اقوال المحرفين في اقوالهم ومو جبه فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه لعدم التعرض له بسو ونزلت ايضا مسالة استفتي فيها اي طلب الجواب عنها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور في رجل تنقصه رجل اخر بشي من القول الخرجة فقال له انما تريد تنقصي بقولك ذلك لي وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص فيرهقهم غضبا حتى النبي صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من جهل الجاهلين فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه ضربا شديدا اذ لم يقصد السب له صلى الله عليه وسلم بقوله ذلك وكان بعض فقها الاندلس افتى بقتله اخذا له بظاهر قوله فصل الوجه السادس ان يقول ذلك حاكيا عنه وآثرا بمثله ومداي راويا وناقلا له عن سواه فهذا اي الاثر الناقل له ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته المؤذنة بقرينته الباعث له على نقله ويختلف الحكم المقضي عليه به باختلاف ذلك من صورة حكايته وقرينة مقالته على اربعة وجوه واحكام الوجوب والندب والكراهة والتحريم بدل بعض من كل وهذا حديث اجمالي يرد عليك مفصلا فان كان اي الاثر له وناقله اخبر به على وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف لعامله حالا

وصفة والانكار والاعلام بقوله ليعرف ما يترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ وتبكيت وتقبيح
وعلى وجه التنفير منه والتجريح له بما يطعن به فيه ويرد به قوله ليجتنب فهذا اي الاخبار
على وجه ما ذكر وكذلك ينبغي امتثاله ويحمد فاعله ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد
والنقض لقوله اي الرفع والابطال على قائله والفتيا بما يلزمه من قتل وتعزير وحبس وهذا
اي ما حكي ردا ونقضا على قائله وفتيا بما يلزمه منه ما يجب بيان حكمه ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي لذلك الذي حكاه ردا ونقضا وفتيا وبحسب حالات المحكي عنه فان
كان القائل الحاكي لذلك الذي حكاه ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او يؤخذ عنه رواية
الحديث النبوي او يقطع وينفذ حكمه او شهادته لعدالته او تعتمد فتياه في الحقوق لعلمه
بما يليق وحقيته عنده وجب على سامعه اي سامع قوله حكما او فتيا الاشادة من اشاد البنا
واشاد به فهو مشيد وشيدته اذا رفعته وطولته ثم استعير لرفع الصوت بما اريد رفعه به اي
الاشاعة بما سمع منه ورفع ذكره وتنفير الناس عنه تحذيرا منه والشهادة عليه بما قاله ليجتنب
ووجب على من بلغه ذلك الذي عنه انكاره وبيان كفره ان كفر بما صدر منه وفساد قوله ليقطع
ضرره بها عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين من ردع منتقصه وزجرا به بارهاق
ذاته وازهاق روحه قتلا او ضربا وجيعا وحبسا فظيعا وكذلك ان كان هذا القائل ممن يعظ
العامة اي يذكرهم بايام الله وينهاهم عن قربان ما منع الله منه وحرمه او يؤدب الصبيان
ويعلمهم القرآن وجب على سامعه منه اشادته وعلى من بلغه انكاره وبيان كفره وفساد قوله
فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب لانكاره وبيان
كفر قائله باشادته واذاعته في الناس لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته بالذب عنها
ما امكن فان لم يكن القائل بهذه السبيل بان لم يكن ممن يؤخذ عنه العلم ورواية الحديث فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب ذبا عن رفيع منزلته وكريم مقامه وحماية عرضه متعين
لا يتفاوت فيه بحال ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن اذ لا تفاوت في ان يقدر
حق قدره قبل موته وبعده لكنه اي القيام بحقه صلى الله عليه وسلم فرض كفاية اذا قام به من ظهر
الحق به وفصلت بضم الفا وكسر المهملة مخففة القضية وبان الامر فلم يخف على احد شانه
سقط عن الباقين الفرض وبقي الاستحباب وهو احد الاقوال فيما اذا نسخ الوجوب والحق انه يبقى
الجواز اي عدم الحرج وقيل الاباحة وقيل الندب في تكثير الشهادة على من صدر منه في حقه صلى الله
عليه وسلم قول غير لائق وعضد مصدر عضد اي نصر التحذير منه وقد اجمع السلف من ائمتنا حفاظ
الحديث وغيرهم على بيان حال المتهم في الحديث ليحذر من الاخذ عنه حتى ان يحيى بن معين رئي
طائفا بالبيت يقول فلان كذاب فلان وضاع للحديث فلان لا تاخذوا عنه فقيل فيه
ولابن معين في الرجال مقالة • سيسال عنها والمليك شهيد • فكيف بمثل هذا من القيام في حقه
صلى الله عليه وسلم فهو اولى بوجوب تكثير الشهادة على من وقع في حقه صلى الله عليه وسلم وقد سئل
ابو محمد بن ابي زيد عن شاهد يسمع مثل هذا ممن حكاه عن غيره ايسعه ان لا يؤدي شهادته عند
حاكم يعامل قائله بما يليق به مما يقتضيه قوله قال اي ابي زيد ان رجا اي الشامع وترجح عنده ان نفاذ
الحكم ينفع بشهادته ويتم فليشهد بما سمعه وعلى اي وجه حكى وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما

بما شهد به هذا الشامع عنده ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك ذبا عنه صلى الله
عليه وسلم واقامة لحقه ونصرة له واما الاباحة لحكاية قوله الذي اورد على سبيل السب والازرا
لغير هذين المقصدين من الاخبار به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله
والتنفير منه والتجريح له وعلى طريق الرد والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه فلا ارى لهذا
اي لما حكى من قوله على سبيل الاباحة من ترك حكايته على وجه الاباحة مدخلا في الباب فليس
التفكه بعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بجانبه الكريم الذي يصونه من نفسه وحسبه
ويحامي عنه ان ينتقص ويثلب وليس التمضمض بسوء ذكره لاحد صونا لشريف عرضه عما لا يليق
به شبه تكرر ذكر عرضه عما لا يليق به بتفكه اكل فاكهة ثم تمضمض متمضمض مرة بعد اخرى بما
استعارة تحقيقية ثم قرنها بما يلايم المشبه اعني قوله بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا له لفظا ولا اثرا
له رواية عن احد لغرض شرعي بمباح خبر ليس وكثيرا ما تدخل الباء فيه زائدة لتاكيد النفي واما ذكره
للاغراض المتقدمة كالشهادة والانكار على قائله والرد عليه والنقض لقوله فمتردد كما قد علمت
بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله مقالات المفترين من الافترا اعني الكذب والاختلاق عليه
تبارك وتعالى وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم في كتابه القرآن الكريم في مواطن كثيرة على وجه
الانكار لقولهم المفتري المختلق وعلى وجه التحذير من ضلالهم وعلى وجه الوعيد عليه لهم وعلى
وجه الرد عليهم بما تلاه سبحانه علينا في محكم كتابه المحكم نظما ومعنى لا يعتريه تبديل وتحريف ولا
خلل كالبنا المحكم وكذلك وقع من امثاله اي امثال ما تلي علينا في محكم كتابه العزيز في احاديث النبي
صلى الله عليه وسلم الصحيحة بنقل الثقة الضابط عن مثله عنه صلى الله عليه وسلم ثم انتهى
الينا على الوجوه المتقدمة من الانكار والتحذير والوعيد وغيرها اي من الوجوب والندب
والكراهة والتحريم واجمع السلف من ائمتنا الاعلام من الصحابة ومن بعدهم والخلف لهم المتاخر
عنهم من ائمة الهدى على ذكر حكايات مقالات الكفرة والملحدين الزائغين عن منهج الحق في كتبهم اي
كتب ائمة الهدى وفي مجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها اي يرفعوا ويزيلوا ما يشتبه عليهم
عليهم ويريهم انه حق فربما ركبوا بها ما لا يجوز مما ينكر عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار
لبعض هذا الذي حكاه ائمة الهدى من مقالات الكفر وغيرهم على الحارث بن اسد المحاسبي بما حكاه في
الرعاية فقد صنع احمد بن حنبل مثله اي مثل الحارث في رعايته في رده على الجهمية اصحاب جهم بن
صفوان من المبتدعة وفي رده على القائلين بان القرآن مخلوق من المعتزلة بهذه الوجوه من رد
على من ذكر من اهل البدع السائغة بمهملة ومعجمة اي الجائزة الحكاية لمقالات الكفرة فاما ذكرها على غير هذا
من حكاية سبه والازدراء بمنصبه الرفيع ورتبته العلية منزلة على وجه الحكايات والاسمار من السمر
بفتح ميمه وهو التحدث ليلا واصله لون القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه والطرف اي ذرب اللسان
وطلاقته بذكره صلى الله عليه وسلم وطرف الانسان لسانه وذكره وعن قبيصة بن جابر ما رايت
اقطع طرفا من عمرو بن العاص اي امضى لسانا منه واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث بمعجمة مفتوحة
فمثلثة اي المهزيل من غث في حديثه واغث اذا افسده قال ابن عباس لابنه على الحق يا ابن عمك يعني
عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك والسمين ومضاحك المجان بتشديد الجيم جمع
ماجن في اللهو والسخرية ونوادر السخفا جمع سخيف من السخف بضم المهملة وسكون المعجمة اي رقة

ون

العقل وضعفه والخوض في قيل وقال مما يتحدث به المتجالسون من قولهم قيل كذا وكذا بُنيا على
كونهما فعلين ماضيين تضمنا الضمير واعربا على اجرائهما مجرى الاسما خاليين منه وادخال
اللام عليهما وما لا يغني الخايض فيه شيا ولا يجد به نفعا فكل هذا المحكي بعينه من سبه صلى الله عليه
وسلم والازرا بمنصبه الشريف لا يسوغ الخوض في شي منه وبعضه اشد في المنع والعقوبة
للصادر منه ذلك قتلا او ضربا وحبسا او هما من بعض فما كان من قايله الحاكي له
على غير قصد به شيا او على غير معرفة منه بمقدار ما حكاه شدة واشدية او لم يكن ما كان من
قايله الحاكي له عادته ودابه وديدنه او لم يكن الكلام المحكي من البشاعة حيث هو بشيع اي
كريه فظيع ولم يظهر على حاكيه استحسانه بجعله حسنا عنده واستصوابه بجعله صوابا عنده
فلم يظهر منه اعتقاد كونه حسنا ولا صوابا زجر عن ذلك اي عما كان منه مما ذكر وهنا جواب
لما تضمنته ما من الشرط ونهي عن العود اليه صونا لمنصبه الشريف عن حكاية ما لا يليق به صلى
الله عليه وسلم وان قوم ناقله على سبيل الحكاية ببعض الادب فهو مستوجب له خليق به وان كان
لفظه اي لفظ الحاكي او المحكي حيث هو اي بلغ غايته كان الادب له اشد ممن لم يكن محكيه حيث هو
وقد حكي ان رجلا سال مالكا امام دار الهجرة عمن يقول القران مخلوق فقال اي مالك قايله كافر
فاقتلوه فقال اي سايله انما حكيته عن غيري لا اني انا الذي اقوله فقال مالك انما سمعناه منك
وهذا اي امر مالك بقتل السايل بمجرد اتهامه انه هو القايل بمخلوقيته بدون ثبوت اعتقاده
مخلوقيته عجيب لانه ممن يقول لا نكفر احدا من اهل القبلة قال المصنف وهذا من مالك على طريق الزجر
اي الردع للكف عن السوال عنه وهو ايضا عجيب بل اعجب لان القتل زجرا عن السوال عنه لم يقل به
احد والتغليظ للزجر بدليل انه اي مالكا لم ينفذ قتله ولم يبالغ في الامر بقتله وهذا العذر
عنه يرده تكفير مالك له وامره انما كان بعد تكفيره اياه وان اتهم هذا فيما حكاه سبا وازدرا
بمنصبه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك انه اختلقه اي افتراه معتقدا له ونسبه الى غيره
وكان ذلك اي سواله ذلك عن غيره عادة له يدسها د يدنا او ظهر منه لاحد استحسانه لذلك
لحكايته على تلك الوجوه او كان مولعا اي مكثرا بمثله والاستخفاف اي سرعة التوجه له والتحفظ
لمثله في المبادرة لتحصيله وطلبه حرصا عليه وكذا ان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه من رواية اشعار
هجوه صلى الله عليه وسلم فحكم هذا الحاكي فيما حكاه على ما مر حكم الساب نفسه لا حكم كونه حاكيا فاذن
يواخذ بقوله ذلك وان اورده على طريق الحكاية لتهمته فيما ذكر ولا تنفعه نسبته اي ما اتهم فيه
الى غيره فيبادر بقتله ويعجل به سريعا الى الهاوية امه من قولهم اذا دعوا على احد بهلكه هوت امه
فاذا اهوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ
شطر بيت من الشعر صدرا او عجزا مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو اي حفظه المفاد من الفعل
كفر يستتاب حافظه فان تاب والا قتل وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اي اجماع مجتهدي
امته صلى الله عليه وسلم اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به صلى الله عليه وسلم من شعر وغيره
وتحريم كتابته وقراته وتركه متى وجد دون ايلافه بنحو محو ورحم الله اسلافنا المتقين حفظ
شي منه او روايته المتحرزين عن ذلك صونا لدينهم عن حكاية شي منه فقط اسقطوا من
احاديث المغازي والسير كثيرا مما كان هذا سبيله من هجوه في شعر او غيره وتركوا روايته صونا

لمنصبه

لمنصبه الشريف من ان يذكر لشي منه الاشيا يسيرة ذكروها غير مستبشعة ولا مستقبحة
على نحو الوجوه الاول من وجوب وندب وكراهة وتحريم ليروا من يعقل ويعتبر نعمة الله من قا بلها
كيف تحل بساحته وليروا اخذه تبارك وتعالى للمفتري عليه صلى الله عليه وسلم بذنبه الذي
افتراه واجترا به عليه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى اي اجتهد وبذل وسعه
فيما اضطر والجا الى الاستشهاد به في اثبات المسايل من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى من كونه
وكنيت عنه اذا وريت عنه بغيره عن اسم المهجو ولم يصرح به تفاديا عن ذكره به واستبراء
لدينه وتحفظا وصيانة وحماية لنفسه من المشاركة في ذم احد ممن يهجى منهم بروايته او نشره
واذاعته فكيف بما يتطرق اي يتوصل به الحاكي له الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم فهو
احق واحرى ان لا يذكر بشي هذا سبيله لحريم ساحته الشريف فصل الوجه السابع ان
يذكر ما يجوز عليه مما لا يشينه صلى الله عليه وسلم ذكره ولا يعيبه ايراده او يختلف في جوازه عليه
كاعما الحظة او الحظتين وان يذكر ما يطرا عليه صلى الله عليه وسلم من الامور البشرية ويمكن اضافته
اليه على وجه يليق برفيع منزلته عند ربه او يذكر ما امتحن اي اختبر صلى الله عليه وسلم به تعظيما
لاجره ورفعة في درجاته من اذاهم ومعرفة ابتدا حاله وسيرته الحسنة المرضية وما لقيه من بوس
زمنه من شدايد موجعة والاضافة الى الزمن لكونه ظرفه وما مر عليه من معاناة عيشته وضيقه
وصبره على لاوايه كل ذلك اي ما يجوز عليه او اختلف في جوازه عليه من الامور البشرية وغير
ذلك فان مذكره على طريق الرواية ومذاكرة العلم ليوتسى بهم من اقوالهم وافعالهم ومعرفة ما صحت منه
العصمة للانبيا لانهم يخبرون عن الله وبما ارسلوا به وبما اطلعوا عليه من الغيب فشرطت فيهم
حذرا من اتهامهم فيما اخبروا به وتكذيبهم فيه وهم مبروون من ذلك وذكر ما يجوز عليهم مما لا يزدري رة
بهم ذكره فهذا اي ما ذكر هنا من جمعه فنون جمعه افانين اي نوع خارج عن هذه الفنون الستة المذكو
في الفصول الستة السابقة اذ ليس فيه اي في هذا الفن غمص بمعجمة ومهملة بينهما ميم ساكنة
اي عيب واحتقار ولا نقص ولا ازرا ولا استخفاف اي استهزا واستهانة لا في ظاهر اللفظ ولا في
مقصد اللافظ لفقد احتمال غير ما يفيده اللفظ من معناه لكن يجب ان يكون الكلام فيه اي فيما ذكر
هنا في هذا الفصل مع اولي العلم وفهما طلبته الذين جمع فهم اسم فاعل مبالغة من الفهم ممن يفهم
مقاصده ويحقق فوايده ليكون فيه على بصيرة في تعظيمهم ويقدر كلا منهم حق قدره ويجنب
بينا به لمفعوله اي يباعد ويصان ذلك اي ما ذكر هنا عن من عساه لا يفقه اي لا يفهم او يخشى
بالبنا للمفعول به اي بما اورده هنا اذا ذكر له فتنته فيقع فيما لا يرضي فقد كره بعض السلف تعليم
النسا سورة يوسف عليه وعلى ابائه وجميع الانبيا الصلاة والسلام لما انطوت عليه من تلك
القصص مما هيمهن بدلها وعشقها من شغف التي كان في بيتها به ومراودتها له ودهش النسوة
عند رويته وعقلهن عما بايديهن من السكاكين حتى قطعنها بسكاكين كانت معهن لوفور حسنه
وبهاء وجهه ورشاقة قده وبداهة شانه لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن
اي نقص وصول افهامهن الى المدركات فلا يكن يفهمن ما ينفعهن بشهادة حديث ما رايت
من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن وقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا
عن نفسه بما يجوز عليه وعلى الانبيا باستيجاره لقريش لرعاية الغنم في ابتداء حاله تذكرا خبر

المسند بلفظ كنت ارعى الغنم على قراريط لقريش وقال كما رواه الشيخان عن جابر والبخاري
عن ابي هريرة ما من نبي الا وقد رعى الغنم رياضة من الله لهم على السكينة والتواضع وخفض
الجناح وتمرينا للسياسة في ابتداء احوالهم ليعرفوا كيف يسوسون اممهم واخبرنا الله بذلك
اي بالاستيجار لرعي الغنم عن موسى صلى الله عليه وسلم بقوله تبارك وتعالى حكاية عن شعيب
صلى الله عليه وسلم اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت
عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك قال صلى الله عليه وسلم فقضى موسى صلى الله عليه
وسلم اقصى الاجلين اي العشر وهذا اي ذكر الاستيجار لرعي الغنم لا غضاضة من غض طرفه اي
كسره واطرق ولم يفتح عينه اي لا خفض ولا نقص ولا غمض فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجه
بدون غضاضة خلاف من قصد به اي بالاخبار عنهم انهم رعوها الغضاضة والتحقير فانه
يقضى عليه بما يستحقه بل كانت اي رعاية الغنم عادة جميع العرب وهنا سؤال على طريق الاستيناف
البياني ومن ثم فصله عن الجواب كانه قيل الرعي للانبيا لها فايدة فقال نعم في ذلك للانبيا حكمة
بالغة كفاية الصواب او من الله اليهم تكريما لهم ولطفا بهم وتدريج من الله تعالى لهم الى بلوغ كرامته
اليهم وتدريب اي تدريج وتعويد برعيها لسياسة اممهم بما اي مع ما سبق لهم من الكرامة بالنبوة
والرسالة في الازل ومتقدم العلم وكذلك اي ومثل اخباره صلى الله عليه وسلم عن نفسه باستيجاره
لرعي الغنم في مبتدا خبره فقد ذكر الله يتمه لموت ابيه جنينا قد اتت عليه ستة اشهر وموت امه
ابن ثمان سنين فكفله جده عبد المطلب ثم عمه ابو طالب اذ كان شقيق ابيه فاحسن تربيته قال
تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عايلا فاغنى على طريق المنة بتعداد النعمة
امتنانا وانعاما وفضلا عليه وعلى طريق التعريف بكرامته له بجعله ايوا وهداية واغنا فذكر
الذاكرها اي لكرامته بما ذكر من وجدانه يتيما فاواه وضالا فهداه وعايلا فاغناه على وجه تعريف
حاله التي كان عليها اول امره وعلى وجه الخبر عن مبتدايه وعلى وجه التعجب من منح الله جمع منحة
او مصدر مضاف الى فاعله اي اعطاياه او عطيته قبله بقاف مكسورة فبا موحدة مفتوحة اي
عليه وعنده وعظيم منته من اضافة الصفة الى موصوفها لمجرد قطيفة لكنها لما قدمت عليه
انخلعت من التابعية وصارت كاسم جامد غير صفة ثم اضيفت اليه للبيان اضافة الشي الى جنسه
الذي تخصص هو به ليس فيه اي في ذكر ما ذكر على تلك الوجوه غضاضة يغض منه اهانة له
واحتقارا بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته الرسالة الى من ارسل اليهم اذ قد اظهره الله
على صناديد قريش جمع صنديد اي كل عظيم غالب من عظمائهم اشرافا ورؤسا وارومة وعلى من
ناواه من اشرافهم شيا فشيا اي اظهارا بعد اظهار حتى ملكه تمام الظفر بهم فعفى يوم فتح مكة عنهم
ومن عليهم ووصل رحمه منهم وامنهم خصوصا وعموما وجعل لابي سفيان ما ميزه به عنهم فقال
من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل داره واغلق بابه فهو آمن وقال لهم ما كنتم تقولون
اني فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقا ونما امره اي زاد وذاع
وارتفع وشاع حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم كناية عن حيازة ممالكهم وملك امرها
وحفظها وتدبيرها فهو مالك امرها واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم اي غير صناديد
قريش وغيرهم ممن ناواه باظهار الله له عليهم وتاييده بنصره وتقويته وتعزيره له وبالمومنين

والف

والف بين قلوبهم بايجاد التوافق والتحابب بينهم والتوادد وامالتها عن التباغض والتحاسد
وتكليفهم الحب فيه والبغض فيه مما لا يقدر عليه الا مالك القلوب ومقلبها كيف شا بعد ازالة
ما نشاوا عليه من حمية الجاهلية والانطوا على الغضب والعصبية لا يكاد يأتلف منهم قلبان
فصاروا انصار الله ولرسوله اعوانا واصبارا وامداده يوم بدر بالملايكة المسومين بكسر الواو
ابن كثير وابو عمرو وعاصم اي معلمين انفسهم او خيولهم قيل بصوف ابيض في نواصيها واذنابها وفتحها
غيرهم اي معلمين قيل بعمايم صفر قد ارخوها على اكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا
فنزلوا فيه كذلك ولو كان اي النبي صلى الله عليه وسلم ابن ملك او ذا اشياع جمع شيعة وهي في
الاصل فرقة من الناس تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث بلفظ واحد بمعنى واحد
ثم غلب على كل من شايع عليا واهل بيته وتولاهم حتى صار اسما خاصا بهم اي ذا اوليا وانصار
يوالونه ويناصرونه متقدمين عليه في الزمان لحسب جواب لو اي لظن كثير من الجهال ان ذلك
اي كونه ذا اشياع تقديرا موجب ظهوره ودعوى الناس الى اتباعه ومقتضى علوه شانا وحالا
ولهذا اي ولحسبان كثير من الجهال على تقدير كونه ابن ملك او ذا اشياع موجب ظهوره ومقتضى
علوه قال هرقل بكسر اوله وفتح ثانيه واسكان ثالثه ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه عظيم
الروم حين سال ابا سفيان بن حرب بايليا عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري هل في اباه
من ملك فقال ابو سفيان لا ثم قال اي هرقل ولو كان في اباه ملك لقلنا رجل يطلب ملك
ابيه وان اليتم بضم اوله واصله الانفراد ثم استعمل في فقد الاب قبل بلوغ ولده يقال يتم الصبي
بالكسر ييتم فهو يتيم والانثى يتيمة وجمعهما ايتام ويتامى فاذا بلغ زال عنهما اسم اليتم من
صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل واخبار الامم السالفة اي
الماضية وكذا وقع ذكره صلى الله عليه وسلم بصفة اليتم في كتاب ارميا كان من انبيا بني اسرائيل
صلى الله عليه وسلم وبهذا اي باليتم ذكره سيف بن ذي يزن ملك اليمن لعبد المطلب جده بقوله
يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وكذا ذكره بحيرى بفتح اوله وسكون ثالثه وراء بعدها الف
تانيث الراهب لابي طالب عمه كما مر له مزيد بيان وكذلك اذا وصف بانه امي فان فيه دلالة في
نبوته وصحة دعوته انه مرسل الى الناس كافة كما وصفه الله به اي بانه امي بقوله تعالى فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي وعلى اصل ولادته لم يتعلم كتابة بل من خصايصه انه كان يحرم عليه التوصل
الى معرفتها ومعرفة الشعر فهي اي صفته صلى الله عليه وسلم امي مدحة له صلى الله عليه وسلم
وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ كان لا يقرا ولا يكتب ومعجزته من القران انما هي
متعلقة بطريق المعارف والعلوم التي لا يتوصل اليهما فاتيانه صلى الله عليه وسلم مع ما منح
وفضل به من ذلك اي من المعارف والعلوم بدون معرفة طريقهما من ابهر المعجزات ووجود مثل
ذلك من رجل هو كامل في الرجولية لم يقرا الخط ولم يكتب الخط ولم يدارس اي يقارئ احدا ممن يقرا
ولا لقن اي لم يلق اليه شي من ذلك هو مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر عن التحلي
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وليس في ذلك اي في كونه صلى الله عليه وسلم اميا لا يقرا ولا يكتب
نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراة المعرفة اولا وبالذات دون الكتابة وانما هي آلة لها
اي للمعرفة وواسطة موصلة اليها بطريق العرض فهي غير مرادة في نفسها ذاتا بل عرضا فاذا حصلت

التي هي المعارف والعلوم وحصل المطلوب اولا وبالذات استغنى عن الواسطة التي هي القراة والكتابة
واستغنى عن السبب المراد ثانيا وبالعرض والامية التي هي عدم القراة والكتابة في غيره اي النبي
صلى الله عليه وسلم نقيصة مزرية به لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة بضم اوله ويجوز كسره
اي علامة قلة الفطنة وفي الحديث قلة الفقه خير من كثير الغباوة فسبحان من باين امره اي ٣
النبي صلى الله عليه وسلم من امر غيره اي جعله متباينا له وجعل شرفه فيما فيه محطة لمن سواه
عن رفيع درجاته شرفا ورتبة وجعل حياته فيما فيه هلاك من عداه من عداه وغيرهم هذا
وكذاك شاهد صدق بان حياته فيما فيه هلاك غيره ممن عداه شق قلبه واخراج حشوته التي
التي كانت فيه اعني العلقة السودا كما رواه البخاري فان اخراجها كان تمام حياته وكان غاية قوة
نفسه وغاية ثبات روعه بضم اوله اي نفسه وخلده وهو اي شق قلبه واخراج حشوته فيمن سواه
منتهى اسباب هلاكه وحتم موته وفنائه اذ بمجرد شقه ارهاق روحه وهلم جرا الى سائر ما يروى
من اخباره وسيره المؤذنة بان حاله متباين لحال غيره ومما ينبوك بذلك تقلله من الدنيا في
جميع احواله يقظة ونوما سرورا وغيره عبادة وتبليغا ومن الملبس من عطف ما تناوله لما قبله عليه
والمطعم والمركب وتواضعه بوقار ولين جانب وخفض جناح ومهنته نفسه بفتح الميم من مهنت
القوم امهنهم وامهنتهم اذا ابتذلتهم في الخدمة وقد تكسر في الزمخشري وهو عند الاثبات
خطا قال الاصمعي هي بفتح الميم الخدمة ولا تكسر وكان القياس لو قيل كجلسة وخدمة الا انه جا
على فعله واحدة اي بذله نفسه في اموره وخدمة بيته زاهدا في الدنيا اي تركا لها الا ما لا بد
منه وسئل الزهري عن الزهد فيها فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره اي لا يقصر
شكره على ما رزقه الله من الحلال ولا صبره على تركه الحرام ورغبة منه صلى الله عليه وسلم عن الدنيا
لانها للعدم جدوا ها مع الحرص عليها والرغبة فيها شوم وتسويته بين حقيرها وخطيرها اي
عظيمها مما له قدر ومزية لسرعة فنا امورها مما لا بقا له في نمو وزيادة وتقلب احوالها
فلا تدوم على حال تكون به كما تلون في اثوابها الغول كل هذا المتلو عليك من فضائله
التي لا تحصى كثرة من المزايا الغير الاختيارية ومن مآثره جمع مأثرة بالضم من شريف مفاخره شرفه
وعموم مكارمه مما يروى عنه ويوثر من مكروه مما يعد من مفاخره وعنه صلى الله عليه
وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن اورد منها شيئا مورده منقول من ورد الماء يرده ورودا
اذا احضره ومنه قوله تعالى وان منكم الا واردها اي فمن اتى بشي منه في موضعه وقصد به
مقصده مما يليق بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم كان حسنا يمدح به ويحمد عليه ومن اورده
على غير وجهه مما يؤذن بتساهل في حقه او احتقارا له او تنقص به وعلم به اي بما اورده على
غير وجهه سوء قصده لحق فيما يعامل به تنكيلا له وزجرا مما اوردناه بالفصول السابقة
التي قدمناها وكذلك اي ومثل ما اورد على غير وجهه ما ورد من اخباره اي النبي صلى الله
عليه وسلم واخبار سائر الانبيا اي باقيهم عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره
اشكال كحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وليست كذبات حقيقة بل هي كما قدمناه مرارا
معاريض نكتت بها قومه وبخهم بمقتضى اي الاشكال امورا لا تليق بهم بحال من الاحوال ويحتاج
الى تاويل يصرفها عن المفهوم من ظاهرها وتردد احتمال لا في اللفظ مما يليق بكريم قدرهم العظيم

ولا يجب ان نحدث منها الا بالصحيح استثنا مفرغ من اعم الاشيا افاد ظاهره وجوب التحدث به
مع ان الاولى تركه ما لم تدع ضرورة اليه بل اعلام من اثبته الجواز اي عدم الحرج فضلا عن ان يكون
مندوبا او واجبا ولا يروى منها الا المعلوم الثابت الممكن تاويله بما لا اشكال فيه هذا ورحم
الله مالكا الامام فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه
وسلم الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى كحديث البخاري وغيره ينزل ربنا تبارك وتعالى كل
ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول هل من داع فاستجيب له هل من سائل
فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له وقد سئلت عنه فاجبت بانه وارد على منهج التمثيل
٣ لعادته تعالى في عباده معتنيا بهم مراعيا احوالهم من اجابة داع واعطا سائل وغفران لمستغفر
بعادة ملك كلما نزل بمحاويج ضعفا فقرا عطف عليهم فلبى داعيهم واعطى سائلهم وعفى عن مسيئهم
تمثيلا ينزهه تعالى عن الحركة والنزول لشهادة ما اعترض بين الفعل وظرفه من جملتي تبارك
وتعالى لتنزهه له عن الانتقال من علو الى اسفل بل هو انتقال من مقتضى الجلال اي العظمة من
القهر والغلبة وعدم المبالات الى مقتضى الجمال اي الرحمة من القبول والاحسان والغفران وهذا
من التمثيل الذي يرفع المجاز الى ذروة البلاغة من القبول بان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
باخوات اذا تلاحقن لم تر احسن ديباجة وابهج رونقا منه وهو المجاز المرشح فانه لما مثلت
عادته تعالى في تفضلاته على عباده بعادة الملك في عطفه على رعيته استعير له الوصف
بالنزول ثم قفي بذكر التحريض على الدعا والسوال والاستغفار وما لتحقق ما يترتب عليه
من الفضل اجابة وعطا وغفرانا وقال اي مالك بما اي اي شي يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا
الموهم للتشبيه المشكل المعنى فقيل له ان ما لك ان ابن عجلان يحدث بها اي بما ورد منها عنه
٢ صلى الله عليه وسلم كحديث خلق الله ادم على صورته وحديث ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سما
الدنيا كل ليلة وحديث اذا كان احدكم يصلي فلا يبصقن قبل وجهه فان الله بينه وبين القبلة
امثال الحديث رحم الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها فرب مبلغ اوعى من سامع
اي مالك فقال اي ابن عجلان من الفقها مع انه كان شيخه ومن اعلام التابعين بالمدينة روى
عن ابيه وانس بن مالك وغيرهما وروى عنه امير في الحديث شعبة بن الجراح ويحيى بن سعيد
القطان وغيرهما وليت الناس من علما الامصار وافقوه اي وافقوا مالكا على ترك التحدث بها
وليتهم ساعدوه على طيها ذكرا ورواية فاكثرها ليس تحته عمل دعوى بلا بينة ومن ثم لم
يوافقه احد على كراهة التحدث بها اذ لم ينقلها صلى الله عليه وسلم لاصحابه عبثا ولا اخبر
بها عن ربه لتترك سدا ولا اوردها من قبل نفسه وما هي الا وحي يوحى كمتشابه القران المتواتر
عنه لمن هو اوعى لها من سامعها منه مع انه لا فرق بين متشابه الوحيين في الوحي والتبليغ
اذ كل منهما وحي من الله فيلزم من كراهة التحدث بها كراهة تعليم الناس متشابه القران وترك
تلاوته مع امره صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه لشهادة حديث بلغوا عني وانما ورد كذلك
ابتلا للراسخين في العلم ليعنوا بالاتعاب نظرهم وقدح فكرهم بالحق الذي يجب ان يحمل عليه
من بيان معانيه ورده الى المحكم ليبتلوا به قوة ايمان مع جزيل المثوبات ورفيع الدرجات
ولو وردا محكمين لتعلقوا به لسهولة ماخذه واعرضوا عما يحتاج اليه في الاستنباط من النظر

والاستدلال فينسد باب التاويل ولم تظهر مطابقة المتشابه للمحكم فلم يجريا على سنن واحد مع انهما
متوافقان جاريان به عليه وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم اي عن السلف على الجملة من
حيث مجموعهم لا جميعهم انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل يؤخذ منه حكم شرعي ليس هذا
من ذاك وقد تلي عليك ما ان تاملته اوردك محجة الفرق بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها
على قوم بموفي الاصل مصدر رقام فوصف به ثم غلب على الرجال دون النسا ومن ثم قوبلن به في حديث
ان انساني الشيطان شيا في صلاتي فليسبح القوم ولتصفق النسا سموا به لانهم قوامون عليهن
بما لا يقمن به عرب يفهمون كلام العرب على وجهه بدون صرفه عن ظاهره الا لموجب يدعو اليه
وتصرفاتهم في حقيقته باستعمال لفظها فيها ومجازه باستعماله في غيرها عقليا ولغويا ومرسلا
واستعارته تحقيقيه ان ذكر المشبه به مرشحة ومجرده ومطلقه مكنيه ان سكت عنه وكني
عنه بشي من لوازمه ليثبت المشبه ليتخيل به انه من جنسه اصلية ان وقعت في مصدر
اخرى لتسمى تبعية اما باستعارة حرف كما في ولاصلبنكم في جذوع النخل او فعل كما في ولما سكت
عن موسى الغضب او اسم فاعل كما في الحال ناطقة بكذا او اسم تفضيل كما نطق في
ولئن نطقت بشكر برك مفصحا • فلسان حالي بالشكاية انطق • وبليغه مما يطابق مقتضى
الحال مع فصاحة كلمات وتركيبا وايجازه الجامع لقلة لفظه وكثرة معانيه فلم يكن في حقهم اي
لم توجد وتنسب اليهم مشكلة لمعرفتهم باساليب كلامهم وافانينه ثم جا وطرا عليهم من غلبت
عليه العجمة وداخلته الامية فهو على جبلته الاولى من ولادته لم يتعلم اساليب كلامهم فلا يكاد
يفهم من مقاصدها اي مقاصد العرب التي اودعتها في كلامها باحسن اسلوبه واوجز تركيب لا نصها
وصريحها دون دقايقها ورموزها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ايثارا له على الاطناب
حسب مقامات الكلام ولا الى غرض وحيها وحي الملاحم خيفة الرقبا ولا الى غرض تبليغها وتلويحها
بكلمات خطابيه او بهم ايرادها اختلاف معانيها مع تفاردها بل تماثلها فيها فتفرقوا اي من غلبت
عليه العجمة في تاويلها اي تاويل الاحاديث الموهمة للتشبيه المشكلة المعنى شذر مذر
بفتح اولهما وكسره فيهما مبنيين اسمان جعلا اسما واحدا اي ذهبوا في كل وجهة وعن عايشة ان عمر
شرد الشرك شذر مذر اي فرق اهله وبذرهم في كل وجه فهم مذر بذر لمن ابى لانه من التبذير
وهو اتباع وهذا كله مجرد دعوى نصره لمذهبه اذ لا عاضد له من الكتاب والسنة بل قد وردت
السنة بتبليغ حدوثه عموما بشهادة بلغوا عني فرب مبلغ اوعى من سامع وكانت العرب الفته
واجرته في مجاورتهم صارفين له الى المعنى اللايق ومن ثم صاغ صلى الله عليه وسلم لهم من ابريزها الفوه
من كلامهم مما لا يفهم الا بايراده بعبارة منه رعاية لجزالة معناه وفخامته ثم جا بعدهم من
تتبع تراكيبهم وخواص معانيها فكشف القناع عن وجوه لطايفها ونبه على رموز عوارفها
واستخرج كنوز دقايقها من خفي مكامنها واوضح غوامض حقايقها وفي شانها فانكار فهمهم
مقاصدها ومعرفتهم اشاراتها جحد لما شاع من تاويلها وذاع وافع الافهام وقرع الاسماع
فمنهم اي من تفرق في تاويله شذر مذر من امن به اي بالموهم للتشبيه المشكل المعنى
منزها له تعالى عند سماعه عما يفهمه ظاهره ثم منهم من فوض معناه الى الله تعالى ممن يقف على
الا الله وهم اكثر سلفنا وهو اسلم ومنهم من اوله وهو خلفنا وهو اعلم اي احوج الى زيادة علم

لتاويله

لتاويله فيؤول حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سما الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخر بما ذكر
فيما مر وحديث مسلم ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب رجل واحد يصرفه كيف
يشا ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل ٢
بان الاول ورد تمثيلا وتصويرا لكنه جلالة شانه وتوقيفا على عظم قدرته من غير ذهاب الى
تصوير بين ولا اصابع ولا تصرف بهما بل الى الدلالة على كنه قدرته الباهرة وان قلوبهم مع كثر تعا
التي تتحير في حصرها الافهام ولا تكتنه مقدارها الاوهام هين عليه سرعة تصرفه كيف شاء
انا لا يصل سامعه الى الوقوف عليه الا ايراده بهذه العبارة وخص الاصابع بالذكر كناية عن اجرا
القدرة مجرى الاصابع واليد لكونه بهما وان الثاني ورد كناية عن الجود بدون اعتقاد لبسط
ولا يد ولا فرق عند قايله بينه وبين ما كني به اعني ان الله يبسط يده والمكني عنه اعني الجود
عبارتان متفقتان على معنى واحد بموانه تعالى جواد بتوبته على عبده المسي هذا وكثيرا
استعملوه حيث لا يد ولا بسط مثل جواد لا يعطي الا بالاشارة حتى لو اعطى جزلا لقالوا اما البسط
يده بالنوال ومنهم من كفر باتباعه له ابتغاء الفتنة بحمله على ما لا يطابق المحكم معتقدا له ليفتن به
الناس ويضلهم عن دينهم فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث الموهمة للتشبيه فواجب ان لا يذكر
منها شي في حق الله وحق انبيايه صلوات الله وسلامه عليهم لانها ان كانت في نفس الامر كذب
فالتحدث بها حرام لحديث من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ان لم تكن في نفسها كذلك
فينبغي ان لا يتحدث بها لاحتمال كونها كذبا وان لا يتكلف الكلام على بيان معانيها والصواب طرحها
ورفض ابراز الملحات رموزها وترك الشغل بها لعدم جدوا اهله في فضايل الاعمال الا ان يذكر في
وجه التعريف بانها ضعيفة المقاد اي ما ينقاد به لينتفع بها من قدت الدابة اقودها قودا
ومقاداة فكانها لاشكالها كالدابة الجموح لا تكاد تذعن لنفع بها لضعف مقادها واهية الاسنا
لكونه رواتها او بعضهم ذوي وهي اي سقوط لعلة كادحة في عدالته او لشذوذ من وهي الثوب يهي
وهيا اذا بلي وتخرق وفي الحديث المومن واه راقع بالقاف اي مذنب تايب وفي رواية موه راقع
شبه بمن يهي ثوبه فيرقعه فكانه يوهي دينه بمعصيته ثم يرقعه بتوبته وقد انكر الاشياخ على
القاضي ابي بكر محمد بن فورك بضم الفا غير منصرف للعلمية والعجمة تكلفه في مشكل الكلام في
احاديث ضعيفة اسنادا ومتنا موضوعة لا اصل لها يستند فيها اليه اذ الموضوع هو المختلق
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شر الاحاديث الضعيفة لا يجوز [illegible] ذكره رواية وغيرها
الا مبينا ان كونه موضوعا ان علم وضعه كان يقول هو كذب او باطل او مختلق لشهادة حديث من
حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين يرى مبنيا للمفعول اي يظن والكاذبين روي
مثنى ومجموعا وكفى به وعيدا شديدا لمن روى حديثا يظن انه كذب ولم يبينه وقد بالغ ابو محمد الجويني
بكفر واضعه ويعرف الوضع بالافراد وركاكة اللفظ او منقولة عن اهل الكتاب يهود ونصارى لا
سيما اليهود فقد افتروا على الانبيا افترات كثيرة كداود في تزوجه وسليمان في قصة الجسد والخا ثم
اذ هم الذين يلبسون بكسر البا مخففا من لبس يلبسها الامر لبسا اذا خلط بعضه ببعض وربما شدد
للتكثير اي يخلطون الحق بالباطل لا يميز بينهما الا ذو اقدام صدق في الدين وكان يكفيه يعني ابن فورك
طرحها ونبذه وراه ظهريا وكان يغنيه اي يكفيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها ليجتنب ولا يتجشم

ابرازا حتما الا تما في معرض الثنا وميل من الشفاء ولهوا لبرء من المرض نقل من شفا الاجسام الى شفا النفوس
وفي حديث الملذوع فشفوا له بكل شي اي عالجوه فوضع شفوا موضع عالجوا فصل وهما يجب
على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مما يعزى اليه ويوصف به وما لا يجوز عليه صلى
الله عليه وسلم وما يجب على الذاكر من حالاته صلى الله عليه وسلم في اوقاته وتصرفاته مما
قدمناه في الفصل المتقدم انفا قبل هذا الفصل مما طرا وامكنت اضافته اليه وما امتحن به
صلى الله عليه وسلم في ذات الله عليه وسلم وصبر على شدته وغير ذلك مما يوثر على طريق المذاكرة
فيما وقع من اوليائه من قرة عين وما جرى له مع اعدائه من شدة شين وعلى طريق التعليم للغير
انتفاعا واغتباطا ان يلتزم فاعل يجب في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك
الاحوال البشرية العارضة له صلى الله عليه وسلم الواجب في حقه صلى الله عليه وسلم من توقيره
وتعظيمه حق توقيره وتعظيمه وان يراقب هذا المتكلم والمذاكر حال لسانه ولا يهمله
يلغي بما لا تبجيل فيه ولا توقير وان يظهر عليه علامات الادب عند ذكره توقيرا وتشريفا
وتكريما فاذا ذكر ما قاساه صلى الله عليه وسلم من الشدايد كعند منصرفه من الطايف من عند
ابن عبد يا ليل اذ كان استنصره على قومه فابى فجعلوا يرمون عظام ساقيه وقدميه بالحجارة
فدته نفسي وابي وامي ظهر عليه الاشفاق عليه صلى الله عليه وسلم وظهر عليه الارتماض
اي شدة الاحتراق والغيظ على عدوه الخايب الخاسر ظهر عليه مودة الفدا له صلى الله عليه
وسلم بالانفس والاباء والامهات مما غشيه من المكاره وقد ورد فاعفر فدا لك ما اكتفينا
فالفدا اذا كسر مد وقصر واذا فتح قصر فقط تقول فداك ابي قال الجوهري ومن العرب من
يكسره منونا اذا جاورته لام الجر خاصة فيقال فدا لك ابي لانه نكره يريدون به معنى الدعا
والفدية والفدا بمعنى وروي في النظم مرفوعا على الابتدا ومنصوبا على المصدر وتفدية الله
به مجاز عن تعظيمه وتبجيله والباره اذ لا يفدى من المكاره الا من تلحقه والله منزه عن ان
يلحقه مكروه لو قدر عليه اي على الفدا فداه صلى الله عليه وسلم وظهر عليه مودة النصرة
لو امكنته واذا اخذ اي شرع في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله صلى الله عليه وسلم
الجارية على منهج الحق والسداد واقواله الصادرة منه صلى الله عليه وسلم على لسان الصدق
والصواب تحرى واجتهد في ناديته وتوخى احسن اللفظ وادب العبارة متوجة بتاج الصيانه
عن ردي الكلام ما امكنه واجتنب بشيع ذلك مما يمجه السمع ويا باه الطبع وهجر من العبارة
اي ترك ما يقبح ان يتكلم به في حقه صلى الله عليه وسلم كلفظ الجهل والكذب والمعصية
فلا يقول في خلال عبارته جهل او كذب او عصى صونا لمنصبه الشريف ومقامه المنيف فاذا
تكلم في الاقوال لزم الادب والوقار وقال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار مصدر اخبر
ولا يقول لا يجوز عليه الكذب في قول او خبر لا يقول ذلك بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه
من العبارة فلا لوم عليه ان صدر منه على وجه من ذلك ولا مواخذة لعدم تعمده ويجتنب الكذب
جملة واحدة فلا يفوه به ولا بما اشتق منه ولا بما يرادفه كالمين واذا تكلم في العلم من حيث
يجوز انتصافه صلى الله عليه وسلم به قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم من قبل ربه تبارك وتعالى
وهل يمكن ان لا يكون عنده علم بعض الاشيا تادبا معه صلى الله عليه وسلم وتكريما له ولا يقول

هل

هل يمكن ان يكون جاهلا لبعض الاشيا او يقول بجهل بعضها لا يقوله لقبح اللفظ وبشاعته
واستهجانه واذا تكلم في الافعال التي صدرت منه صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز منه
المخالفة في بعض الاوامر والنواهي لا يجوز منه في شي من ذلك وهل يجوز منه صلى الله عليه
وسلم مواقعة الصغاير فهو اي قوله مواقعة الصغاير بالترك اولى وادب بالمد من الادب
من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا مما لا يجوز ان يقال في حقه صلى الله
عليه وسلم من انواع المعاصي فهذا اي هجر ما يقبح من العبارة تحاشيا له عنه وتفاديا له
من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير بزاي وراء اي توقير واعظام لكريم
ذاته وعظيم صفاته وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا ولم يتركها تادبا معه
صلى الله عليه وسلم فقبح منه ما لم يتحفظ منه من تلك العبارات الشنيعة ولم استصوب
عبارته فيه اي فيما لم يتحفظ منه ووجدت بعض الجابرين المايلين عن القصد تقوله
بتشديد الواو من التقول بفعل من القول لان فيه تكلفا ممن تقوله اي زعم لاجل ترك
تحفظه في العبارة انه قال ما لم يقله وشنع اي ذلك البعض عليه اي على من لم يتحفظ في
العبارة بما يا باه ويكفر قايله اي قايل ما اباه به واذا كان مثل هذا اي الاستعمال بالتحفظ
في العبارة والادب بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم بعضهم بعضا في العبارة
فاستعماله اي التحفظ والادب في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب وجوب فرض لا وجوب
تاكيد من وجب يجب وجوبا اذا ثبت ولزم وهما عندنا اما منا ناصر السنة الشافعي مترادفان منقولان ن
من معنى هما لغة اي التقدير والثبوت الى معنى واحد هو شرعا ما يمدح فاعله ويذم تاركه سوا
ثبت بدليل قطعي او ظني ولا نزاع له في تفاوت مفهوميهما لغة بان الفرض التقدير وفي الوجوب الثبو ت
ولا في تفاوت ما ثبت بقطعي كحكم الكتاب وما ثبت بظني كحكم خبر الاحاد فان جاحد الاول كافر
وتارك العمل به فاسق وكذا الثاني اي لا كافر ولا فاسق وفرق ابو حنيفة وشيعته بينهما
فقالوا ما ثبت بقطعي ففرض وما ثبت بظني واجب لان التفاوت بين الكتاب وخبر الاحاد
يوجب التفاوت بين مدلوليهما ولان الفرض ما علم قطعا انه مقدر علينا والواجب ما
سقط علينا بطريق الظن فلا يكون المظنون مقدرا علينا ولا المعلوم قطعا ساقطا علينا
قلنا بعد تسليم ملاحظة المفهوم لغة لا نسلم امتناع ثبوت كون الشي مقدرا علينا ظني
وكونه ساقطا علينا قطعي بشهادة استفاضة استعمال الفرض فيما ثبت بظني والواجب
فيما ثبت بقطعي واشاعته ومن ثم خالفوا به قاعدتهم من اطلاقهم الفرض على ما ثبت بظني
كقولهم الوتر فرض وتعديل الاركان فرض ويسمى فرضا عمليا وكقولهم الصلاة والزكاة واجبة
فاطلقوا الواجب على ما هو فرض علما وعملا وعلى ظني هو في قوة الفرض في العمل كالوتر وعلى ظني هو
دون الفرض في العمل وفوق السنة كتعيين الفاتحة حتى لا يفسد الصلاة بتركها قالوا ويجب
سجود السهو هذا والحق ما ذكرنا من ان الواجب لغة هو الثبوت واما المصدر الواجب بمعنى الشا قط
فانما هو الوجبة وبمعنى المضطرب هو الوجيب قال والفواد وجيب تحت ابهره
لدم الغلام ورا الغيب بالحجره والتوابه اكد بالمد من اوكدته ووكدته واكدته ايكادا وتوكيدا
وتاكيدا اذا شددته واوثقته بجوده العبارة اما انها بقبح الشيا وتحسنه اي تجعله ذا قبح او حسن

اوقبيحا اوحسنا وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر ويصيره عظيما او يهونه اي يجعله هينا حقيرا
ولهذا اي ولكون تحرير العبارة وتهذيبها يعظم الامر او يهونه قال صلى الله عليه وسلم ان من
البيان لسحرا لاظهاره المعنى المراد بابلغ عبارة واوجز اشارة تحسينا او تقبيحا كما غلب احد
خصمين هو الحن بحجته من خصمه الباطل حقا او الحق باطلا لجودة بيانه كما ان بالسحر
قلب الشيء في عين الانسان دون قلبه حقيقته كحبال سحرة فرعون اذ خيل لموسى صلى الله عليه وسلم
انها حيات تسعى وها هو البليغ لا يزال يمدح حتى يصرف قلوب سامعيه الى حب ممدوحه ويذم حتى
يصرفها عنه فاما ما اورده اي المتكلم فيما يجوز عليه صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز عليه على
جهة النفي لشيء مما تلي عليك عنه والتنزيه له صلى الله عليه وسلم منه فلا حرج ولا جناح عليه
في تسريح العبارة بدون احتراز عن شيء في اي اسلوب كان اذ المقصود نفي ما لا يليق به صلى الله عليه
وسلم عنه وتنزيهه منه وتصريحها فيه في معرض اي تركيب كقوله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم
الكذب جملة ولا يجوز عليه اتيان الكبائر بوجه من الوجوه الموصلة اليها ولا يجوز عليه الجور
في الحكم بين الناس على حال من الاحوال التي لا يجوز وروده عليه ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره
وتعظيمه وتعزيره خلال ما يورده على جهة النفي والتنزيه له صلى الله عليه وسلم عنه عند
ذكره واردا على جهة النفي والتنزيه مجردا الامر التوقير والتعظيم والتعزير فكيف عند ذكر
مثل هذا مما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم على جهة الحكاية فوجوب توقيره وتعظيمه اولى واوجب
وقد كان السلف من ايمة الدين كزين العابدين بن الحسين وجعفر الصادق ومحمد بن المنكدر تظهر
عليهم حالات تشوبه عند مجرد ذكره بدون ذكر شيء من ذلك وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك
من ظهور تعظيم وتوقير وتعزير عند تلاوة اي من القران حكى الله فيها مقال عداه تبارك وتعالى
ومقال من كفر بآياته جاحدا لها وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته في تلاوته تلك
الاي المحكي فيها مقال عداه تعالى اعظاما لربه واجلالا له تعالى واشفاقا على نفسه حذرا من
التشبه بمن كفر انكارا لمن لا يعرفه تعالى ولا يعترف به او جحودا مثل كفر من يعرفه بقلبه
ولا يقر بلسانه او عنادا ككفر ابي جهل يعرفه ويعترف به ولا يدين به او نفاقا ككفر راس النفاق
ابن ابي يقر به بلسانه ولا يعتقده بقلبه

الباب الثاني من القسم الرابع في

تصريف وجوه الاحكام في حكم سابه وشانيه اي شاتمه ومعيبه بغضا وحسدا ومنتقصه
ومؤذيه وفي عقوبته بشيء مما ذكر وفي ذكر استتابته وفي حكم وراثته ما تركه من مال وغيره
بعد موته قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا فيما قدمنا
اجماع العلماء على قتل فاعل شيء من ذلك وقائله وذكرنا تخيير الامام في قتله وصلبه ونحو
اي بعد ما ذكرناه فاعلم ايها المتوجه اليه الخطاب ان مشهور مذهب مالك واصحابه
ومشهور قول السلف صحابة وتابعين وغيرهم وجمهور العلماء قتله خبران وقد سدت مسد
وهو مع اسمها مسد مفعولي اعلم وانما يقتل حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه اي مما قاله فادى
الى قتله ولهذا اي ولكونه يقتل حدا لا تقبل عندهم توبته مما صدر منه ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته اي رجوعه عنه كما قدمناه وحكمه حكم الزنديق يبطن عقائد كفر يسر
الكفر ويظهر الايمان في هذا القول اي مشهور مذهب مالك واصحابه وغيرهم ممن ذكر قال

غيرهم

غيرهم تقبل توبته ولا يقتل وسواء كانت توبته على هذا القول المشهور بقتله بعد القدرة عليه
والشهادة على قوله المؤدي الى قتله عندهم او جاء تائبا من قبل نفسه بدون استتابة لانه
حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود فانه لا يسقط منها شيء بها قال القابسي اذا اقر
بالسب له صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وتاب منه
واظهر التوبة قبلت منه وقتل بالسب لانه اي القتل حده وقال ابن ابي زيد مثله اي
يقتل لانه حده واما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه عنده تعالى وقال ابن سحنون من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم او شتم غيره من الانبيا صلى الله وسلم عليهم من الموحدين لم تزل من ازال
يزيل ازالة توبته عنه القتل وهو معنى قول القابسي وابن ابي زيد وكذلك اختلف في الزنديق
اذا جاء تائبا من قبل نفسه بدون استتابة والجاء اليها فحكى ابن القصار في ذلك اي في مجيئه
تائبا قولين قال اي ابن القصار من شيوخنا من قال اقتله باقراره بانه كان زنديقا او بانه
شتمه صلى الله عليه وسلم ثم جاء تائبا لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي
اي خاف الظهور واطلاع الناس عليه فيجدوه زنديقا فبادر لذلك بالتوبة فجاء تائبا ومنهم
من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها اي صحة توبته بمجيئه من قبل نفسه تائبا فكانا وقفنا على
باطنه بخلاف من اسرته البينة في وثاق قبول شهادتها عليه وهذا القول بقبول توبته قول
اصبغ بن الفرج فقيه مصر من شيوخ البخاري ومسالة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى
من هذه المسالة اي مسالة الزنديق اذا جاء تائبا فانه حق الله تعالى وهو مبني على المسامحة فجرى
تجري فيها الخلاف ومسالة سابه صلى الله عليه وسلم لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم
من انها حق ادمي مبني على المشاحة فلا يجري فيها خلاف لانه اي سبه صلى الله عليه وسلم
حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه صلى الله عليه وسلم لا تسقطه التوبة
كسائر الحقوق الادميين لابتنائها على المشاحة والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه والعلم
بانه زنديق فعند مالك والليث بن سعد واسحق بن راهويه واحمد بن محمد بن حنبل لا تقبل توبته
ظاهرا فلا تسقط عنه القتل وعند الشافعي تقبل توبته وتسقط عنه قتله واختلف فيه عند
ابي حنيفة وصاحبه ابي يوسف فقيل يقتل وقيل لا وحكى الامام محمد بن المنذر عن علي بن ابي طالب
انه اي الزنديق يستتاب بعد القدرة عليه قال ابن سحنون ولم يزل بفتح اوله وضم ثانيه مبنيا
للفاعل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين هو حق الى
غيره هو دين باطل وانما فعل شيا حده عندنا القتل وان تاب ونفعته توبته ولا عفو فيه لاحد
كالزنديق فان حده لا عفو فيه لانه لم ينتقل من ظاهر في الحقيقة الى وقال القاضي ابو محمد عبد
الوهاب بن نصر البغدادي المالكي محتجا لسقوط اعتبار توبته اي توبة من سبه صلى
الله عليه وسلم والفرق بينه اي بين من سبه صلى الله عليه وسلم وبين [illegible] من سب الله تبارك
وتعالى على مشهور القول باستتابته اي استتابة من سبه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ان النبي
بشر والبشر جنس تلحقه المعرة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو في
الاصل الجرب ومن ثم سميت السماء جربا لكثرة النجوم فيها تشبيها لها على طريقة الاستعارة المكنية
ببدن انسان اجرب ثم اثبت لها الجرب تخييلا اي الاذى المكروه الا من اكرمه الله بنبوته فلا تلحقه

ظاهر في الباطلية

معرة لكرامته على الله وشرفه عنده والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا لا خلاف فيه اجماعا
وليس من جنس من تلحقه المعرة قيد لا مفهوم له لنزاهة عزته عن ان يكون من جنس تلحقه معرة ولا
تلحقه وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد اذ هو المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد
به المرتد ويختص بمعرته لا حق فيه اي بسبه اياه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده
او بقذف يوجب له حده فان توبته وان قبلت من حيث ارتداده لا تسقط عنه القتل لانه حده ولا
يسقط عنه حد القذف ايضا رجما او جلدا وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت فانما تسقط عنه ذنوبه
من زنا وسرقة وغيرهما كشرب مسكر ولم يقتل ساب النبي بكفره لانه لم يسبق له اسلام لكن انما
يقتل لمعنى هو انافة قدره وشرف منصبه وكرم جنابه مما يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة
اي ما عراه ودهاه مما يكره ويشق عليه من الاذى به اي بقتله وذلك اي ما يرجع الى تعظيم حرمته
اذا انتهكت لا تسقطه التوبة لان سبه اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن
بكلمة ترجع الى انتهاك حرمته صلى الله عليه وسلم بمعنى الازراء والاستخفاف المعورث للمعرة
والاذى المنكي اولان فتوبته واظهار انابته اي رجوعه الى دين الحق ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله اعلم بسريرته لا غيره اذ لا يشاركه في الاصل العلم بالسرائر احد سواه وبقي حكم السب للنبي
صلى الله عليه وسلم فيقتل حدا لا كفرا وقال ابو عمران القاسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
بخروجه عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حيث هو حق ادمي تلحقه به المعرة لا تسقط عن
المرتد فلا يستتاب لردته كذا قال والاولى القول باستتابته لتنفعه توبته عند الله وان كان
يقتل حدا ان تاب وكلام شيوخنا هؤلاء المالكية المذكورين آنفا وغيرهم مبني على القول بقتله
اي سابه صلى الله عليه وسلم حدا لا كفرا وهو اي القول بانه يقتل حدا لا كفرا محتاج الى تفصيل
فان سبه بما لا يقتضي كفرا قتل حدا وكذا ان سبه بما يقتضيه وتاب والا قتل كفرا واما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه اي وافق مالكا او الوليد عنه على ذلك ممن ذكرناه
فيما وقال به كثيرون من اهل العلم فقد صرحوا انه اي سبه له صلى الله عليه وسلم ردة قالوا
ويستتاب منها فان تاب نكل به مبني لمفعوله اي عوقب ليجعل عبرة لغيره اذ النكال العقوبة
التي تنكل الناس اي تمنعهم عن فعل ما جعلت له جزاء وان ابى التوبة قتل فحكم له اي حكم مالك لمن سبه
صلى الله عليه وسلم بحكم الزنديق مطلقا بوجوب استتابته وقبولها مطلقا في هذا الوجه الذي
رواه الوليد ووافقه عليه غيره والوجه الاول اشهر من رواية الوليد في مذهب مالك وهو
قول جمهور العلماء واظهر لما قدمناه من انه يقتل حدا لا كفرا وان تاب ونحن نبسط الكلام فيه اي في
سبه صلى الله عليه وسلم فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه اي به حدا لا كفرا وانما نقول
ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد به عليه من السب له صلى الله عليه وسلم ومع اظهاره الاقلاع
اي التحول والارتحال عنه واظهاره التوبة منه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر بالشهادة عليه
في حق النبي صلى الله عليه وسلم لانتهاك حرمته واستهانته منصبه الشريف وتحقيره اي تحقير
سابه صلى الله عليه وسلم المنكر لما شهد به عليه مع اظهاره التوبة والاقلاع محقرا ما عظم الله من حقه
صلى الله عليه وسلم واجرينا حكمه اي الساب المنكر في ميراثه وغيره مما له من الحقوق حكم الزنديق اذا
ظهر بالبناء للمفعول اي اطلع عليه بانه زنديق وانكر زندقته وتاب عنها فيورث مالا وحقا وان قتل حدا

في المشهور

على المشهور من مذهب مالك كالزنديق والمستتر كفره يطلع عليهما فينكران ويتوبان والمعتمد من
مذهب ناصر السنة الشافعي اذا اطلع على احد منهم فانكر وتاب قبلت توبته ولم يقتل فان قيل فكيف
تثبتون الكفر ويشهد عليه بالبناء للمفعول له بكلمة الكفر بحكمه من الاستتابة وتوابعها سؤال ورد
تعجبا وتعجيبا وانكارا بكيف لما ذكره بانكار حالة التي يرد هو عليها بطريق الكناية الابلغ من
طريق الصراحة قلنا جوابا له نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل اعتراض بين السؤال وجوابه
افاد اثبات حكم الكافر له اعني القتل ظاهرا واذا ثبت له القتل ظاهرا مؤاخذة له بما شهد عليه به
فلا نقطع ونجزم عليه بذلك اي بالكفر لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد عليه به من
سب وتنقص واستهانة وغير ذلك او زعمه بالجر اي لدعواه ان ذلك كان منه وهلا بفتح ثانيه
من وهل الى الشيء يهل بالكسر اذا ذهب وهمه اليه ويجوز ان يكون بمعنى سهى وغلط يقال منه
وهل بالكسر في الشيء وعنه يوهل ومنه حديث ابن عمر وهل للبس اي كان منه غلطا ومعصية
وانه مقلع اي متبادر بالاعراض عن ذلك الصادر منه نادم عليه اي على ما شهد عليه به حذرا
مما يورث من اثارة الوحشة ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر كالقتل على بعض الاشخاص وان لم
تثبت له خصائصه اي خصائص الكفر الموجبة للحكم عليه به كقتل تارك الصلاة كسلا وتهاونا
حدا لا كفرا او جحدا لا جحدا واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك اي
باعتقاده استحلاله مع حرمته اجماعا وكذلك ان كان في نفسه كفرا اي مكفرا له بصدوره منه
كتكذيبه او تكفيره ونحوه اي باعتقاده استحلالا كقذفه ووصفه بالجور فهذا مما لا اشكال فيه
بالحكم عليه بالكفر ويقتل حدا وان تاب منه اي مما اورثه وصمة الكفر وطوقه اغلاله لانا لا نقبل
توبته لدفع القتل عنه ونقتله بعد التوبة حدا لا كفرا لقوله المتقدم له دركات ورطة الكفر
ومتقدم كفره الصادر منه لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم هذا وقال
الشافعي يقبل توبته واقلاعه عنه ولا يقتل وامره اي شانه وحاله بعد قتله تائبا الى الله
المطلع على صحة اقلاعه بتوبته مما يرد به لو لم يتب العالم بسره لا يعزب شيء وكذلك بل اولى
انه يقتل من قذفه او احتقره ولم يظهر التوبة واعترف بما شهد عليه مما صدر منه وصمم اي
عزم جازما عليه لا يرعوي عنه ولا يلوي الى غيره فهذا كافر بلا خلاف في كفره على هذه التفصيلات
التي تليت عليك اشد كلام العلماء القائلين بقتل من صدر منه شيء من ذلك وان تاب كمالك واصحابه
وبعض اصحاب الشافعي كابي بكر الفارسي فانه قال من قذف نبيا قتلناه وان تاب وبه اقول وتنزل
مختلف عباراتهم التي ما لها واحد في الاحتجاج على قتله عليها اي على التفصيلات المذكورة المؤذنة
بقتله تاب او لم يتب لكن من تاب من قتل عندهم حدا لا كفرا ومن لم يتب قتل كفرا لا حدا واجرى
اختلافهم في الموارثة عليها كاجراء احكام الاسلام على من تاب وان حكم باسلامه من الصلاة عليه ودفنه
في مقابر المسلمين وارثه لورثته دون من لم يتب فتنزيل ذلك على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
مما تلي على سمعك فكرك ان شاء الله عز وجل حالا من الاسم الكريم لازمة له **فصل** اذا قلنا
بالاستتابة لساب نبي من الانبياء حيث يصح منه على رواية الوليد بن مسلم عن مالك فقهها كما
مر انه كالزنديق يستتاب فان تاب نكل به والا قتل فلا اختلاف فيها اي في الاستتابة على الاختلاف
في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما عند مالك ومن وافقه على رواية الوليد عنه خلاف مشهور في مذهب

وقد اختلف السلف اي متقدموا الامة من الصدر الاول في وجوبها اي الاستتابة وفي صورتها
ومدتها فذهب جمهور اهل العلم ان المرتد عن دينه الى باطل يستتاب من ردته وجوبا وحكى ابن
القصار انه اي ما ذهب اليه الجمهور من استتابة المرتد اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر
ابن الخطاب في الاستتابة له كي يرجع عن ردته ولم ينكره اي قول عمر واحد منهم بل اجمعوا على عدم
انكاره وهو قول عثمان بن عفان وعلي هو ابن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وبه اي قول من تقدم
من الصحابة قال عطا بن ابي رباح غير الاسلوب انتقالا من الصحابة الى التابعين وابراهيم النخعي
وسفيان بن سعيد الثوري وابو عبد الله مالك بن انس واصحابه اي مقلدوه وعاصروه ام الا وابو عمرو
الاوزاعي وناصر السنة ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المطلبي وابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل
واسحق بن ابراهيم بن راهويه الحنظلي واصحاب الراي ابو حنيفة ومتابعوه ومن عشي ضوئنا رم
وحفاظ الحديث يسمون اصحاب القياس به لاخذهم بارائهم فيما اشكل من الحديث وفيما لم يرد فيه خبر
ولا اثر وذهب طاوس هو ابن كيسان اليمني وعبيد بن عمير بن قتادة الليثي والحسن بن ابي الحسن
البصري في احدى الروايتين عنه انه اي ساب النبي صلى الله عليه وسلم وشانيه ومنتقصه لا يستتاب
وقاله اي ما ذهب اليه من ذكر انه لا يستتاب عبد العزيز بن ابي سلمة الماجشون وذكره عن معاذ
هو ابن جبل الانصاري وانكره سحنون عن معاذ وحكاه ابو جعفر احمد بن محمد الطحاوي عن ابي يوسف
يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصاري وهو اي القول بعدم الاستتابة قول اهل الظاهر داود بن
محمد الظاهري واتباعه هذا ثم القائلون بعدمها قالوا وتنفعه ان تاب توبته عند الله ولكن لا
تدرا اي لا تدفع عنه القتل لانه حده لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن ابن عباس
من بدل دينه فاقتلوه وحكي عن ابي محمد عطا بن ابي رباح ان كان هذا اي الشاب ممن ولد في
الاسلام اي ولد مسلما لم يستتب ويستتاب الاسلامي اي من ولد في الكفر ثم اسلم وجمهور العلما
على ان المرتد والمرتدة في ذلك اي في وجوب استتابتهما كما مر سوا وروى كما في مصنف ابن ابي
شيبة عن علي موقوفا عليه لا تقتل المرتدة قيل لحديث النهي عن قتل النسا قلنا هو عام خص بالجهاد
بشهادة حديث وجد النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته مقتولة فنهى عن قتلهن وتسترق
اي المرتدة وقاله اي قول علي بعدم قتلها وباسترقاقها عطا وقتادة بن دعامة وروي عن ابن
عباس لا تقتل النسا في الردة لعله اراد زمن ردة العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
وبه اي بما روي عن ابن عباس قال ابو حنيفة لا تقتل المرتدة هذا وانما بعموم نهيه صلى الله عليه
وسلم عن قتل النسا لا بما قاله ابن عباس ونقل على ذلك خصوص عموم النهي عن قتلهن بالجهاد
ويقتلن بالردة بشهادة عموم امره في حديث من بدل دينه فاقتلوه نصا واشاره الى ان
علة قتل من ارتد تبديل الدين من ذكر وانثى وتخصيص ابي حنيفة من لا تكايد له كما في والزمن
والاعرج من عموم حديث النهي عن قتلهن الشامل له عموم حديث من بدل دينه فاقتلوه خلاف
الاصل ومن ثم قال مالك الحر والعبد والذكر والانثى في ذلك اي في قتل كل منهم بالردة سوا
واما مدتها اي مدة الاستتابة فمذهب الجمهور من العلما وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة
ايام يحبس فيهن فان تاب والا قتل وقد اختلف فيه اي في مذهب الجمهور المروي عن عمر انه
يستتاب ثلاثة ايام وهو احد قولي الشافعي والصحيح من مذهبه انه يستتاب في الحال فان

تاب والا قتل وهو ايضا ما روي عن عمر قول احمد بن حنبل واسحق بن راهويه واستحسنه مالك بن انس
وقال لا ياتي الاستظهار والاحتياط والتثبت الا بخير وليس عليه اي على الاستظهار والتثبت
والتاني في الامور جماعة الناس لزهقهم واستعجالهم فيها قال ابن ابي زيد يريد يعني مالكا بقوله
وليس عليه جماعة الناس في الاستيناء اي التربص والتاني ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به
في استتابة المرتد قول عمر يحبس ثلاثا ويعرض عليه التوبة كل يوم فان تاب قبلت توبته والا قتل قال
ابن القصار في تاخيره اي المرتد ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك اي التاخير ثلاثا واجب او مستحب
فظاهر مذهبه كما في شرح المختصر لبهرام الوجوب وروي عنه الاستحباب واستحسن الاستتابة
والاستيناء اصحاب الراي اي القياس كابي حنيفة لاخذهم به وروي عن ابي بكر الصديق مبالغة
في صدقه وتصديقه بلا توقف انه استتاب امراة ارتدت اي طلب منها الرجوع الى الاسلام فلم تتب
فقتلها ظاهره انه استتابها مرة وقال الشافعي يستتاب المرتد مرة فان لم يتب مكانه واستحسنه قتل
اي قول الشافعي صاحبه المزني وقال ابو بكر محمد بن شهاب الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات يحتمل
في ثلاثة ايام او يوم او ساعة فان ابى قتل وروي عن علي يستتاب شهرين فان ابى قتل وهذا ابعد
وابعد منه ما قاله ابراهيم النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ سفيان بن سعيد الثوري وزاد ما رجيت
توبته اي مدة رجائها وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او في
ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة يحتمل ان يكون ذلك تخييرا من ابي حنيفة او شكا من ابن القصار او من
المصنف وفي كتاب محمد هو ابن المواز عن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد يدعى المرتد اي يطلب منه الرجوع
الى الاسلام ثلاث مرات في ثلاثة ايام كما هو مذهب مالك فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا القول
باستتابته ايام ثلاثة هل يهدد بقتل او جوع او عطش او يشدد عليه الاستتابة ليتوب ام لا يهدد
ولا يشدد عليه ايامها فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى له من الطعام
ما لا يضره فلا يشاب بما يورثه رهقا وقال اصبغ تخوف ايام الاستتابة بالقتل والتنكيل الوبيل ويذكر ب
الطائع ويعظ تلك الايام اي ايام استتابته ويذكر بالجنة ونعيمها مما هو عقبى الذين اتقوا ويخوف بالنار
والمها وعقابها مما هو عقبى الذين شقوا وقال اصبغ اي موضع حبس فيه مع الناس او وحده اذا وثق
سوا لان المقصود حفظه كي يرجع الى الاسلام ويوقف ماله اذا خيف تلفه على المسلمين لو اد زمانه
بالطرف المؤذن بانه اذا لم يخف تلفه لم يوقف بل هو موقوف بسبب ردته مطلقا فان لم يتب تبين
زوال ملكه عنه وكان فيا ويطعم منه ويسقى منه لبقا مهجته كي يتوب وكذلك يستتاب ثلاثا في
ثلاثة ايام عند مالك وعند الشافعي في الحال ابدا كلما ارتد وقد استتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم احد ثلاثة من الصحابة كل منهم كان اسمه نبهان لا اعلم الذي ارتد منهم اربع مرات او خمسا
ورواه البيهقي بسند مرسل وقال استتاب رجلا ارتد اربع مرات اسمه نبهان قال ابن وهب
عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع الى الردة وهو قول الشافعي واحمد قال اسحق بن راهويه يقتل في
الرابعة اي بدون استتابة وقال اصحاب الراي ان لم يتب اي من قبل نفسه قتله دون استتابة تعرض
عليه وان تاب في الرابعة ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج حتى يظهر عليه خشوع التوبة وهو عجيب
لمخالفته قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال ابو بكر محمد بن المنذر لا نعلم احدا من العلما
اوجب على المرتد في المرة الاولى من ردته ادبا اذا رجع عنها الى الاسلام بالتوبة وهو اي عدم وجوب الادب

فصل في المرتد اذا رجع مذهب مالك والشافعي وابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي
هذا حكم من ثبت عليه شيء من ذلك بما يجب ثبوته من بيانه لما شملته ما مثل اقرار ممن صدر منه
شيء من ذلك مما اورث تكراره سامة وضجرا او بعدول لم يتهموا في عدالتهم ولم يدفع فيهم فاما من لم تتم
الشهادة عليه لنقص عددا او صفة بما شهد عليه الواحد او اللفيف اي الطايفة والجماعة من الناس
او ثبت قوله باقراره او شهادة مقبوله لكن احتمل ولم يكن صريحا في كونه كفرا وكذلك اي حكم من لم تتم الشهادة
عليه ان تاب في القول بقبول توبته وهو قول الشافعي وغيره فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه
اجتهاد الامام تعزيرا او تنكيلا وضربا وجيعا بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه لتغفل او لين في
الشهود وضعفها لاتهام او عداوة فيقابل بقدره شدة وضعفا وكثرة السماع عنه لما عزي اليه
وصورة حاله من التهمة في الدين اله قدم صدق فيه ام لا والنبز من نبزه وينزبه ومن ثم يقال نبز
ونزب وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون اي يتداعون بلقب سوء يورث من يدعى به كراهة تحقيره
وذما بالسفه والمجون اي الخلاعة وعدم المبالاة بما يصدر منه روي ان قوما من تميم استهزؤا ببلال
وخباب وصهيب فنزل ولا تنابزوا بالالقاب فمن قوي امره بما فاه به من سب او استهزا او اشتهاره
اوردة اذاقه اي الامام او نائبه شديد النكال اي العقوبة المانعة من فعل ما جعلت له جزا شبه ما
يدرك من الم النكال وضرره بما يدرك بالذاقه المر والبشع من تغير الطبع ونفرته ثم اشتق منه اذاق
فجرت الاستعارة في المصدر واصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا من التضييق والشدة في القيود الى
الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه شده في القيود والتضييق عليه القيام لضروراته مما
لابد له منه ولا يقعده عن صلاته ومعتمد ما نقلا كاحضار الماء واستعماله في اعضائه وهو اي اذاقه من شديد
النكال كل من وجب عليه القتل ممن تمت الشهادة بما شهد به عليه او كان قوله الموجب لقتله صريحا
في ايجابه لكن هذا لم تتم الشهادة بما شهد به عليه او كان قوله الموجب لقتله صريحا في وجوب قتله
ووقف عن قتله لمعنى اوجبه اي اوجب الوقوف عنه هو عدم تمام الشهادة عليه وتربص به اي انتظر
واستوضح امره لاشكال او توقع في الذهن ترددا في قتله وعايق قضاء امره وشانه وحالات الشدة
في نكاله مباشرة تختلف بحسب حاله قوة وضعفا وقد روى الوليد والاوزاعي عن مالك انها
اي مقالته الغير الصريحة ردة فاذا تاب نكل نكالا شديدا ولمالك في العتبية وكتاب محمد هو ابن المواز
من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه لشهادة قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وافتى ابن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق بكريم منزلته عند ربه وشريف منصبه
فشهد عليه شاهدان عدل احدهما دون الاخر بالادب الوجيع متعلق بافتى اي اجاب بانه يستحق ذلك
والتنكيل المردع والسجن الطويل زمانا الضيق مكانا حتى توبته انصح فيها ام لا وقال القابسي
في مثل هذا اي من شهد عليه اثنان عدل احدهما دون الاخر ومن كان اقصى امره القتل فعاق عن قتله
عايق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن بل يبقى فيه مدة ولا يستطال سجنه ولو كان فيه
اي في السجن من المدة ما عسى ان يقيم فلابد له من النكال او القتل فيجعل في قيد ويحمل عليه من
القيد ما يطيق ولا يكلف ما لا يطيق وقال اي القابسي في مثله مما اشكل امره ولم ينتج يشد
في القيود شدا وثيقا او يضيق عليه السجن حتى يظهر امره والانظر فيما يجب عليه من تنكيل وقتل
وقال اي القابسي في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق اي تصب الدما الا بالامر الواضح الذي لم يثبت باشكال

مظهر

وفي الادب بها بالسوط والسجن نكال للسفهاء وردع لهم عن الاقدام على ما يورثهم الوبال ويعاقب عقوبة
شديدة ليرتدع عما يورده المهلكات فان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرح
ما اسقطهما اي اسقط شهادتهما عنه ولم يسمع ذلك اي ما شهد به من الامر الواضح من غيرهما فامره اخف
لسقوط الحكم من قتل ونكال وغيرهما عنه وكانه لم يشهد عليه بذلك الامر الواضح الا ان يكون ممن يليق
به ذلك ويظن صدوره منه من سب واستخفاف لنبي ويكون الشاهدان من اهل التبريز من التبرز
اي الظهور اي من اهل العدالة فاسقطهما بعداوة برزت له منهما او لهما منه قبل فهو وان لم ينفذ الحكم
المترتب على ما صدر منه من سب او غيره عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن اي لا يكون ظن الحاكم بما اقامه مسقطا
لشهادتهما دافعا صدقهما بانه صدر منه ما لهو وزعما انهما وللحاكم في تنكيله موضع اجتهاد شبه تنكيله
بمكان رحب فاستعار له في الظرفية او شبه ملابسة المعنى على العقوبة للفظه بملابسة في الظرفية
ثم انتزع منه موضعا مع كونه هو وجعله معدا لعقوبته فيه فصل هذا اي ما تلي عليك مما ان
تاملته اوردك مشارع انه حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه اي النبي صلى الله عليه وسلم او عرض
بسب او استهزا اي قال في حقه ما ليس بصريح وفي حديث سمرة من عرض عرضنا له اي من عرض لنا
بقذف عرضنا له بتاديب لا يبلغ الحد ومن صرح به حددناه ولو قتلا او استخف بقدره العلي صلى
الله عليه وسلم او وصفه بغير الوجه الذي كفر به كليس بذي تقوى او عدل او رضى فلا خلاف في قتله
عندنا ايمة المالكية ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة غلا في عنقه حقنا لدمه بدفع له الجزية عن يد وهو
صاغر او العهد صلحا على امر يعود نفعه على المسلمين وكذا لم نعطه الامان على هذا اي على ان يسبه او يعرض به
او يستخف بغير ما كفر به وهو اي قتله بذلك ان لم يسلم قول عامة العلما اي جميعهم الا ابا حنيفة والثوري و
واتباعهما قالوا لا يقتل فان ما هو عليه من الشرك اعظم مما صدر منه مما يقتل به قالوا ولكن يؤدب ويعزر
تاديبا دون الحد وتعزيرا يمنعه من معاودة ما صدر منه واستدل بعض شيوخنا المالكية على قتله
اي الذمي بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم اي نقضوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفا
بالعهد المؤكد بها وطعنوا في دينكم اي عابوه فقاتلوا ايمة الكفر اي زعماء الرياسة والتقدم فيه
لانهم كانوا رؤساءهم وقد وضعهم موضع ضميرهم تلويحا بانهم اذا نكثوا مع كونهم كفارا تمردا وطغيانا فضلا
لعادة الكرام الاوفيا وطعنا في دين الاسلام فقتلوا لان العهد انما يعقد على ان لا طعن فيه فاذا
طعن فقد نكث عهده وخرج عن الذمة انهم لا ايمان لهم بفتح الهمزة في قراة ابي عمرو وجمع يمين اريد
بها التي بايعوا عليها انتفاء لا ولا لم ثم نفاها عنهم ثانيا لانتفائها في الحقيقة فلا ايمان وبه اخذ ابو
حنيفة ان يمين الكافر لا يمين وعن الشافعي هي يمين ومعنى لا ايمان لهم لا يوفون بها بشهادة وصفهم
بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا ايمة الكفر اي ليكن قتالكم لهم بعد علمكم منهم ارتكاب تلك
العظايم الموبقة لاجل انتهائهم عما ارتكبوه وهذا من عموم كرمه وعوده برحمته على من اساء كلما عاد
ويستدل ايضا على قتل الذي يسبه صلى الله عليه وسلم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف
بل ابن الاثام راس الكفر واشباهه من رؤسه كابي رافع من اليهود وابي وامية ابني خلف من قريش
ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا اي على ان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا
ان نعقد ذلك معهم اي على ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم مما ينقض عهدهم ويورثهم القتل
فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد والذمة وفعلوه فقد نقضوا ذمتهم اي عهدهم الذي عقد لهم

وصاروا كفارا اهل حرب فيقتلون لتجريهم على الشرف الرفيع بما يرديهم وايضا فان الذمي منهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم التي الزمنا الله بها كحدود الزنا جلدا او رجما ومن القطع في سرقة اموالهم اي اموال المسلمين والقتل لمن قتلوه منهم اي من المسلمين وان كان ذلك حلالا عندهم لعداوتهم في الدين ومن ثم قيل كل العداوة قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك في الدين فكذلك اي ومثل اتيانه ما لم يعط الذمة والعهد عليه في قتله به سبهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به لاقدامهم على ما اوردهم دار البوار ووردت لاصحابنا من ائمة المالكية ظواهر تقتضي الخلاف في قتل الذمي وعدمه اذا ذكره اي النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به كتكذيبه له صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الدين ستقف عليها اي على ما ورد لاصحابه من الظواهر المقتضية لقتله من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد فيما ياتي وحكى ابو مصعب فيه اي في الظواهر الخلاف عن اصحابه اقرانا وغيرهم المدنيين واختلفوا اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله اقتباس لقوله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله لا ايراده له في كلامه من غير اشعار بانه حديث وهو شرطه اي يقطع ويمحو ما كان قبله من كفر ومعاصي وذنوب بخلاف المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم فانا نقتله على ما هو بخلاف الكافر اذا سبه ثم اسلم فان اسلامه كما قيل يسقط قتله لانا لا نعلم باطن الكافر في بغضه له صلى الله عليه وسلم وتنقصه بقلبه له صلى الله عليه وسلم لكنا منعناه اذ كان في قبضتنا من اظهاره اي اظهار ما يكن قلبه فلم يزدنا ما اظهره من سب وغيره الا مخالفة للامر بتركه المانع منه ولم يزدنا الا نقضا للعهد الذي عوهد عليه من الكف عن ذلك وغيره فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله اي ما قبل رجوعه مما اجترحه من السيئات لشهادة قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه ان حكمه بجعله حكم ظاهره وكان ظننا ايضا بباطنه خلاف ما ماهر به الان فلم نقبل رجوعه عن سبه صلى الله عليه وسلم بتوبته ولا استنمنا اي ولا ارتفعنا الى ذروة سنام باطنه ولا اطلعنا عليه اذ قد بدت سرائره بخلاف ظننا به وما ثبت عليه اي على المسلم من الاحكام الواجبة فهي باقية عليه لا يسقطها شيء لتعديه بانتهاك حرمته صلى الله عليه وسلم وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب له صلى الله عليه وسلم قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه له وحده كما من قتل من سبه وان تاب لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به من العر وهو الجرب يقال عره بمعنى عراه اي غشيه ودهاه ما يكرهه ويشق عليه فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه لجراءته واقدامه على من شرف بتوامي التكريم وزواكي التعظيم كما وجب عليه اي على الذمي من حقوق المسلمين قبل اسلامه من قتل وحد قذف لزماه بما اوجبهما بعده ورده عنه واذا كنا لا نقبل توبة المسلم اذا تاب من سبه صلى الله عليه وسلم فالاحرى والاخلق ان لا نقبل توبة الكافر من باب اولى قال مالك امام دار الهجرة في كتاب عبد الملك بن حبيب وفي المبسوط وفي كتاب ابن القاسم وابن الماجشون وفي كتاب عبد الله بن عبد الحكم او ابنه محمد وفي كتاب اصبغ بن الفرج فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او شتم نبيا من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قتل لجراءته على خواص عباده وخيرته من خلقه الا ان يسلم فلا يقتل وقاله اي قول مالك هذا ابن القاسم في العتبية وعند محمد هو ابن المواز ومحمد بن سحنون وقال اصبغ بن الفرج وسحنون لا يقتل ولا يقال له لا تسلم ولكن

ان

ان اسلم من قبل نفسه فذلك اي اسلامه له توبة تدرى عنه القتل وفي كتاب محمد هو ابن المواز اخبرنا اصحاب مالك الاخذون برايه انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من مسلم او كافر قتل لانتهاكه حرمة اصفيائه وروى لنا عن مالك كما في كتاب ابن حبيب وغيره زيادة بعد قوله فاقتلوه الا ان يسلم الكافر فلا يقتل وروى عبد الله بن وهب عن عبد الله ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق بشرف ذاته فقال ابن عمر هلا حرف تندم افاد ما تولد منه مركبا من هل ولا من التمني باستعماله في الماضي في مقام يمتنع فيه التصديق بوجود القتل اي ليتكم قتلتموه وروى عيسى بن معن عن ابن القاسم انه قال في ذمي من اهل الكتاب قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم كذب والله ان رسالته كانت عامة لشهادة وما ارسلناك الا كافة للناس وانما نبينا موسى او عيسى ونحوه قال لا شيء عليه لان الله اقرهم بالجزية على مثله لشهادة قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون واما ان سبه الذمي فقال ليس بنبي او لم يرسل الى احد من الناس او لم ينزل عليه قرآن وانما هو اي القرآن شيء تقوله من عنده على الله او نحو هذا مما لا يليق به فيقتل تنكيلا لامثاله وقمعا عن الاقدام على مثل ذلك هذا ولقد شهد على كلب من النصارى في زماننا قال ان داود يعني النبي صلى الله عليه وسلم نطفه خبيثه فاوقدت له نار وقذف فيها فاحرقته قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح كما وقع لبعضهم الجنازير انه قال استهزا اي شيء دينكم واي شيء نبيكم مشهد على اثنين منهم حرقا عند مدرسة الصالحية بالنار او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك الله فعلى هذا اي فيما قاله ابن القاسم ان قاله منهم الادب الموجع والسجن الطويل نكالا له وردعا لامثاله قال اي ابن القاسم واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف صريحا غير مبهم فانه يقتل الا ان يسلم فيعصم دمه وما له الا ما يجب عليه في الاسلام قاله مالك الامام ومن تابعه غير مرة بصدق بينتين فاكثر ولم يقل يستتاب قال ت تاب والا قتل قال ابن القاسم ومحمل قوله اي قول مالك الا ان يسلم عندي ان اسلم طائعا مختارا بامراد بغيره وهو مخالف لما قاله اصبغ وسحنون في احتمال كونه ماموما وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان ابن سالم التي انشاها فيما يتعلق بذلك في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت انه يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل تنكيلا له يمنعه هو وغيره من ذلك وامثاله وفي النوادر لابن ابي زيد من رواية سحنون عنه اي عن مالك من شتم الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه كما مر انفا الا ان يسلم فلا تضرب عنقه لان الاسلام يجب ما قبله قال ابن سحنون فان قيل لم قتلته اي الذمي بسبه النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه اي دين الذمي الساب سبه صلى الله عليه وسلم وتكذيبه قيل جوابا عن السؤال لانا لم نعطهم العهد على شيء من ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا بل على الكف عن ذلك وبذل الجزية لنا عن يد وهم صاغرون فاذا قتل واحد منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله اي قتلنا واخذ اموالنا فكذلك اظهاره سب نبينا صلى الله عليه وسلم نقتله به وان اعتقد حله لاقدامه على ما لم يبح بوجه مع بطلان اعتقاده حله قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم منا على سبه اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك اي اخذها على اقرارهم على سبه صلى الله عليه وسلم في قول قائل وكذلك ينتقض العهد ممن سب منهم لهتكه حرمة الجناب المنيع والجناب الرفيع ويحل لنا دمه وقال

ابن سحنون وكما لم يعصمه الاسلام من سبه ويعصمه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة بل اولى هذا
وما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه انه يقتل بالوجه الذي كفر به مخالف لقول ابن القاسم
فيما خفف بدرئه عنهم عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامل نعم هو مخالف له لكنهما احتجا الى انه لا داعي
الى ترك قتله ولا ضرورة مع ما يؤديه اقرارهم على سبه من وهن الاسلام وذل اهله وان كان في الضرب
الوجيع والحبس الطويل رادع لهم فالقتل اردع وانجع ومن ثم قال المتنبي • لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم • وبدليل انه اي ما قاله ابن سحنون عنه وعن ابيه خلاف ما روى عن المدنيين
من اصحاب مالك في ذلك المختلف فيه قتلا وعدما فحكى ابو مصعب اتيت بضم الهمزة وبالمتكلم بنصراني
قال والذي اصطفى عيسى على محمد لاعتقادهم فيه باطلا انه ابن الله لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فاختلف علي فيه ولم يترجح لي في امره شيء ثم عن لي فضربته
ضربا وجيعا حتى قتلته او عاش بعد ضربه يوما وليلة وامرت من جره برجله بعد موته وطرحه على
مزبلة مكان الزبل اي السرجين يلقى فيه فاكلته الكلاب لانه لا حرمة له وسئل ابو مصعب عن
نصراني قال عيسى خلق محمدا لاعتقادهم الهيته افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين فقال
اي ابو مصعب يقتل لاختلاقه الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وقال ابن القاسم
سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد اهانة له وازراء به لانزرافا وتر
يخبركم انه في الجنة امنت بذلك فانه الصادق البار ما له لم ينفع نفسه والكلاب تاكل ساقيه
هذا محرد افترا منه خزاه الله واشقاه لو قتلوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم استراح منه الناس
فدته نفسي قال مالك ارى ان تضرب عنقه وتعرى على جيفته الكلاب قال اي مالك ولقد كدت
اي قاربت انه لا اتكلم فيها اي في مسئلة ابن القاسم عن هذا الكلب ثم رايت انه لا يسعني ولا يجوز لي
الصمت عن التكلم بالحق فيها بما يستحقه هذا الخبيث من القتل فشبه الصمت بظرف رحب وهو
مع سعته لا يسعه لما وجب عليه من امضا الحق على وجهه فسكت عن المشبه به ودل عليه بما هو
من روادفه تخييلا قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم اي سبه من
اليهود والنصارى فارى للامام اي السلطان ان يحرقه بالنار نكالا بما كسب وردعا لغيره وما
احسنه لولا حديث لا يعذب بالنار الا الله وان شا اي الامام قتله ثم حرقه وان شا اي الامام احرقه
بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه من التهفت وهو السقط قطعة قطعة اي اذا تكرر منهم فشبه تكرر
سبه منهم بالتهفت بمعنى السقط شيئا فشيئا ثم اشتق منه تهافت فجرت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية قال ابن كنانه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر اي ابن كنانه مسئلة ابن
القاسم التي ساله عنها في نصراني شهد عليه بمصر انه قال مسكين محمد كما مر انفا عنه في المبسوطة
قال اي القاسم فامرني مالك ان اكتب فكتبت ان يقتل وان تضرب عنقه اي يقتل بضرب عنقه
ثم قلت له اي لمالك واكتب ثم يحرق فقال اي مالك انه لحقيق بذلك وما اولاه به اي يحرقه بعد ضربه
عنقه فكتبته بيدي احتراس بديعي دفع به ما يتوهم من المجاز من بين يديه فما انكره ولا عابه لبروزه عن
امره تلويحا ونفذت الصحيفة الى مصر بذلك اي بما امره مالك به فقتل وحرق بالنار وافتى عبيد الله
بضم اوله مصغرا في جماعة سلفنا من علمائنا الاندلسيين مذهبا لازمنا اي افتى معهم فشبه ملابسة
المعنى للفظ بملابسة في للظرف فاستعارها لها بقتل نصرانية استهلت اي رفعت صوتها بنفي

الربوبية

الربوبية وبنوة عيسى لله تعالى اي رفعت صوتها بانه ابنه لقد جئتم شيئا ادا وتكذيب محمد صلى الله
عليه وسلم في النبوة وافتى فيهم ايضا بقبول اسلامها بعد ذلك ودرء القتل عنها به اي باسلامها لما ثبت في
حديث الاسلام يجب ما قبله واية قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وبه قال غير واحد من
ائمة المالكية المتاخرين منهم ابو الحسن القابسي وابن الكاتب تمسكا بالاية والحديث وقال ابن
الجلاب من سب الله ورسوله من مسلم وكافر قتل ولا يستتاب لانتهاكه حرمة الله وحرمة رسوله بما
يجب عليه الكف وحكى القاضي ابو محمد عبد الوهاب المالكي في الذمي يسب اي الله او رسوله او هما
روايتين عن مالك في درء القتل عنه وعدمه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه كان ينسب
اليه ما لا يليق به افترا عليه كالزنا والسرقة وشرب الخمر من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي
اسلامه لابتناء حقوقهم على المشاحة وانما تسقط عنه اي عن الذمي باسلامه حدود الله لابتنائها على
المسامحة فاما حد القذف فحق للعباد لا يسقط الا باقامته سواء كان لنبي او غيره من العباد المحترمين
فاوجب الله ورسوله له على الذمي اذا قذف النبي من الانبياء ثم اسلم حد القذف ولكن انظر امر الكل
من يأتي توجيهه اليه ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي من الانبياء هو القتل وبه قال الفارسي
من الشافعية وان قبلت توبته لزيادة حرمته على غيره ممن ليس نبيا ام يسقط اي قتله باسلامه ويحد
ثمانين جلدة فتبقى الاول وقيل نعم فصل في ميراث من قتل بسب النبي من الانبياء ايورث عنه ام لا وفي
غسله اعيب ام لا وفي الصلاة عليه فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين كالفيء من قبل بكسر اوله
وفتح ثانيه اي من جهة ان شتم النبي كفر الزنديق باضماره عقائد مكفرة وقال اصبغ بن الفرج ميراثه
لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك اي مسرا اي لشتمه صلى الله عليه وسلم ولم يظهره لاحد
وان كان مظهرا له مستهلا به اي معلنا بشتمه رافعا صوته به فميراثه للمسلمين فيئا على ما مر انفا
ويقتل على كل حال ولا يستتاب وعند الشافعي يستتاب فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن القابسي ان قتل
وهو منكر للشهادة عليه بانه شتمه صلى الله عليه وسلم فالحكم في ميراثه على ما ظهر من اقراره يعني اي
القابسي ان ميراثه لورثته والقتل ثابت عليه بالشهادة عليه بشتمه له صلى الله عليه وسلم وليس اي القتل
من الميراث في شيء اي ما يورث عنه في شيء حال من ضمير الميراث والظرف فيه مجازية لشبه ملابسة المعنى
للفظ بملابسة في للظرف وكذلك اي ومثل ما قاله القابسي لو اقر بالسب واظهر التوبة قتل حيث
لو اقر هو اي قتله حده بسبه له صلى الله عليه وسلم وحكمه اي هذا المقبول بسببه في ميراثه وفي سائر احكامه
اي باقيها حكم الاسلام من صلاة خلفه وعليه ميتا وغسله وتكفينه ودفنه في قبورنا ومعاملة ومناكحة
ولو اقر بالسب له صلى الله عليه وسلم وتمادى عليه اي استمر على سبه له صلى الله عليه وسلم وابى التوبة
منه اي ابى الرجوع عن سبه فقتل ابعده الله على ذلك حال من ضمير قتل اي متماديا والتمكنه من التمادي
واستقراره عليه وتمسكه به شبهت حاله بحال من علا شيئا فركبه تمثيلا اخرجه عن حكم الاسلام وكان
كافرا لتماديه على ما اراده من سبه له صلى الله عليه وسلم من غير رجوع عنه وميراثه للمسلمين فيئا
لا لورثته وقول ابي الحسن القابسي في المجاهر بسبه المتمادي فيه بين لا اشكال فيه ولا يمكن الخلاف فيه لانه
كافر مرتد بسبه واما بانه له صلى الله عليه وسلم غير تائب بتماديه ولا مقلع عما هو متماد عليه وهو اي
قول القابسي مثل قول اصبغ بن الفرج وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين وكذلك اي مثل قول اصبغ
في كتاب سحنون في الزنديق يتمادى على قوله السب بدون توبة ولا اقلاع مثل قول اصبغ على ما مر مثله قول

ابن القاسم في العتبية وجماعة من اصحاب مالك في كتاب عبد الملك بن حبيب فيمن اعلن اي
اظهر كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه اي حكم الساب حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين
تنزيلا له منزلته في الكفر ولا يرثه ورثته من اهل الدين الذي ارتد من دينه اليه لان ماله
صار بردته فيئا للمسلمين ولا يجوز وصاياه ولا عتقه لخروج ماله بردته عن ملكه موقوفا
وقاله اصبغ بن الفرج اي قال ما قاله ابن القاسم ان حكمه حكم المرتد لا يورث سوا قتل على ذلك
اي على اعلانه كفره او مات عليه معلنا له وقال ابن ابي زيد وانما اختلف في مال الزنديق الذي
يضمر عقايد باطله ويستهل بالتوبة معلنا لمقامه عنا للحق فلا تقبل منه توبته ظاهرا وان نفعته
عند الله تعالى وقال ناصر السنة الشافعي يقبل ويدفع عنه قتله ويورث وتصح وصيته وعتقه
لحديث هلا شققت عن قلبه فاما المتمادي المستمر على باطله من زندقه وغيرها يوذن بقتله
فلا خلاف في انه لا يورث لعناده بتماديه في ذلك وقال اي ابن ابي زيد فيمن سب الله تعالى ثم مات
ولم تعدل عليه بينه اي لم تقم عليه او اقيمت عليه ولم تقبل انه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في
مقابرنا وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ايمانه بقرينة سياق الكلام او اعلن اي اظهر دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين فيئا
وقال بقول مالك ان ميراث المرتد فيئا ولا ترثه ورثته من الايمة الاعلام ربيعة الراي شيخه والشافعي
ناصر السنة وصاحبه ابو ثور وعبد الرحمن بن ابي ليلى العراقيان واختلف فيه اي فيما قاله مالك وتوبع
عليه عن احمد بن محمد بن حنبل فقيل قال به وقيل لا وقال علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وسعيد
ابن المسيب والحسن بن ابي الحسن البصري وعامر بن شراحيل الشعبي وعمر بن عبد العزيز بن مروان
ابن الحكم الاموي والحكم بن عتيبه وابو عبد الرحمن الاوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه وابو
حنيفه النعمان بن ثابت الكوفي ترثه ورثته المسلمون وقيل ذلك اي ما ترثه ورثته من المسلمين
منه فيما كسبه قبل ارتداده واما ما كسبه في ارتداده فللمسلمين فيئا [illegible] وتفصيل ابي الحسن
القابسي في باقي جوابه على ما مر انفا حسن بين وهو على راي اصبغ ان ميراثه لورثته المسلمين ان
كان مسرا ذلك وان كان متظاهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين وخلاف قول سحنون ان ميراثه
لجماعة المسلمين لان شتمه النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق واختلافهما اي اصبغ وسحنون
على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين سوا قامت عليه بذلك بينة فانكره
او اعترف به واظهر التوبة وقاله اصبغ بن الفرج فقيه مصر ومحمد بن مسلمه وغير واحد من اصحابه
اي اصحاب مالك لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين يظهرون الاسلام
ويضمرون الكفر كما ورد عن من كان في عهده صلى الله عليه وسلم منهم وروى ابن نافع عنه اي عن
مالك في العتبية وكتاب محمد هو ابن المواز ميراثه لجماعة المسلمين فيئا لان ماله تبع لدمه وقال به
ايضا جماعة من اصحابه اي اصحاب مالك وقال اشهب والمغيره وعبد الملك بن الماجشون وابن حبيب
ومحمد بن المواز وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية انه اي المرتد ان اعترف بما شهد به
عليه وتاب فقتل فلا يورث وهذا عجيب كيف لا يورث وقد تاب وان لم يقر حتى قتل او مات
ورث لان الاصل بقاوه على الايمان قال اي ابن القاسم وكذلك اي ومثل من لم يقر بما شهد عليه به حتى
قتل او مات ورث كل من اسر كفرا ولم يظهره حتى قتل او مات فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام
الوارث

نا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن نصراني سب النبي صلى
الله عليه وسلم فقتل هل يرثه ورثته من اهل دينه ام المسلمون فقال انه اي ماله للمسلمين فيئا
ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين كما ورد به الحديث ولكن ماله لهم لانه فيوهم
لنقضه العهد هذا الذي ذكر معنى قوله اي قول ابن الكاتب واختصاره اي ايراده مختصرا الباب
الثالث في حكم من سب الله اي ذكره بما لا يرضيه كنسبة الكذب والعجز اليه تعالى وفي حكم من سب
الملايكه وانبيايه وكتبه وال النبي وازواجه امهات المومنين بما لا ينبغي ذكرهم به واصحابه عطف
العام على بعض افراده تفخيما لشانه وتنويها لفضله لان فيهم من هو افضل كابي بكر لا خلاف لاحد
ممن دان لله بالاسلام ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر لنسبته له بما لا يليق بكريم جلاله لمبارزته
له ومحادته قال تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اي اخزوا واحل الدم
بتجاوزه الى ما لا يجوز نسبته اليه وخرج بكونه مسلما الذمي ونحوه اذا سبه بما يعتقده ويتدين
به كجعله له شريكا او ولدا فانه لا يقتل لكن يلزمهم الامتناع من اظهاره كما يمنعون من اظهار الخمر
والخنزير والناقوس واعيادهم وقراة التوراة والانجيل واحداثهم الكنايس في بلاد الاسلام فان
اظهروا شيا من ذلك منعوا وعزروا ولا ينتقض عهدهم اما اذا سبه تعالى بما لا يعتقده كلعنه وتجهيله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا فانه يقتل بافترايه عليه تعالى واختلف في استتابته اي استتابة ام لا فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب محمد بن عبد السلام سحنون ومحمد هو ابن المواز ورواه ابن القاسم عن مالك
في كتاب ابن سحنون من سب الله تبارك وتعالى من المسلمين بما لا يليق بجلاله قتل ولم يستتب تعظيما لشانه
تعالى وتنزيها لساحة عزه عن ان ينتهك من اجترا عليه بسب بلا اذاقة نكال الا ان يكون سبه له تعالى
افترا على الله مصحوبا بارتداده الى دين غير دين الاسلام دان به اي اتخذه دينا واظهره فيستتاب اي
يومر بالرجوع الى الاسلام فان تاب قبلت توبته وان ارتد الى دين ولم يظهره لم يستتب وقتل اذ لعله
لو استتيب اظهر التوبة واخفى الكفر كالزنديق وقال مطرف هو ابن اخت مالك وعبد الملك لعله
ابن حبيب او الماجشون في المبسوطة مثله اي مثل ما مر من التفصيل وقال المخزومي ومحمد بن
مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم الذي ذكرناه بالسب حتى يستتاب كما قال الشافعي
فان تاب والا قتل وكذلك اليهودي والنصراني اي كل يهودي ونصراني لا يقتل بسبه حتى
يستتاب فان تابوا قبل منهم توبتهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك
اي ما تقدم من سبه المكفر له كله كالافترا بالردة الى دين دان به واظهره فيستتاب وهو اي
هذا التفصيل الذي حكاه القاضي بن نصر عن المذهب اي مذهب مالك وافتى ابن ابي زيد
فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى وتبارك فقال اي اللاعن انما اردت ان العن الشيطان
فزل لساني فقال اي ابن ابي زيد يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره لاحتمال كذبه مع ظهور كفره
واما فيما بينه وبين الله فمعذور واستحسنا بالايمانه مع جزمه به واختلف فقها قرطبة بضم القاف
والطا بينهما را ساكنه مدينه معروفه بالمغرب وهي الان في ايدي الكفار دار حرب بعد ان
كانت دار اسلام وعلم في مسالة هارون بن حبيب بفتح الحا المهملة اخي عبد الملك بن حبيب الفقيه
وكان اي هارون ضيق الصدر كثير التبرم مصدر تبرم به وبرم به اذا سيمه وابرمه اذا امله واضجره
وكان قد شهد عليه بشهادات تقتضي تكفيره منها انه قال عند استقلاله من مرض قد عراه لقيت

في مرضي هذا اما لو قتلت ابابكر وعمر لم استوجب هذا قال له لما غشيته من شدة مرضه فافتى
ابراهيم بن حسين بقتله لان مضمن اي مضمون قوله تجوير من الجور ضد العدل لله تعالى وظلم له
تبارك وتعالى عن الجور والظلم كالصريح في وصفه تعالى بهما وتنزهه عن ان يتصف بما لا يليق بجلاله في
وافتى اخوه عبد الملك وابراهيم بن حسن وفي نسخة ابن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القا
بطرح القتل عنه ولا يتحتم قتله الا ان القاضي سعيد بن سليمان راى عليه التثقيل في الحبس
والشدة في الادب تعزيرا له وتنكيلا ولا يقتل لاحتمال كلامه الكفر الموجب لقتله وعدمه واحتمال
صرفه الى التشكي هذا وقد حكى النووي في الروضة ما افتوا به ولم يرجح منهما رايا لكن قوله اولا وبه
حكى القاضي عياض جملة من الالفاظ المكفرة يقتضي ترجيح راي من افتى بقتله فوجه من قال في
ساب الله الاستتابة كالمخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم اي مستندهم الداعي لهم الى قولهم بانه
يستتاب فان تاب قبل والا قتل هو انه اي سبه تعالى كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله من
عباده فاشبه قصد الكفر بغير الله تعالى عن ذلك واشبه ايضا اظهار الانتقال من دين الاسلام كما
الى دين اخر من الاديان دان به مخالفا لدين الاسلام سوا اظهره ام لا ووجه من قال لا يستتاب كابن
القاسم وسحنون والمواز اي مستندهم الداعي لهم الى ترك استتابته هو انه اي سابه تعالى لما
اظهر اي سب مولاه تبارك وتعالى بعد اظهاره الاسلام قبل من الظروف الزمانية الغاية مبني
على الضم لقطعه عن مضافه المنوي اي لما ظهر منه سب ربه تعالى بعد اظهاره الاسلام وقبل اظهار
السب اتهمناه جواب لما اي اوقعناه في التهمة بالكفر وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد
له اذ لا يتساهل في هذا السب وينطق به بدون اعتقاده فحكم له اي لقائله بحكم الزنديق ولم
تقبل توبته اذ انه يتمادى على اخفا كفره واظهاره الاسلام وهذا يفهم منه ان الزنديق من يظهر الاسلام
ويخفي كفره وصرح النووي به في صفة الائمة والردة من الروضة فلا فرق بينه وبين المنافق اذ هو
كذلك والحق ان الزنديق من اخفا عقائد كفرا نفاقا فهو من لا ينتحل دينا وبهذا فارق المنافق لثبوته على
عقيدة كفر واحدة كما قال الشافعي مطلقا اي سوا كفر بمجرد السب او بردة الى دين دان به واظهره
اولا وسوا تكررت ردته واسلامه اولا وسوا كان ظاهر الكفر او زنديقا واذا انتقل الى دين اخر
واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا المنتقل من دين الى اخر بردته قد علم انه خلع ربقة الاسلام
من عنقه فيستتاب فان تاب والا قتل والربقة في الاصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة او
يدها لحفظها فشبه الاسلام بالحبل الذي فيه الربق على طريقة الاستعارة المكنية واثبات
الربقة تخييلا وصرفا للنفس عن توهم تشبيهه به حتى كانه من جنسه قضا لحق البلاغة وهو
مقتبس من حديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجماعة
هم اهل السنة ومفارقتهم ببدعة بخلاف الاول المتمسك به اي بالاسلام فانه بمجرد سبه الله
تعالى لم يعلم انه خلع ربقته من عنقه لتمسكه به ظاهرا وحكم هذا معنى الذي انتقل من دين الى
اخر واظهر السب حكم المرتد قد علم انه خلع ربقته من عنقه يستتاب على المشهور عند اكثر
العلما كالشافعي وابي حنيفة واحمد وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل في اول
الباب وذكرنا الخلاف في فصوله الاتية بعد فصل واما من اضاف الى الله تبارك وتعالى
ما اي الذي او شيئا يليق به ليس على طريق السب حال من الضمير قبله اي حال كون ذلك

المنسوب

المنسوب اليه تعالى غير متمكن من استعمال طريق سبه تعالى ولا على طريق الردة وقصد الكفر لكن
ذلك الذي يضاف اليه وليس مما ذكر هو ما يكون على طريق التاويل الفاسد والاجتهاد المودي
الى الضلال والخطا المفضي الى الهوى والبدعة تمثيل لتمكنه من الفساد ولزومه له كما من
اعتلا شيا وركبه والمراد بالبدعة هنا بدعة الضلال وهي ما يخرج مرتكبها بفعلها عن طاعة الله
لدخولها تحت عموم ما نهى الله ورسوله عنه واما ما دخل تحت عموم ما ندب الله ورسوله اليه
فقد تكون واجبة كنظم الادلة على طريق المتكلمين للرد على من ينكب الى الضلال ومندوبة كصلاة
التراويح وتصنيف العلوم الشرعية ومقدماتها وبنا المدارس والربط ومباحة كالتبسط في انواع
الاطعمة ومحرمة ومكروهة من تشبيه بيان لما لا يليق به تعالى كتشبيه المجسمة له تعالى حيث زعموا
انه على صورة شاب في جهة العلو مماسا للعرش ومحاذيا له او نعت اي وصف له تعالى بجارحة
كالوجه والعين والجنب والاستوا وما ورد في الوحيين من ذلك مثل كل شي هالك الا وجهه
ولتصنع على عيني تجري باعيننا يد الله فوق ايديهم والسما بنيناها بايد يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله الرحمن على العرش استوى ورد تمثيلا وتصويرا للمعاني العقلية بالصور الحسية وابرازا ها
في معرض ما الفوه من تراكيبهم في محاوراتهم ليفهموها والى هذا ذهب ايمة الخلف وكثير من ايمة
السلف ومن ثم بالغ صاحب الكشاف في الانكار على من فسر الاستوا بالاستيلا واليمين واليد بالنعم
والايدي بالقدرة وقال في الرحمن على العرش استوى ان الاستوا على العرش الذي هو سرير الملك
لما كان مما يرادف الملك كني به عنه ولما امتنع المعنى الحقيقي صار استوى كناية عن ملك وكذا والسما
بنيناها بايد تمثيل وتصوير لعظمته وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالايدي الى حقيقة او
مجاز وكذا والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموت مطويات بيمينه تصوير لعظمته وتوقيف
على كنه جلاله وان هذه الاجرام العظام الثقال هينة عليه هوانا لا يقف سامعه عليه الا
بايراده بعبارة من ذلك من غير ذهاب بالقبضة واليمين الى حقيقة او مجاز او نفي صفة كمال كنفي
المعتزلة صفاته القديمة الذاتية حذرا منهم من تعدد القدما ولم يعلموا ان المحذور من تعدد ها
هو تعدد ذوات لا ذات وصفات ولم يحترز بكمال عن شي لان صفاته كلها كمال فهذا الذي اضيف
اليه تعالى على التاويل مما اختلف السلف والخلف في تكفير قايله ومعتقده والحق عند الاشعري
واكثر اصحابه واكثر الفقها كابي حنيفة لا يكفر لان خطاه في تاويله ليس بقادح في اسلامه وصحته
لا يتوقف في اعتقاد الحق فيه اذ لو كان قادحا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ان يبحثوا عن
اعتقاد من اسلم ويثبتوه على ما هو الحق واللازم اعني وجوب البحث منتف قطعا لعدم وقوع شي
من ذلك هذا وبعدم تكفيره اشعر قول الشافعي لا ارد شهادة اهل الاهوا الا الخطابية لاستحلالهم
الكذب واختلف قول مالك واصحابه في ذلك هل يكفر معتقده ام لا وسياتي قريبا ولم يختلفوا
في قتالهم اذا تحيزوا وانفردوا بمكان منعزلين عن اهل الحق لاشعار ذلك بمخالفتهم ومناواتهم
وانهم يستتابون فان تابوا وعادوا الى الاسلام قبلوا والا قتلوا حذرا من ان ينشا منهم متحيزين
فساد يثير فتنة تعسر ازالتها وانما اختلفوا اي اصحاب مالك معه في المنفرد منهم اي ممن
نسب اليه تعالى تشبيها او وصفا بجارحة او نفيا لصفة فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول
بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم ترجيا لرجوعهم عن ذلك والقول الفصل فيهم

حتى يظهر اقلاعهم اي اعراضهم عنه ورجوعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ بمهملة مفتوحة
ومعجمة بينهما باء موحدة مكسورة فباء مثناه تحتيه كان يتتبع مشكل القران ويسال عنه فضربه
ومنع من مجالسته وهذا اي القول بالمبالغة في عقوبتهم قول ابن المواز في الخوارج وعبد الملك
ابن الماجشون فيبالغ في عقوبة من سلك طريقهم منهم وتقلد رايهم وفي اطالة سجنه حتى تظهر
توبته وتستبين رجوعه وهو ايضا قول سحنون في جميع اهل الاهوا وهم اثنان وسبعون فرقة
غير الفرقة الناجية اهل السنه وبه اي وبالقول بالمبالغة في عقوبتهم مع اطالة سجنهم فسر قول
مالك في الموطا من التوطية وهي التمهيد والتذليل وفراش وطي لا يؤذن جنب صاحبه وفي الحديث
الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون
ويولفون ما رواه بدل من قول مالك اي فسر بعض اصحابنا ما قاله رواية عن عمر بن عبد العزيز
وجده مروان بن الحكم وعمه عبد الملك بن مروان من قولهم في القدرية يستتابون اي ويبالغ
في عقوبتهم واطالة سجنهم فان تابوا وظهر اقلاعهم قبلوا والا قتلوا وقال عيسى لعله ابو موسى الغافقي
عن ابن القاسم في اهل الاهوا من الاباضية بهمزة مكسورة فباء موحدة [redacted] وضاد معجمة طايفة
من الخوارج اصحاب عبد الله بن اباض ظهر في خلافة مروان بن محمد اخر خلفا بني امية زعموا ان مخالفهم
كافر غير مشرك تجوز مناكحته والقدرية اتباع واصل بن عطا الغزال سموا قدرية لانكارهم القدر
والعبد يخلق فعله الشر دون الخير وهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة
لمشاركتهم المجوس في اثبات خالق الخير وخالق للشر وقال انهم خصما الله في القدر ولشاهده حديث
ينادي يوم القيمة لتقم خصما الله فتقوم القدرية لاعتقادهم ان العبد يقدر على ما لا يريده الله مع
كراهته له فلزمهم ان يقع في ملكه تعالى ما لا يريده وشبههم ممن خالف الجماعة اهل السنة الذين هم
على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم من اهل البدع بيان لمن خالفهم كالنصرية
والاسماعيلية والازارقه ومن اهل التحريف لكتاب الله تعالى بتاويل باطل على مقتضى ارايهم الكاسدة
يستتابون مطلقا اسروا الظهر وذلك اي معتقدهم او اسروه فان تابوا قبلت توبتهم والا قتلوا
وميراثهم لورثتهم لان قتلهم انما هو لارتكابهم البدعة وقال مثله اي مثل قول عيسى ايضا ابن
القاسم في كتاب محمد لعله ابن المواز في القدرية وغيرهم من المبتدعة مخالفي اهل السنه قال
اي ابن القاسم او محمد عنه واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه من الاعتقاد الباطل فان
تابوا خلي سبيلهم وان تمادوا في بدعتهم قتلوا حدا وميراثهم لورثتهم ومثله اي مثل ما قال ابن القاسم
في كتاب محمد له في المبسوطة في الاباضية من الخوارج كما مر اتباع عبد الله بن اباض كفروا عليا
واكثر الصحابة والقدرية اصحاب واصل بن عطا الغزال راس المعتزلة وسائر اهل البدع يستتابون
فان تركوا معتقدهم والا قتلوا حدا كما مر قال اي ابن القاسم وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السو
وبهذا اي وبقول ابن القاسم عمل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف قال ابن من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب
عن ذلك قبل والا قتل كفرا بانكاره تكليمه مع وروده في القران وابن حبيب وغيره من اصحابنا
صحبة مذهب واعتقاد لا صحبة زمان يرى تكفيرهم اي اهل البدع وتكفير امثالهم ممن اعتقد
السو من الخوارج وهم تسع فرق منهم المحكمية الذين خرجوا على علي عند التحكيم وكفروه والقدرية

خصما

خصما الله مجوس هذه الامة والمرجية معتقدي ارجا العذاب اي تاخيره عن العاصي لقولهم لا يضر
مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وقد روي ايضا عن سحنون مثله اي مثل قول
ابن حبيب وغيره بتكفير من ذكر فيمن قال ليس لله كلام انه كافر لكذبه عليه تعالى بانكار كلامه
واختلفت الروايات عن مالك فاطلق بتكفير من ذكر من المبتدعة في رواية الشاميين ابي
مسهر عبد الله بن مسهر ومروان بن محمد الطاطري بمهملتين الثانيه مفتوحة كان يبيع شيا يقال
يقال لها الطاطريه فنسب اليها وقد شور اي مالك شاوره بعض الناس في زواج القدري
ممن يرجوا القدر وينكره ويقول الامور انف ولا قدر فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد
مؤمن خير من مشرك ترغيبا وترهيبا وروي عنه ايضا اي عن مالك انه قال اهل الاهوا
كلهم كفار لارتكابهم عقايد لا يداان الله بها وقال اي مالك من وصف شيا من ذات الله تعالى
واشار الي شي من اعضا جسده بيد او محل سمع او بصر او اذن وقطع ذلك العضو الذي اشار اليه
لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران هو كافر فاقتلوه ان اراد كلامه القديم بذاته تعالى وان
اراد كلامه الدال عليه كفرناه واستتيب فان تاب والا قتل وقال اي مالك في رواية ابن نافع يجلد
تعزيرا او يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب ويقتل ان تاب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه اي عن
مالك يقتل ولا تقبل توبته وقال القاضي ابو عبد الله التستري من ايمة المالكية العراقيين
جوابه اي جواب مالك فيمن قال القران مخلوق مختلف فقال يقتل المستبصر الداعيه الذي
خبره بامور الشريعة وعلى هذا الخلاف الذي ذكره القاضيان قوله في اعادة الصلاة التي صليت
خلفهم على ظن اسلام الامام فبان كافرا فقال مرة تعاد ومرة لا تعاد هذا ونقل الشيخ ابو حامد
الاسفرايني والماوردي عن نص الشافعي ان من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتدا او زنديقا
وجوب الاعادة ورجحه عامة اصحابه وحكى الامام الحافظ ابو بكر بن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدر
لحكمه صلى الله عليه وسلم عليهم بانهم خصما الله ومجوس هذه الامه كما ورد واكثر اقوال السلف تكفيرهم
لاشائهم كما مر خالقين وممن قال به اي بتكفيرهم الليث بن سعد الفهمي مولاهم وابن عيينه وابن لهيعه
بفتح اوله وكسر ثانيه وروي عنهم ذلك اي عن السلف التكفير فيمن قال بخلق القران ويجري فيه تفصيلنا
السابق الا ان يقال اذا اطلق القران فالمراد به القديم لا النظم الدال عليه وقاله اي قال بتكفير من قال
بخلق القران ايمة الاعلام عبد الله بن المبارك والاودي ووكيع بن الجراح وحفص بن غياث وهشيم
وعلي ابن عاصم في اخرين من الايمة الاعلام وهو اي ما قاله هولا الايمة من قول اكثر المحدثين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والفقها والمتكلمين فيهم اي فيمن ذكر من المبتدعة وفي الخوارج والقدرية واهل
الاهوا المضلة اسم مفعول او فاعل اي اضلهم الله او اضلوا غيرهم واصحاب البدع المتاولين بتاويل باطل
وفق اعراضهم على ما يريدون وهو قول احمد بن محمد بن حنبل وكذلك قالوا اي من ذكر من الايمة بالتكفير في
حق الواقفية الذين ليسوا متاولين وفي حق الشاكين في هذه الاصول اي احقيه مرام باطلة وممن روي
عنه بالبنا للمفعول معنى القول الاخر بعدم تكفيرهم اي الفرق المذكوره علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر
والحسن البصري وهو اي القول بترك تكفيرهم راي جماعة من الفقها النظار كالشافعي اذ قد حكي عنه في الرد
لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابيه لحلهم شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم والمتكلمين واحتجوا العدم
تكفيرهم بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء بمهملة وراء بينهما واو وفي الاخر همزة

زكي

صح

ممدوده فوجه علي سليمن من الكوفة اجتمع فيها الخوارج على علي وتعاقدوا وعلي رأيهم الباطل فقاتله فقتلهم ولم
يبق منهم الا قليل احتجوا ايضا بتوريثهم وورثه من عرف بالقدر ومات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجري احكام الاسلام عليهم في كل زمان الي زماننا هذا قال القاضي اسماعيل بن اسحاق الحافظ وانما قالت
مالك في القدرية النافين للقدر وسائر اهل البدع اي باقيهم يستتابون فان تابوا قبلت توبتهم والا
قتلوا لانه اي معتقدهم الباطل من الفساد في الارض بترويج الباطل واضلال الضعفاء به كما قال اي مالك
في المحارب انما يوفي الاموال ومصالح الدنيا مما يعود نفعه عليه وان كان اي فساده قد يدخل في امر الدين
من سبيل الحج والجهاد بيان لامر الدين وفساد اهل البدع معظمه على الدين مما ينشأ من تأويلهم الباطل
لعقايد القاصرين وقد يدخل في امر الدين بما يلقون بين المسلمين من العداوة مما يورث البغضاء
والتنافر والتشاجر بينهم وربما ادي الي القتل **فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين** لما اعتقد
معناه بصرفه الي ما لا يؤدي في زعمهم الي كفر كقول المعتزلة بنفي زيادة الصفات الذاتية وقد ظاهر تأمن
تعدد القدماء ولم يعلموا ان المحذور تعدد ذوات قديمة لا ذات وصفات قد ذكرنا مذاهب السلف من
الصحابة وغيرهم في اكفار اصحاب البدع والاهوا المتاولين فاكثرهم كفرهم لمروقهم من الدين بدعهم مروق
السهم من الرمية معتمدين تأويل باطلة ومنهم من يكفرهم لعذرهم بالتاويل وان كان باطلا ممن قال قولا
يؤديه مساقه الي الكفر كقول من قال ان الله لا يريد القبائح متاولا له بان ارادة القبائح قبيحه وهو اذا اوقف
عليه اي على ما قاله وبين له انه يلزم منه ان اكثر ما يقع من عباده خلاف مراده قهرا عليه تعالى وان القبيح
هو فعل القبيح لا خلقه وارادته لا يقول بما يؤديه قوله اليه من الكفر كراهة له وتفاديا للاسلام به وعلى
اختلافهم اي اختلاف السلف اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك اي في تكفيرهم فمنهم من صوب التكفير
الذي قال به الجمهور من السلف لاعتقادهم ما يؤدي اليه من بدع فظيعه واراء شنيعه ومنهم من اباه
اي ابا التكفير ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين بعد دخولهم في عدادهم بتوحيدهم وشهادتهم بالرسالة
قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا وفي رواية حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
وفي رواية واني رسول الله وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحق الاسلام وحسابهم على الله وهو اي القول بعدم تكفيرهم قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم
فساق عصاة بارتكابهم بدعا واهوا مفسقه ضلال بتمسكهم في ذلك بتاويل باطلة ونوارثهم من موتي
اقاربهم المسلمين او من يرث ما لهم ونحكم لهم باحكامهم مما لهم وعليهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلي
خلفهم قال اي سحنون وهو اي القول بعدم اعادة من صلي خلفهم قول جميع اصحاب مالك كابن الماجشون والمغيرة
وابن كنانة واشهب قال اي سحنون لانه اي من صلي خلفه منهم مسلم وذنبه بارتكابه ما يفسقه لم يخرجه
عن الاسلام وان كان كبيرة واضطرب اخرون في ذلك اي المكفرون بما قالوه مما يؤديهم مساقه الي الكفر ووقفوا
محجمين عن القول بالتكفير الي عدمه لانهم وان قالوا بما يؤدي مساقه الي الكفر فلعلهم اذا وقفوا عليه
احجموا عنه او وقفوا محجمين عن ضده الي القول بالتكفير لظاهر ما قالوه بما يسوقه اليه واختلاف قولي
مالك في ذلك اي في التكفير وعدمه وتوقفه عن اعادة الصلاة اذا صليت خلفهم منه اي مما اضطرب
فيه اولئك الاخرون والي نحو من هذا الاختلاف والتوقف من مالك ذهب القاضي ابو بكر الباقلاني امام
اهل التحقيق تحاميا من التصريح باسم الكفر والحق انها اي مسئلة القول بالتكفير من الغويصات التي
لا تدرك الا باتعاب فكر وامعان نظر اذ القوم لم يصرحوا باسم اطلاق الكفر عليهم لما معهم من التاويل

لما قالوه مما يؤدي مساقه الي كفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله اي قول القاضي على نحو
اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال اي القاضي الباقلاني في بعض كلامه انهم اي اهل البدع
على رأي من كفرهم بالتاويل لا تحل لاحد منا اهل السنة مناكحتهم ولا تحل لنا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على
ميتهم لموته في اعتقاد من يكفرهم على الكفر ويختلف في مواريثهم على الخلاف في ميراث المرتد على ما مر
عن ابن القاسم وغيره وقال ايضا اي القاضي ابو بكر نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم اي
اهل البدع والاهوا من المسلمين واكثر ميله اي القاضي ابو بكر الي ترك التكفير وكذلك اضطرب قوله
اي في القول بتكفيرهم قول شيخه لطريقة ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة
واحدة لا تتفاوت باختلاف الاشخاص وهو اي الكفر بوجود الباري تعالى وتقدس عن ان يكون مجهولا
وقال اي الاشعري مرة من اعتقد ان الله جسم او انه المسيح بن مريم او انه بعض من يلقاه في الطرق فليس
بعارف به تبارك وتعالى فهو كافر ولمثل هذا اي ما قاله الاشعري من عدم التكفير ذهب ابو المعالي
امام الحرمين عبد الملك بن ابي محمد الجويني الشافعي في اجوبته لابي محمد عبد الحق الاشبيلي وكان الواو
للحال قد ساله عن المسالة التي مثل الاشعري فيها الي عدم التكفير اكثر فاعتذر له بان الغلط فيها بالقول
بالتكفير يصعب لان ادخال كافر في الملة اي الاسلامية او اخراج مسلم منها عظيم في الدين فوجب الاحجام
عن القول بالتكفير وقال غيرهما اي الاشعري وابي المعالي من المحققين الذي يجب القول به هو الاحتراز
من التكفير في اهل التاويل وان تاويلهم خطأ في نفس الامر فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر لا
يقدم عليه لعظمه والخطا في ترك الف كافر في نفس الامر مع الحكم باسلامه ظاهرا اهون من الخطا في سفك
محجمة من دم مسلم واحد في نفس الامر لم نحكم بكفره وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا قالوها يعني الشهادة
بوحدانيته تعالى وبرسالة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلوا وزكوا عصموا اي منعوا وحقنوا
مني دماءهم جمع دم واصله دمو واموالهم الا بحقها استثناء مفرغ من عام والعصمة متضمنة لنفيه
ليصح تفريغ الاستثناء اذ هو كشرطه ان لا تهدر دماؤهم ولا تستباح فانها واجبة بحقه وقد التزم
المؤمنون بايمانهم فان فعلوا او تركوا ابنية صالحة فهم مؤمنون حقا او تقية وخوفا عصموها مني
وحسابهم على الله اي اليه تعالى لانه الذي يتولى سرائرهم من ايمان وكفر ونفاق وامار سوله صلى
الله عليه وسلم فانما امر ان يحكم بمقتضى ظواهر افعالهم واقوالهم وحرف الجر وان اشعر بالايجاب
فهو اما على طريقة المشبه اي هو كالواجب عليه تعالى بمقتضى اخباره بوقوعه تفاديا بالخلف
فيه واما واجب عليه تعالى شرعا بمقتضى وعده اذ لا يخلف وعده وان زعم المعتزلة وجوبه عليه
تعالى عقلا وعموم الحديث مؤذن بقبول توبة المرتد والزنديق وجاحد مجمع عليه وجوبا كالصلاة
هذا واشتراط التلفظ بالشهادة انما هو لاجراء الاحكام الشرعية عليه في الدنيا وكف القتل عنه والا
فمن امن بقلبه ولم يتلفظ بها فهو مؤمن عند الله وبه قال شيخا السنة الاشعري والماتريدي واكثر
محققي انصارهما ابتغاء كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقلبه مطمئن بالايمان
اللهم ثبت قلبي على دينك وقيل لا بد من التلفظ بها وعليه كثيرون وعزي لابي حنيفة فهو عند هؤلاء
شطر واولئك شرط وهذا الخلاف انما هو في قادر ترك التلفظ بها لا على وجه الاباء فالعاجز مؤمن اجماعا
والقادر المصر على تركه مع مطالبته به كافر اجماعا لما عليه من ملابس الانكار فالعصمة للدماء والاموال

بجامع الشهادة بان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا من نفع اي العصمة ويستباح خلافها من دم او مال
الا بقاطع من الادلة ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه اي على ما يستباح مؤذن باباحته والفاظ الاحاديث
الواردة في الباب في اكفار المتاولين معرضة للتاويل لعدم صراحتها باكفارهم فما جاء في التصريح
بكفر القدرية وهو في قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم لا سهم لهم اي للقدرية في الاسلام بشهادة حديث
ينادي يوم القيمة ليقم اعداء الله فتقوم القدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة اي لقولهم بان
العبد يخلق افعاله فهم في قولهم خالقين وفي تسميته اي النبي صلى الله عليه وسلم والمراد من رواه الرافضة
بالشرك لعلهم غلاتهم القائلون بالهية علي وسموا شركا لتمكنهم منه ولزومهم له وفي اطلاق اللعنة عليهم
اي على الرافضة كالمجوس وكذلك الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان وغيرهم من اهل الاهواء كالشيعة
والزيدية سليمانية وبترية وجارودية فقد يحتج بها من يقول بالتكفير قضاء بظواهرها وقد يجيب
الاخر اي القائل بعدم التكفير بانه الضمير للشان يفسره قد ورد مثل هذه الالفاظ اي الفاظ الاحاديث
المعرضة للتاويل في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ زجرا وتنفيرا عما زجر عنه كحديث من اتى عرافا
فصدقه فهو كافر او فقد كفر وكفر دون كفر واشراك دون اشراك للتفاوت بين كفر من قضي بكفره ظاهرا
وكفر من قضي بكفره بتكذيبه لنبيه او باقراره وقد ورد مثله اي مثل الحديث الوارد في غير الكفرة في الزنا
وعقوق الوالدين والزوج كحديث لا يزني حين يزني وهو مؤمن وبعد من ادرك ابويه او احدهما فلم يدخل
الجنة ومن بات زوجها ساخطا عليها لم يرح رائحة الجنة وورد مثله مثله في غير معصية واذا كان
الحديث الوارد لامرين محتملا للامرين من كفر وغيره فلا يقطع باحدهما الا بدليل لامتناع الترجيح بدون
مرجح قاطع او غير قاطع وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج فيما رواه مسلم عن ابي ذر هم شر
البرية من برا الله الانام اي خلقهم لا على مثال ولهذه اللفظة مزيد اختصاص بخلق الحيوان وقلما
تستعمل في غيره من المخلوقات يقال برا الله النسمة وخلق السموات والارض وهذه اي كلمة هم شر
البرية صفة الكفار لوصفهم بالاشرية وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ورواه البيهقي هم شر
قتيل تحت اديم السما الادم في الاصل في الجلد استعير لظاهر السما طوبى فعلى من الطيب ضمت الطا فقلبت
ياؤها واوا اي الجنة او شجر فيها لمن قتلهم قد قتلهم علي يوم النهروان شر قتلة ولم يبق منهم الا من هرب او
طوبى لمن قتلوه لفوزه بالشهادة وخسرهم بالشقاوة وقال فيما رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري
فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد مبالغة في الامر بقتلهم اي كقتل عاد في الشدة والا فهم قتلوا بالريح
العقيم ولا قدرة عليها الا الله وظاهر هذا القول منه صلى الله عليه وسلم هو الكفر لا سيما وقد ذكرهم مع
تشبيههم بعاد قوم هود صلى الله عليه وسلم المؤذن بكفرهم كالمشبه به فيحتج به اي بتشبيههم بهم من
يرى تكفيرهم للتشبيه بكفار هلكوا بالدبور فيقول نحن ممن لا يرى تكفيرهم انه اي لمن يراه انما ذلك
من قتلهم اي لم يشبهوا بعاد من حيث تكفيرهم بل من حيث الامر بقتلهم كلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم
عليهم بدليله اي دليل خروجهم وبغيهم عليهم من الحديث نفسه يعني قوله صلى الله عليه وسلم يقتلون
اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد واجب دفعا لشرهم لا كفر وذكر عاد تشبيه لقتلهم بالقتل لعاد و
لا تشبيه للمقتول من الخوارج بالمقتول من عاد حتى يلزم الكفر وليس كل من حكم بقتله حكم بكفره لكن
ترك الصلاة كسلا فانه حكم بقتله لا بكفره ويعارضه اي يعارض من لا يرى تكفيرهم من يراه بقول خالد
في الحديث فيما رواه الشيخان عن ابي سعيد دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال اي رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم لعله يصلي فدل ذلك على انه مؤمن اذ لعل في كلام الله وكلام رسوله للتحقيق فان احتجوا اي من
يرى تكفيرهم بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم جمع حنجرة وهي راس
الغلصمة الذي يرانا بنا خارج الحلق وكذا قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فعيلة بمعنى
مفعوله اي مرمية مما يرمى فيمرق منه السهم من صيد وغيره ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على
فوقه بضم الفا اي موضعه من الوتر وقوله فيما رواه الشيخان عن ابي سعيد سبق اي السهم بمروقه
سريعا الفرث والدم يدل على انه اي الذي يقرا القران فلا يجاوز تراقيه حنجرته لم يتعلق من الاسلام بشي
كما ان السهم بمروقه سريعا لم يعلق بشي منهما وعن ام كلثوم بنت علي قالت لاهل الكوفة اي كبد فريتم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الفرث تفتت الكبد بالغم والاذى ما اجابهم الاخرون عما احتجوا به لترك
تكفيرهم ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه او لا يمتثلون اوامره ولا يجتنبون نواهيه وهذا
احسن جوابا وعارضوهم عطف على جواب الشرط اعني اجابهم الاخرون بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى
في الفوق اي يتردد في موضعه من الوتر لا يثبت وهذا يقتضي الشك في حاله احكم بكفرهم
ام لا وان احتجوا اي من يرى تكفيرهم بقول ابي سعيد في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة وتحرير ابي سعيد واتقانه اللفظ اذ قال في دون من مؤذن
بانهم كفار ليسوا من الامة اجاب الاخرون ممن لا يرى تكفيرهم بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم
غير الامة وان كان ظاهرها يقتضيه بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض فانها تقتضي تصريحا بكونهم
من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر الغفاري وعلي وابي امامة سهل بن حنيف في هذا الحديث اي في
حديث الخوارج يخرج من امتي وسيكون من امتي مما هو صريح في كونهم منهم وحروف المعاني دون حروف
المباني مشتركة في الدلالة على معانيها ينوب فيها بعضها عن بعض اما بلا تضمين ما لا يتعدى به من الافعال
فاستعير على للعز او بتضمين كف معنى امسك فعدي بعلي فلا تعويل الفا هنا مفصحة عن مقدر اي
واذا كانت مشتركة فلا اعتماد على اخراجهم اي الخوارج من الامة بفي في الرواية الاولى ولا تعويل ايضا
على ادخالهم فيها بمن في الرواية الثانية لاحتمال ورود كل من في ومن فيهما بمعنى الاخرى كما في هذا
ذراع في الارض منها وفي اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي فيه لكن ابا سعيد جاد ما شاء في التنبيه
عليه اي على اخراجهم من الامة بظاهر في دون من انهم ليسوا منهم وهذا اي تعبير ابي سعيد بفي دون من
مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم المعاني بايراد الفاظها الدالة بدون احتمال على غيرها
واستنباطها اي اخراجها من القوة الى الفعل من الالفاظ الموضوعة لها الدالة عليها وتحريرهم لها
حفظا لها عما يوهم احتمالها غير ما وضعت له من المعاني وتوقيهم في الرواية ما لم يرد باجتنابهم له
هذه المذاهب التي ذكرت فيما مر هي المعروفة لاهل السنة واما ما لغيرهم من الفرق فيها كالمعتزلة
والشيعة فقد ولهم فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اي دقيقة ضعيفة عقول اصحابها اقربها
قول جهم بن صفوان من المعتزلة وقول محمد بن شبيب منهم ايضا ان كل متاول كان لتشبيهه لنفسه
لله تعالى اي مؤذن بتشبيهه بخلقه وتجويزه الله من الجور وهو الميل عن الاستقامة تعالى عن ذلك
في فعله وتكذيبا لخبره فهو كاذب وقال ايضا كل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر بانه تعالى
واحد لا شريك له وهذا مؤذن بكفر من قال بقدم صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة والارادة مع انه
لا محذور في القول بقدم ذات واحدة مع صفات وذلك منه غلو ومبالغة قضيا برجوع كفره لهم عليه

بشهادة حديث من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك جار اي رجع اليه ما نسبه اليه وقال بعض المتكلمين
ان كان اي المتاول ممن عرف الاصل وبنى عليه تاويله وكان اي تاويله فيما هو من اوصاف الله بما لا يليق به
فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب اي باب ما يودي الى كفره ففاسق خارج عن طاعة الله الا ان يكون ممن
لم يعرف الاصل وبنى تاويله رجما بالغيب على ما لم يعرفه من صفاته تعالى فهو مخطئ في تاويله لعدم اصابته
الحق آثم فاسق غير كافر لقيام عذره بجهله وذهب العنبري من المعتزلة الى تصويب اقوال المجتهدين
في اصول فيما كان من مسائله عرضة للتاويل كتاويل المعتزلة انه تعالى متكلم بخلقه الكلام في جسم وفارق
اي العنبري في ذلك الذي قاله من تصويبه اقوال المجتهدين في اصول الدين فرق الامة اي امة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناجية وغيرها اذ اجمعوا سواه اي العنبري على ان الحق في اصول الدين واحد لقطعية
براهينه والمخطئ فيه آثم عاص فاسق لمخالفته الحق وانما الخلاف في تكفيره ولا نكفره ما دام تاويل
لان خطاه ليس قادحا في اسلامه وحكى الباقلاني بن الطيب المالكي مثل قول العنبري عن داود الاصبهاني
امام الظاهرية قال اي الباقلاني وحكى عنهما اي عن داود والعنبري انهما قالا ولك اي تصويب المجتهدين
في اصول الدين في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق وان اخطاه في نفس الامر من اهل ملتنا
او غيرهم وقال نحو هذا القول الذي قالاه ابو عمرو الجاحظ وثمامه بن اشرس من المعتزلة ان كثيرا من العامة
والنساء والبله بضم الباء جمع ابله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير او من غلبت عليه سلامة الصدر
وحسن الظن بالناس لا عقلهم امر دنياهم فجهلوا حذقا لتصرف فيها واقبلوا على آخرتهم فشغلوا انفسهم
بها فاهلوا الا ان يكونوا اكثر اهل الجنة بشهادة حديث اكثر اهل الجنة البله اما الابله لا عقل له فغير
مراد بالحديث وعن الزبرقان خير اولادنا الابله العقول اراد انه لشدة حيائه كالابله وهو عقول
ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يؤتهم في قولهما ما يوقظهم ويبعثهم على النظر
فيما نصبه من الادلة الموصلة الى المعرفة المؤذنة بالحجة له عليهم فلم يكن لهم طباع اسم مؤنث على فعال
ككهاد ومثال لا جمع طبع لانه مصدر يمكن معها الاستدلال المؤدي الى المطلوب فلم تكن له تعالى عندهما
عليهم حجة وهو قول مرفوض لاتفاقهم في الجملة على معرفة اوائل الادلة التي تتسارع الى الافهام ولا يكلفون
تفاصيلها ولا تلخيص العبارة عنها وايضا فمن نشا في دار الاسلام وتواتر عنده حال النبي صلى الله عليه وسلم
وما ظهر على يديه من المعجزات او تفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار فمن اهل النظر
والاستدلال ومن ثم قال وقائل هذا كله كالجاحظ وثمامه كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى
واليهود والمجوس كما يلوح به ... اعلم قوله • وان نار بالتنزيل محراب مسجد • فما بار بالانجيل هيكل بيعة •
• وان عبد النار المجوس وما انطفت • كما جاء في الاخبار عن الف حجة • والله اعلم بما اراد بذلك بالاجماع
على كفر كل من فارق دين المسلمين بردة قولا وفعلا او وقف اي توقف في تكفيرهم او شك اي تردد فيه قال
القاضي ابو بكر الباقلاني لان التوقيف من الله ورسوله والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف اي توقف وتردد
في ذلك فقد كذب النص الوارد من الله ورسوله بكفرهم والتوقيف به عليه او شك فيه فقد رفضهما
ولم يعتبرهما فيه والتكذيب والشك فيه اي في كفر من كفرهم لا يقع كل منهما الا من كافر لعدم اعتباره لهما
فصل في بيان ما هو من المقالات كفر جمع مقالة من القول والميم زايدة وما يتوقف او يختلف فيه
اكفر هو ام لا وما ليس بكفر اجماعا اعلم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه وما بعده سد مسد مفعوليه ان
هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع اي ما شرعه الله تعالى لعباده اي بينه لهم وامرهم بالعمل به

ووقد

وقد شرع اذا اظهره شبهه بمورد الشاربة لشبهها بابعا او مؤكدا اي الشرع الذي هو كالمورد لوجوع الناس
في وقايعهم اليه ولا مجال اي سعة للعقل فيه والفصل البين اي الظاهر الذي لا مجال لرده الفاصل
بين من حكم بكفره وغيره ان كل مقالة صدرت من احد وصرحت والعياذ بالله بنفي الربوبية او
صرحت بنفي الوحدانية او صرحت بنبوت عبادة احد غير الله او عبادة احد مع الله فهي اي المقالة
كفر جعلها نفسها كفرا مجازا مرسلا لانها منشاؤه كمقالة الدهرية القائلين بان الدهر وهو
الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا هو المؤثر في هلاك الانفس منكرين ملك الموت وقبضه الارواح
بامر الله وكان من شان العرب ذمه وسبه عند النوازل والحوادث ويقولون ابادهم الدهر واصابتهم
قوارعه وحوادثه واشعارهم ناطقة بشكوه وذكر الله عنهم في تنزيله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذمه وسبه بقوله لا تسبوا الدهر
فان الدهر هو الله وفي رواية فان الله هو الدهر اي لا تسبوا فاعل الاشيا فانه هو الله لا غير فتقدير
الرواية الاولى فان جالب هذه الحوادث ومنزلها هو الله لا الدهر وتقدير الرواية الثانية
فان الله هو الجالب لها فوضع فيهما موضع الجالب لها لاشتهاره عندهم بانه الجالب ذلك اعتقادهم
وساير فرق الاثنين القائلين انا نجد في العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا وانه لا يجوز كل منهما من فاعل ضرورة امتناع كون
الواحد خيرا شريرا ثم بينهم بقوله من الديصانية بتهمليتين الاولى مكسورة بينهما الف والمانوية وفي نسخة
والمانية نسبة الى ماني الزنديق ظهر في زمان سابور بن اردشير وادعى النبوة وقال ان للعالم اصلين قديمين نورا
هو مبدا الخير وظلمة هو مبدا الشر فصدقه فلما تولى بهرام سلخه وحشاه تبنا وقتل اصحابه الا من هرب
الى الصين ودعى الى دينه فاجيب في ذلك كذبهم المتنبي في شعره فقال • وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب • واشباههم من الصابئين من صبا اذا خرج من دين الى آخر وهم
فرقة عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملايكة لاعتقادهم تاثيرها في عالم العناصر مدبرين لا مورد
قديمه بالزمان شفعا للعباد عند الله مقربة اليه زلفى والنصارى قالوا كان مرهوتعالى جوهر واحد
ثلاثة اقانيم اقنوم الاب اي الذات واقنوم الابن اي العلم واقنوم روح القدس اي الحياة فان صح
ذلك فمعناه الهة ثلاثة والذي افاده القرآن تصريحهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة الهة وان المسيح
ولد الله من مريم لشهادة قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقوله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقد اشتهر عنهم انهم قالوا فيه لاهوتيه من جهة الاب وناسوتيه من جهة الام
لشهادة قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم مثبتا انه ولدها اتصل لها انفصال
الاولاد بامهاتهم واما اتصاله به تعالى فانما هو من حيثية رسوله وايجاده بابداعه جسدا حيا
بلا اب فنفى اتصاله به تعالى اتصال الابناء بالاباء وهو مما افاده قوله في الآية رسول الله والمجوس القائلين
بالهين يزدان وهو مبدا الخير واهرمن وهو الشيطان مبدا الشر واختلفوا في قدمه وحدوثه
من يزدان كما هو في الحديث القدرية مجوس هذه الامة قيل لمضاهاتهم المجوس في قولهم باصلين نور
وظلمه فالخير من فعل النور والشر من فعل الظلمه وكذا القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى
الانسان والشيطان مع ان الله هو الخالق لهما اذ لا يكون شي منهما الا بمشيئته تعالى فهما مضافان
اليه خلقا وايجادا والى فاعليهما عملا واكتسابا والذين اشركوا بعبادة الاوثان اي الاصنام او
بعبادة الشياطين وبعبادة الشمس والنجوم او بعبادة النار او بعبادة احد غير الله من اهل

الهند والصين لاعتقادهم جميعا انه تعالى له المثل الاعلى جسم في احسن صورة وكذا الملائكة
فنحوا صورا وبالغوا في تحسينها وتزيينها وعبدوها او لكونهم كانوا اذا مات فيهم من له عند الله
منزلة كاملة اتخذوا تمثالا على صورته وعظموه تشفعا وتوسلا اليه تعالى به او لاعتقادهم
كونها موثرة في عالم العناصر مدبرة لامورها بمرور الزمان شفعا للعباد عند الله تعالى مقربة
اياهم اليه زلفى وكذلك اي ومثل من ادعى الالهية كفر القرامطة وهم الاسمعيلية لاثباتهم
الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق واصل دعوتهم الى ابطال الشرايع لان طائفة من المجوس عند
استيلاء الاسلام وغلبته في الممالك وضعفهم عن دفعه راموا تاويلها على وجوه تعود الى قواعد
اسلافهم ليستدرجون بها ضعفاء المسلمين استدراجا بوديهم اخلالها واضطرابا في شريعتهم ورأسهم
حمدان قرمط من قرى واسط فلقبوا بالقرامطة تابع سبعة القاب ورتبوا في الدعوة الى ذلك
مراتب باطلة ابتدعوها وخرافات عاطلة اخترعوها لا فائدة في ذكرها منها اباحة المحرمات والترغيب
في اللذات وتاويل الاحكام كقولهم الوضوء موالاة الامام الذي هو الحجة والتيمم الاخذ عن مادونه في
غيبته والصلاة الرسول والاحتلام افشاء شيء من اسرارهم الى من ليس من اهله بلا قصد والغسل
تجديد العهد والزكاة تزكية النفس بمعرفة ماهم عليه من الدين والكعبة والصفا النبي والباب
والمروة علي والميقات الايناس والتلبية اجابة المدعو والطواف موالاة الائمة السبعة بهم
يقتدي امام يودي عن الله وحجة يودي عنه وذو مصة يمص العلم من الحجة وابواب هم دعاة اكبرهم
يرفع درجات المومنين ودونه ياخذ العهود ومكلف يحتج ويرغب ككلب الصائد ومومن يتبع
الداعي والجنة راحة الابدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف الى غير ذلك مما هو
مثل حديث خرافة واصحاب الحلول من النصارى والباطنية وبعض المتصوفة كما ساتي واصحاب التناسخ
القائلين بانتقال الارواح من ابدانها الى ابدان اخر في الدنيا من الباطنية وهم الاسماعيلية وهذا من
القائهم السبعة كما مر ولقبوا بهم لقولهم بباطن القران دون ظاهره المفهوم منه لغة اذ هو المراد منه
ونسبته اليه كنسبة اللب الى القشر فظاهره عذاب بمشقة التكاليف وباطنه مود الى تركها
وتمسكوا فيه بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهذا
مذهب المنصورية ايضا والطيارية من الروافض اصحاب عبد الله بن معاوية
ابن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين قالوا الارواح تتناسخ وروح كانت في ادم ثم في شيث ثم في الانبياء
والائمة حتى انتهت الى علي واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله بن معاوية المذكور وهو في جبل باصبهان
وسيخرج وانكروا القيامة واحلوا المحرمات وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته واعتقد
انه حي او غير قديم كالهشامية اصحاب هشام بن الحكم وهشام سالم فانهم اتفقوا على انه تعالى عما
يقولون علوا كبيرا جسم ثم اختلفوا فقال ابن الحكم هو طويل عريض عميق معتسا وطولا وعرضا وعمقا وهو
كسبيكة بيضاء فيه تتلألأ من جانب وله لون وطعم ورائحة وليست هذه الصفات غيره ويقوم ويقعد
وله مشابهة بالاجسام ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه اليه وهو سبعة اشبار باشبار نفسه
مماسة للعرش بلا تفاوت بينهما وارادته حركة لا عينه ولا غيره ولا تدل عليه الاعراض بل الاجسام
لمشابهته لها والائمة معصومون دون الانبياء لانهم يوحى اليهم ويتقربون اليه بخلافهم لا يوحى اليهم
فوجب ان يكون الامام معصوما وقال ابن سالم هو في صورة انسان له يد ورجل وحواس خمس وانف واذن

وعين وفم ووفرة سوداء بصفة الاعلى مجوف مصمت ليس بلحم ولا دم فوصفهم له بذلك عندهم على انه محدث
ومصور سبحانه وتعالى عن ذلك او ادعى له تعالى ولدا او صاحبة اي زوجة كالنصارى كما مر او والدا
او انه تعالى متولد من شيء او انه تعالى كائن عنه اي عن شيء او ادعى ان معه تعالى في الازل شيئا قديما
وغير صفاته فانها قديمة بالزمان بمعنى عدم المسبوقية به لما ثبت من ان ما سواه وصفاته
حادث ومن زعم انها قديمة بالذات اراد انها قديمة بذات الواجب بالذات اعني الله تعالى
بمعنى انها لا تفتقر الى غيره او ادعى ان ثم اي في الوجود صانعا للعالم سواه كالمشركين عربا
ومجوس وديصانية ومانوية كما مر او ادعى ان له مدبرا غيره فذلك اي المدعي المفاد بالفعل
كله كفر موذن بان معتقده كافر باجماع المسلمين كالالهيين من الفلاسفة القائلين
بالوجود المطلق الباحثين في العلم الالهي عن ذات الواجب وما يتعلق به وعن الاجسام
واحوالها والمنجمين الباحثين عن النجوم واحوالها قيل للاسكندر الرومي كان عندي منجم
في بستانه فاراد ان النجوم نهارا واحدا واحدا فوقع في بئر وهو لا يدري فقال من تعاطى علم
ما فوقه جهل علم ما تحته والطبائعيين القائلين بتاثير الطبيعة في الايجاد والتدبير
وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اي الصعود من صعد الى فوق صعودا اذا طلع
لا من صعد في الارض اذا سار اليه تعالى عن ذلك وادعى مكالمته او حلوله في احد الاشخاص
كقول بعض المتصوفة كابن سبعين والعفيف التلمساني والشمس التبريزي ومن غشي
ضو نارهم كلهم قالوه وزعموا ان السالك اذا امعن في سلوكه وخاض لجة الوصول بما حل الله
سبحانه وتعالى فيه كالنار في الفحم واتحد به فيرتفع الامر والنهي ويظهر من العجائب
والغرائب ما لا يتصور من البشر وعن بعض متصوفة اهل مصر انه كان يقول لاصحابه
طوفوا ببيت الرب يعني قلبه فيه ورد واحوله والنصارى قالوا كما مر ان اقنوم العلم اتحد
بعيسى صلى الله عليه وسلم وتدرع بناسوت جسده بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند
الملكانية وبطريق الاشراق كالشمس في كوة بلور عند النسطورية وبطريق الانقلاب
لحما ودما بحيث صار الاله هو المسيح عند اليعقوبية وهذه الاراء سابقة ولاحقة كلها
هذيانات فسادها غني عن بيانه هنا ولا ولياته تعالى مقام يسمونه الفناء في التوحيد
وتحنا به كما بنا مقاصد المقاصد وكذلك نقطع بكفر من قال بقدم العالم اي بالزمان
بمعنى عدم مسبوقيته به او بقائه اي قال انه باق ابدا لا يفنى او شك في ذلك اي في كونه
قديما او باقيا لا يفنى على مذهب بعض الفلاسفة ولم يعتقد حدوثه والدهرية القائلين
باستناد الحوادث الى الدهر ومن قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الدنيا
كما مر في الاشخاص من بدن الى بدن اخر وتعذيبها او تنعيمها فيها اي في الاشخاص بحسب
زكائها اي طيبها وخبثها لخبث اصلها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية لله تعالى
ولم يشرك به شيئا ولكنه جحد نبوة نبينا خصوصا او جحد نبوة احد من الانبياء ممن نص
الله عليهم بعد علمه بانه نبي فهو كافر بلا ريب لجحده ذلك كالبراهمة ومعظم اليهود
منكري نبوة عيسى صلى الله عليه وسلم مطلقا وعموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم
والاروسية من النصارى قيل فرقة من رهط هرقل وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس

كان في الزمن الاول فقتلوا نبيا بعث اليهم والغرابيه من الرافض لقبوا رافضه لانهم بايعوا
زيد بن علي وقالوا له تبرا من الشيخين نقاتل معك فابي وقال كانا وزيري جدي فلا ابرى
منهما فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه والغرابيه منهم الزاعمين ان عليا كان هو المبعوث
اليه جبريل بالرسالة فغلط وبلغها محمدا صلى الله عليه وسلم لشبهه بعلي كالغراب بالغراب
وكالمعطلة جمع معطل اسم فاعل من العطل وهو فقد الشي سمي به لتعطيله الوجود عن
صانعه والقرامطه والاسماعيليه مم هم واختلفوا القائما بكامر والعنبريه من
المعتزلة وفي نسخة والعبيدية من بني عبيد بن بنت القداح اليهودية اسلمت امه فتزوجها
شريف فزعم عبيد انه ابنه ودعي الناس الي ان بايعوه بالخلافه فطلبت فلحق بالمغرب
وبويع له بها وتولي من بنيه بمصر اربعة عشر خليفة ثم اخذها منهم نور الدين الشهيد
وان كان بعض هولا الطوايف المذكورين قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم ككفر بعض
الرافضه بتكفيرهم الصحابة وقذف عائشة مع مشاركتهم من قال بالحلول في كفره باعتقادهم
الالهية في علي واولاده او حلول الله تبارك وتعالي فيهم وكذلك من دان اي اقر وخضع واقر
بالوحدانية وصحة النبوة واقر بصحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن لما لم يلتزم ما
هو من لوازم النبوة من عصمة الانبيا وغيرها وجوز على الانبيا الكذب فيما اتوا به
عن الله من الدين سوا ادعي في ذلك الذي زعم جوازه عليهم من الكذب المصلحة بزعمه
ام لم يدعها فهو كافر بتجويزه ذلك عليهم باجماع من العلما وان ادعي فيه المصلحة
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفه والاباحية ممن نكب
عن منهج الحق وقال بما ان تاملته مما مر من مقالات اولئك الفرق الزايغه افادك انهم
كلهم فيما كفروا به فان هولا الفرق كلهم زعموا ان ظواهر الشرع مما ورد بالمعاد وغيره
واكثر ما جاءت به الرسل الي قومها من الاخبار عن ما كان فيما مضي من الزمان وعما يكون
فيما ياتي منه من امور الاخرة والحشر اي الجمع من القبور والجنة والنار ليس منها اي من
الاخبار التي جات بها الرسل شي على مقتضي لفظها ومفهوم خطابها فصرفوها عن ظواهرها
الحقه الي اغراضهم الباطلة روما لابطال الدين والحادا فيه قالوا وانما خاطبوا اي الرسل
بها الخلق على جهة المصلحة لهم ليكفوا عما لا يليق بكمال الانفس مما يردها او يقصر به عن غاية
الشرف والكمال اذ لم يمكنهم اي الرسل في مخاطبة الخلق بها التصريح بتلك المصلحة لقصور افهامهم
اي الخلق عن ادراكها وهذه دعوي كاذبة تقولها على الرسل بما لا يليق بكريم مقامهم فمضمن
بضم الميم وتشديد الثانية مفتوحة مبنيا للمفعول اي مضمون مقالاتهم ابطال الشرايع
وتعطيل الاوامر والنواهي جمع امر ونهي اي ترك الفعل الماموربه وترك اجتناب
المنهي عنه وتكذيب الرسل وايقاع الارتياب اي الشك والتهمه فيما اتوا صلوات الله
وسلامه عليهم به ومنهم وكذلك من اضاف الي نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب من
اضافة النوع الي جنسه اي نسب اليه العمد من الكذب فيما بلغه عن ربه واخبر به
خرافة اخرجت للناس او شك وارتاب تهمة منه في صدقه او سبه صلى الله عليه
وسلم اي شتمه كما مر كثيرا او قال انه لم يبلغ ما انزل عليه وحذف للعلم به اختصارا كما

والله يدعوا الي دار السلام اي كل احد الي الجنه ولا يدخلها الا من هداه واضافها الي سمة الكريم
تشريفا وتفخيما لشانها وسمي دار السلامه لسلامة اهلها من كل سو او سلام الملايكه عليهم
او افشايه بينهم او استخف به او باحد من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم او ازدري عليهم
احقارا بهم او اذاهم كما تقدم كثيرا او قتل نبيا منهم او حاربه فهو بشي ذكرناه وكفاك صدقاته
كافر باجماع من العلما وكذلك نكفر من ذهب مذهب القدما فيما قالوا معتقدين ان في كل
جنس نذيرا اليهم مرسلا او ان فيهم نبيا غير مرسل من القردة والخنازير والدواب والدود
ويحتج لدعواه ان في كل جنس نذيرا او نبيا بقوله تعالي وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك
الذي زعمه يوذن بالكذب على الله تعالي ويودي الي ان يوصف انبيا هذه الاجناس مما ذكر
من الحيوانات بصفاتهم المذمومة من صور قبيحة وشيم لسيمه وفيه اي فيما زعمه هذا القايل
من الازرا والعيب على هذا المنصب اي منصب النبوه بفتح اوله وكسر ثانيه المنيف من ناف
ينوف اذا طال ومنه قول عائشة تصف اباها ذاك طود منيف اي جبل عال مشرف ما
نكره من الجوامع لجمعها مع قلتها معاني كثيره فيه توذن باحتقارهم وانتقاصهم ونسبة العيث
اليهم مما لا يليق بشرف محل النبوة وعظم شانه مع اجماع المسلمين على خلافه اي خلاف مذهب
القدما واجماع المسلمين على تكذيب قايله ومعتقده مذهبا وكذلك نكفر من عرف الاصول
الصحيحة بما تقدم من الالهية والوحدانية والنبوة واعترف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن
قال كان اسود ان مع الوارد من صفاته الحسنى انه كان ازهر اللون وان وجهه كورق مصحف او مات
قبل ان يلتحي لما فيه من الاستخفاف به والاستهزا او قال ليس هو الذي كان بمكة اي قبل هجرته منها
الي المدينة لما فيه من جحدها وكفاك شاهدا لها قوله تعالي مدحا للانصار يحبون من هاجر اليهم القا
بوقوعها له من مكة اليها او قال ليس هو الذي كان في الحجاز الصقع المعروف سمي حجازا لحجزه او ليس بقرشي
لايذانه بتكذيبه صلى الله عليه وسلم في قوله انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش وقريش ولد
النضر بن كنانة وهو اشهر من قول من قال هم من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانه وذلك مما
يقضي بكفره لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي له اي لوصفه بها او لوجود
ذاته صلى الله عليه وسلم وتكذيب له صلى الله عليه وسلم وكذلك من ادعي نبوة احد مع نبينا كاصحاب
مسيلمة والاسود العنسي او ادعي نبوة احد بعده اي بعد نبينا كالعيسوية من اليهود اصحاب عيسى
ابن يعقوب بالاصبهاني القايلين بتخصيص رسالته اي نبينا صلى الله عليه وسلم الي العرب والخر
بمعجمه مضمومة فرا مشدده من التناسخية والاباحية وفي نسخة بجيم مفتوحة فرا ساكنة القايلين
بتواتر الرسل لا ينقطعون ما دامت الدنيا وكبعض الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي
صلى الله عليه وسلم وبعده اي بعد النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وكذلك نكفر من قال كل امام عند هولاء اي
يقوم مقامه اي مقام نبينا صلى الله عليه وسلم في النبوة والحجة وكالبزيغية بباء موحدة مفتوحة فزاي
مكسورة فيا ساكنة فمهملة والبيانية بموحدة مفتوحة فيا ونون بينهما الف قيل والصواب البنانية
بموحدة مضمومة ونونين بينهما الف منهم اي من البزيغيه اصحاب بيان بن اسماعيل النهدي من
غلاة الرافضة القايلين بنبوة بزيغ وبنان وان الله حل في علي واولاده او ادعي النبوة لنفسه
كالمختار بن ابي عبيد الثقفي او جوز اكتسابها اي النبوة والبلوغ بصفا القلب بالرياضة الي مرتبتها

كالفلاسفة وغلاة المتصوفة قالوا اذا امعن السالك وذاق حلاوة العرفان والوصول ادركها وكذلك من ادعى منهم اي من الفلاسفه وغلاة المتصوفه انه يوحى اليه نكفره وان لم يدع النبوة كعبد الله بن ابي سرح من قريش كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب عليما حكيما او املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما كذا قيل والله يقول انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى فتبارك الله احسن الخالقين عجب من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها كذلك نزلت فشك وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه او كاذبا لقد قلت كما قال والتحق بمكة مرتدا فاهدره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ له عثمان عام الفتح امانا فاسلم وحسن اسلامه وكان اخاه لامه وولاه من خلافته مصر او ادعى انه يصعد الى السما بفتح عينه وفي ماضيه بكسرها عكس صعد بعد يقال صعد الى فوق اذا طلع واصعد في الارض اذا سار ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين مجانبا للحق مضاها للكذب فهولاء الطوايف المذكورون كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن نفسه باعلام الله له في تنزيله انه خاتم النبيين ولا نبي بعده ينبا فلا يرد عيسى لانه نبي قبله وينزل بعده ويحكم بشريعته ويصلي الى قبلته واخبر عن الله انه خاتم النبيين واخبر ايضا انه ارسل للناس بشهادة وما ارسلناك الا كافة للناس اي رسالة عامة لهم محيطة بهم اذ شمولها لهم يكفهم عن ان يخرج منها احد منهم وعن الزجاج ما ارسلناك الا جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف فتاؤه للمبالغة كتاء راوية وعلامة وجعله حالا من المجرور ومتقدما عليه خطا لان تقدم حال المجرور عليه كتقدمه على الجار ولا تستوي لمرتكبه في مثل هذا المقام الا بارتكابه خطا ثانيا بجعله اللام بمعنى الى فلا بد له من ارتكابه واجمعت الامة التي هي خير امة اخرجت للناس على حمل هذا الكلام اي اخباره عن نفسه وعن ربه انه خاتم النبيين ولا نبي بعده وانه ارسل الى الناس كافة على ظاهره وانه المفهم ان مفهومه هو المراد به ظاهرا دون تاويل يصرفه عن وضعه الاصلي الى ما والاه لترك على ظاهره ولا تخصيص يخصه بمعنى غير مفهومه فلا شك في كفر هذه الطوايف كلها لتكذيبهم الله ورسوله يوم ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قطعا اجماعا وسمعا عن الله ورسوله كتابا وسنة وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب القديم وحمله على خلاف ما ورد به من المعنى المحكم كحمل بعض المتصوفه قوله تعالى في قوم نوح مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا على ما حاصله اغرقوا في المحبة فادخلوا نارا معها هذيانات كثيرة مارقة عن ذمهم لعصيانهم الى مدحهم جهلا منه بما كما اجمعوا الشرف مناقب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها او خص حديثا مجمعا على نقله ومجمعا على حمله على ظاهره ليس للتاويل على خلاف معناه سبيل كتكفير الازارقة من الخوارج بابطالهم الرجم للمحصن الحر المكلف بالايلاج في فرج حرام لا دبر وحته وفرج بهيمة للاجماع على كفرهم ولم يشترط الشافعي الاسلام في الرجم لحديث الموطا وغيره ان اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وامراة من يهود قد زنيا فرجمهما وشرطه ابو حنيفه ومالك مع شهادة الحديث برده برجمهما كافرين واحتج ابو حنيفه بحديث

كافة

من

من اشرك بالله فليس بمحصن مع ان المراد انه مهدر الدم ما لم يعصمه بذمة او امان او عهد لا انه ليس بمحصن اذا زنى كافرا وهذا اي ولقولنا بتكفير الخوارج بما ذكر نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل جمع ملة وهو الدين اي اتبع منها دينا غير دينهم يتعبد به او وقف فيهم اي توقف في تكفير من ذكر او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك التوقف او الشك او التصحيح الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه اي سوى الاسلام فهو كافر باظهاره ما اظهره من خلاف ذلك وضعه موضع ضمير الاسلام تفخيما لشانه ولكمال العناية به وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وايقاعهم في الضلال غير معتقدين والى تكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة قيل والصواب كما قال الامام الرازي من غلاة الروافض الكاملية اتباع ابي كامل القائلين بتكفير جميع الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ فوضوا الخلافة الى ابي بكر ولم تقدموا عليا عليه وكفروا عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه ولو بما رسمهم في التقدم على ابي بكر فهولا اي الكميلية كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ هم كفروا الصحابة جميعا وبتكفيرهم لهم انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه وهم الصحابة اي الملائكة في زعمهم كفرة فلم يصح نقلهم ذلك اليهم فبطل الشرع والى هذا اي تكفيرهم الصحابة والله اعلم اعتراض بين اسم الاشارة وما بعده افاد رد علم ما لم يتحققه الى من لا يخفى عليه شيء اشار ربما الكنى في احد قوله يقتل من كفر الصحابة بناء على من كفر من قال لمسلم يا كافر كاذبا بشهادة ظاهر حديث مسلم من قال لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما ان كان كما قال والا حار عليه وقوله الاخر لا يقتل لانه كبيرة لم يخرج عن اصل الايمان ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكذبهم عليه على مقتضى قولهم انه عهد الى علي بالخلافة بعده وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم يعلم انه اي علي يكفر بعده اي بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهذه جملة حالية افادت انه صلى الله عليه وسلم عهد اليه صلى الله عليه وسلم حال علمه بانه يكفر على قولهم الباطل بتركه التقدم على ابي بكر ومحاربته له وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر كالقا مصحف والعياذ بالله بقاذورة وان كان صاحبه الذي فعل ذلك المجمع على انه لا يصدر الا من كافر مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل الحاكم بان من يصدر عنه مثله كافر كالسجود للصنم مما اتخذ الها من دون الله تعالى وقيل ما كان له جسم او صورة فان لم يكن له جسم او صورة فهو وثن او الشمس او القمر او الصليب او النار والسعي الى الكنائس جمع كنيسة وهي معبد النصارى مع اهلها متعلق بالسعي اي تسعى معهم حال لحليه بزيهم اي تلبسه به من شد الزنانير جمع زنار وهو ما يشد به النصارى اوساطهم او فحص الرؤوس بقاء فيها لات من فحص الارض اذا كشفها اي حلق اوساطها وتركها كمفاحص القطا اي اماكنها التي تجثم فيها وتبيض كانها تفحص عنه التراب اي تكشفه وفي الحديث من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال لامراء جيش مؤتة ستجدون اخرين للشيطان في روسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف انه استوطن روسهم كما تستوطن القطاة مفاحصها فقد اجمع المسلمون ان هذا اي فعل ما ذكر كلا او بعضا لا يوجد ولا يصدر الا من كافر واجمعوا ايضا على ان هذه الافعال علامة على الكفر وثبوته لمن صدرت منه وان صرح صاحبها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل لمسلم ظلما لانه بذلك كالماجن المتلاعب بالدين

نعل

طم

او شرب خمرا او الزنا بالزاي والنون مما حرم الله ولا بد ان يكون استحلاله له بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة كما مر من القرامطة اصحاب حمدان قرمط وبعض غلاة المتصوفة الزاعمين
انهم وصلوا الى الله فرفع عنهم التكليف فلم يواخذ بفعل محرم هذا وقد وشحنا كتابنا شرح المنفرجة
بما نقل عمن ادركته منهم انه قال اسقط الله عني التكليف فاستباح فطر رمضان والخلوة
بالاجنبيات من النسا وكذلك نقطع بتكفير من كذب بايات الله واحاديث رسول الله بعد عرفانه
صحيحة وانكر قاعدة من قواعد الشرع مما بني هو عليه المؤذن به حديث بني الاسلام على خمس
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتا الزكاة وصوم رمضان والحج وانكر
ايضا ما عرف يقينا بالنقل المتواتر عن جمع يؤمن توافقهم على الكذب من فعل الرسول صلى الله عليه
وسلم كمن انكر وجوب الصلوات الخمس ووقع الاجماع المتصل الذي لم يتخلله عدم اجماع عليه مما
لم يخف على احد من العام والخاص حتى التحق بالضروريات او كان مشهورا كحل البيع وانكر ايضا عدد
ركعاتها او سجداتها فانه يكفر بانكاره وجوب ذلك للاجماع عليه ويقول انما اوجب الله علينا
الصلاة على الجملة جملة حالية من ضمير انكر لخلوها من ضمير صاحبها فربطها بالواو اي اوجبها من بيان
كونها خمسا ومن غير بيان عدد ركعاتها وسجداتها واورد الفعل مضارعا ليحكي الحال التي وقع
فيها انكاره لذلك تبصيرا للسامع تلك الصورة مع شناعتها دالة على كفره بسوء اعتقاده كما هو
ديدنهم في كل مقام فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم السامع او غير ذلك كما
في قول تابط شرا . باني قد رايت الغول تهوي . بسهب كالصحيفة صحصحان .
فاضربها بلا دهش فخرت . صريعا لليدين وللجران . فانه قصد ان يصور لقومه حالته
التي زعم انه شجع فيها نفسه على ضربها الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة
تعجيبا لهم من جراته على الاهوال وثباته عند الشدائد بشهادة قوله فاضربها بلا دهش احتراسا
دفعا لما عسى يتوهم انه ضربها دهشا ويقول هذا المنكر ايضا وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
المعتبرة فيها والشروط المعتبرة لصحتها طهارة من وضوء وغسل وتيمم ومن بدن وسترة ومكان ومن
دخول وقت واستقبال لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي وان اشتملت عليها اجمالا الاية اقم
الصلاة لدلوك الشمس على القول بان الدلوك هو الزوال وان قلنا هو الغروب لم تشمل الظهر والعصر
واجلى منها في الدلالة على وجوبها اية واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل جمع زلفة من ازلفه
اذا قربه وازدلفا اليه اي اقمها غدوة وعشية وساعات قريبة من اخر النهار واول الليل فالغدو
هي الفجر والعشية الظهر والعصر اذ ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء ونصب
طرفي النهار على الظرفية لاضافتهما الى الوقت فاعطيا حكم ما اضيفا اليه قبل وزلفا بمعنى وقربا
بضم اوله وفتح ثانيه لحقها ان تعطف على الصلاة اي اقمها طرفيه واقم زلفا من الليل بمعنى واقم
صلوات تتقرب بها الى الله في بعض الليل قال هذا المنكر لوجوبها والخبر الوارد به عن الرسول
صلى الله عليه وسلم خبر واحد لا يفيد القطع قلنا نعم ولكن يجب العمل به اجماعا بشهادة اية وما اتاكم
الرسول فخذوه وقد حذر الله من مخالفته فقال فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار
اي غدوة وفي صلاة الفجر وعشية وفي صلاة الظهر والعصر او هي دون الظهر لانها في طرف النهار ويدد(?)

بانها

بانواع ويسمون الاطرقية اذ عذر اهل الاطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بما يعرفونه من
وجه عقلا وعلى تكفير الباطنية وهم كما مر الاسمعيلية في قولهم ان الفرايض صلوات وغيرها اسما
رجال امروا بولايتهم كقولهم كما مر الوضوء عبارة عن موالاة الامام الذي هو الحجة والتيمم هو الاخذ
من الماذون في غيبة الامام والصلاة هو الناطق الذي هو الرسول الى اخر ما تقدم من الخرافات
والخبائث والمحارم اسما رجال امروا بالبراءة منهم الى غير ذلك من الهذيانات الخرافية وقول
بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا اصفت نفوسهم اي نفوس اصحابها افضت بها
اي وصلت العبادة بنفوسهم الى اسقاطها اي الفرايض عنهم واباحة كل شي لهم ودفع عهد
الشرايع اي تكاليفها عنهم بارتفاع الامر والنهي بحيث لا يواخذ احد منهم بترك مامور به وفعل
منهي عنه وهذه منهم هذيانات فسادها غني عن بيانه وفي هذا المقام مزيد بيان لاحوال
اوليا الله تعالى اوردناه في شرح كتابنا مقاصد المقاصد وكذلك اجمع على التكفير ان انكر منكر
مكة او البيت او المسجد الحرام او انكر صفة الحج اركانا وواجبات ومحظورات وغير ذلك وقال
الحج واجب في القران ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واستقبال القبلة كذلك
واجب في القران فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولكن كونه اي
الحج على هذه الهيئة المتعارفة عند الناس من احرام متجرد او وقوف وطواف وسعي وحلق او تقصير
وغير ذلك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الحرام والمسجد الحرام الوارد بها ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سوا العاكف
فيه والباد لا ادري هل هي اي مكة والبيت والمسجد الحرام تلك الامكنة المتعارفة ام غيرها
ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا في انها هي
تلك الامكنة وكفاك بهذا منهم شاهدا عليهم بانه يلزمهم من قولهم به احتمال غلط ناقلي اخبار(?)
واقواله وافعاله وتغيير رواته الينا وذلك مما يؤدي الى ابطال الشريعة التي لا عوج فيها ولا
امتي فهذا اي المنكر لذلك ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك اسما وامكنة
وكان ممن خالط المسلمين واشتدت صحبته بكثرة مخالطته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام
عراه بعد نفر فيقال له سبيلك الذي يوردك معرفتها الان تسال عن هذا الذي لم تعلمه بعد
بالضم ظرف غاي لقطعه عن محذوف يضاف هو اليه اي بعد انك الذي انت فيه كافة معمول
تسال اي جميع المسلمين فلا تجد فيهم ولا بينهم خلافا كافة عن كافة اي جميع كل قرن منهم الى معاصري
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور المذكورة انفا هي هي كما قيل لك من ان تلك البقعة
بين جبل من جبال تهامة من ذات عرق الى البحر وجده هي مكة والبيت الذي هو فيها هو الكعبة
سمي كعبة لعلوه وارتفاعه قال . ان الذي سمك السما بنى لنا . بيتا دعايمه اعز واطول .
اي بيت العز والشرف هو الكعبة والقبلة التي صلى اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
من سائر النواحي وحجوا اليها من كل فج عميق وطافوا وان تلك الافعال من احرام وطواف وسعي
ووقوف وحلق وذبح ونحو ذلك هي صفات عبادة الحج وهي ايضا المراد بها في قوله تعالى ولله على
الناس حج البيت وقوله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس حجوا وقوله الحج عرفة ومنى اي هذه الا
المذكورة انفا التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وبعده قرنا فقرنا الينا

وان صفات الصلوات المذكورة انفا من تحرم وقراة وركوع وغير ذلك مما لم يفعل النبي صلى الله
عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك المؤذن به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي لاجل عبادتي بشهادة الحصر المؤذن به الاثبات بعد النفي وايا ن حدودها المضروبة
الموقتة للمكلفين لا يجاوز وقتها فيقع لك بسوالك عما لم تعلم العلم بان المذكورات هي على ما ذكر
كما وقع لهم العلم بما ذكر لك ولا يرتاب نفي لاستبهة بشهادة الالف بذلك بعد بقول من انكر ما ذكر
قائلا لا نوزن الحج وغيره مما ذكر على هذه الهيئة المتعارفة هل هي تلك ام غيرها بعد ان عرفتها
بسوالك عنها والمرتاب في ذلك المنكر بعد البحث عنها وبعد معرفتها وبعد صحبة المسلمين
الدالين على ذلك كله والهادين اليه كافر باتفاق الامة والايمة لا يعذر بقوله لا ادري ولا
يصدق فيه بل ظاهره اي قوله لا ادري التستر عن التكذيب له فيه اذ لا يمكن انه لا يدري
بعد البحث عنها وصحبة المسلمين وايضا فانه اذا جوز هذا المنكر على جميع الامة الوهم والغلط
فيما تلقوه من ذلك بيان لما المكني عنه عما انكره بلا ادري تسترا عن تكذيبه واجمعوا على انه
قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله واجمعوا ايضا على انه تفسير مراد الله به اي بما دل
على ما اجمعوا عليه انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي فسر به مراد الله من صفة الصلاة
والحج ووجوبهما ومن مكة والبيت والمسجد الحرام وغير ذلك فقد ادخل ادخل الاسترابة
جواب الشرط افتعال من الريبة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران الينا
وبادخال الريبة في جميعها يلزم منه ان قد انحلت عرى الدين مع وثاقتها وامن انفصامها
جمع عروة وهي في الاصل الحبل استعير تمثيلا للمعنى المفهوم بالمشاهد المعلوم تصويرا للشيء
حتى كانه يشاهده وينظر اليه فيحكم اعتقاده فيه ويتقنه به كره اي جملة ولم يبق منها عروة
ومن قال هذا اي انكر ما اجمعوا عليه مما مر من انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله
وتفسير مراد الله فهو كافر بانكاره ما اجمعوا عليه وكذلك اي ومثل من كفر بما انكره مما ذكر
يكفر من انكر القران او انكر كلمة او حرفا منه او غير شيئا منه تبديلا او نقص او زاد فيه شيئا
كقول الباطنية والاسماعيلية مما كامر فرقة واحدة لهم القاب سبعة منها مما ذكر قالوا للقران
ظاهر وباطن والمراد منه باطنه لان ظاهره المعلوم ونسبة الباطن الى الظاهر كنسبة اللب
الى القشر فظاهره معذب بالمشقة في الاكتساب وباطنه مرد الى ترك العمل بظاهره وتمسكوا
في هذه المهملات بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب او زعم انه اي القران ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او زعم انه ليس فيه حجة تقام لثبوت
حكم او نفيه ولا هو في نفسه معجزة كقول المزدارية اتباع عيسى بن صبيح المزدار ان الناس قادرون
على مثل القران واحسن منه بلاغة ونظما مع ما ورد قطعا من الحام من طولب من العرب بالعجز
بمعارضته فلم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من فصحائهم بشهادة وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وهو صادق با انا اعطيناك الكوثر فهو بزعمه ذلك كافر
وكقول هشام بن عمرو الفوطي ومعمر الصيمري من المعتزلة انه اي القران لا يدل على الله ولا هو حجة
لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدل على حلال وحرام ولا على ثواب وعقاب ولا على حكم واداب مع
وروده بذلك كله تعبيا لهم وتنكيتا وتوبيخا وتبكيتا ولا محالة في كفرهما قبحهما الله بذلك القول

الكذب

الكذب الذي تقولاه على الله وعلى رسوله وكذلك يكفر بما بانكارهما ان يكون في سائر المعجزات
النبي صلى الله عليه وسلم حجة له قاطعة تدل على صدق دعواه الرسالة وعلى انها الى الناس كافة
لان في انكار كونها حجة له صلى الله عليه وسلم نفيا لنبوت رسالته وتكذيبا لدعواه اياها مع تنزه
صلى الله عليه وسلم وبراءة شرف ذاته من ذلك مقتهما الله بما تقولاه على الجناب الشريف
والمقام المنيف بما خسرا به الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين او بانكارهما ان يكون في
خلق السموات والارض دليل على الله وجوده والهيته وتوحيده لمخالفتهم في ذلك الكذب بانكا
الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الشاهدين باحتجاجه صلى الله عليه
وسلم على منكر كون القران حجة له في صدق دعواه الرسالة وانه فيه حجة ومعجزة او ان في سائر
معجزاته حجة له او ان في السموات والارض دليلا على الله بهذا كله انه حجة له قواطع بصدقه صلى
الله عليه وسلم وتصريح القران به اي بكونه حجة ومعجزة له وفي خلق السموات والارض دليل على
الله كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اقتربت الساعة وانشق القمر محمد رسول الله ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لا اله الا هو انما الله اله واحد وكذلك نكفر من
انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه اي النص من القران الذي في ايدي
الناس ومصاحف المسلمين يقراونه في كل اوان ولم يكن جاهلا به اي بانه منه ولا قريب
عهد بالاسلام ولا احتج الواوات الثلاث للحال اي من انكر ذلك المنصوص عليه في القران
جاهلا غير قريب عهد بالاسلام محتجا لانكاره اما بانه لم يصح النقل للقران الينا عنده ولا
بلغه العلم به او لتجويزه الوهم في نقله فيكفر بالبنا للمفعول وتشديد الفا مفتوحة اي
هذا الماذكر بالطريقين اي الاجماع والنقل عنه صلى الله عليه وسلم السابقين لانه مكذب
للقران ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه التي لا ينهض عذرا له وكذلك
نكفر من انكر الجنة والنار او وجودهما الآن او انكار وجودهما يوم القيامة لا الآن وان لا ورد ما يدل على ايجادهما
الآن وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين مما دلالته عليه ظنية وان كان قطعيا
او انكر البعث من القبور للاموات او انكر الحساب والقيامة فهو كافر بالاجماع للنص عليه
كتابا وسنة ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة يوم يقوم الحساب
وحديث الشفاعة العظمى شاهد بذلك كله واجماع الامة اي امة الاجابة لا امة الدعوة
على صحة نقله اي النص متواترا وكذلك نكفر من اعترف بذلك اي بالجنة والنار وما بعدهما
ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر في الموقف والنشر اي الخروج من القبور والثواب
والعقاب على الاعمال معنى غير ظاهره كقول بعض المتصوفة المتسمين بالاسلام في قوله تعالى
مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا اي نار المحبة فصرف اللفظ عما وضع له مدحا لقوم نوح بلا
دليل موجب لتاويله مع كون اللفظ صريحا في بابه ووجد نفاذا في موضوعه وانها لذات
والام ومعان باطنه كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة بذلك كامر
عنهم فاغنى عن ذكره هنا وزعم من قال المراد بها معنى غير ظاهرها ان معنى القيامة هو الموت
الذي هو عدم الحياة التي بوجودها الاحساس او ما به الشيء حيا او هو ما اي عدم محض وانتقا

هيئة الافلاك اي بغيرها واسقاطها عن اوضاعها وتحليل العالم اي خروجه عن نظامه وابانة
اوصاله بعضها عن بعض كقول بعض الفلاسفة بذلك ممن ينكر البعث وكذلك نقطع بتكفير غلاة
الرافضة كالنصيرية والاسحاقية في قولهم لا يبعد ان يظهر الله في صورة بعض الكملة واولى الناس
بذلك علي واولاده الذين هم خير البرية واكملهم علما وعملا اذ قد صدر عنهم في العلوم والاعمال ما هو
فوق طاقة البشر ومن ثم زعموا ان الايمة منهم افضل الانبيا نعوذ بالله ان نجهل فوق جهل الجاهلين
فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير جمع خبر كقتل عمار بصفين وانكر البلاد
الناسية كالعراق وخراسان التي لا ترجع الى ابطال الشريعة التي شرعها الله وبينه لعباده
وكلفهم به ولا تفضي الى انكار قاعدة اي امر كلي كامر منطبق بالقوة على جزئيات موضوعة
من قواعد الدين كانكار غزوة تبوك او غزوة موته بالهمز وعدمه تخفيفا من البلقا من
حوران الشام كانت في جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة او انكار وجود ابي بكر الصديق وعمر
الفاروق او انكار قتل عثمان ذي النورين مع اشاعته واذاعته وانكار خلافة علي المرتضى مما
علم ذلك كله بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة ولا يرجع الى انكار قاعدة من الدين الا
انكار وجود ابي بكر فانه يفضي الى تكذيب القران لشهادة قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فلا سبيل الى تكفيره بجحد القول بترك وجود ابي بكر
خاصة واما ما عداه مما ذكر معه فلا سبيل الى تكفيره بجحده شيئا من ذلك وانكار وقوع العلم
به اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة من الجاحد اذا تلقاه بامر قبيح هو منه بري فانه يبهت
ويتحير كانكار هشام بن عمرو القرطي المبالغ في انكار القدر اكثر من مبالغة سائر المعتزلة
وعباد الصيمري منهم وقعة الجمل مع تواتر نقلها اذ خرج جماعة من الصحابة مع عايشة
في هودج على جمل اخذ بخطامه كعب بن المسور بن مخرمة الى البصرة للصلح بين علي ومعاوية
وتسكين الفتنة فنشبت بينهم الحرب فلبثه من غير قصد هذا وقد غلط مغلطاي في نسبة
انكارها الى ابن حزم وانكارهما محاربة علي من خالفه من الخوارج اذ نزعوا ايديهم من طاعته
بعدما بايعوه وقاتلوا معه من ناواه زعما وكذبا منهم انه كفر اعاذه الله من ذلك برضاه بالتحكيم
حيث اتفق هو ومعاوية لطول الحرب بينهما على تحكيم ابي موسى الاشعري من قبل علي وعمرو بن
العاص من قبل معاوية والرضى بما يريانه في امر الخلافة فاجتمع الخوارج على عبد الله بن وهب
الراسبي وساروا الى النهروان فسار اليهم وقتل منهم كثير وكان مصيبا في ذلك كله لما ثبت
من امامته ببيعة اهل الحل والعقد بالاجماع ولما تكاثر من الاخبار في تكون الحق معه ووقع
من الاتفاق على انه افضل زمانه واحق بالامامة ومخالفوه بغاة لا فسقة لخروجهم على الامام
الحق بشبهة هي تركه القصاص من قتلة عثمان وامداده لهم خواص وبطانة له مع بطانتهم
له ان يسلمهم لهم فلم يقدر لشوكتهم وشدة شكيمتهم ووفور كثرتهم وخزيهم بالخروج على من طالبهم
بدمه فادى نظره الصايب الى تاخير الامر حذرا لفتنة والخلاف ووضع الامامة موضعه فاما ان
ضعف بتشديد عينه اي ضعف المنكر نقل ما عرف بالتواتر من اجل تهمة الناقلين ووهم بتشديد
الهاء عطف على ضعف المسلمين اجمع اي جميعهم فنكفره بذلك لسريانه وافضائه الى ابطال الشريعة
فاما من انكر الاجماع الظني المجرد عن قراين كونه قطعيا الذي ليس طريقه النقل المتواتر بل طريقه

الاحاد

الاحاد المفيد كونه ظنيا عن الشارع فاكثر الفقها والنظار في هذا الباب اي باب التكفير والاجماع
الظني قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما
لانه حجة اجماعا وان كان طريقه احاد وحجتهم اي من قال بالتكفير من الفقها والنظار من الكتاب
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول اي يعاديه ويحاده من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المومنين الذي هم عليه من الدين القيم لايذانه بانه حجة لا يجوز مخالفته كما لا يجوز
مخالفة الكتاب والسنة لشهادة جمعه تعالى بين مشاقته واتباع غير سبيل المومنين في الشرط
وجعل جزاه الوعيد الشديد المفاد بقوله نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه ونديمه وما اختاره
مما لا يرضى الله ولا رسوله ونصله جهنم من صليته بالنار اذا شويته فاذا احرقته قلت صليته
بالتشديد وساءت مصيرا اي مرجعا من صرت اليه اصير مصيرا وهو شاذ والقياس مصار كمعاش
وحجتهم من السنة قوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة اي جماعة المسلمين اهل الحق وفي رواية بغي
من فارق الجماعة بترك السنة واداء الحقوق واتباع البدعه والبغاة والمحاربين قيد شبر بغاف
مكسورة فيا ساكنة ونصبه على المصدر اي من خالفهم مخالفة قدره فقد خلع من خلع ثوبه اذا
نزعه والقاه اي نزع ربقة الاسلام من عنقه هي في الاصل عروة في يد البهيمة او عنقها تمسكها
فشبه الاسلام لمنعه المكلف من المجاوزة الى ما لا ينبغي بها واضافها اليه على طريقة التشبيه المؤكد
اي خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة لها من الضياع او شبه ما يلزمه من احكامه وحدوده
واوامره ونواهيه المانعة بالربقة المانعة لها على طريقة الاستعارة التحقيقية واثبت لها
الخلع ترشيحا وحكوا اي الفقها والنظار في ذلك الاجماع على تكفير من خالف الاجماع لتوعده له
تعالى بالايه السابقة باتباع غير سبيل المؤمنين وذهب قوم اخرون الى الوقف عن القطع بتكفير
من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلما فلم يقطعوا بتكفيره ولا بعدمه وذهب قوم اخرون
الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكاين عن نظر كالقياس لان الاجتهاد الماخوذ في تعريفه
لا بد له من مستند كتكفير شيطان القدرية ابراهيم بن سيار النظام بانكاره الاجماع والقياس
وانما السابحة لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم بالاجماع قبحه الله خارق
قال القاضي ابو بكر الباقلاني القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده تعالى
والايمان به تعالى هو العلم بوجوده وانه اي الشان لا يكفر احد بقول ولا راي مما يكفر به
الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فيقضي عليه بالكفر به فان عصى الله بقول او فعل نص الله
او رسوله عليه واجمع المسلمون على انه اي ما عصى الله به من قول او فعل نص الله عليه ورسوله
او يقوم دليل على ذلك اي على انه لا يوجد الا من كافر فقد كفر لكن ليس الحكم بكفره لاجل قوله او
فعله الذي لا يوجد الا من كافر بل لما قارنه اي قارن فعله او قوله فالكفر بالله لا يكون الا باحد
ثلاثة امور احدها هو الجهل بالله وجودا والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله اذ رسوله له
او يجمع المسلمون على ان ذلك اي الذي اتاه او قاله واخبر الله ورسوله به او اجمع على انه لا
يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس معبد اليهود وقد تطلق على معبد النصارى ري
ايضا بالتزام الزنار مشدودا به وسطه متبعا له مع اصحابها في اعيادهم حال ان منها طنا
او يكون ذلك القول او الفعل كانكار وجوب فرض من فرايض الله علينا والقاء مصحف بقاذورات

لا يمكن معه العلم بالله فهذا الضرب اي الجهل بالله واتيان فعلا او قول يخبر الله ورسوله او يجمع
انه لا يكون الا من كافر وان لم يكون جاهلا بالله فهما علم دالان على ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
ليس في قلبه حبة خردل منه فاما من نفى صفة من صفات الكمال الواجبة له تعالى وليس بجارحة
فقد نص ائمتنا اي المالكية على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها اي اخلاه
تعالى منها بلا وصف تعالى بها عن ذلك علوا كبيرا قال المصنف وعلى هذا اي القول منفي وصفه تعالى
احمل قول سحنون من كان ليس لله كلام فهو كافر وهو اي سحنون لا يكفر المتاولين النافين قدمها
وزيادة تعالى على ذاته تعالى وقالوا انه تعالى خلق الكلام في الشجرة وكلم موسى وخلق القران وحدوثه
وانه مركب من حروف واصوات تفاديا من تعدد القدماء فاما من جهل صفة من هذه الصفات
الذاتية كالعلم والقدرة والارادة ونفاها غير مستبصر فاختلف العلماء اي تكفيره فكفره بعضهم
وحكى اي تكفيره عن ابي جعفر محمد بن جرير الطبري الشافعي وغيره وقال به ابو الحسن علي
ابن اسماعيل الاشعري مرة وهو احد قوليه وذهبت طائفة الى ان هذا اي جهله صفة من
صفاته تعالى لا يخرجه عن اسم الايمان فهو مؤمن ان شاء الله واليه اي الى القول بان جهله لها
لا يخرجه عليه رجع شيخ السنة ابو الحسن الاشعري قال لانه لا يعتقد ذلك اي نفيها مع جهله
اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا بل اعتقادا لم يقطع بصوابه ظنه دينا وشرعا ولا
عبرة بظن بان خطاه وانما نكفر من اعتقد ان مقاله اي قوله حق واحتج هؤلاء اي الذاهبون الى
انه لا يكفر من نفى صفة من صفاته تعالى جاهلا بها بحديث الشيخين عن ابي هريرة من قول القائل
لبنيه عند موته احرقوني ثم انظروا ابو ما داحا اي ذاريح شديدة فذروني فيه فوالله لئن قدر
الله علي وفي رواية في تفسير ابن ابي حاتم عن الشعبي لعلي اضل الله بفتح اوله وكسر ثانيه من
ضلني فلان فلم اقدر عليه بذهابه عني اي لعلي اخفى عليه بذهابي فانه مؤذنا ان بنفي قدرته
تعالى عليه مع انه قال في الحديث فغفر الله له لعذره بجهله بها مع ورود قدر بمعنى ضيق
كما في فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق ومعنى الرواية الثانية لعلي اغيب عن عذاب الله
قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن معرفتهم الصفات وكوشفوا عنها اي طلب منهم الكشف عن بيانها
لما وجد من يعلمها الا القليل من خواصهم وغيرهم عن معرفتها عماة وفي حبال الجهل لها عناه لا يجد
عليهم خلاص بل علقوا فيها ولات حين مناص وقد اجاب البعض الاول الاخر الذاهب الى تكفير
من نفى صفة من صفاته تعالى جاهلا بها عن هذا الحديث اي حديث لئن قدر الله علي بوجوه
ان قدر بمعنى قدر من القدر اي الحكم والقضا فلا يكون شك في القدرة على احيائه ومجازاته
بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر بل يكون شكه في نفس البعث الذي لا يعلم الا من رسل
بشرع امر بتبليغه اليهم ولعله اي البعث لم يكن ورد عندهم بشرع يقطع عليه به فلا يكفر
من شك نعم ان ورد عندهم به شرع عليه به فيكون الشك فيه اي في البعث حينئذ كفر
فاما ما لم يرد به اي البعث شرع فهو من مجوزات العقول فقد يقال لا كفر بالشك فيه لعدم
العلم به او يكون قدر مخففا كما مر بمعنى ضيق لورود في القران الكريم ويكون ما فعله
بنفسه من وصيته بنيه باحراقه ازراء عليها اي اهانة وتنقيصا لها وغضبا عليها لعصيانها
وخروجها عن طاعة الله وقيل ما قاله حين وصى بحرقه لئن قدر الله علي غير عاقل لكلامه ولا

حافظا له ولا ضابط لفظه بل صدر منه بلا روية وتامل مما استولى عليه من الجزع والهلع
والتبرم والخشية على نفسه وشدة الخوف التي اذهلت لبه وحيرت عقله فلم يواخذ به
اي بقوله لئن قدر الله علي وقيل كان هذا الذي قاله في زمن الفترة اي انقطاع الرسالة
اما بين رسولين من الرسل فلام الفترة جنسية او بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم عليهما
فهي عهدية ومنه حديث البخاري وفتر الوحي اي انقطع سنتين ونصف وكان ايضا حيث
ينفع مجرد التوحيد قبل ارسال الرسل او نشا بعيدا ولم يبلغه دعوة رسول ونظر في خلق
السموات والارض فوجد واصل حيث للمكان وقد تستعار للزمان وقيل هذا اي قوله لئن
قدر الله علي من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ايهاما لاستعماله في غير ما وضع له
ومعناه التحقيق ولا شك ويسمى تجاهل العارف وهو ان يسال عارف عما يجهله سوال من لا
يعلمه لمبالغة في المعنى وايهام ان شدة الشبه بين المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه
بالمشبه به كقوله وجهك هذا ام بدر مع علمك بان الوجه غير البدر الا انك لما اردت المبالغة
في وصفه بالحسن قلت مستفهما اوجه هو ام بدر فافهم شدة الشبه بينهما فان خلا سواله
عما يعلمه عن الشبه لم يكن تجاهلا كما في وما تلك بيمينك يا موسى اذ لم يكن لمبالغة في الشبه بل
ليريه عظم ما يخترعه تبارك وتعالى من عصاه اليابسة حية نضناضة اي متحركة وفي حديث
ابي بكر انه دخل عليه وهو ينضنض لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد واليقرر في نفسه
ما بين المقلوب عنه والمقلوب اليه من المباينة البعيدة تنبيها على قدرته الباهرة وعجيب صنعه
وانيق ابداعه ومنهم من لم ير فيه بينهما شبها كقولك لخارجية ٭ ايا شجر الخابور مالك مورقا ٭
كانك لم تجزع على ابن طريف ٭ وله امثلة في كلامهم اي كلام العرب كقوله تالله يا ظبيات القاع قلن لنا
ليلاي منكن ام ليلى من البشر وقوله تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله للترجي
لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة راج طامع ان يثمر عمله ويبخح سعيه رجاء انه
يتذكر اي يتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى مما تصفان له ما يجره الى الهلكة
وهذا المثال جار على مذهب من لا يرى فيه بينهما تشابه بين تذكره وخشيته لكمال انتفاء
تشابههما هذا وارسالهما اليه مع علمه تعالى بانه لا يؤمن انما هو لالزامه الحجة وقطع معذرته
بشهادة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
وقوله قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله امره او لا ان يقررهم بمن يرزقهم ثم امره ثانيا
بالاجابة والاقرار عنهم تلويحا بانهم مقرون بقلوبهم بان الله رازقهم الا ان يتفوهوا به لمنع
ما تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك من النطق به حذرا من ان تنطقوا به فيلزمهم
ان يوبخوا بتركهم عبادة من يرزقهم وايثارهم عبادة من لا يقدر على شي ثم امره ثانيا ان يقول لهم
وانا واياكم اي احد فريقينا من وحد الرازق ومن اشرك به غيره لعلى احد امرين اما على هدى او
في ضلال مبين مع اشعاره بمن هو منهما على هدى ومن هو في الضلال وخولف بين حرفي الجر تلويحا بان
صاحب الهدى كانه مستعل على جواد يسرع به متوجها حيث شاء والضلال كانه مرتبك في ظلام
فيه لا يدري اين يتوجه وهذا المثال وارد على مذهب من يرى فيه شبها بينهما التشابه الفريقين
في العبادة صورة فبينهما شبه مناسبة ومنه قول حسان بن ثابت الانصاري لابي سفيان بن حرب

لغة

يوم احد قبل اسلامه • اتهجوه ولست له بكفو • فشركما لخيركما فداء • يريد تخيير هما بر سول الله
صلى الله عليه وسلم هذا وفي تمثيله بما ورد من القران الكريم من تسميته له تجاهل العارف
نوع تهاون بالادب مع الله تعالى ولو قال كما في المفتاح لمساق الشي مساق غيره لنكتة
لكان صوابا فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة حذرا مما يلزم من اثباتها انها ان كانت حادثة
لزم قيام الحوادث بذاته تعالى وخلوه عنها في الازل وصدورها عنه قصدا واختيارا وذلك
كله باطل اتفاقا وان كانت قديمة لزم تعدد القدما وهو كفر ولم يدر ان الكفر انما هو
تعدد ذوات لا ذات واحده مع صفات فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له
وهكذا كقادر ولا قدرة له مريد ولا ارادة له على مذهب المعتزلة في نفيهم الصفات الثبوتية
عندنا اهل الحق الحاكم بثبوتها واتصافه تعالى بها اذ لا يعقل مثلا من العالم الا من له العلم وله معلوم
يتعلق به علمه فمن قال باخذهم بالمال اي المرجع لما يؤديه اليه قوله اي قول نافيه عالم ولا علم له
وسوقه اليه مذهبه من انه يلزم من نفي العلم نفي الوصف بعالم على وجه برهاني قوله
كفره لانه اذا انتفى العلم انتفى وصف عالم عن موصوفه به ضرورة انتفاء الوصف بالمشتق بانتفاء
المشتق منه اذ لا يوصف بعالم المشتق الا من له علم هو المشتق منه المشروط في صدق عالم عليه
ووصفه به قيامه به مكانهم اي النافين للصفة المؤذنة بنفي الوصف بعالم صرحوا عنده اي
القايل بالمال بما يودي اليه قولهم من لزوم نفي الوصف بالمشتق لنفي المشتق منه وهكذا عند
القايل بالمال سائر الفرق من المشبهة وغيرها كمن نفى علمه تعالى بالاشيا قبل ايجادها يجري فيه
ما ذكر فيمن اثبت الوصف ونفى الصفة ممن شبهه كابن سالم بما يوذيه اليه تشبيهه ويؤول اليه
من كونه تعالى وله المثل الاعلى كانسان له اعضا وحواس خمس ووفره سودا ونصفه الاعلى مجوف
دون الاسفل كفره ومن لم يرى اخذهم اي مواخذتهم بمال قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم اي ما فهم
من فحوى كلامهم مما ذهبوا اليه مما لا يليق بجلال ذاته تعالى لم ير اكفارهم لانهم اذا وقفوا بقاف
مشدده مكسورة اي اطلعوا على هذا اي على ما ال اليه قولهم عالم ولكن لا علم له من نفي علمه تعالى
قالوا لا نقول عالم اصلا ليس بعالم سلبا معطلا له تعالى عن العلم بل هو كما قال ابو الهذيل العلاف
شيخ المعتزلة عالم بعلم هو ذاته حي بحياة هي ذاته مريد بارادة هي ذاته متكلم بكلام لا في محل وهو
كن لان تكون الاشيا بها فلا يتصور لها محل وبعضه في محل كالامر والنهي والخبر والاستخبار
لا علم بعلم ومتكلم بكلام وحي بحياة زايدات على ذاته وهكذا ونحن وانتم ننتفي من القول بالمال الذي
الزمتموه لنا من قولنا عالم ولكن لا علم له من انتفا علمه تعالى ونعتقد نحن ايها المعتزلة وانتم
اهل السنه بانه اي ما ال اليه قولهم كفر بل نقول قولنا عالم ولكن لا علم له لا يؤول اليه اي انتفا
علمه تعالى على ما اصلناه اخذا مما اعتقد من الفلاسفة انه تبارك وتعالى مريد بارادة حادثة
لا في محل واحد من جميع جهاته لا تعدد فيه اصلا بل جميع صفاته راجعة الى السلوب
والاضافات فعلى هذين الماخذين ممن راى اخذهم بالمال ومن لم ير اخذهم به اختلف الناس
في اكفار اهل التاويل فمنهم من اكفرهم ومنهم من لم يكفرهم واذا فهمته اي التاويل على نسق ما مر
اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك اي في اكفارهم وعدمه والصواب ترك اكفارهم
واليه جنح الايمة واقتضاه قول ناصر السنه الشافعي اقبل شهادة اهل الاهوا الا الخطابيه

لرايهم الشهادة لبعضهم بعضا واجرا احكام الاسلام عليهم من حرمة ايذا وعصمة دم ومال الا بحق
الاسلام في قصاصهم لهم ومنهم وحدهم شربا وسرقة وجلدا ورجما وتعزيرا لهم ومنهم ووراثة
ومناكحاتهم وديانتهم منهم ولهم والصلاة عليهم اذا ماتوا ودفنهم في مقابر المسلمين والصلاة
ورائهم وان كانت غيرهم افضل وساير معاملاتهم مما يتعلق بالدين وغيره لكنهم نغلظ عليهم
تعزيرا لهم بوجيع الادب ضربا وحبسا وشديد الزجر والهجر حتى تلين شكيمتهم وتنقاد عريكتهم
فيذعنوا للحق ويرجعوا عن بدعتهم هيهات لرجوعه عنها وهذه الحالات كانت سيرة الصدر
الاول من صالحي الامة فيهم اهانة لهم وتقبيحا فقد كان نشا على زمن الصحابة والتابعين من
قال هذه الاقوال والقدر كمعبد الجهني ومن قال كما في صحيح مسلم به وواصل بن عطا وعمرو
ابن عبيد وراي الخوارج من خروجهم على علي وتكفيرهم له وافترائهم عليه بقولهم انزل الله فيه ومن
الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام وفي ابن
ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله حتى قال فيه كلبهم عمران بن حطان اذ قتل عليا
• يا ضربة من تقي ما اراد بها • الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا •
• اني لاذكره يوما فاحسبه • اوفى البرية عند الله ميزانا • كذب عدو الله
عمران والقول ما قيل فيه قبحه الله • يا ضربة من شقي لم يزل ابدا • بها عليه اله الحق غضبانا •
• اني لا اعلم ان الله جاعله • اوفى البرية عند الله خسرانا • وراي اصحاب
الاعتزال وقد مر ما فيه غني عن اعادته هنا فما ازاحوا بالزاي من الازاحة اي فما ازال لهم الصدر
الاول مع هجرهم لهم قبرا عن مقابر المسلمين ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا من موروثه مسلم
او غيره لكنهم عجزوهم واد بوهم بالضرب والنفي باخراجهم من ديارهم لا يكفرون به فساق
لخروجهم بذلك عن طاعة الله ضلال عن الحق بعدم قبولهم عصاة لا يستحيون اذا دعوا لما
يحييهم اصحاب الكباير موبقة لهم مما اجترحوه ومما اكتسبوه عند المحققين واهل السنه
عطف تفسيري ممن لم يقل بكفرهم اي كفرا دبالارا الباطلة لما تمسكوا به من التاويل خلافا لمن
راى غير ذلك ممن هجرهم وضربهم وقتلهم على قدر راحوا لهم اولمن راى اكفارهم ممن قال بالمال
قال القاضي ابو بكر الباقلاني واما مسايل الوعد والوعيد مما اذن قول المعتزلة خلقه
احد الاول من قولهم يجب على الله تعذيب العاصي مع قوله تعالى تكذيبا لهم يغفر لمن يشا ويعذب
من يشا وغيره مما اذن بوعده تعالى المغفرة لمن يشا من عصاة المؤمنين وهو تعالى لا يخلف
الميعاد والثاني من صريح قولهم يجوز خلف الوعيد لانه محض كرم مع قوله تعالى لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول والروية روية المومنين ربهم في الاخرة انكرها
المعتزلة والمخلوق انكر مخلوقيته له تعالى المفوضة اذ قالوا ان الله خلق محمدا وفوض اليه خلق الدنيا
فهو الخالق لها بما فيها ومثلهم من انكر مخلوقية الشر له تعالى واثبتها للشيطان وغيره وخلق الافعال
انكر مخلوقيتها له تعالى الجبائي واشياعه واثبتوها للعباد وبقا الاعراض بانواعها والحق عند
امامنا الاشعري ومتابعيه انه لا يبقى اكثر من زمن واحد لانها كلها على التقضي والتجدد
كالحركات والازمنة والاصوات وبقاؤها عبارة عن تجدد امثالها كلما انقضى واحد تجدد
مثله بمحض ارادته تعالى بوقته الذي خلقه فيه ولهذا مزيد بيان ذكرناه في شرح مقاصد

في مقصد الاعراض والتوليد الذي قالته المعتزلة ان حركة النظر مثلا في الدليل تولدا العلم
عقبها كحركة اليد تولد حركة المفتاح للفتح وشبههما من الدقايق كالقول بقيام العرض بالعرض
والمنع جواب أما من اكفار المتاولين فيهما او منع من القول باكفارهم اذ ليس في الجهل بشي منها
او بصرفها عن معانيها الحقيقة الى ما اولوها به من اعتقاداتهم الباطلة جهل بالله تعالى
كنفي المعتزلة قدم صفاته تعالى الذاتية هربا من تعدد القدما مبالغة في التوحيد جهلا
منهم ان المحذور من تعددها هو تعدد ذوات لا تعدد صفات مع ذات واحدة ولا اجمع
المسلمون على اكفار من جهل شيا منها اي مما نقله عن القاضي ابي بكر فصل هذا
اي ما ذكرنا بقا حكم المسلم الساب لله تعالى عما يقولون علوا كبيرا واما الذمي فروي عن ابن
ولا ادري من رواه انه قيل له في ذمي اي عنه انه تناول بمجاوزته عن تكلم بما لا يجوز اقدامه عليه
من حرمة الله مما لا يحل الوقوع فيه كالمحرم يدخل في حرمة الحج والحرم ومنه قول الراعي
قتلوا ابن عفان الخليفة محرما اي لم يحل من نفسه ما يؤذى به فهو معصوم ممتنع لحرمته
على من اراده بسوء غير ما به كفره ما هو عليه من دينه وحاج اي وجادل فيه دحضا للحق وترويجا
لباطله فخرج ابن عمر عليه بالسيف فهرب وقال عليه ولم يقتله لانه لو رفع يده ليضربه به
كانه مستعليا عليه وقال مالك في كتاب عبد الملك بن حبيب في المبسوطة وقال
ابو القاسم في المبسوط للقاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد وكتاب محمد
سحنون من شتم الله تبارك وتعالى من اليهود والنصارى جمع نصران وامراة نصرانة
والياء في نصراني للمبالغة كهي في احمري من سبه تبارك وتعالى منهم بغير الوجه الذي به
كفروا ولم يعاهدوا عليه قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم فلا يقتل قال في المبسوطة
ان كان اسلامه طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من
بيان نبيه لما ضرب عقد الذمة لهم عليه الذي هو دعوى الصاحبة والشريك له تبارك وتعالى
وغيرها كشرب الخمر وبيعها وضرب الناقوس واما غير هذا الذي عوهدوا عليه من الفرية
اي الكذب المختلق والشتم والسب فلم يعاهدوا عليه فهو لصدوره عنهم نقض للعهد الذي
عقد لهم عليه مما به كفروا قال ابن القاسم في كتاب محمد لعله ابن سحنون ومن شتم من اهل
الاديان بغير الوجه الذي ذكر في كتابه مما لا يليق بجلاله تبارك وتعالى قتل الا ان يسلم فلا
يقتل لدخوله في السلم طوعا وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم من
اصحاب مالك ورواة مذهبه لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا هذا هو المناسب
لكرمه تعالى وعادته في عباده من قبول توباتهم اذا اقلعوا عن ذنوبهم وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات فان تاب بعد ان استتيب لم يقتل والا قتل وقال مطرف
هو ابن عبد الله وعبد الملك بن الماجشون مثل قول مالك قتل ولم يستتب وقال ابن
ابي زيد القيرواني من سب الله بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم كما قال ابن القاسم
وقد ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الثاني في حكم سابه صلى الله عليه وسلم قول ابن
الجلاب البغدادي الضرير وقول ابن لبابة وقول الاندلسيين بفتح الهمزة وضم اللام في
النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به بالله ورسوله متعلق بسبها

واجماعهم

واجماعهم على ذلك اي على قتلها بفتياهم به وهو اي اجماعهم على قتلها بسبها لما عوا القول الاخر
في سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم اي من الكفار بالوجه الذي كفر به فانه يقتل الا ان يسلم
طوعا ولا فرق في ذلك اي في قتله بالوجه الذي كفر به بين سب الله تبارك وتعالى به وسب
صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيا من كفرهم الذي عاهدناهم
عليه ولا غيره ولا يسمعونا شيا منه فمتى فعلوا شيا منه فهو لصدوره منهم نقض لعهدهم
فيجري عليهم حكم نقضه من قتلهم بما اظهروه واسمعوناه من سب الله تبارك وتعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم واختلف العلما في الذمي من ذي الكتابين اذا تزندق باظهاره دينه تبطنا
عقايد باطله هي كفر اتفاقا فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه
خرج من دين كفر الى دين كفر وقال ابن الماجشون يقتل لانه اي ما اضمره مما هو كفر اتفاقا دين
لا يقر عليه احد ولا توخذ عليه جزية كمن انتقل من دين باطل الى مثله قال الشافعي فلا يقر
عليه فان لم يسلم بلغ المامن وصار حربيا وقال ابن حبيب لا اعلم من قاله غيره من العلما ان
الذمي اذا تزندق يقتل فصل هذا اي ما ذكر في الفصل قبل حكم من صرح بسبه تبارك
وتعالى واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته تبارك وتعالى اليه فاما مفتري الكذب ومختلقه
عليه سبحانه بادعا الالهية او الرسالة منه تعالى الى ملاه من الناس او النافي ان يكون الله
خالقه او يكون الله ربه بل رب غيره او قال ليس لي رب او ليس لغيري او المتكلم بما لا يعقل
من ذلك اي مما ذكر من ادعا الالهية او الرسالة او نفي كون الله خالقه او ربه او انه لا رب له
في سكره او غمره جنونه فلا خلاف في كفر قايل شي من ذلك ومدعيه مع سلامة عقله لافترا
على الله الكذب انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة وسيرد عليك حكم من زال عقله بسكر او جنون كما قدمنا
القول بكفره مع سلامة عقله لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته اي رجوعه عما
افتراه على ربه وتنجيه من القتل فيئته اي رجوعه وذكرها مع الانابة تفننا في العبارة
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه اي لا يخفف ولا ينعم ويتفضل له عن شديد العقاب
والالم ليكون ذلك زجرا او ردعا لمثله عن قوله ذلك المفتري على الله وله اي المفتري عن العود
لكفره بما افتراه على الله او لجهله عليه تعالى الا من يكرر ذلك الافترا منه وعرف استهانته
بعدم مبالاته بما اتى به فهو دليل على سو طويته لما اضمره فيها من قبيح الاعتقاد ودليل على
كذب توبته وصار بما دل على ذلك كالزنديق الذي يبطن عقايد كفره لانا لا نامن معها باطنه
من ان يضمر فيه شيا من ذلك ولا يقبل رجوعه حذرا من تماديه على قبح طويته وحكم السكران
حكم الصاحي في مواخذته بصدور شي من ذلك منه تغليظا عليه بتعديه بسكره واما
المجنون والمعتوه اي المصاب بعقله كالمجنون فما علم انه قاله في حال غمرته بمعجمة مفتوحة
فميم ساكنة من غمره الما اذا غطاه فكانه لمخامره الجنون ومخالطته له مغمور فيه بزوال عقله
وذهاب مميزه اي تمييزه بين الاشيا بالكلية فلا نظر فيه بحكم كفر عليه لعذره بجنونه الا
ان يكون متسببا في مخامرته له بمزيل لعقله وتمييزه فيصير كالسكران متعمدا وما فعله من
ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك الذي فعله مما ذكر

لينزجر وامثاله كما يؤدب على قبايح الافعال منه او من غيره ويوالى ادبه اي يتابع مرارا
على ذلك حتى ينكف وينزجر عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض ولتستقيم طبعها
وقد حرق علي بن ابي طالب من ادعى له الالهية هو عبد الله بن سبا واتباعه اذ قال له انت
الاله حقا فنفاه الى المداين وزعم ان ابن ملجم لم يقتله وانما قتل شيطانا تصور بصورته وهو
في السحاب سوطه البرق وصوته الرعد واذا سمعوه قالوا السلام عليك يا امير المومنين
قالوا وسينزل ويملأ الارض عدلا وقتل عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية
الحارث بن سعيد المتنبي كذبا وصلبه وفعل ذلك اي مثل عبد الملك بن مروان غير واحد
من الخلفاء والملوك نوابا وغير نواب باشباههم ممن تنبي واجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم
ممن تنبي باستحقاقهم ذلك يا فترائهم الكذب على الله انه نباهم ولتكذيبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاخباره بانه لا نبي بعده والمخالف في ذلك اي في تكفيرهم من كفرهم مفعول المخالف
اي من خالفه في قوله بكفرهم فهو كافر لجحده كفرهم المسبب عن الكذب على الله وعن تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمع فقهاء بغداد ايام خلافة ابي الفضل جعفر المقتدر بالله
ابن ابي العباس احمد المعتضد العباسي من المالكية بيان لمن اجمع من فقهائها وقاضي قضاتها
ابو عمر المالكي على قتل الحسين بن منصور الحلاج لدعواه الالهية والقول بالحلول كغيره
من المتصوفة المنتمين الى الاسلام قالوا ان السالك اذا وصل فربما حل الله فيه كالماء في العود
الاخضر بحيث لا تمايز ولا تغاير ولا اثنينية وصح ان يقول هو انا وانا هو مع امتناعه
حقيقة لصيرورة احد شيئين بعينه الاخر والاخر بعينه هو بحكم العقل بشهادة الضرورة
من غير احتياج الى استدلال ولا يمتنع مجازا بان يكون بطريق وحدة اما اتصالية كجمع ماءين
في اناء واحد او اجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طينا واما بطريق كون وفساد كصيرورة
ماء هواء بالغليان هواء واحدا او استحالة اي تغير كصيرورة جسم بعد كونه سوادا بياضا
او عكسه وقوله انا الحق وما في الجبة الا الله فقتل بذلك مع تمسكه في الظاهر من حاله بالشريعة
ولم يقبلوا توبته لبعد تحول المبتدع عن بدعته استقرا وكذلك حكموا اي فقهاء بغداد من المالكية
في ابن ابي العزاقر بمهملة فزاي وبعد الالف قاف فرا وكان على نحو مذهب الحلاج بادعائه الالهية
بعد هذا اي بعد قتل الحلاج وصلبه ايام ابي العباس احمد الراضي بالله بن المقتدر وقاضي القضاة
ببغداد ابو الحسين بن ابي عمر المالكي فافتوا باباحة دمه ثم احرق بالنار وقال محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم في المبسوط من تنبا قتل لكذبه على الله وتكذيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او جحد انه ربه او قال لست لي رب فهو
مرتد فليستتاب فان تاب والا قتل وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب وفي كتاب محمد اما
ابن سحنون او ابن المواز وفي العتبية فيمن تنبا يستتاب اسر او اعلن ما زعمه وهو كالمرتد
فان تاب والا قتل وقال اشهب في يهودي تنبا وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا استتيب
فان تاب قبل منه والا قتل نكالا له وقال ابن ابي زيد فيمن لعن بارئه من برا الله الخلق
اوجدهم لا على مثال وزعم ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره عملا بظاهر قوله
ولا يقبل عذره لخبث طويته اليهود ونحوهم اي كذبهم وافترائهم المحير لمن بعث به وهذا الذي

قاله

قاله ابن ابي زيد على القول بعدم قبول توبته واما على القول بقبولها فلا نقبل لاشعار دعواه
زلل اللسان بسوئه وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب على
ما امر وهو مخالف لما افتى به فقهاء بغداد المالكية في الحلاج وابن عزاقر من عدم قبول توبتهما
بدعواهما الالهية الا ان يقال انهما زعماها صاحيين والحاقه بالصاحي انما هو للتغليظ عليه
تعديا بسكره فان عاد الى مثل قوله انا الله انا الله طولب مطالبة الزنديق فلا نامن باطنه
لظهور خبث طويته وكذبه في توبته ولا نقبل رجوعه حذرا من تماديه على قبح اعتقاده
لان هذا اي عود السكران الى قوله انا الله مؤذن بانه مسبب عنه كفر المتلاعبين مجونا
وتهاونا واستخفافا كما سياتي فصل واما من تكلم بشيء من سقط القول اي رديه ودنيه
وسخف اللفظ بمهملة مضمومة فمعجمة ساكنة هو في الاصل خفة العقل ورقته استعير
لوصف لفظ قائله به وصفا للفظه بصفة آلة تمييزه لصدوره ممن لم يضبط كلامه واهمل
لسانه لخفة عقله بما يقتضي الاستخفاف بعظمة الله وجلالة مولاه اي عظمته كونه
معنى ايقاظا لمن لا يقدره تعالى حق قدره الا بتكبر ما يؤذن بكمال ذاته او تمثل في بعض
الاشيا ببعض ما عظم الله من ملكوته كقوله لبيت فلان كعبة الجود فايضا
يطوف به العافون يبغون نائله او نزع بزاي معجمة فمهملة اي اخذ من الكلام المخلوق
وخاطبه بما لا يليق الا في حق خالقه ولا عامدا للالحاد اي العدول والميل عن الحق فان تكرر
هذا منه وعرف به باداته عليه دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه فلم يقدره
حق قدره لجراته مع جهله بعظيم عزته وكبريائه من الكبر بكسر وسكون ثانيه اي عظمته وتعاليه
عن صفات مخلوقاته وفي حديث الاذان الله اكبر اي الكبير وضعا فعل موضع فعيل كما في
قول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول
اي عزيزه طويله وهذا اي ما دل على تلاعبه كفر لا مرية فيه ولا شك لتماديه بما دل على تلاعبه
ومجونه بعظيم عزته وكريم كبريائه وكذلك اي ومثل ما دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه انه لا مرية في كفره ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه تبارك وقد افتى
ابن حبيب واصبغ بن خليل بقتل المعروف بابن اخي عجب وفي نسخة بابن اخت عجب غير منصرف
للعلمية والتانيث معنى زوجة امير قرطبة عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكان اي اخيها او اختها
خرج يوما فاخذه المطر مجازا عن نزل عليه فكانه تناوله بيده لتشبيه له بذي يد استعارة مكنية
خيلها باليد فقال اي ابن اخيها بدا الخراز يرش جلوده بيا مثناة تحت وفي نسخة يرش بباء موحدة
وكان بعض الفقهاء بها اي بقرطبة ابو زيد صاحب الثمانية بمثلثة مضمومة وياء مشددة وعبد الاعلى
ابن وهب وابان بن عيسى توقفوا في اراقة دمه فلم يقدموا على شيء من قتل وعدمه واشاروا الى
انه اي قوله بدا العبث ويخول من القول يكفي فيه الادب الاليم والتوبيخ المليم وافتى بمثله اي بمثل
ما اشاروا به من انه عبث من القول حينئذ اي حين قوله بدا القاضي موسى بن زياد فقال ابن
حبيب دمه في عنقي اي قتله متعلق بي اطالب به يوم القيامة ايشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له بيانا
لما يجب له تعالى على شانه من الحكم اذ ليس محتاجا الى من ينصره انا اذا لم ننصره لعبيد سوء ما نحن له
بعابدين حق عبادته وان تعجب فعجب من ابن حبيب اذ افتى حين شهد على اخيه اذ قال كلما لقيته في مرضي

هذا اما لو قتلت ابا بكر وعمر لما استوجب هذا كله بعدم قتله مع ما تضمنه قوله من نسبة الجور
والظلم الى الله تعالى فكانه غاية امري اني لو قتلتهما قتلت بهما ولما استوجبت ما عاقبني الله به
في مرضي هذا كما تضمن قول ابن اخي عجب استهانه ربه واستخفافه بقوله بذا الجزاز برئن جلوده
ورفع المجلس الى الامير عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمته او خالته هذا المطلوب
القايل ذلك القول من حظاياه اي من اقرب حلايله منه واسعدهن به من حظيت
المراة عند زوجها بالضم والكسر اي سعدت ودنت من قلبه بحبه لها وعن عايشة تزوجني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال فاي نسائه كانت احظى مني اي
اقرب اليه واسعد به واعلم باختلاف الفقها فخرج الاذن بالاخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه اصبغ بن خليل وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين ابني حبيب
وخليل وعزل القاضي موسى بن زياد لتهمته بالمداهنه ومصانعته ولينه في هذه القصة
اي قصة ابن اخي عجب ووبخ اي ابن عبد الرحمن وعنف بقية الفقها وسبهم وقبح توقفهم
على سفك دمه واما من صدرت عنه من ذلك الهنه اي الخصلة الواحده مما لا يليق بجلاله
والفلته الشارده اي الزله الصادرة بغتة بلا ترو والتامل عن الاستقامة ما لم يكن ذلك
الصادر زلته تنقصا وازرا فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قايلها بحسب ما يليق به من مراتب الناس وشرح سببها الباعث عليها
صدورا عنه ومقارنها مما يؤذن بتوبيخ او ضرب وحبس او غير ذلك وسيل ابن
القاسم عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك من لب والب
بالمكان اذا اقام به والب على كذا اذا لم يفارقه ولم يستعمل الا بلفظ التثنية في معنى التكرير
اي اجابة وبنصبه على المصدر بعامل لا يظهر كانه قال لب البابا بعد الباب فقال اي
ابن القاسم ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه اي خفة وطيش واضطراب استقامة
فلا شي عليه ويردع ليكف عن ذلك اذ الجاهل يزجر تعنيفا وحثا على ترك ما لا يجوز الا له
تعالى ويعلم ما جهله ليجري على موجب علمه والسفيه من خف عقله في طيش وعدم استقامة
يودب بما يليق به من صفع وحبس وغيرهما ولو قالها اي المجيب لبيك اللهم لبيك على اعتقاد
انزاله اي المجاب منزلة ربه لكفر اي المجيب لها لارتفاعه مرقا لا يرتقى وربه لا ينال
مطلقا هذا مقتضى قوله اي ابن القاسم وقد اسرف كثير من سخفا الشعرا اي خفاف الاحلام
ومتهميهم جمع متهم مفعول من التهمه فعله من الوهم ابدلت واوها تا وقد تفتح الها اي
من يظن به منهم ما نسب اليه في هذا الباب اي باب الخفه والتهاون في الامور واستخف عظيم
هذه الحرمه اي حرمه الله تبارك وتعالى فاتوا اي سخفا الشعرا من ما ننزه وكتب كتابنا
ولساننا واقلامنا عن ذكره لبشاعته وقبح معناه ولولا انا قصدنا نص مسايل حكمناها
لما ذكرنا شيا الفصول المتقدمه واما ما ورد في هذا الذي ثقل علينا ذكره من اهل الجهالة
اي الحالة التي كان عليها العرب العاربة قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وشرايع الدين
والمفاخره بالانساب والتجبر والكبر واغاليط اللسان جمع اغلوطه افعوله من الغلط كاحدوثه
واعجوبه مما يغالط به العلما ليزلوا فيهيج به شر وفتنه وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه

وسلم لعدم نفعها في الدين ولا يكاد يكون الا فيما لا يقع كقول بعض الاعراب من بحر الرجز مما لا
يجوز نسبته الى الله سبحانه وتعالى رب العباد بحذف حرف الندا تخفيفا لكثرة الاستعمال
ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا اي فما ظهر لك في بادي رايك اي اوله فلم تسقنا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا يعتمد عليه ولا كافي لك غيرك وسمعه سليمان بن عبد الملك
يقولها في سنة مجذبة فحمله على محمل حسن فقال اشهد انه لا اب له ولا صاحبة ولا ولد وفي اسبا
لهذا اي الزجر السخيف من كلام الجهال بالله ورسوله واحكام شريعته الرادعه لامثاله
عن ارتكاب مثل ذلك ومن كلام من لم يقومه عن اوده ثقاف تاديب الشريعة والعلم الثقا ت
في الاصل ما يقوم به اعوجاج الرماح استعير لما يقوم الانسان ويهديه من محاسن الشريعة
وفي حديث عايشة تصف اباها واقام اوده بثقافه اي سوى اود المسلمين في هذا الباب
اي باب السخافة والتهاون في الامور فقل ما يصدر من ثقف لقف اي ذكي فطن خبير بالامور
الا من جاهل في محل رفع بدلا من ضمير يصدر لان قل غير موجب وقد اكد نفي كثرته بما المزيده اي
لا يصدر كثيرا الا جاهل يجب تعليمه ما يقومه من ثقاف الشريعة والعلم ويجب زجره عن سخيف
الكلام وسقطه والاغلاظ له عن العود الى مثله قال الخطابي وهذا اي ما يصدر من سخف
القول تهور من القول اي مبالغة في المجاوزة عن الاستقامة وفي الحديث من اطاع ربه فلا
هورة عليه اي لا هلاك وفيه من اتقى الله وقي الهورات جمع هوره اي المهالك وخطب الناس
بالبصرة فقال من يتق الله لا هوارة عليه فلم يدروا ما قال فقال يحيى بن يعمر اي لا ضيعة
عليه والله تبارك وتعالى منزه مبرا ومتعال عن هذه الامور لانه تعالى كما قال صلى الله عليه
وسلم يحب معالي الامور ويبغض سفسافها هو في الاصل ما يرتفع من غبار الدقيق اذا نخل
والتراب اذا اثير ثم استعير لرديها وحقيرها من كل شي ومنه حديث ان الله رضي لكم مكارم الاخلا ق
وكره لكم سفسافها وقد روينا عن عون بن عبد الله بن عتبه الهذلي الكوفي الزاهد انه قال
ليعظم احدكم ربه منزها له عن ان يذكر اسمه في كل شي حتى لا يقرنه مع خبيث كان يقول اخزى الله
الكلب وفعل به كذا وكان شيخنا برهان الدين الناجي ينهى عن ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم على شي لا يليق قرينه به كان يقول اللهم صل على سيدنا محمد يا عنب او يا خيار او يا بطيخ وكان
بعض من ادركنا من مشايخنا المالكية المغاربه قل ما يذكر اسم الله الا فيما يتصل بطاعته
استثنا مفرغ من عام غير موجب وما مزيده لتاكيد نفي الكثره اي لا يذكر اسمه تعالى كثيرا في شي الا
اذا قرن بطاعته تعالى فيذكره وكان اي ذلك البعض من مشايخه يقول للانسان جزيت خيرا
صونا لاسمه تعالى عن الابتذال وتعظيما له وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى
حذرا من امتهانه في غير قربه يتقرب بها اليه تعالى من الطاعات كالصلاة وحدثنا الثقه لا اعرفه
والنون يجوز ان يكون لتعظيم نفسه وان يكون له ولمن معه ان الامام ابا بكر محمد بن اسماعيل القفال يعني صح
الكبير مصنف محاسن الشريعة الشاشي قال العبادي فيه افصح الاصحاب قلما واثبتهم الشا
في دقايق العلوم قدما واسهرهم بيانا واقواهم جنانا واعلاهم اسنادا وارفعهم عمادا كان يعيب
على اهل الكلام اي علما اصول الدين سمي كلاما لما ذكرنا في شرح كتابنا مقاصد المقاصد كثره خوضهم
فيه اي في اسمه تعالى عن ان يسمي به غيره وذكر صفاته شبهه اجرايهم له مع على السنتهم بما عزب

استعارة مكنية واثبت له الحوض تخييلا اجلالا لاسمه تعالى واعظاما وتنزيها له علة لعيبه
عليهم كثرة خوضهم فيه ويقول اي الامام ابو بكر القفال الشاشي هولا يعني اهل الكلام يتمندلون باسم الله
اي يبتذلونه ويتناقلونه بينهم ويتناقلونه بينهم كالمنديل بكثرة تداول السنتهم له جل وعز حالان
لازمتان متداخلتان افادتا تعظيمه وتنزيهه عن كثرة تداوله المؤذنة بامتهانه كالمنديل
تعالى عن ذلك علوا كبيرا ويقول اي ابو بكر الشاشي الكلام في هذا الباب اي باب كثرة الكلام فيه
تنزيله في باب سب النبي صلى الله عليه وسلم فيكون حكمهم حكم سابه صلى الله عليه وسلم قتلا او
تخيير الامام فيه وفي صلبهم على الوجوه التي فصلناها فيما اغنى عن ذكره هنا وهذا مشكل مع تعظيمهم
له تعالى في كل مقام غاية التعظيم ويصفونه بصفات الكمال وينزهونه عن سمات النقص والزوال
فصل وحكم من سب سائر انبيا الله وملائكته جمع ملاك في الاصل بلام ساكنة بعدها
همزة نقلت حركتها الى اللام قبلها ثم حذفت لكثرة الاستعمال فبقي ملك وقد تحذف ها جمعه
فيقال ملائك وقيل اصله مالك بتقديم همزته من الالوكة اعني الرسالة ثم قدمت اللام وجمع
وحكم من استخف بهم وكذبهم فيما اتوا به عن الله تبارك وتعالى من الاحكام الشرعية او انكرهم
وجحدهم بان الله لم ينبي احدا ولم يرسل رسولا كقول مالك بن الصيف ما انزل الله على بشر من شي اذ قال
له النبي صلى الله عليه وسلم اليس في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر
السمين فمن صدر منه شي من ذلك فحكمه حكم نبينا صلى الله عليه وسلم في وجوب قتله حدا لا كفرا
اجماعا او تخيير الامام في قتله وصلبه وان تاب لان حده القتل وتنفعه توبته عند الله على ساق
ما قدمناه عن ايمة الدين المعول عليهم فيه قال الله تعالى استدلالا على ان حكم سائر الانبيا والملائكة
حكم نبينا صلوات الله وسلامه عليهم فيما مر ان الذين يكفرون بالله ورسله بشرا وملائكة
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ايمانا وكفرا ليتخذوا قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد بالانجيل والقران والنصارى كفروا بمحمد والقران ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا اي دينا وسطا وقد اخطا واخطا فاحشا حيث
لا واسطة بينهما اولئك هم الكافرون اي الكاملون في الكفر حقا تاكيد لمضمون الجملة اي حق
كونهم كاملين فيه حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا يقينا ثابتا لا ريب
فيه وقال تعالى حال لازمة من ضمير قال اي متعاليا عما لا يليق بجلال ذاته وجمال صفاته وكمال افعاله
قولوا خطاب للمؤمنين او للكافرين امنا بالله لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وما انزل
الينا وهو القران وغيره من الاحكام وما انزل من الصحف وغيرها الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط حفدة يعقوب ذرية ابنائه الاثني عشر جمع سبط وهو الحافد وكان
الحسنان سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل
وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم يستوي فيه الواحد والجمع مذكرا ومؤنثا
ومن ثم ادخله بين اي لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض كاليهود والنصارى وقال اي الله تبارك
وتعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل ضميره الذي ناب عنه التنوين اي
عطف ما قبله على الرسول عائدا اليهما اي كلهم امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وان جعل
ما قبله مبتدا فهو مبتدا ثان وضميره للمؤمنين وخبره امن وهما خبر الاول اي كل واحد منهم

امن

امن يقولون لا نفرق بين احد من رسله بل نؤمن بكلهم فاحد دال على اكثر من واحد بشهادة دخول
بين عليه فانه لا يدخل الا على متعدد قال مالك هو ابن انس في كتاب عبد الملك بن حبيب وفي
كتاب محمد لعله ابن سحنون وفي كتاب عبد الرحمن ابن القاسم وقاله ابن الماجشون ومحمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم واصبغ بن الفرج وسحنون من شتم الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم او شتم احدا
منهم او تنقصه قتل ولم يستتب وان تاب ولا تنفعه توبته لان حده القتل ومن شتمهم من
اهل الذمة كاليهود والنصارى قتل الا ان يسلم فلا يقتل تاركا له لحسن اسلامه وروى سحنون
عن ابن القاسم انه قال من سب الانبيا او احدا منهم من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفر فاضرب عنقه ولا يستتاب كما مر عنه لانه لم يعاهد عليه الا ان يسلم اي يذعن وينقاد
الى الحق وقيده في المبسوطة بطوعا وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل اي فيمن سب الله بغير
هذا الوجه فقال ابن القاسم في كتاب محمد الا ان يسلم كما هنا وفي المختصر وفي المبسوطة ومحمد
ابن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما او كافرا فان تاب والا قتل وقال القاضي سعيد
ابن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تبارك وتعالى وملائكته قتل لجراته واقدامه على
الجناب الرفيع وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل لانهم كما قال الله عباد مكرمون
وكرام بررة وفي النوادر لابن ابي زيد عن مالك هو ابن انس فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي
بتاديته الى محمد صلى الله عليه وسلم وانما النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب لم يقتل
والا قتل لكذبه على جبريل صلى الله عليه وسلم وهذا اي القول بتخطية جبريل قول الغرا
من الروافض سموا بذلك اي بالغرابية لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي من الغراب
بالغراب والذباب بالذباب فغلط جبريل في تبليغ الرسالة من علي الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ابو حنيفة واصحابه من كذب باحد من الانبيا او تنقص احدا منهم بما يؤذن بانتهاك حرمته او بري
من موالاته ومحبته وايمانا به فهو مرتد يستتاب فان تاب والا قتل وقال القابسي في الذي قال
لاخر كانه وجه مالك الغضبان خازن النار شبه وجهه بوجهه لما يلوح عليه من مخايل الغضب
الا قال لا اشم البعض على الكل مبالغة في وصفه به مع انتفا علمه بغضبه الا ما توهمه ملازمته
للنار من اتصافه به وليس بلازم اذ هو ممن لا يعصون الله ما امرهم فهو منشرح صدره بطاعة
ربه وان لازم النار ولو عرف انه قصد بقوله كانه وجه مالك الغضبان ذم الملك يعني مالكا
قتل لظهور تنقصه له وانتهاكه حرمته بذلك وهذا كله فيمن تكلم فيهم اي في الانبيا والملائكة
بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين ونحوهم لا جميعهم او تكلم بما قلناه على معين مما حققنا
واثبتنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه الذي تعبدنا بتلاوته وبين
لنا فيه المنافع الدينية والدنيوية والاحكام الشرعية او حققنا علمه انه منهم بالخبر المتواتر
الذي رواه عدد يومن تواطوهم على الكذب وبالخبر المشهور مما رواته ثلاثة فاكثر المتفق
عليه بالاجماع القاطع بانه منهم كجبريل وميكائيل ومالك خازن النار وخزنة الجنة وخزنة
جهنم والزبانية واحدها زبنية بكسر اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه مخففا من الزبن وهو
الدفع اريد بهم ملائكة العذاب لدفعهم من امروا به الى النار وحملة العرش المذكورين في
ايات كثيرة من القران من الملائكة ومن سمي فيه اي في القران من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم

وكعزرائيل واسرافيل ورضوان المتفق على قبول الخبر بهما مما ورد في السنة الشريفة فاما
من لم يثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبيا كهاروت
وماروت انهما من الملائكة ام لا والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم ابنة عمران واسية
ابنة مزاحم وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس اي البير المطوي قيل كذبوه ودسوه
اي دسوه فيها حتى مات وقيل نبيهم حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقا اعظم طير
كان سميت عنقا وكانت تسكن جبلا يقال له فتخ تخطف صبيانهم اذا اعوزها الصيد
فدعا عليها حنظلة فاخذتها صاعقة فقتلوه فاهلكوا وزرادشت بزاي معجمة مفتوحة او
مضمومة فرا ودال مهملتين بينهما الف فشين معجمة فتا مثناة فوق الذي تدعي المجوس
والمورخون نبوته وصاحب كتاب المجوس فليس الحكم في سابهم ومنتقصهم بما يشينهم
والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه من الانبيا والملائكة اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة التي تثبت
لاولئك الكرام البررة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بما يليق به من ضرب
وحبس واهانة ونحو ذلك بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته من ابنية
المبالغة كضحيك ومطيق اي عرف فرط صدقه وكثرة تصديقه بغيوب الله واياته
المنبثة في الافاق ومن عرف فضله منهم وان لم يثبت نبوته لكرامته ومكانته عند ربه
واما انكار نبوته اي نبوة من لم يجمع على كونه من الانبيا او انكار كون الاخر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك المقول فيهم منهم من اهل العلم فلا حرج اي لا باس ولا اثم عليه
لاختلاف العلما المجتهدين في ذلك اي في كونهم من الانبيا او الملائكة وان كان المتكلم في ذلك
من عوام الناس زجر عن الخوض هو في الاصل المشي في الما ثم استعير للتلبس بالامر والتعرف
فيه اي نهي ومنع عن التكلم في مثل هذا المقام اذ ليس اهلا للتكلم فيه وقد شبه التكلم فيه
بالما استعارة مكنية واثبت اله الخوض تخييلا كانه من جنس الما ونوع من انواعه اقتضا
لحق البلاغة وتناسيا للتشبيه وصرفا للنفس عن توهمه او شبه تمكن المتكلم من المتكلم
فيه بتمكن الخايض في الما ثم اثبت له في فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعا له
فان عاد الى التكلم فيه ادب بقدر حال المقول فيه اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا لعدم اهليتهم له
وقد انكر السلف ممن مضى من الايمة الاعلام الكلام في مثل هذا المقام لخطر الكلام فيه مما ليس
تحته عمل لاهل العلم فكيف بالعامة اي يكون لهم التكلم فيه فانهم عماه في ايدي الجهل غشاه
فصل اعلم ان من استخف بالقران او بالمصحف او بشي منه اي من القران او سبهما بما
لا يليق بكريم ذاتهما او جحده اي القران الكريم او جحد حرفا منه او اية او كذب به او كذب بشي منه
او بشي مما صرح به فيه من حكم كاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واتموا الحج والعمرة لله او خبر كاباء
ابليس السجود لادم وخبر نوح وغيره من الانبيا او اثبت ما نفاه القران كاثبات ايمان اكثر
الناس المنفي بقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين او نفى ما اثبته اي القران كنفي
الميمونية من العجاردة من الخوارج سورة يوسف منه بزعمهم الباطل الكاذب انها قصة فسق
لا يجوز كونها قرانا على علم منه اي ناعم شي من ذلك اي عالما بان ما افكه مما هو من القران ليس منه
او عكسه او شك في شي من ذلك اي مما ذكر فهو كافر عند اهل العلم باجماع منهم قال الله تعالى

ان الذين كفروا بالذكر اي القران لما جاءهم وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله محفوظ بشهادة
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل ضرب لنفي
تعلقه به اي لا يتوصل اليه ولا يجد اليه سبيلا فلا ترى طعن طاعن فيه الا ممحوقا ولا تاويل مبطل
الا مسحوقا تنزيل من حكيم حميد اي لا ينزل الا محكما ولا يعتريه باطل وقد استند هنا لما افاد ان
المرا في القران كفر من طريق ابي داود عن احمد بن حنبل الى ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المرا في القران كفر وفي رواية لا تماروا في القران فان مرا فيه كفر هو اما من التمادي
والتجاحد فهو تفعل بمعنى الشك والريبة لشهادة قول ابي عبيد ليس وجه الحديث عندنا
على الاختلاف في التاويل وانما هو على الاختلاف في اللفظ كان يقرا الرجل على حرف فيقول الاخر
ليس هو كذا قرات وكلاهما مقروء بهما فاذا جحد كل واحد منهما قراءة الاخر لم يومن ان يخرجه ذلك الى
الكفر لنفيه حرفا انزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم او من المماراة بمعنى المجادلة ولهذا
قال وتؤول بمعنى الجدال في الايات التي فيها ذكر القدر ونحوه على مذهب اهل البدع واصحاب
الاهوا والارادون ما تضمنته من الاحكام كالحلال والحرام لوقوعه بين الصحابة فمن بعدهم اظهارا
للحق فيتبع لا للغلبة والتعجيز وروى ابن ماجة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد
اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه لتكذيبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وكذلك اي يجحده اية من كتاب الله ان جحد اي جحده التوراة والانجيل وباقي الكتب المنزلة على
الاجمال او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها اهانة لها فهو كافر لانها كلام الله النفسي المنافي
للسكوت والافة وان اختلفت عباراتها الدالة عليه بحسب اللغات وقد اجمع المسلمون على ان
القران المتلو بالسنتنا المسموع باذاننا المكتوب في المصاحف برقومه واشكاله في جميع اقطار
الارض جمع قطر اي نواحيها وجوانبها وعن عايشة تصف اباها قد جمع حاشيتيه وضم قطريه اي جانبيه
عن الانتشار والتبدد بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان اي جانبا وقايته من جلد او غيره من
اول الحمد لله الى اخر قل اعوذ برب الناس لم يذكر هنا البسملة اولها بنا على انها ليست من القران في اوايل
السور عند مالك تبعا لقراء المدينة والشام والكوفة وفقهايها والحق انها من الفاتحة وكررت
في اوايل السور للفصل وعليه قراء مكة وفقهاوها والشافعي واصحابه لحديث ابن خزيمة والحاكم
عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا الفاتحة وعد البسملة اية منها وحديث الدارقطني
وغيره عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد لله فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم
انها ام القران وام الكتاب وبسم الله الرحمن الرحيم ايتها وحديث البخاري عن انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزل علي انفا سورة ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر وفي رواية
له في حرمة وجوب القران خلف الامام انه صلى الله عليه وسلم قال للمسيء صلاته ثم اقرا بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الى اخرها وهذه الاحاديث وان كانت احادا تفيد الظن فالعمل بها واجب اجماعا
اذ ما من احد من الايمة المهديين الا وجميع مسايل مذهبه باخبار الاحاد وبايات قطعية دلالتها عليها
ظنية ونحن نعتقد بشهادة ما افاد من الاحاديث انها منه انها تفيد العلم كالمتواتر القرانية حقيقة
منها كتابتها في الامام العثماني بقلمه ومداده الذي اجمع عليه الصحابة مع مبالغتهم في تجريد ما
ليس قرانا حتى جردوه عن امين واسما السور مما لا يخفى على من علم سبب كتابتها بعدهم وقد بينه

البخاري ومن خفائه على بعض المجتهدين نشأ خلاف فيه بينهم ومنع ما افاده قوله تعالى اقرأ باسم ربك
الذي خلق انها من هذه السورة بشهادة قوله في الكشاف محل باسم ربك النصب اي اقرأ مفتتحا
باسم ربك اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ وقد اجاب ناصر السنة الشافعي عن حديث
كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين بانه من اسماء الفاتحة اي كانوا يفتتحون بالسورة
المسماة بالحمد لله فلا يكون حجة انها ليست منها فلا ريب انه كلام الله ووحيه المنزل به جبريل من
عند الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه اي في مجموعه من سور
وآيات وما اشتملت عليه من امر ونهي ومواعظ وغير ذلك حق اي ثابت لا ريب فيه وان من
نقص حرفا واحدا قاصدا لذلك اي لنقصه منه كنقص بعض طغاة الكفرة الفجرة غير اذ قرأ ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه او بدله بحرف آخر مكانه او زاد حرفا مما يشتمل عليه المصحف الذي
وقع عليه الاجماع انه اي الحرف الذي زيد او نقص من القرآن وليس من القرآن عامدا فاعله زيادة
او نقصا لكل هذا كافر فاجراؤه لاجترائه على ذلك من في قلبه ادنى حبة خردل من ايمان ولهذا اي ومن
اجل ان جميع ما في القرآن حق وان من زاد فيه او نقص منه كافر رأى مالك الامام قتل من سب
عائشة بالفرية التي افكت عليها والافك ابلغ الكذب والافتراء لانه بسببه لها به خالف القرآن
المنزل ببراءتها مما افك عليها به كل آية مؤذنة بتعظيم شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنزيهها
مما افتري عليها به وتطهيرا لاهله صلى الله عليه وسلم وتهويل عظيم لمن تكلم به او سمعه ولم ينكره
وباحكام وفوائد بينة وآداب لا تخفى ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه
مما نزل مبرئا لها ونزاهة شأنها وتكذيب من خاض فيه تفخيما لعظيم ذنب من تولى كبره كرأس
النفاق عبد الله بن سلول وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن غشي صنوانا رهم وقال ابن القاسم من قال ان الله تبارك وتعالى لم يكلم موسى صلى الله عليه وسلم
تكليما يقتل لتكذيبه لقوله تعالى فيه وكلم الله موسى تكليما وقاله اي قول ابن القاسم انه يقتل
عبد الرحمن بن مهدي من اصحاب الشافعي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان بكسر الواو وقل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ليستا من القرآن تضرب عنقه لنفيه لما منه مع ثبوتهما في
المصاحف العثمانية هذا وما نقل عن ابن مسعود انهما ليستا منه لم يثبت للاجماع على انهما منه وما
في مسند احمد ان ابن مسعود كان يحكهما من المصحف ففي اسناده عاصم بن بهدلة وكان كما قال يحيى بن سعيد
ردي الحفظ وقال الدارقطني في الحفظ شيء وان قرنه البخاري في المتابعات بغيره دون التثبت في
الحديث ثقة في القراءات الا ان يتوب فلا تضرب عنقه وكذلك كل من كذب بحرف منه اي من القرآن يضرب
عنقه الا ان يتوب قال اي ابن سحنون وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى صلى
الله عليه وسلم تكليما وشهد آخر عليه اي على من قال ذلك انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا يضرب
عنقه لانهما اجتمعا بما شهد عليهما به عليه على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من وروده تعظيم
تبارك وتعالى موسى تكليما واتخاذه ابراهيم خليلا في القرآن وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
وينسب نفسه اليه متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل الكريم والفرقان القديم كفر يوجب قتل جاحده
وكان ابو العالية اذا قرئ عنده غير ما يقرأ هو مما نزل به القرآن لم يقل ليس كما قرأت ويقول تفاديا من ان
ينكر شيئا منه اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك اي قول ابي العالية ابراهيم النخعي او التيمي فقال اراه بضم الهمزة

اي اظنه

اي اظنه سمع انه من بدل من الضمير اي ان من كفر بحرف منه فقد كفر به كله لان الكفر ببعضه يؤذن
بالكفر بكله وقال ابن مسعود في مصنف عبد الرزاق من كذب بآية من القرآن فقد كفر به كله لان
تكذيبها تكذيب لقائلها تبارك وتعالى وقال اصبغ بن الفرج المصري من كذب ببعض القرآن فقد
كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به كله ومن كفر به فقد كفر بالله بعد ايمانه فعليه
غضب من الله وله عذاب عظيم وسئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف اي اليهودي له بالله
ثم شهد آخران انه سأله عن القضية الواقعة بينهما فقال اي اللاعن انما لعنت توراة اليهود
اي التي بيد ارشونها بينهم فقال ابو الحسن اي القابسي الشاهد الواحد لا يكفي في انه يوجب
القتل اذ لا يثبت به في باب الشهادة حكم والثاني علق الامر بصفة بل علق لعنه بموصوف مضاف
اليهم هو ما بايديهم منه مما يحتمل التأويل تبديلا وتحريفا لا بها من حيث هي اذ لعله اي اللاعن
لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله مما انزل على موسى صلى الله عليه وسلم لتبديلهم
وتحريفهم وصرف كلمها عن مدلولها الى غيره كما قال بعض مختاري موسى صلى الله عليه وسلم
اذ كلمه ربه بالطور مما امر به ونهي عنه سمعنا الله يقول في آخره ان شئتم فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا فلا بأس ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة لعنا مجردا عن تعليقه بموصوف
وصفه واضافته اليهم لضاق التأويل وصرف لعنه اليها ظاهرا ونكل به وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبود بمعجمة فنون مشددة فبا موحدة وذال معجمة بينهما واو المقرئ
احد ائمة المقرئين المتصدرين بها اي ببغداد مع ابي بكر احمد بن موسى بن مجاهد لقراءته
واقرائه الناس بشواذ جمع شاذ اذ لم يتواتر قراءتها عنه صلى الله عليه وسلم من الحروف اي اللغات
التي نزل بها القرآن الكريم كلغة قريش وتميم وهذيل وفي الحديث نزل القرآن على سبعة احرف
كلها كاف شاف وقد تنازع العقلاء شواذ مما ليس في المصحف الامام العثماني وقد عقد عليه
بالرجوع عنه اي عما كان يصدر عنه من قراءته للشاذ واقرائه للناس بها وعن التوبة منه سجلا
اي كتابا عظيما اشهد عليه فيمن حضر بذلك اي برجوعه عنه وتوبته على نفسه في مجلس الوزير
ابي علي بن مقلة بعد ضربه بين يديه وممن افتى فيه بذلك ابو بكر الابهري المالكي مع فقهاء
بغداد وافتى ابن ابي زيد القيرواني بالادب فيمن قال لصبي يتعلم القرآن لعن الله معلمك
وما علمك وقال اي اللاعن اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال اي ابن ابي زيد اما من
لعن القرآن فانه يقتل لجراءته على القرآن الكريم والفرقان القديم مع ما اذن به من رجوعه
عليه حديث من لعن مسلما ليس مستحقا لها رجعت على قائلها فصل سب آل بيته
صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة وولدهما والعباس وجعفر وعقيل وآلهم عند كثير بن وليت
شعري بم يجيبون عن حديث لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد الا انه كما قال الشافعي
على انهم صليبة بنو هاشم وبنو المطلب ابني عبد مناف وعوضهم عنها خمس خمس الغنائم لشهادة
قسمه صلى الله عليه وسلم له بينهم تاركا بني عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف ايضا المفاد
لهم كما قال صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه لم يفترق
جاهلية ولا اسلاما وسب ازواجه واصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم حرام لكرامتهم
عند ربهم ورفعة محلهم مع ثنائه عليهم في كتابه العزيز في مواضع كثيرة منها محمد رسول الله

الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه
فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ملعونون اي مطرودون ومبعودون عن رحمة الله فاعله
وقد اشتد هنا ما اذن بالتحذير من الوقيعة فيهم من رواية الترمذي حديث الله الله في اصحابي
كرره مع وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تاكيد التحذير عن اتخاذهم غرضا بعده صلى
الله عليه وسلم وتفخيما لشانهم وقد تقدم عليه وعلى ما بعده مما اغنى عن اعادته هنا لا يقبل
الله منه اي ممن سبهم او احدا منهم صرفا اي توبة او نافلة ولا عدلا اي فدية او فريضة
وحديث لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم الضمير للشان يفسره ما بعده اي فان قوما يجيئون
في اخر الزمان يسبونهم لا ادري من رواه فلا تصلوا عليهم اي اذا ماتوا ولا تصلوا معهم نهي تنزيه
لتجويز اكثر الائمة امامة المبتدع ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم
مبالغة في اهانتهم لان حكم المبتدع الاهانة والترك وحديث من سب اصحابي فاضربوه
تعزيرا له واهانة وتنكيلا به ولردع امثاله وقد اعلم صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤذيه صلى الله عليه وسلم واذاه حرام يوشك ان يحل بمنتهكه وقال لا تؤذوني في اصحابي
اي لا تؤذوهم فيمسني بسبب اذاهم الاذى او النسبة عنه جعلهم ظرفا له ومن اذاهم فقد اذاني
علة للنهي عن اذاهم وقال لا تؤذوني في عائشة تقدم بمعناه ويجري فيه ما قلناه في لا تؤذوني
في اصحابي وقال في فاطمة اي في حقها هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها تقدم بمعناه وقد اختلف
العلماء في هذا اي فيما يستحقه مؤذيهم من النكال فمشهور مذهب مالك الاجتهاد في
ايقاع النكال به والادب الموجع قال مالك من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل لجراءته
على الشرف الرفيع والجناب المنيع ومن شتم اصحابه ادب تنكيلا له وتبكيتا وقال ايضا اي مالك
من شتم احدا منهم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاصي بن وائل السهمي ميزه
بابيه عن عمرو ولم يذكر عليا لان محبيه كثيرون فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل لتكذيبه
القران فيما اثنى عليهم مع حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وحديث لو انفق
احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لغة في النصف اي نصف المد بضم الميم وهو
ربع الصاع وانما قدره لانه اقل ما كانوا يتصدقون به عادة وروي بفتحها وهو الغاية بما يقال
لا يبلغ مده اي لا يلحق شاوه اي غايته وان شتمهم بغير هذا مما ذكر من مشاتمة الناس بعضهم
بعضا مما يجري بينهم نكل به نكالا شديدا لتلين شكيمته وتنقاد للادب قرونته فيصير سلسا
مطواعا بعدم الوقيعة في اولياء الله وقال ابن حبيب من غلا اي تعالى من الشيعة اي الذين شايعوا
عليا وقالوا انه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخرج عنه الخلافة ولا عن بنيه الا بظلم
الى عثمان والبراءة منه اي بالغ وتجاوز في حقه بما لا يرضي وتبرا منه ادب ادبا شديدا زجرا له
عن العود اليه ولامثاله عن ان يصدر عنهم شيء منه ومن زاد على ما غلا فيهم وتجاوز الى بغض
ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد لما زاده في حقهم بما لا يرضي ويكرر ضربه ويطال سجنه
حتى يموت توبيخا له ونكالا وهوانا به ولا يبلغ به اي بما عوقب به القتل الا في سب النبي صلى

الله

الله عليه وسلم لهتكه حرمة شرفه المنيف وقال ابن سحنون ومن كفر احدا من الصحابة عثمان او
عليا او غيرهما يوجع ضربا وهو مخالف لما مر عن مالك انه اذا قال كانوا اي الصحابة على ضلال وكفر
قتل وحكى ابن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين
وعلي المرتضى انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل كما مر عن مالك نكالا بما افتراه عليهم ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا كان قال لم يكونوا على هدى بل على كفر نكل به النكال الشديد لافكه عليهم وذلك
وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد نكالا بما اجترا به عليه ومن سب عائشة قتل قيل له
اي لمالك لم يقتل بسبها وقد قلت في اصحابه جلد من سبه قال اي مالك من رماها بما افترى عليها
فقد خالف القران النازل ببراءتها وقال ابن شعبان عنه اي عن مالك لان الله يقول يعظكم الله
حذرا من ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين تذكيرا لما تحلوا به من الايمان المراد لهم عن العود
لمثله الصاد عن كل قبيح وتهييجا لقبول الايقاظ فمن عاد لمثله فقد كفر لتضمن وعظه تبارك
وتعالى كراهة عودهم لمثل ما افك عليها وخوضهم فيه مع تضمنه ايضا النهي عنه وحكى ابو الحسن الصقلي
بفتح المهملة ان القاضي ابا بكر بن الطيب الباقلاني في امام المتكلمين قال ان الله تعالى اذا ذكر ما نسبه
اليه المشركون سبح نفسه لنفسه تنزيها عما نسبوه اليه تعالى كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه بل عباد مكرمون نزلت في خزاعة اذ قالوا الملائكة بنات الله في اي كثيرة سبح ذاته تنزيها له
في مثل وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات سبحانه وذكر ما نسبه المنافقون الى
الصديقة بنت الصديق عائشة مما افكوه عليها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم قدم الظرف على فعله
تنزيلا للظروف من الاشياء لتوسعهم فيها منزلة انفسها لوقوعها فيها ولزومها لها ولوجوب كونهم عن
تكلمهم فالافك فوجب تقديمه لانه هنا اهم ما يكون اي مما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا
اي المافوك عليها سبحانك تعجب من عظم ما انكر لتضمن تسبيحه له من حيث ان الاصل فيه ان يسبح
الله عند رؤية العجيب من صنعه تعالى ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى
عن تتصف زوجة نبيه بقبيح او سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح في تبرئته من السوء
وضعه موضع المضمر تقبيحا لشانه وتلويحا بوجوب التبري منه وهذا اي قول القاضي
ابي بكر ان الله سبح نفسه في براءة عائشة من السوء كما سبح نفسه في براءته منه يشهد لقول
مالك بقتل من سب عائشة ومعنى هذا اي قول مالك بقتل من سبها والله اعلم بين
المستند او خبره افاد انه تعالى هو الذي يعلم حقائق الامور على وجهها قطعا وغيره ظنا ان الله
لما عظم سبها في ايات براءتها من افكهم سبحانك هذا بهتان عظيم كما عظم سبه تعالى وتبارك
بمثل الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه
وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه في قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك القتل كما قدمناه
غير مرة وشتم رجل عائشة بالكوفة احدى المصرين هي والبصرة ويقال لها كوفة الجند اي
مجتمعهم لان سعدا لما اراد ان يبنيها قال لهم تكوفوا في هذا الموضع اي اجتمعوا فيه فسميت كوفة
وقيل كان اسمها قديما كوفان فقدم ذلك الشاتم لعائشة الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر
اي شتمه لها من الناس فقال ابن ابي ليلى انا اكتفى به لجلالة قدره اذ كان من الائمة الاعلام اجلده

جلدا القذف ثمانين جلدة وحلق راسه وسلمه للحجامين يعذبونه باخراج دمه وروي كما في تاريخ
الخطيب وابن عساكر عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان ابنه عبد الله اذ اشتم المقداد
ابن الاسود تنقصيا فان اباه عنره فكلم بضم الكاف مبنيا للمفعول اي عمر في ذلك ليترك قطعه فقال
دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد ظرف غاي مقطوع عن مضاف اليه منوي ومن ثم
بني على الضم اي بعد قطع لسانه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تكريما لشانهم وتشريفا لمقامهم
وروي ابو ذر الهروي ان عمر اتي باعرابي يهجو الانصار ويغري اعراضهم بلسانه فقال
لولا ان له صحبة لكفيتكموه ورواه ايضا محمد بن قدامة المروزي في كتاب الخوارج عن ابي سعيد
الخدري بسند رجاله ثقاة وقال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
استخفافا بهم واستهانة لهم فليس له في هذا الفي الماخوذ من الكفار بلا ايجاف خيل وركاب
نصيب قد قسم الله الفي في ثلاثة اصناف فقال للفقرا المهاجرين الى المدينة الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم
الصادقون اي في هجرتهم والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم عطف على الفقرا اي سكنوها
واتخذوها منزلا وهم الانصار والذين جاءوا من بعدهم اي هاجروا بعدهم او هم التابعون
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وهذا مبني على ان للفقرا المهاجرين
بدل من لذي القربى وما بعده وان المبدل منه في حكم الطرح والاولى جعله متعلقا بمحذوف
اي اعجبوا لهم في تركهم اهلهم واموالهم وديارهم مبتغين فضل الله ورسوله مريدين نصرة
دينه وفي مدح الله لهم بالصدق في ذلك والذين تبوءوا الدار واخلصوا الايمان في محبتهم من
هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ويوثرون على انفسهم بالفي ولو كان بهم خصاصة
كالذين جاءوا من بعدهم في طلبهم المغفرة من الله ولاخوانهم السابقين لهم بالايمان ومبني على
مذهبه من ان الفي لا يخمس كما تخمس الغنيمة وهو مخالف لصدر الاية والحق انه يخمس لشهادة
ان الله بين لرسوله فيها ما يصنع بما افا الله عليه من اهل القرى وامره ان يضع خمسه حيث
يضع خمس الغنايم مقسوما على ذويه من رسوله وذوي قرباه واليتامى والمساكين وابن
السبيل وكان له صلى الله عليه وسلم مدة حياته خاصة ينفق منه على عياله نفقة سنتهم
وما بقي منه فللمصالح وانما قسمه صلى الله عليه وسلم في المهاجرين خاصة لفقرهم وظنهم في
ذلك الوقت لاخراجهم من ديارهم واموالهم حبا لله والرسوله وطلبا لرضاه ونصرة رسوله ولم
يعط الانصار منه شيا الا ثلاثة ابا دجانة سماك بن خرشه وسهل بن حنيف والحارث بن الصمه
لفقرهم وقال للانصار ان شيتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم وديارهم ويشاركونهم فيه وان
شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولا ناخذ منه شيا فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا
ونوثرهم به فنزل فيهم ويوثرون على انفسهم هذا ودعوي ان اهل الحرب يملكون اموال المسلمين
بتغلبهم عليهم للتسمية الله تعالى للمهاجرين فقرا ممنوعة اذ لا يلزم من تسميته تعالى لهم فقرا
زوال ملكهم عن اموالهم لانه تعالى انما سماهم فقرا باعتبار الحالة التي كانوا عليها من عدم وضيق
عيش تنزيلا لها لعدم قدرتهم عليها في تلك الحال منزلة المعدوم لحيلولة كفار قريش بينهم وبينها
قهرا فكما لا يملك الغاصب ما غصبه لا يملك حربي مال مسلم اخذه منه قهرا لشهادة قوله تعالى

ولن

ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا وحديث الشافعي في الام ان ام الدرداء اسرها في ركب
من الصحابة فيه ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيف قبل اسلامهم فتنفلتهم ام الدردا
فركبتها فلما بلغت المدينة اخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فلو ملكوها لكانت غنيمة
لها ولوجب تخميسها وقد يستدل بحديث العرنيين في البخاري وغيره اذ قتلوا راعي رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخذوا ابل الصدقة ثم نزعت منهم قهرا فلو ملكوها لوجب عليه صلى
الله عليه وسلم تخميسها فمن تنقصهم استهانة بهم فلا حق له في المسلمين لخروجه من الاصناف الثلاثة
وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم اي من الصحابة انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند
بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه لعله اراد بالاول التعزير تنكيلا له وزجرا له عن ان
يعود ولا اجعله كقاذف جماعة بكلمة لفضله على غيره لشموله فضيلة صحبته صلى الله عليه
وسلم ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه وفي رواية تقدمت فاضربوه قال
اي ابن شعبان ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية اي الكذب لانه اي قذف ام
احدهم كافرة سب له يستحق به التاديب الاليم فان كان احد منهم ولد هذا الصحابي حيا وابوه ميتا
قام مقامه في استيفا الحد والا اي وان لم يكن له احد من ولده حيا فمن قام به استيفا له من
المسلمين كان على الامام اونائبه قبول قيامه ونصرته معاونة على البر والتقوى قال اي
ابن شعبان وليس هذا اي ما ذكر في حق من قذف امه من الصحابة من وجوب الحد على من قذفها
كحقوق غير الصحابة لحرمة هولاء اي الصحابة بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام اي
السلطان اونائبه واشهد عليه كان اي الامام ولي القيام به اي بالحد استيفا له قال اي
ابن شعبان ومن سب غير عايشة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل
لانه سبه صلى الله عليه وسلم بسب حليلته التي استحلها بكلمة الله وصارت زوجة له بها والقول
الاخر يجلد حد المفتري لشمول حرمته لهن بدخولهن تحت كنفه قال اي ابن شعبان وبالاول اي القول
بالقتل اقول وروى مصعب عن مالك فيمن سب من انتسب الى النبي صلى الله عليه وسلم قرابة او
صحبة او مولى له انه يضرب ضربا وجيعا ويشهر بين الناس ليعلم حاله ويحبس حبسا طويلا حتى تظهر
توبته لانه اي سبه له استخفاف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب تنكيله ردعا لامثاله
وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة من مدن المغرب وهو الان والله اعلم بايدي الفرنج في رجل
انكر تحليف امراة توجه عليها يمين واريد تحليفها بالليل لكونها مخدرة وقال لو كانت بنت ابي بكر
الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله اي قول الرجل الذي انكر تحليفها بالليل بعض المتسمين
بالفقه اي المتصفين به فقال ابو المطرف ذاكره اي قوله لو كانت لابنة ابي بكر في مثل هذا اي الان
يجب به عليه الضرب الشديد والسجن الطويل لجراته على حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة ابيها
الصديق رضي الله عنه والفقيه الذي صوب قوله احق باسم الفسق ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهي اي فتواه بتصويبه قوله جرحة ثابتة فيه اسقطت عدالته فجعلها نفسها جرحة للتسبب
عنها مبالغة في تفسيقه ويبغض في الله اهانة له ورفضا لجانبه وقال ابو عمران في رجل قال
لو شهد علي ابو بكر حذف سببه وجوابه لظهورهما عنده انه ان كان اراد ان شهادته في مثل هذا
لا يجوز ولا يكفي فيه الشاهد الواحد ولا شي عليه ويردع كفواله وامثاله عن ذكره الابهام

مناسب وان اراد غيره هذا فمضروب ضربا يبلغ به اي الضرب الموت او مبلغ هو بالضرب الموت لتنقصه اكرم الخلق بعد الانبيا لشهادة حديث والله ما طلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر المخصص لعموم حديث ما اقلت الغبرا ولا اظلت الخضرا افضل من ابي بكر وذكروها اي قول ابي عمران وانث الضمير باعتبار ما بعده لانه اذا اكتنفه مذكر ومؤنث جاز تذكيره وتانيثه رواية عن مالك او غيره من اصحابه قال المؤلف هنا انتهى القول بنا فيما حررناه من الباعث على تاليف هذا الكتاب وانتجز اي تم وانقضى الغرض الذي اردنا ابرازه في معرض احسن تاليف انتخبناه اي قصدناه واعتمدناه واستوفي اي القول الشرط الذي شرطناه مما اوردناه في الاقسام الاربعة وارجو ان يكون في كل قسم منه للمريد ممن يريده مقنع يقنع به ويرضاه وهو مصدر ميمي لا يثنى ولا يجمع ومن ثنى وجمع نظر الى الاسمية وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع اي مخرج من النزع وهو الجذب فقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع لقلة استعمالها وجريها على اللسان بحيث تعد بديعة وردت لا على مثال ويتقدم على صدور هذه الفقره في اخر الخطبة ما لا مزيد عليه وكرعت من الكرع وهو شرب الما بفيه كالدابة فلا دخال الما وكارعا فيه وكره الكرع في النهر لذلك في مشارب من التحقيق اي التحرير شبهها بما يشرع فيه واخرجها من باب الاستعارة بمن البيانية لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع هو في الاصل مورد الشاربة من ابل وغيرها ثم استعير لكل ما فيه نفع تشبيها له به واودعته اي ضمنته غير ما فصل زيدت فيه ما التاكيد معنى كثرة ما اودعه فيه وددت من الود اي المحبة وفك الادغام لتعذره مع التا المدغم فيها الثانية المنقلبة عن الدال الثانية وعن ابن عمر انه بالغ في الاحسان الى اعرابي فقيل له ان الاعراب يرضون بالقليل فقال ان ابا هذا كان ودا لعمر ان ضم واوه فقدر مضاف اي ذا ود له وان كسرت فلا اذ الود بالكسر الصديق اي احببت لو وجدت من بسط الكلام فيه او وجدت مقتدي به يقتدى به اي يفيد في ما اودعته عن كتابة او عن ذكره املا مشابهة لاكتفي بما ارويه عنه او عن كتابة عما ارويه لغيري كي ينتفع به وينفع غيره والى الله جزيل الضراعة اي كثرة الخضوع والتذلل لا الى غيره لشهادة تقديم الجار والمجرور في المنة منه تعالى بقبول ما منه تفضل به مما اودعته غير ما فصل خالصا لوجهه الكريم اي لذاته والعفو عما تخلله اثنا تراكيبه وخلال اساليبه من تزين وتصنع لغيره اي غير وجهه الكريم وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه اي لاجل ما اوردناه فيه من شرف مصطفاه وامين وحيه ولاجل ما اسهرنا به اي بسببه الباعث لنا عليه جفوننا لاظهار شرفه صلى الله عليه وسلم ولاجل ما اعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه التي خصه الله تعالى بها دون غيره مما وجب له وندب وابيح وحرم عليه وكره ووسائله التي يتوسل بها الى الله وان يحمي اعراضنا عن ناره لحمايتنا كريم عرضه صلى الله عليه وسلم بما رويناه من شرفه المنيف وكرمه الوريف وان يجعلنا ممن لا يذاد بمعجمة ومهملة بينهما الف اي لا يطرد اذا ذيد المبدل دينه بردته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم عن حوضه وان يجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه التي لا انفصام لها وان يجعله ذخيرة محفوظة لديه تعالى نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ينفعها ذلك اليوم

تجوز لها رضاه اي نحوه ونستنيله ونحوز لها جزيل ثوابه وان يخصنا بخصيصي بالف مقصورة مصدر بمعنى الخصوصية يقال خصه بكذا خصوصا وخصوصية اي بمن هو من خواص زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته وان يحشرنا مع الرعيل اي الجمع الاول من اهل السعادة واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ويحمده اي نثني عليه بجامع ثنا يوافي نعمه ويكافي مزيده على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة هي ما للادراك المعاني كالبصر لادراك المحسوسات لادراك حقائق ما اودعناه ونستعيذه اي نلوذ به ونلجا اليه جل اسمه من دعا لا يسمع ومن علم لا ينفع وامل لا يرفع انه الجواد بتخفيف الوا ولا غيره لشهادة تعريف الجزئين وحديث اني جواد ماجد الذي لا يخيب من امله وارتجى جوده التي لا تحصى كثرة ولا تستقصى ولا ينتصر على عدوه من خذله اي منعه وحرمه نصره ولا يرد دعوة القاصدين اليه الراغبين فيما عنده لشهادة حديث ان الله ليستحيي ان يرد يد عبده صفرا اذا رفعها اليه ولا يصلح عمل المفسدين بل يمحقه تلفا ويدمره تدميرا وهو حسبي مبتدا وخبر وحسب مصدر في موضع اسم الفاعل اي محسبي وكافي يقال احسبني الشي اي كفاني ونعم الوكيل عطف اما على جملة هو حسبي والمخصوص محذوف اي ونعم الموكول اليه هو او على حسبي اي وهو نعم الوكيل فالمخصوص هو الضمير المتقدم ويكون عطف الانشا على الاخبار وهو جائز في الجملة التي لها محل من الاعراب كما في تفسير سورة نوح من الكشاف سوا حكيت بعد القول ام لا اذ لا يشك من به مسكة في حسن قولك زيد ابوه عالم وما افسقه وعمرو ابوه بخيل وما اجوده وكفاك لهذا الجواز شاهدا قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل هذا وقد تم كمال الاصطفا لبيان معاني الشفا بما بديعا موشحا من العلوم بما يناسب كل مقام تبيانا شرايف تركيب كريم لا مقطوعا فضله ولا ممنوعا ولطايف ترتيب يتيم لا اقلقا افصاحه ولا معدوما واسلوب انيق تسابق الفاظه الى الافهام معانيه واعجوب رشيق يبادر الى الاذهان حكمه ومبانيه فدونك شرحا عناية الله مشرحه ومصدره وتوليه تعالى اياي بكرامته منبعه ومظهره قد سفرت فيه عن وجوه رغايب نفيسة تشرق بنور التوفيق مقمره وغرايب انسية تزهر بهداية الله ساطعا بها عنوانه لامعا بها برهانه ناطقا بمعان توقظ الوسنان ومثان تفهم الاذهان فالحمد لله على ما منح من ابراز حقايقه مسفرة وفتح من احرازه دقايقه ضاحكة مستبشرة اللهم فتقبله مني واجر على السنة الافهام فصل خطابه واعل على الوية الاذهان بديع صوابه فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل قال المؤلف رحمه الله نجز تبييضا يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشر شوال من شهور سنة خمس و

لبعضهم مدحا في الكتاب وشرحه

لله در عياض الحبر الذي • بسنا هداه غدى الضلال على شفا
قد هد امراض القلوب وداها • بكتابه السامي المسمى بالشفا
ولقد كساه شمس دلجة حلة • من شرحه للبدر لاحت فاختفى
قال الحسود للاعتراف بفضله • فنحى مقاصده الشريفة واقتفى
لا زال فيض رضى الاله عليهما • ما دام يتلى مدح فضل المصطفى